

## الجزء السابع عشر

### ذكر الكميت ونسبه وخبره

#### نسبه

هو الكميت بن زيد بن خنيس بن مجالد بن وهيب بن عمرو بن سبيع. وقيل: الكميت بن زيد بن خنيس بن مجالد بن ذؤيب بن قيس بن عمرو بن سبيع بن مالك بن سعد بن ثعلبة بن دودان بن أسد بن خزيمه بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار. شاعر مقدم، عالم بلغات العرب، خبير بأيامها، من شعراء مضر وألستها، والمتعصبين على القحطانية، المقارنين المقارعين لشعرائهم، العلماء بالثالب والأيام، المفاخرين بها. وكان في أيام بني أمية، ولم يدرك الدولة العباسية، ومات قبلها.

#### تشيعه لبني هاشم

وكان معروفاً بالتشيع لبني هاشم، مشهوراً بذلك، وقصائده الهاشميات من جيد شعره ومختاره. مناقضة دعبل وابن أبي عيينة لقصيدته المذهبة ولم تزل عصبته للعدنانية ومهاجاته شعراء اليمن متصلة، والمناقضة بينه وبينهم شائعة في حياته وبعد وفاته، حتى ناقض دعبل وابن أبي عيينة قصيدته المذهبة بعد وفاته، وأجابهما أبو البقاء البصري مولى بني هاشم عنها، وذلك يذكر في موضع آخر يصلح له من هذا الكتاب إن شاء الله .

#### كان معلم صبيان

أخبرني محمد بن الحسن بن دريد عن أبي حاتم، عن الأصمعي، عن خلف الأحمر: أنه رأى الكميت يعلم الصبيان في مسجد الكوفة.

#### مودته للطرماع مع اختلاف المذهب والعصبية

قال ابن قتيبة في خبره خاصة: وكانت بينه وبين الطرماع خلطة ومودة وصفاء لم يكن بين اثنين، قال: فحدثني بعض أصحابه عن محمد بن سهل راوية الكميت، قال: أنشدت الكميت قول الطرماع:

إذا قبضت نفس الطرماع أخلقت  
عرا المجد واسترخى عنان القصائد

قال: إي والله وعنان الخطابة والرواية. قال: وهذه الأحوال بينهما على تفاوت المذاهب والعصبية والديانة؛ كان الكميت شيعياً عصبياً عدنائياً من شعراء مضر، متعصباً لأهل الكوفة، والطرماع خارجي صفري قحطاني عصبي

لقحطان، من شعراء اليمن، متعصب لأهل الشام، فقيل لهما: فقيم اتفقتما هذا الاتفاق مع اختلاف سائر الأهواء؟ قالوا: اتفقتنا على بغض العامة.

### علمه بأيام العرب وأشعارها

أخبرني عمي قال: حدثني محمد بن سعد الكرائي، قال: حدثنا أبو عمر العمري، عن لقيط، قال: اجتمع الكميت بن زيد وحماد الراوية في مسجد الكوفة، فتذاكرا أشعار العرب وأيامها، فخالفه حماد في شيء ونازعه، فقال له الكميت: أتظن أنك أعلم مني بأيام العرب وأشعارها؟ قال: وما هو إلا الظن! هذا والله هو اليقين. فغضب الكميت ثم قال له: لكم شاعر بصير، يقال له عمرو ابن فلان، تروي؟ ولكم شاعر أعور أو أعمى اسمه فلان ابن عمرو، تروي؟ فقال حماد قولاً لما يحفظه: فجعل الكمي يذكر رجلاً رجلاً من صنف صنف، ويسأل حماداً: هل يعرفه؟ فإذا قال: لا، أنشده من شعره جزءاً منه حتى ضجرنا.

### مساءلته حماداً عن شيء من الشعر

ثم قال له الكميت: فإني سائلك عن شيء من الشعر، فسأله عن قول الشاعر:

قذفك المقلة شطر المعترك

طرحوا أصحابهم في ورطة

فلم يعلم حماد تفسيره، فسأله عن قول الآخر:

تدرين ولدانا تصيد الرهادنا

تدريننا بالقول حتى كأنما

فأفحم حماد، فقال له: قد أجلتلك إلى الجمعة الأخرى، فجاء حماد ولم يأت بتفسيرهما، وسأل الكميت أن يفسرهما له، فقال: المقلة: حصاة أو نواة من نوى المقل يحملها القوم معهم إذا سافروا، وتوضع في الإناء ويصب عليها الماء حتى يغمرها، فيكون ذلك علامة يقتسمون بها الماء. والشطر: النصيب. والمعترك: الموضع الذي يختصمون فيه في الماء، فيلقونها هناك عند الشر. وقوله: "تدريننا"، يعني النساء، أي حثلننا فرميننا. والرهادن: طير بمكة كالعصافير.

### سبب حفيظة خالد القسري عليه

وكان خالد بن عبد الله القسري - فيما حدثني به عيسى بن الحسين الوراق، قال: أخبرنا أحمد بن الحارث الفزاري عن ابن الأعرابي، وذكره محمد بن أنس السلامي عن المستهل بن الكميت، وذكره ابن كناسة عن جماعة من بني أسد - وقد بلغه أن الكميت أنشد قصيدته التي يهجو فيها اليمن، وهي:

ألا حبيبت عنا يا مدينا

احتيال خالد لإثارة هشام عليه فأحفظته عليه، فروى جارية حسناء قصائده الهاشميات، وأعدّها ليهديها إلى هشام، وكتب إليه بأخبار الكميت وهجائه بني أمية، وأنفذ إليه قصيدته التي يقول فيها:

### فيا رب هل إلا بك النصر بيتغى ويارب هل إلا عليك المعول!

حبسه وكتاب أبان بن الوليد إليه بطريقة هروبه وهي طويلة يرثي فيها زيد بن علي، وابنه الحسين بن زيد، ويمدح بني هاشم. فلما قرأها أكبرها وعظمت عليه، واستنكرها، وكتب إلى خالد يقسم عليه أن يقطع لسان الكميت ويده. فلم يشعر الكميت إلا والخيل محدة بداره، فأخذ وحبس في المخيس، وكان أبان بن الوليد عاملاً على واسط، وكان الكميت صديقه، فبعث إليه بغلام على بغل، وقال له: أنت حر إن لحقتك، والبغل لك. وكتب إليه: قد بلغني ما صرت إليه، وهو القتل، إلا أن يدفع الله عز وجل، وارى لك أن تبعث إلى حيي - يعني زوجة الكميت وهي بنت نكيف بن عبد الواحد، وهي ممن يتشبع أيضاً - فإذا دخلت إليك تنقبت نقابها، ولبست ثيابها وخرجت، فإني أرجو إلا يؤبه لك.

فأرسل الكميت إلى أبي وضاح حبيب بن بديل وإلى فتیان من بني عمه من مالك بن سعيد، فدخل عليه حبيب فأخبره الخبر، وشاوره فيه، فسدّد رأيه، ثم بعث إلى حيي امرأته، فقص عليها القصة، وقال لها: أي ابنة عم، إن الوالي لا يقدم عليك، ولا يسلمك قومك، ولو خفته عليك لما عرضت لك له. فألبسته ثيابها وإزارها وخمرته، وقالت له: أقبل وأدير؛ ففعل، فقالت: ما أنكر منك شيئاً إلا يبساً في كتفك، فأخرج على اسم الله. امرأته حيي مكانه في السجن وأخرجت معه جارية لها، فخرج وعلى باب السجن أبو وضاح، ومعه فتیان من أسد، فلم يؤبه له، ومشى والفتيان بين يديه إلى سكة شبيب بناحية الكناسة، فمر بمجلس من مجالس بني تميم، فقال بعضهم: رجل ورب الكعبة. وأمر غلامه فاتبعه، فصاح به أبو الوضاح: يا كذا وكذا، لا أراك تتبع هذه المرأة منذ اليوم. وأوماً إليه بنعله، فولى العبد مديراً، وأدخله أبو الوضاح منزله. كشف أمره ولما طال على السجن الأمر نادى الكميت فلم يجبه، فدخل ليعرف خبره، فصاحت به المرأة: ورائك، لا أم لك! فشق ثوبه، ومضى صارخاً إلى باب خالد، فأخبره الخبر، فأحضر حيي فقال لها: يا عدوة الله، احتلت على أمير المؤمنين، وأخرجت عدوه، لأمثلن بك ولأصنعن ولأفعلن. فاجتمعت بنو أسد إليه، وقالوا: ما سبيلك على امرأة منا خدعت. فخافهم فخلى سبيلها.

### خبرته بزجر الطير

قال: وسقط غراب على الحائط فنعب، فقال الكميت لأبي وضاح: إني لمأخوذ، وإن حائطك لساقط. فقال سبحان الله! هذا ما لا يكون إن شاء الله. فقال له: لا بد من أن تحولني. فخرج به إلى بني علقمة - وكانوا يتشيعون - فأقام فيهم ولم يصبح حتى سقط الحائط الذي سقط عليه الغراب.

### خروجه إلى الشام

قال ابن الأعرابي: قال المستهل: وأقام الكميت مدة متوارياً، حتى إذا أيقن أن الطلب قد خف عنه خرج ليلاً في جماعة من بني أسد، على خوف ووجل، وفيمن معه صاعد غلامه، قال: وأخذنا الطريق على الققططانة - وكان عالماً بالنجوم مهتدياً بها - فلما صار سحير صاح بنا: هوموا يا فتيان، فهومنا، وقام يصلي.

أطعمم ذئباً فهدها الطريق قال المستهل: فرأيت شخصاً فتضعضت له، فقال: مالك؟ قلت: أرى شيئاً مقبلاً، فنظر إليه فقال: هذا ذئب قد جاء يستطعمكم، فجاء الذئب فربض ناحية، فأطعمناه يد جزور، فتعرقها، ثم أهوينا له بإناء فيه ماء فشرب منه، وارتحلنا، فجعل الذئب يعوي، فقال الكميت: ما له ويله! ألم نطعمه ونسقه! وما أعرفني بما يريد! هو يعلمنا أنا لسنا على الطريق؛ تيامنوا يا فتيان، فتيامنا فسكن عواؤه.

تواريه وسعي رجالات قريش في خلاصه فلم نزل نسير حتى جئنا بالشام، فتواري في بني أسد وبني تميم، وأرسل إلى أشرف قريش - وكان سيدهم يومئذ عنيسة بن سعيد بن العاص - فمشت رجالات قريش بعضها إلى بعض، وأتوا عنيسة، فقالوا: يا أبا خالد، هذه مكرمة قد أتاك الله بها، هذا الكميت بن زيد لسان مضر، وكان أمير المؤمنين كتب في قتله، فنجا حتى تخلص إليك وإلينا. قال: فمروه أن يعوذ بقبر معاوية بن هشام بدير حنيناء. فمضى الكميت، فضرب فسطاطه عند قبره، ومضى عنيسة فأتى مسلمة بن هشام، فقال له: يا أبا شاكر، مكرمة أتيتك بها تبلغ الثريا إن اعتقدتها، فإن علمت أنك تفي بها وإلا كتمتها. قال: وما هي؟ فأخبره الخبر، وقال: إنه قد مدحكم عامة، وإياك خاصة بما لم يسمع بمثله. فقال: علي خلاصه.

مسلمة بن هشام يطلب الأمان له

فدخل على أبيه هشام وهو عند أمه في غير وقت دخول، فقال هشام: أجيئت لحاجة؟ قال: نعم، قال: هي مقضية إلا أن يكون الكميت. فقال: ما أحب أن تستثني علي في حاجتي، وما أنا والكميت! فقالت أمه: والله لتقضين حاجته كائنة ما كانت. قال: قد قضيتها ولو أحاطت بما بين قطريها. قال: هي الكميت يا أمير المؤمنين، وهو آمن بأمان الله عز وجل وأماني، وهو شاعر مضر، وقد قال فينا قولاً لم يقل مثله، قال: قد أمنت، وأجرت أمانك له، فاجلس له مجلساً ينشدك فيه ما قال فينا.

هشام يعقد له مجلساً يسمع فيه مدائحه في بني أمية فعقد له، وعنده الأبرش الكلبي، فتكلم بخطبة ارتجلها ما سمع بمثله قط، وامتدحه بقصيدته الرائية، ويقال إنه قالها ارتجالاً، وهي قوله:

### قف بالديار وقوف زائر

فمضى فيها حتى انتهى إلى قوله:

ف بها وأنك غير صاغر

ماذا عليك من الوقو

ت الرائحات من الأعاصر

درجت عليها الغاديا

وفيهما يقول:

## فالآن صرت إلى أمية

## والأمور إلى المصاير

وجعل هشام يغمز مسلمة بقضيب في يده، فيقول: اسمع، اسمع.

ثم استأذنه في مرثية ابنه معاوية، فأذن له، فأنشده قوله :

## سأبكيك للنديا وللدين إنني

## رأيت يد المعروف بعدك شلت

## فدامت عليك بالسلام تحية

## ملائكة الله الكرام وصلت

فيكي هشام بكاء شديداً، فوثب الحاجب فسكته.

ثم جاء الكميت إلى منزله آمناً، فحشدت له المضربة بالهدايا، وأمر له مسلمة بعشرين ألف درهم، وأمر له هشام

بأربعين ألف درهم. وكتب إلى خالد بأمانه وأمان أهل بيته، وأنه لا سلطان له عليهم.

قال: وجمعت له بنو أمية بينها ما لا كثيراً. قال: ولم يجمع من قصيدته تلك يومئذ إلا ما حفظه الناس منها فألف.

وسئل عنها، فقال: ما أحفظ منها شيئاً؛ إنما هو كلام ارتحلته.

فقال: وودع هشاماً، وأنشده قوله فيه:

## ذكر القلب إلفة المذكوراً

### سبقة الشعراء إلى معنى في صفة الفرس

قال محمد بن كناسة: وكان الكميت يقول: سبقت الناس في هذه القصيدة من أهل الجاهلية والإسلام إلى معنى

ما سبقت إليه في صفة الفرس حين أقول:

## يبحث الترب عن كواسر في المش

## رب لا يجشم السقاة الصفيرا

هذه رواية ابن عمار. وقد روى فيه غير هذا.

رواية أخرى في سبب المنافرة بينه وبين خالد وقيل في سبب المنافرة بين خالد والكميت غير هذا، نسخته من

كتاب محمد بن يحيى الخراز، قال: حدثني أحمد بن إبراهيم الحاسب، قال: حدثني عبد الرحمن بن داود بن أبي أمية

البلخي، قال: كان حكيم بن عياش الأعور الكلبي ولعاً بهجاء مضر، فكانت شعراء مضر تهجوه ويحييهم، وكان

الكميت يقول: هو والله أشعر منكم. قالوا: فأجب الرجل. قال: إن خالد بن عبد الله القسري محسن إلي فلا

أقدر أن أرد عليه، قالوا: فاسمع بأذنك ما يقول في بنات عمك وبنات خالك من الهجاء، وأنشده ذلك؛ فحمي

الكميت لعشيرته، فقال المذهبة :

## ألا حبيبت عنا يا مدينا

فأحسن فيها، وبلغ خالداً خبرها. فقال: لا أبالي ما لم يجز لعشيرتي ذكر، فأنشده قوله:

## ومن عجب علي لعمر أم

## غذتك وغير هاتيا يمينا

ولا علم تعسف مخطئينا

كهيلة قبلنا والحالينا

إلى المولى المغادر هارينا

وترميها عصي الذابحينا

تجاوزت المياه بلا دليل

فإنك والتحول من معد

تخطت خيرهم حلباً ونسناً

كعزز السوء تتطح عالفيها

فبلغ ذلك خالدًا، فقال: فعلها! والله لأقتلنه. ثم اشترى ثلاثين جارية بأعلى ثمن، وتخيرهن نهاية في حسن الوجوه والكمال والأدب، فرواهن الهاشميات، ودسهن مع نخاس إلى هشام بن عبد الملك، فاشتراهن جميعاً، فلما أنس بهن استنطقهن، فرأى فصاحة وأدباً، فاستقرأهن القرآن، فقرأن، واستنشدن الشعر، فأنشدنه قصائد الكميت الهاشميات. فقال: ويلكن! من قاتل هذا الشعر؟ قلن: الكميت بن زيد الأسدي. قال: وفي أي بلد هو؟ قلن: في العراق، ثم بالكوفة. فكتب إلى خالد وهو عامله على العراق: ابعث إلي برأس الكميت بن زيد، فبعث خالد إلى الكميت في الليل، فأخذه وأودعه السجن. ولما كان من الغد أقرأ من حضره من مضر كتاب هشام، واعتذر إليهم من قتله، وأذهم في إنفاذ الأمر فيه في غد، فقال لأبان بن الوليد البجلي - وكان صديقاً للكميت -: انظر ما ورد في صديقك. فقال: عز علي والله ما به، ثم قام أبان، فبعث إلى الكميت فأنذره، فوجه إلى امرأته. مسلمة بن هشام يجيره ويحتال في خلاصه ثم ذكر الخبر في خروجه ومقامها مكانه، كما ذكر من تقدمه. وقال فيه: فأتى مسلمة بن عبد الملك فاستجار به، فقال: إني أخشى ألا ينفعك جوارى عنده، ولكن استجر بابه مسلمة بن هشام. فقال: كن أنت السفير بيني وبينه في ذلك، ففعل مسلمة، وقال لابن أخيه: قد أتيتك بشرف الدهر، واعتقاد الصنيعة في مضر، وأخبره الخبر؛ فأجاره مسلمة بن هشام. وبلغ ذلك هشاماً فدعا به، ثم قال: أتحير على أمير المؤمنين بغير أمره؟! فقال: كلا، ولكني انتظرت سكون غضبه. قال: أحضرني الساعة، فإنه لا جوار لك. فقال مسلمة للكميت: يا أبا المستهل، إن أمير المؤمنين أمرني بإحضارك. قال: أتسلمني يا أبا شاكر؟ قال: كلا، ولكني أحتال لك، ثم قال له: إن معاوية بن هشام مات قريباً، وقد جزع عليه جزعاً شديداً، فإذا كان من الليل فاضرب رواقك على قبره، وأنا أبعث إليك بنيه يكونون معك في الرواق، فإذا دعا بك تقدمت إليهم أن يربطوا ثيابهم بثيابك، ويقولوا: هذا استجار بقبر أبينا، ونحن أحق من أجاره. فأصبح هشام على عادته متطلعاً من قصره إلى القبر، فقال: من هذا؟ فقالوا: لعله مستجير بالقبر! فقال: يجار من كان إلا الكميت؛ فإنه لا جوار له. فقيل: فإنه الكميت، قال: يحضر أعنف إحضار. فلما دعي به ربط الصبيان ثيابهم بثيابه. فلما نظر هشام إليهم اغرورقت عيناه واستعبر، وهم يقولون: يا أمير المؤمنين، استجار بقبر أبينا، وقد مات، ومات حظه من الدنيا، فاجعله هبة له ولنا، ولا تفضحنا فيمن استجار به. فبكى هشام حتى انتحب، ثم أقبل على الكميت فقال له: يا كميت، أنت القاتل:

## وإلا تقولوا غيرها تتعرفوا

## نواصيها تردي بنا وهي شرب

خطبته بين يدي هشام وإنشاده بعض مدائحه في بني أمية فقال: لا، والله، ولا أتان من أتن الحجاز وحشية، فحمد الله وأثنى عليه وصلى على نبيه، ثم قال: أما بعد فيني كنت أتدهدى في غمرة، وأعوم في بحر غواية، أحنى علي خطلها، واستفزني وهلها؛ فتحيرت في الضلالة، وتسكعت في الجهالة، مهرعاً عن الحق، جائراً عن القصد، أقول الباطل ضلالاً، وأفوه بالبهتان وبالاً، وهذا مقام العائذ مبصر الهدى، ورافض العمى فاغسل عني يا أمير المؤمنين الحوبة بالتوبة، واصفح عن الزلة، واعف عن الجرمة، ثم قال:

### كم قال قائلكم: لعا

### لك، عند عثرته لعائر

### وغفرتم لذوي الذنو

### ب من الأكابر والأصاغر

### أبني أمية إنكم

### أهل الوسائل والأوامر

### ثقتي لكل ملمة

### وعشيرتي دون العشائر

### أنتم معادن للخلا

### فة كائراً من بعد كابر

### بالتسعة المنتابعي

### ن خلائفاً وبخير عاشر

### وإلى القيامة لا ترا

### ل لشافع منكم وواتر

ثم قطع الإنشاد وعاد إلى خطبته، فقال: إغضاء أمير المؤمنين وسماحته وصباحته، ومناطق المنتجعين بجبله، من لا تحل حبوته لإساءة المذنبين، فضلاً عن استشاطه غضبه بجهل الجاهلين.

محاورة بينه وبين هشام في شعر قاله في بني أمية فقال له: ويلك يا كميته! من زين لك الغواية، ودلاك في العماية؟ قال: الذي أخرج أبانا من الجنة، وأنساه العهد، فلم يجد له عزماً. فقال: إيه! أنت القائل:

### فيا موقداً ناراً لغيرك ضوءها

### ويا حاطباً في غير حبلك تحطب

فقال: بل أنا القائل:

### إلى آل بيت أبي مالك

### مناخ هو الأرحب الأسهل

### نمت بأرحامنا الداخلا

### ت من حيث لا ينكر المدخل

### ببرة والنضر والمالكي

### ن رهط هم الأنبل الأنبل

### ويا بني خزيمة بدر السما

### ء والشمس مفتاح ما نأمل

### وجدنا قريشاً قريشاً البطاح

### على ما بنى الأول الأول

### بهم صلح الناس بعد الفساد

### وحيص من الفتق ما رعلوا

قال له: وأنت القائل:

لا كعبد المليك أو كوليد  
من يمت لا يمت فقيداً ومن يح  
أو سليمان بعد أو كهشام  
ي فلا ذو إل ولا ذو ذمام  
ويلك يا كميته! جعلتنا ممن لا يرقب في مؤمن إلاً ولا ذمة، فقال: بل أنا القائل يا أمير المؤمنين :

فالآن صرت إلى أمي  
والآن صرت بها المصي  
ة والأمر إلى المصاير  
ب كمهتد بالأمس حائر  
يابن العقائل للعقا  
نل والجحاجة الأخير  
من عبد شمس والأكا  
بر من أمية فالأكابر  
ف برغم ذي حسد وواغر  
د إليك بالرغد الموارف  
ح وحل غيرك بالظواهر  
فحللت معتلج البطا

قال له: إيه، فأنت القائل :

فقل لبين أمية حيث حلوا  
أجاع الله من أشبعتموه  
وإن خفت المهند والقطيعة  
وأشبع من بجوركم أجيعة  
بمرضي السياسة هاشمي  
يكون حياً لأمته ربيعا

فقال: لا تثريب يا أمير المؤمنين، إن رأيت أن تمحو عني قولي الكاذب. قال: بماذا؟ قال: بقولي الصادق :

أورثته الحصان أم هشام  
وتعاطى به ابن عائشة البد  
حسباً ثاقباً ووجهاً نضيرا  
ر فأمسى له رقيباً نظيرا  
وكساه أبو الخلائف مروا  
ن سني المكارم المأثورا  
لم تجهم له البطاح ولكن  
وجدتها له مغاراً ودورا

إعجاب هشام بشعره ورضاؤه عنه وكان هشام متكئاً فاستوى جالساً، وقال: هكذا فليكن الشعر - يقولها  
لسالم بن عبد الله بن عمر، وكان إلى جانبه - ثم قال: قد رضيت عنك يا كميته؛ فقبل يده، وقال: يا أمير  
المؤمنين، إن رأيت أن تزيد في تشريفي، ولا تجعل لخالد علي إمارة! قال: قد فعلت. وكتب له بذلك، وأمر له  
بأربعين ألف درهم وثلاثين ثوباً هشامية. وكتب إلى خالد أن يخلي سبيل امرأته ويعطيها عشرين ألفاً وثلاثين  
ثوباً. ففعل ذلك.

خالد يضربه مائة سوط وله مع خالد أخبار بعد قدومه الكوفة بالعهد الذي كتب له، منها أنه مر به خالد يوماً، وقد تحدث الناس بعزله عن العراق، فلما جاز تمثل الكميت:

### أراها وإن كانت تحب كأنها سحابة صيف عن قليل تنقشع

فسمعه خالد، فرجع وقال: أما والله لا تنقشع حتى يغشاك منها شؤبوب برد. ثم أمر به فجرد، فضربه مائة سوط، ثم خلى عنه ومضى. هذه رواية ابن حبيب.

ينذر هشاماً بخالد وقد أخبرني أحمد بن عبد الله بن عمار قال: حدثنا النوفلي علي بن محمد بن سليمان أبو الحسن، قال: حدثني أبي، قال: كان هشام بن عبد الملك قد اتهم خالد بن عبد الله - وكان يقال - إنه يريد خلعتك - فوجد بباب هشام يوماً رقعة فيها شعر، فدخل بها على هشام فقرئت عليه، وهي:

### تألق برق عندنا وتقابلت أثاف لقدر الحرب أحشى اقتبالها

فدونك قدر الحرب وهي مقرة لكفيك واجعل دون قدر جعالها

ولن تنتهي أو يبلغ الأمر حده فنلها برسل قبل ألا تنالها

فتجشم منها ما جشمت من التي بسوراء هرت نحو حالك حالها

تلاف أمور الناس قبل تفاقم بعقدة حزم لا تخاف انحلالها

فما أبرم الأقوام يوماً لحيلة من الأمر إلا قلدوك احتيالها

وقد تخبر الحرب العوان بسرها من لا يريد سؤلها وإن لم تبج

فأمر هشام أن يجمع له من بحضرتة من الرواة، فجمعوا. فأمر بالأبيات فقرئت عليهم، فقال: شعر من تشبه هذه الأبيات؟ فأجمعوا جميعاً من ساعتهم أنه كلام الكميت بن زيد الأسدي، فقال هشام: نعم، هذا الكميت ينذري بخالد بن عبد الله. ثم كتب إلى خالد يخبره، وكتب إليه بالأبيات، وخالد يومئذ بواسط.

### هاشميته اللامية

فكتب خالد إلى واليه بالكوفة يأمره بأخذ الكميت وحبسه، وقال لأصحابه: إنه بلغني أن هذا يمدح بني هاشم ويهجو بني أمية، فأتوني من شعره هذا بشيء. فأتي بقصيدته اللامية التي أولها:

### ألا هل عم في رأيه متأمل وهل مدبر بعد الإساءة مقبل!

فكتبها وأدرجها في كتاب إلى هشام، يقول: هذا شعر الكميت؛ فإن كان قد صدق في هذا فقد صدق في ذلك. فلما قرئت على هشام اغتاظ، فلما قال:

## فيا ساسة هاتوا لنا من جوابكم

## ففيكم لعمرى ذو الفانين مقول

اشتد غيظه. فكتب إلى خالد يأمره أن يقطع يدي الكميت ورجليه، ويضرب عنقه ويهدم داره، ويصلبه على تراهما.

ابن عنبسة ينذره ليتخلص من الحبس فلما قرأ خالد الكتاب كره أن يستفسد عشيرته، وأعلن الأمر رجاء أن يتخلص الكميت، فقال: لقد كتب إلي أمير المؤمنين، وإني لأكره أن أستفسد عشيرته، وسماه، فعرف عبد الرحمن بن عنبسة بن سعيد ما أراد، فأخرج غلاماً له مولداً ظريفاً، فأعطاه بغلة له شقراء فارهة من بغال الخليفة، وقال: إن أنت وردت الكوفة، فأندرت الكميت لعله أن يتخلص من الحبس، فأنت حر لوجه الله، والبغلة لك، ولك علي بعد ذلك إكرامك والإحسان إليك.

فركب البغلة وسار بقية يومه وليلته من واسط إلى الكوفة فصبحها، فدخل الحبس متنكراً، فخبّر الكميت بالقصة، فأرسل إلى امرأته وهي ابنة عمه يأمرها أن تجيئه ومعها ثياب من لباسها وخفان، ففعلت، فقال: ألبسني لبسة النساء، ففعلت، ثم قالت له: أقبل، فأقبل، وأدبر، فأدبر. فقالت: ما أرى إلا ييساً في منكبيك، اذهب في حفظ الله.

فخرج فمر بالسجان، فظن أنه المرأة، فلم يعرض له فنجا، وأنشأ يقول:

خرجت خروج القدح ابن مقبل على الرغم من تلك النوايح والمشلي

علي ثياب الغانيات وتحتها عزيمة أمر أشبهت سلة النصل

وورد كتاب خالد على والي الكوفة يأمره فيه بما كتب به إليه هشام، فأرسل إلى الكميت ليؤتى به من الحبس فينفذ فيه أمر خالد، فدنا من باب البيت فكلمتهم المرأة، وخبّرهم أنها في البيت، وأن الكميت قد خرج؛ فكتب بذلك إلى خالد فأجابته: حرة كريمة آست ابن عمها بنفسها، وأمر بتخليتها، فبلغ الخبر الأعور الكلبي بالشام، فقال قصيدته التي يرمي فيها امرأة الكميت بأهل الحبس، ويقول: أسودين وأحمرينا .

هجاؤه أحياء اليمن فهاج الكميت ذلك حتى قال:

ألا حبيبت عنا يا مدينا

وهي ثلاثمائة بيت لم يترك فيها حياً من أحياء اليمن إلا هجاهم. وتواری، وطلب، فمضى إلى الشام، فقال شعره الذي يقول فيه:

قف بالديار وقوف زائر

في مسلمة بن عبد الملك، ويقول:

د لميت إن شئت ناشر

يا مسلم ابن أبي الولي

ة والأمور إلى المصاير

اليوم صرت إلى أمي

قال أبو الحسن: قال أبي: إنما أراد اليوم صرت إلى أمية والأمور إلى مصايرها؛ أي بني هاشم. وبذلك احتج ابنه المستهل على أبي العباس حين غيره بقول أبيه هذا الشعر.

فأذن له ليلاً، فسأله أن يجيره على هشام، فقال: إني قد أجزت على أمير المؤمنين فأخفر جواري، وقبيح برجل مثلي أن يخفر في كل يوم، ولكني أدلك فاستجر بمسلمة بن هشام وبأمه أم الحكم بنت يحيى بن الحكم؛ فإن أمير المؤمنين قد رشحه لولاية العهد.

فقال الكميت: بئس الرأي! أضيع دمي بين صبي وامرأة! فهل غير هذا؟ قال: نعم، مات معاوية ابن أمير المؤمنين وكان يحبه، وقد جعل أمير المؤمنين على نفسه أن يزور قبره في كل أسبوع يوماً - وسمى يوماً بعينه - وهو يزوره في ذلك اليوم، فامض فاضرب بناءك عند قبره، واستجر به، فإني سأحضر معه وأكلمه بأكثر من الحوار. استجارته بقبر معاوية بن هشام

ففعل ذلك الكميت في اليوم الذي يأتيه فيه أبوه، فجاء هشام ومعه مسلمة، فنظر إلى البناء، فقال لبعض أعوانه: انظر ما هذا، فرجع فقال: الكميت بن زيد مستحجر بقبر معاوية ابن أمير المؤمنين. فأمر بقتله، فكلمه مسلمة وقال: يا أمير المؤمنين، إن إخفار الأموات عار على الأحياء، فلم يزل يعظم عليه الأمر حتى أجاره.

خروج الجعفرية على خالد وهو يخطب وتحريفهم فحدثنا محمد بن العباس اليزيدي، قال: حدثنا سليمان بن أبي شيخ، قال: حدثنا حجر بن عبد الجبار، قال: خرجت الجعفرية على خالد بن عبد الله القسري وهو يخطب على المنبر وهو لا يعلم بهم، فخرجوا في التباين، ينادون: لبيك جعفر، لبيك جعفر! وعرف خالد خبرهم، وهو يخطب على المنبر، فدهش فلم يعلم ما يقول فزعاً، فقال: أطعموني ماء، ثم خرج الناس إليهم فأخذوا، فجعل يحييهم إلى المسجد ويؤخذ طن قصب فيطلى بالنفط، ويقال للرجل احتضنه، ويضرب حتى يفعل، ثم يحرق، فحرقهم جميعاً.

تعريضه بخالد فلما قدم يوسف بن عمر دخل عليه الكميت وقد مدحه بعد قتله زيد بن علي، فأنشده قوله فيه:

**خرجت لهم تمشي البراح ولم تكن**

**وما خالد يستطعم الماء فاغراً**

**كمن حصنه فيه الرتاج المضبب**

**بعدلك والداعي إلى الموت ينعب**

الجند يقتلونه تعصباً لخالد قال: والجند قيام على رأس يوسف بن عمر، وهم بمانية، فتعصبوا لخالد، فوضعوا ذباب سيوفهم في بطن الكميت، فوجئوه بها، وقالوا: أتشد الأمير ولم تستأمره! فلم يزل يتزفه الدم حتى مات. اعتذاره لهشام من ذنبه وأخبرني عمي، قال: حدثنا يعقوب بن إسرائيل، قال: حدثنا إبراهيم بن عبد الله الطلحي عن محمد بن سلمة بن أرتبيل، قال: لما دخل الكميت بن زيد على هشام، سلم ثم قال: يا أمير المؤمنين، غائب أب، ومذنب تاب، محا بالإنابة ذنبه، وبالصدق كذبه، والتوبة تذهب الحوبة، ومثلك حلم عن ذي الجريمة، وصفح عن ذي الريبة.

فقال له هشام: ما الذي نجاك من القسري؟ قال: صدق النية في التوبة. قال: ومن سن لك الغي وأورطك فيه؟

قال: الذي أغوى آدم فنسي ولم يجد له عزماً، فإن رأيت يا أمير المؤمنين - فدتك نفسي - أن تأذن لي بمحو الباطل بالحق، بالاستماع لما قلته! فأنشده:

### ذكر القلب إلفه المذكوراً وتلافي من الشباب أخيراً

حدثني أحمد بن عبيد الله بن عمار، قال: حدثنا الحسن بن عليل العتري، قال: حدثني أحمد بن بكر الأسدي، قال: حدثني محمد بن أنس، قال: حدثني محمد بن سهل الأسدي، قال: ابنه المستهل وعبد الصمد بن علي دخل المستهل بن الكميت على عبد الصمد بن علي، فقال له: من أنت؟ فأخبره؛ فقال: لا حياك الله ولا حيا أبك، هو الذي يقول:

### فالأمر صرت إلى أمي ة والأمر إلى المصاير

قال: فأطرفت استحياء مما قال، وعرفت البيت. قال: ثم قال لي: ارفع رأسك يا بني، فلئن كان قال هذا، فلقد قال:

### بخاتمكم كرهاً تجوز أمورهم فلم أر غصبا مثله حين يغضب

قال: فسلى بعض ما كان بي، وحدثني ساعة، ثم قال: ما يعجبك من النساء يا مستهل؟ قلت:

### غراء تسحب من قيام فرعها جثلاً يزينه سواد أسحم

### فكانها فيه نهار مشرق وكأنه ليل عليها مظلم

قال: يا بني؛ هذه لا تصاب إلا في الفردوس، وأمر له بجائزة.

شعره يصلح بين هشام وجارته صدوف أخبرني عمي قال: حدثنا يعقوب بن إسرائيل، قال: حدثني إبراهيم بن عبد الله الخصاف الطلحي، عن محمد بن أنس السلامي قال: كان هشام بن عبد الملك مشغولاً بجارية له يقال لها صدوف مدنية اشترت له بمال جزيل، فعتب عليها ذات يوم في شيء وهجرها، وحلف ألا يبدأها بكلام، فدخل عليه الكميت وهو مغموم بذلك، فقال: ما لي أراك مغموماً يا أمير المؤمنين، لا غمك الله! فأخبره هشام بالقصة، فأطرق الكميت ساعة ثم أنشأ يقول:

### أعتبت أم عتبت عليك صدوف وعتاب مثلك مثلها تشريف

### لا تقعدن تلوم نفسك دائماً فيها وأنت بحبها مشغوف

### إن الصريمة لا يقوم بتقلها إلا القوي بها، وأنت ضعيف

فقال هشام: صدقت والله، ونهض من مجلسه، فدخل إليها، ونهضت إليه فاعتنقته. وانصرف الكميت، فبعث إليه هشام بألف دينار، وبعثت إليه بمثلها.

وفوده على يزيد بن عبد الملك قال الطلحي: أخبرني حبيش بن الكميت أخو المستهل بن الكميت بن زيد، قال:

وفد الكميت بن زيد على يزيد بن عبد الملك، فدخل عليه يوماً وقد اشترت له سلامة القس، فأدخلها إليه والكميت حاضر فقال له: يا أبا المستهل؛ هذه جارية تباع، أفترى أن نبتاعها؟ قال: إي والله يا أمير المؤمنين؛ وما أرى أن لها مثلاً في الدنيا فلا تفوتك، قال: فصفها لي في شعر حتى أقبل رأيك؛ فقال الكميت: شعره في سلامة القس

هي شمس النهار في الحسن إلا  
أنها فضلت بقتل الظراف  
غضة بضة رقيم لعوب  
وعثة المتن شخته الأطراف  
زانها دلها وثغر نقي  
وحديث مرتل غير جافي  
خلقت فوق منية المتمني  
فاقبل النصح يا بن عبد مناف

فضحك يزيد، وقال: قد قبلنا نصحك يا أبا المستهل، وأمر له بجائزة سنوية.

### لقاؤه بالفرزدق وهو صبي

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي، قال: أخبرني إبراهيم بن أيوب، عن ابن قتيبة، قال: مر الفرزدق بالكميت وهو ينشد - والكميت يومئذ صبي - فقال له الفرزدق: يا غلام، أيسرك أني أبوك؟ فقال: لا، ولكن يسرنى أن تكون أمي! فحصر الفرزدق، فأقبل على جلسائه وقال: ما مر بي مثل هذا قط.  
إنشاده أبا عبد الله جعفر بن محمد أخبرني أحمد بن محمد بن سعيد الهمداني بن عقدة، قال: أخبرنا علي بن محمد الحسيني، قال: حدثنا جعفر بن محمد بن عيسى الجمال، قال: حدثنا مصبح بن الهلقام، قال: حدثنا محمد بن سهل صاحب الكميت.  
دخلت مع الكميت على أبي عبد الله جعفر بن محمد، فقال له: جعلت فداك! ألا أنشدك؟ قال: إنما أيام عظام، قال: إنما فيكم، قال: هات - وبعث أبو عبد الله إلى بعض أهله فقرب - فأنشده، فكثرت البكاء حتى أتى على هذا البيت:

يصيب به الرامون عن قوس غيرهم  
فيا آخراً سدى له الغي أول

فرجع أبو عبد الله يديه فقال: اللهم اغفر للكميت ما قدم وما أخر، وما أسر وما أعلن، وأعطه حتى يرضى.  
إنشاده أبا جعفر محمد بن علي أخبرني حبيب بن نصر المهلب، قال: حدثنا عمر بن شبة قال: قال محمد بن كناسة: حدثني صاعد مولى الكميت، قال: دخلنا على أبي جعفر محمد بن علي فأنشده الكميت قصيدته التي أولها:

من لقلب متيم مستهام؟

فقال: اللهم اغفر للكميت، اللهم اغفر للكميت.

قبوله كسوة أبي جعفر ورده المال قال: ودخلنا يوماً على أبي جعفر محمد بن علي، فأعطانا ألف دينار وكسوة، فقال له الكميت: والله ما أحببتكم للدنيا، ولو أردت الدنيا لأتيت من هي في يديه، ولكني أحببتكم للآخرة؛ فأما الثياب التي أصابت أجسامكم فأنا أقبلها لبركاتها، وأما المال فلا أقبله، فرده وقبل الثياب. فاطمة بنت الحسين تحتفي به قال: ودخلنا على فاطمة بنت الحسين فقالت: هذا شاعرنا أهل البيت، وجاءت بقدر فيه سويق، فحركته بيدها وسقت الكميت، فشربه، ثم أمرت له بثلاثين ديناراً ومركب، فهملت عيناه، وقال: لا والله لا أقبلها؛ إني لم أحبكم للدنيا.

احتجاج بني أسد على المستهل بن الكميت بيت لأبيه أخبرني محمد بن العباس اليزيدي، قال: أخبرني عمي، عن عبيد الله بن محمد بن حبيب، عن ابن كناسة، قال: لما جاءت المسودة سخرروا بالمستهل بن الكميت، وحملوا عليه حملاً ثقيلاً، وضربوه، فمر ببني أسد، فقال: أترضون أن يفعل بي هذا الفعل؟ قالوا له: هؤلاء الذين يقول أبوك فيهم :

### س ومرسو قواعد الإسلام

### والمصيبون باب ما أخطأ النا

قد أصابوا فيك، فلا تكذب أباك.

المستهل وأبو مسلم قال: ودخل المستهل على أبي مسلم، فقال له: أبوك الذي كفر بعد إسلامه، فقال: كيف وهو الذي يقول:

### فلم أر غضباً مثله حين يغضب

### بخاتمكم كرهاً تجوز أمورهم

فأطرق أبو مسلم مستحيماً منه.

المستهل يشكو إلى أبي جعفر أخبرني عمي، قال: حدثنا محمد بن سعد الكرائي، قال: حدثنا الحسن بن بشر السعدي، قال: أخذ العسس المستهل بن الكميت في أيام جعفر، وكان الأمر صعباً، فحبس، فكتب إلى أبي جعفر يشكو حاله، وكتب في آخر الرقعة:

### وخنفاكم إن البلاء لراكد

### لئن نحن خفنا في زمان عدوكم

فلما قرأها أبو جعفر قال: صدق المستهل، وأمر بتخليته.

خبر لدعبل في رؤياه النسبي حدثني علي بن محمد بن علي إمام مسجد الكوفة، قال: أخبرنا إسماعيل بن علي الخزاعي - ابن أخي دعبل - قال: حدثني عمي دعبل بن علي قال: رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في النوم، فقال لي: ما لك وللكميت بن زيد؟ فقلت: يا رسول الله، ما بيني وبينه إلا كما بين الشعراء، فقال: لا تفعل، أليس هو القائل:

## فلا زلت فيهم حيث يتهمونني ولا زلت في أشياعهم أتقلب

فإن الله قد غفر له بهذا البيت. قال: فانتهيت عن الكميت بعدها.

خبر لسعد الأسدي في رؤياه النبي حدثني علي بن محمد، قال: حدثني إسماعيل بن علي، قال: حدثني إبراهيم بن سعد الأسدي، قال: سمعت أبي يقول: رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام، فقال: من أي الناس أنت؟ قلت: من العرب، قال: أعلم، فمن أي العرب؟ قلت: من بني أسد، قال: من أسد بن خزيمه؟ قلت: نعم، قال لي: أهلا لي أنت؟ قلت: نعم، قال: أتعرف الكميت بن زيد؟ قلت: يا رسول الله، عمي ومن قبيلتي، قال: أتخفظ من شعره شيئاً؟ قلت: نعم، قال: أنشدني :

## طربت وما شوقاً إلى البيض أطرب

قال: فأنشدته حتى بلغت إلى قوله :

## فما لي إلا آل أحمد شيعة وما لي إلا مشعب الحق مشعب

فقال لي: إذا أصبحت فاقراً عليه السلام، وقل له: قد غفر الله لك بهذه القصيدة.

نصر بن مزاحم يراه في نومه ينشد بين يدي النبي وحدث في كتاب بخط المرهبي الكوفي: حدثني سليمان بن الربيع بن هشام النهدي الخراز، قال: حدثني نصر بن مزاحم المنقري، أنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم في النوم وبين يديه رجل ينشده:

## من أقلب متيم مستهام؟

قال: فسألت عنه، فقيل لي: هذا الكميت بن زيد الأسدي، قال: فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يقول له: جزاك الله خيراً! وأثنى عليه.

## نقد الفرزدق شعره

أخبرني الحسن بن علي الخفاف، قال: حدثنا الحسن بن عليل العتري، قال: حدثني أحمد بن بكر الأسدي، قال: حدثني محمد بن أنس السلامي، قال: حدثني محمد بن سهل راوية الكميت، قال: جاء الكميت إلى الفرزدق لما قدم الكوفة، فقال له: إني قد قلت شيئاً فأسمعه مني يا أبا فراس. قال: هاته، فأنشده قوله :

## طربت وما شوقاً إلى البيض أطرب ولا لعباً مني وذو الشيب يلعب

## ولكن إلى أهل الفضائل والنهي وخير بني حواء والخير يطلب

فقال له: قد طربت إلى شيء ما طرب إليه أحد قبلك، فأما نحن فما نظرب، ولا طرب من كان قبلنا إلا إلى ما تركت أنت الطرب إليه.

يعرض شعره على الفرزدق قبل إذاعته أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري، قال: حدثنا محمد بن علي النوفلي،

قال: سمعت أبي يقول: لما قال الكميت بن زيد الشعر كان أول ما قال الهاشميات، فسترها، ثم أتى الفرزدق بن غالب، فقال له: يا أبا فراس، إنك شيخ مضر وشاعرها، وأنا ابن أخيك الكميت بن زيد الأسدي. قال له: صدقت، أنت ابن أخي، فما حاجتك؟ قال: نفت على لساني فقلت شعراً، فأحببت أن أعرضه عليك؛ فإن كان حسناً أمرتني بإذاعته، وإن كان قبيحاً أمرتني بستره، وكنت أولى من ستره علي. فقال له الفرزدق: أما عقلك فحسن، وإني لأرجو أن يكون شعرك على قدر عقلك، فأنشدني ما قلت، فأنشده:

### طربت وما شوقاً إلى البيض أطرب

قال: فقال لي: فيم تطرب يا ابن أخي؟ فقال:

### ولا لعباً مني وذو الشيب يلعب

فقال: بلى يا ابن أخي، فالعب، فإنك في أوان اللعب، فقال:

### ولم يتطربني بنان مخضب

### ولم يلهنني دار ولا رسم منزل

فقال: ما يطربك يا ابن أخي؟ فقال:

### أمر سليم القرن أم مر أعضب؟

### ولا السانحات البارحات عشية

فقال: أجل، لا تتطير، فقال:

### وخير بني حواء والخير يطلب

### ولكن إلى أهل الفضائل والنهي

فقال: ومن هؤلاء؟ ويحك! فقال:

### إلى الله فيما نابني أتقرب

### إلى النفر البيض الذين بحبهم

قال: أرحني ويحك! من هؤلاء؟ قال:

### بهم ولهم أرضى مراراً وأغضب

### بني هاشم رهط النبي فإنني

### إلى كنف عطفاه؛ أهل ومرحب

### خففت لهم مني جناحي مودة

### محباً، على أنني أذم وأقصب

### وكننت لهم من هؤلاء وهؤلاء

### وإني لأوذى فيهم وأؤنب

### وأرمي وأرمي بالعداوة أهلها

فقال له الفرزدق: يا ابن أخي، أذع ثم أذع، فأنت والله أشعر من مضى، وأشعر من بقى.

### معارضته قصيدة لذي الرمة

أخبرني الحسن، قال: حدثنا الحسن بن عليل العتري، قال: حدثني أحمد بن بكير، قال: حدثني محمد بن أنس، قال: حدثني محمد بن سهل راوية الكميت عن الكميت، قال: لما قدم ذو الرمة أتيته فقلت له: إني قد قلت قصيدة عارضت بها قصيدتك:

### ما بال عينك منها الماء ينسكب

فقال لي: وأي شيء قلت؟ قال: قلت:

### هل أنت على طلب الأيفاع منقلب أم كيف يحسن من ذي الشبية للعب؟!

حتى أنشدته إياها، فقال لي: ويحك! إنك لتقول قولاً ما يقدر إنسان أن يقول لك أصبت ولا أخطأت، وذلك أنك تصف الشيء فلا تجيء به، ولا تقع بعيداً منه، بل تقع قريباً. قلت له: أوتدري لم ذلك؟ قال: لا، قلت: لأنك تصف شيئاً رأيته بعينك، وأنا أصف شيئاً وصف لي، وليست المعاينة كالوصف. قال: فسكت. علمه بالبادية عن وصف جدتيه أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار، قال: حدثنا يعقوب بن إسرائيل، قال: حدثني إسماعيل بن عبد الله الطلحي، عن محمد بن سلمة بن أرتبيل، عن حماد الراوية، قال: كانت للكميت جدتان أدركتا الجاهلية، فكانتا تصفان له البادية وأمورها وتخبرانه بأخبار الناس في الجاهلية، فإذا شك في شعر أو خبر عرضه عليهما فيخبرانه عنه، فمن هناك كان علمه.

أخبرني الحسن بن القاسم البجلي الكوفي، قال: حدثنا علي بن إبراهيم بن المولى، قال: حدثنا محمد بن فضيل - يعني الصيرفي - عن أبي بكر الحضرمي، قال: استأذنت للكميت على أبي جعفر محمد بن علي في أيام التشريق بمنى، فأذن له، فقال له الكميت: جعلت فداك! إني قلت فيكم شعراً أحب أن أنشدك. فقال: يا كميت، اذكر الله في هذه الأيام المعلومات، وفي هذه الأيام المعدودات، فأعاد عليه الكميت القول، فرق له أبو جعفر فقال: هات، فأنشده قصيدته حتى بلغ:

### يصيب به الرامون عن قوس غيرهم فيا آخراً سدى له الغي أول

فرجع أبو جعفر يديه إلى السماء وقال: اللهم اغفر للكميت.

استأذنه أبا جعفر في مدح بني أمية أخبرني جعفر بن محمد بن مروان الغزال الكوفي، قال: حدثني أبي، قال: حدثنا أرطاة بن حبيب، عن فضيل الرسان، عن ورد بن زيد أخي الكميت، قال: أرسلني الكميت إلى أبي جعفر، فقلت له: إن الكميت أرسلني إليك، وقد صنع بنفسه ما صنع، فتأذن له أن يمدح بني أمية؟ قال: نعم، هو في حل فليقل ما شاء.

أخبرني محمد بن العباس، قال: أخبرني عمي عن عبيد الله بن محمد بن حبيب، عن ابن كناسة، قال: مات ورد أخو الكميت، فقبل للكميت: ألا ترثي أخاك؟ فقال: مرثيته ومرزيتته عندي سواء، وإني لا أطيق أن أرثيه جزعاً عليه.

### روايته للحديث

وقد روى الكميت بن زيد الحديث، وروي عنه.

أخبرني جعفر بن محمد بن عبيد بن عتبة في كتابه إلي، قال: حدثني الحسين بن محمد بن علي الأزدي، قال: حدثني الوليد بن صالح، قال: حدثني محمد بن سعيد بن عمير الصيداوي، عن أبيه، عن الكميت بن زيد، قال: حدثني عكرمة أن عبد الله بن عباس بعثه مع الحسين بن علي فجعل يهل حتى رمى جمره العقبة، أو حين رمى جمره العقبة، فسألته عن ذلك، فأخبرني أن أباه فعله، فحدثت به ابن عباس، فقال لي: لا أم لك! أتسألني عن شيء أخبرك به الحسين بن علي عن أبيه! والله إنها لسنة.

أخبرنا أبو الحسن بن سراج الجاحظ، قال: حدثنا مسروق بن عبد الرحمن أبو صالح، عن الحسن بن محمد بن أعين، عن حفص بن محمد الأسدي، قال: حدثنا الكميت بن زيد عن مذكور مولى زينب، عن زينب، قالت: دخل علي النبي صلى الله عليه وسلم وأنا فضل، قالت: فقلت بيدي هكذا - واستترت - قالت: فقال لي: إن الله عز وجل زوجنيك.

### روايته للتفسير

حدثني أبو العباس أحمد بن محمد بن سعيد بن عقدة، قال: حدثني أحمد بن سراج، قال: حدثني الحسن بن أيوب الخثعمي، قال: حدثنا فرات بن حبيب الأسدي قال: حدثني أبي حبيب بن أبي سليمان، قال: حدثني الكميت بن زيد، قال: سألت أبا جعفر عن قول الله عز وجل: "إن الذي فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد". قال: دخلت أنا وأبي إلى أبي سعيد الخدري، فسأله أبي عنها، فقال: معاد آخرته: الموت.

يعتذر إلى أبي جعفر محمد بن علي أخبرني محمد بن خلف وكيع، قال: حدثني إسحاق بن محمد بن أبان، قال: حدثني محمد بن عبد الله بن مهران، قال: حدثني ربعي بن عبد الله بن الجارود بن أبي سبرة، عن أبيه، قال: دخل الكميت بن زيد الأسدي على أبي جعفر محمد بن علي، فقال له: يا كميت! أنت القائل:

### فالأمر صرت إلى أمي ة والأمر إلى المصاير

قال: نعم، قد قلت، ولا والله ما أردت به إلا الدنيا، ولقد عرفت فضلكم، قال: أما أن قلت ذلك فإن التقيّة لتحل.

رأي معاذ الهراء في شعره أخبرني محمد بن القاسم الأنباري، قال: حدثني أبي، قال: حدثنا الحسن بن عبد الرحمن الربيعي، قال: حدثنا أحمد بن بكير الأسدي قال: حدثنا محمد بن أنس السلامي الأسدي قال: سئل معاذ الهراء: من أشعر الناس؟ قال: أمن الجاهليين أم من الإسلاميين؟ قالوا: بل من الجاهليين. قال: امرؤ القيس، وزهير، وعبيد بن الأبرص. قالوا: فمن الإسلاميين؟ قال: الفرزدق، وجريز، والأخطل، والراعي. قال: فقيل له: يا أبا

محمد، ما رأيك ذكرت الكميت فيمن ذكرت. قال: ذاك أشعر الأولين والآخرين.  
لم يخرج مع زيد بن علي أخبرني الحسن بن علي قال: حدثنا محمد بن زكريا الغلابي، قال: حدثنا العباس بن  
بكار، قال: حدثنا أبو بكر الهذلي، قال: لما خرج زيد بن علي كتب إلى الكميت: اخرج معنا يا أعيمش، ألسنت  
القائل :

فيكم ملامة اللوام

ما أبالي إذا حفظت أبا القاسم

فكتب إليه الكميت:

تظل لها الغربان حولي تحجل

تجود لكم نفسي بما دون وثبة

أخبرني محمد بن العباس اليزيدي، قال: حدثني عمي عن عبيد الله بن محمد بن حبيب، عن محمد بن كناسه، قال:  
لما أنشد هشام بن عبد الملك قول الكميت :

واتهمت القريب أي اتهام

فبهم صرت للبعيد ابن عم

لم، بالله قوتي واعتصامي

مبدياً صفحتي على الموقف المع

قال: استقتل المرائي.

مدحه خالد القسري قال: ودخل الكميت على خالد القسري، فأنشده قوله فيه :

إن كان إلا إليك ينتسب

لو قيل للجود: من حليفك؟ ما

والرأس منه، وغيرك الذنب

أنت أخوه وأنت صورته

فكل يوم بكفك القصب

أحرزت فضل النضال في مهل

كانا جميعاً من بعض ما تهب

لو أن كعباً وحاتماً نشرا

أنت عن المعتفين تحتجب

لا تخلف الوعد إن وعدت ولا

خلفك للراغبين منقلب

ما دونك اليوم من نوال، ولا

فأمر له بمائة ألف درهم.

المستهل وعيسى بن موسى قال: وحضر المستهل بن الكميت باب عيسى بن موسى - وكان يكرمه - فبلغه أنه  
قد غاب عليه الشراب، فاستخف به، وكان آخر من يدخل إلى عيسى بن موسى قوم يقال لهم الراشدون يؤذن  
لهم في القعود، فأدخل المستهل معهم، فقال:

دعيت فكنت مع الراشدين

ألم تر أنني لما حضرت

وأقبح منزلة الداخلينا

ففزت بأحسن أسمائهم

إنشاده مخلد بن يزيد بن المهلب أخبرني حبيب بن نصر المهلي، قال: حدثنا عمر بن شبة، قال: دخل الكميت على مخلد بن يزيد بن المهلب، فأنشده :

**قاد الجيوش لخمس عشرة حجة**

**ولداته عن ذاك في أشغال**

**قعدت بهم همتهم وسمت به**

**هم الملوك وسورة الأبطال**

قال: وقدام مخلد دراهم يقال لها الرويجة، فقال: خذ وقرك منها. فقال له: البغلة بالباب، وهي أجدل مني، فقال: خذ وقرها، فأخذ أربعة وعشرين ألف درهم، فقبل لأبيه في ذلك، فقال: لا أرد مكرمة فعلها ابني. إذا قال أحب أن يحسن أخبرني محمد بن خلف وكيع، قال: حدثني أبو بكر الأموي، قال: حدثنا ابن فضيل، قال: سمعت ابن شبرمة، قال: قلت للكميت: إنك قلت في بني هاشم فأحسنت، وقلت في بني أمية أفضل، قال: إني إذا قلت أحببت أن أحسن.

طويل أصم لا يجيد الإنشاد أخبرني الحسن بن علي ومحمد بن عمران الصيرفي، قالوا: حدثنا الحسن بن عليل العتري، قال: حدثنا محمد بن معاوية، عن ابن كنانة، قال: كان الكميت بن زيد طويلاً أصم، ولم يكن حسن الصوت ولا جيد الإنشاد، فكان إذا استنشد أمر ابنه المستهل فأنشد، وكان فصيحاً حسن الإنشاد .

### **سبب هجانه أهل اليمن**

أخبرني عمي وابن عمار، قالوا: حدثنا يعقوب بن إسرائيل، قال: حدثنا إبراهيم بن عبد الله الطلحي، عن محمد بن سلمة بن أرتبيل: أن سبب هجاء الكميت أهل اليمن، أن شاعراً من أهل الشام يقال له حكيم بن عياش الكلبي كان يهجو علي بن أبي طالب وبني هاشم جميعاً، وكان منقطعاً إلى بني أمية، فانتدب له الكميت فهجاه وسبه، فأجابته ولج الهجاء بينهما، وكان الكميت يخاف أن يفتضح في شعره عن علي لما وقع بينه وبين هشام، وكان يظهر أن هجاءه إياه في العصبية التي بين عدنان وقحطان، فكان ولد إسماعيل بن الصباح بن الأشعث بن قيس وولد علقمة بن وائل الحضرمي يروون شعر الكلبي، فهجا أهل اليمن جميعاً إلا هذين، فإنه قال في آل علقمة:

**ولولا آل علقمة اجتدعنا**

**بقايا من أنوف مسلمينا**

وقال في إسماعيل:

**فإن لإسماعيل حقاً، وإننا**

**له شاعبو الصدع المقارب للشعب**

وكانت لآل علقمة عنده يد؛ لأن علقمة آواه ليلة خرج إلى الشام، وأم إسماعيل من بني أسد، فكف عنهما لذلك.

قال الطلحي: قال أبو سلمة: حدثني محمد بن سهل، قال: قال الكلبي:

وأن ربي نجاني من النار  
وأن لي كل يوم ألف دينار

ما سرني أن أمي من بني أسد  
وأنهم زوجوني من بناتهم

فأجابه الكميته:

معروفة فاحترق يا كلب بالنار  
قد قنعوك قناع الخزي والعار

يا كلب مالك أم من بني أسد  
لكن أمك من قوم شنئت بهم

قال: فقال له الكلبي:

حتى يفرق بين السبت والأحد

لن يبرح اللؤم هذا الحي من أسد

قال محمد بن أنس: حدثني المستهل بن الكميته، قال: قلت لأبي: يا أبت، إنك هجوت الكلبي، فقلت:

أفي أسماء من ترب؟

ألا يا سلم يا تربى

وغمرت عليه فيها، ففخرت ببني أمية، وأنت تشهد عليها بالكفر، فألا فخرت بعلي وبني هاشم الذين تتولاهاهم! فقال: يا بني، أنت تعلم انقطاع الكلبي إلى بني أمية، وهم أعداء علي، فلو ذكرت علياً لترك ذكري، وأقبل على هجائه، فأكون قد عرضت علياً له، ولا أحد له ناصرًا من بني أمية، ففخرت عليه ببني أمية، وقلت: إن نقضها علي قتلوه، وإن أمسك عن ذكرهم قتلته غماً وغلته؛ فكان كما قال، أمسك الكلبي عن جوابه، فغلب عليه، وأفحم الكلبي.

وفي أول هذه القصيدة غناء نسبه.

صوت

أفي أسماء من ترب؟

ألا يا سلم يا تربى

سلي عني وعن صحبي

ألا يا سلم حبيبت

وإن هيجتما حبي

ألا يا سلم غنينا

م لي نصباً من النصب

على حادثة الأيا

الغناء لابن سريج ثقيل أول بالبنصر عن عمرو.

### يحاول إطلاق سراح أبان بن الوليد البجلي

أخبرني علي بن سليمان الأخفش، قال: أخبرني أبو سعيد السكري، عن محمد بن حبيب، عن إبراهيم بن عبد الله الطلحي، قال: قال محمد بن سلمة: كان الكميته مداحاً لأبان بن الوليد البجلي، وكان أبان له محباً وإليه محسناً، فمدح الكميته الحكم بن الصلت، وهو يومئذ يخلف يوسف بن عمر، بقصيدته التي أولها:

## طربت وهاجك الشوق الحثيث

فلما أنشدته إياها وفرغ، دعا الحكم بخازنه ليعطيه الجائزة، ثم دعا بأبان بن الوليد، فأدخل إليه وهو مكبل بالحديد، فطالبه بالمال، فالتفت الكميته فرآه، فدمعت عيناه، وأقبل على الحكم، فقال: أصلح الله الأمير! اجعل جائزتي لأبان، واحتسب بها له من هذا النجم. فقال له الحكم: قد فعلت، ردوه إلى السجن. فقال له أبان: يا أبا المستهل، ما حل علي شيء بعد. فقال الكميته للحكم: أبي تسخر أصلح الله الأمير! فقال الحكم: كذب، قد حل عليه المال، ولو لم يحل لاحتسبنا له مما يحل.

## تعريضه بحوشب بن يزيد الشيباني

فقال له حوشب بن يزيد الشيباني - وكان خليفة الحكم - : أصلح الله الأمير، أتشفع حمار بني أسد في عبد بجيلة؟ فقال له الكميته: لئن قلت ذلك فوالله ما فررنا عن آبائنا حتى قتلوا، ولا نكحنا حلائل آبائنا بعد أن ماتوا - وكان يقال إن حوشباً فر عن أبيه في بعض الحروب، فقتل أبوه ونجا هو، ويقال: إنه وطىء جارية لأبيه بعد وفاته - فسكت حوشب مفحماً خجلاً، فقال له الحكم: ما كان تعرضك للسان الكميته!. قال: وفي حوشب يقو الشاعر:

لما رأى وقع الأسنة حوشب

نجى حشاشته وأسلم شيخه

## ابنته ريا وفاطمة بنت أبان بن الوليد

قال الطلحي في هذا الخبر: وحدثني إبراهيم بن علي الأسدي قال: التقت ريا بنت الكميته بن زيد، وفاطمة بنت أبان بن الوليد بمكة، وهما حاجتان، فتساءلتا حتى تعارفتا، فدفعت بنت أبان إلى بنت الكميته خلخالها ذهب كانا عليها، فقالت لها بنت الكميته: جزاكم الله خيراً يا آل أبان، فما تتركون بركم بنا قدماً ولا حديثاً! فقالت لها بنت أبان: بل أنتم، فجزاكم الله خيراً؛ فإننا أعطيناكم ما يبيد ويفنى، وأعطيتمونا من المجد والشرف ما يبقى أبداً ولا يبيد، يتناشده الناس في المحافل فيحیی ميت الذكر، ويرفع بقية العقب.

## مولده وموته ومبلغ شعره

أخبرني عمي وابن عمار، قالوا: حدثنا يعقوب بن نعيم، قال: حدثنا إبراهيم بن عبد الله بن زيد الخصاف الطليحي، قال: قال محمد بن سلمة بن أرتبيل: ولد الكميته أيام مقتل الحسين بن علي سنة ستين، ومات في سنة ست وعشرين ومائة، في خلافة مروان بن محمد، وكان مبلغ شعره حين مات خمسة آلاف ومائتين وتسعة وثمانين بيتاً.

وقال يعقوب بن إسرائيل في رواية عمي خاصة عنه: حدثت عن المستهل بن الكميته أنه قال: حضرت أبي عند

الموت وهو يوجد بنفسه، ثم أفاق ففتح عينيه، ثم قال: اللهم آل محمد، اللهم آل محمد، اللهم آل محمد - ثلاثاً - ثم قال لي: يا بني؛ وددت أني لم أكن هجوت نساء بني كلب بهذا البيت:

مع العسروط والعسفاء ألقوا  
برادعهن غير محصنينا

### وصيته لابنه في دفنه

فعممتهن قذفاً بالفجور، والله ما خرجت بلبل قط إلا خشيت أن أرمى بنجوم السماء لذلك. ثم قال: يا بني؛ إنه بلغني في الروايات أنه يحفر بظهر الكوفة خندق يخرج فيه الموتى من قبورهم وينشون منها، فيحولون إلى قبور غير قبورهم، فلا تدفني في الظهر، ولكن إذا مت فامض بي إلى موضع يقال له مكران، فادفني فيه. فدفن في ذلك الموضع وكان أول من دفن فيه، وهي مقبرة بني أسد إلى الساعة.

قال المستهل: ومات أبي في خلافة مروان بن محمد سنة ست وعشرين ومائة.

صوت

### شعر لعمر بن أبي ربيعة

أستعين الذي بكفيه نفعي  
ورجائي على التي قتلتني  
ولقد كنت قد عرفت وأبصر  
ت أموراً لو أنها نفعتني  
قلت: إني أهوى شفا ما ألقى  
من خطوب تتابعت فدحتني

عروضه من السريع، يقال: إن الشعر لعمر، والغناء لابن سريج ثقيل أول بالوسطى، عن حماد عن أبيه، وفيه لحن للهدلي. وقيل: بل لحن ابن سريج للهدلي، ذكر ذلك حبش. وقيل: بل هو مما نسب من غناء ابن سريج إلى الهدلي.

### خبر ابن سريج مع سكينه بنت الحسين

أخبرني الحسين بن يحيى، عن حماد، عن أبيه، عن مصعب الزبيري، قال: حدثني شيخ من المكيين، ووجدت هذا الخبر أيضاً في بعض الكتب مروياً عن محمد بن سعد كاتب الواقدي، عن مصعب، عن شيخ من المكيين، والرواية عنهما متفقة، قال:

### امتناعه من الغناء وقدمه المدينة للاستشفاء

كان ابن سريج قد أصابته الريح الخبيثة، وآلى يميناً ألا يغني، ونسك ولزم المسجد الحرام حتى عوفي. ثم خرج وفيه بقية من العلة، فأتى قبر النبي صلى الله عليه وسلم وموضع مصلاه.

فلما قدم المدينة نزل على بعض إخوانه من أهل النسك والقراءة، فكان أهل الغناء يأتونه مسلمين عليه، فلا يأذن لهم في الجلوس والمحادثة، فأقام بالمدينة حولاً حتى لم يحس من علته بشيء، وأراد الشخصوص إلى مكة.

### سكينة ترغب في الاستماع منه

وبلغ ذلك سكينة بنت الحسين، فاغتمت اغتماماً شديداً، وضاق به ذرعها، وكان أشعب يخدمها، وكانت تأنس بمضاحكته ونوادره، وقالت لأشعب: ويلك! إن ابن سريج شاخص، وقد دخل المدينة منذ حول، ولم أسمع من غنائه قليلاً ولا كثيراً، ويعز ذلك علي، فكيف الحيلة في الاستماع منه، ولو صوتاً واحداً؟ فقال لها أشعب: جعلت فداك! وأنى لك بذلك والرجل اليوم زاهد ولا حيلة فيه؟ فارفعي طمعك، والحسي تورك تنفعل حلاوة فمك.

فأمرت بعض جواربها فوطئن بطنه حتى كادت أن تخرج أمعاؤه، وخنقنه حتى كادت نفسه أن تتلف، ثم أمرت به فسحب على وجهه حتى أخرج من الدار إخراجاً عنيفاً. فخرج على أسوأ الحالات، واعتم أشعب غمماً شديداً، وندم على ممازحتها في وقت لم ينبغ له ذلك؛ فأتى منزل ابن سريج ليلاً فطرقه، فقيل: من هذا؟ فقال: أشعب، ففتحوا له، فرأى على وجهه ولحيته التراب، والدم سائلاً من أنفه وجبهته على لحيته، وثيابه ممزقة، وبطنه وصدوره وحلقه قد عصرها الدوس والخنق، ومات الدم فيها، فنظر ابن سريج إلى منظر فظيع هاله وراعه، فقال له: ما هذا ويحك؟ فقص عليه القصة.

### امتناعه من الذهاب إليها

فقال ابن سريج: إنا لله وإنا إليه راجعون! ماذا نزل بك؟ والحمد لله الذي سلم نفسك، لا تعودن إلى هذه أبداً. قال أشعب: فديتك هي مولاتي ولا بد لي منها، ولكن هل لك حيلة في أن تصير إليها وتغنيها؛ فيكون ذلك سبباً لرضاها عني؟ قال ابن سريج: كلا والله لا يكون ذلك أبداً بعد أن تركته. قال أشعب: قد قطعت أمني ورفعت رزقي، وتركتني حيران بالمدينة، لا يقبلني أحد وهي ساخطة علي، فالله الله في، وأنا أنشدك الله إلا تحملت هذا الإثم في، فأبى عليه.

### حيلة أشعب لإرغامه

فلما رأى أشعب أن عزم ابن سريج قد تم على الامتناع قال في نفسه: لا حيلة لي، وهذا خارج، وإن خرج هلكت، فصرخ صرخة آذن أهل المدينة لها، ونبه الجيران من رقادهم، وأقام الناس من فرشهم، ثم سكت، فلم يدر الناس ما القصة عند خفوت الصوت بعد أن قد راعهم. فقال له ابن سريج: ويلك! ما هذا؟ قال: لئن لم تصر معي إليها لأصرخن صرخة أخرى لا يبقى بالمدينة أحد إلا

صار بالباب، ثم لأفتحنه ولأرينهم ما بي، ولأعلمنهم أنك أردت تفعل كذا وكذا بفلان - يعني غلاماً كان ابن سريج مشهوراً به - فممنعتك، وخلصت الغلام من يدك حتى فتح الباب ومضى؛ ففعلت بي هذا غيظاً وتأسفاً، وأنتك إنما أظهرت النسك والقراءة لتظفر بجاحتك منه، وكان أهل مكة والمدينة يعلمون حاله معه. فقال ابن سريج: اغرب، أخزك الله. قال أشعب: والله الذي لا إله إلا هو، وإلا فما أملك صدقة، وامرأته طالق ثلاثاً، وهو نحير في مقام إبراهيم، والكعبة، وبيت النار، والقبر قبر أبي رغال إن أنت لم تنهض معي في ليلتي هذه لأفعلن.

قبوله الذهاب إلى منزل سكيينة فلما رأى ابن سريج الجد منه قال لصاحبه: ويحك! أما ترى ما وقعن فيه؟! وكان صاحبه الذي نزل عنده ناسكاً؛ فقال: لا أدري ما أقول فيما نزل بنا من هذا الخبيث. وتدمم ابن سريج من الرجل صاحب المنزل فقال لأشعب: اخرج من منزل الرجل. فقال: رجلي مع رجلك، فخرجا. فلما صارا في بعض الطريق قال ابن سريج لأشعب: امض عني. قال: والله لئن لم تفعل ما قلت لأصيحن الساعة حتى يجتمع الناس، ولأقولن: إنك أخذت مني سواراً من ذهب لسكيينة على أن تجيئها فتغيئها سرّاً، وإنك كابرتني عليه وجحدتني، وفعلت بي هذا الفعل.

فوقع ابن سريج فيما لا حيلة له فيه. فقال: أمضي، لا بارك الله فيك. فمضى معه. استعفاؤه وإباء سكيينة فلما صار إلى باب سكيينة قرع الباب، فقيل: من هذا؟ فقال: أشعب قد جاء بابن سريج، ففتح الباب لهما، ودخلا إلى حجرة خارجة عن دار سكيينة، فجلسا ساعة، ثم أذن لهما فدخلا إلى سكيينة، فقالت: يا عبيد، ما هذا الجفاء؟ قال: قد علمت بأبي أنت ما كان مني. قالت: أجل، فتحدثنا ساعة، وقص عليها ما صنع به أشعب، فضحكت، وقالت: لقد أذهب ما كان في قلبي عليه، وأمرت لأشعب بعشرين ديناراً وكسوة. ثم قال لها ابن سريج: أتأذنين بأبي أنت؟ قالت: وأين؟ قال: المنزل، قالت: برئت من جدي إن برحت داري ثلاثاً، وبرئت من جدي إن أنت لم تغن إن خرجت من داري شهراً، وبرئت من جدي إن أقمت في داري شهراً إن لم أضربك لكل يوم تقيم فيه عشرّاً، وبرئت من جدي إن حنثت في يميني أو شفعت فيك أحداً. فقال عبيد: واسخنة عيناه! واذهاب دنياه! ثم اندفع يغني:

### أستعين الذي بكفيه نفعي ورجائي على التي قتلنتي

دملج سكيينة في يده الصوت المذكور آنفاً. فقالت له سكيينة: فهل عندك يا عبيد من صبر؟ ثم أخرجت دملجاً من ذهب كان في عضدها وزنه أربعون مثقالاً، فرمت به إليه، ثم قالت: أقسمت عليك لما أدخلته في يدك، ففعل ذلك.

استدعاء عزة الميلاء

ثم قالت لأشعب: اذهب إلى عزة فاقرئها مني السلام، وأعلمها أن عبيداً عندنا، فلتأتنا متفضلة بالزيارة. فأتاها أشعب فأعلمها، فأسرعت المحيء، فتحدثوا باقي ليلتهم. ثم أمرت عبيداً وأشعب فخرجا فانما في حجرة مواليتها.

## مجلس غناء

فلما أصبحت هبيء لهم غداؤهم، وأذنت لابن سريج فدخل فتغذى قريباً منها مع أشعب ومواليها، وقعدت هي مع عزة وخاصة جواريتها، فلما فرغوا من الغداء قالت: يا عز، إن رأيت أن تغنينا فافعلي. قالت: إي وعيشك. فتغنت لحنها في شعر عنترة العبسي:

حييت من طلل تقادم عهده  
أقوى وأقفر بعد أم الهيثم  
إن كنت أزمعت الفراق فإنما  
زمت ركابكم بليل مظلم

فقال ابن سريج: أحسنت والله يا عزة! وأخرجت سكينه الدمليج الآخر من يدها فرمته إلى عزة، وقالت: صيري هذا في يدك، ففعلت. ثم قالت لعبيد: هات غننا. فقال: حسبك ما سمعت البارحة. فقالت: لا بد أن تغنينا في كل يوم لحناً. فلما رأى ابن سريج أنه لا يقدر على الامتناع مما تسأله غني:

قالت: من أنت؟ على ذكر فقلت لها:  
أنا الذي ساقه للحين مقدار  
قد حان منك فلا تبعد بك الداربين  
وفي البين للمتبول إضرار

ثم قالت لعزة في اليوم الثاني: غني، فغنت لحنها في شعر الحارث بن خالد - ولابن محرز فيه لحن -، ولحن عزة أحسنهما:

وقرت بها عيني، وقد كنت قبلها  
كثير البكاء مشفقاً من صدودها  
وبشرة خود مثل تمثال بيعة  
تظل النصارى حوله يوم عيدها

قال ابن سريج: والله ما سمعت مثل هذا قط حسناً ولا طيباً.  
ثم قالت لابن سريج: هات، فاندفع يغني:

أرقت فلم أنم طرباً  
وبت مسهداً نصبا  
لطيف أحب خلق الل  
ه إنساناً وإن غضبا  
فلم أردد مقالتها  
ولم أك عاتباً عتبا  
ولكن صرمت حبلي  
فأمسى الحبل منقضبا

فقالت سكينه: قد علمت ما أردت بهذا، وقد شفعنك، ولم نردك. وإنما كانت يميني على ثلاثة أيام، فاذهب في حفظ الله وكلاءته.

ثم قالت لعزة: إذا شئت. ودعت لها بحلة، ولابن سريج بمثلها. فانصرفت عزة، وأقام ابن سريج حتى انقضت ليلته، وانصرف، فمضى من وجهه إلى مكة راجعاً.

## أشعار وأصواتها

## نسبة الأصوات التي في هذا الخبر

منها: صوت

حبيت من طلل تقادم عهده      أقوى وأقفر بعد أم الهيثم

الشعر لعنترة بن شداد العبسي، والغناء لعزة الميلاء، وقد كتب ذلك في أول هذه القصيدة وسائر ما يغني فيها.  
ومنها:

أرقت فلم أنم طرباً      وبت مسهداً نصبا

لطيف أحب خلق الل      ه إنساناً وإن غضبا

إلى نفسي، وأوجههم      وإن أمسى قد احتجبا

وصرم حبلنا ظلماً      لبلغة كاشح كذبا

عروضه من الوافر. الشعر لعمر بن أبي ربيعة، والغناء لابن سريج، ثقيل أول بالسبابة في مجرى البصر.  
ومنها قوله: صوت

قد حان منك فلا تبعد بك الدار      بين وفي البين للمتبول إضرار

قالت: من أنت؟ على ذكر فقلت لها:      أنا الذي ساقني للحين مقدار

الشعر لعمر بن أبي ربيعة، والغناء لابن سريج، رمل بالسبابة في مجرى الوسطى.  
ومنها الصوت الذي أوله:

وقرت بها عيني وقد كنت قبلها

أوله قوله: صوت

لبشرة أسرى الطيف والخبت دونها      وما بيننا من حزن أرض وبيدها

وقرت بها عيني وقد كنت قبلها      كثيراً بكائي مشفقاً من صدودها

وبشرة خود مثل تمثال بيعة      تظل النصارى حولها يوم عيدها

الشعر للحارث بن خالد المخزومي، والغناء لمعبد، خفيف ثقيل أول بالخنصر في مجرى الوسطى.  
وذكر إسحاق هذه الطريقة في هذا الصوت ولم ينسبها إلى أحد، ولا بن محرز في هذه الأبيات ثقيل أول بالخنصر في مجرى الوسطى، وفيها لعزة الميلاء خفيف رمل.

## الحارث بن خالد المخزومي وبشرة

وبشرة هذه - التي ذكرها الحارث بن خالد - أمة كانت لعائشة بنت طلحة، وكان الحارث يكنى عن ذكر عائشة بها، وله فيها أشعار كثيرة.  
منها مما يعني فيه قوله: صوت

يا ربع بشرة بالجناب تكلم وابن لنا خيراً ولا تستعجم

مالي رايتك بعد أهلك موحشاً خلقاً كحوض الباقر المتهدم  
تسقي الضجيع إذا النجوم تغورت طوع الضجيع وغاية المتوسم  
قب البطون أو انس شبه الدمى يخلطن ذاك بعفة وتكرم

عروضه من الكامل، والشعر للحارث بن خالد، والغناء لمعبد، ولحنه من خفيف الرمل بالسبابة في مجرى البنصر، عن إسحاق.

وفيه أيضاً ثقیلاً أول بالوسطى على مذهب إسحاق في رواية عمرو، ومنها: صوت

يا ربع بشرة إن أضربك البلى فإلقد عهدتك أهلاً معموراً  
عقب الرذاذ خلفه فكأنما بسط الشواطب بينهن حصيراً

غناه ابن سريج، رمل بالسبابة في مجرى الوسطى، عن إسحاق، وفيه لحن للملك، وقيل: بل هو لابن محرز. وعروضه من الكامل.

وقوله: "عقب الرذاذ خلفه" يقول: جاء الرذاذ بعده، ومنه يقال: عقب لفلان غني بعد فقير. وعقب الرجل أباه، إذا قام بعده مقامه. وعواقب الأمور مأخوذة منه، واحدها عاقبة. والرذاذ: صغار المطر. وقوله خلفه: أي بعده. قال متمم بن نويرة:

وفقيد بني أم تداعوا فلم أكن خلافهم أن استكين وأضرعا

أي بعدهم. والشواطب: النساء اللواتي يشطن لحاء السعف يعملن منه الحصر، ومنه السيف المشطب. والشطبية: الشعبة من الشيء، ويقال: بعثنا إلى فلان شطبية من خيلنا، أي قطعة.

### مغنية وبيت شعر للحارث المخزومي

أحبرني الحسين بن يحيى، عن حماد، عن أبيه، قال: كانت مغنية تختلف إلى صديق لها، فأنته يوماً فوجدته مريضاً لا حراك به، فدعت بالعود وغنت:

يا ربع بشرة إن أضربك البلى فإلقد عهدتك أهلاً معموراً

ومما يعني به فيه من هذه الأبيات الرائية: صوت

بعدي وغير أيهن دثورا

عفر البواقر يرتعين وعورا

كفلاً كرايية الكتيب وثيرا

أعرفت أطلال الرسوم تنكرت

وتبدلت بعد الأنيس بأهلها

من كل مصيبة الحديث ترى لها

الأطلال: ما شخص من آثار الديار. الرسوم: البقايا من الديار، وهي دون الأطلال وأخفى منها. وتنكرت: تغيرت. والدائر: الدارس. والعفر: الطباء، واحدها أعفر. والوعور: المواضع التي لا أنيس فيها. والرايية: الأرض المشرفة، وهي دون الجبل. والكتيب: القطعة العالية المرتفعة من الرمل، جمعها كتيب. والوثير: التام المرتفع، يقال: فراش وثير إذا كان مرتفعاً عن الأرض.

إسحاق الموصلبي في البيتين الأولين ثاني ثقيل بالبنصر، ولإبراهيم فيهما خفيف ثقيل بالسبابة في مجرى الوسطى، ولطويس فيهما خفيف ثقيل. وقيل: إنه ليس له. ولاين سريج في الثالث ثم الأول خفيف رمل، وقيل: بل هو لخليدة المكية. وفي البيت الأول والثاني لملك رمل بالوسطى، وقيل: الرمل لطويس، وخفيف الثقل لملك. والمعبد في هذا الصوت لحنان: أحدهما ثقيل أول مطلق في مجرى الوسطى، والآخر خفيف ثقيل أول. ومنها: صوت

وسفت عليها الريح بعدك مورا

بعراصها ومسير تسييرا

يا دار حسرها البلى تحسيراً

دق التراب بخيلها فمخيم

غنى في هذين البيتين ابن مسجح خفيف ثقيل الأول بالسبابة في مجرى الوسطى. وللغريض في: "أعرفت أطلال الرسوم" وما بعده ثقيل أول بالبنصر، وللغريض أيضاً ثاني ثقيل مطلق في مجرى الوسطى. حسرها: أذهب معالمها، ومنه حسر الرجل عن ذراعه وعن رأسه إذا كشفهما. وحسر الصلع شعر الرأس، إذا حصة. والمور: التراب، والمخيم: المقيم. ومنها صوت، أوله:

كفلاً كرايية الكتيب وثيرا

بعراصها ومسير تسييرا

من كل مصيبة الحديث ترى لها

يفتن لا يألون كل مغفيلأنه بحديثهن سرورا

ومنها: صوت

قربن أجماً لهن قحورا!؟

بزلاً تشبه هامهن قبوراً

دع ذا ولكن هل رأيت ظعائناً

قربن كل مخيس متحمل

القحور: واحدها قحور، وهو المسن. والمخيس: المحبوس للرحلة. والمتحمل: معتاد الحمل. وفي هذه الأربعة الأبيات للغريض اللحن الذي ذكرناه. ولاين جامع في:

## دع ذا ولكن هل رأيت طعائنا

والذي بعده ثابى ثقيل بالوسطى.

ومنها: صوت

خلقاً ويصبح بيتكم مهجوراً

إن يمس حبلك بعد طول تواصل

زمناً بوصلك راضياً مسروراً

فلقد أراني والجديد إلى بلى

للنفس بعدك خلة وعشيراً

جذلاً بمالي عندكم لا أبتغي

عندي، وكنت بذاك منك جديراً

كنت الهوى وأعز من وطىء الحصا

لإبراهيم الموصلي، ويحيى المكي في هذه الأبيات لحنان، كلاهما من الثقيل الثاني؛ فلحن إبراهيم بالوسطى، ولحن يحيى بالبصر، ولإسحاق فيهما رمل. وقيل: إن لابن سريج فيهما أيضاً لحناً آخر.

مغنية تعبر عن حالها بيتين من شعر الحارث أخبرني الحسين بن يحيى، عن حماد، عن أبيه، قال: حدثني رجل من أهل البصرة، قال: اشتريت جارية مغنية، فأقامت عندي زمناً وهويتني، وكرهت أن يراها أهلي، فعرضتها للبيع، فجزعت، وقالت: لقد اشتريتني وأنا لك كارهة، وإنك لتبيعي وأنا لذلك كارهة. فقال أخ لي: أرنبيها، فقلت: هي عند فلانة، فانظر إليها، فأتاها فنظر إليها وأنا حاضر، فلما اعترضها وفرغ من ذلك غنت:

خلقاً ويصبح بيتكم مهجوراً

إن يمس حبلك بعد طول تواصل

زمناً بوصلك راضياً مسروراً

فلقد أراني والجديد إلى بلى

ثم بكت، وضربت بالعود الأرض فكسرتة، فخيرتها بين أن أعتقها أو أبيعها ممن شاءت، فاختارت البيع، وطلبت موضعاً ترضاه حتى أصابته، فصيرتها إليه.

أخبرني يحيى بن علي، قال: حدثني أبو أيوب المدائني، قال: حدثني إبراهيم بن علي بن هشام، قال: حدثني جارية يقال لها طباع - جارية محمد بن سهل بن فرخند - قالت: غنيت إسحاق في لحنه:

تتكرت بعدي

أعرفت أطلال الرسول

إسحاق ينكر علي مخارق في أداء لحن له فأنكر علي في مقاطعة شيئاً، وقال: ممن أخذته؟ فقلت: من مخارق، فقال لي: تعثر الجواد بل هو كما أقول لك، وردده علي، فهو يقال كما يقول مخارق، وكما غيره إسحاق.

## صوت

أرهب نوء السماك والأسد

أخشى على أربد الحتوف ولا

فجعني الرعد والصواعق بال

فارس يوم الكريهة النجد

يا عين هلا بكيت أربد إذ

قمنا وقام الخصوم في كبد

إن يشغبوا لا يبال شغبهم

أو يقصدوا في الخصام يقصد

عروضه من المنسرح.

النجد: البطل ذو النجدة. وقال الأصمعي في النجد مثل ذلك. وقال: النجد - بكسر الجيم -: الذي قد عرق جداً. والكبد: الثبات والقيام.

الشعر للبيد بن ربيعة، والغناء للأبجر، رمل بالبصر عن عمرو بن بانه. ولإبراهيم فيها رمل آخر بالوسطى في مجراها عن إسحاق، أوله الثالث والرابع ثم الأول والثاني، وذكرت بذل أن في الثالث والرابع لحناً لحنين بن محرز.

### خبر لبيد في مرثية أخيه

#### نسب أربد

وقد تقدم من خبر لبيد ونسبه ما فيه كفاية. يرثي أخاه لأمه أربد بن قيس بن جزء بن خالد بن جعفر بن كلاب، وكانت أصابته صاعقة فأحرقته.

أخبرنا بالسبب في ذلك محمد بن جرير الطبري، قال: حدثنا محمد بن حميد، قال: حدثنا سلمة عن ابن إسحاق، عن عاصم، عن عمرو بن قتادة، قال: وفد بني عامر بن صعصعة قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفد بني عامر بن صعصعة، فيهم عامر بن الطفيل وأربد بن قيس وجبار بن سلمى بن مالك بن جعفر بن كلاب، وكان هؤلاء الثلاثة رؤوس القوم وشياطينهم، فهم عامر بن الطفيل بالغدر برسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد قال له قومه: يا عامر؛ إن الناس قد أسلموا فأسلم، فقال: والله لقد كنت أليت ألا أنتهي حتى تتبع العرب عقبي، فأتعب أنا عقب هذا الفتى من قريش!

تأمر عمر وأربد على قتل رسول الله ثم قال لأربد: إذا أقبلنا على الرجل فإني شاغل عنك وجهه، فإذا فعلت ذلك فاعله أنت بالسيف.

محادثة عامر لرسول الله فلما قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له عامر: يا محمد، خالني قال: لا والله، حتى تؤمن بالله وحده. قال: يا محمد، خالني، وجعل يكلمه وينتظر من أربد ما كان أمره، فجعل أربد لا يجير شيئاً. فلما رأى عامر ما يصنع أربد قال: يا محمد، خالني. قال: لا، والله، حتى تؤمن بالله وحده لا تشرك به. فلما أبى عليه رسول الله قال: أما والله لأملأها عليك خيلاً حمراً، ورجالاً سمراً.

دعاء الرسول عليه

فلما ولى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: اللهم اكفني عامر بن الطفيل. فلما خرجوا من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عامر لأربد: ويلك يا أربد! أين ما كنت أوصيتك به! والله ما كان على ظهر الأرض

رجل هو أخوف عندي على نفسي منك، وإيم الله لا أخافك بعد اليوم أبداً. قال: لا تعجل علي لا أبا لك! والله ما هممت بالذي أمرتني به من مرة إلا دخلت بيني وبين الرجل حتى ما أرى غيرك! فأضربك بالسيف! فقال عامر:

عمداً أشد على المقائب غارا

بعث الرسول بما ترى فكأنما

ولقد قتلن بجوها الأنصارا

ولقد وردن بنا المدينة شزباً

إصابة عامر بالطاعون وموته قبل عودته وخرجوا راجعين إلى بلادهم، حتى إذا كانوا ببعض الطريق بعث الله على عامر الطاعون في عنقه، فقتله الله، وإنه لفي بيت امرأة من بني سلول، فجعل يقول: يا بني عامر، أغدة كغدة البكر، وموت في بيت امرأة من بني سلول! فمات.

صاعقة تحرق أربد ثم خرج أصحابه حين واروه حتى قدموا أرض بني عامر، فلما قدموا أتاهم قومهم فقالوا: ما وراءك يا أربد؟ فقال: لقد دعانا إلى عبادة شيء لوددت أنه عندي الآن فارميه بنبلي هذه حتى أقتله. فخرج بعد مقاتله هذه بيوم أو يومين معه جمل له يبيعه، فأرسل الله عليه وعلى جملة صاعقة فأحرقتهما.

وفود لبيد إلى الرسول نسخت من كتاب يحيى بن حازم، قال: حدثنا علي بن صالح صاحب المصلى، قال: حدثنا ابن دأب، قال: كان أبو براء عامر بن مالك قد أصابته دبيبة، فبعث لبيد بن ربيعة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأهدى له رواحل، فقدم بها لبيد، وأمره أن يستشفيه من وجعه، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: لو قبلت من مشرك لقبلت منه، وتناول من الأرض مدرة فتفل عليها، ثم أعطاها لبيداً، وقال: دفها له بماء ثم اسقه إياه.

يقرأ القرآن ويكتب سورة الرحمن وأقام عندهم لبيد يقرأ القرآن وكتب منهم: "الرحمن. علم القرآن" فخرج بها، ولقيه أخوه أربد على ليلة من الحي، فقال له: انزل فتزل، فقال: يا أخي، أخبرني عن هذا الرجل؛ فإنه لم يأته رجل أوثق عندي فيه قولاً منك. فقال: يا أخي، ما رأيت مثله - وجعل يذكر صدقه وبره وحسن حديثه. فقال له: هل معك من قوله شيء؟ قال: نعم، فأخرجها له فقرأها عليه، فلما فرغ منها قال له أربد: لوددت أني ألقى الرحمن بتلك البرقة، فإن لم أضربه بسيفي فعلي وعلي...

قال: ونشأت سحابة وقد خليا عن بعيريهما، فخرج أربد يريد البعيرين، حتى إذا كان عند تلك البرقة غشيتته صاعقة فمات.

وقدم لبيد على أبي براء فأخبره خبر رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأمره، قال: فما فعل فيما استشفيتته؟ قال: تالله ما رأيت منه شيئاً كان أضعف عندي من ذلك، وأخبره بالخبر. قال: فأين هي؟ قال: ها هي ذه معي. قال: هاها، فأخرجها له فدافها، ثم شربها فبرأ.

رواية أخرى في وفوده على الرسول قال ابن دأب: فحدثني حنظلة بن قطرب بن إباد، أحد بني بكر بن كلاب، قال: لما أصاب عامر بن الطفيل ما أصابه، بعث بنو عامر لبيداً، وقالوا له: اقدم لنا على هذا الرجل فاعلم لنا

علمه. فقدم عليه، فأسلم، وأصابه وجع هناك شديد من حمى، فرجع إلى قومه بفضل تلك الحمى، وجاءهم بذكر البعث والجنة والنار، فقال سراقه بن عوف بن الأحوص:

لعمر لبيد إنه لاين أمه  
ولكن أبوه مسه قدم العهد  
دفعناك في أرض الحجاز كأنما  
دفعناك فحلاً فوقه قزع اللبد  
فعالجت حماه وداء ضلوعه  
وترنيق عيش مسه طرف الجهد  
وجئت بدين الصابئين تشوبه  
بألواح نجد بعد عهدك من عهد!  
وإن لنا داراً زعمت ومرجعاً  
وإن لنا داراً زعمت ومرجعاً

قال: فكان عمر يقول: وايم الله، إياب القارظين وذوي البرد.

وفود عامر بن الطفيل على رسول الله أخبرني عبد العزيز بن أحمد عم أبي، وحبيب بن نصر المهلبى، وغيرهما، قالوا: حدثنا الزبير بن بكار، قال: حدثني ظمياء بنت عبد العزيز بن مولة، قالت: حدثني أبي، عن جدي مولة بن كثيف، أن عامر بن الطفيل أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فوسده وسادة، ثم قال: أسلم يا عامر. قال: على أن لي الوبر ولك المدر، فأبى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقام عامر مغضباً فولى، وقال: لأملأها عليك خيلاً جرداً، ورجالاً مرداً، ولأربطن بكل نخلة فرساً. فسألته عائشة: من هذا؟ فقال: هذا عامر بن الطفيل، والذي نفسي بيده لو أسلمت بنو عامر معه لراحموا قريشاً على منابرههم. قال: ثم دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقال: يا قوم، إذا دعوت فأمنوا، فقال: اللهم اهد بني عامر، واشغل عني عامر بن الطفيل بما شئت، وكيف شئت، وأنى شئت.

### موت عامر بن الطفيل

فخرج فأخذت غدة مثل غدة البكر، فجعل يثب ويترو في السماء ويقول: يا موت ابرز لي، ويقول: غدة مثل غدة البكر، وموت في بيت سلولية؟! ومات.

أخبرني محمد بن الحسن بن دريد إجازة، عن أبي حاتم، عن أبي عبيدة، قال: أخبرني أسعد بن عمرو الجعفي، قال: أخبرني خالد بن قطن الحارثي، قال: لما مات عامر بن الطفيل خرجت امرأة من بني سلول كأنها نخلة حاسراً، وهي تقول:

أنعى عامر بن الطفيل وأبقى  
وهل يموت عامر من حقا؟  
وما أرى عامراً مات حقا!

قال: فما رأيي يوم أكثر باكياً وباكية، وحمش وجوه، وشق جيوب من ذلك اليوم. بنو عامر تحمي قبر عامر بالأنصاب وقال أبو عبيدة عن الحرمازي، قال: لما مات عامر بن الطفيل بعد منصرفه

عن النبي صلى الله عليه وسلم، نصبت عليه بنو عامر أنصاباً ميلاً في ميل، حمى على قبره لا تنشر فيه ماشية، ولا يرعى، ولا يسلكه راكب ولا ماش. وكان جبار بن سلمى بن عامر بن مالك بن جعفر بن كلاب غائباً، فلما قدم قال: ما هذه الأنصاب؟ قالوا: نصبناها حمى لقبر عامر بن الطفيل، فقال: ضيقتم على أبي علي، إن أبا علي بان من الناس بثلاث: كان لا يعطش حتى يعطش الحمل، وكان لا يضل حتى يضل النجم، وكان لا يجبن حتى يجبن السيل.

ثلاث خلال فضل عامر بمن الناس قال أبو عبيدة: وقدم عامر على النبي صلى الله عليه وسلم وهو ابن بضع وثمانين سنة.

### مراثي لبئد لأخيه

ومما رثى به لبئد أخاه أربد قوله :

ودافع ضيماً يوم الخصام

ألا ذهب المحافظ والمحامي

تقسم مال أربد بالسهام

وأيقنت التفرق يوم قالوا:

تقعرت المشاجر بالفئام

وأربد فارس الهيجا إذا ما

وهي طويلة يقول فيها:

وقل وداع أربد بالسلام

فودع بالسلام أبا حزيز

قال: وكانت كنية أربد أبا حزاز، فصغره ضرورة.

وقال فيه أيضاً :

لا والد مشفق ولا ولد

ما إن تعدى المنون من أحد

أرهب نوء السماك والأسد

أخشى على أربد الحتوف ولا

فارس يوم الكريهة النجد

فجعني الرعد والصواعق بال

جاء نكيباً وإن يعد يعد

الحارب الجابر الحريب إذا

أنزل صوب الربيع ذي الرصد

يعفو على الجهد والسؤال كما

ليلة تسمي الجياد كالقدد

لم تبلغ العين كل نهمتها

قل، وأن أكثرت من العدد

كل بني حرة مصيرهم

يوماً يصيروا للهلك والنقد

إن يغبطوا يهبطوا وإن أمروا

قمنا وقام الخصوم في كبد

يا عين هلا بكيت أربد إذ

يا عين هلا بكيت أربد إذ  
واصبحت لاقحاً مصرمة  
إن يشغبوا لا يبالي شغبهم  
حلو كريم، وفي حلاوته  
ألوت رياح الشتاء بالعضد  
حين تقضت غواير المدد  
أو يقصدوا في الخصام يقتصد  
مر، لطيف الأحشاء والكبد

أبو بكر الصديق رضي الله عنه ينشد شعراً له في رثاء أخيه أربد نسخت من كتاب ابن النطاح، عن المدائني، عن علي بن مجاهد، قال: أنشد أبو بكر الصديق رضي الله عنه قول لبيد في أخيه أربد :

لعمري لئن كان المخبر صادقاً  
أخر لي، أما كل شيء سألته  
لقد رزئت في حادث الدهر جعفر  
فيعطي، وأما كل ذنب فيغفر

فقال أبو بكر رضوان الله عليه: ذلك رسول الله، لا أربد بن قيس.  
وقد رثاه بعد ذلك بقصائد يطول الخبر بذكرها.  
ومما رثاه به، وفيه غناء، قوله : صوت

بلينا وما تبلى النجوم الطوالع  
وقد كنت في أكناف دار مضنة  
فلا جزع إن فرق الدهر بيننا  
وما المرء إلا كالشهاب وضوئه  
أليس ورائي إن تراخت منيتي  
أخبر أخبار القرون التي مضت  
فأصبحت مثل السيف أخلق جفنه  
فلا تبعدن إن المنية موعد  
أعاذل ما يدريك، إلا تظنياً  
أتجزع مما أحدث الدهر للفتى  
وتبقى الجبال بعدنا والمصانع  
ففارقني جار بأربد نافع  
فكل فتى يوماً به الدهر فاجع  
يحور رماداً بعد إذ هو ساطع  
لزوم العصا تحنى عليها الأصابع  
أدب كأني كلما قمت راعع  
تقادم عهد القين والنصل قاطع  
علينا فدان للطلوع وطالع  
إذارحل السفار من هو راجع؟  
وأي كريم لم تصبه القوارع!

غنى في الأول والخامس والسادس والسابع حنين الحيري خفيف ثقيل أول بالبنصر، عن الهشامي وابن المكي وحمام، وفيها ثقيل أول بالوسطى، يقال إنه لحنين أيضاً، ويقال إنه لأحمد النصبي، ويقال: إنه منحول.  
ومما رثاه به قوله، وهي من مختار مرثيته :

طرب الفؤاد وليته لم يطرب  
 سفهاً، ولو أني أطعت عواذلي  
 لزجرت قلباً لا يريع لزاجر  
 فتعز عن هذا، وقل في غيره  
 يا أربد الخير الكريم جدوده  
 إن الرزية لا رزية مثلها  
 ذهب الذين يعاش في أكنافهم  
 يتأكلون مغالة وخيانة  
 ولقد أراني تارة من جعفر  
 من كل كهل كالسنان وسيد  
 من معشر سنت لهم آباؤهم  
 فبرى عظامي بعد لحمي فقدهم  
 وعناه ذكرى خلة لم تصقب  
 فيما يشرن به بسفح المذنب  
 إن الغوي إذا نهى لم يعتب  
 واذكر شمائل من أخيك المنجب  
 أفردتني أمشي بقرن أعضب  
 فقدان كل أخ كضوء الكوكب  
 وبقيت في خلف كجلد الأجر  
 ويعاب قائلهم وإن لم يشغب  
 في مثل غيث الوابل المتحلب  
 صعب المقادة كالفنيق المصعب  
 والعز قد يأتي بغير تطلب  
 والدهر إن عاتبت ليس بمعتب

حدثنا محمد بن جرير الطبري، قال: حدثنا أبو السائب سالم بن جنادة، قال: حدثنا وكيع، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة، أنها كانت تنشد بيت لبيد:

ذهب الذين يعاش في أكنافهم  
وبقيت في خلف كجلد الأجر

ثم تقول: رحم الله لبيداً، فكيف لو أدرك من نحن بين ظهرائهم!.

قال عروة: رحم الله عائشة، فكيف بها لو أدركت من نحن بين ظهرائهم!.

قال هشام: رحم الله أبي، فكيف لو أدرك من نحن بين ظهرائهم! وقال وكيع: رحم الله هشاماً، فكيف لو أدرك

من نحن بين ظهرائهم! قال أبو السائب: رحم الله وكيعاً، فكيف لو أدرك من نحن بين ظهرائهم! قال أبو

جعفر: رحم الله أبا السائب، فكيف لو أدرك من نحن بين ظهرائهم!.

قال أبو الفرج الأصبهاني: ونحن نقول: الله المستعان، فالقصة أعظم من أن توصف!.

### صوت

فإن كان حقاً ما زعمت أتيته  
 وإن كان ما بلغته كان باطلاً  
 إليك فقام النائحات على قبري  
 فلا مت حتى تسهري الليل من ذكري

عروضه من الطويل. والشعر للعباس بن الأحنف يقوله في فوز، وخبرهما يأتيها هنا، والغناء لبذل، خفيف رمل بالبنصر، وفيه لبنان بن عمرو ثاني ثقيل بالبنصر، وفيه لحن لابن جامع من كتاب إبراهيم. وزعم أبو العباس أن لمعبد اليقطيني فيه خفيف رمل، وذكر حبش أن لإبراهيم خفيف الرمل بالوسطى. وذكر علي بن يحيى المنجم أنه لعلية. وقيل: إن خفيف الرمل بالبنصر للقاسم بن زنقطة. والصحيح أنه لبذل.

### ذكر خبر العباس وفوز

#### كانت جارية لمحمد بن منصور

أخبرني محمد بن يحيى، قال: حدثنا محمد بن إسحاق الخراساني، قال: حدثنا محمد بن النضر، قال: كانت فوز جارية لمحمد بن منصور، وكان يلقب فتى العسكر، ثم اشتراها بعض شباب البرامكة فدبرها وحج بها. فلما قدمت قال العباس:

ألا قد قدمت فوز	فقرت عين عباس
لمن بشرني البشري	على العينين والرأس
أيا ديباجة الحسن	ويا رامشنة الآس
يلوموني على الحب	وما بالحب من باس!

#### تشبهه في شعره بأبي العتاهية

أخبرني محمد، قال: حدثنا محمد بن أحمد بن جعفر الأنباري - وهو أبو عاصم بن محمد الكاتب - قال: حدثني علي بن محمد النوفلي قال: كانت فوز لرجل جليل من أسباب السلطان، وكان العباس يتشبهه في أشعاره وذكر فوز بما قاله أبو العتاهية في عتبة، فحج بها مولاهما، فقال العباس:

يارب رد علينا	من كان أنساً وزينا
من لا تسر بعيش	حتى يكون لدينا
يا من أتاح لقلبي	هواه شؤماً وحيناً
مازلت مذ غبت عني	من أسخن الناس عينا
ما كان حجك عندي	إلا بلاء علينا

فلما قدمت قالت:

## ألا قد قدمت فوز

## فقرت عين عباس

وذكر الأبيات المتقدمة.

### معايه بينه وبين الأصمعي

أخبرنا محمد بن العباس اليزيدي، قال: حدثنا عبد الرحمن بن أخي الأصمعي، عن عمه، أنه دخل على الفضل بن الربيع يوماً، والعباس بن الأحنف بين يديه، فقال العباس للفضل: دعني أعايب الأصمعي. قال: لا تفعل، فليس المزاح من شأنه. قال: إن رأى الأمير أن يفعل. قال: ذاك إليك. قال: فلما دخلت قال لي العباس: يا أبا سعيد من الذي يقول:

نع شيئاً يعجب الناسا

إذا أحببت أن تص

وصور ثم عباسا

فصورها ها هنا فوزاً

ترى رأسيهما راسا

فإن لم يدينوا حتى

وكذبه بما قاسى

فكذبها بما قاست

فقال لي ابن أبي السعلاء الشاعر: إنه أراد العبث بك، وهو نبطي، فأجبه على هذا. قال: فقلت له: لا أعرف هذا، ولكنني أعرف الذي يقول:

ر شيئاً يعجب الخلقا

إذا أحببت أن تبص

وصور ههنا فلقا

فصورها هنا زوراً

ترى خلقيهما خلقا

فإن لم يدينوا حتى

وكذبه بما يلقي

فكذبها بما لاقت

فعرض بالعباس أنه نبطي، فضحك الفضل، فوجم العباس، فقال له الفضل: قد كنت نهيته عنك، فلم تقبل.

### فوز تجد صداعاً

أخبرني محمد بن يحيى، قال: حدثني محمد بن الفضل الهاشمي، قال: حدثني أبو توبة الحنفي، قال: وجه العباس بن الأحنف رسولاً إلى فوز، فعاد فأخبره أنها تجد صداعاً، وأنه رآها معصوبة الرأس؛ فقال العباس:

قد شكته إلي كان براسي

عصبت راسها فليت صداعاً

ر، وكنت السقام عنها أقاسي

ثم لا تشتكي، وكان لها الأجاج

هكذا يفعل المحب المواسي

ذاك حتى يقول لي من رأني:

قال: فبرئت ثم نكست، فقال :

إن التي هامت بها النفس  
كانت إذا ما جاءها المبتلى  
وأبأبي الوجه المليح الذي  
إن تكن الحمى أضرت به  
عاودها من عارض نكس  
أبرأه من كفها للمس  
قد عشقته الجن والإنس  
فربما تتكسف الشمس

فوز ساهرة ذاكرة له أخبرني محمد بن يحيى، قال: حدثني أبو العباس الخلنجي، قال: حدثني أبو عبد كان الكاتب ، قال: حدثني أبو توبة الحنفي، قال: لما قاله العباس بن الأحنف :

أما والذي أبلى المحب وزادني  
فإن كان حقاً مازعت أتيته  
وإن كان عدواناً علي وباطلاً  
فلا مت حتى تسهري الليل من ذكري  
بلاء، لقد أسرفت في الظلم والهجر  
إليك، فقام النائحات على قبوري

بعثت إليه فوز: أظننا ظلمناك يا أبا الفضل، فاستحيب لك فينا! مازلت البارحة ساهرة ذاكرة لك.  
في خلقه شدة

أخبرني جحظة اليرمكي، قال: حدثني أبو عبد الله بن حمدون، عن أحمد بن إبراهيم، قال: حدثني محمد بن سلام، قال: كان في خلق العباس بن الأحنف شدة، فضرب غلاماً له، وحلف أنه يبيعه، فمضى الغلام إلى فوز فاستشفع بها عليه، فكتبت إليه فيه؛ فقال :

يا من أتانا بالشفاعات  
إن كنت مولاك فإن التي  
إرسالها فيك إلينا لنا  
من عند من فيه لجاجاتي  
قد شفعت فيك لمولاتي  
كرامة فوق الكرامات

ورضى عنه ووصله، وأعتقه.

اكتتابه من قولة فوز له: يا شيخ! أخبرني جحظة، قال: حدثنا أبو عبد الله بن حمدون، عن أبيه حمدون بن إسماعيل، عن أخيه إبراهيم بن إسماعيل، قال: جاءنا العباس بن الأحنف يوماً وهو كئيب، فنشطناه فأبى أن ينشط، فقلنا: ما دهاك؟ فقال: لقيتني فوز اليوم، فقالت لي: يا شيخ! وما قالت ذلك إلا من حادث ملال. فقلنا له: هون عليك؛ فإنها امرأة لا تثبت على حال، وما أردت إلا العبث بك والمزاح معك. فقال: إني والله قد قلت أقبح مما قالت، ثم أنشدنا :

هزئت إذ رأته كئيباً معنى  
هزئت بي ونلت ما شئت منها  
أقصدته الخطوب فهو حزين  
يا لقومي فأينا المغبون!

فقلت له: قد انتصفت وزدت.

يمن جارية فوز تزعم أنه راودها أخبرني محمد بن يحيى، قال: حدثنا علي بن الصباح، قال: حدثنا أبو ذكوان، قال: كانت لفوز جارية يقال لها يمن، وكانت تجيء إلى العباس برسالتها، فمضت إلى فوز، وقد طلبت من العباس شيئاً فمنعها إياه، وزعمت أنه أرادها ودعاها إلى نفسه، فغضبت فوز من ذلك، فكتب إليها:

لقد زعمت يمن بأني أردتها

على نفسها، تبا لذلك من فعل

سلوا عن قميصي مثل شاهد يوسف

فإن قميصي لم يكن قد من قبل

معاينة فوز له في جفائه ورده عليها أخبرني محمد، قال: حدثنا أحمد بن إسماعيل، قال: حدثني سعيد بن حميد، قال: كانت فوز قد مالت إلى بعض أولاد الجند، وبلغ ذلك العباس، فتركها ولم ترض هي البديل بعد ذلك، فعادت إلى العباس، وكتبت إليه تعاتبه في جفائه؛ فكتب إليها:

كتبت تلوم وتستريب زيارتي

وتقول لست لنا كعهد العاهد

فأجبتها ودموع عيني جمّة

تجري على الخدين غير جوامد!

يا فوز لم أهجركم لملاّلة

مني ولا لمقال واش حاسد

لكنني جربتكم فوجدتكم

لا تصبرون على طعام واحد

سرقته شعر أبي نواس وقد أنشدني علي بن سليمان الأحفش هذه الأبيات، وقال: سرقها من أبي نواس حيث يقول: صوت

ومظهرة لخلق الله ودا

وتلقى بالتحية والسلام

أتيت فؤادها أشكو إليه

فلم أخلص إليه من الزحام

فيا من ليس يكفيه محب

ولا ألفاً محب كل عام

أظنك من بقية قوم موسى

فهم لا يصبرون على طعام

غنت فيه عريب لحناً ذكره ابن المعتز، ولم يذكر طريقته.

ومما يغنى فيه من شعر العباس في فوز قوله: صوت

يا فوز ما ضر من يمسي وأنت له

ألا يفوز بدنيا آل عباس

أبصرت شيباً بمولاهها فواعجباً

منه يراها ويبدو الشيب في الراس!

غناه سليم، رمل مطلق في مجرى الوسطى عن ابن المكي.

وأخبرني محمد بن يحيى قال: حدثنا محمد بن الفضل بن الأسود، قال: قرأت على أحمد بن أبي فنن شعر العباس بن الأحنف، وكان مشغولاً به، فسمعته يقول: وددت أن أبياته التي يقول فيها:

يا فوز ما ضر من يمسي وأنت له

لي بكل شعري.

وفي بذل يقول عبد الله بن العباس الربيعي يخاطب عمراً في بذل بقوله: صوت

تسمع بحق الله يا عمرو من بذل فقد أحسنت والله واعتمدت قنلي

كأني أرى حبيك يرجح كلما تغنت لإعجابي وأفقد من عقلي

غناه عبد الله بن العباس الربيعي، ثاني ثقل بالوسطى عن عمرو، وغنى فيه عمرو بن بانة خفيف رمل بالبنصر عن حبش.

### ذكر بذل وأخبارها

#### من مولدات المدينة ولها كتاب أغان

كانت بذل صفراء مولدة من مولدات المدينة، وربيت بالبصرة، وهي إحدى الحسنات المتقدّمات، الموصوفات بكثرة الرواية، يقال: إنها كانت تغني ثلاثين ألف صوت. ولها كتاب في الأغاني منسوب الأصوات غير مجنس، يشتمل على اثني عشر ألف صوت، يقال: إنها عملته لعلي بن هشام. وكانت حلوة الوجه ظريفة، ضاربة متقدمة، وابتاعها جعفر بن موسى الهادي، فأخذها منه محمد الأمين، وأعطاه مالا جزيلاً، فولدهما جميعاً يدعون ولأهها. فأخذت بذل عن أبي سعيد مولى فائد ودحمان وفليح وابن جامع وإبراهيم، وطبقتهم.

#### أروى خلق الله للغناء

وقرأت على جحظة، عن أبي حشيشة في كتابه الذي جمعه من أخباره وما شاهده، قال: كانت بذل من أحسن الناس غناء في دهرها، وكانت أستاذة كل محسن ومحسنة، وكانت صفراء مدنية، وكانت أروى خلق الله تعالى للغناء، ولم يكن لها معرفة.

#### احتيال الأمين في أخذها

وكانت لجعفر بن موسى الهادي، فوصفت ل محمد بن زبيدة، فبعث إلى جعفر يسأله أن يريه إياها، فأبى، فزاره محمد إلى منزله، فسمع شيئاً لم يسمع مثله، فقال لجعفر: يا أخي، بعني هذه الجارية. فقال: يا سيدي، مثلي لا يبيع جارية، قال: فهبها لي، قال: هي مدبرة. فاحتال عليه محمد حتى أسكره، وأمر ببذل فحملت معه إلى الحراقة، وانصرف بها.

فلما انتبه سأل عنها فأخبر بخبرها، فسكت، فبعث إليه محمد من الغد، فجاءه وبذل جالسة فلم يقل شيئاً. فلما

أراد جعفر أن ينصرف قال: أوقروا حراقة ابن عمي دراهم، فأوقرت.  
قال: فحدثني عبد الله بن الحنيني - وكان أبوه علي بيت مال جعفر بن موسى - أن مبلغ ذلك المال كان  
عشرين ألف درهم.  
قال: وبقيت بذل في دار محمد إلى أن قتل، ثم خرجت، فكان ولد جعفر وولد محمد يدعون ولاءها. فلما ماتت  
ورثها ولد عبد الله بن محمد بن زبيدة.  
وهب لها الأمين من الجوهر ما لم يملك مثله أحد وقد روى محمد بن الحسن الكاتب هذا الخبر، عن ابن المكي،  
عن أبيه، وقال فيه: إن محمداً وهب لها من الجوهر شيئاً لم يملك أحد مثله، فسلم لها، فكانت تخرج منه الشيء  
بعد الشيء فتبيعه بالمال العظيم، فكان ذلك معتمدها مع ما يصل إليها من الخلفاء إلى أن ماتت وعندها منه بقية  
عظيمة.

إياؤها الزواج حتى موتها قال: ورغب إليها وجوه القواد والكتاب والهاشميين في التزويج، فأبت وأقامت على  
حالتها حتى ماتت.

علي بن هشام في موكبه إليها قال أبو حشيشة في خبره: وكنت عند بذل يوماً وأنا غلام، وذلك في أيام المأمون  
ببغداد، وهي في طارمة لها تمشط، ثم خرجت إلى الباب، فرأيت الموكب، فظننت أن الخليفة يمر في ذلك الموضع،  
فرجعت إليها فقلت: يا ستي؛ الخليفة يمر على بابك؟ فقالت: انظروا أي شيء هذا؟ إذ دخل بواهما فقال: علي  
بن هشام بالباب. فقالت: وما أصنع به! فقامت إليها وشيكة جاريتها - وكانت ترسلها إلى الخليفة وغيره في  
حوائجها - فأكبت على رجلها، وقالت: الله، الله! أتجيب علي بن هشام! فدعت بمنديل فطرحته على رأسها  
ولم تقم إليه، فقال: إني جئتك بأمر سيدي أمير المؤمنين، وذلك أنه سألني عنك، فقلت: لم أرها منذ أيام. فقال:  
هي عليك غضبي، فبحياتي لا تدخل منزلك حتى تذهب إليها فتسترضيها.

### تكتب اثني عشر ألف صوت

فقال: إن كنت جئت بأمر الخليفة فأنا أقوم. فقامت فقبلت رأسه ويديه وقعد ساعة وانصرف، فساعة خرج  
قال: يا وشيكة، هايتي دواة وقرطاساً، فجعلت تكتب فيه يومها وليلتها حتى كتبت اثني عشر ألف صوت -  
وفي بعض النسخ: "رؤوس سبعة آلاف صوت" - ثم كتبت إليه: يا علي بن هشام، تقول: قد استغنيت عن بذل  
بأربعة آلاف صوت أخذناها منها، وقد كتبت هذا وأنا ضجرة، فكيف لو فرغت لك قلبي كله! وختمت  
الكتاب، وقالت لها: امضي به إليه.

فما كان أسرع من جاء رسوله - خادم أسود يقال له مخارق - بالجواب يقول فيه: يا ستي، لا والله ما قلت  
الذي بلغك، ولقد كذب علي عندك؛ إنما قلت: لا ينبغي أن يكون في الدنيا غناء أكثر من أربعة آلاف صوت،  
وقد بعثت إلي بديوان لا أؤدي شكرك عليه أبداً. وبعث إليها عشرة آلاف درهم، ونحوها فيها خز ووشي وملح،

وتختاً مطبقاً فيه ألوان الطيب.

علي بن هشام يعاتبها في جفوة نالته منها أنشدني علي بن سليمان الأخفش لعلي بن هشام يعاتب بدلاً في جفوة نالته منها:

تغيرت بعدي والزمان مغير  
وأظهرت لي هجراً وأخفيت بغضة  
ومما شجاني أنني يوم زرتكم  
وفي دون ذا ما يستدل به الفتى  
كفرت بدين الحب إن طرت بابكم  
فإن ذهبت نفسي عليكم تشوقاً  
ولو كان نجمي في السعود وصلتم  
ولكن نجوم العاشقين نحوس

وأخبرني أبو العباس الهشامي المشك، عن أهله: أن علي بن هشام كان يهوى بدلاً ويكتم ذلك، وأنها هجرته مدة، فكتب إليها بهذه الأبيات.

### تروي ثلاثين ألف صوت

وذكر محمد بن الحسن أن أبا حارثة حدثه عن أخيه أن معاوية قال: قالت لي بذل: كنت أروي ثلاثين ألف صوت، فلما تركت الدرس أنسيت نصفها، فذكرت قولها لزرزر الكبير، فقال: كذبت الزانية!

### تغني مائة صوت لم يعرفها ابن المهدي

قال: وحدثني أحمد بن محمد الفيزران، عن بعض أصحابه - أن إبراهيم بن المهدي كان يعظمها ويتواقي لها، ثم تغير بعد ذلك استغناء عند نفسه عنها، فصارت إليه، فدعا بعود فغنت - في طريقة واحدة وإيقاع واحد وأصبع واحدة - مائة صوت، لم يعرف إبراهيم منها صوتاً واحداً، ووضعت العود وانصرفت، فلم تدخل داره حتى طال طلبه لها وتضرعه إليها في الرجوع إليه.

تخجل إسحاق بن إبراهيم الموصلي لجهله أصوات أبيه وقال محمد بن الحسن، وذكر أحمد بن سعيد المالكي أن إسحاق بن إبراهيم الموصلي خالف بدلاً في نسبة صوت غنته بحضرة المأمون، فأمسكت عنه ساعة، ثم غنت ثلاثة أصوات في الثقليل الثاني واحداً بعد واحد، وسألت إسحاق عن صانعها فلم يعرفه، فقالت للمأمون: يا أمير المؤمنين، هي والله لأبيه، أخذتها من فيه، فإذا كان هذا لا يعرف غناء أبيه فكيف يعرف غناء غيره! فاشتد ذلك

على إسحاق حتى رئي ذلك فيه.

أخبرني أبو الحسن الأسدي، قال: حدثني حماد بن إسحاق قال: غنت بذل يوماً بين يدي أبي:

فلطول الهم والحزن

إن تريني ناكل البدن

ليته والله لم يكن

كان ما أخشى بواحدتي

إسحاق يطرب ويشرب على غنائها فطرب أبي والله طرباً شديداً، وشرب رطلاً، وقال لها: أحسنت يا بنتي، والله لا تغنين صوتاً إلا شربت عليه رطلاً.

قال أبو الفرج: والغناء في هذا الشعر لبذل خفيف رمل بالوسطى.

في مجلس شراب المأمون وذكر أحمد بن أبي طاهر أن محمد بن علي بن طاهر بن الحسين حدثه أن المأمون كان يوماً قاعداً يشرب ويده قدح إذ غنت بذل:

ألا لا أرى شيئاً ألد من الوعد

فجعلته:

ألا لا أرى شيئاً ألد من السحق

فوضع المأمون القدح من يده والتفت إليها، وقال: بلى يا بذل، النيك ألد من السحق، فتشورت وخافت غضبه، فأخذ قدحه، ثم قال: أئمني صوتك وزيدي فيه:

ومن زورتي أبياتها خالياً وحدي

ومن غفلة الواشي إذا ما أتيتها

وكلتاها عندي ألد من الخلد

ومن صيحة في الملتقى ثم سكتة

نسبة هذا الصوت

ومن أملتي فيه وإن كان لا يجدي

ألا لا أرى شيئاً ألد من الوعد

الغناء لإبراهيم خفيف رمل بالبنصر في رواية عمرو بن بانة.

### صوت

متيم عندها لم يجز مكبول

باننت سعاد فقلبي اليوم متبول

إلا أغن غضيض الطرف مكحول

وما سعاد غداة البين إذ رحلوا

الشعر لكعب بن زهير بن أبي سلمى المزني، والغناء لابن محرز، ثاني ثقليل بالبنصر، عن عمرو بن بانة والهشامي.

### أخبار كعب بن زهير

نسب أم كعب

كعب بن زهير بن أبي سلمى المزني، وقد تقدم خبر أبيه ونسبه. وأم كعب امرأة من بني عبد الله بن غطفان يقال لها كبشة بنت عمار بن عدي بن سحيم، وهي أم سائر أولاد زهير. وهو من المخضرمين، ومن فحول الشعراء. وسأله الحطيئة أن يقول شعراً يقدم فيه نفسه، ثم يثني به بعده، ففعل.

### الحطيئة يسأله أن يذكره في شعره

أخبرنا أبو خليفة، عن محمد بن سلام، وأخبرني محمد بن الحسن بن دريد عن أبي حاتم، عن أبي عبيدة، قال: أتى الحطيئة كعب بن زهير - وكان الحطيئة راوية زهير وآل زهير - فقال له: يا كعب، قد علمت روايتي لكم أهل البيت وانقطاعي إليكم، وقد ذهب الفحول غيري وغيرك، فلو قلت شعراً تذكر فيه نفسك وتضعني موضعاً بعدك! وقال أبو عبيدة في خبره: تبدأ بنفسك فيه وتثني بي؛ فإن الناس لأشعاركم أروى، وإليها أسرع، فقال كعب:

فمن للقوافي شأنها من يحوكها  
إذا ما ثوى كعب وفوز جرول  
يقول فلا تعيا بشيء يقوله  
ومن قائلها من يسيء ويعمل  
كفيتك لا تلقى من الناس واحداً  
تتخل منها مثل ما يتتخل  
يتقفها حتى تلين متونها  
فيقصر عنها كل ما يتمثل

يجيز نصف بيت عجز عنه النابغة أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري وحبيب بن نصر المهلي، قال: حدثنا عمر بن شبة، قال: حدثنا علي بن الصباح، عن هشام، عن إسحاق بن الجصاص، قال: قال زهير بيتاً ونصفاً ثم أكدى، فمر به النابغة، فقال له: أبا أمامة، أجز، فقال: وما قلت؟ قال: قلت:

تزيد الأرض إما مت خفا  
وتحيا إن حييت بها ثقيلاً  
نزلت بمستقر العرض منها .

أجز، قال: فأكدى والله النابغة، وأقبل كعب بن زهير، وإنه لغلام، فقال أبوه: أجز يا بني، فقال: وما أجز؟ فأأنشده، فأجاز النصف بيت، فقال:

وتمنع جانبيها أن يزولا

فضمه زهير إليه، وقال: أشهد أنك ابني.

زهير ينهاه عن الشعر قبل أن يستحكم وقال ابن الأعرابي: قال حماد الراوية: تحرك كعب بن زهير وهو يتكلم بالشعر، فكان زهير ينهاه مخافة أن يكون لم يستحكم شعره، فيروى له ما لا خير فيه، فكان يضربه في ذلك، فكلما ضربه يزيد فيه فغلبه، فطال عليه ذلك، فأخذه فحبسه، فقال: والذي أحلف به لا تتكلم ببيت شعر إلا

ضربتك ضرباً ينكلك عن ذلك. فمكث محبوساً عدة أيام، ثم أخبر أنه يتكلم به، فدعاه فضربه ضرباً شديداً، ثم أطلقه وسرحه في بومه وهو غليم صغير، فانطلق فرعى ثم راح عشية، وهو يرتجز:

**كأنما أحدو ببهمي عيرا** **من القرى موقرة شعيرا**

زهير يثيره ليعلم تمكنه من الشعر فخرج إليه زهير وهو غضبان، فدعا بناقته فكفلها بكسائه، ثم قعد عليها حتى انتهى إلى ابنه كعب، فأخذ بيده فأردفه خلفه، ثم خرج فضرب ناقته وهو يريد أن يبعث ابنه كعباً ويعلم ما عنده من الشعر، فقال زهير حين برز إلى الحي:

**إني لتعديني على الحي جسرة** **تخب بوصال صروم وتعنق**  
ثم ضرب كعباً، وقال له: أجز يا لكع، فقال كعب:

**كبنيانة القرئي موضع رحلها** **وآثار نسغيها من الدف أبلق**  
فقال زهير:

**على لأحب مثل المجرة خلته** **إذا ما علا نشراً من الأرض مهرق**  
أجز يا لكع، فقال كعب:

**منير هداه ليله كنهاره** **جميع، إذا يعلو الحزونة أفرق**  
زهير يتعسفه ليعلم ما عنده قال: فتبدى زهير في نعت النعام، وترك الإبل، يتعسفه عمداً ليعلم ما عنده، قال:

**وظل بوعساء الكثيب كأنه** **خباء على صقبي بوان مروق**  
صقبي عمودي، بوان: عمود من أعمدة البيت، فقال كعب:

**تراخي به حب الضحاء وقد رأى** **سماوة قشراء الوظيفين عوهق**  
فقال زهير:

**تحن إلى مثل الحبايير جثم** **لدى منتج من قيضها المتفلق**  
الحبايير: جمع حبارى، وتجمع أيضاً حباريات، فقال كعب:

**تحطم عنها قيضها عن خراطم** **وعن حدق كالنبخ لم يتفتق**  
الخراطم ها هنا: المناقير، والنبخ: الجدري، شبه أعين ولد النعامة به.

إذنه له في قول الشعر قال: فأخذ زهير بيد ابنه كعب، ثم قال له: قد أذنت لك في الشعر يا بني.  
فلما نزل كعب وانتهى إلى أهله - وهو صغير يومئذ - قال:

**أبيت فلا أهجو الصديق ومن يبع** **بعرض أبيه في المعاشر ينفق**  
قال: وهي أول قصيدة قالها.

## خروجه وبجيره إلى رسول الله

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجوهري وحيب بن نصر المهلي قالا: حدثنا عمر بن شبة، قال: حدثني إبراهيم بن المنذر الحزامي، قال: حدثني الحجاج بن ذي الرقبة بن عبد الرحمن بن مضرب بن كعب بن زهير بن أبي سلمى، عن أبيه، عن جده قال:

خرج كعب وبجير ابنا زهير بن أبي سلمى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بلغا أبرق العزاف، فقال كعب لبجير: الحق الرجل، وأنا مقيم ها هنا، فانظر ما يقول لك.

## إسلام بجير

فقدم بجير على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فسمع منه وأسلم، وبلغ ذلك كعباً، فقال:

ألا أبلغا عني بجيراً رسالة  
على أي شيء عوتب غيرك دلكا  
على خلق لم تلف أمأً ولا أباً  
عليه ولم تدرك عليه أخاً لكا  
قالك أبو بكر بكأس روية  
فأنهلك المأمون منها وعلكا

## إهدار الرسول دمه

ويروى "المأمور". قال: فبلغت أبياته هذه رسول الله صلى الله عليه وسلم فأهدر دمه، وقال: من لقي منكم كعب بن زهير فليقتله.  
بجير يندره ويحثه على الإسلام فكتب إليه أخوه بجير بخبره، وقال له: انجبه وما أراك بمفلت. وكتب إليه بعد ذلك يأمره أن يسلم ويقبل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقول له: إن من شهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله قبل صلى الله عليه وسلم منه، وأسقط ما كان قبل ذلك. فأسلم كعب، وقال القصيدة التي اعتذر فيها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم:

بانئت سعاد فقلبي اليوم متبول  
متيم عندها لم يجز مكبول

## إسلامه

قال: ثم أقبل حتى أناخ راحلته بباب مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان مجلسه من أصحابه مكان المائدة من القوم حلقة ثم حلقة، وهو وسطهم، فيقبل على هؤلاء يحدثهم، ثم على هؤلاء، ثم على هؤلاء، فأقبل كعب حتى دخل المسجد فتخطى حتى جلس إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: يا رسول الله، الأمان. قال: ومن أنت؟ قال: كعب بن زهير. قال: أنت الذي يقول... كيف قال يا أبا بكر؟ فأنشده حتى بلغ إلى قوله:

## سفاك أبو بكر بكأس روية

## وأنهلك المأمون منها وعلكا

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: مأمون والله. ثم أنشده - يعني كعباً - :

## بانئت سعاد فقلبي اليوم متبول

قال عمر بن شبة: فحدثني الحزامي، قال: حدثني محمد بن فليح، عن موسى بن عقبة، وأخبرني بمثل ذلك أحمد بن الجعد، قال: حدثنا محمد بن إسحاق المسيبي، قال: حدثنا محمد بن فليح، عن موسى بن عقبة، قال: أنشدها رسول الله صلى الله عليه وسلم في مسجده، فلما بلغ إلى قوله :

## مهند من سيوف الله مسلول

## إن الرسول لسيف يستضاء به

## بيطن مكة لما أسلموا: زولوا

## في فتية من قريش قال قائلهم

## عند اللقاء ولا خور معازيل

## زالوا فما زال أنكاس ولا كشف

أشار رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الخلق أن يسمعوا شعر كعب بن زهير.

قال الحزامي: قال علي بن المديني: لم أسمع قط في خير كعب بن زهير حديثاً قط أم ولا أحسن من هذا، ولا أبالي ألا أسمع من خبره غير هذا.

رواية أخرى في إسلام بجير وكعب قال أبو زيد عمر بن شبة: ومما يروى من خبره أن زهيراً كان نظاراً متوقياً، وأنه رأى في منامه آتياً أتاه، فحمله إلى المساء حتى كاد يمسها بيده، ثم تركه فهوى إلى الأرض، فلما احتضر قص رؤياه على ولده، وقال: إني لا أشك أنه كائن من خير السماء بعدي شيء، فإن كان فتمسكوا به وسارعوا إليه. فلما بعث النبي عليه السلام خرج إليه بجير بن زهير فأسلم، ثم رجع إلى بلاد قومه، فلما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاه بجير بالمدينة - وكان من خيار المسلمين - وشهد يوم الفتح مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، ويوم خيبر ويوم حنين وقال في ذلك :

## وألّف من بني عثمان واف

## صبحناهم بألف من سليم

## بأرماح متقفة خفاف

## فرحنا والجياد تجول فيهم

## ورشق بالمريشة اللطاف

## وفي أكتافهم طعن وضرب

ثم ذكر خبره وخبر أخيه كعب مثل ما ذكر الحزامي، وزاد في الأبيات التي كتب بها كعب إليه:

## فهل لك فيما قلت بالخيف هل لكأ؟

## فخالفت أسباب الهدى وتبعته

ثم قال في خبره أيضاً: إن كعباً نزل برجل من جهينة، فلما أصبح أتى النبي عليه السلام، فقال: يا رسول الله، أرأيت إن أتيتك بكعب بن زهير مسلماً أتؤمنه؟ قال: نعم، قال: فأنا كعب بن زهير، فتواثبت الأنصار تقول: يا

رسول الله، ائذن لنا فيه. فقال: وكيف، وقد أتاني مسلماً! وكف عنه المهاجرون ولم يقولوا شيئاً، فأنشد رسول الله صلى الله عليه وسلم قصيدته:

### بانئت سعاد فقلبي اليوم متبول

حتى انتهى إلى قوله :

وما بهم من حياض الموت تهليل

لا يقع الطعن إلا في نحورهم

هكذا في رواية عمر بن شبة، ورواية غيره: "تعليل".

فعند ذلك أوماً رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الحلق حوله أن تسمع منه. قال: وعرض بالأنصار في قصيدته في عدة مواضع، منها قوله:

وما مواعيدها إلا الأباطيل

كانت مواعيد عرقوب لها مثلاً

وعرقوب: رجل من الأوس .

### مدحه الأنصار

فلما سمع المهاجرون بذلك قالوا: ما مدحنا من هجا الأنصار، فأنكروا قوله، وعوتب على ذلك فقال :

في مقنب من صالحى الأنصار

من سره كرم الحياة فلا يزل

عند الهياج وسطوة الجبار

الباذلين نفوسهم لنبيهم

كالجمر غير كليلة الإبصار

والناظرين بأعين محمرة

بالمشرفى وبالقنا الخطار

والضاربين الناس عن أديانهم

بدماء من علقوا من الكفار

يتطهرون يرونه نسكاً لهم

ذلت لوقعتها رقاب نزار

صدموا الكتيبة يوم بدر صدمة

### عرقوب المضروب به المثل

قال أبو زيد: الذي عناه كعب من الأوس كان وعد رجلاً ثمر نخلة، فلما أطلعت أناه فقال: دعها حتى تلقح ، فلما لقحت قال: دعها حتى تزهي ، فلما أزهدت أناه فقال: دعها حتى ترطب، ثم أناه فقال: دعها حتى تتمر، فلما أثمرت عدا عليها ليلاً فجدها، فضرب به في الخلف المثل، وذلك قول الشماخ :

مواعيد عرقوب أخاه بيترب

وواعدني ما لا أحاول نفعه

وقال المتلمس لعمر بن هند:

## من كان خلف الوعد شيمته

## والغدر عرقوب له مثل

وما قالته الشعراء في ذكر عرقوب يكثر.

قال إبراهيم بن المنذر: حدثني معن بن عيسى، قال: حدثني الأوقص محمد بن عبد الرحمن المخزومي، قال: حدثني علي بن زيد أن كعب بن زهير أنشد رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه القصيدة في المسجد الحرام، لا في مسجد المدينة.

قال إبراهيم: حدثني محمد بن الضحاك بن عثمان عن أبيه، قال: عن كعب بن زهير بقوله:

## في فتية من قریش قال قائلهم

عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

## صوت

أففرح أم صيرتني في شمالك

أبيني أفي يمني يديك جعلتني

حذار الردى أو خيفة من زيالك

أبيت كأني بين شقين من عصاً

تريدين قتلي، قد ظفرت بذلك

تعاللت كي اشجى وما بك علة

عروضه من الطويل، الشعر لابن الدمينه بعضه، وبعضه ألحقه المغنون به، وهو لغيره. والغناء لابن جامع ثاني ثقيل بالوسطى، وفيه لإبراهيم ثقيل أول بالبنصر.

## أخبار ابن الدمينه ونسبه

### نسبه

الدمينة أمه، وهي الدمينه بنت حذيفة السلولية، واسم ابن الدمينه عبد الله بن عبيد الله، أحد بني عامر بن تيم الله بن مبشر بن أكلب بن ربيعة بن عفرس بن حلف بن أفتل وهو خثعم بن أنمار بن إراش بن عمرو بن الغوث بن نبت بن مالك.

وقيل: إن أكلب هو ابن ربيعة بن نزار ليس ابن ربيعة بن عفرس، وإهم حالفوا خثعم ونزلوا فيها فنسبوا إليهم. ويكنى ابن الدمينه أبا السري.

وكان بلغه أن رجلاً من أخواله من سلول يأتي امرأته ليلاً فرصده حتى أتاها فقتله، ثم قتلها بعده، ثم اغتالته سلول بعد ذلك فقتلته.

أخبرني بخره علي بن سليمان الأخفش، قال: حدثنا أبو سعيد السكري، عن محمد بن حبيب، عن أبي عبيدة

وابن الأعرابي، وأضفت إلى ذلك ما رواه الزبير بن بكار عن أصحابه، وما اتفقت الروايتان فيه، فإذا اختلفتا نسبت كل خبر إلى راويه.

### سلولي يرمي بامرأته

قال الزبير: حدثني موهوب بن رشيد الكلابي، وإبراهيم بن سعد السلمي، وعمر بن إبراهيم السعدي، عن مينا بن عبد الصمد، عن مصعب بن عمرو السلولي، أخي مزاحم بن عمرو، قالوا جميعاً: إن رجلاً من سلول يقال له مزاحم بن عمرو كان يرمي بامرأة ابن المدينة، وكان اسمها حماء، قال السكري: كان اسمها حمادة، فكان يأتيها ويتحدث إليها حتى اشتهر ذلك، فمنعه ابن المدينة من إتيانها، واشتد عليها.

### مزاحم يشهر به

فقال مزاحم يذكر ذلك - وهذا من رواية ابن حبيب، وهي أتم وأصح -:

يا ابن المدينة والأخبار يرفعها	وخذ النجائب والمحذور يخفيها
يا ابن المدينة إن تغضب لما فعلت	فطال خزيك أو تغضب مواليها
أو تبغضوني فكم من طعنة نفذ	يغذو خلال اختلاج الجوف غاذيها
جاهدت فيها لكم إنني لكم أبدأ	أبغي معاييكم عمداً فأتيها
فذاك عندي لكم حتى تغيبني	غبراء مظلمة هار نواحيها
أغشى نساء بني تيم إذا هجعت	عني العيون ولا أبغي مقاريها
كم كاعب من بني تيم قعدت لها	وعانس حين ذاق النوم حاميتها
كقعدة الأعسر العلفوف منتحياً	متينة من متون النبل ينحيتها
وشهقة عند حس الماء تشهقها	وقول ركبته: قض ، حين تثنيها
علامة كية ما بين عانتها	وبين سبتها لا شل كاويها
وتعدل الأير إن زاغت فتبعته	حتى يقيم برفق صدره فيها
بين الصفوقين في مستهدف ومد	ذي حرة ذاق طعم الموت صاليها
ماذا ترى ابن عبيد الله في امرأة	ليست بمحصنة عذراء حاويها
أيام أنت طريد لا تقاربها	وصادف القوس في الغرات باربيها

شمطاً عوارضها ربدأ دواهيها

ترى عجوز بني تيم ملفعة

قشارة من أديم ثم تفريها

إذ تجعل الدفنس الورهاء عذرتها

بكرأ وقبل هوى في الدار هاويها

حتى يظل هدان القوم يحسبها

يستدرج مزاحماً ويقتله قال الزبير عن رجاله، وابن حبيب عن ابن الأعرابي: لما بلغ ابن الدمينة شعر مزاحم أتى امرأته فقال لها: قد قال فيك هذا الرجل ما قال، وقد بلغك! قالت: والله ما أرى ذلك مني قط. قال: فمن أين له العلامات؟ قالت: وصفهن له النساء. قال: هيهات والله أن يكون ذلك كذلك. ثم أمسك مدة وصبر حتى ظن أن مزاحماً قد نسي القصة، ثم أعاد عليها القول، وأعادت الحلف أن ذلك مما وصفه له النساء. فقال لها: والله لئن لم تمكنين منه لأقتلنك. فعلمت أنه سيفعل ذلك، فبعثت إليه وواعدته ليلاً، وقعد له ابن الدمينة وصاحب له، فجاءها للموعد، فجعل يكلمها وهي مكانها فلم تكلمه، فقال لها: يا حماء، ما هذا الجفاء الليلة؟ قال: فتقول له هي بصوت ضعيف: ادخل، فدخل فأهوى بيده ليضعها عليها، فوضعها على ابن الدمينة، فوثب عليه هو وصاحبه، وقد جعل له حصى في ثوب، فضرب بها كبده حتى قتله، وأخرجه فطرحة ميتاً، فجاء أهله فاحتملوه، ولم يجدوا به أثر السلاح، فعلموا أن ابن الدمينة قتله.

يهجو سلولاً قال الزبير في حديثه: وقد قال ابن الدمينة في تحقيق ذلك :

فاليوم أهجو سلولاً لا أخافها

قالوا: هجتك سلول اللؤم مخفية

قد أنصف الصخرة الصماء رامياها

قالوا: هجاك سلولي، فقلت لهم:

شر البرية واست ذل حامياها

رجالهم شر من يمشي ونسوتهم

كما يحك نقاب الجرب طالياها

يحككن بالصخر أستاهاً بها نقب

قال: وقال أيضاً يذكر دخول مزاحم ووضعه يده عليه:

نهاراً، ولا تدلج إذا الليل أظلما

لك الخير إن واعدت حماء فالقها

تعانق أم ليتهاً من القوم قشعما

فإنك لا تدري أبيضاء طفلة

وأيقن أنني لست حماء جمجما

فلما سرى عن ساعدي ولحياتي

### يقتل امرأته وصغيرة له منها

قالوا جميعاً: ثم أتى ابن الدمينة امرأته، فطرح على وجهها قطيفة، ثم جلس عليها حتى قتلها، فلما ماتت قال :

فوق القطيفة فادعوا لي بحفار

إذا قعدت على عرنين جارية

فبكت بنية له منها، فضرب بها الأرض فقتلها، وقال متمثلاً: "لا تتخذن من كلب سوء جرواً".  
 أخو المقتول يستعدي الوالي قال الزبير في خبره، عن عمه مصعب، عن حميد بن أنيف، قال: فخرج جناح أخو  
 المقتول إلى أحمد بن إسماعيل فاستعداه على ابن الدمينه، فبعث إليه فحبسه.  
 أم المقتول تحضض أخويه على الثأر وقالوا جميعاً: قالت أم أبان والدة مزاحم بن عمرو المقتول، وهي من خثعم،  
 ترثي ابنها، وتحضض مصعباً وجناحاً أخويه :

بأهلي ومالي، بل بجل عشيرتي  
 قتل بني تيم بغير سلاح  
 فهلا قتلتم بالسلاح ابن أختكم  
 فتظهر فيه للشهود جراح  
 فلا تطعموا في الصلح ما دمت حية  
 وما دام حياً مصعب وجناح  
 ألم تعلموا أن الدوائر بيننا  
 تدور، وأن الطالبين شحاح

#### اشتداد الشر بين خثعم وبني سلول

قالوا: فلما طال حبسه، ولم يجد عليه أحمد بن إسماعيل سبيلاً ولا حجة خلاه، وقتلت بنو سلول رجلاً من خثعم  
 مكان المقتول، وقتلت خثعم بعد ذلك نفرأ من سلول. ولهم في ذلك قصص وأشعار كثيرة.

#### مقتله

قالوا: وأقبل ابن الدمينه حاجاً بعد مدة طويلة، فترل بتبالة، فعدا عليه مصعب أخو المقتول لما رآه، وقد كانت  
 أمه حرصته عليه، وقالت: اقتل ابن الدمينه، فإنه قتل أذاك، وهجا قومك، وذم أختك، وقد كنت أعذرک قبل  
 هذا، لأنك كنت صغيراً، وقد كبرت الآن. فلما أكثرت عليه خرج من عندها، وبصر بابن الدمينه واقفاً ينشد  
 الناس، فغدا إلى جزار فأخذ شفرته، وعدا على ابن الدمينه، فجرحه جراحتين، فقبل: إنه مات لوقته. وقيل: بل  
 سلم تلك الدفعة، ومر به مصعب بعد ذلك وهو في سوق العباء ينشد، فعلاه بسيفه حتى قتله، وعدا وتبعه  
 الناس حتى اقتحم داراً وأغلقها على نفسه، فجاءه رجل من قومه فصاح به: يا مصعب، إن لم تضع يدك في يد  
 السلطان قتلتك العامة فاخرج، فلما عرفه قال له: أنا في ذمتك حتى تسلمي إلى السلطان؟ قال: نعم، فخرج إليه  
 ووضع يده في يده، فسلمه إلى السلطان، فقذفه في سجن تبالة.

#### يحرص قومه ويوبخهم

قال السكري في خبره: ومكث ابن الدمينه جريحاً ليلته، ومات في غد، فقال في تلك الليلة يحرص قومه ويوبخهم:

هتفت بأكلب ودعوت قيساً  
 فلا خذلاً دعوت ولا قليلاً  
 ثارت مزاحماً وسررت قيساً  
 وكنت لما هممت به فعولا

فلا تشلل يداك ولا تزالا

تفيدان الغنائم والجزيل

فلو كان ابن عبد الله حيا

لصبح في منازلها سلولا

مصعب السلولي يحرص قومه لإنقاذه قال: وبلغ مصعباً أن قوم ابن الدمينة يريدون أن يقتحوا عليه سجن تبالة فيقتلوه به غيلة؛ فقال يحرص قومه:

لقيت أبا السري وقد تكالا

له حق العداوة في فؤادي

فكاد الغيظ يفرطني إليه

بطعن دونه طعن السداد

إذا نبحت كلاب السجن حولي

طمعت هشاشة وهفا فؤادي

طماعة أن يدق السجن قومي

وخوفاً أن يبيتني الأعادي

فما ظني بقومي شر ظن

ولا أن يسلموني في البلاد

وقد جدلت قاتلهم فأمسي

يمج دم الوتين على الوساد

هروب مصعب السلولي إلى صنعاء فجاءت بنو عقيل إليه ليلاً، فكسروا السجن، وأخرجوه منه. قال مصعب: فلما أفلت من السجن هرب إلى صنعاء، فقدم علينا وأبي بها يومئذ وال، فترل على كاتب لأبي كان مولى لهم، فرأيته حينئذ ولم يكن جلدًا من الرجال.

### مما يعني به من شعره

ومما يعني به من شعر ابن الدمينة قوله من قصيدة أولها :

أقمت على زمان يوماً وليلة

لأنظر ما واثني أميمة صانع

فقصرك مني كل عام قصيدة

تخب بها خوص المطي النزائع

وهذه القصيدة ذكر أحمد بن يحيى ثعلب أن عبد الله بن شبيب أنشده إياها، عن محمد بن عبد الله الكراني لابن الدمينة. والذي يعني به منها قوله : صوت

أقضي نهاري بالحديث وبالمنى

ويجمعني والهم بالليل جامع

نهاري نهار الناس حتى إذا بدا

لي الليل شاقنتني إليك المضاجع

لقد ثبتت في القلب منك محبة

كما ثبتت في راحتين الأصابع

غناه إبراهيم رملًا بالوسطى، عن عمرو بن بانة.

### يحب أميمة ويتزوجها

نسخت من كتاب أبي سعد، قال: حدثنا ابن أبي السري، عن هشام، قال: هوي ابن الدمينة امرأة من قومه يقال لها أميمة، فهام بها مدة، فلما وصلته تجنى عليها، وجعل ينقطع عنها، ثم زارها ذات يوم فتعابها طويلاً، ثم أقبلت عليه فقالت: صوت

وأنت الذي أخلفتني ما وعدتني  
وأشمت بي من كان فيك يلوم  
وأبرزتني للناس ثم تركتني  
لهم غرضاً أرمى وأنت سليم  
فلو أن قوماً لا يكلم الجسم قد بدا  
بجسمي من قول الوشاة كلوم

الشعر لأميمة: امرأة ابن الدمينة، والغناء لإبراهيم الموصلي خفيف رمل بالوسطى، عن عمرو والهشامي. وذكر حبش أن لإبراهيم أيضاً فيه لحناً من الثقيل الأول بالوسطى، وذكر حكم الوادي أن هذا اللحن ليعقوب الوادي، وفيه لعريب خفيف ثقيل.  
قال: فأجابها ابن الدمينة، فقال:

وأنت التي قطعت قلبي حزازة  
ومزقت قرح القلب فهو كليم  
وأنت التي كلفتني دلج السرى  
وجون القطا بالجلهتين جثوم  
وأنت التي أحفظت قومي فكلهم  
بعيد الرضا داني الصدود كظيم

قال: ثم تزوجها بعد ذلك، وقتل وهي عنده.

### قصة عاشقين

فأخبرني الحسين بن يحيى، قال: قال حماد بن إسحاق: حدثني أبي، قال: حدثنا سعيد بن سلم، عن أبي الحسن الينبيعي، قال: بينا أنا وصديق لي من قريش نمشي بالبلاط ليلاً إذا بظل نسوة في القمر، فالتفتنا فإذا بجماعة نسوة، فسمعت واحدة منهن وهي تقول: أهو هو؟ فقالت الأخرى: نعم، والله إنه هو هو. فدنيت مني ثم قالت: يا كهل، قل لهذا الذي معك:

ليست لياليك في خاخ بعائدة  
كما عهدت ولا أيام ذي سلم

فقلت له: أجب، فقد سمعت. فقال: قد والله قطع بي، وأرتج علي، فأجب عني، فالتفت إليها ثم قلت:

فقلت لها: يا عز كل مصيبة  
إذا وطنت يوماً لها النفس ذلت

فقالت المرأة: أوه! ثم مضت ومضينا، حتى إذا كنا بمفرق طريقين مضى الفتى إلى منزله، ومضيت أنا إلى منزلي؛ فإذا أنا بجويرية تجذب ردائي، فالتفت إليها، فقالت: المرأة التي كلمتك تدعوك. فمضيت معها حتى دخلت داراً، ثم صرت إلى بيت فيه حصير، وثنيت لي وسادة فجلست عليها، ثم جاءت جارية بوسادة مثنية فطرحتها، وجاءت المرأة فجلست عليها، وقالت: أنت الجيب؟ قلت: نعم. قالت: ما كان أفظ جوابك وأغلظة! قلت: والله

ما حضري غيره. فبكت، ثم قالت لي: والله ما خلق الله خلقاً أحب إلي من إنسان كان معك. قلت: أنا الضامن لك عنه ما تحيين. قالت: أو تفعل. قلت: نعم. فوعدتها أن آتيها به في الليلة القابلة. وانصرفت، فإذا الفتى ببائي، فقلت: ما جاء بك؟ قال: علمت أنها سترسل إليك، وسألت عنك فلم أجده فعملت أنك عندها، فجلست أنتظر. فقتل: فقد كان كل ما ظننت، ووعدتها أن آتيها بك في الليلة القابلة. فمضى ثم أصبحنا فتهيأنا، ورحنا فإذا الجارية تنتظرنا، فمضت أماننا، حتى دخلنا الدار، فإذا برائحة الطيب، وجاءت فجلست ملياً، ثم أقبلت عليه فعاتبته طويلاً، ثم قالت: صوت

وأنت الذي أخلفتني ما وعدتني  
وأشمت بي من كان فيك يلوم  
وابرزتني للناس ثم تركتني  
لهم غرضاً أرمي وأنت سليم  
فلو أن قولاً يكلم الجسم قد بدا  
بجسمي من قول الوشاة كلوم  
ثم سكتت، فسكت الفتى هنيهة، ثم قال:

غدرت ولم أغدر وخنت ولم أخن  
وفي دون هذا للمحب عزاء  
جزيتك ضعف الود ثم صرمتني  
فحبك في قلبي إليك أداء  
فالتفتت إلي وقالت: ألا تسمع ما يقول؟ قد أخبرتك! قال: فغمزته فكف، ثم قالت: صوت

تجاهلت وصلي حين لجت عمائتي  
وهلا صرمت الحبل إذ أنا مبصر!  
ولي من قوى الحبل الذي قطعته  
نصيب وإذ رايب جميع موفر  
ولكنما آذنت بالصرم بعتة  
ولست على مثل الذي جننت أقدر

غنى في هذه الأبيات إبراهيم الموصلي ثقيل أول بالوسطى عن عمرو، وذكر حبش أن فيها ثاني ثقيل بالبنصر.

قال: فقال الفتى مجيباً لها :

لقد جعلت نفسي وأنت اجترمته  
وكننت أحب الناس عنك تطيب  
فبكت، ثم قالت: أو قد طابت نفسك! لا والله ما فيك خير بعدها، فعليك السلام. ثم قامت والتفتت إلي، وقالت: قد علمت أنك لا تفي بضمانك عنه، وانصرفنا.

### العباس بن الأحنف ينشد شعراً له

أخبرني يحيى بن علي بن يحيى، قال: حدثنا حماد بن إسحاق، قال: حدثني أبي، قال: كان العباس بن الأحنف إذا سمع شيئاً يستحسنه أطرفني به، وافعل مثل ذلك، فجاءني يوماً فوقف بين البابين، وأنشد لابن الدمينية: صوت

ألا يا صبا نجد متى هجت من نجد  
 أن هتفت ورقاء في رونق الضحى  
 فكيت كما يبكي الحزين صباية  
 فكيت كما يبكي الوليد، ولم تكن  
 وقد زعموا أن المحب إذا دنا  
 بكل تداوينا فلم يشف ما بنا  
 وفقد زادني مسراك وجداً على وجد  
 على فنن غض النبات من الرند  
 وذبت من الشوق المبرح والصد  
 جزوعاً وأبديت الذي لم تكن تبدي  
 يمل وأن النأي يشفى من الوجد  
 على أن قرب الدار خير من البعد  
 وزيد على ذلك بيت، وهو:

ولكن قرب الدار ليس بنافع  
 إذا كان من تهواه ليس بذوي ود

ثم ترنح ساعة، وترجح أخرى، ثم قال: أنطح العمود برأسي من حسن هذا! فقلت: لا، ارفق بنفسك. الغناء في هذه الأبيات لإبراهيم له فيه لحنان: أحدهما ماخوري بالبصرة أوله البيت الثاني، والآخر خفيف ثقيل بالوسطى أوله البيت الأول.

ابن هرمة وصديق له أخبرني الحرمي بن أبي العلاء، قال: حدثنا الزبير بن بكار، قال: حدثني عبد الله بن إبراهيم الجمحي، قال: حدثني أحمد بن سعيد عن ابن زنج راوية ابن هرمة، قال: لقي ابن هرمة بعض أصدقائه بالبلاط، فقال له: من أين أقبلت؟ قال: من المسجد، قال: فأني شيء صنعت هناك؟ قال: كنت جالساً مع إبراهيم بن الوليد المخزومي، قال: فأني شيء قال لك؟ قال: أمرني أن أطلق امرأتي. قال: فأني شيء قلت له؟ قال: ما قلت له شيئاً. قال: فوالله ما قال لك ذلك إلا لأمر أظهرته عليه وكتمتنيه، أفرايت إن أمرته بطلاق امرأته، أيطلقها؟ قال: لا، والله، قال: فابن الدمينه كان أنصف منك، كان يهوى امرأة من قومه، فأرسلت إليه: إن أهلي قد هوي عن لقاءك ومراسلتك، فأرسل إليها: صوت

أطعت الأمريك بقطع حبلي  
 فإن هم طاو عوك فطاو عيهم  
 أما والراقصات بكل فج  
 لقد أضمرت حبك في فؤادي  
 مريهم في أحببتهم بذاك  
 وإن عاصوك فاعصي من عصاك  
 ومن صلى بنعمان الأراك  
 وما أضمت حباً من سواك

في هذه الأبيات لإسحاق رمل، وفيها لشارية خفيف رمل بالوسطى، ولعريب خفيف ثقيل، ابتداءه ينشد في الثالث والرابع ثم الثاني والأول، وفيه لمتيم خفيف رمل آخر.

رد عاشق على صاحبه بيتين له وحدثني بعض أصدقائنا، عن أبي بكر بن دريد - ولم أسمعه منه - قال: حدثنا عبد الرحمن ابن أخي الأصمعي، عن عمه، ووجدته أيضاً في بعض الكتب بغير هذا الإسناد عن الأصمعي،

فجمعت الحكايتين، قال: مررت بالكوفة، وإذا أنا بجارية تطلع من جدار إلى الطريق، وفتى واقف وظهره إلي، وهو يقول لها: أسهر فيك وتنامين عني، وتضحكين مني وأبكي، وتستريحين وأتعب، وأحضك المودة وتمدقينها لي، وأصدقك وتناقفين، ويأمرك عدوي بهجري فتطيعينه، ويأمرني نصيحي بذلك فأعصيه! ثم تنفس وأجهش باكياً. فقالت له: إن أهلي يمنعونني منك، وينهونني عنك؛ فكيف أصنع؟ فقال لها:

أطعت الأمريك بصرم حبلي

مريهم في أحببتهم بذاك

فإن هم طاو عوك فطاو عيهم

وإن عاصوك فاعصي من عصاك

ثم التفت فرآني، فقال يا فتى؛ ما تقول أنت فيما قلت؟ قلت له: والله لو عاش ابن أبي ليلى ما حكم إلا بمثل حكمك.

تمت أخبار ابن الدمينية

### صوت

وإن الذي بيني وبين بني أبي

وبين بني عمي لمختلف جدا

فما أحمل الحقد القديم عليهم

وليس رئيس القوم من يحمل الحقدا

وليسوا إلى نصري سراعاً وإن هم

دعوني إلى نصر أتيتهم شدا

إذا أكلوا لحمي وفرت لحومهم

وإن هدموا مجدي بنيت لهم مجدا

يعاتبني في الدين قومي وإنما

تديننت في أشياء تكسبهم حمدا

عروضه من الطويل. الشعر للمقنع الكندي، والغناء لابن سريج رمل بالوسطى عن عمرو. وفيه من روايته أيضاً لمالك خفيف رمل بالوسطى. وذكر علي بن يحيى أن لحن ابن سريج خفيف ثقيل. وذكر إبراهيم أن فيه لقفا النجار لم يذكر طريقته، وأظنه من خفيف الثقيل.

### نسب المقنع الكندي وأخباره

#### سبب تلقيبه بالمقنع

المقنع لقب غلب عليه؛ لأنه كان أجمل الناس وجهاً، وكان إذا سفر اللثام عن وجهه أصابته العين. قال الهيثم: كان المقنع أحسن الناس وجهاً، وأمدهم قامة، وأكملهم خلقاً، فكان إذا أسفر لقع - أي أصابته أعين الناس - فيمرض، ويلحقه عنت؛ فكان لا يمشي إلا مقنعاً.

## نسبه

واسمه محمد بن ظفر بن عمير بن أبي شمر بن فرعان بن قيس بن الأسود بن عبد الله بن الحارث الولاية - سمي بذلك لكثرة ولده - بن عمرو بن معاوية بن كندة بن عفير بن عدي بن الحارث بن مرة بن أدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان. شاعر مقل من شعراء الدولة الأموية، وكان له محل كبير، وشرف ومروءة وسؤدد في عشيرته. قال الهيثم بن عدي: كان عمير جده سيد كندة، وكان عمه عمرو بن أبي شمر ينازع أباه الرياسة ويساحله فيها، فيقصر عنه.

## أُتلف ماله في عطاياه

ونشأ محمد بن عمير المقنع، فكان متخرباً في عطاياه، سمح اليد بماله، لا يرد سائلاً عن شيء حتى أتلف كل ما خلفه أبوه من مال، فاستعلاه بنو عمه عمرو بن أبي شمر بأموالهم وجاههم. بنو عمه لم يزوجه أختهم لفقره ودينه وهوي بنت عمه عمرو فخطبها إلى إخوتها، فردوه وعيروه بتخرقه وفقره وما عليه من الدين؛ فقال هذه الأبيات المذكورة. شاعر يفضل شعراً له تعريضاً ببخل خليفته وأخبرني محمد بن يحيى الصولي، قال: حدثني محمد بن زكريا الغلابي، عن العتبي، قال: حدثني أبو خالد من ولد أمية بن خلف، قال: قال عبد الملك بن مروان - وكان أول خليفة ظهر منه بخل - : أي الشعراء أفضل؟ فقال له: كثير بن هراسة، يعرض ببخل عبد الملك: أفضلهم المقنع الكندي حيث يقول:

لو كان ينفع أهل البخل تحريضي

حتى يكون برزق الله تعويضي

أمسى يقلب فينا طرف مخفوض

إلا على وجع منهم وتمريض

عند النوائب تحذى بالمقاريض

فقال عبد الملك - وعرف ما أراد - : الله أصدق من المقنع حيث يقول: "والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا".

إني أحرص أهل البخل كلهم

ما قل مالي إلا زادني كرمًا

والمال يرفع من لولا دراهمه

لن تخرج البيض عفواً من أكفهم

كأنها من جلود الباخلين بها

## صوت

فدنتك نفسي ووقتك الردى

يابن هشام يا علي الندى

لما عداني عنك صرف النوى

نسيت عهدي أو تناسيتني

الشعر والغناء لإسحاق الموصلي رمل بالبصرة.

### خبر لإسحاق وابن هشام

وهذا الشعر يقوله في علي بن هشام أيام كان إسحاق بالبصرة، وله إليه رسالة حسنة، هذا موضع ذكرها، أخبرنا بها علي بن يحيى المنجم، عن أبيه، ووقعت إلينا من عدة وجوه:

### رسالته إلى علي بن هشام

أن إسحاق كتب إلى علي بن هشام: "جعلت فداك! بعث إلي أبو نصر مولاك بكتاب منك إلي يرتفع عن قدري، ويقصر عنه شكري، فلولا ما أعرف من معانيه لظننت أن الرسول غلط بي فيه، فما لنا ولك يا عبد الله، تدعنا حتى إذا أنسينا الدنيا وأبغضناها، ورجونا السلامة من شرها، أفسدت قلوبنا وعلقت أنفسنا، فلا أنت تريدنا، ولا أنت تتركنا؛ فبأي شيء تستحل هذا! فأما ما ذكرته من شوقك إلي فلولا أنك حلفت عليه لقلت:

شكوى المحب وليس بالمشراق

يا من شكاً عبثاً إلينا شوقه

ما طببت نفساً ساعة بفراقي

لو كنت مشتاقاً إلي تريدني

ووفيت لي بالعهد والميثاق

وحفظتني حفظ الخليل خليله

وشغلت بالذات عن إسحاق

هيهات قد حدثت أمور بعدنا

وقد تركت - جعلت فداك - ما كرهت من العتاب في الشعر وغيره، وقلت أبياتاً لا أزال أخرج بها إلى ظهر المرید، واستقبل الشمال، وأتنسم أرواحكم فيها، ثم يكون ما الله أعلم به، وإن كنت تكرهها تركتها إن شاء الله:

وأن ليس يبقى للخليل خليل

ألا قد أرى أن الثواء قليل

كذي سفر قد حان منه رحيل

وإني وإن مكنت في العيش حقبة

إلى ابن هشام في الحياة سبيل!؛

فهل لي إلي أن تنتظر العين مرة

وفي النفس منه حاجة وغليل

فقد خفت أن ألقى المنايا بحسرة

وأما بعد، فإني أعلم أنك - وإن لم تسلم عن حالي - تحب أن تعلمها وأن تأتيك عني سلامة؛ فأنا يوم كتبت إليك سالم البدن، مريض القلب.

وبعد: فأنا - جعلت فداك - في صنعة كتاب مليح ظريف، فيه تسمية القوم ونسبهم وبلادهم، وأسبابهم

وأزمنتهم، وما اختلفوا فيه من غنائهم، وبعض أحاديثهم، وأحاديث قيان الحجاز والكوفة والبصرة المعروفة والمذكورات، وما قيل فيهن من الأشعار، ولمن كن، وإلى من صرن، ومن كان يغشاهن، ومن كان يرخص في السماع من الفقهاء والأشراف، فأعلمني رايك فيما تشتهي لأعمل على قدر ذلك، إن شاء الله. وقد بعثت إليك بأمودج، فإن كان كما قال القائل: "فبح الله كل دن أوله دردي"، لم نتجشم إتمامه، وربحنا العناء فيه، وإن كان كما قال العربي: "إن الجواد عينه فراره" أعلمتنا؛ فأتمنناه مسرورين بحسن رأيك فيه، "إن شاء الله".

وهذا مما يدل على أن "كتاب الأغاني" المنسوب إلى إسحاق ليس له؛ وإنما ألف ما رواه حماد ابنه عنه من دواوين القدماء، غير مختلط بعضها ببعض.

وحشة بعد ألفة وكان إسحاق يالف علياً وأحمد ابني هشام وسائر أهلها إلفاً شديداً، ثم وقعت بينهم نبوة ووحشة في أمر لم يقع إلينا لمعاً غير مشروحة، فهجاهم هجاء كثيراً وانفرجت الحال بينه وبينهم. شعره في مصعب وصباح فأخبرني محمد بن خلف وكيع ويحيى بن علي بن يحيى وغيرهما، عن أبي أيوب سليمان المدني، عن مصعب، قال: قال لي أحمد بن هشام: أما تستحي أنت وصباح بن خاقان، وأنتما شيخان من مشايخ المروءة والعلم والأدب أن شيب بذكر كما إسحاق في الشعر، وهو مغن مذکور، فيقول:

فصينا مصعباً وصباحاً

قد نهانا مصعب وصباح

فاسترحنا منهما فاستراحا

عدلاً ما عدلاً أم ملاماً

ويروى:

علما في العذل أم قد ألاما

ويروى:

عدلا عدلها ثم أناما

فقلت: إن كان فعل فما قال إلا خيراً، إنما ذكر أنا نهيناه عن خمر شربها، وامرأة عشقها، وقد أشاد باسمك في الشعر بأشد من هذا، قال: وما هو؟ قلت: قوله: شعره في عي أحمد بن هشام

رهينة عام في الدنان و عام

وصافية تغشى العيون رقيقة

من الليل حتى انجاب كل ظلام

أدرنا بها الكأس الروية موهناً

من العي نحكي أحمد بن هشام

فما ذر قرن الشمس حتى كأننا

قال: أو قد فعل العاض بظر أمه! قلت: إي والله لقد فعل.

إلى ها هنا رواية مصعب.

أحمد بن هشام يتوعده ووجدت هذا الخبر في غير روايته، وفيه زيادة قد ذكرتها، قال: فألى أحمد بن هشام أن

يبلغ فيه كل مبلغ يقدر عليه، وأن يجتهد في اغتياله.

علي بن هشام يصلح بينه وبين أخيه محمد قال إسحاق: حضرت بدار الخليفة، وحضر علي بن هشام، فقال لي: أتهجو أخي وتذكره بما بلغني من القبيح؟ فقلت: أو يتعرض أخوك لي ويتوعدني! فوالله ما أبالي بما يكون منه؛ لأني أعلم أنه لا يقدر لي على ضرر، والنفع فلا أريده منه، وأنا شاعر مغن، والله لأهجونه بما أفرى به جلده، وأهتك مروءته، ثم لأغنين في أقبح ما أقوله فيه غناء تسري به الركبان. فقال لي: أو تهب لي عرضه، وأصلح بينكما؟ فقلت: ذاك إليك. وإن فعلته فلك لا له. ففعل ذلك، وما فعلته به.

ابن عائشة يهجو مصعباً وصباحاً أخبرني علي بن سليمان الأخفش، قال: حدثني محمد بن يزيد النحوي، قال: كان صباح بن خاقان المنقري نديماً لمصعب الزبيري، فقال عبد الرحمن بن أبي عبد الرحمن بن عائشة - وكان خليعاً من أهل البصرة -:

ق فإبطاي في عداد الفقاح

من يكن إبطه كأباط ذا الخل

بشبيه السلاح بل بالسلاح

لي أبطان يرميان جليسي

جالس بين مصعب وصباح

فكأنني من نتن هذا وهذا

ينشد الفضل بن الربيع أخبرني علي بن يحيى المنجم، قال: حدثني أبي، قال: حدثني إسحاق، قال: دخلت على الفضل بن الربيع يوماً، فقال: ما عندك؟ قلت: بيتان أرجو أن يكونا فيما يستطرف، وأنشدته:

ونصبر حتى يصنع الله بالفضل

سنغضي عن المكروه من كل ظالم

وتدرك أقصى ما تطالب من ذحل

فتنتصر الأحرار ممن يصيماها

قال: فدمعت عينه، وقال: من آذاك لعنه الله؟ فقلت: بنو هاشم، وأخبرته الخبر. قال يحيى بن علي: ولم يذكر بأي شيء أخبره.

### صوت

أطعم يوماً غير تهجاع

قد حصت البيضة رأسي فما

كل امرئ في شأنه ساع

أسعى على جل بني مالك

مرأ، وتتركه بجعاع

من يذق الحرب يجد طعمها

داء كيل الصاع بالصاع

لا نألم القتل ونجزي به الأع

الشعر لأبي قيس بن الأسلت، والغناء لإبراهيم، خفيف ثقيل أول. وقيل: بل هو لمعبد.

## نسب أبي قيس بن الأسلت وأخباره

### نسيه

أبو قيس لم يقع إلي اسمه غير ابن الأسلت ، والأسلت لقب أبيه ، واسمه عامر بن حشم بن وائل بن زيد بن قيس بن عمارة بن مرة بن مالك بن الأوس بن حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر . وهو شاعر من شعراء الجاهلية، وكانت الأوس قد أسندت إليه حربها، وجعلته رئيساً عليها، فكفى وساد. وأسلم ابنه عقبة بن أبي قيس، واستشهد يوم القادسية.

وكان يزيد بن مرداس السلمي أخو عباس بن مرداس الشاعر قتل قيس بن أبي قيس بن الأسلت في بعض حروبهم، فطلبه بثأره هارون بن النعمان بن الأسلت، حتى تمكن من يزيد بن مرداس، فقتله بقيس بن أبي قيس، وهو ابن عمه.

ولقيس يقول أبوه أبو قيس بن الأسلت:

**أقيس إن هلكت وأنت حي فلا تعدم مواصلة الفقير**

وهذا الشعر الذي فيه الغناء يقوله أبو قيس في حرب بعث .

رأى الأوس في حربها قال هشام بن الكلبي: كانت الأوس قد أسندوا أمرهم في يوم بعث إلى أبي قيس بن الأسلت الوائلي ، فقام في حربهم وآثرها على كل أمر حتى شحب وتغير، ولبث أشهراً لا يقرب امرأة. ثم إنه جاء ليلة فدى على امرأته، وهي كبشة بنت ضمرة بن مالك بن عدي بن عمرو بن عوف، ففتحت له؛ فأهوى إليها بيده فدفعت، وأنكرته، فقال: أنا أبو قيس! فقالت: والله ما عرفتك حتى تكلمت. فقال في ذلك أبو قيس هذه القصيدة، وأولها :

**قالت ولم تقصد لقليل الخنا:**

**استنكرت لونا له شاحباً**

**من يذق الحرب الحرب يجد طعمها**

**مهلاً فقد أبلغت أسماعي**

**والحرب غول ذات أوجاع**

**مراً وتتركه بجعاع**

### يوم بعث

يوم بعث وسببه فأما السبب في هذا اليوم - وهو يوم بعث - فيما أخبرني به محمد بن جرير الطبري، قال: حدثنا محمد بن حميد الرازي، قال: حدثنا سلمة بن الفضل، عن محمد بن إسحاق، وأضفت إليه ما ذكره ابن الكلبي عن أبيه، عن أبي صالح، عن أبي عبيدة، عن محمد بن عمار بن ياسر، وعن عبد الرحمن بن سليمان بن عبد الله بن حنظلة الغسيل ابن أبي عامر الراهب: الأوس تطلب عون بني قريظة والنضير أن الأوس كانت استعانت ببني قريظة والنضير في حروبهم التي كانت بينهم وبين الخزرج، وبلغ ذلك الخزرج، فبعثت إليهم: إن الأوس فيما

بلغنا قد استعانت بكم علينا، ولن يعجزنا أن نستعين بأعدادكم وأكثر منكم من العرب، فإن ظفرنا بكم فذاك ما تكرهون، وإن ظفرت لم ننم عن الطلب أبداً، فتصيروا إلى ما تكرهون، ويشغلكم من شأننا ما أنتم الآن منه خالون، وأسلم لكم من ذلك أن تدعونا وتخلوا بيننا وبين إخواننا.

الخزرج تحتفظ برهائن من قريظة والنضير فلما سمعوا ذلك علموا أنه الحق؛ فأرسلوا إلى الخزرج: إنه قد كان الذي بلغكم، والتمست الأوس نصرنا، وما كنا لننصرهم عليكم أبداً. فقالت لهم الخزرج: فإن كان ذلك فابعثوا إلينا برهائن تكون بين أيدينا. فبعثوا إليهم أربعين غلاماً منهم، ففرقهم الخزرج في دورهم فمكثوا بذلك مدة.

ثم إن عمرو بن النعمان البياضي قال لقومه بياضة: إن عامراً أنزلكم منزل سوء بين سبخة ومفازة، وإنه والله لا يمس رأسي غسل حتى أنزلكم منازل بني قريظة والنضير على عذب الماء وكريم النخل. ثم راسلهم: إما أن تخلوا بيننا وبين دياركم نسكنها، وإما أن نقتل رهنكم، فهموا أن يخرجوا من ديارهم، فقال لهم كعب بن أسد القرظي: يا قوم، امنعوا دياركم، وخلوه يقتل الرهن، والله ما هي إلا ليلة يصيب فيها أحدكم امرأته حتى يولد له غلام مثل أحد الرهن.

غدر عمرو بن النعمان بالرهن فاجتمع رأيهم على ذلك، فأرسلوا إلى عمرو بالأوس نسلم لكم دورنا، وانظروا الذي عاهدتمونا عليه في رهننا، فقوموا لنا به، فعدا عمرو بن النعمان على رهنهم هو ومن أطاعه من الخزرج، فقتلوهم وأبى عبد الله بن أبي - وكان سيداً حليماً - وقال: هذا عقوق ومأثم وبغي؛ فلست معيناً عليه، ولا أحد من قومي أطاعني. وكان عنده في الرهن سليم بن أسد القرظي - وهو جد محمد بن كعب القرظي - فخلى عنه، وأطلق ناس من الخزرج نفراً فلحقوا بأهلهم، فناوشت الأوس الخزرج يوم قتل الرهن شيئاً من قتال غير كبير. اجتمع قريظة والنضير على معاونة الأوس على الخزرج واجتمعت قريظة والنضير إلى كعب بن أسد، أخي بني عمرو بن قريظة، ثم توامروا أن يعينوا الأوس على الخزرج؛ فبعث إلى الأوس بذلك.

بنو قريظة والنضير يؤوون النبي في دورهم ثم أجمعوا عليه، على أن يتزل كل أهل بيت من النبي على بيت من قريظة والنضير، فتزلوا معهم في دورهم، وأرسلوا إلى النبي يأمرهم بإتيانهم، وتعاهدوا ألا يسلموهم أبداً، وأن يقاتلوا معهم حتى لا يبقى منهم أحد. فجاءتهم النبي فتزلوا مع قريظة والنضير في بيوتهم، ثم أرسلوا إلى سائر الأوس في الحرب والقيام معهم على الخزرج، فأجابوهم إلى ذلك. فاجتمع الملاء منهم، واستحکم أمرهم، وجدوا في حربهم، ودخلت معهم قبائل من أهل المدينة، منهم بنو ثعلبة - وهم من غسان - وبنو زعوراء، وهم من غسان.

مشاورة الخزرج عبد الله بن أبي في حرب الأوس فلما سمعت بذلك الخزرج اجتمعوا، ثم خرجوا، وفيهم عمرو بن النعمان البياضي، وعمرو بن الجموح السلمي، حتى جاءوا عبد الله بن أبي، وقالوا له: قد كان الذي بلغك من أمر الأوس وأمر قريظة والنضير واجتماعهم على حربنا، وإنا نرى أن نقاتلهم، فإن هزمناهم لم يجرز أحد

منهم معقله ولا ملجأه حتى لا يبقى منهم أحد.  
فلما فرغوا من مقاتلتهم قال عبد الله بن أبي خظيباً وقال: إن هذا بغى منكم على قومكم وعقوق، ووالله ما أحب أن رجلاً من جراد لقيناهم.

تحذير عبد الله بن أبي عاقبة الغدر وقد بلغني أنهم يقولون: هؤلاء قومنا ممنوعونا الحياة أفيمنعونا الموت! والله إني أرى قوماً لا ينتهون أو يهلكوا عامتكم، وإني لأخاف إن قاتلوكم أن ينصروا عليكم لبغيتكم عليهم، فقاتلوا قومكم كما كنتم تقاتلوهم، فإذا ولوا فخلوا عنهم، فإذا هزموكم فدخلتم أذن البيوت خلوا عنكم. فقال له عمرو بن النعمان: انتفخ والله سحرك يا أبا الحارث حين بلغك حلف الأوس قريظة والنضير! فقال عبد الله: والله لا حضرتكم أبداً، ولا أحد أطاعني أبداً، ولكأني أنظر إليك قتيلاً تحملك أربعة في عباءة .

توليه الخزرج عمرو بن النعمان أمر حربهم وتابع عبد الله بن أبي رجال من الخزرج، منهم عمرو بن الجموح الحرامي. واجتمع كلام الخزرج على أن رأسوا عليهم عمرو بن النعمان البياضي، وولوه أمر حربهم، ولبثت الأوس والخزرج أربعين ليلة يتصنعون للحرب، ويجمع بعضهم لبعض، ويرسلون إلى حلفائهم من قبائل العرب. حضير الكتائب يحرض الأوس على القتال فأرسلت الخزرج إلى جهينة وأشجع، فكان الذي ذهب إلى أشجع ثابت بن قيس بن شماس، فأجابوه، وأقبلوا إليهم، وأقبلت جهينة إليهم أيضاً. وأرست الأوس إلى مزينة، وذهب حضير الكتائب الأشهلي إلى أبي قيس بن الأسلت، فأمره أن يجمع له أوس الله، فجمعهم له أبو قيس، فقام حضير، فاعتمد على قوسه، وعليه نمره تشف عن عورته، فحرضهم وأمرهم بالجد في حربهم، وذكر ما صنعت بهم الخزرج من إخراج النبيت وإذلال من تخلف من سائر الأوس، في كلام كثير.

استجابة الأوس لما أراده حضير

فجعل كلما ذكر ما صنعت بهم الخزرج وما ركبه منهم يستشيط ويجمى، وتقلص خصيته، حتى تغيبا، فإذا كلموه بما يجب تدلتا حتى ترجعا إلى حالهما. فأجابته أوس الله بالذي يجب من النصرة والموازرة والجد في الحرب.

قال هشام: فحدثني عبد المجيد بن أبي عيسى، عن خير، عن أشياخ من قومه: أن الأوس اجتمعت يومئذ إلى حضير بموضع يقال له الجبابة، فأجالوا الرأي، فقالت الأوس: إن ظفرنا بالخزرج لم نبق منهم أحداً ولم نقاتلهم كما كنا نقاتلهم. فقال حضير: يا معشر الأوس؛ ما سميتم الأوس إلا لأنكم تؤوسون الأمور الواسعة. ثم قال:

**لمعشر قد قتلوا الخيارا**

**يا قوم قد أصبحتم دواراً**

**يوشك أن يستأصلوا الديار**

قال: ولما اجتمعت بالجبابة طرخوا بين أيديهم تمراً، وجعلوا يأكلون وحضير الكتائب جالس، وعليه بردة له قد اشتمل بها الصماء، وما يأكل معهم، ولا يدنو إلى التمر غضباً وحنقاً.

عقد الرياسة له فقال: يا قوم، اعقدوا لأبي قيس بن الأسلت. فقال لهم أبو قيس: لا أقبل ذلك؛ فإني لم أرأس

على قوم في حرب قط إلا هزموا وتشاءموا برياسيتي. وجعلوا ينظرون إلى حضير واعتزاله أكلهم واشتغاله بما هم فيه من أمر الحرب، وقد بدت خصيته من تحت البرد، فإذا رأى منهم ما يكره من الفتور والتخاذل تقلصتا غيظاً وغضباً، وإذا رأى منهم ما يجب من الجد والتشمير في الحرب عادتا لحالهما.

وأجابت إلى ذلك أوس مناة، وجدوا في الموازرة والمظاهرة. وقدمت مزينة على الأوس، فانطلق حضير وأبو عامر الراهب بن صيفي إلى أبي قيس بن الأسلت، فقالا: قد جاءتنا مزينة، واجتمع إلينا من أهل يثرب ما لا قبل للخزرج به، فما الرأي إن نحن ظهرنا عليهم: الإنجاز أم البقية؟ فقال أبو قيس: بل البقية، فقال أبو عامر: والله لو ددت أن مكأنهم ثعلباً ضباحاً. فقال أبو قيس: اقتلوهم حتى يقولوا: بزا بزا - كلمة كانوا يقولونها إذا غلبوا - فتشاجروا في ذلك، وأقسم حضير ألا يشرب الخمر أو يظهر ويهدم مزاحماً أطم عبد الله بن أبي.

حضير الكتاب يقسم على هدم مزاحم أطم عبد الله بن أبي فلبثوا شهرين يعدون ويستعدون، ثم التقوا ببعث، وتخلف من الأوس بنو حارثة بن الحارث، فبعثوا إلى الخزرج: إنا والله ما نريد قتالكم. فبعثوا إليهم أن ابعثوا إليها برهن منكم يكونون في أيدينا، فبعثوا إليهم اثني عشر رجلاً، منهم حديج، أبو رافع بن حديج. وبعث: من أموال بني قريظة، فيها مزرعة يقال لها قورى؛ فلذلك تدعى بعث الحرب.

حشد القوات وحشد الحيان فلم يتخلف عنهم إلا من لا ذكر له. ولم يكونوا حشدوا قبل ذلك في يوم التقوا فيه، فلما رأت الأوس الخزرج أعظموهم، وقالوا لحضير: يا أبا أسيد، لو حاجزت القوم، وبعثت إلى من تخلف من حلفائك من مزينة! فطرح قوساً كانت في يده، ثم قال: أنتظر مزينة، وقد نظر إلي القوم ونظرت إليهم! الموت قبل ذلك.

فرار الأوس من المعركة ثم حمل وحملوا، فاقتتلوا قتالاً شديداً، فانهمزت الأوس حين وجدوا مس السلاح، فولوا مصعدين في حرة قورى نحو العريض، وذلك وجه طريق نجد. الخزرج يعيرون الأوس فترل حضير، وصاحت بهم الخزرج: أين الفرار؟ ألا إن نجداً سنة - أي مجدب - يعيرونهم.

حضير يعقر نفسه ليثبت قومه فلما سمع حضير طعن بسنان رجمه فخذه، ونزل وصاح: واعقراه! والله لا أريم حتى أقتل، فإن شئتم يا معشر الأوس أن تسلموني فافعلوا. فتعطف عليه الأوس، وقام على رأسه غلامان من بني عبد الأشهل، يقال لهما: محمود وليد - ابنا خليفة بن ثعلبة - وهما يومئذ معرسان ذوا بطش، فجعلا يرتجزان ويقولان:

**في الحرب إذا دارت بنا رحانا**

**أي غلامي ملك ترانا**

**وعدد الناس لنا مكانا**

مقتل عمرو بن النعمان فقاتلا حتى قتلا، وأقبل سهم حتى أصاب عمرو بن النعمان رأس الخزرج فقتله، لا يدرى من رمى به، إلا أن بني قريظة تزعم أنه سهم رجل يقال له أبو لبابة، فقتله.

فبينما عبد الله بن أبي يتردد على بغلة له قريباً من بعث، يتحسس أخبار القوم، إذ طلع عليه بعمر بن النعمان ميتاً في عباءة، يحمله أربعة إلى داره. فلما رآه عبد الله بن أبي قال: من هذا؟ قالوا: عمرو بن النعمان. قال: ذق وبال العقوق.

انهزام الخزرج

وانهزمت الخزرج، ووضعت الأوس فيهم السلاح، وصاح صائح: يا معشر الأوس، اسجحوا ولا تهللكوا إختوكتكم فجوارهم خير من جوار الثعالب.

قريظة والنضير تسلبان الخزرج فتنهت الأوس، وكفت عن سلبهم بعد إيثان فيهم، وسلبتهم قريظة والنضير، وحملت الأوس حضيراً من الجراح التي به، وهم يرتجزون حوله ويقولون:

لا كهلهما هدّ ولا فتاها

كتيبة زينها مولاها

تحريق الأوس نخل الخزرج ودورهم وجعلت الأوس تحرق على الخزرج نخلها ودورها؛ فخرج سعد بن معاذ الأشهلي حتى وقف على باب بني سلمة، وأجارهم وأمواهم جزاء لهم بيوم الرعل وكان للخزرج على الأوس يوم يقال له يوم مغلس ومضرس. وكان سعد بن معاذ حمل يومئذ جريحاً إلى عمرو بن الجموح الحرامي، فمن عليه وأجاره وأخاه يوم رعل، وهو على الأوس، من القطع والحرق، فكافأه سعد بمثل ذلك في يوم بعث. وأقسم كعب بن أسد القرظي ليدلن عبد الله بن أبي، وليحلقن رأسه تحت مزاحم؛ فناداه كعب: انزل يا عدو الله. فقال له عبد الله: أنشدك الله وما خذلت عنكم. فسأل عما قال، فوجده حقاً، فرجع عنه.

العدول عن هدم أطم عبد الله بن أبي وأجمعت الأوس على أن تدم مزاحماً أطم عبد الله بن أبي، وحلف حضير ليهدمه، فكلم فيه، فأمرهم أن يريثوا فيه، فحفروا فيه كوة. وأفلت يومئذ الزبير بين إياس بن باطا ثابت بن قيس بن شماس أخا بني الحارث بن الخزرج، وهي النعمة التي كافأه بها ثابت في الإسلام يوم بني قريظة.

أبو قيس بن الأسلت لا يوافق على هدم دور الخزرج وخرج حضير الكتائب وأبو عامر الراهب حتى أتيا قيس بن الأسلت بعد الهزيمة، فقال له حضير: يا أبا قيس؛ إن رأيت أن تأتي الخزرج قصراً قصراً وداراً داراً، نقتل ونهدم، حتى لا يبقى منهم أحد! فقال أبو قيس: والله لا نفعل ذلك؛ فغضب حضير، وقال: ما سميت الأوس إلا لأنكم تؤوسون الأمر أوساً. ولو ظفرت منا الخزرج بمثلها ما أقالوناها. ثم انصرف إلى الأوس، فأمرهم بالرجوع إلى ديارهم.

موت حضير من جروحه وكان حضير جرح يومئذ جراحة شديدة، فذهب به كليب بن صيفي بن عبد الأشهل إلى منزله في بني أمية بن زيد، فلبث عنده أياماً ثم مات من الجراحة التي كانت به، فقبره اليوم في بني أمية بن زيد.

يهودي أعشى يتتبع سير القتال وكان يهودي أعشى من بني قريظة يومئذ في أطم من آطامهم، فقال لابنة له: أشرفني على الأطم، فانظري ما فعل القوم، فأشرفت، فقالت: أسمع الصوت قد ارتفع في أعلى قورى، وأسمع قائلاً

يقول: اضربوا يا آل الخزرج. فقال: الدولة إذاً على الأوس، لا خير في البقاء. ثم قال: ماذا تسمعون؟ قالت: أسمع رجالاً يقولون: يا آل الأوس، ورجالاً يقولون: يا آل الخزرج. قال: الآن حمي القتال. ثم لبث ساعة، ثم قال: أشرفي فاسمعي، فأشرفت، فقالت: اسمع قوماً يقولون:

### نحن بنو صخرة أصحاب الرعل

قال: تلك بنو عبد الأشهل، فظفرت والله الأوس - وصخرة أمهم بنت مرة بن ظفر أم بني عبد الأشهل - ثم وثب فرحاً نحو باب الأطم فضرب رأسه بخلق بابه، وكان من حجارة فسقط فمات. وكان أبو عامر قد حلف ليركزن رحمه في أصل مزاحم أطم عبد الله بن أبي، فخرجت جماعة من الأوس حتى أحاطوا به، وكانت تحت أبي عامر جميلة بنت عبد الله بن أبي، وهي أم حنظلة الغسيل بن أبي عامر، فأشرف عليهم عبد الله، فقال: إني والله ما رضيت هذا الأمر، ولا كان عن رأيي، وقد عرفتم كراهتي له، فانصرفوا عني، فقال أبو عامر: لا والله، لا أنصرف حتى أركز لوائي في أصل أطمك. فلما رأى حنظلة أنه لا ينصرف، قال لهم: إن ابي شديد الوجد بي، فأشرفوا بي عليه، ثم قولوا: والله لئن لم تنصرف عنا لنرمين برأسه إليك. فقالوا ذلك له، فركز رحمه في أصل الأطم ليمينه ثم انصرف، فذلك قول قيس بن الخطيم:

### صبحنا به الأظام حول مزاحم قوانس أولى بيضنا كالكواكب

أبو قيس بن الأسلت يأسر مخلد بن الصامت ثم يخلي سبيله وأسر أبو قيس بن الأسلت يومئذ مخلد بن الصامت الساعدي أبا مسلمة بن مخلد، اجتمع إليه ناس من قومه من مزينة ومن يهود، فقالوا: اقتله، فأبى، وحلى سبيله، وأنشأ يقول:

أسرت مخلداً فعفوت عنه وعند الله صالح ما أتيت

مزينة عنده ويهود قورى وقومي كل ذلكم كفيت

خفاف بن ندبة يرثي حضير الكتاب

وقال خفاف بن ندبة، يرثي حضير الكتاب - وكان ندمه وصديقه -:

لو أن المنايا حدن عن ذي مهابة لهبن حضيراً يوم أغلق واقما

أطاف به حتى إذا الليل جنه تبوا منه منزلاً متناعما

وقال أيضاً يرثيه:

أتاني حديث فكذبته وقيل: خليلك في المرمس

فيا عين بكى حضير الندى حضير الكتاب والمجلس

ويوم شديد أوار الحديد

د ما بين سلع إلى الأعرس

ونقى ثيابك لم تندنس

صليت به و عليك الحدي

فأودى بنفسك يوم الوغى

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار، قال: حدثني داود بن محمد بن جميل، عن ابن الأعرابي، قال: قال لي الهيثم بن عدي: كنا جلوساً عند صالح بن حسان، فقال لنا: وأخبرني عمي عن الكراني، عن النوشجاني، عن العمري، عن الهيثم بن عدي، قال: قال لنا صالح بن حسان، وأخبرني به الأخفش عن المبرد، قال: قال لي صالح بن حسان: بيت حفر في امرأة حفرة شريفة أنشدوني بيتاً حفر في امرأة حفرة شريفة، فقلنا: قول حاتم:

يضيء لنا البيت الظليل خصاصه

إذا هي يوماً حاولت أن تبسما

فقال: هذه من الأصنام، أريد أحسن من هذا. قلنا: قول الأعشى:

كأن مشيتها من بيت جارتها

مر السحابة لا ريث ولا عجل

فقال: هذه خراجة ولاجة كثيرة الاختلاف. قلنا: بيت ذي الرمة:

تنوء بأخرها فلاياً قيامها

وتمشي الهوينا من قريب فتبهر

فقال: هذا ليس ما أردت، إنما وصف هذه بالسمن، وثقل البدن. فقلنا: ما عندنا شيء. فقال: قول أبي قيس بن الأسل:

ويكرمها جاراتها فيزرنها

وتعتل عن إتيانهن فتعذر

وليس لها أن تستهين بجارة

ولكنها منهن تحيا وتخفر

أحسن بيت وصفت به الثريا ثم قال: أنشدوني أحسن بيت وصفت به الثريا. قلنا: بيت ابن الزبير الأسدي:

وقد لاح في القور الثريا كأنما

به راية بيضاء تخفق للطعن

قال: أريد أحسن من هذا، قلنا: بيت امرئ القيس:

إذا ما الثريا في السماء تعرضت

تعرض أثناء الوشا المفصل

قال: أريد أحسن من هذا. قلنا: بيت ابن الطثرية:

إذا ما الثريا في السماء كأنها

جمان وهي من سلكه فتسرعا

قال: أريد أحسن من هذا. قلنا: ما عندنا شيء. قال: قول أبي قيس بن الأسل:

وقد لاح في الصبح الثريا لمن رأى

كعنقود ملاحية حين نورا

أبو قيس يحكم له بالتقدم في المعنيين السابقين قال: فحكم له عليهم في هذين المعنيين بالتقدم.

استشهاد عبد الملك بشعره في خطبته بعد مقتل مصعب بن الزبير أخبرني الحرمي بن أبي العلاء، قال: حدثنا

الحسين بن أحمد بن طالب الديناري، قال: حدثني أبو عدنان، قال: حدثني الهيثم بن عدي، قال: حدثني الضحاك بن زميل السكسكي، قال: لما قتل عبد الملك بن مروان مصعب بن الزبير خطب الناس بالنخيلة، فقال في خطبته: أيها الناس، دعوا الأهواء للمضلة، والآراء المشتتة، ولا تكلفونا أعمال المهاجرين وأنتم لا تعملون بها؛ فقد جاريتمونا إلى السيف، فرأيتم كيف صنع الله بكم، ولا أعرفنكم بعد الموعدة تزدادون جراءة؛ فإني لا أزداد بعدها إلا عقوبة، وما مثلي ومثلكم إلا كما قال أبو قيس بن الأسلت:

من يصل ناري بلا ذنب ولا ترة  
 أنا النذير لكم مني مجاهرة  
 يصل بنار كريم غير غدار  
 كي لا ألام على نهى وإعذار  
 فإن عصيتم مقالي اليوم فاعترفوا  
 أن سوف تلقون خزيًا ظاهر العار  
 لتتركن أحاديثًا ملعنة  
 عند المقيم وعند المدلج الساري  
 وصاحب الوتر ليس الدهر مدركه  
 عندي وإني لطلاب لأوتار  
 أقيم عوجته إن كان ذا عوج  
 كما يقوم قدح النبعة الباري

### صوت

ترفع أيها القمر المنير  
 لعلك أن ترى حجراً يسير  
 يسير إلى معاوية بن حرب  
 ليقتله كما زعم الأمير  
 ألا يا حجر حجر بني عدي  
 تلقفتك السلامة والسرور

تتعمت الجبابر بعد حجر  
 وطاب لها الخورنق والسدير

الشعر لامرأة من كندة ترثي حجر بن عدي صاحب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، والغناء لحكم الوادي رمل بالوسطى، وفيه لحنين هزج خفيف بالوسطى عن ابن المكي والمشماني.

### خبر مقتل حجر بن عدي

حدثني أحمد بن عبيد الله بن عمار، قال: حدثنا سليمان بن أبي شيخ، قال: حدثنا محمد بن الحكم، قال: حدثنا أبو مخنف، قال: حدثنا خالد بن قطن، عن المجالد بن سعيد الهمداني، والصقعب بن زهير، وفضيل بن خديج، والحسن بن عقبة المرادي، وقد اختصرت جملاً من ذلك يسيرة؛ تحرزاً من الإطالة:

استنكاره ذم علي بن أبي طالب ولعنه

أن المغيرة بن شعبة لما ولي الكوفة كان يقوم على المنبر فيذم علي بن أبي طالب وشيعته، وينال منهم، ويلعن قتلة عثمان، ويستغفر لعثمان ويزكيه، فيقوم حجر بن عدي فيقول: "يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم"، وإني أشهد أن من تدمون أحق بالفضل ممن تطرون، ومن تزكون أحق بالذم ممن تعيبون.

### المغيرة بن شعبة يحذره

فيقول له المغيرة: يا حجر، ويحك! اكف من هذا، واتق غضبة السلطان وسطوته؛ فإنها كثيراً ما تقتل مثلك. ثم يكف عنه.

### صرخة ثائرة منه

فلم يزل كذلك حتى كان المغيرة يوماً في آخر أيامه يخطب على المنبر، فنال من علي بن أبي طالب، ولعنه، ولعن شيعته، فوثب حجر فعر نكرة أسمعت كل من كان في المسجد وخارجه. فقال له: إنك لا تدري أيها الإنسان بمن تولع، أو هرمت! مر لنا بأعطياتنا وأرزاقنا؛ فإنك قد حبستها عنا، ولم يكن ذلك لك ولا لمن كان قبلك، وقد أصبحت مولعاً بدم أمير المؤمنين وتقريظ المجرمين.

استجابة لصرخة الثائر فقام معه أكثر من ثلاثين رجلاً يقولون: صدق والله حجر! مر لنا بأعطياتنا؛ فإننا لا ننتفع بقولك هذا، ولا يجدي علينا، وأكثروا في ذلك.

قوم المغيرة يلومونه في احتماله إياه فتزل المغيرة ودخل القصر، فاستأذن عليه قومه، ودخلوا ولاموه في احتماله حجراً، فقال لهم: إني قد قتلتته. قالوا: وكيف ذلك؟ قال: إنه سيأتي أمير بعدي فيحسبه مثلي فيصنع به شبيهاً بما ترونه، فيأخذه عند أول وهلة فيقتله شر قتلة. إنه قد اقترب أجلي، وضعف عملي، وما أحب أن أبتدىء أهل هذا المصر بقتل خيارهم وسفك دمائهم، فيسعدوا بذلك وأشقى، ويعز معاوية في الدنيا ويذل المغيرة في الآخرة، سيذكروني لو قد حربوا العمال.

قال الحسن بن عقبه: فسمعت شيخاً من الحبي يقول: قد والله حربناهم فوجدناه خيرهم. زياد يذكره بصداقته ويحذره ما كان يفعل مع المغيرة قال: ثم هلك المغيرة سنة خمسين، فجمعت الكوفة والبصرة لزياد، فدخلها، ووجه إلى حجر فجاءه، وكان له قبل ذلك صديقاً، فقال له: قد بلغني ما كنت تفعله بالمغيرة فيحتمله منك؛ وإني والله لا أحتملك على مثل ذلك أبداً، رأيت ما كنت تعرفني به من حب علي ووده، فإن الله قد سلخه من صدري فصيره بغضاً وعداوة، وما كنت تعرفني به من بغض معاوية وعداوته فإن الله قد سلخه من صدري وحوله حباً ومودة وإني أخوك الذي تعهد، إذا أتيتني وأنا جالس للناس فاجلس معي على مجلسي، وإذا أتيت ولم أجلس للناس فاجلس حتى أخرج إليك، ولك عندي في كل يوم حاجتان: حاجة غدوة، وحاجة عشية، إنك إن تستقم تسلم لك دنياك ودينك، وإن تأخذ يميناً وشمالاً تهلك نفسك وتشط عندي دمك، إني لا

أحب التنكيل قبل التقدمة، ولا آخذ بغير حجة، اللهم اشهد. فقال حجر: لن يرى الأمير مني إلا ما يجب، وقد نصح، وأنا قابل نصيحته.

ثم خرج من عنده، فكان يتقيه ويهايه، وكان زياد يدينه ويكرمه ويفضله، والشيعية تختلف إلى حجر وتسمع منه. زياد ينذره قبل خروجه إلى البصرة

وكان زياد يشتمو بالبصرة، ويصيف بالكوفة، ويستخلف على البصرة سمرة بن جندب، وعلى الكوفة عمرو بن حريث، فقال له عمارة بن عقبة: إن الشيعة تختلف إلى حجر، وتسمع منه، ولا أراه عند خروجك إلا نائراً، فدعاه زياد فحذره ووعظه. وخرج إلى البصرة، واستعمل عمرو بن حريث، فجعلت الشيعة تختلف إلى حجر، ويجيء حتى يجلس في المسجد فتجتمع إليه الشيعة، حتى يأخذوا ثلث المسجد أو نصفه، وتطيف بهم النظارة، ثم يمتلئ المسجد، ثم كثروا، وكثر لغطهم، وارتفعت أصواتهم بدم معاوية وشتمه ونقص زياد. وبلغ ذلك عمرو بن حريث، فصعد المنبر، واجتمع إليه أشراف أهل المصر فحثهم على الطاعة والجماعة. وحذرهم الخلاف؛ فوثب إليه عنق من أصحاب حجر يكبرون ويشتمون، حتى دنوا منه، فحصبوه وشتموه حتى نزل ودخل القصر، وأغلق عليه بابه، وكتب إلى زياد بالخبر، فلما أتاه أنشد يتمثل بقول كعب بن مالك:

### فلما غدوا بالعرض قال سرانتنا: علام إذا لم نمنع العرض نزرع

ما أنا بشيء إن لم أمنع الكوفة من حجر، وأدعه نكالا لمن بعده، ويل أمك حجر! لقد سقط بك العشاء على سرحان .

عودة زياد إلى الكوفة ثم أقبل حتى أتى الكوفة، فدخل القصر، ثم خرج وعليه قباء سندس، ومطرف خز أخضر، وحجر جالس في المسجد، وحوله أصحابه ما كانوا. فصعد المنبر فخطب وحذر الناس، ثم قال لشداد بن المهيثم الهلالي أمير الشرط: اذهب فائتني بحجر، فذهب إليه فدعاه، فقال أصحابه: لا يأتيه ولا كرامة. فسبوا الشرط، فرجعوا إلى زياد فأخبروه، فقال: يا أشراف أهل الكوفة! أتشجون بيد وتأسون بأخرى؟ أبدانكم عندي، وأهواؤكم مع هذه المهجاجة المذبوب . أنتم معي وإخوتكم وأبناؤكم وعشيرتكم مع حجر.

استعداء زياد أشراف الكوفة عليه فوثبوا إلى زياد فقالوا: معاذ الله أن يكون لنا فيما ها هنا رأي إلا طاعتك وطاعة أمير المؤمنين، وكل ما ظننت أن يكون فيه رضاك فمرنا به. قال: ليقم كل امرئ منكم إلى هذه الجماعة التي حول حجر، فليدع الرجل أخاه وابنه وذا قرابته ومن يطيعه من عشيرته، حتى تقيموا عنه كل من استطعتم. ففعلوا، وجعلوا يقيمون عنه أصحابه حتى تفرق أكثرهم وبقي أقلهم.

أمر زياد بإحضاره فلما رأى زياد خفة أصحابه قال لصاحب شرطته: اذهب فائتني بحجر، فإن تبعك وإلا فمر من معك أن ينتزعوا غمد السيوف، ثم يشدوا عليه حتى يأتوا به، ويضربوا من حال دونه.

أصحابه يمنعونه من الذهاب إلى زياد فلما أتاه شداد قال له: أجب الأمير، فقال أصحاب حجر: لا والله ولا نعمة عين، لا يجيبه. فقال لأصحابه: علي بعمد السيوف، فاشتدوا إليها، فأقبلوا بها، فقال عمير بن زيد الكلبي

أبو العمرطة : إنه ليس معك رجل معه سيف غيري، فما يعني سيفي! قال: فما ترى؟ قال: قم من هذا المكان، فالحق بأهلك يمنعك قومك.

موت عمرو بن الحمق من ضربة عمود فقام زياد ينظر على المنبر إليهم فغشوا حجراً بالعمد، فضرب رجل من الحمراء يقال له: بكر بن عبيد رأس عمرو بن الحمق بعمود فوقع.

توارى حجر في منازل الأزدي وأتاه أبو سفيان بن العويمر والعجلان بن ربيعة - وهما رجلان من الأزدي - فحملاه، فأتيا به دار رجل من الأزدي يقال له عبيد الله بن موعذ ، فلم يزل بها متوارياً حتى خرج منها. الثأر من ضارب عمرو بن الحمق قال أبو مخنف: فحدثني يوسف بن زياد، عن عبيد الله بن عوف ، قال: لما انصرفنا عن عروة باجميري قبل قتل عبد الملك مصعباً بعام، فإذا أنا بالأحمري الذي ضرب عمرو بن الحمق يسايرني؛ ولا والله ما رأيته منذ ذلك اليوم، وما كنت أرى لو رأيته أن أعرفه، فلما رأيته ظننته هو هو، وذلك حين نظرنا إلى أبيات الكوفة، فكرهت أن أسأله: أنت ضارب عمرو بن الحمق، فيكابري، فقلت له: ما رأيته منذ اليوم الذي ضربت فيه رأس عمرو بن الحمق بالعمود في المسجد فصرعته حتى يومي، ولقد عرفتك الآن حين رأيته.

فقال لي: لا تعدم بصرك، ما أثبت نظرك! كان ذلك أمر السلطان أما والله لقد بلغني أنه قد كان أمراً صالحاً، ولقد ندمت على تلك الضربة، فأستغفر الله.

فقلت له: الآن ترى، لا والله لا أفرق أنا وأنت حتى أضربك في رأسك مثل الضربة التي ضربتها عمرو بن الحمق وأموت أو تموت.

قال: فناشدني وسألني بالله. فأبيت عليه، ودعوت غلاماً يدعى رشيداً من سبي أصبهان معه قناة له صلبة، فأخذته منه ثم أحمل عليه ، فترل عن دابته، فألحقه حين استوت قدماه على الأرض، فأصفق بها هامته، فخر لوجهه، وتركته ومضيت، فبرأ بعد ذلك، فلقيته مرتين من دهري، كل ذلك يقول لي: الله بيني وبينك. فأقول له: الله بينك وبين عمرو بن الحمق.

رجع الحديث إلى سياقه الأول أمر زياد بعض القبائل أن يأتوه به قال: فقال زياد - وهو على المنبر - لتقم همدان وتميم وهوازن وأبناء بغيض ومذحج وأسد وغطفان فليأتوا جبانة كندة، وليمضوا من ثم إلى حجر، فليأتوني به. ثم كره أن تسير مضر مع اليمن، فيقع شغب واختلاف، أو تنشب الحمية فيما بينهم. فقال: لنقم تميم وهوازن وأبناء بغيض وأسد وغطفان، ولتمض مذحج وهمدان إلى جبانة كندة، ثم ليمضوا إلى حجر فليأتوني به، وليسر أهل اليمن حتى يتزلوا جبانة الصيداوين ، وليمضوا إلى صاحبهم فليأتوني به.

فخرجت الأزدي وختعم والأنصار وقضاة وخزاعة، فترلوا جبانة الصيداوين، ولم تخرج حضرموت مع اليمن لمكاهم من كندة.

عبد الرحمن بن مخنف يشير على أهل اليمن برأي قال أبو مخنف: فحدثني سعيد بن يحيى بن مخنف، عن محمد بن مخنف، قال: فإني لمع أهل اليمن وهم يتشاورون في أمر حجر، فقال لهم عبد الرحمن بن مخنف: أنا مشير عليكم برأي، فإن قبلتموه رجوت أن تسلموا من اللائمة والإثم: أن تلبثوا قليلاً حتى تكفيكم عجلة في شباب مذحج وهمدان ما تكرهون أن يكون من مساءة قومكم في صاحبكم.

فأجمع رأيهم على ذلك، فلا والله ما كان إلا كلاً ولا حتى أتينا فقبل لنا: إن شباب مذحج وهمدان قد دخلوا، فأخذوا كل ما وجدوا في بني بجيلة.

حجر يشير على أصحابه أن ينصرفوا عنه قال: فمر أهل اليمن على نواحي دور كندة معذرين، فبلغ ذلك زياداً، فأثنى على مذحج وهمدان، وذم أهل اليمن. فلما انتهى حجر إلى داره ورأى قلة من معه قال لأصحابه: انصرفوا، فوالله ما لكم طاقة بمن اجتمع عليكم من قومكم، وما أحب أن أعرضكم للهلاك. فذهبوا لينصرفوا، فلحقهم أوائل خيل مذحج وهمدان، فعطف عليهم عمير بن يزيد، وقيس بن يزيد، وعبيدة بن عمرو، وجماعة، فتقاتلوا معهم، فقاتلوا عنه ساعة فجرحوا، وأسر قيس بن يزيد، وأفلت سائر القوم، فقال لهم حجر: لا أبا لكم! تفرقوا لا تقتلوا؛ فإني أخذ في بعض هذه الطرق.

يدخل دار سليمان بن يزيد ثم يخرج منها إلى دور بني العنبر ثم أخذ نحو طريق بني حرب من كندة، حتى أتى دار رجل منهم يقال له سليمان بن يزيد، فدخل داره، وجاء القوم في طلبه، ثم انتهوا إلى تلك الدار، فأخذ سليمان بن يزيد سيفه، ثم ذهب ليخرج إليهم، فبكت بناته، فقال له حجر: ما تريد؟ لا أبا لك! فقال له: أريد والله أن ينصرفوا عنك؛ فإن فعلوا وإلا ضاربتهم بسيفي هذا ما ثبت قائمه في يدي دونك. فقال له حجر: بئس والله إذن ما دخلت به على بناتك! أما في دارك هذه حائط أفتحمه أو خوخة أخرج منها، عسى الله أن يسلمني منهم ويسلمك؛ فإن القوم إن لم يقدروا علي في دارك لم يضرك أمرهم. قال: بلى، هذه خوخة تخرجك إلى دور بني العنبر من كندة، فخرج معه فتية من الحي يقصون له الطريق، ويسلكون به الأزقة، حتى أفضى إلى النخع، فقال عند ذلك: انصرفوا، رحمكم الله.

يدخل دار عبد الله بن الحارث ثم يخرج منها إلى دار ربيعة بن ناجذ فانصرفوا عنه، وأقبل إلى دار عب الله بن الحارث أخي الأشتر، فدخلها، فإنه لكذلك قد ألقى له عبد الله الفرش، وبسط له البسط، وتلقاه ببسط الوجه وحسن البشر إذ أتى فقبل له: إن الشرط تسأل عنك في النخع وذلك أن أمة سوداء يقال لها أدماء لقبتهم فقالت لهم: من تطلبون؟ قالوا: نطلب حجراً، فقالت: هو ذا قد رأيته في النخع، فانصرفوا نحو النخع؛ فخرج متنكراً، وركب معه عبد الله ليلاً حتى أتى دار ربيعة بن ناجذ الأزدي، فترل بها، فمكث يوماً وليلة.

زياد يأمر محمد بن الأشعث أن يأتيه بحجر

فلما أعجزهم أن يقدروا عليه دعا زياد محمد بن الأشعث فقال: أما والله لتأتيني بحجر أو لا أدع لك نخلة إلا قطعتها، ولا داراً إلا هدمتها، ثم لا تسلم مني بذلك حتى أقطعك إرباً إرباً. فقال له: امهلي أطلبه. قال: قد

أمهلتك ثلاثاً، فإن جئت به وإلا فاعدد نفسك من الهلكى. وأخرج محمد نحو السجن وهو منتقع اللون يتل تلاً عنيفاً . فقال حجر بن يزيد الكندي من بني مرة لزيد: ضمنيه وخل سبيله ليطلب صاحبه، فإنه مخلى سربه أخرى أن يقدر عليه منه إذا كان محبوباً. قال: أتضمنه لي؟ قال: نعم. قال: أما والله لئن حاص عنك لأوردنك شعوب، وإن كنت الآن علي كريماً. قال: إنه لا يفعل. فخلى سبيله.

ثم إن حجر بن يزيد كلمه في قيس بن يزيد، وقد أتى به أسيراً، فقال: ما عليه من بأس، قد عرفنا رأيه في عثمان رضي الله عنه، وبلاءه مع أمير المؤمنين بصفين، ثم أرسل إليه فأتي به، فقال: قد علمت أنك لم تقاتل مع حجر أنك ترى رأيه، ولكن قاتلت معه حمية، وقد غفرنا لك لما نعلمه من حسن رأيك، ولكن لا أدعك حتى تأتيني بأخيك عمير. قال: أتيتك به إن شاء الله. قال: هات من يضمه معك. قال: هذا حجر بن يزيد. قال حجر: نعم، على أن تؤمنه على ماله ودمه. قال: ذلك لك.

فانطلقا فأتيا به، فأمر به فأوقر حديداً، ثم أخذته الرجال ترفعه، حتى إذا بلغ سررها ألقوه، فوقع على الأرض، ثم رفعوه فألقوه، ففعل به ذلك مراراً، فقام إليه حجر بن يزيد، فقال: أو لم تؤمنه؟ قال: بلى، لست أهريق له دماً، ولا آخذ له مالاً. فقال: هذا يشفي به على الموت.

وقام كل من كان عنده من أهل اليمن، فكلموه فيه، فقال: أتضمنونه لي بنفسه متى أحدث حدثاً أتتموني به؟ قالوا: نعم. فخلى سبيله.

يطلب من ابن الأشعث أن يسأل زياداً الأمان له حتى يأتي معاوية ومكث حجر في منزل ربيعة بن ناجذ يوماً وليلة، ثم بعث إلى ابن الأشعث غلاماً يدعى رشيداً من سبي أصبهان، فقال له: إنه قد بلغني ما استقبلك به هذا الجبار العنيد، فلا يهولنك شيء من أمره؛ فإني خارج إليك، فاجمع نفرًا من قومك، وادخل عليه، واسأله أن يؤمنني حتى يبعثني إلى معاوية، فيرى في رأيه.

زيد يأمر بحبسه فخرج محمد إلى حجر بن يزيد، وجرير بن عبد الله، وعبد الله أخي الأشر، فدخلوا إلى زياد فطلبوا إليه فيما سأله حجر، فأجاب، فبعثوا إليه رسولا يعلمونه بذلك. فأقبل حتى دخل على زياد، فقال له: مرحباً يا أبا عبد الرحمن، حرب في أيام الحرب، وحرب وقد سالم الناس! "على نفسها تجني براقش"، فقال له: ما خلعت يداً على طاعة، ولا فارقت جماعة، وإني لعلى بيعتي. فقال: هيهات يا حجر، أتشج بيد وتأسو بأخرى، وتريد إذا أمكننا الله منك أن ترضى! هيهات والله! فقال: ألم تؤمنني حتى آتي معاوية، فيرى في رأيه. قال: بلى، انطلقوا به إلى السجن.

زيد يطلب رؤوس أصحاب حجر فلما مضى به قال: أما والله لولا أمانه ما برح حتى يلقط عصبه. فأخرج وعليه برنس في غداة باردة، فحبس عشر ليال، وزيد ما له عمل غير الطلب لرؤوس أصحاب حجر.

عمرو بن الحمق ورفاعة بن شداد يكمنان في جبل بالموصل فخرج عمرو بن الحمق، ورفاعة بن شداد حتى نزلا المدائن، ثم ارتحلا حتى أتيا الموصل، فأتيا جبلاً فكما فيه، وبلغ عامل ذلك الرستاق - وهو رجل من همدان يقال

له عبيد الله بن أبي بلتعة - خبرهما، فسار إليهما في الخيل، ومعه أهل البلد، فلما انتهى إليهما خرجا، فأما عمرو فكان بطنه قد استسقى ، فلم يكن عنده امتناع.

عمرو بن الحمق يقع أسيراً ورفاعة ينجو بنفسه وأما رفاعه فكان شاباً قوياً فوثب على فرس له جواد، وقال لعمرو: أقاتل عنك. قال: وما ينفعني أن تقتل؟ انج بنفسك، فحمل عليهم، فأفرجوا له حتى أخرجوه فرسه، وخرجت الخيل في طلبه، وكان رامياً فلم يلحقه فارس إلا رماه، فجرحه أو عقره، فانصرفوا عنه؛ فأخذ عمرو بن الحمق، فسأله: من أنت؟ فقال: من إن تركتموه كان أسلم لكم، وإن قتلتموه كان أضر عليكم، فسأله فأبى أن يخبرهم، فبعثوا به إلى عبد الرحمن بن عثمان، وهو ابن أم الحكم، الثقفي، فلما رأى عمراً عرفه. معاوية يأمر بقتل عمرو بن الحمق فكتب إلى معاوية بخبره. فكتب إليه معاوية: إنه زعم أنه طعن عثمان تسع طعنات، وإنه لا يتعدى عليه، فأطعنه تسع طعنات كما طعن عثمان.

رأس ابن الحمق يحمل إلى معاوية

فأخرج فطعن تسع طعنات، فمات في الأولى منهن أو في الثانية، وبعث برأسه إلى معاوية؛ فكان رأسه أول رأس حمل في الإسلام.

زياد يطلب من صيفي بن فسيل أن يعلن علماً فيأبى وجد زياد في طلب أصحاب حجر وهم يهربون منه، ويأخذ من قدر عليه منهم، فجاء قيس بن عباد الشيباني إلى زياد، فقال له: إن امرأ منا يقال له صيفي بن فسيل ، من رؤوس أصحاب حجر، وهو أشد الناس عليك؛ فبعث إليه فأبى به، فقال له زياد: يا عدو الله، ما تقول في أبي تراب؟ فقال: ما أعرف أبا تراب، قال: ما أعرفك به! أما تعرف علي بن أبي طالب! قال: بلى، قال: فذاك أبو تراب، قال: كلا، فذاك أبو الحسن والحسين. فقال له صاحب الشرطة: أيقول لك الأمير هو أبو تراب وتقول أنت: لا! قال: أفإن كذب الأمير أردت أن أكذب وأشهد له بالباطل كما شهد! قال له زياد: وهذا أيضاً مع ذنبك، علي بالعصي فأبى بها، فقال: ما قولك في علي! قال: أحسن قول أنا قائله في عبد من عبيد الله أقوله في أمير المؤمنين. قال: اضربوا عاتقه بالعصي حتى يلصق بالأرض، فضرب حتى لصق بالأرض. ثم قال: أقلعوا عنه، ما قولك فيه؟ قال: والله لو شرحتني بالمدني والمواسي ما زلت عما سمعت. قال: لتلعننه أو لأضربن عنقك. قال: إذاً والله تضربها قبل ذلك، فأسعد وتشقى إن شاء الله، قال: أوقروه حديداً واطرحوه في السجن.

زياد يأمر رؤوس الأرباع أن يشهدوا على حجر وأصحابه وجمع زياد من أصحاب حجر بن عدي اثني عشر رجلاً في السجن، وبعث إلى رؤوس الأرباع فأشخصهم، فحضروا، وقال: اشهدوا على حجر بما رأيتموه، وهم عمرو بن حريث، وخالد بن عرفطة، وقيس بن الوليد بن عبد شمس بن المغيرة، وأبو بردة بن أبي موسى، فشهدوا أن حجراً جمع إليه الجموع، وأظهر شتم الخليفة، وعيب زياد، وأظهر عذر ابي تراب والترحم عليه، والبراءة من عدوه، وأهل حربه، وأن هؤلاء الذين معه رؤوس أصحابه، وعلى مثل رأيه. فنظر زياد في الشهادة فقال: ما أظن هذه شهادة قاطعة، وأحب أن يكون الشهود أكثر من أربعة.

فكتب أبو بردة بن أبي موسى: "بسم الله الرحمن الرحيم. هذا ما شهد عليه أبو بردة بن أبي موسى لله رب العالمين، شهد أن حجر بن عدي خلع الطاعة، وفارق الجماعة، ولعن الخليفة، ودعا إلى الحرب والفتنة، وجمع إليه الجموع يدعوهم إلى نكث البيعة، وخلع أمير المؤمنين معاوية، وكفر بالله كفره صلحاء". فقال زياد: على مثل هذه الشهادة فاشهدوا، والله لأجهدن في قطع عنق الخائن الأحمق، فشهد رؤوس الأرباع الثلاثة الآخرون على مثل ذلك، ثم دعا الناس، فقال: اشهدوا على مثل ما شهد عليه رؤوس الأرباع. فقام عثمان بن شرحبيل التيمي أول الناس، فقال: اكتبوا اسمي. فقال زياد: ابدءوا بقريش، ثم اكتبوا اسم من نعرفه ويعرفه أمير المؤمنين بالصحة والاستقامة. فشهد إسحاق وموسى وإسماعيل بنو طلحة بن عبيد الله، والمنذر بن الزبير، وعمارة بن عقبة، وعبد الرحمن بن هبار، وعمر بن سعد بن أبي وقاص، وشهد عنان، ووائل بن حجر الحضرمي، وضرار بن هبيرة، وشداد بن المنذر أخو الحضيين بن المنذر، وكان يدعى ابن بزيعه. فكتب شداد بن بزيعه، فقال: أما لهذا أب ينسب إليه، ألغوا هذا من الشهود. فقليل له: إنه أخو الحضيين بن المنذر، فقال: انسبه إلى أبيه، فنسب، فبلغ ذلك شداداً، فقال: والمفاه على ابن الزانية؟ أو ليست أمه أعرف من أبيه؛ فوالله ما ينسب إلا إلى أمه سمية.

وشهد حجار بن ابجر العجلي، وعمرو بن الحجاج، ولبيد بن عطار، ومحمد بن عمير بن عطار، وأسماء بن خارجة، وثمر بن ذي الجوشن، وزحر بن قيس الجعفي، وشبث بن ربعي، وسماك بن مخزومة الأسدي صاحب مسجد سماك، ودعا المختار بن أبي عبيد، وعروة بن المغيرة بن شعبة إلى الشهادة فراغاً، وشهد سبعون رجلاً وائل بن حجر وكثير بن شهاب يذهبان إلى معاوية بكتاب زياد ومعهما جماعة من أصحاب حجر ودفع ذلك إلى وائل بن حجر، وكثير بن شهاب، وبعثهما عليهما وأمرهما أن يخرجوهما. وكتب في الشهود شريح بن الحارث، وشريح بن هانيء. فأما شريح بن الحارث فقال: سألتني عنه فقلت: أما إنه كان صواماً قواماً. وأما شريح بن هانيء فقال: بلغني أن شهادتي كتبت فأكذبت، ولنته.

وجاء وائل بن حجر وكثير بن شهاب فأخرجوا القوم عشية، وسار معهم أصحاب الشرط حتى أخرجوهم، فلما انتهوا إلى جبانة عرزم نظر قبيصة بن ضبيعة العبسي إلى داره في جبانة عرزم، فإذا بناته مشرفات، فقال لوائل وكثير: أدنياي أوص أهلي، فأدنياه. فلما دنا منهم بكين، فسكت عنهن ساعة، ثم قال: اسكنن، فسكنن، فقال: اتقين الله واصبرن، فإني أرجو من ربي في وجهي هذا خيراً: إحدى الحسينين؛ إما الشهادة فنعم سعادة، وإما الانصراف إليكن في عافية؛ فإن الذي كان يرزقكن ويكفيني مؤنتكن هو الله تبارك وتعالى وهو حي لا يموت، وأرجو ألا يضيعكن، وأن يحفظني فيكن. ثم انصرف، فجعل قومه يدعون له بالعافية. وجاء شريح بن هانيء بكتاب، فقال: بلغوا هذا عني أمير المؤمنين، فتحمله وائل بن حجر. ومضوا بهم حتى انتهوا إلى مرج عذراء، فحبسوا به وهم على أميال من دمشق، وهم: حجر بن عدي الكندي،

والأرقم بن عبد الله الكندي، وشريك بن شداد الحضرمي، وصيفي بن فسيل الشيباني، وقبيصة بن ضبيعة العبسي، وكريم بن عفيف الخثعمي، وعاصم بن عوف البجلي، وورقاء بن سمي البجلي، وكدام بن حيان، وعبد الرحمن بن حسان العتريان، ومحرز بن شهاب المنقري، وعبد الله بن جؤية التميمي، وأتبعهم زياد برجلين، وهما عتبة بن الأحنس السعدي، وسعيد بن نمران الهمداني الناعطي، فكانوا أربعة عشر.

كتاب زياد إلى معاوية فبعث معاوية إلى وائل بن حجر وكثير، فأدخلهما، وفض كتابهما، وقرأه على أهل الشام: "بسم الله الرحمن الرحيم. لعبد الله معاوية بن أبي سفيان أمير المؤمنين، من زياد بن أبي سفيان.

أما بعد، فإن الله قد أحسن عند أمير المؤمنين البلاء فأداله من عدوه، وكفاه مؤونة من بغى عليه، إن طواغيت الترابية السابة رأسهم حجر بن عدي، خلعوا أمير المؤمنين، وفارقوا جماعة المسلمين، ونصبوا لنا حرباً فأطفأها الله عليهم، وأمکننا منهم، وقد دعوت خيار أهل المصر وأشرفهم وذوي النهى والدين، فشهدوا عليهم بما رأوا وعلموا، وقد بعثت إلى أمير المؤمنين، وكتبت شهادة صلحاء أهل المصر وخيارهم في أسفل كتابي هذا".

فلما قرأ الكتاب قال: ما ترون في هؤلاء؟ فقال يزيد بن أسد البجلي: أرى أن تفرقهم في قرى الشام، فتكفيهم طواغيتها.

كتاب شريح بن هانئ إلى معاوية ودفع وائل كتاب شريح إليه، فقرأه وهو: "بسم الله الرحمن الرحيم.

لعبد الله معاوية أمير المؤمنين، من شريح بن هانئ.

أما بعد؛ فقد بلغني أن زياداً كتب إليك بشهادتي على حجر، وإن شهادتي على حجر أنه ممن يقيم الصلاة، ويؤتي الزكاة، ويأمر بالمعروف، وينهى عن المنكر، حرام المال والدم، فإن شئت فاقتله، وإن شئت فدعه".

معاوية يكتب إلى زياد بحيرته في أمر حجر وأصحابه، وزياذ يرد عليه بطلب عقابهم فقرأ كتابه على وائل، وقال: ما أرى هذا إلا قد أخرج نفسه من شهادتكم. فحبس القوم بعد هذا، وكتب إلى زياد: "فهمت ما اقتصصت من أمر حجر وأصحابه والشهادة عليهم، فأحياناً أرى أن أقتلهم أفضل، وأحياناً أرى أن العفو أفضل من قتلهم".

فكتب زياد إليه مع يزيد بن حجية التيمي: "قد عجبت لاشتباه الأمر عليك فيهم مع شهادة أهل مصرهم عليهم، وهم أعلم بهم؛ فإن كانت لك حاجة في هذا المصر فلا تردن حجراً وأصحابه إليه.

حجر يطلب إبلاغ معاوية تمسكه ببيعته فمر يزيد بحجر وأصحابه فأخبرهم بما كت به زياد، فقال له حجر: أبلغ أمير المؤمنين أنا على بيعته لا نقيها ولا نستقيها، وإنما شهد علينا الأعداء والأظناء.

فقدم يزيد بن حجية على معاوية بالكتاب، وأخبره بقول حجر. فقال معاوية: زياد أصدق عندنا من حجر.

وكتب جرير بن عبد الله في أمر الرجلين اللذين من بجيلة، فوهبهما له وليزيد بن أسد، وطلب وائل بن حجر في الأرقم الكندي، فتركه، وطلب أبو الأعور في عتبة بن الأحنس فوهبه له، وطلب حمزة من مالك الهمداني في سعيد بن نمران فوهبه له، وطلب حبيب بن مسلمة في عبد الله بن جؤية التميمي فحلى سبيله.

فقام مالك بن هبيرة، فسأله في حجر فلم يشفعه؛ فغضب وجلس في بيته. وبعث معاوية هدبة بن فياض القضاعي والحسين بن عبد الله الكلابي، وآخر معهما يقال له أبو صريف البدري، فأتوهم عند المساء، فقال الخثعمي حين رأى الأعور: يقتل نصفنا وينجو نصفنا. فقال سعيد بن نمران: اللهم اجعلني ممن ينجو، وأنت عني راض. فقال عبد الرحمن بن حسان العتري: اللهم اجعلني ممن يكرم بمواهم وأنت عني راض، فطالما عرضت نفسي للقتل، فأبى الله إلا ما أراد.

رسول معاوية يطلب من أصحاب حجر لعن علي فيأبون فجاء رسول معاوية إليهم فإنه لمعهم إذ جاء رسول بتخلية ستة منهم وبقي ثمانية. فقال لهم رسول معاوية: إنا قد أمرنا أن نعرض عليكم البراءة من علي واللعن له، فإن فعلتم هذا تركناكم، وإن أبيتم قتلناكم، وأمير المؤمنين يزعم أن دماءكم قد حلت بشهادة أهل مصركم عليكم، غير أنه قد عفا عن ذلك فابرعوا من هذا الرجل يخل سبيلكم. قالوا: لسنا فاعلين؛ فأمر بقيودهم فحلت، وأني بأكفاهم فقاموا الليل كله يصلون. فلما أصبحوا قال أصحاب معاوية: يا هؤلاء، قد رأيناكم البارحة أطلتم الصلاة، وأحسنتم الدعاء، فأحبرونا ما قولكم في عثمان، قالوا: هو أول من جار في الحكم، وعمل بغير الحق. فقالوا: أمير المؤمنين كان أعرف بكم. ثم قاموا إليهم وقالوا: تبرءون من هذا الرجل؟ قالوا: بل نتولاه. فأخذ كل رجل منهم رجلاً يقتله، فوقع قبيصة في يدي أبي صريف البدري، فقال له قبيصة: إن الشر بين قومي وقومك أمين، أي آمن فليقتلني غيرك، فقال: برتك رحم. فأخذ الحضرمي فقتله.

وقتل القضاعي صاحبه، ثم قال لهم حجر: دعوني أصلي ركعتين، فإني والله ما توضأت قط إلا صليت، فقالوا له: صل، فصلى ثم انصرف، فقال: والله ما صليت صلاة قط أقصر منها، ولولا أن يروا أن ما بي جزع من الموت لأحببت أن أستكثر منها، ثم قال: اللهم إنا نستعديك على أمتنا، فإن أهل الكوفة قد شهدوا علينا، وإن أهل الشام يقتلوننا، أما والله لئن قتلتمونا فإني أول فارس من المسلمين سلك في واديها، وأول رجل من المسلمين نبحته كلابها، فمشى إليه هدبة بن الفياض الأعور بالسيف، فأرعدت خصائله، فقال: كلا، زعمت أنك لا تجزع من الموت، فإنا ندعك، فابراً من صاحبك. فقال: ما لي لا أجزع، وأنا أرى قبراً محفوراً، وكفناً منشوراً، وسيفاً مشهوراً، وإني والله إن جزعت لا أقول ما يسخط الرب، فقتله.

أمر عبد الرحمن بن حسان وكريم بن عفيف مع معاوية وأقبلوا يقتلونهم واحداً واحداً حتى قتلوا ستة نفر، فقال عبد الرحمن بن حسان وكريم بن عفيف: ابعثوا بنا إلى أمير المؤمنين، فنحن نقول في هذا الرجل مثل مقالته. فبعثوا إلى معاوية فأخبروه، فبعث: اتنوني بهما. فالتفتا إلى حجر، فقال له العتري: لا تبعد يا حجر، ولا يبعد مثواك؛ فنعم أخو الإسلام كنت، وقال الخثعمي نحو ذلك. ثم مضى بهما، فالتفت العتري، فقال متمثلاً:

### كفى بشفاة القبر بعداً لهالك وبالموت قطاعاً لحبل القرائن

فلما دخل عليه الخثعمي قال له: الله الله يا معاوية! إنك منقول من هذه الدار الزائلة إلى الدار الآخرة الدائمة، ومسؤول عما أردت بقتلنا، وفيما سفكت دماءنا. فقال: ما تقول في علي؟ قال: أقول فيه قولك، أتبراً من دين

علي الذي كان يدين الله به! وقام شمر بن عبد الله الحثعمي فاستوهبه، فقال: هو لك، غير أي حابسه شهراً، فحبسه، ثم أطلقه على ألا يدخل الكوفة ما دام له سلطان. فزل الموصل، فكان ينتظر موت معاوية ليعود إلى الكوفة، فمات قبل معاوية بشهر.

وأقبل على عبد الرحمن بن حسان، فقال له: يا أخا ربيعة، ما تقول في علي؟ قال: أشهد أنه من الذاكرين الله كثيراً والآخرين بالمعروف والناهين عن المنكر، والعافين عن الناس. قال: فما تقول في عثمان؟ قال: هو أول من فتح أبواب الظلم، وأرتج أبواب الحق. قال: قتلت نفسك. قال: بل إياك قتلت، لا ربيعة بالوادي؛ يعني أنه ليس ثم أحد من قومه فيتكلم فيه.

فبعث به معاوية إلى زياد، وكتب إليه: إن هذا شر من بعثت به، فعاقبه بالعقوبة التي هو أهلها واقتله شر قتلة. فلما قدم به على زياد بعث به إلى قس الناطف، فدفنه حياً.

قال أبو مخنف، عن رجاله: فكان من قتل منهم سبعة نفر: حجر بن عدي، وشريك بن شداد الحضرمي، وصيفي بن فسيل الشيباني، وقبيصة بن ضبيعة العسبي، ومحرز بن شهاب المنقري، وكدام بن حيان العتري وعاصم بن عوف البجلي، وورقاء بن سمي البجلي، وأرقم بن عبد الله الكندي، وعتبة بن الأحنس السعدي من هوازن، وسعيد بن نمران الهمداني.

وبعث معاوية إلى مالك بن هبيرة لما غضب بسبب حجر مائة ألف درهم، فرضي.

قال أبو مخنف: فحدثني ابن أبي زائدة، عن أبي إسحاق، قال: أدركت الناس يقولون: أول ذلك دخل الكوفة قتل حجر، ودعوة زياد، وقتل الحسين.

قال: وجعل معاوية يقول عند موته: أي يوم لي من ابن الأدر طويل!

عائشة تبعث عبد الرحمن بن الحارث إلى معاوية في أمر حجر وأصحابه قال أبو مخنف: وحدثني عبد الملك بن نوفل بن مساحق من بني عامر بن لؤي أن عائشة بعثت عبد الرحمن بن الحارث بن هشام إلى معاوية في حجر وأصحابه، فقدم عليه وقد قتلهم، فقال له: أين غاب عنك حلم أبي سفيان؟ فقال: حين غاب عني مثلك من حلما قومي، وحملني ابن سمية فاحتملت.

قال: وكانت عائشة رضي الله عنها تقول: لولا أنا لم نغير شيئاً قط إلا آلت بنا الأمور إلى أشد مما كنا فيه لغيرنا قتل حجر، أما والله إن كان لمسلماً ما علمته حاجاً معتمراً. رثاء حجر وقالت امرأة من كندة ترثي حجراً:

لعلك أن ترى حجراً يسير

ترفع أيها القمر المنير

ليقتله كما زعم الأمير

يسير إلى معاوية بن حرب

ولم ينحر كما نحر البعير

ألا يا ليت حجراً مات موتاً

ترفعت الجبابر بعد حجر  
وأصبحت البلاد له محولاً  
ألا يا حجر حجر بني عدي  
أخاف عليك سطوة آل حرب  
يرى قتل الخيار عليه حقاً  
فإن تهلك فكل زعيم قوم  
وطاب لها الخورنق والسدير  
كأن لم يحيها مزن مطير  
تلقتك السلامة والسرور  
وشيحاً في دمشق له زئير  
له من شر أمته وزير  
إلى هلك من الدنيا يصير

صوت

أحن إذا رأيت جمال سعدى  
وقد أهد الرحيل فقل لسعدى:  
وأبكي إن رأيت لها قرينا  
لعمر ك خبري ما تأمرينا

الشعر لعمر بن أبي ربيعة، يقوله في سعدى بنت عبد الرحمن بن عوف. والغناء لابن سريج، رمل بالوسطى، عن حبش. وقد قيل: إن عمر قال هذا البيت في بيت آخر في ليلي بنت الحارث بن عوف المري. وفيه أيضاً غناء، وهو: صوت

ألا يا ليل إن شفاء نفسي  
وقد أهد الرحيل وحان منا  
نوالك إن بخلت فزودينا  
فراقك فانظري ما تأمرينا

غنى به الغريض ثقيلاً أول بالبنصر، عن عمرو وحبش، وفيه خفيف ثقيل يقال إنه أيضاً للغريض. ومن الناس من ينسبه إلى ابن سريج.

### أخبار لعمر بن أبي ربيعة

#### سعدى بنت عبد الرحمن تبعث إليه تعظه

أخبرني حرمي، عن الزبير، عن طارق بن عبد الواحد، قال: قال عبد الرحمن المخزومي: كانت سعدى بنت عبد الرحمن بن عوف جالسة في المسجد، فرأت عمر بن أبي ربيعة في الطواف، فأرسلت إليه: إذا قضيت طوافك فائتنا، فلما قضى طوفه أتاها فحادثها، وأنشدها، فقالت: ويحك يا بن أبي ربيعة. ماتزال سادراً في حرم الله منتهكاً، تتناول بلسانك ربات الحجال من قريش؟! فقال: دعني هذا عنك، أما سمعت ما قلت فيك؟ قالت: وما قلت في؟ فأنشدها:

أحن إذا رأيت جمال سعدى  
أسعدى إن أهلك قد أجدوا  
وأبكي إن رأيت لها قرينا  
رحيلاً فانظري ما تأمرينا

فقلت: أمرك بتقوى الله، وترك ما أنت عليه.

### ابن أبي عتيق ينشد سعدى قول عمر

قال الزبير: وحدثني عبد الله بن مسلم، قال: أنشد عمر بن أبي ربيعة بن أبي عتيق قوله:

### أحن إذا رأيت جمال سعدى

قال: فركب ابن أبي عتيق فأتى سعدى بالجناب من أرض بني فزارة. فأنشدها قول عمر، وقال لها: ما تأمرين؟  
فقلت: أمره بتقوى الله يابن الصديق.

### يستوقف ليلى بنت الحارث وينشدها

قال الزبير: وحدثني طارق بن عبد الواحد، عن أبي عبيدة، عن عبد الرحمن المخزومي، قال:  
لقي عمر بن أبي ربيعة ليلى بنت الحارث بن عوف المري، وهو يسير على بغلة، فقال لها: قفي أسمعك بعض ما  
قلت فيك؟ فوقف، فقال:

### نوالك إن بخلت فنوليننا

### ألا يا ليل إن شفاء نفسي

قال: فما بلغت أنها ردت عليه شيئاً، ومضت.  
وقد روى هذا الخبر إبراهيم بن المنذر، عن محمد بن معن، فذكر أن ابن أبي عتيق إنما مضى إلى ليلى بنت الحارث  
بن عوف، فأنشدها هذا البيت، وهو الصحيح؛ لأن حلولها بالجناب من أرض فزارة أشبه بها منه بسعدى بنت  
عبد الرحمن بن عوف. ورواية الزبير فيما أروى وهم لاختلاط الشعرين في سعدى وليلى.

### خبر آخر لسعدى معه

أخبرني حرمي، عن الزبير، عن محمد بن سلام، قال: كانت سعدى بنت عبد الرحمن بن عوف جالسة في المسجد  
الحرام، فرأت عمر بن أبي ربيعة يطوف بالبيت، فأرسلت إليه: إذا فرغت من طوافك، فائتنا، فأناها، فقلت: ألا  
اراك يابن أبي ربيعة إلا سادراً في حرم الله! أما تخاف الله! ويحك إلى متى هذا السفه! قال: أي هذه، دعني عنك  
هذا من القول. أما سمعت ما قلت فيك؟ قالت: لا، فما قلت؟ فأنشدها قوله: صوت

منها على الخدين والجلباب

قالت سعيدة والدموع ذوارف

فيما أطال تصيدي وطلابي

ليت المغيري الذي لم أجزه

إذ لا نلام على هوى وتصابي

كانت ترد لنا المنى أيا منا

مني على ظمأ وحب شراب

أسعيد ما ماء الفرات وطيبه

### يرعى النساء أمانة الغياب

### بأذن منك وإن نأيت وقلمًا

عروضه من الكامل، غناه الهذلي رملاً بالوسطى، عن الهشامي، وغناه الغريص خفيف ثقيل بالوسطى، عن عمرو.

فقلت: أخزأك الله يا فاسق، ما علم الله أني قلت مما قلت حرفاً، ولكنك إنسان بهوت .  
وهذا الشعر تغني فيه:

### قالت سكينه والدموع ذوارف

وفي موضع:

### أسعيد ما ماء الفرات وبرده

أسكين. وإنما غيره المغنون: ولفظ عمر ما ذكر فيه في الخير.

### إسحاق يغني الرشيد شعر عمر في سكينه

وقد أخبرني إسماعيل بن يونس، عن ابن شبة، عن إسحاق، قال: غنيت الرشيد يوماً بقوله:

### منها على الخدين والجلباب

### قالت سكينه والدموع ذوارف

فوضع القدح من يده وغضب غضباً شديداً، وقال: لعنه الله الفاسق، ولعنك معه. فسقط في يدي، وعرف ما بي، فسكن، ثم قال: ويحك! أتغنييني بأحاديث الفاسق ابن أبي ربيعة في بنت عمي، وبنت رسول الله صلى الله عليه وسلم! ألا تتحفظ في غنائك وتدرني ما يخرج من رأسك! عد إلى غنائك الآن، وانظر بين يديك. فتركت هذا الصوت حتى أنسيته، فما سمعته مني أحد بعده. والله أعلم.

### صوت

### عليه من الوسمي جود ووابل

### فلا زال قبر تبنى وجاسم

### سأتبعه من خير ما قال قائل

### فينبت حوذاناً وعوفاً منوراً

عروضه من الطويل، والشعر لحسان بن ثابت الأنصاري. وهذا القبر الذي ذكره حسان فيما يقال قبر الأيهم بن جبلة بن الأيهم الغساني. وقيل: إنه قبر الحارث بن مارية الجفني، وهو منهم أيضاً. والغناء لعزة الميلاء، خفيف ثقيل، أول بالوسطى، مما لا يشك فيه من غنائها. وقد نسبه قوم إلى ابن عائشة، وذلك خطأ.

### أخبار عزة الميلاء

كانت عزة مولاة للأنصار، ومسكنها المدينة، وهي أقدم من غنى الغناء الموقع من النساء بالحجاز، وماتت قبل جميلة، وكانت من أجمل النساء وجهاً، وأحسنهن جسماً، وسميت الميلاء؛ لتمايلها في مشيتها.

### سبب تسميتها الميلاء

وقيل: بل كانت تلبس الملاء، وتشبه بالرجال، فسميت بذلك. وقيل: بل كانت مغرمة بالشراب، وكانت تقول: خذ ملئاً واردد فارغاً - ذكر ذلك حماد بن إسحاق، عن أبيه. والصحيح أنها سميت الميلاء لميلها في مشيتها.

### مكاتها في الموسيقى والغناء

قال إسحاق: ذكر لي ابن جامع، عن يونس الكاتب، عن معبد، قال: كانت عزة الميلاء ممن أحسن ضرباً بعود، وكانت مطبوعة على الغناء، لا يعيها أداءه ولا صنعتها ولا تأليفه، وكانت تغني أغاني القيان من القدائم، مثل سيرين، وزرنب، وخولة، والرباب، وسلمى، ورائقة، وكانت راققة أستاذتها. فلما قدم نشيط وسائب خاثر المدينة غنياً أغاني بالفارسية، فلقت عزة عنهما نغماً، وألفت عليها ألحاناً عجيبة، فهي أول من فتن أهل المدينة بالغناء، وحرص نساءهم ورجالهم عليه.

### رأي مشايخ أهل المدينة فيها

قال إسحاق: وقال الزبير: إنه وجد مشايخ أهل المدينة إذا ذكروا عزة قالوا: لله درها! ما كان أحسن غناءها، ومد صوتها، وأندى حلقها، وأحسن ضربها بالمزاهر والمعازف وسائر الملاحى، وأجمل وجهها، وأظرف لسانها، وأقرب مجلسها، وأكرم خلقها، وأسخرى نفسها، وأحسن مساعدتها. قال إسحاق: وحدثني أبي، عن سباط، عن معبد، عن جميلة، بمثل ذلك من القول فيها. أخذ عنها ابن سريج وابن محرز قال إسحاق: وحدثني أبي، عن يونس، قال: كان ابن سريج في حادثة سنة يأتي المدينة، فيسمع من عزة ويتعلم غناءها، ويأخذ عنها، وكان بها معجباً، وكان إذا سئل: من أحسن الناس غناء؟ قال: مولاة الأنصار المفضلة على كل من غنى وضرب بالمعازف والعيان من الرجال والنساء. قال: وحدثني هشام بن المرية أن ابن محرز كان يقيم بمكة ثلاثة أشهر، ويأتي المدينة فيقيم بها ثلاثة أشهر من أجل عزة، وكان يأخذ عنها.

رأي طويس فيها قال إسحاق: وحدثني الجمحي، عن جرير المغني المدني، أن طويساً كان أكثر ما يأوي إلى منزل عزة الميلاء، وكان في حوارها، وكان إذا ذكرها يقول: هي سيدة من غنى من النساء، مع جمال بارع، وخلق فاضل وإسلام لا يشوبه دنس؛ تأمر بالخير وهي من أهله، وتنهى عن السوء وهي مجانبة له، فناهيك ما

كان أنبلها وأنبل مجلسها!.

ثم قال: كانت إذا جلست جلوساً عاماً فكأن الطير على رؤوس أهل مجلسها، من تكلم أو تحرك نقر رأسه.  
قال ابن سلام: فما ظنك بمن يقول: فيه طويس هذا القول! ومن ذلك الذي سلم من طويس!.

### سمعتها معبد وقد أسنت فأعجب بها

قال إسحاق: وحدثني أبو عبد الله الأسلمي، عن معبد: أنه أتى عزة يوماً وهي عند جميلة وقد أسنت، وهي تغني على معرفة في شعر ابن الإطنابة، قال:

### عللاني وعللا صاحبيا واسقياني من المروق ريا

قال: فما سمع السامعون قط بشيء أحسن من ذلك. قال معبد: هذا غناؤها، وقد أسنت، فكيف بها وهي شابة!.

### ابن أبي ربيعة يغشى عليه حين سمعها

قال إسحاق: وذكر لي عن صالح بن حسان الأنصاري، قال: كانت عزة مولاة لنا، وكانت عفيفة جميلة، وكان عبد الله بن جعفر، وابن أبي عتيق، وعمر بن أبي ربيعة يغشونها في منزلها فتغنيهم. وغنت يوماً عمر بن أبي ربيعة لحناً لها في شيء من شعره، فشق ثيابه، وصاح صيحة عظيمة صعق معها، فلما أفاق قال له القوم: لغيرك الجهل يا أبا الخطاب! قال: إني سمعت والله ما لم أملك معه نفسي ولا عقلي.  
وقال إسحاق: وحدثني أبو عبد الله الأسلمي المدني، قال: كان حسان بن ثابت معجباً بعزة الميلاء، وكان يقدمها على سائر قيان المدينة.

### غنت شعراً لحسان بن ثابت فبكى

أخبرني حرمي، عن الزبير، عن محمد بن الحسن المخزومي، عن محرز بن جعفر، قال: ختن زيد بن ثابت الأنصاري بنته، فأولم؛ فاجتمع إليه المهاجرون والأنصار وعامة أهل المدينة، وحضر حسان بن ثابت وقد كف بصره يومئذ، وثقل سمعه، وكان يقول إذا دعى: أعرس أم عذار؟ فحضر ووضع بين يديه خوان ليس عليه إلا عبد الرحمن ابنه، فكان يسأله: أطعام يد أم يدين؟ فلم يزل يأكل حتى جاءوا بالشواء، فقال: طعام يدين؛ فأمسك يده حتى إذا فرغ من الطعام ثنيت وسادة، وأقبلت الميلاء، وهي يومئذ شابة، فوضع في حجرها مزهر، فضربت به، ثم تغنت، فكان أول ما ابتدأت به شعر حسان، قال:

### فلا زال قبر بين بصرى وخلق عليه من الوسمي جود ووابل

فطرب حسان، وجعلت عيناه تنضحان، وهو مصغ لها.  
أخبرني ابن عبد العزيز الجوهري، عن ابن شبة، عن الأصمعي، عن أبي الزناد، قال: قلت لخارجة بن زيد: أكان

يكون هذا الغناء عندكم؟ قال: كان يكون في العرسات ولم يكن يشهد بما يشهد به اليوم من السعة.

وكان في إخواننا بني نبيط مآدبة، فدعينا، وشم قينة أو قينتان تنشدان شعر حسان بن ثابت، قال :

### انظر خليلي بباب جلق هل تبصر دون البلقاء من أحد؟

قال: وحسان يبكي، وابنه يومئء إليهما أن زيداً؛ فإذا زادتا بكى حسان، فأعجبني ما يعجبه من أن تبكيأ أباه، وقد كف بصر حسان بن ثابت يومئذ.

أخبرنا وكيع، عن حماد بن إسحاق، عن أبيه، عن الواقدي، عن عبد الرحمن بن أبي الزناد، عن أبيه، قال: سمعت خارجة بن زيد يقول: دعينا إلى مآدبة في آل نبيط، قال خارجة: فحضرتها، وحسان بن ثابت قد حضرها، فجلسنا جميعاً على مائدة واحدة، وهو يومئذ قد ذهب بصره، ومعه ابنه عبد الرحمن، فكان إذا أتى طعام سأل ابنه: أ طعام يد أم يدين؟ يعني باليد الثريد وباليدين الشواء؛ لأنه ينهش فهشاً، فإذا قال: طعام يدين أمسك يده. فلما فرغوا من الطعام أتوا بجاريتين: إحداهما رائقة والأخرى عزة، فجلستا وأخذتا مزهريهما، وضربتا ضرباً عجيباً، وغنتا بقول حسان:

### انظر خليلي بباب جلق هل تبصر دون البلقاء من أحد

فأسمع حساناً يقول:

### قد أراني بها سميعاً بصيراً

وعيناه تدمعان، فإذا سكتنا سكت عنه البكاء، وإذا غنتا بكى، فكنت أرى ابنه عبد الرحمن إذا سكتنا يشير إليهما أن تغنيا، فيبكي أبوه، فأقول: ما حاجته إلى إبكاء أبيه!.

قال الواقدي: فحدثت بهذا الحديث يعقوب بن محمد الظفري، فقال: سمعت سعيد بن عبد الرحمن بن حسان يقول: لما انقلب حسان من مآدبة بني نبيط إلى منزله استلقى على فراشه، ووضع إحدى رجله على الأخرى، وقال: لقد أذكرتني رائقة وصاحبها أمراً ما سمعته أذناي بعيد ليالي جاهليتنا مع جبلة بن الأيهم! فقلت: يا أبا الوليد! أكان القيان يكن عند جبلة؟، فتبسم ثم جلس، فقال: لقد رأيت عشر قيان: خمس روميات يغنين بالرومية بالبرابط، وخمس يغنين غناء أهل الحيرة، وأهداهن إليه إياس بن قبيصة، وكان يفد إليه من يغنيه من العرب من مكة وغيرها، وكان إذا جلس للشرب فرش تحته الآس والياسمين وأصناف الرياحين، وضرب له العنبر والمسك في صحاف الفضة والذهب، وأتى بالمسك الصحيح في صحاف الفضة، وأوقد له العود المندى إن كان شاتياً، وإن كان صائفاً بطن بالثلج، وأتى هو وأصحابه بكساً صيفية يتفضل هو وأصحابه بها في الصيف، وفي الشتاء الفراء الفنك، وما أشبهه، ولا والله ما جلست معه يوماً قط إلا خلع علي ثيابه التي عليه في ذلك اليوم، وعلى غيري من جلسائه، هذا مع حلم عمن جهل، وضحك وبذل من غير مسألة، مع حسن وجه وحسن حديث، ما رأيت منه حتى قط ولا عريدة، ونحن يومئذ على الشرك، فجاء الله بالإسلام فمحا بل كل كفر، وتركنا الخمر وما

كره، وأنتم اليوم مسلمون تشربون هذا النبيذ من التمر، والفضيخ من الزهر والرطب، فلا يشرب أحدكم ثلاثة أفداح حتى يصاحب صاحبه ويفارقها، وتضربون فيه كما تضرب غرائب الإبل فلا تنتهون!.  
أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري، عن أبي أيوب المديني، عن مصعب الزبيري، عن الضحاك، عن عثمان بن أبي الزناد، عن أبيه، عن خارجة بن زيد مثله، وزاد فيه: فلما فرغنا من الطعام ثقل علينا جلوس حسان، فأوماً ابنه إلى عزة الميلاء فغنت:

### تبصر دون البلقاء من أحد

### انظر خليلي بباب جلق هل

فيكي حسان حتى سدر، ثم قال: هذا عمل الفاسق، أما لقد كرهتم مجالستي، فقيح الله مجلسكم سائر اليوم، وقام فانصرف.

أخبرني حرمي، عن الزبير، عن عمه مصعب، قال: ذكر هشام بن عروة، عن أبيه: أنه دعي إلى مأدبة في زمن عثمان، ودعي حسان ومعه ابنه عبد الرحمن، ثم ذكر نحو ما ذكره عمر بن شبة عن الأصمعي في الحديث الأول، قال: نسبة هذا الصوت

### تؤنس دون البلقاء من أحد

### انظر خليلي بباب جلق هل

### محبس بين الكتبان فالسند

### أجمال شعناً إن هبطن من ال

### ربط وبيض الوجوه كالبرد

### يملن حوراً حور المدامع في ال

### ج عليه السحاب كالقرد

### من دون بصرى ودونها جبل التل

### يقطعن من كل سربخ جدد

### إني وأيدي المخيسات وما

### ق الصبح وصوت المسامر الغرد

### أهوى حديث الندمان في فل

### بصور حسنى من احتدى بلدي

### تقول شعناً بعد ما هبطت

### يخشى نديمي إذا انتشيت يدي

### لا أخذش الخدش بالحبيب ولا

الشعر لحسان بن ثابت، والغناء لعزة الميلاء، رمل بالنصر، وفيه خفيف ثقيل ينسب إلى ابن محرز، وإلى عزة الميلاء. وإلى الهدلي في:

### تقول شعثناء بعد ما هبطت

وما بعده من الأبيات، ثقيل أول مطلق في مجرى النصر عن إسحاق، وفيها لعبد الرحيم ثاني ثقيل بالوسطى عن عمرو.

نسب شعثناء التي شبب بها حسان بن ثابت وشعثناء هذه التي شبب بها حسان - فيما ذكر الواقدي ومصعب

الزبيري - امرأة من أسلم، تزوجها حسان، وولدت منه بنتاً يقال لها أم فراس تزوجها عبد الرحمن بن أم الحكم. وذكر أبو عمرو الشيباني مثل ما ذكره في نسبها ووصف أنه خطبها إلى قومها من أسلم فردوه، فقال يهجوهم :

لقد أتى عن بني الجرباء قولهم  
قد علمت أسلم الأزدال أن لها  
وأن سيمنعهم مما نورا حسب  
وقد علوا زعموا عنى بأختهم  
ويل أم شعثناء شيناً تستغيث به  
كأنه في صلاحها وهي باركة  
ودونهم قف جمدان فموضوع  
جاراً سيقنته في داره الجوع  
مقطوع لن يبلغ المجد والعلواء  
وفي الذرا حسبي والمجد مرفوع  
إذا تجللها النعظ الأفاقيع  
ذراع بكر من النياط منزوع

وكانت بنت رئيس اليهود

أخبرني حرمي، عن الزبير، عن إبراهيم بن المنذر، عن أبي القاسم بن أبي الزناد، عن أخيه عبد الرحمن، عن أبيه، عن خارجة بن زيد، قال: شعثناء هذه بنت عمرو، من بني ماسكة من يهود، وكانت مساكن بني ماسكة بناحية القف، وكان أبو شعثناء قد رأس اليهود التي تلي بيت الدراسة للتوراة، وكان ذا قدر فيهم، فقال حسان يذكر ذلك:

من شعر حسان في شعثناء

هل في تصابي الكريم من فند  
تقول شعثناء: لو أفقت عن الكا  
يأبى لي السيف واللسان وقو  
أم هل لمدى الأيام من نغد  
س لأفويت مثري العدد  
م لم يضاموا كبدة الأسد

وذكر باقي الأبيات التي فيها الغناء.

ومما قاله حسان بن ثابت في شعثناء، وغني به قوله :

ما هاج حسان رسوم المقام  
والنؤي قد هدم أعضاده  
قد أدرك الواشون ما حاولوا  
جنية أرقتني طيفها  
ومظعن الحي ومبنى الخيام  
تقادم العهد بوادي تهام  
والحبل من شعثناء رث رمام  
يذهب صباحاً ويرى في المنام

هل هي إلا ظبية مطفل  
ترعى غزاً فاتراً طرفه  
كأن فاهها ثغب بارد  
شج بصهباء لها سورة  
مألفها السدر بنعفي برام  
مقارب الخطو ضعيف البغام  
في رصف تحت ظلال الغمام  
تدب في الكأس ديبياً كما  
من بنت كرم عتقت في الخيام  
دب دبي وسط رفاق هيام  
من خمر بيسان تخيرتها  
محتلق الذفرى شديد الحزام  
يسعى بها أحمر ذو برنس

يقول فيها :

قومي بنو النجار إذ أقبلت  
لا تخذل الجار ولا تسلم المول  
شهباء ترمي أهلها بالقتام  
ي ولا تخصم يوم الخصام

الشعر لحسان، والغناء لمعبد، خفيف رمل بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى في البيت الأول من الأبيات، والرابع والتاسع والحادي عشر. وذكر الهشامي أن فيه لحناً لابن سريج من الرمل بالوسطى. وهذه الأبيات يقولها حسان في حرب كانت بينهم وبين الأوس، تعرف بحرب مزاحم، وهو حصن من حصونهم.

### شعر لحسان في حرب بين الأوس والخزرج

أخبرني بخبره حرمي عن الزبير، عن عمه مصعب، قال: جمعت الأوس وحشدت بأحلافها، ورأسوا عليهم أبا قيس بن الأسلت يومئذ، فسار بهم حتى كان قريباً من مزاحم. وبلغ ذلك الخزرج، فخرجوا يومئذ وعليهم سعد بن عباد؛ وذلك أن عبد الله بن أبي كان مريضاً أو ممتارضاً، فاقتتلوا قتالاً شديداً، وقتلت بينهم قتلى كثيرة، وكان الطول يومئذ للأوس؛ فقال حسان في ذلك:

ما هاج حسان رسوم المقام  
ومظعن الحي ومبنى الخيام

وذكر الأبيات كلها.

أخبرني أحمد بن عبد العزيز، عن عمر بن القاسم بن الحسن، عن محمد بن سعد، عن الواقدي، عن عثمان بن إبراهيم الحاطي، قال: قال رجل من أهل المدينة: ما ذكر بيت حسان بن ثابت :

أهوى حديث الندمان في فل  
ق الصبح وصوت المسامر الغرد

إلا عدت في الفتوة كما كنت. قال: وهذا البيت من قصيدته التي يقول فيها:

تؤنس البلقاء من أحد

أنظر خليلي بباب جلق هل

وقد روى أيضاً في هذا الخبر غير الروایتين اللتين ذكرتهما.

عبد الرحمن يحتال لإبعاد أبيه

عن مجلس أصحابه

أخبرني بذلك حرمي، عن الزبير، عن وهب بن جرير عن جويرية بن أسماء، عن عبد الوهاب بن يحيى، عن عباد بن عبد الله بن الزبير، عن شيخ من قريش، قال: إني وفتية من قريش عند قينة من قيان المدينة، ومعنا عبد الرحمن بن حسان بن ثابت إذ استأذن حسان، فكرهنا دخوله، وشق ذلك علينا؛ فقال لنا عبد الرحمن: أيسركم ألا يجلس؟ قلنا: نعم. قال: فمروها إذا نظرت إليه أن ترفع عقيرتها وتغني:

قبر ابن مارية الكريم المفضل

أولاد جفنة عند قبر أبيهم

لا يسألون عن السواد المقبل

يغشون حتى ما تهر كلابهم

قال: فوالله لقد بكى حتى ظننا أنه سقطت نفسه، ثم قال: أفيكم الفاسق! لعمرى لقد كرهتم مجلسي سائر اليوم، وقام فانصرف، والله تعالى أعلم.

نسبة هذا الصوت وسائر ما يغني فيه من القصيدة التي هو منها.

صوت

قبر ابن مارية الجواد المفضل

أولاد جفنة عند قبر أبيهم

كأساً تصفق بالرحيق السلسل

يسقون من ورد البريص عليهم

البريص: موضع بدمشق.

شم الأنوف من الطراز الأول

بيض الوجوه كريمة أحسابهم

لا يسألون عن السواد المقبل

يغشون حتى ما تهر كلابهم

ذكر حبش أن فيه لسيرين قينة حسان بن ثابت لحناً ثقيلاً أول ابتداءه نشيد، وفيه لعريب ثقيل أول لا يشك فيه.

ومما يغني فيه من هذه القصيدة قوله: صوت

بزجاجة أرخاهما للمفصل

كلتاها حلب العصير فعاطني

رقص القلوص براكب مستعجل

بزجاجة رقصت بما في قعرها

غناه إبراهيم الموصللي رملاً مطلقاً في مجرى الوسطى، عن إسحاق وعمرو وغيرهما، ويروى: "كلتاها حلب العصير"، يجعل الفعل للعصير. ويروى للمفصل، بكسر الميم وفتح الصاد، وللمفصل، بفتح الميم وكسر الصاد، وهو اللسان.

أخبرنا بذل علي بن سليمان الأخفش، عن المبرد، حكاية عن أصحابه، عن الأصمعي.

### رجع الحديث إلى أخبار عزة الميلاء

عبد الله بن جعفر وناسك بالمدينة قال إسحاق: حدثني مصعب الزبيري، عن محمد بن عبيد الله بن عبد الله بن أبي مليكة، عن أبيه، عن جده، قال: كان بالمدينة رجل ناسك من أهل العلم والفقہ، وكان يغشى عبد الله بن جعفر، فسمع جارية مغنية لبعض النخاسين تغني:

### بانئت سعاد وأمسي حبلها انقطعا

فاستهتر بها وهام، وترك ما كان عليه، حتى مشى إليه عطاء وطاووس فلاماه؛ فكان جوابه لهما أن تمثل بقول الشاعر:

### فما أبالي أطار اللوم أم وقعا

### يلومني فيك أقوام أجالسهم

وبلغ عبد الله بن جعفر خبره، فبعث إلى النخاس، فاعترض الجارية، وسمع غناءها بهذا الصوت، وقال لها: ممن أخذته؟ قالت: من عزة الميلاء. فابتاعها بأربعين ألف درهم، ثم بعث إلى الرجل فسأله عن خبره، فأعلمه إياه وصدقته عنه، فقال له: أتحب أن تسمع هذا الصوت ممن أخذته عنه تلك الجارية؟ قال: نعم، فدعا بعزة وقال لها: غنيه إياه، فغنته؛ فصعق الرجل، وخر مغشياً عليه. فقال ابن جعفر: أئثنا فيه، الماء، الماء! فنضح على وجهه، فلما أفاق قال له: أكل هذا بلغ بك عشقها؟ قال: وما خفي عنك أكثر. قال: أفتحب أن تسمعه منها؟ قال: قد رأيت ما نالني حين سمعته من غيرها، وأنا لا أحبها، فكيف يكون حالي إن سمعته منها، وأنا لا أقدر على ملكها! قال: أفتعرفها إن رأيتها؟ قال: أو أعرف غيرها! فأمر بها فأخرجت، وقال: خذها فهي لك، والله ما نظرت إليها إلا عن عرض. فقبل الرجل يديه ورجليه، وقال: أئمت عيني، وأحييت نفسي، وتركتني أعيش بين قومي، ورددت إلي عقلي، ودعا له دعاء كثيراً. فقال: ما أرضى أن أعطيكمها هكذا، يا غلام احمل معها مثل ثمنها لكيلا تهتم به ويهتم بها.

### نسبة هذا الصوت

### صوت

### واحتلت الغور فالجدين فالفرعا

### بانئت سعاد وأمسي حبلها انقطعا

## وأنكرتني وما كان الذي نكرت

من الحوادث إلا الشيب والصلعا

عروضه من البسيط، والشعر للأعشى، أعشى بني قيس بن ثعلبة.

### الأصمعي ينحل الأعشى بيتاً من الشعر

وزعم الأصمعي أن البيت الثاني هو صنعه ونحله الأعشى.

أخبرنا محمد بن العباس البيهقي، عن عمه، عن عبد الرحمن ابن أخي الأصمعي، عن عمه، قال: ما نحلنا أحداً من الشعراء شيئاً قط لم يقله إلا بيتاً واحداً نحلته الأعشى، وهو:

## وأنكرتني وما كان الذي نكرت

من الحوادث إلا الشيب والصلعا

الغناء لعزة الميلاء، خفيف ثقيل أول بالوسطى؛ وذكر عمور بن بانة أنه لمعبد، وأنكر إسحاق ذلك ودفعه، وفيه للغريض ثقيل أول بالبنصر، وقيل: إنه لجميلة.

### ابن جعفر يطلب ألا تمنع عزة من الغناء

قال إسحاق: وحدثني ابن سلام، عن ابن جعدبة، قال: كان ابن أبي عتيق معجباً بعزة الميلاء، فأتى يوماً عند عبد الله بن جعفر، فقال له: بأبي أنت وأمي! هل لك في عزة، فقد اشتقت إليها! قال: لا، أنا اليوم مشغول. فقال: بأبي أنت وأمي! إنما لا تنشط إلا بحضورك، فأقسمت عليك إلا ساعدتني وتركت شغلك، ففعل، فأتياها ورسول الأمير على بابها يقول لها: دعي الغناء، فقد ضج أهل المدينة منك، وذكروا أنك قد فتنت رجالهم ونساءهم. فقال له ابن جعفر: ارجع إلى صاحبك فقل له عني: أقسم عليك إلا ناديت في المدينة: إنما رجل فسد أو امرأة فتنت بسبب عزة إلا كشف نفسه بذلك لنعرفه، ويظهر لنا ولك أمره. فنادى الرسول بذلك، فما أظهر أحد نفسه. ودخل ابن جعفر إليها وابن أبي عتيق معه، فقال لها: لا يهولنك ما سمعت، وهاتي فغنيا، فغنته بشعر القطامي:

## إنما محيوك فاسلم أيها الطلل

وإن بليت، وإن طالت بك الطيل

فاهتز ابن أبي عتيق طرباً، فقال عبد الله بن جعفر: ما أراي أدرك ركابك بعد أن سمعت هذا الصوت من عزة. وقد مضت نسبة ما في هذه الأخبار من الأغاني في مواضع أخرى.

### صوت

فليأت نسوتنا بوجه نهار

من كان مسروراً بمقتل مالك

قد قمن قبل تبلج الأسحار

يجد النساء حواسراً يندبته

عروضه من الكامل. قوله:

### قد قمن قبل تبلج الأسحار

يعني أمهن يندبهن في ذلك الوقت؛ وإنما خصه بالندبة لأنه وقت الغارة. يقول: فهن يذكرنه حينئذ؛ لأنه من الأوقات التي ينهض فيها للحرب والغارات. قال الله تبارك وتعالى: "فالمغيرات صباحاً". وأما قول الخنساء:

### ذكرني طلوع الشمس صخراً وأذكره لكل غروب شمس

فإنما ذكرته عند طلوع الشمس للغارة، وعند غروبها للضيف.

الشعر للربيع بن زياد العبسي، والغناء لابن سريج، رمل بالخنصر في مجرى البنصر، عن إسحاق، والله أعلم.

### ذكر نسب الربيع بن زياد

وبعض أخباره، وقصة هذا الشعر، والسبب الذي قتل من أجله

#### نسبه

هو الربيع بن زياد بن عبد الله بن سفيان بن ناشب بن هدم بن عوذ بن غالب بن قطيعة بن عبس بن بغيض بن ريث بن غطفان بن سعد بن قيس بن عيلان بن مضر بن نزار؟. وأمه فاطمة بنت الخرشب، واسم الخرشب عمرو بن النضر بن حارثة بن طريف بن أثمار بن بغيض بن ريث بن غطفان، وهي إحدى المنجبات، كان يقال لبنيها الكلمة، وهم: الربيع، وعمار، وأنس.

#### أمه إحدى المنجبات

ولما سال معاوية علماء العرب عن البيوتات والمنجبات، وحظر عليهم أن يتجاوزوا في البيوتات ثلاثة، وفي المنجبات ثلاثاً، عدوا فاطمة بنت الخرشب فيمن عدوا، وقبلها حية بنت رباح الغنوية أم الأحوص وخالد ومالك وربيعة بني جعفر بن كلاب، وماوية بنت عبد مناة بن مالك بن زيد بن عبد الله بن دارم بن عمرو بن تميم، وهي أم لقيط وحاجب وعلقمة بني زرارة بن عدس بن زيد بن عبد الله بن دارم. أخبرني محمد بن جعفر النحوي صهر المبرد، قال: حدثني محمد بن موسى اليزيدي، قال: حدثني محمد بن صالح بن النطاح، واللفظ له، وخبره أم، وأخبرني به أبو الحسن الأسدي، قال: حدثنا محمد بن صالح بن النطاح، قال: ولدت فاطمة بنت الخرشب من زياد بن عبد الله العبسي سبعة؛ فعدت العرب المنجيين منهم ثلاثة، وهم خيارهم.

قال محمد بن موسى: قال محمد بن صالح: وحدثني موسى بن طلحة، والوليد بن هشام القحذمي بمثل ذلك،

قال: فمنهم: الربيع ويقال له الكامل، وعمارة وهو الوهاب، وأنس وهو أنس الفوارس وهو الواقعة، وقيس وهو البرد، والحارث وهو الحرون، ومالك وهو لاحق، وعمرو وهو الدارك.

### سئلت أمه عن بنيتها فلم تدر أيهم أفضل

قال محمد بن موسى: قال ابن النطاح: وحدثني أبو عثمان العمري: أن عبد الله بن جدعان لقي فاطمة بنت الخرشب وهي تطوف بالكعبة فقال لها: نشدتك برب هذه البنية، أي بنيك أفضل؟ قالت: الربيع، لا بل عمارة، لا بل أنس، ثكلتهم إن كنت أدري أيهم أفضل.

قال ابن النطاح: وحدثني أبو اليقظان سحيم بن حفص العجيفي، قال: حدثني أبو الخنساء، قال: سئلت فاطمة عن بنيتها أيهم أفضل؟ فقالت: الربيع، لا بل عمارة، لا بل أنس، لا بل قيس، وعيشي ما أدري، أما والله ما حملت واحداً منهم تضعاً، ولا ولدته يتناً، ولا أرضعته غيلاً، ولا منعته قيلاً، ولا أبتة على ماقه . قال أبو اليقظان: أما قولها ما حملت واحداً منهم تضعاً، فتقول: لم أحمله في دبر الطهر وقبل الحيض. وقولها: ولا ولدته يتناً، وهو أن تخرج رجلاه قبل رأسه. ولا أرضعته غيلاً، أي ما أرضعته قبل أن أحلب ثديي. ولا منعته قيلاً، أي لم أمنعه اللبن عند القائلة. ولا أبتة على ماقه، أي وهو ييكي.

### أمه تصفه وتصف إخوته

قال ابن النطاح: وحدثني أبو اليقظان، قال: حدثني أبو صالح الأسدي قال: سئلت فاطمة بنت الخرشب عن بنيتها، فوصفتهم، وقالت في عمارة: لا ينام ليلة يخاف، ولا يشبع ليلة يضاف. وقالت في الربيع: لا تعد مآثره ولا تخشى في الجهل بوادره. وقالت في أنس: إذا عزم أمضى، وإذا سئل أرضى، وإذا قدر أغضى. وقالت في الآخرين أشياء لم يحفظها أبو اليقظان.

### حكيمته وبعد نظره

وقال ابن النطاح: وحدثني القحذمي، قال: حدثني أبي، قال: حدثني ابن عياش، عن رجل من بني عيس، قال: ضاف فاطمة ضيف، فطرح عليه شملة من خز وهي مسك كما هي، فلما وجد رائحتها واعتم دنا منها، فصاحت به، فكف عنها، ثم إنه تحرك أيضاً فأرادها عن نفسها، فصاحت، فكف، ثم إنه لم يصبر فوثبها فبطشت به، فإذا هي من أشد الناس، فقبضت عليه ثم صاحت: يا قيس، فأتاها، فقالت: إن هذا أرادني عن نفسي، فما ترى فيه؟ فقال: أخي أكبر مني، فعليك به، فنادت: يا أنس، فأتاها، فقالت: إن هذا أرادني عن نفسي فما ترى فيه؟ فقال لها: أخي أكبر مني فسليه، فنادت: يا عمارة، فأتاها فذكرت ذلك له، فقال لها: السيف، وأراد قتله، فقالت له: يا بني، لو دعونا أحاك فهو أكبر منك، فدعت الربيع، فذكرت ذلك له، فقال: أفتطيعوني يا بني زياد؟ قالوا: نعم، قال: فلا تنزوا أمكم، ولا تقتلوا ضيفكم، وخلوه يذهب، فذهب.

شعر قيل في مدحه ومدح إخوته قال ابن النطاح: وقال بعض الشعراء بمدح بني زيادة من فاطمة، يقال: إنه قيس بن زهير، ويقال: حاتم طيء:

بنو جنية ولدت سيوفاً      قواطع كلهم ذكر صنيع

وجارتهم حصان لم تزنى      وطاغمة الشتاء فما تجوع

شرى ودي ومكرمتي جميعاً      طوال زمانه مني الربيع

وقال سلمة ابن الخرشب خالهم فيهم يخاطب قوماً منهم أرادوا حربه:

أتيتم إلينا ترجفون جماعة      فأين أبو قيس وأين ربيع!

وذاك ابن أخت زانه ثوب خاله      وأعمامه الأعمام وهو نزيع

رفيق بداء الحرب طب بصعبها      إذا شئت رأي القوم فهو جميع

عطوف على المولى ثقيل على العدا      أصم عن العوراء وهو سميع

وقال رجل من طيء، ويقال له الربيع بن عمار:

فإن تكن الحوادث أفضعتني      فلم أر هالكاً كابني زياد

هما رمحان خطيان كانا      من السمر المتفقة الجياد

تهاب الأرض أن يطاء عليها      بمثلهما تسالم أو تعادي

### أمه تقتل نفسها خوفاً من العار

وقال الأثرم: حدثني أبو عمرو الشيباني، قال: أغار حمل بن بدر أحو حذيفة بن بدر الفزاري على بني عبس، فظفر بفاطمة بنت الخرشب أم الربيع بن زياد وأخوته راكبة على جمل لها، فقادها بجملها، فقالت له: أي رجل، ضل حلمك! والله لئن أخذتني فصارت هذه الأكمة بي وبك التي أمامنا وراءنا لا يكون بينك وبين بني زياد صلح أبداً؛ لأن الناس يقولون في هذه الحال ما شاءوه، وحسبك من شر سماعة. قال: فإني أذهب بك حتى ترعي علي إيلي. فلما أيقنت أنه ذاهب بما رمت بنفسها على رأسها من البعير، فماتت خوفاً من أن يلحق بنيتها عار فيها.

### ليبد يحاول الإيقاع بينه وبين النعمان

وحدثني محمد بن العباس اليزيدي، قال: حدثني عمي عبد الله بن محمد، قال: أخبرنا محمد بن حبيب، عن ابن الأعرابي، قال: وفد أبو براء ملاعب الأسنة - وهو عامر بن مالك بن جعفر بن كلاب - وإخوته طفيل ومعاوية

وعبيدة، ومعهم لبيد بن ربيعة بن مالك بن جعفر، وهو غلام، على النعمان بن المنذر، فوجدوا عنده الربيع بن زياد العبسي، وكان الربيع ينادم النعمان مع رجل من أهل الشام تاجر، يقال له: سرجون بن نوفل، وكان حريفاً للنعمان - يعني سرجون - يبايعه، وكان أديباً حسن الحديث والمنادمة، فاستخفه النعمان، وكان إذا أراد أن يخلو على شرايه بعث إليه وإلى النطاسي - متطبب كان له - وإلى الربيع بن زياد، وكان يدعى الكامل. فلما قدم الجعفريون كانوا يحضرون النعمان لحاجتهم، فإذا خلا الربيع بالنعمان طعن فيهم، وذكر معايبهم، ففعل ذلك بهم مراراً، وكانت بنو جعفر له أعداء، فصد عنه، فدخلوا عليه يوماً فرأوا منه تغيراً وحفاءً، وقد كان يكرمهم قبل ذلك ويقرب مجلسهم، فخرجوا من عنده غضاباً، ولبيد في رحالهم يحفظ أمتعتهم، ويغدو بإبلهم كل صباح، فيرعاهما، فإذا أمسى انصرف بإبلهم، فأتاهم ذات ليلة فألفاهم يتذكرون أمر الربيع، وما يلقون منه؛ فسألهم فكنتموه، فقال لهم: والله لا أحفظ لكم متاعاً، ولا أسرح لكم بعيراً أو تخبروني. وكانت أم لبيد امرأة من بني عبس، وكانت يتيمة في حجر الربيع، فقالوا: خالك قد غلبنا على الملك، وصد عنا وجهه، فقال لهم لبيد: هل تقدرين على أن تجمعوا بينه وبينه فأزجره عنكم بقول ممض، ثم لا يلتف النعمان إليه بعده أبداً. فقالوا: وهل عندك من ذلك شيء؟ قال: نعم، قالوا: فإننا نبلوك بشتم هذه البقلة - لبقلة قدامهم دقيقة القضبان قليلة الورق لاصقة فروعها بالأرض، تدعى التربة - فقال: هذه التربة التي لا تذكي ناراً، ولا تؤهل داراً، ولا تسر جاراً، عودها ضئيل، وفرعها قليل، وخيرها قليل، بلدها شاسع، ونبتها خاشع، وأكلها جائع، والمقيم عليها ضائع، أقصر البقول فرعاً، وأحبثها مرعى، وأشدّها قلعاً، فتعسا لها وجدعاً، القوا بي أخوا بني عبس، أرجعه عنكم بتعس ونكس، وأتركه من أمره في لبس. فقالوا: نصبح فنرى فيك رأينا. فقال لهم عامر: انظروا غلامكم؛ فإن رأيتموه نائماً فليس أمره بشيء، وإنما يتكلم بما جاء على لسانه، ويهذي بما يهجس في خاطره، وإذا رأيتموه ساهراً فهو صاحبكم. فرمقوه بأبصارهم، فوجدوه قد ركب رحلاً، فهو يكدم بأوسطه حتى أصبح.

فلما أصبحوا قالوا: أنت والله صاحبنا، فحلقوا رأسه، وتركوا ذؤابتين، وألبسوه حلة، ثم غدوا به معهم على النعمان، فوجدوه يتغذى ومعه الربيع وهما يأكلان، ليس معه غيره، والدار والمجالس مملوءة من الوفود. فلما فرغ من الغداء أذن للجعفريين فدخلوا عليه، وقد كان تقارب أمرهم، فذكروا للنعمان الذي قدموا له من حاجتهم، فاعترض الربيع في كلامهم، فقام لبيد يرتجز، ويقول:

يارب هيجاً هي خير من دعه	أكل يوم هامتي مقزعه
نحن بنو أم البنين الأربعة	ومن خيار عامر بن صعصعه
المطعمون الجفنة المددعه	والضاربون الهام تحت الخيضعه
يا واهب الخير الكثير من سعه	إليك جاوزنا بلاداً مسبعه

لا تأكل معه أبيت اللعن مهلاً

يخبر عن هذا خبير فاسمعه

وإنه يدخل فيها إصبغه

إن استه من برص ملمعه

كأنما يطلب شيئاً أطعمه

يدخلها حتى يوارى أشجعه

فلما فرغ من إنشاده التفت النعمان إلى الربيع شزراً يرمقه، فقال: أكذا أنت؟ قال: لا، والله، لقد كذب علي ابن الحمق اللثيم. فقال النعمان: أف لهذا الغلام، لقد خبت علي طعامي. فقال: أبيت اللعن، أما إني قد فعلت بأمه. فقال لبيد: أنت لهذا الكلام أهل، وهي من نساء غير فعل، وأنت المرء فعل هذا بيتيمة في حجره. فأمر النعمان ببني جعفر فأخرجوا. وقام الربيع فانصرف إلى منزله، فبعث إليه النعمان بضعف ما كان يجوه به، وأمره بالانصراف إلى أهله.

وكتب إليه الربيع: إني قد تحوفت أن يكون قد وقر في صدرك ما قاله لبيد، ولست برائم حتى تبعث من مجردني فيعلم من حضرك من الناس أي لست كما قال. فأرسل إليه: إنك لست صانعاً بانتفائك مما قال لبيد شيئاً، ولا قادراً على ما زلت به الألسن، فالحق بأهلك. فقال الربيع:

ما مثلها سعة عرضاً ولا طولاً

لئن رحلت جمالي إن لي سعة

لم يعدلوا ريشة من ريش سمويلاً

بحيث لو وزنت لحم بأجمعها

لا مثل رعيكم ملحاً وغسويلاً

ترعى الروائم أحرار البقول بها

مع النطاسي يوماً وابن توفيلاً

فأبرق بأرضك يا نعمان متكنناً

فكتب إليه النعمان:

تكثر علي ودع عنك الأباطيلاً

شرد برحلك عني حيث شئت ولا

وردأ يعطل أهل الشام والنيلا

فقد ذكرت به والركب حامله

هوج المطي به إوراق شمليلاً

فما انتفاؤك منه بعد ما جزعت

فما اعتذارك من شيء إذا قبلاً

قد قيل ذلك إن حقاً وإن كذباً

فالحق بحيث رأيت الأرض واسعة وانشر بها الطرف إن عرضاً وإن طولاً

### داحس والغبراء

وأما الشعر الذي فيه الغناء فإن الربيع بن زياد يقوله في مقتل مالك بن زهير. وكان قتله في بعض تلك الوقائع التي يعرف مبدؤها بداحس والغبراء.

حرب داحس والغبراء وكان السبب في ذلك، فيما أخبرني بن علي بن سليمان الأحفش، ومحمد بن العباس

اليزيدي، قالوا: حدثنا أبو سعيد السكري، عن محمد بن حبيب وأبي غسان دماذ، عن أبي عبيدة، وإبراهيم بن سعدان، عن أبيه، قال: كان من حديث داحس أن أمه فرس كانت لقرواش بن عوف بن عاصم بن عبيد بن ثعلبة بن يربوع يقال لها: جلوى، وكان أبوه يسمى ذا العقال، وكان لحوط بن أبي جابر بن أوس بن حميري بن رياح؛ وإنما سمي داحساً لأن بني يربوع احتملوا ذات يوم سائرين في نجعة، وكان ذو العقال مع ابنتي حوط بن أبي جابر بن أوس تجنبا، فمرتا به على جلوى فرس قرواش وديقا؛ فلما رآها الفرس ودى وصهل، فضحك شبان من الحي رأوه، فاستحيت الفتاتان فأرسلتاه فتزا على جلوى، فوافق قبولها فأقصت، ثم أخذها لهما بعض الحي، فلحق بهما حوط، وكان رجلاً شريراً سيء الخلق، فلما نظر إلى عين الفرس قال: والله لقد نزا فرسي؛ فأخبراني ما شأنه، فأخبرته الخبر، فقال: يا آل رياح، لا والله لا أرضى أبداً حتى أخرج ماء فرسي، فقال له بنو ثعلبة: والله ما استكرهنا فرسك؛ إنما كان منفلتاً، فلم يزل الشر بينهما حتى عظم.

فلما رأى ذلك بنو ثعلبة قالوا: دونكم ماء فرسكم؛ فسطا عليها وأدخل يده في ماء وتراب، ثم أدخلها في رحمها حتى ظن أنه قد أخرج الماء، واشتملت الرحم على ما كان فيها، فنتجها قرواش مهراً، فسماه داحساً لذلك، وخرج كأنه أبوه ذو العقال. وفيه يقول جرير:

### إن الجياد بيتن حول خبائنا من آل أعوج أو لذي العقال

وأعوج: فرس لبني هلال.

فلما تحرك المهر سام مع أمه وهو فلو يتبعها، وبنو ثعلبة سائرون، فرآه حوط فأخذه، فقالت بنو ثعلبة: يا بني رياح، ألم تفعلوا فيه أول مرة ما فعلتم ثم هذا الآن! فقالوا: هو فرسنا، ولن نترككم أو نقاتلكم عنه أو تدفعوه إلينا.

فلما رأى ذلك بنو ثعلبة قالوا: إذاً لا نقاتلكم عنه، أنتم أعز علينا، هو فداؤكم، ودفعوه إليهم.

فلما رأى ذلك بنو رياح قالوا: والله لقد ظلمنا إخواننا مرتين، ولقد حلموا وكروموا، فأرسلوا به إليهم مع لقوحين.

فمكث عند قرواش ما شاء الله، وخرج أجود خيول العرب.

ثم إن قيس بن زهير بن جذيمة العبسي أغار على بني يربوع، فلم يصب أحداً غير ابنتي قرواش بن عوف ومائة من الإبل لقرواش، وأصاب الحي وهم خلوف، ولم يشهد من رجالهم غير غلامين من بني أزنم بن عبيد بن ثعلبة بن يربوع، فجالا في متن الفرس مرتدفيه وهو مقيد بقيد من حديد فأعجلهما القوم عن حل قيده، واتبعهما القوم، فضير بالغلامين ضرباً حتى نجوا به، ونادتهما إحدى الجاريتين: إن مفتاح القيد مدفون في مذود الفرس بمكان كذا وكذا، أي بجانب مذود، وهو مكان، أي لا تتزلا عنه إلا في ذلك المكان، فسبقا إليه حتى أطلقاه ثم كرا راجعين.

فلما رأى ذلك قيس بن زهير رغب في الفرس، فقال لهما: لكما حكمكما، وادفعا إلي الفرس، فقالا: أو فاعل أنت؟ قال: نعم، فاستوثقا منه، على أن يرد ما أصاب من قليل وكثير، ثم يرجع عوده على بدئه، ويطلق الفتاتين، ويخلي عن الإبل، وينصرف عنهم راجعاً. ففعل ذلك قيس، فدفعوا إليه الفرس.

فلما رأى ذلك أصحاب قيس قالوا: لا نصلحك أبداً، أصبنا مائة من الإبل وامرأتين، فعمدنا إلى غنيمتنا فجعلتها في فرس لك تذهب به دوننا؛ فعظم في ذلك الشر حتى اشترى منهم غنيمتهم بمائة من الإبل.

فلما جاء قرواش قال للغلامين الأزمنيين: أين فرسي؟ فأخبراه، فأبى أن يرضى إلا أن يدفع إليه فرسه، فعظم في ذلك الشر حتى تنافروا فيه، ففضي بينهم أن ترد الفتاتان والإبل إلى قيس بن زهير، ويرد عليه الفرس. فلما رأى ذلك قرواش رضي بعد شر، وانصرف قيس بن زهير، ومعه داحس، فمكث ما شاء الله.

وزعم بعضهم أن الرهان إنما هاجه بين قيس بن زهير وحذيفة بن بدر بن عمرو بن جوية بن لوزان بن عدي بن فرارة بن ذبيان بن بغيض بن ريث بن غطفان بن سعد بن قيس بن عيلان بن مضر بن نزار - أن قيساً دخل على بعض الملوك وعنده قينة لحذيفة بن بدر تغنيه بقول امرئ القيس:

### دار لهند والرباب وفررتي ولميس قبل حوادث الأيام

وهن - فيما يذكر - نسوة من بني عبس، فغضب قيس بن زهير، وشق رداءها، وشمها؛ فغضب حذيفة، فبلغ ذلك قيساً، فأتاه يسترضيه، فوقف عليه، فجعل يكلمه وهو لا يعرفه من الغضب، وعنده أفراس له، فعاها، وقال: ما يرتبط مثلك مثل هذه يا أبا مسهر! فقال حذيفة: أتعيبها؟ قال: نعم، فتجاريا حتى تراها.

وقال بعض الرواة: إن الذي هاج الرهان أن رجلاً من بني عبد الله بن غطفان ثم أحد بني جوشن - وهم أهل بيت شؤم، أتى حذيفة زائراً - "ويقال إن الذي أتاه الورد العبسي أبو عروة بن الورد" - قال: فعرض عليه حذيفة خيله، فقال: ما أرى فيها جواداً ميراً، والمير؛ الغالب، قال ذو الرمة:

### أبر على الخصوم فليس خصم ولا خصمان يغلبه جدالا

فقال له حذيفة: فعند من الجواد المير؟ فقال: عند قيس بن زهير فقال له: هل لك أن تراهنني عنه؟ قال: نعم، قد فعلت، فراهنه على ذكر من خيله وأنتى.

ثم إن العبدى أتى قيس بن زهير، وقال: إني قد راهنت عنك على فرسين من خيلك ذكر وأنتى وأوجب الرهان.

فقال قيس: ما أبالي من راهنت غير حذيفة، فقال: ما راهنت غيره، فقال له قيس: إنك ما علمت لأنك.

ثم ركب قيس حتى أتى حذيفة، فوقف عليه، فقال له: ما غدا بك! قال: غدوت لأوضحك الرهان، قال: بل غدوت لتغلقه، قال: ما أردت ذلك. فأبى حذيفة إلا الرهان، فقال قيس: أخيرك ثلاث خلال، فإن بدأت فاخترت قبلي فلي خلتان، ولك الأولى، وإن بدأت فاخترت قبلك فلك خلتان ولي الأولى.

قال حذيفة: فابدأ، قال قيس: الغاية من مائة غلوة - والغلوة: الرمية بالنشابة - قال حذيفة: فالمضمار أربعون ليلة، والمجرى: من ذات الإصدا .

ففعلا ووضعوا السبق على يدي غلاق أو ابن غلاق، أحد بني ثعلبة بن سعد بن ثعلبة.  
فأما بنو عبس فزعموا أنه أجرى الخطار والحنفاء. وزعمت بنو فزارة أنه أجرى قرزلاً والحنفاء، وأجرى قيس داحساً والغبراء.

ويزعم بعضهم أن الذي هاج الرهان أن رجلاً من بني المعتمر بن قطيعة بن عبس يقال له سراقه راهن شاباً من بني بدر - وقيس غائب - على أربع جزائر من خمسين غلوة، فلما جاء قيس كره ذلك، وقال له: لم ينته رهان قط إلا إلى شر. ثم أتى بني بدر، فسألهم المواضعة، فقالوا: لا، حتى نعرف سبقنا؛ فإن أخذنا فحقنا، وإن تركنا فحقنا.

فغضب قيس ومحك ، وقال: أما إذ فعلتم فأعظمووا الخطر، وأبعدوا الغاية، قالوا: فذلك لك. فجعلاوا الغاية من واردات إلى ذات الإصدا، وذلك مائة غلوة، والثنية فيما بينهما، وجعلوا القصة في يدي رجل من بني ثعلبة بن سعد، يقال له حصين، ويقال: رجل من بني العشاء من بني فزارة، وهو ابن أخت لبني عبس، وملئوا البركة ماء، وجعلوا السابق أول الخيل يكرع فيها.

ثم إن حذيفة بن بدر وقيس بن زهير أتيا المدى الذي أرسلن منه ينظران إلى الخيل كيف خروجها منه. فلما أرسلت عارضها ، فقال حذيفة: خدعتك يا قيس، قال: ترك الخداع من أجرى من مائة؛ فأرسلها مثلاً.  
ثم ركضا ساعة فجعلت خيل حذيفة تبر وخيل قيس تقصر، فقال حذيفة: سبقتك يا قيس، فقال: جري المذكيات غلاب ، فأرسلها مثلاً. ثم ركضا ساعة، فقال حذيفة: إنك لا تركض مركضاً، فأرسلها مثلاً. وقال: سبقت خيلك يا قيس، فقال قيس: رويداً يعلون الجدد، فأرسلها مثلاً.

قال: وقد جعل بنو فزارة كميناً بالثنية، فاستقبلوا داحساً فعرفوه فأمسكوه وهو السابق، ولم يعرفوا الغبراء وهي خلفه مصلية، حتى مضت الخيل واستهلت الثنية، ثم أرسلوه فتمطر في آثارها؛ أي أسرع، فجعل ييدرها فرساً فرساً حتى سبقها إلى الغاية مصلياً، وقد طرح الخيل غير الغبراء، ولو تباعدت الغاية لسبقها؛ فاستقبلها بنو فزارة فلطموها، ثم حلتوها عن البركة، ثم لطموا داحساً وقد جاء متواليين. وكان الذي لطمه عمير بن نضلة، فجسأت يده؛ فسمي جاسئاً.

فجاء قيس وحذيفة في آخر الناس، وقد دفعتهم بنو فزارة عن سبقهم، ولطموا أفراسهم، ولم تطقهم بنو عبس يقاتلوهم، وإنما كان من شهد ذلك من بني عبس أبياتاً غير كثيرة، فقال قيس بن زهير: يا قوم، إنه لا يأتي قوم إلى قومهم شراً من الظلم، فأعطونا حقنا، فأبت بنو فزارة أن يعطوهم شيئاً - وكان الخطر عشرين من الإبل - فقالت بنو عبس: أعطونا بعض سبقنا، فأبوا، فقالوا: أعطونا جزوراً ننحرها نطمعها أهل الماء؛ فإننا نكره القالة في العرب. فقال رجل من بني فزارة: مائة جزور وجزور واحد سواء، والله ما كنا لنقرر لكم بالسبق علينا، ولم

نسب.

فقام رجل من بني مازن بن فزارة فقال: يا قوم، إن قيساً كان كارهاً لأول هذا الرهان، وقد أحسن في آخره، وإن الظلم لا ينتهي إلا إلى الشر؛ فأعطوه جزوراً من نعمكم، فأبوا، فقام إلى جزور من إبله فعقلها ليعطيها قيساً ويرضيه، فقام ابنه فقال: إنك لكثير الخطأ؛ أتريد أن تخالف قومك وتلحق بهم خزاية بما ليس عليهم؟ فأطلق الغلام عقالها، فلحقت بالنعم. فلما رأى ذلك قيس بن زهير احتمل عنهم هو ومن معه من بني عبس، فأتى على ذلك ما شاء الله.

ثم إن قيساً أغار عليهم، فلقي عوف بن بدر فقتله وأخذ إبله، فبلغ ذلك بني فزارة، فهموا بالقتال، وغضبوا فحمل الربيع بن زياد أحد بني عوذ بن غالب بن قطيعة بن عبس دية عوف بن بدر مائة عشراء متلية. "العشراء: لا التي أتى عليها من حملها عشرة أشهر من ملقحها. والمتالي: النبي نتج بعضها والباقي يتلوها في النتاج".

وأم عوف وأم حذيفة ابنة نضلة بن جوية بن لوزان بن ثعلبة بن عدي بن فزارة. واصطاح الناس فمكثوا ما شاء الله.

ثم إن مالك بن زهير أتى امرأة يقال لها: مليكة بنت حارثة من بني عوذ بن فزارة، فابتنى بها باللقاطة قريباً من الحاجر، فبلغ ذلك حذيفة بن بدر، ففدس له فرساناً على أفراس من مسان خيله، وقال: لا تنظروا مالكاً إن وجدتموه أن تقتلوه، والربيع بن زياد بن عبد الله بن سفيان بن ناشب العبسي مجاور حذيفة بن بدر، وكانت تحت الربيع بن زياد معاذة ابنة بدر، فانطلق القوم، فلقوا مالكاً فقتلوه، ثم انصرفوا عنه، فجاءوا عشية وقد جهدوا أفراسهم، فوقفوا على حذيفة ومعه الربيع بن زياد، فقال حذيفة: أقدرتم على حماركم! قالوا: نعم، وعقرناه.

فقال الربيع: ما رأيت كالיום قط، أهلكت أفراسك من أجل حمار! فقال حذيفة لما أكثر عليه من الملامة، وهو يحسب أن الذي أصابوا حماراً: إنا لم نقتل حماراً، ولكننا قتلنا مالك بن زهير بعوف بن بدر. فقال الربيع: بنس لعمر الله القتل قتل، أما والله إني لأظنه سيبلغ ما نكره. الربيع يغضب لقتل مالك فتراجعا شيئاً من كلام ثم تفرقا، فقام الربيع يبطاً الأرض وطأ شديداً، وأخذ يومئذ حمل بن بدر ذا النون، سيف مالك بن زهير.

قال أبو عبيدة: فرعموا أن حذيفة لما قام الربيع بن زياد أرسل إليه بمولدة له فقال لها: اذهبي إلى معاذة بنت بدر امرأة الربيع فانظري ما ترين الربيع يصنع. فانطلقت الجارية حتى دخلت البيت، فاندست بين الكفاء والنضد - والكفاء: شقة في آخر البيت، والنضد: متاع يجعل على حمار من خشب - فجاء الربيع فنفذ البيت حتى أتى فرسه فقبض بمعرفته، ثم مسح متنه حتى قبض بعكوة ذنبه - العكوة: أصل الذنب - ثم رجع إلى البيت ورمحه

مركزوز بفنائها، فهزه هزاً شديداً، ثم ركزه كما كان، ثم قال لامرأته: اطرحي لي شيئاً، فطرحت له شيئاً، فاضطجع عليه، وكانت قد طهرت تلك الليلة، فذنت منه، فقال: إليك! قد حدث أمر، ثم تغنى، وقال: الربيع يرثي مالكا

نام الخلي وما أغمض حار  
من سييء النبأ الجليل الساري  
من مثله تمسي النساء حواسراً  
وتقوم معولة مع الأسحار  
من كان مسروراً بمقتل مالك  
فليأت نسوتنا بوجه نهار  
يجد النساء حواسراً يندبته  
بيكين قبل تبليج الأسحار  
قد كن يخبان الوجوه تستراً  
فاليوم حين بدون للنظار  
يخمشن حررات الوجوه على امرىء  
سهل الخليفة طيب الأخبار  
أفبعد مقتل مالك بن زهير  
ترجو النساء عواقب الأطهار  
ما إن أرى في قتله لذوي الحجا  
إلا المطي تشد بالأكوار  
ومجنبات ما يذقن عذوفة  
يقذفن بالمهرات والأمهار  
العذوف والعدوف واحد، وهو ما أكلته.  
ومساعراً صداً الحديد عليهم  
يارب مسرور بمقتل مالك  
ولسوف نصرفه بشر محار

فرجعت المرأة فأخبرت حذيفة الخبر، فقال: هذا حين اجتمع أمر إخوتكم، ووقعت الحرب. وقال الربيع لحذيفة وهو يومئذ جاره: سيرني، فإني جاركم، فسيره ثلاث ليال، ومع الربيع فضلة من خمر، فلما سار الربيع دس حذيفة في أثره فوارس، فقال: اتبعوه، فإذا مضت ثلاث ليال فإن معه فضلة من خمر، فإن وجدتموه قد أهراقها فهو جاد وقد مضى، فانصرفوا، وإن لم تجدوه قد أراقها فاتبعوه؛ فإنكم تجدونه قد مال لأدنى منزل، فرتع وشرب فاقتلوه، فتبعوه فوجدوه قد شق الزق ومضى، فانصرفوا.

فلما أتى الربيع قومه، وقد كان بينه وبين قيس بن زهير شحناء؛ وذلك أن الربيع ساوم قيس بن زهير في درع كانت عنده، فلما نظر إليها وهو راكب وضعها بين يديه، ثم ركض بما فلم يردها على قيس، فعرض قيس لفاطمة ابنة الخرشب الأثمارية - من أثمار بن بغيض، وهي إحدى منجبات قيس، وهي أم الربيع - وهي تسير في ظعائن من عبس، فاقتاد جملها، يريد أن يرهنها بالدرع حتى يرد عليه، فقالت: ما رأيت كاليوم فعل رجل! أي قيس، ضل حلمك! أترجو أن تصطلح أنت وبنو زياد وقد أخذت أمهم! فذهبت بما يميناً وشمالاً! فقال الناس في

ذلك ما شاءوا! وحسبك من شر سماعه، فأرسلتها مثلاً. فعرف قيس بن زهير ما قالت له، فخلى سبيلها، وأطرد  
إبلاً لبني زياد، فقدم بها مكة، فباعها من عبد الله بن جدعان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة  
القرشي، وقال في ذلك قيس بن زهير :

ألم يبلغك والأنباء تنمي  
بما لاقت لبون بني زياد  
ومحبسها على القرشي تشرى  
بأدراع وأسياف حداد  
كما لاقيت من حمل بن بدر  
وإخوته على ذات الإصاد  
هم فخرُوا علي بغير فخر  
وذاذوا دون غايته جوادي  
وكنت إذا منيت بخصم سوء  
دلقت له بداهية ناد  
بداهية تدق الصلب منه  
فتقصم أو تجوب عن الفؤاد  
وكنت إذا أتاني الدهر ريق  
بداهية شددت لها نجادي  
الريق: ما يتقلده.

ألم تعلم بنو الميقاب أنى  
كريم غير منغلث الزناد  
الوقب: الأحمق، والميقاب: التي تلد الحمقى، والمنغلث: الذي ليس بممتقى.

أطوف ما أطوف ثم آوي  
إلى جار كجار أبي داود  
جاره: يعنيربيعة الخير بن قرط بن سلمة بن قشير، وجار أبي داود يقال له: الحارث بن همام بن مرة بن ذهل بن  
شيبان، وكان أبو داود في جواره، فخرج صبيان الحي يلعبون في غدير، فغمس الصبيان ابن أبي داود فيه فقتلوه،  
فخرج الحارث فقال: لا يبقى صبي في الحي إلا غرق في الغدير أو يرضى أبو داود، فودي ابن أبي داود عشر  
ديات فرضي، وهو قول أبي داود:

إبلي الإبل لا يحوزها الرا  
عون ومج الندى عليها المدام  
قال أبو سعيد: حفطي: لا يحوزها الراعي ومج الندى.

إليك رببعة الخير بن قرط  
وهوباً للطريف وللتلاد  
كفاني ما أخاف أبو هلال  
رببعة فانتهدت عني الأعادي  
تظل جواده يحددين حولي  
بذات الرمث كالحدا الغوادي  
كأني إذ أنخت إلى ابن قرط  
عقلت إلى يللم أو نضاد  
وقال أيضاً قيس بن زهير:

جنتها خيارهم أو هم

مقدمها سابح أدهم

مضاعفة نسجها محكم

فويهاً ربيع ولم يسأموا

كما انزجر الحارث الأضجم

إن تك حرب فلم أجنها

حذار الردى إذ رأوا خيلنا

عليه كمي وسرباله

فإن شمريت لك عن ساقها

نهيت ربيعاً فلم يزدجر

قال أبو عبد الله: الحارث الأضجم: رجل من بين ضبيعة بن ربيعة بن نزار، وهو صاحب المرباع. قال: فكانت تلك الشحنة بين بني زياد وبين بني زهير، فكان قيس يخاف خذلانهم إياه، فزعموا أن قيساً دس غلاماً له مولداً، فقال: انطلق كأنك تطلب إبلاً؛ فإنهم سيسألونك، فاذا ذكر مقتل مالك، ثم احفظ ما يقولون: فأتاهم العبد، فسمع الربيع يتغنى بقوله:

ترجو النساء عواقب الأظهار

أفبعد مقتل مالك بن زهير

فلما رجع العبد إلى قيس فأخبره بما سمع من الربيع بن زياد، عرف قيس أن قد غضب، فاجتمعت بنو عبس على قتال بني فزارة، فأرسلوا إليهم أن ردوا علينا إبلنا التي ودينا بها عوفاً أخوا حذيفة بن بدر لأمه، فقال: لا أعطيك دية ابن أمي، وإنما قتل صاحبكم حمل بن بدر، وهو ابن الأسدية، وأنتم وهو أعلم.

فزعم بعض الناس أنهم كانوا ودوا عوف بن بدر بمائة من الإبل متلية؛ أي قد دنا نتاجها، وأنه أتى على تلك الإبل أربع سنين، وأن حذيفة بن بدر أراد أن يردها بأعيانها، فقال له سنان بن خارجة المري: أتريد أن تلحق بنا خزاية فنعطيم أكثر مما أعطونا، فتسبنا العرب بذلك؟ فأمسها حذيفة، وأبي بنو عبس أن يقبلوا إلا إبلهم بعينها فمكث القوم ما شاء الله أن يمكثوا.

جندب يقتل مالك بن بدر ثم إن مالك بن بدر خرج يطلب إبلاً له، فمر على بني رواحة، فرماه جندب - أحد بني رواحة - بسهم فقتله، فقالت ابنة مالك بن بدر في ذلك:

عقيرة قوم أن جرى فرسان

وليتهما لم يرسلنا لرهان

فأي قتيل كان في غطفان

أو الرس تبكي فارس الكتفان

لله عينا من رأى مثل مالك

فليتهما لم يشربا قط قطرة

أحل به من جندب أمس نذره

إذا سجعت بالرقمتين حمامة

فوس له كانت تسمى الكتفان.

الأسلع بن عبد الله بن ناشب يمشي في الصلح بين عبس وذبيان ثم إن الأسلع بن عبد الله بن ناشب بن زيد بن

هدم بن أد بن عوذ بن غالب بن قطيعة بن عبس مشى في الصلح، ورهن بني ذبيان ثلاثة من بنيه وأربعة من بني أخيه حتى يصطلحوا، جعلهم على يدي سبيع بن عمرو من بني ثعلبة بن سعد بن ذبيان. فمات سبيع وهم عنده. سبيع بن عمرو يوصي مالكاً ابنة فلما حضرته الوفاة قال لابنه مالك بن سبيع: إن عندك مكرمة لا تبديد إن أنت احتفظت بهؤلاء الأغيلمة، وكأني بك لو قد مت قد أتاك حذيفة خالك - وكانت أم مالك هذا ابنة بدر - فعصر عينيه، وقال: هلك سيدنا، ثم خدعك عنهم حتى تدفعهم إليه فيقتلهم، فلا شرف بعدها فإن خفت ذلك فاذهب بهم إلى قومهم.

فلما ثقل جعل حذيفة يبكي ويقول: هلك سيدنا، فوقع ذلك له في قلب مالك.

مالك دفع الرهن إلى حذيفة فلما هلك سبيع أطاف بابنه مالك فأعظمه، ثم قال له: يا مالك، إني خالك، وإني أسن منك، فادفع إلي هؤلاء الصبيان ليكونوا عندي إلى أن ننظر في أمرنا. ولم يزل به حتى دفعهم إلى حذيفة باليعمرية، واليعمرية: ماء بواد من بطن نخل من الشربة لبني ثعلبة.

فلما دفع مالك إلى حذيفة الرهن جعل كل يوم يبرز غلاماً فينصبه غرضاً ويرمي بالنبل، ثم يقول: ناد أباك، فينادي أباه حتى يمزقه النبل، ويقول لواقد بن جنيد: ناد أباك فجعل ينادي: يا عماء، خلافاً عليهم، ويكره أن يأبس أباه بذلك - والأبس: القهر والحمل على المكروه - وقال لابن جنيد بن عمرو بن عبد الأسلع: ناد جنينة وكان جنينة لقب أبيه - فجعل ينادي: يا عمراء، باسم أبيه حتى قتل. وقتل عتبة بن قيس بن زهير. ثم إن بني فزارة اجتمعوا هم وبنو ثعلبة وبنو مرة، فالتقوا هم وبنو عبس، فقتلوا منهم مالك بن سبيع بن عمرو الثعلبي - قتله مروان بن زنباع العبسي - وعبد العزى بن حذار الثعلبي، والحارث بن بدر الفزاري، وهرم بن ضمضم المري - قتله ورد بن حابس العبسي، ولم يشهد ذلك اليوم حذيفة بن بدر، فقالت ناجية أخت هرم بن ضمضم المري:

ألا أرى هراً على مودوع

يا لهف نفسي لهفة المفجوع

علق الفؤاد بحنظل مجدوع

من أجل سيدنا ومصراع جنبه

مودوع: فرسه.

### بين ذبيان وعبس

ثم إن حذيفة بن بدر جمع وتأهب، واجتمع معه بنو ذبيان بن بغيض فبلغ بني عبس أنهم قد ساروا إليهم، فقال قيس: أطيعوني، فوالله لئن لم تفعلوا لأتكنن على سيفي حتى يخرج من ظهري، قالوا: فإننا نطيعك، فأمرهم فسرخوا السوام والضعاف بليل وهو يريدون أن يظعنوا من منزلهم ذلك، ثم ارتحلوا في الصباح، وأصبحوا على ظهر العقبة، وقد مضى سوامهم وضعفاؤهم. فلما أصبحوا طلعت عليهم الخيل من الثنايا، فقال قيس: خذوا غير طريق المال؛ فإنه لا حاجة للقوم أن يقعوا في شوكتكم، ولا يريدون بكم في أنفسكم شراً من ذهاب أموالكم،

فأخذوا غير طريق المال.

فلما أدرك حذيفة الأثر ورآه قال: أبعدهم الله! وما خيرهم بعد ذهاب أموالهم! فاتبع المال.

وسارت ظعن بني عيس والمقاتلة من ورائهم، وتبع حذيفة وبنو ذبيان المال. فلما أدركوه ردوه أوله على آخره، ولم يفلت منهم شيء، وجعل الرجل يطرد ما قدر عليه من الإبل، فيذهب بها. وتفرقوا، واشتد الحر، فقال قيس بن زهير: يا قوم، إن القوم قد فرق بينهم المغنم، فاعطفوا الخيل في آثارهم، فلم تشعر بنو ذبيان إلا والخيل دوائس، فلم يقاتلهم كبير أحد، وجعل بنو ذبيان إنما هممة الرجل في غنيمته أن يحوزها، ويمضي بها. فوضعت بنو عيس فيهم السلاح حتى ناشدتم بنو ذبيان البقية، ولم يكن لهم هم غير حذيفة، فأرسلوا خيلهم مجتهدين في أثره، وأرسلوا خيلاً تقص الناس ويسألونهم، حتى سقط خبير حذيفة من الجانب الأيسر على شداد بن معاوية العبسي، وعمرو بن ذهل بن مرة بن مخزوم بن مالك بن غالب بن قطيعة العبسي، وعمرو بن الأسلع، والحارث بن زهير، وقرواش بن هني بن أسيد بن جذيمة، وجنيدب.

وكان حذيفة قد استرخى حزام فرسه، فترل عنه فوضع رجله على حجر مخافة أن يقتص أثره، ثم شد الحزام فوقع صدر قدمه على الأرض فعرفوه، وعرفوا حنق فرسه - والحنق: أن تقبل إحدى اليدين على الأخرى، وفي الناس أن تقبل إحدى الرجلين على الأخرى، وأن يطاء الرجل وحشيهما، وجمع الأحنق حنق - فاتبعوه، ومضى حتى استغاث بجفر الهبأة وقد اشتد الحر، فرمى بنفسه، ومعه حمل بن بدر، وحنش بن عمرو، ووقعوا في الماء، وتمعكت دوابهم، وقد بعثوا ربيثة فجعل يطلع فينظر، فإذا لم ير شيئاً رجع، فنظر نظرة فقال: إني قد رأيت شخصاً كالنعامة أو كالطائر فوق القتادة من قبل مجيئنا. فقال حذيفة: هنا وهنا، هذا شداد على جروة، وجروة: فرس شداد، والمعنى دع ذكر شداد عن يمينك وعن شمالك، واذكر غيره لما كان يخاف من شداد.

فبينما هم يتكلمون إذا هم بشداد بن معاوية واقفاً عليهم، فحال بينهم وبين الخيل، ثم جاء عمرو بن الأسلع، ثم جاء قرواش حتى تماموا خمسة، فحمل جنيدب على خيلهم فاطردها، وحمل عمرو بن الأسلع، فاقتحم هو وشداد عليهم في الجفر، فقال حذيفة: يا بني عيس! فأين العقول والأحلام! فضربه أخوه حمل بن بدر بين كتفيه، وقال: اتق مأثور القول بعد اليوم، فأرسلها مثلاً.

وقتل قرواش بن هني حذيفة، وقتل الحارث بن زهير حمل بن بدر وأخذ منه ذا النون سيف مالك بن زهير، وكان حمل أخذه من مالك بن زهير يوم قتله، فقال الحارث بن زهير في ذلك:

حذيفة حوله قصد العوالي

تركت على الهبأة غير فخر

إذا لاقاهم وابنا بلال

سيخبر عنهم حنش بن عمرو

وما أعطيته عرق الخلال

ويخبرهم مكان النون مني

العرق: المكافأة، والخلال: المودة، يقول: لم يعطوني السيف عن مكافأة ومودة، ولكني قتلت وأخذت.  
فأجابه حنش بن عمرو أخو بني ثعلبة بن سعد بن ذبيان :

سيخبرك الحديث بن خبير

يجاهرك العداوة غيرى آلي

بداءتها لقرواش و عمرو

وأنت تجول جوبك في الشمال

الجوب: الترس، يقول: بداءة الأمر لقرواش و عمرو بن الأسلع، وهما اقتحما الجفر وقتلا من قتلا، وأنت ترسك  
في يدك يجول لم تغن شيئاً. ويقال: لك البداءة ولفلان العودة.  
وقال قيس بن زهير :

تعلم أن خير الناس ميت

على جفر الهباءة ما يريم

ولولا ظلمه ما زلت أبكي

عليه الدهر ما طلع النجوم

ولكن الفتى حمل بن بدر

بغى، والبغى مرتعه وخيم

أظن الحلم دل علي قومي

وقد يستجهل الرجل الحليم

فلا تغش المظالم لن تراه

يمتع بالغنى الرجل الظلوم

ولا تعجل بأمرك واستدمه

فما صلى عصاك كمستديم

ألاقي من رجال منكرات

فأنكرها وما أنا بالغشوم

ولا يعيبك عرقوب بلأي

إذا لم يعطك النصف الخصيم

ومارست الرجال ومارسوني

فمعوج علي ومستقيم

قوله: فما صلى عصاك كمستديم، يقول: عليك بالتأني والرفق، وإياك والعجلة؛ فإن العجول لا يبرم أمراً أبداً،  
كما أن الذي يتقف العود إذا لم يجد تصليته على النار لم يستقم له.  
وقال في ذلك شداد بن معاوية العبسي :

من يك سائلاً عني فإني

وجرورة لا نرود ولا نعار

مقربة النساء ولا تراها

أمام الحي يتبعها المهار

لها في الصيف آصرة وجل

وست من كرائمها غزار

آصرة: حشيش، وست: أي ست أينق تسقى لبنها.

ألا أبلغ بني العشراء عني

علانية وما يغني السرار

## قتلت سراتكم وحسلت منكم

## حسيلاً مثل ما حسل الوبار

حسالة الناس وحفالتهم ورعاعهم وخمائهم وشرطهم وحنالتهم وخشارتهم وغاناؤهم واحد؛ وهم السفلة يقول: قتلت سراتكم وجعلتكم بعدهم حسالة، كما خلقت الوبار حسالة. وكان ذلك اليوم يوم ذي حساً، ويزعم بعض بني فرارة أن حذيفة كان أصاب يومئذ فيمن أصاب من بني عيس تماضر ابنة الشريد السلمية أم قيس فقتلها، وكانت في المال، وقال:

## ولم أقتلكم سراً ولكن

## علانية وقد سطع الغبار

### صوت

## جاء البريد بقرطاس يخب به

## فأوجس القلب من قرطاسه فزعا

## قلنا: لك الويل، ماذا في صحيفتكم؟

## قال: الخليفة أمسى مثبثاً وجعا

عروضه من الكامل . الشعر ليزيد بن معاوية، والغناء لابن محرز، هزج بالوسطى عن عمرو. وهذا الشعر يقوله يزيد في علة أبيه التي مات فيها، وكان يزيد يومئذ غازياً غزاة الصائفة.

### خبر ليزيد بن معاوية

#### جيش معاوية يغزو الصائفة

أخبرني علي بن سليمان الأحفش، قال: حدثني السكري والمبرد، عن دماذ أبي غسان - واسمه رفيع بن سلمة - عن أبي عبيدة: أن معاوية وجه جيشاً إلى بلد الروم ليغزو الصائفة، فأصابهم جدرى فمات أكثر المسلمين، وكان ابن يزيد مصطبحاً بدير مران مع زوجته أم كلثوم، فبلغه خبرهم، فقال:

## إذا ارتفتت على الأنماط مصطبحاً

## بدير مران عندي أم كلثوم

## فما أبالي بما لاقت جنودهم

## بالغدقذونة من حمى ومن موم

فبلغ شعره أباه، فقال: أجل ، والله ليلحقن بهم فليصينه ما أصابهم.

#### يزيد يضرب باب القسطنطينية

فخرج حتى لحق بهم، وغزا حتى بلغ القسطنطينية، فنظر إلى قبتين مبنيتين عليهما ثياب الدياتج، فإذا كانت الحملة للمسلمين ارتفع من إحداهما أصوات الدفوف والطبول والمزامير، وإذا كانت الحملة للروم ارتفع من الأخرى، فسأل يزيد عنهما فقبل له: هذه بنت ملك الروم، وتلك بنت جبلة بن الأيهم، وكل واحدة منهما تظهر السرور بما تفعله عشيرتها، فقال: أما والله لأسرها، ثم صف العسكر، وحمل حتى هزم الروم، فأحجرهم في

المدينة، وضرب باب القسطنطينية بعمود حديد كان في يده، فهشمه حتى انخرق، فضرب عليه لوح من ذهب، فهو عليه إلى اليوم.

نسخت من كتاب محمد بن موسى اليزيدي: حدثني العباس بن ميمون طابع، قال: حدثني ابن عائشة، عن أبيه، وحدثني القحذمي: أن ميسون بنت بحدل الكلبيّة كانت تزين يزيد بن معاوية، وترجل جمته، قال: فإذا نظر إليه معاوية قال:

فإن مات لم تفلح مزينة بعده فنوطني عليه يا مزين التمائما

### يزيد وعنبسة في حضرة معاوية وهو يحتضر

فلما احتضر معاوية حضره يزيد بن معاوية، وعنبسة بن أبي سفيان، فبكى يزيد إلى عنبسة، وقال:

لو فات شيء يرى لفات أبو حيان لا عاجز ولا وكل

الحول القلب الأريب ولن يدفع زوء المنية الحيل

فسمعها معاوية بعد أن ردهما مراراً، فقال: يا بني، إن أخوف ما أخاف على نفسي شيء صنعته قبل ذلك، إني كنت أوضىء رسول الله صلى الله عليه وسلم، فكسائي قميصاً، وأخذت شعراً من شعره، فإذا مت فكفني في قميصه، واجعل الشعر في منخري وأذني وفمي، وخل بيني وبين ربي، لعل ذلك ينفعني شيئاً.

قال العباس بن ميمون: فقلت للقحذمي: هذا غلط، والدليل على ذلك أن أبا عدنان حدثني - وها هو حي فأسأله - عن الهيثم بن عدي، عن ابن عياش، عن الشعبي: أن معاوية مات ويزيد بالصائفة، فأناه البريد بنعيه، فأنشأ يقول:

جاء البريد بقرطاس يخب به فأوجس القلب من قرطاسه فزعا

قلنا: لك الويل، ماذا في صحيفتكم؟ قال: الخليفة أمسى مثبتاً وجعا

مادت بنا الأرض أو كادت تميد بنا كأن ما عز من أركانها انقلعا

من لم تنزل نفسه توفي على وجل توشك مقادير تلك النفس أن تقعا

لما وردت وباب القصر منطبق لصوت رملة هد القلب فانصدعا

### الضحاك بن قيس يتولى غسل معاوية ودفنه

وكان الذي تولى غسله ودفنه الضحاك بن قيس، فخطب الناس، فقال: إن ابن هند قد توفي، وهذه أكفانه على المنبر، ونحن مدرجوه فيها، ومخلون بينه وبين ربه، ثم هو البرزخ إلى يوم القيامة. ولو كان يزيد حاضراً لم يكن

للضحاك ولا غيره أن يفعل من هذا شيئاً.  
قال العباس: فسكت القحذمي، وما رد علي شيئاً.

### عبد الله بن الزبير يرثي معاوية

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء، قال: حدثني الزبير بن بكار، قال: حدثني عمي، عن جدي، عن هشام بن عروة، عن أبيه، قال: صلى بنا عبد الله بن الزبير يوماً، ثم انفتل من الصلاة، فنشج، وكان قد نعي له معاوية، ثم قال: رحم الله معاوية إن كنا لنخدعه فيتخادع لنا، وما ابن أنثى بأكرم منه، وإن كنا لنعرفه يتفارق لنا، وما الليث المحرب بأجراً منه؛ كان والله كما قال بطحاء العذري:

معن بخطبته يجهر

ركوب المناير وثابها

إذا حصر الهذر المهمر

تريع إليه عيون الكلام

كان والله كما قالت رقيقة، أو قال: بنمت رقيقة:

ألا كل الفتى فيه

ألا ابكيه ألا ابكيه

والله لو دي أنه بقي بقاء أبي قبيس، لا يتخون له عقل، ولا تنقص له قوة.  
قال: فعرفنا أن الرجل قد استوحس .

### ابن عباس يرثي معاوية أيضاً

أخبرني الحسن بن علي، قال: حدثنا ابن مهرويه، قال: حدثنا ابن أبي سعد، قال: قال محمد بن إسحاق المسيبي: حدثني جماعة من أصحابنا: أن ابن عباس أتاه نعي معاوية وولاية يزيد، وهو يعيش أصحابه ويأكل معهم، وقد رفع إلى فيه لقمة، فلقاها وأطرق هنيهة ثم قال: جبل تدكدك، ثم مال بجميعه في البحر، واشتملت عليه الأجر، لله در ابن هند! ما كان أجمل وجهه، وأكرم خلقه، وأعظم حلمه.  
فقطع عليه الكلام رجل من أصحابه، وقال: أتقول هذا فيه؟ فقال: ويحك! إنك لا تدري من مضى عنك، ومن بقي عليك، وستعلم. ثم قطع الكلام.

### صوت

حشدت وأكرمت زوارها

إذا زينب زارها أهلها

وإن لم أجد لي هوى دارها

وإن هي زارتهم زرتهم

وحربي لمن أشعلت نارها

فسلمي لمن سالمت زينب

## ومازلت أرعى لما عهدتها

## ولم أتبع ساعة عارها

عروضه من المتقارب. الشعر لشريح القاضي في زوجته زينب بنت حدير التميمية، والغناء لعمر بن بانه، ثاني ثقيل بالبصرة، عنه على مذهب إسحاق. وذكر إسحاق في كتاب "الأغاني" المنسوب إليه أنه لابن محرز.

## ذكر شريح ونسبه وخبره

هو فيما أخبرني به الحسن بن علي الخفاف، قال: حدثنا الحارث بن أبي أسامة، قال: حدثنا أبو سعيد، عن هشام بن السائب. وأخبرني محمد بن خلف وكيع، قال: حدثني علي بن عبد الله بن معاوية بن ميسرة بن شريح، كلاهما اتفق في الرواية لنسبه:

### نسبه

أنه شريح بن الحارث بن قيس بن الجهم بن معاوية بن عامر بن الرائش بن الحارث بن معاوية بن ثور بن مرتع الكندي. قال هشام في خبره خاصة: وليس بالكوفة من بني الرائش غيرهم، وسائرهم من هجر وحضرموت. وقد اختلف الرواة بعد هذا في نسبه؛ فقال بعضهم: شريح بن هانيء - وهذا غلط - ذاك شريح بن هانيء الحارثي، واعتل من قال هذا بخبر روي عن مجالد، عن الشعبي، أنه قرأ كتاباً من عمر إلى شريح: من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى شريح بن هانيء. وقد يجوز أن يكون كتب عمر رضي الله عنه هذا الكتاب إلى شريح بن هانيء الحارثي، وقرأه الشعبي، وكلا هذين الرجلين معروف، والفرق بينهما النسب والقضاء؛ فإن شريح بن هانيء لم يقض، وشريح بن الحارث قد قضى لعمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب. وقيل: شريح بن عبد الله، وشريح بن شراحيل، والصحيح ابن الحارث. وابنه أعلم به. وقد أخبرنا وكيع، قال: حدثنا أحمد بن عمر بن بكير، قال: حدثني أبي عن الهيثم بن عدي، عن أبي ليلى: أن خاتم شريح كان نقشه شريح بن الحارث. وقيل: إنه من أولاد الفرس الذين قدموا اليمن مع سيف بن ذي يزن، وعداده في كندة، وقد روى عنه شعبة بذلك.

أخبرنا وكيع، قال: حدثنا عبد الله بن محمد الحنفي، قال: حدثنا عبدان، قال: حدثنا عبد الله بن المبارك، قال: حدثنا سفيان الثوري، عن ابن أبي السفر، عن الشعبي، قال: جاء أعرابي إلى شريح، فقال: ممن أنت؟ قال: أنا من الذين أنعم الله عليهم، وعدادي في كندة. قال وكيع: وقيل: إنما خرج إلى المدينة ثم إلى العراق؛ لأن أمه تزوجت بعد أبيه فاستحيا.

### سنه

وقد اختلف أيضاً في سنه؛ فقليل: مائة وعشرون سنة، وقيل: مائة وعشر، وقيل: أقل من ذلك وأكثر. فممن ذكر أنه عمر مائة وعشرين سنة أشعث بن سوار، روى ذلك يحيى بن معين، عن الحاربي، عن أشعث، وأبو سعيد الجعفي، روى ذلك عنه أبو إبراهيم الزهري. وممن قال أقل من ذلك أبو نعيم. أخبرنا الحسن بن علي، عن الحارث، عن ابن سعد، عن أبي نعيم، قال: بلغ شريح مائة وثمانين سنة.

### سنة وفاته

قال الحارث: وأخبرني ابن سعد، عن الواقدي، عن أبي سبرة، عن عيسى، عن الشعبي، قال: توفي شريح في سنة ثمانين، أو تسع وسبعين. قال أبو سعيد: وقال إبراهيم: في سنة ست وسبعين. وقال أبو إبراهيم الزهري، عن أبي سعيد الجعفي: إن شريحاً مات في زمن عبد الملك بن مروان. أخبرني وكيع، قال: حدثنا الكرائي، عن سهل، عن الأصمعي، قال: ولد لشريح وهو ابن مائة سنة. وروى إسماعيل بن أبان الوراق، عن علي بن صالح، قال: قيل لشريح: كيف أصبحت؟ قال: أصبحت ابن ست ومائة، قضيت منها ستين سنة.

### عمر يستقصيه

وأخبرني وكيع بخبر عمر حين استقصاه، قال: حدثنا عبد الله بن محمد بن أيوب، قال: حدثنا روح بن عبادة، قال: حدثنا شعبة، قال: سمعت سياراً قال: سمعت الشعبي يقول: إن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أخذ من رجل فرساً على سوم، فحمل عليه رجلاً، فعطب الفرس، فقال عمر: اجعل بيني وبينك رجلاً، فقال له الرجل: اجعل بيني وبينك شريحاً العراقي. فقال: يا أمير المؤمنين! أخذته صحيحاً سليماً على سوم، فعليك أن ترده كما أخذته. قال: فأعجبه ما قال، وبعث به قاضياً، ثم قال: "ما وجدته في كتاب الله فلا تسأل عنه أحداً، وما لم تستب في كتاب الله فالزم السنة، فإن لم يكن في السنة، فاجتهد رأيك".

أخبرني وكيع، قال: أخبرني عبد الله بن الحسن، عن النميري، عن حاتم بن قبيصة المهلي، عن شيخ من كنانة، قال: قال عمر لشريح، حين استقصاه: "لا تشار ولا تضار، ولا تشتت ولا تبع". فقال عمرو بن العاص: يا أمير المؤمنين:

وفصلوا بين الخصوم فصلاً

إن القضاة إن أرادوا عدلاً

كانوا كمثل الغيث صاب محلاً

وزحزحوا بالحكم منهم جهلاً

وله أخبار في قضايا كثيرة يطول ذكرها، وفيها ما لا يستغنى عن ذكره، منها محاكمة أمير المؤمنين علي إليه في الدرع.

### قضى بين علي وبين يهودي

حدثني به عبد الله بن محمد بن إسحاق بن أخت داهر بن نوح بالأهواز، قال: حدثنا أبو الأشعث أحمد بن المقدم العجلي، قال: حدثني حكيم بن حزام، عن الأعمش، عن إبراهيم التيمي، قال: عرف علي درعاً مع يهودي، فقال: يا يهودي، درعي سقطت مني يوم كذا وكذا، فقال اليهودي: ما أدري ما تقول! درعي وفي يدي، بيني وبينك قاضي المسلمين.

فانطلقا إلى شريح، فلما رآه شريح قام له عن مجلسه، فقال له علي: اجلس. فجلس شريح، ثم قال: إن خصمي لو كان مسلماً لجلست معه بين يديك، ولكني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: لا تساؤوهم في المجلس، ولا تعودوا مرضاهم، ولا تشيعوا جنائزهم، واضطروهم إلى أضييق الطرق، وإن سبوكم فاضربوهم، وإن ضربوكم فاقتلوهم. ثم قال: درعي عرفتها مع هذا اليهودي.

فقال شريح لليهودي: ما تقول؟ قال: درعي وفي يدي.

قال شريح: صدقت والله يا أمير المؤمنين، إنها لدرعك كما قلت، ولكن لا بد من شاهد؛ فدعا قنبراً فشهد له، ودعا الحسن بن علي، فشهد له، فقال: أما شهادة مولاك فقد قبلتها، وأما شهادة ابنك لك فلا. فقال علي: سمعت عمر بن الخطاب يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إن الحسن والحسين سيدي شباب أهل الجنة.

قال: اللهم نعم، قال: أفلا تجيز شهادة أحد سيدي شباب أهل الجنة! والله لتخرجن إلى بانقيا فلتقضين بين أهلها أربعين يوماً. ثم سلم الدرع إلى اليهودي.

فقال اليهودي: أمير المؤمنين مشى معي إلى قاضيه، فقضى عليه، فرضي به، صدقت إنها لدرعك، سقطت منك يوم كذا وكذا عن جمل أورك فالتقطتها، وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله. فقال علي: هذه الدرع لك، وهذه الفرس لك، وفرض له في تسعمائة، فلم يزل معه حتى قتل يوم صفين.

### خبر زينب بنت حدير وتزويج شريح إياها

شريح يصح الشعبي بأن يتزوج من نساء بني تميم أخبرني الحسن بن علي الخفاف، قال: حدثنا أحمد بن زهير بن حرب، قال: حدثنا أبو همام الوليد بن شجاع، قال: حدثنا ابن أبي زائدة، وأبو محمد رجل ثقة، قال: حدثنا مجالد، عن الشعبي، قال: قال لي شريح: يا شعبي، عليكم بنساء بني تميم، فإذا امرأة جالسة في سقيفة على وسادة وتجاهها جارية رؤد - يعني التي قد بلغت - ولها ذؤابة على ظهرها جالسة على وسادة، فاستسقيت، فقالت لي: أي الشراب أعجب إليك: النبيذ، أم اللبن، أم الماء؟ قلت: أي ذلك يتيسر عليكم، قالت: اسقوا الرجل لبناً؛ فإني أحاله غريباً.

فلما شربت نظرت إلى الجارية فأعجبتي، فقلت: من هذه؟ قالت: ابنتي، قالت: وممن؟ قالت: زينب بنت حدير، إحدى نساء بني تميم، ثم إحدى نساء بني حنظلة، ثم إحدى نساء بني طهية، قلت: أفارغة أم مشغولة؟ قالت: بل فارغة، قلت: أتزوجينيها؟ قالت: نعم إن كنت كفيلاً، ولها عم فاقصده.

فانصرفت فامتنعت من القائلة، فأرسلت إلى إخواني القراء الأشراف: مسروق بن الأجدع، والمسيب بن نجبة، وسليمان بن صرد الخزاعي، وخالد بن عرفطة العذري، وعروة بن المغيرة بن شعبة، وأبي بردة بن أبي موسى، فوافيت معهم صلاة العصر، فإذا عمها جالس، فقال: يا أبا أمية، حاجتك؟ قلت: إليك، قال: وما هي؟ قلت: ذكرت لي بنت أخيك زينب بنت حدير، قال: ما بها عنك رغبة، ولا بك عنها مقصر، وإنك لنهزة. فتكلمت فحمد الله جل ذكره، وصليت على النبي صلى الله عليه وسلم، وذكرت حاجتي، فرد الرجل علي وزوجني، وبارك القوم لي، ثم مهضنا.

فما بلغت منزلي حتى ندمت، فقلت: تزوجت إلى أغلظ العرب وأجفأها فهمت بطلاقها، ثم قلت: أجمعها إلي، فإن رأيت ما أحب وإلا طلقته.

فأقمت أياماً، ثم أقبل نساؤها يهادينها، فلما أجلس في البيت أخذت بناصيتها فبركت، وأخلى لي البيت، فقلت: يا هذه، إن من السنة إذا دخلت المرأة على الرجل أن يصلي ركعتين وتصلي ركعتين، ويسألا الله خير ليلتهما، ويتعوذا بالله من شرها. فقامت أصلي ثم التفت، فإذا هي خلفي فصليت، ثم التفت فإذا هي علي فراشها، فممدت يدي، فقالت لي: علي رسلك، فقلت: إحدى الدواهي منيت بها، فقالت: إن الحمد لله أحمده وأستعينه إني امرأة غريبة، ولا والله ما سرت مسيراً قط أشد علي منه، وأنت رجل غريب لا أعرف أخلاقك، فحدثني بما تحب فآتيه، وما تكره فأنزجر عنه. فقلت: الحمد لله وصلى الله على محمد، قدمت خير مقدم، قدمت على أهل دار زوجك سيد رجالهم، وأنت سيدة نساءهم، أحب كذا وأكره كذا.

قالت: أخبرني عن أختانك أتحب أن يزوروك؟ فقلت: إني رجل قاض، وما أحب أن تملوني. أم زينب تسأله عن ابنتها فيثني عليها قال: فبت بأنعم ليلة، وأقمت عندها ثلاثاً، ثم خرجت إلى مجلس القضاء، فكنت لا أرى يوماً إلا هو أفضل من الذي قبله، حتى إذا كان عند رأس الحول دخلت منزلي، فإذا عجوز تأمر وتنهى، قلت: يا زينب، من هذه؟ فقالت: أمي فلانة. قلت: حياك الله بالسلام، قالت: أبا أمية كيف أنت وحالك؟ قلت: بخير أحمد الله، قالت: أبا أمية؛ كيف زوجك؟ قلت: كخير امرأة، قالت: إن المرأة لا ترى في حال أسوأ خلقاً منها في حالين: إذا حظيت عند زوجها، وإذا ولدت غلاماً؛ فإن رابك منها ريب فالسوط؛ فإن الرجال والله ما حازت إلى بيوتها شراً من الورهاء المتدللة.

قتل: أشهد أنها ابنتك، قد كفيتنا الرياضة، وأحسن الأدم.

قال: فكانت في كل حول تأتينا فتذكر هذا، ثم تنصرف.

يعالج زينب من لسعة عقرب

قال شريح: فما غضبت عليها قط إلا مرة كنت لها ظالماً فيها؛ وذاك أي كنت أمام قومي فسمعت الإقامة، وقد ركعت ركعتي الفجر، فأبصرت عقرباً، فعجلت عن قتلها، فأكفأت عليها الإناء، فلما كنت عند الباب قلت: يا زينب لا تحركي الإناء حتى أجيء، فعجلت فحركت الإناء فضربتها بالعقرب، فجئت فإذا هي تلوى. فقتل: ما لك؟ قالت: لسعتني العقرب. فلو رأيتني يا شعبي وأنا أعرك أصبعها بالماء والملح، وأقرأ عليها لامعوذتين وفتحة الكتاب.

### كان له جار يضرب امرأته فقال

وكان لي يا شعبي جار يقال له ميسرة بن عريير من الحي، فكان لا يزال يضرب امرأته، فقلت:

فشلت يميني يوم أضرب زينبا

رأيت رجالاً يضربون نساءهم

يا شعبي، فوددت أني قاسمتها عيشي.

ومما يغني فيه من الأشعار التي قالها شريح في امرأته زينب:

فشلت يميني يوم أضرب زينبا

رأيت رجالاً يضربون نساءهم

إلي، فما عذري إذا كنت مذنباً!

أضربها في غير جرم أتت به

كأن بفيها المسك خالط محلبا

فتاة تزين الحلي إن هي حليت

والغناء ليونس الكاتب من كتابه غير مجنس.

### صوت

لعينك من ماء الشؤون وكيف

أمن رسم دار مربع ومصيف

دموعي وأصحابي علي وقوف

تذكرت فيها الجهل حتى تبادرت

عروضه من مصرع الطويل. الشعر للحطيئة من قصيدة يمدح بها سعيد بن العاص لما ولى الكوفة لعثمان. والغناء لابن سريج رمل بالوسطى عن عمرو.

### أخبار الحطيئة مع سعيد بن العاص

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجوهري، قال: حدثنا عمر بن شبة، قال: حدثنا عبد الله بن محمد بن حكيم، عن خالد بن سعيد، عن أبيه، قال: لقيني إياس بن الحطيئة، فقال لي: يا أبا عثمان، مات أبي، وفي كسر بيته عشرون ألفاً أعطاه إياه أبوك، وقال فيه خمس قصائد، فذهب والله ما أعطيتمونا وبقي ما أعطيناكم، فقلت: صدقت والله.

### شعره في مدح سعيد بن العاص

قال أبو زيد: فمما قال فيه قوله:

أمن رسم دار مربع ومصيف  
إليك سعيد الخير جبت مهامها  
ولولا أصيل اللب غض شبابه  
إذا هم بالأعداء لم يثن همه  
لعينك من ماء الشؤون وكيف  
يقابلني آل بها وتتوف  
كريم لأيام المنون عروف  
كعاب عليها لؤلؤ وشنوف  
ومشي كما تمشي القطاة قطوف  
حصان لها في البيت زي وبهجة  
ولو شاء وارى الشمس من دون وجهه  
حجاب ومطوي السراة منيف

### ينشد شعراً لأبي الإيادي وعبيد

أخبرنا محمد بن العباس اليزيدي، وأحمد بن عبد العزيز الجوهري، قالوا: حدثنا عمر بن شبة، قال: حدثنا عبد الله بن محمد بن حكيم الطائي، عن خالد بن سعيد بن العاص، عن أبيه، قال: كان سعيد بن العاص في المدينة زمن معاوية، وكان يعيشي الناس، فإذا فرغ من العشاء قال الآذن: أجزوا إلا من كان من أهل سمره. قال: فدخل الحطيئة فتعشى مع الناس، ثم أقبل فقال الآذن: أجزوا، حتى انتهى إلى الحطيئة، فقال: أجز، فأبى، فأعاد عليه فأبى، فلما رأى سعيد إباءه قال: دعه، وأخذ في الشعر والحطيئة مطرق لا ينطق، فقال الحطيئة: والله ما أصبتم جيد الشعر، ولا شاعر الشعراء. قال سعيد: من أشعر العرب يا هذا؟ فقال: الذي يقول:

لا أعد الإقتار عدماً ولكن  
فقد من قد رزنته الإعدام  
من رجال من الأقارب بانوا  
من جذام هم الرؤوس الكرام  
سلط الموت والمنون عليهم  
فلهم في صوى المقابر هام  
وكذاكم سبيل كل أناس  
سوف حقا تبليهم الأيام

قال: ويحك! من يقول هذا الشعر؟ قال: أبو داود الإيادي، قال: أو ترويه؟ قال: نعم، قال: فأنشده، فأنشده الشعر كله، قال: ومن الثاني؟ قال: الذي يقول:

أفلح بما شئت فقد يبلغ بالض  
عف وقد يخدع الأريب

قال: ومن يقول هذا؟ قال: عبيد، قال: أو ترويه؟ قال: نعم، فأنشده، فأنشده، ثم قال له: ثم من؟ قال: والله لحسبك بي عند رهبة أو رغبة، إذا وضعت إحدى رجلي على الأخرى، ثم رفعت عقيرتي بالشعر، ثم عويت على

أثر القوافي عواء الفيصل الصادر عن الماء.

قال: ومن أنت؟ قال: الحطيئة، قال: ويحك! قد علمت تشوقنا إلى مجلسك، وأنت تكتمننا نفسك منذ الليلة! قال: نعم لمكان هذين الكلبين عندك، وكان عنده كعب بن جعيل، وأخوه. وكان عنده سويد بن مشنوء النهدي، حليف بني عدي بن جناب الكلبيين، فأنشده الحطيئة قوله:

ألسـت بجـاعـلي كـابـني جـعـيل      هـذاك الله أو كـابـني جنـاب

أدب فلا اقدر أن تراني      ودونك بالمدينة ألف باب

وأحبس بالعراء المحل بيتي      ودونك عازب ضخم الذباب

العازب: الكالأ الذي لم يرع، وقد التف نبتة.

فقال له سعيد: لعمر الله لأنت أشعر عندي منهم، فأنشدني، فأنشده:

سعيد وما يفعل سعيد فإنه      نجيب فلاه في الرباط نجيب

سعيد فلا يغررك قلة لحمه      تخذد عنه اللحم فهو صليب

ويروى: خفة لحمه.

إذا غاب عنا غاب عنا ربيعنا      ونسقى الغمام الغر حين يؤوب

فنعم الفتى تعشو إلى ضوء ناره      إذا الريح هبت والمكان جديب

فأمر له بعشرة آلاف درهم، ثم عاد فأنشده قصيدته التي يقول فيها:

أمن رسم دار مربع ومصيف

يقول فيها:

إذا هم بالأعداء لم يئن عزمه      كعاب عليها لؤلؤ وشنوف

فأعطاه عشر آلاف أخرى.

أخبرني محمد بن الحسن بن دريد، قال: أخبرنا أبو حاتم، عن أبي عبيدة بهذا الحديث نحو ما رواه خالد بن سعيد، وزاد فيه: فانتهى الشرط إلى الحطيئة فأراه أعراياً قبيح الوجه، كبير السن، سيء الحال، رث الهيئة، فأرادوا أن يقيموه، فأبى أن يقوم، وحانت من سعيد التفاتة، فقال: دعوا الرجل، وباقي الخير مثله.

### خالد بن سعيد يأمر له بكسوة وحملان

قال أبو عبيدة في هذا الخبر: وأخبرني رجل من بني كنانة، قال: أقبل الحطيئة في ركب من بني عيس، حتى قدم المدينة، فأقام مدة، ثم قال له من في رفقته: إنا قد أردنا وأخلىنا، فلو تقدمت إلى رجل شريف من أهل هذه القرية فقرانا وحملنا. فأتى خالد بن سعيد بن العاص، فسأله فاعتذر إليه، وقال: ما عندي شيء فلم يعد عليه

الكلام، وخرج من عنده، فارتاب به خالد، فبعث يسأل عنه، فأخبر أنه الحطيئة، فرده. فأقبل الحطيئة، فقعد لا يتكلم، فأراد خالد أن يستفتحه الكلام، فقال: من أشعر الناس؟ فقال: الذي يقول:

**ومن يجعل المعروف من دون عرضه يفره ومن لا يتق الشتم يشتم**

فقال خالد لبعض جلسائه: هذه بعض عقاربه، وأمر بكسوة وحملان، فخرج بذلك من عنده.

### صوت

**حبذا ليلتي بتل بوني حين نسقى شرابنا ونغنى**

**إذ رأينا جوارياً عطرات وغناء وقرقفاً فنزلنا**

**ما لهم لا يبارك الله فيهم إذ يسألون: ويحنا ما فعلنا!**

عروضه الضرب الأول من الخفيف. الشعر لمالك بن أسماء بن خارجة، والغناء لحنين، رمل مطلق في مجرى البنصر عن إسحاق.

### أخبار مالك بن أسماء بن خارجة ونسبه

#### نسبه

هو مالك بن أسماء بن خارجة بن حصن بن حذيفة بن بدر الفزاري، وقد مضى هذا النسب في أخبار عوف القوافي، وقد مضت أخباره، وذكر هذا البيت من فرارة وشرفه فيها وسائر قصصه هناك.

#### الحجاج يتزوج أخته هنداً ويوليه أصبهان

ثم يأمر بحبس خيانة ظهرت عليه وكان الحجاج بن يوسف ولي مالك بن أسماء بعد أن تزوج أخته هنداً بأصبهان، بعد حبس طويل في خيانة ظهرت عليه، ثم خلاه بعد ذلك، وطالت أيامه بأصبهان، فظهرت عليه خيانة أخرى، فحبسه وناله بكل مكروه.

أخبرني بخبره أحمد بن عبد العزيز الجوهري، قال: حدثنا عمر بن شبة، قال: حدثنا عبد الله بن عبد الرحمن بن عيسى بن موسى، قال: حدثني هشام بن محمد المهلبي، قال:

اختلف الحجاج وهند بنت أسماء زوجته في وقعة بنات قين، فبعث إلى مالك بن أسماء بن خارجة، فأخرجه من السجن، وكان محبوساً بمال عليه للحجاج، فسأله عن الحديث فحدثه به، ثم أقبل على هند فقال: قومي إلى أخيك، فقالت: لا أقوم إليه، وأنت ساخط عليه. فأقبل الحجاج عليه، فقال: إنك والله ما علمت للخائن أمانته، اللئيم حسبته، الزاني فرجه، فقال: إن أذن الأمير تكلمت، قال: قل، قال: أما قول الأمير الزاني فرجه، فوالله لأنا

أحقر عند الله عز وجل وأصغر في عين الأمير من أن يجب لله علي حد فلا يقيمه، وأما قوله: اللئيم حسبه، فوالله لو علم الأمير مكان رجل أشرف مني لم يصاهريني، وأما قوله: إني خؤون، فلقد ائتمني فوفرت، فأخذني بما أخذني به، فبعث ما كان وراء ظهري، ولو ملكت الدنيا بأسرها لافتديت بها من مثل هذا الكلام. قال: فنهض الحجاج، وقال: شأنك يا هند بأخيك. قال مالك بن أسماء: فوثبت هند إلي فأكبت علي، ودعت بالجواري، ونزعت عني حديدي، وأمرت بي إلى الحمام، وكستني، وانصرفت. فلبثت أياماً، ثم دخلت على الحجاج وبين يديه عهدود، وفيها عهدي على أصبهان. قال: خذ هذا العهد، وامض إلى عملك، فأخذته وهضت. قال: وهي ولايته التي عزله عنها، وبلغ به ما بلغ من الشر. قال أبو زيد: ويقال إنه كان في الحبس في الدفعة الثانية مضيقاً عليه في كل أحواله، حتى كان يشاب له الماء الذي كان يشربه بالرماد والملح، فاشتاق الحجاج إلى حديثه يوماً، فأرسل إليه، فأحضر، فبينما هو يتحدث إذ استسقى ماء فأقي به، فلما نظر إليه الحجاج قال: لا، هات ماء السجن، فأقي به وقد خلط بالملح والرماد، فسقيه. قال: ويقال: إنه هرب من الحبس، فلم يزل متوارياً حتى مات الحجاج.

### يكتب إليه أبيه أن يشفع له عند الحجاج

قال: وكتب إليه بعض أهله أن يمضي إلى الشام فيستجير ببعض بني أمية حتى يأمن، ثم يعود إلى مصره. وقد كان خالد بن عتاب الرياحي فعل ذلك، واستجار بزفر بن الحارث الكلابي، فأجاره، فراجعه عبد الملك في أمره، ثم أجاره، فكتب مالك إلى أبيه يسأله أن يدخل إلى الحجاج ويسأله في أمره، فقال أسماء في ذلك:

أبني فزارة لا تعنوا شيخكم	مالي وما لزيارة الحجاج
شبهته شبهلاً غداة لقيته	يلقي الرؤوس شواخب الأوداج
تجري الدماء على النطاع كأنها	راح شمول غير ذات مزاج
لا تطلبوا حاجاً إليه فإنه	بنس المؤمل في طلاب الحاج
يا ليت هنداً أصبحت مرموسة	أو ليتها جلست عن الأزواج

### خالد بن عتاب والحجاج يتسابان

قال أبو زيد: فأما خبر خالد بن عتاب الرياحي، فإن الحجاج كان استعمله على الري، وكانت أمه أم ولد، فكتب إليه الحجاج يلخن أمه، ويقول يابن اللخناء، أنت الذي هربت عن أبيك حتى قتل، وقد كان حلف ألا يسب أحد أمه إلا أجابه كائناً من كان.

فكتب إليه خالد: كتبت إلي تلخني، وترعم أي فررت عن أبي حين قتل، ولعمري لقد فررت عنه، ولكن بعد أن قتل، وحين لم أجد لي مقاتلاً، ولكن أخبرني عنك يابن اللخنة المستفرمة بعجم زبيب الطائفن حين فررت أنت وأبوك يوم الحرّة على جمل ثفال، أيكما كان أمام صاحبه، فقرأ الحجاج الكتاب، وقال: صدق:

**أنا الذي فررت يوم الحره**

**ثم تبيت كرة بفره**

**والشيخ لا يفر إلا مره**

ثم طلبه، وهرب إلى الشام، وسلم بيت المال ولم يأخذ منه شيئاً.

خالد بن عتاب يستجير بروح بن زنباع فلا يجيره، ويجيره زفر بن الحارث وكتب الحجاج إلى عبد الملك بما كان منه، وقدم خالد الشام، فسأل عن خاصة عبد الملك، فقيل له: روح بن زنباع، فأتاه حين طلعت الشمس، فقال: إني جئتك مستجيراً، فقال: إني قد أجرتك إلا أن تكون خالداً، قال: فإني خالد، فتغير وقال: أنشدك الله إلا خرجت عني؛ فإني لا آمن عبد الملك، فقال: أنظري حتى تغرب الشمس. فجعل روح يراعيها حتى خرج خالد. فأتى زفر بن الحارث الكلابي فقال: إني جئتك مستجيراً، قال: قد أجرتك، قال: أنا خالد بن عتاب، قال: وإن كنت خالداً.

فلما أصبح دعا ابنين له فتهادى بينهما وقد أسن، فدخل على عبد الملك وقد أذن للناس، فلما رآه دعا له بكرسي، فجعل عند فراشه، فجلس، ثم قال: يا أمير المؤمنين، إني قد أشرت عليك رجلاً، فأجره، قال: قد أشرت إلا أن يكون خالداً، قال: فهو خالد، قال: لا، ولا كرامة، فقال زفر لابنيه: أهضاني. فلما ولى قال: يا عبد الملك، أما والله لو كنت تعلم أن يدي تطيق حمل القناة ورأس الجواد لأجرت من أشرت، فضحك، وقال: يا أبا الهذيل، قد أجرناه، فلا أرينه. وأرسل إلى خالد بألفي درهم، فأخذها، ودفع إلى رسوله أربعة آلاف درهم.

**رجع الخبر إلى حديث مالك بن أسماء**

**مالك وأخوه عيينة يعشقان جارية لأختهما هند**

أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال: أخبرنا محمد بن يزيد النحوي، وأخبرنا إبراهيم بن محمد بن أيوب، قال: حدثنا عبد الله بن مسلم، قال: عاشق مالك بن أسماء جارية لأخته هند، وعشقها أخوه عيينة بن أسماء بن خارجة، فاستعان بأخيها مالك، وهو لا يعلم ما يجد بها، يشكو إليها جبهها، فقال مالك:

**كنت استغثت بفارغ العقل**

**أعيين هلا إذ كلفت بها**

**والمستغاث إليه في شغل**

**أرسلت تبغي الخوث من قبلي**

### مالك يعشق جارياً من بني أسد

قال ابن قتيبة خاصة: وهوي مالك بن أسماء جارياً من بني أسد، وكانت تتزل داراً من قصب، وكانت دار مالك في بني أسد داراً سرية مبنية بالجص والآجر فقال:

يا لبت لي خصا يجاورها  
بدلاً بداري في بني أسد  
الخص فيه تقر أعيننا  
خير من الآجر والكمد

### ينشد عمر بن أبي ربيعة بعض شعره

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء، قال: حدثنا الزبير بن بكار، قال: حدثني عمي ويعقوب بن عيسى، وأخبرني علي بن صالح بن الهيثم، قال: حدثنا أبو هفان عن إسحاق الموصلي، عن الزبير: أن عمر بن أبي ربيعة رأى مالك بن أسماء. قال أبو هفان في خبره: وهو يطوف بالبيت، وقد بهر الناس جماله وكماله، فأعجب عمر ما رأى منه، فسأل عنه فعرفه، فعانقه وسلم عليه وقال له: أنت أخي حقاً، فقال له مالك: ومن أنا ومن أنت؟ فقال: أما أنا فستعرفني، وأما أنت فالذي تقول:

إن لي عند كل نفحة بستا  
ن من الورد أو من الياسمين  
نظراً والتفاتة أترجى  
أن تكوني حللت فيما يلينا

غنت فيه عليّة بنت المهدي خفيف رمل بالوسطى.

وقال أبو هفان في حديثه: قال له عمر: مازلت أحبك منذ سمعت هذا الشعر لك، فقال له مالك: أنت عمر بن أبي ربيعة، قال: نعم. قال الزبير في خبره خاصة: وحدثني ابن أبي كنانة: أن عمر لما لقي مالكاً استنشده، فأنشده مالك شيئاً من شعره، فقال له عمر: ما أحسن شعرك لولا أسماء القرى التي تذكرها فيه، قال: مثل ماذا؟ قال: مثل قولك:

إن في الرفقة التي شيعتنا  
بجوير سما لزين الرفاق

ومثل قولك:

أشهدتنا أم كنت غائبة  
عن ليلتي بحديثة القسب

ومثل قولك:

حبذا ليلتي بتل بوني  
حين نسقى شرابنا ونغني

فقال له مالك: هي قرى البلد الذي أنا فيه، وهو مثل ما تذكره في شعرك من أرض بلادك، قال: مثل ماذا؟ قال: مثل قولك:

## حي المنازل قد دثرن خراباً

بين الجوين وبين ركن كسابا

ومثل قولك:

## ما على الرسم بالبلبيين لو بي

ن رجع السلام أولو أجابا

فأمسك عنه عمر بن أبي ربيعة.

ومالك بن أسماء الذي يقول :

## وحديث أذه هو مما

ينعت الناعتون يوزن وزنا

## منطق صائب وتلحن أحيا

ناً وأحلى الحديث ما كان لحنا

أخبرني يحيى بن علي بن يحيى المنجم، قال:

حدثني أبي، قلت للجاحظ: إني قرأت في فصل من كتابك المسمى بكتاب البيان والتبيين: إنما يستحسن من النساء اللحن في الكلام، واستشهدت ببني مالك بن أسماء - يعني هذين البيتين - قال: هو كذاك، فقال: أما سمعت بخير هند ابنة أسماء بن خارجة مع الحجاج حين لحن في كلامها، فعاب ذلك عليها، فاحتجت ببني أخيها، فقال لها: إن أخاك أراد أن المرأة فطنة، فهي تلحن بالكلام إلى غير الظاهر بالمعنى لتستر معناه، وتورى عنه، وتفهمه من أرادت بالتعريض، كما قال الله عز وجل: "ولتعرفنهم في لحن القول" ولم يرد الخطأ من الكلام، والخطأ لا يستحسن من أحد. فوجم الجاحظ ساعة، ثم قال: لو سقط إلي هذا الخبر أولاً لما قلت ما تقدم، فقلت له: فأصلحه، فقال: الآن وقد سار به الكتاب في الآفاق، وهذا لا يصلح، أو كلاماً نحو ما ذكرنا، فإن أبا أحمد أخبرنا به على سبيل المذاكرة فحفظته عنه.

## المتوكل يطلب أن يبتاع له تل بوني

أخبرني الحسين بن يحيى، وجعفر بن قدامة، قالوا: قال حماد: حدثني أحمد بن داود السدي، قال: ورد علي كتاب أمير المؤمنين المتوكل، وأنا على سواد الكوفة: أن ابتع لي تل بوني بما بغت، فابتعتها له، فإذا قرية صغيرة على تل، قد خرب ما حوالها من الضياع، فابتعتها له بعشرة آلاف درهم، قال: فظننته حركه على طلبها أنه غني:

## حبذا ليلتي بتل بوني

فسألت عن ذلك، فعرفت أن جاريته مكتومة غنته هذا الصوت.

قال حماد: ومكتومة هذه جارية أهداها أبي إليه لما ولى الخلافة، فإنه سأل عنه، فعرف أنه قد كف بصره، فكتب له بمائة ألف درهم، وأمر بإشخاصه إليه مرهماً، فأشخص إليه، وأهدى إليه عدة حوار هذه فيهن. الحجاج يعاتب مالكا ويستتبه وروى الهيثم بن عدي ابن عياش أن الحجاج دعا يوماً بمالك بن أسماء، فعاتبه عتاباً طويلاً، ثم قال له: أنت والله كما قال أخو بني جعدة:

إذا ما سوءة غراء ماتت  
وما تنفك ترحص كل يوم  
أكل الدهر سعيك في تباب  
فقال له: لست كما قال الجعدي، ولكني كما قلت:

لكل جواد عثرة يستقيها  
فهبنى يا حجاج أخطأت مرة  
وعثرة مثلي لا تقال مدى الدهر  
فهل لي إذا ما تبت عندك توبة  
وجرت عن المثلى وغنيت بالشعر  
تدارك ما قد فات في سالف العمر

فقال له الحجاج: بلى والله، لئن تبت لأقبلن توبتك ولأعفين على ما كان من ذنبك ومن لي بذلك يا مالك؟ قال له: لك الله به، قال: حسبي الله ونعم الوكيل، فانظر ما تقول، قال: الحق أصلحك الله لا يخفى على أحد.

#### مالك يعود إلى الشراب

قال: فترك مالك الشراب، ووفى بعهده وأظهر النسك، ثم طما به الشعر، وطال عليه ترك اللذات والشراب، فقال:

وندمان صدق قال لي بعد هدأة  
فقال: أبخلاً يابن أسماء هاكها  
من الليل: قم نشرب، فقلت له: مهلا  
فتابعته فيما أراد ولم أكن  
كميتاً كريم المسك تزدهف العقلا  
ولكنني جلد القوى أبذل الندى  
بخيلاً على الندمان أو شكساً وغلا  
وأشرب ما أعطى ولا أقبل العذلا  
وغيره سكر وإن أكثر الجهلا  
ضحوك إذا ما دببت الكأس في الفتى

قال: فبلغ الحجاج أن مالكا قد راجع الشراب، فقال: لا يأتي مالك بخير سحيس الأوجس، قاتل الله أيمن بن حريم حيث يقول:

إذا المرء وفي الأربعين ولم يكن  
فدعه وما يأتي ولا تعذله  
له دون ما يأتي حجاب ولا ستر  
وإن مد أسباب الحياة له العمر

وأنشدنا علي بن سليمان الأخفش أبيات أيمن هذه الرائية، وقال: أخذ معناها من قول ابن عباس: إذا بلغ المرء أربعين سنة ولم يتب أخذ إبليس بناصيته، وقال: حبذا من لا يفلح أبداً. وأول الأبيات هذه:

وصهباء جرجانية لم يطف بها  
ولم يشهد القس المهينم نارها  
حنيف ولم تتغر بها ساعة قدر  
طروفاً ولا صلى على طبخها حبر

أتاني بها يحيى وقد نمت نومة      وقد غابت الجوزاء وانحدر النسر

فقلت :اصطبجها أو لغيري سقها      إذا المرء وفي الأربعين ولم يكن  
فدعه ولا تنفس عليه الذي أتى      فدعه ولا تنفس عليه الذي أتى

### صوت

تلك عرسي تروم هجري سفاهاً      وجفتني فما توافي عنافي  
زعمت أنها تواتي مع الما      ل وأنى محالف إملاقي  
وتناست رزية بدمشق      أشخصت مهجتي فويق التراقي  
يوم نلقى نعش ابن عروة مح      مولاً بأيدي الرجال والأعناق  
مستحناً به سباقاً إلى القب      ر وما إن لحثهم من سباق  
ثم وليت موجعاً قد شجاني      قرب عهد بهم وبعد تلاق

عروضه من الخفيف . الشعر لإسماعيل بن يسار النسائي يرثي محمد بن عروة بن الزبير . والغناء لدحمان، خفيف  
ثقل أول بالسبابة في مجرى البنصر عن إسحاق، وفيه لابن محرز ثقل أول بالبنصر عن حبش.

### من أخبار عروة بن الزبير

#### غضبه لوقوع قوم في أخيه

#### عبد الله بمجلس عبد الملك بن مروان

أخبرنا الطوسي والحرمي بن أبي العلاء، قالوا: حدثنا الزبير، قال: حدثنا مصعب بن عثمان، عن عامر بن صالح،  
عن هشام بن عروة، قال: قدم عروة بن الزبير على عبد الملك بن مروان، فدخل فأجلسه معه على السرير، فجاء  
قوم فوقعوا في عبد الله بن الزبير، فخرج عروة فقال للآذن: إن عبد الله بن الزبير ابن أمي وأمي، فإذا أردتم أن  
تقعوا فيه فلا تأذنوا لي عليكم.

فذكر ذلك لعبد الملك بن مروان، فقال له عبد الملك: قد أخبرني الآذن بما قلت، وإن أحاكم لم يكن قتلنا إياه  
لعداوة، ولكنه طلب أمراً وطلبناه فقتل دونه، وإن الشام قوم من أخلاقهم ألا يقتلوا أحداً إلا شتموه، فإذا أذنا  
لأحد قبل فقد جاء من يشتمه فلا تدخل، وإذا أنا لأحد وأنت جالس فانصرف.

### قدومه على الوليد حين شلت رجله

ثم قدم عروة على الوليد بن عبد الملك حين شلت رجله، فقيل له: اقطعها، قال: إني لأكره أن أقطع مني طابقاً، فارتفعت إلى الركبة، فقيل له: إنها إن وقعت في الركبة قتلتك، فقطعت، ولم يقبض وجهه. وقيل له قبل أن يقطعها: نسقيك دواء لا تجد معه ألماً، فقال: ما يسعني أن هذا الحائط وقاني أذاها.

### مقتل ابنه محمد

قال الزبير: وحدثني مصعب بن عثمان بن عامر، عن صالح، عن هشام بن عروة، قال: سقط محمد بن عروة بن الزبير - وأمه بنت الحكم بن أبي العاص بن أمية - من سطح في اصطبل دواب الوليد بن عبد الملك، فضرته بقوائمها حتى قتلتها، فأتى عروة رجل يعزيه، فقال عروة: إن كنت تعزييني برجلي فقد احتسبتها، فقال: بل أعزيك بمحمد، قال: وما له؟ فخره بشأنه؛ فقال:

### وكننت إذا الأيام أحدثن نكبة أقول شوى ما لم يصبن صميمي

اللهم أخذت عضواً وتركت أعضاء، وأخذت ابناً وتركت أبناء، فإنك إن كنت أخذت لقد أبقيت، وإن كنت ابتليت لقد عافيت.

فلما قدم المدينة نزل قصره بالعقيق، فأتاه ابن المنكدر، وقال: كيف كنت؟ فقال: "لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا".

عيسى بن طلحة يعزيه أكرم عزاء قال الزبير: وحدثني عبد الملك بن عبد العزيز، عن ابن الماجشون: أن عيسى بن طلحة جاء إلى عروة بن الزبير حين قدم من عند الوليد بن عبد الملك، وقد قطعت رجله، فقال عروة لبعض بنيه: اكشف لعمك عن رجلي ينظر إليها، ففعل، فقال له عيسى: إنا لله وإنا إليه راجعون، يا أبا عبد الله، ما أعددتناك للصراع ولا للسباق، ولقد أبقى الله لنا منك ما كنا نحتاج إليه منك: رأيك وعلمك. فقال عروة: ما عزاني أحد عن رجلي مثلك.

الوليد بن عبد الملك يعث إليه بمن هو أعظم بلاء منه قال الزبير: وحدثني مصعب بن عثمان، عن عامر بن صالح، عن هشام بن عروة:

أنه قدم على الوليد رجل من عبس ضرير محطوم الوجه، فسأله عن سبب ذلك، فقال: بت ليلة في بطن واد، ولا أعلم في الأرض عبسياً يزيد ماله على مالي، فطرقنا سيل، فذهب بما كان لي من أهل ومال وولد إلا صبياً مولوداً وبعيراً ضعيفاً، فند البعير والصبي معي، فوضعتهم، واتبع البعير، فما جاوزت ابني قليلاً إلا ورأس الذئب في بطنه، فتركتهم، واتبع البعير، فرمحي رمحة حطم بها وجهي، وأذهب عيني، فأصبحت لا ذا لامل ولا ذا ولد ولا ذا بصر.

فقال الوليد بن عبد الملك: اذهبوا به إلى عروة ليعلم أن في الناس من هو أعظم بلاء منه.

أخبرني حبيب بن نصر المهلي، وعمر بن عبد العزيز بن أحمد، ومحمد بن العباس اليزيدي، وجماعة أخبروني قالوا: حدثنا الزبير بن بكار، قال: حدثني عمي، عن جدي، عن هشام بن عروة قال: خرجت مع أبي عروة بن الزبير حاجاً، ومعنا أخي محمد بن عروة، وكان من أحسن الناس وجهاً، فلما كنا في بعض الطريق إذا نحن بعمر بن أبي ربيعة يكلم بعضنا، فقلنا: هذا أبو الخطاب لو سايرناه، فرآنا عروة، فقال: فيم أنتم؟ قلنا: هذا عمر بن أبي ربيعة، فضرب عروة إليه راحلته، فلما رآها عمر عدل إليه فسلم عليه، ثم قال: وأين زين الموأكب؟ - يعني محمد بن عروة - فقال: قد تقدم، فعدل عن عروة واتبع محمداً، فقال له عروة: نحن أكفى لك وأولى أن تسايرنا، فقال: إني رجل موكل بالجمال أتبعه حيث كان، وضرب راحلته ومضى.

### صوت

إنما يفعل هذا بالذليل

يا بني الصيذاء ردوا فرسي

دلج الليل وإبطاء القتيل

عودوا مهري الذي عودته

شائل الرجلين معصوباً يميل

واستباء الزق من حاناته

عروضه من ثاني الرمل.

بنو الصيذاء: بطن من بني أسد. والدلج: السير في آخر الليل، يقال: دلج يدلج - مخففة - إذا سار من آخر الليل، وادلج يدلج، إذا سار الليل كله. واستباء الزق، أراد استباء الخمر فيه؛ أي ابتاعها من حاناتها. والحانات: جمع حانة، وهي الموضع الذي تباع فيه الخمر. وشائل الرجلين: رافعهما. وروى الأصمعي وأبو عمرو:

فيظل الضيف نشواناً يميل

أحمل الزق على منسجه

الشعر لزيد الخيل الطائي. والغناء لابن محرز، خفيف رمل بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى، عن يحيى المكي. وذكره إسحاق في هذه الطريقة ولم ينسبه إلى أحد، وفيه لعاذل لحن من كتاب إبراهيم غير مجنس، وذكر حبش أن فيه لنبيه لحناً من الثقيل الثاني بالوسطى.

### أخبار زيد الخيل ونسبه

#### نسبه

هو زيد بن مهلهل بن يزيد بن منهب بن عبد رضا - ورضاً: صنم كان لطياً - ابن محلس بن ثور بن عدي بن كنانة بن مالك بن نائل بن نبهان، - وهو أسود بن عمرو بن الغوث بن جلهمة - وهو طيء؛ سمي بذلك لأنه كان يطوى المناهل في غزواته - ابن أدد بن مذحج بن زيد بن يشجب الأصفر بن عريب بن مالك بن زيد بن

كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان بن عابر، وهو هود النبي صلى الله عليه وسلم. كذا نسبه النسابون، والله أعلم.

وأم طيء مدلة بنت ذي منحسان بن عريب بن الغوث بن زهير بن وائل بن الهميسع بن حمير بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان، ومدلة هذه هي مذحج، وهو لقبها، وهي أم مالك بن أدد، وكانت مدلة عند أدد أيضاً، فولدت له الأشعر واسمه نبت، ومرة، ابني أدد. ومن الناس من يقول مذحج ضرب صغير اجتمعوا عليه، وليس بأم ولا أب، والله أعلم.

### سماه النبي صلى الله عليه وسلم زيد الخير

وكان زيد الخيل فارساً مغواراً مظفراً شجاعاً بعيد الصيت في الجاهلية، وأدرك الإسلام ووفد إلى النبي صلى الله عليه وسلم، ولقيه وسر به وقرظه، وسماه زيد الخير.

### شاعر فارس

وهو شاعر مقل محضرم معدود في الشعراء والفرسان، وإنما كان يقول الشعر في غاراته ومفاحراته ومغازيه وأياديه عند من مر عليه وأحسن في قراه إليه .

### سبب تسميته زيد الخيل

وإنما سمي زيد الخيل لكثرة خيله، وأنه لم يكن لأحد من قومه ولا لكثير من العرب إلا الفرس والفرسان، وكانت له خيل كثيرة، منها المسماة المعروفة التي ذكرها في شعره وهي ستة، وهي: الهطال، ولاكميت، والورد، وكامل، ودؤول، ولاحق. قال شعراً في خيله وفي الهطال يقول:

أقرب مربط الهطال إني أرى حرباً ستلقح عن حيال

وفي الورد يقول:

أبت عادة للورد أن يكره القنا وحاجة نفسي في نمير و عامر

وفي دؤول يقول:

فاقسم لا يفارقني دؤول أجول به إذا كثر الضراب

هذا ما حضرني من تسمية خيله في شعره، وقد ذكرها.

### له ثلاثة بنين شعراء

وكان لزيد الخيل ثلاثة بنين كلهم يقول الشعر، وهم عروة، وحرث، ومهلل. ومن الناس من ينكر أن يكون له من الولد إلا عروة وحرث.

وهذا الشعر الذي فيه الغناء يقوله في فرس من خيله ظلع في بعض غزواته بني أسد، فلم يتبع الخيل ووقف، فأخذته بنو الصياداء، فصلح عندهم واستقل.

وقيل: بل أغزى عليه بعض بني نيهان، فنكس عنه وأخذ. وقيل: إنه خلفه في بعض أحياء العرب ظالعاص ليستقل، فأغارت عليهم بنو أسد، فأخذوا الفرس فيما استاقوه لهم، فقال في ذلك زيد الخيل:

يا بني الصياداء ردوا فرسي

إنما يفعل هذا بالذليل

لا تذيلوه فإنني لم أكن

يا بني الصياداء لمهري بالمذيل

عوده كالذي عودته

دلج الليل وإبطاء القتيل

أحمل الزق على منسجه

فيظل الضيف نشواناص يميل

قال أبو عمرو الشيباني: وكان زيد الخيل ملحاً على بني أسد بغاراته، ثم على بني الصياداء منهم، فبيهم يقول:

ضجت بنو الصياداء من حربنا

والحرب من يحلل بها يضجر

بتنا نرجي نحوهم ضمراً

معروفة الأنساب من منسر

حتى صبحناهم بها غدوة

نقتلهم قسراً على ضمير

يدعون بالويل وقد مسهم

منا غداة الشعب ذي الهيشر

ضرب يزيل الهام ذو مصدق

يعلو على البيضة والمغفر

الهيشر: شجر كثير الشوك تأكله الإبل.

نسخت من كتاب لأبي المحلم، قال: حدثني أضبط بن الملوح، قال لي أبي: أنشد حبيب بن خالد بن نضلة الفقعسي قول زيد الخيل:

عودوا مهري الذي عودته

فضحك ثم قال: قولوا له: إن عودناه ما عودته دفعناه إلى أول من يلقانا، وهربنا.

### وفد على النبي في جماعة من طيء

أخبرني الحسين بن القاسم الكوكبي إجازة، قال: حدثني علي بن حرب، قال: أنبأني هشام بن الكلبي أبو المنذر، قال: حدثني عباد بن عبد الله النهياني عن أبيه عن جده، وأضفت إلى ذلك ما رواه أبو عمرو الشيباني، قال: وفد زيد الخيل بن مهلهل على رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومعه وزر بن سدوس النهياني، وقبيصة بن الأسود بن عامر بن جوين الحرمي، ومالك بن جبير المغني، وقعين بن خليل الطريفي، في عدة من طيء، فأناخوا ركايم

بباب المسجد، ودخلوا ورسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب الناس، فلما رآهم قال: إني خير لكم من العزى، ومما حازت مناع من كل ضار غير يفاع، ومن الجبل الأسود الذي تعبدونه من دون الله عز وجل. قال أبو المنذر: يعني بمناع: جبل طيء.

### إسلامه

فقام زيد، وكان من أجمل الرجال وأتمهم، وكان يركب الفرس المشرف ورجلاه تحطان الأرض كأنه على حمار، فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأنت محمد رسول الله. قال: ومن أنت؟ قال: أنا زيد الخيل بن مهلهل. فقال رسول الله: بل أنت زيد الخير، وقال: الحمد لله الذي جاء بك من سهلك وجبلك، وورق قلبك على الإسلام، يا زيد، ما وصف لي رجل قط فرأيتَه إلا كان دون ما وصف به إلا أنت؛ فإنك فوق ما قيل فيك.

### أصابته الحمى ومات بها

فلما ولى قام النبي صلى الله عليه وسلم: أي رجل إن سلم من آطام المدينة! فأخذته الحمى، فأنشأ يقول:

وخمساً يغني فوقها الليل طائر

أنخت بأطام المدينة أربعاً

من الدرس والشعراء والبطن ضامر

شدت عليها رحلها وشليلها

فمكث سبعاً، ثم اشتدت الحمى به فخرج، فقال لأصحابه: جنوبي بلاد قيس؛ فقد كان بيننا حماسات في الجاهلية، ولا والله لا أقاتل مسلماً حتى ألقى الله. فترل بماء لحي من طيء يقال له فردة، واشتدت به الحمى، فأنشأ يقول:

وأترك في بيت بفردة منجد

أمرتل صحبي المشارق غدوة

فما دون أرمام فما فوق منشد

سقى الله ما بين الثقيل فطابة

عوائد من لم يشف منهن يجهد

هنالك لو أني مرضت لعادني

وليت اللواتي غبن عني عودي

فليت اللواتي عدنني لم يعدنني

قال: وكتب معه رسول الله صلى الله عليه وسلم لبني نبهان بفيديك كتاباً مفرداً، وقال له: أنت زيد الخير، فمكث بالفردة سبعة أيام ثم مات. فأقام عليه قبيصة بن الأسود المناحة سبعاً، ثم بعث راحلته ورحله، وفيه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلما نظرت امرأته - وكانت على الشرك - إلى الراحلة ليس عليها زيد ضربتها بالنار وقالت:

إذا أقبلت أوب الجراد رعالها

ألا إنما زيد لكل عظيمة

## لقاهم فما طاشت يدها بضر بهم

## ولا طعنهم حتى تولى سجالتها

قال: فبلغني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما بلغه ضرب امرأة زيد الراحلة بالنار، واحتراق الكتاب، قال: بؤساً لبني نبهان.

وقال ابو عمرو الشيباني: لما وفد زيد الخليل على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فدخل إليه، طرح له متكأ فأعظم أن يتكئ بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم، فرد المتكأ، فأعاده عليه ثلاثاً، وعلمه دعوات كان يدعو بها فيعرف الإجابة، ويستسقى فيسقى، وقال: يا رسول الله، أعطني ثلاثمائة فارس أغير بهم على قصور الروم، فقال له: أي رجل أنت يا زيد! ولكن أم الكلبة تقتلك - يعني الحمى - فلم يلبث زيد بعد انصرافه إلا قليلاً حتى حم ومات.

قال أبو عمرو: وأسلموا جميعاً إلا وزر؛ فإنه قال لما رأى النبي صلى الله عليه وسلم إني لأرى رجلاً ليملكن رقاب العرب، ووالله لا يملك رقبتي أبداً؛ فلحق بالشام، فتنصر وحلق رأسه، فمات على ذلك. أخبرني محمد بن الحسن بن دريد، قال: حدثني السكن بن سعيد، عن محمد بن عباد، عن ابن الكلبي قال: أقبل زيد الخليل الطائي حتى أتى النبي صلى الله عليه وسلم، وكان زيد رجلاً جسيماً طويلاً جميلاً، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: من أنت؟ قال: أنا زيد الخليل. قال: بل أنت زيد الخير، أما إني لم أخبر عن رجل خيراً إلا وجدته دون ما أخبرت به عنه غيرك؛ إن فيك لخصلتين يجبهما الله عز وجل ورسوله، قال: وما هما يا رسول الله؟ قال: الأناة والحلم، فقال زيد: الحمد لله الذي جبلني على ما يحب الله ورسوله صلى الله عليه وسلم.

## عمر يسأله عن طيء وأصحاب مزابها

قال: ودخل زيد على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده عمر رضي الله عنه، فقال عمر لزيد: أخبرنا يا أبا مكنف عن طيء وملوكها نجدتها وأصحاب مزابها، فقال زيد: في كل يا عمر نجدة وبأس وسيادة، ولكل رجل من حيه مزاب، أما بنو حية فملوكنا وملوك غيرنا، وهم القداميس القادة، والحماة الذادة، والأنجاد السادة، أعظمتنا خميساً، وأكرمنا رئيساً، وأجملنا مجالس، وأنجدنا فوارس.

فقال له عمر رضي الله عنه: ما تركت لمن بقي من طيء شيئاً، فقال: بلى والله؛ أما بنو ثعل وبنو نبهان وجرم ففوارس العدو وطلاعو كل نجوة، ولا تحل جبوة، ولا تراع لهم ندوة، ولا تدرك لهم نبوة، عمود البلاد، وحية كل واد، وأهل الأسل الحداد، والخيل الجياد، والطارف والتلاد.

وأما بنو جديلة فأسهلنا قراراً، وأعظمتنا أخطاراً، وأطلبنا للأوتار، وأحمانا للذمار، وأطعمنا للجار.

فقال له عمر: سم لنا هؤلاء الملوك، قال: نعم، منهم عفير المجير على الملوك، وعمرو المفاخر، ويزيد شارب الدماء، والغمر ذو الجود، ومجير الجراد، وسراج كل ظلام ولامة، وملحم بن حنظلة؛ هؤلاء كلهم من بني حية. وأما حاتم بن عبد الله الثعلي الجواد فلا يجاري، والسّمح فلا يباري، والليث الضرغامية، قراع كل هامة، جوده

في الناس علامة، لا يقر على ظلامه. فاعترض رجل من بني ثعل لما مدح زيد حاتماً، فقال: ومنا زيد بن مهلهل  
النبهاني رئيس قومه وسيد الشيب والشبان، وسم الفرسان، وآفة الأقران، والمهيب بكل مكان، أسرع إلى  
الإيمان، وآمن بالفرقان، رئيس قومه في الجاهلية وقائدهم إلى أعدائهم، على شحط المزار، وطموس الآثار، وفي  
الإسلام رائدنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومجيبه من غير تلعثم ولا تلبث.  
ومنا زيد بن سدوس النبهاني عصمة الجيران، والغيث بكل أوان، ومضرم النيران، ومطعم الندمان، وفخر كل  
يمان.

ومنا الأسد الرهيص، سيد بني جديلة، ومدوخ كل قبيلة، قاتل عنترة فارس بني عبس، ومكشف كل لبس.

فقال عمر لزيد الخيل: لله درك يا أبا مكنف فلو لم يكن لطيء غيرك وغير عدي بن حاتم لقهرت بكما العرب.

### قصته مع الشيباني

أخبرني ابن دريد، قال: أخبرني عمي، عن أبيه، عن ابن الكلبي، عن أبيه، قال: أخبرني شيخ من بني نبهان، قال:  
أصابني بني شيبان سنة ذهبت بالأموال، فخرج رجل منهم بعياله، حتى أنزلهم الحيرة، فقال لهم: كونوا قريباً من  
الملك يصبكن من خيرته حتى أرجع إليكن، وإلى ألبية لا يرجع حتى يكسبهن خيراً أو يموت. فتزود زاداً، ثم مشى  
يوماً إلى الليل، فإذا هو بمهر مقيد يدور حول خباء. فقال: هذا أول الغنيمة، فذهب يحله ويركبه، فنودي: خل  
عنه واغنم نفسك، فتركه، ومضى سبعة أيام حتى انتهى إلى عطن إبل مع تطويل الشمس، فإذا خباء عظيم وقبة  
من آدم، فقال في نفسه: ما لهذا الخباء بد من أهل، وما لهذه القبة بد من رب، وما لهذا العطن بد من إبل، فنظر  
في الخباء، فإذا شيخ كبير قد اختلفت ترقواته، كأنه نسر.

قال: فجلست خلفه، فلما وجبت الشمس إذا فارس قد أقبل لم أر فارساً قط أعظم منه ولا أحجم، على فرس  
مشرف ومعه أسودان يمشيان جنبه، وإذا مائة من الإبل مع فحلها، فبرك الفحل، وبركت حوله، ونزل الفارس،  
فقال لأحد عبديه: احلب فلانة، ثم اسق الشيخ، فحلب في عس حتى ملأه، ووضع بين يدي الشيخ وتنحي،  
فكرع منه الشيخ مرة أو مرتين، ثم نزع، فثرت إليه فشربته، فرجع إليه العبد. فقال: يا مولاي، قد أتى على  
آخره، ففرح بذلك، وقال: احلب فلانة، فحلبها، ثم وضع العس بين يدي الشيخ، فكرع منه واحدة، ثم نزع،  
فثرت إليه فشربت نصفه، وكرهن أن آتي على آخره، فأتمهم، فجاء العبد فأخذه وقال لمولاه: قد شرب وروي،  
فقال: دعه، ثم أمر بشاة فذبحت، وشوى للشيخ منها، ثم أكل هو وعبداه، فأمهلت حتى إذا ناموا وسمعت  
الغظيط ثرت إلى الفحل، فحللت عقاله وركبته، فاندفع بي وتبعته الإبل، فمشيت ليلتي حتى الصباح، فلما  
أصبحت نظرت فلم أر أحداً، فشللتها إذا شلاً عنيماً حتى تعالي النهار، ثم التفت التفاتة فإذا أنا بشيء كأنه طائر،  
فما زال يدنو حتى تبينته، فإذا هو فارس على فرس، وإذا هو صاحبي بالأمس، فعقلت الفحل، ونثلت كنانتي،

ووقفت بينه وبين الإبل، فقال: احلل عقال الفحل، فقلت: كلا والله، لقد خلفت نسيات بالحيرة، وآليت إلية لا أرجع حتى أفيدهن خيراً أو أموت. قال: فإنك لميت، حل عقاله، لا أم لك! فقلت: ما هو إلا ما قلت لك، فقال: إنك لمغرور: انصب لي خطامه، واجعل فيه خمس عجر ففعلت، فقال: أين تريد أن أضع سهمي؟ فقلت: في هذا الموضع، فكأنما وضعه بيده، ثم أقبل يرمي حتى أصاب الخمسة بخمسة أسهم، فرددت نبلي، وحططت قوسي، ووقفت مستسلماً؛ فدنا مني وأخذ السيف والقوس، ثم قال: ارتدف خلفي، وعرف أي الرجل الذي شربت اللبن عنده، فقال: كيف ظنك بي؟ قلت: أسوأ الظن. قال: وكيف؟ قلت: لما لقيت من تعب ليلتك، وقد أظفرك الله بي، فقال: أترانا كنا نهيجك، وقد بت تنادم مهلهلاً؟ قلت: أزيد الخيل أنت؟ قال: نعم، أنا زيد الخيل، فقلت: كن خير آخذ، فقال: ليس عليك بأس.

فمضى إلى موضعه الذي كان فيه، ثم قال: أما لو كانت هذه الإبل لي لسلمتها إليك، ولكنها لبنت مهلهل، فأقم علي؛ فإني على شرف غارة.

فأقمت أياماً، ثم أغار على بني نمير بالملح، فأصاب مائة بعير، فقال: هذه أحب إليك أم تلك؟ قلت: هذه، قال: دونكها. وبعث معي خفراء من ماء إلى ماء، حتى وردوا بي الحيرة، فلقيني نبطي: فقال لي: يا أعرابي، أيسرك أن لك بإبلك بستاناً من هذه البساتين؟ قلت: وكيف ذاك؟ قال: هذا قرب مخرج نبي يخرج فيملك هذه الأرض، ويجول بين أربابها وبينها، حتى إن أحدهم ليبتاع البستان من هذه البساتين بثمن بعير. قال: فاحتملت بأهلي حتى انتهيت إلى موضع الشيطان فبينما نحن في الشيطان على ماء لنا، وقد كان الحوفزان بن شريك أغار على بني تميم، فجاءنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلمنا، وما مضت الأيام حتى شربت بثمن بعير من إبلي بستاناً بالحيرة. فقال في يوم الملح زيد الخيل:

**ويوم الملح ملح بني نمير**      **أصابتكم بأظفار وناب**

### **يسأل النبي ما تصيده الكلاب من الوحش**

أخبرني محمد بن الحسن بن دريد، قال: أخبرني عمي عن ابن الكلبي، عن أبيه، والشرقي: أن زيد الخيل قال للنبي صلى الله عليه وسلم: إن في الحي رجلين لهما كلاب مضريرات تصيد الوحش، أفنأكل مما أمسكته ولم تدرك ذكاته؟ فقال: "إذا أرسلت كلبك فاذا ذكر اسم الله عليه وكل مما أمسك"، أو كما قال عليه السلام.

### **حفيدته ليلى تنشد شعراً لأبيها**

في يوم محجر أخبرني الحسين بن يحيى، عن حماد بن إسحاق، عن أبيه إسحاق، عن الهيثم بن عدي، عن حماد الراوية، عن ابن أبي ليلى، قال: أنشدتني ليلى بنت عروة بن زيد الخيل الطائي شعر أبيها في يوم محجر:

أبو مكنف قد شد عقد الدوابر

بني عامر هل تعرفون إذا غدا

ترى الأكم فيه سجداً للحوافر

بجيش تضل البلق في حجراته

كثير حواشيه سريع البوادر

وجمع كمثل الليل مرتجز الوغى

قالت ليلي: فقلت لأبي: يا أبة، أشهدت ذلك اليوم مع أبيك؟ قال: إي والله يا بنية، لقد شهدته، قلت: كم كانت خيل أبيك هذه التي وصفت؟ قال: ثلاثة أفراس .

### غزا بني عامر

نسخت من كتاب عمرو بن أبي عمرو الشيباني بخطه عن أبيه: أن زيد الخيل بن مهلهل جمع طيماً وأخلاقاً لهم، وجمعاً من شذاذ العرب، فغزا بهم بني عامر ومن جاورهم من قبائل العرب من قيس، وسار إليهم فصبحهم من طلوع الشمس، فندروا به وفزعوا إلى الخيل وركبوها، وكان أول من نذر بهم، فلقي جمعهم غني بن أعصر وإخوتهم: الحارث وهو الطفاوة، واسمه مالك بن سعد بن قيس بن عيلان، فاقتلوا قتالاً شديداً، ثم انهزمت بنو عامر، فاستحر القتل بغني، وفيهم يومئذ فرسان وشعراء، فمألت طيء أيديهم من غنائمهم .

### اسر الحطيئة وأطلقه

وأسر زيد الخيل يومئذ الحطيئة الشاعر، فجز ناصيته وأطلقه. ثم إن غنيا تجمعت بعد ذلك مع لف من بني عامر فغزوا طيماً في أرضهم، فغنموا وقتلوا وأدركوا ثأرهم منهم. وقد كان زيد الخيل قال في وقته لبني عامر قصيدته التي يقول فيها:

وباهلة بن أعصر والكلاب

وخيبة من يخيب على غني

فلما أدركوا ثأرهم أحابه طفيل الغنوي، فقال:

مغورة بجد واعتصاب

سمونا بالجياد إلى أعاد

بقود يطلعن من النقاب

نؤمهم على وعت وشحط

وهي طويلة يقول فيها:

من السود المزنمة الرغاب

أخذنا بالمخطم من أتاهم

وجئنا بالسبايا والنهاب

وقتلنا سراتهم جهاراً

وأبدلن القصور من الشعاب

سبايا طييء أبرزن قسراً

نما في الفرع منها والنصاب

سبايا طييء من كل حي

وما كانت بناتهم سيبيا  
ولا كانت دماؤهم وفاء  
ولا رغباً يعد من الرغاب  
لنا فيما يعد من العقاب

### عروة بن زيد الخيل

أخبرني الحسن بن يحيى، قال: حدثنا حماد بن إسحاق، عن أبيه، قال: كان لزيد الخيل ابن يقال له عروة، وكان فارساً شاعراً، فشهد القادسية، فحسن فيها بلاؤه، وقال في ذلك يذكر حسن بلائه:

برزت لأهل القادسية معلماً  
وما كل من يغشى الكريهة يعلم  
ويوم بأكناف النخيلة قبلها  
شهدت فلم أبرح أدمي وأكلم  
وأقعصت منهم فارساً بعد فارس  
وما كال من يلقي الفوارس يبسلم  
ونجاني الله الأجل وجيرتي  
وسيف لأطراف المرازب مخذم  
وأيقنت يوم الديلميين أنني  
متى ينصرف وجهي عن القوم يهزموا  
فما رمت حتى مزقوا برماحهم  
ثيابي وحتى بل أخصي الدم  
محافضة إني امرؤ ذو حفيظة  
إذالم أجد مستأخراً أتقدم

قال: وشهد مع علي بن أبي طالب رضي الله عنه صفين، وعاش إلى إمارة معاوية، فأراده على البراءة من علي، فامتنع عليه، وقال:

يحاولني معاوية بن حرب  
وليس إلى الذي يهوى سبيل  
على جحدي أبا حسن عليا  
وحظي من أبي حسن جليل

قال: وله أشعار كثيرة.

### قتله رئيس تغلب

قال أبو عمرو: كان لتغلب رئيس يقال له الجرار، وأدرك النبي صلى الله عليه وسلم، وأبى الإسلام، وامتنع منه، فيقال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث إليه زيد الخيل، وأمره بقتاله، فمضى زيد فقاتله فقتله لما أبى الإسلام، وقال في ذلك:

صبحت حي بني الجرار داهية  
ما إن لتغلب بعد اليوم جرار  
نحوي النهاب ونحوي كل  
كأن نقبتها في الخد دينار أغار على بني عامر

## جارية

قال مؤرج: خرج رجل من طيء يقال له: ذؤاب بن عبد الله إلى صهر له من هوازن، فأصيب الرجل - وكان شريفاً ذا رياسة في حيه - فبلغ ذلك زيدا، فركب في نيهان ومن تبعه من ولد الغوث، وأغار على بني عامر، وجعل كلما أخذ أسيراً قال له: ألك علم بالطائي المقتول؟ فإن قال: نعم، قتله، وإن قال: لا، خلى سبيله ومن عليه. وأصاب رجلاً من بني الوحيد والضباب وبني نفيل. ثم رجع زيد إلى قومه، فقالوا: ما صنعت؟ فقال: ما أصبت بثأر ذؤاب، ولا يبوء به إلا عامر بن مالك ملاعب الأسنة، فأما ابن الطفيل فلا يبوء به، وأنشأ زيد يقول:

لا أرى بالقتيل قتيلاً  
عامر يا يفي بقتل ذؤاب  
ليس من لاعب الأسنة في الن  
قح وسمي ملاعباً بأراب  
عامر ليس عامر بن طفيل  
لكن العمر رأس حي كلاب  
ذاك إن ألقه أنال به الوت  
ر وقرت به عيون الصحاب  
أو يفتني فقد سبقت بوتر  
مذحجي وجد قومي كأبي  
قد تقنصت للضباب رجلاً  
وتكرمت عن دماء الضباب  
وأصبنا من الوحيد رجلاً  
ونفيل فما أساغوا شرابي

فبلغ عامر بن الطفيل قول زيد الخيل وشعره، فأغضبه وقال مجيباً له:

قل لزيد قد كنت تؤثر بالحل  
م إذا سفهت حلوم الرجال  
ليس هذا القتل من سلف الح  
ي كلاع ويحصب وكلال  
أو بني آكل المرار ولا صي  
د بني جفنة الملوك الطوال  
وابن ماء السماء قد علم النا  
س ولا خير في مقالة غالي  
إن في قتل عامر بن طفيل  
لبواء لطيء الأجبال  
إنني والذي يحج له النا  
س قليل في عامر الأمثال  
يوم لا مال للمحارب في الحر  
ب سوى نصل أسمر عسال  
ولجام في راس أجرد كالجد  
ع طوال وأبيض قصال  
ودلاص كالنهي ذات فضول  
ذاك في حلبة الحوادث مالي  
ولعمي فضل الرياسة والس  
ن وجد على هوازن عالي  
غير أنني أولي هوازن في الحر  
ب بضرب المتوج المختال

## وبطعن الكمي في حمس النق

## ع على متن هيكل جوال

أغار على بني مرة قال أبو عمرو الشيباني: لما بلغ زيد الخيل ما كان من الحارث بن ظالم وعمرو بن الإطنابة الخزرجي وهجائه إياه، غضب زيد لذلك، فأغار على بني مرة بن غضفان، فأسر الحارث بن ظالم وامرأته في غارته، ثم من عليهما، وقال يذكر ذلك:

ألا هل أتى غوثاً ورومان أننا  
وسقنا نساء الحي مرة بالقنا  
جنيباً لأعضاد النواجي يقدنه  
يقول: اقبلوا مني الفداء وأنعموا  
قود مس حد الرمح قوارة استه  
وسائل بنا جار ابن عوف فقد رأى  
تلاعب وحدان العضاريط بعدما  
أغرك أن قيل ابن عوف ولا أرى  
غداة سبينا من خفاجة سبيها  
فمن مبلغ عني الخزارج غارة  
صبحنا بني ذبيان إحدى العظام  
وبالخيل تردي قد حوينا ابن ظالم  
على تعب بين النواجي الرواسم  
علي وجزوني مكان القوادم  
فصارت كشدق الأعلم المتضاجم  
حليلته جالت عليها مقاسمي  
جلاها بسهميه لقيط بن حازم  
عزيمك إلا واهياً في العزائم  
ومرت لهم منا نحوس الأشائم  
على حي عوف موجفاً غير نائم

## غارته على بني فزارة

## وبني عبد الله بن غطفان

وقال أبو عمرو: أغار زيد على بني فزارة وبني عبد الله بن غطفان ورئيسهم يومئذ أبوضب، ومع زيد الخيل من بني نيهان بطنان يقال لهما: بنو نصر وبنو مالك، فأصاب وغنم، وساقوا الغنيمة، وانتهى إلى العلم، فاقتمسوا النهاب، فقال لهم زيد: أعطوني حق الرياسة، فأعطاه بنو نصر، وأبى بنو مالك، فغضب زيد، وانحدر إلى بني نصر، فبينما بنو مالك يقتسمون إذ غشيتهم فزارة وغطفان، وهم حلفاء، فاستنقدوا ما بأيديهم. فلما رأى زيد ذلك شد على القوم فقتل رئيسهم أباضب، وأخذ ما في أيديهم، فدفعه إلى بني مالك، وكانوا نادوه يومئذ: يا زياده أغشنا! فكر على القوم حتى استنقد ما في أيديهم، ورده، وقال يذكر ذلك:

كررت على أبطال سعد ومالك  
ومن يدع الداعي إذا هو نددا

يكون في الصحراء مثني وموحدا	فلأياً كررت الورد حتى رأيتهم
وقد ظهرت دعوى زنيماً وأسعدا	وحتى نبذتم بالصعيد رماحكم
وبالسيف حتى كل تحت وبلدا	فما زلت أرميهم بغرة وجهه
أقدمه حتى يرى الموت أسودا	إذا شك أطراف العوالي لبانه
وعل الجواري بيننا أن تسهدا	عللتها بالأمس ما قد علمتم
وأنى منعت السبي أن يتبددا	لقد علمت نبهان أني حميتها
هوى عن عقاب من شماريخ صنددا	عشية غادرت ابن ضب كأنما
أقب كسر حان الظلام معودا	بذي شطب أغشي الكتبية سلهباً

### زيد وعامر بن الطفيل

قال أبو عمرو: وخرج زيد الخيل يطلب نعماً من بني بدر، وأغار عامر بن الطفيل على بني فرارة، فأخذ امرأة يقال لها هند، واستاق نعماً لهم، فقالت بنو بدر لزيد: ما كنا قط إلى نعمك أحوج منا اليوم، فتبعه زيد الخيل، وقد مضى، وعامر يقول: يا هند، ما ظنك بالقوم؟ فقالت: ظني بهم أنهم سيطلبونك، وليسوا نيماً عنك. قال: فحطاً عجزها، ثم قال: لا تقول استها شيئاً، فذهبت مثلاً.

فأدركه زيد الخيل، فنظر إلى عامر فأنكره لعظمه وجماله، وغشيه زيد فبرز له عامر، فقال: يا عامر؛ حل سبيل الطعينة والنعم. فقال عامر: من أنت؟ قال: فزاري أنا. قال عامر: والله ما أنت من القلح أفواهاً. فقال زيد: حل عنها، قال: لا، والله أو تخبرني فاصدقني، قال: أنا زيد الخيل، قال: صدقت؛ فما تريد من قتالي، فوالله لئن قتلتني لتطلبنك بنو عامر، ولتذهبن فرارة بالذكر. فقال له زيد: حل عنها، قال: تخلني عني وأدعك والطعينة والنعم؟ قال: فاستأسر، قال: أفعل، فجز ناصيته، وأخذ رمحه، وأخذ هنداً والنعم، فردها إلى بني بدر، وقال في ذلك:

إنا لنكثر في قيس وقائنا	وفي تميم وهذا الحي من أسد
وعامر بن طفيل قد نحوت له	صدر القناة بماضي الحد مطرد
لما أحس بأن الورد مدركه	وصارماً وربيط الجأش ذا لبد
نادى إلي بسلم بعد ما أخذت	منه المنية بالحيزوم واللغد
ولو تصبر لي حتى أخالطه	أسعرته طعنة تكتار بالزبد

قال: فانطلق عامر إلى قومه مجزوراً، وأخبرهم الخبر، فغضبوا لذلك، وقالوا: لا ترأسنا أبداً، وتجهزوا ليغيروا على طيء، ورأسوا عليهم علقمة بن علاثة، فخرجوا ومعهم الحطيئة وكعب بن زهير.

أسر الحطيئة وكعب بن زهير ثم أطلقهما فبعث عامر إلى زيد الخيل دسيساً يئذره، فجمع زيد قومه، فلقبهم بالمضيق فقاتلهم، فأسر الحطيئة وكعب بن زهير وقوماً منهم، فحبسهم فلما طال عليهم الأسر قالوا: يا زيد، فادنا. قال: الأمر إلى عامر بن الطفيل، فأبوا ذلك عليه، فوهبهم لعامر إلا الحطيئة وكعباً، فأعطاه كعب فرسه الميت، وشكا الحطيئة الحاجة، فمن عليه، فقال زيد:

أقول لعبدي جرول إذ أسرته  
أنا الفارس الحامي الحقيقة والذي  
وقومي رؤوس الناس والرأس قائد  
فلست إذا ما الموت حوذر ورده  
بوقافة يخشى الحتوف تهيّباً  
و لكنني أغشى الحتوف بصعدتي  
وأروي سناني من دماء غزيرة  
أثبني ولا يغررك أنك شاعر  
له المكرمات واللهي والمآثر  
إذا الحرب شبنتها الأكف المساعر  
وأترع حوضاه وحمج ناظر  
يباعدني عنها من القب ضامر  
مجاهرة إن الكريم يجاهر  
على أهلها إذ لا ترجى الأياصر

### شعر الحطيئة لزيد

فقال الحطيئة لزيد:

إن لم يكن مالي بأت فإنني  
فأعطيت منا الود يوم لقيتنا  
فما نلتنا غدرًا ولكن صبحتنا  
تفادي حماة القوم من وقع رمحه  
وقال فيه الحطيئة أيضاً:

وقعت بعبس ثم أنعمت فيهم  
فإن يشكروا فالشكر أدنى إلى التقى  
تركت المياه من تميم بلاقعا  
وحي سليم قد أثرت شريدهم  
ومن آل بدر قد أصبت الأخير  
وإن يكفروا لا ألف يا زيد كافرا  
بما قد ترى منهم حلولا كراكرا  
وبالأمس ما قتلت يا زيد عامرا

فرضي عنه زيد ومن عليه لما قال هذا فيه، وعد ذلك ثواباً من الحطيئة وقبله.

## امتناع الحطيئة عن هجائه

فلما رجع الحطيئة إلى قومه قام فيهم حامداً لزيد، شاكراً لنعمته، حتى أسرت طيء بني بدر، فطلبت من فزارة وأفناء قيس إلى شعراء العرب أن يهجووا بني لأم وزيداً، فتحامتهم شعراء العرب، وامتنعت من هجائهم، فصاروا إلى الحطيئة فأبى عليهم، وقال: اطلبوا غيري فقد حقن دمي، وأطلقني بغير فداء؛ فلست بكافر نعمته أبداً، قالوا: فإننا نعطيك مائة ناقة، قال: والله لو جعلتموها ألفاً ما فعلت ذلك. وقال الحطيئة:

كيف الهجاء وما تنفك سالحة

من آل لأم بظهر الغيب تأتينا

المنعمين أقام العز وسطهم

بيض الوجوه وفي الهيجا مطاعينا

وقد أخبرنا أبو خليفة، عن محمد بن سلام، قال: خرج بجير بن زهير والحطيئة ورجل من فزارة يتقنصون الوحش، فلقيهم زيد الخيل فأسرهم، فافتدى بجير نفسه بفرس كان لكعب أخيه، وكعب يومئذ مجاور في بني ملقط من طيء، وشكا إليه الحطيئة الفاقة فأطلقه.

## غزا فزارة مع بني نبهان

وقال أبو عمرو: غزت بنو نبهان فزارة وهم متساندون ومعهم زيد الخيل، فاقتتلوا قتالاً شديداً، ثم هزمت فزارة، وسأقت بنو نبهان الغنائم من النساء والصبيان. ثم إن فزارة حشدت واستعانت بأحياء من قيس، وفيهم رجل من سليم شديد البأس سيد يقال له: عباس بن انس الرعلي، كانت بنو سليم قد أرادوا عقد التاج على رأسه في الجاهلية، فحسده ابن عم له فلطم عينه، فخرج عباس من أعمال بني سليم في عدة من أهل بيته وقومه، فترل في بني فزارة، وكان معهم يومئذ، ولم يكن لزيد المربع حينئذ، وأدركت فزارة بني نبهان، فاقتتلوا قتالاً شديداً، فلما رأى زيد ما لقيت بنو نبهان: يا بني نبهان؛ أحمل ولي المربع؟ قالوا: نعم، فشد على بني سليم فهزمهم، وأخذ أم الأسود امرأة عباس بن أنس، ثم شد على فزارة والأحلاط فهزمهم، وقال في ذلك:

ألا ودعت جيرانها أم أسودا

وضنت علي ذي حاجة أن يزودا

وأبغض أخلاق النساء أشده

إلي فلا تولن أهلي تشددا

وسائل بني نبهان عنا وعندهم

بلاء كحد السيف إذ قطع اليدا

دعوا مالكا ثم اتصلنا بمالك

فكل ذكا مصباحه فتوقدا

وبشر بن عمرو قد تركنا مجندلاً

ينوء بخطر هناك ومعيدا

تمطت به قوداء ذات علالة

إذا الصلدم الخنذيذ أعيأ وبلدا

لقيناهم نستنقذ الخيل كالقنا

ويستسلبون المسهري المقصدا

بذي الرمث إذ يدعون منثنى وموحدا  
زيداً أن يبوء ومعبدا بساقين

فيارب قدر قد كفأنا وجفنة  
على أنني أثوي سناني وصعدتي

### زيد وقيس بن عاصم

قال أبو عمرو: وقعت حرب بين أخلاط طيء، فنهاهم زيد عن ذلك وكرهه فلم ينتهوا، فاعتزل وجاور بني تميم، ونزل على قيس بن عاصم، فغزت بنو تميم بكر بن وائل وعليهم قيس، وزيد معه، فاقتتلوا قتالاً شديداً، وزيد كاف. فلما رأى ما لقيت تميم ركب فرسه، وحمل على القوم، وجعل يدعو بالتميم، ويتكى بكنية قيس إذا قتل رجلاً أو أذراه عن فرسه، أو هزم ناحية، حتى هزمت بكر، وظفرت تميم، فصارت فخرًا لهم في العرب، وافتخر بها قيس.

فلما قدموا قال له زيد: أقسم لي يا قيس نصيبي، فقال: وأي نصيب؟ فوالله ما ولي القتال غيري وغير أصحابي، فقال زيد:

مغلغلة أنباء جيش اللهازم  
ولست بكذاب كقيس بن عاصم  
ولم تدر ما سيماهم والعمائم  
ومكة والبيت الذي عند هاشم  
بمأثورة تشفي صداع الجماجم

ألا هل أتاهم والأحاديث جمة  
فلست بوقاف إذا الخيل أحجمت  
تخبر من لاقيت أن قد هزمتهم  
بل الفارس الطائي فض جموعهم  
إذا ما دعوا عجلًا عجلنا عليهم

فبلغ المكشر بن حنظلة العجلي أحد بني سنان قول زيد، فخرج في ناس من عجل حتى أغار على بني نبهان، فأخذ من نعمهم ما شاء، وبلغ ذلك زيد الخيل، فخرج على فرسه في فوارس من نبهان، حتى اعترض القوم، فقال: ما لي ولك يا مكشر؟ فقال: قولك:

إذا ما دعوا عجلًا عجلنا عليهم

فقاتلهم زيد حتى استنقذ بعض ما كان في أيديهم، ورجع المكشر ببقية ما أصاب. فأغار زيد على بني تميم الله بن ثعلبة، فغنم وسبي، وقال في ذلك:

عركنا بتيم اللات ذنب بني عجل

إذا عركت عجل بنا ذنب غيرنا

### حريث بن زيد الخيل

وقال أبو عمرو: كان حريث بن زيد الخليل شاعراً، فبعث عمر بن الخطاب رجلاً من قريش يقال له أبو سفيان يستقرىء أهل البادية، فمن لم يقرأ شيئاً من القرآن عاقبه، فأقبل حتى نزل بمحلة بني نبهان، فاستقرأ ابن عم لزيد الخليل يقال له أوس بن خالد بن زيد بن منهب، فلم يقرأ شيئاً، فضربه، فمات. فأقامت بنته أم أوس تندبه، وأقبل حريث بن زيد الخليل فأخبرته، فأخذ ارمح فشد على أبي سفيان فطعنه فقتله، وقتل ناساً من أصحابه، ثم هرب إلى الشام، وقال في ذلك:

أخي الشتوة الغبراء والزمن المحل	ألا بكر الناعي بأوس بن خالد
يلاقي المنمايا كل حاف وذي نعل	فلا تجزعي يا أم أوس فإنه
تركت أبا سفيان ملتزم الرحل	فإن يقتلوا أوساً عزيزاً فإنني
ولكن إذا ما شئت جاوبني مثلي	ولولا الأسي ما عشت في الناس بعده
كراماً ولم نأكل به حشف النخل	أصبنا به من خيرة القوم سبعة

### صوت

مرحباً بالذي يقول الغراب	بشر الظبي والغراب بسعدى
ثم ردي جوابنا يا رباب	أذهبي فاقري السلام عليهم

عروضه من الخفيف . الشعر لعبيد الله بن قيس الرقيات، والغناء لفند المخنث - مولى عائشة بنت سعد بن أبي وقاص - خفيف رمل بالبنصر. وذكر حبش أن هذا اللحن ليحيى المكي، وليس ممن يحصل قوله.

### خبر لابن قيس الرقيات

أخبرني بالسبب الي قال فيه ابن قيس هذا الشعر الحرمي بن أبي العلاء، قال: حدثنا الزبير بن بكار، قال: حدثني عبد الرحمن بن محمد بن أبي الحارث الكاتب، مولى بني عامر بن لؤي، وأبو الحارث هذا هو الذي يقول فيه عمر بن أبي ربيعة :

يا أبا الحارث قلبي طائر	فائتمر أمر رشيد مؤتمن
-------------------------	-----------------------

### وقوفه إلى جانب عبد العزيز بن مروان

قال: حدثني عمرو بن عبد الرحمن بن عمرو بن سهل، قال: حدثني سليمان بن نوفل بن مساحق، عن أبيه، عن جده، قال: أراد عبد الملك بن مروان البيعة لابنه الوليد بعد عبد العزيز بن مروان، وكتب إلى عبد العزيز يسأله ذلك، فامتنع عليه، وكتب إليه يقول له: لي ابن ليس ابنك أحب إلي منه؛ فإن استطعت ألا يفرق بيننا الموت

وأنت لي قاطع فافعل. فرق له عبد الملك، وكف عن ذلك، فقال عبيد الله بن قيس في ذلك - وكان عند عبد العزيز -:

يخلفك البيض من بنيك كما  
ليسوا من الخروج الضعاف ولا  
يخلف عود النضار في شعبه  
أشباه عيدانه ولا غربه

نحن على بيعة الرسول التي  
نأتي إذا ما دعوت في الزحف الم  
نهدي رعيلاً أمام أرعن لا  
فقال عبد الملك: لقد دخل ابن قيس الرقيات مدخلاً ضيقاً، وتهدده وشتمه. وقال: أليس هو القائل:

كيف نومي على الفراش ولما  
تذهل الشيخ عن بنيه وتبدي  
تشمّل الشام غارة شعواء  
عن خدام العقيلة العذراء  
هو القائل أيضاً:

على بيعة الإسلام بايعن مصعباً  
تدارك أحرانا ويمضي أمامنا  
إذا فرغت أظفاره من كتيبة  
أمال على أخرى السيوف البواتكا  
قال: فلما بلغ عبيد الله قول عبد الملك وشتمه إياه قال:

بشر الظبي والغراب بسعدى  
قال لي: إن خير سعدي قريب  
قلت: أنى تكون سعدي قريباً  
حبذا الريم ذو الوشاحين والخص  
إن في القصر لو دخلت غزاً  
أرسلت أن فدتك نفسي فاحذر  
أقسموا إن رأوك لا تطعم الما  
قلت: قد يغفل الرقيب ويغفي  
أو عسى أن يوري الله أمراً

مرحباً بالذي يقول الغراب  
قد أنى أن يكون منه اقترب  
وعليها الحصون والأبواب  
ر الذي لا يناله الأثواب  
مصفقاً موصداً عليه الحجاب  
ها هنا شرطة عليك غضاب  
ء وهم حين يقدرون نئاب  
شرطة أو يحين منه انقلاب  
ليس في غيبه علينا ارتقاب

اذهبي فاقري السلام عليها  
 حديثها ما قد لقيت وقولي  
 رجل أنت همه حين يمسي  
 لا أشم الريحان إلا بعبي  
 رب زار علي لم ير مني  
 خادع الله حين جلله الشيء  
 يأمر الناس أن يبروا ويمسي  
 لا تعبني فليس عندك علم  
 تختل الناس بالكتاب فهلا  
 لست بالمخبت النقي ولا المح  
 إنني والتي رمت بك كرهاً  
 لتذوقن غب رأيك فينا  
 ثم ردي جوابنا يا رباب  
 حق للعاشق الكريم ثواب  
 خامرته من أجلك الأوصاب  
 ني كرماً إنما يشم الكلاب  
 عثرة وهو مومس كذاب  
 ب فأضحى قد بان منه الشباب  
 وعليه من عيبه جلباب  
 لا تتامن أيها المغتاب  
 حين تغتابني نهاك الكتاب  
 ضيه من مقالتي الاحتساب  
 ساقطاً ملصقاً عليك التراب  
 حين تبدو بعرضك الأنداب

قال الزبير: معنى قوله:

لا أشم الريحان إلا بعبي  
 يعرض بعبد الملك؛ لأنه كان متغير الفم يؤذيه رائحته، فكان في يده أبداً ريحان، أو تفاحة، أو طيب يشمه.

#### ما أحفظ عبد الملك عليه

أخبرني الحرمي، قال: حدثنا الزبير، عن عمه: أن ابن قيس قال في عبد العزيز بن مروان:

يلتفت الناس عند منبره

إذا عمود البرية انهدما

يعني إذا مات عبد الملك؛ لأن العهد كان إليه بعده.

قال الزبير: فأخبرني مصعب بن عثمان، قال: لما بلغ عبد الملك هذا البيت أحفظه، وقال: بفيه الحجر، وحينئذ قال: لقد دخل ابن قيس مدحلاً ضيقاً.

#### الحجاج يبعث إلى عبد الملك بعمران

ابن عصام العنزي

أخبرني الحرمي، قال: حدثنا الزبير، قال: حدثني كثير بن جعفر، عن أبيه، قال: قال الحجاج يوماً لأهل ثقته من جلسائه: ما من أحد من بني أمية أشد نصباً لي من عبد العزيز بن مروان، وليس يوم من الأيام إلا وأنا أتخوف أن تأتيني منه قارعة، فهل من رجل تدلوني عليه، له لسان وشعر وجلد؟ قالوا: نعم، عمران بن عصام العتري، فدعاه فأخلاه، ثم قال: اخرج بكتابي هذا إلى أمير المؤمنين، فاقدح في قلبه من ابنه شيئاً في الولاية، فقال له عمران: دس أيها الأمير إلي دسا، فقال له الحجاج: "إن العوان لا تعلم الخمرة".

فخرج بكتاب الحجاج، فلما دخل على عبد الملك دفع إليه الكتاب، وسأله عن الحجاج، وأمر العراق، فاندفع يقول:

أمير المؤمنين إليك أهدي      على الشحط التحية والسلاما  
أمير من بنيك يكن جوابي      لهم أكرومة ولنا نظاما  
فلو أن الوليد أطاع فيه      جعلت له الإمامة والذماما

فكتب عبد الملك إلى عبد العزيز في ذلك. ثم ذكر من خبرهما في المكاتبه مثل الخبر الذي قبله، وقال فيه: فرق عبد الملك رقة شديدة، وقال: لا يكون إلى الصلة أسرع مني، فكف عن ذلك، وما لبث عبد العزيز إلا ستة أشهر حتى مات.

الحجاج يقتل ابن الأشعث وعمران بن عصام فلما كان زمان ابن الأشعث خرج عمران بن عصام معه على الحجاج، فأتى به حين قتل ابن الأشعث فقتله، فبلغ ذلك عبد الملك فقال: قطع الله يدي الحجاج! أقتله وهو الذي يقول:

وبعثت من ولد الأغر معتب      صقراً يلوذ حمامه بالعوسج  
وإذا طبخت بناره أنضجتها      وإذا طبخت بغيرها لم تنضج

### ذكر فند وأخباره

#### كان خليعاً متهتكاً

هو فند أبو زيد مولى عائشة بنت سعد بن أبي وقاص، ومنشؤه المدينة، وكان خليعاً متهتكاً، يجمع بين الرجال والنساء في منزله، ولذلك يقول فيه ابن قيس الرقيات.  
صوت

قل لفند يشيع الأظعانا      طالما سر عيشنا وكفانا  
صادرات عشية من قديد      واردات من الضحى عسفانا

## زودتنا رقية الأحرانا

## يوم جازت حملها السكرانا

عروضه من الخفيف . غناه مالك بن أبي السمح من روايتي إسحاق وعمرو بن بانه. ولحنه من خفيف الثقيل بالسبابة في مجرى الوسطى.

وقد اختلف في اسمه، فقيل: قند بالقاف، وفند بالفاء أصح. وبه يضر المثل في الإبطاء، فيقال: تعست العجلة. أخبرني الحسين بن يحيى، عن حماد، عن أبيه، قال: كانت عائشة بنت سعد أرسلته ليجيئها بنار، فخرج لذلك، فلقي غيراً خارجاً إلى مصر، فخرج معهم، فلما كان بعد سنة رجع فأخذ ناراً، ودخل على عائشة وهو يعدو فسقط وقد قرب منها، فقال: تعست العجلة، فقال بعض الشعراء في رجل ذكر بمثل هذه الحال:

ما رأينا لعبيد مثلاً

إذ بعثناه يجي بالمسلة

غير فند بعثوه قابساً

فثوى حولاً وسب العجله

أخبرني الحسين، قال: قال حماد: قرأت على أبي الهيثم بن عدي، قال: كان فند أبو زيد مولى لسعد بن أبي وقاص، فضربه سعد بن إبراهيم ضرباً مبرحاً، فحلفت عائشة بنت سعد أنهما لا تكلمه أبداً أو يرضى عنه - وكانت حالته - فصار إليه سعد طاعة لحالته، فوجده وجعاً من ضربه، فسلم عليه فحول وجهه عنه إلى الحائط ولم يكلمه؛ فقال له: أبا زيد، إن خالتي حلفت إلا تكلمي حتى ترضى، ولست ببارح حتى ترضى عني. فقال: أما أنا فأشهد أنك مقيت سمج مبغض، وقد رضيت عنك على هذه الحال لتقوم عني، وتريحي من وجهك ومن النظر إليك.

فقام من عنده، فدخل على عائشة، وأخبرها بما قال له فند، فقالت: قد صدق، وأنت كذلك ورضيت عنه. قال: وكان سعد مضطرب الخلق سمجاً.

أخبرني الحسن قال: قال حماد: قرأت على أبي بكر: وذكر عوانة أن معاوية كان يستعمل مروان بن الحكم على المدينة سنة، ويستعمل سعيد بن العاص سنة، فكانت ولاية مروان شديدة يهرب فيها أهل الدعارة والفسوق، وولاية سعيد لينة يرجعون إليها، فبينما مروان يأتي المسجد وفي يده عكازة له، وهو يومئذ معزول، إذا هو بفند يمشي بين يديه، فوكزه بالعكازة، وقال له: ويلك هيه:

قل لفند يشيع الأظعانا

أشيع الأظعان للفساد - لا أم لك - إلى أهل الريبة! ستعلم ما يحل بك مني، فالتفت إليه فند، وقال: نعم، أنا ذلك وسبحان الله! ما أسمعك والياً ومعزولاً! فضحك مروان، وقال له: تمتع، إنما هي أيام قلائل ثم تعلم ما يمر بك مني.

صوت

منا على عدوانها

حي الدويرة إذ نأت

شيباً ولا بلقائها

لا بالفراق تتيلنا

عروضه من الكامل الشعر لنيبه بن الحجاج السهمي، والغناء لابن سريج، رمل بالوسطى عن عمرو.

### أخبار نبيه ونسبه

#### نسبه

هو نبيه بن الحجاج بن عامر بن حذيفة بن سعد بن سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤي بن غالب؛ وأمه وأم أخيه منه أروى بنت عميلة بن السباق بن عبد الدار بن قصي.

#### قتل هو وأخوه يوم بدر مشركين

وكان نبيه بن الحجاج وأخوه من وجوه قريش وذوي النباهة فيهم، وقتلا جميعاً يوم بدر مشركين، ولهما يقول أعشى بني تميم - وهو ابن النباش بن زرارة، وكان أخوه أبو هالة بن النباش زوج خديجة أم المؤمنين في الجاهلية، ولها منه أولاد عقب إلى الآن - وكان الأعشى مداحاً لهم، وفيهم يقول، وهي قصيدة طويلة :

لا يشتكى فعلهم ضيف ولا جار

لله در بني الحجاج إذ ندبوا

وأوفياء بعقد الجار أحرار

إن يكسبوا يطعموا من فضل كسبهم

وفي نبيه يقول أيضاً :

حلماً وأجودهم، والجود تفضيل

إن نبيهاً أبا الرزام أفضلهم

ولا لقول أبي الرزام تبديل

ليس لفعل نبيه إن مضى خلف

سيف إذا قام وسط القوم مسلول

تقف كلقمان، عدل في حكومته

مخضر بالندى ما عاش مأهول

وإن بيت نبيه منهج فلج

ولا نداه عن المعتر معدول

من لا يعر ولا يؤذي عشيرته

وله أيضاً فيهما مراث قالها فيهما لما قتل بدر لم أستجز ذكرها؛ لأنهما قتلا مشركين محاربي الله ورسوله.

#### شعره في زوجته وقد سألتاه الطلاق

وكان نبيه من شعراء قريش، وهو القائل وقد سألته زوجته الطلاق، ذكر ذلك الزبير بن بكار :

تلك عرساي تنطقان بهجر  
تسألاني الطلاق أن رأتاني  
فلعلي أن يكثر المال عندي  
ويرى أعبد لنا وجياد  
ويكأن من يكن لن نشب يحب  
ويجنب يسر الأمور ولكن  
وتقولان قول زور وهتر  
قل مالي، قد جئتماني بنكر  
ويخلى من المغارم ظهري  
ومناصيف من ولائد عشر  
ب ومن يفتقر بعش عيش ضر  
ذوي المال حضر كل يسر

شعر آخر له أخبرني الطوسي والحرمي، قالوا: حدثنا الزبير بن بكار، قال: حدثني علي بن صالح: أن عامر بن صالح أنشده لنبيه بن الحجاج:

قصر العدم بي ولو كنت ذا ما  
ولقالوا: أنت الكريم علينا  
ولكلت المعروف كيلاً هنياً  
ل كثير لأجلب الناس حولي  
ولحطوا إلى هواي وميلي  
يعجز الناس أن يكيلوا ككيلي

قال الزبير: قال علي بن صالح: وأنشدني عامر بن صالح لنبيه بن الحجاج أيضاً:

قالت سليمي إذ طرقت أزورها:  
لا أبتغي إلا امرأة ذات مال  
فأحرصن على اكتساب محبب  
لا أبتغي إلا امرأة ذا ثروة  
كيما يسد مفاقرني وخلاللي  
ولأكسبن في عفة وجمال

أخبرني الطوسي والحرمي، قالوا: حدثنا الزبير بن بكار، قال: حدثني عمي مصعب، قال: نزل نبيه بن الحجاج قديداً يريد الشام، فغيب بعض بني بكر ناقته، يريد أخذ الجعالة عليها منه، فقال نبيه في ذلك:

وردت قديداً فالتوى بذراعها  
رجل صديق ما بدت لك عينه  
ذؤبان بكر كل أطلس أفحج  
فإذا تغيب فاحتفظ من دعلج

قال الزبير: الدعلج: الكلب والذئب، وكل مختلس من السباع فهو دعلج، ويقال لاختلاسه: الدعلجة، وأنشد:

باتت كلاب الحي تسري بيننا  
يأكلن دعلجة ويشبع من ثوى

يعني بالدعلجة السرقة.

قال الزبير: ولا عقب للحجاج أبي نبيه ومنبه إلا من ولد نبيه؛ فإن العقب من ولد أبي سلمة إبراهيم بن عبد الله بن عفيف بن نبيه، وفي ريطه بنت منبه؛ فإن عمرو بن العاص تزوجها فولدت له عبد الله بن عمرو .

**انتزع امرأة من أبيها فلجأ إلى حلف الفضول**

## فخلصوها منه

وهذا الشعر الذي فيه الغناء يقوله في امرأة كان غلب أباهما عليها، فاستغاث أبوها بالحلفاء من قريش، والحلف المعروف بحلف الفضول؛ فانتزعوها من نبيه وردوها إلى أبيها.

أخبرني الطوسي، قال حدثني الزبير بن بكار، قال: حدثني غير واحد من قريش، منهم عبد العزيز بن عمر العنيسي عن مغن، واسمه عيينة بن عبد الله بن عنيسة:

أن رجلاً من خثعم قدم مكة تاجراً، ومعه ابنة له يقال لها القتول، أوضأ نساء العالمين وجهها، فعلقها نبيه بن الحجاج بن عامر بن حذيفة بن سعد بن سهم، فلم يرح حتى نقلها إليه، وغلب أباهما عليها، فقيل لأبيها: عليك بحلف الفضول؛ فأتاهم فشكا ذلك إليهم، فأتوا نبيه بن الحجاج، فقالوا: أخرج ابنة هذا الرجل، وهو يومئذ متبد بناحية مكة وهي معه، فقال: لا أفعل، قالوا: فإننا من قد عرفت، فقال: يا قوم متعوني بما الليلة، فقالوا: قبحك الله، ما أحهلك! لا والله ولا شخب لقحة، وهي أوسع أحاييك من السائل، فأخرجها إليهم فأعطوها أباهما، وركبوا، وركب معهم الخثعمي، فلذلك يقول نبيه بن الحجاج: شعره في ذلك:

راح صحبي ولم أحي القتولا

إذ أجد الفضول أن يمنعوها

لا تخالي أني عشية راح الرك

إنني والذي تحج له شمط

لا تبرأت من قتيلة بالنا

لم أخبر عن الحديث ولا أب

ومبيتاً بذى المجاز ثلاثاً

لن أذيع الحديث عنها ولا أن

أتلوى بها كما تتلوى

ثم عدواً عداء نخلة ما يد

وبنو غالب أولئك قومي

وندامى بيض الوجوه كهول

غير هجم ولا لئام ولا تع

وفي ذلك يقول نبيه بن الحجاج:

حي الدوييرة إذ نأت

منا على عدوائها

شيباً ولا بلقائها	لا بالفراق تنيلنا
ونأت فكيف بنائها	أخذت حشاشة قلبه
من بيتها ووطائها	حلت تهامة خلة
من سهلها وحرائها	ولها بمكة منزل
واستعذبوا من مائها	رفعوا المحلة فوقها
وتعم في حلفائها	تدعو شهاباً حولها
لا أمن من عدوائها	لولا الفضول وأنه
ولطفت حول خبائها	لدنوت من أبياتها
هاد لدى ظلماتها	ولجنتها أمشي بلا
ولبت في أحشائها	فشربت فضلة ريقها
أنا من أهل وفائها	فسلي بمكة تخبري
منا على أكفائها	قدماً وأفضل أهلها
ونموت في أودائها	نمشي بألوية الوعى

### حلف الفضول

سبب حلف الفضول أخبرنا به الطوسي، قال: حدثنا الزبير بن بكار، قال: حدثني أبو الحسن الأثرم، عن أبي عبيدة قال: كان سبب حلف الفضول أن رجلاً من أهل اليمن قدم مكة ببضاعة فاشتراها رجل من بني سهم، فلوى الرجل بحقه؛ فسأله متاعه فأبى عليه، فقام في الحجر، فقال:

يبطن مكة نائي الدار والنفر	يال قصي لمظلوم بضاعته
بين المقام وبين الركن والحجر	وأشعث محرم لم يقض حرمة
أم ذاهب في ضلال مال معتمر	وروى بعض الثقات تماماً لهذين البيتين، وهو:
ولا حرام لثوب الفاجر الغدر	أقائم من بني سهم بذمتهم
	إن الحرام لمن تمت حرامته

قال: وقال بعض العلماء: إن قيس بن شيبه السلمي باع متاعاً من أبي بن خنف، فلواه وذهب بحقه، فاستجار برجل من بني جمح، فلم يقم بجواره، فقال:

وحرمة البيت وأعلاق الكرم

يال قصي كيف هذا في الحرم

أظلم لا يمنع مني من ظلم

قال: وبلغ الخبر العباس بن مرداس السلمي، فقال:

وقد شربت بكأس الغل أنفاسا

إن كان جارك لم تتفعلك ذمته

لا تلف ناديهم فحشاً ولا باسا

فانت البيوت وكن من أهلها صددا

تلق ابن حرب وتلق المرء عباسا

وتم كن بفناء البيت معتصماً

بالمجد والحزم ما حازا وما ساسا

قرمى قريش وحلا في ذؤابتها

والمجد يورث أخماساً وأسداسا

ساقى الحجيج وهذا ياسر فلج

فقام العباس وأبو سفيان حتى ردا عليه. واجتمعت بطون قريش، فتحالفوا على رد الظلم بمكة، وألا يظلم رجل بمكة إلا منعه، وأخذوا له بحقه، وكان حلفهم في دار ابن جدعان، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "لقد شهدت حلفاً في دار ابن جدعان ما أحب أن لي به حمر النعم، ولو دعيت به لأجبت".

فقال قوم من قريش: هذا والله فضل من الحلف؛ فسمى حلف الفضول.

قال: وقال آخرون: تحالفوا على مثل حلف تحالف عليه قوم من جرهم في هذا الأمر ألا يقرؤا ظملاً ببطن مكة إلا غيروه، وأسماءهم الفضل بن شراعة، والفضل بن قضاة، والفضل بن سماعة .

قال: وحدثني محمد بن فضالة، عن عبد الله بن سمعان، عن ابن شهاب، قال: كان شأن حلف الفضول أن بدء ذلك أن رجلاً من بني زبيد قدم مكة معتمراً في الجاهلية ومعه تجارة له، فاشترها منه رجل من بني سهم، فأواها إلى بيته، ثم تغيب، فابتغى متاعه الزبيدي، فلم يقدر عليه، فجاء إلى بني سهم يستعديهم عليه، فأغلظوا عليه، فعرف أن لا سبيل إلى ماله؛ فطوف في قبائل قريش يستعين بهم، فتخاذلت القبائل عنه، فلما رأى ذلك أشرف على أبي قبيس حين أخذت قريش مجالسها في المسجد، ثم قال:

ببطن مكة نائي الدار والنفر

يا آل فهر لمظلوم بضاعته

يا إل فهر وبين الحجر والحجر

ومحرم شعث لم يقض عمرته

فعادل أم ضلال مال معتم

أقائم من بني سهم بخفرتهم

الحلف يعتقد في دار عبد ابن جدعان ورسول الله معهم فلما نزل أعظمت قريش ذلك، فتكلموا فيه، فقال المطيبون: والله لئن قمنا في هذا ليغضبن الأحلاف، وقال الأحلاف: والله لئن تكلمنا في هذا ليغضبن المطيبون، وقال ناس من قريش: تعالوا فليكن حلفاً فضولاً دون المطيبين ودون الأحلاف، فاجتمعوا في دار عبد الله بن

جدعان، وصنع لهم طعاماً يومئذ كثيراً، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ معهم، قبل أن يوحى الله إليه، وهو ابن خمس وعشرين سنة. فاجتمعت بنو هاشم وأسد وزهرة وتيم، وكان الذي تعاقد عليه القوم: تحالفوا على ألا يظلم بمكة غريب ولا قريب ولا حر ولا عبد إلا كانوا معه، حتى يأخذوا له بحقه، ويؤدوا إليه مظلمته من أنفسهم ومن غيرهم، ثم مدوا إلى ماء من زمزم فجعلوه في جفنة، ثم بعثوا، به إلى البيت، فغسلت به أركانه، ثم أتوا به فشر به.

النبى يشيد بحلف الفضول قال: فحدثنا هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها: أنها سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "لقد شهدت في دار عبد الله بن جدعان حلف الفضول، أما لو دعيت إليه اليوم لأجبت، وما أحب أن لي به حمر النعم، وأني نقضته".

قال: وحدثني عمر بن عبد العزيز العنبي أن الذي اشترى من الزبيدي المتاع العاص بن وائل السهمي. أهل الحلف وعلى أي شيء تحالفوا وقال: أهل حلف الفضول بنو هاشم، وبنو المطلب، وبنو أسد بن عبد العزى، وبنو زهرة، وبنو تيم، تحالفوا بينهم ألا يظلم بمكة أحد إلا كنا جميعاً مع المظلوم على الظالم، حتى نأخذ له مظلمته ممن ظلمه شريفاً أو وضيعاً، منا أو من غيرنا.

ثم انطلقوا إلى العاص بن وائل، ثم قالوا: والله لا نفارقك حتى تؤدي إليه حقه، فأعطى الرجل حقه، فمكتوا كذلك لا يظلم أحد حقه بمكة إلا أخذوه له. وكان عتبة بن ربيعة بن عبد شمس يقول: لو أن رجلاً وحده خرج من قومه لخرجت من عبد شمس، حتى أدخل في حلف الفضول. وليس عبد شمس في حلف الفضول.

وحدثني محمد بن حسن، عن محمد بن طلحة، عن موسى بن عبد الله بن إبراهيم، عن أبيه، وعن محمد بن فضالة، عن هشام بن عروة، عن أبيه، وعن إبراهيم بن محمد، وعن أبي عبد الله بن الهاد:

أن بني هاشم وبني المطلب وبني أسد بن عبد العزى وتيم بن مرة اختلفوا على ألا يدعوا بمكة كلها، ولا في الأحابيش مظلوماً يدعوهم إلى نصرته إلا أنجدوه، حتى يرجوا عليه مظلمته، أو ييلوا في ذلك عذراً، أو على ألا يتركوا لأحد عند أحد فضلاً إلا أخذوه، وعلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر - وبذلك سمي حلف الفضول - بالله الغالب أن اليد على الظالم حتى يأخذوا للمظلوم حقه ما بل بحر صوفة، وعلى التأسى في المعاش.

قال محمد بن الحسن: قال محمد بن طلحة في حديثه، عن موسى بن محمد عن أبيه، وعن محمد بن فضالة، عن أبيه، قال: لم يكن بنو أسد بن عبد العزى في حلف الفضول، قال: وكان بعد عبد المطلب.

قال: وحدثني محمد بن الحسن، عن عيسى بن يزيد بن دأب، قال: أهل حلف الفضول: هاشم، وزهرة، وتيم. قال: وقيل له: فهل لذلك شاهد من الشعراء؟ قال: نعم، قال: أنشدني بعض أهل العلم قول بعض الشعراء:

زهرة الخير في دار ابن جدعان

تيم بن مرة إن سالت وهاشم

ورقاء في فنن من جزع كتمان

متحالفون على الندى ما غردت

فقيل له: وأين كتمان؟ فقال: واد بنجران؛ فجاء بيتين مضطربين مختلفي النصفين.  
وحدثني أبو الحسن الأثرم، عن أبي عبيدة، قال: تداعى بنو هاشم وبنو المطلب وبنو أسد بن عبد العزى وبنو  
زهرة بن كلاب وتيم بن مرة إلى حلف الفضول، فاجتمعوا في دار عبد الله بن جدعان، فتحالفوا عنده، وتعاقدوا  
ألا يجدوا بمكة مظلوماً من أهلها ولا من غيرهم إلا قاموا معه على من ظلمه حتى يردوا مظلمته. وشهد النبي  
صلى الله عليه وسلم هذا الحلف قبل أن يبعث، فهذا حلف الفضول.  
قال: وحدثني إبراهيم بن حمزة عن جدي عبد الله بن مصعب، عن أبيه، قال: إنما سمي حلف الفضول لأنه كان  
في جرهم رجال يردون المظالم يقال لهم: فضيل وفضال وفضل ومفضل قال: فلذلك سمي حلف الفضول،  
تعاقدوا أن يردوا المظالم.

قال: فتحالفوا بالله الغالب لنأخذن للمظلوم من الظالم، وللمقهور من القاهر، وما بل بحر صوفة.  
قال: وقال أبي: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "فشهدت حلفاً في دار عبد الله بن جدعان لم يزد الإسلام  
إلا شدة، وهو أحب إلي من حمر النعم"، قال: وقال غيره: "لو دعيت إليه لأجبت".  
رواية أخرى في سبب تسميته قال: وحدثني محمد بن حسن، عن نوفل بن عمارة عن إسحاق بن الفضل قال:  
إنما سميت قريش هذا الحلف حلف الفضول؛ لأن نفاً من جرهم يقال لهم: الفضل وفضال والفضيل، تحالفوا على  
مثل ما تحالفت عليه هذه القبائل.

قال: وحدثني رجل عن محمد بن حسن، عن محمد بن فضالة، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة: أنها  
قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "لقد شهدت في دار ابن جدعان حلف الفضول، أما لو  
دعيت إليه لأجبت، وما أحب أني نقضته، وأن لي حمر النعم".  
قال الزبير: وحدثني علي بن صالح عن جدي عبد الله بن مصعب، عن أبيه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم  
قال: "والذي نفسي بيده، لقد شهدت في الجاهلية حلفاً - يعني حلف الفضول - أما لو دعيت إليه لأجبت، هو  
أحب إلي من حمر النعم، لا يزيده الإسلام إلا شدة".

قال: وحدثني أبو الحسن الأثرم، عن أبي عبيدة، قال: حدثني رجل عن محمد بن يزيد الليثي، قال: سمعت طلحة  
بن عبد الله بن عوف الزبيري، يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لقد شهدت في دار عبد الله بن  
جدعان حلفاً ما أحب أن لي به حمر النعم، ولو أدعى إليه في الإسلام لأجبت".

قال: وحدثني محمد بن حسن، عن نصر بن مزاحم، عن معروف بن خربوذ، قال: تداعت بنو هاشم وبنو  
المطلب وأسد وتيم، فاختلفوا على ألا يدعوا بمكة كلها ولا في الأحابيش مظلوماً يدعوهم إلى نصرته إلا أنجدوه،  
حتى يردوا إليه مظلمته، أو يبلوا في ذلك عذراً. وكره ذلك سائر المطيبين والأحلاف من أمره، وسموه حلف  
الفضول، عيباً له، وقالوا: هذا من فضول القوم، فسموه حلف الفضول.

قال: وحدثني محمد بن حسن، عن إبراهيم بن محمد، عن يزيد بن عبد الله بن الهاد، عن محمد بن إبراهيم، قال:

كان حلف الفضول بين بني هاشم وبني أسد وبني زهرة وبني تيم.  
قال: فحدثني أبو خيشمة زهير بن حرب، قال: حدثني إسماعيل بن إبراهيم، عن عبد الرحمن بن إسحاق، عن الزهري، عن محمد بن حبيب، عن أبيه، عن عبد الرحمن بن عوف، قال:  
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "شهدت مع عمومي حلف المكين، فما أحب أن لي حمر النعم وأني أنكته".

قال: وحدثني محمد بن الحسن، عن محمد بن طلحة، عن عثمان بن عبد الرحمن بن عثمان بن عبيد الله التيمي: أنه بلغه أن الذي بدأ بحلف الفضول من هذه القبائل أمر الغزال الذي سرق من الكعبة.  
ابن جبير بن مطعم وعبد الملك حدثني محمد بن الحسن، قال: حدثنا محمد بن طلحة، عن موسى بن محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمي، عن أبيه، قال: قدم ابن جبير بن مطعم على عبد الملك بن مروان، وكان من حلفاء قريش.

بنو عبد شمس وبنو نوفل لم يدخلوا فقال له عبد الملك: يا أبا سعيد، لم يكن بنو عبد شمس وأنتم - يعني بني نوفل - في حلف الفضول، قال: وأنتم أعلم يا أمير المؤمنين، قال: لتحدثني بالحق من ذلك، قال: لا والله يا أمير المؤمنين، لقد خرجنا نحن وأنتم منه، ولم تكن يدنا ويدكم إلا جميعاً في الجاهلية والإسلام.  
الوليد بن عتبة ينصف الحسين بن علي قال: وحدثني محمد بن حسن، عن إبراهيم بن محمد بن يزيد بن عبد الله بن الهاد الليثي أن محمد بن الحارث التيمي أخبره: أنه كان بين الحسين بن علي وبين الوليد بن عتبة بن أبي سفيان كلام - والوليد يومئذ أمير المدينة في زمن معاوية بن أبي سفيان - في مال كان بينهما بذي المروة، فقال الحسين بن علي: استطال علي الوليد بن عتبة في حقي بسلطانه، فقلت: أقسم بالله لتنصفني في حقي أو لآخذن سيفي، ثم لأقومن في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم لأدعون بحلف الفضول، قال: فقال عبد الله بن الزبير - وكان عند الوليد لما قال الحسين ما قال - : وأنا أحلف بالله لئن دعا به لآخذن سيفي ثم لأقومن معه حتى ينصف من حقه أو نموت جميعاً. فبلغت المسور بن مخزوم بن نوفل الزهري، فقال مثل ذلك، فبلغت عبد الرحمن بن عثمان بن عبيد الله التيمي، فقال مثل ذلك. فلما بلغ الوليد بن عتبة أنصف الحسين من حقه حتى رضي.

قال: وحدثني أبو الحسن الأثرم علي بن المغيرة، عن أبي عبيدة، قال: حدثني رجل عن يزيد بن عبد الله بن أسامة الليثي: أن محمد بن إبراهيم التيمي حدثه مثل حديث محمد بن حسن الذي قبل هذا.  
الحسين ينازع معاوية في أرض له قال: وحدثني إبراهيم بن حمزة، عن جدي عبد الله بن مصعب، عن أبيه أن الحسين بن علي كان بينه وبين معاوية كلام في أرض له، فقال له الحسين: اختر خصلة من ثلاث خصال: إما أن تشتري مني حقي، وإما أن ترده علي، أو تجعل بيني وبينك ابن الزبير وابن عمر، والرابعة الصيلم، قال: وما الصيلم؟ قال: أن أهتف بحلف الفضول، قال: فلا حاجة لنا بالصيلم.

قال: فخرج وهو مغضب، فمر بعبد الله بن الزبير فأخبره، فقال: والله لئن لم ينصفني لأهتفن بحلف الفضول، فقال عبد الله بن الزبير: والله لئن هتفت به وأنا مضطجع لأقعدن أو قاعد لأقومن، ولئن هتفت به وأنا ماش لأسعين، ثم لينفدن روحي مع روحك، أو لينصفنك.

قال: فخرج عبد الله بن الزبير فدخل على معاوية فباعه منه، وخرج عبد الله فجاء إلى الحسين، فقال: أرسل فانتقد مالك، فقد بعته لك.

قال: وحدثني علي بن صالح، عن جدي عبد الله بن مصعب، عن أبيه، قال: خرج الحسين من عند معاوية، فلقي عبد الله بن الزبير، والحسين مغضب، فذكر الحسين أن معاوية ظلمه في حق له، فقال الحسين: أخيره في ثلاث خصال، والرابعة الصيلم؛ أن يجعلك أو ابن عمر بيني وبينه، أو يقر بحقي، ثم يسألني فأهبه له، أو يشتريه مني، فإن لم يفعل فوالذي نفسي بيده لأهتفن بحلف الفضول.

قال ابن الزبير: والذي نفسي بيده لئن هتفت به وأنا قاعد لأقومن أو قائم لأمشين، أو ماش لأشتدن، حتى تفني روحي مع روحك أو ينصفك.

قال: ثم ذهب ابن الزبير إلى معاوية، فقال: لقيني الحسين فخيرك في ثلاث خصال، والرابعة الصيلم. قال معاوية: لا حاجة لنا بالصيلم؛ إنك لقيته مغضباً، فهات الثلاث، قال: تجعلني أو ابن عمر بينك وبينه، قال: فقد جعلتك بيني وبينه أو ابن عمر أو جعلتكما، قال: أو تقر له بحقه وتسأله إياه، قال: أنا أقر له بحقه وأسأله إياه، قال: أو تشتريه منه، قال: وأنا أشتريه منه، قال: فلما انتهى إلى الرابعة قال لمعاوية كما قال للحسين: إن دعائي إلى حلف الفضول لأجبتة، فقال معاوية: لا حاجة لنا بهذا.

رجل من ثمالة يشكو حلف الفضول قال: وبلغني أن عبد الرحمن بن أبي بكر والمسور بن مخزومة قالوا للحسين بن علي مثل ما قال ابن الزبير، فبلغ ذلك معاوية وعنده جبير بن مطعم، فقال له معاوية: يا أبا محمد، أكننا في حلف الفضول؟ قال: لا، قال: فكيف كان؟ قال: قدم رجل من ثمالة فباع سلعة له من أبي بن خلف بن وهب بن حذافة بن جمح، فظلمه، وكان يسيء المخالطة فأتى الثمالي إلى أهل حلف الفضول فأخبرهم، فقالوا: اذهب فأخبره أنك أتيتنا، فإن أعطاك حقتك وإلا فارجع إلينا، فأتاه فأخبره بما قال له أهل حلف الفضول، قال: فأخرج إليه ماله، وأعطاه إياه بعينه، وقال:

أياخذني في بطن مكة ظالماً

أبي ولا قومي لدي ولا صحبي

وناديت قومي صارخاً لي جيبيني

وكم دون قومي من فياف ومن سهب

ويأبى لكم حلف الفضول ظلامتي

بني جمح والحق يؤخذ بالغصب

القييني يستصرخ عبد الله بن جدعان وقد روى إبراهيم بن المنذر الحزامي في أمر حلف الفضول غير ما رواه الزبير، قال إبراهيم: حدثني عبد العزيز بن عمران، قال: قدم أبو الطمحان القييني الشاعر، واسمه حنظلة بن

الشرقي، فاستجار عبد الله بن جدعان التيمي ومعه مال له من الإبل، فعدا عليه قوم من بني سهم فانتحروا ثلاثة من إبله، وبلغه ذلك فأتاهم بمثلها، فقال: أنتم لها ولأكثر منها أهل، فأخذوها فانتحروها، ثم أمسكوا عنه زماناً، ثم جلسوا على شراب لهم، فلما انتشوا غدوا على إبله فأساقوها كلها، فأتى عبد الله بن جدعان يستصرخه، فلم يكن فيه ولا في قومه قوة ببني سهم، فأمسك عنهم ولم ينصره، فقال أبو الطمحان :

ألا حنت المرقال واشتاق ربها  
 ولو علمت صرف البيوع لسرها  
 تذكر أراماً وأذكر معشري  
 بمكة أن تبتاع حمضاً بإذخر  
 متى يعتلق جاراً وإن عز يغدر  
 فيما موزع الجيران بالغي أقصر  
 إذا قلت واف أدركته دروكه

ثم ارتحل عنهم.

لميس بن سعد يستجير بقريش من ظلم أبي بن خلف ووفد لميس بن سعد البارقي مكة، فاشترى منه أبي بن خلف سلعة، فظلمه إياها، فمشى في قريش فلم يجزه أحد، فقال:

أيظلمني مالي أبي سفاهة  
 وناديت قومي بارقاً لتجيبني  
 وبغياً ولا قومي لدي ولا صحبي  
 وكم دون قومي من فياف ومن سهب

رجل آخر من زبيد يستجير بقريش ثم قدم رجل من بني زبيد، فاشترى منه رجل من بين سهم يقال له: حذيفة سلعة، وظلمه حقه، فصعد الزبيدي على أبي قبيس، ثم نادى بأعلى صوته:

يا آل فهر لمظلوم بضاعته  
 بين المقام وبين الركن والحجر  
 يا آل فهر لمظلوم ومضطهد  
 إن الحرام لمن تمت حرامته  
 ببطن مكة نائي الحي والنفر  
 ولا حرام لثوب الفاجر الغدر

فأعظم الزبير بن عبد المطلب ذلك، وقال: يا قوم، إني والله لأحشى أن يصيبنا ما أصاب الأمم السالفة من ساكني مكة، فمشى إلى ابن جدعان، وهو يومئذ شيخ قريش، فقال له في ذلك، وأخبره بظلم بني سهم وبغيهم، وقد كان أصاب بني سهم أمران لا يشك أنهما للبغي: احتراق المقاييس منهم، وهم قيس ومقيس وعبد قيس بصاعقة، وأقبل منهم ركب من الشام، فترلوا بماء يقال له القطيعة، فصبوا فضلة خمر لهم في إناء، وشربوا ثم ناموا، وقد بقيت منهم بقية ففكرع منها حية أسود، ثم تقيأ في الإناء، فهب القوم فشربوا منه، فماتوا عن آخرهم، فأذكره هذا ومثله، فتحالف بنو هاشم وبنو المطلب وبنو زهرة وبنو تيم: بالله الغالب، إن ليد واحدة على الظالم، حتى يرد الحق.

وخرج سائر قريش من هذا الحلف. إلا أن ابن الزبير ادعاه لبني أسد في الإسلام. قال: فأخبرني الواقدي وغيره أن محمد بن جبير بن مطعم دخل على عبد الملك بن مروان، فسأله عن حلف الفضول فقال: أما أنت وأنت يا

أمير المؤمنين فلسنا فيه، فقال: صدقت والله، إني لأعرفك بالصدق، قال: فإن ابن الزبير يدعيه، فقال: ذاك هو الباطل.

قال: وكان عتبة بن ربيعة يقول: لو أن رجلاً خرج عن قومه إلى غيرهم لكرم حلف لخرجت عن قومي إلى حلف الفضول.

أقوال أخرى في سبب تسمية الحلف

قال الواقدي: قد اختلف فيه، لم سمي حلف الفضول؛ فقيل: إنه سمي بذلك لأنهم قالوا: لا ندع لأحد عند أحد فضلاً إلا أخذناه منه، وقيل: بل سمع بهذا بعض من لم يدخل فيه، فقال: هذا فضول من الأمر.

وقال الواقدي: والصحيح أن قوماً من جرهم يقال لهم فضل وفضالة وفضال ومفضل تحالفوا على مثل هذا في أيامهم، فلما تحالفت قريش هذا الحلف سمو بذلك.

### نسبة ما في هذا الخبر من الغناء

صوت

بيبطن مكة نائي الدار والنفر

يا للرجال لمظلوم بضاعته

ولا حرام لثوبي لابس الغدر

إن الحرام لمن تمت حرامته

غناه ابن عائشة، ثقيل أول بالبنصر، عن حبش.

يزيد أول من سن الملهي في الإسلام أخبرني إسماعيل بن يونس الشيعي، قال: حدثنا عمر بن شبة، قال: حدثنا المدائني، عن ابن أبي سبرة، عن لقيط بن نصر المحاربي، قال: كان يزيد بن معاوية أول من سن الملهي في الإسلام من الخلفاء، وآوى المغنين، وأظهر الفتك وشرب الخمر، وكان ينادم عليها سرجون النصراني مولاه والأخطل، وكان يأتيه من المغنين سائب حائر فيقيم عنده، فيخلع عليه ويصله، فغناه يوماً:

بيبطن مكة نائي الأهل والنفر

يا للرجال لمظلوم بضاعته

فاعترته أريحية، فرقص حتى سقط، ثم قال: اخلعوا عليه خلعا يغيب فيها حتى لا يرى منه شيء، فطرحت عليه الثياب والجباب والمطارف والخز حتى غاب فيها.

### صوت

في رأس غمدان داراً منك محلالاً

اشرب هنيئاً عليك التاج مرتفقاً

شيبا بماء فعادا بعد أبوالا

تلك المكارم لا قعبان من لبن

عروضه من البسيط.

المرتفق: المتكىء على مرفقه. وغمدان: اسم قصر كان لسيف بن ذي يزن باليمن. والحلال. الدار التي يحل فيها، أي يقيم فيها. وشيبا: معناه خلطا. والشوب: الخلط، يقال: شاب كذا بكذا إذا خلطهما. الشعر لأمية بن أبي الصلت الثقفي، وقيل: بل هو للنابعة الجعدي، وهذا خطأ من قائله؛ وإنما أدخل النابعة البيت الثاني من هذه الأبيات في قصيدة له على جهة التضمين. والغناء لسائب خاتر خفيف رمل بالوسطى، من رواية حماد عن أبيه، وفيه لطويس من كتاب يونس الكاتب غير مجنس .

### نسب أمية بن أبي الصلت

وخبيره في قوله هذا الشعر

#### نسبه

أبو الصلت عبد الله بن أبي ربيعة بن عمرو بن عقدة بن عترة بن عوف بن قسي، وهو ثقيف. شاعر من شعراء الجاهلية قديم. وهذا الشعر يقوله في سيف بن ذي يزن لما ظفر بالحبشة يهنيه بذلك ويمدحه.

#### سيف بن ذي يزن يستجد كسرى

وكان السبب في قدوم الحبشة اليمن وغلبتهم عليها وخروج سيف بن ذي يزن إلى كسرى يستجد عليهم أن ملكاً من ملوك اليمن يقال له: ذو نواس غزا أهل نجران، وكانوا نصارى، فحصرهم؛ ثم إنه ظفر بهم فحدد لهم الأحاديث، وعرضهم على اليهودية فامتنعوا من ذلك، فحرقهم بالنار، وحرق الإنجيل، وهدم بيعتهم، ثم انصرف إلى اليمن، وأفلت منه رجل يقال له دوس ذو ثعلبان على فرس، فركضه حتى أعجزهم في الرمل.

#### دوس ذو ثعلبان يستجد قيصر

ومضى دوس إلى قيصر ملك الروم يستغيثه ويخبره بما صنع ذو نواس بنجران، ومن قتل من النصارى، وأنه خرب كنائسهم، وبقر النساء، وهدم الكنائس، فما فيها ناقوس يضرب به. فقال له قيصر: بعدت بلادي عن بلادكم، ولكن أبعث إلى قوم من أهل ديني، أهل مملكته قريب منكم فينصرونكم. قال دوس ذو ثعلبان؛ فذاك إذاً، قال قيصر: إن هذا الذي أصنعه بكم أذل للعرب أن يطأها سودان ليس ألوأهم على ألوأهم، ولا ألسنتهم على ألسنتهم، فقال الملك: أنظر لأهل دينه إنما هو خوله.

قيصر يكتب إلى ملك الحبشة بنصرة دوس فكتب إلى ملك الحبشة أن انصر هذا الرجل الذي جاء يستنصرني، واغضب للنصرانية، فأوطىء بلادهم الحبشة.

أرباط يخرج في جيش كبير إلى اليمن فخرج دوس ذو ثعلبان بكتاب قيصر إلى ملك الحبشة، فلما قرأ كتابه أمر

أرباط - وكان عظيماً من عظمائهم - أن يخرج معه فينصره. فخرج أرباط في سبعين ألفاً من الحبشة، وقود على جنده قواداً من رؤسائهم، وأقبل بفيله، وكان معه أبرهة بن الصباح. وكان في عهد ملك الحبشة إلى أرباط: إذا دخلت اليمن فاقتل ثلث رجالها، وحرب ثلث بلادها، وابعث إلي بثلاث نساها.

فخرج أرباط في الجنود فحملهم في السفن في البحر، وعبر بهم حتى ورد اليمن، وقد قدم مقدمات الحبشة، فرأى أهل اليمن جنداً كثيراً، فلما تلاحقوا قام أرباط في جنده خطيباً فقال: يا معشر الحبشة، قد علمتم أنكم لن ترجعوا إلى بلادكم أبداً، هذا البحر بين أيديكم إن دخلتموه غرقتم، وإن سلكتم البر هلكتم، واتخذتكم العرب عبيداً، وليس لكم إلا الصبر حتى تموتوا أو تقتلوا عدوكم.

انتصار أرباط على ذي نواس فجمع ذو نواس جمعاً كثيراً، ثم سار إليهم فاقتتلوا قتالاً شديداً، فكانت الدولة للحبشة، فظفر أرباط، وقتل أصحاب ذي نواس، وانهمزوا في كل وجه. فلما تخوف ذو نواس أن سيؤسر ركض فرسه، واستعرض به البحر، وقال: الموت بالبحر أحسن من إيسار أسود، ثم أقحم فرسه لجة البحر، فمضى به فرسه، وكان آخر العهد به.

ثم خرج إليهم ذو جدن الهمداني في قومه، فناوشهم، وتفرقت عنه همدان، فلما تخوف على نفسه قال: ما الأمر ما صنع ذو نواس، فأقحم فرسه البحر، فكان آخر العهد به.

ودخل أرباط اليمن، فقتل ثلثاً، وبعث ثلث السبي إلى ملك الحبشة، وحرب ثلثاً، وملك اليمن، وقتل أهلها، وهدم حصونها، وكانت تلك الحصون بنتها الشياطين في عهد سليمان لبليقيس، واسمها بلقمة، وكان مما حرب من حصونهم: سلحون، وبينون، وغمدان، حصوناً لم ير مثلاً. فقال الحميري، وهو بذكر ما دخل على حمير من الذل:

لا تهلكن أسفاً في إثر من فاتا

هونك أين ترد العين ما فاتا

وبعد سلحون يبني الناس أبياتا !

أبعد بينون لا عين ولا أثر

قال: فلما ظفر أرباط أخذ الأموال، وأظهر العطاء في أهل الشرف، فغضبت الحبشة حين أعطى أشرافهم، وترك أهل الفقر منهم، واستذلهم وأجاعهم وأعراهم وأتعبهم في العمل، وكلفهم ما لا يطيقون، فجزع من ذلك الفقراء، وشكا ذلك بعضهم إلى بعض، وقالوا: ما نرانا إلا أذلة أشقياء أينما كنا، إن كان قتال قدمنا في نخور العدو، وإن كان قتل قتلنا، وإن كان عمل فعلينا، والبلايا علينا، والعطايا لغيرنا، مع ما يقصينا ويجفوننا.

### أبرهة يحرض فقراء الحبشة على أرباط

فقال لهم عند ذلك رجل من الحبشة يقال له أبرهة من قواد أرباط: لو أن رجلاً غضب لغضبتكم إذا لأسلمتموه حتى يذبح كما تذبح الشاة. قالوا: لا والمسيح، ما كنا نسلمه أبداً، فواتقوه بالإنجيل ألا يسلموه حتى يموتوا عن

آخرهم.

فنادى مناديه فيهم، فاجتمعوا إليه فبلغ ذلك أرياط أن أصحم أبرهة جمع لك الجموع، ودعا الناس إلى قتالك. قال: أو قد فعل ذلك أبرهة، وهو ممن لا بيت له في الحبشة! وغضب أرياط غضباً شديداً، وقال: هو أدنى من ذلك نفساً وبيتاً، هذا باطل.

قالوا: فأرسل إليه؛ فإن أتاك فهو باطل، وإن لم يأتك فاعلم أنه كما يقال، فأرسل إليه: أحب الملك أرياط. فجتا أبرهة على ركبته وخر لوجهه، وأخذ عوداً من الأرض فجعله في فيه، وقال للرسول: اذهب إلى الملك فأخبره بما رأيت مني، أنا أخلعه؟ أنا أشد تعظيماً له من ذلك! وأنا آتية على أربع قوائم بحساب البهيمة. فرجع الرسول إلى الملك فأخبره بالخبر، فقال: ألم أقل لكم؟ قالوا: الملك أعقل وأعلم منا.

فلما ولى الرسول من عند أبرهة وتوارى عنه صاح أبرهة في الفقراء من الحبشة، فاجتمعوا إليه معهم السلاح، والآلة التي كانوا يعملون بها ويهدمون بها مدن اليمن: المعاول والكرازين والمساحي، ثم صفوا صفواً وصفوا خلفه آخر بإزائه. فلما أبطأ أبرهة على الملك وهو يرى أنه يأتية على أربع قوائم كما قال، وأتى الرسول أرياط فأخبره بما صنع أبرهة، ركب في الملوك ومن تبعه من أتباعهم، فلبسوا السلاح وجاءوا بالفيلة، وكان معه سبعة فيلة، حتى إذا دنا بعضهم من بعض برز أبرهة بين الصفين، فنادى بأعلى صوته: يا معشر الحبشة، الله ربنا، والإنجيل كتابنا، وعيسى نبينا، والنحاشي ملكنا، علام يقتل بعضنا بعضاً في مذهب النصرانية؟ هذا رجل وأنا رجل فخلوا بيني وبينه، فإن قتلي عاد الملك إلى ما كان عليه من أثره الأغنياء وإهلاك الفقراء، وإن قتلتهم سلمتم وعملت فيكم بالإنصاف بينكم ما بقيت.

فقال الملوك لأرياط: قد أخبرناك أنه صنع ما قد ترى، وقد أبيت إلا حسن الرأي فيه، وقد أنصفك. وكان أرياط قد عرف بالشجاعة والنجدة، وكان جميلاً، وكان أبرهة صغيراً دميماً قبيحاً منكر الجملة، فاستحيا أرياط من الملوك أن يجبن، فبرز بين الصفين، ومشى أحدهما إلى صاحبه، وحمل عليه أرياط فضرب أبرهة ضربة وقع منها حاجباه وعامة أنفه، ووقع بين رجلي أرياط، فعمد أبرهة إلى عمامته فشد بها وجهه، فسكن الدم والتأم الجرح، وأخذ عوداً وجعله في فيه، وقال: أيها الملك، إنما أنا شاة فاصنع ما أردت، فقد أبصرت أمري. ففرح أرياط بما صنع، وكان أبرهة قد سم خنجراً، وجعله في بطن فخذه، كأنه خافية نسر.

### أبرهة يقتل أرياط ويتولى ملك اليمن

فلما رأى أبرهة أن أرياط قد أفلت عنه، وهو ينظر يميناً وشمالاً؛ لثلاثه ملوك الحبشة، استل خنجره فطعنه طعنة في فرج درعه فأثبته، وخر أرياط على قفاه، وقعد أبرهة على صدره فأجهز عليه. فسمى أبرهة الأشرم بتلك الضربة التي شرمت وجهه وأنفه.

فملك أبرهة عشرين سنة، ثم ملك بعد أبرهة ابنه يسكوم، ثم أخوه مسروق بن أبرهة، وأمه ربحانة امرأة ذي يزن أم سيف بن ذي يزن الحميري.

### سيف يسعى لتخليص اليمن من الحبشة

فلما طال على أهل اليمن البلاء مشوا إلى سيف بن ذي يزن الحميري، فكلموه في الخروج، وقالوا إنا نجد فيما روت حمير عن خير لسطيح أنه يوشك أن هذا البلاء يفرج بيد رجل من أهل بيتك ابن ذي يزن، وقد رجونا أن ندرك بثأرنا، فأنعم لهم. فخرج إلى قيصر ملك الروم، فكلمه أن ينصره على الحبشة، فأبى، وقال: الحبشة على ديني ودين أهل مملكتي، وأنتم على دين يهود، فخرج من عنده يائساً.

### النعمان يصحب سيفاً إلى كسرى

فخرج عامداً إلى كسرى، فانتهى إلى النعمان بن المنذر بالحيرة فدخل عليه، فأخبره بما لقي قومه من الحبشة، فقال: أقم؛ فإن لي على الملك كسرى إذناً في كل سنة، وقد حان ذلك. فلما خرج أخرج معه سيف بن ذي يزن فأدخله على كسرى، فقال: غلبنا على بلادنا، وغلب الأحابيش علينا، وأنا أقرب إليك منهم، لأني أبيض وأنت أبيض، وهم سودان. فقال: بلادك بلاد بعيدة، ولا أبعث معك جيشاً في غير منفعة، ولا أمر أخافه على ملكي. فلما أبأسه من النصر أمر له بعشرة آلاف درهم واف، وكساه كساً. فلما خرج بها من باب كسرى نثرها على الصبيان والعبيد، فرأى ذلك أصحاب كسرى، فقالوا ذلك له؛ فأرسل إليه: لم صنعت بجائزة الملك؟ نثرها للصبيان والناس؟ فقال سيف: وما أعطاني الملك! جبال أرضي ذهب وفضة، جئت إلى الملك ليمنعني من الظلم، ولم آت ليعطيني الدراهم، ولو أردت الدراهم كان ذلك في بلدي كثيراً. فقال كسرى: أنظر في أمرك. فخرج سيف على طمع، وأقام عنده فجعل سيف كلما ركب كسرى عرض له، فجمع له كسرى مرازبه، وقال: ما ترون في هذا العربي، وقد رأيت رجلاً جلدًا؟ فقال قائل منهم: إن في السجون قوماً قد سجنهم الملك في موجدة عليهم، فلو بعثهم الملك معه فإن قتلوا استراح منهم، وإن ظفروا بما يريد هذا العربي فهو زيادة في ملك الملك. فقال كسرى: هذا الرأي.

### كسرى يعين سيفاً بجيش يقوده وهرز

وأمر بهم كسرى فأحضروا فوجد ثمانمائة رجل، فولى أمرهم رجلاً معهم يقال له وهرز، وكان رامياً شجاعاً مع مكانة في الفرس، وجهزهم، وأعطاهم سلاحاً، وحملهم في البحر في ثمان سفن، فغرقت سفينتان، وبقي من بقي وهم ستمائة رجل؛ فأرسلوا إلى ساحل عدن، فلما ارسوا قال وهرز لسيف: ما عندك، فقد جئنا بلادك؟ فقال: ما شئت من رجل عربي وفرس عربي، ثم اجعل رجلي مع رجلك حتى نموت جميعاً أو نظرف جميعاً.

قال وهرز: أنصفت. فاستجلب سيف من استطاع من اليمن، ثم زحفوا إلى مسروق بن أبرهة، وقد سمع بهم مسروق وبتبعيتهم، فجمع إليه جنده من الحبشة، وسار إليهم، والتقى العسكران، وجعلت أمداد اليمن تنوب إلى سيف، وبعث وهرز ابناً له كان معه على جريدة خيل، فقال: ناوشوهم القتال، حتى ننظر قتالهم، فناوشهم ابنه، وناوشوه شيئاً من قتال، ثم تورط ابنه في هلكة لم يستطع التخلص منها؛ فاشتملوا عليه فقتلوه، فازداد وهرز عليهم حنقاً. وسيء العرب، وفرحت الحبشة، فأظهروا الصليب، فوتر وهرز قوسه، وكان لا يقدر أن يوترها غيره.

### وهرز يقتل مسروقاً

وقال وهرز والناس في صفوفهم: انظروا أين ترون ملكهم؟ قال سيف: أرى رجلاً قاعداً على فيل تاجه على رأسه، بين عينيه ياقوتة حمراء. قال: ذلك ملكهم. وقال وهرز: اتركوه. ثم وقف طويلاً، ثم قال: انظروا هل تحول؟ قالوا: قد تحول على فرس. قال: هذا منه اختلاط. ثم وقف طويلاً، وقال: انظروا هل تحول؟ قالوا: قد تحول على بغلة، فقال: ابنة الحمار، ذل الأسود وذل ملكه، ثم قال لأصحابه: نقتله في هذه الرمية، تأملوا النشابية، وأخذ النشابية وجعل فوقها في الوتر، ثم نزع فيها حتى ملاءها، وكان أيداً، ثم أرسلها فصحكت الياقوتة التي بين عيني ملكهم مسروق، فتغلغلت النشابية في رأسه حتى خرجت من قفاه، وحملت عليهم الفرس، فانهمزمت الحبشة في كل وجه، وجعلت حمير تقتل من أدركوا منهم، وتجهز على جريحهم.

### وهرز يدخل صنعاء ويملك اليمن

وأقبل وهرز يريد أن يدخل صنعاء، وكان موضعهم الذي التقوا فيه خارج صنعاء، وكان اسم صنعاء: أزال، فلما قدمت الحبشة بنوها وأحكموها، فقالت: صنعة؛ فسميت صنعاء، وكانت صنعاء مدينة لها باب صغير يدخل منه، فلما دنا وهرز من باب المدينة رآه صغيراً، فقال: لا تدخل رأيتي منكسة، اهدموا الباب، فهدم باب صنعاء، ودخل ناصباً رأيته وسير بها بين يديه. فقال سيف بن ذي يزن: ذهب ملك حمير آخر الدهر، لا يرجع إليهم أبداً.

فملك وهرز اليمن، وقهر الحبشة، وكتب إلى كسرى يخبره: إني قد ملكت للملك اليمن، وهي أرض العرب القديمة التي تكون فيها ملوكهم، وبعث بجوهر، وعنبر، ومال، وعود، وزباد، وهو جلود لها رائحة طيبة.

### كسرى يأمر وهرز أن يملك سيفاً اليمن

فكتب كسرى يأمره أن يملك سيفاً، ويقدم وهرز إلى كسرى.  
فخلف على اليمن سيفاً، فلحا خلا سيف باليمن وملكها عدا على الحبشة، فجعل يقتل رجالها ويقرر نساءها  
عما في بطونها، حتى أفناها إلا بقايا منها أهل ذلة وقلة، فاتخذهم خولاً، واتخذ منهم جمازين بجراهم بين يديه.

### الحبشة يفتالون سيفاً

فمكث كذلك غير كثير، وركب يوماً وتلك الحبشة معه، ومعهم حراهم يسعون بها بين يديه، حتى إذا كان  
وسطاً منهم مالوا عليه بجراهم فطعنوه بها حتى قتلوه.  
وكان سيف قد آلى ألا يشرب الخمر، ولا يمس امرأة حتى يدرك ثأره من الحبشة، فجعلت له حلتان واسعتان  
فأترز بواحدة، وارتدى الأخرى، وجلس على رأس غمدان يشرب، وبرت يمينه. وخرج بعد ذلك يتصيد فقتلته  
الحبشة.

وكان ملك أرباط عشرين سنة، وملك أبرهة ثلاثاً وعشرين سنة، وملك يكسوم تسع عشرة سنة، وملك  
مسروق اثنتي عشرة سنة، فهذه أربع وسبعون سنة.  
وكان قدوم أهل فارس اليمن مع وهرز بعد الفجار بعشر سنين، وقبل بنيان قريش البيت بخمس سنين، ورسول  
الله صلى الله عليه وسلم ابن ثلاثين سنة أو نحوها؛ لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولد بعد قدوم الفيل  
بخمس وخمسين ليلة.

### وفود العرب تقدم على سيف لتهنئته بالنصر

ونسخت خير مديحه سيفاً بهذا الشعر من كتاب عبد الأعلى بن حسان، قال: حدثنا الكلبي، عن أبي صالح، عن  
ابن عباس، وحدثني به محمد بن عمران المؤدب بإسناد لست أحفظ الاتصال بينه وبين الكلبي فيه، فاعتمدت هذه  
الرواية، قال: لما ظفر سيف بن ذي يزن بالحبشة، وذلك بعد مولد النبي صلى الله عليه وسلم بستين أته وفود  
العرب وأشرفها لتهنئه وتمدحه، وتذكر ما كان من بلائه وطلبه بثأر قومه؛ فأتته وفود العرب من قريش، فأتوه  
بصنعاء، وهو على رأس قصر له يقال له: غمدان، فأخبره الآذن بمكانهم، فأذن لهم، فدخلوا عليه وهو على  
شرابه، وعلى رأس غلام واقف ينثر في مفرقه المسك، وعن يمينه ويساره الملوك والمقاول، وبين يديه أمية بن  
الصلت التقفي ينشده قوله فيه هذه الأبيات :

### أمية يمدح سيفاً والفرس

لا يطلب الثأر إلا كابن ذي يزن  
أتى هرقل وقد شالت نعمته  
ثم انتحى نحو كسرى بعد عاشرة  
في البحر خيم للأعداء أحوالا  
فلم يجد عنده النصر الذي سالا  
من السنين يهين النفس والمالا

حتى أتى ببني الأحرار يقدمهم  
تخالهم فوق متن الأرض أجبالا  
لله درهم من فتية صبروا  
ما إن رايت لهم في الناس أمثالا

بيض مرازبة غلب أساورة  
أسد تربت في الغيصات أشبالا  
فالتظ من المسك إذ شالت نعامتهم  
وأسبل اليوم في برديك إسبالا  
واشرب هنيئاً عليك التاج مرتفقاً  
في رأس غمدان داراً منك محلالا  
تلك المكارم لا قعبان من لبن  
شيباً بماء فعادا بعد أبوالا

بنو الأحرار الذين عناهم أمية في شعره هم الفرس الذين قدموا مع سيف بن ذي يزن، وهم إلى الآن يسمون بني الأحرار بصنعاء، ويسمون باليمن الأبناء، وبالكوفة الأحامرة؛ وبالبحرة الأساورة، وبالجزيرة الخضارمة، وبالشام الجراجمة.

### عبد المطلب يهنئ سيفاً

#### وسيف يرحب به وبمن معه

فبدأ عبد المطلب فاستأذن في الكلام، فقال له سيف بن ذي يزن: إن كنت ممن يتكلم بين يدي الملوك، فقد أذنا لك، فقال عبد المطلب: إن الله قد أحلك أيها الملك محلاً رفيعاً، صعباً منيعاً، شامخاً باذخاً، وأنبتك منبتاً طابت أرومته، وعزت جرثومته، في أكرم موطن، وأطيب معدن؛ فأنت - أبيت اللعن - ملك العرب، وربيعها الذي به تخصب، وأنت أيها الملك رأس العرب الذي له تنقاد، وعمودها الذي عليه العماد، ومعقلها الذي إليه يلجأ العباد، فسلفك لنا خير سلف، وأنت لنا منهم خير خلف، فلم يحمل من أنت خلفه، ولن يهلك من أنت سلفه نحن أهل حرم الله وسدنة بيته، أشخصنا إليك الذي أهجننا؛ لكشفك الكرب الذي فدحنا، فنحن وفود التهنية لا وفود المرزية.

قال: وأيهم أنت أيها المتكلم؟ قال: أنا عبد المطلب بن هاشم، قال: ابن أختنا؟ قال: نعم. فأدناه حتى أجلسه إلى جنبه، ثم أقبل على القوم وعليه، فقال: مرحباً وأهلاً، وناقاة ورحلاً، ومستناخاً سهلاً، وملكاً رجلاً، يعطى عطاء جزلاً، قد سمع الملك مقاتكم، وعرف قرابتكم، وقبل وسيلتكم، وأنتم أهل الشرف والنباهة، ولكم الكرامة ما أقمتم، والحباء إذا طعنتم.

سيف يسر اه أمارات ظهور النبي ثم استنهضوا إلى دار الضيافة والوفود، فأقاموا فيها شهراً لا يصلون إليه، ولا يؤذن لهم في الإنصراف، وأجرى لهم الأنزال. ثم انتبه لهم انتباهة، فأرسل إلى عبد المطلب، فأدناه، وأحلى مجلسه، ثم قال: يا عبد المطلب، إني مفوض إليك من سر علمي أمراً لو يكون غيرك لم أبح به إليه، ولكني رأيتك

موضعه، فأطلعتهك طلعه؛ فليكن عندك مطويًا حتى يأذن الله فيه، فإن الله بالغ أمره.   
 إني أجد في الكتاب المكنون، والعلم المخزون، الذي اخترناه لأنفسنا، واحتجناه دون غيرنا، خبراً عظيماً، وخطراً   
 جسيماً، فيه شرف الحياة، وفضيلة الوفاء للناس عامة، ولرهطك كافة، ولك خاصة.   
 قال عبد المطلب: مثلك أيها الملك من سر وبر، فما هو فداك أهل الوبر، زمراً بعد زمراً؟ قال ابن ذي يزن: إذا   
 ولد غلام بتهمته، بين كتفيه شامة، كانت له الإمامة، ولكم به الزعامة، إلى يوم القيامة.   
 قال عبد المطلب: أيها الملك، لقد أبت بحجر ما آب بمثله وافد، ولولا هيبة الملك وإكرامه وإعظامه لسألته أن   
 يزيدني في البشارة ما أزداد به سروراً. قال ابن ذي يزن: هذا حينه الذي يولد فيه، أو قد ولد؟ اسمه محمد صلى   
 الله عليه وسلم، يموت أبوه وأمه، ويكلفه جده وعمه، قد ولدناه مراراً، والله باعته جهاراً، وجاعل له منا أنصاراً،   
 يعز بهم أوليائه، ويذل بهم أعداءه، يضرب بهم الناس عن عرض، ويستبيح بهم كرائم الأرض، يخذم النيران،   
 ويدحر الشيطان، ويكسر الأوثان، ويعبد الرحمن، قوله فصل، وحكمه عدل، يأمر بالمعروف ويفعله، وينهى عن   
 المنكر ويطله.   
 فقال عبد المطلب: أيها الملك، عز جدك، وعلا كعبك، ودام ملكك، وطال عمرك، فهل الملك مخبري بإفصاح،   
 فقد أوضح لي بعض الإيضاح.   
 فقال ابن ذي يزن: والبيت ذي الحجب، والعلامات على النصب، إنك يا عبد المطلب، لجده غير الكذب.

فخر عبد المطلب ساجداً، فقال له: ارفع رأسك، ثلج صدرك، وعلا أمرك؛ فهل أحسست شيئاً مما ذكرته لك؟   
 فقال عبد المطلب: أيها الملك! كان لي ابن، وكنت به معجباً، وعليه رقيقاً، زوجته كريمة من كرائم قومي، اسمها   
 آمنة بنت وهب؛ فجاءت بغلام سميت محمدًا، مات أبوه وأمه؛ وكفلته أنا وعمه. قال: الأمر ما قلت لك؛   
 فاحتفظ بابنك، واحذر عليه من اليهود؛ فإنهم له أعداء، ولن يجعل الله لهم عليه سبيلاً، واطو ما ذكرت لك عن   
 هؤلاء الرهط الذين معك؛ فإني لا آمن أن تدخلهم النفاسة من أن تكون له الرياسة؛ فينصبون له الحبال،   
 ويطلبون له الغوائل، وهم فاعلون وأبناءؤهم، وبطيء ما يجيبه قومه؛ وسيلقى منهم عنناً، والله مبلغ حجته؛   
 ومظهر دعوته، وناصر شيعته، ولولا أني أعلم أن الموت محتاجي قبل مبعثه لسرت بخيلي ورجلي؛ حتى أصير يثر   
 دار ملكي؛ فإن أجد في الكتاب المكنون أن ييثر استحكام أمره، وأهل نصرته، وموضع قبره؛ ولولا أن أتوقى   
 عليه الآفات، وأحذر عليه العاهات، لأعلنت على حداثة سنه أمره، ولكني صارف ذلك إليك من غير تقصير مني   
 بمن معك.

يجزل العطاء لعبد المطلب وصحبه قال: ثم أمر لكل رجل بعشرة أعبد، وعشرة إماء، ومائة من الإبل وحلتين   
 بروداً، وخمسة أرتال ذهباً، وعشرة أرتال فضة، وكرش مملوءة عنبراً، ثم أمر لعبد المطلب بعشرة أضعاف ذلك.   
 وقال: يا عبد المطلب، إذا حال الحول فأتني. فمات ابن ذي يزن قبل أن يحول الحول.

وكان عبد المطلب كثيراً ما يقول: يا معشر قريش، لا يغبطني رجل منكم بجزيل عطاء الملك، وإن كثر؛ فإنه إلى نفاذ، ولكن ليغبطني بما بقي لي شرفه وذكره إلى يوم القيامة. فإذا قيل له: وما ذاك؟ قال: ستعلمون نبأ ما أقول، ولو بعد حين.

وفي ذلك يقول أمية بن عبد شمس :

جلبنا النصح تحمله المطايا      إلى أكوار أجمال ونوق  
مغلغلة مرافقها تقالاً      إلى صنعاء من فج عميق  
تؤم بنا ابن ذي يزن ونهدي      مخاليتها إلى أمم الطريق  
فلما وافقت صنعاء صارت      بدار الملك والحسب العريق

### المالكي يغني طاهراً بشعر أمية في سيف

أخبرني علي بن عبد العزيز، قال: حدثني عبد الله بن عبد الله بن خرداذبة، قال: كان أحمد بن سعيد بن قادم المعروف بالمالكي، أحد القواد مع طاهر بن الحسين بن عبد الله بن طاهر، فكان معه بالري، وكان مع محله من خدمة السلطان مغنياً حسن الغناء، وله صنعة، فحضر مجلس طاهر بن عبد الله، وهو متره بظاهر الري بموضع يعرف بشاذمهر، وقيل: بل حضره بقصره بالشاذياخ، فغنى هذا الصوت:

اشرب هنيئاً عليك التاج مرتفقاً      في رأس غمدان.....البيت

فقال ابن عباد الرازي في وقته من الشعر مثل ذلك المعنى، وصنع فيه، وغنى فيه أحمد بن سعيد لحناً من خفيف الرمل وهو: صوت

اشرب هنيئاً عليك التاج مرتفقاً      بالشاذياخ ودع غمدان لليمن

فأنت أولى بتاج الملك تلبسه      من هودة بن علي وابن ذي يزن

فطرب طاهر، فاستعاده مرات، وشرب عليه حتى سكر، وأسنى لأحمد بن سعيد الجائزة.

### هودة بن علي ويوم الصفقة

أما ذكره هودة بن علي ولبسه التاج؛ فإن السبب في ذلك أن كسرى توج هودة بن علي الحنفي، وضم إليه جيشاً من الأساورة، فأوقع بيني تميم يوم الصفقة .

يوم الصفقة أخبرني بالسبب في ذلك علي بن سليمان الأخفش، قال: حدثنا أبو سعيد السكري، قال: حدثنا ابن حبيب ودماد، عن أبي عبيدة، قال ابن حبيب: قال أبو سعيد: وأخبرنا إبراهيم بن سعدان، عن أبيه، عن أبي عبيدة، قال ابن حبيب: وأخبرني ابن الأعرابي، عن الفضل، قال أبو سعيد، قالوا جميعاً:

كان من حديث يوم الصفقة أن باذام عامل كسرى باليمن بعث إلى كسرى عيراً تحمل ثياباً من ثياب اليمن، ومسكاً وعنبراً، وخرجين فيهما مناطق محلاة، وخفراء تلك العير فيما يزعم بعض الناس بنو الجعيد المراديون. فساروا من اليمن لا يعرض لهم أحد، حتى إذا كان بجمض من بلاد بني حنظلة بن يربوع وغيرهم، أغاروا عليها فقتلوا من فيها من بني جعيد والأساورة، واقتسموها، وكان فيمن فعل ذلك ناجية بن عقال، وعتبة بن الحارث بن شهاب، وقعب بن عتاب، وجزء بن سعد، وأبو مليل عبد الله بن الحارث، والنطف بن جبير، وأسيد بن جنادة، فبلغ ذلك الأساورة الذين بهجر مع كزارجر المكعب، فساروا إلى بني حنظلة بن يربوع، فصادفهم على حوض، فقاتلهم قتالاً شديداً فهزمت الأساورة، وقتلوا قتلاً شديداً ذريعاً، ويومئذ أخذ النطف الخرجين اللذين يضرب بهما المثل .

فلما بلغ كسرى استشاط غضباً وأمر بالطعام فادخر بالمشقر ومدينة اليمامة، وقد أصابت الناس سنة شديدة، ثم قال: من دخلها من العرب فأميروه ما شاء .

فبلغ ذلك الناس، قال: وكان أعظم من أتاهم بنو سعد، فنادى منادي الأساورة: لا يدخلها عربي بسلاح، فأقيم بوابون على باب المشقر، فإذا جاء الرجل ليدخل قالوا: ضع سلاحك، وامتر، واخرج من الباب الآخر؛ فيذهب به إلى رأس الأساورة فيقتله، فيزعمون أن خيربي بن عبادة بن النوال بن مرة بن عبيد - وهو مقاعس - قال: يا بني تميم؛ ما بعد السلب إلا القتل، وأرى قوماً يدخلون ولا يخرجون، فانصرف منهم من انصرف من بقيتهم، فقتلوا بعضهم وتركوا بعضاً محتبسين عندهم. هذا حديث المفضل.

وأما ما وجد عن ابن الكلبي في كتاب حماد الراوية، فإن كسرى بعث إلى عامله باليمن بعير، وكان باذام على الجيش الذي بعثه كسرى إلى اليمن، وكانت العير تحمل نبعاً، فكانت تذرُق من المدائن حتى تدفع إلى النعمان، ويذرقها النعمان بخفراء من بني ربيعة ومضر حتى يدفعها إلى هودة بن علي الحنفي، فيبذرقها حتى يخرجها من أرض بني حنيفة، ثم تدفع إلى سعد، وتجعل لهم جعالة، فتسير فيها، فيدفعونها إلى عمال باذام باليمن. فلما بعث كسرى بهذه العير قال هودة للأساورة: انظروا الذي تجعلونه لبني تميم فأعطوني؛ فأنا أكفيكم أمرهم، وأسير فيها معكم، حتى تبلغوا مأمناكم، فخرج هودة والأساورة والعير معهم من هجر، حتى إذا كانوا ابتطاع بلغ بني سعد ما صنع هودة، فساروا إليهم، وأخذوا ما كان معهم، واقتسموه وقتلوا عامة الأساورة، وسلبوهم، وأسروا هودة بن علي، فاشترى هودة نفسه بثلاثمائة بعير، فساروا معه إلى هجر، فأخذوا منه فداءه، ففي ذلك يقول شاعر بني سعد:

**بهودة مقرون اليمين إلى النحر**

**ومنا رئيس القوم ليلة أدلجوا**

**عليه وثاق القد والحلق السمر**

**وردنا به نخل اليمامة عانياً**

فعمد هودة عند ذلك إلى الأساورة الذين أطلقهم بنو سعد، وكانوا قد سلبوا، فكساهم وحملهم، ثم انطلق معهم إلى كسرى، وكان هودة رجلاً جميلاً شجاعاً لبيباً، فدخل عليه فقص أمر بني تميم وما صنعوا، فدعا كسرى

بكأس من ذهب فسقاه فيها، وأعطاه إياها وكساه قباء ديباج منسوجاً بالذهب واللؤلؤ، وقلنسوة قيمتها ثلاثون ألف درهم، وهو قول الأعشى :

### له أكاليل بالياقوت فصلها صواغها لا ترى عيباً ولا طبعاً

وذكر أن كسرى سأل هودذة عن ماله ومعيشته فأخبره أنه في عيش رغد، وأنه يغزو المغازي المغازي فيصيب. فقال له كسرى في ذلك: كم ولدك؟ قال: عشرة، قال: فأيهم أحب إليك؟ قال: غائبهم حتى يقدم، وصغيرهم حتى يكبر، ومريضهم حتى يبرأ. قال كسرى: الذي أخرج منك هذا العقل حملك على أن طلبت مني الوسيلة. وقال كسرى لهودذة: رأيت هؤلاء الذين قتلوا أساورتي، وأخذوا مالي، أبينك وبينهم صلح؟ قال هودذة: أيها الملك بيبي وبينهم حساء الموت، وهم قتلوا أبي. فقال كسرى: قد أدركت ثأرك، فكيف لي بهم. قال هودذة: إن أرضهم لا تطيقها أساورتك، وهم يمتنعون بها، ولكن احبس عنهم الميرة، فإذا فعلت ذلك بهم سنة أرسلت معي جنداً من أساورتك، فأقيم لهم السوق؛ فإنهم يأتونها، فتصيبهم عند ذلك خيلك.

ففعل كسرى ذلك، وحبس عنهم الأسواق في سنة مجدبة، ثم سرح إلى هودذة فأتاه، فقال: ائت هؤلاء فاشفني منهم، واشتف. وسرح معهم جوار بودار ورجلاً من أردشير خره. فقال لهودذة: سر مع رسولي هذا، فسار في ألف أسوار حتى نزلوا المشقر من أرض البحرين، هو حصن هجر. وبعث هودذة إلى بني حنيفة فأتوه، فدنوا من حيطان المشقر، ثم نودي: إن كسرى قد بلغه الذي أصابكم في هذه السنة، وقد أمر لكم بميرة، فتعالوا، فامتاروا. فانصب عليهم الناس، وكان أعظم من أتاهم بنو سعد، فجعلوا إذا جاءوا إلى باب المشقر أدخلوا رجلاً رجلاً، حتى يذهب به إلى المكعب فتضرب عنقه، وقد وضع سلاحه قبل أن يدخل، فيقال له: ادخل من هذا الباب واخرج من الباب الآخر، فإذا مر رجل من بني سعد بينه وبين هودذة إخاء، أو رجل يرجوه، قال للمكعب: هذا من قومي فيخليه له. فنظر خير بن عباد إلى قومه يدخلون ولا يخرجون، وتؤخذ أسلحتهم، وجاء ليمتار، فلما رأى ما رأى قال: ويلكم! أين عقولكم! فوالله ما بعد السلب إلا القتل. وتناول سيفاً من رجل من بني سعد يقال له مصاد، وعلى باب المشقر سلسلة ورجل من الأساورة قابض عليها، فضربها فقطعها ويد الأسوار، فانفتح الباب، فإذا الناس يقتلون، فثارت بنو تميم. ويقال: إن الذي فعل هذا رجل من بني عبس يقال له: عبيد بن وهب، فلما علم هودذة أن القوم قد نذروا به أمر المكعب فأطلق منهم مائة من خيارهم، وخرج هارباً من الباب الأول هو والأساورة، فتبعته بنو سعد والرباب، فقتل بعضهم، وأفلت من أفلت.

### صوت

فقولا لها: ليس الطريق هنالك

إذا سلكت حوران من رمل عالج

بضرب كأفواه العشار الأوارك

دعوا فلجات الشام قد حيل دونها

عروضه من الطويل. الشعر لحسان بن ثابت، والغناء لابن محرز، ولحنه من القدر الأوسط من الثقيل الأول، مطلق في مجرى البنصر.

وهذا الشعر يقوله حسان بن ثابت لقريش حين تركت الطريق الذي كانت تسلكه إلى الشام بعد غزوة بدر، واستأجرت فرات بن حيان العجلي دليلاً، فأخذ بهم غيرها، وبلغ النبي صلى الله عليه وسلم الخبر، فأرسل زيد بن حارثة في سرية إلى العير فظفر بها، وأعجزه القوم.

### ذكر الخبر في سرية زيد بن حارثة

أخبرني الحسن بن علي الخفاف، قال: حدثنا الحارث بن أبي أسامة، قال: حدثنا محمد بن سعد، عن الواقدي، قال: كان سبب هذه الغزوة أن قريشاً قالت: قد عور علينا محمد متجرنا، وهو على طريقنا. وقال أبو سفيان وصفوان بن أمية: إن أقمنا بمكة أكلنا رؤوس أموالنا. فقال زمعة بن الأسود: وأنا أدلكم على رجل يسلك بكم النجدة، ولو سلكها مغمض العين لاهتدى. فقال صفوان: من هو؟ قال: فرات بن حيان العجلي، فاسأجراه، فخرج بهم في الشتاء، فسلك بهم ذات عرق، ثم سلك بهم على غمرة، فأنتهى إلى النبي صلى الله عليه وسلم خبر العير، فخرج وفيها مال كثير، وآنية من فضة حملها صفوان بن أمية.

فخرج زيد بن حارثة فاعترضها، فظفر بالعير، وأفلت أعيان القوم، وكان الخمس عشرين ألفاً، فأخذه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقسم الأربعة الأحماس على السرية، وأتى بفرات بن حيان العجلي أسيراً، فقبل له: إن أسلمت لم يقتلك رسول الله صلى الله عليه وسلم. فلما دعا به رسول الله صلى الله عليه وسلم أسلم، فأرسله. حدثنا محمد بن جرير الطبري، قال: حدثنا محمد بن حميد، قال: حدثنا سلمة، عن محمد بن إسحاق في خبر هذه السرية. يمثل رواية الواقدي، وزاد فيها فيما رواه: إن قريشاً لما خافت طريقها إلى الشام أخذت على طريق العراق، وذكر أن الوقعة كانت على القردة: ماء من مياه نجد.

### إبراهيم بن هشام يكتب بدعوة بني مخزوم

أخبرني حرمي بن أبي العلاء، قال: حدثنا الزبير بن بكار، قال: حدثني يعقوب بن محمد الزهري، قال: كتب إبراهيم بن هشام إلى هشام بن عبد الملك: إن رأى أمير المؤمنين إذا فرغ من دعوة أعمامه بني عبد مناف أن يبدأ بدعوة أخواله بني مخزوم. فكتب: إن رضي بذلك آل الزبير فافعل. فلما فرغ من إعطاء بني عبد مناف نادى مناديه ببني مخزوم، فناداه عثمان بن عروة، وقال:

فقولا لها: ليس الطريق هنالك

إذا هبطت حوران من أرض عالج

فأمر مناديه فنأدى بني أسد بن عبد العزى، ثم مضى على الدعوة.

### النبي يقطع فرات بن حيان أرضاً بالبحرين

أخبرني محمد بن عبد الله الحضرمي إجازة، قال: حدثنا ضرار بن صرد، قال: حدثنا علي بن هشام، عن عمار بن زريق، عن أبي إسحاق، عن عدي بن حاتم: أن النبي صلى الله عليه وسلم أتى بفرات بن حيان فقال: إني مسلم، فقال لعلي: إن منكم من أكله إلى إيمانه، منهم فرات بن حيان، وأقطعه أرضاً بالبحرين ثل ألفاً ومائتين. حدثني أحمد بن يوسف بن سعيد، قال: حدثنا محمد عبيد الله بن عتبة، قال: حدثنا موسى بن زياد الزيات، قال: حدثنا عبد الرحمن بن سليمان الأشل، عن زكريا بن أبي زائدة، عن أبي إسحاق، عن جارية بن مضرب، عن أمير المؤمنين علي، قال: أتى النبي صلى الله عليه وسلم بفرات بن حيان يوم الخندق، وكان عيناً للمشركين، فأمر بقتله، فقال: إني مسلم، فقال: إن منكم من أتألفه على الإسلام وأكله إلى إيمانه، منهم فرات بن حيان.

### صوت

شكى الفقر أو لام الصديق فأكثر

إذا المرء لم يطلب معاشاً لنفسه

صلوات ذوي القربى له أن تتكرا

وصار على الأذنين كلا وأوشكت

تعش ذا يسار أو تموت فتعذرا

فسر في بلاد الله والتمس الغنى

وكيف ينام الليل من كان معسرا

ولا ترض من عيش بدون ولا تتم

عروضه من الطويل، الشعر لأبي عطاء السندي. والغناء لإبراهيم. خفيف ثقيل بالوسطى، من نسخة عمرو الثانية.

### ذكر أبي عطاء السندي

أبو عطاء، اسمه أفلح بن يسار، مولى بني أسد، ثم مولى عنبر بن سمالك بن حصين الأسدي، منشؤه الكوفة، وهو من مخضرمي الدولتين. مدح بني أمية وبني هاشم، وكان أبوه يسار سندياً أعجمياً لا يفصح. وكان في لسان أبي عطاء لكنة شديدة ولثغة، فكان لا يفصح. وكان له غلام فصيح سماه عطاء، وتكنى به، وقال: قد جعلتك ابني، وسميتك بكنيتي، فكان يرويه شعره، فإذا مدح من يجتديه أو ينتجعه أمره بإنشاده ما قاله. وكان ابن كناسة يذكر أنه كاتب مواليه، وأنهم لم يعتقوه.

### يكاتب مواليه

أخبرني بذلك محمد بن يزيد، قال: حدثنا حماد بن إسحاق، عن أبيه، عن ابن كناسة، قال: كثر مال أبي عطاء السندي بعد أن أعتق، فأعنته مواليه وطمعوا فيه، وادعوا رقه، فشكا ذلك إلى إخوانه، فقالوا له: كاتبهم، فكاتبوه على أربعة آلاف، وسعى له أهل الأدب والشعر فيها فتركهم، وأتى الحر بن عبد الله القرشي، وهو حليف لقريش لا من أنفسهم، فقال فيه:

### شعره في الحر بن عبد الله القرشي

أتيتك لا من قربة هي بيننا  
ولكن مع الراجين أن كنت مورداً  
أغثني بسجل من نذاك يكفني  
تسمى ابن عبد الله حراً لوصفه  
ولا نعمة قدمتها أستثيبها  
إليه بغاة الدين تهفو قلوبها  
وقال الردي مرد الرجال وشيبيها  
وتلك العلا يعنى بها من يصيبها  
فأعطاه أربعة آلاف درهم، فأداها في مكاتبته وعتق .

### وشعره في سليمان بن سليم

أخبرني جعفر بن قدامة قال: حدثني حماد بن إسحاق، عن أبيه، قال: كان أبو عطاء السندي يجمع بين لثغة ولكنة، وكان لا يكاد يفهم كلامه، فأتى سليمان بن سليم فأنشده:

أعوزتني الرواة يابن سليم  
وغلَى بالذي أجمجم صدري  
وازدرتني العيون إذ كان لوني  
فضربت الأمور ظهراً لبطن  
وأبى أن يقيم شعري لساني  
وجفاني بعجمتي سلطاني  
حالكاً مجتوى من الألوان  
كيف أحتال حيلة للساني!  
وتمنيت أنني كنت بالش  
فاعتمدني بالشكر يابن سليم  
ستوافيهم قصائد غر  
فقدماً جعلت شكري جزاء  
لم تزل تشتري المحامد قدماً  
فيك سباقه لكل لسان  
كل ذي نعمة بما أولاني  
بالرييح الغالي من الأثمان

فأمر له بوصيف بربري فصيح، فسماه عطاء، وتكنى به، ورواه شعره؛ فكان إذا أراد إنشاد مديح لمن يجتديه، أو مذاكرة لشعره أنشده.

### هجاؤه مولاه عنبر بن سماك الأسدي

أخبرني علي بن سليمان الأحفش، قال: حدثنا ثعلب، عن أبي العالية الحر بن مالك الشامي، قال: لما أثرى أبو عطاء أعمته مولاه عنبر بن سماك الأسدي، حتى ابتاع نفسه منه، فقال يهجو:

إذا ما كنت متخذاً خليلاً  
فلا تتقن بكل أخي إخاء  
وإن خيرت بينهم فألصق  
بأهل العقل منهم والحياء  
فإن العقل ليس له إذا ما  
تذوكرت الفضائل من كفاء  
وإن النوك للأحساب غول  
به تأوي إلى داء عياء  
فلا تتقن من النوكى بشيء  
ولو كانوا بني ماء السماء  
كعنبر الوثيق بناء بيت  
ولكن عقله مثل الهباء  
وليس بقابل أدباً فدعه  
وكن منه بمنقطع الرجاء

### كان من شعراء بني أمية ومداحهم

قال: وكان أبو عطاء من شعراء بني أمية ومداحهم والمنصبي الهوى إليهم، وأدرك دولة بني العباس فلم تكن له فيها نباهة، فهجاهم. وفي آخر أيام المنصور مات. وكان مع ذلك من أحسن الناس بديهة، وأشدهم عارضة وتقدماً، وشهد أبو عطاء حرب بني أمية وبني العباس فأبلى، وقتل غلامه عطاء مع ابن هبيرة، وانهمزم هو، وقيل: بل كان أبو عطاء المقتول معه لا غلامه.

### شعره في أبي زيد المري

#### وقد أعطاه فرسه فهرب به

أخبرني الحسن بن علي، عن أحمد بن الحارث، عن المدائني، قال: كان أبو عطاء يقاتل المسودة، وقدامه رجل من بني مرة يكنى أبا يزيد، وقد عقر فرسه، فقال لأبي عطاء: أعطني فرسك حتى أقاتل عني وعنك، وقد كانا أيقنا بالهلاك، فأعطاه أبو عطاء فرسه، فركبه المري، ثم مضى وترك أبا عطاء، فقال أبو عطاء في ذلك:

لعمرك إنني وأبا يزيد  
لكالساعي إلى وضح السراب  
رأيت مخيلة فطمعت فيها  
وفي الطمع المذلة للرقاب  
فما أعيالك من طلب ورزق  
كما يعيبك في سرق الدواب

## وأشهد أن مرة حي صدق

## ولكن لست منهم في النصاب

أخبرني الحسن، عن أحمد بن الحارث، عن المدائني: أن يحيى بن زياد الحارثي وحماداً الراوية كان بينهما وبين معلى بن هبيرة ما يكون مثله بين الشعراء والرواة من النفاسة، وكان معلى بن هبيرة يجب أن يطرح حماداً في لسان شاعر يهجوّه.

## أبو عطاء وحماد الراوية

قال حماد الراوية: فقال لي يوماً بحضرة يحيى بن زياد: أتقول لأبي عطاء السندي أن يقول في زج وجرادة ومسجد بني شيطان؟ قال: فقلت له: فما تجعله لي على ذلك؟ قال: بغلتي بسرجهما ولجامها. قلت: فعدلها على يدي يحيى بن زياد، ففعل، وأخذت عليه موثقاً بالوفاء.

وجاء أبو عطاء السندي فجلس إلينا، وقال: مرهباً مرهباً، هياكم الله. فرحبت به، وعرضت عليه العشاء، فقال: لا حاجة لي به، فقال: أ عندكم نبيذ؟ فأتيناه بنبيذ كان عندنا فشرب حتى احمرت عيناه، واسترخت علابيه، ثم قلت: يا أبا عطاء، إن إنساناً طرح علينا أبياتاً فيها لغز، ولست أقدر على إجابته البتة، ومنذ أمس إلى الآن ما يستوي لي منها شيء، ففرج عني. قال: هات، فقلت:

يقيناً كيف علمك بالمعاني

أبن لي إن سئلت أبا عطاء

فقال:

بها طبا وآيات المثاني

خبير عالم فاسأل تجدتي

فقلت:

دوين الكعب ليست بالسنان؟

فما اسم حديدة في رأس رمح

فقال أبو عطاء:

لصدرك لم تنزل لك عولتان

هو الزر الذي إن بات ضيفاً

قلت: فرج الله عنك، تعني الزج. وقلت:

كأن رجيلتيها منجلان؟

فما صفراء تدعى أم عوف

فقال:

بأنك ما أردت سوى لساني

أردت زرادة وأزن زناً

قلت: فرج الله عنك، وأطال بقاءك! تريد جرادة، وأظن ظناً. وقلت:

فويق الميل دون بني أبان؟

أتعرف مسجداً لبني تميم

فقال:

## بنو سيطان دون بني أبان

## كقرب أبيك من عبد المدان

قال حماد: فرأيت عينيه قد احمرتا، وعرفت الغضب في وجهه وتخوفته، فقلت: يا أبا عطاء، هذا مقام المستجير بك، ولك النصف مما أخذته، قال: فاصدقني، قال: فأحبرته. فقال لي: أولى لك! قد سلمت وسلم لك جعلك، خذه بورك لك فيه، ولا حاجة لي فيه. فأخذته، وانقلب يهجو معلى بن هبيرة.

## مدح أبا جعفر فلم يثبه

أخبرني الحسن، قال: حدثنا أحمد بن الحارث، عن المدائني: أن أبا عطاء مدح أبا جعفر فلم يثبه، فأظهر الانحراف عنه لعلمه بمذهبه في بني أمية، فعاوده بالمدح، فقال له: يا ماص كذا من أمه، ألسنت القائل في عدو الله الفاجر نصر بن سيار ترثيه:

فاضت دموعي على نصر وما ظلمت  
يا نصر من للقاء الحرب إن لقحت  
الخدفي الذي يحمي حقيقته  
والقائد الخيل قبا في أعنتها  
من كل أبيض كالمصباح من مضر  
ماض على الهول مقدام إذا اعترضت  
إن قال قولاً وفي بالقول موعده  
عين تفيض على نصر بن سيار  
يا نصر بعدك أو للضيف والجار  
في كل يوم مخوف الشر والعار  
بالقوم حتى تلف القار بالقار  
يجلو بسنته الظلماء للساري  
سمر الرماح وولى كل فرار  
إن الكناني واف غير غدار

## هجاؤه أبا جعفر

والله لا أعطيك بعد هذا شيئاً أبداً. قال: فخرج من عنده، وقال عدة قصائد يذمه فيها منها:

فليت جور بني مروان عاد لنا  
وليت عدل بني العباس في النار

وقال أيضاً:

أليس الله يعلم أن قلبي  
وما بي أن يكونوا أهل عدل  
يحب بني أمية ما استطاعا  
ولكني رأيت الأمر ضاعا

شعهر في ابن هبيرة حين لم يصله بشيء أخبرني الحسن، قال: حدثني الخراز، عن المدائني، قال: كان أبو عطاء مع ابن هبيرة، وهو يبيني مدينته التي على شاطئ الفرات، فأعطى ناساً كثيراً صلوات ولم يعطه شيئاً، فقال:

قصائد حكتهن ليوم فخر  
رجعن إلى صفراً خاليات  
رجعن وما أفان علي شيئاً  
سوى أنني وعدت الترهات  
أقام على الفرات يزيد حولاً  
فقال الناس: أيهما الفراتي!  
فيا عجباً لبحر بات يسقي  
جميع الخلق لم يبيل لهاتي

### شعره في مدح يزيد بن عمر بن هبيرة

فقال له يزيد بن عمر بن هبيرة: وكم يبيل لهاتك يا أبا عطاء؟ قال: عشرة آلاف درهم، فأمر ابنه بدفعها إليه، ففعل، فقال يمدح ابنه:

أما أبوك فعين الجود تعرفه  
وأنت أشبه خلق الله بالجود  
لولا يزيد ولولا قبله عمر  
ألقت إليك معد بالمقاليد  
ما ينبت العود إلا في أرومته  
ولا يكون الجنى إلا من العود

وهب له نصر بن سيار جارية فقال في ذلك شعراً أخبرني الحسن، قال: حدثنا أحمد، عن المدائني، قال: وهب نصر بن سيار لأبي عطاء جارية، فلما أصبح غدا على نصر، فقال: ما فعلت أنت وهي؟ فقال: وقد كان شيء مني منعي من بعض حاجتي - يعني النوم - فقال: وهل قلت في ذلك شعراً؟ قال: نعم، وأنشد:

إن النكاح وإن هرمت لصالح  
خلف لعينك من لذيذ المرقد

فقال نصر:

ذاك الشقاء فلا تظنن غيره  
ليس المشاهد مثل من لم يشهد

فقال: أصلحك الله، إني قد امتدحتك فائذن لي أن أنشدك، قال: إني لفي شغل، ولكن ائت تيمماً، فأتاه فأنشده، فحمله على بردون أبلق، فقال له نصر من الغد: ما فعل بك تميم؟ فقال:

لئن كان أغلق باب الندى  
فقد فتح الباب بالأبلق

ثم أنشده قوله:

وهيكل يقال في جلاله  
تقصر أيدي الناس عن قذاله

جعلت أوصالي على أوصاله  
إنك حمال على أمثاله

لبس السواد وقال شعراً في ذلك أخبرني الحسن، قال: حدثنا أحمد بن الحارث، عن المدائني، قال: لما أمر أبو جعفر الناس بلبس السواد، لبسه أبو عطاء فقال:

كسيت ولم أكفر من الله نعمة  
سواداً إلى لوني ودنا ملهوجا

### وبايعت كرهاً بيعة بعد بيعة

### مبهرجة إن كان أمر مبهرجا

يضيف بيتين من الشعر إلى بيتين بعث بهما إليه إبراهيم بن الأشتر أخبرني الحسن، قال: حدثنا أحمد، عن المدائني، قال: بعث إبراهيم بن الأشتر إلى أبي عطاء بيتين من شعر، وسأله أن يضيف إليهما بيتين من رويهما وقافيتهما، وهما:

### وبلدة يزدهي الجنان طارقها

### قطعتها بكناز اللحم معتاطه

### وهناً وقد حلق النسران أو كرباً

### وكانت الدلو بالجوزاء منتاطه

فقال أبو عطاء:

### فانجاب عنها قميص الليل فابتكرت

### تسير كالفحل تحت الكور لطاطه

### في أينق كلما حث الحداء لها

### بدت مناسمها هوجاء حطاطه

### يهجو بغلة أبي دلامة

أخبرني الحسن، قال: حدثنا أحمد، عن المدائني، قال: كان سبب هجاء أبي دلامة بغلته أن أبا عطاء السندي هجأها، فخاف أبو دلامة أن تشتهر بذلك، وتعره، فباعها وهجأها بقصيدته المشهورة. قال: وأبيات أبي عطاء فيها:

### أبغل أبي دلامة مت هزلاً

### عليه بالسخاء تعولينا

### دواب الناس تقضم ملمخالي

### وأنت مهانة لا تقضمينا

### سليه البيع واستعدي عليه

### فإنك إن تباعي تسمنينا

### شعره في مدح نهيك بن معبد

أخبرني الحسن، قال: حدثنا أحمد، عن المدائني، قال: كان أبو عطاء منقطعاً في طريق مكة، وخبأؤه مطروح، فمر به نهيك بن معبد العطاردي، فقال: لمن هذا الخباء الملقى؟ فقيل: لأبي عطاء السندي، فبعث غلماناً له، فضربوا له خبءاً، وبعث إليه بالظاف وكسوة، فقال: من صنع هذا؟ قالوا: نهيك بن معبد، فنأدى بأعلى صوته يقول:

### إذا كنت مرتاد الرجال لنفعمهم

### فناد بصوت: يا نهيك بن معبد

فبعث إليه نهيك: لا، زدنا يا أبا عطاء.

فقال أبو عطاء: إنما أعطيناك على قدر ما أعطيتنا، فإن زدتنا زدناك، والله أعلم.

### أنشده حماد بيتاً فلم يعجبه

### فقال شعراً يصحح معناه

نسخت من كتاب ابن الطحان : قال الهيثم بن عدي: أخبرنا حماد الراوية، قال: أنشدت أبا عطاء السندي في أثناء حديث هذا البيت:

إذا كنت في حاجة مرسلأ  
فأرسل حكيماً ولا توصه  
فقال أبو عطاء: بنس ما قال! فقلت: كيف تقول أنت؟ قال: أقول:  
إذا أرسلت في أمر رسولأ  
فأفهمه وأرسله أديبا  
وإن ضيعت ذاك فلا تلمه  
على أن لم يكن علم الغيوباً

### شعره في مدح سليمان بن سليم

نسخت من كتاب عبيد الله بن محمد الزبيدي: قال الهيثم بن عدي، عن حماد بن سلمة الكلبي، قال: دخل أبو عطاء السندي على سليمان بن سليم بن بشار ، فقال له:

أعوزتني الرواة يابن سليم  
وغلأ بالذي أجمجم صدري  
وعدتتي العيون أن كان لوني  
وضربت الأمور ظهراً لبطن  
فتمنيت أنني كنت بالشع  
ثم أصبحت قد أنخت ركابي  
فإلى من سواك يابن سليم  
فاكفني ما يضيق عنه ذراعي  
يفهم الناس ما أقول من الشع  
ثم خذني بالشكر يابن سليم

فأمر له بوصيف فصيح كان حسن الإنشاد، فقال أبو عطاء أيضاً:

فأقبلوا نحوي معاً بالقنا  
فقلت: شأنني كله أنني  
وكلهم يسأل: ما شأنني؟  
في تعب من لفظ جرداني

يا بن سليم أنت لي عصمة  
فقد رماني الدهر عن فقره  
صاد فؤادي بعد ما قد سلا  
فانعش فدتك النفس مني ومن  
وهب فدتك النفس لي طفلة  
فإن أيري قد عتا واعتدى  
فإنه ثم الله في قمعه  
يتركني أضحوكة بعد ما  
فأمر له بجارية قندهارية فارمة، فقال:  
أحصنني الله بكفي فتى

من حديث أفرع جبراني  
بسهم فقر غير لغبان  
فصرت كالمقتبل العاني  
أطاعني من جل إخواني  
يقمع حرها رأس شيطاني  
وصار يبغي بغية الزاني  
من قبل أن أمني بسلطان  
أضرب في سر وإعلان  
مهذب من سر قحطان

من حمي أهل السدي والندی  
يا خير خلق الله أنت الذي  
وعصمة الخائف والجاني  
أياست من فسقي شيطاني

### يغضب لخطأ راويته في شعر قاله

أخبرني أحمد بن عبد العزيز، قال: حدثنا علي بن محمد النوفلي، عن أبيه، قال: كنت جالساً مع سليمان بن مجالد وعنده أبو عطاء السندي، إذ قام راوية أبي عطاء ينشد سليمان مديحاً لأبي عطاء، وأبو عطاء جالس لا يتكلم، إذ قال الراوية في إنشاده:

فما فضلت يمينك من يمين  
ولا فضلت شمالك عن شمال  
هكذا بالرفع، فغضب أبو عطاء، وقال: ويلك فما مدهته إذًا، إنما هزوته، يريد فما مدحته إذًا إنما هجوته، ثم أنشده أبو عطاء:

فما فدلنت يمينك من يمين  
ولا فدلنت شمالك عن شمال  
فكدت أضحك، ولم أحسر، لأني رأيت القوم جميعاً بهم ما بي وهم لا يضحكون؛ خوفاً منه.

### ينشد نصر بن سيار فيأمر له بجائزة

حدثنا وكيع، قال: أخبرنا أحمد بن زهير، قال: حدثنا سليمان بن منصور، قال: حدثني صالح بن سليمان، قال: وفد أبو عطاء السندي على نصر بن سيار فأنشده:

قالت تريكة بيتي وهي عاتبة:  
قال: إن المقام على الإفلاس تعذيب  
ما بال هم دخيل بات محتضراً  
رأس الفؤاد فنوم العين توجيب  
إني دعاني إليك الخير من بلدي  
والخير عند ذوي الأحساب مطلوب  
فأمر له بأربعين ألف درهم.

### بغضب لأن ضيفه يرقب جاريته

أخبرني محمد بن خلف وكيع والحسن بن علي، قالوا: حدثنا عبد الله بن أبي سعد، قال: حدثني سليمان بن أبي شيخ، عن صالح بن سليمان، قال: دخل إلى أبي عطاء السندي ضيف، فأتاه بطعام، فأكل، وأتاه بشراب وجلسا يشربان، فنظر أبو عطاء إلى رجل يلاحظ جاريته، فأنشأ يقول:

كل هنيئاً وما شربت مريئاً  
ثم قم صاغراً وأنت ذميم  
لا أحب النديم يومض بالطر  
ف إذا ما خلا لعرس النديم

### صوت

تجول خلاخيل النساء ولا أرى  
لرملة خلخالاً يجول ولا قلبا  
أحب بني العوام طراً لحبها  
ومن أجلها أحببت أخوالها كلبا  
فإن تسلمي نسلم، وإن تنتصر  
تخط رجال بين أعينهم صلبا

عروضه من الطويل. الشعر لخالد بن يزيد بن معاوية يقوله في زوجته رملة بنت الزبير. والغناء ليحيى المكي، ثاني ثقيل أول بالوسطى، من رواية ابنه وأبي العبيس، وفيه لعبيد الله بن أبي غسان رمل، وفيه لسعيد بن جابر خفيف رمل بالبنصر، عن حبش.

### ذكر خالد ورملة

وأخبارهما وأنسابهما

### نسبه

خالد بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف. وكان من رجالا قريش سخاء وعارضة وفصاحة، وكان قد شغل نفسه بطلب الكيمياء فأفنى بذلك عمره، وأسقط نفسه. وأم خالد بن يزيد أم هاشم بنت هاشم بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف.

### كان عالماً شاعراً

أخبرني الطوسي وحرمني، قالوا: حدثنا الزبير، قال: حدثني عمي مصعب، قال: كان خالد بن يزيد بن معاوية يوصف بالعلم، ويقول الشعر، وزعموا أنه هو الذي وضع خير السفياي وكبره، وأراد أن يكون للناس فيه طمع حين غلبه مروان بن الحكم على الملك، وتزوج أمه أم هاشم، وهذا وهم من مصعب؛ فإن السفياي قد رواه غير واحد، وتتابع في رواية الخاصة والعامه. وذكر خير أمره أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين، وغيره من أهل البيت.

حدثني أبو عبد الله الصيرفي، قال: حدثنا محمد بن علي بن خلف العطار، قال: حدثنا الحسن بن صالح، عن أبي الأسود، قال: حدثنا صالح بن أبي الأسود - يعني أباه - عن عبد الجبار بن العباس الهمداني، عن عمار الدهني، قال: قال أبو جعفر محمد بن علي: كم تعدون بقاء السفياي فيكم؟ قلت: حمل امرأة تسعة أشهر، قال: ما أعلمكم يا أهل الكوفة.

حدثني أبو عبد الله قال: حدثنا محمد بن علي، قال: حدثنا الحسن بن صالح، قال: حدثنا منصور بن الأسود، قال: أتيت جابراً الجعفي أنا والأسود أخي، فقلنا له: إنا قوم نضرب في هذه التجارات، وقد بلغنا أن الرايات قد قطع بها الفرات، فماذا تشير علينا؟ وماذا تأمرنا؟ قال: اذهبوا حيث شئتم من أرض الله تعالى، حتى إذا خرج السفياي فأقبلوا عودكم على بدئكم.

### أمه تكتنى باسمه

أخبرني الطوسي وحرمني، قالوا: حدثنا الزبير بن بكار، عن عمه، قال: لما ولدت أم هاشم خالد بن يزيد بن معاوية تركت كنيته، واكتنت بخالد، وقال فيها يزيد بن معاوية:

وما نحن يوم استعبرت أم خالد  
بمرضى ذوي داء ولا بصحاح

ولها يقول، وقد قدم من المدينة، وقد تزوج أم مسكين بنت عمر بن عاصم بن عمر بن الخطاب فحملت إليه بالشام، فأعجب بها، وجفا أم خالد، ودخل عليها وهي تبكي، فقال:

مالك أم خالد تبكين  
من قدر حل بكم تضجين!

باعت على بيعك أم مسكين  
ميمونة من نسوة ميامين

حلت محلك الذي تحلين

زارتك من يثرب في جوارين

في منزل كنت به تكونين

**رملة تزوجت عثمان بن عبد الله**

**قبل زواجها من خالد**

أخبرني الطوسي وحرمي، قالاً: حدثنا الزبير بن بكار، عن عمه: أن رملة بنت الزبير كانت أخت مصعب بن الزبير لأمه، كانت أمهما الرباب بنت أنيف بن عبيد بن مصاد بن كعب بن عليم بن عتاب بن ذهل من كلب، وإنما كانت قبل خالد بن يزيد عند عثمان بن عبد الله بن حكيم بن حزام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى، فولدت له عبد الله بن عثمان، وهو زوج سكينه بنت الحسين بن علي.

**الحجاج يعاتب خالداً لخطبته رملة**

**فبرد عليه رداً عنيفاً**

قال الزبير: فحدثني رجل، عن عمر بن عبد العزيز، وأخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري، قال: حدثنا عمر بن شبة، قال: لما قتل ابن الزبير حج خالد بن يزيد بن معاوية، فخطب رملة بنت الزبير بن العوام، فأرسل إليه الحجاج حاجبه عبيد الله بن موهب، وقال له: ما كنت أراك تخطب إلى آل الزبير حتى تشاورني، وكيف خطبت إلى قوم ليسوا لك بأكفاء! وكذلك قال جدك معاوية، وهم الذين قارعوا أباك على الخلافة، ورموه بكل قبيحة، وشهدوا عليه وعلى جدك بالضلالة.

فنظر إليه خالد طويلاً، ثم قال له: لولا أنك رسول، والرسول لا يعاقب لقطعتك إرباً إرباً، ثم طرحتك على باب صاحبك، قل له: ما كنت أرى أن الأمور بلغت بك إلى أن أشورك في خطبة النساء!

وأما قولك لي: قارعوا أباك وشهدوا عليه بكل قبيح، فإنها قريش يقارع بعضها بعضاً، فإذا أقر الله عز وجل الحق قراره، كان تقاطعهم وتراحمهم على قدر أحلامهم وفضلهم.

وأما قولك: إنهم ليسوا بأكفاء فقاتلك الله يا حجاج، ما أقل علمك بأنساب قريش! أيكون العوام كفواً لعبد المطلب بن هاشم بتزوجه صفية، وبتزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم خديجة بنت خويلد، ولا تراهم أهلاً لأبي سفيان! فرجع الحاجب إليه فأعلمه.

**شعره في رملة**

قال: وقال عمر بن شبة في خبره، قال خالد بن يزيد بن معاوية فيها:

وفي كل يوم من أحببتنا قرباً

أليس يزيد السير في كل ليلة

أحن إلى بنت الزبير وقد علت  
 إذا نزلت أرضاً تحبب أهلها  
 وإن نزلت ماء وإن كان قبلها  
 تجول خلاخيل النساء ولا أرى  
 أقلوا علي اللوم فيها فإنني  
 أحب بني العوام طراً لحبها  
 قال أبو زيد: وزادوا في الأبيات:

فإن تسلمي نسلم وإن تنتصري  
 تخط رجال بين أعينهم صلبا

فقال له عبد الملك: تنصرت يا خالد، قال: وما ذاك؟ فأنشده هذا البيت، فقال له خالد: على من قاله ومن نخلنيه لعنة الله.

### يثير غضب الحجاج فيعنفه

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري، قال: حدثني عمر بن شبة، قال: حدثني موسى بن سعيد بن سلم، قال: قدم الحجاج على عبد الملك، فخر بخالد بن يزيد بن معاوية، ومعه بعض أهل الشام، فقال الشامى لخالد: من هذا؟ فقال خالد كالمستهزىء: هذا عمرو بن العاصي، فعدل إليه الحجاج، فقال: إني والله ما أنا بعمرو بن العاصي ولا ولدت عمراً ولا ولدي؛ ولكني ابن الغطاريف من ثقيف والعقائل من قريش، ولقد ضربت بسيفي هذا أكثر من مائة ألف، كلهم يشهد أنك وأباك من أهل النار، ثم لم أجد لذلك عندك أجراً ولا شكراً، وانصرف عنه، وهو يقول: عمرو بن العاصي، عمرو بن العاصي!

### محمد بن عمرو يتنقصه

أخبرني محمد بن العباس اليزيدي، قال: حدثنا أحمد بن الحارث الخراز، قال: حدثنا المدائني، قال: حدثنا عبد الله بن مسلم القرشي، عن مطر مولى يزيد بن عبد الملك: أن محمد بن عمرو بن سعيد بن العاصي قدم الشام غازياً، فأتى عمته أمية بنت سعيد، وهي عند خالد بن يزيد بن معاوية، فدخل خالد فرآه، فقال: ما يقدم علينا أحد من أهل الحجاز إلا اختار المقام عندنا على المدينة، فظن محمد أنه يعرض به، فقال له: وما يمنعهم من ذلك، وقد قدم قوم من أهل المدينة على النواضح، فنكحوا أمك وسلبوك ملكك، وفرغوك لطلب الحديث وقراءة الكتب، وعمل الكيمياء الذي لا تقدر عليه. انتهى.

### أمه تقتل زوجها مروان بن الحكم

أخبرني محمد بن العباس اليزيدي، قال حدثنا الخراز عن المدائني، عن أبي أيوب القرشي، عن يزيد بن حصين بن نمير: أن مروان بن الحكم تزوج أم خالد بن يزيد بن معاوية، فناظر خالدًا يوماً وأراد أن يضع منه في شيء جرى بينهما، فقال له: يابن الرطبة، فقال له خالد: إنك لأمي مختبر، وأنت بهذا أعلم. ثم أتى أمه فأخبرها، وقال: أنت صنعت بي هذا، فقالت له: دعه، فإنه لا يقولها لك بعد اليوم.

فدخل مروان عليها فقال لها: هل أخبرك خالد بشيء؟ فقالت: يا أمير المؤمنين! خالد أشد تعظيماً لك من أن يذكر لي خبراً جرى بينك وبينه.

فلما أمسى وضعت مرفقة على وجهه، وقعدت عليها هي وجواربها حتى مات. وأراد عبد الملك قتلها، وبلغها ذلك، فقالت: أما إنه أشد عليك أن يعلم الناس أن أباك قتلته امرأة؛ فكف عنها.

### رملة تشكو سكينه إلى عبد الملك

أخبرني محمد قال: حدثني الخراز، عن المدائني قال: وأخبرني الطوسي، عن الزبير، عن المدائني، عن جويرية قال: نشزت سكينه بنت الحسين بن علي على زوجها عبد الله بن عثمان - وأمه رملة بنت الزبير - فدخلت رملة على عبد الملك بن مروان، وهو عند خالد بن يزيد بن معاوية، فقالت: يا أمير المؤمنين، لولا أن يبتز أمرنا ما كانت لنا رغبة فيمن لا يرغب فينا، سكينه بنت الحسين قد نشزت على ابني، قال: يا رملة، إنما سكينه، قالت: وإن كانت سكينه، فوالله لقد ولدنا خيرهم، ونكحنا خيرهم، وأنكحنا خيرهم، تعني بمن ولدوا فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومن نكحوا صفية بنت عبد المطلب، ومن أنكحوا النبي صلى الله عليه وسلم. فقال: يا رملة، غربي منك عروة بن الزبير، فقالت: ما غرك، ولكن نصح لك؛ لأنك قتلت أخي مصعباً فلم يأمني عليك.

### شعر خالد في بنت عبد الله بن جعفر

أخبرني الطوسي، قال: حدثني عمي مصعب، قال: تزوج خالد بن يزيد بنت عبد الله بن جعفر بن أبي طالب، فقال فيها:

مقنعة في جوف حدج مخدر

جاءت بها دهم البغال وشبهها

وبين علي والحواري وجعفر

مقابلة بين النبي محمد

لعبد منافي أغر مشهر

منافية جادت بخالص ودها

قال مصعب: ومن الناس من ينكر تزويجه إياها.

### شديد بن شداد يعير عبد الملك بخالد

ومما يشته قول شديد بن شداد بن عامر بن لقيط بن جابر بن وهيب بن ضباب بن حجر بن عبد بن معيص بن عامر بن لؤي لعبد الملك بن مروان هذا يعيره بخالد في تزويجه بنت الزبير وبنت عبد الله بن جعفر، قال:

لا يستوي الحبلان حبل تلبست  
قواه وحبل قد أمر شديد  
عليك أمير المؤمنين بخالد  
ففي خالد عما تريد صدور  
إذا ما نظرنا في مناكح خالد  
عرفنا الذي يهوى وحيث يريد

### خالد يشكو الوليد إلى أبيه عبد الملك

أخبرنا الطوسي، قال: حدثنا الزبير، قال: حدثني مصعب بن عثمان، قال: دخل عبد الله بن يزيد بن معاوية على أخيه خالد، فقال: لقد هممت اليوم بقتل الوليد بن عبد الملك، فقال له خالد: بئس ما هممت به في ابن أمير المؤمنين وولي عهد المسلمين، قال: إنه لقي خيلي فنفرها، وتلعب بها، فشق ذلك على عبد الله، فنكس عبد الملك رأسه، وقرع الأرض بقضيب في يده، ثم رفع رأسه إليه، فقال: "إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة وكذلك يفعلون"، فقال له خالد: "وإذا أردنا أن نملك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميراً"، فقال له عبد الملك: أتكلمني فيه، وقد دخل علي لا يقيم لساناً لحناً، فقال له خالد: يا أمير المؤمنين، أفعلى الوليد تعول في اللحن؟ فقال عبد الملك: إن يكن الوليد لحناً فأخوه سليمان، قال خالد: وإن يكن عبد الله لحناً فأخوه خالد، قال الوليد لخالد: أتكلمني ولست في غير ولا نفيير! قال: ألا تسمع يا أمير المؤمنين ما يقول هذا؟ أنا والله ابن العير والنفير، سيد العير جدي أبو سفيان، وسيد النفير جدي عتبة بن ربيعة، ولكن لو قلت: حبيلات - يعني حيلة العنب - وغنيمات والطائف لقلنا: صدقت، ورحم الله عثمان!. هذا آخر الحديث. قال مؤلف هذا الكتاب: يعيره بأمر مروان، وأنها من الطائف، ويعيره بالحكم، وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم طرده إلى الطائف، وترحم على عثمان لرده إياه.

حماقة معاوية بن مروان حدثني محمد بن العباس اليزيدي، قال: حدثنا أحمد بن الحارث الخراز، عن المدائني، عن إسحاق بن أيوب: أن معاوية بن مروان كان ضعيفاً، فقال له خالد بن يزيد: يا أبا المغيرة! ما الذي هونك على أخيك فلا يولييك ولاية، قال: لو أردت لفعل، قال: كلا، قال: بلى والله، قال: فسله أن يولييك بيت لهما، قال: نعم.

فغدا على عبد الملك، فقال له معاوية: يا أمير المؤمنين! ألسنت أحاك؟ قال: بلى والله، إنك لأخوي وشقيقي، قال: فولني بيت لهما، قال: متى عهدك بخالد؟ قال: عشية أمس، قال: إياك أن تكلمه.

ودخل خالد فقال له: كيف أصبحت يا أبا المغيرة؟ قال: قد هئنا هذا عن كلامك، فغلب على عبد الملك الضحك، فقام وتفرق الناس.

قال: وأفلت لمعاوية هذا باز فصاح: أغلقوا أبواب المدينة لا يخرج، قال: وقال له رجل: أنت الشريف ابن أمير المؤمنين، وأخو أمير المؤمنين، وابن عم أمير المؤمنين عثمان، وأمك عائشة بنت معاوية، قال: فأنا إذاً مردد في بني اللخناء ترداداً .

### خالد يتعصب لكلب على قيس

أخبرني الطوسي، عن الزبير، عن عمه، قال: كان خالد بن يزيد يتعصب لكلب على قيس في الحرب التي كانت بينهم؛ لأن كلباً أحوال أبيه يزيد، وأحوال زوجته، فقال شاعر قيس:

يا خالد بن أبي سفيان قد قرحت  
أنت تأمر كلباً أن تقاتلنا  
منا القلوب وضاق السهل والجبل  
جهلاً وتمنعهم منا إذا قتلوا  
ها إن ذا لا يقر الطير ساكنة  
ولا تبرك من نكرائه الإبل

### صوت

خمس دسسن إلي في لطف  
فطرقتهن مع الجري وقد  
حور العيون نواعم زهر  
نام الرقيب وحلق النسر

عروضه من الكامل. الشعر للأحوص، والغناء لمعبد، رمل بالسبابة في مجرى البصر، عن إسحاق.

### خبر للأحوص

نسوة من أهل المدينة يعقدن له مجلساً

فيقول في ذلك شعراً

أخبرني حرمي بن أبي العلاء، قال: حدثني الزبير بن بكار، قال: أخبرني إبراهيم بن عبد الرحمن، قال: حدثني إسماعيل بن محمد المخزومي، قال: اجتمع نسوة عند امرأة من أهل المدينة فقلن: أرسلني إلى الأحوص، فإننا نحب أن نتحدث معه ونسمع من شعره، فقالت لهن: إذاً لا يزيدكن على أن يخرج إذا عرفكن، فيشهركن وينظم الشعر فيكن، فلم يزلن بها حتى أرسلت إليه رسولاً يذكر له أمرهن ولا يسميهن، ويقول له أن يأتيهن مخمر الرأس، ففعل، وتحدث معهن وأنشدهن. فلما أراد الخروج وضع يده في تور بين أيديهن فيه خلوق، فغطى رأسه، وخرج ووضع يده على الباب، ثم تفقد الموضع الذي كان فيه، فغدا إليه، وطاف حتى وجد أثر يده في الباب، فقال:

خمس دسسن إلي في لطف  
فطرقتهن مع الجري وقد  
حور العيون نواعم زهر  
نام الرقيب وحلق النسر

مستبطناً للحي إذ قرعوا	عضباً يلوح بمتته أثر
فحكفن ليلتهن ناعمة	ثم استقفن وقد بدا الفجر
بأشم معسول فكاهته	غض الشباب رداؤه غمر
رزن بعيد الصوت مشتهر	جيبت له جوب الرحي عمرو
قامت تخاصره لكنتها	تمشي تأود غادة بكر
فتنازعا من دون نسوتها	كلما يسر كأنه سحر
كل يرى أن الشباب له	في كل غاية صبوة عذر
سيفانة أمر الشباب بها	رقراقة لم يبيلها الدهر
حتى إذا أبدى هواه لها	وبدا هواها ما له ستر
سفرت وما سفرت لمعرفة	وجهاً أغر كأنه البدر

قال إسماعيل بن محمد: فخرجت وأنا شاب ومعني شباب نريد مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فذكرنا حديث الأحوص وشعره، وقدامنا عجوز عليها بقايا من الجمال، فلما بلغنا المسجد وقفت علينا والتفتت إلينا، وقالت: يا فتيان، أنا والله إحدى الخمس، كذب ورب هذا القبر ولمنبر ما خلت معه واحدة منا، ولا راجعته دون نسوتها كلاماً.

### رواية أخرى في سبب هذا الشعر

قال الزبير: وحدثني غير إبراهيم بن عبد الرحمن: أن نسوة من أهل المدينة نذرن مشياً إلى قباء وصلاة فيه، فخرجن ليلاً، فطال عليهن الليل فنمن، فجاءهن الأحوص متكئاً على عرجون بن طاب، فتحدث معهن حتى أصبح، ثم انصرف وانصرفن، فقال قصيدته:

### خمس دسسن إلي في لطف حور العيون نواعم زهر

وحدثني عمي، عن أبيه، قال: قال حبيب بن ثابت: صدرت إلى العقيق، فخلا لي الطريق، فأنشدت أبيات الأحوص هذه، وعجوز سوداء قاعدة ناحية تسمع ما أقول ولا أشعر بها، فقالت: كذب والله يا سيدي؛ إن سيفه ليلتئذ لعرجون ابن طاب يتحضر به، وإني لرسولهن إليه.

قال الزبير: وحدثني عمي، عن أبيه، عن الزبير بن حبيب، قال: كنت أنشد قول الأحوص:

### خمس دسسن إلي في لطف

قال: فإذا نسوة فيهن عجوز سوداء، فأقبلن على العجوز، فقلن لها: لمن هذا الشعر؟ قالت: للأحوص، فقلت: للأحوص لعمرى، فقالت لهن: أنا والله الجريء، خرج نسوة يصلين في مسجد قباء، ثم تحدثن في رحبة المسجد، في ليلة مقمرة، فقلن: لو كان عندنا الأحوص! فخرجت حتى أتيتها به، وهو متخصر بعرجون ابن طاب، فتحدث معهن حتى دنا الصبح، فقلن له: لا تذكر خبرنا، ولا تذكر إليه خيراً، قال: قد فعلت، وأنشدن تلك الساعة من الليلة تلك الأبيات، ثم استمرت بأفواه الناس تعني:

### خمس دسسن إلي في لطف

الأبيات كلها، والله ما قامت عه امرأة ولا كان بينه وبين واحدة منهن سر .

### صوت

مستهام عندها ما ينيب

يابنة الجودي قلبي كئيب

إن من تنهون عنه حبيب

ولقد قالوا فقلت: دعوها

حبها، والحب شيء عجيب

إنما أبلى عظامي وجسمي

عروضه من الرمل. الشعر لعبد الرحمن بن أبي بكر الصديق رضي الله عنه، والغناء لمعبد، ثقيل أول بالسبابة في مجرى البنصر، عن إسحاق، وفيه رمل بالسبابة في مجرى الوسطى، لم ينسبه إسحاق إلى أحد. وذكر أحمد بن يحيى المكي أنه لأبيه يحيى. والله أعلم.

### ذكر عبد الرحمن بن أبي بكر وخبره

#### وقصة بنت الجودي

#### نسبه

عبد الرحمن بن أبي بكر، واسم أبي بكر رضي الله عنه عبد الله - وكان اسمه في الجاهلية عتيقاً، فسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله - بن عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار. وكان اسم عبد الرحمن عبد العزى، فسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الرحمن. وأمه وأم عائشة أم رومان بنت عامر بن عويمر بن عبد شمس بن عتاب بن أذينة بن سبيع بن دهمان بن الحارث بن غنم بن مالك بن كنانة بن خزيمة. هذا قول الزبير، وعمه.

وحكى إبراهيم بن موسى أنها بنت عويمر بن عتاب بن دهمان بن الحارث بن غنم.

وروى عن محمد بن عبد الرحمن المرواني أنها بنت عامر بن عويمر بن أذينة بن سبيع بن الحارث بن دهمان بن غنم بن مالك بن كنانة.

### له صحبة بالنبي صلى الله عليه وسلم

ولعبد الرحمن بن أبي بكر رضي الله عنه صحبة بالنبي صلى الله عليه وسلم، ولم يهاجر مع أبيه صغيراً عن ذلك، فبقي بمكانه؛ ثم خرج قبل الفتح مع فتية من قريش. وقيل: بل كان إسلامه في يوم الفتح وإسلام معاوية بن أبي سفيان في وقت واحد غير مدفوع. انتهى.

أخبرني الطوسي وحرمني بن أبي العلاء، قالوا: حدثنا الزبير، قال: حدثني إبراهيم بن حمزة، عن سفيان بن عيينة، عن علي بن زيد بن جدعان: أن عبد الرحمن بن أبي بكر خرج في فتية من قريش مهاجراً إلى النبي صلى الله عليه وسلم قبل الفتح، قال: وأحسبه قال: إن معاوية كان معهم.

### موقفه من أخذ البيعة ليزيد بن معاوية

قال الزبير: وحدثني عمي مصعب قال: وقف محكم الإمامة على ثلثة فحماها فلم يجز عليه أحد، فرماه عبد الرحمن بن أبي بكر فقتله - وكان أحد الرماة - فدخل المسلمون من تلك الثلثة، وهو المخاطب لمروان يوم دعا إلى بيعة يزيد، والقائل: إنما تريدون أن تجعلوها كسروية أو هرقلية، كلما هلك كسرى أو هرقل ملك كسرى أو هرقل، فقال مروان: أيها الناس، هذا الذي قال لوالديه: أف لكما أتعداني أن أخرج وقد خلت القرون من قبلي، فصاحت به عائشة: ألعبد الرحمن تقول هذا؟ كذبت والله، ما هو به، ولو شئت أن أسمي من أنزلت فيه لسميته، ولكن أشهد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لعن أبك، وأنت في صلبه، فأنت فضض من لعنة الله. حدثنا بذلك أحمد بن الجعد، قال: حدثنا أحمد بن زهير، قال: حدثني أبي، قال: حدثنا وهب بن جرير، عن جويرية بن أسماء، وفي غير رواية: أن عائشة قالت له: يا مروان؛ أفينا تتأول القرآن، وإلينا تسوق اللعن؟ والله لأقومن يوم الجمعة بك مقاماً تود أني لم أقمه. فأرسل إليها بعد ذلك وترضاها واستعفاها، وحلف ألا يصلي بالناس أو تؤمنه، ففعلت.

### شعره في ليلى بنت الجودي

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري، قال: حدثنا عمر بن شبة، قال: حدثنا محمد بن يحيى، قال: حدثنا عبد العزيز بن عمران، عن عبد الله بن أبي الزناد، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة. وأخبرني الطوسي، قال: حدثنا الزبير، قال: حدثنا محمد بن الضحاك، عن أبيه، عن عبد الرحمن بن أبي الزناد، عن هشام بن عروة، عن

أبيه، قال: استهيم عبد الرحمن بن أبي بكر بليلى بنت الجودي بن عدي بن عمرو بن أبي عمرو الغساني، فقال فيها :

تذكرت ليلي والسماوة دونها  
وما لابنة الجودي ليلي وماليا  
وأنى تعاطي قلبه حارثية  
تحل ببصرى أو تحل الجوابيا  
وكيف يلاقياها، بلى، ولعلها  
إذا الناس حجوا قابلاً أن تلاقيا

قال أبو زيد: وقال فيها:

يابنة الجودي قلبي كئيب  
مستهام عندها ما ينيب  
جاورت أخوالها حي عك  
فلعلك من فؤادي نصيب

وقد ذكرنا باقي الأبيات فيما تقدم.

قال الزبير في خبره: وكان قدم في تجارة، فرآها هناك على طنفسة حولها ولائد، فأعجبته.  
وقال أبو زيد في خبره: فقال له عمر: ما لك ولها يا عبد الرحمن! فقال: والله ما رأيتها قط إلا ليلة في بيت المقدس في جوار ونساء يتهادين، فإذا عثرت إحداهن قالت: يابنة الجودي، فإذا حلفت إحداهن حلفت بابنة الجودي.

### عمر يأمر بأن تكون له إذا فتحت دمشق

فكتب عمر إلى صاحب الثغر الذي هي به: إذا فتح الله عليكم دمشق فقد غنمت عبد الرحمن بن أبي بكر ليلي بنت الجودي. فلما فتح الله عليهم غنموه إياها.  
قالت عائشة: فكنت أكلمه فيما يصنع بها، فيقول: يا أختي، دعيني، فوالله لكأني أرشف من ثناياها حب الرمان. ثم ملها وهانت عليه، فكنت أكلمه فيما يسيء إليها كما كنت أكلمه في الإحسان إليها، فكان إحسانه أن ردها إلى أهلها.  
يردها إلى أهلها قال الشيخ في خبره: فقالت له عائشة: يا عبد الرحمن لقد أحببت ليلي فأفرطت، وأبغضت ليلي فأفرطت، فإما أن تنصفها، وإما أن تجهزها إلى أهلها؛ فجهزها إلى أهلها.

### ليلى بنت ملك دمشق

قال الزبير: وحدثني عبد الله بن نافع الصائغ: عن هشام بن عروة، عن أبيه: أن عمر بن الخطاب نفل عبد الرحمن بن أبي بكر بنت الجودي، حين فتح دمشق، وكانت بنت ملك دمشق.

### روايتان أخريان في أمر عبد الرحمن مع ليلي

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري، قال: حدثنا عمر بن شبة، قال: حدثنا الصلت بن مسعود، قال: حدثنا محمد بن شيرويه، عن سليمان بن صالح، قال: قرأت على عبد الله بن المبارك، عن مصعب بن ثابت، عن عبد الله بن الزبير، عن عائشة بنت مصعب، عن عروة بن الزبير، قال: كانت ليلى بنت الجودي بنت ملك من ملوك الشام، فشبب بها عبد الرحمن بن أبي بكر، وكان قد رآها فيما تقدم بالشام، فلما فتح الله عز وجل على المسلمين، وقتلوا أباهما أصابوها، فقال المسلمون لأبي بكر: يا خليفة رسول الله! أعط هذه الجارية عبد الرحمن، فقد سلمناها له، قال أبو بكر: أكلكم على هذا؟ قالوا: نعم، فأعطاه إياها، وكان لها بساط في بلدها لا تذهب إلى الكنيف ولا إلى الحاجة إلا بسط لها، ورمي بين يديها برمانتين من ذهب تتلهى بهما في طريقها. فكان عبد الرحمن إذا خرج من عندها، ثم رجع إليها رأى في عينها أثر البكاء، فيقول: ما يبكيك؟ اختاري حصلاً أيها شئت فعلت بك: إما أن أعتقك وأنكحك، فتقول: لا أشتهي، وإن شئت رددتك على قومك، قالت: ولا أريد، وإن أحببت رددتك على المسلمين، قالت: لا أريد، قال: فأخبريني ما يبكيك؟ قالت: أبكي الملك من يوم البؤس.

أخبرني أحمد، قال: حدثني أبو زيد، قال: حدثني هارون بن إبراهيم بن معروف، قال: حدثني حمزة بن ربيعة، عن العلاء بن هارون، عن عبد الله بن عون، عن يحيى بن يحيى الغساني: أن عبد الرحمن قدم على يعلى بن منبه، وهو على اليمن، فوجدها في السبي، فسأله أن يدفعها إليه.

### شعر آخر له في ليلى

أخبرني أحمد، قال: حدثنا عمر، قال: كتب إلي محمد بن زياد بن عبيد الله يذكر أن عبد الرحمن قال فيها:

فإما تصبحي بعد اقتراب	بسلع أو ثنيات الوداع
فلم ألفظك من شبع ولكن	لأقضي حاجة النفس الشعاع
كأن جوانح الأضلاع مني	بعيد النوم مبطنة اليراع

### عائشة ترثيه

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجوهري، قال: حدثنا عمر بن شبة، قال: حدثنا أبو أحمد الزبيري، قال: حدثنا عبد الله بن لاحق، عن أبي مليكة، قال: مات عبد الرحمن بن أبي بكر رضي الله عنه بالحبيشي - جبل من مكة على أميال - فحمل فدفن بمكة، فقدمت عائشة فوقففت على قبره، ثم قالت:

وكنا كندمانى جذيمة حقة	من الدهر حتى قيل لن يتصدعا
فلما تفرقنا كأني ومالكاً	لطول اجتماع لم نبت ليلة معا

أما والله لو حضرتك لدفتك حيث مت، ولو شهدتك لزرتك .

## صوت

أماوي إن المال غاد ورائح      ويبقى من المال الأحاديث والذكر  
وقد علم الأقوام لو أن حاتماً      أراد ثراء المال أمسى له وفر  
أماوي إن يصبح صداي بفقرة      من الأرض لا ماء لدي ولا خمر  
تري أن ما أنفقت لم يك ضائري      وأن يدي مما بخلت به صفر

عروضه من الطويل.

الثراء: الكثرة في المال، وفي عدد القوم أيضاً. والوفور: الغنى، ووفور المال. والصدى ها هنا: كان أهل الجاهلية يذكرون أن طائراً يخرج من جسم الإنسان أو من رأسه، فإذا قتل أقبل يصوت على قبره، حتى يدرك بثأره. والصفير: الخالي. والصدى: العطش، والصدى: ما يجيب إذا صوت في المكان الخالي. وصدأ الحديد مهموز. الشعر لحاتم الطائي. والغناء لإسحاق، رمل بالسبابة في مجرى البصر. وذكر الهشامي أن فيه ثقيلاً أول، ومالك خفيفاً، وذكر حبش أن فيه لابن سريج ثاني ثقيل بالوسطى، وذكر عمرو بن بانه أن فيه لابن جامع خفيف رمل بالوسطى.

## أخبار حاتم ونسبه

### نسبه

ذكر ابن الأعرابي، عن المفضل، والأثرم، عن أبي عمرو الشيباني، وابن الكلبي، عن أبيه والسكري، عن يعقوب بن السكيت: أنه حاتم بن عبد الله سعد بن الحشرج بن امرئ القيس بن عدي بن أخزم بن أبي أخزم، واسمه هزيمة بن ربيعة بن جروم بن ثعل بن عمرو بن الغوث بن طيء.

وقال يعقوب بن السكيت: إنما سمي هزيمة؛ لأنه شج أو شج؛ وإنما سمي طيء طيئاً - واسمه جلهمة - لأنه أول من طوى المناهل، وهو ابن أدد بن زيد بن يشجب بن يعرب بن قحطان. ويكنى حاتم أبا سفانة، وأبا عدي؛ كني بذلك بابنته سفانة، وهي أكبر ولده، وبابنه عدي بن حاتم. وقد أدركت سفانة وعدي الإسلام فأسلما، وأتى بسفانة النبي صلى الله عليه وسلم في أسرى طيء فمن عليها.

### علي يروي خبر لقاء ابنته بالنبي

### صلى الله عليه وسلم

أخبرني بذلك أحمد بن عبيد الله بن عمار، قال: حدثني عبد الله بن عمرو بن أبي سعد، قال: حدثني سليمان بن الربيع بن هشام الكوفي - ووجدته في بعض نسخ الكوفيين: عن سليمان بن الربيع - أتم من هذا فنسخته وجمعتها. قال: حدثنا عبد الحميد بن صالح الموصلي البرجمي، قال: حدثنا زكريا بن عبد الله بن يزيد الصهباني، عن أبيه، عن كميل بن زياد النخعي، عن علي، قال: يا سبحان الله! ما أزهّد كثيراً من الناس في الخير! عجبت لرجل يجيئه أخوه في حاجة فلا يرى نفسه للخير أهلاً، فلو كنا لا نرجو جنة، ولا نخاف ناراً، ولا ننتظر ثواباً، ولا نخشى عقاباً، لكان ينبغي لنا أن نطلب مكارم الأخلاق؛ فإنها تدل على سبيل النجاة. فقام رجل، فقال: فداك أبي وأمي يا أمير المؤمنين، أسمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قال: نعم، وما هو خير منه؛ لما أتينا بسبايا طيء كانت في النساء جارية حماء حوراء العينين، لعساء لمياء عيطاء شماء الأنف، معتدلة القامة، درماء الكعبيين، خدلجة الساقين، لفاء الفخذين، خميصة الخصر، ضامرة الكشحين، مصقولة المتين. فلما رأيتها أعجبت بها، فقلت: لأطلبنها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليجعلها من فيئي. فلما تكلمت أنسيت جمالها؛ لما سمعت من فصاحتها، فقالت: يا محمد، هلك الوالد، وغاب الوافد؛ فإن رأيت أن تخلي عني، فلا تشمت بي أحياء العرب؛ فإن بنت سيد قومي، كان أبي يفك العاني، ويحمي الذمار، ويقري الضيف ويشبع الجائع، ويفرج عن المكروب، ويطعم الطعام، ويفشي السلام، ولم يرد طالب حاجة قط؛ أنا بنت حاتم طيء. فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا جارية، هذه صفة المؤمن، لو كان أبوك إسلامياً لترحمنا عليه، خلوا عنها؛ فإن أباهما كان يحب مكارم الأخلاق، والله يحب مكارم الأخلاق .

### نسب أم حاتم

وأم حاتم عتبة بنت عفيف بن عمرو بن امرئ القيس بن عدي بن أحمز. وكانت في الجود بمثلة حاتم، لا تدخر شيئاً ولا يسألها أحد شيئاً فتمنعه.

بلغ من سخائها أن حجر عليها إخوتها أخبرني محمد بن الحسن بن دريد، قال: أخبرنا الحرمازي، عن العباسي بن هشام، عن أبيه، قال: كانت عتبة بنت عفيف، وهي أم حاتم ذات يسار، وكانت من أسخى الناس، وأقراهم للضيف، وكانت لا تليق شيئاً تملكه. فلما رأى إخوتها إتلافها حجروا عليها، ومنعوا مالها، فمكثت دهرًا لا يدفع إليها شيء منه، حتى إذا ظنوا أنها قد وجدت ألم ذلك أعطوها صرمة من إبلها، فجاءتها امرأة من هوازن كانت تأتيها في كل سنة، فقالت لها: دونك هذه الصرمة فخذوها، فوالله لقد عضني من الجوع ما لا أمتع منه سائلاً أبداً، ثم أنشأت تقول: من شعرها وقد سألتها امرأة من هوازن

لعمري لقدماً عضني الجوع عضه

فأليت ألا أمتع الدهر جائعاً

فقولا لهذه اللاتمي اليوم: أعفني

فإن أنت لم تفعل فعض الأصابع

فماذا عساكم تقولوا لأختكم

سوى عدلكم أو عدل من كان مانعاً

### سفانة ابنته من أجود نساء العرب

قال ابن الكلبي: وحدثني أبو مسكين قال: كانت سفانة بنت حاتم من أجود نساء العرب، وكان أبوها يعطيها الصرمة بعد الصرمة من إبله، فتنهبها وتعطيها الناس، فقال لها حاتم: يا بنية، إن القرنين إذا اجتمعا في المال أتلفاه، فإما أن أعطي وتمسكي، أو أمسك وتعطي؛ فإنه لا يبقى على هذا شيء.

### شعره يشبه جوده

كان حاتم من شعراء العرب، وكان جواداً يشبه شعره جوده، ويصدق قوله فعله، وكان حينما نزل عرف منزله، وكان مظفراً، إذا قاتل غلب، وإذا غنم أنهب، وإذا سئل وهب، وإذا ضرب بالقداح فاز، وإذا سبق سبق، وإذا أسر أطلق، وكان يقسم بالله ألا يقتل واحداً أمه.

وكان إذا أهل الشهر الأصم الذي كانت مضر تعظمه في الجاهلية ينحر في كل يوم عشراً من الإبل، فأطعم الناس واجتمعوا إليه، فكان ممن يأتيه من الشعراء الحطيئة، وبشر بن أبي خازم. فذكروا أن أم حاتم أوتيت وهي حبلى في المنام، فقيل لها: أغلام سمح يقال له: حاتم أحب إليك أم عشرة غلما كالناس، ليوث ساعة البأس، ليسوا بأوغال ولا أنكاس، فقالت: بل حاتم، فولدت حاتماً.

### لا يأكل إلا إذا وجد من يأكل معه

فلما ترعرع جعل يخرج طعامه، فإن وجد من يأكله معه أكل، وإن لم يجد طرحه. فلما رأى أبوه أنه يهلك طعامه قال: له الحق بالإبل، فخرج إليها، ووهب له جاريةً وفرساً وفلوها، فلما أتى الإبل طفق يبغى الناس فلا يجدهم، ويأتي الطريق فلا يجد عليه أحداً.

عبيد بن الأبرص وبشر بن أبي خازم والنابعة الذبياني يمتدحونه فيهب لهم إبل جده كلها فيبينا هو كذلك إذ بصر بركب على الطريق، فأتاهم فقالوا: يا فتى هل من قرى؟ فقال: تسألوني عن القرى وقد ترون الإبل؟ وكان الذين بصر بهم عبيد بن الأبرص، وبشر بن خازم، والنابعة الذبياني؛ وكانوا يريدون النعمان، فنحر لهم ثلاثة من الإبل، فقال عبيد: إنما أردنا بالقرى اللبن، وكانت تكفيننا بكرة إذا كنت لا بد متكلفاً لنا شيئاً، فقال حاتم: قد عرفت، ولكني رأيت وجوهاً مختلفة، وألواناً متفرقة، فظننت أن البلدان غير واحدة؛ فأردت أن يذكر كل واحد منكم ما رأى إذا أتى قومه، فقالوا فيه أشعاراً امتدحوه بها، وذكروا فضله. فقال حاتم: أردت أن أحسن إليكم فكان لكم الفضل علي، وأنا أعاهد الله أن أضرب عراقيب إبلي عن آخرها أو تقدموا إليها فتقتسموها. ففعلوا، فأصاب

الرجل تسعة وتسعين بعبيراً ، ومضوا على سفرهم إلى النعمان . وإن أبا حاتم سمع بما فعل ، فأتاه ، فقال له : أين الإبل؟ فقال: يا أبت؛ طوقتك بما طوق الحمامة مجد الدهر، وكرماً لا يزال الرجل يحمل بيت شعر أثنى به علينا عوضاً من إبلك.

فلما سمع أبوه ذلك قال: أبيلي فعلت ذلك! قال: نعم، قال: والله لا أساكنك أبداً. فخرج أبوه بأهله، وترك حاتمًا، ومعه جاريتته وفرسه وفلوها، فقال يذكر تحول أبيه عنه :

وإني لعف الفقر مشترك الغنى      وتارك شكل لا يوافقه شكلي  
وشكلي شكل لا يقوم لمثله      من الناس إلا كل ذي نيقة مثلي  
وأجعل مالي دون عرضي جنةً      لنفسي وأستغني بما كان من فضلي  
وما ضرني أن سار سعد بأهله      وأفردني في الدار ليس معي أهلي  
سيكفي ابتنائي المجد سعد بن حشرج      وأحمل عنكم كل ما ضاع من ثقل  
ولي مع بذل المال في المجد صولةً      إذا الحرب أبدت عن نواجذها العصل

وهذا شعر يدل على أن جده صاحب هذه القصة معه لا أنها قصة أبيه . وهكذا ذكر يعقوب بن السكيت، ووصف أن أبا حاتم هلك وحاتمٌ صغير، فكان في حجر جده سعد بن الحشرج، فلما فتح يده بالعطاء وأهبط ماله ضيق عليه جده ورحل عنه بأهله، وخلفه في داره، فقال يعقوب خاصة: فبينما حاتم يوماً بعد أن أهدب ماله وهو نائم إذ انتبه، وإذا حوله مائتا بغير أو نحوها تحول ويحطم بعضها بعضاً، فساقها إلى قومه، فقالوا: يا حاتم، أبق على نفسك فقد رزقت مالاً، ولا تعودن إلى ما كنت عليه من الإسراف، قال: فإنها نهي بينكم، فانتهبت، فأنشأ حاتم يقول:

تداركني مجدي بسفح متالع      فلا يبأسن ذو نومة أن يغنما

قال: ولم يزل حاتم على حاله في إطعام الطعام وإنهاب ماله حتى مضى لسبيله.

### حاتم وبنو لأم

قال ابن الأعرابي، ويعقوب بن السكيت، وسائر من ذكرنا من الرواة: خرج الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس، ومعه عطر يريد الحيرة ، وكان بالحيرة سوق يجتمع إليه الناس كل سنة . وكان النعمان بن المنذر قد جعل لبني لأم بن عمرو بن طريف بن عمرو بن ثمامة بن مالك بن جدعان بن ذهل بن رومان بن حبيب بن خارجة بن سعد بن قطنه بن طيء ربيع الطريق طعمةً لهم؛ وذلك لأن بنت سعد بن حارثة بن لأم كانت عند النعمان، وكانوا أصهاره، فمر الحكم بن أبي العاصي بحاتم بن عبد الله، فسأله الجوار في أرض طيء حتى يصير إلى الحيرة، فأجاره، ثم أمر حاتم بجزور فنحرت، وطبخت أعضاء، فأكلوا، ومع

حاتم ملحان بن حارثة بن سعد بن الحشرج وهو ابن عمه، فلما فرغوا من الطعام طيهم الحكم من طيبة ذلك. فمر حاتم بسعد بن حارثة بن لأم؛ وليس مع حاتم من بني أبيه غير ملحان، وحاتم على راحلته، وفرسه تقاد، فأتاه بنو لأم فوضع حاتم سفرته وقال: اطعموا حياكم الله، فقالوا: من هؤلاء معك يا حاتم؟ قال: هؤلاء جيران، قال له سعد: فأنت تجير علينا في بلادنا؟ قال له: أنا ابن عمكم وأحق من لم تحفروا ذمته، فقالوا: لست هناك. وأرادوا أن يفضحوه كما فضح عامر بن جوين قبله، فوثبوا إليه، فتناول سعد بن حارثة بن لأم حاتمًا، فأهوى له حاتم بالسيف فأطار أرنبة أنفه، ووقع الشر حتى تحاجزوا، فقال حاتم في ذلك:

وددت وبيت الله لو أن أنفه  
ولكنما لاقاه سيف ابن عمه  
هواء فما مت المخاط عن العظم  
فآب ومر السيف منه على الخطم

فقالوا لحاتم: بيننا وبينك سوق الحيرة فنماجدك ونضع الرهن، ففعلوا، ووضعوا تسعة أفراس هنا على يدي رجل من كلب يقال له: امرؤ القيس بن عدي بن أوس بن جابر بن كعب بن عليم بن جناب، وهو جد سكينه بنت الحسين بن علي بن أبي طالب، ووضع حاتم فرسه. حتى خرجوا حتى انتهوا إلى الحيرة، وسمع بذلك إياس بن قبيصة الطائي، فخاف أن يعينهم النعمان بن المنذر يقويهم بماله وسلطانه؛ للصهر الذي بينهم وبينه، فجمع إياس رهطه من بني حية، وقال: يا بني حية، إن هؤلاء القوم قد أرادوا أن يفضحوا ابن عمكم في مجاده، أي مماجدته فقال رجل من بني حية: عندي مائة ناقه سوداء ومائة ناقه حمراء أدماء، وقام آخر فقال: عندي عشرة حصن، على كل حصان منها فارس مدحج لا يرى منه إلا عيناه. وقال حسان بن جبلة الخير: قد علمتم أن أبي قد مات وترك كلاً كثيراً، فعلي كل خمر أو لحم أو طعام ما أقاموا في سوق الحيرة. ثم قام إياس فقال: علي مثل جميع ما أعطيتكم كلكم.

قال: وحاتم لا يعلم بشيء مما فعلوا، وذهب حاتم إلى مالك بن جبار، ابن عم له بالحيرة كان كثير المال، فقال: يا بن عم، أعني على مخايلتي. قال: والمخايلة المفاخرة، ثم أنشد:

يا مال إحدى خطوب الدهر قد طرقت  
يا مال جاءت حياض الموت واردة  
يا مال ما أنتم عنها بزحزاح  
من بين غمر فخصناه وضحضاح

فقال له مالك: ما كنت لأحرب نفسي ولا عيالي وأعطيك مالي. فانصرف عنه، وقال مالك في ذلك قوله:

إنا بنو عمكم لا أن نباعلكم  
وقد بلوتك إذ نلت الثراء فلم  
ولا نجاوركم إلا على ناح  
ألفك بالمال إلا غير مرتاح

قال أبو عمرو الشيباني في خبره: ثم أتى حاتم ابن عم له يقال له: وهم ابن عمرو، وكان حاتم يومئذ مصارماً له لا يكلمه، فقالت له امرأته: أي وهم، هذا والله أبو سفانة حاتم قد طلع، فقال: ما لنا وحاتم! أثبتني النظر،

فقلت: ها هو، قال: ويحك هو لا يكلمني، فما جاء به إلي؟ فتزل حتى سلم عليه ورد سلامه وحياه، ثم قال له: ما جاء بك يا حاتم؟ قال: خاطرت على حسبك وحسي، قال: في الرحب والسعة، هذا مالي - قال: وعدته يومئذ تسعمائة بعير - فخذها مائة مائة حتى تذهب الإبل أو تصيب ما تريد. فقلت امرأته: يا حاتم، أنت تخرجنا من مالنا، وتفضح صاحبنا - تعني زوجها - فقال: اذهبي عنك؛ فوالله ما كان الذي غمك ليردني عما قبلي. وقال حاتم:

إلا أبلغا وهم بن عمرو رسالةً  
فإنك أنت المرء بالخير أجدر  
وأيتك أدنى الناس منا قرابةً  
وغيرك منهم كنت أحب وأنصر  
إذا ما أتى يومٌ يفرق بيننا  
بموت فكن يا وهم ذو يتأخر  
ذو في لغة طيء: الذي.

قالوا: ثم قال إياس بن قبيصة: احمولني إلى الملك، وكان به نقرس، فحمل حتى أدخل عليه، فقال: أنعم صباحاً أبيت اللعن، فقال النعمان: وحياك إلهك، فقال إياس: أتمد أختانك بالمال والخيل، وجعلت بني ثعل في قعر الكنانة! أظن أختانك أن يصنعوا بحاتم كما صنعوا بعامر بن جوين، ولم يشعروا أن بني حية بالبلد؛ فإن شئت والله ناجزناك حتى يسفح الوادي دماً، فليحضروا مجادهم غداً بمجمع العرب. فعرف النعمان الغضب في وجهه وكلامه، فقال له النعمان: يا أحلمنا لا تغضب؛ فإني سأكفيك. وأرسل النعمان إلى سعد بن حارثة وإلى أصحابه: انظروا ابن عمكم حاتماً، فأرضوه، فوالله ما أنا بالذي أعطيتكم مالي تبذرونه، وما أطيق بني حية. فخرج بنو لأم إلى حاتم فقالوا له: أعرض عن هذا المجاد ندع أرش أنف ابن عمنا، قال: لا والله لا أفعل حتى تتركوا أفراسكم، ويغلب مجادكم. فتركوا أرش أنف صاحبهم وأفراسهم، وقالوا: قبحها الله وأبعدها؛ فإنما هي مقارف، فعمد إليها حاتم، وأطعمها الناس، وسقاهاهم الخمر، وقال حاتم في ذلك:

أبلغ بني لأم فإن خيولهم  
عقري وإن مجادهم لم يمجد  
ها إنما مطرت سماؤكم دماً  
ورفعت رأسك مثل رأس الأصيد  
ليكون جيرانني أكالاً بينكم  
نحلاً لكندي وسبي مزبد  
وابن النجود إذا غدا متلاطماً  
وابن العذور ذي العجان الأبرد  
ولثابت عيني جذ متماوت  
وللعمظ أوس قد عوى لمقلد  
أبلغ بني ثعل بأنني لم أكن  
أبدأ لأفعلها طوال المسند

## لاجننهم فلا وأترك صحبتي

## نهباً ولم تغدر بقائمه يدي

وخرج حاتم في نفر من أصحابه في حاجة لهم، فسقطوا على عمرو بن أوس بن طريف بن المثنى بن عبد الله بن يشجب بن عبد ود في فضاء من الأرض، فقال لهم أوس بن حارثة بن لأم: لا تعجلوا بقتله؛ فإن أصبحتم وقد أهدق الناس بكم استجرتموه، وإن لم تروا أحداً قتلتموه. فأصبحوا وقد أهدق الناس بكم استجرتموه، وإن لم تروا أحداً قتلتموه. فأصبحوا وقد أهدق الناس بهم، فاستجاروه فأجارهم، فقال حاتم:

عمرو بن أوس إذا أشياعه غضبوا

فأحرزوه بلا غرم ولا عار

إن بني عبد ود كلما وقعت

إحدى الهنات أتوها غير أعمار

## خبر لأبي الخير عند قبر حاتم

أخبرني أحمد بن محمد البزار الأطروش، عن علي بن حرب، عن هشام بن محمد، عن أبي مسكين بن جعفر بن الحرز بن الوليد، عن أبيه، قال: قال الوليد جده، وهو مولى لأبي هريرة: سمعت محرز بن أبي هريرة يتحدث، قال: كان رجل يقال له أبو الخير مر في نفر من قومه بقبر حاتم، وحوله أنصاب متقابلات من حجارة كأهمن نساء نوائح. قال: فتزلوا به، فبات أبو الخير ليلته كلها ينادي: أبا جعفر أقر أضيافك. قال: فيقال له: مهلاً؛ ما تكلم من رمة بالية! فقال: إن طبعاً يزعمون أنه لم يتزل به أحدٌ إلا قراه.

قال: فلما كان من آخر الليل نام أبو الخير، حتى إذا كان في السحر وثب فجعل يصيح: وارحلتاه! فقال له أصحابه: ويلك! ما لك! قال: خرج والله حاتم بالسيف وأنا أنظر إليه حتى عقر ناقي، قالوا: كذبت، قال: بلى، فنظروا إلى راحلته فإذا هي منخلة لا تنبعث، فقالوا: قد والله قراك. فظلوا يأكلون من لحمها، ثم أردفوه، فانطلقوا فساروا ما شاء الله، ثم نظروا إلى راكب فإذا هو عدي بن حاتم راكباً قارناً جمللاً أسود، فلحقهم، فقال: أيكم أبو الخير؟ فقالوا: هو هذا، فقال: جاعني أبي في النوم، فذكر لي شتمك إياه، وأنه قرى راحلتك لأصحابك، وقد قال في ذلك أبياتاً، ورددها حتى حفظتها؛ وهي:

أبا خير وأنت امرؤ

ظلوم العشيرة شتامها

فماذا أردت إلى رمة

ببادية صخب هامها

تبغي أذاها وإعسارها

وحولك غوث وأنعامها

وإننا لنطعم أضيافنا

من الكوم بالسيف نعتامها

وقد أمرني أن أحملك على جمل فدونكه، فأخذه وركبه، وذهبوا .

## حاتم يطلق قومه من أسر الحارث بن عمرو

أغارت طيء على إبل للنعمان بن الحارث بن أبي شمر الجفني، ويقال: هو الحارث بن عمرو، رجل من بني جفنة، وقتلوا ابناً له. وكان الحارث إذا غضب حلف ليقتلن وليسبين الذراري، فحلف ليقتلن من بني الغوث أهل بيت على دم واحد، فخرج يريد طيئاً، فاصاب من بني عدي بن أخزم سبعين رجلاً رأسهم وهم بن عمرو من رهط حاتم - وحاتم يومئذ بالحيرة عند النعمان - فأصابتهم مقدمات خيله. فلما قدم حاتم الجبلين جعلت المرأة تأتيه بالصبي من ولدها فتقول: يا حاتم أسر أبو هذا. فلم يلبث إلا ليلة حتى سار إلى النعمان ومعه ملحان بن حارثة، وكان لا يسافر إلا وهو معه، فقال حاتم:

ألا إنني قد هاجني الليلة الذكر  
وما ذاك من حب النساء ولا الأشر  
ولكنه مما أصاب عشيرتي  
وقومي بأقران حوالهم الصير  
الأقران: الحبال. والصير: الحظائر، واحدها صيرة.

ليالي نمشي بين جو ومسطح  
نشأوى لنا من كل جزر  
فيا ليت خبر الناس حياً وميتاً  
يقول لنا خيراً ويمضي الذي انتمر  
فإن كان شراً فالعزاء فإننا  
على وقعات الدهر من قبلها صبر  
جنوب السراة من مآب إلى زغر  
سقى الله رب الناس سحاً وديمةً  
له المشرب الصافي ولا يطعم الكدر  
تذكرت من وهم بن عمرو وجلادةً  
وأبشر وقر العين منك فإنني  
وإذا صرخ بك  
أحيي كريماً لا ضعيفاً ولا حصر

فدخل حاتم على النعمان فأنشده، فأعجب به، واستوهبهم منه؛ فوهب له بني امرىء القيس بن عدي، ثم أنزله فأتي بالطعام والخمر، فقال له ملحان: أتشرب الخمر وقومك في الأغلال؟ قم إليه فسله إياهم، فدخل عليه فأنشده

إن امرأ القيس أضحت من صنيعكم  
وعد شمس أبييت اللعن فاصطنعوا  
إن عدياً إذا ملكت جانبها  
من أمر غوث على مرأى ومستمع  
أتبع بني عبد شمس أمر صاحبهم  
أهلي فداؤك إن ضرروا وإن نفعوا  
لا تجعلنا أبييت اللعن ضاحية  
كعشر صلّموا الأذان أو جدعوا  
أو كالجنّاح إذا سلت قوادمه  
صار الجناح لفضل الريش يتبع

فأطلق له بني عبد شمس بن عدي بن أخزم، وبقي قيس بن جحدر بن ثعلبة بن عبد رضي بن مالك بن ذبيان بن عمرو بن ربيعة بن حرول الأحمي، وهو من لحم، وأمه من بني عدي، وهو جد الطرماح بن حكيم بن نفر بن قيس بن جحدر، فقال له النعمان: أبقني أحد من أصحابك؟ فقال حاتم:

فككت عديا كلها من إيسارها  
فأفضل وشفعني بقيس بن جحدر  
أبوه أبي والأمهات أمهاتنا  
فأنعم فدنك اليوم نفسي ومعشري  
فقال: هو لك يا حاتم، فقال حاتم:

أبلغ الحارث بن عمرو بأني  
حافظ الود مرصدًا للثواب  
ومجيبٌ دعاءه إن دعائي  
عجلاً واحداً وذا أصحاب  
إنما بيننا وبينك فاعلم  
سير تسعٍ للعاجل المنتاب  
فثلاثٌ من السراة إلى الحلة  
للخيل جاهداً والركاب  
وثلثٌ يوردين تيماء رهواً  
وثلثٌ يقربن بالأعجاب  
فإذا ما مررن في مسبطر  
فاجمخ الخي مثل جمع الكعاب  
اجمخ: ارم بهم كما يرمى بالكعاب، ويقال: إذا انتصب لك أمر فقد جمخ.

بينما ذاك أصبحت وهي عضدي  
من سبي مجموعةٍ ونهاب  
عضدي: مكسورة الأعضاء.

ليت شعري متى أرى قبةً ذا  
ت قلاعٍ للحارث الحراب  
بيفاعٍ وذاك منها محل  
فوق ملكٍ يدين بالأحساب  
أيها الموعدى فإن لبوني  
بين حقلٍ وبين هضبٍ دباب  
حيث لا أرهب الجراة وحولي  
ثعلبيون كالليوث الغضاب  
وقال حاتم أيضاً:

لم تنسني إطلال ماويةٍ يأسى  
ولا الزمن الماضي الذي مثله ينسي  
إذا غربت شمس النهار وردتها  
كما يرد الظمان آتية الخمس

### حاتم وماوية بنت عفر

قال: وكنا عند معاوية، فتذاكرنا ملوك العرب، حتى ذكرنا الزباء وابنة عفر، فقال معاوية: إني لأحب أن أسمع

حديث ماوية وحاتم، وماوية بنت عفزر، فقال رجل من القوم: أفلا أحدثك يا أمير المؤمنين؟ فقال: بلى، فقال: إن ماوية بنت عفزر كانت ملكة، وكانت تتزوج من أرادت، وإلها بعثت غلماناً لها وأمرتهم أن يأتوها بأوسم من يجدونه بالحيرة، فجاءوها بحاتم، فقالت له: استقدم إلى الفراش، فقال: حتى أخبرك، وقعد على الباب، وقال: إني أنتظر صاحبين لي، فقالت: دونك أستدخل المحمر. فقال: اسبي لم تعود المحمر، فأرسلها مثلاً.

فارتابت منه، وسقته خمراً ليسكر، فجعل يهريقه بالباب فلا تراه تحت الليل، ثم قال: ما أنا بذائق قرى ولا قار حتى أنظر ما فعل صاحباي. فقالت: إنا سنرسل إليهما بقري، فقال حاتم: ليس بنافعي شيئاً أو آتيهما. قال: فأتاهما، فقال: أفتكونان عبيد لابنة عفزر، ترعيان غنمها أحب إليكما أم تقتلكما؟ فقالا: كل شيء يشبه بعضه بعضاً، وبعض الشر أهون من بعض، فقال حاتم: الرحيل والنجاة. وقال يذكر ابنة عفزر، وأنه ليس بصاحب ربية:

وحننت قلوصي أن رأيت سوط أحمر	حننت إلى الأجدال أجدال طيء
وإن لمحيو ربعنا إن تيسرا	فقلت لها: إن الطريق أمامنا
تسامان ضيماً مستبيناص فتنظرا	فيا راكبي عليا جديدة إنما
أراه وقد أعطى الظلامه أو جرا	فما نكراه غير أن ابن ملقط
وما أنا من خلانك ابنة عفزرا	وإني لمزج للمطي على الوجا
حصانين سيالين جونا وأشقرا	وما زلت أسعى بين ناب ودارة
أنادي به آل الكبير وجعفر	لشعب من الريان أملك بابه
إذا قلت معروفاً تبدل منكرا	أحب إلي من خطيب رأيتيه
أراه لعمرى بعدنا قد تغيرا	تنادي إلى جاراتها: إن حاتماً
ولا قائل يوماً لذي العرف منكرا	تغيرت إني غير أت لربية
إذا بادر القوم الكنيف المسترا	فلا تسأليني وأسألي أي فارس
إذا الخيل جالت في فناً قد تكسرا	ولا تسأليني وأسألي أي فارس
ويصبح ضيفي ساهم الوجه أغبرا	فلاهي ما ترعى جميعاً عشارها
تخفني وتضمرب بينها أن تجزرا	متى ترني أمشي بسيفي وسطها
إذا ورق الطلح الطوال تحسرا	وإني ليغشى أبعد الحي جفنتي
إذا ما المطي بالفلاة تضورا	فلا تسأليني وأسألي به صحبتي

وإني لو هابّ قطوعي وناقتي  
 إذا ما انتشيت، والكميت المصدراً  
 وإني كأشلاء اللجام ولن تري  
 أذا الحرب إلا ساهم الوجه أغبراً  
 أخو الحرب إن عضت به الحرب عضها وإن شمرت عن ساقها الحرب شمراً  
 وإني إذا ما الموت لم يك دونه  
 قدى الشبر أحمى الأنف أن أتأخراً  
 متى تبغ وداً من جديلة تلقه  
 مع الشنء منه باقياً متأثراً  
 فالإيفادونا جهاراً نلاقهم  
 لأعدائنا رداءً دليلاً ومنذراً  
 إذا حال دوني من سلامان رملةً  
 وجدت توالي الوصل عندي أبتراً

وذكروا أن حاتمًا دعت نفسه إليها بعد انصرافه من عندها، فأتاها يخطبها فوجد عندها النابغة ورجلاً من الأنصار من النبيت ، فقالت لهم: انقلبوا إلى رحالكم، وليقل كل واحد منكم شعراً يذكر فيه فعاله ومنصبه، فإني أتزوج أكرمكم وأشعركم.

فانصرفوا ونحر كل واحد منهم جزوراً، ولبست ماوية ثياباً لأمة لها وتبعتهم، فأنت النبيتي فاستطعمته من جزوره فأطعمها ثيل جملة فأخذته، ثم أتت نابغة بني ذبيان فاستطعمته فأطعمها ذنب جزوره فأخذته، ثم أتت حاتمًا وقد نصب قدره فاستطعمته، فقال لها: قفي حتى أعطيك ما تنتفعين به إذا صار إليك، فانتظرت فأطعمها قطعاً من العجز والسنام، ومثلها من المخدش، وهو عند الحارك ، ثم انصرفت، وأرسل كل واحد منهم إليها ظهر جملة، وأهدى حاتم إلى جارتما مثل ما أرسل إليها، لا ولم يكن يترك جاراته إلا بمهدية. وصبحوها فاستنشدهم فانشدها النبيتي :

هلا سألت النبيتين ما حسبي  
 عند الشتاء إذا ما هبت الريح  
 ورد جازرهم حرفاً مصرمة  
 في الرأس منها وفي الأصلاء تمليح  
 وقال رائدهم : سيان ما لهم  
 مثلان مثل لمن يرعى وتسريح  
 إذا اللقاح غدت ملقى أصرتها  
 ولا كريم من الولدان مصبوح

فقالت له: لقد ذكرت مجهدة .

ثم استنشدت النابغة، فأنشدها يقول :

هلا سألت بني ذبيان ما حسبي  
 إذا الدخان تغشى الأشمط البرما  
 وهبت الريح من تلقاء ذي أرل  
 تزجي مع الليل من صرادها الصرما  
 إني أتمم أيساري وأمنحهم  
 مثنى الأيادي وأكسو الجفنة الأدماء

فلما أنشدها قالت: ما ينفك الناس بخير ما اتتدموا.  
ثم قالت: يا أبا طيء أنشدني، فأنشدها :

أماوي قد طال التجنب والهجر  
وقد عذرتني في طلبكم العذر  
أماوي إن المال غادٍ ورائح  
ويبقى من المال الأحاديث والذكر  
أماوي إني لا أقول لسائلٍ  
إذا جاء يوماً: حل في مالنا النذر  
أماوي إما مانعٌ فمبين  
وإما عطاءٌ لا ينهيه الزجر  
أماوي ما يغني الثراء عن الفتى  
إذا أنا دلاني الذين أحبهم  
وراحوا سراعاً ينفضون أكفهم  
بملحودة زلج جوانبها غبر  
أماوي إن يصبح صداي بقفرةٍ  
يقولون: بقدمي أنا ملنا الحفر  
أماوي إن ما أنفقت لم يك ضرني  
من الأرض لا ماء لدي ولا خمر  
أماوي إني رب واحد أمه  
وأن يدي مما بخلت به صفر  
أماوي إن رب واحد أمه  
أخذت فلا قتلٌ عليه ولا أسر  
وقد علم الأقوام لو أن حاتماً  
أراد ثراء المال كان له وفر  
فإني لا آلو بمالي صنعيةً  
فأوله زادٌ وآخره ذخر  
يفك به العاني ويؤكل طيباً  
وما إن تعرته القداح ولا الخمر  
ولا أظلم ابن العم إن كان إخوتي  
شهوداً وقد أودى بإخوته الدهر  
غنيا زماناً بالتصعلك والغنى  
وكلاً سقناه بكأسهما العصر  
فما زادنا بغياً على ذي قرابةٍ  
غنانا ولا أزرى بأحسابنا الفقر  
وما ضر جاراً يابنة القوم فاعلمي  
يجاورني ألا يكون له ستر  
بعيني عن جارات قومي غفلةً  
وفي السمع مني عن حديثهم وقر

فلما حاتم من إنشاده دعت بالغاء، وكانت قد أمرت إماءها أن يقدمن إلى كل رجل منهم ما كان أطعمها،  
فقدمن إليهم ما كانت أمرهن أن يقدمنه إليهم، فنكس النبيي رأسه والنابعة، فلما نظر حاتم إلى ذلك رمى بالذي  
قدم إليهما، وأطعمهما مما قدم إليه، فتسللا لواءاً، وقالت: إن حاتماً أكرمكم وأشعركم.  
فلما خرج النبيي والنابعة قالت لحاتم: حل سبيل امرأتك، فأبى، فزودته وردته. فما انصرف دعت نفسه إليها،  
وماتت امرأته، فخطبها فتزوجته، فولدت عدياً.

### إسلام عدي بن حاتم

وقد كان عدي أسلم وحسن إسلامه، فبلغنا أن النبي صلى الله عليه وسلم قال له، وقد سأله عدي: يا رسول الله، إن أبي كان يعطي ويحمل، ويوفي بالذمة، ويأمر بمكارم الأخلاق؛ فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن أباك خشبة من خشبات جهنم.

فكأن النبي صلى الله عليه وسلم رأى الكآبة في وجهه، فقال له: يا عدي إن أباك وأبي وأبا إبراهيم في النار.

### ماوية وحاتم وابن عمه مالك

وكانت ماوية عنده زماناً، وإن ابن عم لحاتم كان يقال له: مالك قال لها: ما تصنعين بحاتم؟ فوالله لئن وجد شيئاً ليلتلفه، وإن لم يجد ليتكلفن، وإن مات ليركن ولده عيالاً على قومك، فقالت ماوية: صدقت، إنه كذلك. وكان النساء - أو بعضهن - يطلقن الرجال في الجاهلية، وكان طلاقهن أنهن إن كن في بيت من شعر حولن الخباء؛ فإن كان بابه قبل المشرق حولنه قبل المغرب، وإن كان بابه قبل اليمين حولنه قبل الشام؛ فإذا رأى ذلك الرجل علم أنها قد طلقت فلم يأتمها. وإن ابن عم حاتم قال لماوية - وكانت أحسن نساء الناس - : طلقي حاتمًا، وأنا أنكحك وأنا خير لك منه، وأكثر مالاً، وأنا أمسك عليك وعلى ولدك؛ فلم يزل بها حتى طلقت حاتمًا، فأتاها حاتم وقد حولت باب الخباء، فقال: يا عدي، ما ترى أمك عدي عليها؟ قال: لا أدري، غير أنها قد غيرت باب الخباء، وكأنه لم يلحن لما قال، فدعاه فهبط به بطن واد، وجاء قومٌ فزلوا على باب الخباء كما كانوا يتزلون، فتوافوا خمسين رجلاً، فضاقت بهم ماوية ذرعاً، وقالت لجارتها: اذهبي إلى مالك فقولي له: إن أضيافاً لحاتم قد نزلوا بنا خمسين رجلاً فأرسل بناب نقرهم ولبن نغيقهم، وقالت لجارتها: انظري إلى جبينه وفمه فإن شافهك بالمعروف فاقبلي منه، وإن ضرب بلحيته على زوره، وأدخل يده في رأسه فاقبلي ودعيه، وإها لما أتت مالكاً وجدته متوسداً وطباً من لبن وتحت بطنه آخر، فأيقظته فأدخل يده في رأسه وضرب بلحيته على زوره، فأبلغته من أرسلتها به ماوية، وقالت: إنما هي الليلة حتى يعلم الناس مكانه.

فقال لها: اقربي عليها السلام، وقولي لها: هذا الذي أمرتك أن تطلقي حاتمًا فيه، فما عندي من كبيرة قد تركت العمل، وما كنت لأنحر صفية غزيرة بشحم كلاها، وما عندي لبنٌ يكفي أضياف حاتم.

فرجعت الجارية فأخبرتها بما رأت منه، وما قال؛ فقالت: انت حاتمًا فقولي: إن أضيافك قد نزلوا الليلة بنا، ولم يعلموا بمكانك. فأرسل إلينا بناب ننحرها ونقرهم ولبن نسقهم؛ فإنما هي الليلة حتى يعرفوا مكانك.

فأتت الجارية حاتمًا فصرخت به.

فقال حاتم: لبيك، قريباً دعوت. فقالت: إن ماوية تقرأ عليك السلام وتقول لك: إن أضيافك قد نزلوا بنا الليلة، فأرسل إليهم بناب ننحرها ولبن نسقهم. فقال: نعم وأبي. ثم قام إلى الإبل فأطلق ثنيتين من عقاليهما، ثم صاح

بهما حتى أتى الخباء فضرب عراقبيهما، فطفقت ماوية تصيح وتقول: هذا الذي طلقتك فيه، تترك ولدك وليس لهم شيء، فقال حاتم :

هل الدهر إلا اليوم أو أمس أو غد  
يرد علينا ليلةً بعد يومها  
كذاك الزمان بيننا يتردد  
لنا أجلٌ إما تناهى أمامه  
فلا نحن ما نبقي ولا الدهر ينفد  
بنو ثعلٍ قومي فما أنا مدعٍ  
فنحن على آثاره نتورد  
بدرئهم أغشى دروء معاشرٍ  
سواهم إلى قوم وما أنا مسند  
فمهلاً فذاك اليوم أمي وخالتي  
ويحنف عني الأبلخ المتعمد  
على حين أن ذكيت واشتد جانبي  
فلا يأمرني بالدنية أسود  
فهل تركت قبلي حضور مكانها!  
أسام التي أعيبت إذ أنا أمرد  
ومعتسفٍ بالرمح دون صحابه  
وهل من أتى ضيماً وخسفاً مخدلاً!  
فخر على حر الجبين وذاده  
تعسفته بالسيف والقوم شهد  
فما رمته حتى أزحت عويصه  
إلى الموت مطرور الوقيعة مذود  
وحتى علاه حالك اللون أسود  
فأقسمت لا أمشي على سر جارتني  
يد الدهر ما دام الحمام يغرد  
ولا أشتري مالاً بغدرٍ علمته  
ألا كل مالٍ خالط الغدر أنكد  
إذا كان بعض المال رباً لأهله  
فإني بحمد الله ما لي معبد  
يفك به العاني ويؤكل طيباً  
ويعطى إذا ضن البخيل المصدرد  
إذا ما البخيل الخب أحمده ناره  
أقول لمن يصلى بناري: أوقدوا  
توسع قليلاً أو يكن ثم حسبنا  
وموقدها البادي أعف وأحمد  
كذلك أمور الناس راضٍ دنيةً  
وسامس إلى فرع العلا متورد  
فمنهم جوادٌ قد تلفت حوله  
ومنهم لئيم دائم الطرف أقود  
واعٍ دعاني دعوةً فأجبتّه  
وهل يدع الداعين إلا اليلندد

حاتم ونساء من عنزة

أسرت عترة حاتمًا، فجعل نساء عترة يدارئن بعيراً ليفصدنه فصعفن عنه، فقلن: يا حاتم، أفاصده أنت إن أطلقنا يديك؟ قال: نعم. فأطلقن إحدى يديه، فوجأ لبتة فاستدمينه . ثم إن البعير عضد، أي لوى عنقه، أي خر، فقلن: ما صنعت؟ قال: هكذا فصادتي، فجرت مثلاً. قال: فلطمته إحداهن، فقال: ما أتت نساء عترة بكرام، ولا ذوات أحلام. وإن امرأةً منهن يقال لها: عاجزة أعجبت به، فأطلقته؛ ولم ينقموا عليه ما فعل، فقال حاتم يذكر البعير الذي فصدته :

## كذلك فصدي إن سألت مطيبي دم الجوف إذ كل الفصاد وخيم

### جوده وهو غلام

أقبل ركبٌ من بني أسد ومن قيس يريدون النعمان، فلقوا حاتمًا، فقالوا له: إنا تركنا قومنا يتنون عليك خيراً، وقد أرسلوا إليك رسولاً برسالة. قال: وما هي؟ فأنشده الأسدون شعراً لعبيد ولبشر بمدحانه، وأنشد القيسيون شعراً للنابغة، فلما أنشدوه قالوا: إنا نستحي أن نسألك شيئاً، وإن لنا حاجة، قال: وما هي؟ قالوا: صاحب لنا قد أرحل، فقال حاتم: خذوا فرسي هذه فاحملوا عليها صاحبكم. فأخذوها وربطت الجارية فلوها بثوبها، فأقلت، فاتبعته الجارية، فقال حاتم: ما تبعكم من شيء فهو لكم، فذهبوا بالفرس والفلو والجارية. وإهم وردوا على أبي حاتم، فعرف الفرس والفلو، فقال: ما هذا معكم؟ فقالوا: مررنا بغلامٍ كريمٍ فسألناه، فأعطى الجسيم.

### رواية أخرى في خبر أبي الخبيري

قال: وكنا عند معاوية فتذاكرنا الجود، فقال رجل من القوم: أجود الناس حياً وميتاً حاتم، فقال معاوية: وكيف ذلك؟ فإن الرجل من قريش ليعطى في المجلس ما لم يملكه حاتم قط ولا قومه، فقال: أخبرك يا أمير المؤمنين، أن نفراً من بني أسد مروا بقر حاتم، فقالوا: لنبخلنه ولنخبرن العرب أنا نزلنا بحاتم، فلم يقرنا، فجعلوا ينادون: يا حاتم ألا تقري أضيافك! وكان رئيس القوم رجل يقال له: أبا الخبيري، فإذا هو بصوت ينادي في جوف الليل:

## أبا خبيري وأنت امرؤٌ ظلوم العشيبة شتامها

إلى آخرها، فذهبوا ينظرون؛ فإذا ناقة أحدهم تكوس على ثلاثة أرجل عقيراً. قال: فعجب القوم من ذلك جميعاً.

### حاتم وأوس بن سعد

وكان أوس بن سعد قال للنعمان بن المنذر: أنا أدخلك بين جبلي طيء حتى يدين لك أهلهما، فبلغ ذلك حاتمًا، فقال :

## ولقد بغى بخلاذ أوس قومه ذلاً وقد علمت بذلك سنبس

حاشا بني عمرو بن سننيس إنهم  
وتواعدوا ورد القرية غدوةً  
والله يعلم لو أتى بسلافهم  
كالنار والشمس التي قالت لها  
لا تطعمن الماء إن أوردتهم  
أو ذو الحصين وفارسٌ ذو مرة  
وموطاً الأكناف غير ملعن

منعوا ذمار أبيهم أن يدينسوا  
وحلفت بالله العزيز لنحبس  
طرف الجريض لظل يومٌ مشكس  
بيد اللويسم عالماً ما يلمس  
لتمام ظمئكم ففوزوا واحلسوا  
بكتيبةٍ من يدركوه يفرس  
فيالحي مشاء إليه المجلس

### شعره في مدح بني بدر

قال: وجاور في بني بدر زمن احتربت جديلة وثعل، وكان ذلك زمن الفساد، فقال بمدح بني بدر:

إن كنت كارهةً معيشتنا  
جاورتهم زمن الفساد فنع  
فسقيت بالماء النмир ولم  
الضاربين لدى أعنتهمه  
الخالطين نحيثهم بنضارهم

هاتي فحلي في بني بدر  
م الحي في العوصاء واليسر  
ينظر إلي بأعين جزر  
والطاعنين وخیلهم تجري  
وذوي الغنى منهم بذوي الفقر

### يقيم مكان أسير في قيده ويطلقه

وزعموا أن حاتمًا خرج في الشهر الحرام يطلب حاجةً، فلما كان بأرض عترة ناداه أسير لهم: يا أبا سفانة؛ أكلني الإسار والقمل، قال: ويلك! والله ما أنا في بلاد قومي، وما معي شيء، وقد أسأت بي إذ نوهت باسمي، ومالك مترك. فسأوم به العتريين فاشتراه منهم، فقال: خلوا عنه وأنا أقيم مكانه في قيده حتى أؤدي فداءه، ففعلوا، فأتي بفدائه.

### ماوية تتحدث عن كرمه

وحدث الهيثم بن عدي، عن حدثه، عن ملحان ابن أخي ماوية امرأة حاتم، قال: قلت لماوية: يا عمه، حدثيني ببعض عجائب حاتم، فقالت: كل أمره عجب، فعن أية تسأل؟ قال: قلت: حدثيني ما شئت، قالت: أصابت الناس سنة، فأذهبت الخف والظلف، فإني وإياه ليلةً قد أسهرنا الجوع، قالت: فأخذ عدياً وأخذت سفانة،

وجعلنا نعللها حتى ناما، ثم أقبل علي يحدثني ويعليني بالحديث كي أنام، فرققت له لما به من الجهد، فأمسكت عن كلامه لينام، فقال لي: أمنت؟ مراراً، فلم أحب، فسكت فنظر في فتق الخباء فإذا شيء قد أقبل، فرفع رأسه فإذا امرأة، فقال: ما هذا؟ قالت: يا أبا سفانة؛ أتيتك نم عند صببية يتعاونون كالذئاب جوعاً، فقال: أحضريني صبيانك، فوالله لأشبعنهم. قالت: فقمتم سريعاً فقلت: بماذا يا حاتم! فوالله ما نام صبيانك من الجوع إلا بالتعليل فقال: والله لأشبعن صبيانك مع صبياتها.

فلما جاءت قام إلى فرسه فذبحها، ثم قدح ناراً ثم أحجها، ثم دفع إليها شفرة، فقال: اشتوي وكلي، ثم قال: أيقظي صبيانك. قالت: فأيقظتهم، ثم قال: والله إن هذا للؤم، تأكلون وأهل الصرم حالهم مثل حالكم! فجعل يأتي الصرم بيتاً بيتاً فيقول: انهضوا عليكم بالنار. قال: فاجتمعوا حول تلك الفرس، وتقنع بكسائه فجلس ناحية، فما أصبحوا ومن الفرس على الأرض قليل ولا كثير إلا عظم وحافر، وإنه لأشد جوعاً منهم، وما ذاقه.

### حاتم ومحرق

أتى حاتم ومحرقاً فقال له محرق: بايعني، فقال له: إن لي أخوين ورائي، فإن يأذنا لي أبايعك وإلا فلا، قال: فاذهب إليهما، فإن أطاعك فأتني بهما، وإن أيا فأذن بحرب. فلما خرج حاتم قال:

وعدوى وغي ما يقول مواسل

أتاني من الريان أمس رسالة

كذلك عما أحدثنا أنا سائل

هما سألاني: ما فعلت؟ وإنني

فقالا: بخير كل أرضك سائل

فقلت: ألا كيف الزمان عليكما؟

فقال محرق: ما أخواه؟ قال: طرفا الجبل، فقال: ومحلوفه لأجلن مواسلاً الريط مصبوغات بالزيت، ثم لأشعلنه بالنار. فقال رجل من الناس: جهل مرتقى بين مداخل سبلات. فلما بلغ ذلك محرقاً قال: لأقدم عليك قريتك. ثم إنه أتاه رجل، فقال له: إنك إن تقدم القرية تهلك. فانصرف ولم يقدم.

### حاتم وأسير له

غزت فرارة طيباً وعليهم حصين بن حذيفة، وخرجت طيء في طلب القوم، فلحق حاتم رجلاً من بدر، فطعنه ثم مضى، فقال: إن مر بك أحد فقل له: أنا أسير حاتم. فمر به أبو حنبل، فقال: من أنت؟ قال: أنا أسير حاتم. فقال له: إنه يقتلك، فإن زعمت لحاتم أو لمن سألك أبي أسرتك، ثم صرت في يدي خليت سبيلك، فلما رجعوا قال حاتم: يا أبا حنبل خل سبيل أسيري، فقال أبو حنبل: أنا أسرتك، فقال حاتم: قد رضيت بقوله، فقال: أسرني أبو حنبل، فقال حاتم:

ألا من بني بدر أنتك الغوائل

إن أباك الجون لم يك غادراً

## صوت

وهاجرة من دون مية لم تقل

قلوصي بها والجندب الجون يرمح

بتيهاء مقفار يكاد ارتكاضها

بال الضحى والهجر بالطرف يمصح

- الهجر ها هنا مرفوع بفعله، كأنه قال: يكاد ارتكاضها بالآل يمصح بالطرف، هو والهجر. ويمصح: يذهب بالطرف -:

كأن الفرند المحض معصوبةً به

ذرا قورها ينقد عنها وينصح

إذا ارفض أطراف السياط وهلت

جروم المهاري عد منهن صيدح

عروضه من الطويل.

المهاجرة: تكون وقت الزوال. والجندب: الجرادة. والجون: الأسود. والجون: الأبيض أيضاً: وهو من الأضداد. وقوله: يرمح، أي يتزو من شدة الحر لا يكاد يستقر على الأرض. والتيهاء من الأرض: التي يتاه فيها. والمقفار: التي لا أحد فيها ولا ساكن بها. ذكر ذلك أبو نصر عن الأصمعي. وارتكاضها؛ يعني ارتكاض هذه التيهاء، وهو نزوها بالآل، والآل: السراب. والهجر والمهاجرة واحد. وقوله: الهجر بالطرف يمصح، رفع الهجر بفعله كأنه قال: يكاد ارتكاضها بالآل يمصح بالطرف، هو والهجر. يمصح: يذهب بالطرف. والفرند: الحرير الأبيض. والمحض: الخالص. يقول: كأن هذا السراب حرير أبيض، وقد عصبت به ذرى قورها، وهي الجبال الصغار والواحدة قارة، فتارة يغطيها وتارة ينجاب عنها وينكشف، فكأنه إذا انكشف عنها ينقد عنها، وكأنه إذا غطاها ينصح عنها؛ أي يخاط. ويقال: نصحت الثوب، إذا خطته، والناصح: الخياط، والنصاح: الخيط. وقوله: ارفض أطراف السياط، يعني أهما انفتحت أطرافها من طول السفر؛ وأصل الارفضاض التفرق. والجروم: الأبدان، واحدها جرم، بالكسر. وقوله: هللت جروم المطايا، يعني أهما صارت كالأهلة في الدقة. وصيدح: اسم ناقته. الشعر لذي الرمة، والغناء لإبراهيم الموصلي ماخوري بالوسطى.

## الجزء الثامن عشر

### ذكر ذي الرمة وخبره

#### نسبه

اسمه غيلان بن عقبة بن مسعود بن حارثة بن عمرو بن ربيعة بن ملكان بن عدي بن عبد مناة بن أد طابخة بن إلياس بن مضر.

#### أقوال في سبب تلقيبه ذا الرمة

وقال ابن سلام: هو غيلان بن عقبة بن بهيش بن مسعود بن حارثة بن عمرو بن ربيعة بن ملكان. ويكنى أبا الحارث وذو الرمة لقب. يقال: لقبته به مية وكان اجتاز بجبائها وهي جالسة إلى جنب أمها فاستسقاها ماء قالت لها أمها: قومي فاسقيه. وقيل: بل حرق أدواته لما رآها وقال لها: احزري لي هذه فقالت: والله ما أحسن ذلك فإني لخرقاء. قال: والخرقاء التي لا تعمل بيدها شيئاً لكرامتها على قومها فقال لأمها: مريها أن تسقيني ماء فقالت لها: قومي يا خرقاء فاسقيه ماءً فقامت فأنته بماء وكانت على كتفه رمة وهي قطعة من جبل فقالت: اشرب يا ذا الرمة فلقب بذلك.

وحكى ابن قتيبة أن هذه القصة حرت بينه وبين خرقاء العامرية.

وقال ابن حبيب: لقب ذا الرمة لقوله: أشعث باقي رمة التقليد وقيل: بل كان يصيبه في صغره فزغ فكتبت له تيممة فعلقها بجبل فلقب بذلك ذا الرمة.

ونسخت من كتاب محمد بن داود بن الجراح: حدثني هارون بن محمد بن عبد الملك الزيات عن محمد بن صالح العدوي عن أبيه وعن أشياخه وعدة من أهل البادية من بني عدي منهم زرعة بن أذبول وابنه سليمان وأبو قيس وتميم وغيرهم من علمائهم: أن أم ذي الرمة جاءت إلى الحصين بن عبدة بن نعيم العدوي وهو يقرئ الأعراب بالبادية احتساباً بما يقيم لهم صلاحهم فقالت له: يا أبا الخليل إن ابني هذا يروع بالليل فاكتب لي معاذةً أعلقها على عنقه فقال لها: اثني برق أكتب فيه قالت: فإن لم يكن فهل يستقيم في غير رق أن يكتب له قال: فجئتني بجلد فأنته بقطعة جلد غليظ فكتب له معاذة فيه فعلقته في عنقه فمكث دهرًا. ثم إنها مرت مع ابنها لبعض حوائجها بالحصين وهو جالس في ملاء من أصحابه ومواليه فذنت منه فسلمت عليه وقالت: يا أبا الخليل ألا تسمع قول غيلان وشعره قال: بلى. فتقدم فأنشده وكانت المعاذة مشدودةً على يساره في جبل أسود فقال الحصين: أحسن ذو الرمة فغلبت عليه.

## كان له إخوة كلهم شعراء

وقال الأصمعي: أم ذي الرمة امرأة من بني أسد يقال لها ظبية وكان له إخوة لأبيه وأمه شعراء منهم مسعود وهو الذي يقول يرثي أخاه ذا الرمة ويذكر ليلى بنته:

إلى الله أشكو لا إلى الناس أنني      وليلى كلانا موجع مات وافده

ولمسعود يقول ذو الرمة: صوت

أقول لمسعود بجرعاء مالك      وقد هم دمعي أن تسح أوائله  
ألا هل ترى الأظعان جاوزن مشرفاً      من الرمل أو سالت بهن سلسله

غنى فيه يحيى بن المكي ثاني ثقيل بالوسطى على مذهب إسحاق من رواية عمرو. ومسعود الذي يقول يرثي أخاه أيضاً ذا الرمة ويرثي أوفى بن دهم ابن عمه وأوفى هذا أحد من يروى عنه الحديث.

وقال هارون بن الزيات: أخبرني ابن حبيب عن ابن الأعرابي قال: كان لذي الرمة إخوة ثلاثة: مسعود وجرفاس وهشام كلهم شعراء وكان الواحد منهم يقول الأبيات فيبني عليها ذو الرمة أبياتاً أخر فينشدها الناس فيغلب عليها لشهرته وتنسب إليه:

نعى الركب أوفى حين آبت ركابهم      لعمرى لقد جاءوا بشر فأوجعوا  
نعوا باسق الأخلاق لا يخلفونه      تكاد الجبال الصم منه تصدع  
خوى المسجد المعمور بعد ابن دهم      فأضحى بأوفى قومه قد تضعضعوا  
تعزيت عن أوفى بغيلان بعده      عزاءً وجفن العين ملآن مترع  
ولم تنسني أوفى المصيبات بعده      ولكن نكاء القرع بالقرع أوجع

وأخوه الآخر هشام وهو رباه وكان شاعراً. ولذي الرمة يقول:

أغيلان إن ترجع قوى الود بيننا      فكل الذي ولى من العيش راجع  
فكن مثل أقصى الناس عندي فإنني      بطول التنائى من أخي السوء قانع

وقال ذو الرمة لهشام أخيه:

أغر هشاماً من أخيه ابن أمه      قوادم ضأنٍ أقبلت وربيع  
وهل تخلف الضأن الغزار أخوا      الندى إذا حل أمرٌ في الصدور فظيع

فأجابه هشام فقال:

إذا بان مالي من سوامك لم يكن إليك ورب العالمين رجوع  
فأنت الفتى ما اهتز في الزهر الندى وأنت إذا اشتد الزمان ممنوع

### ذو الرمة وأخوه مسعود وشعرهما في ظبية

#### سنحت لهما

وذكر المهلب عن أبي كريمة النحوي قال: خرج ذو الرمة يسير مع أخيه مسعود بأرض الدهناء فسنحت لهما ظبية فقال ذو الرمة:

أقول لدهناوية عوهج جرت لنا بين أعلى برقة بالصرائم  
أيا ظبية الوعساء بني جلالٍ وبين النقا أنت أم أم سالم!

وقال مسعود:

جعلت لها قرنين فوق قصاصها وظلفين مسودين تحت القوائم

وقال ذو الرمة:

هي الشبه لولا مذرواها وأذنها سواء ولولا مشقة في القوائم

#### وكان طفيلياً

وكان ذو الرمة كثيراً ما يأتي الحضر فيقيم بالكوفة والبصرة وكان طفيلياً. أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال: حدثني الحسن بن علي قال: حدثني ابن سعيد الكندي قال: سمعت ابن عياش يقول: حدثني من رأى ذا الرمة طفيلياً يأتي العرسات.

#### بعض صفاته

نسخت من كتاب محمد بن داود بن الجراح: حدثني هارون بن الزيات قال: أخبرني محمد بن صالح العدوي قال: قال أبو زرعة بن أذبول: كان ذو الرمة مدور الوجه حسن الشعر جعداً أفتى أنزع خفيف العارضين أكحل حسن الضحك مفوهاً إذا كلمك أبلغ الناس يضع لسانه حيث يشاء. قال حماد بن إسحاق: حدثني إدريس بن سليمان بن يحيى بن أبي حصفة عن عمته عافية وغيرها من أهله: أنهم رأوا ذا الرمة باليمامة عند المهاجر بن عبد الله شيخاً أجناً سناً متساقطاً. وقال هارون بن الزيات: حدثني علي بن أحمد الباهلي قال: حدثني ربيع النميري قال: اجتمع الناس مرةً وتحلقوا على ذي الرمة وهو ينشدهم فجاءت أمه فاطلت من بينهم فإذا رجل قاعد وهو ذو الرمة. وكان دميماً شختاً

أجنأ فقلت أمه: استمعوا إلى شعره ولا تنظروا إلى وجهه. قال هارون: وأخبرني يعقوب بن السكيت عن أبي عدنان قال: أخبرني أسيد الغنوي قال: سمعت بباديتنا من قوم هضبوا في الحديث أن ذا الرمة كان ترعية وكان كناز اللحم مربوعاً قصيراً وكان أنفه ليس بالحسن.

### الفرزدق وجريير يحسدانه

أخبرني ابن عمار عن سليمان بن أبي شيخ عن أبيه عن صالح بن سليمان قال: كان الفرزدق وجريير يحسدان ذا الرمة وأهل البادية يعجبهم شعره.

قال: وكان صالح بن سليمان روايةً لشعر ذي الرمة فأنشد يوماً قصيدةً له وأعرابي من بني عدي يسمع فقال: أشهد عنك - أي أنك - لفقيهٍ تحسن ما تتلوه وكان يحسبه قرآناً.

### إعجاب الكميت بشعره

نسخت من كتاب محمد بن داود: وحدثني هارون بن الزيات عن محمد بن صالح العدوي قال: قال حماد الراوية: قال الكميت حين سمع قول ذي الرمة:

أعاذل قد أكثرت من قول قائلٍ وعيبٌ على ذي الود لوم العواذل

هذا والله ملهم وما علم بدوي بدقائق الفطنة وذخائر كتر العقل المعد لذوي الألباب! أحسن ثم أحسن. قال محمد بن صالح: وحدثني محمد بن كناسة بذلك عن الكميت وقال: لما أنشده قوله في هذه القصيدة:

دعاني وما داعي الهوى من بلادها إذا ما نأت خرقاء عني بغافل

فقال الكميت: لله بلاد هذا الغلام! وما أحسن قوله! وما أجود وصفه! ولقد شفيع البيت قال ابن كناسة: وقال لي حماد الراوية: ما أحر القوم ذكره إلا لحدائة سنه وأهم حسدوه.

### آراء قيلت في شعره

قال محمد بن صالح: وقال لي خالد بن كلثوم وأبو عمرو: قال أبو حزام وأبو المطرف: لم يكن أحد من القوم في زمانه أبلغ من ذي الرمة ولا أحسن جواباً كان كلامه أكثر من شعره.

وقال الأصمعي: ما أعلم أحداً من العشاق الحضريين وغيرهم شكوا حبا أحسن من شكوى ذي الرمة مع عفةٍ وعقلٍ رصين.

قال: وقال أبو عبيدة: ذو الرمة يخبر فيحسن الخبر ثم يرد على نفسه الحججة من صاحبه فيحسن الرد ثم يعتذر فيحسن التخلص مع حسن إنصافٍ وعفافٍ في الحكم.

أخبرني الحسن بن علي قال: حدثنا أبو أيوب المدني قال: حدثنا الفضل بن إسحاق الهاشمي عن مولى لجدته قال: رأيت ذا الرمة بسوق المبرد وقد عارضه رجلٌ يهزأ به فقال له: يا أعرابي أتشهد بما لم تر قال: نعم قال: بماذا قال: أشهد أن أباك ناك أمك.

أخبرني محمد بن العباس اليزيدي قال: حدثني عمي عبيد الله عن ابن حبيب عن عمارة بن عقيل قال: كان جرير عند بعض الخلفاء فسأله عن ذي الرمة فقال: أخذ من طريف الشعر وحسنه ما لم يسبقه إليه أحد غيره. أخبرني وكيع عن حماد بن إسحاق قال: قال حماد الراوية: قدم علينا ذو الرمة الكوفة فلم أر أفصح ولا أعلم بغريب منه.

نسخت من كتاب ابن النطاح: حدثني أبو عبيدة عن أبي عمرو قال: حتم الشعر بذوي الرمة وختم الرجز برؤية. قال: فما تقول في هؤلاء الذين يقولون قال: كلُّ على غيرهم إن قالوا حسناً فقد سبقوا إليه وإن قالوا قبيحاً فمن عندهم.

أخبرني الحسن بن علي قال: حدثنا أحمد بن الحارث الخراز عن المدائني عن بعض أصحابه عن حماد الراوية قال: أحسن الجاهلية تشبيهاً امرؤ القيس وذو الرمة أحسن أهل الإسلام تشبيهاً. أخبرني محمد بن العباس اليزيدي عن عمه عبيد الله عن ابن حبيب عن عمارة بن عقيل: أن جريراً والفرزدق اتفقا عند خليفة من خلفاء بني أمية فسأل كل واحد منهما على انفراد عن ذي الرمة فكلاهما قال: أخذ من طريف الشعر وحسنه ما لم يسبقه إليه غيره فقال الخليفة: أشهد لاتفاقكما فيه أنه أشعر منكما جميعاً. أخبرني جحظة عن حماد بن إسحاق قال: حدثني أبي قال: أنشد الصقيل شعر ذي الرمة فاستحسنه وقال: ماله قاتله الله! ما كان إلا ربيعة هلا عاش قليلاً!

وقال هارون بن محمد: أخبرني علي بن أحمد الباهلي قال: حدثني محمد بن إسحاق البلخي عن سفيان ابن عيينة عن ابن شبرمة قال: سمعت ذا الرمة يقول: إذا قلت: كأنه ثم لم أجد مخرجاً فقطع الله لساني. قال هارون: وحدثني العباس بن ميمون طائع قال: قال الأصمعي: كان ذو الرمة أشعر الناس إذا شبه ولم يكن بالمفلق.

وحدثني أبو خليفة عن محمد بن سلام قال: كان لذي الرمة حظ في حسن التشبيه لم يكن لأحد من الإسلاميين كان علماً أو يقولون: أحسن الجاهلية تشبيهاً امرؤ القيس وأحسن أهل الإسلام تشبيهاً ذو الرمة. أخبرني محمد بن يزيد قال: حدثنا حماد عن أبيه عن أبي عقيل عمارة بن عقيل عن عمته أم القاسم ابنة بلال بن جرير عن جارية كانت لأُم مي قالت: كنا نازلين بأسفل الدهناء وكان رهط ذي الرمة مجاورين لنا فجلست مية - وهي حينئذ فتاة حين نهد ثديها أحسن من رأيته - تغسل ثياباً لها ولأمها في بيت منفرد وكان بيتاً رثاً قد أخلق ففيه خروق فلما فرغت ولبست ثيابها جاءت فجلست عند أمها فأقبل ذو الرمة حتى دخل إلينا ثم سلم ونشد ضالة وجلس ساعةً ثم خرج.

فقلت مية: إني لأرى هذا العدوي قد رأني منكشفة واطلع علي من حيث لا أدري فإن بني عدي أحبث قوم في الأرض فذهبي فقصي أثره فخرجت فوجدته ما يثبت مقامه فقصصت أثره ثانية حتى رأيته وقد تردد أكثر من ثلاثين طرقة كل ذلك يدنو فيطلع إليها ثم يرجع على عقبه ثم يعود فيطلع إليها فأخبرتها بذلك ثم لم تنشب أن جاءنا شعره فيها من كل وجه ومكان.

رواية أخرى في ذلك وذكر علي بن سعيد بن بشر الرازي: أن هارون بن مسلم بن سعد حدثه عن حسين بن براق الأسدي عن عمارة بن ثقيف قال: حدثني ذو الرمة أن أول ما قاد المودة بينه وبين مية أنه خرج هو وأخوه وابن عمه في بغاء إبل لهم قال: بينا نحن نسير إذ وردنا على ماء وقد أجهدنا العطش فعدلنا إلى حواء عظيم فقال لي أخي وابن عمي: ائت الحواء فاستسق لنا فأتيته وبين يديه في رواقه عجوزٌ جالسة. قال: فاستسقيت فالتفت وراءها فقالت: يا مي اسقي هذا الغلام فدخلت عليها فإذا هي تنسج علقة لها وهي تقول:

**يا من يرى برقاً يمر حيناً      زمزم رعداً وانتحى يمينا**

**كأن في حافاته حنيناً أو صوت خيل ضمير يردينا**

قال: ثم قامت تصب في شكوتي ماءً وعليها شوذب لها فلما انحطت على القربة رأيت مولى لم أر أحسن منه فلهوت بالنظر إليها وأقبلت تصب الماء في شكوتي والماء يذهب يميناً وشمالاً. قال: فأقبلت علي العجوز " وقالت: يا بني أهنتك مي عما بعثك أهلك له أما ترى الماء يذهب يميناً وشمالاً! " فقلت: أما والله ليطولن هيامي بها. قال: وملاأت شكوتي وأتيت أخي وابن عمي ولففت راسي فانتبذت ناحيةً وقد كانت مي قالت: لقد كلفك أهلك السفر على ما أرى من صغرك وحادثة سنك فأنشأت أقول:

**قد سخرت أخت بني لبيد مني      ومن سلم ومن وليد**

مثل ادراع اليلمق الجديد قال: وهي أول قصيدة قتلها ثم أتممتها: هل تعرف المنزل بالوحيد ثم مكثت أهيم بها في ديارها عشرين سنة.

### **ذو الرمة وزوج مي**

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري عن النوفلي قال: سمعت أبي يقول: ضاف ذو الرمة زوج مي في ليلة ظلماء وهو طامع في ألا يعرفه زوجها فيدخله بيته فيراها ويكلمها ففطن له الزوج وعرفه فلم يدخله وأخرج إليه قراه وتركه بالعراء وقد عرفته مية فلما كان في جوف الليل تغني غناء الركبان قال:

**أرجعة يا مي أيامنا الألى بذي      الأثل أم لا ما لهن رجوع!**

فغضب زوجها وقال: قومي فصحي به: يا بن الزانية وأي أيام كانت لي معك بذي الأثل! فقالت: يا سبحان الله ضيفٌ والشاعر يقول! فانتضى السيف وقال: والله لأضربنك به حتى آتي عليك أو تقولي فصاحت به كما أمرها زوجها فنهض على راحلته فركبها وانصرف قال شعراً في خرقاء يغيظ به ميا فمر بلفج في ركب وبعض أصحابه

يريد أن يرقع خفه فإذا هو بجوار خارجات من بيت يردن آخر وإذا خرقاء فيهن - وهي امرأة من بني عامر -  
فإذا جارية حلوة شهلاء فوقعت عين ذي الرمة عليها فقال لها: يا جارية أترقعين لهذا الرجل خفه فقالت تخرأ به:  
أنا خرقاء لا أحسن أن أعمل فسامها خرقاء وترك ذكر مي يريد أن يغيظ بذلك ميا. فقال فيها قصيدتين أو  
ثلاثاً ثم لم يلبث أن مات.

### لقاءه بجريير والمهاجر بن عبد الله

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن الأصمعي عن عمارة بن عقيل قال: قال جريير: خرجت مع المهاجر بن عبد  
الله إلى حجة فلقينا ذا الرمة فاستنشدته المهاجر فأنشده:

ومن حاجتي لولا التتائي وربما      منحت الهوى من ليس بالمتقارب  
عطابيل بيض من ربيعة عامر      عذاب الثنايا منقلات الحقائب  
يقظن الحمى والرمل منهن محضر      ويشربن ألبان الهجان النجائب

### رأي لجريير في بيت قاله

أخبرني أبو خليفة عن محمد بن سلام قال: أخبرنا أبو البيداء الرياحي قال: قال جريير: قاتل الله ذا الرمة حيث  
يقول:

ومنتزع من بين نسعيه جرة نشيج      الشجا جاءت إلى ضرسه نذرا  
أما والله لو قال: " ما بين جنبيه " لما كان عليه من سبيل.

### جريير وأبو عمرو بن العلاء يصفان شعره

أخبرني الطوسي وحبیب المهلبی عن ابن شبة عن أبي غزالة عن هشام بن محمد الكلبي عن رجل من كندة قال:  
سئل جريير عن شعر ذي الرمة فقال: بعر ظباء ونقط عروس يضمحل عن قليل.  
أخبرني أبو خليفة عن ابن سلام قال: كان أبو عمرو بن العلاء يقول: إنما شعر ذي الرمة نقط عروس يضمحل  
عن قليل وأبعار لها مشم في أول شمة ثم تعود إلى أرواح البعر.

### الفرزدق يعجب بشعره ولا يعده من الفحول

قال أبو زيد بن شبة: قال أبو عبيدة:

إذا ارفض أطراف السياط      وهلت جروم المطايا عذبتهن صيدح

فقال ذو الرمة: كيف تسمع يا أبا فراس قال: أسمع حسناً قال: فما لي لا أعد في الفحول من الشعراء قال: يمنعك من ذلك ويباعدك ذكرك الأبعاد وبكاؤك الديار ثم قال:

ودوية لو ذو الرميمة رامها لقصر

عنها ذو الرميم وصيدح

قطعت إلى معروفها منكراتها

إذا اشتد آل الأمعز المتوضح

وقال عمر بن شبة في هذا الخبر: فقام إليه ذو الرمة فقال: أنشدك الله أبا فراس أن تزيد عليهما شيئاً فقال: إنيما بيتان ولن أزيد عليهما شيئاً.

قال: وكان عمر بن شبة يقول عمن أخبره عن أبي عمرو: إنما شعره نقط عروس تضمحل عما قليل وأبعاد ظباء لها مشم في أول شمها ثم تعود إلى أرواح الأبعاد. كان هواه مع الفرزدق على جرير

وكان هوى ذي الرمة مع الفرزدق على جرير وذلك لما كان بين جرير وابن لجأ التيمي وتيمم وعدي أخوان من الرباب وعكل أخوهم ولذلك يقول جرير لعكل:

فلا يضمن الليث عكلاً بغرة

وعكل يشمون القريس المنبيا

القريس ها هنا ابن لجأ

وكذلك يفعل السبع إذا ضغم شاة ثم طرد عنها أو سبقته أقبلت

وقلت نضاحة لبني عدي ثيابكم ونضح دم القتيل

يحذر عدباً ما لقي ابن لجأ.

الفرزدق ينتحل أبياتاً له أخبرني أبو خليفة عن ابن سلام أن أبا يحيى الضبي قال: قال ذو الرمة يوماً: لقد قلت أبياتاً إن لها لعروضاً وإن لها لمراًداً ومعنى بعيداً. قال له الفرزدق: ما هي قال: قلت:

أحين أعاذت بي تميم نساءها

وجردت تجريد اليماني من الغمد

ومدت بضبي الرباب ومالك

وعمر و وشالت من ورائي بنو سعد

ومن آل يربوع زهاء كأنه زها الليل

محمود الكناية والرغد

فقال له الفرزدق: لا تعودن فيها فأنا أحق بما منك قال: والله لا أعود فيها ولا أنشدها أبداً إلا لك فهي قصيدة الفرزدق التي يقول فيها:

وكنا إذا القيسي نب عتوده

ضربناه فوق الأنثيين على الكرد

- الأثنيان: الأذنان. والكرد: العنق -.

وروى هذا الخبر حماد عن أبيه عن أبي عبيدة عن الضحاك الفقيمي قال: بينا أنا بكازمة وذو الرمة ينشد قصيدته التي يقول فيها: إذا راكبان قد تدليا من نقب كازمة مقنعان فوقفا فلما فرغ ذو الرمة حسر الفرزدق عن وجهه وقال لراوته: يا عبيد اضمم إليك هذه الأبيات. قال له ذو الرمة: نشدتك الله يا أبا فراس! فقال له: أنا أحق بما منك وانتحل منها هذه الأربعة الأبيات.

المهاجاة بينه وبين هشام المرثي حدثنا محمد قال: حدثنا أبو الغراف قال: مر ذو الرمة بمثلٍ لامرئ القيس بن زيد مناة يقال له: امرأة به نخل فلم يتزلوه ولم يقروه فقال :

نزلنا وقد طال النهار وأوقدت

علينا حصى المعزاء شمسٌ تنالها

أنخنا فظللنا بأبراد يمينة عتاقٍ

وأسيافٍ قديمٍ صفالها

فلما رأنا أهل مرأةً أغلقوا

مخادع لم ترفع لخيرٍ ظلالها

وقد سميت باسم امرئ القيس قريةً

كرامٍ صواديها لنائمٍ رجالها

فلج الهجاء بين ذي الرمة وبين هشام المرثي فمر الفرزدق بذئ الرمة وهو ينشد:

صوت

وأسقيه حتى كاد مما أثته

تكلمني أحجاره وملاعبه

غنى فيه إبراهيم ثاني ثقيل مطلق في مجرى البصر وسيأتي خبره بعد لنلا ينقطع هذا الخبر. فقال له الفرزدق: الهالك البكاء في الديار والعبد يرتجز بك في المقابر يعني هشاماً.

وكان ذو الرمة مستعلياً هشاماً حتى لقي جريراً هشاماً فقال: غلبك العبد يعني ذا الرمة قال: فما أصنع يا أبا

حرزة وأنا راجز وهو يقصد والرجز لا يقوم للقصيد في الهجاء ولو رددتني فقال جرير - لتهمته ذا الرمة بالميل

إلى الفرزدق - : قل له:

غضبت لرجلٍ من عدي تشمسوا

وفي أي يومٍ لم تشمس رجالها

وفيم عدي عند تيمٍ من العلا

وأيامنا اللاتي تعد فعالها

وضبة عمي يابن جل فلا ترم

مساعي قومٍ ليس منك سجالها

يماشي عدياً لؤمها لا تجنه من

الناس ما مست عدياً ظلالها

فقل لعدي تستعن بنسائها علي

فقد أعيا عدياً رجالها

إذا الرم قد قلدت قومك رمةً بطيئاً

بأمر المطلقين انحلالها

قال أبو عبد الله: فحدثني أبو الغراف قال: لما بلغت الأبيات ذا الرمة قال: والله ما هذا بكلام هشام ولكنه ابن الأتان.

لما سمعها قال: هو والله ينتمي شعر حنظلي عذري وغلب هشام على ذي الرمة بها. نسخت من كتاب ابن النطاح: حدثني أبو عبيدة قال: حدثني فلان المرئي قال: أتانا جرير على حمار وأنا لا أعرفه فأتي بنبيد فشرب فلما أخذ فيه قال: أين هشام فدعي فقال له: أنشدني ما قلت في ذي الرمة فأنشده فجعل كلما أنشده قصيدة قال: لم تصنع شيئاً ثم قال له: قد دنا رواحي فاردد هذه الأبيات ومر شبانكم بروايتها وذكر الأبيات التي أولها قوله: غضبت لرجل من تميم تشمسوا قال: فعلمه هشام بها فلما كان بعد ذلك لقي ذو الرمة جريراً فقال: تعصبت على خالك للمرئي. فقال جرير: حيث فعلت ماذا قال: حين تقول للمرئي كذا وكذا فقال جرير: لأنك أهلك البكاء في دار مية حتى استقبحته محارمك.

قال: قول ذي الرمة: تعصبت على خالك أن النوار بنت جل أم حنظلة بن مالك وهي من رهط ذي الرمة وكذلك عن جرير بقوله:

ولولا أن تقول بنو عدي ألم تك أم حنظلة النوار

أنتكم يا بني ملكان مني قصائد لا تعاورها البحار

فقال ذو الرمة: لا ولكن أهتمني بالليل مع الفرزدق عليك قال: كذلك هو قال: فوالله ما فعلت وحلف له بما يرضيه قال: فأنشدني ما هجوت به المرئي فأنشده قوله:

نبت عيناك عن طللٍ بجزوى عفته الريح وامتضح القطارا

فأطال جداً فقال له جرير: ما صنعت شيئاً فأرشدك قال: نعم قال: قل:

يعد الناسبون إلى تميم بيوت المجد أربعة كبارا

يعدون الرباب وآل سعد وعمراً ثم حنظلة الخيارا

ويهلك بينها المرئي لغواً كما ألغيت في الدية الحوارا

" ويروى: ويذهب بينها "

فعلمه ذو الرمة بها.

قال: حدثني محمد بن عمر الجرجاني قال: حدثني جماعة من أهل العلم أن ذا الرمة مر بالفرزدق فقال له: أنشدني أحدث ما قلت في المرئي فأنشده هذه الأبيات فأطرق الفرزدق ساعة ثم قال: أعد فأعاد فقال: كذبت وإيم الله ما هذا لك ولقد قاله أشد لحيين منك وما هذا إلا شعر ابن الأتان.

فلما سمعها المني جعل يلطم رأسه ويصرخ ويدعو بويله ويقول: قتلني جرير قتله الله! هذا فلما استعلی ذو الرمة

على هشام أتى هشامٌ وقومه جريراً فقالوا: يا أبا حزره عادتك الحسنى فقال: هيهات ظلمت أحوالي قد أتاني ذو الرمة فاعتذر إلي وحلف فلست أعين عليهم.

فلما يتسوا من عنده أتوا لهذا المكاتب وقد طلع بمكاتبته فأعطوه عشرة أعرز وأعانوه على مكاتبته فقال أبياتاً في عيينة يفضل فيها بني امرئ القيس على بني عدي وهشاماً على ذي الرمة ومات ذو الرمة في تلك الأيام فقال الناس: غلبه هشام.

قال ابن النطاح: إنما مات ذو الرمة بعقب إرفاد جرير إياه على المرئي فقال الناس: غلبه ولم يغلبه إنما مات قبل الجواب.

يتحدث عن شعره أخبرني البيهقي عن محمد بن الحسن الأحول عن بعض أصحابه عن الشبو بن قسيم العذري قال: سمعت ذا الرمة يقول: من شعري ما طوعني فيه القول وساعدني ومنه ما أجهدت نفسي فيه ومنه ما جننت به جنوناً فأما ما طوعني القول فيه فقولي: خليلي عوجاً من صدور الرواحل أن توهمت من خرقاء متزلة أما ما جننت به جنوناً فقولي: ما بال عينك منها الدمع ينسكب جرير يتمنى أن ينسب إليه شعره أخبرني علي بن سليمان عن محمد بن يزيد عن عمارة بن عقيل قال: كان جرير يقول: ما أحببت أن ينسب إلي من شعر ذي الرمة إلا قوله: ما بال عينك منها الماء ينسكب فإن شيطانه كان له فيها ناصحاً.

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه قال: قال حماد الراوية: ما تم ذو الرمة قصيدته التي يقول فيها: ما بال عينك منها الماء ينسكب حتى مات كان يزيد فيها منذ قالها حتى توفي.

ذو الرمة وخياط في سوق المريد أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبي عدنان قال: أخبرنا جابر بن عبد الله بن جامع بن بينا ذو الرمة ينشد بالمربد والناس مجتمعون إليه إذا هو بخياط يطالعه ويقول:

**يا غيلان أنت الذي تستنطق الدار واقفاً من الجهل هل كانت بكن حلول**

فقام ذو الرمة وفكر زماناً ثم عاد فقعد في المريد ينشد فإذا الخياط قد وقف عليه ثم قال:

**أنت الذي شبهت عنزاً بقرّة لها ذنبٌ فوق استنها أم سالم**

**وقرنان إما يلزقا بك يتركا بجنيك يا غيلان مثل المواسم**

**جعلت لها قرنين فوق شواتها وراكب منها مشقةً في القوائم**

فقام ذو الرمة فذهب ولم ينشد بعدها في المريد حتى مات الخياط. قال: وأراد الخياط بقوله هذا قول ذي الرمة:

**أقول لدهناويةٍ عوهجٍ جرت لنا بين أعلى برقةٍ في الصرائم**

**أي ظبية الوعساء بين جلاجل هي الشبه لولا مدرياها وأذنها**

**سواء وإلا مشقةً في القوائم**

فانتبه ذو الرمة لذلك فقال:

أقول بذى الأرتى عشية أرشقت  
لأدماء من آرام بين سويقةٍ وبين  
فعيناك عيناها وجيدك جيدها  
ولونك لولا أنها غير عاطل  
إلى الركب أعناق الأطباء الخواذل  
في البيتين الأخيرين من هذه الأبيات رمل بالوسطى لإبراهيم.

### رؤية يعجز عن تفسير بيت قاله الراعي

#### فيفسره له ذو الرمة

أخبرني علي بن سليمان الأحفش عن أبي سعيد السكري عن يعقوب بن السكيت عن محمد بن سلام عن أبي الغراف قال: قال ذو الرمة لرؤية: ما عنى الراعي بقوله:

أناخا بأسوأ الظن ثمت عرساً  
قليلاً وقد أبقى سهيلاً فعدداً

فجعل رؤية يقول: هي كذا هي كذا لأشياء لا يقبلها ذو الرمة فقال له رؤية: فمه ويحك! قال: هي الأرض بين المكثنة وبين المجدبة.

الوليد بن عبد الملك يسأل الفرزدق وجريراً عن ذي الرمة أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبي عدنان عن إبراهيم بن نافع: أن الفرزدق دخل على الوليد بن عبد الملك أو غيره فقال له: من أشعر الناس قال: أنا قال: أفتعلم أحداً أشعر منك قال: لا إلا غلاماً من بني عدي بن كعب يركب أعجاز الإبل وينعت الفلوات. ثم أتاه جرير فسأله فقال له مثل ذلك. ثم أتاه ذو الرمة فقال له: ويحك! أنت أشعر الناس قال: لا ولكن غلام من بني عقيل يقال له: مزاحم: يسكن الروضات يقول وحشياً من الشعر لا نقدر على أن نقول مثله.

#### كثيرة تقول شعراً في مي وتنحله ذا الرمة

قال: وكان ذو الرمة يتشبه بمي بنت طلحة بن قيس بن عاصم المنقري وكانت كثيرة أمةً ولدة لآل قيس بن عاصم وهي أم سهم بن بردة اللص الذي قتله سنان بن مخيس القشيري أيام محمد بن سليمان فقالت كثيرة:

على وجه مي مسحةً من ملاحه  
وتحت الثياب الخزي لو كان بادياً

ألم تر أن الماء يخبث طعمه ولو  
كان لون الماء في العين صافياً

ونحلتها ذا الرمة فامتعض من ذلك وحلف بجهد أيمانه ما قالها.

قال: وكيف أقول هذا وقد قطعت دهري وأفانيت شبابي أشبب بها وأمدحها ثم أقول هذا ثم اطلع على أن كثيرة قالتها ونحلتها إياه.

وقال هارون بن محمد: حدثني عبد الرحمن بن عبد الله قال: حدثني هارون بن سعيد قال: حدثني أبو المسافر الفقعسي عن أبي بكر بن جبلة الفقعسي قال: وقف ذو الرمة في ركب معه على مية فسلموا عليها فقالت: وعليكم إلا ذا الرمة فأحفظه ذلك وغمه ما سمع منها بحضرة القوم فغضب وانصرف وهو يقول:

أيا مي قد أشمت بي ويحك العدا      وقطعت حبلاً كان يا مي باقيا  
فيا مي لا مرجوع للوصل بيننا      ولكن هجراً بيننا وتقاليا  
ألم تر أن الماء يخبث طعمه      وإن كان لون الماء في العين صافيا

### محمد بن الحجاج الأسيدي يلتقي بمية وهي عجوز

أخبرني الحسن بن علي الأدمي عن ابن مهرويه عن ابن النطاح عن محمد بن الحجاج الأسيدي من بني أسيد بن عمرو بن تميم قال: مررت على مية وقد أسنت فوقفت عليها وأنا يومئذ شاب فقلت: يا مية! ما أرى ذا الرمة قد ضيع فيك قوله حيث يقول: صوت

أما أنت عن ذكراك مية مقصر      ولا أنت ناسي العهد منها فتذكر

قال: فضحكت وقالت: رأيتني يابن أخي وقد وليت وذهبت محاسني ويرحم الله غيلان فلقد قال هذا في وأنا أحسن من النار الموقدة في الليلة القرة في عين المقرور ولن تبرح حتى أقيم عندك عذره ثم صاحت: يا أسماء اخرجي فخرجت جارية كالمهاة ما رأيت مثلها فقالت: أما لمن شيب بمذه وهو يها عذر فقلت: بلى فقالت: والله لقد كنت أزمان كنت مثلها أحسن منها ولو رأيتني يومئذ لازدرت هذه ازدراك إياي اليوم انصرف راشداً. في هذين البيتين لإبراهيم ثاني ثقل بالوسطى.

أبو سوار الغنوي يصف مية أخبرني أبو خليفة قال: قال محمد بن سلام: قال أبو سوار الغنوي: رأيت مية وإذا معها بنون لها صغار فقلت: صفها لي فقال: مسنونة الوجه طويلة الخد شماء الأنف عليها وسم جمال فقالت: ما القيت بأحد من بني هؤلاء إلا في الإبل قلت: أفكانت تشدك شيئاً مما قاله ذو الرمة فيها قال: نعم كانت تسح سحاً ما رأى أبوك مثله.

مие تندر أن تنحر بدنة يوم تراه فأما ابن قتيبة فقال في خبره: مكثت مية زماناً لا ترى ذا الرمة وهي تسمع مع ذلك شعره فجعلت لله عليها أن تنحر بدنة يوم تراه فلما رآته رجلاً دميماً أسود وكانت من أجمل الناس قالت: واسواتاه! وابؤساه واضيعة بدنتاه! فقال ذو الرمة:

على وجه مي مسحة من ملاحه      وتحت الثياب الشين لو كان باديا

قال: فكشفت ثوبها عن جسدها ثم قالت: أشيناً ترى لا أم لك! فقال:

ألم تر أن الماء يخبث طعمه وإن      كان لون الماء أبيض صافيا

فقلت: أما ما تحت الثياب فقد رأيتُه وعلمت أن لا شين فيه ولم يبق إلا أن أقول لك: هلم حتى تذوق ما وراءه  
ووالله لا ذقت ذاك أبداً فقال:

### فيا ضبيعة الشعر الذي لج فانقضى بمي ولم أملك ضلال فؤاديا

قال: ثم صلح الأمر بينهما بعد ذلك فعاد لما كان عليه من حبها.

الجبيري وابنة مية يتذاكران شعراً لذي الرمة

وذكر محمد بن علي بن حفص الجبيري الحنفي - من ولد أبي جبيرة - أن النوار بنت عاصم المنقرية - وأمها مية  
صاحبة ذي الرمة - أحرته وقد ذكر عندها ذا الرمة وأنشدها قوله في أمها:

### هي البرء والأسقام والهم والمنى وموت الهوى في القلب مني المبرح

يربح أي يزيد الربح. هكذا ذكره الأصمعي.

### إذا غير النأي المحبين لم أجد رسيس الهوى من حب مية يبرح

فلما سمعت قوله: غذا غير النأي المحبين...

قالت: قبحة الله هو الذي يقول أيضاً:

### على وجه مي مسحة من ملاحه وتحت الثياب الشين لو كان باديا

فقلت لها: أكانت مية جدتك قالت: لا بل أمي فقلت لها: كم تعدين قالت: ستين سنة.

أخبرني الحسين بن يحيى قال حماد: قرأت على أبي عن محمد بن سلام قال: كانت مي صاحبة ذي الرمة من ولد  
طلبة بن قيس بن عاصم المنقري وكانت لها بنت عم من ولد قيس يقال لها: كثيرة أم سلهمة فقالت على لسان  
ذي الرمة: على وجه مي مسحة من ملاحه الأبيات. فكان ذو الرمة إذا ذكر له ذلك يمتعض منه ويحلف أنه ما  
قالها قط.

أخبرني بهذا الخبر أبو خليفة عن محمد بن سلام عن أبي الغراف الضبي. بمثله وقال فيه: أخبرنا أحمد بن عبد العزيز  
وحبيب المهلب عن ابن شبة عن المدائني عن سلمة عن محارب قال: كان ذو الرمة يقرأ ويكتب ويكتم ذلك فقليل  
له: كيف تقول: عزيز ابن الله أو عزيز بن الله فقال: أكثرهما حروفاً.

### ذو الرمة يكتب

أخبرني إبراهيم بن أيوب عن عبد الله بن مسلم قال: قال عيسى بن عمر: قال لي ذو الرمة: ارفع هذا الحرف  
فقلت له: أتكتب فقال بيده على فيه: اكتب علي فإنه عندنا عيب.

### رؤية يتهمه بسرقة شعره

أخبرني ابن دريد عن أبي حاتم عن الأصمعي عن محمد بن أبي بكر المخزومي قال: قال رؤبة: كما قلت شعراً سرقه ذو الرمة فقيل له: وما ذاك قال: قلت: حي الشهيق ميت الأنفاس فقال هو: حي الشهيق ميت الأوصال فقلت له: فقله والله أجود من قولك وإن كان سرقه منك فقال: ذلك أغم لي.

### يحدثنا عن منزلته من الراعي

أخبرني ابن عبد العزيز عن ابن شبة قال: قيل لذي الرمة: إنما أنت راوية الراعي. فقال: أما والله لئن قيل ذلك ما مثلي ومثله إلا شابٌ صحب شيخاً فسلك به طرقاً ثم فارقه فسلك الشاب بعده شعاباً وأودية لم يسلكها الشيخ قط.

### لا يحسن الهجاء والمدح

أخبرني محمد بن أحمد بن الطلاس عن الخراز عن المدائني وأخبرني به إبراهيم بن أيوب عن عبد الله بن مسلم عن ابن أخي الأصمعي عن عمه دخل حديث بعضهم في حديث بعض قال: إنما وضع من ذي الرمة أنه كان لا يحسن أن يهجو ولا يمدح وقد مدح بلال بن أبي بردة فقال:

رأيت الناس ينتجعون غيثاً      فقلت لصبيح: انتجعي بلالاً

أخبرني أبو خليفة عن ابن سلام قال: حدثني أبو الغراف قال: عاب الحكم بن عوانة الكلبي ذا الرمة في بعض قوله فقال فيه:

فلو كنت من كلب صميماً هجوتكم      جميعاً ولكن لا إخالك من كلب  
ولكنما أخبرت أنك ملصقٌ كما ألصقت      من غيرها ثلثة القعب  
تدهدى فخرت ثلثةً من صميمه فكيف      بأخرى بالغراء وبالشعب

### ذو الرمة وبلال بن أبي بردة

يحتكمان إلى أبي عمرو بن العلاء في رواية شيء من شعر حاتم:

أخبرني أبو خليفة عن ابن سلام قال: وحدثني أبو الغراف قال: دخل ذو الرمة على بلال بن أبي بردة وكان بلال راويةً فصيحاً أديباً فأنشده بلال أبيات حاتم طيء قال:

لحا الله صلوكاً مناه وهمه من العيش      أن يلقي لبوساً ومطعماً  
يرى الخمس تعذيباً وإن نال شبعةً      بيت قلبه من شدة الهم مبهماً

هكذا أنشد بلال فقال ذو الرمة: يرى الحمص تعديباً وإنما الخمس للإبل وإنما خمص البطن فمحك بلال - وكان محكاً - وقال: هكذا أنشدنيه رواه طيء فرد عليه ذو الرمة فضحك ودخل أبو عمرو بن العلاء فقال له بلال: كيف تشدهما وعرف أبو عمرو الذي به فقال: كلا الوجهين جائز فقال: أتأخذون عن ذي الرمة فقال: إنه لفصيح وإنما لناخذ عنه بتمريضٍ. وخرجا من عنده فقال ذو الرمة لأبي عمرو: والله لولا أي أعلم أنك حطبت في حبله وملت مع هواه لهجوتك هجاءً لا يقعد إليك اثنان بعده.

### أجود شعره في رأي بلال بن جرير

نسخت من كتاب محمد بن داود بن الجراح: حدثني هارون بن محمد الزيات قال: حدثني حماد بن إسحاق عن عمارة بن عقيل قال: قيل لبلال بن جرير: أي شعر ذي الرمة أجود فقال: هل جبل خرقاء بعد اليوم مرموم إنما مدينة الشعر.

### رأي لابن سلام في ذي الرمة

حدثنا أبو خليفة عن ابن سلام قال: كان ذو الرمة من جرير والفرزدق بمنزلة قتادة من الحسن وابن سيرين كان يروي عنهما ويروي جماعة من الكوفة يصنعون له أبياتاً أخبرني الجوهري قال: حدثنا ابن شبة عن ابن معاوية قال: قال حماد الراوية: قدم علينا ذو الرمة الكوفة فلم نر أحسن ولا أفصح ولا أعلم بغريب منه فغم ذلك كثيراً من أهل المدينة فصنعوا له أبياتاً وهي قوله:

الدهر يدري كيف خلق الأباغر

رأى جملاً يوماً ولم يك قبلها من

وأجفل إجمال الظليم المبادر

فقال: شظايا مع ظبايا ألا لنا

ملا نيفق التبان منه بعادر

فقلت له: لا ذهل ملكيل بعدما

قال: فاستعادها مرتين أو ثلاثاً ثم قال: ما أحسب هذا من كلام العرب.

ذو الرمة وعنبسة النحوي أخبرني أبو الحسن الأسدي عن العباس بن ميمون طائع قال: حدثنا أبو عثمان المازني عن الأصمعي عن عنبسة النحوي قال: قلت لذي الرمة وسمعتة ينشد ويقول:

بالألباب ما تفعل الخمر

وعينان قال الله كونا فكانتا فعولين

قال: فقلت له: فهلا قلت: فعولان فقال: لو قلت: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر كان خيراً لك أي أنك أردت القدر وأراد ذو الرمة كونا فعولين بالألباب وأراد عنبسة: وعينان فعولان. وروى هذا الخبر ابن الزيات عن محمد بن عباد عن الأصمعي عن العلاء بن أسلم فذكر مثله.

### يغير شعره لرأي قاله ابن شبرمة

وحكى أن إسحاق بن سويد المعارض له قال: وأخبرني الأخفش قال: حدثني محمد بن يزيد النحوي قال: حدثني عبد الصمد بن المعذل قال: حدثني أبي عن أبيه قال: قدم ذو الرمة الكوفة فوقف ينشد الناس بالكناسة قصيدته الحائية حتى أتى على قوله:

### إذا غير النأي المحبين لم يكدر سيسى الهوى من حب مية يبرح

فناداه ابن شبرمة: يا غيلان أراه قد برح. فشنق ناقته وجعل يتأخر بها ويفكر. ثم عاد فأنشد قوله: إذا غير النأي المحبين لم أجد قال: فلما انصرفت حدثت أبي فقال: أخطأ ابن شبرمة حين أنكر على ذي الرمة ما أنشد وأخطأ ذو الرمة حين غير شعره لقول ابن شبرمة إنما هذا مثل قول الله عز وجل: "ظلماتٌ فوق بعض إذا أخرج يده لم يكدرها" وإنما معناه لم يرها ولم يكدر.

### بلال يأمر له بعشرة آلاف درهم

أخبرني الجوهري عن ابن شبرمة عن يحيى بن نجيم قال: قال رؤبة لبلال بن أبي بردة: علام تعطي ذا الرمة فوالله إنه ليعمد إلى مقاطعتنا فيصلها فيمدحك بما فقال: والله لو لم أعطه إلا على تأليفه لأعطيته وأمر له بعشرة آلاف درهم.

### رجل بمربد البصرة يراجعه في شعر

أخبرني إسماعيل بن يونس قال: حدثنا عمر بن شبة حدثنا إسحاق الموصلي عن الأصمعي قال: قال رجل: رأيت ذا الرمة بمربد البصرة وعليه جماعة مجتمعة وهو قائم وعليه برد قيمته مائتا دينار وهو ينشد ودموعه تجري على لحيته: ما بال عينك منها الماء ينسكب فلما انتهى إلى قوله: قلت: يا أبا بني تميم ما هكذا قال عمك قال: وأي أعمامي يرحمك الله قلت: الراعي قال: وما قال قال: قلت: قوله:

ولا تعجل المرء قبل الورك وهي بركبته أبصر

وهي إذا قام في غرزها كمثل السفينة إذا توقر

ومصغية خدها بالزمام فالرأس منها له أصعر

حتى إذا ما استوى طبقت كما طبق المسحل الأغبر

قال: فأرتج عليه ساعة ثم قال: إنه نعت ناقة ملكٍ ونعت ناقة سوقةٍ. فخرج منها على رؤوس الناس.

### روايات في سبب تشبيهه بخرقاء

فأما السبب بين ذي الرمة وخرقاء فقد اختلف فيه الرواة فقليل: إنه كان يهواها وقليل: بل كاد بها مية وقليل: بل كانت كحالة فداوت عينه فشيب بها.

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري عن النوفلي عن أبيه: أن زوج مية أمرها أن تسب ذا الرمة غيراً عليها فامتنعت فتوعدها بالقتل فسبته فغضب أخبرني حبيب بن نصر عن ابن شبة عن العتيبي عن هارون بن عتبة قال: شبب ذو الرمة بخرقاء العامرية بغير هوى وإنما كانت كحالة فداوت عينه من رمد كان بها فزال فقال لها: ما تحبين حتى أعطيك فقالت: عشرة أبيات تشبب بي ليرغب الناس في إذا سمعوا أن في بقية للتشبيب ففعل.

كان الحاج يمرون بخرقاء

أخبرنا أبو خليفة عن ابن سلام قال: كان ذو الرمة شبب بخرقاء إحدى نساء بني عامر بن ربيعة وكانت تحل فلجأً وبمر بها الحاج فتقعد لهم وتحادثهم وتماد بهم وكانت تجلس معها فاطمة بنتها - فحدثني من رأيها - فلم تكن فاطمة مثلها وكانت تقول: أنا منسكٌ من مناسك الحج لقول ذي الرمة فيها:

### تمام الحج أن تقف المطايا على خرقاء واضعة اللثام

خرقاء تسأل القحيف العقيلي أن يتشيب بها قال ابن سلام في خبره: وأرسلت خرقاء إلى القحيف العقيلي تسأله أن يشيب بها فقال: صوت

### لقد أرسلت خرقاء نحوي جريها لتجعلني خرقاء فيمن أضلت

### خرقاء تسقي ذا الرمة وهي لاتعرفه

حدثني حبيب بن نصر عن الزبير عن موهوب بن رشيد عن حدثه قال: نزل ركب بأبي خرقاء العامرية فأمر لهم بلبن فسقوه وقصر عن شاب منهم فأعطته خرقاء صبوحها هي لا تعرفه فشربه ومضوا فركبوا فقال لها أبوها: أتعرفين الرجل الذي سقيت صبوحك قالت: لا والله قال: هو ذو الرمة القائل فيك الأقاويل فوضعت يدها على رأسها وقالت: واسواتاه وابؤساه! ودخلت بيتها فما رآها أبوها ثلاثاً.

المفضل الضبي يزور خرقاء حدثني إبراهيم بن أيوب عن ابن قتيبة قال: قال الضبي: كنت أنزل على بعض الأعراب إذا حججت فقال لي يوماً: هل لك إلى أن أريك خرقاء صاحبة ذي الرمة فقلت: إن فعلت فقد بررت. فتوجهنا جميعاً نريدها فعدل بي عن الطريق قدر ميل ثم أتينا أبيات شعر فاستفتح بيتاً ففتح له وخرجت امرأةً طويلة حسنة بما قوة فسلمت وجلست فتحدثنا ساعة ثم قالت لي: هل حججت قط قلت: غير مرة. قالت: فما منعك من زيارتي أما علمت أن منسك من مناسك الحج قلت: وكيف ذاك قالت:

### أما سمعت تمام الحج أن تقف المطايا على خرقاء واضعة اللثام

أخبرني وكيع عن أبي أيوب المدائني عن مصعب الزبيري قال: شبب ذو الرمة بخرقاء ولها ثمانون سنة. رواية أخرى في لقاء ذي الرمة بخرقاء قال هارون بن الزيات: حدثني عبد الرحمن بن عبد الله بن إبراهيم عن

محمد بن يعقوب عن أبيه قال: رأيت خرقاء بالبصرة وقد ذهبت أسنانها وإن في ديباجة وجهها لبقية فقلت: أخبريني عن السبب بينك وبين ذي الرمة فقلت: اجتاز بنا في ركبٍ ونحن عدة جوارٍ على بعض المياه فقال: أسفرن فسفرن غيري فقال: لئن لم تسفري لأفضحك فسفرت فلم يزل يقول حتى أزيد ثم لم أره بعد ذلك. أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال: حدثنا الزبير بن بكار قال: حدثني موهوب بن رشيد قال: حدثني جدي قال: كنت مع خرقاء ذي الرمة إذ نزل بباها ركب من بني تميم فأمر لهم بلبن فسقوه وقصر اللبن عن شباب منهم فأمرت له خرقاء بغبوقها فلما أن رحل عنهم الركب قال لها أبوها: يا خرقاء أتعرفين من سقيت غبوقك اليوم قالت: لا والله ما أعرفه قال: ذاك ذو الرمة فوضعت يدها على رأسها وقالت: واسوأته! ودخلت خدرها. قال الزبير: وحدثني عبد الله بن إبراهيم الجمحي قال: حدثنا أبو الشبل المعدي قال: كانت خرقاء البكائية أصبح من القبس وبقيت بقاءً طويلاً حتى شبب بها القحيف العقيلي.

خرقاء وصباح بن الهذيل أخبرنا أبو الحسن الأسدي عن أحمد بن سليمان عن أبي شيخ عن أبيه عن علي بن صالح بن سليمان عن صباح بن الهذيل أخي زفر بن الهذيل قال: خرجت أريد الحج فمررت بالمتزل الذي تزله خرقاء فأتيته فإذا امرأة جزلة عندها سمطان من الأعراب تحدثهم وتناشدهم فسلمت فردت ونسبتني فانتسبت لها وهي تزلني حتى انتسبت إلى أبي فقالت: حسبك أكرمت ما شئت ما اسمك قلت: صباح قالت: وأبو من قلت: أبو المجلس قالت: أخذت أول الليل وآخره قال: فما كان لي همة إلا الذهاب عنها.

الحجاج الأسدي يزور خرقاء وتنشده شعراً لها في ذي الرمة

نسخت من كتاب محمد بن صالح بن النطاح: حدثني محمد بن الحجاج الأسدي التميمي - وما رأيت تميمياً أعلم منه - قال: حججت فلما صرت بمران منصرفاً فإذا أنا بغلام أشعث الذؤابة قد أورد غنيمات له فجئته فاستنشدته فقال لي: إليك عني فإني مشغول عنك. وألححت عليه فقال: أرشدك إلى ما بعض ما تحب انظر إلى ذلك البيت الذي يلقاك فإن فيه حاجتك هذا بيت خرقاء ذي الرمة فمضيت نحوه فطوحت بالسلام من بعيد فقالت: ادنه فدنوت فقالت: إنك لحضري فمن أنت قلت: من بني تميم - وأنه أحسب أنها لا معرفة لها بالناس - قالت: من أي تميم فأعلمتها فلم تزل تزلني حتى انتسبت إلى أبي فقالت: الحجاج بن عمير بن يزيد قلت: نعم قالت: رحم الله أبا المثني! قد كنا نرجو أن يكون خلفاً من عمير بن يزيد قلت: نعم فعاجلته المنية شاباً قالت: حياك الله يا بني وقربك من أين أقبلت قلت: من الحج. قالت: فما لك لم تمر بي وأنا أحد مناسك الحج إن حجك ناقص فأقم حتى تحج أو تكفر بعثق. قلت: وكيف ذلك قالت: أما سمعت قول غيلان عمك:

**تمام الحج أن تقف المطايا على خرقاء واضعة اللثام**

قال: وكانت وهي قاعدة بفناء البيت كأنها قائمة من طولها بيضاء شهلاء فحمة الوجه. قال: فسألته عن سنها فقالت: لا أدري إلا أني كنت أذكر شمر بن ذي الجوشن حين قتل الحسين مر بنا وأنا جاريةٌ ومعه كسوة

فقسّمها في قومه قالت: وكان أبي قد أدرك الجاهلية وحمل فيها حمالات قال: ولما أنشدتني خرقاء بيت ذي الرمة فيها قلت: هيهات يا عمّة قد ذهب ذلك منك قالت: لا تقل يا بني أما سمعت قول قحيف في:

**وخرقاء لا تزاد إلا ملاحاً ولو عمرت تعمير نوح وجلت**

ثم قالت: رحم الله ذا الرمة فقد كان رقيق البشرة عذب المنطق حسن الوصف مقارب الرصف عفيف الطرف فقلت لها: لقد أحسنت الوصف فقالت: هيهات أن يدركه وصفٌ رحمه الله ورحم من سماه اسمه. فقلت: ومن سماه قالت: سيد بني عدي الحصين بن عبدة بن نعيم ثم أنشدتني لنفسها في ذي الرمة:

**لقد أصبحت في فرعي معد مكان النجم في فلك السماء**

**إذا ذكرت محاسنه تدرت بحار الجود من نحو السماء**

**حصين شاد بإسمك غير شك فأنت غياث محلّ بالفناء**

**إذا ضنت سحابة ماء مزن تتجح بحار جودك بارتواء**

فقلت: أحسنت يا خرقاء فهل سمع ذلك منك ذو الرمة قالت: إي وربي قلت: فماذا قال قالت: قال: شكر الله لك يا خرقاء نعمةً رببت شكرها من ذكرها فقالت: أتقلنا حقها ثم قالت: اللهم غفراً هذا في اللفظ ونحتاج إلى العمل.

مع رجل من بني النجار يمر ببيت خرقاء ويجادث ابنتها أخبرني جحظة عن حماد بن إسحاق عن أبيه عن ابن كناسة عن خيثم بن حجية العجلي قال: حدثني رجل من بني النجار قال: خرجت أمشي في ناحية البادية فمررت على فتاة قائمة على باب بيت فقمّت أكلمها فنادتني عجوز من ناحية الحباء: ما يقيمك على هذا الغزل النجدي فوالله ما تنال خيراً منه ولا ينفكك قال: وتقول هي: دعيه يا أماه يكن كما قال ذو الرمة:

**وإن لم يكن إلا معرس ساعة قليلاً فإنني نافعٌ لي قليلاً**

فسألت عنهما فقيل لي: العجوز خرقاء ذي الرمة والفتاة بنتها.

### **ذو الرمة يموت وله أربعون سنة**

وتوفي ذو الرمة في خلافة هشام بن عبد الملك وله أربعون سنة. وقد اختلفت الرواة في سبب وفاته. روايات مختلفة عن وفاته أخبرني علي بن سليمان الأحفش عن أبي سعيد السكري عن يعقوب بن السكيت: أنه بلغ أربعين سنة وفيها توفي وهو خارج إلى هشام بن عبد الملك ودفن بجزوى وهي الرملة التي كان يذكرها في شعره.

أخبرني أبو خليفة عن محمد بن سلام قال: حدثني ابن أبي عدي قال: قال ذو الرمة: بلغت نصف الهرم وأنا ابن

أربعين سنة.

قال ابن سلام: وحدثني أبو الغراف أنه مات وهو يريد هشاماً وقال في طريقه في ذلك:

**بلادٌ بها أهلون لست ابن أهلها      وأخرى بها أهلون ليس بها أهل**

وقال هارون بن محمد بن عبد الملك: حدثني القاسم بن محمد الأسدي قال: حدثني جبر بن رباط قال: أنشد ذو الرمة الناس شعراً له وصف فيه الفلاة بالثعلبية فقال له حلبسُ الأسدي: إنك لتتعت الفلاة نعتاً لا تكون منيتك إلا بها.

قال: وصدر ذو الرمة على أحد جفري بني تميم وهما على طريق الحاج من البصرة فلما أشرف على البصرة قال:

**وإني لعاليها وإني لخائفٌ      لما قال يوم الثعلبية حلبس**

قال: ويقال: إن هذا آخر شعر قاله. فلما توسط الفلاة نزل عن راحلته فنفرت منه ولم تكن تنفر منه وعليها شرابه وطعامه فلما دنا منها نفرت حتى مات فيقال: إنه قال عند ذلك:

**ألا أبلغ الفتیان عني رسالةً      أهينوا المطايا هن أهل هوان**

**فقد تركتني صيدحٌ بمضلةٍ      لساني ملتأتٌ من الطلوان**

قال هارون: وأخبرني أحمد بن محمد الكلابي بهذه القصة وذكر أن ناقته وردت على أهله في مياهم فركبها أخوه وقص أثره حتى وجدته ميتاً وعليه خلع الخليفة ووجد هذين البيتين مكتوبين على قوسه. أخبرني أحمد بن عبد العزيز عن الرياشي عن الأصمعي عن أبي الوجيه قال: دخلت على ذي الرمة وهو يجود بنفسه فقلت له: كيف تجددك قال: أجدي والله أجد ما لا أجد أيام أزعم أي ما لم أجد حيث أقول:

**كأنني غداة الزرق يا مي مدنفٌ      وجود بنفسٍ قد أحم حمامها**

قال: وكان آخر ما قاله:

**يا رب قد أشرفت نفسي وقد علمت      علماً يقيناً لقد أحصيت آثاري**

**يا مخرج الروح من جسمي إذا احتضرت وفارج الكرب زحزحني عن النار**

قال أبو الوجيه: وكانت منيته هذه في الجدرى وفي ذلك يقول:

**الم يأتها أني تلبست بعدها مفوفةً      صواغها غير أخرق**

نسخت من كتاب هارون بن الزيات: حديثني عبد الوهاب بن إبراهيم الأزدي قال: حدثني جهم بن مسعدة قال: حدثني محمد بن الحجاج الأسدي عن أبيه قال: وردت حجراً وذو الرمة به فاشتكى شكايته التي كانت منها منيته وكرهت أن أخرج حتى أعلم بما يكون في شكاته وكنت أتعهده وأعوده في اليوم واليومين فأتيته يوماً وقد ثقل فقلت: يا غيلان كيف تجددك فقال: أجدي والله يا أبا المثني اليوم في الموت لا غداة أقول:

## كأنى غداة الزرق يا مي مدنفٌ      يكيد بنفسٍ قد أحم حمامها

فأنا والله الغداة في ذلك لا تلك الغداة.

قال هارون بن الزيات: حدثني موسى بن عيسى الجعفري قال: أخبرني أبي قال: أخبرني رجل من بني تميم قال:

### ألقت كلاب الحي حتى عرفنني      ومدت نساج العنكبوت على رحلي

قال: ثم قال لمسعود أخيه: يا مسعود: قد أجدني تماثلت وخفت الأشياء عندنا واحتجنا إلى زيارة بني مروان فهل لك بنا فيهم فقال: نعم فأرسله إلى إبله يأتيه منها بلن يتزوده وواعده مكاناً وركب ذو الرمة ناقته فقمصت به وكانت قد أعفيت من الركوب وانفجرت النوطة التي كانت به. قال: وبلغ موعد صاحبه وجهد وقال: أردنا شيئاً وأراد الله شيئاً وإن العلة التي كانت بي انفجرت. فأرسل إلى أهله فصلوا عليه ودفن برأس حزوى وهي الرملة التي كان يذكرها في شعره.

قبره بالدهناء نسخت من كتاب عبيد الله بن محمد اليزيدي: قال أبو عبيدة وذكر هارون بن الزيات عن محمد بن علي بن المغيرة عن أبيه عن أبي عبيدة عن المنتجع بن نبهان قال: لما احتضر ذو الرمة قال: إني لست ممن يدفن في الغموض والوهاد قالوا: فكيف نصنع بك ونحن في رمال الدهناء قال: فأين أنتم من كتبان حزوى - قال: وهما رملتان مشرفتان على ما حولهما من الرمال - قالوا: فكيف نحفر لك في الرمل وهو هائل قال: فأين الشجر والمدر والأعواد قال: فصلينا عليه في بطن الماء ثم حملنا له الشجر والمدر على الكباش وهي أقوى على الصعود في الرمل من الإبل. فجعلوا قبره هناك وزبروه بذلك الشجر والمدر ودلوه في قبره فأنت إذا عرفت موضع قبره رأيتيه قبل أن تدخل الدهناء وأنت بالدو على مسيرة ثلاث.

قال هارون: وحدثني محمد بن صالح العدوي قال: ذكر أبو عمرو المرادي: إن قبر ذي الرمة بأطراف عناق من وسط الدهناء مقابل الأواعس وهي أجبل شوارع يقابلن الصريمة صريمة النعام وهذا الموضع لبني سعد ويختلط معهم الرياب.

قال هارون: وحدثني هارون بن مسلم عن الزيات عن العلاء بن برد قال: ما كان شيء أحب إلي ذي الرمة إذا ورد ماء من أن يطوي ولا يسقي فأخبرني مخبر أنه مر بالجفر وقد جهده العطش قال: فسمعتة يقول:

### يا مخرج الروح من جسمي إذا احتضرت      وفارج الكرب زحزحي عن النار

ثم قضى.

أخبرني محمد بن الحسن بن دريد عن عبد الرحمن بن أخي الأصمعي عن عمه عن عيسى بن عمر قال: كان ذور الرمة ينشد الشعر فإذا فرغ قال: والله لأكسعنك بشيء ليس في حسابك: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر.

أخبرني الحسن بن علي ووكيع عن أبي أيوب قال: حدثني أبو معاوية الغلابي قال:

كان ذو الرمة حسن الصلاة حسن الخشوع فقيل له: ما أحسن صلاتك! فقال: إن العبد إذا قام بين يدي الله لحقيق أن يخشع.

### أخوه مسعود يرثيه

نسخت من كتاب عبيد الله اليزيدي قال: حدثني عبد الرحمن عن عمه عن أبي عمرو بن العلاء قال: كان مسعود أخو ذي الرمة يمشي معي كثيراً إلى منزلي فقال لي يوماً وقد بلغ قريباً من منزلي: أنا الذي أقول في أخي ذي الرمة:

إلى الله أشكو لا إلى الناس أنني  
وليلي كلانا موجع مات وافده  
فقلت له: من ليلى فقال: بنت أخي ذي الرمة.

### خبر إبراهيم في هذه الأصوات الماخورية

أخبرني أحمد بن عبد العزيز عن ابن شبة عن إسحاق الموصلي عن أبيه قال: صنعت لنا فأعجبني وجعلت أطلب له شعراً فعرس ذلك علي فأريت في المنام كأن رجلاً لقيني فقال لي: يا إبراهيم أو قد أعياك شعراً لغنائك هذا الذي تعجب به قلت: نعم. قال: فأين أنت من قول ذي الرمة:

ألا يا اسلمي يا دار مي على البلى  
ولا زال منهلاً بجر عاتك القطر  
قال: فانتبهت فرحاً بالشعر فدعوت من ضرب علي فغنيته فإذا هو أوفق ما خلق الله فلما عملت هذا الغناء في شعر ذي الرمة نبهت عليه وعلى شعره فصنعت فيه ألحاناً ماخورية منها:

أمنزلي مي سلامً عليكما هل الأزمن  
اللائمي مضين رواجع!  
وغنيت بها المهادي فاستحسنها وكاد يطير فرحاً وأمر لكل صوت بألف دينار.

### نسبة ما في هذا الخبر من الغناء

صوت

ألا يا اسلمي يا دار مي على البلى  
ولا زال منهلاً بجر عاتك القطر  
ولو لم تكوني غير شامٍ بفقرةٍ تجربها  
الأذنيال صيفياً كدر

عروضه من الطويل. وقوله: يا اسلمي ها هنا نداء كأنه قال: يا دار مي اسلمي ويا هذه اسلمي يدعو لها بالسلامة. ومثله قول الله عز وجل: "ألا يسجدوا لله الذي يخرج الخبء في السموات والأرض" فسرهم أهل اللغة هكذا كأنه قال: يا قوم اسجدوا لله. ومي ترخيم مية إلا أنه أقامه ها هنا مقام الاسم الذي لم يرخم فنونه.

وقوله: على البلى أي اسلمي وإن كنت قد بليت. والمنهل: الجاري يقال: انهل المطر اهلالاً إذا سال. والجرعاء والأجرع من الرمل: الكثير الممتد. والشام: موضع يخالف لون الأرض وهو جمع واحده شامة. والقفر: ما لم يكن فيه نبات ولا ماء تجر بها الأذيال صيفية يعني الرياح الصيفية الحارة. وأذيالها: مآخبرها التي تسفي التراب على وجه الأرض شبهها بذيل المرأة وعنى بها أوائلها. والكدر: التي فيها الغبرة من القتام والفجاج فهي تعفي الآثار وتدفعها. غناه إبراهيم الموصلية ماخورياً بالوسطى. ومنها: صوت

أمنزلتني مي سلامً عليكما هل الأزمن اللاتي مضين رواجع!

وهل يرجع التسليم أو يكشف العمى ثلاث الأثافي والديار البلاقع!

توهمتها يوماً فقلت لصاحبي وليس لها إلا الظباء الخواضع

وموشيةً سحم الصياصي كأنها مجللةٌ حو عليها البراقع

عروضه من الطويل. غناه إبراهيم ماخورياً بالوسطى. والأزمن والأزمان جمع زمان. والعمى: الجهالة. والأثافي الثلاث هي الحجارة التي تنصب عليها القدر واحدها أثفية. والخواضع من الظباء: اللاتي قد طأطأت رؤوسها. والموشية: يعني البقر. والصياصي: القرون واحدها صيصية. والمجللة: التي كأن عليها جلالاً سوداً. والحوة: حمرة في سواد. ومما يعني فيه من هذه القصيدة قوله: صوت

قف العنس ننظر نظرةً في ديارها وهل ذاك من داء الصبابة نافع!

فقال: أما تغشى لمية منزلاً من الأرض إلا قلت: هل أنا رابع!

وقل لأطلالٍ لمي تحيةً تحيا بها أو أن ترش المدامع

العنس: الناقة. والرابع: المقيم. وقل لأطلال أي ما أقل لهذه الأطلال مما أفعله. وترش المدامع أي تكثر نضحها الدموع. غناه إبراهيم الموصلية ماخورياً.

وذكر ابن الزيات عن محمد بن صالح العذري عن الحرمازي قال: مر الفرزدق على ذي الرمة وهو ينشد: أمترلتني مي سلام عليكما فلما فرغ قال له: يا أبا فراس كيف ترى قال: أراك شاعراً. قال: فما أقعدني عن غاية الشعراء قال: بكاؤك على الدمن ووصفك القطا وأبوال الإبل.

### ذو الرمة وعصمة بن مالك يزوران مية

حدثني ابن عمار والجوهري وحبيب المهلي عن ابن شبة عن إسحاق الموصلية عن مسعود بن قند قال: تذاكرنا ذا الرمة يوماً فقال عصمة بن مالك: إياي فاسألوا عنه قال: كان حلو العينين حسن النغمة إذا حدث لم تسأم حديثه وإذا أنشدك بربر وجش صوته جمعني وإياه مربع مرة فقال لي: هيا عصمة إن مية من منقر ومنقر أحبث حي وأقفاه لأثر وأثبتته في نظر وأعلمه بشر وقد عرفوا آثار إبلي فهل عندك من ناقة نزار عليها مية قلت:

إي والله عند الجوذر بنت بمانية الجدلي قال: فعلي بما. فأتيته بما فركب وردفته فأتيها محلة مية والقوم خلوف والنساء في الرجال فلما رأين ذا الرمة اجتمعن إلى مي وأنخنا قريباً وأتيها فجلسنا إليهن فقالت ظريفة منهن: أنشدنا يا ذا الرمة. فقال لي: أنشدهن يا عصمة. فأنشدت قصيدته التي يقول فيه :

فاسبلت العينان والقلب كاتمٍ بمغرورقٍ نمت عليه سواكبه

بكاء فتى خاف الفراق ولم تجل جوائلها اسراره ومعاتبه

قالت الظريفة: فالآن فلتجل ثم أنشدت حتى أتيت على قوله:

وقد حلفت بالله مية ما الذي أحدثها إلا الذي أنا كاذبه

إذا فرماني الله من حيث لا أرى ولا زال في ارضي عدو أحاربه

فقالت مية: ويحك يا ذا الرمة! خف الله وعواقبه. ثم أنشدت حتى أتيت على قوله:

إذا سرحت من حب مي سوارحٍ على القلب أبته جميعاً عوازبه

فقالت الظريفة: قتلته قتلك الله! فقالت مية: ما أصحه وهنيئاً له! فتنفس ذو الرمة تنفيساً كاد حرها يطير بلحيثي ثم أنشدت حتى أتيت على قوله:

إذا نازعتك القول مية أو بدالك الوجه منها أو نضا الدرع سالبه

فما شئت من خد أسيلٍ ومنطقٍ رخيماً ومن خلقٍ تغل جادبه

فقالت الظريفة: فقد بدا لك الوجه وتزع القول فمن لنا بأن ينضو الدرع سالبه فقالت لها مية: قاتلك الله! فماذا تأتين به! فتصاحكت الظريفة وقالت: إن لهذين لشأناً فقوموا بنا عنهما فقامت وقمن معها وقمت فخرجت وكنت قريباً حيث أراهما وأسمع ما ارتفع من كلاميهما فوالله ما رأيته تحرك من مكانه الذي خلفته فيه حتى تاب أوائل الرجال فأتيته فقلت: انهض بنا فقد تاب القوم فودعها فركب وردفته وانصرفنا. ومنها: صوت

إذا هبت الأرواح من أي جانبٍ به أهل مي هاج قلبي هبوبها

هوى تذرف العينان منه وإنما هوى كل نفس حيث كان حبيبها

الغناء لإبراهيم ماحوري بالوسطى عن الهشامي.

### صوت

إني تذكرني الزبير حمامةً تدعو بمجمع نخلتين هديلاً

أفتى الندى وفتى الطعان قتلتم وفتى الرياح إذا تهب بليلاً

لو كنت حراً يابن قين مجاشع

شيعت ضيفك فرسخاً أو ميلاً

وفي أخرى: فرسخين وميلاً:

قالت قريش: ما أذل مجاشعاً

جاراً وأكرم ذا القتيل قتيلاً!

الشعر لجرير يهجو الفرزدق ويعيره بقتل عشيرته الزبير بن العوام يوم الحمل والغناء للغريض ثاني ثقيل بالبنصر عن عمرو.

### ذكر مقتل الزبير وخبره

#### الزبير وعلي بن أبي طالب

حدثنا أحمد بن عبيد الله بن عمار وأحمد بن عبد العزيز عن ابن شبة قال: حدثنا المدائني عن أبي بكر الهذلي عن قتادة قال: سار أمير المؤمنين علي بن أبي طالب من الزاوية يريد طلحة والزبير وعائشة وصاروا من الفرضة يريدونه فالتقوا عند قصر عبيد الله بن زياد يوم الخميس النصف من جمادى الآخرة سنة ست وثلاثين فلما تراءى الجمعان خرج الزبير على فرسٍ وعليه سلاحه فقبل لعلي: هذا الزبير فقال: أما والله إنه أحرى الرجلين إن ذكر بالله أن يذكره وخرج طلحة وخرج علي غليهما فدنا منهما حتى احتلفت أعناق دواجم فقال لهما: لعمري لقد أعددتما خيلاً ورجالاً إن كنتما أعددتما عند الله عذراً فاتقيا الله ولا تكونا " كالتى نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثاً " ألم أكن أحاكما في دينكما تحرمان دمي وأحرم دماءكما فهل من حدثٍ أحل لكما دمي فقال له طلحة: ألبت الناس على عثمان فقال: يا طلحة أتطلبني بدم عثمان فلعن الله قتلة عثمان يا زبير أتذكر يوم مرت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله في بني غنم فنظر إلي وضحك وضحكت إليه فقلت: لا يدع ابن أبي طالب زهوه فقال: مه ليس بمزهو ولتقاتلنه وأنت له ظالم فقال: اللهم نعم ولو ذكرت ما سرت مسيري هذا والله لا أقاتلك أبداً. وانصرف علي إلى أصحابه وقال: أما الزبير فقد أعطى الله عهداً ألا يقاتلني.

قال: ورجع الزبير إلى عائشة فقال لها: ما كنت في موطن مذ عقلت إلا وأنا أعرف فيه أمرى غير موطني هذا قالت: وما تريد أن تصنع قال: أدعهم وأذهب فقال له ابنه عبد الله: أجمعت بين هذين الغارين حتى إذا حدد بعضهم لبعض اردت أن تذهب وتتركهم أحشيت رايات ابن أبي طالب وعلمت أنها تحملها فتيةً أجباجد. فأحفظه فقال: إني حلفت ألا أقاتله: قال: كفر عن يمينك وقاتله فدعا غلاماً له يدعى مكحولاً فأعتقه فقال عبد الرحمن بن سليمان التيمي:

أعجب من مكفر الأيمان

لم ار كالليوم أخوا إخوان

بالعتق في معصية الرحمن وقال بعض شعرائهم:

### يعتق مكحولاً لصون دينه كفارةً لله عن يمينه

والنكت قد لاح علي جبينه حدثني ابن عمار والجوهري قال: حدثنا ابن شبة عن علي بن محمد النوفلي عن الهذلي عن قتادة قال: وقف الزبير على مسجد بني مجاشع فسأل عن عياض بن حماد فقال له النعمان بن زمام: هو بوادي السباع فمضى يريده.

حدثني ابن عمار والجوهري عن عمر قال: حدثني المدائني عن أبي مخنف عمن حدثه عن الشعبي قال: خرج النعمان مع الزبير حتى بلغ النجيب ثم رجع.

قال: وحدثنا عن مسلمة بن محارب عن عوف وعن أبي اليقظان قالوا: مر الزبير ببني حماد فدعوه إلى أنفسهم فقال: اكفوني خيركم وشركم فوالله ما كفوه خيرهم وشركهم. ومضى ابن فرتن إلى الأحنف وهو بعرق سويقه فقال: هذا الزبير قد مر فقال الأحنف: ما أصنع به! جمع بين غارين من المسلمين فقتل بعضهم بعضاً ثم مر يريد أن يلحق بأهله. فقام عمرو بن جرموز وفضالة بن حابس ونفيع بن كعب أحد بني عوف - ويقال نفيع بن عمير - فلحقوه بالعرق فقتل قبل أن ينتهي إلى عياض قتله عمرو بن جرموز.

حدثني أحمد بن عيسى بن أبي موسى العجلي الكوفي وجعفر بن محمد بن الحسن العلوي الحسيني والعباس بن علي بن العباس وأبو عبيد الصيرفي قالوا: حدثنا محمد بن علي بن خلف العطار قال: حدثنا عمرو بن عبد الغفار عن سفیان الثوري عن جعفر بن محمد عن أبيه عن علي بن الحسين قال: حدثني ابن عباس قال: قال لي علي: ائت الزبير فقتل له: يقول لك علي بن أبي طالب نشدتك الله ألتست قد بايعتني طائعاً غير مكره. فما الذي أحدثت فاستحللت به قتالي وقال أحمد بن يحيى في حديثه: قل لهما: إن أخاكما يقرأ عليكما السلام ويقول: هل نقيمتما علي جوراً في حكم أو استثناراً بنبيء فقالا: لا ولا واحدةً منهما ولكن الخوف وشدة الطمع.

وقال محمد بن خلف في خبره: فقال الزبير: مع الخوف شدة المطامع فأيتت علياً فأخبرته بما قال الزبير فدعا بالبعلة فركبها وركبت معه فدنوا حتى اختلفت أعناق دابتيهما فسمعت علياً يقول: نشدتك الله يا زبيرن أتعلم أني كنت أنا وأنت في سقيفة بني فلان تعالجنى وأعاجلك فمر بي - يعني النبي صلى الله عليه وسلم - فقال:

كأنك تحبه! فقلت: وما بمنعني! قال: أما إنه ليقاتلنك وهو لك ظالم. فقال الزبير: اللهم نعم ذكرتني ما نسيت وولى راجعاً. ونادى منادي علي: ألا لا تقاتلوا القوم حتى يستشهدوا منكم رجلاً فما لبث أن أتى برجل

يتشطح في دمه فقال علي: اللهم اشهد اللهم اشهد اللهم اشهد. وأمر الناس فشدوا عليهم وأمر الصراخ حدثنا إبراهيم بن عبد الله بن محمد بن أيوب المخزومي عن سعيد بن محمد الجرمي عن أبي الأحوص عن عاصم بن بهدلة عن زر بن حبيش ولا أحسبه إلا قال: كنت قاعداً عند علي فأتاه آت فقال: هذا ابن جرموز قاتل الزبير بن العوام يستأذن علي الباب قال: ليدخلن قاتل ابن صفية النار إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: " إن لكل نبي حوارى وإن حوارى الزبير "

أخبرني الطوسي وحرمي عن الزبير عن علي بن صالح عن سالم بن عبد الله بن عروة عن أبيه: أن عمراً أو عويمراً بن جرموز قاتل الزبير أتى مصعباً حتى وضع يده في يده فقفذه في السجن وكتب إلى عبد الله بن الزبير يذكر له أمره فكتب إليه عبد الله: بئس ما صنعت أظننت أني أقتل أعرابياً من بني تميم بالزبير! حل سبيله فخلاه.

### عاتكة ترثي الزبير

أخبرني الطوسي وحرمي عن الزبير عن عمه قال: قتل الزبير وهو ابن سبع وستين سنة أو ست وستين سنة فقالت عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل ترثيه:

غدر ابن جرموزٍ بفارسٍ بهمةٍ      يوم اللقاء وكان غير معرد  
شلت يمينك إن قتلت لمسلماً      حلت عليك عقوبة المستشهد  
إن الزبير لذو بلاءٍ صادقٍ      سمحٌ سجيته كريم المشهد

كم غمرةٍ قد خاضها لم يثنه      عنها طرادك يابن فقع القرد  
فاذهب فما ظفرت يداك بمثله      فيمن مضى ممن يروح ويغندي

وكانت عاتكة قبل الزبير عند عمر وقبل عمر عند عبد الله بن أبي بكر.

### عبد الله بن أبي بكر وعاتكة

أخبرني بخبرها محمد بن خلف وكيع عن أحمد بن عمرو بن بكر قال: حدثنا أبي قال: حدثنا الهيثم بن عدي عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة بن عبد الرحمن وأخبرنا وكيع قال: حدثني إسماعيل بن مجمع عن المدائني. وأخبرني الطوسي وحرمي قالوا: حدثنا الزبير عن عمه عن أبيه وأخبرني اليزيدي عن الخليل بن أسد عن عمرو بن سعيد عن الوليد بن هشام بن يحيى الغساني.

وأخبرني الجوهري عن ابن شبة قال: حدثنا محمد بن موسى الهذلي وكل واحد منهم يزيد في الرواية وينقص منها وقد جمعت رواياتهم قالوا: تزوج عبد الله بن أبي بكر الصديق عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل وكانت امرأة لها جمالٌ وكمالٌ وتمازٌ في عقلها ومنظرها وجزالة رأيها وكانت قد غلبته على رأيه فمر عليه أبو بكر أبوه وهو في عليه يناغيها في يوم جمعة وأبو بكر متوجه إلى الجمعة ثم رجع وهو يناغيها فقال: يا عبد الله أجمعت قال: أو صلى الناس قال: نعم: قال: وقد كانت شغلته عن سوق وتجارة كان فيها - فقال له أبو بكر: قد شغلتك عاتكة عن المعاش والتجارة وقد ألهتك عن فرائض الصلاة فطلقها فطلقها تطليقة وتحولت إلى ناحية فبينما أبو بكر يصلي على سطح له في الليل إذ سمعه وهو يقول:

أعانتك لا أنساك ما ذر شارق  
وما ناح قمري الحمام المطوق  
أعانتك قلبي كل يوم وليلة لديك  
بما تخفي النفوس معلق  
لها خلق جزل ورأي ومنطق  
وخلق مصون في حياء ومصدق  
فلم أر مثلي طلق اليوم مثلها  
ولا مثلها في غير شيء تطلق

فسمع أبو بكر قوله فأشرف عليه وقد رق له فقال: يا عبد الله راجع عاتكة فقال: أشهدك أبي قد راجعتها. وأشرف على غلام له يقال له أيمن فقال له: يا أيمن أنت حر لوجه الله تعالى أشهدك أبي قد راجعت عاتكة ثم خرج إليها يجري إلى مؤخر الدار وهو يقول:

كذلك أمر الله غادٍ ورائح على  
والناس فيه ألفة وتباين  
وما زال قلبي للتفرق طائراً  
وقلبي لما قد قرب الله ساكن  
ليهنك أني لا أرى فيك سخطة  
وأنتك قد تمت عليك المحاسن  
فإنك ممن زين الله وجهه  
وليس لوجه زانه الله شائن

قال: وأعطاه حديقة له حين راجعها على ألا تتزوج بعده فلما مات من السهم الذي أصابه بالطائف أنشأت تقول:

فله عيناً من رأى مثله فتى أكر  
وأحمى في الهياج وأصبرا  
إذا شرعت فيه الأسنان خاضها  
إلى الموت حتى يرتك الرمح أحمر  
فأقسمت لا تنفك عيني سخينة  
عليك ولا ينفك جلدي أغبرا  
مدى الدهر ما غنت حمامة أيقة  
وما طرد الليل الصباح المنورا

### عمر بن الخطاب وعاتكة

فخطبها عمر بن الخطاب فقالت: قد أعطاني حديقة على ألا أتزوج بعده قال: فاستفتي فاستفتت علي بن أبي طالب فقال: ردي الحديقة على أهله وتزوجي. فتزوجت عمر فسرح عمر إلى عدة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم علي بن أبي طالب - يعيني دعاهم - لما بنى بها فقال له علي: إن لي إلى عاتكة حاجة أريد أن أذكرها إياها فقل لها تستتر حتى أكلمها فقال لها عمر: استتري يا عاتكة فإن ابن أبي طالب يريد أن يكلمك فأخذت عليها مرطها فلم يظهر منها إلا ما بدا من براجمها فقال: يا عاتكة:

فأقسمت لا تنفك عيني سخينة  
عليك ولا ينفك جلدي أغبرا

فقال له عمر: ما أردت إلى هذا فقال: وما أردت إلى أن تقول ما لا تفعل وقد قال الله تعالى: " كبر مقتاً عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون " وهذا شيء كان في نفسي أحببت والله أن يخرج. فقال عمر: ما حسن الله فهو حسنٌ فما قتل عمر قالت ترثيه:

عين جودي بعبرةٍ ونحيب  
لا تملي على الإمام النجيب  
فجعتنا المنون بالفارس المع  
لم يوم اليهاج والتليب  
عصمة الله والمعين على الدهر  
غياث المنتاب والمحروب  
قل لأهل الضراء والبيؤس موتوا  
قد سقته المنون كأس شعوب  
وقالت ترثيه أيضاً: صوت

يا ليلةً حبست علي نجومها  
فسهرتها والشامتون هجود  
قد كان يسهرني حذارك مرةً  
فاليوم حق لعيني التسهيد  
أبكي أمير المؤمنين ودونه  
للزائرين صفائحٍ وصعيد  
غنى فيه طويس خفيف رمل عن حماد والمشامي.

### الزبير بن العوام وعاتكة

فلما انقضت عدتها خطبها الزبير بن العوام فتزوجها فلما ملكها قال: يا عاتكة لا تخرجي إلى المسجد وكانت امرأة عجزاء بادنة.. فقالت: يا بن العوام أتريد أن أدع لغيرتك مصلى صليت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وعمر فيه قال: فإني لا أمنعك فلما سمع النداء لصلاة الصبح توضأ وخرج فقام لها في سقيفة بني ساعدة فلما مرت به ضرب بيده على عجزها فقالت: مالك قطع الله يدك! ورجعت فلما رجع من المسجد قال: يا عاتكة ما لي لم أرك في مصلاك قالت: يرحمك الله أبا عبد الله فسد الناس بعدك الصلاة اليوم في القيطون أفضل منها في البيت وفي البيت أفضل منها في الحجرة. فلما قتل عنها الزبير بوادي السباع رثته فقالت:

يا عمرو لو نبهته لوجدته لا طائشاً  
رعش اللسان ولا اليد  
هبلتلك أمك إن قتلت لمسلماً  
حلت عليك عقوبة المتعمد

### الحسين بن علي وعاتكة

فلما انقضت عدتها تزوجها الحسين بن علي فكانت أول من رفع خده من التراب وقالت ترثيه:

وحسيناً فلا نسيت حسيناً  
أقصدته أسنة الأعداء

## غادره بكر بلاء صريعاً جادت      المزن في ذرى كربلاء

ثم تأيمت بعده فكان عبد الله بن عمر يقول: من أراد الشهادة فليتزوج بعاتكة. ويقال: إن مروان خطبها بعد الحسين فامتنعت عليه وقالت: ما كنت لأتخذ حمماً بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم.  
أخبرنا محمد بن العباس البيهقي قال: حدثنا الخليل بن أسد قال: حدثني العمري قال: حدثنا أسامة بن زيد عن القاسم بن محمد قال: لم يزل السهم الذي أصاب عبد الله بن أبي بكر عند أبي بكر حتى قدم وفد ثقيف فأخرجه إليهم فقال: من يعرف هذا منكم فقال سعيد بن عبيد من بني علاج: هذا سهمي وأنا بريته وأنا رشته وأنا عقبته وأنا رميت به يوم الطائف فقال أبو بكر: فهذا السهم الذي قتل عبد الله والحمد لله الذي أكرمه بيدك ولم يهنك بيده.

## طويس يغني شعراً لعاتكة

أخبرني البيهقي عن الزبير بن أحمد بن عبيد الله بن عاصم بن المنذر بن الزبير قال: لما قتل الزبير وخلت عاتكة بنت زيد خطبها علي بن أبي طالب فقالت له: إني لأضن بك على القتل يا ابن عم رسول الله.  
أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه عن محمد بن سلام قال: حدثني أبي قال: بينا فتية من فريش بطن محس يتذاكرون الأحاديث ويتناشدون الأشعار إذ أقبل طويس وعليه قميص قوهي وحريرة قد ارتدى بها وهو يخطر في مشيته فسلم ثم جلس فقال له القوم: يا أبا عبد الله غننا شعراً مليحاً له حديث ظريف فغنناهم بشعر عاتكة بنت زيد ترثي عمر بن الخطاب:

## منع الرقاد فعاد عيني عيد      مما تضمن قلبي المعمود

الآيات. فقال القوم: لمن هذه الآيات يا طويس قال لأجمل خلق الله وأشأمهم فقالوا: بأنفسنا أنت من هذه قال: هي والله من لا يجهل نسبها ولا يدفع شرفها تزوجت بابن خليفة نبي الله وثنت بخليفة خليفة نبي الله وثنت بحواري نبي الله وربعت بابن بنت رسول الله وكلا قتلت.  
قالوا جميعاً: جعلنا فداك إن أمر هذه لعجيب بأبائنا أنت من هذه قال: عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل.  
فقالوا: نعم هي على ما وصفت قوموا بنا لا يدرك مجلسنا شؤمها. قال طويس: إن شؤمها قد مات معها قالوا: أنت والله أعلم منا.

## صوت

يا دنانير قد تنكر عقلي      وتحيرت بين وعدٍ ومطل  
شغفي شافعي إليك وإلا      فاقتليني إن كنت تهوين قتلي

الشعر والغناء لعقيد مولى صالح بن الرشيد خفيف ثقيل وفيه لعريب رمل بالوسطى وهذا الشعر يقوله في دنانير مولاة البرامكة وكان خطبها فلم تحبه وقيل: بل قاله أحد اليزيديين ونحله إياه.

### ذكر أخبار دنانير وأخبار عقيد

#### كانت مولاة ليحيى بن خالد البرمكي

كانت دنانير مولاة يحيى بن خالد البرمكي وكانت صفراء مولدة وكانت من أحسن الناس وجهاً وأظرفهن وأكملهن أدباً وأكثرهن رواية للغناء والشعر وكان الرشيد لشغفه بها يكثر مصيره إلى مولاهما ويقوم عندهما ويبرها ويفرط حتى شكته زبيدة إلى أهله وعمومته فعاتبوه على ذلك.

#### لها كتاب في الأغاني

ولها كتابٌ مجرد في الأغاني مشهور وكان اعتمادها في غناها على ما أخذته من بذل وهي خرجتها وقد أخذت أيضاً عن الأكابر الذين أخذت بذل عنهم مثل: فليح وإبراهيم وابن جامع وإسحاق ونظرائهم. أخبرني جحظه قال: حدثني المكي عن أبيه قال: كنت أنا وابن جامع نعايي دنانير جارية البرامكة فكثيراً ما كانت تغلينا.

#### عرضت على الموصلي صوتاً لها فأعجبه

أخبرني إسماعيل بن يونس الشيعي عن ابن شبة قال: حدثني إسحاق الموصلي قال: قال لي أبي: قال لي يحيى بن خالد: إن ابنتك دنانير قد عملت صوتاً اختارته وأعجبت به فقلت لها: لا يشتد إعجابك حتى تعرضيه على شيخك فإن رضيه فارضيه لنفسك وإن كرهه فاكروهه فامض حتى تعرضه عليك. قال: فقال لي أبي: فقلت له: أيها الوزير فكيف إعجابك أنت به فإنك والله تأقب الفطنة صحيح التمييز قال: أكره أن أقول لك: أعجبتني فيكون عندك غير معجب إذ كنت عندي رئيس صناعتك تعرف منها ما لا أعرف وتقف من لطائفها على ما لا أفهم وأكره أن أقول لك: لا يعجبني وقد بلغ من قلبي مبلغاً محموداً وإنما يتم السرور به إذا صادف ذلك منك استجادةً وتصويباً. قال: فمضيت إليها وقد تقدم إلى خدمه يعلمهم أنه سيرسل بي إلى داره وقال لدنانير: إذا جاءك إبراهيم فاعرضي عليه الصوت الذي صنعته واستحسنته فإن قال لك: أصبت سررتني بذلك وإن كره فلا تعلميني. لئلا يزول سروري بما صنعت. قال إسحاق: قال أبي: فحضرت الباب فأدخلت وإذا الستارة قد نصبت فسلمت على الجارية من وراء الستارة فردت السلام وقالت: يا أبت أعرض عليك صوتاً قد تقدم لاشك إليك خبره وقد سمعت الوزير يقول: إن الناس يفتنون بغنائهم فيعجبهم منه ما لا يعجب غيرهم وكذلك يفتنون بأولادهم فيحسن في أعينهم منهم ما ليس يحس وقد صوت

نفسى أكنت عليك مدعيًا  
أم حين أزمع بينهم خنت !  
إن كنت مولعةً بذكرهم  
فعلى فراقهم ألا مت!

قال: فأعجبني والله غاية العجب واستخفني الطرب حتى قلت لها: أعيديه فأعادته وأنا أطلب لها فيه موضعاً أصلحه وأغيره عليها لتأخذه عني فلا والله ما قدرت على ذلك ثم قلت لها: أعيديه الثالثة فأعادته فإذا هو كالذهب المصفى فقلت: أحسنت يا بنية وأصبت وقد قطعت عليك بحسن إحسانك وجودة إصابتك أنك قائدةٌ للمعلمين إذ قد صرت تحسنين الاختيار وتجيدين الصنعة قال: ثم خرج فلقيه يحيى بن خالد فقال: كيف رأيت صنعة ابنتك دنانير قال: أعز الله الوزير والله ما يحسن كثيرٌ من حذاق المغنين مثل هذه الصنعة ولقد قلت لها: أعيديه وأعادته علي مرات كل ذلك أريد إعانتها لأجتلب لنفسي مدخلاً يؤخذ عني وينسب إلي فلا والله ما وجدته فقال لي يحيى: وصفك لها يقوم مقام تعليمك إياها وقد - والله - سررتني وسأسرك فوجه إلي بمال عظيم.

#### اشتراها يحيى بن خالد

وذكر محمد بن الحسن الكاتب قال: حدثني ابن المكي قال: كانت دنانير لرجل من أهل المدينة وكان خرجها وأدبها وكانت أروى الناس للغناء القديم وكانت صفراء صادقة الملاحظة فلما رآها يحيى وقعت بقلبه فاشتراها.

#### الرشيد يعجب بها فتعلم أم جعفر

#### وتشكوه إلى عمومته

وكان الرشيد يسير إلى منزله فيسمعها حتى ألفتها واشتد عجبها فوهب لها هبات سنبةً منها أنه وهب لها في ليلة عيد عقداً قيمته ثلاثون ألف دينار فرد عليه في مصادرة البرامكة بعد ذلك. وعلمت أم جعفر خبره فشكته إلى عمومته فصاروا جميعاً إليه فعاتبوه فقال: ما لي في هذه الجارية من أربٍ في نفسها وإنما أربى في غنائها فاسمعوها فإن استحققت أن يؤلف غناؤها وإلا فقولوا ما شئتم فأقاموا عنده ونقلهم إلى يحيى حتى سمعها عنده فعذروه وعادوا إلى أم جعفر فأشاروا عليها ألا تلح في أمرها فقبلت ذلك وأهدت إلى الرشيد عشر جوارٍ منهن: ماردة أم المعتصم ومراحل أم المأمون وفاردة أم صالح.

وقال هارون بن محمد بن عبد الملك الزيات: أخبرني محمد بن عبد الله الخزاعي قال: حدثني عباد البشري قال: مررت بمتزل من منازل طريق مكة يقال له النجاج فإذا كتاب على حائط في المتزل فقرأته فإذا هو: النيك أربعة فالأول شهوة والثاني لذة والثالث شفاء والرابع داء وحرٌّ إلى أيرين أحوج من أير إلى حرين وكتبت دنانير مولاة البرامكة بخطها.

أخبرني إسماعيل بن يونس عن ابن شبة: أن دنانير أخذت عن إبراهيم الموصلي حتى كانت تغني غناؤه فتحكيه فيه حتى لا يكون بينهما فرق وكان إبراهيم يقول ليحيى: متى فقدتني ودنانير باقية فما فقدتني.

### دنانير تصاب بالعلة الكلبية

قال: وأصابها العلة الكلبية فكانت لا تصبر على الأكل ساعة واحدة فكان يحيى يتصدق عنها في كل يوم من شهر رمضان بألف دينار لأنها كانت لا تصومه وبقيت عند البرامكة مدة طويلة.

### الرشيد يأمر بصفع دنانير حتى تغني

أخبرني ابن عمار وابن عبد العزيز وابن يونس عن ابن شبة عن إسحاق: وأخبرني جحظة عن أحمد بن الطيب: أن الرشيد دعا بدنانير البرمكية بعد قتله إياهم فأمرها أن تغني فقالت: يا أمير المؤمنين إني آليت ألا أغني بعد سيدي أبداً فغضب وأمر بصفعها فصفعت وأقيمت على رجليها وأعطيت العود وأخذته وهي تبكي أحر بكاء واندفعت فغنت: صوت

يا دار سلمى بنازح السند بين الثنايا ومسقط اللبد

لما رأيت الديار قد درست أيقنت أن النعيم لم يعد

الغناء للهندي خفيف ثقيل أول مطلق في مجرى الوسطى وذكر علي بن يحيى المنجم وعمره أنه لسياط في هذه الطريقة.

قال: فرق لها الرشيد وأمر بإطلاقها وانصرفت ثم التفت إلى إبراهيم بن المهدي فقال له: كيف رأيتها قال: رأيتها تحتله برفق وتقهره بحذق.

### خطبها عقيد فردته

### وبقيت على حالها إلى أن ماتت

قال علي بن محمد الهشامي: حدثني أبو عبد الله بن حمدون أن عقيداً مولى صالح بن الرشيد خطب دنانير البرمكية وكان هويها وشغف بذكرها فردته واستشفع عليها مولاه صالح بن الرشيد وبذل والحسين بن محرز فلم تجبه وأقامت على الوفاء لمولاهما فكتب إليها عقيد قوله:

يا دنانير قد تنكر عقلي وتحيرت بين وعد ومطل

شفعي شافعي إليك وإلا فاقتليني إن كنت تهوين قتلي

أنا بالله والأمير وما أمل  
من موعد الحسين وبذل  
ما أحب الحياة يا حب إن  
لم يجمع الله عاجلاً بك شملي

فلم يعطفها ذلك على ما يجب ولم تزل على حالها إلى أن ماتت.  
وكان عقيداً حسن الغناء والضرب قليل الصنعة ما سمعنا منه بكبير صنعة ولكنه كان بموضع من الحدق والتقدم.  
قال محمد بن الحسين: حدثني أبو حارثة عن أخيه أبي معاوية قال: شهدت إسحاق يوماً وعقيداً يغنيه: صوت

هلا سألت ابنة العبسي ما حسبي  
عند الطعان إذا ما احمرت الحدق  
وجالت الخيل بالأبطال عابسةً  
شعث النواصي عليها البيض تأتلق

الشعر يقال: إنه لعنترة ولم يصح له والغناء لابن محرز خفيف ثقيل أول بالوسطى. قال: فجعل إسحاق يستعيده  
ويشرب ويصفق حتى والى بين أربعة أرتال وسأله بعض من حضر: من أحسن الناس غناء قال: من سقاني أربعة  
أرتال.

أبو حفص الشطرنجي يقول فيها شعراً يغنيه ابن جامع وفي دنائير يقول أبو حفص الشطرنجي.  
صوت

أشبهك المسك وأشبهته  
قائمةً في لونه قاعده  
لاشك إذ لونكما واحدٌ  
أنكما من طينةٍ واحده

غناه ابن جامع هزجاً بالبنصر وقيل: إنه لأبي فارة.  
وذكر هارون بن محمد بن عبد الملك الزيات عن علي بن محمد النوفلي عن مولاة بن جامع أن مولاها كان  
يهوى جارية صفراء. فقال فيها هذا الشعر وغنى فيه وأظن هذا وهماً لأننا لم نسمع لابن جامع بشعر قط ولعله  
غناه في شعر أبي حفص الشطرنجي. فظننته له.  
ومما غناه عقيد في دنائير والشعر للموصلي إلا البيت الأول فليس له.  
صوت

هذي دنائير تنساني فأذكرها  
وكيف تنسى محباً ليس ينساها!  
والله والله لو كانت إذا برزت  
نفس المتيم في كفيه ألقاها

والشعر والغناء لعقيد ولحنه من الرمل المطلق في مجرى الوسطى وفيه هزج خفيف محدث.  
المغنون والجواري يغنون بشعر عقيد فيها قال أحمد بن أبي طاهر: حدثني علي بن محمد قال: حدثني جابر بن  
مصعب عن مخارق قال: مرت بي ليلة ما مر بي قط مثلها. جاءني رسول محمد الأمين وهو خليفة فأخذني  
وركض بي إليه ركضاً فحين وافيت أتي بإبراهيم بن المهدي على مثل حالي فترلنا وإذا هو في صحن لم أر مثله قد  
ملئ شمعاً من شمع محمد الأمين الكبار وإذا به واقف ثم دخل في الكرح والدار مملوءة بالوصائف يغنين على

الطبول والسرنايات ومحمد في وسطهن يرتكض في الكرح فجاءنا رسوله فقال: قوماً في هذا الباب مما يلي الصحن فارفعوا أصواتكما مع السرناي أين بلغ وإياكما أن أسمع في أصواتكما تقصيراً عنه قال: فأصغينا فإذا الجوارى والمختنون يزمرون ويضربون:

هذي دنائير تنساني وأذكرها  
وكيف تنسى محباً ليس ينساها!  
قد أكمل الحسن في تركيب صورتها  
فارتج أسفلها واهتز أعلاها  
قامت تمشي فليت الله صيرني  
ذاك التراب الذي مسته رجلاها

والله والله لو كانت إذا برزت  
نفس المتيّم في كفيه ألقاها  
فما زلنا نشق حلوقنا مع السرناي وتبعه حذراً من أن نخرج عن طبقته أو نقتصر عنه إلى الغداة ومحمد يجول في الكرح ما يسأمه يدنو إلينا مرة في جولانه ويتباعد مرة وتحول الجوارى بيننا وبينه حتى أصبحنا.

### صوت

ألا طرقت أسماء لا حين مطرق  
وأنى إذا حلت بنجران نلتقي  
بوج وما بالي بوج وبالها ومن يلق  
يوماً جدة الحب يخلق

عروضه من الطويل الشعر لخفاف بن ندبة والغناء لابن محرز خفيف ثقيل أول بالسبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق وفيه لابن سريج ثاني ثقيل بالسباب في مجرى البنصر عن إسحاق أيضاً وذكر عمرو بن بانه أن فيه لحناً لمبعد ثاني ثقيل بالوسطى وفيه لعلويه خفيف رمل بالوسطى وفيه للقاسم بن زرزور خفيف رمل آخر صحيح في غنائه وفيه لابن مسجح ثقيل اول عن إبراهيم ويحيى المكي والمشامي وفيه لمخارق رمل بالبنصر.

### أخبار خفاف ونسبه

هو خفاف بن عمير بن الحارث بن الشريد بن رياح بن يقظة بن عصبية بن خفاف بن امرئ القيس بن بهثة بن سليم بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان بن مضر بن نزار وندبة أمه وهي أمة سوداء وكان خفاف أسود أيضاً وهو شاعر من شعراء الجاهلية وفارس من فرسانهم وجعله ابن سلام في الطبقة الخامسة من الفرسان مع مالك بن نويرة ومع ابني عمه صخر ومعاوية ابني عمرو بن الشريد ومالك بن حمار الشمخي.

### أحد فرسان العرب وأغربتهم

أخبرني أبو خليفة إجازة عن محمد بن سلام قال: كان خفاف بن ندبة - وهي أمه - فارساً شجاعاً شاعراً وهو أحد أغربة العرب وكان هو ومعاوية بن الحارث بن الشريد أغار على بني ذبيان يوم حوزة فلما قتلوا معاوية بن عمرو قال خفاف: والله لا أرى اليوم أو أقيد به سيدهم فحمل على مالك بن حمار وهو يومئذ فارس بني فزارة وسيدهم فطعنه فقتله وقال:

فإن تك خيلي قد أصيب صميمها      فعمداً على عيني تيممت مالكا  
أقول له والرمح يأطر منته: تأمل      خفافاً إنني أنا ذلك

قال ابن سلام: وهو الذي يقول:

يا هند يا أخت بني الصارد      ما أنا بالباقي ولا الخالد  
إن أمس لا أملك شيئاً فقد      أملك أمر المنسر الحارد

في هذين البيتين لعبيد الله بن أبي غسان خفيف ثقيل أول بالبنصر عن الهشامي.

### ينال من العباس بن مرداس

#### والعباس يرد عليه

أخبرني عمي عن عبد الله بن سعد عن أحمد بن عمر عن عمر بن خالد بن عاصم بن عمرو بن عثمان بن عفان رضي الله عنه عن الحجاج السلمي قال: كان بدء ما كان بين خفاف بن ندبة والعباس بن مرداس أن خفافاً كان في ملأ من بني سليم فقال لهم: إن عباس بن مرداس يريد أن يبلغ فينا ما بلغ عباس بن أنس ويأبى ذلك عليه حصالاً قعدن به فقال له فتى من رهط العباس: وما تلك الخصال يا خفاف قال: اتقاؤه بخيله عند الموت واستهانته بسبايا العرب وقتله الأسرى ومكالبته للصعاليك على الأسلاب ولقد طالت حياته حتى تمنينا موته فانطلق الفتى إلى العباس فأخبره الخبر فقال العباس: يابن أخي إن لم يكن كالأصم في فضله فلست كخفافٍ في جهله وقد مضى الأصم بما في أمس وخلفني بما في غدٍ فلما أمسى تغنى وقال:

خفافٌ ما تزال تجر ذيلاً      إلى الأمر المفارق للرشاد  
إذا ما عابنتك بنو سليم      تثبت لهم بداهية ناد  
وقد علم المعاشر من سليم      بأنني فيهم حسن الأيادي  
فأورد يا خفاف فقد بليتيم      بني عوف بحية بطن وادي

قال: ثم أصبح فأتى خفافاً. وهو في ملأ من بني سليم فقال: قد بلغني مقاتلك يا خفاف والله لا أشتم عرضك ولا أسب أباك وأمك ولكني رام سوادك بما فيك وإنك لتعلم أني أحمي المصاف وأتكرم على السلب وأطلق الأسير وأصون السبية. وأما زعمك أني أتقي بخيلي الموت فهات من قومك رجلاً اتقيت به. وأما استهانتي بسبايا العرب

فإني أحذو القوم في نساتهم بفعالهم في نساتنا وأما قتلي الأسرى فإني قتلت الزبيدي بخالك إذ عجزت عن تأرك.  
وأما مكالبي الصعاليك على الأسلاب فوالله ما أتيت على مسلوب قط إلا لميت سالبه. وأما تمنيك موتي. فإن  
مت قبلك فأغن غنائي وإن سليماً لتعلم أبي أخف عليهم مؤونة وأثقل على عدوهم وطأة منك وإنك لتعلم أبي  
أبحت حمى بني زبيد وكسرت قرني الحارث وأطفأت جمرة خثعم وقلدت بني كنانة قلائد العار ثم انصرف. فقال  
خفافٌ أبياتاً لم يحفظ الشيخ منها إلا قوله:

ولم تقتل أسيرك من زبيد      بخالي بل غدرت بمستفاد

فزندك في سليم شر زندي      وزادك في سليم شر زاد

فأجابه العباس بقوله:

ألا من مبلغٌ عني خفافاً فإني      لا أحاشي من خفاف  
نكحت وليدةً ورضعت أخرى      وكان أبوك تحمله قطاف  
فلمست لحاصنٍ إن لم نزرها تثير      النقع من ظهر النعاف  
سراعاً قد طواها الأين دهماً      وكمناً لونها كالورس صاف

#### ابن عم للعباس يحرضه على الحرب

قال: ثم كف العباس وخفاف حتى أتى ابن عم للعباس يكنى أبا عمرو بن بدر وكان غائباً فقال: يا عباس! ما  
نقول فيك خيراً إلا وهو باطل قال: وكيف ذلك ويحك! قال: أخبرني عنك أكل الذي أقررت به من خفاف في  
نفيه أباك وتهجينه عرضك ليأس من نصر قومك أو ضعف من نفسك قال: لا ولا واحدة منهما ولكني أحببت  
البقيا قال: فاسمع ما قلته قال: هات فأنشأ يقول:

أرى العباس ينفض مذرويه      دهين الرأس تقليه النساء  
وقد أزرى بوالده خفافٌ      ويحسب مثله الداء العياء  
فلاتهد السباب إلى خفاف      فإن السب تحسنه الإمام  
ولا تكذب وأهد إليه حرباً      معجلةً فإن الحرب داء  
أذل الله شر كما قبيلاً      ولا سقت له رسماً سماء

#### العباس وخفاف يلتقيان ويقتتلان

قال العباس: قد آذنت خفافاً بحرب ثم أصبحتا فالتقيا بقومهما فاقتلتوا قتالاً شديداً يوماً إلى الليل وكان الفضل للعباس على خفاف فركب إليه مالك بن عوف ودريد بن الصمة الجشمي في وجوه هوازن فقام دريد خطيباً فقال: يا معشر بني سليم إنه أعجلني إليكم صدرٌ واذٌ ورأيٌ جامع وقد ركب صاحبكم شر مطية وأوضعا إلى أصعب غاية فالآن قبل أن يندم

### دريد ومالك بن عوف يحذرانهما عاقبة الحرب

فقام مالك بن عوف فقال: يا معشر بني سليم إنكم نزلتم منزلاً بعدت فيه هوازن وشبعت منكم فيه بنو تميم وصالت عليكم فيه بكر بن وائل ونالت فيه منكم بنو كنانة فانزعوا وفيكم بقية قبل أن تلقوا عدوكم بقرنٍ أعضب وكف جذماء قال: فلما أمسينا تغنى دريد بن الصمة فقال:

سليم بن منصور ألما تخبروا بما	كان من حربي كليبٍ وداحس
وما كان في حرب اليحابر من دم	مباحٍ وجذعٍ مؤلمٍ للمعاطس
وما كان في حربي سليم وقلهم	بحرب بعاثٍ من هلاك الفوارس
تسافهت الأحلام فيها جهالةً وأضرم	فيها كل رطبٍ ويابس
فكفوا خفافاً عن سفاهة رأيه وصاحبه	العباس قبل الدهارس
وإلا فأنتم مثل من كان قبلكم ومن يعقل	الأمثال غير الأكائس

وقال مالك بن عوف النضري:

سليم بن منصور دعوا الحرب	إنما هي الهلك للأقصين أو للأقارب
تفرقت الأحياء منهم لجاجةً	وهم بين مغلوبٍ ذليلٍ وغالب
فما لسليم ناصرٌ من هوازنٍ	ولو نصرُوا لم تغنِ نصره غائب

دريد بن الصمة يعاهدهما على الكف عن الحرب وتهادي الشعر من غير شتم قال: ثم أصبحنا فاجتمعت بنو سليم وجاء العباس وخفاف فقال لهما دريد بن الصمة ولمن حضر من قومهما: يا هؤلاء! إن أولكم كان خير أول وكل حي سلف خيرٍ من الخلف فكفوا صاحبكم عن لجاج الحرب وتهاجي الشعر قال: فاستحيا العباس فقال: فإننا نكف عن الحرب ونتهادى الشعر قال: فقال دريد: فإن كنتما لابد فاعلين فاذكرا ما شئتما ودعا الشتم فإن الشتم طريق الحرب فانصرفا على ذلك. فقال العباس بن مرداس:

فأبلغ لديك بني مالكٍ	فأنتم بأنبائنا أخبر
فأما النخيل فليست لنا نخيلٌ	تسقى ولا تؤبر

ولكن جمعاً كجذل الحكاك فيه المقنع والحسر  
مغاوير تحمل أبطالنا إلى الموت ساهمةً ضمير  
وأعددت للحرب خيفانةً تديم الجراء إذا تخطر  
صنيعاً كقارورة الزعران مما تصان ولا تؤثر  
أعباس إن استعار القصيد في غير معشره منكر  
علام تناول ما لا تنال فتقطع نفسك أو تخسر  
فإن الرهان إذا ما أريد فصاحبه الشامخ المخطر  
تخاوص لم تستطع عدة كأنك من بغضنا أعور  
فقصر ك مأنورة إن بقيت أصحو بهالك أو أسكر  
لساني وسيفي معاً فانظرن إلى تلك أيهما تبدر

قال: فلما طال الأمر بينهما من الحرب والتهاجي قال عباس: إني والله ما رأيت لحفاف مثلاً إلا شبام بني زبيد فإنه كان يلقي من ابن عمه ثروان بن مرة من الشتم والأذى ما ألقى من خفاف فلما لج في شتمه تركه وما هو فيه فقال:

وهبت لثروان بن مرة نفسه وقد أمكنتني من ذؤابته يدي

وأحمل ما في اليوم من سوء رأيه رجاء التي يأتي بها الله في غد

فقال خفاف: إني والله ما وجدت لعباس مثلاً إلا ثروان بني زبيد فإنه كان يلقي من شبام ما ألقى من العباس من الأذى فقال ثروان:

رأيت شباماً لا يزال يعيبي فله ما بالي وبال شبام!

فتقصر عني يا شبام بن مالك وما عض سيفي شاتمي بحرام

فقال عباس: جزاك الله عني يا خفاف شراً فقد كنت أحف بني سليم من دمائها ظهراً وأحمصها بطناً فأصبحت العرب تعيرني بما كنت أعيب عليها من الاحتمال وأكل الأموال وصرت ثقيل الظهر من دمائها منفضح البطن من أموالها وأنشأ يقول:

ألم تر أني تركت الحروب وأني ندمت على ما مضى

ندامة زار على نفسه لتلك التي عارها يتقى

فلم أوقد الحرب حتى رمى  
فإن تعطف القوم أحلامهم  
فلست فقيراً إلى حربهم  
خفافٌ بأسهمه من رمى  
فيرجع من ودهم ما نأى  
وما بي عن سلمهم من غنى

فقال خفاف:

أعباس إما كرهت الحروب  
ألقحت حرباً لها شدة زماناً  
فلما ترقيت في غيها  
فلا زلت تبكي على زلة  
وإن كنت تطمع في سلمنا  
فروال ثبيراً وركني حرا  
فقد ذقت من عضها ما كفى  
تسعرها باللظى  
دحضت وزل بك المرتقى  
وماذا يرد عليك البكا  
فزال ثبيراً وركني حرا

أخبرني حبيب بن نصر المهلي قال: حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال: حدثني مسعود بن عيسى العبدى عن يحيى بن عبد الله بن الفضل الفزاري وكان علامة بأمر قيس قال: كان خفاف بن ندبة في جماعة من قومه فقال: إن عباس بن مرداس ليريد أن يبلغ فينا مبلغ عباس بن أنس وتأبى عليه خصالٌ قعدن به عن ذلك فقال فتى من رهط عباس: ما تلك الخصال يا خفاف فقال: اتقاؤه بخيله عند الموت ومكالبه الصعاليك على الأسلاب وقتله الأسرى واستهانتة بسبايا العرب وإيم الله لقد طالت حياته حتى تمنينا موته فانطلق الفتى إلى العباس فحدثه الحديث فقال العباس: يا ابن أخي إلا أكن كالأصم في فضله فلست كخفافٍ في جهله وقد مضى الأصم بما في أمس وخلفني لما في غد فلما أمسى تغنى فقال:

خفاف أما تزال تجر ذيلاً  
وقد علم المعاشر من سليم  
وأني يوم جمع بني عطيف  
وأني لا أعير في سليم برد  
وأني في ملمة كل يوم أقي  
في القلب يقدر والحشا فالقلب  
إلى الأمر المقرب للفساد  
بأني فيهم حسن الأيادي  
حملت بحالك وهج المرادي  
الخيال سالمة الهوادي  
صحبي وفي خيلي تعادي  
مجروح النواحي

قال: صدقت والله قال: فما يمنعك عن منادمته يا أمير المؤمنين قال: يمنعني قوله:

قلت لساقينا على خلوة أدن كذا  
ونم على صدرك لي ساعة إني  
رأسك من راسي  
امرؤٌ أنكح جلاسي

أفتريد أن نكون من جلاسه على هذه الشريطة!

### قال شعراً في أبي نواس

أخبرني الحسين بن القاسم الكوكبي إجازة: حدثني عبد الله بن مسلم بن قتيبة ووجدته في بعض الكتب عن ابن قتيبة وروايته أتم فجمعتهما قال: حدثني الدعلجي غلام أبي نواس قال: أنشدت يوماً بين يدي أبي نواس قوله:

يا شقيق النفس من حكم نمت عن ليلي ولم أنم

وكان قد سكر فقال: أخبرك بشيء على أن تكتمه قلت: نعم قال: أتدري من المغني بقوله: يا شقيق النفس من حكم قلت: لا قال: أنا والله المعني بذلك والشعر لوالبة بن الحباب قال: وما علم بذلك غيرك وأنت أعلم فما حدثت بهذا حتى مات.

قال: وقال الجاحظ: كان والبة بن الحباب ومطيع بن إياس ومنقذ بن عبد الرحمن الهلالي وحفص بن أبي وردة وابن المقفع ويونس بن أبي فروة وحماد بن عجرد وعلي بن الخليل وحماد بن أبي ليلي الراوية وابن الزبرقان وعمارة بن حمزة ويزيد بن الفيض وجميل بن محفوظ وبشار المرعث وأبان اللاحقي ندماء يجتمعون على الشراب وقول الشعر ولا يكادون يفترقون ويهجو بعضهم بعضاً هزلاً وعمداً وكلهم متهم في دينه.

### والبة وأبو العتاهية يتهاجيان

أخبرني محمد بن يحيى الصولي قال: حدثنا محمد بن موسى بن حماد قال: حدثني محمد بن القاسم قال: حدثني إسحاق بن إبراهيم بن محمد السالمي الكوفي التيمي قال: حدثني محمد بن عمر الجرجاني قال: رأيت أبا العتاهية جاء إلى أبي فقال له: إن والبة بن الحباب قد هجاني ومن أنا منه أنا جرار مسكين وجعل يرفع من والبة ويضع من نفسه فأحب أن تكلمه أن يمسك عني. قال:

فكلم أبي والبة وعرفه أن أبا العتاهية جاءه وسأله ذلك فلم يقبل وجعل يشتم أبا العتاهية فتركه ثم جاء أبو العتاهية فسأله عما عمل في حاجته فأخبره بما رد عليه والبة فقال لأبي: لي الآن إليك حاجة قال: وما هي قال: لا تكلمني في أمره قال: قلت له: هذا أول ما يجب ذلك قال: فقال أبو العتاهية يهجو:

أولب أنت في العرب كمثل الشيص في الرطب

هلم إلى الموالي الصيد في سعة وفي رحب

فأنت بنا لعمر الله أشبه منك بالعرب

غضبت عليك ثم رأيت وجهك فانجلي غضبي

لما ذكرتني من لون أجدادي ولون أبي

فقل ما شئت أقبله وإن  
لقد أخبرت عنك وعن  
فقال العارفون به مصاصٌ  
أتانا من بلاد الروم  
خفيف الحاذ كالصمصام  
أوالب ما دهاك وأنت  
فجئت أقيشر الخدين  
لقد أخطأت في شتمي  
أطنبت في الكذب  
أبيك الخالص العربي  
غير مؤتشب  
معتجراً على قتب  
أطلس غير ذي نشب  
في الأعراب ذو نسب  
أزرق عارم الذنب  
فخبرني ألم أصب

وقال في والبة أيضاً:

نطقت بنو أسدٍ ولم تجهر  
وأما ورب البيت لو نطقت  
أيروم شتمي منهم رجلٌ في  
وابن الحباب صليبةً زعموا  
ما بال من أبأؤه عرب الألوان  
أترون أهل البدو قد مسخوا شقراً  
وتكلمت خفياً ولم تظهر  
لتركتها وصباحها أغبر  
وجهه عبرٌ لمن فكر  
ومن المحال صليبةً أشقر  
يحسب من بني قيصر  
أما هذا من المنكر

وقال: وأول هذه القصيدة:

صرح بما قد قلته واجهر لابن  
مالي رايت أباك أسود غر بيب  
وكان وجهك حمرةً رئةً وكان  
الحباب وقل ولا تحصر  
القدال كأنه زرزور  
رأسك طائرٌ أصفر

قال: وبلغ الشعر والبة فجاء إلى أبي فقال: قد كلمتني في أبي العتاهية وقد رغبت في الصلح قال له أبي: هيهات إنه قد أكد علي إن لم تقبل ما طلب أن أحلي بينك وبينه وقد فعلت فقال له والبة: فما الرأي عندك فإنه فضحني قال: تنحدر إلى الكوفة فركب زورقاً ومضى من بغداد إلى الكوفة وأجود ما قاله والبة في أبي العتاهية قوله:

كان فينا يكنى أبا إسحاق  
فتكنى معتوهنا بعته يا لها  
وبها الركب سار في الآفاق  
كنيةً أنت باتفاق

معقودةً لدى الحلاق

خلق الله لحيةً لك لا تنفك

وله فيه وهو ضعيف سخيف من شعره:

وابن الدوارق والجرار

قل لابن بائعة القصار

وهواك في أير الحمار

تهوى عتبية ظاهراً

فكوك من ذل الإسار

تهجو مواليك الألى

### والبة وعلي بن ثابت

أخبرني عمي قال: حدثني أحمد بن أبي طاهر قال: حدثني ابن أبي فنن قال: كان والبة بن الحباب خليلاً لعملي بن ثابت وصديقاً ودوداً وفيه يقول:

من حدث الموت وريب الزمان

وقاسماً نفسي فدت قاسماً

قال: ولما مات والبة رثاه فقال:

جزعاً لمصرع والبه

بكت البرية قاطبه

في الرفاق النادبه

قامت لموت أبي أسامة

يقصد أبا بجير الأسدي بالأهواز ويلتقي بأبي نواس قال: وكان والبة أستاذ أبي نواس وعنه أخذ ومنه اقتبس قال: وكان والبة قد قصد أبا بجير الأسدي وهو يتولى للمنصور الأهواز فمدحه وأقام عنده فألقى أبا نواس هناك وهو أمرد فصعبه وكان حسن الوجه فلم يزل معه فيقال: إنه كشف ثوبه ليلةً فرأى حمرة أليته وبياضهما فقبلهما فضرط عليه أبو نواس فقال له: لم فعلت هذا ويلك قال: لئلا يضيع قول القائل: ما جزاء من يقبل الإست إلا ضرطة.

والبة وأبو سلهب الشاعر أخبرني محمد بن العباس اليزيدي قال: حدثني عمي الفضل قال: حدثني أبو سلهب الشاعر قال: كان والبة بن الحباب صديقي وكان ماجناً طبعاً خفيف الروح حبيث الدين وكنا ذات يوم

بغمي بالكؤوس وبالبواطي

شربت وفاتك مثلي جموح

رخيم الدل بورك من معاطي

يعاطيني الزجاجة أريحي

ولو بمؤاجرٍ علجٍ نباطي

أقول له على طرب: ألطني

يتابع بالزناء وباللواط

فما خير الشراب بغير فسق

وفي قطربلٍ أبداً رباطي

جعلت الحج في غمي وبنا

ما كان ذاك على الصراط

فقل للخمس آخر ملتقانا إذا

يعني الصلوات.

قال: وحدثني أنه كان ليلة نائماً وأبو نواس غلامه إلى جانبه نائم إذ أتاه آت في منامه فقال له: أتدري من هذا النائم إلى جانبك قال: لا قال: هذا أشعر منك وأشعر من الجن والإنس أما والله لأفتن بشعره الثقلين ولأغرين به أهل المشرق والمغرب قال: فعلمت أنه إبليس فقلت له: فما عندك قال: عصيت ربي في سجدة فأهلكني ولو أمرني أن أسجد له ألفاً لسجدت.

### حكم الوادي يغني شعر والبة

أخبرني الحسين بن يحيى قال: حدثنا حماد بن إسحاق قال: قرأت على أبي عن أبيه أن حكم الوادي أخبره أنه دخل على محمد بن العباس يوماً بالبصرة وهو يتململ خمراً ويده كأس وهو يجتهد في شربها فلا يطيقه وندماؤه بين يديه في أيديهم أقداحهم وكان يوم نيروز فقال لي: يا حكم غني فإن أطربتني فلك كل ما أهدي إلي اليوم قال: وبين يديه من الهدايا أمر عظيم فاندفعت أغني في شعر والبة بن الحباب: صوت

ودابرتنا النحوس

قد قابلتنا الكؤوس

قد عظمته المجوس

واليوم هرّ مزروز

وذاك مما نسوس

لم نخطه في حساب

فطرب واستعاده فأعدته ثلاث مرات فشمزت قدحه واستمر في شربه وأمر بحمل ما كان بين يديه إلى فكانت قيمته ثلاثين ألف درهم.

لحن حكم الوادي في هذا الشعر هزج بالبنصر عن الهشامي وإبراهيم وغيرهما.

### صوت

بناتي إنهن من الضعاف

لقد زاد الحياة إلي حبا

وأن يشربن رنقاً بعد صاف

مخافة أن يذقن البؤس بعدي

فبيدي الصر عن هزل عجاف

وأن يرين إن كسي الجواري

وفي الرحمان للضعفاء كاف

ولولاهن قد سومت مهري

الشعر لعمران بن حطان فيما ذكر أبو عمرو الشيباني وذكر المدائني أنه لعيسى الحبطي وكلاهما من الشراة والغناء لحمد بن الأشعث الكوفي خفيف رمل بالوسطى من رواية عمرو بن بانه.

### أخبار عمران بن حطان ونسبه

#### نسبه

هو عمران بن حطان بن ظبيان بن لوذان بن عمرو بن الحارث بن سدوس بن شيبان بن ذهل بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن علي بن بكرة بن وائل.

### من شعراء الشراة

وقال ابن الكلبي: هو عمران بن حطان بن ظبيان بن معاوية بن الحارث بن سدوس. ويكنى أبا شهاب. شاعر فصيح من شعراء الشراة ودعاتهم والمقدمين في مذهبهم وكان من القعدة لأن عمره طال فضعف عن الحرب وحضورها فاقتصر على الدعوة والتحريض بلسانه.

### من رواة الحديث

كان قبل أن يفتن بالشراة مشتهراً بطلب العلم والحديث ثم بلي بذلك المذهب فضل وهلك لعنه الله وقد أدرك صدرًا من الصحابة وروى عنهم وروى عنه أصحاب الحديث. فما روي عنه ما أخبرنا به محمد بن العباسي الزبيدي قال: حدثنا الرياشي قال: حدثنا أبو الوليد الطيالسي عن أبي عمرو بن العلاء عن أبي صالح بن سرح البشكرين عن عمران بن حطان قال: كنت عند عائشة فتذاكروا القضاة فقالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يؤتى بالقاضي العدل فلا يزال به ما يرى من شدة الحساب حتى يتمنى أنه لم يقض بين اثنين في تمرة". وكان أصله من البصرة فلما اشتهر بهذا المذهب طلبه الحجاج فهرب إلى الشام فطلبه عبد الملك فهرب إلى عمان وكان ينتقل إلى أن مات في تواريه.

### تزوج امرأة من الشراة فأضلته

أخبرني محمد بن عمران الصيرفي قال: حدثنا الحسن بن عليل العتري قال: حدثنا منيع بن أحمد السدوسي عن أبيه عن جده قال: كان عمران بن حطان من أهل السنة والعلم فتزوج امرأة من الشراة من عشيرته وقال: أردتها عن مذهبها إلى الحق فأضلته وذهبت به.

طلبه الحجاج فهرب منه إلى الشام وأخبرني بخبره في هربه من الحجاج عمر بن عبد الله بن جميل العتكي ومحمد بن العباس طلب الحجاج عمران بن حطان السدوسي وكان من قعدة الخوارج فكتب فيه إلى عماله وإلى عبد الملك.

وأخبرني بهذا الخبر أيضاً الحسن بن علي الخفاف ومحمد بن عمران الصيرفي قالوا: حدثنا العتري قال: حدثنا محمد بن عبد الرحمن بن عبد الصمد الدارع قال: حدثنا أبو عبيدة معمر بن المثنى عن أخيه يزيد بن المثنى: أن عمران بن حطان خرج هارباً من الحجاج فطلبه وكتب فيه إلى عماله وإلى عبد الملك فهرب ولم يزل ينتقل في أحياء العرب وقال في ذلك:

## حللنا في بني كعب بن عمرو وفي رعلٍ وعامر عوثبان

وفي جرمٍ وفي عمرو بن مر      وفي زيدٍ وحي بني الغدان

عمران وروح بن زباع ثم لحق بالشام فتزل بروح بن زباع الجذامي فقال له روح: ممن أنت قال: من الأزد أزد السراة قال: وكان روح يسمر عند عبد الملك فقال له ليلة: يا أمير المؤمنين إن في أضيافنا رجلاً ما سمعت منك حديثاً قد إلا حدثني به وزاد فيما ليس عندي قال: ممن هو قال: من الأزد قال: إني لأسمعك تصف صفة عمران بن حطان لأنني سمعتك تذكر لغة نزارية وصلاةً وزهداً وروايةً وحفظاً وهذه صفته فقال روح: وما أنا وعمران! أما بعد فإن رجلاً من أهل الشقاق والنفاق قد كان أفسد علي أهل العراق وحببهم بالشراية ثم إني طلبته فلما ضاق عليه عملي تحول إلى الشام فهو ينتقل في مدائنها وهو رجل ضرب طولاً أفوه أروق قال: قال روح: هذه والله صفة الرجل الذي عندي. ثم أنشد عبد الملك يوماً قول عمران يمدح عبد الرحمن بن ملجم - لعنه الله - بقتله علي بن أبي طالب:

يا ضربةً من كريمٍ ما أراد      بها إلا ليبلغ من ذي العرش رضوانا

إني لأفكر فيه ثم أحسبه      أوفى البرية عند الله ميزانا

ثم قال عبد الملك: من يعرف منك قائلها فسكت القوم جميعاً فقال لروح: سل ضيفك عن قائلها قال: نعم أنا سألته وما أراه يخفى على ضيفي ولا سألته عن شيء قط فلم أحده إلا عالماً به. وراح روح إلى أضيافه فقال: إن أمير المؤمنين سألنا عن الذي يقول: يا ضربةً من كريمٍ ما أراد بها..... ثم ذكر الشعر وسألهم عن قائله فلم يكن عند أحدٍ منهم علم فقال له عمران: هذا قول عمران بن حطان في ابن ملجم قاتل علي بن أبي طالب قال: فهل فيها غير هذين البيتين تفيدنيه قال: نعم:

لله در المرادي الذي سفكت      كفاه مهجة شر الخلق إنسانا

فغدا روحٌ فأخبر عبد الملك فقال: من أخبرك بذلك فقال: ضيفي قال: أظنه عمران بن حطان فأعلمه أي قد أمرتك أن تأتيني به قال: أفعل فراح روحٌ إلى أضيافه فأقبل علي عمران فقال له: إني ذكرتك لعبد الملك فأمرني أن آتية بك قال: كنت أحب ذلك منك وما معني من ذكره إلا الحياء منك وأنا متبعك فانطلق. فدخل روح على عبد الملك فقال له: أين صاحبك فقال: قال لي: أنا متبعك قال: أظنك والله سترجع فلا تجده فلما رجع روح إلى منزله إذا عمران قد مضى وإذا هو قد خلف رقعةً في كوةٍ عند فراشه وإذا فيها يقول:

يا روح كم من أخي مثوى نزلت      به قد ظن ظنك من لحمٍ وغسان

حتى إذا خفته فارقت منزله      من بعد ما قيل: عمران بن حطان

قد كنت ضيفك حولاً لا تروعني      فيه الطوارق من إنسٍ ولا جان

حتى أردت بي العظمى فأوحشني  
 فاعذر أخاك ابن زنباع فإن له  
 يوماً يمان إذا لاقيت ذا يمن  
 لو كنت مستغفراً يوماً لطاغية  
 ما أوحش الناس من خوف ابن مروان  
 في الحادثات هئات ذات ألوان  
 وإن لقيت معدياً فعدناني  
 كنت المقدم في سري وإعلاني  
 لكن أبت ذاك آيات مطهرة عند  
 التلاوة في طه وعمران

قال: ثم أتى عمران بن حطان الجزية فتزل بزفر بن الحارث الكلابي بقرقيسيا فجعل شباب بني عامر يتعجبون من صلاته وطولها وانتسب لزفر أوزاعياً فقدم على زفر رجل من أهل الشام قد كان رأى عمران بن حطان بالشام عند روح بن زنباع فصافحه وسلم عليه فقال زفر للشامي: أتعرفه قال: نعم هذا شيخ من الأزد فقال له زفر: أزدي مرة وأوزاعي أخرى! إن كنت خائفاً آمنك وإن كنت عاثلاً أغنيك فقال: إن الله هو المغني وخرج من عنده وهو يقول:

إن التي أصبحت يعيا بها زفر  
 أمسى يسائلني حولاً لأخبره  
 أعيت عياء على روح بن زنباع  
 والناس من بين مخدوع وخداع  
 حتى إذا انجذمت مني حباته  
 فكف السؤال ولم يولع بإهلاعي  
 فاكفف كما كف روح إنني رجل  
 إما صريح وإما فقعة القاع  
 أما الصلاة فإني غير تاركها كل  
 امرئ للذي يعنى به ساعي  
 فاكفف لسانك عن هزي ومسألتي  
 ماذا تريد إلى شيخ لأوزاع!  
 أكرم بروح بن زنباع وأسرته قوماً  
 دعا أوليهم للعلا داعي  
 جاورتهم سنة فيما دعوت به  
 عرضي صحيح ونومي غير تهجاع

هروبه من الحجاج إلى رود ميسان ووفاته بها ثم خرج فتزل بعمان يقوم يكترون ذكر أبي بلال مرداس بن أدية ويشنون عليه ويذكرون فضله فأظهر فضله ويسر أمره عندهم وبلغ الحجاج مكانه فطلبه فهرب فتزل في رودميسان -

طسوج من طساسيج السواد إلى جانب الكوفة - فلم يزل به حتى مات وقد كان نازلاً هناك على رجل من الأزد فقال في ذلك:

نزلت بحمد الله في خير أسرة  
 نزلت بقوم يجمع الله شملهم  
 أسر بما فيهم من الإنس والخفر  
 وما لهم عود سوى المجد يعتصر

من الأزدي إن الأزدي أكرم أسرة يمانية قربوا إذا نسب البشر

قال اليزيدي: الإنس بالكسر: الاستئناس. وقال الرياشي: أراد قربوا فخفف قال:

وأصبحت فيهم آمناً لا كعشر بدوني فقالوا من ربيعة أو مضر

أو الحي قحطان وتلك سفاهة كما قال لي روح وصاحبه زفر

وما منهم إلا يسر بنسبة تقربني منهم وإن كان ذا نفر

فنحن بنو الإسلام والله واحد وأولي عباد الله بالله من شكر

أخبرنا اليزيدي قال: حدثنا الرياشي قال: حدثنا الأصبغي عن المعتمر بن سليمان قال: كان عمران بن حطان رجلاً من أهل السنة فقدم عليه غلام من عمان كأنه نصل فقلبه عن مذهبه في مجلس واحد.

أخبرني اليزيدي قال: حدثنا الرياشي قال: حدثنا مسدد بن مسرهد قال: حدثنا بشر بن المفضل عن سلمة بن علقمة عن محمد بن سيرين وأخبرني الحسن بن علي قال: حدثنا الحسن بن عليل العتري قال: حدثنا عمرو بن علي القلاس وعباس العنبري ومحمد بن عبد الله المخزومي قالوا: حدثنا عبد الرحمن بن مهدي عن بشر بن المفضل عن سلمة بن علقمة عن محمد بن سيرين قال: تزوج عمران بن حطان امرأة من الخوارج فقبل له فيها فقال: أردتها عن مذهبي فذهبت هي به.

خارجي يتخلف عن الخروج ويتمثل بشعر لعمران نسخت عن بعض الكتب: حدثنا المدائني عن جويرة قال: كتب عيسى الحبطي إلى رجل منهم يقال له أبو خالد كان تخلف عن الخروج مع قطري أو غيره منهم:

أبا خالد أفر فلست بخالد وما ترك الفرقان عذراً لقاعد

فكتب إليه: ما معني عن الخروج إلا بناتي والحذب عليهن حين سمعت عمران بن حطان يقول:

لقد زاد الحياة إلي حبا بناتي إنهن من الضعاف

ولو لا ذلك قد سومت مهري وفي الرحمن للضعفاء كاف

قال: فجلس عيسى يقرأ الأبيات ويبكي ويقول: صدق أخي إن في ذلك لعذراً له وإن في الرحمن للضعفاء كافياً.

**الأخطل يرى أن عمران أشعر الشعراء**

وقال هارون: أخذت من خط أبي عدنان: أخبرني أبو ثروان الخارجي قال: سمعت أشياخ الحي يقولون: اجتمعت الشعراء عند عبد الملك بن مروان فقال لهم: أبقني أحد أشعر منكم قالوا: لا. فقال الأخطل: كذبوا يا أمير المؤمنين قد بقي من هو أشعر منهم قال: ومن هو قال عمران بن حطان قال: وكيف صار أشعر منهم قال: لأنه قال وهو صادق ففاتهم فكيف لو كذب كما كذبوا!

الحجاج يتحصن من غزاة الحرورية وعمران يتهكم عليه أخبرنا الحسن بن علي قال: حدثنا ابن مهرويه عن ابن

أبي سعد عن أحمد بن محمد بن علي بن حمزة الخراساني عن محمد بن يعقوب بن عبد الوهاب عن يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير عن أبي الأسود محمد بن عبد الرحمن القاري عن الزهري عن أبيه: أن غزاة الحرورية لما دخلت على الحجاج هي وشبيب الكوفة تحصن منها وأغلق عليه قصره فكتب إليه عمران بن حطان وقد كان الحجاج لج في طلبه قال:

أسدٌ علي وفي الحروب نعامةٌ  
هلا برزت إلى غزاة في  
ربداء تجفل من صفير الصافر  
الوغي بل كان قلبك في جناحي طائر  
صدعت غزاة قلبه بفوارس  
تركت مدابره كأمس الدابر  
ثم لحق بالشام فتزل على روح بن زنباع.

### عمران يصير حرورياً

أخبرنا محمد بن العباس البيهقي قال: حدثنا محمد بن خالد أبو حرب قال: حدثنا محمد بن عباد المهلي قال: حدثنا جرير بن حازم قال: كان عمران بن حطان أشد الناس خصومة للحرورية حتى لقيه أعرابي حروري فخاصمه قال جرير بن حازم: كان الفرزدق يقول: لقد أحسن بنا ابن حطان حيث لم يأخذ فيما أخذنا فيه ولو أخذ فيما أخذنا فيه لأسقطنا يعني لجودة شعره.

### لا يقول أحد شعراً إلا نسب إليه لشهرته

نسخت من كتاب ابن سعد قال: أخبرني الحسن بن عليل العتري قال: أخبرني أحمد بن عبد الله بن سويد بن منجوف السدوسي قال: أخبرني أحمد بن مؤرج عن أبيه قال: حدثني به تميمي بن سواده وهو ابن أخت مؤرج قال: حدثني أبو العوام السدوسي قال: كان مالك المذموم رجلاً من بني عامر بن ذهل وكان من الخوارج وكان الحجاج يطلبه. قال أبو العوام: فدخلت عليه يوماً وهو في تواريه فأنشدني يقول:

ألم يأن لي يا قلب أن أترك الصبا  
وما عذر من يعمى وقد شاب رأسه  
وأن أزجر النفس اللجوج عن الهوى  
ويبصر أبواب الضلالة والهدى  
ولو قسم الذنب الذي قد أصبته  
على الناس خاف الناس كلهم الردى  
فإن جن ليل كنت بالليل نائماً  
وأصبح بطل العشيات والضحى

قال: فلما فرغ من إنشادها قال: سيغلبني عليها صاحبكم يعني عمران بن حطان فكان كذلك فما شاعت رواها الناس لعمران وكان لا يقول أحداً من الشعراء شعراً إلا نسب إليه لشهرته إلا من كان مثله في الشهرة مثل قطري وعمرو القنا وذويهما قال: ثم هرب إلى اليمامة من الحجاج فتزل بحجر فأتاه آل حكام الحنفيون فقال:

طيروني من البلاد وقالوا      مالك النصف من بني حكام

ناق سيرى قد جد حقا بنا السير      وكوني جوالاً في الزمام

فمتى تعلقى يد الملك الأسود      تستيقني بألا تضامي

قد أراني ولي من الحاكم النصف بحد السنان أو بالحسام

قال: والملك الأسود إبراهيم بن عربي والي اليمامة لعبد الملك وكان ابن حكام على شرطته قال:

ومنيا بطمطم حبشي      حالك الوجنتين من آل حام

لا يبالى إذا تزلع خمرأ      أبطل رماك أم بحرام

قال العتري: فأخبرني محمد بن إدريس بن سليمان بن أبي حفصة عن أبيه قال: كان مالك المذموم من أحسن الناس قراءة للقرآن فقرأ ذات ليلة فسمعت قراءته امرأة من آل حكام فرمت بنفسها من فوق سطح كانت عليه فسمع الصوت أهلها فأتوه فضربوه ضربات فاستعدى عليهم إبراهيم بن عربي وكان عبد الله بن حكام على شرطته فلم يعده عليهم فهجاه بالأبيات الماضية وهجاه بقصيدة التي أولها:

دار سلمى بالجزع ذي الآطام      خبرينا سقيت صوب الغمام

وهي طويلة ينسبونها أيضاً إلى عمران بن حطان.

### الفرزدق يعترف بتفوقه ونبوغه

أخبرني أحمد بن الحسين الأصبهاني ابن عمي قال: حدثني أبو جعفر بن رستم الطبري النحوي قال: حدثنا أبو عثمان المازني قال: حدثنا عمرو بن مرة قال: مر عمران بن حطان على الفرزدق وهو ينشد والناس حوله فوقف عليه ثم قال:

أيها المادح العباد ليعطى      إن الله ما بأيدي العباد

فاسأل الله ما طلبت إليهم      وارج فضل المقسم العواد

لا تقل في الجواد ما ليس      فيه وتسمي البخيل باسم الجواد

فقال الفرزدق: لولا أن الله عز وجل شغل عنا هذا برأيه للقينا منه شراً.

### مسلمة بن عبد الملك يبكيه شعر لعمران

وقال هارون بن الزيات: أخبرني عبد الرحمن بن موسى الرقي قال: حدثنا أحمد بن محمد بن حميد بن سليمان بن حفص بن عبد الله بن أبي جهم بن حذيفة بن غانم العدوي قال: حدثنا يزيد بن مرة عن أبي عبيدة معمر بن المثنى

عن عيسى بن يزيد بن بكر المدني قال: اجتمع عند مسلمة بن عبد الملك ناسٌ من سماه فيهم عبد الله بن عبد الأعلى الشاعر فقال مسلمة: أي بيت قالته العرب أو عظم وأحكم فقال له عبد الله قوله:

**صبا ما صبا حتى علا الشيب رأسه فلما علاه قال للباطل ابعده**

فقال مسلمة: إنا والله ما وظني شعراً قط كما وعظني شعر ابن حطان حيث يقول:

**فيوشك يومٌ أن يقارن ليلةً يسوقان حتفاً راح نحوك أو غدا**

فقال بعض من حضر: والله لقد سمعته أجل الموت ثم أفناه وما صنع هذا غيره فقال مسلمة: وكيف ذاك. قال:

**لا يعجز الموت شيءٌ دون خالقه والموت فان إذا ما ناله الأجل**

**وكل كربٍ أمام الموت متضعٌ للموت والموت فيما بعده جلل**

فبكى مسلمة حتى اخضلت لحيته ثم قال: رددتها علي فرددهما عليه حتى حفظهما.

أخبرني الحسن بن علي قال: حدثنا الحسن بن عليل العتري قال: حدثنا منيع بن أحمد بن تزوج عمران بن حطان حمزة بنت عمه ليردها عن مذهب الشراية فذهبت به إلى رأيهم فجعل يقول فيها الشعر فمما قال فيها:

**يا حمز إني على ما كان من خلقي مثنٍ بخلات صدقٍ كلها فيك**

**الله يعلم أنني لم أقل كذباً فيما علمت وأني لا أذكرك**

### **امراته تتهمه بالكذب فيرد اتهامها**

أخبرني الحسن قال: حدثنا محمد بن موسى وحدثني بعض أصحابنا عن العمري عن الهيثم بن عدي: أن امرأة عمران بن حطان قالت له: ألم تزعم أنك لا تكذب في شعرك. قال: بلى قالت: أفرأيت قولك:

**وكذاك مجزأة بن ثورٍ كان أشجع من أسامه**

أيكون رجل أشجع من الأسد قال: نعم إن مجزأة بن ثور فتح مدينة كذا والأسد لا يقدر على فتح مدينة.

### **صوت**

**نديمي قد خف الشراب ولم أجد له سورةً في عظم رأسي ولا جلدي**

**نديمي هذي غبهم فاشربا بها ولا خير في شرب يكون على صرد**

الشعر لعمار بن الوليد بن المغيرة المخزومي والغناء لابن سريج خفيف ثقيل.

### **أخبار عمارة بن الوليد ونسبه**

## نسيبه

عمارة بن الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب وهو أحد أزواد الركب ويقال له الوحيد وكان أزواد الركب لا يمر عليهم أحد إلا قروه وأحسنوا ضيافته وزودوه ما يحتاج إليه لسفره وكان عمارة بن الوليد فخوراً معنأً متعرضاً لكل ذي عارضة من قريش فأخبرني عمي قال: حدثنا عبد الله بن شبيب قال: حدثنا الزبير بن بكار عن الحزامي قال: مر عمارة بن الوليد بمسافر بن عمرو فوقف عليه وهو منتشٍ فقال:

وجياد الريط والأزر

خلق البيض الحسان لنا

صيغ الشمس والقمر

كابراً كنا أحق به حين

فأجابه مسافر بن عمرو بن أمية فقال:

يذكر الشاعر من ذكره

أعمار بن الوليد لقد

وموق صحبه سكره

هل أخو كأسٍ مخففها

وجياد الريط والحبـره

خلق البيض الحسان لنا

كل حي تابِعْ أثره

كابراً كنا أحق به

يعود إلى الشراب بعد أن عاهد امرأته

## على تركه

أخبرني عمي قال: حدثنا الكراني قال: حدثنا العمري عن الهيثم بن عدي عن حماد الراوية: أن عمارة بن الوليد خطب امرأة من قومه فقالت: لا أتزوجك أو تترك الشراب والزنا قال: أما الزنا فأتركه وأما الشراب فلا أتركه ولا أستطيع. ثم اشتد وجده بها فحلف ألا يشرب فتزوجها ومكث حيناً لا يشرب ثم إنه لبس ذات يوم حلته وركب ناقته وخرج يسير فمر بخمار وعنده شربٌ يشربون فدعوه فدخل عليهم وقد أنفدوا ما عندهم فقال للخمار: أطعمهم ويملك فقال: ليس عندي شيء فنحر لهم ناقته فأكلوا منها فقال: اسقهم ولم يكن معهم شيء يشربون به فسقاهم ببردته ومكثوا أياماً ذوات عدد ثم خرج فأتى أهله فلما رأته امرأته قالت له: ألم تحلف ألا تشرب ولامته فقال:

ثياب الندامي عندهم كالغنائم

ولسنا بشربٍ أم عمرو إذا انتشوا

اخرج منها سالماً غير غارم

أسرك لما صرع القوم نشوةً أن

وليس الخداع مرتضى في التنادم

خلياً كأنني لم أكن كنت فيهم

## ملاحاة بينه وبين عمرو بن العاص

أخبرني جعفر بن قدامة قال: حدثني عبد الله بن أبي سعد قال: حدثني محمد بن محمد بن قادم مولى بني هاشم قال: حدثني عمي: أحمد بن جعفر عن ابن دأب قال: قدم رجل من تجار الروم بحملة من لباس قيصر على أهل مكة فأتى بها عمارة بن الوليد بن المغيرة المخزومي فعرضها عليه بمائة حق من الإبل فاستغلاها فأتى بها عمرو بن العاص فقال له: هل أتيت بها أحداً قال: نعم عمارة بن الوليد فاستغلاها وقال: لن تعدم لها غويماً من بني سهم قال: قد أخذتها فاشترها بمائة حق يعني مائة بعير ثم أقبل يخطر فيها حتى أتى بني مخزوم فناده عمارة: أتبع الحلة يا عمرو فغضب والتفت إلى عمارة فقال:

عليك بجزر رأس أبيك إنا  
كفيناك المسهمة الرقاقا  
زوها عنكم وغلنت عليكم  
وأعطينا بها مائة حقاقا  
وقلتم: لا نطيق ثياب سهم  
وكل سوف يلبس ما أطاقا

قال: فغضب عمارة وقال: يا عمرو ما هذا التهور إنك لست بعتبة بن ربيعة ولا بأبي سفيان بن حرب ولا الوليد بن المغيرة ولا سهيل بن عمر ولا أبي بن خلف فقال عمرو: إلا أكن بعضهم فإن كل واحد منهم خير ما فيه في: من عتبة حلمه ومن أبي سفيان رأيه ومن سهيل جوده ومن أبي بن خلف نجده وأما الوليد فوالله ما أحب أن في كل ما فيه من خير وشر ولكنك والله مالك عقل الوليد ولا بأس الحارث بن هشام وخالد بن الوليد ولا لسان أبي الحكم يعني أبا جهل. وانصرف فأمر عمارة بجزور فنحرت على طريق عمرو وأقبل عمرو فقال: لمن هذه الجزور قيل: لعمارة فقال له: أطعمنا منها يا عمارة فضحك منه ثم قال:

عليك بجزر أير أبيك إنا  
كفيناك المشاشة والعراقا  
ومنسبة الأطايب من قريش  
ولم تر كأسنا إلا دهاقا  
ونلبس في الحوادث كل زغف وعند الأمن أبراداً رقاقا

فوقع الشر بينهم فقال عمر:

لعمر أبيك والأخبار تنمي  
لقد هيجتني يابن الوليد  
فلا تعجل عمارة إن سهماً  
لمخزوم بن يقظة في العديد

فأجابه عمارة فقال:

ألا يا عمرو هل لك في قريش  
أب مثل المغيرة والوليد

وجد مثل عبد الله ينمي إلى  
عمرو بن مخزوم يعود

إذا ما عدت الأعواد نبعاً  
وقد علمت سراة بني لؤي  
فمالي في الأباطح من نديد  
وإني للمنابذ من قريش شجاً  
بأني غير مؤتشب زهيد  
أحوط ذمارهم وأكف عنهم  
في الحلق من دون الوريد  
وأبذل ما يضمن به رجال  
وأصبر في وغا اليوم الشديد  
وتطعمني المروءة في المزيد  
وإنك من بني سهم بن عمرو  
مكان الردف من عجز القعود  
وكان أبوك جزاراً...  
وكانت له فاس و قدرٌ من حديد

أخبرني عمي قال: حدثنا الكراي عن العمري عن أبي عوانة عن عبد الملك بن عمير أن عمر بن الخطاب قسم بروداً في المهاجرين.

### عمر بن الخطاب يتمثل بشعره

قال العمري: هكذا ذكر أبو عوانة وقد حدثني الهيثم عن أبي يعقوب الثقفي عن عبد الملك بن عمير قال: أخبرني من شهد ذلك: أن عبد الله بن أبي ربيعة المخزومي بعث إلى عمر بن الخطاب بحلل من اليمن فقال عمر: علي بالحمدين فأني. محمد بن أبي بكر ومحمد بن جعفر بن أبي طالب ومحمد بن طلحة بن عبد الله ومحمد بن عمرو بن حزم ومحمد بن حاطب بن أبي بلتعة ومحمد بن حطاب أخي حاطب وكلهم سماه النبي صلى الله عليه وسلم محمداً فأقبلوا فاطلع محمد بن حطاب فيها فقال له عمر: يا شيبه معمر - يعني عما له قتل يوم بدر - اكفف وكان زيد بن ثابت الأنصاري عنده فقال له عمر: أعطهم حلة حلة فنظر إلى أفضلها وكانت أم أحدهم عنده فقال عمر: ما هذا فقال: هذه لفلان الذي هو ربيبه فقال عمر: اردده وتمثل بقول عمار بن الوليد:

أسرك لما صرع القوم نشوة أن  
أخرج منها سالماً غير غارم  
خليا كأنني لم أكن كنت فيهم  
وليس الخداع مرتضى في التنادم

وقال أبو عوانة.... من تصافي التنادم.

ثم أمر بالبرود فغطيت بثوب ثم خلطها ثم قال: ليدخل كل امرئ يده فليأخذ حلتها وما

### صوت

قد يجمع المال غير آكله  
ويأكل المال غير من جمعه  
فاقبل من الدهر ما أتاك به  
من قر عيناً بعيشه نفعه

لكل هم من الهموم سعه والصبح والمسي لا فلاح معه

الشعر للأضبط بن قريع والغناء لأحمد بن يحيى المكي ثقيل أول بالسبابة في مجرى البنصر من روايته وسمعناه يغني في طريقة خفيف رمل فسألت عنه ذكاء وجه الرزة فذكر أنه سمعه من محمد بن يحيى المكي في هذه الطريقة ولم يعرف صانعه ولا سأل عنه.

### أخبار الأضبط ونسبه

#### كان الأضبط مفركاً

أخبرني جعفر بن قدامة قال: حدثني عبد الله بن طاهر قال: قال أبو محلم: أخبرني ضرار بن عبيدة أحد بني عبد شمس قال: كان الأضبط بن قريع مفركاً وكان إذا لقي في الحرب تقدم أمام الصف ثم قال:

أنا الذي تفركه حالته ألا فتى معشوقاً أنازله!

قال: فاجتمع نساؤه ذات ليلة يسمرن فتعاقدن على أن يصدقن الخبر عن فرك الأضبط فأجمعن أن ذلك لأنه بارد الكمرة فقالت لإحداهن خالتها: أتعجز إحداكن إذا كانت ليلته منها أن تسخن كمرته بشيء من دهن فلما سمع قولها صاح: يا آل عوف يا آل عوف فنار الناس وظنوا أنه قد أتى فقال: أوصيكم بأن تسخنوا الكمرة فإنه لا حظوة لبارد الكمرة فانصرفوا يضحكون وقالوا: تبا لك أهذا دعوتنا!.

#### شعره فيمن خالفوه

قال أبو محلم: كانت أم الأضبط عجبية بنت دارم بن مالك بن حنظلة وخالته الطموح بنت دارم أم جشم وعبشمس ابني كعب بن سعد فحارب بنو الطموح قوماً من بني سعد فجعل الأضبط يدس إليهم الخليل والسلاح ولا يصرح بنصرتهم خوفاً من أن يتحزب قومه حزين معه وعليه وكان يشير عليهم بالرأي فإذا أبرمه نقضوه وخالفوا عليه وأوره مع ذلك أنهم على رأيه فقال في ذلك:

لكل هم من الهموم سعه والمسي والصبح لا فلاح معه

لا تحقرن الفقير علك أن تركع يوماً والدهر قد رفعه

وصل حبال البعيد إن وصل الحبل وأقص القريب إن قطعه

قد يجمع المال غير آكله ويأكل المال غير من جمعه

ما بال من غيه مصيبك لا يملك شيئاً من أمره وزعه

حتى إذا ما انجلت غوايته أقبل يلحى وغيه فجعه

أذود عن نفسه ويخدعني يا قوم من عاذري من الخدعه

فأقبل من الدهر ما أتاك به من قر عيناً بعيشه نفعه

### نشوز امرأته عليه وشعره في ذلك

كان الأضبط بن قريع قد تزوج امرأة على مال ووصيفة فنشزت عليه ففارقها ولم يعطها ما كان ضمن لها فلما احتملت أنشأ يقول:

ألم ترها بانث بغير وصيفة إذا ما الغواني صاحبته الوصائف

ولكنها بانث شمس بزية منعمة الأخلاق حدباء شارف

لو أن رسول الله و سلم واقفاً عليها لرامت وصله وهو واقف

أبو عبيدة وخلف لا يعرفان إلا بيتاً وعجز بيت من قصيدة له أخبرنا وكيع قال: حدثنا ابن أبي سعيد قال: حدثنا الجمار قال: أنشدت أبا عبيدة وخلفاً الأحمر شعر الأضبط:

وصل حبال البعيد إن وصل الحبل وأقص القريب إن قطعه

فما عرفا منه إلا بيتاً وعجز بيت فالبیت الذي عرفاه: فأقبل من الدهر ما أتاك به..... والعجز: يا قوم من عاذري من الخدعه والخدعة: قوم من بني سعد بن زيد مناة بن تميم.

### صوت

وما أنا في أمري ولا في خصومتي بمهتضم حقي ولا قارع سني

ولا مسلم مولاي عند جنائية ولا خائف مولاي من شر ما أجنبي

الشعر لأعشى بني ربيعة والغناء لإبراهيم ثاني ثقيل بالوسطى عن عمرو.

### أخبار الأعشى ونسبه

#### نسبه

الأعشى اسمه عبد الله بن خارجة بن حبيب بن قيس بن عمرو بن حارثة بن أبي ربيعة بن ذهل بن شيبان بن ثعلبة الحصين بن عكابة بن صععب بن علي بن بكر بن وائل بن قاسط بن هنب بن أفصى بن دعمي بين جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار: شاعر إسلامي من ساكني الكوفة وكان مرواني المذهب شديد التعصب لبني أمية.

#### قدومه على عبد الملك

أخبرني محمد بن العباس اليزيدي قال: حدثنا عمي محمد بن عبيد الله عن محمد بن حبيب وأخبرني محمد بن الحسن بن دريد عن عمه العباس بن هشام عن أبيه قالاً: قدم أعشى بني ربيعة على عبد الملك بن مروان فقال له عبد الملك: ما الذي بقي منك قال: أنا الذي أقول:

وما أنا في أمري ولا في خصومتي      بمهتضم حقي ولا قارع سني  
ولا مسلمٍ مولاي عند جنائيةٍ      ولا خائفٍ مولاي من شر ما أجني  
وفضلني في الشعر واللب أنني أقول      على علمٍ وأعرف من أعني  
فأصبحت إذ فضلت مروان وابنه      على الناس قد فضلت خير أب وابن

فقال عبد الملك: من يلومني على هذا وأمر له بعشرة آلاف درهم وعشرة تحوت ثياب وعشر فرائض من الإبل وأقطعته ألف حريب وقال له: امض إلى زيد الكاتب يكتب لك بها وأجرى له على ثلاثين عيلاً فأبى زيداً فقال له: اثني غداً فاتاه فجعل يردده فقال له:

يا زيد يا فداك كل كاتب      في الناس بين حاضرٍ وغائب  
هل لك في حق عليك واجب      في مثله يرغب كل راغب  
وأنت عف طيب المكاسب      مبرأ من عيب كل عائب  
ولستين كفييتي وصاحب      طول غدو ورواحٍ دائب  
وسدة الباب وعنف الحاجب      من نعمة أسديتها بخائب

فأبطأ عليه زيد فأتى سفيان بن الأبرد الكلي فكلمه سفيان فأبطأ عليه فعاد إلى سفيان فقال له:

عد إذ بدأت أبا يحيى فأنت لها      ولا تكن حين هاب الناس هيابا  
واشفع شفاعة أنفٍ لم يكن ذنباً      فإن من شفعاء الناس أذنا

### بحث عبد الملك على محاربة ابن الزبير

قال محمد بن حبيب: دخل أعشى بني أبي ربيعة على عبد الملك وهو يتردد في الخروج لمحاربة ابن الزبير ولا يجد فقال له: يا أمير المؤمنين ما لي أراك متلوماً ينهضك الحزم ويقعدك العزم وهم بالإقدام وتجنح إلى الإحجام انقد لبصيرتك وأمض رأيك وتوجه إلى عدوك فجدك مقبل وجده مدبر وأصحابه له ماقتون ونحن لك محبون وكلمتهم مفترقة وكلمتنا عليك مجتمعة والله ما تؤتى من ضعف جنان ولا قلة أعوان ولا يثبطك عنه ناصح ولا يحرضك عليه غاش وقد قلت في ذلك أبياتاً فقال: ها هما فإنك تنطق بلسان ودود وقلب ناصح فقال:

آل الزبير من الخلافة كالتي      عجل النتائج بحملها فأحالتها

أو كالضعاف من الحمولة حملت  
قوموا إليهم لا تناموا عنهم كم  
إن الخلافة فيكم لا فيهم  
أمسوا على الخيرات قفلاً مغلقاً  
ما لا تطيق فضيحت أحمالها  
للغواة أطنتموا إمالها  
مازلتم أركانها وثمالها  
فانهض بيمينك فافتتح أقفالها

فضحك عبد الملك وقال: صدقت يا أبا عبد الله إن أبا حبيب لقفلاً دون كل خير ولا تتأخر عن مناجزته إن شاء الله ونستعين الله عليه وهو حسبنا ونعم الوكيل وأمر له بصلة سنية.

### جفاء الحجاج ثم سر بكلامه

قال ابن حبيب: كان الحجاج قد جفا الأعشى واطرحه لحالة كانت عند بشر بن مروان فلما فرغ الحجاج من حرب الجماجم ذكر فتنة ابن الأشعث وجعل يوبخ أهل العراق ويؤنبهم فقال من حضر من أهل البصرة: إن الريب والفتنة بدأ من أهل الكوفة وهم أول من خلع الطاعة وجاهر بالمعصية فقال أهل الكوفة: لا بل أهل البصرة أول من أظهر المعصية مع جرير بن هميان السدوسي إذ جاء مخالفاً من السند. وأكثروا من ذلك فقام أعشى بني أبي ربيعة فقال: أصلح الله الأمير لا براءة من ذنب ولا ادعاء على الله في عصمة لأحد من المصريين قد والله اجتهدوا جميعاً في قتالك فأبى الله إلا نصرك ذلك أنهم جزعوا وصبروا وكفروا وشكروا وغفرت إذ قدرت فوسعهم عفو الله وعفوك فنجوا فلولا ذلك لبادوا وهلكوا فسر الحجاج بكلامه وقال له جميلاً وقال: تهيأ للوفادة إلى أمير المؤمنين حتى يسمع هذا منك شفاهاً انتهى.

### اعتذاره للحجاج من رثائه ابن الجارود

أخبرني محمد بن خلف وكيع قال: حدثني حماد بن إسحاق عن أبيه قال: بلغ الحجاج أن أعشى بني أبي ربيعة رثى عبد الله بن الجارود فغضب عليه فقال يعتذر إليه:

أبيت كأني من حذار ابن يوسف  
ولو غير حجاج أراد ظلامتي  
ففتيان صدق من ربيعة قصرة  
يحامون عن أحسابهم بسيوفهم  
طريد دم ضاقت عليه المسالك  
حمتني من الضيم السيوف الفواتك  
إذا اختلفت يوم اللقاء النيازك  
وأرماحهم واليوم أسود حالك

### مدحه عبد الملك بن مروان

أخبرني أبو الحسن الأسدي قال: حدثني أحمد بن عبد الله بن علي بن سويد بن منجوف عن ابن مؤرج عن أبيه قال: دخل أعشى بني أبي ربيعة على عبد الملك بن مروان فأنشده قوله:

وأنتك أمس خير بني معد  
وأنت غداً تزيد الضعف ضعفاً  
وأنت اليوم خير منك أمس  
كذلك تزيد سادة عبد شمس

فقال له: من أي بني أبي ربيعة أنت قال: فقلت له: من بني أمامة قال: فإن أمامة ولد رجلين: قيساً وحرثة فأحدهما نجم والآخر حمل. فمن أيهما أنت قال: قلت: أنا من ولد حرثة وهو الذي كانت بكر بن وائل توجته قال: فقام بمحصرة في يده فغمز بها في بطني ثم قال: يا أبا بني أبي ربيعة هموا ولم يفعلوا فإذا حدثتني فلا تكذبني فجعلت له عهداً ألا أحدث قرشياً بكذب أبداً.

### مدحه أسماء بن خارجة

أخبرني عمي قال: حدثنا ابن أبي سعد قال: حدثني أحمد بن الهيثم السلمي قال: حدثني أبو فراس محمد بن فراس عن الكبي قال: أتى أعشى بني أبي ربيعة أسماء بن خارجة فامتدحه فأعطاه وكساه فقال:

لأسماء بن خارجة بن حصن على  
أقل تعللاً يوماً وبخلأ على  
عبء النوائب والغرامه  
السؤال من كعب بن مامه  
ومصقلة الذي يبتاع بيعاً  
ربيحاً فوق ناجية بن سامه

قال الكلبي: جعل ناجية رجلاً وهي امرأة لضرورة الشعر.

### مدحه سليمان بن عبد الملك

دخل أعشى بني أبي ربيعة على سليمان بن عبد الملك وهو ولي عهد فقال:

أتينا سليمان الأمير نزوره  
إذا كنت في النجوى به متفرداً فلا  
وكان أمراً يحبى ويكرم زائره  
الجود مخليه ولا البخل حاضره  
كلا شافعي سؤاله من ضميره  
على البخل ناهيه وبالجود أمره

فأعطاه وأكرمه وأمر كل من كان بحضرته من قومه ومواليه بصلته فوصلوه فخرج وقد ملأ يديه.

### صوت

نأتك أمامة إلا سؤالا  
يوافي مع الليل ميعادها  
وإلا خيالاً يوافي خيالاً  
ويأبى مع الصبح إلا زيالاً

فذلك يبذل من ودها ولو شهدت لم توات النوالا

فقد ريع قلبي إذ أعلنوا وقيل أجد الخليط احتمالاً

الشعر لعمر بن قميئة والغناء لحنين خفيف رمل بالوسطى من رواية أحمد بن يحيى المكي وذكر الهشامي وغيره أنه من منحول يحيى إلى حنين.

### أخبار عمرو بن قميئة ونسبه

#### نسبه

هو فيما ذكر أبو عمرو الشيباني عن أبي برزة: عمرو بن قميئة بن ذريح بن سعد بن مالك بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل بن قاسط بن هنب بن أفصى بن دعمي بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار.

قال ابن الكلبي: ليس من العرب من له ولدٌ كل واحد منهم قبيلة مفردة قائمة بنفسها غير ثعلبة بن عكابة فإنه ولد أربعة كل واحد منهم قبيلة: شيبان بن ثعلبة وهو أبو قبيلة وقيس بن ثعلبة وهو أبو قبيلة وذهل بن ثعلبة وهو أبو قبيلة وتيم الله بن ثعلبة وهو أبو قبيلة.

وكان عمرو بن قميئة من قدماء الشعراء في الجاهلية ويقال: إنه أول من قال الشعر من نزار وهو أقدم من امرئ القيس ولقيه امرؤ القيس في آخر عمره فأخرجه معه إلى قيصر لما توجه إليه فمات معه في طريقه وسمته العرب عمراً الضائع لموته في غربة وفي غير أرب ولا مطلب.

#### بعض صفاته

نسخت خبره من روايتي أبي عمرو الشيباني ومؤرج وأخبرني ببعضه الحسن بن علي عن أبيه عن ابن أبي سعد عن ابن الكلبي فذكرت ذلك في مواضعه ونسبته إلى روايته قالوا جميعاً: كان عمرو بن قميئة شاعراً فحلاً متقدماً وكان شاباً جميلاً حسن الوجه مديد القامة حسن الشعر ومات أبوه وخلفه صغيراً فكفله عمه مرثد بن سعد وكانت سبابتا قدميه ووسطياهما ملتصقتين وكان عمه محباً له معجباً به رقيقاً عليه.

#### مراودة امرأة عمه له وامتناعه عليها

وأخبرني عمي قال: حدثنا الكرابي قال: حدثنا أبو عمر العمري عن لقيط وذكر مثل ذلك سائر الرواة: أن مرثد بن سعد بن مالك عم عمرو بن قميئة كانت عنده امرأة ذات جمال فهويت عمراً وشغفت به ولم تظهر له ذلك فغاب مرثد لبعض أمره - وقا لقيط في خبره: مضى يضرب بالقдах - فبعثت امرأته إلى عمرو تدعوه على لسان

عمه وقالت للرسول: ائتني به من وراء البيوت ففعل فلما دخل أنكر شأها فوقف ساعة ثم راودته عن نفسه فقال: لقد جئت بأمر عظيم وما كان مثلي ليدعى لمثل هذا والله لو لم أمتنع من ذلك وفاءً لأمتنع منه خوف الدناءة والذكر القبيح الشائع عني في العرب قالت: والله لتفعلن أو لأسوأئك قال: إلى المساءة تدعيني. ثم قام فخرج من عندها وخافت أن يخبر عمه بما جرى فأمرت بجفنة فكفنت على أثر عمرو فلما رجع عمه وجدها متغضبة فقال لها: ما لك قالت: إن رجلاً من قومك قريب القرابة جاء يستامني نفسي ويريد فراشك منذ خرجت قال: من هو قالت: أما أنا فلا أسميه ولكن قم فافتقد أثره تحت الجفنة فلما رأى الأثر عرفه. هروبه من عمه إلى الحيرة قال مؤرج في خبره: فحدثني أبو برزة وعلقمة بن سعد وغيرهما من بني قيس بن ثعلبة قالوا: وكان لمرثد سيفٌ يسمى ذا الفقار فأتى ليضربه به فهرب فأتى الحيرة فكان عند اللخمييين ولم يكن يقوى على بني مرثد لكثرتهم وقال لعمرو بن هند: إن القوم اطردوني فقال له: ما فعلوا إلا وقد أحرمت وأنا أفحص عن أمرك فإن كنت مجرماً ما رددتك إلى قومك فغضب وهم بهجاء مرثد ثم أعرض عن ذلك ومدح عمه واعتذر إليه انتهى.

وأما أبو عمرو فإنه قال: لما سمع مرثد بذلك هجر عمراً وأعرض عنه ولم يعاقبه لموضعه من قلبه فقال عمرو يعتذر إلى عمه:

فما لبثي يوماً بسائق مغنمٍ ولا سرعتي يوماً بسائقة الردى

وإن تنظراني اليوم أقض لبانةً وتستوجبا مني علي وتحمدا

لعمرك ما نفسٌ بجد رشيدةٍ تؤامرني سوءاً لأصرم مرثداً

وإن ظهرت مني قوارص جمّةٍ وأفرع من لومي مزاراً وأصعدا

على غير جرمٍ أن أكون جنيتهٍ سوى قول باغٍ كادني فتجهدا

لعمري لنعم المرء تدعو بخيله إذا ما المنادي في المقامة نددا

عظيم رماد القدر لا متعيسٌ ولا مؤيسٌ منها إذا هو أوقدا

وإن صرحت كحلٌ وهبت عريةً من الريح لم تترك من المال مرفدا

صبرت على وطء الموالي وخطبهم إذا ضن ذو القربي عليهم وأخمدا

يعني أحمد ناره بخلاً وروى: أجمداً الحمد: البخيل.

ولم يحم فرج الحي إلا محافظٌ كريم المحيا ماجدٌ غير أجردا

الأجرد: الجعد اليد البخيل.

حماد الراوية يرى أنه أشعر الناس

أخبرني محمد بن العباس اليزيدي قال: حدثني عمي الفضل بن إسحاق عن الهيثم بن عدي قال: سألت رجلاً حماداً الراوية بالبصرة وهو عند بلال بن أبي بردة: من أشعر الناس قال الذي يقول:

رمتي بنات الدهر من حيث لا أرى فما بال من يرمى وليس برام  
قال: والشعر لعمر بن قميئة.

### بلوغه التسعين وقوله في ذلك

قال علي بن الصباح في خبره عن ابن الكلبي: وعمر ابن قميئة تسعين سنة فقال لما بلغها

كأنني وقد جاوزت تسعين  
على الراحتين مرة وعلى  
رمتي بنات الدهر من حيث  
فلو أن ما أرمى بنبل رميتها  
إذا ما رأني الناس قالوا: ألم يكن  
حجاةً خلعت بها عني عنان لجامي  
العصا أنوء ثلاثاً بعدهن قيامي  
لا أرى فما بال من يرمى وليس برام!  
ولكنما أرمى بغير سهام  
حديثاً جديد البري غير كهام!

وأهلكني تأمّل يومٍ وليلةٍ  
وتأمّل عامٍ بعد ذلك وعام

### عبد الملك بن مروان يتمثل بشعر له

أخبرني الحسين بن يحيى قال: قال حماد بن إسحاق: قرأت على أبي: حدثنا الهيثم بن عدي عن مجالد عن الشعبي قال: دخلت على عبد الملك بن مروان في علته التي مات فيها فقلت: كيف تجددك يا أمير المؤمنين فقال: أصبحت كما قال عمرو بن قميئة:

كأنني وقد جاوزت تسعين حجاةً  
رمتي بنات الدهر من حيث لا أرى  
فلو أنها نبلى إذاً لاتقيتها ولكنما  
وأهلكني تأمّل يومٍ وليلةٍ  
خلعت بها عني عنان لجام  
فكيف بمن يرمى وليس برام!  
أرمى بغير سهام  
وتأمّل عامٍ بعد ذلك وعام

فقلت: لست كذلك يا أمير المؤمنين ولكنك كما قال لبيد:

قامت تشكى إلي الموت مجهشةً  
فإن تزاذي ثلاثاً تبلي أماً  
وقد حملتك سبعاً بعد سبعينا  
وفي الثلاث وفاءً للثمانينا

كأني وقد جاوزت تسعين حجةً  
خلعت بها عن منكبي ردائيا  
فعاش حتى بلغ عشرين ومائة سنة فقال:

أليس في مائةٍ قد عاشها رجلٌ  
وفي تكاملٍ عشرٍ بعدها عبر  
فعاش والله حتى بلغ مائة وعشرين سنة فقال:

وغنيت سبتاً قبل مجرى داحسٍ  
لو كان للنفس اللجوج خلود  
ويروى: "دهراً قبل مجرى داحس" فعاش حتى بلغ مائة وأربعين سنة فقال:

ولقد سئمت من الحياة وطولها  
وسؤال هذا الناس كيف ليبيد  
فتبسم عبد الملك وقال: لقد قويت من نفسي بقولك يا عامر وإني لأجد خفاً وما بي من بأس وأمر لي بصلة  
وقال لي: اجلس يا شعبي فحدثني ما بينك وبين الليل فجلست فحدثته حتى أمسيت وخرجت من عنده فما  
أصبحت حتى سمعت الواعية في داره.

### خروجه مع امرئ القيس إلى قيصر

أخبرني عمي قال: حدثني عبد الله بن أبي سعد قال: حدثني محمد بن عبد الله بن طهمان السلمى عن إسحاق بن  
مرار الشيباني قال: نزل امرؤ القيس بن حجر ب بكر بن وائل وضرب قبتة وجلس إليه وجوه بكر بن وائل فقال  
لهم: هل فيكم أحد يقول الشعر فقالوا: ما فينا شاعر إلا شيخ قد خلا من عمره وكبر قال: فأتوني به فأتوه  
بعمر بن قميئة وهو شيخ فأنشده فأعجب به فخرج به معه إلى قيصر وإياه عنى امرؤ القيس بقوله:

بكي صاحبي لما رأى الدرب دونه  
وأيقن أنا لاحقان بقيصرا

فقلت له: لا تبك عينك إنما نحاول  
ملكاً أو نموت فنعذرا

وقال مؤرج في هذا الخبر: إن امرأ القيس قال لعمر بن قميئة في سفره: ألا تركب إلى الصيد فقال عمرو:

شكوت إليه أنني ذو جلالةٍ  
وأني كبيرٌ ذو عيالٍ مجنب

فقال لنا: أهلاً وسهلاً ومرحباً  
إذا سرکم لحمٌ من الوحش فاركبوا

### صوت

يا آح من حر الهوى إنما يعرف  
حر الحب من جربا

أصبحت للحب أسيراً فقد  
صعدني الحب وقد صوبا

لا شك أني ميتٌ حسرةً  
إن لم أزر قبل غدٍ زينبا

## تلك التي إن نلتها لم أبل من شرق الدهر أو غرباً

الشعر للمؤمل بن جميل بن يحيى بن أبي حفصة بن عمرو بن مروان بن أبي حفصة والغناء لابن جامع رمل بالوسطى عن إبراهيم والهشامي.

### أخبار المؤمل بن جميل

#### كان أبوه جميل يلقب قتيلاً الهوى

قد مضى نسب أبي حفصة في أخبار مروان وكان يحيى بن أبي حفصة يكنى أبا جميل. والمؤمل بن جميل يكنى أبا جميل. وأم جميل أميرة بنت زياد بن هوزة بن شماس بن لؤي من بني أنف الناقة الذين يمدحهم الخطيئة. وأم المؤمل شريفة بنت المذلق بن الوليد بن طلبة بن قيس بن عاصم المنقري وكان جميل يلقب قتيلاً الهوى ولقب بذلك لقوله:

قلن: من ذا فقلت: هذا اليم اني قتيلاً الهوى أبو الخطاب

قلن: بالله أنت ذاك يقيناً لا تقل قول مازح لعاب

إن تكن أنت هو فأنت منانا خالياً كنت أو مع الأصحاب

#### أخبار له مع غلامه المطرز

أخبرني بذلك يحيى بن علي إجازة عن محمد بن إدريس بن سليمان عن أبيه وحكى أبو أحمد - رحمه الله - عن محمد بهذا الإسناد: أن أبا جميل اشترى غلاماً مدينياً مغنياً مجلوباً من مولدي السند على البراءة من كل عيب يقال له المطرز فدعا أصحاباً له ذات يوم ودعا شيخين من أهل اليمامة مغنيين يقال لأحدهما السائب وللآخر شعبة فلما أخذ القوم مجلسهم ومعهم المطرز اندفع الشيخان فغنيا فقال المطرز لأبي جميل مولاه: ويلك يا أبا جميل يابن الزانية أتدري ما فعلت ومن عندك فقال له: ويلك! أجننت! ما لك! قال: أما أنا فأشهد أنك تأمن مكر الله حين أدخلت منزلك هذين.

قال: وبعثه يوماً يدعو أصدقاء له فوجدهم عند رجل من أهل اليمامة يقال له بملول وهو في بستان له فقال لهم: مولاي أبو جميل قد أرسلني أدعوكم وقد بلغتكم رسالته وإن شاورتموني أشرت عليكم فقالوا: أشر علينا قال: أرى ألا تذهبوا إليه فمجلسكم والله أنزه من مجلسه وأحسن فقالوا له: قد أطعناك قال: وأخرى قالوا: وما هي قال: تحلفون علي ألا أبرح ففعلوا فأقام عندهم.

وغضب عليه أبو جميل يوماً فبطحه يضربه وهو يقول: ويلك أبا جميل! اتق الله في الله الله في أمري أما علمت ويلك خبري قبل أن تشتريني! قال: وكان يبعثه إلى بئر لهم عذبة في بستان له يسقي منها لهم ماء فكان يستقيه ثم يصبه لجيران لهم في حيهم ثم يستقي مكانه من بئر لهم غليظة فإذا أنكر مولاه قال له: سل الغلمان إذا أتيت البستان: هل استقيت منه فيسألهم

### انقطاعه إلى جعفر ثم عبد الله بن مالك

حدثنا يحيى بن محمد بن إدريس عن أبيه: أن يحيى بن أبي حفصة زوج ابنة جميل شريفة بنت المذلق بن الوليد بن طلبة بن قيس بن عاصم فولدت له المؤمل بن جميل وكان شاعراً ظريفاً غزلاً وكان منقطعاً إلى جعفر بن سليمان بالمدينة ثم قدم العراق فكان مع عبد الله بن مالك وذكره للمهدي فحظي عنده وهو الذي يقول في شكاة اشتكاها عبد الله بن مالك:

ظلت علي الأرض مظلمة إذ قيل عبد الله قد عكا

يا ليت ما بك بي وإن تلفت نفسي لذاك وقل ذاك لكا

وهو الذي يقول:

يا آح من حر الهوى إنما يعرف حر الحب من جربا

وذكر الأبيات التي تقدم ذكرها والغناء فيها.

### صوت

إني وهبت لظالمي ظلمي وغفرت ذاك له على علم

ما زال يظلمني وأرحمه حتى رثيت له من الظلم

الشعر لمساور الوراق والغناء لإبراهيم بن أبي العبيس ثاني ثقبيل بالوسطى أخبرني بذلك ذكاء وغيره.

### أخبار مساور ونسبه

#### نسبه

هو مساور بن سوار بن عبد الحميد من آل قيس بن عيلان بن مضر ويقال: إنه مولى خويلد بن عدوان كوفي قليل الشعر من أصحاب الحديث ورواته وقد روى عن صدر من التابعين وروى عنه وجوه أصحاب الحديث. أخبرني علي بن طيفور بن غالب النسائي قال: حدثنا يعقوب بن حميد بن كاسب قال: حدثنا حماد بن أسامة

عن مساور الوراق قال: حدثني جعفر بن عمرو بن حريث عن أبيه قال: كأني أنظر إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهو على ناقته يخطب وعليه عمامة سوداء قد أرخاها بين كتفيه.

### خبره مع ابن أبي ليلى

أخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال: أخبرني الأشناداني عن الأصمعي قال: كان قوم يجلسون إلى ابن أبي ليلى فكتب قوماً منهم لعيسى بن موسى وأشار عليه أن يشغلهم ويصلهم فأتى مساور الوراق فكلمه أن يجعله فيهم فلم يفعل فأنشأ يقول:

كثير العيال قليل السؤال عف مطاعمه معدم

يقيم الصلاة ويؤتي الزكاة وقد حلق العام بالموسم

وأصبح والله في قومه وأمسى وليس بذي درهم

قال: فقال ابن أبي ليلى: لا حاجة لنا فيه فقال فيه مساورٌ أبياتاً قال أبو بكر بن دريد: كرهنا ذكرها صيانة لابن أبي ليلى.

### هجا ابن أبي بدرة لعيبه شعراً للمرقش

أخبرني محمد قال: حدثني التوزي قال: كان مساور الوراق وحماد عجرد وحفص بن أبي بردة مجتمعين فجعل حفص يعيب شعر المرقش الأكبر فأقبل عليه مساورٌ فقال:

لقد كان في عينيك يا حفص شاغل وأنفٌ كثيل العود عما تتبع

تتبعت لحناً في كلام مرقشٍ ووجهك مبني على اللحن أجمع

فقام حفص من المجلس خجلاً وهاجره مدة.

### وصيته لابنه

نسخت من كتاب عبيد الله اليزيدي بخطه: حدثنا سليمان بن أبي شيخ قال: كان مساور الوراق من جديلة قيس ثم من عدوان مولى لهم فقال لابنه يوصيه:

شمر ثيابك واستعد لقائل واحكك جبينك للعهود بثوم

إن العهود صفت لكل مشمرٍ دبر الجبين مصفرٍ موسوم

أحسن وصاحب كل قارٍ ناسكٍ حسن التعهد للصلاة صؤوم

من ضرب حمادٍ هناك ومسعرٍ وسماكٍ العتكي وابن حكيم

وعليك بالغنوي فاجلس عنده حتى تصيب وديعةً ليتيم  
تغنيك عن طلب البيوع نسيئةً وتكف عنك لسان كل غريم  
وإذا دخلت على الربيع مسلماً فاخصص شبابية منك بالتسليم

#### ولاه عيسى بن موسى عملاً فانكسر عليه الخراج

قال: ففعل ما أوصاه به أبوه فلم يلبث مساوراً أن ولاه عيسى بن موسى عملاً ودفع إليه عهده فانكسر عليه  
الخراج فدفع إلى بطين صاحب عذاب عيسى يستأديه فقال مساور:

وجدت دواهر البقال أهنى من الفرني والجدي السمين  
فكن يا ذا المطيف بقاضيينا غداً من علم ذاك على يقين  
وقل لهما إذا عرضا بعهدٍ برئت إلى عرينه من عرين  
فإنك طالما بهرجت فيها بمثل الخنفساء على الجنين

#### مر بمقبرة صديقه حميد الطوسي فقال

أخبرني الحسن بن علي قال: حدثنا محمد بن موسى بن حماد قال: مر مساور الوراق بمقبرة حميد الطوسي وكان  
له صديقاً فوقف عليها مستعبراً وأنشأ يقول:

أبا غانمٍ أما ذراك فواسعٌ وقبرك معمور الجوانب محكم  
وما ينفع المقبور عمران قبره إذا كان فيه جسمه يتهدم

#### شعر له في أصحاب أبي حنيفة

أخبرني إسماعيل بن يونس الشيعي قال: حدثنا الرياشي قال: حدثنا محمد بن الصباح عن سفيان بن عيينة  
ونسخت هذا الخبر أيضاً من بعض الكتب: أن حامد بن يحيى البلخي حدث عن سفيان بن عيينة وهذه الرواية أتم  
قال: لما سمع مساور الوراق لغط أصحاب أبي حنيفة وصياحهم أنشأ يقول:

قومٌ إذا اجتمعوا ضجوا كأنهم ثعالبٌ ضجت بين النواويس

فبلغ ذلك أبا حنيفة وأصحابه فشق عليهم وتوعده فقال أبياتاً ترضيهم وهي:

إذا ما الناس يوماً قايسوناً بآبدةٍ من الفتيا ظريفه

أتيناهم بمقياسٍ ظريفٍ مصيبٍ من قياسِ أبي حنيفة

إذا سمع الفقيه بها وعاهها وأثبتها بحبرٍ في صحيفه

فبلغ أبا حنيفة فرضي. قال مساورٌ: ثم دعينا إلى وليمة بالكوفة في يوم شديد الحر فدخلت فلم أجد لرجلي موضعاً من الزحام وإذا أبو حنيفة في صدر البيت فلما رأي قال: إلي يا مساور فجتت فإذا مكان واسع وقال لي: اجلس فجلست فقلت في نفسي: نفعني أبياتي اليوم. قال: وكان إذا رأي بعد ذلك يقول لي: ها هنا ها هنا ويوسع لي إلى جنبه ويقول: إن هذا من أهل الأدب والفهم انتهى.

### حفظ حقوق جيرانه وضيعوا حقه فهجاهم

أخبرني محمد بن الحسين بن دريد قال: حدثنا أبو المعمر عبد الأول بن مزيد أحد بني أنف الناقة قال: كان مساور الوراق لا يضيع حقاً لجار له فماتت بنته فلم يشهد لها من جيرانه إلا نفرٌ يسيرٌ فقال مساورٌ في ذلك:

تغيب عني كل جافٍ ضرورةً وكل طفيلي من القوم عاجز

سريع إذا يدعى ليوم وليمة بطيء إذا ما كان حمل الجنائز

أخبرني محمد بن الحسن قال: حدثنا عبد الأول قال: قدم جارٌ لمساور الوراق من سفر فجاهه يسلم عليه فقال: يا جارية هاتي لأبي القاسم غداء فجاءت برغيق فوضعت على الخوان فمد يده يأكل مع مساور وقال له: يا أبا القاسم كل من هذا الخبز فما أكلت خبزاً أطيب منه فقال مساورٌ في ذلك:

ما كنت أحسب أن الخبز فاكهةٌ حتى رأيتك يا وجه الطبرزين

كأن لحيته في وجهه ذنبٌ أو شعرةٌ فوق بظرٍ غير مختون

يعود أبا العيص الجرمي ويسمع منه شعراً في مرض موته أخبرني الحسن بن علي قال: حدثنا أحمد بن الحارث عن المدائني قال: دخل مساورٌ الوراق على أبي العيص الجرمي يعوده وكان صديقه فكلمه فلم يجبه فبكى مساورٌ جزعاً عليه وأدى رأسه منه يكلمه فقال أبو العيص:

سيوشك يومٌ أن يجيء وليلةٌ يسوقان حتماً راح نحوك أو غدا

فتمسي صريعاً لا تجيب لدعوةٍ ولا تسمع الداعي وإن جد في الدعا

ثم لم يلبث أن مات رحمه الله.

### صوت

تنامين عن ليلي وأسهره وحدي وأنهى جفوني أن تبتك ما عندي

## فإن كنت ما تدرين ما قد فعلته بنا فانظري ماذا على قاتل العمدة

الشعر لسعيد بن حميد الكاتب والغناء لعريب خفيف ثقيل مطلق بالسبابة في مجرى الوسطى.

### أخبار سعيد بن حميد ونسبه

#### نسبه

سعيد بن حميد بن سعيد بن حميد بن بحر يكنى أبا عثمان من أولاد الدهاقين وأصله من النهروان الأوسط وكان هو يقول: إنه مولى بني سامة بن لؤي من أهل بغداد بها ولد ونشأ ثم كان ينتقل في السكنى بينه وبين سر من رأى.

#### كان كاتباً شاعراً

كاتبٌ شاعر مترسل حسن الكلام فصيح وكان أبوه وجهاً من وجوه المعتزلة فخالف أحمد بن أبي داود في بعض مذهبه فأغرى به المعتصم وقال: إنه شعوي زنديق فحبسه مدة طويلة ثم بانت براءته له أو للوائق بعده فخلى سبيله وكان شاعراً أيضاً فكان يهجو أحمد بن أبي داود وأنشدنيها جماعة من أصحابنا قال:

#### أبوه يهجو أحمد بن أبي داود

لقد أصبحت تنسب في إيادٍ بأن يكنى أبوك أبا دواد  
فلو كان اسمه عمرو بن معدي دعيت إلى زبيدٍ أو مراد  
وإن تك قد أصبت طريف مالٍ فبخلك باليسير من التلاد

#### قوة حافظته

فذكر محمد بن موسى أن أبا يوسف بن الدقاق اللغوي أخبره أن حميد بن سعيد بن حميد دفع إليه ابنه سعيداً وهو صبي فقال له: امض به معك إلى مجلس ابن الأعرابي قال: فحضرناه ذات يوم فأنشدنا أرجوزةً لبعض العرب فاستحسنتها ولم تكن معنا محبرة نكتبها منها فلما انصرفنا قلت له: فائتنا هذه الأرجوزة فقال: لم تفتك أتجب أن أنشدكها قلت: نعم فأنشدنيها وهي نيف وعشرون بيتاً قد حفظها عنه وإنما سمعها مرة واحدة فلقيت أباه من غد فقال لي: كيف رأيت سعيداً قلت له: إنك أوصيتني به وأنا أسألك الآن أن توصيه بي فضحك وسألني عن الخبر فأعلمته فسر به.

#### خبره مع أبي العباس بن ثوابة

أخبرني علي بن العباس بن أبي طلحة قال: حدثني ابن أبي المدور قال: دخل سعيد بن حميد يوماً على أبي العباس بن ثوبة وكان أبو العباس يعاتبه على الشغف بالعلماء المرد فرأى على رأسه غلاماً حسن الوجه عليه منقطة وثياب حسان فقال له:

**يا أبا أز عمت أنك لا تلوط فقل لنا هذا المقرط قائماً ما يصنع!**

**شهدت ملاحظته عليك بريية وعلى المريب شواهد لا تدفع**

فضحك أبو العباس وقال: خذه لا بورك لك فيه حتى نستريح من عتبك.

**حيلة له مع غلام من أولاد الموالي**

أخبرني عمي رحمه الله قال: قال لي محمد بن موسى بن الحسن بن الفرات الكاتب: كان سعيد بن حميد يهوى غلاماً له من أولاد الموالي فغاب عنه مدة ثم جاءه مسلماً فقال له: غبت عني هذه المدة ثم تجيئني فلا تقيم عندي! فقال له: قد أمسينا فقال: تبيت قال: لا والله لا أقدر ولم يزل به حتى اتفقا على أنه إذا سمع أذان العتمة انصرف فقال له: قد رضيت.

ووضع النبيذ فجعل سعيد يحث السقي بالأرطال فلما قرب وقت العتمة أخذ رقعةً فكتب فيه إلى إمام المسجد وهو مؤذنه قوله:

**قل لداعي الفراق آخر قليلاً قد قضينا حق الصلاة طويلاً**

**آخر الوقت في الأذان وقدم بعدها الوقت بكرةً وأصيلاً**

**ليس في ساعة تؤخرها وزرٌ فنحيا بها وتأتي جميلاً**

فلما قرأ المؤذن الرقعة ضحك وكتب إليه يخلف أنه لا يؤذن ليلته تلك العتمة وجعل الفتى ينتظر الأذان حتى أمسى وسمع صوت الحارث فعلم أنها حيلة وقعت عليه وبات في موضعه وقال سعيد في ذلك:

**عرضت بالحب له وعرضا حتى طوى قلبي على جمر الغضى**

**وأظهرت نفسي عن الدهر الرضا ثم جفاني وتولى معرضاً**

**لم ينقض الحب بلى صبري انقضى فذاك من ذاق الكرى أو غمضاً**

**حتى طرقت فنسيت ما مضى سألته حويجةً فأعرضاً**

**وقال: لا قول مجيب برضا فكان ما كان وكابرنا القضا**

في هذه الأبيات هزج لأحمد بن صدقة أخبرني بذلك ذكاء وجه الرزة.

وجدت في بعض الكتب: حدثني أحمد بن سليمان بن وهب أنه كان في مجلس فيه سعيد بن حميد فلما سكروا

قام سعيد قومة بعد العصر فلم نشعر إلا وقد أخذ ثيابه فلبسها وأخذ بعضدي الباب وأنشأ يقول:

سلام عليكم حالت الراح بيننا وألوت بنا عن كل مرأى ومسمع  
فقام له أهل المجلس وقالوا: يا سيدنا اذهب في حفظ الله وفي ستره فانصرف وودعهم.

### كتب لفضيل الشاعرة يعتذر إليها

حدثني محمد بن الطلاس أبو الطيب قال: حدثني عبد الله بن طالب الكاتب قال: قرأت رقعة بخط سعيد بن حميد  
إلى فضل الشاعرة يعتذر إليها من تغير ظنته به وفي آخرها:

تظنون أني قد تبدلت بعدكم بديلاً وبعض الظن إنهم ومنكر  
إذا كان قلبي في يديك رهينة فكيف بلا قلب أصافي وأهجر!  
في هذين البيتين لابن القصار الطنبوري رمل وفيهما لمحمد قريض خفيف رمل.

### خبره مع كعب جارية أبي عكل المقيين

أخبرني علي بن العباس بن أبي طلحة الكاتب قال: حدثني أبو علي المداراني أنه كان في مجلس فيه كعب جارية  
أبي عكل المقيين وكان بعض أهل المجلس يهواها قال: فدخل إلينا سعيد بن حميد فقام إليه أهل المجلس جميعاً سوى  
الجارية والفتى فأخذ سعدي الدواة فكتب رقعة وألقاها في حجرها فإذا فيها قوله:

ما على أحسن خل ق الله أن يحسن فعله  
وبخيل بالهوى لو كان يسلى عنه بخله  
أكثر العاذل في حبك لو ينفع عدله  
فهو مشغول بعذلي وفؤادي بكل شغله

### أكثر الشكوى وأستع دي على من قل بذله

فوثبت الجارية فقبلت رأسه وجلست إلى جنبه فقال الرجل الذي كان يهواها: هذا والله كلام الشياطين ورقية  
الزنا وبهذا يتم الأمر أما أنا فإني أشهدكم لا قرأت اليوم في صلاتي غير هذه الأبيات لعلها تنفعني فضحك سعيد  
وقال: بجياتي قومي فارجمي إليه حتى تكون الأبيات قد نفعته قبل أن يقرأها في صلاته وسريين بذلك فقامت  
فرجعت إلى موضعها.

### خبره مع جارية زارته على غير وعد

قال علي بن العباس: وحدثني أبو علي المارداني: أنه كان عنده يوماً فدخلت إليه جاريةٌ - كان يهواها - غفلةً على غير وعد فسر بذلك وقال لها: قد كنت على عتابك فأما الآن فلا فقالت: أما العتاب فلا طاقة لي به ووالله ما جئتك إلا عند غفلة البواب فقال سعيد في ذلك:

زارك زورٌ على ارتقاب مغتماً غفلة الحجاب  
كالشمس تبدو وقد طواها دونك سترٌ من السحاب  
قد كان في النفس منك عتبٌ يدعو إلى شدة اجتناب  
فملت بالعتب عن حبيبٍ يضعف عن موقف العتاب  
والذنب منه وأنت تخشى في هجره صولة العقاب

### عبد الله بن داود يستحسن شعراً له

أخبرني عمي قال: حدثني ابن أبي سعد قال: حدثني محمد بن عبد الله بن داود قال: كان أبي يستحسن قول سعيد بن حميد:

تظنون أني قد تبدلت بعدكم بديلاً وبعض الظن إنهم ومنكر  
غذا كان قلبي في يديك رهينةً فكيف بلا قلب أصافي وأهجر!  
ويقول: لئن عاش هذا الغلام ليكون له في الشعر شأن.  
في هذين البيتين غناء من خفيف الرمل وذكر قريض أنه له.

### زارته فضل الشاعرة فجأة

#### أثناء زيارتها إلى القصر فقال في ذلك شعراً

أخبرني ابن أبي طلحة قال: حدثني إسحاق بن مسافر أنه كان عند سعيد بن حميد يوماً إذ دخلت عليه فضل الشاعرة على غفلة فوثب إليها وسلم عليها وسألها أن تقيم عنده فقالت: قد جاءني وحياتك رسولٌ من القصر فليس يمكنني الجلوس وكرهت أن أمر ببابك ولا أراك فقال سعيد من وقته على البديهة:

قربت ولا نرجو اللقاء ولا نرى لنا حيلة يدنيك منا احتيالها  
قأصبحت كالشمس المنيرة ضوءها قريبٌ ولكن أين منا منالها!  
كظاعنة ضنت بها غربة النوى علينا ولكن قد يلم خيالها  
تقربها الآمال ثم تعوقها مماملة الدنيا بها واعتلالها

ولكنها أمنيّةٌ فلعلها وجود بها صرف النوى وانتقالها

### تغاضب فضل وسعيد

أخبرني عمي قال: حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال: حدثني محمد بن عبد الله بن يعقوب بن داود قال: تغاضب سعيد بن حميد وفضل الشاعرة أياماً ثم كتب إليها:

ونجري على سنة العاشقين ونضمن عني وعنك الرضا

ويبذل هذا لهذا هواه ويصبر في حبه للقضا

ونخضع ذلاً خضوع العبيد لمولى عزيز إذا عرضا

فإني مذ لج هذا العتاب كأني أبطنت جمر الغضى

فصارت إليه وصالحته.

في هذه الأبيات لهاشم بن سليمان ثقيل أول بالوسطى وفيها لابن القصار خفيف رمل.

### رسول الحسن بن مخلد يدعوه فيقول

أخبرني ابن أبي طلحة قال: حدثنا أبو العباس بن أبي المدور قال: بات سعيد بن حميد عند أبي الفضل بن أحمد بن إسرائيل واصطبحا على غناء حسن كان عندهما فجاءه رسول الحسن بن مخلد وقد أمر ألا يفارقه لأمرٍ مهم فقام فلبس ثيابه وأنشأ يقول:

يا ليلةً بات النحوس بعيدةً عنها على رغم الرقيب الراصد

تدع العوازل لا يقمن لحاجةٍ وتقوم بهجتها بعذر الحاسد

والدمع ينطق للضمير مصداقاً قول المقر مكذباً للجاحد

### أبو العباس بن ثوابة يعاتبه فيجيبه

أخبرني ابن أبي طلحة قال: حدثني أبو العباس بن أبي المدور قال: كان سعيد بن حميد صديقاً لأبي العباس بن ثوابة فدعاه يوماً وجاءه رسول فضل الشاعرة يسأله المصير إليها فمضى معه وتأخر عن أبي العباس فكتب إليه رقعةً يعاتبه فيها معاتبة فيها بعض الغلظة فكتب إليه سعيد:

أقل عتابك فالبقاء قليل والدهر يعدل تارةً ويميل

لم أبك من زمن ذممت صروفه إلا بكيت عليه حين يزول

ولكل نائبةٍ أمت مدةً ولكل حالٍ أقبلت تحويل

والمنتمون إلى الإخاء جماعةً إن حصلوا أفناهم التحصيل  
ولعل أحداث الليالي والردى يوماً ستصدع بيننا وتحول  
فلئن سبقت لتبكين بحسرة وليكثرن علي منك عويل  
ولتفجعن بمخلص لك وامق حبل الوفاء بحبله موصول

ولئن سبقت ولا سبقت ليمضين من لا يشاكله لدي عليل  
وأراك تكلف بالعتاب وودنا باقٍ عليه من الوفاء دليل  
ودبدا لذوي الإحاء جميله وبدت عليه بهجةً وقبول  
ولعل أيام الحياة قصيرةً فعلام يكثر عتبنا ويطول

#### مظلومة جارية الدقيقي تعاتبه فيرد عليها

أخبرني الطلحي قال: حدثني أبو علي بن أبي الرعد: أن سعيد بن حميد كان يهوى مظلومة جارية الدقيقي فبلغه  
أما تواصل بعض أعدائه فهجرها مدة فكتبت إليه تعاتبه وتشوقه فكتب إليها:

أمري وأمرك شيءٌ غير متفق والهجر أفضل من وصلٍ على ملق  
لا أكذب الله ما نفسي بساليةٍ ولا خليقة أهل الغدر من خلقي  
فإن وثقت بود كنت أبذله فعاودي سوء ظن بي ولا تتقي

#### اعتذر إلى هبة المغنية فقبلت رأسه

وذكر اليوسفي الكاتب أنه حضر سعيداً في منزل بعض إخوانه وعندهم هبة المغنية وكان سعيد يتعشقها ويهيم  
بها فغضبت عليه يوماً لبعض الكلام على النبيذ ودخلت بعد ذلك وهو في القوم فسلمت عليهم سواه فقالوا لها:  
أهجرين أبا عثمان فقالت: أحب أن تسألوه ألا يكلمني فقال سعيد:

اليوم أيقنت أن الهجر متلفةٌ وأن صاحبه منه على خطر  
كيف الحياة لمن أمسى على شرفٍ من المنية بين الخوف والحذر  
يلوم عينيه أحياناً بذنبهما ويحمل الذنب أحياناً على القدر  
تتأون عنه وينأى قلبه معكم فقلبه أبداً منه على سفر  
فوئبت إليه وقبلت رأسه وقالت: لا أهجرك والله أبداً ما حييت.

### غضبت عليه فضل فكتب إليها

أخبرني جحظة قال: حدثني ميمون بن هارون قال: غضبت فضل الشاعرة على سعيد بن حميد فكتب إليها:

يا أيها الظالم ما لي ولك أهكذا تهجر من واصلك!

لا تصرف الرحمة عن أهلها قد يعطف المولى على من ملك

تبارك الله فما أعلم الله بم ألقى وما أغفلك!

فراجعت وصله وصارت إليه جواباً للرقعة.

في هذه الأبيات لعريب ثاني ثقيل وهزج عن ابن المعتز وأخبرني ذكاء الرزة أن الثقيل الثاني لأحمد بن أبي العلاء. فضل الشاعرة تشكو شوقها إليه أخبرني الطوسي الطلحي قال: حدثنا محمد بن السري: أن سعيد بن حميد كان في مجلس الحسن بن مخلد إذ جاءه الغلام برقعة فضل الشاعرة تشكو فيها شدة شوقها فقرأها وضحك - فقال له الحسن بن مخلد: بحياتي عليك أقرئنيها فدفعها إليه فقرأها وضحك وقال له: قد وحياتي ملحت فأجب فكتب إليها:

يا واصل الشوق عندي من شواهد قلب يهيم وعين دمعها يكف

والنفس شاهدة بالود عارفة وأنفس الناس بالأهواء تأتلف

فكن على ثقة مني وبينتي إنني على ثقة من كل ما تصف

عدلت فضل عنه إلى بنان بن عمرو فقال لما عشقت فضل الشاعرة بنان بن عمرو المغني وعدلت عن سعيد بن حميد إليه أسف عليها وأظهر تجلداً ثم قال فيها:

قالوا: تعز وقد بانوا فقلت لهم: بان العزاء على آثار من بانا

وكيف يملك سلواناً لحبهم من لم يطق للهوى سترأ وكتمانا!

كانت عزائم صبري أستعين بها صارت علي بحمد الله أعوانا

لا خير في الحب لا تبدو شواكله ولا ترى منه في العينين عنوانا

قال أبو الحسن جحظة: وغنى فيه بعض المحدثين لحناً حسناً وأظنه عن نفسه.

### كتب إلى أبي هفان يتبرأ

من طعن فيه نسب إليه ظلماً

أخبرني الطلحي قال: حدثني أبو عيسى الكاتب: أن أبا هفان بلغه عن سعيد بن حميد كلامٌ فيه جفاء وطعن على شعره فتوعده بالهجاء وكان الحاكي عن ذلك كاذباً فبلغ سعيداً ما جرى فكتب إلى أبي هفان:

أمسى يخوفني العبدى صولته وكيف آمن بأس الضيغم الهصر!  
ولا أبارزه بالأمر يكرهه ولو أعنت بأنصار من الغير  
له سهامٌ بلا ريشٍ ولا عقبٍ وقوسه أبداً عطلٌ من الوتر  
وكيف آمن من نحري له غرضٌ وسهمه صائبٌ يخفى عن البصر !

### عاتبته فضل الشاعرة فزارها وقال

#### فيها شعراً

أخبرني الطلحي قال: حدثني محمد بن السري: أنه سار إلى سعيد بن حميد وهو في دار الحسن بن مخلد في حاجة له قال: فإني عنده إذ جاءته رقعة فضل الشاعرة وفيها هذان البيتان: صوت  
الصبر ينقص والسقام يزيد والدار دانيةٌ وأنت بعيد  
أشكوك أم أشكو إليك فإنه لا يستطيع سواهما المجهود  
أنا يا أبا عثمان في حال التلف ولم تعدي ولا سألت عن خبري.

فأخذ بيدي فمضينا إليها فسأل عن خبرها فقالت: هو ذا أموت وتستريح مني فأنشأ يقول:

لا مت قبلي بل أحيأ وأنت معاً ولا أعيش إلى يوم تموتينا  
حتى إذا قدر الرحمن ميئتنا وحن من أمرنا ما ليس يعدونا  
متنا جميعاً كغصني بانه ذبلاً من بعد ما نضرا واستوسقا حيناً  
ثم السلام علينا في مضاجعنا حتى نعود إلى ميزان منثينا  
أخبرني إبراهيم بن القاسم بن زرور قال: قال لي أبي: كانت فضل الشاعرة تتعشق سعيد بن حميد مدة طويلة ثم  
تعشقت بناً وعدلت عنه فقال فيها قصيدته الدالية التي يقول فيها: تنامين عن ليلي وأسهره وحدي فلم تتعطف  
عليه وبلغها بعد ذلك أنه قد عشق جارية من جواري القيان فكتبت إليه:  
يا عالي السن سييء الأدب شبت وأنت الغلام في الطرب  
ويحك إن القيان كالشرك الم نصوب بين الغرور والعتب  
لا تصدين للفقير ولا يطلبن إلا معادن الذهب  
بيننا تشكى هواك إذ عدلت عن زفرات الشكوى إلى الطلب

## تلحظ هذا وذاك وذا لحظ محب وفعل مكتسب

عادته فضل في مرضه وأهدته هدايا كثيرة افتصد سعيد بن حميد فسألتني فضل الشاعرة وسألت عريب أن نمضي إليه ففعلنا وأهدت إليه هدايا فكان منها ألف جدي وحمل وألف دجاجة فائقة وألف طبق ريجان وفاكهة ومع ذلك طيبٌ كثيرٌ وشرابٌ وتحفٌ حسانٌ فكتب إليها سعيد: إن سروري لا يتم إلا بحضورك فجاءته في آخر النهار وجلسنا نشرب فاستأذن غلامه لبنان فأذن له فدخل إلينا وهو يومئذ شاب طرير حسن الوجه حسن الغناء نظيف الثياب شكلاً فذهب بها كل مذهب وأقبلت عليه بحديثها ونظرها فتشمر سعيد واستطير غضباً وتبين بنان القصة فانصرف وأقبل عليها سعيد يعذلها ويؤنبها ساعة ثم أمسك فكتبت إليه:

يا من أطلت تفرسي في وجهه وتنفسي

أفديك من متدلل يزهي بقتل الأنفس

هبني أسأت وما أسأت بلى أقر أنا المسي

أحلفتني ألا أسارق نظرةً في مجلسي

فنظرت نظرة مخطيء أتبعنها بتفرس

ونسيت أنني قد حلفت فما عقوبة من نسي

فقام سعيد فقبل رأسها وقال: لا عقوبة عليه بل نحتمل هفوته ونتجافى عن إساءته وغنت عريب في هذا الشعر هزجاً فشربنا عليه بقية يومنا ثم افترقنا. وأثر بنان في قلبها وعلقت به فلم تزل حتى واصلته وقطعت سعيداً. وجدت في بعض الكتب عن عبد الله بن المعتز قال: قال لي إبراهيم بن المهدي: كانت فضل الشاعرة من أحسن خلق الله خطأً وأفصحهم كلاماً وأبلغهم في مخاطبة وأثبتهم في محاوره فقلت يوماً لسعيد بن حميد: أظنك يا أبا عثمان تكتب لفضل رقاعها وتقيدها وتخرجها فقد أخذت نحوك في الكلام وسلكت سبيلك فقال لي وهو يضحك: ما أخيب ظنك ليتها تسلم مني ولا آخذ كلامها ورسائلها والله يا أخي لو آخذ أفاضل الكتاب وأمانتهم عنها لما استغنوا عن ذلك.

## صوت

كل حي لاقى الحمام فمودي ما لحي مؤمل من خلود

لا تهاب المنون شيئاً ولا تبقي على والدٍ ولا مولود

الشعر لابن منذر والغناء لبنان ثقيل أول بالسبابه في مجرى الوسطى من كتابه الذي جمع فيه صنعته وفيه لساجي جارية عبيد الله بن عبد الله بن طاهر ثقيل أول أيضاً على مذهب النوح ابتداءً ونشيد.

## أخبار ابن مناذر ونسبه

### نسبه وكنيته

هو محمد بن مناذر بن صبير بن يربوع ويكنى أبا جعفر وقيل: إنه كان يكنى أبا عبد الله. ووجدت في بعض الكتب رواية عن ابن حبيب أنه كان يكنى أبا ذريح وقد كان له ابن يسمى ذريحاً فمات وهو صغير وإياه عنى بقوله:

**كأنك للمنايا يا ذريح الله صوركا**

**فناط بوجهك الشعري وبالإكليل قلدكا**

ولعله اكتنى به قبل وفاته.

وقال الجاحظ: كان محمد بن مناذر مولى سليمان القهرمان وكان سليمان مولى عبيد الله بن أبي بكر مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان أبو بكر عبداً لتقيف ثم ادعى عبيد الله بن أبي بكر أنه ثقيفي وادعى سليمان القهرمان أنه تميمي وادعى ابن مناذر أنه صليبي من بني صبير بن يربوع فابن مناذر مولى مولى مولى وهو دعي مولى دعي وهذا ما لا يجتمع في غيره قط ممن عرفناه وبلغنا خبره.

ومحمد بن مناذر شاعر فصيح مقدم في العلم باللغة وإمام فيها وقد أخذ عنه أكابر أهلها وكان في أول أمره يتأله ثم عدل عن ذلك فهجا الناس وتهتك وخلع وقذف أعراض أهل البصرة حتى نفى عنها إلى الحجاز فمات هناك. وهذه الأبيات يرثي بها ابن مناذر عبد المجيد بن عبد الوهاب الثقفي وكان عبد الوهاب محدثاً جليلاً وقد روى عنه وجوه المحدثين وكبراء الرواة وكان ابن مناذر يهوى عبد المجيد هذا. فكان في أيام حياته مستوراً متأهلاً جميل الأمر فلما مات عبد المجيد حال عن جميع ما كان عليه وأخبارهما تذكر في مواضعهما.

### فتنته بعبد المجيد بن عبد الوهاب

أخبرني علي بن سليمان الأحمش قال: حدثنا محمد بن يزيد النحوي قال: كان ابن مناذر مولى صبير بن يربوع وكان إماماً في علم اللغة وكلام العرب وكان في أول أمره ناسكاً ملازماً للمسجد كثير النوافل جميل الأمر إلى أن فتن بعبد المجيد بن عبد الوهاب الثقفي فتهتك بعد ستره وفتك بعد نسكه ثم ترامى به الأمر بعد موت عبد المجيد بن عبد الوهاب الثقفي إلى أن شتم الأعراض وأظهر البذاء وقذف الحصنات ووجبت عليه حدوداً فهرب إلى مكة وبقي بها حتى مات.

وكان يجالس سفيان بن عيينة عن معاني حديث النبي صلى الله عليه وسلم فيخبره بها ويقول له: كذا وكذا مأخوذ من كذا فيقول سفيان: كلام العرب بعضه يأخذ برقاب بعض. قال: وأدرك المهدي ومدحه ومات في

أيام المأمون.

أخبرني علي بن سليمان قال: حدثني محمد بن يزيد وغيره: أن محمد بن منذر كان إذا قيل له: ابن منذر - بفتح الميم - يغضب ثم يقول: أمانذر الصغرى أم منذر الكبرى وهما كورتان من كور الأهوار إنما هو منذر على وزن مفاعل من نادر فهو منذر مثل ضارب فهو مضارب وقاتل فهو مقاتل. وعظته المعتزلة فلم يتعظ ومنعوه دخول المسجد فنادبهم وهجاهم قال محمد بن يزيد: ولما عدل محمد بن منذر عما كان عليه من النسك والتآله وعظته المعتزلة فلم يتعظ وأوعده بالمكروه فلم يزدجر ومنعوه دخول المسجد فنادبهم وطعن عليهم وهجاهم وكان يأخذ المداد بالليل فيطرحه في مطايرهم فإذا توضئوا به سود وجوههم وثيابهم وقال في تواعد المعتزلة إياه:

أبلغ لديك بني تميم مألماً عني وعرج في بني يربوع

أني أخ لكم بدار مضيعة يومٍ وغربانٍ عليه وقوع

هبوا له فلقد أراه بنصركم يأوي إلى جبل أشم منيع

وإذا تحزبت القبائل كنتم ثقتي لكل ملمة وفظيع

إن أنتم لم تتأروا لأخيكم حتى يبياء بوثره المتبوع

فخذوا المغازل بالأكف وأيقنوا ما عشتم بمذلة وخضوع

إن كنتم حذباً على أحسابكم سمعاً فقد أسمعت كل سميع

أين الصبيريون لم أر مثلهم في النائبات وأين رهط وكيع !

قال: ثم استحيا من قوله: أين الصبيريون لقلة عددهم فقال: أين الرياحيون.

أخبرني الحسن بن علي قال: حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال: حدثني الحسن بن علي قال: حدثني مسعود

بن بشر قال: قال لي ابن منذر: ولع بي قومٌ من المعتزلة ففرقت منهم قال: وكان مولى صبير بن يربوع فقلت:

بنو صبير نفسان ونصف فمن أدعو منهم فقلت: ليس إلا إخوانهم بنو رياح فقلت أبيتاً حرصتهم فيها

وحضضت بنو رياح فقلت:

أين الرياحيون لم أر مثلهم في النائبات وأين رهط وكيع !

قال: فجاء خمسون شيخاً من بني رياح فطردوهم عني.

أخبرني علي بن سليمان قال: حدثني محمد بن يزيد قال: حدثنا الجاحظ عن مسعود بن بشر عن أبي عبيدة قال:

ما زادت بنو صبير بن يربوع قط على سبعة نفر كلما ولد منهم مولود مات منهم ميت.

كان من أهل عدن

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال: حدثني يعقوب بن نعيم قال: حدثني إسحاق بن محمد النخعي قال: حدثني أبو عثمان المازني قال: كان ابن مناذر من أهل عدن وإنما صار إلى البصرة في طلب الأدب لتوافر العلماء فيها فأقام فيها مدة ثم شغل بعبد المجيد بن عبد الوهاب الثقفي فتناول أمره إلى أن خرج عنها وكان مقيماً بمكة فلما مات عبد المجيد نسك. وقوم يقولون: إنه كان دهرياً.

### كره الناس إمامته بعد تهتكه فرد عليهم

وذكر أبو دعامة عن عطاء الملقط قال: كان ابن مناذر يؤم الناس في المسجد الذي في قبيلته فلما أظهر ما أظهره من الخلاعة والجون كرهوا أن يصلي بهم وأن يأتوا به فقالوا شعراً وذكروا ذلك فيه وهجوه وألقوا الرقعة في المحراب

نبئت قافيةً قيلت تتاشدها قومٌ سأتر في أعراضهم ندبا

ناك الذين رووها أم قائلها وناك قائلها أم الذي كتبنا

ثم رمى بها إليهم ولم يعد إلى الصلاة بهم.

### أول لقاء له بأبي نواس

أخبرني محمد بن عمران الصيرفي قال: حدثنا الحسن بن عليل العتري قال: حدثنا أبو الفضل بن عبدان بن أبي حرب الصفار قال: حدثني الفضل بن موسى مولى بني هاشم قال: دخل ابن مناذر المسجد الجامع بالبصرة فوقعت عينه على غلام مستند إلى سارية فخرج والتمس غلاماً ورقعة ودواة فكتب أبياتاً مدحه بها وسأل الغلام الذي التمسه أن يوصل الرقعة إلى الفتى المستند إلى السارية فذهب بها إلى الغلام فلما قرأها قلبها وكتب على ظهرها يقول:

مثل امتداحك لي بلا ورقٍ مثل الجدار بني على خص

وألذ عندي من مديحك لي سود النعال ولين القمص

فلما قرأها ابن مناذر قام غليه فقال له: ويلك أنت أبو نواس قال: نعم فسلم عليه وتعانقا وكان ذلك أول المودة بينهما.

### خبره مع أبي العتاهية

أخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال: حدثني أبو حاتم قال: اجتمع أبو العتاهية ومحمد بن مناذر فقال له أبو العتاهية: يا أبا عبد الله كيف أنت في الشعر قال: أقول في الليلة إذا سنح القول لي واتسعت القوافي عشرة أبياتٍ

إلى خمسة عشر فقال له أبو العتاهية: لكي لو شئت أن أقول في الليلة ألف بيت لقلت فقال ابن مناذر: أجل والله إذا أردت أن أقول مثل قولك:

### ألا يا عتبة الساعة أموت الساعة الساعة

قلت: ولكني لا أعود نفسي مثل هذا الكلام الساقط ولا أسمح لها به فحجل أبو العتاهية وقام يجر رجله. أخبرني به الحسن بن علي قال: حدثنا ابن مهرويه قال: حدثني سهل بن محمد أبو حاتم وأحمد بن يعقوب بن المنير ابن أحت أبي بكر الأصم. قال ابن مهرويه: وحدثني به يحيى بن احنم أبو العتاهية وابن مناذر فاجتمع الناس إليهما وقالوا: هذان شيخا الشعراء فقال أبو العتاهية لابن مناذر: يا أبا عبد الله كم تقول في اليوم من الشعر وذكر باقي الخير مثل المتقدم سواء.

### مع خلف الأحمر

أخبرني أبو دلف هاشم بن محمد الخزاعي قال: حدثنا العباس بن ميمون طائع قال: سمعت الأصمعي يقول: حضرنا مأدبة ومعنا أبو محرز خلف الأحمر وحضرها ابن مناذر فقال لخلف الأحمر: يا أبا محرز إن يكن النابغة وامرؤ القيس وزهير قد ماتوا فهذه أشعارهم مخلدة فقس شعري إلى شعرهم واحكم فيها بالحق فغضب خلف ثم أخذ صحيفة مملوءة مرقاً فرمى بها عليه فملأه فقام ابن مناذر مغضباً وأظنه هجاه بعد ذلك.

### الحكم بين شعره وشعر عدي بن زيد

أخبرني حبيب بن نصر المهلب قال: حدثنا عمر بن شبة قال: حدثنا خلاد الأرقط قال: لقيني ابن مناذر بمكة فأنشدني قصيدته: كل حي لاقى الحمام فمودي ثم قال لي: أقرىء ابا عبيدة السلام وقل له: يقول لك ابن مناذر اتق الله واحكم بين شعري وشعر عدي بن زيد ولا تقل ذلك جاهلي وهذا إسلامي وذلك قديم وهذا محدث فتحكم بين العصرين ولكن احكم بين الشعرين ودع العصبية قال: وكان ابن مناذر ينحو نحو عدي بن زيد في شعره ويميل إليه ويقدمه.

ينحو نحو عدي بن زيد في شعره أخبرني الحسن بن علي قال: حدثنا ابن مهرويه قال: حدثني محمد بن عثمان الكزبري قال: أخبرني محمد بن الحجاج الجراداني قال: قلت لابن مناذر: من أشعر الناس قال: من كنت في شعره فقلت له: ومن ذاك فقال: عدي بن زيد وكان ينحو نحوه في شعره ويقدمه ويتخذه إماماً.

### كان أبو عبد المجيد لا ينكر صحبة ابنه له

والأبيات التي فيها الغناء أول قصيدة ل محمد بن مناذر رثى بها عبد المجيد بن عبد الوهاب بن عبد المجيد الثقفي وكان يهواه وكان عبد المجيد هذا فيما يقال من أحسن الناس وجهاً وأدباً ولباساً وأكملهم في كل حال وكان

على غاية المحبة لابن مناذر والمساعدة له والشغف به.  
وكان يبلغ خبره أباه على جلالته وسنه وموضعه من العلم فلا ينكر ذلك لأنه لم تكن تبلغه عنه ريبة وكان ابن مناذر حينئذ حميد الأمر حسن المروءة عفيفاً.  
فحدثني الحسن بن علي قال: حدثنا أحمد بن حدان قال: حدثني قدامة بن نوح قال: قيل لعبد الوهاب بن عبد المجيد الثقفي: إن ابن مناذر قد أفسد ابنك وذكره في شرعه وشبب به فقال عبد الوهاب: أو لا يرضى ابني أن يصحبه مثل ابن مناذر ويذكره في شعره!  
خروجه إلى قبر أم عبد المجيد

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال: حدثني علي بن محمد بن سليمان النوفلي قال: أم عبد المجيد بن عبد الوهاب الثقفي الذي كان يشبب به ابن مناذر بانه بنت أبي العاصي وهي مولاة جنان التي يشبب بها أبو نواس قال: فحدثني من رأى محمد بن مناذر يوم ثالث بانه هذه وقد خرج جواربها إلى قبرها فخرج معهن نحو الجبانة بالبصرة قال: فقلت له: يا أبا عبد الله أين تريد فقال:

اليوم يوم الثلاثاء ويوم ثالث بانه

اليوم تكثر فيه الظباء في الجبانة

قال أبو الحسن: ولدت بانه من عبد الوهاب بن عبد المجيد أو لاده: عبد المجيد وأبا العاصي جفن عيني قد كاد يسقط من طول ما اختلج

وفؤادي من حر حبك قد كاد أو نضج

خبريني فدنك نفسي وأهلي متى الفرج!

كان ميعادنا خروج زيادٍ فقد خرج

قال ابن عمار: قال لي النوفلي: في هذه الأبيات غناء حلو مليح لو سمعته لشربت عليه أربعة أرطال.  
قال النوفلي: وكان لعبد الوهاب ابنٌ يقال له: محمد كان أسن ولده ويقال: إنه كان يتعشق بانه ابنة أبي العاصي هذه امرأة أبيه وإن زياد بن عبد الوهاب منه وكان أشبه الناس به.  
حدثني ابن عمار قال: حدثنا عمر بن شبة قال: حدثني أبي قال: خرج ابن مناذر يوماً من صلاة التراويح وهو في المسجد بالبصرة وخرج عبد المجيد بن عبد الوهاب خلفه فلم يزل يحدثه إلى الصبح وهما قائمان إذا انصرف عبد المجيد شيعه ابن مناذر إلى منزله فإذا بلغه وانصرف محمد بن مناذر شيعه عبد المجيد لا يطيب أحدهما نفساً بفراق صاحبه حتى أصبحا. فقيل لعبد الوهاب بن عبد المجيد: ابن مناذر قد أفسد ابنك فقال: أو ما يرضى ابني أن يرضى بما يرضى به ابن مناذر.

وفي عبد المجيد يقول ابن مناذر بمدحه وهو من مختار ما قال فيه أنشدنيها علي بن سليمان الأخفش عن محمد بن زيد من قصيدة أولها:

شيب ريب الزمان رأسي لهفي على ريب ذا الزمان  
يقدر في الصم من شروري ويحدر الصم من أبان  
يقول فيها يمدح عبد المجيد:

مني إلى الماجد المرجى عبد المجيد الفتى الهجان  
خير تقيف أباً ونفساً إذا التقت حلقتا البطان  
نفسى فداءً له وأهلي وكل ما تملك اليدان  
كأن شمس الضحى وبدر الدجى عليه معلقان  
نيطاً معاً فوق حاجبيه والبدر والشمس يضحكان  
مشمراً همه المعالي ليس برث ولا بواني  
بنى له عزة ومجداً في أول الدهر بانينان  
بان تلقاه من تقيفٍ ومن ذرا الأزد خير باني  
فأسأله مما حوت يداه يهتز كالصارم اليماني

أخبرني عمي قال: حدثني عبد الله بن أبي سعد قال: حدثني أبو توبة صالح بن محمد قال: مرض عبد المجيد بن عبد الوهاب الثقفي مرضاً شديداً بالبصرة وكان ابن منذر ملازماً له يمرضه ويخدمه ويتولى أمره بنفسه لا يكله إلى أحد. فحدثني بعض أهلهم قال: حضرت يوماً عنده وقد أسخن له ماءً حاراً ليشربه واشتد به الأمر فجعل يقول: آه! بصوت ضعيف فغمس ابن منذر يده في الماء الحار وجعل يتأوه مع عبد المجيد ويده تحترق حتى كادت يده تسقط فجدبناها وأخرجناها من الماء وقتلنا له: أجنون أنت! أي شيء هذا! أينتفع به ذلك! فقال: أساعده وهذا جهد من مقل ثم استقل من علته تلك وعوفي مدة طويلة ثم تردى من سطح فمات فجزع عليه جزعاً شديداً حتى كاد يفضل أهله وإخوته في البكاء والعيول وظهر منه من الجزع ما عجب الناس له ورثاه بعد ذلك بقصيدته المشهورة فرواها أهل البصرة ونوح بها على عبد المجيد وكان الناس يعجبون بها ويستحسنونها.

أخبرني الحسن بن علي قال: حدثنا محمد بن القاسم النوشجاني قال: سمعت أبي يقول: حضرت سفيان بن عيينة يقول لابن منذر: أنشدني ما قلت في عبد المجيد فأنشده قصيدته الطويلة الدالية.

قال سفيان: بارك الله فيك فلقد تفردت بمراثي أهل العراق.

فأخبرني عمي قال: حدثني أبو هفان قال: قال جهماز: تزوج عبد المجيد امرأة من أهله فأولم عليها شهراً يجتمع عنده في كل يوم وجوه أهل البصرة وأدباؤها وشعراؤها فصعد ذات يوم إلى السطح فرأى طنباً من أطناب الستارة قد انحل فأكب عليه ليشده فتردى على رأسه ومات من سقطته فما رأيت مصيبة قط كانت أعظم منها

ولا أنكأ للقلوب.

طارح محمد بن عمر الخراز رثاه في عبد المجيد وناحا عليه به بعد أن وضعاً فيه لحناً أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال: حدثني الحسن بن عليل العتري قال: حدثني العباس بن عبد الواحد بن جعفر بن سليمان قال: حدثني محمد بن عمر الخراز قال: قال لي ابن مناذر: ويحك! ولست أرى نساء تقيف ينحن على عبد المجيد نياحةً على استواء قلت: فما تحب قال: تخرج معي حتى أطارحك فطارحني القصيدة التي يقول فيها:

**إن عبد المجيد يوم تولى هد ركناً ما كان بالمهدود**

**هد عبد المجيد ركني وقد كنت بركن أبوء منه شديد**

قال: فما زلت حتى حفظتها ووعيتها ووضعنا فيها لحناً فلما كان في الليلة التي يناح بها على عبد المجيد فيها صلينا العشاء الآخرة في المسجد الجامع ثم خرجنا إلى دارهم وقد صعد النساء على السطح ينحن عليه فسكتن سكتةً لمن فاندفعنا أنا وهو نوح عليه فلما سمعنا أقبلن يلطنن ويصحن حتى كدن ينقلبن من السطح إلى أسفل من شدة تشرفهن علينا وإعجابهن بما سمعنه منا وأصبح أهل المسجد ليس لهم حديث غيرنا وشاع الخبر بالبصرة وتحدث به الناس حتى نقل من مجلس إلى مجلس.

أم عبد المجيد تبر قسمه وتصيح صياحاً يقال إنه أول ما قيل في الإسلام وأخبرني الحسن بن علي قال: حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال لي: حدثني موسى بن حماد بن عبد الله القرشي قال: حدثني محمد بن النعمان بن جبلة الباهلي قال: لما قال ابن مناذر:

**لأقيم مائماً كنجوم الليل زهراً يلطنن حر الخدود**

**موجعات يبكين للكبد الحرى عليه وللفؤاد العميد**

قالت أم عبد المجيد: والله لأبرن قسمه فأقامت مع أحوات عبد المجيد وجواريه مائماً عليه قامت تصيح عليه: واي ويه واي ويه فيقال: إنها أول من فعل ذلك وقاله في الإسلام. رثاه له في عبد المجيد أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال: حدثنا محمد بن يزيد عن محمد بن عامر النخعي قال: أنشدني محمد بن مناذر لنفسه يرثي عبد المجيد بن عبد الوهاب يقول:

**يا عين حق لك البكاء لحادث الرزء الجليل**

**فابكي على عبد المجي د وأعولي كل العويل**

**لا يبعد الله الفتى ال فياض ذا الباع الطويل**

**عجل الحمام به فودعنا واذن بالرحيل**

**لهفي على الشعر المعفر منك والخذ الأسيل**

كسفت لفقدك شمسنا والبدر آذن بالأفول

### عرض قصيدته على أبي عبيدة فلم تعجبه

حدثني عمي قال: حدثنا الكراي قال: حدثني النضر بن عمرو عن المازني قال: حدثنا حيان: أن ابن مناذر دفع قصيدته الدالية إليه وقال: اعرضها على أبي عبيدة فأتيته وهو على باب أبي عمرو بن العلاء فقرأت عليه منها خمسة أبيات فلم تعجبه وقال: دعني من هذا فإنني قد تشاغلته بحفظ القرآن عنه وعن مثله قال: وكان أبو عبيدة يبغضه ويعاديه لأنه هجاه.

### هبود وعبود

أخبرني محمد بن مزبد بن أبي الأزهر قال: حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه قال: قال ابن مناذر: قلت: يقدهح الدهر في شماريخ رضوى ثم مكثت حولاً لا أدري بم أتمه فسمعت قائلاً يقول: هبود قلت: وما هبود فقال لي: جبل في بلادنا فقلت: ويحط الصخور من هبود قال إسحاق: وسمع أعرابي هذا البيت فقال: ما أجهل قائله هبود! والله أنها لأكيمة ما توارى الخارىء فكيف يحط منها الصخور!.  
أخبرني عمي قال: حدثنا الكراي قال: حدثني أبو حاتم قال: سمعت أبا مالك عمرو بن كركرة يقول:

### يقدهح الدهر في شماريخ رضوى ويحط الصخور من هبود

قلت له: هبود أي شيء هو فقال: جبل فقلت: سخنت عينك هبود والله بئر باليمامة ماؤها ملح لا يشرب منه شيء خلقه الله وقد والله حريرت فيها مرات فلما كان بعد مدة وقفت عليه في مسجد البصرة وهو ينشدها فلما بلغ هذا البيت أنشدها: ويحط الصخور من عبود فقلت له: عبود أي شيء هو ذا فقال: جبل بالشام فلعلك يابن الزانية حريرت عليه أيضاً فضحكت ثم قلت: لا ما حريرت عليه ولا رأيتته وانصرفت عنه وأنا أضحك.  
أخبرني عمي قال: حدثني الكراي عن العمري عن الهيثم بن عدي قال: كان يحيى بن زياد يرمى بالزندقة وكان من أظرف الناس وأنظفهم فكان يقال: أظرف من الزنديق.

### شعر له في محمد بن زياد

وكان الحاركي واسمه محمد بن زياد يظهر الزندقة تظارفاً فقال فيه ابن مناذر:

يابن زياد يا أبا جعفرٍ أظهرت ديناً غير ما تخفي

لست بزنديقٍ ولكنما أردت أن توسم بالظرف

وقال فيه أيضاً:

يا أبا جعفرٍ كأنك قد صرت على أجردٍ طويل الجران

من مطايا ضوامرٍ ليس يصهل ن إذا ما ركب ن يوم رهان

لم يذلن بالسروج ولا أق رح أشداقهن جذب العنان

قائمات مسومات لدى الجسر لأمثالكم من الفتیان

انصرف الناس عن حلقتة

إلى حلقة عتبة النحوي فقال شعراً في ذلك

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي قال: حدثنا عيسى بن إسماعيل تينة عن ابن عائشة قال: كان عتبة النحوي من أصحاب سيويوه وكان صاحب نحو فهماً بما يشرحه ويفسره على مذاهب أصحابه وكان ابن مناذر يتعاطى ذلك ويجلس إليه قوم يأخذونه عنه فجلس عتبة قريباً من حلقتة فتقوض الناس إليه وتركوا ابن مناذر فلما كان في يوم الجمعة الأخرى قام ابن مناذر من حلقتة فوقف على عتبة ثم أنشأ يقول:

تجمعن للشقاء إلى عتبة الخسار

ما لي وما لعتبة إذ يبتغي ضراري

قال: فقام عتبة إليه فناشده ألا يزيد ومنع من كان يجلس إلى ابن مناذر من حضور حلقتة وجلس هو بعيداً من ابن مناذر بعد ذلك.

كان جاره ابن عمير يغري به المعتزلة فهجاه حدثني عمي قال: حدثنا الكراي قال: حدثنا عيسى بن إسماعيل تينة قال: كان لابن مناذر جارٌ يقال له ابن عمير من المعتزلة فكان يسعى بآبن مناذر إليهم ويسبه ويذكره بالفسق ويغريهم به فقال يهجوه:

بنو عمير مجدهم دارهم وكل قوم فلهم مجد

كأنهم فقع بدويةٍ وليس لهم قبلٌ ولا بعد

بث عميرٌ لؤمه فيهم فكلهم من لؤمه جعد

وأخبرني بهذا الخبر الحسن بن علي عن ابن مهرويه عن النوفلي بمثله وزاد فيه: وعبد الله بن عمير - أبو هؤلاء الذين هجاهم - أخو عبد الله بن عامر لأمه أمهما دحاجة بنت إسماعيل بن الصلت السلمي.

أخبرني هاشم بن محمد قال: حدثنا الخليل بن أسد قال: كان ابن مناذر من أحضر الناس جواباً قال له رجل: ما شأنك قال: عظم في أنفي.

قال: وسأله رجل يوماً: ما الجرباء فأوماً بيده إلى الأرض قال: هذه يهزأ به وإنما الجرباء السماء.

خبره مع الخليل بن أحمد

أخبرني أحمد بن العباس العسكري المؤدب قال: حدثنا الحسن بن عليل العتري قال: حدثني جعفر بن محمد عن دماذ قال: دار بين الخليل بن أحمد وبين ابن مناذر كلام فقال له الخليل: إنما أنتم معشر الشعراء تبع لي وأنا سكان السفينة إن قرظتكم ورضيت قولكم نفقتم وإلا كسدت فقال ابن مناذر: والله لأقولن في الخليفة قصيدةً أمتدحه بها ولا أحتاج إليك فيها عنده ولا إلى غيرك.

### يمدح الرشيد فيجيزه

فقال في الرشيد قصيدته التي أولها:

ما هيح الشوق من مطوقة أوفت على بانه تغنينا

ولو سألنا بحسن وجهك يا هارون صوب الغمام أسقينا

قال: وأراد أن يفد بها إلى الرشيد فلم يلبث أن قدم الرشيد البصرة حاجاً ليأخذ على طريق النجاج # وكان الطريق قديماً فدخلها وعديله إبراهيم الحرائي فتحمل عليه ابن مناذر بعثمان بن الحكم الثقفي وأبي بكر السلمي حتى أوصلاه إلى الرشيد فأنشده إياها فلما بلغ آخرها كان فيها بيت يفتخر فيه وهو:

قومي تميمٌ عند السماك لهم مجدٌ وعزٌّ فما ينالونا

فلما أنشده هذا البيت تعصب عليه قومٌ من الجلساء فقال له بعضهم: يا جاهل أتفخر في قصيدةٍ مدحت بها أمير المؤمنين. وقال آخر: هذه حماقة بصرية فكفهم عنه الرشيد ووهب له عشرين ألف درهم. الرشيد يستشهد بشعره ويبحث له بجائزة أخبرني علي بن سليمان الأحفش قال: حدثنا محمد بن يزيد قال: حدثني سهيل السلمي: أن الرشيد استسقى في سنة قحط فسقى الناس فسر بذلك وقال: لله در ابن مناذر حيث يقول:

ولو سألنا بحسن وجهك يا هارون صوب الغمام أسقينا

وسأل عن خبره فأخبر أنه بالحجاز فبعث إليه بجائزة.

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي عن محمد بن عمران الصيرفي قال: حدثنا العتري قال: حدثنا نصر بن علي الجهضمي قال: حدثني محمد بن عباد المهلب قال: شهد بكر بن بكار عند عبيد الله بن الحسن بن الحصين بن الحر العتري بشهادة فتبسم ثم قال له: يا بكر ما لك ولا ابن مناذر حيث يقول:

أعوذ بالله من النار ومنك يا بكر بن بكار

فقال: أصلح الله القاضي ذاك رجل ماجنٌ خليع لا يبالي ما قال فقال له: صدقت وزاد تبسمه وقبل شهادته وقام بكر وقد تشور وخجل. قال العتري: فحدثني أبو غسان دماذ قال: أنشدني ابن مناذر هذا الشعر الذي قاله في بكر بن بكار وهو:

أعوذ بالله من النار ومنك يا بكر بن بكار

يارجلاً ما كان فيما مضى لآل حمران بزوار  
ما منزلٌ أحدثته رابعاً معتزلاً عن عرصة الدار  
ما تبرح الدهر على سواةٍ تطرح حباً للخشنشار  
يا معشر الأحداث يا ويحكم تعوذوا بالخالق الباري  
من حربَةٍ نيطت على حقوه يسعى بها كالبطل الشاري

قال ابن مهرويه في خبره: والخشنشار هو معاوية الزيادي المحدث ويكنى أبا الخضر وكان جميل الوجه.  
وقال العتري في حديثه: حدثني إسحاق بن عبد الله الحمراي وقد سألته عن معنى هذا الشعر فقال: الخشنشار:  
غلامٌ أمرد جميل الوجه كان في محلتنا وهذا لقبه وكان بكر بن بكار يتعشقه فكان يجيء إلى أبي فيذاكره الحديث  
ويجالسه وينظر إلى الخشنشار.

قال العتري: حدثني عمر بن شبة قال: بلغني أن عبيد الله بن الحسن لقي ابن مناذر فقال له: ويحك ما أردت إلى  
بكر بن بكار ففضحته وقلت فيه قولاً لعلك لم تتحققه فبدأ ابن مناذر يحلف له يمين ما سمعت قط أغلظ منها  
أن الذي قاله في بكر شيء يقوله معه كل من يعرف بكرًا ويعرف الخشنشار ويجمع عليه ولا يخالفه فيه فانصرف  
عبيد الله مغموماً بذلك قد بان فيه فلما بعد عنا قلت لابن مناذر: برىء الله منك ويحك ما أكذبتك! أكل من  
يعرف بكر بن بكار يقول فيه مثل قولك حتى حلفت بهذه اليمين فقال: سخنت عينيك فإذا كنت أعمى القلب  
أي شيء أصنع! أفتراي كنت أكذب نفسي عند القاضي إنما موهت عليه وحلفت له أن كل من يعرفها يقول  
مثل قولي وعنيت ما ابتدأت به من الشعر وهو قولي: أفتعرف أنت أحداً يعرفها أو يجهلها إلا يقول كما قلت:  
أعوذ بالله من النار إنما موهت على القاضي وأردت تحقيق قولي عنده.  
قال مؤلف هذا الكتاب: وبكر بن بكار رجلٌ محدثٌ قد روى عن ورقاء عن ابن أبي نجيح تفسير مجاهد وروى  
حديثاً صالحاً.

أخبرني حبيب بن نصر المهلي قال: حدثنا عمر بن شبة قال: حدثنا بكر بن بكار عن عبد الله بن الحرز عن قتادة  
عن أنس: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "زينوا القرآن بأصواتكم".  
أخبرني الحسن بن علي قال: حدثنا ابن مهرويه قال: حدثني الأحوص بن الفضل البصري قال: حدثنا ابن معاوية  
الزيادي وأبوه الخشنشار الذي يقول فيه ابن مناذر: تطرح حبا للخشنشار قال: حدثني من لقي ابن مناذر بمكة  
فقال: ألا تشناق إلى البصرة فقال له: أخبرني عن شمس الوزانين أعمى حالها قال: نعم قال: وثيق بن يوسف  
الثقفي حي قال: نعم قال: فغسان بن الفضل الغلابي حي قال: نعم قال: لا والله لا دخلتها ما بقي فيها واحدٌ  
من الثلاثة. قال: وشمس الوزانين في طرف المربد بمحضرة مسجد الأنصار في موضع كان محمد بن عبد الوهاب

أخو عبد المجيد يعاديه أخبرني حبيب بن نصر المهلي قال: حدثنا عمر بن شبه قال: كان محمد بن عبد الوهاب  
الثقفي أخو عبد المجيد يعادي محمد بن منذر بسبب ميله إلى أخيه عبد المجيد وكان ابن منذر يهجو ويسبه  
ويقطعها وكل واحد منهما يطلب لصاحبه المكروه ويسعى عليه فلقي محمد بن عبد الوهاب ابن منذر في مسجد  
البصرة ومعه دفتر فيه كتاب العروض بدوائره ولم يكن محمد بن عبد الوهاب يعرف العروض فجعل يلحظ  
الكتاب ويقرؤه فلا يفهمه وابن منذر متغافل عن فعله ثم قال له: ما في كتابك هذا فخبأه في كفه وقال: وأي  
شيء عليك مما فيه فتعلق به ولبه فقال له ابن منذر: يا أبا الصلت الله الله في دمي فطمع فيه وصاح يا زنديق في  
كفك الزندقة فاجتمع الناس إليه فأخرج الدفتر من كفه وأراههم إياه فعرفوا براءته مما قذفه به ووثبوا على محمد  
بن عبد الوهاب واستخفوا به وانصرف بخزي وقال ابن منذر يهجو:

إذا أنت تعلقت بحبلٍ من أبي الصلت

تعلقت بحبلٍ وا هن القوة منبت

إذا ما بلغ المجد ذوو الأحساب بالمت

فلا تسمو إلى المجد فما أمرك بالثب

ولا فرعك في العيدان عودًا ناصر النبت

وما يبقي لكم يا قوم من أثلتكم نحتي

فها فاسمع قريضاً من رقيق حسن النعت

يقول الحق إن قال ولا يرميك بالبهت

وفي نعتٍ لوجعاء قد استرخت من الفت

فعندي لك يا مأبون مثل الفالج البختي

عتلُّ يعمل الكوم من السبت إلى السبت

له فيشله إن أدخلت واسعة الخرت

وإلا فاطل وجعاءك بالخضخاض والزفت

ألم يبلغك تسالي لدى العلامة المرت

فقال الشيخ سرجوي ه: داء المرء من تحت

فخذ من ورق الدفلى وخذ من ورق القت

### وخذ من جعر كيسانٍ ومن أظفار نسخت

قال: ونسخت: لقب أبي عبيدة وهو اسمٌ من أسماء اليهود لقب به تعريضاً بأن حده كان يهودياً وكان أبو عبيدة وسخاً طويل الأظفار أبداً والشعر وكان يغضب من هذا اللقب.

فأخبرني الحسن بن علي عن ابن مهرويه عن علي بن محمد النوفلي قال: لما قال ابن منذر هذه الأبيات:

### إذا أنت تعلقت بحبل من أبي الصلت

### تعلقت بحبل وا هن القوة منبت

### وقال الشيخ سرجوي ه: داء المرء من تحت

فبلغ ذلك سرجويه فجاء إلى محمد بن عبد الوهاب فوقف عليه في مجلسه وعنده جماعة من أهله وإخوته وجيرانه فسلم عليه وكان أعجمياً لا يفصح ثم قال: " بركست كمن كفتم أن كسر منذر كفت: داء المرء من تحت " فكاد القوم أن يفتضحوا من الضحك وصاح به محمد: اعزب قبحك الله فظن أنه لم يقبل عذره فأقبل يحلف له مجتهداً ما قال ذلك ومحمد يصيح به: ويلك اغرب عني وهو في الموت منه وكلما زاده من الصياح إليه زاده في العذر واجتهد في الأيمان وضحك الناس حتى غلبوا وقام محمد خجلاً فدخل منزله وتفرقوا. قال أبو الحسن النوفلي: ثم مضى لذلك زماناً وهجا أبو نعامة أبا عبد الله عريسة الكاتب

### روى شيخ تميم خالدٌ أن هريسه

### يدخل الأصلع ذا الخرجين في جوف الكنيسة

فلقي خالد بن الصباح هذا هريسة وكان يعاديه وأراد أن يخجله فحلف له مجتهداً أنه لم يقل فيه ما قاله أبو نعامة فقال هريسة: يا بارد! لم ترد أن تعتذر إنما أردت أن تتشبهه باين منذر ومحمد بن عبد الوهاب وبأبي الشمقمق وأحمد بن المعذل ولست من هؤلاء في شيء.

شعر له في ضيرير وأخرس جالسين عنده قرأت في بعض الكتب عن ابن أبي سعد قال: حدثني أبو الخطاب الحسن بن محمد عن محمد بن إسحاق البلخي قال: دخلت على ابن منذر يوماً وعنده رجلٌ ضيريرٌ جالسٌ عن يمينه ورجل بصيرٌ جالسٌ عن شماله ساكتٌ لا ينطق قال: فقلت له: ما خبرك فقال:

### بين أعمى وأخرسٍ أخرس الل ه لسان الأعمى وأعمى البصيرا

قال: فوثبا فخرجا من عنده وهما يشتمان.

### خبره مع سفيان بن عيينة

ونسخت من كتاب ابن أبي الدنيا: حدثني أبو محمد التيمي قال: حدثني إبراهيم بن عبد الله عن الحسن بن علي قال: كنا عند باب سفيان بن عيينة وقد هرب منا وعنده الحسن بن علي التختاخ ورجلٌ من الحجابة ورجل من أصحاب الرشيد فدخل بهم وليس يأذن لنا فجاء ابن مناذر فقرب من الباب ثم رفع صوته فقال:

**بعمرو وبالزهرى والسلف الأولى بهم ثبتت رجلاك عند المقاوم**

**جعلت طوال الدهر يوماً لصالح ويوماً لصباح ويوماً لحاتم**

**وللحسن التختاخ يوماً ودونهم خصصت حسيناً دون أهل المواسم**

**نظرت وطال الفكر فيك فلم أجد رحاك جرت إلا لأخذ الدراهم**

فخرج سفيان وفي يده عصاً وصاح: خذوا الفاسق فهرب ابن مناذر منه وأذن لنا فدخلنا.

رثاؤه سفيان بن عيينة أخبرني الحسن بن علي قال: حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال: حدثني أبو بكر المؤدب قال: حدثني محمد بن قدامة قال: سمعت سفيان بن عيينة يقول لابن مناذر: يا أبا عبد الله ما بقي أحدٌ أخافه غيرك وكأني بك

**راحوا بسفيان على نعشه والعلم مكسوين أكفانا**

**إن الذي غودر بالمنحنى هد من الإسلام أركاننا**

**لا يبعدنك الله من ميتٍ ورثنا علماً وأحزاننا**

سفيان بن عيينة يتكلم بكلام لابن مناذر أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال: حدثني أحمد بن سليمان بن أبي شيخ قال حدثني شيخ من أهل الكوفة يقال له عوام قال: سمعت سفيان بن عيينة وقد تكلم بكلام استحسن فسأله محمد بن مناذر أن يمليه عليه فتبسم سفيان وقال ه: هذا كلام سمعتك تتكلم به فاستحسنته فكتبته عنك قال: وعل ذلك أحب أن تمليه علي فيني إذا رويته عنك كان أنفق له من أن أنسبه إلى نفسي. قال عوام: وأنشدني ابن عائشة لابن مناذر يرثي سفيان بن عيينة بقوله:

**يجني من الحكمة نوارها ما تشتهي الأنفس ألوانا**

**يا واحد الأمة في علمه لقيت من ذي العرش غفرانا**

**راحوا بسفيان على نعشه والعلم مكسوين أكفانا**

أخبرني علي بن سليمان قال: حدثنا محمد بن يزيد عن محمد بن عامر الحنفي قال: لما مات عبد المجيد بن عبد الوهاب خرج ابن مناذر إلى مكة وترك النسك وعاد للمجون والخلع وقال في هذا المعنى شعراً كثيراً حتى كان إذا مدح أو فخر لم يجعل افتتاح شعره ومباديه إلا الجون وحتى قال في مدحه للرشيد:

**هل عندكم رخصةً عن الحسن البصري في العشق وابن سيرينا !**

إن سفاهاً بذوي الجلالة والشيبة ألا يزال مفتونا

وقال أيضاً في هذا المعنى:

ألا يا قمر المسجد د هل عندك تنويل!

شفائي منك إننولتنيشم وتقبيل

سلا كل فؤادٍ و فؤادي بك مشغول

لقد حملت من حبي ك ما لا يحمل الفيل

### خبره مع يونس النحوي

أخبرني الحسن بن علي قال: حدثني ابن مهرويه قال: حدثنا العباس بن الفضل الربيعي قال: قال ابن منذر ليونس النحوي يعرض به: أخبرني عن جبل أتصرف أم لا وكان يونس من أهلها فقال له: قد عرفت ما أردت يا ابن الزانية. فانصرف ابن منذر: فأعد شهوداً يشهدون عليه بذلك وصار إليه وسأله هل تنصرف جبل وعلم يونس ما أراد فقال له: الجواب ما سمعته أمس.

### خبر زيارة حجاج الصواف له بمكة

أخبرني الحسن بن علي قال: حدثنا يعقوب بن إسرائيل قال: حدثني إسحاق بن محمد النخعي قال: حدثني إسحاق بن عمرو السعدي قال: حدثني الحجاج الصواف. وأخبرني الحسن بن علي أيضاً قال: حدثني ابن مهرويه قال: حدثني إسحاق بن محمد قال: حدثني أمية بن أبي مروان قال: حدثني حجاج الصواف الأعور قال: خرجت إلى مكة فكان حجيرا في الطريق ابن منذر وكان لي إلفاً وخذناً وصديقاً فدخلت مكة فسألت عنه فقالوا: لا يبرح المسجد فدخلت المسجد فالتمسته فوجدته بفناء زمزم وعنده أصحاب الأخبار والشعراء يكتبون عنه فسلمت وأنا أقدر أن يكون عنده من الشوق إلي مثل ما عندي فرفع رأسه فرد السلام رداً ضعيفاً ثم رجع إلى القوم يحدثهم ولم يحفل بي فقلت في نفسي: أتراه ذهب عنه معرفتي! فبينما أنا أفكر إذ طلع أبو الصلت بن عبد الوهاب الثقفي من باب بني شيبه داخل المسجد فرفع رأسه فنظر إليه ثم أقبل علي فقال: أتعرف هذا فقلت: نعم هذا الذي يقول فيه من قطع الله لسانه:

إذا أنت تعلقت بحبلٍ من أبي الصلت

تعلقت بحبلٍ واهن القوة منبت

قال: فتعافل عني وأقبل عليهم ساعة ثم أقبل علي فقال: من أي البلاد أنت قلت: من أهل البصرة قال: وأين تنزل منها قلت: بحضرة بني عائش الصوافين قال: أتعرف هناك ابن زانية يقال له: حجاج الصواف قلت: نعم تركته

ينيك أم ابن زانيةٍ يقال له: ابن مناذر فضحك وقام إلي فعانقني.  
هجاؤه حجاج الصواف قال مؤلف هذا الكتاب: ولابن مناذر هجاءٌ في حجاج الصواف على سبيل العبث وهو قوله:

إن ادعاء الحجاج في العرب عند تقيف من أعجب العجب  
وهو ابن زانٍ لألف زانيةٍ وألفٍ علجٍ معلجٍ النسب  
ولو دعاه داعٍ فقال له: يا أم الناس كلهم أجب  
ولو دعاه داعٍ فقال له: من المعلى في اللؤم قال: أبي  
أبوه زانٍ والأم زانيةٌ بنت زناةٍ مهتوكة الحجب  
تقول: عجل أدخل لنائكها اتركه في استي إن شئت أو ركبي  
من ناكني فيهما فأوسعني رهزاً دراكاً أعطيته سلبي  
هم حري النيك فابتغوا لحري أير حمارٍ أقضي به أربي  
أحب أير الحمار وأبأبي فيشة أير الحمار وأبأبي  
إذا رآته قالت: فديتك يا قرّة عيني ومنتهى طلبي  
إذا سمعت النهيق هاج حري شوقاً إليه وهاج لي طربي  
يأخذني في أسافلي وحري مثل اضطرّام الحريق في الحطب  
شكت إلي نسوة فقلن لها وهي تنادي بالويل والحرب:  
كفي قليلاً قالت: وكيف وبني في جوف صدعي كحكة الجرب  
أرى أيور الرجال من عصبٍ لبت أيور الرجال من خشب

#### هجاء إسكاف بالبصرة فهرب منها

أخبرني الحسن بن علي قال: حدثني أحمد بن محمد الرازي أبو عبد الله قال: حدثني أبو بجير قال: كان ابن مناذر يجلس إلى إسكاف بالبصرة فلا يزال يهجوّه بالأبيات فيصيح من ذلك ويقول له: أنا صديقك فاتق الله وأبق على الصداقة وابن مناذر يلح فقال الإسكاف: فإني أستعين الله عليك وأتعاطى الشعر فلما أصبح غدا عليه ابن مناذر كما كان يفعل فأخذ يعبث به ويهجوّه فقال الإسكاف:

كثرت أبوته وقل عديده ورمى القضاء به فراش مناذر

## عبد الصبيريين لم تك شاعراً كيف ادعيت اليوم نسبة شاعر !

فشاع هذان البيتان بالبصرة ورواهما أعداؤه وجعلوا يتناشدونهما إذا رأوه فخرج من البصرة إلى مكة وجاور بها فكان هذا سبب هربه من البصرة.

أخبرني عمي قال: حدثنا الكراني عن أبي حاتم قال: قال ابن مناذر: ما مر بي شيء قط أشد علي مما مر بي من قول أبي العسعاس في:

### كثرت أبوته وقل عديده ورمى القضاء به فراش مناذر

انظر بكم صنف قد هجاني في هذا البيت قبحه الله ثم منعي من مكافأته أني لم أجد له نباهة فأغضها ولا شرفاً فأهدمه ولا قدراً فأضعه.

أخبرني عمي قال: حدثني الكراني قال: حدثني بشر بن دحية الزياتي أبو معاوية قال: سمعت ابن مناذر يقول: إن الشعر ليسهل علي حتى لو شئت ألا أتكلم إلا بشعر لفعلت. أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي قال: حدثنا العباس بن ميمون طابع قال: حدثني بعض أصحابنا قال: رأيت ابن مناذر بمكة وهو يتوكأ على رجل يمشي معه وينشد:

### إذا ما كدت أشكوها إلى قلبي لها شفعا

### ففرق بيننا دهرٌ يفرق بين ما اجتماعا

فقلت: إن هذا لا يشبه شعرك فقال: إن شعري برد بعدك.

ذم امرأة محمد بن عبد الوهاب الثقفي أخبرني عيسى بن الحسين الوراق قال: حدثنا أبو أيوب المدني قال: حدثنا بعض أصحابنا أن محمد بن عبد الوهاب الثقفي تزوج امرأةً من ثقيف يقال لها عمارة وكان ابن مناذر يعاديه فقال في ذلك:

### لما رأيت القصف والشاره والبز ضاقت به الحاره

### والآس والريحان يرمى به من فوق ذي الدارة والداره

### قلت: لمن ذا قيل: أعجوبةً محمدٌ زوج عماره

### ويحك فري واعصبي فاك لي فهذه أختك فراره

قال: فوالله ما لبثت عنده إلا مديدة حتى هربت وكانت لها أختٌ قبلها متزوجة إلى بعض أهل البصرة ففركته وهربت منه فكانوا يعجبون من موافقة فعلها قول ابن مناذر.

### شعر له في أبي أمية خالد

قال أبو أيوب: وحدثت أن أبا أمية واسمه خالد - وهو الذي يقول فيه أبو نواس:

أيها المقبلان من حكمان كيف خلفتما أبا عثمان

وإبا أمية المهذب والمأجد والمرتجى لريب الزمان

- كان خطب امرأة من ثقيف ثم ولد عثمان بن أب العاصي فرد عنها وتصدى للقاضي أن يضمه مالا من أموال اليتامى فلم يجبه إلى ذلك ولم يثق به فقال فيه ابن مناذر:

أبا أمية لا تغضب علي فما جزاء ما كان فيما بيننا الغضب

إن كان ردك قومٌ عن فتاتهم ففي كثير من الخطاب قد رغبوا

قالوا: عليك ديورٌ ما تقوم بها في كل عام تستحدث الكتب

وقد تقحم من خمسين غايتها مع أنه ذو عيال بعد ما انشعبوا

أردت أموال أيتام تضمنها وما يضمن إلا من له نشب

بلغه عن ابن دأب قول قبيح فهجاه أخبرني محمد بن خلف وكيع قال: حدثني أحمد بن زهير قال: سمعت إبراهيم بن المنذر الحزامي يقول: بلغ ابن مناذر عن ابن دأب قول قبيح قال: فدعاني وقال: اكتب:

فمن يبيع الوصاة فإن عندي وصاةً للكهول وللشباب

خذوا عن مالكٍ وعن ابن عونٍ ولا ترووا أحاديث ابن دأب

ترى الغاوين يتبعون منها ملاهي من أحاديث كذاب

إذا التمست منافعها اضمحلت كما يرفض رقرق السحاب

قال: فرويت وافتضح بها ابن دأب. قال الحزامي: فلما قدمت العراق وجدتهم قد جعلوها: خذوا عن يونسٍ وعن ابن عون

### رثاؤه الرشيد

أخبرني عمي قال: حدثنا الكراني قال: حدثنا أبو حاتم قال:

من كان يبكي للعلا ملكاً وللهم الشريفه

فليبك هارون الخليفة للخليفة

### هجاؤه خالد بن طليق

أخبرني محمد بن خلف وكيع قال: حدثنا أحمد بن أبي خيثمة عن محمد بن سلام قال: كان محمد بن طليق وسائر بني طليق أصدقاء لابن مناذر فلما ولي المهدي الخلافة استقصى خالد بن طليق وعزل عبید الله بن الحسن بن الحر فقال ابن مناذر يهجو خالداً مجوناً وخبثاً منه:

أصبح الحاكم يالن اس من آل طليق  
جالساً يحكم في الناس بحكم الجائليق  
يدع القصد ويهوي في بنيات الطريق  
يا أبا الهيثم ما كنت لهذا بخلق  
لا ولا كنت لما حملت منه بمطيق  
حبله حبل غرور عنده غير وثيق

قال ابن سلام: فقلت لابن مناذر: ويحك إذا بلغ إخوانك وأصدقاءك من آل طليق أنك هجوتهم ما يقولون لك وبأي شيء تعتذر إليهم فقال: لا يصدقون إذا بلغهم أي هجوتهم بذلك لأنهم يثقون بي.

#### مدح بني مخزوم لأنهم زاروه في مرضه

أخبرني الحسن بن علي قال: حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال: حدثني الحسن بن عليل عن مسعود بن بشر قال: حدثنا محمد بن مناذر قال: كنت بمكة فاشتكت فلم يعدني من قريش غلام بنو مخزوم وحدهم فقلت أمدحهم:

جاءت قريشٌ تعودني زمرأً فقد وعى أحرها لها الحفظه  
ولم تعدني تيمٌ وإخوتها وزارني الغر من بني يقظه  
لن يبرح العز منهم أبداً حتى تزول الجبال من قرظه

#### ابن عائشة يطلب سماع مرثيته في عبد المجيد

أخبرني الحسن بن ابن مهرويه عن إسحاق بن محمد النخعي قال:

عند ابن عائشة فقال لعبد الرحمن ابنه: أنشدني مرثية ابن مناذر عبد المجيد فجعل ينشد لها لأقيمين مأتماً كنجوم الليل زهراً يخمشن حر الخدود  
فقال ابن عائشة: هذا كلام لين كأنه من كلام المخنثين فلما أتى على هذا البيت:  
كنت لي عصمةً وكنت سماءً بك تحيا أرضي ويخضر عودي

فقال: هذا بيتها ثم أنشد:

إن عبد المجيد يوم تولى هد ركناً ما كان بالمهدود  
ما درى نعشه ولا حاملوه ما على النعش من عفاف وجود  
وأرانا كالزرع يحصدنا الدهر فمن بين قائمٍ وحصيد  
فقال ابن عائشة: أجمعه زرعاً يحصدنا الله فليس هذا من كلام المسلمين ألا ترى إلى قوله: إنه يقول:  
يحكم الله ما يشاء فيمضي ليس حكم الإله بالمردود

### عاقبه الرشيد على رثائه البرامكة

أخبرني محمد بن يحيى الصولي قال: حدثني محمد بن موسى ولم يتجاوز به الإسناد. ونسخت هذا الخبر من كتاب ابن أبي مريم الحاسب: حدثني ابن القداح وعبد الله بن إبراهيم حج الرشيد بعد إيقاعه بالبرامكة وحج معه الفضل بن الربيع وكنت مضيئاً مملقاً فهيأت فيه قولاً أجدت تنميته وتنوقت فيه فدخلت إليه في يوم التروية وإذا هو يسأل عني ويطلبني فبدرني الفضل بن الربيع قبل أن أتكلم فقال: يا أمير المؤمنين هذا شاعر البرامكة ومادحهم وقد كان البشر ظهر لي في وجهه لما دخلت فتنكر وعبس في وجهي فقال الفضل: مره يا أمير المؤمنين أن ينشدك قوله فيهم: أتانا بنو الأملاك من آل برمك فقال لي: أنشد فأبيت فتوعدي وأكرهني فأنشدته:

أتانا بنو الأملاك من آل برمك فيا طيب أخبارٍ ويا حسن منظر  
إذا وردوا بطحاء مكة أشرفت بيحيى وبالفضل بن يحيى وجعفر  
فتظلم بغدادٌ ويجلو لنا الدجى بمكة ما حجوا ثلاثة أقرم  
فما صلحت إلا لجدٍ أكفهم وأرجلهم إلا لأعواد منبر  
إذا راض يحيى الأمر ذلت صعابه وحسبك من راعٍ له ومدبر  
ترى الناس إجلالاً له وكأنهم غرائيق ماءٍ تحت بازٍ مصرصر

ثم أتبع ذلك بأن قلت: كانوا أولياءك يا أمير المؤمنين أيام مدحتهم وفي طاعتك لم يلحقهم سخطك ولم تحل بهم نعمتك ولم أكن في ذلك مبتدعاً ولا خلا أحدٌ من نظرائي من مدحهم وكانوا قوماً قد أظلني فضلهم وأغناي ردهم فأنتيت بما أولوا فقال: يا غلام الطم وجهه فلطمت والله حتى سدرت وأظلم ما كان بيني وبين أهل المجلس ثم قال: اسحبوه على وجهه ثم قال: والله لأحرمك ولا تركت أحداً يعطيك شيئاً في هذا العام فسحبت حتى أخرجت وانصرفت وأنا أسوأ الناس حالاً في نفسي وحالي وما جرى علي ولا والله ما عندي ما يقيم يومئذ قوت عيالي لعيدهم فإذا بشاب قد وقف علي ثم قال: أعزز علي والله يا كبيرنا بما جرى عليك ودفع إلي صرةً

وقال: تبلغ بما في هذه فظنتها دراهم فإذا هي مائة دينار - قال الصولي في خبره: فإذا هي ثلاثمائة دينار - فقلت له: من أنت جعلني الله فداك! قال: أنا أخوك أبو نواس فاستعن بهذه الدنانير واعذرني فقبلتها وقلت: وصلك الله يا أخي وأحسن جزاءك.

كافأه جعفر بن يحيى على القراءة بعد تركه الشعر أخبرني الحسن بن علي قال: حدثنا ابن مهرويه قال: حدثنا يحيى بن الحسن الربيعي قال: حدثنا أبو معاوية الغلابي قال: قال سفيان بن عيينة: كلمني ابن مناذر في أن أكلم له جعفر بن يحيى فكلمته له وقد كان ابن مناذر ترك الشعر فقال: إن أحب أن يعود إلى الشعر أعطيته خمسين ألفاً وإن أحب أن أعطيه على القراءة أعطيته عشرة آلاف فذكرت ذلك له فقال لي: خذ لي على القراءة فيني لا آخذ على الشعر وقد تركته.

أخبرني عمي عن الكراني عن الرياشي قال: قال العتيبي: جاءت قصيدة لا يدري من قائلها فقال ابن مناذر:

**هذه الدهماء تجري فيكم أرسلت عمداً تجر الرسنا**

**قال يصف الألفة بين الرشيد وجعفر**

قال الكراني: وحدثني الرياشي قال: سمعت خلف بن خليفة يقول: قال لي ابن مناذر: قال لي جعفر بن يحيى: قل في وفي الرشيد شعراً تصف فيه الألفة بيننا فقلت:

**قد تقطع الرحم القريب وتكفر الن عمى ولا كتقارب القلبين**

**يدني الهوى هذا ويدني ذا الهوى فإذا هما نفسٌ ترى نفسين**

قال مؤلف هذا الكتاب: هذا أخذه من كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم نقلاً فإن ابن عيينة روى عن إبراهيم بن ميسرة عن طاوس عن ابن عباس: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " إن الرحم تقطع وإن النعم تكفر ولن ترى مثل تقارب القلوب ".

أخبرني هاشم بن محمد قال: حدثنا العباس بن ميمون قال: حدثنا سليمان الشاذكوي قال: كنا عند سفيان بن عيينة فحدث عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله عز وجل: " قالوا سلاماً " قالوا سداداً فقال ابن مناذر وهو إلى جنبي: التتريل أبين من التفسير.

**خبره مع أبي حية النميري**

أخبرني عمي قال: حدثنا الكراني عن أبي حاتم وعن العتيبي عن أبي معبد قال: مر بنا أبو حية النميري ونحن عند ابن مناذر فقال لنا: علام اجتمعتم فقلنا: هذا شاعر المصّر فقال له: أنشدني فأنشده ابن مناذر فلما فرغ قال له أبو حية: ألم أقل لك: أنشدني فقالوا له: أنشدنا أنت يا أبا حية فأنشدهم قوله:

ألاحي من أجل الحبيب المغانيا لبسن البلى مما لبسن اللياليا  
إذا ما نقاضى المرء يوماً وليلةً تقاضاه شيء لا يمل النقاضيا

**فلما فرغ قال له ابن مناذر ما أرى في شعرك شيئاً يستحسن فقال له ما في شعري شيءٌ هجا خالد بن طليق  
وعيسى بن سليمان**

أخبرني عمي قال: حدثني الكرابي عن ابن عائشة قال: ولي خالد بن طليق القضاء بالبصرة وعيسى بن سليمان  
الإمارة بما فقال محمد بن مناذر يهجوها بقوله:

**الحمد لله على ما أرى خالدُ القاضي وعيسى أمير**

**لكن عيسى نوكه ساعة ونوك هذا منجنونٌ يدور**

وقال في شيرويه الزيادي وشيرويه لقب واسمه أحمد وسأله حاجةً فأبى أن يقضيها إلا على أن يمدحه:

**يا سمي النبي بالعربييه وسمي الليوث بالفارسيه**

**إن غضبنا فأنت عبد تقيفٍ أو رضينا فأنت عبد أميه**

فغضب شيرويه وجعل يشتمه وشاع الشعر بالبصرة فكان بعد ذلك إذا قيل لشيرويه: ابن مناذر عليك غضبان أو  
عنك راض يشتم من يقول له ذلك.

أخبرني الحسن بن القاسم الكوكبي قال: حدثنا ابن أبي الدنيا قال: سمعت محمد بن قدامة سمعت سفيان بن عيينة  
يقول لمحمد بن مناذر: كأنك بي قد مت فرثيتي فلما مات قال ابن مناذر يرثيه:

**إن الذي غودر بالمنحنى هد من الإسلام أركاننا**

**راحوا بسفيان على نعشه والعلم مكسوين أكفانا**

**لا يبعدنك الله من هالكٍ ورتنتنا علماً وأحزاننا**

**يفسر كلمات لعبد الله بن مروان**

أخبرنا عمي قال: حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال: حدثنا عبد الله بن مروان بن معاوية الفزاري قال: حدثنا  
سفيان قال: سمعت أعرابية تقول: من يشتري مني الحزاة فقلت لها: وما الحزاة قالت: تشتريها النساء للطشة  
والخافية والإقالات. قال عبد الله بن مروان: فسألت ابن مناذر عن تفسير ذلك فقال: الطشة: وجع يصيب  
الصبيان في رؤوسهم كالزكام. والخافية: ما خفي من العلل المنسوبة إلى أذى الجن. والإقالات: قلة الولد.  
وأنشدني ابن مناذر بعقب ذلك:

**بغات الطير أكثرها فراخاً وأم الصقر مقالاتٌ نزور**

أخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال: حدثني أبو حاتم قال: سمعت محمد بن مناذر يقول: العذراء: البتول والبتور والبتيل واحد وهي المنقطعة إلى ربها.

قال: وسأله - يعني 0 - أبو هريرة الصيرفي بحضرتي فقال: كيف تقول: أما لا أو إما لا فقال له مستهزئاً به: أما لا ثم التفت إلي فقال أسمعك أعجب من هذه المسألة!

يجيب على سؤال لم يجب عنه أبو عبيدة أخبرني الحسن بن علي قال: حدثني ان مهرويه قال: حدثني العباس بن الفضل الربيعي قال: حدثنا التوزي قال: سألت أبا عبيدة عن اليوم الثاني من النحر: ما كانت العرب تسميه قال: ليس عندي من ذلك علم. فلقيت ابن مناذر بمكة فأخبرته بذلك فعجب وقال: أيسقط هذا عن مثل أبي عبيدة! هي أربعة أيام متواليات كلها على الرءاء: أولها يوم النحر والثاني يوم القر والثالث يوم النفر والرابع يوم الصدر. فحدثته - يعني أبا عبيدة - فكتبه عن ابن مناذر وقد روى ابن مناذر الحديث المسند ونقله عنه المحدثون.

بعض روايات له

أخبرني عمي قال: حدثنا الكراني قال: حدثنا الخليل بن أسد عن محمد بن مسعدة الدارع حدثني محمد بن مناذر الشاعر قال: حدثني سفيان الثوري عن الأغر عن وهب بن منبه قال: كان يقال: الحياء من الإيمان والمذى - مكسور الميم مقصور - من النفاق فقلت: إن الناس يقولون: المذاء فقال: هو كما أخبرتك فقلت له: وما المذا قال: اللين في أمر النساء ومنه درعٌ ماذي وعسلٌ ماذي.

أخبرني الحسن بن علي قال: حدثنا ابن مهرويه قال: حدثني إبراهيم بن عبد الله بن الجنيد قال: حدثني حامد بن يحيى البلخي قال: حدثني محمد بن مناذر الشاعر قال: حدثني يحيى بن عبد الله بن مجالد عن الشعبي عن مسروق عن عبد الله قال: لما نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر إلى القتلى وهم مصرعون قال لأبي بكر: " لو أن أبا طالب حي لعلم أن أسيفنا قد أخذت بالأماثل " يعني قول أبي طالب:

**كذبتم وبيت الله إن جد ما أرى لتلتبسن أسيفنا بالأماثل**

أخبرني محمد بن خلف قال: حدثني إسحاق بن محمد النخعي قال: حدثنا ابن مناذر قال: حدثنا سفيان بن عيينة عن إسماعيل بن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم قال: قال علي: " ما قام بي من النساء إلا الحارقة أسماء ". قال ابن مناذر: الحارقة: التي أخبرني محمد بن عمران الصيرفي قال: حدثنا الحسن بن عليل العتري عن العباس بن عبد الواحد عن محمد بن عمرو عن محمد بن مناذر عن سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار عن طاوس عن أبي هريرة قال: جاء الشيطان إلى عيسى قال: ألسنت تزعم أنك صادق قال: بلى قال: فأوف على هذه الشاهقة فألق نفسك منها فقال: ويلك ألم يقل الله: يا بن آدم لا تبلي بملاكك فيني أفعل ما أشاء.

كتب رقعة فيها شعر لغلام في مسجد البصرة أخبرني عيسى بن الحسين الوراق عن حماد بن إسحاق عن أبيه قال: نظر محمد بن مناذر إلى غلام حسن الوجه في مسجد البصرة فكتب إليه بهذه الأبيات:

**وجدت في الآثار في بعض ما حدثنا الأشياخ في المسند**

مما روى الأعمش عن جابرٍ وعامر الشعبي والأسود

وماروى شعبة عن عاصمٍ وقاله حماد عن فرقد

وصيةً جاءت إلى كل ذي خد خلا من شعرٍ أسود

أن يقبلوا الراغب في وصلهم فاقبل فإنني فيك لم أزه

فلما قرأها الفتى ضحك وقلب الرقعة وكتب على ظهرها: لست شاعراً فأجيبك ولا فاتكاً فأساعدك وأنا أعوذ بالله ربك من شرك.

رواية أخرى في خبره مع أبي العتاهية أخبرني محمد بن عمران الصيرفي قال: حدثنا الحسن بن علي بن العتري قال: حدثنا محمد بن عبد الله العبدى: قال: حدثنا علي بن المبارك الأحمر قال: لقي أبو العتاهية ابن مناذر بمكة فجعل يمازحه ويضاحكه ثم دخل على الرشيد فقال: يا أمير المؤمنين هذا ابن مناذر شاعر البصرة يقول قصيدة في سنة وأنا أقول في سنة مائتي قصيدة فقال الرشيد: أدخله إلي فأدخله إليه وقدر أنه يضعه عنده فدخل فسلم ودعا فقال: ما هذا الذي يحكيه عنك أبو العتاهية فقال ابن مناذر: وما ذاك يا أمير المؤمنين قا: زعم أنك تقول قصيدة في سنة وأنه يقول كذا وكذا قصيدة في السنة فقال: يا أمير المؤمنين لو كنت أقول كما يقول:

**ألا يا عتبة الساعة أموت الساعة الساعة**

لقلت منه كثيراً ولكني الذي أقول:

**إن عبد المجيد يوم تولى هد ركناً ما كان بالمهدود**

فقال له الرشيد: ها هما فأنشدنيها فأنشده فقال الرشيد: ما كان ينبغي أن تكون هذه القصيدة إلا في خليفة أو ولي عهد ما لها عيبٌ إلا أنك قلتها في سوقة وأمر له بعشرة آلاف درهم فكاد أبو العتاهية يموت غماً وأسفاً. سئل عنه يحيى بن معين فذمه أخبرني الحسن بن علي قال: حدثنا ابن مهرويه قال: حدثنا إبراهيم بن الجنيد قال: سألت يحيى بن معين عن محمد بن مناذر الشاعر فقال: لم يكن بثقة ولا مأمون رجل سوء نفي من البصرة ووصفه بالجون والخلاعة فقلت: إنما تكتب شعره وحكاياتٍ عن الخليل بن أحمد فقال: هذا نعم. وأما الحديث فلست أراه موضعاً له.

**وفاته بعد أن كف بصره**

أخبرني الحسن قال: حدثني ابن مهرويه قال: حدثني علي بن محمد النوفلي قال: رأيت ابن مناذر في الحج سنة ثمانٍ وتسعين ومائة قد كف بصره تقوده جويرية حرة وهو واقف يشتري ماء قربة فرأيته وسخ الثوب والبدن فلما صرنا إلى البصرة أتتنا وفاته في تلك الأيام.

تذاكرنا ابن مناذر في حلقة يونس فقدح فيه أكثر أهل الحلقة حتى نسبوه إلى الزندقة فلما صرت في السقيفة التي في مقدم المسجد سمعت قراءة قريبة من حائط القبلة فدنون فإذا ابن مناذر قائمٌ يصلي فرجعت إلى الحلقة فقلت لأهلها: قلتم في الرجل ما قلتم وها هو قائمٌ يصلي حيث لا يراه إلا الله عز وجل.

### خبره مع أبي خيرة

أخبرني محمد بن جعفر الصيدلاني النحوي قال: حدثنا أحمد بن القاسم البرقي قال: حدثنا أحمد بن يعقوب قال: حدثني أحمد بن يحيى الهذلي التمار عن عبد الله بن عبد الصمد الضبي قال: كنا يوماً جلوساً في حلقة هبيرة بن جرير الضبي إذ أقبل محمد بن مناذر في برد قد كسسته إياه بانه بنت أبي العاص فسلم علي وحدي ولم يعرف منهم أحداً ثم قام فجلس إلى أبي خيرة فخاطبه مخاطبة خفيفة وقام مغضباً فقال لي هبيرة: من هذا فقلت: محمد بن مناذر فقال:

ماذا قال لك ابن مناذر قال: سألتني عن شيء وكنت مشغولاً عنه فقال: يا أبا خيرة إن العشائر تغبطنا لعلمك وما جعل الله عندك فنشدناك ع

أندري من كان عندك آنفاً قال: لا قال: ابن مناذر وما تعرض لأعراض قومٍ قط إلا هتكها وهتكهم فإذا جاءك يسألك عن شيء فأجبه ولا تعتل عليه بالبول ولا تطلب منه شيئاً وكل ما أردت من جهته ففي مالي قال: أفعل. قال: وكان أبو خيرة إذا سأله إنسان عن شيء ولم يعطه شيئاً يعتل عليه بالبول. فما شعرنا من غد إلا بابن مناذر وقد أقبل فعلمنا أنه قصد أبا خيرة فأتيناه فلما رأى جمعنا استحيا منا وسلم علينا وتبسم ثم قال: يا أبا خيرة قد قلت شعراً وقبيحاً. بمثلي أن يسأل عنه فلا يدري ما فيه وإني ذكرت فيه إنساناً فشبّهته بالأفار فأبي شيء هو فاحمر وجه أبي خيرة واضطرب وقال: هو التيس الوثاب الذي يتزو وقضيه رحو فلا يصل فقال: جزيت خيراً ووثب وهو يضحك فقمنا إليه وقلنا: قد علمنا أنك عنيت هذا الشيخ فإن رأيت أن تبه لنا فافعل فإنه شيخنا قال: والله ما عنيت غيره وقد وهبته لكم وكرامةً والله لا يسمع مني أحدٌ ما قلت فيه ولا أذكره إلا بخير أبداً وإن كان قد أساء العشرة أمس.

### صوت

لا زلت تنتشر أعياداً وتطويها تمضي بها لك أيامٌ وتمضيها

ولا تقضت بك الدنيا ولا برحت تطوي لك الدهر أياماً وتقنيها

الشعر لأشجع السلمى والغناء لإبراهيم الموصلي ثاني مطلق في مجرى البنصر وفيه لحمد قريض لحن من الثقل الأول وهو من مشهور غنائه ومختاره.

### نسب أشجع وأخباره

## نسيبه

أخبرني محمد بن عمران الصيرفي والحسن بن علي قالاً: حدثنا الحسن بن عليل العتري قال: حدثني علي بن الفضل السلمي قال: كان أشجع بن عمرو السلمي يكنى أبا الوليد من ولد الشريد بن مطرود السلمي تزوج أبوه امرأة من أهل اليمامة فشخص معها إلى بلدها فولدت له هناك أشجع ونشأ باليمامة ثم مات أبوه.

## كان يعد من فحول الشعراء

فقدت به أمه البصرة تطلب ميراث أبيه وكان له هناك مال فماتت بها وربي أشجع ونشأ بالبصرة فكان من لا يعرفه يدفع نسبه ثم كبر وقال الشعر وأجاد وعد في الفحول وكان الشعر يومئذ في ربيعة واليمن ولم يكن لقيس شاعر معدود فلما نجم أشجع وقال الشعر افتخرت به قيس وأثبتت نسبه وكان له أخوان: أحمد وحريث ابنا عمرو وكان أحمد شاعراً ولم يكن يقارب أشجع ولم يكن لحريث شعر ثم خرج أشجع إلى الرقة والرشيد بها فتزل على بني سليم فتقبلوه وأكرموه ومدح البرامكة وانقطع إلى جعفر خاصة وأصفاه مدحه فأعجب به ووصله إلى الرشيد ومدحه فأعجب به أيضاً فأثرى وحسنت حاله في أيامه وتقدم عنده.

## شخص إلى الرقة لينشد الرشيد قصيدته

أخبرني محمد بن عمران قال: حدثني العتري قال: حدثني صخر بن أسد السلمي قال: حدثني أبي أسد بن جديلة قال: حدثني أشجع السلمي قال: شخصت من البصرة إلى الرقة فوجدت الرشيد غازياً ونالني خلة فخرجت حتى لقيته منصرفاً من الغزو وكنت قد اتصلت ببعض أهل داره فصاح صائحاً ببابه: من كان هاهنا من الشعراء فليحضر يوم الخميس فحضرنا سبعة وأنا ثامنهم وأمرنا بالبكور في يوم الجمعة فبكرنا وأدخلنا وقدم واحد منا ينشد على الأسنان وكنت أحدث القوم سناً وأرثهم حالاً فما بلغ إلي حتى كادت الصلاة أن تجب فقدمت والرشيد على كرسي وأصحاب الأعمدة بين يديه سباطان.

خاف وجوب الصلاة فبدأ بإنشاد الرشيد بما جاء في قصيدته من مدح فقال لي: أنشدني فخفت أن أبتدىء من أول قصيدي بالتشبيب فتحب الصلاة ويفوتني ما أردت فتركت التشبيب وأنشدته من موضع المديح في قصيدي التي أولها:

**تذكر عهد البيض وهو لها ترب وأيام يصبي الغانيات ولا يصبو**

فابتدأت قولي في المديح:

**إلى ملك يستغرق المال جوده مكارمه نثر ومعروفه سكب**

**وما زال هارون الرضا بن محمد له من مياه النصر مشربها العذب**

متى تبلغ العيس المراسيل بابه بنا فهناك الرحب والمنزل الرحب  
لقد جمعت فيك الظنون ولم يكن بغيرك ظن يستريح له القلب  
جمعت ذوي الأهواء حتى كأنهم على منهج بعد افتراقهم ركب  
بنثت على الأعداء أبناء دربة فلم يقم منهم حصونٌ ولا درب  
وما زلت ترميهم بهم متفرداً أنيساك حزم الرأي والصارم العضب  
جهدت فلم أبلغ علاك بمدحةٍ وليس على من كان مجتهداً عتب

فضحك الرشيد وقال لي: خفت أن يفوت وقت الصلاة فينقطع المديح عليك فبدأت به وتركت التشبيب وأمرني بأن أنشده التشبيب فأنشدته إياه فأمر لكل واحد من الشعراء بعشرة أنشد الرشيد فقال هكذا تمدح الملوك أخبرني حبيب بن نصر المهلي قال: حدثنا عمر بن شبة قال: حدثني أحمد بن سيار الجرجاني وكان راوية شاعراً مداحاً ليزيد بن يزيد قال: دخلت أنا وأشجع والتميمي وابن رزين الخراساني على الرشيد في قصر له بالرقعة وكان قد ضرب أعناق قوم في تلك الساعة فجعلنا نتخلل الدماء حتى وصلنا إليه فأنشده أبو محمد التيمي قصيدة له يذكر فيها نغفور ووقعته ببلاد الروم فنثر عليه مثل الدر من جودة شعره وأنشده أشجع قوله:

قصرٌ عليه تحيةٌ وسلام ألفت عليه جمالها الأيام

قصرت سقوف المزن دون سقوفه فيه لأعلام الهدى أعلام  
تنثي على أيامك الأيام والشاهدان الحل والإحرام  
نتك من ظل النبي وصية بةً وشجت بها الأرحام  
برقت سماؤك في العدو وأمطرت هاماً لها ظل السيوف غمام  
وإذا سيوفك صافحت هام العدى طارت لهن عن الرؤوس الهام  
وعلى عدوك يابن عم محمد رصدان ضوء الصبح والإظلام  
وأنشدته أنا قولي: زمنٌ بأعلى الرقمتين قصير حتى انتهيت إلى قولي:

لا تبعد الأيام إذ ورق الصبا خضلاً وإذ غض الشباب نصير

فاستحسن هذا البيت ومضيت في القصيدة حتى أتممتها فوجه إلي الفضل بن الربيع: أنفذ إلي قصيدتك فإني أريد أن أنشدها الجوارى من استحسانه إياها.

قال: وركب الرشيد يوماً قبةً وسعيد بن سالم معه في القبة فقال: أين محمد البيذق وكان رجلاً حسن الصوت ينشد الشعر فيطرب بحسن صوته اشد من إطراب الغناء فحضر فقال: أنشدني قصيدة الجرجاني فأنشده فقال: الشعر في ربيعة سائر اليوم فقال له سعيد بن سالم: يا أمير المؤمنين استنشدته قصيدة أشجع بن عمرو فأبي فلم يزل

به حتى أجاب إلى استماعها فلما أنشده هذين البيتين: وعلى عدوك يابن عم محمد والذي بعده قال له سعيد بن سالم: والله يا أمير المؤمنين لو خرس بعد هذين لكان أشعر الناس.

أخبرني الحسن بن علي الخفاف قال: حدثني محمد بن القاسم بن مهرويه قال: حدثني أبي قال: بلغني أن أشجع لما أنشد الرشيد هذين البيتين: وعلى عدوك يابن عم محمد والذي بعده طرب الرشيد وكان متكئاً فاستوى جالساً وقال: أحسن والله هكذا تمدح الملوك.

أخبرني أحمد بن إسحاق العسكري والحسن بن علي قالوا: حدثنا أحمد بن سعيد بن سالم الباهلي عن أبيه قال: كنت عند الرشيد فدخل إليه أشجع ومنصور النمرى فأنشده أشجع قوله:

**وعلى عدوك يابن عم محمدِ رصدان ضوء الصبح والإظلام  
فإذا تنبه رعه وإذا غفا سلت عليه سيوفك الأحلام**

فاستحسن ذلك الرشيد وأومات إلى أشجع أن يقطع الشعر وعلمت أنه لا يأتي بمثلها فلم يفعل ولما أنشده ما بعدهما فتر الرشيد وضرب بمحضرة كانت بيده الأرض واستنشد منصوراً النمرى فأنشده قوله:

**ما تنقضي حسرة مني ولا جزع إذا ذكرت شباباً ليس يرتجع**

فمر والله في قصيدة قل ما تقول العرب مثلها فجعل الرشيد يضرب بمحضرة الأرض ويقول: الشعر في ربيعة سائر اليوم فلما خرجنا قلت لأشجع: غمزتك أن تقطع فلم تفعل ويلك! ولم تأت بشيء فهلا مت بعد البيتين أو خرست فكنت تكون أشعر الناس.

### **مدح جعفر بن يحيى**

أخبرني حبيب بن نصر المهلي قال: حدثنا هارون بن محمد بن عبد الملك الزيات قال: حدثني موسى بن عيسى قال: اشترى جعفر بن يحيى المرغاب من آل الرشيد بعشرين ألف درهم ورده على أصحابه فقال أشجع السلمي يمدحه بذلك ويقول:

**رد السباخ ندى يديه وأهلها منها بمنزلة السماك الأعزل**

**قد أيقنوا بذهابها وهلاكهم والدهر يوعدهم بيومٍ أعضل**

**فافتكها لهم وهم من دهرهم بين الجران وبين حد الكلكل**

**ما كان يرجى غيره لفكاكها يرجى الكريم لكل خطبٍ معضل**

أنشد جعفر بن يحيى مديحاً له لوقته على وزن قصيدة لحميد بن ثور وقافيتها جلس جعفر بن يحيى بالصالحية يشرب على مستشرق له فجاءه أعرابي من بني هلال فاشتكى واستماح بكلام فصيح ولفظ مثله يعطف

المسؤول فقال له جعفر بن يحيى: أتقول الشعر يا هلالي فقال: قد كنت أقوله وأنا حدث أتملح به ثم تركته لما صرت شيخاً قال: فأنشدهنا لشاعر كم حميد بن ثور فأنشده قوله:

**لمن الديار بجانب الحمس كمحط ذي الحاجات بالنفس**

حتى أتى على آخرها فاندفع أشجع فأنشده مديحاً له فيه قاله لوقته على وزنها وقافيتها فقال:

**ذهبت مكارم جعفرٍ وفعاله في الناس مثل مذاهب الشمس**

**ملك تسوس له المعالي نفسه والعقل خير سياسة النفس**

**فإذا تراعته الملوك تراجعوا جهر الكلام بمنطقٍ همس**

**ساد البرامك جعفرٌ وهم الألى بعد الخلائف سادة الإنس**

ما ضر من قصد ابن يحيى راغباً بالسعد حل به أم النحس طلب منه جعفر وصف مكانه شعراً فقال وأجاد فقال له جعفر: صف موضعنا هذا فقال:

**مطلاتٌ على بطنٍ كسته أيادي الماء وشياً نسج غرس**

**إذا ما الطل أثر في ثراء تنفس نوره من غير نفس**

**فتغيبه السماء بصبغ ورسٍ وتصبجه بأكؤس عين شمس**

فقال جعفر للأعرابي: كيف ترى صاحبنا يا هلالي فقال: أرى خاطره طوع لسانه وبيان الناس تحت بيانه وقد جعلت له ما تصلي به قال: بل نترك يا أعرابي ونرضيه وأمر للأعرابي بمائة دينار ولأشجع بمائتين.

**أنس بن أبي شيخ يعجب بشعره**

أخبرني عمي قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال: حدثني أبو عامة قال: حدثني أشجع السلمي قال: كنت ذات يوم في مجلس بعض إخواني أتحدث وأنشد إذ دخل عليهم أنس بن أبي شيخ النصري صاحب جعفر بن يحيى فقام له جميع القوم غيري ولم أعرفه فأقوم له فنظر إلي وقال: من هذا الرجل قالوا: أشجع السلمي الشاعر قال: أنشدني بعض قولك فأنشده. فقال: إنك لشاعر فما يمنعك من جعفر بن يحيى فقلت: ومن لي بجعفر بن يحيى فقال: أنا فقل أبياتاً ولا تطل فإنه يمل الإطالة فقلت: لست بصاحب إطالة فقلت أبياتاً على نحو ما رسم لي وصرت إلى أنس فقال: تقدمني إلى الباب فتقدمت فلم يلبث أن جاء فدخل وخرج أبو رمح الهمداني حاجب جعفر بن يحيى فقال أشجع: فقمتم فقال: ادخل فدخلت فاستنشدني فأنشده أقول:

**وترى الملوك إذا رأيتهم كل بعيد الصوت والجرس**

**فإذا بدا لهم ابن يحيى جعفرٌ رجعوا الكلام بمنطقٍ همس**

### ذهبت مكارم جعفر وفعاله في الناس مثل مذاهب الشمس

قال: فأمر له بعشرة آلاف درهم قال: وكان أشجع يحب الثياب وكان يكتري الخلعة كل يوم بدرهمين فيلبسها أياماً ثم يكتري غيرها فيفعل بها مثل ذلك قال: فابتعت أثواباً كثيرة بباب الكرخ فكسوت عيالي وعيال إخوتي حتى أنفقتها.

الفضل بن يحيى يهب له ضعف ما وهبه إياه جعفر ثم لقيت المبارك مؤدب الفضل بن يحيى بعد أيام فقال لي: أنشدني ما قلته في جعفر فأنشدته فقال: ما يمنعك من الفضل فقلت: ومن لي بالفضل فقال: أنا لك به فأدخلني عليه فأنشدته:

### لقد أرهب الأعداء حتى كأنما على كل ثغر بالمنية قائم

فقال لي: كم أعطاك جعفر فقلت: عشرة آلاف درهم فقال: أعطوه عشرين ألفاً. جعفر بن يحيى يجري عليه في كل جمعة مائة دينار أخبرني علي بن صالح قال: حدثني أحمد بن أبي فنن قال: حدثني داود بن مهلهل قال: لما خرج جعفر بن يحيى ليصلح أمر الشام نزل في مضره وأمر بإطعام الناس فقام أشجع فأنشده قوله:

### فتنان باغية وطاغية جلت أمورهما عن الخطب

### قد جاءكم بالخيال شازبة ينقلن نحوكم رحى الحرب

### لم يبق إلا أن تدور بكم قد قام هاديها على القطب

قال: فأمر له بصلة ليست بالسنية وقال له: دائم القليل خيرٌ من منقطع الكثير فقال له: ونزره أكثر من حزيل غيره فأمر له بمثلها قال: وكان يجري عليه في كل جمعة مائة دينار مدة مقامه ببابه. إسحاق الموصلي ينشد له قصيدة في الخمر أمام الرشيد وجعفر بن يحيى أخبرني محمد بن جعفر النحوي صهر المبرد قال: حدثني الفضل بن محمد الزبيدي قال: حدثنا دخلت إلى الرشيد يوماً وهو يخاطب جعفر بن يحيى بشيء لم أسمع ابتداءه وقد علا صوته فلما رأيته مقبلاً قال لجعفر بن يحيى: أترضى بإسحاق قال جعفر: والله ما في علمه مطعن إن أنصف فقال لي: أي شيء تروي للشعراء الحديثين في الخمر أنشدني من أفضل ما عندك وأشدّه تقدماً فعلمت أنهما كانا يتماريان في تقديم أبي نواس فعدلت عنه إلى غيره لئلا أخالف أحدهما فقلت: لقد أحسن أشجع في قوله:

### وقد طعنت الليل في أعجازه بالكأس بين غطارف كالأنجم

### يتمايلون على النعيم كأنهم قضبٌ من الهندي لم تنتلم

### وسعى بها الطبي العزيز يزيدها طيباً ويغشمها إذا لم تغشم

والليل منتقب بفضل ردائه قد كاد يحسر عن أغر أرثم  
فإذا أدارتها الأكف رأيتها تنثني الفصيح إلى لسان الأعجم  
وعلى بنان مديرها عقيانةً من سكبها وعلى فضول المعصم  
تغلي إذا ما الشعريان تلظيا صيفاً وتسكن في طلوع المرزم  
ولقد فضضناها بخاتم ربها بكرةً وليس البكر مثل الأيم  
ولها سكونٌ في الإناء وخلفها شغبٌ يطوح بالكمي المعلم

### الرشيد يفضل أبا نواس عليه في الخمر

فقال لي الرشيد: قد عرفت تعصبك على أبي نواس وإنك عدلت عنه متعمداً ولقد أحسن أشجع ولكنه لا يقول  
أبدأً مثل قول أبي نواس:

### يا شقيق النفس من حكم نمت عن ليلي ولم أنم

فقلت له: ما علمت ما كنت فيه يا أمير المؤمنين وإنما أنشدت ما حضرني فقال: حسبك قد سمعت الجواب.  
قال الفضل: وكان في إسحاق تعصب على أبي نواس لشيء جرى بينهما.

### الوائق يطرب لشعر أشجع ويستعيده

أخبرني محمد بن يزيد قال: حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه قال: اصطبح الواثق في يوم مطير واتصل شربه  
وشربنا معه حتى سقطنا لجنوبنا صرعى وهو معنا على حالنا فما حرك أحدٌ منا عن مضجعه وخدم الخاصة  
يطوفون علينا ويتفقدوننا وبذلك أمرهم وقال: لا تحركوا أحداً عن موضعه فكان هو أول من أفاق منا فقام وأمر  
بإبائها فأنبهنا فقمنا فتوضأنا وأصلحنا من شأننا وجئت إليه وهو جالس وفي يده كأس وهو يروم شربها والخمار  
يمنعه فقال لي: يا إسحاق أنشدني في هذا المعنى شيئاً فأنشدته قول أشجع السلمي:

### ولقد طعنت الليل في أعجازه بالكأس بين غطارف كالأنجم

### يتمايلون عن النعيم كأنهم قضبٌ من الهندي لم تنتلم

### وسعى بها الطبي الغرير يزيدها طيباً ويغشمها إذا لم تغشم

### والليل منتقب بفضل ردائه قد كاد يحسر عن أغر أرثم

### وإذا أدارتها الأكف رأيتها تنثني الفصيح إلى لسان الأعجم

### وعلى بنان مديرها عقيانةً من لونها وعلى فضول المعصم

تغلي إذا ما الشعريان تظليا صيفاً وتسكن في طلوع المرزم  
ولقد فضضناها بخاتم ربها بكرةً وليس البكر مثل الأيم  
ولها سكونٌ في الإناء وخلفها شغبٌ يطوح بالكمي المعلم  
تعطي على الظلم الفتى بقيادها قسراً وتظلمه إذا لم يظلم

فطرب وقال: أحسن والله أشجع وأحسن يا أبا محمد أعد بحياتي فأعدتها وشرب كأسه وأمر لي بألف دينار.  
أخبرني جعفر بن قدامة قال: حدثنا أبو هفان قال: ذكر أبو دعامة أن أشجع دخل على الفضل بن الربيع وقد  
توفي ابنه العباس والناس يعزونه فعزاه فأحسن ثم استأذنه في إنشاد مرثية قالها فيه فأذن له فأنشده:

لا تبكين بعين غير جائدة وكل ذي حزن يبكي كما يجد  
أي امرئ كان عباساً لناثبةً إذا تقنع دون الوالد الولد  
لم يدهن طمعاً من دار مخزية ولم يعز له من نعمة بلد  
قد كنت ذا جلدٍ في كل نائبةٍ فبان مني عليك الصبر والجلد  
لما تسامت بك الآمال وابتهجت بك المروءة واعتدت بك العدد  
ولم يكن لفتى في نفسه أملٌ إلا إليك به من أرضه يفد  
وحين جئت أمام السابقين ولم يبيل عذارك ميدانٌ ولا أمد  
وإفاك يومٌ على نكراءٍ مشتملٌ لم ينج من مثله عادٌ ولا لبد  
فما تكشف إلا عن مولولةٍ حرى ومكنتبٍ أحشاؤه تقد

قال: فبكى الفضل وبكى الناس معه وما انصرفوا يومئذ يتذكرون غير أبيات أشجع.  
أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال: حدثنا الحسن بن محمد بن طالب الديناري قال: حدثني علي بن الجهم قال:  
دخل أشجع على الرشيد وقد مات ابنٌ له والناس يعزونه فأنشده قوله:

نقصٌ من الدين ومن أهله نقص المنايا من بني هاشم  
قدمتهفاصبر على فقده إلى أبيه وأبي القاسم

فقال الرشيد: ما عزاني اليوم أحدٌ أحسن من تعزية أشجع وأمر له بصلة.  
أذن له جعفر بن يحيى بالوصول إليه وحده دون سائر الناس أخبرني الحسن بن علي قال: حدثنا العتري قال:  
حدثني عبد الرحمن بن النعمان السلمي قال: كنا بباب جعفر بن يحيى وهو عليل فقال لنا الحاجب: إنه إذن عليه  
فكتب إليه أشجع:

لما اشتكى جعفر بن يحيى فارقني النوم والقرار  
ومر عيشي علي حتى كأنما طعمه المرار  
خوفاً على جعفر بن يحيى لا حقق الخوف والحدار  
إن يعفه الله لا نحاذر ما أحدث الليل والنهار

قال: فأوصل الحاجب رقعته ثم خرج فأمره بالوصول وحده وانصرف سائر الناس.  
أخبرني الحسن قال: حدثنا العتري قال: حدثني محمد بن الحسين عن عمرو بن علي: أن أشجع السلمي كتب إلى  
الرشيد وقد أبطأ عنه شيء أمر له به:

أبلغ أمير المؤمنين رسالة لها عنقٌ بين الرواة فسيح  
بأن لسان الشعر ينطقه الندى ويخرسه الإبطاء وهو فصيح

فضحك الرشيد وقال له: لن يخرس لسان شعرك وأمر بتعجيل صلته.  
مدح محمد بن منصور بشعر كان أحب مدائحه إليه أخبرني الحسن ومحمد بن يحيى الصولي قالوا: حدثنا العتري  
قال: حدثني أحمد بن محمد بن منصور بن زياد وكان يقال لأبيه فتى العسكر قال: أقبل أشجع إلى باب أبي فرأى  
ازدحام الناس عليه فقال:

على باب ابن منصور علاماتٌ من البذل  
جماعات وحسب الباب نبلاً كثرة الأهل

فبلغ أبي بيتاه هذان فقال: هما والله أحب مدائحه إلي.  
هنأ جعفر بن يحيى بولاية خراسان أخبرني عمي والحسن بن علي قال: حدثنا الفضل بن محمد اليزيدي قال:  
حدثنا إسحاق بن لما ولي الرشيد جعفر بن يحيى خراسان جلس للناس فدخلوا عليه يهنئونه ثم دخل الشعراء  
فأنشدوه فقام أشجع آخرهم فاستأذن في الإنشاد فأذن له فأنشده قوله:

أتصبر للبين أم تجزع فإن الديار غداً بلقع  
غداً يتفرق أهل الهوى ويكثر باكٍ ومسترجع  
حتى انتهى إلى قوله:

ودوية بين أقطارها مقاطيع أرضين لا تقطع  
تجاوزتها فوق عيرانة من الريح في سيرها أسرع  
إلى جعفر نزعت رغبةً وأي فتى نحوه تنزع  
فما دونه لامرئٍ مطمئٍ ولا لامرئٍ غيره مقنع

ولا يرفع الناس من حطه ولا يضعون الذي يرفع

يريد الملوك مدى جعفر ولا يصنعون كما يصنع

وليس بأوسعهم في الغنى ولكن معروفه أوسع

تلوذ الملوك بأرائه إذا نالها الحدث الأفظع

بديهته مثل تدبيره متى رمته فهو مستجمع

غدا في ظلال ندى جعفر يجر ثياب الغنى أشجع

فقل لخراسان تحيا فقد أتاها ابن يحيى الفتى الأروع

فأقبل عليه جعفر بن يحيى ضاحكاً واستحسن شعره وجعل يخاطبه مخاطبة الأخ أخاه ثم أمر له بألف دينار. يهون على جعفر بن يحيى عزله عن خراسان قال: ثم بدا للرشيد في ذلك التدبير فعزل جعفرًا عن خراسان بعد أن أعطاه العهد والكتب وعقد له العقد وأمر ونهى فوجم لذلك جعفر فدخل عليه أشجع فأنشده يقول:

أمست خراسان تعزى بما أخطأها من جعفر المرتجى

كان الرشيد المعتلى أمره ولى عليها المشرق الأبلجا

ثم أراه رأيه أنه أمسى إليه منهم أحوجا

فكم به الرحمن من كربة في مدة تقصر قد فرجا

فضحك جعفر ثم قال: لقد هونت علي العزل وقمت لأمير المؤمنين بالعدر فسلمي ما شئت فقال: قد كفاني جودك ذلة السؤال فأمر له بألف دينار آخر.

يمدح محمد الأمين وهو ابن أربع سنين دخلت على محمد الأمين حين أجلس مجلس الأدب للتعليم وهو ابن أربع سنين وكان يجلس فيه ساعة ثم يقوم فأنشدته:

ملك أبوه وأمه من نبيعة منها سراج الأمة الوهاج

شربت بمكة في ربا بطحائها ماء النبوة ليس فيه مزاج

يعني النبيعة. قال: فأمرت له زبيدة بمائة ألف درهم قال: ولم يملك الخلافة أحد أبوه وأمه من بني هاشم إلا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضى الله عنه ومحمد بن زبيدة.

يمدح إبراهيم بن عثمان بن هنيك أخبرني الحسن بن علي ومحمد بن يحيى الصولي قالا: حدثنا الحسن بن عليل العتري قال: حدثنا المهزومي قال: لما ولي إبراهيم بن عثمان بن هنيك الشرطة دخل عليه أشجع فأنشده قوله فيه:

لمن المنازل مثل ظهر الأرقم قدمت وعهد أنيسها لم يقدم

فتكت بها سنتان تعتورانها بالمعصنات وكل أسحم مرزم  
دمنٌ إذا استثبت عينك عهداً كرت إليك بنظرة المتوهم  
ولقد طعنت الليل في أعجازه بالكأس بيد غطراف كالأنجم  
والليل مشتملٌ بفضل رذائه قد كاد يحسر عن أغر أرثم  
لبنى نهيك طاعةً لو أنها زحمت بهضب متالعٍ لم تكلم  
قومٌ إذا غمزوا قناة عدوهم حطموا جوانبها ببأسٍ محطم  
في سيف إبراهيم خوفٌ واقعٌ لذوي النفاق وفيه أمن المسلم  
ويبيت يكلأ والعيون هواجعٌ مال المضيع ومهجة المستسلم  
ليلٌ يواصله بضوء نهاره يقظان ليس يذوق نوم النوم  
شد الخطام بأنف كل مخالفٍ حتى استقام له الذي لم يخطم  
لا يصلح السلطان إلا شدةً تغشى البريء بفضل ذنب المجرم  
منعت مهابتك النفوس حديثها بالشيء تكرهه وإن لم تعلم  
ونهجت في سبل السياسة مسلماً ففهمت مذهبها الذي لم يفهم  
فوصله وحمله وخلع عليه.

يراجع جعفر بن يحيى في تقليل عطائه فيزيده أخبرني محمد بن يحيى الصولي قال: حدثنا الغلابي قال: حدثنا مهدي بن سابق قال: أعطى جعفر بن يحيى مروان بن أبي حفصة - وقد مدحه - ثلاثين ألف درهم وأعطى أبا البصير عشرين ألفاً وأعطى أشجع - وقد أنشده معهما - ثلاثة آلاف درهم وكان ذلك في أول اتصاله به فكتب إليه أشجع يقول:

أعطيت مروان الثلاثين التي دلت رعاثه

وأبا البصير وإنما أعطيتني منهم ثلاثة

ما خانني حوك القريض ولا اتهمت سوى الحدائنه

فأمر له بعشرين ألف درهم أخرى.

العباس بن محمد ينشد الرشيد شعراً لأشجع ويدعيه لنفسه حدثني علي بن صالح بن الهيثم الأنباري قال: حدثني أبو هفان قال: حدثني سعيد بن هريم وأبو دعامة قالوا: كان انقطاع أشجع إلى العباس بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس فقال الرشيد للعباس يوماً: يا عم إن الشعراء قد أكثروا في مدح محمد بسبي وبسبب أم جعفر ولم

يقول أحدٌ منهم في المأمون شيئاً وأنا أحب أن أقع على شاعر فطن ذكي يقول فيه فذكر العباس ذلك لأشجع وأمره أن يقول فيه فقال:

بيعة المأمون آخذةً بعنان الحق في أفقه  
لن يفك المرء ربقته أو يفك الدين من عنقه  
وله من وجه والده صورةٌ تمت ومن خلقه

قال: فأتى بها العباس الرشيد وأنشده إياها فاستحسنها وسأله: لمن هي فقال: هي لي فقال: قد سررتني مرتين: بإصابتك ما في نفسي وبأنها لك وما كان لك فهو لي وأمر له بثلاثين ألف دينار فدفع إلى أشجع منها خمسة آلاف درهم وأخذ باقيها لنفسه.

يستعجل عطاء يحيى بن خالد ثم يمدحه أخبرني عمي قال: حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال: حدثنا محمد بن عبد الله بن مالك الخزاعي قال: وعد يحيى بن خالد أشجع السلمي وعداً فأخره عنه فقال له قوله:

رأيتك لا تستلذ المطال وتوفي إذا غدر الخائن  
فماذا تؤخر من حاجتي وأنت لتعجيلها ضامن!  
ألم تر أن احتباس النوال لمعروف صاحبه شائن!

فلم يتعجل ما أراد فكتب إليه:

رويدك إن عز الفقر أدنى إلي من الثراء مع الهوان  
وماذا تبلغ الأيام مني بريب صروفها ومعني لساني

فبلغ قوله جعفرًا فقال له: ويلك يا أشجع! هذا تهددٌ فلا تعد لمثله ثم كلم أباه فقضى حاجته فقال:

كفاني صروف الدهر يحيى بن خالد فأصبحت لا أرتاع للحدثان  
كفانيكفاه الله كل ملمةٍ طلابٍ فلانٍ مرةً وفلانٍ

فأصبحت في رغدٍ من العيش واسعٍ أقلب فيه ناظري ولساني

جعفر بن يحيى يوليه عملاً ثم يصرفه عنه أخبرني محمد بن عمران الصيرفي قال: حدثنا العتري عن ابن النطاح قال: ولى جعفر بن يحيى أشجع عملاً فرفع إليه أهله رفائع كثيرة وتظلموا منه وشكوه فصرفه جعفر عنهم فلما رجع إليه من عمله مثل بين يديه ثم أنشأ يقول:

أمفسدةٌ سعاد علي ديني ولائمتي على طول الحنين  
وما تدري سعاد إذا تخلت من الأشجان كيف أخو الشجون  
تتام ولا أنام لطول حزني وأين أخو السرور من الحزين!

لقد راعتك عند قطين سعدى رواحل غاديات بالقطين

كأن دموع عيني يوم بانوا عياناً سح مطردٍ معين  
هم جازوا حجابك يابن يحيى فقالوا بالذي يهون دوني  
أطافوا بي لديك وغبت عنهم ولو أدنيتني لتجنبوني  
وقد شهدت عيونهم فمالت علي وغيبت عنهم عيوني  
ولما أن كتبت بما أرادوا تدرع كل ذي غمزٍ دفين  
كففت عن المقاتل بادياتٍ وقد هيأت صخرة منجنون  
ولو أرسلتها دمغت رجالاً وصالاً في الأخشة والشؤون  
وكنت إذا هزرت حسام قولٍ قطعت بحجتي علق الوتين  
لعل الدهر يطلق من لساني لهم يوماً ويبسط من يميني  
فأقضي دينهم بوفاء قولٍ وأثقلهم لصدقي بالديون  
وقد علموا جميعاً أن قولي قريب حين أدعوه يجيني  
وكنت إذا هجوت رئيس قوم وسمت على الذؤابة والجبين  
بخط مثل حرق النار باقٍ يلوح على الحواجب والعيون  
أماثلةً بودك يابن يحيى رجالاتٌ ذوو ضغن كمين  
يشيمون السيوف إذا رأوني فإن وليت سلت من جفون  
علامو أنت تعلم نصح جنبيو أخذي منك بالسبب المتين  
وعسفي كل مهمةٍ خلاءٍ إليك بكل يعملةٍ أمون  
وإحيائي الدجى لك بالقوافي أقيم صدورهن على المتون  
تقرب منك أعدائي وأناى ويجلس مجلسي من لايليني!  
ولو عاتبت نفسك في مكاني إذا لنزلت عندك باليمين  
ولكن الشكوك نأين عني بودك والمصير إلى اليقين  
فإن أنصفتني أحرقت منهم بنضج الكي أثباج البطون

أول ما نجم به أشجع اتصاله بجعفر بن المنصور أخبرني محمد بن يحيى الصولي والحسن بن علي قالاً: حدثنا العتري قال: حدثنا علي بن الفضل السلمي قال: أول ما نجم به أشجع أنه اتصل بجعفر المنصور وهو حدثٌ وصله به أحمد بن يزيد السلمي وابنه عوف فقال أشجع في جعفر بن المنصور قوله:

اذكروا حرمة العواتك منايا بني هاشم بن عبد مناف  
قد ولدناكم ثلاث ولاداتٍ خلطن الأشراف بالأشراف  
إن أرماح بهثة بن سليم لعجاف الأطراف غير عجاف  
ولأسيافهم فري غير لذرّاجع في مراجع الأكتاف  
معشرٌ يطعمون من ذروة الشول ويسقون خمرة الأقفاف  
يضربون الجبار في أخدعيه ويسقونه نقيع الذعاف

فشاع شعره وبلغ البصرة ولم يزل أمره يتراقى إلى أن وصلته زبيدة بعد وفاة أبيها بزوجها هارون الرشيد فأسنى جوائزَه وألحقه بالطبقة العليا من الشعراء.

#### الفضل بن الربيع يصله بالرشيد

أخبرني عمي قال: حدثني أحمد بن المرزبان قال: حدثني شيبه بن أحمد بن هشام قال: حدثني أحمد بن العباس الربيعي: أن الذي أوصل أشجع لسلمي إلى الرشيد جده الفضل بن الربيع وأنه أوصله له وقال له: هو أشعر شعراء أهل هذا الزمان وقد اقتطعته عنك البرامكة فأمره بإحضاره وإيصاله مع الشعراء ففعل فلما وصل إليه أنشده قوله:

قصرٌ عليه تحيةٌ وسلامٍ نثرت عليه جمالها الأيام  
قصرٌ سقوف المزن دون سقوفه فيه لأعلام الهدى أعلام  
نثرت عليه الأرض كسوتها التي نسج الربيع وزخرف الإرهام  
أنتك من ظل النبي وصيةٌ وقرابةٌ وشجت بها الأرحام  
برقت سماؤك في العدو وأمطرت هاماً لها ظل السيوف غمام  
وإذا سيوفك صافحت هام العدا طارت لهن عن الرؤوس الهام  
أنتى على أيامك الأيام والشاهدان: الحل والإحرام  
وعلى عدوك يابن عم محمدٍ رصدان: ضوء الصبح والإظلام  
فإذا تنبه رعته وإذا غفا سلت عليه سيوفك الأحلام

قال: فاستحسنها الرشيد وأمر له بعشرين ألف درهم فمدح الفضل بن الربيع وشكر له إيصاله إياه إلى الرشيد فقال فيه قصيدته التي أولها:

غلب الرقاد على جفون المسهد وغرقت في سهرٍ وليلٍ سرمد  
قد جد بي سهرٌ فلم أرقد له والنوم يلعب في جفون الرقد  
ولطالما سهرت لحبي أعينٌ أهدى السهاد لها ولما أسهد  
أيام أرعى في رياض بطالةٍ ورد الصبا منها الذي لم يورد  
وخفيفة الأحشاء غير خفيفة مجدولة جدل العنان الأجرد  
غضبت على أعطافها أردافها فالحرب بين إزارها والمجدد  
خالفت فيه عاذلاً لي ناصحاً فرشدت حين عصيت قول المرشد  
أأقيم محتملاً لضيم حوادثٍ مع همةٍ موصولة بالفرقد  
وأرى مخايل ليس يخلف نوؤها للفضل إن رعدت وإن لم ترعد  
للفضل أموالٌ أطاف بها الندى حتى جهدن وجوده لم يجهد  
يابن الربيع حسرت شكري بالتي أوليتني في عود أمرك والبدي

أوصلتني ورفدتني وكلاهما شرفٌ فقأت به عيون الحسد  
ووصفتني عند الخليفة غائباً وأذنت لي فشهدت أفخر مشهد  
وكفيتني من الرجال بنائل أغنى يدي عن أن تمد إلى يد

يسأل جعفر بن يحيى ابتياع غلام جميل فيجيبه أخبرني محمد بن عمران الصيرفي قال: حدثنا العتري قال: حدثني صخر بن أحمد السلمي عن أبيه قال:

ت أنا وأشجع بالرقعة جلوساً فمر بنا غلامٌ أمرد رومي جميل الوجه فكلمه أشجع وسأله ومضطرب الوشاح لمقلتيه علائق ما لوصلتها انقطاع  
رض لي بنظرةٍ ذي دلالٍ يريع بمقلتيه ولا يراع  
ناظٌ ليس تحجب عن قلوبٍ وأمرٌ في الذي يهوى مطاع  
رسعي ضيقٌ عنه ومالي وضيق الأمر يتبعه اتساع  
نعويلي على مال ابن يحيى إليه حسن شوقي والنزاع  
تقت بجعفرٍ في كل خطب فلا هلكٌ يخاف ولا ضياع

فأمر له بخمسة آلاف درهم وقال: اشتره بها فإن لم تكفك فازدد.  
يذكر جاريته ريم في قصيدة رثى بها الرشيد أخيرني الحسن بن علي قال: حدثنا أحمد بن الحارث قال: كانت  
لأشجع جارية يقال لها: ريمٌ وكان يجدها وجرماً شديداً فكانت تحلف له إن بقيت بعده لم تعرض لغيره وكان  
يذكرها في شعره فمن ذلك قوله في قصيدته التي يرثي بها الرشيد:

وليس لأحزان النساء تطاولٌ ولكن أحزان الرجال تطول  
فلا تبخلي بالدمع عني فإن من يضمن بدمعٍ عن هوى لبخيل  
فلا كنت ممن يتبع الريح طرفه دبوراً إذا هبت له وقبول  
قال: وقال فيهما أيضاً:

إذا غمضت فوقي جفون حفيرةٍ من الأرض فابكيني بما كنت أصنع  
تعزك عني عند ذلك سلوةٌ وأن ليس فيمن وارت الأرض مطمع  
إذا لم تري شخصي وتغنك ثروتني ولم تسمعي مني ولا منك أسمع  
فحينئذٍ تسلين عني وإن يكن بكاءً فأقصى ما تبكين أربع  
قليلٌ ورب البيت يا ريم ما أرى فتاةً بمن ولى به الموت تقنع  
بمن تدفعين الحادثات إذا رمى عليك بها عامٌ من الجذب يطلع  
فحينئذٍ تدرين من قد رزيتَه إذا جعلت أركان بيتك تنزع  
أحمد أخوه يجيبه بشعر ينسبه إلى جاريته ريم قال: فشكته ريم إلى أخيه أحمد بن عمرو فأجابه عنها بشعر نسبه  
إليها ومدح فيه الفضل أيضاً فاختر شعره على شعر أخيه وهو:

ذكرت فراقاً والفراق يصدع وأي حياةٍ بعد موتك تنفع!  
إذا الزمن الغرار فرق بيننا فما لي في طيبٍ من العيش مطمع  
ولا كان يومٌ يابن عمروٍ وليلةٌ يبدد فيها شملنا ويصدع  
وألطم وجهاً كنت فيك أصونه وأخشع مما لم أكن منه أخشع  
ولو أنني غيبت في اللحد لم تبل ولم تزل الراؤون لي تتوجع  
وهل رجلٌ أبصرته متوجعاً على امرأةٍ أو عينه الدهر تدمع!  
ولكن إذا ولت يقول لها: اذهبي فمئلك أخرى سوف أهوى وأتبع  
ولو أبصرت عيناك ما بي لأبصرت صباة قلب غيمها ليس يقشع

إلى الفضل فارحل بالمديح فإنه منيع الحمى معروفه ليس يمنع  
 وزره تزر حلاً وعلماً وسودداً وبأساً به أنف الحوادث يجده  
 وأبدع إذا ما قلت في الفضل مدحةً كما الفضل في بذل المواهب يبدع  
 إذا ما حياض المجد قلت مياهاها فحوض أبي العباس بالجود مترع  
 وإن سنةً ضنت بخصبٍ على الورى ففي جوده مرعى خصيبٌ ومشرع  
 وما بعدت أرضٌ بها الفضل نازلٌ ولا خاب من في نائل الفضل يطمع  
 فنعم المنادي الفضل عند ملامةٍ لدفع خطوبٍ مثلها ليس يدفع  
 إليك أبا العباس سارت نجائبٌ لها هممٌ تسمو إليك وتنزع  
 بذكرك نحدوها إذا ما تأخرت فتمضي على هول المضي وتسرع  
 إليك أبا العباس أحمل مدحةً مطيتهاحتى توافيك أشجع  
 فزعت إلى جدواك فيها وإنما إلى مفزع الأملاك يلجأ ويفزع

قال: فأنشدها أشجع الفضل وحدثه بالقصة فوصل أخاه وجاريتيه ووصله.  
 وقال أحمد بن الحارث: فقيل لأحمد بن عمرو أخي أشجع: ما لك لا تمدح الملوك كما يمدحهم أخوك فقال: إن  
 أخي بلاءٌ علي وإن كان فخراً لأني لا أمدح أحداً ممن يرضيه دون شعري ويثيب عليه بالكثير من الثواب إلا  
 قال: أين هذا من قول أشجع فقد امتنعت من مدح أحد لذلك.  
 أحمد أخو أشجع يهجوهم قال أحمد بن الحارث: وقال أحمد بن عمرو يهجو أخاه أشجع وقد كان أحمد مدح  
 محمد بن جميل بشعر قال فيه فسأل أخاه أشجع إيصاله ودفع القصيدة إليه فتوانى عن ذلك فقال يهجوهم -  
 أخبرني بذلك أحمد بن محمد بن جميل -:

وسائلةٍ لي: ما أشجع فقلت: يضر ولا ينفع

قريبٌ من الشر واعٍ له أصم عن الخير ما يسمع

بطيء عن الأمر أحظى به إلى كل ما ساعني مسرع

أسب بأني شقيقٌ له فأنفي به أبداً أجدع

الفضل بن يحيى يطرب لشعر أشجع ويكافئ منشده أخبرني جعفر بن قدامة قال: حدنا حماد بن إسحاق عن أبيه  
 قال: دخلت على الفضل بن يحيى وقد بلغ الرشيد إطلاقه بإحبي بن عبد الله بن حسن وقد كان أمره بقتله فلم  
 يظهر له أنه بلغه إطلاقه فسأله عن خبره: هل قتلته فقال: لا فقال له: فأين هو قال: أطلقتته قال: ولم قال: لأنه  
 سألتني بحق الله وبحق رسوله وقرابته منه ومنك وحلف لي أنه لا يحدث حدثاً وأنه يجيبني متى طلبته.

فأطرق ساعة ثم قال: امض بنفسك في طلبه حتى تجيئي به واخرج الساعة فخرج. قال: فدخلت عليه مهنتاً بالسلامة فقلت له: ما رأيت أثبت من جنانك ولا أصح من رأيك فيما جرى. وأنت والله كما قال أشجع:

**بديهته وفكرته سواء إذا ما نابته الخطب الكبير**

**وأحزم ما يكون الدهر رأياً إذا عي المشاور والمشير**

**وصدر فيه لهم اتساع إذا ضاقت بما تحوي الصدور**

فقال الفضل: انظروا كم أخذ أشجع على هذه القصيدة فحملوا إلى أبي محمد مثله. قال: يرثي صديقاً له من بغداد أخبرني الحسين بن القاسم الكوكبي إجازة قال: حدثني محمد بن عجلان قال: حدثنا ابن خلاد عن حسين الجعفي قال: كان أشجع إذا قدم بغداد يتزل على صديق له من أهلها فقدمها مرة فوجده قد مات والنوح والبكاء في داره فجزع لذلك وبكى وأنشأ يقول:

**ويحها هل درت على من تنوح أسقيماً فؤادها أم صحيح!**

**قمر! أطبقوا عليه ببغداد ضريحاً ماذا أجن الضريح!**

**رحم الله صاحبي ونديمي رحمة تغتدي وأخرى تروح**

وهذه القصيدة التي فيها الأبيات المذكورة والغناء فيها من قصيدة يمدح بها أشجع الرشيد ويهنته بفتح هرقله وقد مدحه بذلك وهنأه جماعة من الشعراء وغني في جميعها فذكرت خبر فتح هرقله لذكر ذلك.

سبب غزاة الرشيد هرقله أخبرني بحبره علي بن سليمان الأحفش قال: حدثنا محمد بن يزيد قال: كان من خير غزاة الرشيد هرقله أن الروم كانت قد ملكت امرأة لأنه لم يكن بقي في أهل زماها من أهل بيتها - بيت المملكة - غيرها وكانت تكتب إلى المهدي والهادي والرشيد أول خلافته بالتعظيم والتبجيل وتدر عليه الهدايا حتى بلغ ابن لها فحاز الملك دونها وعاث وأفسد وفسد الرشيد فخافت على ملك الروم أن يذهب وعلى بلادهم أن تعطب لعلمها بالرشيد وخوفها من سطوته فاحتالت لابنها فسملت عينيه فبطل منه الملك وعاد إليها فاستنكر ذلك أهل المملكة وأبغضوها من أجله فخرج عليها نقفور وكان كاتبها فأعانوه وعضدوه وقام بأمر الملك وضبط أمر الروم فلما قوي على أمره وتمكن من ملكه كتب إلى الرشيد: كتاب نقفور إلى الرشيد " من نقفور ملك الروم إلى الرشيد ملك العرب أما بعد فإن هذه المرأة كانت وضعتك وأباك وأخاك موضع الملوك ووضعت نفسها موضع السوقة وإني واضعك بغير ذلك الموضع وعامل على تطرق بلادك والهجوم على أمصارك أو تؤدي إلي ما كانت المرأة تؤدي إليك والسلام ".

رد الرشيد عليه فلما ورد كتابه على الرشيد كتب إليه: " بسم الله الرحمن الرحيم - من عبد الله هارون أمير المؤمنين إلى نقفور كلب الروم أما بعد فقد فهمت كتابك وجوابك عندي ما تراه عياناً لا ما تسمعه ". ثم شخص من شهره ذلك يوم بلاد الروم في جمع لم يسمع بمثله وقواد لا يجارون نجدة ورأياً فلما بلغ ذلك نقفور

ضاقت عليه الأرض بما رحبت وشاور في أمره.

أبو العتاهية يذكر هزيمة نقفور ويمدح الرشيد وجد الرشيد يتوغل في بلاد الروم فيقتل ويغنم ويسبي ويخرب الحصون ويعني الآثار حتى صار إلى طرق متضايقة دون قسطنطينية فلما بلغها وجدها وقد أمر نقفور بالشجر فقطع ورمي به في تلك الطرق وألقيت فيه النار فكان أول من لبس ثياب النفاطين محمد بن يزيد بن يزيد فخاضها ثم اتبعه الناس فبعث إليه نقفور بالهدايا وخضع له أشد الخضوع وأدى إليه الجزية عن رأسه فضلاً عن أصحابه فقال في ذلك أبو العتاهية:

إمام الهدى أصبحت بالدين مغنياً وأصبحت تسقي كل مستمطر ريا  
لك اسمان شقا من رشادٍ ومن هدى فأنت الذي تدعى رشيداً ومهدياً  
إذا ما سخطت الشيء كان مسخطاً وإن ترض شيئاً كان في الناس مرضياً

بسطت لنا شرقاً وغرباً يد العلاف وأوسعت شرقياً وأوسعت غربياً  
ووشيت وجه الأرض بالجود والندى فأصبح وجه الأرض بالجود موشياً  
قضى الله أن يبقى لهارون ملكه وكان قضاء الله في الخلق مقضياً  
تجللت الدنيا لهارون ذي الرضا وأصبح نقفوراً لهارون ذمياً

شاعر من أهل جدة يعلم الرشيد بغدر نقفور فرجع الرشيد - لما أعطاه نقفور ما أعطاه - إلى الرقة فلما سقط الثلج وأمن نقفور أن يغزى اغتر بالمهلة ونقض ما بينه وبين الرشيد ورجع إلى حالته الأولى فلم يجترىء بي بن خالد - فضلاً عن غيره - على إخبار الرشيد بغدر نقفور فبذل هو وبنوه الأموال للشعراء على أن يقولوا أشعاراً في إعلام الرشيد بذلك فكلهم كع وأشفق إلا شاعراً من أهل جدة كان يكنى أبا محمد وكان مجيداً قوي النفس قوي الشعر وكان ذو اليمينين اختصه في أيام المأمون ورفع قدره جداً فإنه أخذ من يحيى وبنيه مائة ألف درهم ودخل على الرشيد فأنشده:

نقض الذي أعطاكه نقفور فعليه دائرة البوار تدور  
أبشر أمير المؤمنين فإنه فتح أتك به الإله كبير  
فلقد تباشرت الرعية أن أتى بالنقض عنه وافد وبشير  
ورجت بيمينك أن تعجل غزوة تشفي النفوس نكالها مذكور  
أعطاك جزيته وطأطأ خذه حذر الصوارم والردى محذور  
وصرفت في طول العساكر قافلاً عنه وجارك آمن مسرور

نقفور إنك حين تغدر أن نأى عنك الإمام لجاهل مغرور  
أظننت حين غدرت أنك مفلت هبلك أمك ما ظننت غرور  
ألقاك حينك في زواجر بحره فطمت عليك من الإمام بحور  
إن الإمام على اقتسارك قادر قربت ديارك أو نأت بك دور  
ليس الإمام وإن غفلنا غافلاً عما يسوس بحزمه ويدير  
ملك تجرد للجهاد بنفسه فعدوه أبداً به مقهور  
يا من يريد رضا الإله بسعيه والله لا يخفى عليه ضمير  
لا نصح ينفع من يغش إمامه والنصح من نصحائه مشكور  
نصح الإمام على الأنام فريضة ولأهله كفارة وطهور

فتح هرقله قال: فلما أنشده قال الرشيد: أو قد فعل! وعلم أن الوزراء احتالوا في إعلامه ذلك فغزاه في بقية من الثلج فافتتح هرقله في ذلك الوقت فقال أبو العتاهية في فتحه إياها:

ألا نادى هرقله بالخراب من الملك الموفق للصواب  
ورايات يحل النصر فيها تمر كأنها قطع السحاب  
أمير المؤمنين ظفرت فاسلم وأبشر بالغنيمة والإياب

قال محمد: وجعل الرشيد قبل وصوله إلى هرقله يفتح المدن والحصون ويخربها حتى أناخ على هرقله وهي أوثق حصن وأعزه جانباً وأمنعه ركناً فتحصن أهلها وكان باهما يطل على وادٍ ولها خندق يطيف بها فحدثني شيخ من مشايخ المطوعة وملازمي الثغور يقال له علي بن عبد الله قال: حدثني جماعة أن الرشيد لما حصر أهل هرقله وغمهم وألح بالمجانيق والسهام والعرادات فتح الباب فاستشرف المسلمون لذلك فإذا برجل من أهلها كأكمل الرجال قد خرج في أكمل السلاح فنادى: قد طالت مواقعتكم إيانا فليبرز إلي منكم رجالان ثم لم يزل يزيد حتى بلغ عشرين رجلاً فلم يجبه أحد فدخل وأغلق باب الحصن وكان الرشيد نائماً فلم يعلم بخبره إلا بعد انصرافه فغضب ولام خدمه وغلماه على تركهم إنباهه وتأسف لفوته فقليل له: إن امتناع الناس منه سيغويه ويطغيه وأحر به أن يخرج في غد فيطلب مثل ما طلب فطالت على الرشيد ليلته وأصبح كالمنتظر له ثم إذا هو بالباب قد فتح وخرج طالباً للمبارزة وذلك في يوم شديد الحر وجعل يدعو بأنه يثبت لعشرين منهم فقال الرشيد: من له فابتدره جلة القواد كهزيمة ويزيد بن مزيد وعبد الله بن مالك وخزيمة بن حازم وأخيه عبد الله وداود بن يزيد وأخيه فعزم على إخراج بعضهم فضجت المطوعة حتى سمع ضجيجهم فأذن لعشرين منهم فاستأذنوه في المشورة

فأذن لهم فقال قائلهم: يا أمير المؤمنين قوادك مشهورون بالبأس والنجدة وعلو الصوت ومداوسة الحروب ومتي خرج واحدٌ منهم فقتل هذا العليج لم يكبر ذلك وإن قتله العليج كانت وضيفة على العسكر عجيبية وثلمة لا تسد ونحن عامة لم يرتفع لأحد منا صوت إلا كما يصلح للعامة فإن رأى أمير المؤمنين أن يخلينا نختار رجلاً فنخرجه إليه فإن ظفر علم أهل الحصن أن أمير المؤمنين قد ظفر بأعزهم على يد رجل من العامة ومن أفناء الناس ليس ممن يوهن قتله ولا يؤثر وإن قتل الرجل فإنما استشهد رجلٌ ولم يؤثر ذهابه في العسكر ولم يثلمه وخرج إليه رجل بعده مثله حتى يقضي الله ما شاء قال الرشيد: قد استصوبت رأيكم هذا. فاختاروا رجلاً منهم يعرف بابن الجزري وكان معروفاً في الثغر بالبأس والنجدة فقال الرشيد: أخرج قال: نعم وأستعين الله فقال: أعطوه فرساً ورمحاً وسيفاً وترساً فقال: يا أمير المؤمنين أنا بفرسي أوثق ورمحي بيدي أشد ولكني قد قبلت السيف والترس فلبس سلاحه واستدناه الرشيد فودعه واستتبعه الدعاء وخرج معه عشرون رجلاً من المطوعة فلما انقض في الوادي قال لهم العليج وهو يعدهم واحداً واحداً: إنما كان الشرط عشرين وقد زدتم رجلاً ولكن لا بأس فنادوه: ليس يخرج إليك منا إلا رجلٌ واحد فلما فصل منهم ابن الجزري تأمله الرومي وقد أشرف أكثر الروم من الحصن يتأملون صاحبهم والقرن حتى ظنوا أنه لم يبق في الحصن أحداً إلا أشرف فقال الرومي: أتصدقني عما أستخبرك قال: نعم فقال: أنت بالله ابن الجزري قال: اللهم نعم فكفر له ثم أخذ في شأهما فاطعنا حتى طال الأمر بينهما وكاد الفرسان أن يقوما وليس يحدش واحدٌ منهما صاحبه ثم تحاجزا بشيء فزج كل واحد منهما برمحه وأصلت سيفه فتجالدا ملياً واشتد الحر عليهما وتبلد الفرسان وجعل ابن الجزري يضرب الرومي الضربة التي يرى أنه قد بلغ فيها فيتقيها الرومي وكان ترسه حديداً فيسمع لذلك صوت منكر ويضربه الرومي ضرب معذر لأن ترس ابن الجزري كان درقة فكان العليج يخاف أن يعض بالسيف فيعطب فلما ينس من وصول كل واحد منهما إلى صاحبه انهزم ابن الجزري فدخلت المسلمين كآبة لم يكتبوا مثلها قط وعطعت المشركون احتيلاً وتطاولوا وإنما كانت هزيمته حيلةً منه فأتبعه العليج وتمكن منه ابن الجزري فرماه بوهق فوقع في عنقه وما أخطأه وركض فاستل عن فرسه ثم عطف عليه فما وصل إلى الأرض حياً حتى فارقه رأسه فكبر المسلمون أعلى تكبير وانخذل المشركون وبادروا الباب يعلقونه واتصل الخبر بالرشيد فصاح بالقواد: اجعلوا النار في الجانيق وارموها فليس عند القوم دفع ففعلوا وجعلوا الكتان والنفط على الحجارة وأضرموا فيها النار ورموا بها السور فكانت النار تلصق به وتأخذ الحجارة وقد تصدع فتهافت فلما أحاطت بها النيران فتحوا الباب مستأمنين ومستقبلين فقال الشاعر المكي الذي كان يتزل جدة: صوت

**هوت هرقله لما أن رأت عجباً حوائماً ترتمي بالنفط والنار**

**كأن نيراننا في جنب قلعتهم مصبغاتٌ على أرسان قصار**

في هذين البيتين لابن جامع لحن من الثقيل الأول بالبنصر.

قال محمد بن يزيد: وهذا كلام ضعيف لين ولكن قدرة عظيم في ذلك الموضع والوقت وغنى فيه المغنون بعد ذلك. وأعظم الرشيد الجائزة للجدى والشاعر وصبت الأموال على ابن الجزري وقود فلم يقبل التقويد إلا بغير رزق ولا عوض وسأل أن يعفى ويتزل بمكانه من الثغر فلم يزل به طول عمره.

ابن جامع يغني الرشيد بهرقلة أخبرني محمد بن خلف وكيع قال: حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال: حدثنا أحمد بن علي بن أبي نعيم المروزي قال: خرج الرشيد غازياً بلاد الروم فتزل بهرقلة فدخل عليه ابن جامع فغناه: فنظر الرشيد إلى ماشية قد جيء بها فظن أن الطاغية قد أتاه فخرج يركض على فرس له وفي يده الرمح وتبعه الناس فلما تبين له أنها ماشية رجعوا فغناه ابن جامع: صوت

**رأى في السما رهجاً فيمم نحوه يجر ردينياً وللهج يستقري**

**تتاوت أطراف البلاد بقدرة كأنك فيها تفتني أثر الخضر**

الغناء لابن جامع ثاني ثقيل عن بذل وابن المكي.

أشجع يهنيء الرشيد بفتح هرقلة أخبرني هاشم بن محمد أبو دلف الخزاعي قال: حدثني الفضل بن محمد اليزيدي عن إسحاق الموصللي قال: لما انصرف الرشيد من غزاة هرقلة قدم الرقة في آخر شهر رمضان فلما عيد جلس للشعراء فدخلوا عليه وفيهم أشجع فبدرهم وأنشأ يقول:

**لازلت تنشر أعياداً وتطويها تمضي بها لك أيام وتثنيها**

**مستقبلاً زينة الدنيا وبهجتها أيامنا لك لا تفنى وتفنيها**

**ولا تقضت بك الدنيا ولا برحت يطوي لك الدهر أياماً وتطويها**

**أمسث هرقلة تهوي من جوانبها وناصر الله والإسلام يرميها**

**ملكتهما وقتلت الناكثين بها بنصر من يملك الدنيا وما فيها**

**ما روعي الدين والدنيا على قدم بمثل هارون راعيه وراعيتها**

قال: فأمر له بألف دينار وقال: لا ينشدني أحدٌ بعده فقال أشجع: والله لأمره بالألا ينشده أحدٌ بعدي أحب إلي من صلته.

حدثني أحمد بن وصيف ومحمد بن يحيى الصولي قالوا: حدثنا محمد بن موسى بن حماد قال: حدثني عبد الله بن عمرو الوراق قال: حدثني أحمد بن محمد بن منصور بن زياد عن أبيه قال: دخل أشجع على الرشيد ثاني يوم الفطر فأنشده: صوت

**استقبل العيد بعمرٍ جديدٍ مدت لك الأيام حبل الخلود**

مصعداً في درجات العلا نجمك مقرونٌ بسعد السعود  
واطو رداء الشمس ما أطلعت نوراً جديداً كل يوم جديد  
تمضي لك الأيام ذا غبطة إذا أتى عيدٌ طوى عمر عيد

يصف فتح طبرستان ويمدح الرشيد أخبرني محمد بن جعفر النحوي قال: حدثنا محمد بن موسى بن حماد قال:  
حدثني أبو عبد الله النخعي قال: دخل أشجع على الرشيد فأنشده قوله:

أبت طبرستان غير الذي صدعت به بين أعضائها  
ضمنت مناكبها ضمةً رمتك بما بين أحشائها  
سموت إليها بمثل السماء تدلى الصواعق في مائها  
فلما نظرت إلى جرحها وضعت الدواء على دائها  
فرشت الجهاد ظهور الجياد بأبنائه وبأبنائها  
بنفسك ترميهم والخيول كرمي العقاب بأفلائها  
نظرت برأيك لما هممت دون الرجال وآرائها

قال: فأمر له بألف دينار.

يمدح الرشيد بعد قدومه من الحج وقد مطر الناس أخبرني محمد بن جعفر قال: حدثنا محمد بن موسى قال:  
حدثني أبو عمرو الباهلي البصري دخل أشجع بن عمرو السلمي على هارون الرشيد حين قدم من الحج وقد  
مطر الناس يوم قدومه فأنشده يقول:

إن يمن الإمام لما أتانا جلب الغيث من متون الغمام  
فابتسام النبات في أثر الغيث بنواره كسرج الظلام  
ملكٌ من مخافة الله مغضٍ وهو مغضى له من الإعظام  
ألف الحج والجهاد فما ين فك من سفرتين في كل عام  
سفر للجهاد نحو عدو والمطايا لسفرة الإحرام  
طلب الله فهو يسعى إليه بالمطايا وبالجياد السوامي  
فيدها يدٌ بمكة تدعوه وأخرى في دعوة الإسلام

يذكر حفر نهر ويمدح الرشيد أخبرني محمد بن جعفر قال: حدثني محمد بن موسى بن حماد قال: أخبرني أبو عبد الله النخعي قال: أمر الرشيد بحفر نهر لبعض أهل السواد وقد كان حرب وبطل ما عليه فقال أشجع السلمي بمدحه:

**أجرى الإمام الرشيد نهراً عاش بعمرانه الموات**

**ألقمه درة لقوحاً يرضع أخلافها النبات**

حلم الرشيد حلماً مزعجاً ومات بعده فرثاه أشجع  
أخبرني جحظة قال: حدثني ميمون بن هارون قال: رأى الرشيد فيما يرى النائم كأن امرأة وقفت عليه وأخذت كف تراب ثم قالت له: هذه تربتك عن قليل فأصبح فرعاً وقص رؤياه فقال له أصحابه: وما هذا قد يرى الناس أكثر مما رأيت وأغلظ ثم لا يضر. فركب وقال: والله إني لأرى الأمر قد قرب فبينما هو يسير إذ نظر إلى امرأة واقفة من وراء شبك حديد تنظر إليه فقال: هذه والله المرأة التي رأيتها ولو رأيتها بين ألف امرأة ما خفيت علي ثم أمرها أن تأخذ كف تراب فتدفعه إليه فضربت بيدها إلى الأرض التي كانت عليها فأعطته منها كف تراب فبكى ثم قال: هذه والله التربة التي رأيتها وهذه المرأة بعينها. ثم مات بعد مدة فدفن في ذلك الموضع بعينه اشتري له ودفن فيه وأتى نعيه بغداد فقال أشجع يرثيه:

**غربت بالمشرق الشمس فقل للعين تدمع**

**ما رأينا قط شمساً غربت من حيق تطلع**

يتغزل في جارية حرب الثقفي ويذمه أخبرني عمي قال: حدثنا محمد بن موسى قال: حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال: حدثني محمد بن عبد الله بن مالك قال: كان حرب بن عمرو الثقفي نحاساً وكانت له جارية مغنية وكان الشعراء والكتاب وأهل الأدب ببغداد يختلفون إليها يسمعونها وينفقون في منزله النفقات الواسعة ويبرونه ويهدون إليه فقال أشجع:

**جارية تهتز أردافها مشبعة الخلخال والقلب**

**أشكو الذي لاقيت من حبها وبغض مولاها إلى الرب**

**من بغض مولاها ومن حبها سقمت بين البغض والحب**

**فاختلجا في الصدر حتى استوى أمرهما فاقتسما قلبي**

**تعجل الله شفائي بها وعجل السقم إلى حرب**

قال مؤلف هذا الكتاب: فأخذ هذا المعنى بعض المحدثين من أهل عصرنا فقال في مغنية تعرف بالشاة:

**بحب الشاة ذبت ضنى وطال لزوجها مقتي**

## فلو أني ملكتهما لأسعد في الهوى بختي

يهنئ يحيى بن خالد بسلامته من المرض أخبرني أبو الحسن الأسدي قال: حدثنا سليمان بن أبي شيخ قال: حدثني صالح بن سليمان قال: اعتل يحيى بن خالد ثم عوفي فدخل الناس يهنئونه بالسلامة ودخل أشجع فأنشده:

لقد قرعت شكاة ابن علي قلوب معاشر كانوا صحاحا  
فإن يدفع لنا الرحمن عنه صروف الدهر والأجل المتاحا  
فقد أمسى صلاح أبي علي لأهل الدين والدنيا صلاحا  
إذا ما الموت أخطأه فلسنا نبالي الموت حيث غدا وراحا

قال: فما أذن يومئذ لأحد سواه في الإنشاء لاختصاص البرامكة إياه.

يعود علي بن شبرمة في مرضه أخبرني الحسن بن علي قال: حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال: حدثنا محمد بن عمران الضبي قال: سمعت محمد بن أبي مالك الغنوي يقول: دخل أشجع السلمي على علي بن شبرمة يعوده فأنشأ يقول:

إذا مرض القاضي مرضنا بأسرنا وإن صح لم يسمع لنا بمرريض  
فأصبحت لما اعتل يوماً كطائرٍ سما بجناحٍ للنهوض مهيض

منعه حاجب أبان بن الوليد من الدخول عليه فهجاه أخبرني الحسن قال: حدثنا ابن مهرويه قال: حدثني محمد بن عمران قال: سمعت محمد بن أبي مالك يقول: جاء أشجع ليدخل على أبان بن الوليد البجلي فمنعه حاجبه وانتهره غلماناه فقال فيه:

ألا أيها المشلي علي كلابهوليغير أن لم اشلهنكلاب  
رويدك لا تعجل علي فقد جرى بخزيك ظبيّ أعضبٌ و غراب  
علام تسد الباب والسر قد فشا وقد كنت محجوباً ومالك باب  
فلو كنت ممن يشرب الخمر سادراً إذاً لم يكن دوني عليك حجاب  
ولكنه يمضي لي الحول كاملاً وما لي إلا الأبيضين شراب  
من الماء أو من شخبٍ دهماء ثرة لها حالبٌ لا يشتكى وحلاب

مر بقبري الوليد بن عقبة وأبي زبيد الطائي فقال شعراً أخبرني أحمد بن جعفر جحظة قال: حدثني ميمون بن هارون قال: حدثنا علي بن الجهم قال: حدثني ابن أشجع السلمي قال: لما مر أبي وعماي أحمد ويزيد - وقد شربوا حتى انتشوا - بقبر الوليد بن عقبة وإلى جانبه قبر أبي زبيد الطائي - وكان نصرانياً - والقبران مختلفان

كل واحدٍ منهما متوجه إلى قبله ملته وكان أبو زيد أوصى لما احتضر أن يدفن إلى جنب الوليد بالبليخ قال:  
فوقفوا على القبرين وجعلوا يتحدثون بأخبارهما ويتذاكرون أحاديثهما فأنشأ أبي يقول:

مررت على عظام أبي زبيدٍ وقد لاحت ببلقعةٍ صلود

وكان له الوليد نديم صدقٍ فنادم قبره قبر الوليد

أنيساً ألفةٍ ذهبت فأمست عظامهما تأنس بالصعيد

وما أدري بمن تبدأ المنايا بأحمد أو بأشجع أو يزيد

قال: فماتوا والله كما رتبهم في الشعر أولهم أحمد ثم أشجع ثم يزيد.

### صوت

حي ذا الزور وانته أن يعودا إن بالباب حارسين قعودا

من أساوير ما ينون قياماً وخالخيل تذهل المولودا

لاذعرت السوام في فلق الص بح مغيراً ولا دعيت يزيدا

يوم أعطي مخافة الموت ضيماً والمنايا يرصدنني أن أحيدا

الشعر ليزيد بن ربيعة بن مفرغ الحميري والغناء لسياط خفيف رمل بإطلاق الوتر في مجرى البصر عن إسحاق  
وذكر أحمد بن المكي أنه لأبيه يحيى وذكر الهشامي أنه لفليح. قال: ومن هذا الصوت سرق لحن: تلك عرسي  
تلومني في التصابي

### أخبار ابن مفرغ ونسبه

#### نسبه وسبب تلقيب جده مفرغاً

هو يزيد بن ربيعة بن مفرغ ولقب جده مفرغاً لأنه راهن على سقاء لبن أن يشربه كله فشربه كله حتى فرغه  
فلقب مفرغاً ويكنى أبا عثمان وهو من حمير فيما يزعم أهله وذكر ابن الكلبي وأبو عبيدة أن مفرغاً كان شعاباً  
بتبالة فادعى أنه من حمير. وقال علي بن محمد النوفلي: ليس أحدٌ بالبصرة من حمير إلا آل الحجاج بن ناب  
الحميري وبيتاً آخر ذكره ودفع بيت ابن مفرغ.

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال: أخبرني أحمد بن الهيثم القرشي قال: أخبرني العمري عن لقيط بن بكر  
المخاري قال: هو يزيد بن ربيعة ابن مفرغ الحميري حليف قريش ثم حليف آل خالد بن أسيد بن أبي العيص بن  
أمية بن عبد شمس. قال العمري: وكان ابن المكي يقول: كان مفرغ عبداً للضحاك بن عبد عوف الهلالي فأنعم

عليه.

قال محمد بن خلف: أخبرني محمد بن عبد الرحمن الأسدي عن محمد بن رزين قال: قال كان ربيعة ابن مفرغ شعاباً بالمدينة وكان ينسب إلى حمير وإنما سمي مفرغاً لتفريغته العس وكان شاعراً غزلاً محسناً والسيد من ولده. أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال: حدثني أبو العيلاء قال: سئل الأصمعي عن شعر تبع وقصته ومن وضعها فقال: ابن مفرغ وذلك أن يزيد بن معاوية لما سيره إلى الشام وتخلصه من عباد بن زياد أنزله الجزيرة وكان مقيماً برأس عين وزعم أنه من حمير ووضع سيرة تبع وأشعاره وكان النمر بن قاسط يدعي أنه منهم. وقال الهيثم بن عدي: هو يزيد بن زياد بن ربيعة ابن مفرغ اليحصبي من حمير يحصب بن مالك بن زيد بن الغوث بن سعد بن عوف بن عدي بن مالك بن زيد بن سهل بن عمرو بن قيس بن معاوية بن جشم بن عبد شمس بن وائل بن الغوث بن الهميسع بن حمير بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان. أخبرني بخبره جماعة من مشايخنا منهم أحمد بن عبد العزيز الجوهري عن عمر بن شبة ومحمد بن خلف بن المرزبان عن جماعة من أصحابه وأحمد بن عبد العزيز الجوهري عن علي بن محمد النوفلي عن أبيه فما اتفقت رواياتهم من خبره جمعناها في ذكره وما اختلفت أفردت كل منفرد منهم بروايته.

### ووصيته سعيد بن عثمان

أخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال: حدثنا أبو حاتم عن أبي عبيدة عن مسلمة بن محارب وأخبرني الجوهري قال: حدثنا عمر بن شبة وأخبرنا محمد بن العباس الزبيدي قال: قرأت على محمد بن الحسن بن دريد عن ابن الأعرابي وأخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال: حدثنا أحمد بن الهيثم قال: حدثنا العمري عن لقيظ بن بكير قالوا جميعاً: لما ولي سعيد بن عثمان بن عفان خراسان استصحب يزيد بن ربيعة بن مفرغ واجتهد به أن يصحبه فأبى عليه وصحب عباد بن زياد فقال له سعيد بن عثمان: أما إذ أبيت أن تصحبي وآثرت عباداً فاحفظ ما أوصيك به إن عباداً رجل لئيم فإياك والذالة عليه وإن دعاك إليها من نفسه فإنها خدعة منه لك عن نفسك وأقلل زيارته فإنه طرف ملول ولا تفاخره وإن فاحرك فإنه لا يحتمل لك ما كنت أحتمله. ثم دعا سعيد بمال فدفعه إلى ابن مفرغ وقال: استعن به على سفرك فإن صلح لك مكانك من عباد وإلا فمكانك عندي ممهّد فأتني ثم سار سعيد إلى خراسان وتخلف ابن مفرغ عنه وخرج معه عباد. قال ابن دريد في خبره عن مسلمة بن محارب: فلما بلغ عبيد الله بن زياد صحبة ابن مفرغ أخاه عباداً شق عليه فلما سار أخوه عباداً شيعه وشيع الناس معه وجعلوا يودعونه ويودع الخارجون مع عباد عبيد الله بن زياد فلما أراد عبيد الله أن يودع أخاه دعا ابن مفرغ فقال له: إنك سألت عباداً أن تصحبه وأجابك إلى ذلك وقد شق علي فقال له ابن مفرغ: ولم أصلحك الله قال: لأن الشاعر لا يقنعه من الناس ما يقنع بعضهم من بعض لأنه يظن فيجعل الظن يقيناً ولا يعذر في موضع العذر وإن

عباداً يقدم على أرض حرب فيشتغل بجروبه وخراجه عنك فلا تعذره أنت وتكسنا شراً وعاراً فقال له: لست كما ظن الأمير وإن المعروفه عندي لشكراً كثيراً وإن عندي - إن أغفل أمرى - عذراً ممهداً قال: لا ولكن تضمن لي إن أبطأ عنك ما تحبه إلا تعجل عليه حتى تكتب إلي قال: نعم قال: امض إذاً على الطائر الميمون: قال: فقدم عبداً خراسان واشتغل بحربه وخراجه فاستبطأه ابن مفرغ ولم يكتب إلى عبيد الله بن زياد يشكوه كما ضمن له ولكنه بسط لسانه فذمه وهجاه.

### يهجو عبداً ببيت من الشعر

وكان عبداً عظيم اللحية كأنها جوالق فسار يزيد بن مفرغ يوماً مع عباد فدخلت الريح فنفتشتها فضحك ابن مفرغ وقال لرجل من لحم كان إلى جنبه قوله:

### ألا ليت اللحي كانت حشيشاً فنعلفها خيول المسلمينا

فسعى به اللحي إلى عباد فغضب من ذلك غضباً شديداً وقال: لا يجمل بي عقوبته في هذه الساعة مع الصحبة لي وما أؤخرها إلا لأشفي نفسي منه لأنه كان يقوم فيشتتم أبي في عدة مواطن وبلغ الخبر ابن مفرغ فقال: إني لأجد ريح الموت من عباد.

يطلب من عباد الإذن في الرجوع ثم دخل عليه فقال له: أيها الأمير إني كنت مع سعيد بن عثمان وقد بلغك رأيه في ورأيت جميل أثره علي وإني اخترتك عليه فلم أحظ منك بطائل وأريد أن تأذن لي في الرجوع فلا حاجة لي في صحبتك فقال له: أما اختيارك إياي فإني اخترتك كما اخترتني واستصحبتك حين سألتني وقد أعجلتني عن بلوغ محبتي فيك وقد طلبت الإذن لترجع إلى قومك فتفصحني فيهم وأنت على الإذن قادر بعد أن أقضي حَقك فأقام. وبلغ عبداً أنه يسبه ويذكره وينال من عرضه وأجرى عباد الخيل فجاء سابقاً فقال ابن مفرغ: سبق عبداً وصلت لحيته وطلب عليه العلل ودس إلى قوم كان لهم عليه دين فأمرهم أن يقدموه إليه ففعلوا فحبسه وأضر به فبعث إليه أن بعني الأراكة وبرداً وكانت الأراكة فينة لابن مفرغ. وبردٌ غلامه رباهما وكان شديد الضن بهما فبعث إليه ابن مفرغ مع الرسول: أبيع المرء نفسه أو ولده فأضر به عباد حتى أخذهما منه. هذه رواية مسلمة.

وأما لقيط وعمر بن شبة فإيهما ذكرا أنه باعهما عليه فاشترهما رجل من أهل خراسان. قال لقيط: فلما دخلا منزله قال له برد وكان داهيةً أريباً: أتدري ما اشتريت قال: نعم اشتريتك وهذه الجارية. قال: لا والله ما اشتريت إلا العار والدمار والفضيحة أبداً ما حييت فجزع الرجل وقال له: كيف ذلك ويلك! قال: نحن ليزيد بن ربيعة بن مفرغ والله ما أصاره إلى هذه الحال إلا لسانه وشره أفتراه يهجو ابن زياد - وهو أمير خراسان وأخوه أمير العراقيين وعمه الخليفة - في أن استبطأه ويمسك عنك وقد ابتعتني وابتعت هذه الجارية وهي نفسة التي بين جنبيه والله ما أرى أحداً أدخل بيته أشأم على نفسه وأهله مما أدخلته منزلك فقال: فاشهد أنك وإياها له

فإن شئتما أن تمضيا إليه فامضيا على أي أخاف على نفسي إن بلغ ذلك ابن زياد وإن شئتما أن تكونا له عندي فافعلا قال: فكتب إليه بذلك. فكتب الرجل إلى ابن مفرغ في الحبس بما فعله فكتب إليه يشكر فعله وسأله أن يكونا عنده حتى يفرج الله عنه.

قال: وقال عباد لحاجبه: ما أرى هذا - يعني ابن مفرغ - يبالي بالمقام في الحبس فيع فرسه وسلاحه وأثائه واقسم ثمنها بين غرمائه ففعل ذلك وقسم الثمن بينهم وبقيت عليه بقية حبسه بما. فقال ابن مفرغ يذكر غلامه برداً وجاريتته الأراكة ويبيعهما:

شريت برداً ولو ملكت صفقته لما تطلبت في بيع له رشدا  
لولا الدعي ولولا ما تعرض لي من الحوادث ما فارقتك أبدا  
يا برد ما مسنا برد أضر بنا من قبل هذا ولا بعنا له ولدا  
الأراك فكانت من محارمنا عيشاً لذيذاً وكانت جنة رغدا  
كانت لنا جنة كنا نعيش بها نغنى بها إن خشينا الأزل والنكدا  
ياليتني قبل ما ناب الزمان به أهلي لقيت على عدوانه الأسدا  
قد خاننا زمن لم نخش عثرته من يأمن اليوم أم من ذا يعيش غدا !  
لامنتي النفس في برد فقلت له لا تهلكي إثر بردٍ هكذا كمدا  
كم من نعيم أصبنا من لذائذه قلنا له إذ تولى لبيته خلدا

خروجه من السجن وهروبه إلى البصرة قالوا: وعلم ابن مفرغ أنه إن أقام على ذم عباد وهجائه وهو في حبسه زاد نفسه شراً فكان يقول للناس إذا سألوه عن حسبه ما سببه: رجل أدبه أميره ليقوم من أوده أو يكف من غربه وهذا لعمرى خيرٌ من جر الأمير ذيله على مداهنة لصاحبه فلما بلغ عباداً قوله رق له وأخرجه من السجن فهرب حتى أتى البصرة ثم خرج منها إلى الشام وجعل يتنقل في مدنها هارباً ويهجو زياداً وولده. وقال المدائني في خبره: لما بلغ عباد بن زياد أن ابن مفرغ قال: سبق عباد وصلت لحيته

### هجاء فيه ينشده ابنه في مجلس عباد

دعا ابنه والمجلس حافل فقال له: أنشدني هجاء أبيك الذي هجي به فقال: أيها الأمير ما كلف أحدٌ قط ما كلفتني فأمر غلاماً له أعجمياً وقال له: قم على رأسه فإن أنشد ما أمرته به وإلا فصب السوط على رأسه أبداً أو ينشده فأنشده أبياتاً هجي بها أبوه أولها:

قبح الإله ولا يقبح غيره وجه الحمار رببعة بن مفرغ

وجعل عباد يتضحك به فخرج ابن ابن مفرغ من عنده وهو يقول: والله لا يذهب شتم أصرمت حبلك من أمامه من بعد أيام برامه  
فالريح تبكي شجوها والبرق يضحك في الغمامه  
لهفي على الأمر الذي كانت عواقبه ندامه  
تركي سعيداً ذا الندى والبيت ترفعه الدعامة  
فتحت سمرقنداً له وبني بعرضتها خيامه  
وتبعت عبد بني علاج تلك أشرط القيامة!  
جاءت به حبشية سكاء تحسبها نعامه  
وشريت برداً ليأتي من بعد برد كنت هامه  
أو بومة تدعو صدى بين المشقر واليمامة  
فالهول يركبه الفتى حذر المخازي والسامة  
والعبد يقرع بالعصا والحر تكفيه الملامه

قال: ثم لج في هجاء بني زياد حتى تغنى أهل البصرة في أشعاره فطلبه عبيد الله طلباً شديداً حتى كاد يؤخذ فلحق  
بالشام.

واختلفت الرواة فيمن رده إلى ابن زياد فقال بعضهم: معاوية وقال بعضهم: يزيد والصحيح أنه يزيد لأن عباد  
بن زياد إنما ولي سجستان في أيام يزيد. وقال بعضهم: بل الذي ولاه معاوية وهو الذي ولي سعيد بن عثمان  
خراسان.

### معاينة معاوية لجعله البيعة ليزيد

أخبرني محمد بن العباس اليزيدي وعبيد الله بن محمد الرازي قالا: حدثنا أحمد بن الحارث عن المدائني قال: دخل  
سعيد بن عثمان على معاوية بن أبي سفيان فقال: علام جعلت يزيد ولي عهدك دوني فوالله لأبي خير من أبيه  
وأمي خير من أمه وأنا خير منه وقد وليناك فما عزلناك وبنا نلت ما نلت فقال له معاوية: أما قولك: إن أباك  
خير من أبيه فقد صدقت لعمر الله إن عثمان لخير مني وأما قولك: إن أمك خير من أمه فحسب المرأة أن تكون  
في بيت قومها وأن يرضاها بعلها وأن ينجب ولدها. وأما قولك: إنك خير من يزيد فوالله يا بني ما يسرني أن لي  
بيزيد ملء الغوطة مثلك. وأما قولك: إنكم وليتموني فما عزلتموني فما وليتموني وإنما ولأبي من هو خير منكم  
عمر فأفرتموني وما كنت بئس الوالي لكم لقد قمت بئاركم وقتلت قتلة أبيكم وجعلت الأمر فيكم وأغنيت  
فقيركم ورفعت الوضيع منكم فكلمه يزيد في أمره فولاه

## رجع الحديث إلى سياقه أخبار ابن مفرغ

ينتقل في قرى الشام هاجياً بني زياد قالوا: فلم يزل ينتقل في قرى الشام ونواحيها ويهجو بني زياد وأشعاره فيهم ترد البصرة وتنتشر وتبلغهم فكتب عبيد الله بن زياد إلى معاوية وقال الآخرون: إنه كتب إلى يزيد وهو الصحيح يقول له: إن ابن مفرغ هجا زياداً وبني زياد بما هتكه في قبره وفضح بنيه طول الدهر وتعدى ذلك إلى أبي سفيان فقذفه بالزنا وسب ولده فهرب من خراسان إلى البصرة وطلبته حتى لفظته الأرض فلجأ إلى الشام يتمضغ لحومنا بما ويهتك أعراضنا وقد بعثت إليك بما هجانا به لتنتصف لنا منه. ثم بعث بجميع ما قاله ابن مفرغ فيهم. فأمر يزيد بطلبه فجعل ينتقل من بلد إلى بلد فإذا شاع خبره انتقل حتى لفظته الشام فأتى البصرة ونزل على الأحنف بن قيس فالتجأ به واستجار فقال له الأحنف: إني لا أجير على ابن سمية فأعزل وإنما يجير الرجل على عشيرته فأما على سلطانه فلا فإن شئت أجرتك من بني سعد وشعرائهم فلا يريبك أحد منهم فقال له ابن مفرغ: بأستاه بني سعد وما عساهم أن يقولوا في هذا ما لا حاجة لي فيه.

ثم أتى خالد بن عبد الله بن خالد بن أسيد فاستجار به فأبى أن يجيره فأتى عمر بن عبيد الله بن معمر فوعده وأتى طلحة فوعده وأتى المنذر بن الجارود العبدي فأجاره وكانت بحرية بنت المنذر تحت عبيد الله. المنذر بن الجارود العبدي يجيره وكان المنذر من أكرم الناس عليه فاغتر بذلك وأدل بموضعه منه وطلبه عبيد الله وقد بلغه ورود البصرة فقيل له: أجاره المنذر بن الجارود فبعث عبيد الله إلى المنذر فأتاه فلما دخل عليه بعث عبيد الله بالشرط فكبسوا داره وأتوه بابين مفرغ فلم يشعر المنذر إلا بابين مفرغ قد أقيم على رأسه فقام المنذر إلى عبيد الله فكلمه فيه فقال: أذكرك الله - أيها الأمير - أن تحفر جوارى فإني قد أجرتك فقال عبيد الله: يا منذر ليمدحن أباك وليمدحنك ولقد هجاني وهجا أبي ثم تجيره علي لا ها الله لا يكون ذلك أبداً ولا أغفرها له فغضب المنذر فقال له: لعلك تدل بكريمتك عندي إن شئت والله لأبيننها بتطبيق البتة فخرج المنذر من عنده وأقبل عبيد الله على ابن مفرغ فقال له: بئسما صحبت به عبداً. قال: بئسما صحبتني به عباد اخترته على سعيد وأنفقت على صحبتته كل ما أفدته وكل ما أملكه وظننت أنه لا يخلو من عقل زياد وحلم معاوية وسماحة قريش فعدل عن ظني كله. ثم عاملين بكل قبيح وتناولني بكل مكروه من حبس وغرم وشتم وضرب فكنت كمن شام برقاً خلباً في سحاب جهام فأراق ماء طمعاً فيه فمات عطشاً وما هربت من أخيك إلا لما خفت من أن يجري في إلى ما يندم عليه وقد صرت الآن في يدك فشأنك فاصنع بي ما أحببت فأمر بحبسه.

عبيد الله يستأذن يزيد بن معاوية في قتله وكتب إلى يزيد بن معاوية يسأله أن يأذن له في قتله فكتب إليه: إياك وقتله ولكن عاقبه بما ينكله ويشد سلطانك ولا تبلغ نفسه فإن له عشيرة هي جندي وبطاني ولا ترضى بقتله مني ولا تقنع إلا بالقود منك فاحذر ذلك واعلم أنه الجد منهم ومني وأنت مرهق بنفسه ولك في دون تلفها مندوحة تشفي من الغيظ. فورد الكتاب على عبيد الله بن زياد فأمر بابين مفرغ فسقي نبيذاً حلواً قد خلط معه الشبرم

فأسهل بطنه وطيف به وهو في تلك الحال وقرن بهرة وختررة فجعل يسلم والصبيان يتبعونه ويقولون له بالفارسية: أين جلست فيقول: أبست نبيذ است - عصارات زبيست - سمية روسبيد است: وجعل كلما جر الخنزيرة ضجت فجعل يقول:

### ضجت سمية لمالزها قرني لا تجزعي إن شر الشيمة الجزع

فجعل يطاف به في أسواق البصرة والصبيان خلفه يصيحون به وألح عليه ما يخرج منه حتى أضعفه فسقط فعرف ابن زياد ذلك فقيل: إنه لما به لا نأمن أن يموت فأمر به أن يغسل ففعلوا ذلك به فلما اغتسل قال:

### يغسل الماء ما فعلت وقولي راسخٌ منك في العظام البوالي

عبد الله يرده إلى الحبس فرده عبيد الله إلى الحبس وأمر أن يسلم محجماً وقدموا له علوجاً وأمر بأن يحجمهم فكان يأخذ المشارط فيقطع بها رقابهم فيتوارون منه فتركه وردده إلى محبسه وقامت الشرط على رأسه تصب عليه السياط ويقولون له: احجمهم فقال:

### وما كنت حجاماً ولكني أُلحني بمنزلة الحجام نأيي عن الأهل

عباد بن زياد يجمع ما هجاه به ويرسله إلى معاوية وقال عمر بن شبة في خبره: جمع عباد بن زياد كل شيء هجاه بن ابن مفرغ وكتب به إلى أخيه عبيد الله وهو يومئذ وافتد على معاوية فكان فيما كتب إليه قوله:

### إذا أودى معاوية بن حرب فيشر شعب قعبك بانصداع

### فأشهد أن أمك لم تباشر أبا سفيان واضعة القناع

وقوله:

### ألا ابلغ معاوية بن حرب مغلغلةً من الرجل اليماني

### أتغضب أن يقال أبوك عف وترضى أن يقال أبوك زاني

### فأشهد أن رحمك من زياد كرحم الفيل من ولد الأتان

### وأشهد أنها ولدت زياداً وصخرٌ من سمية غير داني

فدخل عبيد الله بن زياد على معاوية فأنشده هذه الأشعار واستأذنه في قتله فلم يأذن له وقال: أدبه أدباً وجيلاً منكلاً ولا تتجاوز ذلك إلى القتل وذكر باقي الحديث كما ذكره من تقدم.

قالوا جميعاً: وقال ابن مفرغ يذكر حوار المنذر بن الجارود إياه وأمانه:

### تركت قريشاً أن أجاور فيهم وجاورت عبد القيس أهل المشقر

### أناسٌ أجارونا فكان جوارهم أعاصير من قسو العراق المبذر

### فأصبح جاري من خزيمة قائماً ولا يمنع الجيران غير المشمر

يذكر ما فعله ابن زياد ويستشير قومه وقال أيضاً في ذلك:

ولم تكلم قريش في حليفهم إذ غاب ناصره بالشام واحتضروا  
والله يعلم ما تخفي النفوس وما سرى أمية أو ما قال لي عمر  
وقال لي خالدٌ قولاً قنعت به لو كنت أعلم أنى يطلع القمر  
لو أنني شهدتني حميرٌ غضبت دوني فكان لهم فيما رأوا عبر  
أو كنت جار بني هندٍ تداركني عوف بن نعمان أو عمران أو مطر  
وقال أيضاً يذكر ذلك وما فعل به ابن زياد:

دار سلمى بالخبث ذي الأطلال كيف نوم الأسير في الأغلال  
أين مني السلام من بعد نأي فارجي لي تحيتي وسؤالي  
أين مني نجائبي وجيادي وغزالي سقى الإله غزالي  
أين لا أين جنتي وسلاحي ومطايا سيرتها لارتحالي  
هدم الدهر عرشنا فتداعى قبلينا إذ كل عيش بالي  
إذ دعانا زواله فأجبنا كل دنيا ونعمة لزوال  
أم قضينا حاجاتنا فإلى الموت مصير الملوك والأقيال  
لا وصومي لربنا وزكاتي وصلاتي أدعو بها وابتهالي  
أيها المالك المرهب بالقتل بلغت النكال كل النكال  
فاخش ناراً تشوي الوجوه يوماً يقذف الناس بالدواهي الثقال  
قد تعديت في القصاص وأدركت ذحولاً لمعشر أقتال  
وكسرت السن الصحيحة مني لا تذللن فمكررٌ إذلالي  
وقرنتم مع الخنازير هرا ويميني مغلولة وشمالي  
وكلاباً ينهشني من ورائي عجب الناس ما لهن ومالي!  
وأطلتم مع العقوبة سجناً فكم السجن أو متى إرسالتي!  
يغسل الماء ما صنعت وقولي راسخٌ منك في العظام البوالي  
لو قبلت الفداء أو رمت مالي قلت: خذ فداء نفسي مالي

لو بغيري من معشري لعب الدهر لما ذم نصرتي واحتيالي  
 كم بكاني من صاحب و خليل حافظ الغيب حامد للخصال  
 ليت أني كنت الحليف للخم وجذامٍ أو طيبٍء الأجمال  
 بدلاً من عصابة من قریش أسلموني للخصم عند النضال  
 البهاليل من بني عبد شمس فضلوا الناس بالعلا والفعال  
 منعوا البيت بيت مكة ذا الحجر إذ الطير عكفٌ في الظلال  
 والبهاليل خالدٌ وسعيد شمس دجنٍ ووضحٌ كالهلال  
 في الأرومات والذرى من بني العي ص قرومٌ إذا تعد المعالي  
 كنت منهم ما حرموا فحرامٌ لم يراموا وحلهم من حلال  
 وذوو المجد من خزاعة كانوا أهل ودي في الخصب والإمحال  
 خذلوني وهم لذاك دعوني ليس حامي الذمار بالخذال  
 لا تدعني فذاك أهلي ومالي إن حبليك من متين الجبال  
 حسرتنا إذ أطعت أمر غواتي وعصيت النصيح ضل ضلالي  
 يهجو عبداً ويذكر سعيد بن عثمان وقال يهجو عباد بن زياد ويذكر سعيد بن عثمان:

أيها الشاتم جهلاً سعيداً وسعيداً في الحوادث ناب  
 ما أبوكم مشبهاً لأبيه فاسألوا الناس بذاكم تجابوا  
 ساد عبادٌ وملك جيشاً سبحت من ذاك صم صلاب  
 إن عاماً صرت فيه أميراً تملك الناس لعامٌ عجاب

قال: واتصل هجاؤه زياداً وولده وهو في الحبس فرده عبيد الله إلى أخيه عباد بسجستان ووكل به رجالاً  
 ووجههم معه وكان لما هرب من عباد يهجو ويكتب كل ما هجاه به على حيطان الخانات وأمر عبيد الله  
 الموكلين به أن يأخذوه بمحو ما كتبه على الحيطان بأظافيره وأمرهم ألا يتركوه يصلي إلا إلى قبلة الناصري إلى  
 المشرق فكانوا إذا دخلوا بعض الخانات التي نزلها فرأوا فيها شيئاً مما كتبه من الهجاء أخذوه بأن يمحوه بأظافره  
 فكان يفعل ذلك ويحكه حتى ذهبت أظافره فكان يمحوه بعظام أصابعه ودمه حتى سلموه إلى عباد فحبسه وضيق  
 عليه. قال عمر بن شبة في خبره: فقال ابن مفرغ:

سرت تحت أقطاع من الليل زينب سلامٌ عليكم هل لما فات مطلب !

ويروى: ألا طرقتنا آخر الليل زينب

أصاب عذابي اللون فاللون شاحبٌ كما الرأس من هول المنية أشيب  
قرنت بخنزير وهر وكلبة زماناً وشان الجلد ضربٌ مشذب  
وجرعتها صهباء من غير لذة تصعد في الجثمان ثم تصوب  
وأطعمت ما إن لا يحل لآكلٍ وصليت شرقاً بيت مكة مغرب  
فلو أن لحمي إذ هوى لعبت به كرام الملوك أو أسودٌ وأذوب  
لهون وجدي أو لزادت بصيرتي ولكنما أودت بلحمي أكلب  
أعباد ما للوم عنك محولٌ ولا لك أم في قريش ولا أب  
سينصرني من ليس تنفع عنده رقاك وقرمٌ من أمية مصعب  
وقل لعبيد الله: ما لك والدُّ بحق ولا يدري امرؤ كيف تنسب!  
في أول هذا الشعر غناء نسبته.

صوت

ألا طرقتنا آخر الليل زينب سلامٌ عليكم هل لما فات مطلب !

وقالت: تجنبنا ولا تقربنا فكيف وأنتم حاجتي أتجنب!

الغناء لسياط ثاني ثقيل بالوسطى عن الهشامي.

استثارته قومه بيتين يقرآن على المصلين بجامع دمشق وقالوا جميعاً: فلما طال مقام ابن مفرغ في السجن استأجر رسولاً إلى دمشق وقال له: إذا كان يوم الجمعة فقف على درج جامع دمشق ثم اقرأ هذين البيتين بأرفع ما يمكنك من صوتك وكتبهما في رقعة وهما:

أضحى دعي زيادٍ فقع قرقرةً يا للعجائيلهو بابن ذي يزن !

ففعل الرسول ما أمره به فحميت اليمانية وغضبوا له ودخلوا على معاوية فسألوه فيه فدفعهم عنه فقاموا غضاباً وعرف معاوية ذلك في وجوههم فردهم ووهبه لهم ووجه رجلاً من بني أسد يقال له خمخام - ويقال: جهثام - بريداً إلى عباد وكتب له عهداً وأمره بأن يبدأ بالحبس فيخرج ابن مفرغ منه ويطلقه قبل أن يعلم عباد فيم قدم فيغتاله ففعل ذلك به فلما خرج من الحبس قربت إليه بغلة من بغال البريد فركبها فلما استوى على ظهرها قال:

عدس ما لعبادٍ عليك إمارةٌ نجوت وهذا تحمليين طليق

فإن الذي نجى من الكرب بعد ما تلاحم في دربٍ عليك مضيق

أتاك بخمخامٍ فأنجاك فالحقي بأهلك لا تحبس عليك طريق

لعمرى قد أنجأك من هوة الردى إمامٌ وحبلٌ للأنام وثيق

سأشكر ما أوليت من حسن نعمة ومثلي بشكر المنعمين حقيق

معاوية يعفو عنه قال عمر بن شبة في خبره ووافقه لقيط بن بكير: فلما أدخل على معاوية بكى وقال: ركب مني ما لم يركب من مسلم قط على غير حدث في الإسلام ولا خلع يد من طاعة ولا جرم

ألا أبلغ معاوية بن حرب مغلظةً من الرجل اليماني

أتغضب أن يقال أبوك عف وترضى أن يقال أبوك زان !

فأشهد أن رحمك من زيادٍ كرحم الفيل من ولد الأتان

وأشهد أنها ولدت زياداً وصخرٌ من سمية غير دان

فقال: لا والذي عظم حقدك يا أمير المؤمنين ما قلته ولقد بلغني أن عبد الرحمن بن الحكم قاله ونسبه إلي. قال: أفلم تقل:

شهدت بأن أمك لم تباشر أبا سفيان واضعة القناع

ولكن كان أمرٌ فيه لبسٌ على وجلٍ شديدٍ وارتياح

أو لست القائل:

إن زياداً وناقعاً وأبا بكرة عندي من أعجب العجب

إن رجالاً ثلاثةً خلقوا في رحم أنثى ما كلهم لأب

ذا قرشي كما يقول وذا مولى وهذا بزعمه عربي

في أشعار كثيرة قتلها في هجاء زياد وبنيه اذهب فقد عفوت عن جرمك ولو أيانا تعامل لم يكن شيء مما كان فاسكن أي أرضٍ شئت. فاختار الموصل فترها ثم ارتاح إلى البصرة فقدمها فدخل على عبيد الله بن زياد واعتذر إليه وسأله الصفح والأمان فأمنه وأقام بها مدة ثم دخل عليه بعد أن أمنه فقال: اصلح الله الأمير إني قد ظننت أن نفسك لا تطيب لي بخير أبداً ولي أعداء لا آمن سعيهم علي بالباطل وقد رأيت أن أتباعك فقال له: إلى أين شئت فقال: كرمان فكتب له إلى شريك بن الأعور وهو عليها بجائزة وقطعة وكسوة فشخص فأقام بها حتى هرب عبيد الله من البصرة فعاد إليها. هذه رواية عمر بن شبة.

رواية أخرى في سبب إنقاذه من ابني زياد وقال محمد بن خلف في روايته عن أحمد بن المهشم عن المدائني وعن العمري عن لقيط: أن ابن مفرغ لما طال حبسه وبلاؤه ركب طلحة الطلحات إلى الحجاز ولقي قريشاً - وكان ابن مفرغ حليفاً لبني أمية - فقال لهم طلحة: يا معشر قريش إن أحاكم وحليفكم ابن مفرغ قد ابتلي بهذه الأعباء من بني زياد وهو عديدكم وحليفكم ورجلٌ منكم ووالله ما أحب أن يجري الله عافيته على يدي دونكم

ولا أفوز بالمكرمة في أمره وتخلوا منها فأنهضوا معي بجماعتكم إلى يزيد بن معاوية فإن أهل اليمن قد تحركوا بالشام فركب خالد بن عبد الله بن خالد بن أسيد وأميرة بن عبد الله أخوه وعمر بن عبيد الله بن معمر ووجوه خزاعة وكنانة وخرجوا إلى يزيد فبينما هم يسيرون ذات ليلة إذ سمعوا راكباً يتغنى في سواد الليل بقول ابن مفرغ ويقول:

واتباعي أخوا الضراعة واللؤم لنقص وفوت شأو بعيد  
قلت والليل مطبق بعراه لليتني مت قبل ترك سعيد  
ليتني مت قبل تركي أخوا النجدة والحزم والفعال السديد  
عبيشي أبوه عبد مناف فاز منها بتاجها المعقود  
ثم جوداً لو قيل: هل من مزيد قلت للسائلين: ما من مزيد

قل لقومي لدى الأباطح من آل لؤي بن غالب ذي الجود:

سامني بعدكم دعي زياد خطة الغادر اللئيم الزهيد  
كان ما كان في الأراكة واجت ب ببرد سنام عيسى وجيدي  
أوغل العبد في العقوبة والشتم وأودى بطارفي وتليدي  
فارحلوا في حليفكم وأخيكم نحو غوث المستصرخين يزيد  
فاطلبوا النصف من دعي زياد وسلوني بما ادعيت شهودي

قال: فدعا القوم بالراكب فقالوا له: ما هذا الذي سمعناه منك تغني به فقال: هذا قول رجل والله إن أمره لعجب  
رجل ضائع بين قريش واليمن وهو رجل بالناس قالوا: ومن هو قال:

مفرغ قالوا: والله ما رحلنا إلا فيه وانتسبوا له فضحك وقال: أفلا أسمعكم من قوله لعمرى لو كان الأسير ابن معمر وصاحبه أو شكله ابن أ  
أنهم نالوا أمية أرقلت براكبها الوجناء نحو يزيد  
ت عذراً في لؤي بن غالب وأتلفت فيهم طارفي وتليدي  
لم يغيرها الإمام بحقها عدلت إلى شم شوامخ صيد  
ت فيهم دعوة يمنية كما كان آبائي دعوا وجدودي  
عت حتى أبلغ الجهد عنهم دفاع امرىء في الخير غير زهيد  
لم تكونوا عند ظني بنصركم فليس لها غير الأغر سعيد

ي وأهلي ذاك حياً وميتاً نضاراً وعود المرء أكرم عود  
من مقام في قريش كفيته ويوم يشيب الكاعبات شديد  
سم تحاماه لؤي بن غالب شبيب له ناري فهاب وقودي  
ر كثير قد أفأت عليكم وأنتم رقوداً أو شبيهه رقود

قال: فاسترجع القوم لقوله وقالوا: والله لا نغسل رؤوسنا في العرب إن لم نغسلها بفكه. فأغذ القوم السير حتى  
قدموا الشام.

وفد اليمانية يذهب إلى يزيد بن معاوية وبعث ابن مفرغ رجلاً من بني الحارث بن كعب فقام على سور حمص  
فنادى بأعلى صوته الحصين ابن نمير - وكان والي حمص - بهذه الأبيات وكان عظيم الجبهة:

أبلغ لديك بني قحطان قاطبةً عضت بأير أبيها سادة اليمن  
أمس دعي زيادٍ فقع قرقرةً يا للعجائب يلهو بابن ذي يزن!  
والحميري طريحٌ وسط مزبلةٍ هذا لعمركم غبنٌ من الغبن  
والأجبه ابن نمير فوق مفرشه يدنو إلى أحور العينين ذي غنن  
قوموا فقولوا: أمير المؤمنين لنا حق عليك ومن ليس كالممن  
فاكفف دعي زيادٍ عن أكارمنا ماذا يريد على الأحقاد والإحن

فاجتمعت اليمانية إلى حصين فعيروه بما قاله ابن مفرغ فقال الحصين: ليس لي رأيٌ دون يزيد بن أسد ومخرمة بن  
شرحبيل فأرسل إليهما فاجتمعا في منزل الحصين فقال لهما الحصين: اسمعا ما أهدى إلي شاعركم وقاله لكم في  
أخيكم - يعني نفسه - وأنشدهم فقال يزيد بن أسد: قد جئتكم بأعظم من هذا وهو قوله:

وما كنت حجاماً ولكن أحلني بمنزلة الحجام نأيي عن الأصل

فقال الحصين: والله لقد أساء إلينا أمير المؤمنين في صاحبنا مرتين إحداهما أنه هرب إليه فلم يجره وأخرى أنه أمر  
بعذابه غير مراقب لنا فيه وقال يزيد بن أسد: إني لأظن أن طاعتنا ستفسد ويمحوها ما فعل بابن مفرغ ولقد  
تطلع من نفسي شيء للموت أحب إلي منه. وقال مخرمة بن شرحبيل: أيها الرجلان اعقلا فإنه لا معاوية لكم  
واعرفا أن صاحبكما لا تقدر فيه الغلظة فاقصدا التضرع فركب القوم إلى دمشق وقدموا على يزيد بن معاوية  
وقد سبقهم الرجل فنادى بذلك الشعر يوم الجمعة على درج مسجد دمشق فنارت اليمانية وتكلموا ومشى  
بعضهم إلى بعض وقدم وفد القرشيين في أمره مع طلحة الطلحات فسبقوا القرشيين ودخلوا على يزيد بن معاوية  
فتكلم الحصين بن نمير فذكر بلاءه وبلاء قومه وطاعتهم وقال: يا أمير المؤمنين إن الذي أتاه ابن زياد إلى  
صاحبنا لا قرار عليه وقد سامنا عبيد الله وعباداً خطة خسف وقلدانا قلادة عار فأنصف كريمنا من صاحبه فوالله

لكن قدرنا لعفون ولئن ظلمنا لنتصرن. وقال يزيد بن أسد: يا أمير المؤمنين إنا لو رضينا بمثلة ابن زياد بصاحبنا وعظيم ما انتهك منه لم يرض الله عز ذكره بذلك ولئن تقربنا إليك بما يسخط الله ليباعدنا الله منك وإن يمانيتك قد نفرت لصاحبها نفرة طار غرابها وما أدري متى يقع وكل نائرة تقدرح في الملك وإن صغرت لم يؤمن أن تكبر وإطفاؤها خير من إضرارها لا سيما إذا كانت في أنفٍ ل يجدع ويد لا تقطع فأنصفنا من ابني زياد.

وقال مخزومة بن شرحبيل: وكان متأهلاً عظيماً لطاعة في أهل اليمن: إنه لا يد تحجزك عن هواك ولو مثلت بأحينا وتوليت ذلك منه بنفسك لم يقم فيه قائم ولم يعاتبك فيه معاتب ولكن ابني زياد استخفنا بما يتقل عليك من حقنا وتهاونا بما تكرمه منا وأنت بيننا وبين الله ونحن بينك وبين الناس فأنصفنا من صاحبيك ولينفعنا بلاؤنا عندك.

فقال يزيد: إن صاحبكم أتى عظيماً نفى زياداً من أبي سفيان ونفى عبادةً وعبيد الله من زياد وقلدهم طوق الحملة وما شجعه على ذلك إلا نسبه فيكم وحلفه في قريش فأما إذ بلغ الأمر ما أرى وأشفى بكم على ما أشفى فهو لكم وعلي رضاكم.

وفد القرشيين يقابل يزيد بن معاوية قال: وانتهى القرشيون إلى الحاجب فاستأذن لهم وقال لليمانيين: قد أتتكم برى الذهب من أهل العراق فدخلوا وسلموا والغضب يتبين في وجوههم فظن يزيد الظنون وقال لهم: ما لكم انفتق فتق أو حدث حدث فيكم قالوا: لا فسكن.

فقال طلحة الطلحات: يا أمير المؤمنين أما كفى العرب ما لقيت من زياد حتى استعملت عليها ولده يستكثرون لك أحقادها ويغضونك إليها إن عبيد الله وأخاه أتيا إلى ابن مفرغ ما قد بلغك فأنصفنا منهما إنصافاً تعلم العرب أن لنا منك خلفاً من أبيك فوالله لقد حباً لك فعلهما حبثاً عند أهل اليمن لا تحمده لك ولا تحمده لنفسك.

وتكلم خالد بن عبد الله بن خالد بن أسيد فقال: يا أمير المؤمنين إن زياداً ربي في شر حجر ونشأ في أحبث نشء فأثبتم نصابه في قريش وحملتموه على رقاب الناس فوثب ابنه على أحينا وحليفنا وحليفك ففعلا به الأفاعيل التي بلغتك وقد غضبت له قريش والحجاز ويمن الشام ممن لا أحب والله لك غضبه فأنصفنا من ابني زياد. وتكلم أخوه أمية بنحو ما تكلم أخوه وقال: والله يا أمير المؤمنين لا أحط رحلي ولا أخلع ثياب سفري أو تنصفنا من ابني زياد أو تعلم العرب أنك قد قطعت أرحامنا ووصلت ابني زياد بقطعتنا وحكمت بغير الحق لهما علينا.

وقال ابن معمر: يا أمير المؤمنين إن ابن مفرغ طالما ناضل عن عرضك وعرض أبيك وأعراض قومك ورمى عن جمره أهلك وقد أتى بنو زياد فيه ما لو كان معاوية حياً لم يرض به وهذا رجل له شرف في قومه وقد نفروا له نفرة لها ما بعدها فأعتبهم وأنصف الرجل ولا تؤثر مرضاة ابني زياد على مرضاة الله عز وجل.

فقال يزيد: مرحباً بكم وأهلاً والله لو أصابه خالدٌ ابني بما ذكرتم لأنصفته منه ولو رحلتهم في جميع ما تحيط به العراق لوهبته لكم وما عندي إلا إنصاف المظلوم ولكن صاحبكم أسرف على القوم. وكتب يزيد ببناء داره ورد ماله وتخليه سبيله وألا إمرة لأحد من بني زياد عليه وقال: لولا أن في القود بعدما جرى منه فساداً في الملك لأقدته من عباد.

وسرح يزيد رجلاً من حمير يقال له خمخام وكتب معه إلى عباد بن زياد: نفسك نفسك وأن تسقط من ابن مفرغ شعرة فأقيدك والله به ولا سلطان لك ولا لأخيك ولا لأحدٍ غيري عليه فجاء خمخام حتى انتزعه جهاراً من الحبس. بمحضرة الناس وأخرجه.

دخوله على يزيد وما دار بينهما قالوا: فلما دخل على يزيد قال له: يا أمير المؤمنين اختر مني خصلةً من ثلاث خصال في كلها لي فرج إما أن تقيدي من ابن زياد وإما أن تخلي بيني وبينه وإما أن تقدمني فتضرب عنقي. فقال له يزيد: قبح الله ما اخترته وخيرتنيه أما القود من ابن زياد فما كنت لأقيدك من عامل كان عليك ظلمته وشتت عرضه وعرضي معه وأما التخلية بينك وبينه فلا ولا كرامة ما كنت لأخلي بينك وبين أهلي تقطع أعضاهم وأما ضرب عنقك فما كنت لأضرب عنق مسلم من غير أن يستحق ذلك ولكني أفعل ما هو خير لك مما اخترته لنفسك أعطيك ديتك فإنهم قد عرضوك للقتل واكفف عن ولد زياد فلا يبلغني أنك ذكرهم وانزل أي البلاد شئت وأمر له بعشرة آلاف درهم.

اعتذاره لعبيد الله بن زياد فخرج حتى أتى الموصل وأقام بها ما شاء الله ثم خرج ذات يوم يتصيد فلقي دهقاناً على حمار له فقال: من أين أقبلت قال: من العراق قال: من أيها قال: من البصرة ثم من الأهواز قال: فما فعل المسرقان قال: على حاله قال: أفتعرف أنهايد بنت أعنق قال: نعم قال: ما فعلت قال: على أحسن ما عهدت. قال: فضرب برذونه وسار حتى أتى الأهواز ولم يعلم أهله ولا غيرهم بمسيره. ثم أتى عبيد الله بن زياد فدخل عليه واعتذر إليه وسأله الأمان فأمنه ثم سأله أن يكتب له إلى شريك بن الأعور فكتب له ووصله.

عودته إلى البصرة وهجاؤه بني زياد وخرج فأقام بكرمان حتى غلب ابن الزبير على العراق وهرب ابن زياد وكان أهل البصرة قد أجمعوا على قتله فخرج عن البصرة هارباً فعاد ابن مفرغ إلى البصرة وعاود هجاء بني زياد فقال يذكر هرب عبيد الله وتركه أمه بقوله:

أسلمت أمك والرماح تنوشها يا ليتني لك ليلة الإفراع

إذ تستغيث وما لنفسك مانعٌ عبدٌ تردده بدار ضياع

هلا عجوزك إذ تمد بئديها وتصيح ألا تنزع قناعي

أفقدت من أيدي العلوج كأنها ربداء مجفلةٌ ببطن القاع

فركبت رأسك ثم قلت: أرى العدا كثروا وأخلف مواعي أشياعي  
فانجي بنفسك وابتغي نفقاً فما لي طاقةً بك والسلام وداعي  
ليس الكريم بمن يخلف أمه وفتاته في المنزل الجعجاع  
حذر المنية والرماح تنوشه لم يرم دون نسائه بكراع  
متأبطاً سيفاً عليه يلمق مثل الحمار أثرته بيفاع  
لا خير في هذر يهز لسانه بكلامه والقلب غير شجاع  
لابن الزبير غداة يذمر منذراً أولى بغاية كل يوم وقاع  
وأحق بالصبر الجميل من امرئ كز أنامله قصير الباع  
جعد اليدين عن السماحة والندى وعن الضريبة فاحش مناع  
كم يا عبيد الله عندك من دم يسعى ليدركه بقتلك ساع  
اذكر حسيناً وابن عروة هانئاً وابني عقيل فارس المرباع  
وقال أيضاً يذكر هربه:

أقر بعيني أنه عق أمهه دعتة فولهاها استه وهو يهرب  
وقال: عليك الصبر كوني سبيةً كما كنت أو موتي فذلك أقرب  
وقد هتفت هند: بماذا أمرتني ابن لي وحدثني إلى أين أذهب  
فقال: اقصدي للأرد في عرصاتها وبكرٍ فما إن عنهم متجنب  
أخاف تميماً والمسالح دونها ونيران أعدائي علي تلهب  
وولى وماء العين يغسل وجهها كأن لم يكن والدهر بالناس قلب  
بما قدمت كفاك لا لك مهرباً إلى أي قوم والدماء تصيب  
فكم من كريمٍ قد جررت جريرةً عليه فمقبورٌ وعانٍ يعذب  
ومن حرةٍ زهراء قامت بسحرةٍ تبكي قتيلاً أو صدى يتأوب  
فصبراً عبيد بن العبيد فإنما يقاسي الأمور المستعد المجرب  
وذق كالذي قد ذاق منك معاشرٍ لعبت بهم إذ أنت بالناس تلعب  
فلو كنت حراً أو حفظت وصيةً عطفت على هندٍ وهندٌ تسحب

وقلت لأم العبد أمك: إنني وإن كثرت الأعداء حام مذبذب  
ولكن أبى قلباً أطيرت بناته وعرقٌ لكم في آل ميسان يضرب  
وقال في ذلك أيضاً:

ألا أبلغ عبيد الله عني عبيد اللؤم عبد بني علاج  
علي لكم قلائد باقيات يثرن عليكم نفع العجاج  
تدعيت الخضارم من قريشٍ فما في الدين بعدك من حجاج  
أبن لي هل بيثرب زند وردٍ قرى آبائك النبط العجاج!  
وقال فيه أيضاً:

عبيد الله بني علاج كذاك نسبته وكذاك كانا  
أعبد الحارث الكندي ألا جعلت لإست أمك ديدبانا  
فتستتر عورةً كانت قديماً وتمنع أمك النبط البطانا  
وقال يهجو عبيد الله وعباداً أنشدناه جماعة منهم هاشم بن محمد الخزاعي عن دماذ عن أبي عبيدة وهذا من  
قصيدة له طويلة أولها:

جرت أم الظباء ببين ليلي وكل وصال حبلٍ لانقطاع  
وما لاقيت من أيام بؤس ولا أمرٍ يضيق به ذراعي  
ولم تك شيمتي عجزاً ولؤماً ولم أك بالمضلل في المساعي  
سوى يوم الهجين ومن يصاحب لثام الناس يغض على القذاع  
حلفت برب مكة لو سلاحي بكفي إذ تنازعي متاعي

لباشر أم رأسك مشرفي كذاك دواؤنا وجع الصداع  
أفي أحسابنا تزري علينا هبلت وأنت زائدة الكراع  
تبغيت الذنوب علي جهلاً جنوناً ما جننت ابن اللكاع  
فما أسفي على تركي سعيداً وإسحاق بن طلحة واتباعي  
ثنايا الوبر عبد بني علاج عبيدة فقع قرقرة بقاع  
إذا ما رايةً رفعت لمجد وودع أهلها خير الوداع  
فأير في است أمك من أمير كذاك يقال للحمق اليراع

ولا بليت سماؤك من أميرٍ فبئس معرس الركب الجياع  
ألم تر إذ تحالف حلف حربٍ عليك غدوت من سقط المتاع  
وكدت تموت أن صاح ابن آوى ومثلك مات من صوت السباع  
إذا أودى معاوية بن حربٍ فبشر شعب قعبك بانصداع  
فأشهد أن أمك لم تباشر أبا سفيان واضعة القناع  
ولكن كان أمراً فيه لبسٌ على عجلٍ شديدٍ وارتجاع

قال: وكان عباد في بعض حروبه ذات ليلة نائماً في عسكره فصاحت بنات آوى فثارت الكلاب إليها ونفر بعض الدواب ففرع عباد وظنها كبسةً من العدو فركب فرسه ودهش فقال: افتحوا سيفي فعيه بذلك ابن مفرغ.

ومما قاله ابن مفرغ في هجاء بني زياد وغني فيه: صوت

كم بالدروب وأرض الهند من قدمٍ ومن جماجم قتلى ما هم قبروا  
ومن سراويل أبطالٍ مضرجةٍ ساروا إلى الموت ما خاموا ولا ذعروا  
بقندهار ومن تحتم منيته بقندهار يرجم دونه الخبر  
غنى في هذه الأبيات ابن جامع:

أجد أهلك لا يأتيهم خبرٌ منا ولا منهم عينٌ ولا أثر  
ولم تكلم قريش في حليفهم إذ غاب أنصاره بالشام واحتضروا  
رهمط الأغر شراويل بن ذي كلع ورهمط ذي فائشٍ ما فوقهم بشر  
قولاً لطلحة ما أغنت صحيفتكم وهل لبارك إذ أوردته صدر!  
فمن لنا بشقيقٍ أو بأسرته ومن لنا ببني ذهلٍ إذا خطرنا!  
هم الذين سموا والخيل عابسةٌ والناس عند زياد كلهم حذر  
لولا هم كان سلامٌ بمنزلتي أولى لهم ثم أولى بعد ما ظفروا

أخبرني محمد بن خلف عن أبي بكر العامري عن إسحاق بن محمد عن القحذمي قال: هجا سلامٌ الرافعي مقاتل بن مسمع فقال فيه:

ابى لك يا ذا المجد أن مقاتلاً زنى واستحل الفارسي المشعشعا

في أبيات هجاه بها فحبسه مقاتل بالعربة فركب شقيق بن ثور في جماعة من بني ذهل إلى الحبس فأخرجه فضرب به ابن مفرغ المثل في الشعر الماضي.

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال: حدثني أبو عبد الله اليماني قال: حدثنا الأصمعي عن عبد الرحمن بن أبي الزناد قال: قال لي عبيد الله بن زياد: ما هجيت بشيء أشد علي من قول ابن مفرغ:

**فكر ففي ذلك إن فكرت معتبرٌ هل نلت مكرمةً إلا بتأمير !**

وروى اليزيدي في روايته عن الأحول: قال أبو عبيدة: كان زياد يزعم أن أمه سمية بنت الأعور من بني عبد شمس بن زيد مناة بن تميم فقال ابن مفرغ يرد ذلك عليه:

**فأقسم ما زيادٌ من قريشٍ ولا كانت سمية من تميم**

**ولكن نسل عبدٍ من بغي عريق الأصل في النسب اللثيم**

يتابع هجاء ابن زياد ويرميه بالأبنة أخبرني هاشم بن محمد قال: حدثنا أبو غسان دماذ قال: أنشدني أبو عبيدة لابن مفرغ يهجو ابن زياد ويرميه بالأبنة:

**أبلغ قريشاً قضاها وقضيضها أهل السماحة والحلوم الراجحه**

**أني ابتليت بحية ساورته بيدٍ لعمرى لم تكن لي رابحه**

**صفق المبخل صفقةً ملعونةً جرت عليه من البلايا فادحه**

**شتان من بطحاء مكة داره وبنو المضاف إلى السباخ المالحة**

**جعدت أنامله ولام نجاره وبذاك تخبرنا الظباء السانحة**

**فإذا أمية صلصلت أحسابها فبنو زياد في الكلاب النابحة**

**لم يبق أيرٌ أسودٌ أو أبيضٌ إلا له استك في الخلاء مصافحه**

**مقتل عبيد الله وشعر ابن مفرغ فيه**

وأخبرني إبراهيم بن السري بن يحيى قال: حدثني أبي عن شعيب عن سيف قال: لما قتل عبيد الله بن زياد يوم الزاب قتله أصحاب المختار بن أبي عبيد ويقال: إن إبراهيم بن الأشرم حمل على كتيبه فاهزموا ولقي عبيد الله فضربه فقتله وجاءه إلى أصحابه فقال: إني ضربت رجلاً فقددته نصفين فشرقت يدها وغربت رجلاه وفاح منه المسك وأظنه ابن مرجانة وأوما لهم إلى موضعه فجاءوا إليه وفتشوا عليه فوجدوه كما ذكر وإذا هو ابن زياد فقال ابن مفرغ يهجو:

**إن الذي عاش ختاراً بدمته وعاش عبداً قتل الله بالزاب**

العبد للعبد لا أصلٌ ولا طرفٌ ألوت به ذات أظفار وأنياب  
إن المنايا إذا ما زرن طاغيةً هتكن عنه ستوراً بين أبواب  
هلا جموع نزار إذا لقيتهم كنت امرأً من نزارٍ غير مرتاب  
لا أنت زاحمت عن ملكٍ فتمنعه ولا مددت إلى قومٍ بأسباب  
لا يترك الله أنفاً تعطسون بها بني العبيد شهوداً غير غياب  
أقول بعداً وسحقاً عند مصرعه لابن الخبيثة وابن الكودن الكابي  
الحسين بن علي يمثّل بالبيتين الأخيرين والقصيدة المذكورة بما غناء فيه منها وقال:

حي ذا الزور وانته أن يعودا إن بالباب حارسين قعودا  
من أساوير ما ينون قياماً وخلاخيل تذهل المولودا  
وظماطيم من مشايخ جون ألْبسوني مع الصباح قيودا  
أي بلوى معيشة قد بلونا فنعمننا وما رجونا خلودا  
ودهورٍ لقينا موجعاتٍ وزمان يكسر الجلودا

فصبرنا على مواطن ضيقٍ وخطوبٍ تصير البيض سودا  
ظل فيها النصيح يرسل سراً لا تهالن إن سمعت الوعيدا  
أفانسٌ ما هكذا صبر إنسٍ أم من الجن أم خلقت حديثا  
لا ذعرت السوام في فلق الصب ح مغيراً ولا دعيت يزيدا  
يوم أعطي مخافة الموت ضيماً والمنايا يرصدنني أن أحيدا  
وتمثل الحسين بن علي بهذين البيتين لما خرج من المدينة إلى مكة عند بيعة يزيد:  
لا ذعرت السوام في فلق الصب ح مغيراً ولا دعيت يزيدا  
يوم أعطي مخافة الموت ضيماً والمنايا يرصدنني أن أحيدا

حدثني أحمد بن عيسى أبو موسى العجلي العطار بالكوفة قال: حدثني الحسين بن نصر بن مزاحم المنقري قال:  
حدثني أبي قال: حدثنا عمر بن سعد عن أبي مخنف قال: حدثني عبد الملك بن نوفل بن مساحق عن أبي سعيد  
المقبري قال: والله لرأيت حسينا وهو يمشي بين رجلين يعتمد على هذا مرة وعلى هذا مرة حتى دخل المسجد  
وهو يقول: لا ذعرت السوام... البيتين.

قال: فقلت عند ذلك إنه لا يلبث إلا قليلاً حتى يخرج فما لبث أن خرج فلحق بمكة فلما خرج من المدينة قال: " فخرج منها خائفاً يترقب قال: رب نجني من القوم الظالمين ". ولما توجه نحو مكة قال: " ولما توجه تلقاء مدين قال عسى ربي أن يهديني سواء السبيل ".

### مروان بن الحكم يعطيه ويكسوه

أخبرني جعفر بن قدامة قال: حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال: حدثني علي بن الصباح عن ابن الكلبي قال: لما قدم ابن مفرغ إلى معاوية مع خمخام الذي وجهه عليه فانتزعه من عباد بن زياد نزل على مروان بن الحكم وهو يومئذ عند معاوية فأعطاه وكساه وقام بأمره واسترفد له كل من قدر عليه من بني أبي العاص بن أمية فقال ابن مفرغ يمدحه من قصيدته:

وأقمتم سوق الثناء ولم تكن سوق الثناء تقام في الأسواق

فكأنما جعل الإله إليكم قبض النفوس وقسمة الأرزاق

كان يهوى أناهيد بنت الأعنق أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي قال: حدثنا أبو غسان دماذ عن أبي عبيدة قال: كان ابن مفرغ يهوى أناهيد بنت الأعنق وكان الأعنق دهقاناً من الأهواز له ما بين الأهواز وسرق ومناذر والسوس وكان لها أخوات يقال لهن أسماء والجمانة وأخرى قد سقطت عن دماذ فكان يذكرهن جميعاً في شعره فمن ذلك قوله في صاحبه أناهيد من أبيات:

سيرري أناهيد بالغيرين أمانةً قد سلم الله من قوم بهم طبع

لا بارك الله فيهم معشراً جبناً ولا سقى دارهم قطراً ولا ربعوا

لا تأمنن حزامياً نزلت به قوم لديهم تناهى اللؤم والصرع

جاور بني خلفٍ تحمد جوارهم الأعظمين دفاعاً كلما دفعوا

والمطعمين إذا ما شتوةً أزمتم فالناس شتى إلى أبوابهم شرع

هم خير قومهم إن حدثوا صدقوا أو حاولوا النفع في أشياعهم نفعوا

المانعين من المخزاة جارهم والرافعين من الأذنين ما صنعوا

انزل بطلحة يوماً إن منزله سهل المباءة بالعلياء مرتفع

وفي أسماء أختها يقول:

تعلق من أسماء ما قد تعلقا ومثل الذي لاقى من الحب أرقا

وحسبك من أسماء نأى وأنها إذا ذكرت هاجت فؤاداً معلقا

سقى هزم الإرعاد منبجس العرى منازلها بالمسرقان فسرقا  
وتستر لازالت خصيباً جنابها إلى مدفع السلان من بطن دورقا  
إلى الكوشج الأعلى إلى رامهرمز إلى قريات الشيخ من فوق سفسقا  
رامهرمز: بلد من أعمال الأهواز معروف.

### بلاد بنات الفارسية إنها سقتنا على لوح شراباً معتقنا

أخبرني عمي قال: حدثنا الكراني قال: حدثنا العمري عن الهيثم بن عدي وأخبرنا هاشم بن محمد قال: حدثنا  
دماذ أبو غسان عن أبي عبيدة قال: لما فصل ابن مفرغ من عند معاوية نزل بالموصل على أقواله من آل ذي  
العشراء من حمير قال الهيثم في روايته: فزوجوه امرأة منهم - ولم يذكر ذلك أبو عبيدة - فلما كان اليوم الذي  
يكون البناء في ليلته خرج يتصيد ومعه غلامه برد فإذا هو بدهقان على حمار يبيع عطراً وأدهاناً.  
فقال له ابن مفرغ: من اين أقبلت قال: من الأهواز قال: ويحك! كيف خلفت المسرقان وبرد مائه قال: على  
حاله قال: ما فعلت دهقانة يقال لها أناهيد بنت أعنق قال: أصديقة ابن مفرغ قال: نعم قال: ما تجف جفونها من  
البكاء عليه فقال لغلامه: أي برد أما تسمع قال:

بلى قال: هو بالرحمن كافرٌ إن لم يكن هذا وجهي إليها فقال له برد: أكرمك القوم وقاموا دونك وزوجوك  
كرمتهم ثم تصنع هذا بهم وتقدم على ابن زياد بعد خلاصك منه من غير أمره ولا عهد منه ولا عقد! أبق أيها  
الرجل على نفسك وأقم بموضعك وابن بأهلك وانظر في أمرك فإن جد عزمك كنت حينئذ وما تختاره. قال:  
دع ذلك عنك هو بالرحمن كافر إن عدل عن الأهواز ولا عرج على شيء غيرها ومضى لوجهه من غير أن يعلم  
أهله وقال قصيدته:

سما برق الجمانة فاستطار العل البرق ذاك يحور نارا

ديارٌ للجمانة مقفراتٌ بلين وهجن للقلب اذكارا

فلم أملك دموع العين مني ولا النفس التي جاشت مرارا

بسرق فالقرى من صهرتاج فدير الراهب الطلل القفارا

فقلت لصاحبي: عرج قليلاً نذاكر شوقنا الدرس البوارا

بآية ما غدوا وهم جميعٌ فكاد الصب ينتحر انتحارا

فقال بكوا لفقدك منذ حين زماناً ثم إن الحي سارا

بدجلة فاستمر بهم سفينٌ يشق صدورها اللجج الغمارا

كأن لم أغن في العرصات منها ولم أذعر بقاعتها صوارا

## ولم أسمع غناءً من خليل وصوت مقرطٍ خلع العذارا

قال: فقدم البصرة فذكر لعبيد الله بن زياد مقدمه فلم يعرض له وأرسل إليه أن أقم آمناً فأقام بالبصرة أشهراً يختلف من البصرة إلى الأهواز فيزور أناهيد وقيم عندها.  
ثم أتى عبید الله بن زياد فقال له: إني امرؤٌ لي أعداء ولست آمن بعضهم أن يقول شيئاً على لساني يحفظ الأمير علي وأحب أن يأذن لي أن أتحنى عنه فقال له: حل حيث شئت فخرج حتى قدم على شريك بن الأعور الحارثي وهو يومئذ عامل عبید الله بن زياد على فارس ذهب إلى عبید الله بن أبي بكر فأعطاه وأكرمه أحبرني أحمد بن عبید الله بن عمار قال: حدثنا سليمان بن أبي شيخ قال: حدثني محمد بن الحكم عن عوانة: أن عبید الله بن أبي بكرة كتب إلى يزيد بن مفرغ: إني قد توجهت إلى سجستان فالحق بي فلعلك إن قدمت علي ألا تندم ولا يذم رأيك. فتجهز ابن مفرغ وخرج حتى قدم سجستان ممسياً فدخل عليه فشغله بالحديث وأمر له بمنزل وفرش وخدم وجعل يطاوله حتى علم انه قد استتم له ما أمر له به ثم صرفه إلى المنزل الذي قد هبىء له ثم دعا به في اليوم الثاني فقال له: يا بن مفرغ إنك قد تجشمت إلي شقة بعيدة واتسع لك الأمل فرحلت إلي لأقضي عنك دينك ولأغنيك عن الناس وقلت: أبو حاتم بسجستان فمن لي بالغي بعده! فقال: والله ما أخطأت أيها الأمير ما كان في نفسي فقال عبید الله: أما والله لأفعلن ولأفعلن لبثك عندي ولأحسنن صلتك وأمر له بمائة ألف درهم ومائة وصيفة ومائة نجية وأمر له بما ينفقه إلى أن يبلغ بلده سوى المائة ألف وبمن يكفيه الخدمة من غلمانه وأعوانه وقال له: إن من خفة السفر ألا تهتم بخف ولا حافرٍ وكان مقامه عنده سبعة أيام.  
ثم ارتحل وشيعه عبید الله إلى قرية على أربعة فراسخ يقال لها: زالق ثم قال له: يا بن مفرغ إنه ينبغي للمودع أن ينصرف وللمتكلم أن يسكت وأنا من قد عرفت فأبق على الأمل وحسن ظنك بي ورجائك في وإذا بدا لك أن تعود فعد والسلام.

قال: وسار ابن مفرغ حتى أتى رامهرمز فترل بقرية أبحر فترلت عليه بنت الأبحر فقالت: يا بن مفرغ لمن هذا المال قال: لابنة أعتق دهقانة الأهواز وإذا رسولها في القافلة بكتابها: إنك لو كنت على العهد الأول لتعجلت إلي ولم تسأير ثقلك ولكن قد علمت أن المال الذي أعطاكه عبید الله قد شغلك عني قال: فأعطى رسولها مالا على أن يقول فيه خيراً وقد قال لابنة أبحر في جواب قولها له:

حباني عبید الله يابنة أبحر بهذا وهذا للجمانة أجمع  
يقر بعيني أن أراها وأهلها بأفضل حالٍ ذاك مرأى ومسمع  
وخبرتها قالت: لقد حال بعدنا فقد جعلت نفسي إليها تطلع  
وقلت لها لما أتاني رسولها وأي رسولٍ لا يضر وينفع  
أحبك ما دامت بنجد وشيجةً وما رفعت يوماً إلى الله إصبع

## وإني مليءٌ يا جمانة بالهوى وصدق الهوى إن كان ذلك يقنع

قال: فلما انتهت رسل عبيد الله بن أبي بكرة معه إلى الأهواز قالوا له: قد بلغنا حيث أمرنا بمدح عبيد الله بن أبي بكرة وأقام بالأهواز ودعا ندماء كانوا له من فتيان العرب فلم يبق ظريفٌ ولا مغن إلا أتاه واستماحه جماعةً قصدوه من أهل البصرة والكوفة والشام فأعطاهم ولم يفارق أناهيد ومعه شيء من المال وجعل القوم يسألونه عن عبيد الله بن أبي بكرة وكيف هو وأخلاقه فقال:

يسائلني أهل العراق عن الندى فقلت: عبيد الله حلف المكارم

فتى حاتمي في سجستان رحله وحسبك جوداً أن يكون كحاتم

سما لينال المكرمات فنالها بشدة ضرغام وبذل الدراهم

وحلم إذا ما سورة الحقد أطلقت حبا القوم عند الفادح المتفاقم

وإن له في كل حي صنيعاً يحدثها الركبان أهل المواسم

دعاني إليه جوده ووفاءه ومن دون مسراه عداة الأعاجم

فلم أبق إلا جمعةً في جواره ويومين حلا من ألية آثم

إلى أن دعاني زانه الله بالعلأ فأنبت ريشي من صميم القوادم

وقال: إذا ما شئت يابن مفرغ فعد عودةً ليست كأضغاث حالم

فقلت له لا يبعد الله داره: أعود إذا ما جئتم غير حاشم

فأصبح لا يرجو العراق وأهله سواه لنفع أو لدفع العظائم

وإن عبيد الله هنا رفته سراحاً وأعطى رفته غير غانم

يخدع عمه في أناهيد وقال الهيثم في خبره: كان عمرو بن مفرغ عم يزيد بن ربيعة بن مفرغ رجلاً له جاه وقدر عند السلطان وكان ذا مال وثروة وذا دين وفضل وصلاح فكان يعنف ابن أخيه في أمر أناهيد عشيقته ويعذله ويعيره بما أكثر عليه أتاه يوماً فقال له: يا عم جعلت فداك إن لي بالأهواز حاجةً ولي على قوم بها نحوٌ من ثلاثين ألف درهم قد خفت أن تتوى علي فإن رأيت أن تتجشم العناء معي إليها حتى تطالب لي بحقي وتعيني بجاهك على غرمائي. وكان عمرو بن مفرغ قد استخلفه ابن عباس عليها إذ كان عامل المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه على البصرة وكان عامل الأهواز - حين سأل ابن مفرغ عمه أن يخرج معه - ميمون بن عامر أخو بني قيس بن ثعلبة الذي يقال لدراهمه اليوم الميمونية. فلم يزل ابن مفرغ بعمه حتى أجابه إلى الخروج فاستأجر سفينة وتوجه إلى الأهواز وكتب إلى أناهيد أن تهني وتزيني بأحسن زيتك واخرجني إلي مع جواريك

فإني موافيك ومثلها يومئذ بين سرق ورامهرمز.

فلما نزلوا منزلها خرجت إليهم. وجلست معهم في هيئتها وزيتها وحليها وآلتها فلما رآها عمه قال له: قبحك الله! أفهلاً إذ فعلت ما فعلت كنت علقنت مثل هذه! فقال: يا عم أو قد عجبتك فقال: ومن لا تعجبه هذه قال: أجد هكذا منك قال: نعم والله قال: فإنها والله هذه بعينها فقال: يا حبيث إنما أشخصتني لهذا يا غلام ارحل بنا. فانصرف عمه إلى البصرة وأقام هو معها ولم يزل يتردد كذلك حتى مات في الطاعون في أيام مصعب بن الزبير. لزوم غرمائه له لديون ركبته واحتياله لقضايتها أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري وحبيب بن نصر المهلهبي قالوا: حدثنا عمر بن شبة قال: حدثنا القحذمي قال: لزوم يزيد بن مفرغ غرماءه بدين فقال لهم: انطلقوا نجلس على باب الأمير عسى أن يخرج الأشراف من عنده فيروني فيقضوا عني فانطلقوا به فكان أول من خرج إما عمر بن عبيد الله بن معمر وإما طلحة الطلحات فلما رآه قال: أبا عثمان ما أعددك ها هنا قال: غرمائي هؤلاء لزومني بدين لهم علي قال: وكم هو قال: سبعون ألفاً قال: علي منها عشرة آلاف درهم. ثم خرج الآخر على الأثر فسأله ما سأله صاحبه فقال: هل خرج أحد قبلي قالوا: نعم فلان قال: فما صنع قالوا: ضمن عشرة آلاف درهم قال: فعلي مثلها.

قال: ثم جعل الناس يخرجون فمنهم من يضمن الألف إلى أكثر من ذلك حتى ضمنوا أربعين ألفاً. وكان يأمل عبيد الله بن أبي بكرة فلم يخرج حتى غربت الشمس فخرج مبادراً فلم يره حتى كاد يبلغ بيته فقيل له: إنك مررت بابن مفرغ ملزوماً وقد مر به الأشراف فضمنوا عنه فقال: واسوأناه! إني أخاف أن يظن أني تغافلت عنه فكر راجعاً فوجده قاعداً فقال له: أبا عثمان ما يجلسك ها هنا قال: غرمائي هؤلاء يلزوموني قال: كم عليك قال: سبعون ألفاً قال: وكم ضمن عنك قال: أربعون ألفاً قال: فاستمتع بها وعلي دينك أجمع فقال فيه يخاطب نفسه:

لو شئت لم تغني ولم تنصبي عشت بأسباب أبي حاتم

عشت بأسباب الجواد الذي لا يختم الأموال بالخاتم  
من كف بهلول له عدة ما إن لمن عاداه من عاصم  
المطعم الناس إذ حاردت نكباؤها في الزمن العارم  
والفاصل الخطة يوم اللجا للأمر عند الكربة اللازم  
جاورته حيناً فأحمدته أثني وما الحامد كاللائم  
أدقته الموت على غرة بأبيض ذي رونق صارم

بديح يغني شعراً لابن مفرغ فيصمله ويكسوه أخبرني عمي قال: حدثني أبو أيوب المديني قال: حدثني حماد بن إسحاق عن أبيه قال: قدم بديح الكوفة فغنى بها دهرأ وأصاب مالا كثيراً ثم خرج إلى البصرة ثم أتى الأهواز ثم عاد إلى البصرة فصحب ابن مفرغ في سفينة حتى إذا كان في نهر معقل تغنى وهو لا يعرف ابن مفرغ بقوله:

### سما برق الجمانة فاستطار العل البرق ذاك يعود ناراً

فطرب ابن مفرغ وقال: يا ملاح كر بنا إلى الأهواز فكر وهو يغنيه ثم كر راجعاً إلى البصرة وكروا معه وهو يعيد هذا الصوت. قال: ووصل ابن مفرغ بديحاً وكساه.

### صوت

رضيت الهوى إذ حل بي متخيراً نديماً وما غيري له من ينادمه

أعاطيه كأس الصبر بيني وبينه يقاسمها مرة وأقسامه

يقال: إن الشعر لبشار والغناء للزبير بن دحمان هزج بالوسطى عن الهشامي وأحمد بن المكي.

### أخبار الزبير بن دحمان

#### قدم على الرشيد والمغنون حزبان

قد مضت أخبار أبيه ونسبه وولائه في متقدم الكتاب وكان الزبير أحد المحسنين المتقين الرواة الضراب المتقدمين في الصنعة وقدم على الرشيد من الحجاز وكان المغنون في أيامه حزبين: أحدهما في حزب إبراهيم الموصلي وابنه إسحاق والآخر في حزب ابن جامع وابن المهدي وكان إبراهيم بن المهدي أوكد أسباب هذا التحزب والتعصب لما كان بينه وبين إسحاق وكان الزبير بن دحمان في حزب إسحاق وأخوه عبيد الله في حزب إبراهيم المهدي.

#### يغني الرشيد فيفضل أخاه

فأخبرني محمد بن يزيد قال: حدثني حماد بن إسحاق عن أبيه قال: لما قدم الزبير بن دحمان على الرشيد من الحجاز قدم رجل ما شئت من رجل عقلاً ونبلاً وديناً وأدباً وسكوناً ووقاراً وكان أبوه قبله كذلك وقدم معه أخوه عبيد الله فما وصلا إلى الرشيد وجلسا معنا تخيلت في الزبير الفضل فقلت لأبي: يا أبت أخلق بالزبير أن يكون أفضل من أخيه فقال: هذا لا يجيء بالظن والتخيل والجواد إنما يتحنن في الميدان فقلت له: فالجواد عينه فراره فضحك وقال: ننظر في فراستك فلما غنيا بان فضل الزبير وتقدمه فاصطفاه أبي واصطفيته لأنفسنا وقرظناه ووصفناه وصار في حيزنا.

#### الرشيد يستعيده صوتاً ثلاث مرات

وغنى الرشيد غناء كثيراً من غناء المتقدمين فأجاد وأحسن وسأله الرشيد أن يغنيه شيئاً من صنعه فالتوى بعض الالتواء وقال: قد سمع أمير المؤمنين غناء الخذاق من المتقدمين وغناء من بحضرته من خدمه ومن وفد عليه من الحجازيين وما عسى أن يأتي من صعنتي فأقسم عليه أن يغنيه شيئاً من صنعه وجد به في ذلك فكان أول صوتٍ غناه منها:

### ارحلا صاحبى حان الرحيل وابكيانى فليس تبكي الطلول

### قد تولى النهار وانقضت الشمس يميناً وحان منها أفول

لحن هذا الصوت خفيف ثقيل.

قال: فسمعت والله صنعة حسنة متقنة لا مطعن عليها فطرب الرشيد واستعاده هذا الصوت ثلاث مرات وأمر له بثلاثين ألف درهم ولأخيه بعشرين ألف درهم. ثم لم يزل زبيرٌ معنا كواحد منا وانحاز عبيد الله إلى جنبه إبراهيم المهدي فكان معه. قال حماد: فقلت لأبي: كيف كانت صنعة عبيد الله قال: أنا أجمل لك القول لو كان زبير مملوكاً لا شتريته بعشرين ألف دينار ولو كان عبيد الله مملوكاً ما طابت نفسي على أن أشتريه بأكثر من عشرين ديناراً فقلت أحببني بما يكفيني.

### يغنى الرشيد بشعر مدحه به

حدثني رضوان بن أحمد الصيدلاني قال: حدثنا يوسف بن إبراهيم قال: حدثني أبو إسحاق إبراهيم بن المهدي ومحمد بن الحارث بن بسخر: أن الرشيد كتب في إشخاص الزبير بن دحمان إلى مدينة السلام فوافاها واتفق قدومه في وقت خروج الرشيد إلى الري لمحاربة بندگان هرمز أصبهب طبرستان فأقام الزبير بمدينة السلام إلى أن دخل الرشيد فلما قدم دخل عليه بالخيزرانة وهو الموضع الذي يعرف بالشماسية فغناه في أول غنائه صوتاً في شعر قاله هو أيضاً في الرشيد مدحه به وذكر لا خروجه إلى طبرستان وهو: صوت

### ألا إن حزب الله ليس بمعجز وأنصاره في منعة المتحز

### إذا الراية السوداء راحت أو اغتدت إلى هاربٍ منها فليس بمعجز

### لطاعت لهارون العداة لدى الوغا وكبر للإسلام بندگان هرمز

لم أجد هذا الصوت منسوباً في شيء من الكتب إلا في كتاب بذل وهو فيه غير مجنس. وذكر إبراهيم بن المهدي أن الشعر للزبير بن دحمان وهذا خطأ الشعر لأبي العتاهية وهو موجود في شعره من قصيدة طويلة مدح بها الرشيد.

قال أبو إسحاق: فاستحسن الرشيد الشعر والغناء وأمر له بألف دينار فدفعت إليه ومكث ساعة ثم غنى صوتاً ثانياً وهو: صوت

وأحور كالغصن يشفي السقام ويحكي الغزال إذا مارنا

شربت المدام على وجهه وعاطيته الكأس حتى انثنى

وقلت مديحاً أرجي به من الأجر حظاً ونيل الغنى

وأعني بذلك الإمام الذي به الله أعطى العباد المنى

لحن هذا الصوت ثاني ثقيل مطلق.

قال: فما فرغ من الصوت حتى أمر له بألف دينار آخر فقبضه وخف على قلبه واستظرفه

### يعني الرشيد بشعر يزيد ندمه على البرامكة

أخبرني عيسى بن الحسين الوراق قال: حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال: حدثني أبو توبة عن القطراني عن محمد بن حبيب قال: كان الرشيد بعد قتله البرامكة شديد الأسف عليهم والتندم على ما فعله بهم ففطن لذلك الزبير بن دحمان فكان يغنيه في هذا المعنى ويحركه فغناه يوماً والشعر لامرأة من بني أسد:

من للخصوم إذا جد الخصام بهم يوم النزال ومن للضمر القود

وموقفٍ قد كفيت الناطقين به في مجمع من نواصي الناس مشهود

فرجته بلسان غير ملتبس عند الحفاظ وقول غير مردود

فقال له الرشيد: أعد فأعاد فقال له: ويحك! كأن قائل هذا الشعر يصف به يحيى بن خالد وجعفر بن يحيى وبكى حتى جرت دموعه ووصل الزبير صلةً سنية.

### إسحاق يفضل الزبير على أبيه وأخيه

#### في الغناء

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد قال: كان أبي يقول: ما كان دحمان يساوي على الغناء أربعمائة درهم وأشبهه خلق الله به غناء ابنه عبید الله وكان يفضل الزبير بن دحمان على أبيه وأخيه تفضيلاً بعيداً. وفي الزبير يقول إسحاق وله فيه غناء وهو:

أسعد بدمعك يا أبا العوام صبا صريع هوى ونضو سقام

ذكر الأحبة فاستجن وهاجه للشوق نوح حمامة وحمام

لم يبد ما في الصدر إلا أنه حيا العراق وأهل بسلام

ودعاه داعٍ للهوى فأجابته شوقاً عليه وقاده بزمام

الشعر والغناء لإسحاق ثقیل أول بالوسطى عن عمرو وهذا الشعر قاله إسحاق وهو بالرقعة مع الرشيد يتشوق إلى العراق.

**إسحاق يغني الرشيد بالرقعة**

**شعراً يحن فيه إلى بغداد**

أخبرني عمي قال: حدثني علي بن محمد بن نصر قال: حدثني جدي حمدون بن إسماعيل قال: قال لي إسحاق: كنا مع الرشيد بالرقعة وخرج يوماً إلى ظهرها يصيد وكنت في موكبه أساير الزبير بن دحمان فذكرني بغداد وطبيها وأهلي وإخواني وحرمني فتشوقت لذلك شوقاً شديداً وعرض لي همٌّ وفكرٌ حتى أبكاني فقال لي الزبير: ما لك يا أبا محمد فشكوت إليه ما عرض لي وقلت:

**أسعد بدمعك يا أبا العوام صباً صريع هوى ونضو سقام**

وذكر باقي الأبيات وعلمت أن الخبر سينمي إلى الرشيد فصنعت في الأبيات لحناً فلما جلس الرشيد للشرب ابتدأت فغنيته إياه فقال لي: تشوقت والله يا إسحاق وشوقت وبلغت ما أردت وأمر لي بثلاثين ألف درهم وللزبير بعشرين ألفاً ورحل إلى بغداد بعد أيام.

الفضل بن الربيع يغضب من إسحاق أخبرني يحيى بن علي بن يحيى المنجم قال: أخبرني أبي قال: قال لي إسحاق وأخبرني به الحسن بن علي قال: حدثنا عبد الله بن عمرو بن أبي سعد حدثني محمد بن عبد الله بن مالك عن إسحاق قال: جاءني الزبير بن دحمان ذات يوم مسلماً فاحتسبته فقال: قد أمرني الفضل بن الربيع بأن أصير إليه فقلت:

**أقم يا أبا العوام ويحك نشرب ونلهو مع اللاهين يوماً ونطرب**

قال: فأقام عندي فشربنا باقي يومنا ثم سار الزبير إلى الفضل فسأله عن سبب تأخره عنه فحدثه بالحديث وأنشده الشعر فغضب وحول وجهه عني وأمر عونا حاجبه ألا يدخلني اليوم ولا يستأذن عليه ولا يوصل لي رقعة إليه قال: فقلت:

**حرامٌ علي الكأس ما دمت غضباناً وما لم يعد عني رضاك كما كانا**

**فأحسن فإنني قد أسأت ولم تنزل تعودني عند الإساءة إحسانا**

قال: وأنشدته إياهما فضحك ورضي عني وعاد إلى ما كان عليه.

وأخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه بهذا الخبر فذكر نحو ما ذكره الآخران وزاد فيه: وقلت في عون حاجبه:

**عون يا عون ليس مثلك عون أنت لي عدة إذا كان كون**

**لك عندي والله إن رضي الفضل ل غلام يرضيك أو بردون**

فأتى عون الفضل بالشعرين جميعاً فلما قرأهما ضحك وقال له: ويلك إنما عرض لك بقوله: " غلام يرضيك " بالسوأة فقال: قد وعدني ما سمعت فإن شئت أن تحرمنيه فأنت أعلم فأمره أن يرسل إلي وأتاني رسوله فصرت إليه ورضي عني.

إسحاق والزبير يحكمان حبشياً في غنائهما أخبرني الحسن بن علي قال: حدثني عبد الله بن أبي سعد قال: حدثني محمد بن عبد الله بن مالك قال: حدثني إسحاق قال: كان عندي الزبير بن دحمان يوماً فغنيت لحن أبي:

**أشاقك من أرض العراق طول تحمل منها جيرة وحمول !**

فقال لي الزبير: أنت الأستاذ وابن الأستاذ السيد وقد أخذت عن أبيك هذا الصوت وأنا أغنيه أحسن فقلت له: والله إني لا أحب أن يكون ذلك كذلك فغضب. وقال: فأنا والله أحسن غناء منك. وتلاحينا طويلاً فقلت له: هلم نخرج إلى صحراء الرقة فيكون أكلنا وشربنا هناك ونرضى في الحكم بأول من يطلع علينا قال: أفعل. فأخرجنا طعامنا وشرابنا وجلسنا نشرب على الفرات فاقبل حبشي يحفر الأرض بالبال فقلت له: أترضى بهذا قال: نعم فدعونا فأطعمناه وسقيناها وبدرني الزبير بالغناء فغنى الصوت فطرب الحبشي وحرك رأسه حتى طمع الزبير في ثم أخذت العود فغنيتها فتأملني الحبشي ساعة ثم صاح وأي شيطان هو! ومد بها صوته فما أذكر أبي ضحكت مثل ضحكي يومئذ وانخرل الزبير.

نسبة هذا الصوت شعر لأبي العتاهية يمدح به الفضل بن الربيع وفيه غناء

**أشاقك من أرض العراق طول تحمل منها جيرة وحمول !**

**وكيف ألد العيش بعد معاشر بهم كنت عند النائبات أصول!**

الشعر لأبي العتاهية والغناء لإبراهيم ثقل أول بالسبابة في مجرى البصر عن أحمد بن المكي وفيه للحسين بن محرز ثقل أول بالوسطى.

وهذان البيتان من قصيدة مدح بها أبو العتاهية الفضل بن الربيع قال: أنشدنيها عبد الله بن الربيع الربيعي قال: أنشدنيها أبو سويد عبد القوي بن محمد بن أبي العتاهية لجدته يمدح الفضل بن الربيع وإنما ذكرت ذلك ها هنا لأن من الناس من ينسبهما إلى غيره فذكرت الأبيات الأول وفيها يقول في مدح الفضل بن الربيع:

**قبائل من أقصى وأدنى تجمعت فهن على آل الربيع كلول**

**تمر ركاب السفر تنني عليهم عليها من الخير الكثير حمول**

إليك أبا العباس حنت بأهلها مغانٍ وحننت ألسنٌ وعقول  
وأنت جبين الملك بل أنت سمعه وأنت لسان الملك حين تقول  
وللملك ميزانٌ يدك تقيمه يزول مع الإحسان حيث يزول

حدثني الصولي قال: حدثني المغيرة بن محمد المهلي قال: حدثنا الزبير قال: حدثني رجل من ثقيف قال: غضب  
الرشيد على أم جعفر ثم ترضاهما فأبت أن ترضى عنه فأرق ليلته ثم قال: افرشوا لي على دجلة ففعلوا فقعد ينظر  
إلى الماء وقد رأى زيادةً عجيبة فسمع غناء في هذا الشعر: صوت

جرى السيل فاستبكاني السيل إذ جرى وفاضت له من مقلتي غروب

وما ذاك إلا حين خبرت أنه يمر بوادٍ أنت منه قريب

يكون أجاباً ماؤه فإذا انتهى إليكم تلقى طيبكم فيطيب

فيا ساكني شرقي دجلة كلكم إلى القلب من أجل الحبيب حبيب

الشعر للعباس بن الأحنف والغناء للزبير بن دحمان خفيف رمل بالوسطى عن الهشامي.

فسأل عن الناحية التي فيها الغناء فقليل دار ابن المسيب فبعث إليه أن ابعث بالمغني فإذا هو الزبير بن دحمان  
فسأله عن الشعر فقال هو للعباس بن الأحنف فأحضر واستنشدته فأنشده إياه وجعل الزبير يغنيه وعباس ينشده  
وهو يستعيدهما حتى أصبح وقام فدخل إلى أم جعفر فسألت عن سبب دخوله فعرفته فوجهت إلى العباس بألف  
دينار وإلى الزبير بألف الرشيد يفضل لحنه على عشرين لحناً

#### صنعها زملاؤه

أخبرني عمي قال: حدثني علي بن محمد عن جده حمدون قال: تشوق الرشيد ببغداد وهو بالرقعة فأنحدر إليها وأقام  
بها مدة وخلف هناك بعض حواريه وكانت حظية له فيهن خلفها لمغاضبة كانت بينه وبينها فتشوقها تشوقاً  
شديداً وقال فيها: صوت

سلامٌ على النازح المغترب تحية صب به مكتئب

غزالٌ مراتعه بالبليخ إلى دير زكى فجسر الخشب

أيا من أعان على نفسه بتخليفه طائعاً من أحب

سأستر والستر من شيمتي هوى من أحب لمن لا أحب

وجمع المغنين فحضر إبراهيم الموصلي وابن جامع وفليح وزبير بن دحمان والمعلى بن طريف وحسين بن محرز  
وسليم بن سلام ويحيى المكي وابنه وإسحاق وأبو زكار الأعمى وأعطاهم الشعر وقال: ليعمل كل واحد منكم

فيه لحناً. قال: فلقد عملوا فيه عشرين لحناً فما أعجب منها إلا بلحن الزبير وحده أعجب به إعجاباً شديداً وأجازه خاصة دون الجماعة بجائزة سنوية.  
غنى إبراهيم في هذه الأبيات ولحنه ماخوري بالوسطى ولفليح فيها ثاني ثقيل بالوسطى ولابن جامع رمل بالبنصر ولابن المكي ثقيل أول بالوسطى وللزبير بن دحمان خفيف ثقيل بالسبابة في مجرى البنصر وللمعلى خفيف رمل بالوسطى وإسحاق رمل بالوسطى وللحسين بن محرز هزج بالوسطى.

### صوت

يا ناعش الجد إذا الجد عثر وجابر العظم إذا العظم انكسر

أنت ربيعي والربيع ينتظر وخير أنواع الربيع ما بكر

الشعر للعماني الراجز والغناء لشارية خفيف رمل من كتاب ابن المعتز وروايته.

### نسب العماني وخبره

#### نسبه

اسمه محمد بن ذؤيب بن محجن بن قدامة بن بلهية الحنظلي ثم الدارمي صلبية وقيل له: العماني وهو بصري لأنه كان شديد صفرة اللون وليس هو ولا أبوه من أهل عمان وكان شاعراً راجزاً متوسطاً من شعراء الدولة العباسية ليس من نظراء الشعراء الذين شاهدتهم في عصره مثل أشجع وسلم ومروان ولكنه كان لطيفاً داهياً مقبولاً فأفاد بشعره أموالاً جليلة.

#### يدخل على الرشيد وينشده فيجزل صلته

أخبرني ابن أبي الأزهر قال: حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه عن جبر بن رباط الأسدي: أن عبد الملك بن صالح أدخل العماني على الرشيد فأنشده:

يا ناعش الجد إذا الجد عثر وجابر العظم إذا العظم انكسر

أنت ربيعي والربيع ينتظر وخير أنواع الربيع ما بكر

فقال له الرشيد: إذا يبكر عليك ربيعنا يا فضل أعطه خمسة آلاف دينار وخمسين ثوباً.

قال إسحاق: قال جبر: لما دخل الرشيد الرقة استقبله العماني فلما بصر به ناداه:

من أرض بغداد تؤم المغربيا طابت لنا ريح الجنوب والصبيا

ونزل الغيث لنا حتى ربا ما كان من نشزٍ وما تصوبا

فمرحباً ومرحباً ومرحباً فقال له الرشيد: وبك مرحباً يا عماني وأهلاً وأجزل صلته.  
ينشد الرشيد أرجوزة طويلة

### أثناء قعوده للبيعة لابنه محمد

أخبرني محمد بن جعفر النحوي صهر المبرد المعروف بابن الصيدلاني قال: حدثنا محمد بن موسى عن حماد قال:  
قال العتيبي: لما وجه الفضل بن يحيى الوفد من خراسان إلى الرشيد يحضونه على البيعة لابنه محمد قعد لهم الرشيد  
وتكلم القوم على مراتبهم وأظهروا السرور بما دعاهم إليه من البيعة لابنه وكان فيمن حضر محمد بن ذؤيب  
العماني فقام بين صفوف القواد ثم أنشأ يقول:

لما أتانا خبرٌ مشهر أغر لا يخفى على من يبصر  
جاء به الكوفي والمبصر والراكب المنجد والمغور  
وللرجال: حسبكم لا تكثرُوا فاز بها محمد فأقصرُوا  
قد كان هذا قبل هذا يذكر في كتب العلم التي تسطر  
فقل لمن كان قديماً يتجر: قد نشر العدل فبيعوا واشتروا  
وشرقوا وغربوا وبشروا فقد كفى الله الذي يستقدر  
بمنه أفعال ما قد يحذر والسيف عنا مغمداً ما يشهر  
وقلد الأمر الأغر الأزهر نوء السماكين الذي يستمطر  
بوجهه إن كان عام أغبر سرت به أسرةً ومنبر  
وابتهج الناس به واستبشروا وهللوا لربهم وكبروا  
شكراً ومن حقهم أن يشكروا إذ ثبتت أوتاد ملك يعمر  
من هاشم في حيث طاب العنصر وطاح من كان عليها يزفر  
إن بني العباس لم يقصروا إذ نهضوا لملكهم فشمروا  
وعقدوا ونزعوا وأمروا ودبروا فأحكما ما دبروا  
وأوردوا بالحزم ثم أصدرُوا والحزم رأيٌ مثله لا ينكر  
إذا الرجال في الرجال خيروا يا أيها الخليفة المطهر  
ما الناس إلا غنم تنتشر إن لم تداركهم براع يخطر

على قواصي طرفها ويستتر ويمنع الذئب فلا ينفّر  
فامنن علينا بيدٍ لا تكفر مشهورةٍ ما دام زيتٌ يعصر  
وانظر لنا واخل من لا ينظر واجسر كما كان أبوك يجسر  
لا خير في مجممٍ لا يظهر ولا كتاب بيعةٍ لا ينشر  
وقد تربصت فليس تعذر فليت شعري ما الذي تنتظر!  
أأنت قائمٌ به أم تسخر ما لك في محمدٍ لا تعذر!

وليت شعري والحديث يؤثر أترقد الليل ونحن نسهر!  
خوفاً على أمورنا ونضجر والله والله الذي يستغفر  
لأن يموت معشرٌ ومعشرٌ خيراً لنا من فتنةٍ تسعر  
يهلك فيها دينهم ويوزروا وقد وفى القوم الذين انتصروا  
لصاحب الروم وذاك أصغر منه وهذا البحر لا يكدر  
وذاكم العليج وهذا الجوهر ينمي به محمدٌ وجعفر  
والخلفاء والنبي الأكبر ونبعةٌ من هاشمٍ وعنصر  
منا ذوي العسرة حتى يوسروا أن الرجال إن ولوها آثروا  
ذوي القرابات بها واستأثروا بها وضل أمرهم واستكبروا  
والملك لا رحم له فيأصر ذا رحمٍ والناس قد تغيروا  
فأحكم الأمر وأنت تقدر فمثل هذا الأمر لا يؤخر

فلما فرغ من أرجوزته قال له الرشيد: أبشر يا عماني بولاية محمد العهد فقال: إي والله يا أمير المؤمنين بشرى  
الأرض المحدبة بالغيث والمرأة التزور بالولد والمريض المدنف بالبرء قال: ولم ذاك قال: لأنه نسيج وحده وحماني  
مجده وموري زنده. قال: فما لك في عبد الله قال: مرعى ولا كالسعدان فتبسم الرشيد وقال: قاتله الله من  
أعرابي ما أعرفه بمواضع الرغبة وأسرعه إلى أهل البذل والعائدة وأبعده من أهل الحزم والعزم والذين لا يستمنح ما  
لديهم بالثناء أما والله إني لأعرف في عبد الله حزم المنصور ونسك المهدي وعز نفس الهادي ولو أشاء أن أنسبه  
إلى الرابعة لنسبته إليها.

يرشح القاسم لولاية العهد في أرجوزة

### ينشدها للرشيد

أخبرني الحسن بن علي قال: حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال: حدثنا علي بن الحسن الشيباني وأخبرني به محمد بن جعفر عن محمد بن موسى عن حماد عن أبي محمد المطبخي عن علي بن الحسن الشيباني قال: أخبرني أبو خالد الطائي عن جبير بن ضبينة الطائي قال: أخبرني الفضل قال: حضرت الرشيد يوماً وجلس للشعراء فدخل عليه الفضل بن الربيع وخلفه العماني فأدناه الرشيد واستنشه فأنشده أرجوزةً له فيه حتى انتهى إلى هذا الموضع:

### قل للإمام المقتدى بأمه: ما قاسمٌ دون مدى ابن أمه

وقد رضينا فقم فسمه قال: فتبسم الرشيد ثم قال: ويحك! أما رضيت أن أوليه العهد وأنا جالس حتى أقوم على رجلي! فقال له العماني: ما أردت يا أمير المؤمنين قيامك على رجلك إنما أردت قيام العزم قال: فإننا قد ولينا العهد وأمر بالقاسم أن يحضر. ومر العماني في أرجوته يهدر حتى أتى على آخرها وأقبل القاسم فأوماً إليه الرشيد فجلس مع أخويه فقال له: يا قاسم عليك جائزة هذا الشيخ فقد سألتنا أن نوليكَ العهد وقد فعلنا فقال: حكمك يا أمير المؤمنين فقال: وما أنا وهذا! بل حكمك وأمر له الرشيد بجائزة وأمر له القاسم بجائزة أخرى مفردة. أخبرني محمد بن يزيد قال: حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه قال: دخل محمد بن ذؤيب العماني على أبي الحر التميمي بالبصرة فأطعمه وسقاه وجلله بكساء فقال فيه:

### إن أبا الحر لعين الحر يدفع عنا سبرات القر

### باللحم والشحم وخبز البر ونطفة مكنونة في الجر

### يشربها أشياخنا في السر حتى نرى حديثنا كالدر

### ويمدح عبد الملك بن صالح فيثيبه

أخبرني محمد بن يزيد قال: حدثنا حماد عن أبيه قال: قصد العماني عبد الملك بن صالح الهاشمي متوسلاً به إلى الرشيد في الوصول إليه مع الشعراء ومدح عبد الملك بقصيدته التي يقول فيها:

### نمته العرائن من هاشمٍ إلى النسب الأوضح الأصرح

### إلى نبعه فرعها في السماء ومغرسها سرّة الأبطح

فأدخله عبد الملك إلى الرشيد بالرقّة فأنشده:

### من أرض بغداد تؤم المغرباً طابت لنا ريح الجنوب والصبأ

### ونزل الغيث لنا حتى ربا ما كان من نشزٍ وما تصوبا

فمرحباً ومرحباً ومرحباً فأعطاه خمسة آلاف دينار وخمسين ثوباً.

يصف طعاماً قدمه له محمد بن سليمان أخبرني عمي والحسين بن القاسم الكوكبي قالوا: حدثنا عبد الله بن أبي

سعد قال: حدثنا إسحاق بن عبد الله الأزدي عن محمد بن عبد الله العامري القرشي عن العماني الشاعر: أنه تغدى مع محمد بن سليمان بن علي فكان أول ما قدم إليهم فرنيةً في لبن عليها سكر ثم تتابع الطعام فقال له: قل فيما أكلت شعراً تصفه فقال:

جاءوا بفرنى لهم ملبون بات يسقى خالص السمون  
مصومع أكوم ذي غصون قد حشيت بالسكر المطحون  
ولونوا ما شئت من تلوين من بارد الطعام والسخين

ومن شراسيف ومن طردين ومن هلام ومصوص جون  
ومن إوز فائق سمين ومن دجاج قيت بالعجين  
وبالخبيص الرطب واللوزين وفكهوا بعنب وتين  
والرطب الأزاذ والهيرون محمد يا سيد البنين  
وبكر بنت المصطفى الأمين الصادق المبارك الميمون  
وابن ولاة البيت والحجون اسمع لنعث غير ذي تغنين  
يخرج من فن إلى فنون إن الحديث فيك ذو شجون

#### سبب تسميته العماني

أخبرنا الحسن بن علي قال: حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال: حدثني أحمد بن أبي كامل قال: حدثني أبو هاشم القيني قال: كان محمد بن ذؤيب العماني الراجز من أهل البصرة ويكنى أبا عبد الله وإنما قيل له العماني لأنه أقبل يوماً وقد خرج من علة ووجهه أصفر فقال له بعض أصحابنا: يا أبا عبد الله قد خرجت من هذه العلة كأنك جمل عماني قال: وكانت جمال عمان تحمل الورد من اليمن إلى عمان فتصفر قال: وهو من بني تميم ثم من بني فقيم.

#### يمدح عيسى بن موسى فيصله

قال: فقدم على عيسى بن موسى فلما وصل إليه أنشده مديحاً له وفد إليه به فاستحسنه ووصله واقتطعه إليه وخصه وجعله في جلسائه فقال العماني فيه:

ما كنت أدري ما رخاء العيش ولا لبست الوشي بعد الخيش

حتى تمدحت فتى قريش عيسى وعيسى عند وقت الهيش

حين يخف غيره للطيش زين المقيمين وعز الجيش

راش جناحي وفوق الريش

**ينشد الرشيد قصيدة أثناء حصاره هرقله**

**يذكر فيها بغداد**

أخبرني حبيب بن نصر المهلي قال: حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال: حدثني أحمد بن علي بن أبي نعيم قال: حدثنا موسى بن صبيح المروزي قال: خرج الرشيد غازياً بلاد الروم فتزل بهرقله ونصب الحرب عليها فدخل عليه العماني وهو يذكر بغداد وطيبها وما فيه أهلها من النعمة فأنشده العماني قصيدة له في هذا المعنى يذكر فيها طيب العيش ببغداد وسعة النعم وكثرة اللذات يقول فيها:

**وبعيبط ليس بالملهوج فدق دق الكودني الديرج**

**حتى ملا أعفاج بطن نفج وقال للقبينة: صبي وامزجي**

قال: فوهب له على القصيدة ثلاثين ألف درهم.

ابن جامع يغني شعراً في ضرب هرقله ثم دخل إليه ابن جامع وقد أمر الرشيد أن يوضع الكبريت والنفط الأبيض على الحجارة وتلف بالمشاققة وتوقد فيها النار ثم توضع في كفة المنجنيق ويرمى بها السور ففعلوا ذلك وكانت النار تثبت في السور وتصدعه حتى طلبوا الأمان حينئذ فغناه ابن جامع وقال:

**هوت هرقله لما أن رأت عجباً حوائماً ترتمي بالنفط والنار**

**كأن نيراننا في جنب قلعته مصبغات على أرسان قصار**

فأمر له بثلاثين ألف درهم أخرى.

**يرتجل شعراً في فرس للمهدي فيجيزه**

أخبرني جعفر بن قدامة قال: حدثني أبو هفان قال: حدثني أحمد بن سليمان قال: قال يزيد بن عقال: كنا وقوفاً والمهدي قد أجرى الخيل فسبقها فرسٌ له يقال له الغضبان فطلب الشعراء فلم يحضر أحدٌ منهم إلا أبو دلامة فقال له: قلده يا زند فلم يفهم ما أراد فقلده عمامته فقال له المهدي: يابن اللخناء أنا أكثر عمائم منك إنما أردت أن تقلده شعراً ثم قال: يا لهفي على العماني فلم يتكلم بما حتى أقبل العماني فقيل له: ها هو ذا قد أقبل الساعة يا أمير المؤمنين فقال: قدموه فقدموه فقال: قلد فرسي هذا فقال غير متوقف:

**قد غضب الغضبان إذ جد الغضب وجاء يحمي حسياً فوق الحسب**

من إرث عباس بن عبد المطلب وجاءت الخيل به تشكو التعب  
له عليها ما لكم على العرب فقال له المهدي: أحسنت والله وأمر له بعشرة آلاف درهم.

### صوت

لقد علمت وما الإسراف من خلقي أن الذي هو رزقي سوف يأتيني  
أسعى له فيعنيني تطلبه ولو قعدت أتاني لا يعنيني  
الشعر لعروة بن أذينة والغناء لمخارق ثقيل أول بالبنصر عن عمرو.

### أخبار عروة بن أذينة ونسبه

#### نسبه

هو عروة بن أذينة وأذينة لقبه واسمه يحيى بن مالك بن الحارث بن عمرو بن عبد الله بن زحل بن يعمر وهو  
الشداخ بن عوف بن كعب بن عامر بن ليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن  
مضر بن نزار. وسمي يعمر بالشداخ لأنه تحمل ديات قتلى كانت بين قريش وخزاعة وقال: قد شدخت هذه  
الدماء تحت قدمي فسمي الشداخ.  
قال ابن الكلبي: الشداخ بضم الشين.

#### شاعر وفقهه ومحدث

ويكنى عروة بن أذينة أبا عامر وهو شاعر غزل مقدم من شعراء أهل المدينة وهو معدود في الفقهاء  
والمحدثين روى عنه مالك بن أنس وعبيد الله بن عمر العدوي. أخبرني بذلك أحمد بن عبد العزيز الجوهري  
عن عمر بن شبة وروى جده مالك بن الحارث عن علي بن أبي طالب. روى قصة عن جده مالك

أخبرني الحسن بن علي قال: حدثنا محمد بن موسى قال: حدثنا أحمد بن الحارث عن خرج مع علي بن أبي  
طالب رجلاً من قومي كان مصطليماً فخرجت في أثره وحشيت انقراض أهل بيته فأردت أن أستأذن له من علي  
فأدركت علياً بالبصرة وقد هزم الناس ودخل البصرة فجنثته فقال: مرحباً بك يا ابن الفقيمة أبداً لك فينا بدءاً  
قلت: والله إن نصرتك لحق وإني لعلي ما عهدت أحب العزلة ثم ذاكرته أمر ابن عمي ذلك فلم يبعد عنه فكنت  
آتيه أتحدث إليه. فركب يوماً يطوف وركبت معه فإني لأسير إلى جانبه إذ مررنا بقبر طلحة فنظر إليه نظراً  
شديداً ثم أقبل علي فقال: أمسى والله أبو محمد بهذا المكان غريباً ثم تمثل:

## وما تدري وإن أزمعت أمراً بأي الأرض يدركك المقيل

والله إني لأكره أن تكون قريش قتلى تحت بطون الكواكب. قال: فوقع العراقيون يشتمون طلحة وسكت علي وسكت حتى إذا فرغوا أقبل علي علياً فقال: إيه يابن الفقيمة والله إنه وإن قالوا ما سمعت لكما قال أخو جعفي:

### فتى كان يدنيه الغنى من صديقه إذا ما هو استغنى ويبعده الفقر

ثم أردت أن أكلمه بشيء فقلت: يا أمير المؤمنين فقال: وما منعك أن تقول: يا أبا الحسن! فقلت: أبيت فقال: والله إنهما لأحبهما إلي ولولا الحمقى لوددت أني خنقت بجبل حتى أموت قبل أن يفعل عثمان ما فعل وما أعتذر من قيام بحق ولكن العافية مما ترى كانت خيراً.

حدثنا محمد خلف وكيع والحسن بن علي الخفاف قالوا: حدثنا الحارث بن أبي أسامة قال: حدثنا محمد بن سعد عن الواقدي عن عبد الله بن يزيد عن عروة بن أذينة قال: قدمت مع أبي مكة يوم احترقت الكعبة فرأيت الخشب وقد خلصت إليه النار ورأيت الكعبة متجردة من الحريق ورأيت الركن قد اسود وتصدع من ثلاثة أمكنة فقلت: ما أصاب الكعبة فأشاروا إلى رجل من أصحاب ابن الزبير فقالوا: هذا احترقت بسببه أخذ قيساً في رأس رمح فطيرت الريح منه شيئاً فضربت أستار الكعبة فيما بين اليماني إلى الأسود.

### وفد على هشام فذكره بشعره في القناعة

#### ولامه ثم ندم فأرسل إليه جائزة

حدثني محمد بن جرير الطبري وحفظته وأخبرنا به أحمد بن عبد العزيز الجوهري وحبيب بن نصر المهلي قالوا: حدثنا عمر بن شبة قال: حدثني عمر بن محروس الوراق بن أقيصر السلمي قال: حدثنا يحيى بن عروة بن أذينة قال: أتى أبي وجماعة من الشعراء هشام بن عبد الملك فنسبهم فلما عرف أبي قال له: أنت القائل:

### أسعى له فيعنيني تطلبه ولو جلست أثنائي لا يعنيني

هذان البيتان فقط ذكرهما المهلي والجوهري وذكر محمد بن جرير في خبره الأبيات كلها:

وأن حظ امرئ غيري سيبيلغه لابد لابد أن يحتازه دوني

لا خير في طمع يدني لمنقصة وغفة من قوام العيش تكفيني

لا أركب الأمر تززي بي عواقبه ولا يعاب به عرضي ولا ديني

كم من فقير غني النفس تعرفه ومن غني فقير النفس مسكين

ومن عدو رمانى لو قصدت له لم يأخذ النصف مني حين يرميني

ومن أخ لي طوى كشحاً فقلت له: إن انطواءك عني سوف يطويني

إني لأنطق فيما كان من أربي وأكثر الصمت فيما ليس يعينني

لا أبتغي وصل من يبغي مفارقتي ولا ألين لمن لا يشتهي ليني

فقال له ابن أذينة: نعم أنا قائلها قال: أفلا قعدت في بيتك حتى يأتيك رزقك!

وغفل عنه هشامٌ فخرج من وقته وركب راحلته ومضى منصرفاً ثم افتقده هشامٌ فعرف خبره فأتبعه بجائزة وقال للرسول: قل له: أردت تكذبنا وتصدق نفسك. فمضى الرسول فلحقه وقد نزل على ماء يتعدى عليه فأبلغه رسالته ودفع الجائزة. فقال: قل له: صدقني ربي قال يحيى بن عروة: وفرض له فريضتين فكنت أنا في إحدهما. أخبرنا وكيع قال: حدثنا هارون بن محمد بن عبد الملك قال: حدثني الزبير بن بكار قال: حدثني أبو غزيرة قال: حدثني أنس بن حبيب قال: خرج ابن أذينة إلى هشام بن عبد الملك في قوم من أهل المدينة وفدوا عليه وكان ابنه مسلمة بن هشام سنة حج أذن لهم في الوفود عليه فلما دخلوا على هشام انتسبوا له وسلموا عليه فقال: ما جاء بك يابن أذينة فقال:

أتينا نمت بأرحامنا وجئنا بإذن أبي شاعر

فإن الذي سار معروفه بنجدٍ وغار مع الغائر

إلى خير خندق في ملكها لبادٍ من الناس أو حاضر

فقال له هشام: ما أراك إلا قد أكذبت نفسك حيث تقول:

لقد علمت وما الإسراف من خلقي أن الذي هو رزقي سوف يأتيني

أسعى له فيعينني تطلبه ولو جلست أتانِي لا يعينني

فقال له ابن أذينة: ما أكذبت نفسي يا أمير المؤمنين ولكني صدقتها وهذا من ذاك. ثم خرج من عنده فركب راحلته إلى المدينة فلما أمر لهم هشامٌ بجوائزهم فقده فقال: أين ابن أذينة فقالوا: غضب من تقرّيعك له يا أمير المؤمنين فانصرف راجعاً إلى المدينة فبعث إليه هشام بجائزته.

مر بغنمه وراعيه نائم فضربه وقال شعراً وكيع قال: حدثنا هارون بن محمد قال: حدثنا الزبير بن بكار قال: حدثني عمي عن عروة بن عبيد الله قال: كان عروة بن أذينة نازلاً مع أبي في قصر عروة بالعقيق وخرج أبي يوماً يمشي وأنا معه وابن أذينة ونظر إلى غنم كانت له في يدي راعٍ يقال له كعب وهي مهملة وكعب نائم حجرة فجعل ابن أذينة يتزو حوله وهو يضربه ويقول:

لو يعلم الذئب بنوم كعب إذا لأمسي عندنا ذا ذئب

أضربه ولا يقول حسبي لأبد عند ضيعةٍ من ضرب

غنى ابن عائشة بشعره

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري وحبیب بن نصر المهلبی وإسماعیل بن یونس الشیعی قالوا: حدثنا عمر بن شبة قال: حدثني أبو غسان محمد بن یحیی عن بعض أصحابه قال: مر ابن عائشة المغنی بعروة بن أذينة فقال له: قل لي أبياتاً هزجاً أعني فيها فقال له: اجلس فجلس فقال: صوت

**سليمی أجمعت بيننا فأين تقولها أينا!**

**وقد قالت لأتراب لها زهر تلاقينا:**

**تعالين فقد طاب لنا العيش تعالينا**

**وغاب البرم اللي لة والعين فلا عينا**

**فأقبلن إليها مس رعات يتهادينا**

**إلى مثل مهاة الرمل تكسو المجلس الزينا**

**تمنين مناهن فكنا ما تمنينا**

قال أبو غسان: فحدثت أن ابن عائشة رواها ثم ضحك لما سمع قوله:

**تمنين مناهن فكنا ما تمنينا**

ثم قال: يا أبا عامر تمنيتك لما أقبل بحرك وأدبر ذكرك.

قال عمر بن شبة: قال أبو غسان: فحدثني حماد الحسيني قال: ذكر ابن أذينة عند عمر بن عبد العزيز فقال: نعم الرجل أبو عامر على أنه الذي يقول:

**وقد قالت لأتراب لها زهر تلاقينا**

وأخبرني بهذا الخبر وكيع قال: حدثني هارون بن محمد بن عبد الملك الزيات عن الزبير عن محمد بن یحیی عن إسحاق بن إبراهيم عن قسطاس قال: مر ابن عائشة بابن أذينة ثم ذكر الخبر مثل الذي قبله.

**اعتراض سكينه على ادعائه العفة**

**مع شعر قاله**

أخبرني حبيب بن نصر المهلبی والحرمي بن أبي العلاء قالوا: حدثنا الزبير بن بكار قال: حدثني أبو معاوية عبد الجبار بن سعيد المساحقي وأخبرنا بن وكيع قال: حدثنا أبو أيوب المديني عن الحارث بن محمد العوفي قال: وقفت سكينه بنت الحسين بن علي على عروة بن أذينة في موكبها ومعها حواريتها فقالت: يا أبا عامر أنت الذي تزعم أن لك مروءة وأن غزلك من وراء عفة وأنت تقي قال: نعم صوت

**قالت وأبنتتها وجدي فبحت به قد كنت عندي تحب السر فاستتر**

### ألست تبصر من حولي فقلت لها : غطى هواك وما ألقى على بصري

قال لها: بلى قالت: هن حرائر إن كان هذا خرج من قلب سليم أو قالت: من قلب صحيح.  
في هذين البيتين لعلوية رمل بالبنصر وفيهما لإسحاق هزج بالوسطى وفيهما لمخارق ثقيل أول بالبنصر عن  
الهشامي وعمرو بن بانة وذكر حبش أن الثقيل الأول لمعبد اليقطيني.

### تمثل المتوكل للمنتصر بشعره

وذكر علي بن محمد بن نصر البسامي أن خاله أبا عبد الله بن حمدون بن إسماعيل قال: كنت جالساً بين يدي  
المتوكل وبين يديه المنتصر فأحضر المعتز وهو صبي صغير فلعب فأفرط في اللعب والمنتصر يرمقه كالمنكر لفعله  
فنظر إليه المتوكل عدة دفعات ثم التفت إلى المنتصر فقال: يا محمد:

### قالت وأبثنتها وجدي فبحث به :قد كنت عندي تحب الستر فاستتر

قال: فاعتذر إليه المنتصر عذراً قبله وهو مقطب معرض. قال: وكان المنتصر أشد خلق الله بغضاً للمعتز وطعناً  
عليه. ولقد دخلت إليه يوماً ودخل إليه أبو خالد المهلي بعد قتل المتوكل وإفضاء الخلافة إليه ومع المهلي درع  
كأنها فضة فقال: يا أمير المؤمنين هذه درع المهلب فأخذها وقام فلبسها ورأى المعتز وعليه شيءٌ مثقل وما أشبه  
ذلك فتمثل بيت حرير:

### لبست سلاحي والفرزدق لعبةً عليه وشاحا كرج وجلجله

### اعترضت امرأة على شعر قاله

أخبرني وكيع قال: حدثني هارون بن محمد قال: حدثني عبد الله بن شعيب الزبيري قال: حدثني عبد العزيز بن  
أبي سلمة قال: مرت امرأةٌ بآبن أذينة وهو بفناء داره فقالت له: أأنت ابن أذينة قال: نعم قالت: أأنت الذي يقول  
الناس إنك امرؤٌ صالح وأنت الذي تقول:

### إذا وجدت أوار الحب في كبدي عمدت نحو سقاء القوم أبترد

### هيني بردت ببرد الماء ظاهره فمن لحر على الأحشاء يتقدا!

أبو السائب المخزومي يطلب إنشاده شعراً قاله عروة أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال: حدثنا الزبير بن بكار  
قال: حدثني عمي عن عروة بن عبد الله وأخبرنا به وكيع عن هارون بن الزيات عن الزبيري عن عمه عن عروة  
بن عبد الله وذكره حماد عن أبيه عن الزبيري عن عروة هذا قال: كان عروة بن أذينة في دار أبي بالعقيق فسمعه  
ينشد: صوت

إن التي زعمت فؤادك ملها جعلت هوائك كما جعلت هوى لها  
فيك الذي زعمت بها وكلاكما بيدي لصاحبه الصبابة كلها  
ويبيت بين جوانحي حب لها لو كان تحت فراشها لأقلها  
ولعمرها لو كان حبك فوقها يوماً وقد ضحيت إذا لأظلمها  
وإذا وجدت لها وساوس سلوة شفع الفؤاد إلى الضمير فسلها  
بيضاء باكرها النعيم فصاغها بلباقة فأدقها وأجلها  
لما عرضت مسلماً لي حاجة أرجو معونتها وأخشى دلها  
منعت تحيتها فقلت لصاحبي: ما كان أكثرها لنا وأقلها  
فدنا فقال: لعلها معذورة من أجل رقبته فقلت: لعلها

قال: فأتاني أبو السائب المخزومي وأنا في داري بالعقيق فقلت له بعد الترحيب: هل بدت لك حاجة فقال: نعم  
أبيات لعروة بن أذينة بلغني أنك سمعتها منه فقلت له: وأية أبيات فقال: وهل يخفى القمر قوله: إن التي زعمت  
فؤادك ملها فأنشدته إياها فلما بلغت إلى قوله: " فقلت: لعلها ". قال: أحسن والله هذا والله الدائم العهد  
الصادق الصبابة لا الذي يقول:

**إن كان أهلك يمنعونك رغبةً عني فأهلي بي أضن وأرغب**

أذهب لا صحبك الله ولا وسع عليك - يعني قائل هذا البيت - لقد عدا الأعرابي طوره وإني لأرجو أن يغفر الله  
لصاحبك - يعني عروة - لحسن ظنه بها وطلبه العذر لها. قال: فعرضت عليه الطعام فقال: لا والله ما كنت  
لأكل بهذه الأبيات طعاماً إلى الليل وانصرف.

**ذكر ما في هذا الخبر من الغناء**

في الشعر المذكور فيه لعروة في البيت الأول والرابع من الأبيات خفيف رمل بالوسطى نسبه ابن المكّي إلى ابن  
مسحج وقيل: إنه من منحوله إليه وفيهما وفي البيت الثالث من شعر ابن أذينة

**ويبيت بين جوانحي حب لها لو كان تحت فراشها لأقلها**

**رأي لأبي السائب في شعر قاله**

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال: حدثنا الزبير بن بكار قال: حدثنا عمر بن أبي بكر المؤملي قال: أخبرنا عبد الله  
بن أبي عبيدة قال: قلت: لأبي السائب المخزومي: ما أحسن عروة بن أذينة حيث يقول: صوت

لبثوا ثلاث منى بمنزل غبطةٍ وهم على غرض لعمرك ما هم  
متجاورين بغير دار إقامةٍ لو قد أجد رحيلهم لم يندموا  
ولهن بالبيت العتيق لبانةً والبيت يعرفهن لو يتكلم  
لو كان حياً قبلهن ظعائناً حيا الحطيم وجوههن وزمزم  
وكأتهن وقد حسرن لو اغباً بيضاً بأكناف الحطيم مركم

في هذه الأبيات الثلاثة لابن سريج ثاني ثقيل بالبنصر عن عمرو.  
قال: فقال: لا والله ما أحسن ولا أجمل ولكنه أهرج وأخطل في صفتهن بهذه الصفة ثم لا صوت

تفرق أهواء الحجيج على منى وصدعهم شعب النوى صبح أربع

فريقان :منهم سالك بطن نخلة وآخر منهم سالك بطن تضرع

- في هذين البيتين للدلال ثاني ثقيل بالوسطى عن الهشامي وحش - .

فلم أر داراً مثلها غبطةٍ وملقى إذا التف الحجيج بمجمع

أقل مقيماً راضياً بمكانه وأكثر جاراً ظاعناً لم يودع

انظر إليه كيف تقدمت شهادته علمه وكبا لسانه ببيانه وهل يغتبط عاقل بمقام لا يرضى به ولكن مكرهٌ أخوك لا  
بطل والعرجي كان أوفى بالعهد منهما وأولى بالصواب حيث تعرض لها نافرةً من منى فقال لها عاتباً مستكيناً:

عوجي علي فسلمي جبر فيم الصدود وأنتم سفر !

ما نلتقي إلا ثلاث منى حتى يفرق بيننا نفر

في هذين البيتين غناء قد تقدمت نسبه في أخبار ابن جاعم في أول الكتاب.

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال: حدثنا الزبير بن بكار قال: حدثني جعفر بن موسى اللهيبي قال: كان عبد الملك  
بن مروان إذا قدم مكة أذن للقرشيين في السلام عليه فإذا أراد الخروج لم يأذن لأحد منهم وقال: أكذبنا إذا قول  
الملحى - يعني كثيراً - حيث يقول:

تفرق أهواء الحجيج على منى وصدعهم شعب النوى صبح أربع

وذكر الأبيات الأربعة.

**خالد صامة يغني شعره بين يدي الوليد**

أخبرنا علي بن سليمان الأخفش قال: حدثنا محمد بن يزيد قال: حدث الزبير عن خالد صامة وكان أحد المغنين قال: قدمت على الوليد بن يزيد فدخلت إليه وهو في مجلس ناهيك به وهو على سرير وبين يديه معبد ومالك وابن عائشة وأبو كامل فجعلوا يغنون حتى بلغت النبوة إلي فغنيتها: صوت

**سرى همي وهم المرء يسري وغار النجم إلا قيس فتر**

**أراقب في المجرة كل نجم تعرض للمجرة كيف يجري**

**لهم ما أزال له مديماً كأن القلب أضرم حر جمر**

فقال لي الوليد: أعد يا صام ففعلت فقال لي: من يقول هذا الشعر قلت: عروة بن أذينة يرثي أخاه بكراً. فقال لي: وأي العيش لا يصفو بعده هذا العيش والله الذي نحن فيه على رغم أنفه والله لقد تحجر واسعاً. لابن سريج في هذه الأبيات ثاني ثقل بالوسطى عن عمرو ابن المكي وغيرهما وفيها رمل ينسب إلى ابن عباد الكاتب وإلى حاجب الحزور وإلى مسكين بن صدقة. حدثنا الأخفش عن محمد بن يزيد قال: قال الزبير: حدثت أن سكين بنت الحسين أنشدت هذا الشعر فقالت: من بكر هذا أليس هو الأسود الدحداح الذي كان يمر بنا قالوا: نعم فقالت: لقد طاب كل شيء بعده حتى الخبز والزيت.

**اعترض ابن أبي عتيق على شعره**

**في رثاء أخيه فخاصمه**

وأخبرني الحسن بن علي الخفاف قال: حدثنا أحمد بن سعيد الدمشقي قال: حدثنا الزبير بن بكار قال: حدثني عمي قال: لقي ابن أبي عتيق عروة بن أذينة فأنشده قوله: حتى فرغ منها ثم أنشده: سرى همي وهم المرء يسري حتى بلغ إلى قوله: وأي العيش يصلح بعد بكراً! فقال له ابن أبي عتيق: كل العيش والله يصلح بعده حتى الخبز والزيت. فغضب عروة من قوله وقام عن مجلسه وحلف ألا يكلمه أبداً فماتا متهاجرين.

**ذكر مخارق وأخباره**

**نسبه**

هو مخارق بن يحيى بن ناووس الجزار مولى الرشيد بل ناووس لقب أبيه يحيى ويكنى أبا المهنا كناه الرشيد بذلك. وكان قبله لعاتكة بنت شهدة وهي من المغنيات الحسنات المتقدمات في الضرب ذكر ذلك مخارق واعترف به. ونشأ بالمدينة وقيل: بل كان منشؤه بالكوفة.

**بان طيب صوته فعلمته مولاته الغناء**

وكان أبوه جزاراً مملوكاً وكان مخارق وهو صبي ينادي على ما يبيعه أبوه من اللحم فلما بان طيب صوته علمته مولاته من الغناء ثم أرادت بيعه فاشتراه إبراهيم الموصلي منها وأهداه للفضل بن يحيى فأخذه الرشيد منه ثم أعتقه.

### اشتراه إبراهيم الموصلي ثم وهبه الفضل

#### ابن يحيى ثم صار إلى الرشيد

أخبرني الحسين بن يحيى قال: قال حماد: حدثني زكريا مولاهم وأخبرني محمد بن يحيى الصولي قال: حدثني عبيد الله بن محمد بن عبد الملك قال: حدثنا حماد بن إسحاق عن زكريا مولاهم قال: قدمت مولاة مخارق به من الكوفة فترلت المخرم وصار إبراهيم إلى جدي الأصبع بن سنان المقيم وسيرين بن طرخان النخاس فقالا له: إن ها هنا امرأة من أهل الكوفة قد قدمت ومعها غلام يتغنى فأحب أن تنفعا فيه قال: فوجهني مع مولاته لأحمله فوجدته متمرغاً في رمل الجزيرة التي بإزاء المخرم وهو يلعب فحملته خلفي وأتيت به إبراهيم فتغنى بين يديه فقال لها:

كم أملكك فيه قالت: عشرة آلاف درهم قال: قد أخذته بما وهو خيرٌ منها. فقالت: والله ما تطيب نفسي أن أمتع من عشرين ألف درهم بكبدٍ رطبة فهل لك في خصلة تعطيني به ثلاثين ألف درهم ولا أستقيلك بعدها فقال: قد فعلت وهو خير منها فصفتك على يده وبايعته وأمر بالمال فأحضر وأمر بثلاثة آلاف درهم فريدت عليه وقال: تكون هذه لهدية تهدينها أو كسوة تكنسينها ولا تتلمين المال.

وراح إلى الفضل بن يحيى فقال له: ما خبر غلامٍ بلغني أنك اشتريت قال: هو ما بلغك قال: فأرنيه فأحضره فلما تغنى بين يدي الفضل قال له: ما أرى فيه الذي رأيت قال: أنت تريد أن يكون في الغناء مثلي في ساعة واحدة ولم يكن مثله في الدنيا ولا يكون أبداً. فقال: بكم تبيعه فقال: اشتريته بثلاثة وثلاثين ألف درهم وهو حر لوجه الله تعالى إن بعته إلا بثلاثة وثلاثين ألف دينار فغضب الفضل وقال: إنما أردت أن تمنعني أو تجعله سبباً لأن تأخذ مني ثلاثة وثلاثين ألف دينار فقال له: أنا أصنع بك خصلة أبيعك نصفه بنصف هذا المال وأكون شريكك في نصفه وأعلمه فإن أعجبك إذا علمته أتممت لي باقي المال. وإلا بعته بعد ذلك وكان الربح بيني وبينك. فقال له الفضل: إنما أردت أن تأخذ مني المال الذي قدمت ذكره فلما لم تقدر على ذلك أردت أن تأخذ نصفه. وغضب فقال له إبراهيم: فأنا أهبه لك على أنه يساوي ثلاثة وثلاثين ألف دينار قال: قد قبلته قال: قد وهبته لك وغدا إبراهيم على الرشيد فقال له: يا إبراهيم ما غلامٌ بلغني أنك وهبته للفضل قال: فقلت: غلام يا أمير المؤمنين لم تملك العرب ولا العجم مثله ولا يكون مثله أبداً قال: فوجه إلى الفضل فأمره بإحضاره فوجه به إليه فتغنى بين يديه فقال لي: كم يساوي قال: قلت: يساوي خراج مصر وضياعها.

فقال لي: ويلك أتدري ما تقول! مبلغ هذا المال كذا وكذا فقلت: وما مقدار هذا المال في شيء لم يملك أحدٌ مثله قط! قال: فالتفت إلى مسرور الكبير وقال: قد عرفت يميني ألا أسأل أحداً من البرامكة شيئاً بعد فنفتة فقال

مسرور فأنا أمضي إلى الفضل فأستوهبه منه فإذا وهبه لي وكان عبدي فهو عبدك فقال له: شأنك. فمضى مسرور إلى الفضل فقال له: قد عرفتم ما وقعتم فيه من أمر فنفنته وإن منعتموه هذا الغلام قامت القيامة وأستوهبه منه فوهبه له فبلغ ما رأيته. فكان علوية إذا غضب على مخارق يقول له - حيث يقول: أنا مولى أمير المؤمنين - متى كنت كذلك إنما أنت عبد الفضل بن يحيى أو مولى مسرور.

### سبب تلقيب أبيه بناووس

أخبرني ابن أبي الأزهر قال: حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه قال: كان مخارق بن ناووس الجزار وإنما لقب بناووس لأنه بايع رجلاً أنه يمضي إلى ناووس الكوفة فيطبخ فيه قدرًا بالليل حتى تنضج فطرح رهنه بذلك ففسد الرجل الذي رآه رجلاً فألقى في نفسه في الناووس بين الموتى فلما فرغ من الطبخ مد الرجل يده من بين الموتى وقال له: أطعمني فغرف ملء المعرفة من المرققة فصبها في يد الرجل فأحرقها وضربها بالمعرفة وقال له:

**اصبر حتى نطعم الأحياء أولاً ثم نتفرغ للموتى فلقب بناووس لذلك فنشأ ابنه مخارق وكان ينادي عليه إذا باع الجزور فخرج له صوتٌ عجيب فاشتراه أبي وأهداه للرشيدي فأمره بتعليمه فغنى لرشيدي بعد ابن جامع ففاقه**

وكان يقف بين يدي الرشيدي مع الغلمان لا يجلس ويغني وهو واقف فغنى ابن جامع ذات يوم بين يدي الرشيدي:

**كأن نيراننا في جنب قلعتهم مصبغاتٌ على أرسان قصار**

**هوت هرقلة لما أن رأته عجباً حوائماً ترتمي بالنفط والنار**

فطرب الرشيدي واستعاده عدة مرات وهو شعر مدح به الرشيدي في فتح هرقلة وأقبل يومئذ على ابن جامع دون غيره فغمز مخارق إبراهيم بعينه وتقدمه إلى الخلاء فلما جاءه قال له: ما لي أراك منكسراً قال: أما ترى إقبال أمير المؤمنين على ابن جامع بسبب هذا الصوت فقال:

قد والله أخذته فقال له: ويحك إنه الرشيدي وابن جامع من تعلم ولا يمكن معارضته إلا بما يزيد على غنائه وإلا فهو الموت وقال: دعني وخلاك ذم وعرفه أي أغني به فإن أحسنت فأليك ينسب وإن أسأت فألي يعود. فقال للرشيدي: يا أمير المؤمنين أراك متعجباً من هذا الصوت بغير ما يستحقه وأكثر مما يستوجبه فقال: لقد أحسن ابن جامع ما شاء قال: أو لابن جامع هو قال: نعم كذا ذكر قال له: فإن عبدك مخارقاً يغنيه فنظر إلى مخارق فقال: نعم يا أمير المؤمنين فقال: هاته فغنائه وتحفظ فيه فأنتي بالعجائب فطرب الرشيدي حتى كاد يطير فرحاً وشرب ثم أقبل على ابن جامع فقال له: ويلك ما هذا! فابتدأ يحلف له بالطلاق وكل محرجة أنه لم يسمع ذلك الصوت قط إلا منه ولا صنعه غيره وأنها حيلة جرت عليه فأقبل على إبراهيم وقال: أصدقني بحياتي فصدقه عن قصة مخارق فقال له: أكذلك هو يا مخارق قال: نعم يا مولاي فقال: اجلس إذن مع أصحابك فقد تجاوزت مرتبة من يقوم وأعتقه ووصله بثلاثة آلاف دينار وأقطعته ضيعةً ومترلاً.

### كان سبب عتقه لحناً غناه أمام الرشيد

أخبرني محمد بن خلف وكيع وحدثني محمد بن خلف بن المرزبان قال وكيع: حدثني هارون بن مخارق وقال ابن المرزبان: ذكر هارون بن مخارق قال: كان أبي إذا غنى هذا الصوت:

يا ربع سلمى لقد هيجت لي طرباً زدت الفؤاد على علاته وصبا

ربعٌ تبدل ممن كان يسكنه عفر الطباء وظلماناً به عسبا

يبكي ويقول: أنا مولى هذا الصوت فقلت له: وكيف ذاك يا أبت فقال: غنيته مولاي الرشيد فبكي وشرب عليه رطلاً ثم قال: أحسنت يا مخارق فسلي حاجتك فقلت: أن تعتقني يا أمير المؤمنين أعتقك الله من النار فقال: أنت حرٌ لوجه الله فأعد الصوت فأعدته فبكي وقال: سل حاجتك فقلت: يا أمير المؤمنين تأمر لي بمزل وفرش وخدام قال: ذلك لك أعد الصوت فأعدته فبكي وقال: سل حاجتك فقبلت الأرض بين يديه وقلت: حاجتي أن يطيل الله بقاءك ويدم عرك ويجعلني من كل سوء فداءك فأنا مولى هذا الصوت بعد مولاي.

### المأمون يسأل إسحاق عنه وعن ابن المهدي

وذكر محمد بن الحسن الكاتب أن أبان بن سعيد حدثه: أن المأمون سأل إسحاق عن إبراهيم بن المهدي وخارق فقال: يا أمير المؤمنين إذا تغنى إبراهيم بن المهدي بعلمه فضل مخارقاً وإذا تغنى مخارق بطبعه وفضل صوته فضل إبراهيم فقال له: صدقت.

أخبرني علي بن سليمان الأحفش قال: حدثنا المبرد بهذا الخبر فقال: حدثني بعض حاشية السلطان: أن إبراهيم الموصلي غنى الرشيد يوماً هذا الصوت فأعجب به وطرب له واستعاده مراراً فقال له: فكيف و سمعته من عبدك مخارق فإنه أحذه عني وهو يفضل فيه الخلق جميعاً ويفضلي فدعا بمخارق فأمره أن يغنيه وذكر باقي الخبر مثل الذي تقدم.

### كناه الرشيد أبا المهناً لإحسانه في الغناء

أخبرني الحسن بن علي قال: حدثنا ابن أبي الدنيا عن إسحاق بن محمد النخعي عن الحسين بن الضحاك عن مخارق: أن الرشيد قال يوماً للمغنين وهو مصطبح من منكم يعني: يا ربع سلمى لقد هيجت لي طرباً فقمتم فقلت: أنا يا أمير المؤمنين فقال: هاته فغنيته فطرب وشرب ثم قال: علي بمرثمة بن أعين فقلت في نفسي: ما يريد منه فجاءوا بمرثمة فأدخل إليه وهو يجر سيفه فقال له: يا هرثمة مخارق الشاري الذي قتلناه بناحية الموصل ما كانت كنيته فقال: أبو المهناً فقال: انصرف فانصرف ثم أقبل علي وقال: قد كنيته أبا المهناً لإحسانك وأمر لي بمائة ألف درهم فانصرفت بها وبالكنية.

### الواثق يعذر غلماناً تركوا قصره لسماعه

أخبرني جعفر بن قدامة قال: حدثني علي بن محمد بن نصر البسامي قال: حدثني خالي أبو عبد الله بن حمدون قال: رحنا إلى الواثق وأمه عليلة فلما صلى المغرب دخل إلى أمه وأمر بالأ نبرح وكان في الصحن حصرٌ غير مفروشة. فقال لي مخارق: امض بنا حتى نفرش حصيراً من هذه الحصر فنجلس على بعضه ونتكىء على المدرج منه وكانت ليلةً مقمرةً فمضينا ففرشنا بعض تلك الحصر واستلقينا وتحدثنا وأبطأ الواثق عند أمه فاندفع مخارق فغنى:

### أيا بيت ليلى إن ليلى عربية براذان لا خال لديها ولا ابن عم

فاجتمع علينا الغلمان وخرج الواثق فصاح: يا غلام فلم يجبه أحدٌ ومشى من المجلس إلى أن توسط الدار فلما رأيته بادرت إليه فقال لي: ويلك هل حدث في داري شيء فقلت: لا يا سيدي فقال: فما لي أصبح فلا أجاب! فقلت: مخارق يغني والغلمان قد اجتمعوا عليه فليس فيهم فضلٌ لسماع غير ما يسمعون منه فقال: عذرٌ والله لهم يابن حمدون وأي عذر! ثم جلس وجلسنا بين يديه إلى السحر.

### الموصلى يعرف جودة طبعه فيخصه بالتعليم

وذكر هارون بن محمد بن عبد الملك أن مخارقاً كان ينادي على اللحم الذي يبيعه أبوه فيسمع له صوتٌ عجيب فاشترته عاتكة بنت شهدة وعلمته شيئاً من الغناء ليس بالكثير ثم باعته من آل الزبير فأخذه منهم الرشيد وسلمه إلى إبراهيم الموصلى فأخذ عنه وكان إبراهيم يقدمه ويؤثره ويخصه بالتعليم لما تبينه منه ومن جودة طبعه.

### كان عبداً لعاتكة بنت شهدة الحاذقة بالغناء

أخبرني علي بن عبد العزيز الكاتب قال: حدثني ابن خرداذبه قال: كان مخارق بن يحيى بن ناووس الجزار وكان عبداً لعاتكة بنت شهدة وكانت عاتكة أحذق الناس بالغناء وكان ابن جامع يلوذ منها بالترجيع الكثير فتقول له: أين يذهب بك هلم إلى معظم الغناء ودعني من جنونك قال: فحدثني من حضرهما أن عاتكة أفرطت يوماً في الرد على ابن جامع بحضرة الرشيد فقال لها: أي أم العباس أنا - يشهد الله - أحب أن تحتك شعرتي بشعرتك فقالت له: اسكت قطع الله لسانك ولم تعاود بعد ذلك أذيته قال: وكانت شهدة أم عاتكة نائحة. هكذا ذكر ابن خرداذبه وليس الأمر في ذلك كما ذكره.

### ابن داود يغني بلحن لشهدة فيفوق المغنين

حدثني محمد بن يحيى الصولي قال: حدثنا الغلابي قال: حدثني علي بن محمد النوفلي عن عبد الله بن العباس الربيعي أنه كان هو وابن جامع وإبراهيم الموصلي وإسماعيل بن علي عند الرشيد ومعهم محمد بن داود بن علي فغنى المغنون جميعاً ثم اندفع محمد بن داود فغناه: صوت

**أم الوليد سلممتي حلمي وقتلتني فتحلي إثمي**

**بالله يا أم الوليد أما تخشين في عواقب الظلم!**

**وتركتني أبغي الطبيب وما لطبيبنا بالداء من علم**

قال: فاستحسنه الرشيد وكل من حضر وطربوا له فسأله الرشيد: عنمن أخذته فقال: أخذته عن شهدة جارية الوليد بن يزيد قال عبد الله بن العباس وهي أم عاتكة بنت شهدة. الأبيات المذكورة التي فيها الغناء لعبيد الله بن قيس الرقيات وتماها:

**لله درك في ابن عمك قد زودته سقماً على سقم**

**في وجهها ماء الشباب ولم تقبل بمكروه ولا جهم**

**والغناء فيه لابن محرز لحنان كلاهما له أحدهما ثقيل الأول بالخنصر في مجرى الوسطى عن إسحاق والآخر خفيف ثقيل الأول بالبنصر عن عمرو بن بانة وفيه لمالك ثاني ثقيل عنالواثق يوزان بين جماعة من المغنين**

**ويذكر أثر غناء مخارق**

وقال هارون بن محمد بن عبد الملك الزيات قال أبي: قال الواثق أمير المؤمنين: خطأ مخارق كصواب علوية وخطأ إسحاق كصواب مخارق وما غنائي مخارق قط إلا قدرت أنه من قلبي خلق ولا غنائي إسحاق إلا ظننت أنه قد زيد في ملكي ملكاً آخر.

قال: وكان يقول: أتريدون أن تنظروا فضل مخارق على جميع أصحابه: انظروا إلى هؤلاء الغلمان الذين يقفون في السماط. فكانوا يتفقدهم وهم وقوف فكلهم يسمع الغناء من المغنين جميعاً وهو واقف مكانه ضابط لنفسه فإذا تغنى مخارق خرجوا عن صورهم فتحركت أرجلهم ومناكبهم وبانت أسباب الطرب فيهم وازدحموا على الجبل الذي يقفون من ورائه.

**يستوقف الناس بحسن صوته في الأذان**

قال هارون: وحدثت أنه خرج مرة إلى باب الكناسة بمدينة السلام والناس يرتحلون للخروج إلى مكة فنظر عليهم واجتماعهم وازدحامهم فقال لأصحابه الذين خرجوا معه: قد جاء في الخبر أن ابن سريج كان يتغنى في أيام الحج والناس. بمن فيستوقفهم بغنائه وأسستوقف لكم هؤلاء الناس وأستلهيهم جميعاً لتعلموا أنه لم يكن

ليفضلني إلا بصنعتة دون صوته ثم اندفع يؤذن فاستوقف أولئك الخلق واستلهاهم حتى جعلت المحامل يغشى بعضها بعضاً وهو كالأعمى عنها لما خامر قلبه من الطرب لحسن ما يسمع.

### أبو العتاهية يعجب بغنائه إعجاباً شديداً

أخبرني أحمد بن جعفر جحظة قال: حدثني ابن أخت الحاركي وأبو سعيد الرامهرمزي وأخبرني علي بن سليمان الأخفش قال: حدثنا محمد بن يزيد الأزدي عن أحمد بن عيسى الجلودي عن محمد بن سعيد الترمذي - وكان إسحاق إذا ذكر محمداً وصفه بحسن الصوت ثم قال: قد أفلتنا منه فلو كان يغني لتقدمنا جميعاً بصوته - قالوا: جاء أبو العتاهية إلى باب مخارق فطرقه واستفتح فإذا مخارق قد خرج إليه فقال له أبو العتاهية: يا حسان هذا الإقليم يا حكيم أرض بابل أصيب في أذني شيئاً يفرح به قلبي وتنعم به نفسي فقال: انزلوا فترلنا فغنانا قال محمد بن سعيد: فكادت أسعى على وجهي طرباً. قال: وجعل أبو العتاهية يبكي ثم قال له: يا دواء المجانين لقد رقت حتى كدت أحسوك فلو كان الغناء طعاماً لكان غناؤك أدماً ولو كان شراباً لكان ماء الحياة.

### أبو العتاهية يشتهي سماعه عند موته

نسخت من كتاب ابن أبي الدنيا حدثني بعض خدام السلطان قال: قال رجل لأبي العتاهية وقد حضرته الوفاة: هل في نفسك شيء تشتهي قال: أن يحضر مخارق الساعة فيغنيني:

سيعرض عن ذكري وتنسى مودتي ويحدث بعدي للخليل خليل

إذا ما انقضت عني من الدهر مدتي فإن غناء الباقيات قليل

سأل أبا العتاهية عن شعره

### في تبخيل الناس

أخبرني عمي قال: حدثنا محمد بن علي بن حمزة العلوي قال: حدثنا علي بن الحسين بن الأعرابي قال: لقي مخارق أبا العتاهية فقال له: يا أبا إسحاق أنت القائل: قال له: نعم. قال: بخلت الناس جميعاً. قال: فاصرف بطرفك يا أبا المهنا فانظر فإنك لن ترى إلا بخيلاً وإلا فأكذبني بجواد واحد فالتفت مخارق يميناً وشمالاً ثم أقبل عليه فقال: صدقت يا أبا إسحاق فقال له أبو العتاهية: فديتك لو كنت مما يشرب لذرت على الماء وشربت.

غنى بين قبرين فترك الناس أعمالهم

والتفوا حوله

أخبرني إسماعيل بن يونس الشيعي قال: حدثنا عمر بن شبة قال: حدثني بعض آل نوبخت قال: كان أبي وعبد الله بن أبي سهل وجماعة من آل نوبخت وغيرهم وقوفاً بكتاسة الدواب في الجانب الغربي من بغداد يتحشون فإنهم كذلك إذ أقبل مخارق على حمار أسود وعليه قميص رقيق ورداء مسهم قال: فيمن كنتم فأخبروه فقال: دعوني من وسواسكم هذا أي شيء لي عليكم إن رميت بنفسي بين قبرين من هذه القبور وغطيت وجهي وغنيت صوتاً فلم يبق أحدٌ بهذه الكناسة ولا في الطريق من مشترٍ ولا بائعٍ ولا صادرٍ ولا واردٍ إلا ترك عمله وقرب مني واتبع صوتي فقال له عبد الله: إني لأحب أن أرى هذا فقل ما شئت فقال: فرسك الأشقر الذي طلبته منك فمنعتني قال: هو لك إن فعلت ما قلت ثم دخلها ورمى بنفسه بين قبرين وتغطى بردائه ثم اندفع يغني فغني في شعر أبي العتاهية:

### نادت بوشك رحيلك الأيام أفلست تسمع أم بك استصمام!

قال: فرأيت الناس يتقوضون إلى المقبرة أرسالاً من بين راكب وراجل وصاحب شول وصاحب جدي ومار بالطريق حتى لم يبق بالطريق أحد ثم قال لنا من تحت رداءه: هل بقي أحد قلنا: لا وقد وجب الرهن فقام فركب حماره وعاد الناس إلى صنائعهم فقال لعبد الله: أحضر الفرس فقال: على أن تقيم اليوم عندي قال: نعم فانصرفنا معهما وسلم الفرس إليه وبره وأحسن إليه وأحسن رفده.  
نسبة هذا الصوت صوت

### نادت بوشك رحيلك الأيام أفلست تسمع أم بك استصمام!

ومض أمامك من رأيت وأنت لل باقين حتى يلحقوك إمام

مالي أراك كأن عينك لا ترى عبراً تمر كأنهن سهام

تمضي الخطوب وأنت منتبئة لها فإذا مضت فكأنها أحلام

الشعر لأبي العتاهية والغناء لإبراهيم ثقل أول بالوسطى وفيه لمخارق هزج بالوسطى كلاهما عن عمرو وفيه رمل يقال: إنه لعلوية ويقال: إنه لمخارق عن الهشامي.

### بكى أبو العتاهية حين سمع لحنه

أخبرني جحظة قال: ذكر ابن المكي المرتجل عن أبيه: أن أبا العتاهية دخل يوماً إلى صديق له وعنده جارية تغني فقال: يا أبا إسحاق إن هذه الجارية تغني صوتاً حسناً في شعر لك أفتنشط إلى سماعه قال: هاتيه فغننته لحناً لعمرو بن بانة في قوله: نادت بوشك رحيلك الأيام فعبس وبسر وقال: لا جزى الله خيراً من صنع هذه الصنعة في شعري قال: فإنها تغني فيه لحناً لمخارق قال: فلتغنه فغننته فأعجبه وطرب حتى بكى ثم قال: جزا الله هذا عني خيراً وقام فانصرف.

وقد روى هذا الخبر هارون بن الزيات عن حماد بن إسحاق عن أبيه عن غزوان: أنه كان وعبيد الله بن أبي غسان وأبو العتاهية ومحمد بن عمر الرومي عند ابن مريم ومعهم مغنية نادى بوشك رحيلك الأيام فلم يستحسنه أبو العتاهية ثم غنى فيه لحناً لإبراهيم بن المهدي فأطربه وقال: جزى الله عني هذا خيراً. أخبرني إسماعيل بن يونس الشيعي قال: حدثنا عمر بن شبة قال: بلغني أن المتوكل دخل إلى جارية من جواريه وهي تغني: صوت

**أمن قطر الندى نظمت تغرك أم من البرد!**

**وريقك من سلاف الكرم أم من صفوة الشهد!**

**أيا من قد جرى مني كمجرى الروح في الجسد**

**ضميرك شاهدي فيما أقاسيه من الكمد**

والغناء لمخارق رمل فقال لها: ويحك لمن هذا الغناء فقالت: أخذته من مخارق قال: فألقيه على الجوّاري جميعاً ففعلت فلما أخذته عنها أمر بإخراجهن إليه ودعا بالنبيذ وأمر بالألّا يغنيه غيره ثلاثة أيام متوالية وكان ذلك بعد وفاة مخارق.

أدخل أبا المضاء الأسدي بيته وسقاه وغناه وكساه فقال فيه شعراً سألت أبا المضاء الأسدي أن ينشدني فقال: أنشدك من شعري شيئاً قلته لرجل لقيته على الجسر ببغداد فأعجبه مني ما يرى من دماثي وأقبلت أحدثه وهو ينصت لي وأنشده وهو يحسن الإصغاء إلى إنشادي ويحدثني فيحسن الحديث حتى بلغنا منزله فأدخلني فغداً ثم لم يرم حتى كساني وسقاني فرواني ثم أسمعني والله شيئاً ما طار في مسامعي شيء قط أحسن منه فلما خرجت سألت عنه فقال لي غلمانته: هذا أبو المهنا مخارق فقلت فيه:

**أعاد الله يوم أبي المهنا علينا إنه يوم نصير**

**تغيب نحسه عنا وأرعى علينا وابلّ جوّد مطير**

**فلما أن رأيت القطر فوقي وأقداحاً يحث بها المدير**

**وأسعدنا بصوت لو وعاه ولي العهد خف به السرير**

تذكرت الحبيب وأهل نجد وروضاً نبته غض نصير قال: فقلت له: ولم ذكرت نجداً مع ما كنت فيه وكان ينبغي لك أن تنساه قال: كلا إن المرء إذا كان فيما يجب تذكر أهله قلت: فما غناك قال: غنائي:

**وما روضة جاد الربيع بهطله عليها فرواها ورقّت غصونها**

**وهبت عليه الريح حتى تبسمت وحتى بدت فوق الغصون عيونها**

وقد أنطقته والشمال جريةً على عقد ما تلقي عليها يمينها

قال: فلم يزل يردده علي حتى قضيت وطري من لذتي وحفظته عنه.

### غنى لإبراهيم الموصلي فنشج أحر نشيج

أخبرني جحظة قال: حدثني حماد بن إسحاق عن أبيه قال: دخلت على جدك إبراهيم وهو جالس بين بايين له ومخارق بين يديه يغنيه:

يا ربع بشرة إن أضربك البلى فلقد رأيتك أهلاً معموراً

قال: واللحن الذي كان يغنيه لمالك وفيه عدة ألحان مشتركة فرأيت دموع أبي تجري على خديه من أربعة أماكن وهو ينشج أحر نشيج فلما رأي قال: يا إسحاق هذا والله صاحب اللواء غداً إن مات أبوك.

### رأى رؤيا فسرّها إبراهيم الموصلي

#### بأن إبليس قد عقد له لواء صنعة الغناء

أخبرني الحسن بن علي الخفاف قال: حدثني محمد بن القاسم بن مهرويه قال: حدثني هارون بن مخارق عن أبيه قال: رأيت وأنا حدث كأن شيخاً جالساً على سرير في روضة حسنة قد دعاني فقال لي: غني يا مخارق فقلت: أصواتاً تقترحه أم ما حضر فقال: ما حضر فغنيت بصنعتي في: صوت

دعي القلب لا يزدد خبالاً مع الذي به منك أو داوي جواه المكتما

وليس بتزويق اللسان وصوغه ولكنه قد خالط اللحم والدماء

ولحن مخارق فيه ثقل أول وفيه لابن سريج رمل.

قال: فقال لي: أحسنت يا مخارق ثم أخذ وتراً من أوتار العود فلفه على المضراب ودفعه إلي فجعل المضراب يطول ويغلظ والوتر ينتشر ويعرض حتى صار المضراب كالرمح والوتر كالعذبة عليه وصار في يدي علماً ثم انتهت فحدثت برؤياي إبراهيم الموصلي فقال لي: الشيخ بلا شك إبليس وقد عقد لك لواء صنعتك فأنت ما حييت رئيس أهلها.

قال مؤلف هذا الكتاب: وأظن أن الشاعر الذي مدح مخارقاً إنما عنى هذه الرؤيا بقوله:

لقد عقد الشيخ غر آدماء وأخرجه من جنة وحدائق

لواءي فنونٍ للقرىض وللغنا وأقسم لا يعطيها غير حاذق

وذكر محمد بن الحسن الكاتب أن هارون بن مخارق حدثه فقال:

كان الواثق شديد الشغف بأبي وكان قد اقتطعه عنا وأمر له بحجرة في قصره وجعل له يوماً في الأسبوع لنوبته في

متزله وكان جواريه يحتلفن لذلك اليوم قال: فانصرف إلينا مرة في نوبته فصلى الغداة مع الفجر على أسرة في صحن الدار في يوم صائفٍ وجلس يسبح فما راعنا إلا خدماً بيضاً قد دخلوا فسلموا عليه وقالوا: إن أمير المؤمنين قد دعا بنا في هذه الساعة فأعدنا عليه الصوت الذي طرحته علينا فلم يرضه من أحدٍ منا وأمرنا بالمصير إليك لنصححه عليك قال: فأمر غلمانَه فطرحوا لهم عدة كراسي فجلسوا عليها ثم قال لهم: ردوا الصوت فردوه فلم يرضه من أحدٍ منهم فدعا بجاريته عميم فردته عليهم فلم يرضه منها قال: فتحول إليهم ثم اندفع فرد الصوت على الخدم فخرج الوصائف من حجر جواريه حتى وقفن حوالي الأسرة ودخل غلامٌ من غلمانَه وكان يستقي الماء فهجم على الصحن بدلوه وجاءت جارية على كتفها جرة من جرار المزملاات حتى وقفت بالقرب منه قال: وسبقتني عيناى فما كفت دموعها حتى فاضت.

ثم قطع الصوت حين استوفاه فرجع الوصائف الأصاغر سعيماً إلى حجر الجوارى وخرج الغلام السقاء يشدد إلى بغلة ورجعت الجارية الحاملة الجرة المزملة شداً إلى الموضع الذي خرجت منه فتبسم أبي وقال: ما شأنك يا هارون فقلت: يا أبت جعلني الله فداك ما ملكت عيني قال: وأبوك أيضاً لم يملك عينه.

### نام في بيت ابن المهدي وهو يغني

#### ثم انتبه وأكمل الغناء

وذكر هارون بن الزيات عن أصحابه قال: جمع إبراهيم بن المهدي المغنين ذات يوم في منزله فأقاموا فلما دخلوا في الليل مثل مخارق وسكر سكرًا شديدًا فسألوه أن يغني صوتاً فغنى هذا البيت من شعر عمر بن أبي ربيعة المخزومي:

#### قال: ساروا وأمعنوا واستقلوا وبرغمي لو استطعت سبيلا

فانتهى منه إلى قوله: واستقلوا. وانثنى نائماً فقال إبراهيم بن المهدي: مهذوه ولا تزعجوه فمهذوه ونام حتى مضى أكثر الليل ثم استقل من نومه فانتهى وهو يغني تمام البيت: وبرغمي لو استطعت سبيلا وهو تمام البيت من حيث قطعه وسكت عليه من صوته.

قال: فجعل إبراهيم يتعجب منه ويعجب منه من حضره من جودة طبعه وذكائه وصحة محمد بن الحسن بن مصعب يسأل إسحاق عنه وعن إبراهيم بن المهدي: أيهما أحذق غناء حدثنا يحيى بن علي بن يحيى المنجم قال: حدثنا حماد بن إسحاق قال: قال محمد بن الحسن بن المهدي: قلت لإسحاق يوماً: أسألك بالله إلا صدقتني في مخارق وإبراهيم بن المهدي أيهما أحذق وأحسن غناء فقال لي إسحاق: أجاد أنت والله ما تقاربا قط والدليل على فضل مخارق عليه أن إبراهيم لا يؤدي صوتاً قديماً ثقيلاً جيداً أبداً ولا يستوفيه وإنما يغني الأهازج والغناء الخفيف وأما الذي فيه عمل شديد فلا يصيبه.

#### طلب منه سعيد بن سم الغناء

### في شعر ضعيف

أخبرني يحيى قال: حدثنا أبو أيوب المدني قال: حدثني بعض ولد سعيد بن سلم قال: دخل مخارق على سعيد بن سلم فسأله حاجة فلما خرج قيل له: أما تعرف هذا هذا مخارق فقال ويحكم! دخل ولم نعرفه وخرج ولم نعرفه فردوه فقال له: دخلت علينا ولم نعرفك فلما عرفناك أحببنا إلا تخرج حتى نسمعك فقال له: أي شيء تشتهي أن أسمعك فقال:

### يا ريح ما تصنعين بالدمن كم لك من محو منظر حسن!

فغناه مخارق فلما خرج قال لبعض بنيه: أبوكم هذا نكس يتشهى على مثلي: يا ريح ما تصنعين بالدمن أخبرنا يحيى بن علي قال: حدثنا حماد بن إسحاق قال: حدثني عمي محمد قال: سمعت أبي يقول وقد غنى مخارق: نعم الفسيلة غرس إبليس في الأرض.

### جاريته تغني صوتاً له بحضرتة فتحسن

أخبرني عمي قال: حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال: حدثني محمد بن محمد قال: سمع محمد بن سعيد القاريء مهدية جارية يعقوب بن الساحر تغني صوتاً لمخارق بحضرتة وقد كانت أخذته عنه وهو:

ما لقلبي يزداد في اللهو غياً والليالي قد أنضجتني كيا

سهلت بعدك الحوادث حتى لست أخشى ولا أحاذر شيئاً

فأحسنت فيه ما شاءت وانصرف محمد بن سعيد وقرأ على لحنه: " يا يحيى خذ الكتاب بقوة ". قصة رجل حلف بالطلاق أن يسمعه ثلاث مرات حدثني عمي قال: حدثنا عبد الله قال: حدثني محمد قال: كنت عند مخارق وأنا وهارون بن أحمد بن هشام فلعب مع هارون بالنرد فقمرة مخارق مائي رطل باقلاً طرياً فقال مخارق: وأنتم عندي أطعمكم من لحم جزور من الصناعة يعني من صناعة أبيه يحيى بن ناووس الجزار.

قال: ومر بهارون بن أحمد فصيلٌ ينادى عليه فاشتره بأربعة دنانير ووجه به إلى مخارق وقال: يكون ما تطعمنا من هذا الفصيل فاجتمعنا وطبخ مخارق بيده جزوريةً وعمل من سنامه وكبده ولحمه غضائر شويت في التنور وعمل من لحمه لوناً يشبه الهريسة بشعير مقشر في نهاية الطيب فأكلنا وجلسنا نشرب فإذا نحن بامرأة تصيح من الشط: يا أبا المهنا الله الله في حلف زوجي علي بالطلاق أن يسمع غناءك ويشرب عليه فقال: اذهبي وجيئي به فجاء فجلس فقال له: ما حملك على ما صنعت فقال له: يا سيدي كنت سمعت صوتاً من صنعتك فطربت عليه حتى استخفني الطرب فحلفت أن أسمعه منك ثقة بإيجابك حق زوجي صوت

بكرت علي فهيجت وجدا هوج الرياح وأذكرت نجدا

### أتحن من شوق إذا ذكرت نجدٌ وأنت تركتها عمدا

الشعر لحسين بن مطير والغناء لمخارق ثقيل أول وفيه لإسحاق ثقيل أول آخر فغناه إياه رطلاً وأمره بالانصراف ونهاه أن يعاود وخرج. فما لبثنا أن عادت المرأة تصرخ: الله الله في يا أبا المهنا قد أعاد زوجي المشؤون اليمين أنك تغنيه صوتاً آخر فقال لها: أحضره فأحضرتة أيضاً فقال له: ويلك ما لي ولك! أي شيء قصتك! فقال له: يا سيدي أنا رجل طروب وكنت قد سمعت صوتاً لك آخر فاستغفني الطرب إلى أن حلفت بالطلاق ثلاثاً أي أسمعك منك قال: وما هو قال لحنك:

### أبلغ سلامة أن البين قد أفدا وأن صحبتك عنها رائحون غدا

### هذا الفراق يقينا إن صبرت له أو لا فإنك منها ميت كمد

### لا شك أن الذي بي سوف يهلكني إن كان أهلك حب قبله أحدا

فغناه إياه مخارق وسقاه رطلاً وقال له: احذر ويلك أن تعاود فانصرف. ولم تلبث أن عاودت الصياح تصرخ: يا سيدي قد عاود اليمين ثلاثة الله الله في وفي أولادي قال: هاتيه فأحضرتة فقال لها: انصربي أنت فإن هذا كلما انصرف حلف وعاد فدعيه يقيم يومه كله فتركته وانصرفت فقال له مخارق: ما قصتك أيضاً قال: قد عرفتك يا سيدي أنني رجل طروب وكنت سمعت صوتاً من صنعتك فاستغفني الطرب له فحلفت أي أسمعك منك قال: وما هو قال:

### ألف الطربي بعادي ونفى الهم رقادي

### وعدا الهجر على الوصل بأسيايف حداد

### قل لمن زيف ودي: لست أهلاً لوادي

قال: فغناه إياه وسقاه رطلاً ثم قال: يا غلام مقارع فجيء بها فأمر به فبطح وأمر بضربه فحسب مفرعة وهو يستغيث فلا يكلمه ثم قال له: احلف بالطلاق أنك لا تذكرني أبداً وإلا كان هذا دأبك إلى الليل فحلف بالطلاق ثلاثاً على ما أمره به ثم أقيم فأخرج عن الدار فجعلنا نضحك بقية يومنا من حمقه. أشرف من بيته على القبور وغنى باكياً أخبرني عمي قال: حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال: حدثنا أحمد بن محمد قال: حدثني إسحاق بن عمر بن بزيع قال: أتيت مخارقاً ذات يوم ومعني زرزورٌ الكبير لنقيم عنده فوجدته قد أخرج رأسه من جناح له وهو مشرف على المقابر يغني هذا البيت ويكي: أين الملوك التي كانت مسلطة قال: فاستحسنا ما سمعناه منه استحسان من لم يسمع قط غناءً غيره فقال لنا: انصرفوا فليس في فضل اليوم بعد ما رأيتم. قال محمد: وكان والله مخارق ممن لو تنفس لأطرب من يسمعه استماع نفسه.

### سمعت الأطباء غناءه فوقفت

### بالقرب منه مصغية

وذكر محمد بن الحسن الكاتب أن محمد بن أحمد بن يحيى المكي حدثه عن أبيه قال: خرج مخارق مع بعض إخوانه إلى بعض المنتزهات فنظر إلى قوس مذهبة مع أحد من خرج معه فسأله إياها فكأن المسؤول ضن بها. قال: وسنحت ظباء بالقرب منه فقال لصاحب القوس: أرأيت إن تغنيت صوتاً فعطفت عليك به حدود هذه الظباء أتدفع إلي هذه القوس قال: نعم فاندفع يغني.

**ماذا تقول الظباء أفرقة أم لقاء!**

**أم عهدا بسليمي وفي البيان شفاء!**

**مرت بنا سانحات وقد دنا الإماء**

**فما أحارت جواباً وطال فيها العناء**

في هذه الأبيات ليحيى المكي ثقيل أول بالوسطى.

قال: فعطفت الظباء راجعةً إليه حتى وقفت بالقرب منه مستشرقةً تنظر إليه مصغية تسمع صوته فعجب من حضر من رجوعها ووقوفها وناوله الرجل القوس فأخذها وقطع الغناء فعاودت الظباء نفاها ومضت راجعةً على سننها.

### غنى وسط دجلة فتسابق الناس لسماعه

قال ابن المكي: وحدثني رجلٌ من أهل البصرة كان يألف مخارقاً ويصحبه قال: كنت معه مرة في طيار ليلاً وهو سكران فلما توسط دجلة اندفع بأعلى صوته فغنى فما بقي أحدٌ في الطيار من ملاح ولا غلام ولا خادم إلا بكى من رقة صوته ورأيت الشمع والسرّج من جانبي دجلة في صحون القصور والدور يتساعون بين يدي أهلها يستمعون غناءه.

حدثني الصولي قال: حدثني محمد بن عبد الله التميمي الحزنبلي قال: كنا في مجلس ابن الأعرابي إذ أقبل رجلٌ من ولد سعيد بن سلم كان يلزم ابن الأعرابي وان يحبه ويأنس به فقال له: ما أخرج عني فاعتذر بأشياء منها أنه قال: كنت مع مخارق عند بعض بني الرشيد فوهب له مائة ألف درهم على صوت غناه إياه فاستكثر ابن الأعرابي ذلك واستهوله وعجب منه وقال له: بأي شيء غناه قال: غناه بشعر العباس بن الأحنف: صوت

**بكت عيني لأنواع من الحزن وأوجاع**

**وإني كل يوم عن دكم يحظى بي الساعي**

فقال ابن الأعرابي: أما الغناء فما أدري ما هو ولكن هذا والله كلام قريب مليح.  
لحن مخارق في هذين البيتين ثقيل أول من جامع صنعته وفيهما لإبراهيم الموصلي ثاني ثقيل بالوسطى عن عمرو  
بن بانه. وذكر حبش أن فيهما لإبراهيم بن المهدي لحناً ماخورياً.

### نصح ابن المهدي شارية بألا تتشبه به

#### في تزايدها وإلا هلكت

غنت شارية يوماً بحضرة أبي صوتاً فأحد النظر إليها وصبر حتى قطعت نفسها ثم قال لها: أمسكي فأمسكت فقال  
لها: قد عرفت إلى أي شيء ذهبت أردت أن تتشبهي بمخارق في تزايدها قالت: نعم يا سيدي.  
قال: إياك ثم إياك أن تعودى فإن مخارقاً خلقه الله وحده في طبعه وصوته ونفسه يتصرف في ذلك أجمع كيف  
أحب ولا يلحقه في ذلك أحد وقد أراد غيرك أن يتشبه به في هذه الحال فهلك وافتضح ولم يلحقه فلا أسمعك  
تعرضين لمثل هذا بعد وقتك هذا

### غلمان المعتصم يتركونه لسماع مخارق

أخبرني عمي قال: حدثني علي بن محمد بن نصر البسامي قال: حدثني خالي أبو عبد الله عن أبيه قال: كنا بين  
يدي المعتصم ذات ليلة نشرب إلى أن سكرنا جميعاً فقام فنام وتوسدنا بأيدينا ونمنا في مواضعنا ثم انتبه فصاح فلم  
يجبه أحد وسمعنا صياحه فتبادرنا نسأل عن الغلمان فإذا مخارق قد انتبه قبلنا فخرج إلى الشط يتنسم الهواء واندفع  
يعني فتلاحق به الغلمان جميعاً فجئت إلى المعتصم فأخبرته وقلت: مخارق على الشط يعني والغلمان قد اجتمعوا  
عليه فليس فيهم فضلٌ لشيء غير استماعه فقال لي: يابن حمدون عذرٌ والله وأي عذر! ثم جلس وجلسنا بين يديه  
إلى السحر.

### المأمون يسأل إسحاق عن غناء مخارق

#### وإبراهيم بن المهدي

وذكر محمد بن الحسن الكاتب أن أبان بن سعيد حدثه: أن المأمون سأل إسحاق بن إبراهيم المهدي ومخارق  
فقال: يا أمير المؤمنين إذا تغنى إبراهيم بعلمه فضل مخارقاً وإذا تغنى مخارقاً بطبعه وفضل صوته فضل إبراهيم فقال  
له: صدقت.

غنى الأمين فخلع عليه جبة ثم ندم

#### حين رآها عليه

نسخت من كتاب هارون بن الزيات: حدثني هارون بن مخارق عن أبيه قال: دعاني محمد الأمين يوماً وقد اصطبح فاقترح علي:

### استقبلت ورق الريحان تقطفه وعنبر الهند والوردية الجددا

### ألست تعرفني في الحي جاريةً ولم أحنك ولم ترفع إلي يدا

فغنيته إياه فطرب طرباً شديداً وشرب عليه ثلاثة أرطال ولاءً وأمر لي بألف دينار وخلع علي حبة وشي كانت عليه مذهبة ودراعةً مثلها وعمامةً مثلها تكاد تعشي البصر من كثرة الذهب فلما لبست ذلك وراه علي ندم وكن كثيراً ما يفعل ذلك فقال لبعض الخدم: قل للطباخ يأتينا بمصليمة معقودة الساعة فأتي بها فقال لي: كل معي وكنت أعرف الناس بمذهبه وبكراهته لذلك فامتنعت. فحلف أن أكل معه فحين أدخلت يدي في الغضارة رفع يده ثم قال: أف نغصتها علي والله وقدرتها عندي بإدخالك يدك فيها ثم رفس القصعة رفسةً فإذا هي في حجري وودكها يسيل على الخلعة حتى نفذ إلى جلدي فقمتم مبادراً فترعتها وبعثت بها إلى منزلي وغيرت ثيابي وعدت وأنا مغمومٌ منها وهو يضحك فلما رجعت إلى منزلي جمعت كل صانع حاذق فجهدوا في إخراج ذلك الأثر منها فلم يخرج ولم أنتفع بها حتى أحرقتها فأخذت ذهبها وضرب الدهر بعد ذلك ضرباته.

يؤاكل المأمون ويغنيه فيعبس في وجهه ثم يدعوه ثانية ويكافئه ثم دعاني المأمون يوماً فدخلت إليه وهو جالس وبين يديه مائدةٌ عليها رغيفان ودجاجتان فقال لي: تعال فكل فامتنعت فقال لي: تعال ويلك فساعدني. فجلست فأكلت معه حتى أقول

### التماس العذر لما ظلمتني وحملتني ذنباً وما كنت مذنباً

فقلت: نعم يا سيدي قال: غنه فغنيته فعبس في وجهي ثم قال: قبحك الله أهكذا يغني هذا! ثم أقبل علي علوية فقال: أتغنيه قال: نعم يا سيدي قال: غنه فغناه فوالله ما قاربني فيه فقال: أحسنت والله وشرب رطلاً وأمر له بعشرة آلاف درهم واستعاده ثلاثاً وشرب عليه ثلاثة أرطال يعطيه مع كل عشرة آلاف درهم ثم حذف بإصبعه وقال: برقٌ يمان وكان إذا أراد قطع الشراب فعل ذلك وقمنا فعلت من أين أتيت.

فلما كان بعد أيام دعاني فدخلت إليه وهو جالس في ذلك الموضع بعينه يأكل هناك فقال لي: تعال ويلك فساعدني فقلت: الطلاق لي لازم إن فعلت فضحك ثم قال: ويلك أتراني بخيلاً على الطعام! لا والله ولكنني أردت أن أؤدبك إن السادة لا ينبغي لعبيدها أن تؤاكلها أفهمت فقلت: نعم قال: فتعال الآن فكل علي الأمان فقلت: أكون إذاً أول من أضاع تأديبك إياه واستحق العقوبة من قريب فضحك حتى استغرب ثم أمر لي بألف دينار ومضيت إلى حجرتي المرسومة لي للخدمة وأتيت هناك بطعام فأكلت ووضع النبيذ ودعاني وبعلوية فلما جلسنا قال له: يا علي أتغني:

ألم تقولني: نعم قالت: أرى وهماً مني وهل يؤخذ الإنسان بالوهم!

فقال: نعم يا سيدي فقال: هاته فغناه فعبس في وجهه وبسر وقال: قبحك الله أتغني هذا هكذا! ثم أقبل علي فقال: أتغنيه يا مخارق فقلت: نعم يا سيدي وعلمت أنه أراد أن يستقيد لي من علوية ويرفع مني وإلا فما أتى علوية بما يعاب فيه فغنيته فطرب وشرب رطلاً وأمر لي بعشرة آلاف درهم وفعل ذلك ثلاث مرات كما فعل به.

ثم أمر بالانصراف فانصرفنا وما عاودت بعد ذلك مؤاكلة خليفة إلى وقتنا هذا.  
نسبة ما في هذا الخبر من الغناء صوت

**استقبلت ورق الريحان تقطفه وعنبر الهند والوردية الجددا**

**ألست تعرفني في الحي جاريةً ولم أخنك ولم تمدد إلي يدا**

الشعر - فيما يقال - لعمر بن أبي ربيعة والغناء للغريض خفيف رمل بالسبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق وأصله يمانى وفيه لابن جهم هزج.

صوت

**أقول التماس العذر لما ظلمتني وحملتني ذنباً وما كنت مذنباً**

**هيبني أمراً إما بريئاً ظلمته وإما مسيئاً قد أناب وأعتبا**

صوت

**ألم تقولي: نعم قالت: أرى وهماً مني وهل يؤخذ الإنسان بالوهم!**

**قولي: نعم إن " لا " إن قلنقاتلتيما إذا تريدين من قتلي بغير دم!**

الغناء لسياط خفيف رمل بالبنصر عن عمرو ولم يقع إلي لمن الشعر.

يتنافس هو وعلوية في غناء صوت فيسبق علوية قال هارون: وحدثني أبو معاوية الباهلي قال: حضرت علوية ومخارقاً مجتمعين في مجلس فغنى علوية صوتاً فأحسن فيه وأجاده فأعاده مخارق وبرز عليه وزاد فرده علوية وتعمل فيه واجتهد فزاد على مخارق فجتا مخارق على ركبتيه وغناه وصاح فيه حتى اهتز منكباه فما ظننا إلا أن الأرض قد زلزلت بنا وغلب والله ما سمعنا على عقولنا ونظرت إلى لون علوية وقد امتقع وطار دمه فلما فرغ مخارق توقعنا أن يغني علوية فما فعل ولا غنى بقية يومه. قال: وكان مخارق إذا صاح قطع أصحاب النيات.

سأله الأمين أن يغنيه أصواتاً فلم يحسن فأرسله إلى إسحاق ليعلمه أخيرني وسواسة بن الموصلي وهو أحمد بن إسماعيل بن إبراهيم قال: حدثنا حماد بن قال لي مخارق: دعاني يوماً محمد المخلوع فدخلت عليه وعنده إبراهيم بن المهدي فقال: غني يا مخارق فغنيته أصواتاً عديدة فلم يطرب لها وقال: هذا كله معاد فغني: قد أزمعت للبين هنداً زياها فقلت: لا والله ما أحسنه فقال: غني: لا والذي نحررت له البدن فقلت: لا والله ما أحسنه فقال: غني: يا دار سعدى سقى أطلالك الديما فقلت: لا والله لا أحسنه فغضب وقال: ويلك! أسألك عن ثلاثة أصوات فلا

تحسن منها واحداً! فقال له إبراهيم بن المهدي: وما ذنبه إسحاق أستاذه وعليه يعتمد وهو يضايقه في صوت يعلمه إياه فقلت: قد والله صدق ما يعطيني شيئاً ولا يعلمنيه قال: فما دواؤه فقد والله أعياني فقال له إبراهيم: توكل به من يصب على رأسه العذاب حتى يعلمه مائة صوت قال: أما بعد فبعيد ولكن اذهب إيه عني فمره أن يعلمك هذه الثلاثة الأصوات فإن فعل وإلا فصب السوط على رأسه حتى يعلمك.

يذهب إلى إسحاق ليعلمه فيكلمه إلى جارية له فدخلت إلى إسحاق فجلست بغير أمره وسلمت سلاماً منكراً. ثم أقبلت عليه فقلت:

يأمرك أمير المؤمنين أن تعلمني كذا وكذا قال: ما أحسنه فقلت: إني أنفذ فيك ما أمرني به فقال: تنفذ في ما أمرت به ألا تستحي ويحك ميني ومن تربيته إياك! قلت: فلا بد من أن تعلمني ما أمرك به أمير المؤمنين قال: فإني لست أحسنه ولكن فلانة تحسنه هاتوها. فجاءت وجعلت تطارحني حتى أخذت الأصوات الثلاثة وجعل كل من جاء يومئذ لا يحجبه ليروي وجاريتته تطارحني.

فلما أخذت الأصوات رجعت إلى محمد وأخبرته الخبر وحضر إسحاق فغنيته إياها فطرب وجعل إبراهيم بن المهدي يقول: أحسن والله أحسن والله فلما فرغت قال إسحاق: لا والله ما أحسن ولا أصاب هو ولا إبراهيم في استحسانه ولقد جهدت الجارية جهدها أن يأخذها عنها لقم يتوجه له ثم اندفع فغناها فكأني والله كنت ألعب عندما سمعت.

ثم أقبل على إبراهيم بن المهدي فقال له: كم أقول لك: ليس هذا من علمك ولا مما تحسنه وأنت تكابر وتدخل نفسك فيما لا تحسنه! فقال: ألا تراه يا أمير المؤمنين يصبرني مغنياً! فقال له إسحاق: ولم تجحد ذلك! أو أسررت إلي منه شيئاً لم تظهره للناس وتعلمهم إياه! ومتى صرت تأنف من هذا وأنت تتبجح به! فليتك تحسنه والله ما تفرق بين الخطأ والصواب فيه وإن شئت الآن ألقيت عليك ثلاثين مسألة من أي علم شئت فإن أجبت واحدة منهن وإلا علمت أنك متكلف. فقال: يا أمير المؤمنين يستقبلي بهذا بين يديك! قال: وما هذا مما لا أستقبلك به فقال له محمد: نعم اختر ما شئت حتى نسألك عنه فقال: إنما يفعل هذا الصبيان وانكسر حتى رحمته فقلت لحمد: يا أمير المؤمنين لعلك ترى مع هذا القول أنه لا يحسن بلى والله إنه ليحسن كل شيء ما يقدر أحد أن يقول هذا غيري وإنه ليتقدم كثيراً من الناس في كل شيء فجعل محمد يضحك وهو يقول تشجحه بيدٍ وتدهنه بيدٍ وتجرحه بيدٍ وتأسوه بيداً!

نسبة هذه الأصوات صوت

لقد أنمعت للبين هندُ زيالها وزموا	إلى أرض العراق جمالها
فما ظبيةٌ أدماء واضحة القرا	تتنص إلى برد الظلال غزالها
تحت بقرنيها برير أراكة وتعطو	بظلفيها إذا الغصن طالها
بأحسن منها مقلّة ومقلداً وجيداً	إذا دنت تنوط شكالها

الشعر لكثير والغناء لمعبد خفيف ثقيل أول بالوسطى عن عمرو وفيه لابن سريج في الثالث والثاني ثقيل أول بالسبابة في مجرى البنصر عن إسحاق وإبراهيم ثقيل أول بالوسطى عن عمرو في الثاني ثم في الثالث وفي كتاب حكم: لحكم فيه خفيف ثقيل وعن حبش لطويس فيه رمل بالوسطى وذكر أيضاً أن لحن معبد ثاني ثقيل. صوت

يا دار سعدى سقى أطلالك الديما  
مسقي الروايا وإن هيجت لي سقما  
دارٌ خلّت وعفت منها معالمها  
إلا الثمام وإلا النوي والحمما

الغناء لقسفا النجار ثقيل أول بالوسطى عن عمرو والهشامي وإبراهيم. صوت

لا والذي نحررت له البدن  
وله بمكة قبل الركن  
ما زلت يا سكني أبا أرق  
متكناً بي الهم والحزن  
أخشى عليك وبعضه شفق  
أن يفتنوك وأنت مفتتن

الغناء لابن سريج رمل بإطلاق الوتر في مجرى البنصر عن إسحاق وذكر الهشامي أنه لسليمان الوادي أوله فيه لحن ونسبه إبراهيم إلى ابن عباد ولم يجنسه. أخبرني عمي: حدثنا أحمد بن أبي طاهر قال: حدثني عبد الوهاب المؤذن قال: انحدرنا مع المعتصم من السن ونحن في حراقتة وحضر وقت الأذان فأذنت فلما فرغت من الأذان اندفع مخارق بعدي فأذن وهو جاث على ركبتيه فتمنيت والله أن دجلة أهرقت لي فغرقت فيها. غضب عليه المعتصم ثم صالحه وأعادته إلى مرتبته أخبرني عمي قال: حدثني عبد الله بن عبد الله بن حمدون قال: حدثني أبي قال: غضب المعتصم على مخارق فأمر به أن يجعل في المؤذنين ويلزمهم ففعل ذلك وأمهل حتى علم أن المعتصم يشرب وأذنت العصر فدخل هو إلى الستر حيث يقف المؤذن للسلام ثم رفع صوته جهده وقال: السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته الصلاة يرحمك الله فبكى حتى جرت دموعه وبكى كل من حضره ثم قال: أدخلوه إلي ثم أقبل علينا وقال: سمعتم هكذا قط! هذا الشيطان لا يترك أحداً يغضب عليه فأمر به فأدخل إليه فقبل الأرض بين يديه فدعاه المعتصم إليه وأعطاه يده فقبلها وأمره بإحضار عوده فأحضر فأعادته إلى مرتبته. إسحاق الموصلي بيدي رأيه في علوية ومخارق وجدت في بعض الكتب عن علي بن محمد البسامي عن جده حمدون بن إسماعيل قال: غنى علوية يوماً بين يدي إسحاق الموصلي:

هجرتك إشفاقاً عليك من الأذى  
وخوف الأعاذي واتقاء النمائ

فقال له إسحاق: أحسنت يا أبا الحسن أحسنت واستعادته ثلاثاً وشرب فقال له علوية: يا أستاذ أين أنا الآن من صاحبي - يعني مخارقاً - مع قولك هذا لي فقال: لا ترد أن تعرف هذا قال: بي والله إلى معرفته أعظم الحاجة

فقال: إذا غنيتما ملكا اختاره عليك وأعطاه الجائزة دونك فضجر علوية وقال لإسحاق: أف من رضاك وغضبك!.

نسبة هذا الصوت صوت

هجرتك إشفافاً عليك من الأذى  
وخوف الأعداء وإتقاء النمائم  
وإني وذاك الهجر لو تعلمينه  
كسالية عن طفلها وهي رائم

الشعر لهلال بن عمرو الأسدي والغناء لعلوية ثقيل أول بالوسطى عن عمرو.

### رأي الخريمي في علوية ومخارق

وقال الجاحظ: قال أبو يعقوب الخريمي: ما رأيت كثلاثة رجال كانوا يأكلون الناس أكلاً حتى إذا رأوا ثلاثة رجال ذابوا كما يذوب الرصاص على النار: كان هشام بن الكلبي علامةً نساباً ورواية للمثالب عيابة فإذا رأى الهيثم بن عدي ذاب كما يذوب الرصاص وكان علي بن الهيثم جونقاً مفقوعاً نياً صاحب تقعر يستولي على كل كلام لا يجفل بخطيب ولا شاعر فإذا رأى موسى الضبي ذاب كما يذوب الرصاص وكان علوية واحد الناس في الغناء روايةً وحكايةً ودرايةً وصنعةً وجودةً ضربٍ وأضرابٍ وحسن خلقٍ فإذا رأى مخارقاً ذاب كما يذوب الرصاص على النار.

### حج سنة حجت أم جعفر بسبب جاريتها

أخبرني علي بن عبد العزيز الكاتب عن ابن خردادبه قال: هوي مخارقٌ جاريةٌ لأم جعفر فحج في السنة التي حجت فيها أم جعفر بسبب الجارية فقال أحمد بن هشام فيه:

يحج الناس من بر وتقوى  
وحج أبي المهنا للتصابي

وهب المعتصم دار مخارق ليونازة خليفة الأفشين فقال عيسى ابن زينب شعراً في ذلك قال: وكان المعتصم قد وهب دار مخارق لما قدم بغداد ليونازة خليفة الأفشين فقال عيسى ابن زينب في ذلك:

يا دار غير رسمها يونازة  
وبقي مخارق قاعداً في فازه

أم جعفر تمب له جاريتها بهار أخبرني إسماعيل بن يونس الشيعي قال: حدثنا عمر بن شبة وحدثني محمد بن يحيى الصولي قال: وجدت بخط عبد الله بن الحسين: حدثني الحسن بن إبراهيم بن رباح قالاً: كان مخارق يهوى جارية لأم جعفر يقال لها بهار ويستر ذلك عن أم جعفر حتى بلغها ذلك فأقصته ومنعته من المرور ببها و كان بها كلفاً. قال الصولي في خبره: فلما علم أن الخبر قد بلغ أم جعفر قطعها وتجاهها إجلالاً لأم جعفر وطمعاً في السلو عنها وضاق ذرعه بذلك فبينما هو ذات ليلة في زلالٍ وقد انصرف من دار المأمون وأم جعفر تشرب على دجلة إذ حاذى دارها فرأى الشمع يزهر فيها فلما صار بمسمعٍ منها ومرأى اندفع فغنى: صوت

إن تمنعوني ممري قرب دارهم فسوف      أنظر من بعد إلى الدار  
سيما الهوى شهرت حتى عرفت بها      أني محب وما بالحب من عار  
ما ضر جيرانكم والله يصلحهم      لولا شقائياً قبالي وإدباري  
لا يقدرن على منعي ولو جهد      وا إذا مررت وتسليمي بإضماري

فقال أم جعفر: مخارقٌ والله ردوه فصاحوا بملاحه: قدم فقدم وأمره الخدم بالصعود فصعد وأمرت له أم جعفر بكرسي وصينية فيها نبيذ فشرب وخلعت عليه وأمرت الجواري فغنن ثم ضربن عليه فغنى فكان أول ما غنى: صوت

أغيب عنك بود ما يغيره نأي المحل ولا صرفاً من الزمن  
فإن أعش فلعل الدهر يجمعنا وإن أمت فقتيل الهم والحزن  
قد حسن الله في عيني ما صنعت      حتى أرى حسناً ما ليس بالحسن

الشعر للعباس بن الأحنف والغناء لمخارق رمل.

قال: فاندفعت بهار فغنت كأنها تباينه وإنما أجابته عن معنى ما عرض لها به:

تعنل بالشغل عنا ما تلم بنا      والشغل للقلب ليس الشغل للبدن

ففظنت أم جعفر أنها خاطبته في نفسها فضحكت وقالت: ما سمعنا بأملح مما صنعتما وقال إسماعيل بن يونس في خبره: ووهبتها له.

غنى المأمون حين قدم مكة أحدث صوت صنعه وقال هارون بن الزيات: حدثني هارون بن مخارق عن أبيه: أن المأمون سأله لما قدم مكة عن أحدث صوت صنعه فغناه: صوت

أقبلت تحصب الجمار وأقبلت      لرمي الجمار من عرفات

ليتني كنت في الجمار أنا المح      صوب من كف زينب حصيات

الشعر للنميري والغناء لمخارق خفيف رمل بالبصرة قال: فضحك ثم قال: لعمرى إن هذا لأحدث ما صنعت ولقد قنعت بيسير وما أظن بهار كانت تبخل عليك بأن تحصبك بحصاة كما تحصب الجمار. واستعاده الصوت مرات.

غنى بشعر للمأمون في جارية له فابكاه أخبرني جعفر بن قدامة قال: حدثني هارون بن مخارق قال: حدثني أبي قال: كنا عند المأمون يوماً فجاءه الخادم الحرمي فأسر إليه شيئاً فوثب فدخل معه ثم أبطأ علينا ساعة وعاود

وعينه تذرّف فقال لنا: دخلت الساعة إلى جارية لي كنت أتخطاها فوجدتها في الموت فسلمت عليها فلم تستطع رد السلام إلا إيماءً بإصبعها فقلت هذين البيتين:

**فما اسطعت توديعاً له بسوى البكا      وذلك جهد المستهام المعذب**

ثم قال: إن فيها يا مخارق ففعلت فما استعادي ذلك الغناء قط إلا بكى.

**حج رجل معه وغناه فوهب له حجته**

أخبرني الحسين بن القاسم الكوكبي إجازةً قال: حدثني أحمد بن أبي العلاء قال: حدثني أبي قال: حج رجل مع مخارق فلما قضيا الحج وعادا قال له الرجل في بعض طريقه: بحقي عليك غني صوتاً فغناه:

**رحلنا فشرقنا وراحوا فغربوا      ففاضت لروعات الفراق عيون**

فرفع الرجل يده إلى السماء وقال: اللهم إني أشهدك أي قد وهبت حجتي له.

**وفاته**

وتوفي مخارق في أول خلافة المتوكل وقيل: بل في آخر خلافة الواثق وذكر ابن خردادبه أن سبب وفاته أنه كان أكل قنبيطية باردةً فقتلته من فوره.

**صوت**

**إذا مت فادفني إلى جنب كرمة      تروي مشاشي بعد موتي عروقتها**

**ولا تدفني بالفلاة فإنني      أخاف إذا ما مت ألا أدوقها**

عروضه من الطويل ويروي: إذا رحت مدفوناً فلست أدوقها الشعر لأبي محجن الثقفي والغناء لإبراهيم الموصلي ثقيل أول بالوسطى عن عمرو وفيه لحنٌ لحنٌ ذكره إبراهيم ولم يحنسه.

## الجزء التاسع عشر

### ذكر أبي محجن ونسبه

#### نسبه

أبو محجن عبد الله بن حبيب بن عمر بن عمير بن عوف بن عقدة بن عترة بن عوف بن قسي وهو ثقيف، وقد مضى نسبه في عدة مواضع.

وأبو محجن من المخضرمين الذين أدركوا الجاهلية والإسلام، وهو شاعر فارس شجاع معدود في أولي البأس والنجدة، وكان من المعاقرين للخمر المحدودين في شربها.

#### نفاه عمر بجزيرة حضوضي مع ابن جهراء

#### ففر منه.

أخبرني علي بن سليمان الأخفش، قال: حدثنا محمد بن الحسن الأحول، عن ابن الأعرابي، عن المفضل، قال: لما كثر شرب أبي محجن الخمر، وأقام عمر بن الخطاب رضي الله عنه عليه الحد مراراً وهو لا ينتهي، نفاه إلى جزيرة في البحر يقال لها حضوضي، وبعث معه حرسياً يقال له ابن جهراء، فهرب منه على ساحل البحر، ولحق بسعد بن أبي وقاص، وقال في ذلك يذكر هربه من ابن جهراء:

الحمد لله نجائي وخلصني	من ابن جهراء والبوصي قد حبسا
من يجشم البحر والبوصي مركبه	إلى حضوضي فبئس المركب التمساً
أبلغ لديك أبا حفص مغلغلة	عبد الإله إذا ما غار أو جلسا
أني أكر على الأولى إذا فزعوا	يوماً وأحبس تحت الراية الفرسا
أغشى الهياج وتغشاني مضاعفة	من الحديد إذا ما بعضهم خنسا

#### أحب الشموس الأنصارية فشكاه زوجها لعمر

هذه رواية ابن الأعرابي عن المفضل، قال ابن الأعرابي: وحدثني ابن دأب بسبب نفي عمر إياه، فذكر أن أبا محجن هوي امرأة من الأنصار يقال لها شمس، فحاول النظر إليها بكل حيلة، فلم يقدر عليها، فأجر نفسه من عامل يعمل في حائط إلى جانب منزلها، فأشرف من كوة في البستان، فرآها فأنشأ يقول:

وقد نظرت إلى الشموس ودونها  
خرج من الرحمن غير قليل

قد كنت أحسبني كأغني واحد

ورد المدينة عن زراعة فول

### رجع إلى حديث فراره من ابن جهراء

فاستعدى زوجها عليه عمر بن الخطاب، فنفاه إلى حضوضى، وبعث معه رجلاً يقال له ابن جهراء قد كان أبو بكر رضي الله عنه يستعين به، قال له عمر: لا تدع أبا محجن يخرج معه سيفاً، فعمد أبو محجن إلى سيفه فجعل نصله في غرارة وجعل جفنة في غرارة أخرى، فيهما دقيق له. فلما انتهى به إلى الساحل وقرب البوصي اشترى أبو محجن شاة وقال لابن جهراء: هلم نتعد ووثب إلى الغرارة كأنه يخرج منها دقيقاً فأخذ السيف، فلما رآه ابن جهراء والسيف في يده خرج يعدو حتى ركب بعيره راجعاً إلى عمر، فأخبر الخبر.

### قاتل العجم يوم أرمات

#### بعد أطلقته امرأة سعد بن أبي وقاص

وأقبل أبو محجن إلى سعد بن أبي وقاص وهو يقاتل العجم يوم القادسية، وبلغ عمر خبره، فكتب إلى سعد بحبسه، فلما كان يوم أرمات؛ والتحم القتال سأل أبو محجن امرأة سعد أن تعطيه فرس سعد وتحل قيده ليقاتل المشركين، فإن استشهد فلا تبعة عليه، وإن سلم عاد حتى يضع رجله في القيد، فأعطته الفرس، وخلت سبيله، وعاهدها على الوفاء، فقاتل فأبلى بلاء حسناً إلى الليل، ثم عاد إلى حبسه. حدثني بهذا الحديث عمي عن الخزاز، عن المدائني، عن إبراهيم بن حكيم، عن عاصم بن عروة: أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه غرب رجلاً من ثقيف وهو أبو محجن، وكان يدمن الخمر وأمر ابن جهراء النصرى ورجلاً آخر أن يحملاه في البحر، وذكر الخبر مثل الذي قبله، وزاد فيه: وقال أبو محجن أيضاً:

صاحباني يوم ارتحل

فأنادي : إنني ثمل

مزة راووقها خضل

صاحباً سوء صحبتهما

ويقولان : ارتحل معنا

إنني باكرت مترعة

الغناء في البيتين الأخيرين لنشو خفيف رمل وأوله:

ويقولان اصطحب معنا

قال الأصهباني: وهذه القصة كانت لأبي محجن في يوم من أيام حرب القادسية يقال له: يوم أرمات، وكانت أيامها المشهورة يوم أغوات ويوم أرمات ويوم الكتائب وخبرها يطول جداً؛ وليس في كلها كان لأبي محجن

خير، وإنما ذكرنا ها هنا خبره، فذكرنا منها ما كان اتصاله بخبر أبي محجن.  
حدثنا بذلك محمد بن حرير الطبري، قال: كتب إلي السري بن يحيى؛ ذكر عن شعيب، عن سيف، عن محمد بن طلحة وزيايد وابن مخراق، عن رجل من طيء قال: لما كان يوم الكتائب اقتتل المسلمون والفرس منذ أصبحوا إلى أن انتصف النهار، فلما غابت الشمس تراحف الناس فاقتتلوا حتى انتصف الليل؛ وهذه الليلة التي كان في صبيحتها يوم أرمات، وقد كان المسلمون يوم أعواث أشرفوا على الظفر وقتلوا عامة أعلام الفرس، وجالت خيلهم في القلب، فلولا أن رجلهم ثبتوا حتى كرت الخيل لكان رئيسهم قد أخذ؛ لأنه كان يتزل عن فرسه؛ ويجلس على سريره، ويأمر الناس بالقتال؛ قالوا: فلما انتصف الليل تحاجر الناس، وبات المسلمون ينتمون منذ لدن أمسوا.

وسمع ذلك سعد فاستلقى لينام، وقال لبعض من عنده: إن تم الناس على الانتماء فلا توقظني فإنهم أقوياء على عدوهم؛ وإن سكتوا وسكت العدو فلا تنبهني فإنهم على السواء؛ وإن سمعت العدو ينتمون وهؤلاء سكوت فأنبهني فإن انتماء العدو من سوء.

قالوا: ولما اشتد القتال في تلك الليلة، وكان أبو محجن قد حبسه سعد بكتاب عمر، وقيده فهو في القصر، سعد أبو محجن إلى سعد يستغفیه ويستقبله، فزبره ورده، فترل فأتى سلمى بنت أبي حفصة فقال: يا بنت آل حفصة، هل لك إلى خير؟ قالت: وما ذاك؟ قال: تخلين عني وتعيريني البلقاء، فله علي إن سلمني الله أن أرجع إلى حضرتك حتى تضعي رجلي في قيدي. فقالت: وما أنا وذاك؟ فرجع يرسف في قيوده ويقول:

كفى حزناً أن تردي الخيل بالقنا	وأترك مشدوداً علي وثاقيا
إذا قمت عناني الحديد وغلقت	مصاريح من دوني تصم المناديا
وقد كنت ذا مال كثيرة وإخوة	فقد تركوني واحداً لا أخا ليا
وقد شف جسمي أنني كل شارق	أعالج كبالاً مصمتاً قد برانيا
قلله دري يوم أترك موقفاً	وتذهل عني أسرتي ورجاليا
حبسياً عن الحرب العوان وقد بدت	وإعمال غيري يوم ذاك العواليا
ولله عهد لا أخيس بعهده	لئن فرجت ألا أزور الحوانيا

فقالت له سلمى: إني قد استخرت الله ورضيت بعهدك، فأطلقته وقالت: أما الفرس فلا أعيرها، ورجعت إلى بيتها، فاقتاها أبو محجن وأخرجها من باب القصر الذي يلي الخندق، فركبها ذم دب عليها، حتى إذا كان بجبال الميمنة، وأضاء النهار، وتصاف الناس، كبر، ثم حمل على ميسرة القوم فلعب برمح وسلاحه بين الصفيين، ثم رجع من خلف المسلمين إلى القلب فبدر أمام الناس، فحمل على القوم فلعب بين الصفيين برمح وسلاحه، وكان

يقصف الناس ليلتئذ قصفاً منكراً؛ فعجب الناس منه وهم لا يعرفونه ولم يروه بالأمس، فقال بعض القوم: هذا من أوائل أصحاب هشام بن عتبة أو هشام بنفسه. وقال قوم: إن كان الخضر يشهد الحروب فهو صاحب اللقاء. وقال آخرون: لولا أن الملائكة لا تباشر القتال ظاهراً لقلنا هذا ملاك بيننا؛ وجعل سعد يقول -وهو مشرف ينظر إليه-: الطعن طعن أبي محجن، والضرب ضرب اللقاء. ولولا محبس أبي محجن لقلت: هذا أبو محجن وهذه اللقاء، فلم يزل يقاتل حتى انتصف الليل، فتحاجز أهل العسكرين وأقبل أبو محجن حتى دخل القصر، ووضع عن نفسه ودابته، وأعاد رجله في القيد، وأنشأ يقول:

لقد علمت تقيف غير فخر  
وأكثرهم دروعاً سابغات  
وأنا رفدهم في كل يوم  
وليلة قادم لم يشعروا بي  
فإن أحبب فقد عرفوا بلائي  
وإن أطلق أجزعهم حتوفا

فقلت له سلمى: يا أبا محجن؛ في أي شيء حبسك هذا الرجل؟ فقال: أما والله ما حبسني بجرام أكلته ولا شربته، ولكني كنت صاحب شراب في الجاهلية وأنا امرؤ شاعر يدب الشعر على لساني فينفثه أحياناً، فحبسني لأني قلت:

إذا مت فادفني إلى أصل كرمة  
ولا تدفني في الفلاة فإنني  
ليروى بخمر الحصى فإني  
أسير لها من بعد ما قد أسوقها

سعد بن أبي وقاص يعلم خبر إطلاقه وصدق قتاله فيفرج عنه قال: وكانت سلمى قد رأت في المسلمين جولة، وسعد بن أبي وقاص في القصر لعله كانت به، لم يقدر معها على حضور الحرب، وكانت قبله عند المثني بن حارثة الشيباني! فلما قتل خلف عليها سعد، فلما رأت شدة اليأس صاحت: وامثنياه ولا مثني لي اليوم، فلطمها سعد، فقالت: أف لك، أجنباً وغيره؟ وكانت مغاضبة لسعد عشية أرماث وليلة الهدأة وليلة السواد، حتى إذا أصبحت أتته وصالحته، وأخبرته خبر أبي محجن، فدعا به وأطلقه وقال: اذهب فلست مؤاخذك بشيء تقوله حتى تفعله، قال: لا جرم، والله إن لا أحببت لساني إلى صفة قبيح أبداً.

خرج مع سعد لحرب الأعاجم أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري، وحبیب بن نصر المهلي، قالوا: حدثنا عمر بن شبة، قال: حدثنا محمد بن حاتم، قال: حدثنا محمد بن حازم، قال: حدثنا عمرو بن المهاجر، عن إبراهيم بن محمد بن سعد، عن أبيه، وأخبرني علي بن سليمان الأحفش قال: حدثنا محمد بن الحسن بن دينار مولى بني هاشم، عن ابن الأعرابي عن المفضل، وروايته أتم، قالوا: كان أبو محجن الثقفي فيمن خرج مع سعد بن أبي

وقاص ل حرب الأعاجم فكان سعد يؤتى به شارباً فيتهدده فيقول له: لست تاركها إلا لله عز وجل؛ فأما لقولك فلا. قالوا: فأتي به يوم القادسية وقد شرب الخمر؛ فأمر به إلى القيد، وكانت بسعد جراحة فلم يخرج يومئذ إلى الناس؛ فاستعمل على الخيل خالد بن عرفطة، فلما التقى الناس قال أبو محجن:

**كفى حزناً أن تردي الخيل بالقنا وأترك مشدوداً علي وثاقيا**

يقسم على ألا يشرب الخمر بعد أن عفا عنه سعد وذكر والأبيات وسائر خبره مثل ما ذكره محمد بن جرير، وزاد فيه: فجاءت زبراء امرأة سعد - هكذا قال: والصحيح أنها سلمى - فأخبرت سعداً بخبره؛ فقال سعد: أما والله لا أضرب اليوم رجلاً أبلى الله المسلمين على يده ما أبلاهم، فخلى سبيله، فقال أبو محجن: قد كنت أشربها إذ كان الحد يقام علي وأطهر منها، فأما إذ بهرجتني فلا والله لا أشربها أبداً. وقال ابن الأعرابي في خبره: وقال أبو محجن في ذلك:

**إن كانت الخمر قد عزت وقد منعت وحال من دونها الإسلام والحر ج**

**فقد أباكرها صرفاً وأمزجها رياً وأطرب أحياناً وأمتزج**

**وقد تقوم على رأسي منعمة خود إذا رفعت في صوتها غنج**

**ترفع الصوت أحياناً وتخفضه كما يطم ذباب الروضة الهزج**

يرد على امرأة ظنت أنه فر من المعركة أحرابي الجوهري والمهلي قال: حدثنا عمر بن شبة وقال: لما انصرف أبو محجن ليعود إلى محبسه رآته امرأة فظنته منهزماً؛ فأنشأت تعيره بفراره:

**من فارس كره الطعان يعيرني رمحاً إذا نزلوا بمن الصفر**

فقال لها أبو محجن:

**إن الكرام على الجياد مبيتهم فدعي الرماح لأهلها وتعطري**

**يرثي أبا عبيد بعد أن قتله الفيل**

وذكر السري، عن شعيب، عن سيف في خبره، ووافقت رواية ابن الأعرابي عن المفضل: أن الناس لما التقوا مع العجم يوم قس الناطف، كان مع الأعاجم فيل يكر عليهم؛ فلا تقوم له الخيل؛ فقال أبو عبيد بن مسعود: هل له مقتل؟ فقيل له: نعم؛ خرطومه إلا أنه لا يفلت منه من ضرب؛ قال: فأنا أهب نفسي لله، وكمن له حتى إذا أقبل وثب إليه فضرب خرطومه بالسيف؛ فرمى به، ثم شد عليه الفيل فقتله، ثم استدار فطحن الأعاجم وانهمزوا، فقال أبو محجن التقفي يرثي أبا عبيد:

**أنى تسدت نحونا أم يوسف ومن دون مسراها فياف مجاهل**

**إلى فتية بالطف نيلت سراتهم وغودر أفراس لهم ورواحل**

وأضحى أبو جبر خلاء بيوته  
وأضحى بنو عمرو لدى الجسر منهم  
وما لمت نفسي فيهم غير أنها  
وما رمت حتى خرقوا بسلاحهم  
وحتى رأيت مهرتي مزوثة  
وما رحت حتى كنت آخر رائح  
مررت على الأنصار وسط رحالهم  
وقربت رواحاً وكوراً ونمرقاً  
ألا لعن الله الذين يسرهم

وقد كان يغشاها الضعاف الأرامل  
إلى جانب الأبيات جود ونائل  
لها أجل لم يأتها وهو عاجل  
إهابي وجادت بالدماء الأباجل  
من النبل يدمى نحرها والشواكل  
وصرع حولي الصالحون الأماثل  
فقلت: ألا هل منكم اليوم قافل؟  
وغودر في أليس بكر ووائل  
رداي وما يدرون ما الله فاعل

#### يقسم أن لا يشرب الخمر أبداً

قال الأحفش في روايته، عن الأحول، عن ابن الأعرابي، عن الفضل: قال أبو محجن في تركه الخمر:  
رأيت الخمر صالحة وفيها  
مناقب تهلك الرجل الحلما  
فلا والله أشربها حياتي  
ولا أسقي باه أبداً نديما

#### معاوية وابن أبي محجن

أخبرني عمي قال: حدثنا محمد بن سعد الكراني قال: حدثنا العمري، عن لقيط، عن الهيثم بن عدي. وأخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال: حدثنا عبد الرحمن ابن أخي الأصمعي عن عمه، وأخبرني إبراهيم بن أيوب عن ابن قتيبة قالوا: دخل ابن أبي محجن على معاوية، فقال له: أليس أبوك الذي يقول:

إذا مت فادفني إلى أصل كرمة  
ولا تدفني بالفلاة فإنني  
تروي عظامي بعد موتي عروقتها  
أخاف إذا ما مت ألا أدوقها

فقال ابن أبي محجن: لو شئت لذكرت ما هو أحسن من هذا من شعره؛ قال: وما ذاك؟ قال: قوله:

لا تسألني الناس عن مالي وكثرته  
أعطي السنان غداة الروع حصته  
وسألني الناس ما فعلني وما خلقي  
وعامل الرمح أرويه من العلق  
وأطعن الطعنة النجلاء عن عرض  
وأحفظ السر فيه ضربة العنق

عف المطالب عما لست نائله  
وقد أجود وما لي بذبي فنع  
والقوم أعلم أنني من سراتهم  
قد يعسر المرء حيناً وهو ذو كرم  
سيكثر المال يوماً بعد قلته  
وإن ظلمت شديد الحق والحنق  
وقد أكر وراء المحجر البرق  
إذا سما بصر الرعيذة الشفق  
وقد يثوب سوام العاجز الحمق  
ويكتسي العود بن اليبس بالورق

فقال معاوية: لئن كنا أسأنا لك القول لنحسنن لك الصغد ، ثم أجزل جائزته وقال: إذا ولدت النساء فلتلد ملكاً!

### عمر بن الخطاب يحده وجماعة

#### من أصحابه في شربهم الخمر

أخبرني الحسن بن علي وعيسى بن الحسين الوراق، قالوا: حدثنا ابن مهرويه، قال: حدثني صالح بن عبد الرحمن الهاشمي، عن العمري، عن العتيبي، قال: أيت عمر بن الخطاب رضي الله عنه بجماعة فيهم أبو محجن الثقفي وقد شربوا الخمر، فقال: أشربتم الخمر بعد أن حرمها الله ورسوله، فقالوا: ما حرمها الله ولا رسوله؛ إن الله تعالى يقول: "ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا إذا ما اتقوا وآمنوا وعملوا الصالحات"؛ فقال عمر لأصحابه: ما ترون فيهم؟ فاختلّفوا فيهم فبعث إلى علي بن أبي طالب عليه السلام فشاوره؛ فقال علي: إن كانت هذه الآية كما يقولون فينبغي أن يستحلوا الميتة والدم ولحم الخنزير؛ فسكتوا، فقال عمر لعلي: ما ترى فيهم؟ قال: أرى إن كانوا شربوها مستحلين لها أن يقتلوا، وإن كانوا شربوها وهم يؤمنون أنها حرام أن يحدوا، فسألهم؛ فقال: والله ما شككنا في أنها حرام، ولكننا قدرها أن لنا نجاة فيما قلناه، فجعل يحدهم رجلاً رجلاً، وهم يخرجون حتى انتهى إلى أبي محجن، فلما جلده أنشأ يقول:

ألم تر أن الدهر يعثر بالفتى  
صبرت فلم أجزع ولم أك كائناً  
وإني لذو صبر وقد مات إخوتي  
رماها أمير المؤمنين بحنقها  
ولا يستطيع المرء صرف المقادر  
لحادث دهر في الحكومة جائر  
ولست عن الصهباء يوماً بصابر  
فخلانها يكون حول المعاصر

فلما سمع عمر قوله:

ولست عن الصهباء يوماً بصابر

قال: قد أبديت ما في نفسك ولأزيدتك عقوبة لإصرارك على شرب الخمر؛ فقال له علي عليه السلام: ما ذلك لك، وما يجوز أن تعاقب رجلاً قال: لأفعلن وهو لم يفعل، وقد قال الله في سورة الشعراء: "وأنتم تقولون ما لا تفعلون"، فقال عمر: قد استثنى الله منهم قوماً فقال: "إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات". فقال علي عليه السلام: أفهؤلاء عندك منهم وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا يشرب العبد الخمر حين يشربها وهو مؤمن".

### قبره في أذربيجان نبتت عليه كرمة

أخبرنا محمد بن خلف بن المرزبان، قال: حدثنا أحمد بن الهيثم بن فراس، قال: حدثنا العمري، عن الهيثم بن عدي، قال: أخبرني من مر بقبر أبي محجن الثقفي في نواحي أذربيجان - أو قال في نواحي جرجان - فرأيت قبره وقد نبتت عليه ثلاثة أصول كرم قد طالت وأثمرت وهي معروشة، وعلى قبره مكتوب: هذا قبر أبي محجن الثقفي، فوقفت طويلاً أتعجب مما اتفق له حتى صار كأمنية بلغها حيث يقول:

إذا مت فادفني إلى أصل كرمة      تزوي عظامي بعد موتي عروقتها

### صوت

ألا يا لقومي لا أرى النجم طالعاً      ولا الشمس إلا حاجبي بيمينني  
معزيتي خلف القفا بعمودها      فجل نكيري أن أقول ذرينني  
أمين على أسرارهن وقد أرى      أكون على الأسرار غير أمين  
فللموت خير من حداج موطأ      مع الظعن لا يأتي المحل لحين

عروضه من الطويل؛ والمعزية: امرأة تكون مع الشيخ الخرف تكلؤه. وقوله: أمين على أسرارهن. أي أن النساء صرن يتحدثن بين يدي بأسرارهن، ويفعلن ما كن قبل ذلك يرهبنني فيه؛ لأني لا أضرنهن. والحداج والحدج: مركب من مراكب النساء. الشعر لزهير بن جناب الكلبي، والغناء لأهل مكة، ولحنه من خفيف الثقليل الأول بالوسطى عن الهشامي وحيش، وفيه لحنين ثاني ثقيل بالوسطى.

### أخبار زهير بن جناب ونسبه

#### نسبه

زهير بن جناب بن هبل بن عبد الله بن كنانة بن بكر بن عوف بن عذرة بن زيد اللات بن ربيعة بن ثور بن كلب بن وبرة بن تغلب بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة.  
شاعر جاهلي، وهو أحد المعمرين، وكان سيد بني كلب وقائدهم في حروبهم، وكان شجاعا مظفرا ميمون النقيبة في غزواته، وهو أحد من مل عمره فشرب الخمر صرفا حتى قتلته.  
ولم يوجد شاعر في الجاهلية والإسلام ولد من الشعراء أكثر ممن ولد زهير، وسأذكر أسماءهم وشيئا من شعرهم بعقب ذكر خبره إن شاء الله تعالى.

### سبب غزوه غطفان

قال ابن الأعرابي: كان سبب غزوة زهير بن جناب غطفان أن بني بغيض حين خرجوا من قمامة ساروا بأجمعهم، فتعرضت لهم صداة وهي قبيلة من مذحج، فقاتلوهم وبنو بغيض سائرون بأهليهم ونسائهم وأمواهم، فقاتلوا عن حريمهم فظهروا على صداة فأوجعوا فيهم ونكأوا، وعزت بنو بغيض بذلك وأثرت وأصاب غنائم؛ فلما رأوا ذلك قالوا: أما والله لنتخذن حرما مثل حرم مكة لا يقتل صيده، ولا يعضد شجره، ولا يهاج عائده، فوليت ذلك بنو مرة بن عوف.

ثم كان القائم على أمر الحرم وبناء حائطه رياح بن ظالم، ففعلوا ذلك وهم على ماء لهم يقال له بس وبلغ فعلهم وما أجمعوا عليه زهير بن جناب وهو يومئذ سيد بني كلب؛ فقال: والله لا يكون ذلك أبدا وأنا حي، ولا أحلي غطفان تتخذ حرما أبدا.

قبل فارسهم الأسير ورد نساءهم وقال شعرا في ذلك.

فنادى في قومه فاجتمعوا إليه فقام فيهم، فذكر حال غطفان وما بلغه عنها؛ وأن أكرم مأثرة يعتقدها هو وقومه أن يمنعوهم من ذلك وحولوا بينهم، فأجابوه، واستمد بني القين من جشم فأبعوا أن يغزوا معه، فسار في قومه حتى غزا غطفان؛ فقاتلهم فظفر بهم زهير وأصاب حاجته فيهم، وأخذ فارسا منهم أسيرا في حرمهم الذي بنوه، فقال لبعض أصحابه: اضرب رقبتك، فقال، إنه بسل فقال زهير: وأبيك ما بسل علي بحرام.

ثم قام إليه فضرب عنقه وعطل ذلك الحرم؛ ثم من على غطفان ورد النساء واستاق الأموال؛ وقال زهير في ذلك:

تلاقينا وأحرزت النساء

ولم تصبر لنا غطفان لما

إلى عذراء شيمتها الحياة

فلولا الفضل منا ما رجعتم

لدى الهيجاء كان له غناء

وكم غادرتم بطلا كميا

وأوتارا ودونكم اللقاء

فدونكم ديونا فاطلبوها

ليوث حين يحتضر اللواء

فإننا حيث لانخفي عليكم

وما غطفان والأرض الفضاء!	فخلى بعدها غطفان بسا
فضاء الأرض والماء الرواء	فقد أضحى لحي بني جناب
وعند الطعن يختبر اللقاء	ويصدق طعننا في كل يوم
بأرماع أسنتها ظماء	نفينا نخوة الأعداء عنا
لقينا مثل ما لقيت صداء	ولولا صبرنا يوم التقينا
وصدق الطعن للنوكى شفاء	غداة تعرضوا لبني بغيض
على آثار من ذهب العفاء	وقد هربت حذار الموت قين
فأخلفنا من أخوتنا الرجاء	وقد كنا رجونا أن يمدوا
حلاب النيب والمرعى الضراء	والهوى القين عن نصر الموالي

طعنه ابن زيابة وظن أنه مات فحمل إلى قومه وعوفي وقال أبو عمرو الشيباني: كان أبرهة حين طلع نجداً أتاه زهير بن جناب، فأكرمه أبرهة وفضله على من أتاه من العرب، ثم أمره على ابني وائل: تغلب وبكر، فوليهم حتى أصابتهم سنة شديدة، فاشتد عليهم ما يطلب منهم زهير، فأقام بهم زهير في الجذب، ومنعهم من النجعة حتى يؤدوا ما عليهم، فكادت مواشيهم تهلك. فلما رأى ذلك ابن زيابة -أحد بني تميم الله بن ثعلبة، وكان رجلاً فاتكاً- بيت زهيراً وكان نائماً في قبة له من آدم، فدخل فألقى زهيراً نائماً، وكان رجلاً عظيم البطن، فاعتمد التيمي بالسيف على بطن زهير حتى أخرجه من ظهره مارقاً بين الصفاق، ولت أعفاج بطنه، وظن التيمي أنه قد قتله، وعلم زهير أنه قد سلم، فتخوف أن يتحرك فيجهز عليه، فسكت. وانصرف ابن زيابة إلى قومه، فقال لهم: قد -والله- قتلت زهيراً وكفيتكموه، فسرههم ذلك. ولما علم زهير أنه لم يقدم عليه إلا عن ملأ من قومه بكر وتغلب - وإنا مع زهير نفر من قومه بممثلة الشرط - أمر زهير قومه فغيبوه بين عمودين في ثياب ثم أتوا القوم فقالوا لهم: إنكم قد فعلتم بصاحبنا ما فعلتم، فأذنوا لنا في دفنه، ففعلوا.

شعر ابن زيابة في نبو سيفه عنه فحملوا زهيراً ملفوفاً في عمودين والثياب عليه، حتى إذا بعدوا عن القوم أخرجه فلففوه في ثيابه، ثم حفروا حفيرة وعمقوا، ودفنوا فيها العمودين، ثم ساروا ومعهم زهير، فلما بلغ زهير أرض قومه جمع لبكر وتغلب الجموع، وباغهم أن زهيراً حي، فقال ابن زيابة:

طعنة ما طعنت في غبش اللي      ل زهيراً وقد توافى الخصوم

حين تجبي له المواسم بكر      أين بكر، وأين منها الحلوم!

خانني السيف إذ طعنت زهيراً      وهو سيف مزلل مشؤوم

## غزا بكرا وتغلب وشعره في ذلك

قال: وجمع زهير بني كلب ومن تجمع له من شذاذ العرب والقبائل ، ومن أطاعه من أهل اليمن، فغزا بكرا وتغلب ابني وائل، وهم على ماء يقال له الحبي ، وقد كانوا نذروا به، فقاتلهم قتالا شديدا، ثم انهزمت بكر وأسلمت بني تغلب، فقاتلت شيئا من قتال ثم انهزمت، وأسر كليب ومهلهل ابنا ربيعة، واستيقت الأموال، وقتلت كلب في تغلب قتلى كثيرة، وأسروا جماعة من فرسانهم ووجوههم، وقال زهير بن جناب في ذلك:

تبا لتغلب أن تساق نساؤهم  
سوق الإماء إلى المواسم عطلا  
لحقت أوائل خيلنا سرعانهم  
حتى أسرن على الحبي مهلهلا  
إنامهلهما تطيش رماحنا  
أيام تنقف في يدك الحنظلا  
ولت حماتك هاربين من الوغى  
وبقيت في حلق الحديد مكبلا  
فلئن قهرت لقد أسرتك عنوة  
ولئن قتلت لقد تكون مؤملا

وقال أيضا يعبر بني تغلب بهذه الواقعة في قصيدة أولها:

حي دارا تغيرت بالجناب  
اقفرت من كواعب أتراب

يقول فيها:

أين أين الفرار من حذر المو  
ت وإذ يتقون بالأسلاب!  
إذ أسرنا مهلهلا وأخاه  
وابن عمرو في القد وابن شهاب  
وسبينا من تغلب كل بيضا  
ء رقود الضحى برود الرضاب  
يوم يدعو مهلهل بالبكر  
ها أهذي حفيظة الأحساب!  
ويحكم ويحكم أبيع حمامكم  
يا بني تغلب أما من ضراب!  
وهم هاربون في كل فج  
كشريد النعام فوق الروابي  
واستدارت رحي المنايا عليهم  
بليوث من عامر وجناب  
طحتنهم أرحاؤها بطحون  
ذات ظفر حديدة الأنياب  
فهم بين هارب ليس يألو  
وقتيل معفر في التراب  
فضل العز عزنا حين نسمو  
مثل فضل السماء فوق السحاب

## وفد مع أخيه حارثة أحد ملوك غسان

أخبرني محمد بن الحسن بن دريد، قال: حدثنا عمي، عن ابن الكلبي، عن أبيه، قال: وفد زهير بن جناب وأخوه حارثة على بعض ملوك غسان، فلما دخلا عليه حدثاه وأنشدها، فأعجب بهما وندمهما، فقال يوماً لهما: إن أُمِّي عليلة شديدة العلة، وقد أعياني دواؤها، فهل تعرفان لها دواء؟ فقال حارثة: كميرة حارة -وكانت فيه لوثة- فقال الملك: أي شيء قلت؟ فقال له زهير: كميسة حارة تطعمها، فوثب الملك -وقد فهم الأولى والآخرة- يريهما أنه يأمر بإصلاح الكمأة لها، وحلم عن مقالة. وقال حارثة لزهير: يا زهير اقلب ما شئت ينقلب، فأرسلها مثلاً.

### ذهب عقله آخره عمره فكان يخرج فيرد

أخبرني عمي، قال: حدثنا عبد الله بن أبي سعد، قال: حدثني أحمد بن الغيث الباهلي عن أبيه، قال: كان من حديث زهير بن جناب الكلبي أنه كان قد بلغ عمراً طويلاً حتى ذهب عقله، وكان يخرج تائهاً لا يدري أين يذهب، فتلحقه المرأة من أهله والصبي، فترده وتقول له: إن أخاف عليك الذئب أن يأكلك، فأين تذهب؟ فذهب يوماً من أيامه، ولحقته ابنة له فردته، فرجع معها وهو يهدج كأنه رأل، وراحت عليهم سماء في الصيف فعلتهم منها بغشة ثم أردفها غيث، فنظر وسمع له الشيخ زجلاً منكراً. فقال: ما هذا يا بنية؟ فقالت: عارض هائل إن أصابنا دون أهلنا هلكننا، فقال: انعتبه لي، فقالت: أراه منبطحاً مسلنطحاً، قد ضاق ذرعاً وركب ردعاً، ذا هيدب يطير، وهماهم وزفير، ينهض نهض الطير الكسير، عليه مثل شباريق الساج، في ظلمة الليل الداج، يتضحك مثل شعل النيران، تهرب منه الطير، وتوائل منه الحشرة. قال: أي بنية، وائلني منه إلى عصر قبل أن لا عين ولا أثر.

### كان يدعى الكاهن لصحة رأيه

أخبرني محمد بن القاسم الأنباري، قال: حدثني أبي، قال: حدثني أحمد بن عبيد، عن ابن الكلبي، عن أبيه، عن مشيخة من الكلبين قالوا: عاش زهير بن جناب بن هبل بن عبد الله ومائتي سنة أوقع فيها مائتي وقعة في العرب، ولم تجتمع قضاة إلا عليه وعلى حن بن زيد العذري، ولم يكن في اليمن أشجع ولا أخطب ولا أوجه عند الملوك من زهير. وكان يدعى الكاهن، لصحة رأيه.

### عمر حتى مل عمره، وشعره في ذلك

قال هشام: ذكر حماد الراوية أن زهيراً عاش أربعمئة وخمسين سنة، قال: وقال الشرقي بن القطامي: عاش زهير أربعمئة سنة، فرأته ابنة له فقالت لابن ابنها: خذ بيد جدك، فقال له: من أنت؟ فقال: فلان بن فلان بن فلانة، فأنشأ يقول:

أورثتكم مجداً بنيه	أبني إن أهلك فقد
دات زنادكم وريه	وتركتكم أبناء سا
قد نلته إلا التحيه	ولكل ما نال الفتى
فليلكهن وبه بقيه	والموت خير للفتى
ل وقد تهادى بالعشيه	من أن يرى الشيخ البجا
لاف توقد في طميه	ولقد شهدت النار للأس
كوماء ليس لها وليه	ولقد رحلت البازل ال
غير الضعيف ولا العييه	وخطبت خطبة ماجد
قطرين لم يغمز شطيه	ولقد غدوت بمشرف ال
ب ضحى ومن حمر القفيه	فأصبت من بقر الجنا

### قال ابن الكلبي: وقال زهير في كبره أيضاً:

ولا الشمس إلا حاجبي بيمينى	ألا يا لقومي لا أرى النجم طالعاً
فأقصى نكيري أن أقول ذرينى	معزبتى عند الفقا بعمودها
أكون على الأسرار غير أمين	أمين على أسرارهن وقد أرى
على الطعن لا يأتي المحل لحين	فللموت خير من حجاج موطأ
	قال: وقال زهير أيضاً في كبره:
أمت حين لا تأسى علي العوائد	إن تنسني الأيام إلا جلالة
ويأمن كيدي الكاشحون الأبعاد	فيأذى بي الأدنى ويشمت بي العد
	قال: وقال زهير أيضاً:
احتقي في صباحي أم مسائي	لقد عمرت حتى لا أبالي
عليه أن يمل من الثواء	وحق لمن أتت مائتان عاماً
وبالسلان جمعاً ذا زهاء	شهدت الموقدين على خزازى
وبعدهم بني ماء السماء	ونادمت الملوك من آل عمرو

### خالفه ابن أخيه فشرب الخمر

قال ابن الكلب: وكان زهير إذا قال: ألا إن الحي طاعن، ظعنت قضاة؛ وإذا قال: ألا أن الحي مقيم، نزلوا وأقاموا. فلما أن أسن نصب ابن أخيه عبد الله بن عليم للرياسة في كلب، وطمع أن يكون كعمه وتجتمع قضاة كلها عليه، فقال زهير يوماً: ألا إن الحي طاعن، فقال عبد الله: ألا إن الحي مقيم، فقال زهير: ألا إن الحي مقيم، فقال عبد الله: ألا إن الحي طاعن، فقال زهير: من هذا المخالف علي منذ اليوم؟ فقالوا: ابن أخيك عبد الله بن عليم، فقال: أعدى الناس للمرء ابن أخيه إلا أنه لا يدع قاتل عمه أو يقتله. ثم أنشأ يقول:

وكيف بمن لا أستطيع فراقه

ومن هو إن لم تجمع الدار ألف!

أمير شقاق إن أقم لا يقم معي

ويرحل، وإن أرحل يقم ويخالف

ثم شرب الخمر صرفاً حتى مات.

قال: وممن شرب الخمر صرفاً حتى مات عمرو بن كلثون التغلبي، وأبو براء عامر بن مالك ملاعب الأسنة. قال هشام: عاش هبل بن عبد الله جد زهير بن جناب ستمائة سنة وسبعين، وهو القاتل:

يارب يوم قد غني فيه هبل

له نوال ودرور وجدل

كأنه في العز عوف أو حجل

قال: عوف وحجل: قبيلتان من كلب.

### كان نازلاً مع الجلاح بن عوف

#### فأنذرتة فخالفه الجلاح فرحل هو وقال شعراً.

وقال أبو عمر الشيباني: كان الجلاح بن عوف السحمي قد وطأ لزهير بن جناب وأنزله معه، فلم يزل في جناحه حتى كثر ماله وولده، وكانت أخت زهير متزوجة في بني القين بن جسر، فجاء رسولها إلى زهير ومعه برد فيه صرار رمل وشوكة قتاد، فقال زهير لأصحابه: أتتكم شوكة شديدة، وعدد كثير فاحتملوا، فقال له الجلاح: أنتحمل لقول امرأة! والله لا نفعل، فقال زهير:

أما الجلاح فإنني فارقته

لا عن قلى ولقد تشط بنا النوى

فلئن ظعنت لأصبحن مخيماً

ولئن أقمتم لأظعنن على هوى

قال: فأقام الجلاح، وظعن زهير، وصبحهم فقتل عامة قوم الجلاح وذهبوا بماله.

قال: واسم الجلاح عامر بن عوف بن بكر بن عامر بن عوف بن عذرة.

### اجتمع مع عشيرته فقصده الجيش

## فهزمهم وقتل رئيساً منهم

ومضى زهير لوجهه حتى اجتمع مع عشيرته من بني جناب، وبلغ الجيش خبره فقصدوه، فحاربهم وثبت لهم  
فهزمهم وقتل رئيساً منهم، فانصرفوا عنه حائبين، فقال زهير:

أمن آل سلمى ذا الخيال المؤرق      وقد يميح الطيف الغريب المشوق  
وأنى اهتدت سلمى لوجه محلنا      وما دونها من مهمه الأرض يخفق  
فلم تر إلا هاجعاً عند حرة      على ظهرها كور عتيق ونمرق  
ولما رأته والطيح تبسمت      كما انهل أعلى عارض يتألق  
فحييت عنا زودينا تحية      لعل بها العاني من الكبل يطلق  
فردت سلاماً ثم ولت بحاجة      ونحن لعمرى يابنة الخير أشوق  
فيا طيب ما ريا ويا حسن منظر      لهوت به لو أن رؤياك تصدق  
ويوم أثالى قد عرفت رسوماها      فعجنا إليها والدموع تترقق  
وكادت تبين القول لما سألتها      وتخبرني لو كانت الدار تتطق  
فيا دار سلمى هجت للعين عبرة      فماء الهوى يرفض أو يترقق

وقال زهير في هذه القصيدة يذكر خلا الجلاح عليه:

أيا قومنا إن تقبلوا فانتهاوا      وإلا فأنياب من الحرب تحرق  
فجاءوا إلى رجاجة مكفهرة      يكاد المدير نحوها الطرف يصعق  
سيوف وأرماع بأيدي أعزة      وموضونة مما أفاد محرق  
فما برحوا حتى تركنا رئيسهم      وقد مار فيه المضرحي المذلق  
وكائن ترى من ماجد وابن ماجد      له طعنة نجلاء للوجه يشهق

وقال زهير في ذلك أيضاً:

سائل أميمة عني هل وفيت لها      أم هل منعت من المخزاة جيرانا  
لا يمنع الضيف إلا ماجد بطل      إن الكريم كريم أينما كانا  
لما أبى جبرتي إلا مصممة      تكسو الوجوه من المخزاة ألوانا  
لمنا عليهم بورد لا كفاء له      يفلن بالبيض تحت النقع أبدانا  
إذا ارجحنوا علونا هامهم قدماً      كأنما نختلي بالهام خطبانا

كم من كريم هوى للوجه منعفراً  
قد اكتسى ثوبه في النقع ألوانا  
ومن عميد تناهى بعد عثرته  
تبدو ندامته للقوم خزيانا

### كل أولاده شعراء وهذه نماذج من شعرهم

وأما الشعراء من ولد زهير: فمنهم مصاد بن أسعد بن جنادة بن صهبان بن امرئ القيس بن زهير بن جناب، وهو القائل:

تمنيت أن تلقى لقاح ابن محرز  
وقبلك شامتها العيون النواظ  
ممنحة في الأقربين مناخة  
وللضيف فيها والصديق معاقر  
فهلا بني عينا عاينت جمعهم  
بحالة إذا سدت عليك المصادر

ومنهم حريث بن عامر بن الحارث ابن امرئ القيس بن زهير بن جناب، وهو القائل:

أرى قومي بني قطن أرادوا  
بألا يتركوا بيدي مالا  
فإن لم أجزهم غيظا ص بغيظ  
وأوردهم على عجل شلالا  
فليت التغلبية لم تلدني  
ولا أغنت بما ولدت قبالا

ومنهم الحزنبل بن سلامة بن زهير بن صهبان بن امرئ القيس بن زهير بن جناب، وهو القائل:

عبثت بمنخرق القميص كأنه  
وضح الهلال على الخمر معذل  
يا سلم ويحك والخليل معاتب  
أزمت أن تصلي سواء وتبخلي  
لما رأيت بعارضي ولمتي  
غير المشيب على الشباب المبدل  
صرمت حبل فتى يهش إلى الندى  
لو تطلبين نداء لم يتعل  
إننا لنصبر عند معترك الوغى  
ونبذ مكرمة الكريم المفضل

ومنهم غرير بن أبي جابر بن زهير بن جناب، وهو القائل:

أبلغ أبا عمرو وأن  
ت علي ذو النعم الجزيله  
أنا منعنا أن تذلل  
بلادكم وبنو جديله  
وطرقتهم ليلا أخ  
برهم بهم ومعى وصيله  
فصدقتهم خيرى فطا  
روا في بلادهم الطويله

ومنهم عرفجة بن جنادة بن أبي النعمان بن زهير بن جناب، وهو القائل:

فمنعرج الوادي عفا فحفير

عفا أبرق العزاف من أم جابر

كأن لم تربعه أوانس حور

فروض ثوير عن يمين روية

ظباء الفلا في لحظهن فتور

رفاق الثنايا والوجوه، كأنها

ومنهم المسيب بن رفل بن حارثة بن جناب بن قيس بن امرئ القيس بن أبي جابر بن زهير بن جناب، وهو القائل:

تمنيتم أن يغلب الحق باطله

قتلنا يزيد بن المهلب بعدما

عن الدين إلا من قضاة قاتله

وما كان منكم في العراق منافق

حسام جلا عن شفرتيه صياقله

تجلله قحل بأبيض صارم

يعني بالفحل ابن عياش بن شمر بن أبي سراحيل بن غرير بن أبي جابر بن زهير بن جناب، وهو الذي قتل يزيد بن المهلب.

ومن بني زهير شعراء كثير، ذكت منهم الفحول دون غيرهم.

### صوت

وتجنى إذا دنت

تدعى الشوق إن نأت

ها فتجزي بما جنت

سرنى لو صبرت عن

ربها في أنجرت

إن سلمى لو اتقت

وسقته حتى نبت

زرعت في الحشا الهوى

الشعر لمسلم بن الوليد، والغناء لعريب خفيف ثقيل. وقيل: إنه لأبي العبيس بن حمدون. وذكر الهشامي أن لإسحاق في: إن سلمى... وما بعده من الثقيل الأول بالبنصر.

### نسب مسلم بن الوليد وأخباره

#### نسبه

وهو مسلم بن الوليد، أبوه الوليد مولى الأنصار ثم مولى أبي أمامة أسعد بن زرارة الخزرجي.

#### كان يلقب صريع الغواني

يلقب صريع الغواني، شاعر متقدم من شعراء الدولة العباسية، منشؤه ومولده الكوفة. وهو -فيما زعموا- أول من قال الشعر المعروف بالبديع، هو لقب هذا الجنس البديع واللطيف . وتبعه فيه جماعة، وأشهرهم فيه أبو تمام الطائي فإنه جعل شعره كله مذهباً واحداً فيه. ومسلم كان متقناً متصرفاً في شعره. أخبرني علي بن سليمان الأحفش، قال: قال أبو العباس محمد بن يزيد: كان مسلم شاعراً حسن النمط، جيد القول في الشراب ، وكثير من الرواة يقرنه بأبي نواس في هذا المعنى. وهو أول من عقد هذه المعاني الظريفة واستخرجها.

### اتهم بأنه أول من أفسد الشعر

حدثنا أحمد بن عبيد الله بن عمار، قال: حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه، قال: سمعت أبي، يقول: أول من أفسد الشعر مسلم بن الوليد، جاء بهذا الذي سماه الناس البديع، ثم جاء الطائي بعده ففتن فيه .

### كان منقطعاً إلى يزيد بن يزيد

أخبرني إبراهيم بن أيوب عن عبد الله بن مسلم الدينوري، قال: كان مسلم بن الوليد وأخوه سليمان منقطعين إلى يزيد بن يزيد ومحمد بن منصور بن زياد، ثم الفضل بن سهل بعد ذلك. وقلد الفضل مسلماً المظالم بجرجان فمات بها.

أخبرني علي بن سليمان، قال: حدثنا محمد بن يزيد قال: كان السبب في قول مسلم:

وتجنى إذا دنت

تدعي الشوق إن نأت

### غازل جارية منزلها في مهب الشمال

#### من منزله، ولم يكن يهواها

أنه علق جارية ذات ذكر وشرف ، وكان منزلها في مهب الشمال من منزله، وفي ذلك يقول: صوت  
أحب الريح ما هبت شمالاً  
وأحسدها إذا هبت جنوباً  
أهابك أن أبوح بذات نفسي  
وأفرق إن سألتك أن أخيباً  
وأهجر صاحبي حب التجني  
عليه إذا تجنت الذنوباً  
كأني حين أغضي عن سواكم  
أخاف لكم على عيني رقيباً

غنى عبد الله بن العباس الربيعي في هذه الأبيات هزجاً بالنصر عن الهشامي.

### كان يحب جاريتيه محبة شديدة

قال: وكانت له جارية يرسلها إليها ويثبها سره، وتعود إليه بأخبارها ورسائلها؛ فطال ذلك بينهما؛ حتى أحببتها الجارية التي علقها مسلم ومالت إليها، وكنتاها في نهاية الحسن والكمال.

وكان مسلم يحب جاريتيه هذه محبة شديدة، ولم يكن يهوى تلك، إنما كان يريد الغزل والمجون والمراسلة، وأن يشيع له حديث بمواها، وكان يرى ذلك من الملاحاة والظرف والأدب، فلما رأى مودة تلك لجاريتيه هجر جاريتيه مظهرًا لذلك، وقطعها عن الذهاب إلى تلك، وذلك قوله:

عليه إذا تجنبت الذنوبا

وأهجر صاحبي حب التجني

وراسلها مع غير جاريتيه الأولى، وذلك قوله:

وتجنى إذا دنت

تدعى الشوق إن نأت

ثم ساءت فأحسنت

واعدتنا وأخلفت

ها فتجزى بما جنت

سرنى لو صبرت عن

ربها في أنجزت

إن سلمى لو اتقت

وسقته حتى نبت

زرعت في الحشا الهوى

أخبرني الحسين بن يحيى ومحمد بن يزيد، قالا: حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه، قال: لقي مسلم بن الوليد أبا نواس فقال له: ما أعرف لك بيتاً إلا فيه سقط، قال: فما تحفظ من ذلك؟ قال: قل أنت ما شئت حتى أريك سقطه فيه، فأنشده:

وأمله ديك الصباح صياحا

ذكر الصبوح سحيرة فارتاحا

فقال له مسلم: فلم أمله وهو الذي أذكره وبه ارتاح؟ فقال أبو نواس: فأنشدني شيئاً من شعرك ليس فيه خلل، فأنشده مسلم:

وأقام بين عزيمة وتجد

عاصى الشباب فراح غير مفند

فقال له أبو نواس: قد جعلته رائحاً مقيماً في حال واحدة وبيت واحد. فتشاغبا وتسابا ساعة، وكلا البيتين صحيح المعنى.

ذكر أمام المأمون شعره فأعجبه

أخبرني جعفر بن قدامة قال: قال لي محمد بن عبد الله بن مسلم: حدثني أبي، قال: اجتمع أصحاب المأمون عنده يوماً، فأفاضوا في ذكر الشعر والشعراء، فقال له بعضهم: أين أنت يا أمير المؤمنين عن مسلم بن الوليد؟ قال: حيث يقول ماذا؟ قال: حيث يقول وقد رثى رجلاً:

فطيب تراب القبر دل على القبر

أرادوا ليخفوا قبره عن عدوه

وحيث مدح رجلاً بالشجاعة فقال:

والجود بالنفس أقصى غاية الجود

يجود بالنفس إذ ضن الجواد بها

وهجا رجلاً بقبح الوجه والأخلاق فقال:

حسنت مناظره لقبح المخبر

قبحت مناظره فحين خبرته

وتغازل فقال:

أنت لقي بينهما معذب

هوى يجد وحبيب يلعب

فقال المأمون: هذا أشعر من خضتم اليوم في ذكره.

**الرشيد ينيبه يزيد من مزيد إلى ما قاله**

**فيه مسلم من مدح**

أخبرني محمد بن عمران الصيرفي والحسن بن علي الخفاف، قالوا: حدثنا الحسن بن عليل العتري، قال: حدثني قعنب بن الحرز، وابن النطاح، عن القحذمي، قال: قال يزيد بن مزيد: أرسل إلي الرشيد يوماً في وقت لا يرسل فيه إلى مثلي فأتيته لابساً سلاحي، مستعداً لأمر إن إرادته، فلما رأي ضحك إلي ثم قال: يا يزيد خبرني من الذي يقول فيك:

لا يأمن الدهر أن يدعى على عجل

تراه في الأمن في درع مضاعفة

فك العناة وأسر الفاتك الخطل

صافي العيان طموح العين همته

وأنت وابنك ركننا ذلك الجبل

الله من هاشم في أرضه جبل

فقلت: لا أعرفه يا أمير المؤمنين. قال: سوءة لك من سيد قوم بمدح. يمثل هذا الشعر ولا تعرف قائله، وقد بلغ أمير المؤمنين فرواه ووصل قائله، وهو مسلم بن الوليد. فانصرفت به ووصلته ووليته.

أخبرني محمد بن عمران الصيرفي، والحسن بن علي الخفاف، قالوا: حدثنا الحسن بن عليل العتري، قال: حدثني أبو عبد الله أحمد بن محمد بن سليمان الحنفي ذو الهدمين، قال: حدثني أبي، قال: دخل يزيد بن مزيد على الرشيد فقال له: يا يزيد، من الذي يقول فيك:

ولا يمسح عينيه من الكحل

لا يعبق الطيب خديه ومفرقه

فهن يتبعنه في كل مرتحل

قد عود الطير عادات وتفن بها

**يزيد بن مزيد يسمع مدحه فيه**

**ويأمر له بجائزة**

فقال: لا أعرف قائله يا أمير المؤمنين. فقال له هارون: أيقال فيك مثل هذا الشعر ولا تعرف قائله! فخرج من عنده خجلاً، فلما صار إلى منزله دعا حاجبه فقال له: من بالباب من الشعراء؟ قال: مسلم بن الوليد، فقال: وكيف حجبتني عني فلم تعلمني بمكانه؟ قال: أخبرته أنك مضيق، وأنه ليس في يديك شيء تعطيه إياه، وسألته الإمساك والمقام أياماً إلى أن تتسع. قال: فأذكر ذلك عليه وقال: أدخله إلي. فأدخله إليه، فأنشده قوله:

وشمرت همم العذال في عذلي

أجرت حبل خليع في الصبا غزل

مفرق بين توديع ومرتحل

رد البكار على العين الطموح هوى

حتى رمانى بلحظ الأعين النجل!

أما كفى البين أن أرمى بأسهمه

صباية خلص التسليم بالمقل

مما جنت لي وإن كانت منى صدقت

فقال له: قد أمرنا لك بخمسين ألف درهم، فاقبضها واعذر. فخرج الحاجب فقال لمسلم: قد أمرني أن أرهن ضيعة من ضياعه على مائة ألف درهم، خمسون ألفاً لك وخمسون ألفاً لنفقته. وأعطاه إياها، وكتب صاحب الخبر بذلك إلى الرشيد، فأمر ليزيد بمائتي ألف درهم وقال: اقض الخمسين التي أخذها الشاعر وزده مثلها. وخذ مائة ألف لنفقتك. فافتك ضيعة، وأعطى مسلماً خمسين ألفاً أخرى.

**يزوره صديق فيبيع خفيه ليقدم له طعاماً**

أخبرني الحسن بن علي الخفاف، قال: حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه، قال: حدثني علي بن عبيد الكوفي، وعلي بن الحسن كلاهما، قال: أخبرني علي بن عمرو، قال: حدثني مسلم بن الوليد المعروف بصريع الغواني قال: كنت يوماً جالساً في دكان خياط بإزاء منزلي، إذ رأيت طارقاً بياي، فقمت إليه فإذا هو صديق لي من أهل الكوفة قد قدم من قم، فسرت به، وكان إنساناً لطم وجهي، لأنه لم يكن عندي درهم واحد أنفقته عليه، فقمت فسلمت عليه، وأدخلته منزلي، وأخذت خفين كانا لي أتجمل بهما، فدفعتهما إلى جاريتي، وكتبت معهما رقعة إلى بعض معارفي في السوق، أسأله أن يبيع الخفين ويشتري لي لحماً وخبزاً بشيء سميت به. فمضت الجارية وعادت إلي وقد اشترى لها ما قد حددته له، وقد باع الخفين بتسعة دراهم، فكأنها إنما جاءت بخفين جديدين.

فقعدت أنا وضيبي نطبخ، وسألت جاراً لي أن يسقينا قارورة نبيذ، فوجه بها إلي، وأمرت الجارية بأن تغلق باب الدار مخافة طارق يجيء فيشركنا فيما نحن فيه، ليبقى لي وله ما نأكله إلى أن ينصرف.

يصل إليه رسول يزيد بن مزيد ويدفع إليه عشرة آلاف درهم فإننا لجاسان نطبخ حتى طرقت الباب طارق، فقلت لجارييتي: انظري من هذا. فنظرت من شق الباب فإذا رجل عليه سواد وشاشية ومنطقة وعه شاكري، فخبرتني بموضعه فأنكرت أمره، ثم رجعت إلى نفسي فقلت: لست بصاحب دعارة، ولا للسلطان علي سبيل. ففتحت الباب وخرجت إليه، فنزل عن دابته وقال: أنت مسلم بن الوليد؟ قلت: نعم. فقال: كيف لي بمعرفتك؟ قلت: الذي ذلك على منزلي يصحح لك معرفتي. فقال لغلامه: امض إلى الخياط فسله عنه. فمضى فسأله عني فقال: نعم هو مسلم بن الوليد. فأخرج إلي كتاباً من خفه، وقال: هذا كتاب الأمير يزيد بن مزيد إلي، يأمرني ألا أفضه إلا عند لقاءك، فإذا فيه: إذا لقيت مسلم بن الوليد فادفع إليه هذه العشرة آلاف درهم، التي أنفذتها تكون له في منزله، وادفع ثلاثة آلاف درهم نفقة ليتحمل بها إلينا. فأخذت الثلاثة والعشرة، ودخلت إلى منزلي والرجل معي، فأكلنا ذلك الطعام، وازددت فيه وفي الشراب، واشترت فاكهة، واتسعت ووهبت لضيبي من الدراهم ما يهدي به هدية لعِياله.

يذهب إلى يزيد وينشده قصيدة في مدحه وأخذت في الجهاز، ثم ما زلت معه حتى صرنا إلى الرقة إلى باب يزيد، فدخل الرجل وإذا هو أحد حجابيه، فوجده في الحمام، فخرج إلي فجلس معي قليلاً، خبر الحاجب بأنه قد خرج من الحمام، فأدخلني إليه، وإذا هو على كرسي جالس، وعلى رأسه وصيفة بيدها غلاف مرآة، ومشط يسرح لحيته، فقال لي: يا مسلم، ما الذي بطأ بك عنا؟ فقلت: أيها الأمير، قلة ذات اليد. قال: فأنشديني. فأنشده قصيدتي التي مدحته فيها:

وشمرت همم العذال في عذلي

أجرت حبل خليع في الصبا غزل

فلما صرت إلى قولي:

ولا يمسح عينيه من الكحل

لا يعبق الطيب خديه ومفرقه

يقص عليه سبب دعوته له

وضع المرآة في غلافها، وقال للجارية: انصربي، فقد حرم علينا مسلم الطيب. فلما فرغت من القصيدة قال لي: يا مسلم، أتدري ما الذي حداني إلى أن وجهت إليك؟ فقلت: لا والله ما أدري. قال: كنت عند الرشيد منذ ليال أعمر رجليه، إذ قال لي: يا يزيد، من القائل فيك:

بمضي فيخرتم الأجساد والهاما

سل الخليفة سيفاً من بني مطر

قد أوسع الناس إنعاماً وإرغاما

كالدهر لا يبنثني عما بهم به

فقلت: لا والله ما أدري. فقال الرشيد: يا سبحان الله! أنت مقيم على أعرابيتك، يقال فيك مثل هذا الشعر ولا تدري من قائله! فسألت عن قائله، فأخبرت أنك أنت هو، فقم حتى أدخلك على أمير المؤمنين.

### يدخل على الرشيد ويمدحه فيأمر له بجائزة

ثم قام فدخل على الرشيد، فما علمت حتى خرج علي الإذن فأذن لي، فدخلت على الرشيد، فأنشدته ما لي فيه من الشعر، فأمر لي بمائتي ألف درهم، فلما انصرف إلى يزيد أمر لي بمائة وتسعين ألفاً، وقال: لا يجوز لي أن أعطيك مثل ما أعطاك أمير المؤمنين. وأقطعني إقطاعات تبلغ غلتها مائتي ألف درهم.

### يهجو يزيد فيدعوه الرشيد ويحذره

قال مسلم: ثم أفضت بي الأمور بعد ذلك إلى أن أغضبني فهجوته، فشكاني إلى الرشيد، فدعاني وقال: أتبيعي عرض يزيد؟ فقلت: نعم يا أمير المؤمنين. فقال لي: فكم؟ فقلت: برغيف خبز. فغضب حتى خفته على نفسي، وقال: قد كنت على أن أشتريه منك بمال جسيم، ولست أفعل ولا كرامة، فقد علمت إحسانه إليك، وأنا نفي من أبي، ووالله ثم والله لئن بلغني أنك هجوته لأنزعن لسانك من بين فكيك، فأمسكت عنه بعد ذلك، وما ذكرته بخير ولا شر.

### البيدق يصله بيزيد بن يزيد

### ويسمعه شعره فيأمر له بجائزة

أخبرني الحسن بن علي، قال: حدثنا محمد بن القاسم بن معرويه، قال: حدثني محمد بن عبد الله اليعقوبي، قال: حدثني البيدق الراوية - وكان من أهل نصيبين - قال: دخلت دار يزيد بن يزيد يوماً وفيها الخلق، وإذا فتى شاب جالس في أفناء الناس، ولم يكن يزيد عرفه بعد، وإذا هو مسلم بن الوليد، فقال لي: ما في نفسي أن أقول شعراً أبداً، فقلت: ولم؟ قال: لأني قد مدحت هذا الرجل بشعر ما مدح بمثله قط، ولست أجد من يوصله، فقلت له: أنشدني بعضه، فأنشدني منه:

موف على مهج في يوم ذي رهج	كأنه أجل يسعى إلى أمل
يقري السيوف نفوس الناكثين به	ويجعل الروس تيجان القنا الذبل
لا يعبق الطيب خديه ومقرفه	ولا يمسح عينيه من الكحل
إذا انتضى سيفه كانت مسالكة	مسالك الموت في الأجسام والقلل
وإن خلت بحديث النفس فكرته	عاش الرجاء ومات الخوف من وجل

كالليث إن هجته فالموت راحتته  
لا يستريح إلى الأيام والدول  
لله من هاشم في أرضه جبل  
وأنت وابنك ركننا ذلك الجبل  
صدقت ظني وصدقت الظنون به  
وحط جودك عقد الرجل عن جملي

قال: فأخذت منها بيتين، ثم قلت له: أنشدني أيضاً ما لك فيه، فأنشدني قصيدة أخرى ابتداؤها:

طيف الخيال حمدنا منك الإماما  
داويت سقماً وقد هيجت أسقاما

يقول فيها:

كالدهر لا ينتهي عما يهم به  
قد أوسع الناس إنعاماً وإرغاما

قال: فأنشدت هذه الأبيات يزيد بن يزيد، فأمر له بخمسمائة درهم. ثم ذكرته بالرقعة فقلت له: هذا الشاعر الذي قد مدحك فأحسن، تقتصر به على خمسمائة درهم! فبعث إليه بخمسمائة درهم أخرى، قال: فقال لي مسلم: جاءني وقد رهنه طيلسان على رؤوس الإخوان، فوقعت مني أحسن موقع. يزيد يغسل عنه الطيب لثلا يكذب قوله أخبرني محمد بن عمران، قال: حدثنا العتري، عن محمد بن بدر العجلي، عن إبراهيم بن سالم، عن أبي فرعون مولى يزيد بن يزيد قال: ركب يزيد يوماً إلى الرشيد فتغلف بغالية، ثم لم يلبث أن عاد فدعا بطست فغسل الغالية، وقال: كرهت أن أكذب قول مسلم بن الوليد:

لا يعبق الطيب خديه ومفرقه  
ولا يمسح عينيه من الحكل

يشير على يزيد بإحراق كتاب وصله أخبرني جعفر بن قدامة، قال: حدثني عبد الله بن أبي سعد، قال: حدثني أبو توبة، قال:

كان مسلم بن الوليد جالساً بين يدي يزيد بن يزيد فأتاه كتاب فيه مهم له، فقرأه سراً ووضع، ثم أعاد قراءته ووضع، ثم أراد القيام، فقال له مسلم بن الوليد:

الحزم تحريقه إن كنت ذا حذر  
وإنما الحزم سوء الظن بالناس

لقد أتاك وقد أدى أمانته  
فاجعل صيانتته في بطن أرماس

قال: فضحك يزيد وقال: صدقت لعمرى. وخرق الكتاب، وأمر بإحراقه.

انقطع إلى محمد بعد موت أبيه ثم هجره حدثني عمي وجحظة، قال: حدثنا علي بن الحسين بن عبد الأعلى، قال: حدثني أبو محم، وحدثني عمي، قال: حدثني عبد الله بن أبي سعد، قال: حدثني أبو توبة، قال: كان مسلم بن الوليد صديقاً ليزيد بن يزيد ومداحاً له، فلما مات انقطع إلى ابنه محمد بن يزيد، ومدحه كما مدح أباه، فلم يصنع إليه خيراً، ولم يرضه ما فعله به، فهجره وانقطع عنه، فكتب إليه يستحفيه ويومه على انقطاعه عنه، ويذكره حقوق أبيه عليه، فكتب إليه مسلم:

لبست عزاء عن لقاء محمد وأعرضت عنه منصفاً وودودا  
وقلت لنفس قادها الشوق نحوه فعوضها حب اللقاء صدودا  
هبيه امراً قد كان أصفاك وده فمات وإلا فاحسبيه يزيدا  
لعمرى لقد ولى فلم الق بعده وفاء لذي عهد يعد حميدا

مات يزيد برذعة فرثاه مسلم أخبرني محمد بن القاسم الأنباري، قال: حدثني أبي، قال: حدثني أحمد بن محمد بن أبي سعد، قال: أهديت إلى يزيد بن مزيد جارية وهو يأكل، فلما رفع الطعام من بين يديه وطئها فلم يتزل عنها، إلا ميتاً، وهو برذعة، فدفن في مقابر برذعة، وكان مسلم معه في صحابته فقال يرثيه:

قبر ببرذعة استسر ضريحه خطراً تقاصر دونه الأخطار  
أبقى الزمان على ربعية بعده حزناً كعمر الدهر ليس يعار  
سلكت بك العبر السبيل إلى العلا حتى إذا بلغوا المدى بك حاروا

ويروى:

حتى إذا سبق الردى بك حاروا

-هكذا أنشده الأحفش:

نفضت بك الأحلاس نفض إقامة واسترجعت روادها الأمصار  
فاذهب كما ذهب غوادي مزنة أنثى عليها السهل والأوعار

### قصة راويته الذي أرسله إلى المهلبى

نسخت من كتاب جدي يحيى بن محمد بن ثوابة: حدثني الحسن بن سعيد، عن أبيه، قال: كان داود بن يزيد بن حاتم المهلبى يجلس للشعراء في السنة مجلساً واحداً فيقصده لطلبه لذلك اليوم وينشدونه، فوجه إليه مسلم بن الوليد راويته بشعره الذي يقول فيه:

جعلته حيث ترتاب الرياح به وتحسد الطير فيه أضيع البيد

فقدم عليه يوم جلوسه للشعراء، ولحقه بعقب خروجهم عنه، فتقدم إلى الحاجب وحسر لثامه عن وجهه ثم قال له: استأذن لي على الأمير. قال: ومن أنت؟ قال: شاعر. قال: قد انصرف وقتك، وانصرف الشعراء، وهو على القيام. فقال له: ويحك، قد وفدت على الأمير بشعر ما قالت العرب مثله. قال: وكان مع الحاجب أدب يفهم به ما يسمع، فقال: هات حتى أسمع، فإن كان الأمر كما ذكرت أوصلتك إليه. فأنشده بعض القصيدة، فسمع شيئاً يقصر الوصف عنه، فدخل على داود فقال له: قد قدم على الأمير شاعر بشعر ما قيل فيه مثله، فقال: أدخل

قائله. فأدخله، فلما مثل بين يديه سلم وقال: قدمت على الأمير -أعزه الله- بمدح يسمعه فيعلم به تقدمي على غيري ممن امتدحه. فقال: هات. فلما افتتح القصيدة وقال:

### لا تدع بي الشوق إني غير معمود نهى النهى عن هوى البيض الرعايد

استوى جالساً وأطرق، حتى أتى الرجل على آخر الشعر، ثم رفع رأسه إليه ثم قال: أهذا شعرك؟ قال: نعم أعز الله الأمير، قال: في كم قلته يا فتى؟ قال: في أربعة أشهر، أبقاك الله، قال: لو قلته في ثمانية أشهر لكنت محسناً، وقد اهتمتك لجودة شعرك وحمول ذكرك، فإن كنت قائل هذا الشعر فقد أنظرتك أربعة أشهر في مثله، وأمرت بالإجراء عليك، فإن جئتنا بمثل هذا الشعر وهبت لك مائة ألف درهم وإلا حرمتك. فقال: أو الإقالة، أعز الله الأمير. قال: أقلتك، قال: الشعر لمسلم بن الوليد، وأنا راويته والوافد عليك بشعره. فقال: أنا ابن حاتم، إنك لما افتتحت شعره فقلت:

### لا تدع بي الشوق إني غير معمود

سمعت كلام مسلم يناديني فأجبت نداءه واستويت جالساً. ثم قال: يا غلام، أعطه عشرة آلاف درهم، واحمل الساعة إلى مسلم مائة ألف درهم.

### أنشد الفضل شعراً فولاه بريد جرجان

أخبرني الحسين بن القاسم الكوكبي، قال: حدثنا عبد الله بن أبي سعد، قال: حدثني مسعود بن عيسى العبدي، قال: أخبرني موسى بن عبد الله التميمي، قال: دخل مسلم بن الوليد الأنصاري على الفضل بن سهل لينشده شعراً، فقال له: أيها الكهل، إني أجلك عن الشعر فسل حاجتك، قال: بل تستتم اليد عندي بأن تسمع، فأنشده:

دموعها من حذار البين تتسكب  
جد الرحيل به عنها ففارقها  
يهوى المسير إلى مرو ويحزنه  
فراقها فهو ذو نفسين يرتقب  
وقلبها مغرم من حرها يجب  
لبينه اللهو واللذات والطرب

فقال له الفضل: إن لأجلك عن الشعر، قال: فأعني بما أحببت من عملك؛ فولاه البريد بجرجان.

### قال بيتاً من الشعر أخذ معناه من التوراة

أخبرني الحسن بن علي، قال: حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه، قال: حدثني الحسين بن أبي السري. وأخبرني بهذه الأخبار محمد بن خلف بن المرزبان، قال: حدثني إبراهيم بن محمد الوراق، عن الحسين بن أبي السري، قال: قيل لمسلم بن الوليد: أي شعرك أحب إليك؟ قال: إن في شعري لبيتاً أخذت معناه من التوراة، وهو قولي:

دلت علي عيبها الدنيا وصدقها ما استرجع الدهر مما كان أعطاني

### قذف في البحر بدفتر فيه شعره فقل شعره

قال الحسين: وحدثني جماعة من أهل جرجان أن راوية مسلم جاء إليه بعد أن تاب ليعرض عليه شعره، فتغافله مسلم، ثم أخذ منه الدفتر الذي في يده، فقذف به في البحر، فلهذا قل شعره، فليس في أيدي الناس منه إلا ما كان بالعراق، وما كان في أيدي المدوحين من مدائحهم.

### كان يكره لقب صريع الغواني

قال الحسين: وحدثني الحسين بن دعبل، قال: قال أبي لمسلم: ما معنى ذلك:

### لا تدع بي الشوق إني غير معمود

قال: لا تدعني صريع الغواني فلست كذلك؛ وكان يلقب هذا اللقب وكان له كارهاً. عتب عليه عيسى بن داود ثم رضي عنه أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان، قال: حدثنا حماد بن إسحاق، عن أبيه، قال: عتب عيسى بن داود على مسلم بن الوليد فهجره، وكان غليه محسناً، فكتب إليه مسلم:

شكرتك للنعمى فلما رميتني  
بصدك تأديباً شكرتك في الهجر  
فعدني للتأديب شكر وللندی  
وإن شئت كان العفو أدعى إلى الشكر  
إذا ما اتقاك المستلیم بعذره  
فعفوك خير من ملام على عذر

قال: فرضي عنه وعاد له إلى حاله.

كان بخيلاً أخبرني الحسن بن علي، قال: حدثني ابن مهرويه، قال: حدثني محمد بن الأشعث، قال: حدثني دعبل بن علي، قال: كان مسلم بن الوليد من أبخل الناس، فرأيته يوماً وقد استقبل الرضا عن غلام له بعد موحدة، فقال له: قد رضيت عنك وأمرت لك بدرهم.

يذمه دعبل عند الفضل بن سهل فيهجوه أخبرني الحسن بن علي، قال: حدثني ابن مهرويه، قال: حدثني محمد بن عمرو بن سعيد قال: خرج دعبل إلى خراسان لما بلغه حظوة مسلم بن الوليد عند الفضل بن سهل. فصار إلى مرو، وكتب إلى الفضل بن سهل:

لا تعبأ بآبن الوليد فإنه  
يرميك بعد ثلاثة بمدل  
إن الملول وإن تقادم عهده  
كانت مودته كفيء ظلال

قال: فدفع الفضل إلى مسلم الرقعة وقال له: انظر يا أبا الوليد إلى رقعة دعبل فيك، فلما قرأها قال له: هل عرفت لقب دعبل وهو غلام أمرد وهو يفسق به؟ قال: لا، قال: كان يلقب بمياس، ثم كتب له:

مياس قل لي: أين أنت من الورى  
أما الهجاء فدق عرضك دونه  
فأذهب فأنت طليق عرضك إنه  
لا أنت معلوم ولا مجهول!  
والمدح عنك كما علمت جليل  
عرض عززت به وأنت ذليل

ما جرى بينه وبين دعبل بسبب جارية أخبرني محمد بن الحسين الكندي الكوفي مؤدي، قال: حدثني أزهر بن محمد، قال: حدثني الحسين بن دعبل، قال سمعت أبي يقول: بينا أنا بباب الكرخ إذ مرت بي جارية لم أر أحسن منها وجهاً ولا قدماً تتثنى في مشيها وتنظر في أعطافها، فقلت متعرضاً لها:

دموع عيني بها انبساط  
فأجابتي بسرعة فقالت:  
ونوم عيني به انقباض

فهل لمولاي عطف قلب  
فأجابتي غير متوقفة فقالت:  
وللذي في الحشا انقراض

إن كنت تعوى الوداد منا  
قال: فما دخل أذني كلام قط أحلى من كلامها، ولا رأيت أنضر وجهاً منها، فعدلت بها عن ذلك الشعر  
وقلت:

أترى الزمان يسرنا بتلاق  
ويضم مشتاقاً إلى مشتاق  
فأجابتي بسرعة فقالت:

ما للزمان وللتحكم بيننا  
أنت الزمان فسرنا بتلاق  
قال: فمضيت أمامها أوم بما دار مسلم بن الوليد وهي تتبعني، فصرت إلى منزله، فصادفته على عسرة، فدفعت إلي منديلاً وقال: اذهب فبعه، وخذ لنا ما نحتاج إليه وعد؛ فمضيت مسرعاً. فلما رجعت وجدت مسلماً قد خلا بها في سرداب. فلما أحس بي وثب إلي وقال: عرفك الله يا أبا علي جميل ما فعلت. ولقائك ثوابه، وجعله أحسن حسنة لك، فغاظني قوله وطزته، وجعلت أفكر أي شيء أعمل به، فقال: بحياتي يا أبا علي أخبرني من الذي يقول:

بت في درعها وبات رفيقي  
فقلت:  
جنب القلب طاهر الأطراف

من له في حر أمه ألف قرن  
قد أنافت على علو مناف!  
وجعلت أشتمه وأثب عليه، فقال لي: يا أحمق، متزلي دخلت، ومنديلي بع، ودراهمي أنفقت، على من تحرد أنت؟ واي شيء سبب حردك يا قواد؟ فقلت له: مهما كذبت علي فيه من شيء فما كذبت في الحمق والقيادة.

### هجاؤه ثلاثة كانوا يصلونه

أخبرني الحسن بن علي، قال: حدثني ابن مهرويه والعززي، عن محمد بن عبد الله العبدي، قال: هجا مسلم بن الوليد سعيد بن سلم ويزيد بن مزيد وخزيمة بن حازم فقال:

ديونك لا يقضى الزمان غريمها  
سعيد بن سلم أبخل الناس كلهم  
يزيد له فضل ولكن مزيداً  
خزيمة لا عيب له غير أنه  
وبخلك بخل الباهلي سعيد  
وما قومه من بخله ببعيد  
تدارك فينا بخله بيزيد  
لمطبخه قفل وباب حديد

هجاؤه سعيد بن سلم أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي، قال: حدثنا عيسى بن إسماعيل تينة، قال: حدثنا الأصمعي، قال: قال لي سعيد بن سلم: قدمت علي امرأة من باهلة من اليمامة، فمدحتني بأبيات، ما تم سروري بها حتى نغصنيها مسلم بن الوليد بهجاء بلغني أنه هجاني به، فقلت: ما الأبيات التي مدحت به؟ فأنشدني:

قتيبة قيس ساد قيساً وسلمها  
وسيد قيس سيد الناس كلها  
هم رفعوا كفيك بالمجد والعلا  
إذا مد للعليا سعيد يمينه  
فلما تولى ساد قيساً سعيدها  
وإن مات من رغم وذل حسودها  
ومن يرفع الأبناء إلا جدودها  
ثنت كفه عنها أكفاً تريدها

قال الأصمعي: فقلت له: فبأي شيء نغصها عليك مسلم؟ فضحك وقال: كلفتني شططاً، ثم أنشد:

وأحبيت من حبها الباخلين  
إذا سيل عرفاً كسا وجهه  
د وتأبى خلائقه أن يجودا  
حتى ومقت ابن سلم سعيدا  
ثياباً من النقع صفراً وسودا  
يغار على المال فعل الجوا

يهجو بعض الكتاب لأنه لم يعجبه شعره أخبرني عمي، قال: حدثنا الكراني، قال: حدثني النوشجاني الخليل بن أسد، قال: حدثني علي بن عمرو، قال: وقف بعض الكتاب على مسلم بن الوليد وهو ينشد شعراً له في محفل، فأطال ثم انصرف، وقال لرجل كان معه: ما أدري أي شيء أعجب الخليفة والخاصة من شعر هذا؟ فوالله ما سمعت منه طائلاً، فقال مسلم: ردوا علي الرجل، فرد إليه، فأقبل عليه ثم قال:

أما الهجاء فدق عرضك دونه  
فأذهب فأنت طليق عرضك إنه  
والمدح عنك كما علمت جليل  
عرض عززت به وأنت ذليل

كان أستاذاً لدعبل ثم تخصصاً ولم يلتقيا أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان، قال: حدثني إبراهيم بن محمد الوراق، قال: حدثني الحسين بن أبي السري، قال: كان مسلم بن الوليد أستاذاً لدعبل وعنه أخذ، ومن بجره

استقى. وحدثني دعبل أنه كان لا يزال يقول الشعر فيعرضه على مسلم، فيقول له: إياك أن يكون أول ما يظهر لك ساقطاً فتعرف به، ثم لو قلت كل شيء جيداً كان الأول أشهر عنك، وكنت أبداً لا تزال تعير به، حتى قلت:

### أين الشباب وأية سلكا

فلما سمع هذه قال لي: أظهر الآن شعرك كيف شئت. قال الحسن: وحدثني أبو تمام الطائي قال: ما زال دعبل متعصباً لمسلم، مائلاً إليه، معترفاً بأستاذيته حتى ورد عليه جرجان، فجفاه مسلم، وهجره دعبل، فكتب إليه:

أبا مخذ كنا عقيدي مودة  
هوانا وقلباناً جميعاً معاً  
أحوطك بالغيب الذي أنت حائطي  
وأجزع إشفاعاً بأن نتوجعا  
فصيرتني بعد انتكائك متهماً  
لنفسى عليها أرهب الخلق أجمعا  
غششت الهوى حتى تداعت أصوله  
بنا وابتذلت الوصل حتى تقطعا  
وأنزلت من بين الجوانح والحشا  
ذخيرة ود طال ما قد تمنعا  
فلا تلحيني ليس لي فيك مطمع  
تخرقت حتى لم أجد لك مرقعا  
فهبك يميني استأكلت فقطعتها  
وجشمت قلبي صبره فنتشجعا

قال: ثم تهاجرا بعد ذلك، فما التقيا حتى ماتا.

محمد بن أبي أمية يمزح معه أخبرني عمي، قال: حدثنا أحمد بن أبي طاهر، قال: أخبرني أحمد بن أبي أمية، قال: لقي أخي محمد بن أبي أمية مسلم بن الوليد وهو يتثنى، ورواته مع بعض أصحابه، فسلم عليه، ثم قال له: قد حضرني شيء. فقال: هاته، قال: على أنه مزاح ولا تغضب، قال: هاته ولو كان شتماً، فأنشده:

من رأى فيما خلا رجلاً تيهه أربى على جدته

يتمشى راجلاً وله شاكري في قلنسوته

فسكت عنه مسلم ولم يجبه، وضحك ابن أبي أمية وافترقا لقي محمد بن أبي أمية بعد موت بردونه فرد عليه مزاحه قال: وكان لمحمد بردون يركبه فنفق، فلقيه مسلم وهو رجال، فقال: ما فعل بردونك؟ قال: نفق، قال: فجازيك إذا على ما أسلفتناه، ثم أنشده:

قل لابن مي لا تكن جازعاً  
لن يرجع البرذون بالليث  
طامن أحشاءك فقدانه  
وكننت فيه عالي الصوت  
وكننت لا تنزل عن ظهره  
ولو من الحش إلى البيت

ما مات من سقم ولكنه

مات من الشوق إلى الموت

### أبو تمام يحفظ شعره وشعر أبي نواس

أخبرني الحسن بن علي، قال: حدثني ابن مهرويه، قال: حدثني أحمد بن سعيد الحريري أن أبا تمام حلف ألا يصلي حتى يحفظ شعر مسلم وأبي نواس، فمكث شهرين كذلك حتى حفظ شعرهما. قال: ودخلت عليه فرأيت شعرهما بين يديه، فقلت له: ما هذا؟ فقال: اللات والعزى وأنا أعبدهما من دون الله. اجتمع مع أبي نواس فتناشدا شعرهما أخبرني الحسن بن علي، قال: حدثنا ابن مهرويه، قال: حدثني سمعان بن عبد الصمد، قال: حدثني دعبل بن علي، قال: كان أبو نواس يسألني أن أجمع بينه وبين مسلم بن الوليد؛ وكان مسلم يسألني أن أجمع بينه وبين أبي نواس، وكان أبو نواس إذا حضر تخلف مسلم، وإذا حضر مسلم تخلف أبو نواس، إلى أن اجتمعا، فأنشده أبو نواس:

وميسور ما يرجى لديك عسير

أجارة بيتينا أبوك غيرو

وأنشده مسلم:

وأنت وابنك ركنا ذلك الجبل

الله من هاشم في أرضه جبل

فقلت لأبي نواس: كيف رأيت مسلماً؟ فقال: هو أشعر الناس بعدي. وسألت مسلماً وقلت: كيف رأيت أبا نواس؟ فقال: هو أشعر الناس وأنا بعده. أمر له ذو الرياستين بمال عظيم بعد أن أنشده شعراً شكاً في حاله أخبرني الحسن، قال: حدثنا ابن مهرويه، قال: حدثني إبراهيم بن عبد الخالق الأنصاري من ولد النعمان بن بشير، قال: حدثني مسلم بن الوليد، قال: وجه إلي ذو الرياستين، فحملت إليه، فقال: أنشدني قولك:

مرت بها بعدك أحوال

بالغمر من زينب أطلال

فأنشدته إياها حتى انتهيت إلى قولي:

كلاً ولكن ليس لي مال

وقائل ليست له همة

هم مع الدهر وأشغال

وهيمة المقتر أمنية

والناس سؤال وبخال

لا جدة أنهض عزمي بها

ترفع فيها حالك الحال

فاقعد مع الدهر إلى دولة

قال: فلما أنشدته هذا البيت قال: هذه والله الدولة التي ترفع حالك . وأمر لي بمال عظيم وقلدي -أو قال قبلي- جوز جرجان .

هجا معن بن زائدة ويزيد بن مزيد فهدهد الرشيد حدثني جحظة، قال: حدثني ميمون بن هارون، قال:

كان مسلم بن الوليد قد انخرق عن معن بن زائدة بعد مدحه إياه، لشيء أوحشه منه، فسأله يزيد بن يزيد أن يهبه له، فوعده ولم يفعل، فتركه يزيد خوفاً منه، فهجاه هجاء كثيراً، حتى حلف له الرشيد إن عاود هجاءه قطع لسانه، فمن ذلك قوله فيه:

يا معن إنك لم تنزل في خزبية  
فاشكر بلاء الموت عندك إنه  
قال: وهجا أيضاً يزيد بن يزيد بعد مدحه إياه فقال:

أيزيد يا مغرور الأم من مشى  
إن كنت تتكر منطقي فاصرخ به  
في من يزيد فإن أصبت بمزيد  
هكذا روى جحظة في هذا الخبر، والشعران جميعاً في يزيد بن يزيد، فالأول منهما أوله:

أيزيد إنك لم تنزل في خزبية  
وهكذا هو في شعر مسلم. ولم يلق مسلم معن بن زائدة، ولا له فيه مدح ولا هجاء.

### رثاؤه يزيد بن يزيد

أخبرني عمي، قال: حدثنا عبد الله بن أبي سعد، قال: حدثنا محمد بن عبد الله بن جشم، قال: كان يزيد بن يزيد قد سأل مسلم بن الوليد عما يكفيه ويكفي عياله، فأخبره فجعله جارية له، ثم قال: ليس هذا مما تحاسب به بدلاً من جائزة أو ثواب مديح. فكان يبعث به إليه في كل سنة، فلما مات رثاه مسلم فقال:

أحقاً أنه أودى يزيد  
أتدري من نعت وكيف دارت  
أحامي المجد والإسلام أودى  
تأمل هل ترى الإسلام مالت  
وهل شيمت سيوف بني نزار  
وهل تسقي البلاد عشار مزن  
أما هدت لمصرعه نزار  
وحل ضريحه إذ حل فيه  
أما والله ما تتفك عيني  
تئين أيها الناعي المشيد!  
به شفتاك دار بها الصعيد  
فما للأرض ويحك لا تميد!  
دعائمه وهل شاب الوليد  
وهل وضعت عن الخيل اللبود  
بدرتها وهل يخضر عود  
بلى وتقوض المجد المشيد  
طريف المجد والحسب التليد  
عليك بدمعها أبداً تجود

فليس لدمع ذي حسب جمود  
دموعاً أو تصان لها خدود  
وهت أطنابها ووهى العمود  
له نشباً وقد كسد القصيد  
فريس للمنية أو طريد

وإن تجمد دموع لئيم قوم  
أبعد يزيد تختزن البواكي  
لتبكيك قبة الإسلام لما  
ويبكك شاعر لم يبق دهر  
فإن يهلك يزيد فكل حي

هكذا في الخبر، والقصيدة للتمي.

### مدح الفضل بن سهل

أخبرني محمد بن يحيى الصولي، قال: حدثنا المشامي، قال: حدثني عبد الله بن عمرو، قال: حدثني موسى بن عبد الله التميمي، قال: دخل مسلم بن الوليد على الفضل بن سهل، فأنشده قوله فيه:

ونبهت عن معالي دهرك الكتب  
إذا تفاخرت الأملاك وانتسبوا

لو نطق الناس أو أنبوا بعلمهم  
لم يبلغوا منك أدنى ما تمت به

فأمر له عن كبي بيت من هذه القصيدة بألف درهم.  
رثاؤه الفضل بن سهل ثم قتل الفضل فقال يرثيه:

وأكبرت أن ألقى بيومك ناعيا  
وأن ليس إلا الدمع للحزن شافيا  
مآتم تتدبن الندى والمعاليا  
ولكن منعى الفضل كان مناعيا  
من الملك يزحمن الجبال الرواسيا!  
وكن كأعياد فعدن مباكيا  
ولم أر إلا بعد يومك باكيا

ذهلت فلم أنقع غليلاً بعبرة  
فلما بدا لي أنه لاجع الأسي  
أقمت لك الأواح ترتد بينها  
وما كان منعى الفضل منعاة واحد  
أللبأس أو للجود أم لمقاوم  
عفت بعدك الأيام لا بل تبدلت  
فلم أر إلا قبل يومك ضاحكاً

### عابه ابن الأحنف في مجلس فهجاه

أخبرني الحسين بن القاسم الكوكبي، قال: حدثنا محمد بن عجلان، قال: حدثنا يعقوب بن السكيت، قال: أخبرني محمد بن المهنا، قال:

كان العباس بن الأحنف مع إخوان له على شراب، فذكروا مسلم بن الوليد، فقال بعضهم: صريع الغواني، فقال العباس: ذاك ينبغي أن يسمى صريع الغيلان لا صريع الغواني، وبلغ ذلك مسلماً فقال بهجوه:

بنو حنيفة لا يرضى الدعي بهم  
فاترك حنيفة واطلب غيرها نسبا  
فاذهب فأنت طليق اللحم مرتهن  
بسورة الجهل ما لم أملك الغضبا  
اذهب إلى عرب ترضى بنسبتهم  
إني أرى لك خلقاً يشبه العربا  
منيت وقد جد الجراء بنا  
بغاية منعتك الفوت والطلبا

ينصرف عن هجاء خزيمة بن خازم ويتمسك بهجاء سعيد بن سلم أخبرني محمد بن يزيد، قال: حدثنا حماد بن إسحاق، عن أبيه، عن جده، قال: قلت لمسلم بن الوليد: ويحك! أما استحييت من الناس حين تهجو خزيمة بن خازم، ولا استحييت منا ونحن إخوانك، وقد علمت أنا نتولاه وهو من تعرف فضلاً وجوداً؟ فضحك، وقال لي: يا أبا إسحاق، لغيرك الجهل، أما تعلم أن الهجاء أخذ بضبع الشاعر وأجدى عليه من المديح المضرع؟ وما ظلمت مع ذلك منهم أحداً، ما مضى فلا سبيل إلى رده، ولكن قد وهبت لك عرض خزيمة بعد هذا. قال: ثم أنشدني قوله في سعيد بن سلم:

ديونك لا يقضى الزمان غريمها  
وبخلك بخل الباهلي سعيد  
سعيد بن سلم أبخل الناس كلهم  
وما قومه من بخله ببعيد

فقلت له: وسعيد بن سلم صديقي أيضاً، فهبه لي، فقال: إن أقبلت على ما يعينك، وإلا رجعت فيما وهبت لك من خزيمة، فأمسكت عنه راضياً بالكفاف.

مدح محمد بن يزيد بن مزيد ثم انصرف عنه أخبرني حبيب بن نصر المهلي، قال: حدثنا عبد الله بن أبي سعد، قال: حدثني عبد الله بن محمد بن موسى بن عمر بن حمزة بن بزيع، قال: حدثني عبد الله بن الحسن اللهي، قال: كان مسلم بن الوليد مداحاً ليزيد بن مزيد، وكان يؤثره ويقدمه ويجزل صلته، فلما مات وفد على ابنه محمد، فمدحه وعزاه عن أبيه، وأقام ببابه فلم ير منه ما يحب، فانصرف عنه وقال فيه:

لبست عزاء عن لقاء محمد  
وأعرضت عنه منصفاً وودودا  
وقلت لنفس قادها الشوق نحوه  
ف عوضها منه اللقاء صدودا  
هبيه امرأ قد كان أصفاك وده  
ومات وإلا فاحسبيه يزيدا  
لعمرى لقد ولى فلم ألق بعده  
وفاء لذي عهد يعد حميدا

مدح الفضل بن يحيى فأجزل له العطاء ووهبه جارية أعجبتة بعد أن قال فيها شعراً أخبرني حبيب بن نصر، قال: حدثنا عبد الله بن أبي سعد، قال: حدثني أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل بن داود، قال: دخل مسلم بن الوليد يوماً

على الفضل بن يحيى، وقد كان أتابه خير مسيره، فجلس للشعراء فمدحوه وأثابهم، ونظر في حوائج الناس فقضاها وتفرق الناس عنه، وجلس للشرب، ومسلم غير حاضر لذلك، وإنما بلغه حين انقضى المجلس، فجاءه فأدخل إليه فاستأذن في الإنشاد، فأذن له، فأنشده قوله فيه:

أنتك المطايا تهدي بمطية  
عليها فتى كالنصل مؤنسه النصل

يقول فيها:

وردت رواق الفضل أمل فضله  
فقط الثناء الجزل نائله الجزل  
فتى ترتعي الآمال مزنة جوده  
إذا كان مرعاها الأمانى والمطل  
تساقط يمانه الندى وشماله الردى  
وعيون القول منطقته الفصل  
ألح على الأيام يفري خطوبها  
على منهج ألقى أباه به قبل  
أناف به العلياء يحيى وخالد  
فليس له مثل ولا لهما مثل  
فروع أصابت مغرساً متمكناً  
وأصلاً فطابت حيث وجهها الأصل  
بكف أبي العباس يستمطر الغنى  
وتستنزل النعمى ويسترفع النصل

قال: فطرب الفضل طرباً شديداً، وأمر بأن تعد الأبيات، فعد فكانت ثمانين بيتاً فأمر له بثمانين ألف درهم، وقال: لولا أنها أكثر ما وصل به الشعراء لزدتك، ولكن شأو لا يمكنني أن أتجاوزها - يعني أن الرشيد رسمه لمروان بن أبي حفصة - وأمره بالجلوس معه والمقام عنده لمنادمته، فأقام عنده، وشرب معه، وكان على رأس الفضل وصيفة تسقيه كأنها لؤلؤة، فلمح الفضل مسلماً ينظر إليها، فقال: قد - وحياتي يا أبا الوليد - أعجبتك، فقل فيها أبياتاً حتى أهبها لك، فقال:

إن كنت تسقين غير الراح فاسقني  
كأساً أذ بها من فيك تشفيني  
عيناك راحي، وريحاني حديثك لي  
ولون حديك لون الوريد يكفيني  
إذا نهاني عن شرب الطلا حرج  
فخمر عينيك يغنيني ويجزيني  
لولا علامات شيب لو أنت وعظت  
لقد صحوت ولكن سوف تأتيني  
أرضي الشباب فإن أهلك فعن قدر  
وإن بقيت فإن الشيب يشقيني

فقال له: خذها بورك لك فهيا، وأمر بتوجيهها مع بعض خدمها إليه.

ماتت زوجته فجزع عليها وتنسك

أخبرني حبيب بن نصر المهلي، قال: حدثنا عبد الله بن أبي سعد، قال: حدثني أحمد بن إبراهيم، قال: كانت لمسلم بن الوليد زوجة من أهله، كانت تكفيه أمره وتسره فيما تليه له منه، فماتت فجزع عليها جزعاً شديداً، وتنسك مدة طويلة، وعزم على ملازمة ذلك، فأقسم عليه بعض إخوانه ذات يوم أن يزوره ففعل، فأكلوا وقدموا الشراب، فامتنع منه مسلم وأباه، وأنشأ يقول:

بكاء وكأس، كيف يتفقان؟  
دعاني وإفراط البكاء فإنني  
غدت والثرى أولى بها من وليها  
فلا حزن حتى تذرف العين ماءها  
وكيف يدفع اليأس للوجد بعدها  
وسبيلهما في القلب مختلفان  
أرى اليوم فيه غير ما تريان  
إلى منزل ناء لعينك دان  
وتعترف الأحشاء للخفقان  
وسبيلهما في القلب يعتلجان!

هاجاه ابن قنبر فأمسك عنه بعد أن بسط لسانه فيه أخبرني حبيب بن نصر، قال: حدثنا عبد الله بن أبي سعد، قال: حدثني علي بن الصباح، قال: حدثني مالك بن إبراهيم، قال: كان مسلم بن الوليد يهاجي الحكم بن قنبر المازني، فغلب عليه ابن قنبر مدة وأخرسه، ثم اثاب مسلم بعد أن انخزل وأفحم، فهتك ابن قنبر حتى كف عن مناقضته، فكان يهرب منه، فإذا لقيه مسلم قبض عليه وهجاه وأنشده ما قال فيه فيمسك عن إجابته؛ ثم جاءه ابن قنبر إلى منزله واعتذر إليه مما سلف، وتحمل عليه بأهله وسأله الإمساك فوعده بذلك، فقال فيه:

حلم ابن قنبر حين أقصر جهله  
ما أنت بالحكم الذي سميته  
لولا اعتذارك لارتى بك زاهر  
لا ترتعن لحمي لسانك بعدها  
هل كان يحلم شاعر عن شاعر؟  
غالتك حلمك هفوة من قاهر  
مرح العباب يفوت طرف الناظر  
إني أخاف عليك شفرة جازر  
لا تأمنن عقوبة من قادر  
واستغنم العفو الذي أوتيته

مسلم وابن قنبر يتهاجيان في مسجد الرصافة أخبرني الحسن بن علي، قال: حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه، قال: حدثني محمد بن عبد الله بن أبو بكر العبدي، قال: رأيت مسلم بن الوليد وابن قنبر في مسجد الرصافة في يوم جمعة، وكل واحد منهما بإزاء صاحبه، وكانا يتهاجيان، فبدأ مسلم فقال:

أنا النار في أحجارها مستكنة  
فغن كنت ممن يقدح النار فاقدح  
فأجابه ابن قنبر فقال:

قد كنت تهوي وما قوسي بموترة  
فكيف ظنك بي والقوس في الوتر

قال: فوثب إليه مسلم وتواخزا وتواثبا، وحجز الناس بينهما فترقا.

لامه رجل من الأنصار على الخزاليه أمام ابن قنبر فعاد إلى هجائه أخيرني الحسن بن علي، قال: حدثني محمد بن القاسم بن مهرويه، قال: حدثني علي بن عبيد الكوفي، قال: حدثني علي بن عمرو الأنصاري، قال: جاء رجل من الأنصار ثم من الخزرج إلى مسلم بن الوليد فقال له: ويحك ما لنا ولك، قد فضحتنا وأخزيتنا، تعرضت لابن قنبر فهاجيته، حتى إذا أمكنته من أعراضنا الخزلت عنه وأرعيتة لحومنا، فلا أنت سكت ووسعك ما وسع غيرك، ولا أنت لما انتصرت أنصفت. فقال له مسلم: فما أصنع؟ فأنا أصبر عليه، فإن كف وإلا تحملت عليه بإخوانه، فإن كف وإلا وكلته إلى بغيه، ولنا شيخ يصوم الدهر ويقوم الليل، فإن أقام على ما هو عليه سألته أن يسهر له ليلة يدعو عليه فيها فإنها تمهلكه، فقال له الأنصاري: سخنت عينك! أو بهذا تتصف من هجاك؟ ثم قال له:

قد لاذ من خوف ابن قنبر مسلم  
بدعاء والده مع الأسفار  
ورأيت شر وعيده أن يثنتكي  
ما قد عراه إلى أخ أو جار

ثكلتك أمك قد هتكت حريمنا  
وفضحت أسرتنا بني النجار  
عممت خزرجنا ومعشر أوسنا  
خزياً جنيت به على الأنصار  
فعليك من مولى وناصر أسرة  
وعشيرة غضب الإله الباري

قال: فكاد مسلم أن يموت غماً وبكاءً وقال له: أنت شر علي من ابن قنبر. ثم أتاب وحمي، فهتك ابن قنبر ومزقه حتى تركه، وتحمل عليه بابنه وأهله حتى أعفاه من المهاجاة.

رجع الحديث عما وقع بين وبين ابن قنبر ونسخت هذا الخبر من كتاب جدي يحيى بن محمد بن ثوبة بخظه، قال: حدثني الحسن بن سعيد، قال: حدثني منصور بن جمهور قال: لما هجا ابن قنبر مسلم بن الوليد أمسك بعد أن أشلى عليه لسانه قال: فجاءه عم له فقال له: يا هذا الرجل، إنك عند الناس فوق ابن قنبر في عمود الشعمر، وقد بعث عليك لسانه ثم أمسكت عنه، فإما أن قارعته أو سلمته. فقال له مسلم: إن لنا شيخاً وله مسجد يتهدج فيه، وله بين ذلك دعوات يدعو بهن، ونحن نسأله أن يجعله من بعض دعواته، فإننا نكفاه، فأطرق الرجل ساعة ثم قال:

غلب ابن قنبر واللئيم مغلب  
لما اتقيت هجاء بدعاء  
ما زال يقذف بالهجاء ولدعه  
حتى اتقوه بدعوة الآباء!

قال: فقال له مسلم: والله ما كان ابن قنبر يبلغ مني هذا كله، فأمسك لسانك عني، وتعرف خبره بعد هذا. قال: فبعث -والله- عليه من لسان مسلم ما أسكته، هكذا جاء في الأخبار.

وقد حدثني بخر مناقضته ابن قنبر جماعة ذكروا قصائدهما جميعاً، فوجدت في الشعر الفضل لابن قنبر عليه، لأن

له عدة قصائد لا نقائص لها، يذكر فيها تعريده عن الجواب، وقصائد يذكر فيها أن مسلماً فخر على قريش وعلى النبي صلى الله عليه وسلم ورماه بأشياء تبيح دمه، فكف مسلم عن مناقضته خوفاً منها، ووجد أشياء كان قالها فيه.

فمن أخبرني بذلك هاشم بن محمد الخزاعي، قال: حدثني عبد الله بن عمرو بن أبي سعد قال: حدثني محمد بن عبد الله بن الوليد مولى الأنصار، وكان عالماً بشعر مسلم بن الوليد وأخباره، قال: سب المهاجة بينه وبين ابن قنبر كان سب المهاجة بين مسلم بن الوليد والحكم بن قنبر أن الطرماع بن حكيم قد كان هجا بني تميم بقصيدته التي يقول فيها:

لا عز نصر امرئ أضحى له فرس  
إذا دعا بشعار الأزد نفرهم  
لوحان ورد تميم ثم قيل لهم:  
أو أنزل الله وحياً أن يعذبها  
على تميم يريد النصر من أجد  
كما ينفرد صوت الليث بالنقد  
حوض الرسول عليه الأزد لم ترد  
إن لم تعد لقتال الأزد، لم تعد

وهي قصيدة طويلة، وكان الفرزدق أجاب الطرماع عنها، ثم إن ابن قنبر المازني قال بعد خبر طويل يرد على الطرماع:

يا عاويها هاج ليثاً بالعواء له  
أي الموارد هابت جم غمرته  
ألم ترد يوم قنذاييل معلمة  
بفتية لم تنازعها فتطبعها  
سشن البراشن ورد اللون ذا لبد  
بنو تميم على حال فلم ترد  
بالخيل تضبر نحو الأزد كالأسد  
بلؤمها طيء ثدياً ولم تلد  
سمر طوال وبحراً من قناً قصد  
ملس المضارب لم تفلل ولم تكد  
فأوردتها مناياها بمرهفة

وهي قصيدة طويلة. وقد كان الطرماع قال أيضاً:

تميم بطرق اللؤم أهدى من القطا  
أرى الليل يجلوه النهار ولا أرى

وقد كان الفرزدق أيضاً أجابه عنها، وقال ابن قنبر ينقضها:

لعمرك ما ضللت تميم ولا جرت  
ولا جينت بل أقدمت يوم كسرت  
على إثر أشياخ عن المجد ضللت  
لها الأزد أغماد السيوف وسلت  
بغائط قنذاييل والموت خائض  
عليها بأجال لها قد أظلت

فما رحت تسقى كؤوس حمامها  
إذا نهلت كروا عليها فعلت  
إلى أنا أبدتهم تميم وأكذبت  
أمانى للشيطان عنها اضمحلت  
وحان فراق منهم كل خدلة  
مفارقة بعلاً به قد تملت

وهي أيضاً طويل قال: فبلغ مسلم بن الوليد هجاء ابن قنبر للأزد وطيء ورده على الطرماح بعد موته. فغضب من ذلك. وقال: ما المعنى في مناقضة رجل ميت وإثارة الشر بذكر القبائل، لا سيما وقد أجابه الفرزدق عن قوله؟ فأبى ابن قنبر إلا تمادياً في مناقضته، فقال مسلم قصيدته التي أولها:

آيات أطلال برامة درس  
هجن الصبابة إذا ذكرت معرسي  
أوحت إلى درر الدموع فأسبلت  
واستفهمتها غير أن لم تنبست  
يقو فيها يصف الخمر:

صفراء من حلب الكروم كسوتها  
بيضاء من حلب الغيوم البجس  
طارت ولاوذها الحباب فحاكها  
فكأن حليتها جني النرجس  
ويقول فيها يصف السيوف:

وتفارق الأغمد تبدو تارة  
حمرأ وتخفى تارة في الأروس  
حرب يكون وقودها أبناءها  
لقتحت على عقر ولما تنفس  
من هارب ركب النجاء ومقعص  
جثمت منيته على المتنفس  
غصبته أطراف الأسنة نفسه  
فثوى فريسة ولغ أو نهس  
إن كنت نازلة اليفاع فنكبي  
دار الرباب وخزرجي أو أوسي  
وتجنبي الجعراء إن سيوفهم  
حدث وإن قناتهم لم تضرس  
عل طيء الأجدال شاكرة امرئ  
زاد القوافي عن حماها مدرس  
أحمي أبا نفر عظام حفيرة  
درست وباقي غرسها لم يدرس  
كافأت نعمتها بضعف بلائها  
ثم انفردت بمنصب لم يدنس  
وإذا افتخرت عددت سعي مآثر  
قصرت على الإغضاء طرف الأشوس  
رفعت بنو النجار حلفي فيهم  
ثم انفردت فأفسحوا عن مجلسي  
فاعقل لسانك عن شتائم قومنا  
لا يعلقنك خادر من مأنس

أخلفت فخرك من أبيك وجنتني

بأب جديد بعد طول تلمس

أخذت عليه المحكمات طريقها

فغدا يهاجي أعظماً في مرمس

قال: فلم يجبه ابن قنبر عن هذه بشيء، ثم التقيا فتعابنا، واعتذر كل واحد منهما إلى صاحبه، فقال مسلم يهجو:

حلم ابن قنبر حين قصر شعره

هل كان يحلم شاعر عن شاعر

### يهجو قريشاً ويفخر بالأنصار

وقد مضت هذه الأبيات متقدماً. قال: ومكث ابن قنبر حيناً لا يجيبه عن هذا ولا عن غيره بشيء طلباً للكفاف، ثم هجا مسلماً قريشاً وفخر بالأنصار فقال:

قل لمن تاه إذ بنا عز جهلاً

ليس بالتية يفخر الأحرار

فتناهاوا وأقصروا فلقد جا

رت عن القصد فيكم الأنصار

أيكم حاط ذا جوار بعز

قبل أن تحتويه منا الدار

أو رجا أن يفوت قوماً بوتر

لم تزل تمتطيهم الأوتار

لم يكن ذلك فيكم فدعوا الفخر

بما لا يسوغ فيه افتخار

ونزاراً ففاخروا تفضلوهم

ودعوا من له عبيداً نزار

فبنا عز منكم الذل والد

هر عليكم بريية كرار

حاذروا دولة الزمان عليكم

إنه بين أهله أطوار

فتردوا ونحن للحالة الأو

لى وللأوحد الأذل الصغار

فاخرتنا لما بسطنا لها الفخر

قريش وفخرها مستعار

ذكرت عزها وما كان فيها

قبل أن يستجيرنا مستجار

إنما كان عزها في جبال

ترتقيها كما ترقى الوبار

أيها الفاخرون بالعز، والعز

لقوم سواهم والفخار

أخبرونا من الأعز أألمن

صور حتى اعتلى أم الأنصار؟

فلنا العز قبل عز قريش

وقريش تلك الدهور تجار

ابن قنبر يجيبه قال: فانبرى له ابن قنبر يجيبه فقال:

ألا أمثل أمير المؤمنين بمسلم  
ولا ترجعن عن قتله باستتابة  
ولا عن مساواة له ولقومه  
ويفخر بالأنصار جهلاً على الذي  
وسموا به الأنصار لا عز قائل

وأفلق به الأحشاء من كل مجرم  
فما هو عن شتم النبي بمحرم  
قريش بأصداء لعاد وجرهم  
بنصرته فازوا بحظ ومغنم  
أراد قريشاً بالمقال المذمم

ومنهم رسول الله أزكى من انتمى  
وما كانت الأنصار قبل اعتصامها  
ولا بالألى يعلون أقدار قومهم  
ولكنهم بالله عاذوا ونصرهم  
فعزوا وقد كانوا وفطيون فيهم  
يسومهم الفطيون ما لا يسامه  
وإن قريشاً بالمآثر فضلت  
فما بال هذا العلج ضل ضلاله  
يسامي قريشاً مسلم وهم هم  
إذا قام فيه غيرهم لم يكن له  
جعاسيس أشبه القروذ لو أنهم  
وما مسلم من هؤلاء ولا ألى  
تولى زماناص غيرهم ثمت ادعى  
فإن يك منهم بالنضير ولفهم  
وإنه تدعه الأنصار مولى أسمهم  
عقاباً لهم في إفكهم وادعائهم  
فلا تدعوه وانتقوا منه تسلموا  
وإلا فغضوا الطرف وانتظروا الردى

إلى نسب زاك ومجد مقدم  
بنصر قريش في المحل المعظم  
صداء وخولان ولخم وسلهم  
قريشاً ومن يستعصم الله يعصم  
من الذل في باب من العز مبهم  
كريم ومن لا ينكر الظلم يظلم  
على الخلق طراً من فصيح وأعجم  
يمد إليهم كف أجذم أعسم  
بمولى بمانى وبيت مهدم  
مقام بن من لؤم مبنى ومدعم  
يباعون ما ابتيعوا جميعاً بدرهم  
ولكنه من نسل علج ملكم  
إليهم فلم يكرم ولم يتكرم  
مواليه لا من يدعي بالترعم  
بقافية تستكره الجلد بالدم  
لأقلف منقوش الذراع موشم  
بنفيكموه من مقام ومأثم  
إذا اختلفت فيكم صوادر أسهمي

ولم تجدوا منها مجناً بجنكم  
وأنتم بنو أذنان من أنتم له  
ولا يبني الرأس الرفيع محله  
فكيف رضيتم أن يسامى نبيكم  
سأحطم من سامى النبي تطاولاً  
أيعدل بيت يثربي بكعبة  
قريش خيار الله والله خصهم  
ومن يدعي منه الولاء مؤخراً  
إذا ذلعت من كل فج ومعلم  
ولستم بأبناء السنام المقدم  
فيسمو بكم مولى مسام وينتمي  
بيتكم الرث القصير المهدم  
عليه وأكوي منماه بميسم  
ثوتها قريش في المكان المحرم  
بذلك فاقعس أيها العلج وارغم  
إذا قيل للجاري إلى المجد أقوم

قال: وكان مسلم قال هذه القصيدة في قريش وكتمها، فوَقعت إلى ابن قنبر، وأجابه عنها، واستعلى عليه وهتكه، وأغرى به السلطان، فلم يكن عند مسلم في هذا جواب من الانتفاء منها، ونسبتها إلى ابن قنبر، والادعاء عليه أنه ألصقها به ونسبها إليه، ليعرضه للسلطان، وخافه فقال يتنفي من هذه القصيدة ويهجو تميماً:

#### قصيدته في هجاء تميم

دعوت أمير المؤمنين ولم تكن  
وإنك إذ تدعو الخليفة ناصرأ  
كذاك الصدى تدعو من حيث لا ترى  
هجوب قريشاً عامداً ونحلتني  
إذا كان مثلي في قبيلتي فإنه  
سيكشفك التعديل عما قرفتني  
فإن قريشاً لا تغير ودها  
مضى سلف منهم وصلى بعقبهم  
جروا فجرينا سابقين بسبقهم  
وإن الذي يسعى ليقطع بيننا  
أضلك قدح الأبدات طريقها  
وخانتك عند الجري لما اتبعتهها  
هناك، ولكن من يخف يتجسم  
لكالمترقي في السماء بسلم  
وإن تتوهمه تمت في التوهم  
رويدك يظهر ما تقول فيعلم  
على ابني لؤي قصرة غير متهم  
به فتأخر عارفاً أو تقدم  
ولا يستمال عهداً بالترعم  
لنا سلف في الأول المتقدم  
كما اتبعت كف نواشر معصم  
كملتس اليربوع في حجر أرقم  
فأصبحت من عميائها في تهيم  
تميم فحاولت العلا بالتقحم

فأصبحت ترميني بسهمي وتتقى

يدي بيدي، أصليت نارك فاضرم

ابن قنبر يهجو

قال: ثم هجاه ابن قنبر بقصيدة أولها:

قل لعبد النضير مسلم الوغد

الذني اللئيم شيخ النصاب

اخس يا كلب إذ نبحت فإني

لست ممت يجيب نبج الكلاب

أفأرضى ومنصبي منصب العز

وبيتي في ذروة الأحساب

أن أحط الرفيع من سمك بيتي

بمهاجاة أوشب الأوشاب

من إذا سيل: من أبوه؟ بدامنه

حياء يحميه رجع الجواب

وإذا قيل حين يقبل: من أنت

ومن تعتز به في الأنساب

قلت: هاجي ابن قنبر، فتسربلت بذكري فخرأ لدى النساب ابن قنبر يتابع هجاءه وهي قصيدة طويلة، فلم يجبه مسلم عنها بشيء، فقال فيه ابن قنبر أيضاً:

لست أنفيك إن سواي نفاكا

عن أبيك الذي له منتماكا

ولما أنفيك يا بن وليد

من أب إن ذكرته أخزاكا

ولو أني طلبت الأم منه

لم أجده إن لم تكن أنت ذاكا

لو سواه أباك كان جعلنا

ه إن الناس طاو عونا أبأكا

حاك دهرأ بغير حذق لبرد

وتحوك الأشعار أنت كذاكا

وهي طويلة، فلم يجبه مسلم عنها بشيء، فقال ابن قنبر أيضاً يهجو:

فخر العبد عبد قن اليهود

بضعيف من فخره مردود

فاخر الغر من قريش بإخوا

ن خنازير من يثرب والقرد

يتولى بني النضير ويدعو

بهم الفخر من مكان بعيد

وبني الأوس والخزرج أل الذ

ل في سالف الزمان التليد

إذ رضوا بافتضاض فطيون منهم

كل بكر ريا الروادف رود

وبنو عمها شهود لما يف

عل فطيون قبحوا من شهود

خلف باب الفطيون والبغل منهم

لا بذى غيره ولا بنجيد

فإذا ما قضى اليهودي منها

نحبه قنعوا بخزي جديد

قال: فلما أفحش في هذه القصيدة وفي عدة قصائد قالها، ومسلم لا يجيبه، مشى إليه قوم من مشيخة الأنصار، واستعانوا بمشيخة من قراء تميم وذوي العلم والفضل منهم، فمشوا معهم إليه وقالوا له: ألا تستحي من أن تهجو من لا يجيبك؟ أنت بدأت الرجل فأجابك، ثم عدت فكف، وتجاوزت ذلك إلى ذكر أعراض الأنصار التي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحميها ويذب عنها ويصونها، لغير حال أحلت لك ذلك منهم، فما زالوا يعظونه ويقولون له كل قول حتى أمسك عن المناقضة لمسلم، فانقطعت.

### صوت

شمس الضحى وأبو إسحاق والقمر

ثلاثة تشرق الدنيا ببهجتهم

الغيث والليث والصمصامة الذكر

يحكي أفاعيله في كل نائبة

الشعر لمحمد بن وهيب، والغناء لعلويه ثقبيل أولى بالوسطى، وفيه لإبراهيم بن المهدي ثقبيل أول آخر عن الهشامي.

### أخبار محمد بن وهيب

#### شعراء الدولة العباسية

محمد بن وهيب الحميري صليبية شاعر من أهل بغداد من شعراء الدولة العباسية، وأصله من البصرة، وله أشعار كثيرة يذكرها فيها ويتشوقها، ويصف إبطانه إياها ومنشأه بها.

#### مدح الحسن بن رجاء ثم المأمون

وكان يستمنح الناس بشعره، ويتكسب بالمديح، ثم توسل إلى الحسن بن سهل بالحسن بن رجاء بن أبي الضحاك ومدحه، فأوصله إليه وسمع شعره فأعجب به واقتطعه إليه، وأوصله إلى المأمون حتى مدحه وشفع له فأسنى جائزته، ثم لم يزل منقطعاً إليه حتى مات. وكان يتشيع، وله مرث في أهل البيت.

### منزلته

هو متوسط من شعراء طبقته، وفي شعره أشياء نادرة فاضلة، وأشياء متكلفة. المعتصم يسمع مديحه ويجيزه دون غيره أخبرنا محمد خلف وكيع، قال: زعم أبو محلم، وأخبرني عمي، عن علي بن الحسين بن عبد الأعلى، عن أبي محلم، قال: اجتمع الشعراء على باب المعتصم فبعث إليهم محمد بن عبد الملك الزيات أن أمير المؤمنين يقول لكم: من كان منكم يحسن أن يقول مثل قول النمري في الرشيد:

أحلك الله منها حيث تجتمع

خليفة الله إن الجود أودية

فليس بالصلوات الخمس ينتفع  
أو ضاق أمر ذكرناه فيتسع

من لم يكن بأمين الله معتصماً  
إن أخلف القطر لم تخلف مخايله

فليدخل وإلا فلينصرف، فقام محمد بن وهيب فقال: فينا من يقول مثله، قال: وأي شيء قلت؟ فقال:

شمس الضحى وأبو إسحاق والقمر  
الغيث والليث والصمصامة الذكر

ثلاثة تشرق الدنيا ببهجتهم  
تحي أفاعيله في كل نائبة

فأمر بإدخاله وأحسن جائزته.

### رجع الحديث عن صلته بالحسن بن رجاء

أخبرني عمي، قال: حدثنا عبد الله بن أبي سعد، قال: حدثني محمد بن محمد بن مروان بن موسى قال: حدثني محمد بن وهيب الشاعر قال: لما تولى الحسن بن رجاء بن أبي الضحاك الجبل قلت فيه شعراً وأنشدته أصحابنا دعبل بن علي وأبا سعد المخزومي، وأبا تمام الطائي، فاستحسنوا الشعر وقالوا: هذا لعمرى من الأشعار التي تلقى بها الملوك، فخرجت إلى الجبل فلما صرت إلى همدان أخبره الحاجب بمكاني فأذن لي فأنشدته الشعر فاستحسن منه قولي:

وصبراً على استدرار دنيا بإيساس  
كريماً وأل يحوجاه إلى الناس  
وأكثر أسباب النجاح مع الياس

أجارتنا إن التعفف بالياس  
حريان ألا يقذفنا بمذلة  
أجارتنا إن القداح كواذب

فأمر حاجبه بإضافتي فأقمت بحضرته كلما دخلت إليه لم أنصرف إلا بحملان أو خلعة أو جائزة حتى انصرم الصيف فقال لي: يا محمد إن الشتاء عندنا عالج فأعد يوماً للوداع. فقلت: خدمة الأمير أحب غلي، فلما كاد الشتاء أن يشتد قال لي: هذا أوان الوداع، فأنشدني الثلاثة الأبيات فقد فهمت الشعر كله، فلما أنشدته:

وأكثر أسباب النجاح مع الياس

أجارتنا إن القداح كواذب

قال: صدقت، ثم قال: عدوا أبيات القصيدة فأعطوه لكل بيت ألف درهم، فعدت فكانت اثنين وسبعين بيتاً، فأمر لي باثنين وسبعين ألف درهم، وكان فيما أنشدته في مقامي واستحسنه قولي: صوت

أما في الهوى حكم يعدل!  
ودان الشباب له الأخطل  
غراراً كما ينظر الأحوال

دماء المحبين لا تعقل  
تعبدني حور الغانيات  
ونظرة عين تعلتها

## مقسمة بين وجه الحبيب

## وطرف الرقيب متى يغفل

في هذه الأبيات هزج طنبوري سمعته من جحظة فذكر أنه يراه للمسدود ولم يحقق صانعه.

قال الأصبهاني: وهذه الأبيات له في المطلب بن عبد الله بن مالك الخزاعي.

قال محمد بن وهيب: وأهدي إلى الحسن بن رجاء غلام فأعجب به فكتب إليه:

## ليهنك الزائر الجديد

## جری به الطائر السعيد

## جاء مشوق إلى مشوق

## فذا ودود وذا ودود

## يوم نعيم ويوم لهو

## خصصت فيه بما تريد

## إلف مشوق أتاه ألف

## فسمتقاد ومستفيد

حدثني أحمد بن عبيد الله بن عمار بهذا الحديث، عن يعقوب بن إسرائيل قرقارة، عن محمد بن مروان بن موسى، عن محمد بن وهيب، فذكر مثل الذي قبله وزاد فيه، فلم يزل يستعديني:

## أجارتنا إن القداح كواذب

## وأكثر أسباب النجاح مع الياس

وأنا أعيده عليه، فانصرفت من عنده بأكثر مما كنت أو مل.

دخل على أبي دلف فأعظمه لإعجابه بشعره حدثني علي بن صالح بن الهيثم الأنباري الكاتب، قال: حدثني أبو هفان، قال: حدثني خالي، قال: كنت عند أبي دلف القاسم بن عيسى، فدخل عليه محمد بن وعيب الشاعر فأعظمه جداً، فلما انصرف قال له أخوه معقل: يا أخي، قد فعلت بهذا ما لم يستحقه، ما هو في بيت من الشرف، ولا في كمال من الأدب، ولا بموضع من السلطان، فقال: بلى يا أخي، إنه لحقيق بذلك، أو لا يستحقه وهو القائل: صوت

## يدل على أنني عاشق

## من الدمع مستشهد ناطق

## ولي مالك أنا عبد له

## مقر بأني له وامق

## إذا ما سموت إلى وصله

## تعرض لي دونه عائق

## وحاربني فيه ريب الزمان

## كأن الزمان له عاشق

في هذه الأبيات رمل طنبوري أظنه لجحظة.

## هنا المطلب بعد عودته من الحج فوصله

## بصلة كبيرة

حدثني عمي، قال: حدثنا عبد الله بن أبي سعد، قال: حدثني محمد بن عبد الله بن مالك، قال: لما قدم المطلب بن عبد الله بن مالك من الحج لقيه محمد بن وهيب مستقبلاً مع من تلقاه، ودخل إليه مهنتاً بالسلامة بعد استقراره، وعاد إليه في الثالثة فأنشده قصيدة طويلة مدحه بها، يقول فيها:

وما زلت أسترعي لك الله غائباً  
وأظهر إشفافاً عليك وأكثرم  
وأعلم أن الجود ما غبت غائب  
وأن الندى في حيث كنت مخيم  
إلى أن زجرت الطير سعداً سوانحاً  
وحم لقاء بالسعود ومقدم  
وظل يناجيني بمدحك خاطر  
وليلي ممدود الرواقين أدهم  
وقال: طواه الحج فاخشع لفقده  
ولا عيش حتى يستهل المحرم  
سيفخر ما ضم الحطيم وزمزم  
بمطلب لو أنه يتكلم  
وما خلقت إلا من الجود كفه  
على أنها والبأس خندان توأم  
أعدت إلى أكناف محكم بهجة  
ليالي سمار الحجون إلى الصفا  
خزاعة إذ خلت لها البيت جرهم  
ولو نطقت بطحاؤها وحجونها  
وخيف مني والمأزمان وزمزم  
إذا لدعت أجزاء جسمك كلها  
تتنافس في أقسامه لو تحكم  
ولو رد مخلوق إلى بدء خلقه  
إذا كنت جسماً بينهن تقسم  
سما بك منها كل خيف أبطح  
نما بك منه الجوهر المتقدم  
وحن إليك الركن حتى كأنه  
وقد جننته خل عليك مسلم

قال: فوصله صلة سنية وأهدى إليه هدية حسنة من طرف ما قدم به وحمله، والله أعلم.

### مدح الحسن بن سهل فأطربه

### ولم يقصد غيره إلى أن مات

أخبرني جعفر بن قدامة، قال: حدثني الحسن بن الحسن بن رجاء، عن أبيه وأهله، قالوا: كان محمد بن وهيب الحميري لما قدم المأمون من خراسان مضاعماً مطرحاً، إنما يتصدى للعامية وأوساط الكتاب والقواد بالمديح ويسترفدهم فيحظى باليسير، فلما هدأت الأمور واستقرت واستوسقت جلس أبو محمد الحسن بن سهل يوماً منفرداً بأهله وخاصته وذوي مودته ومن يقرب من أنسه، فتوسل إليه محمد بن وهيب بأبي حتى أوصله مع الشعراء، فلما انتهى إليه القول استأذن في الإنشاد فأذن له، فأنشده قصيدته التي أولها:

ودائع أسرار طوتها السرائر  
ملكت بها طي الضمير وتحتته  
فأعجم عنها ناطق وهو معرب  
ألم تغذني السراء في ريق الهوى  
تسالمني الأيام في عنفوانه  
حتى انتهى إلى قوله:

إلى الحسن الباني العلا يمت بنا  
إلى الأمل المبسوط والأجل الذي  
ومن أنبعت عين المكارم كفه  
تعصب تاج الملك في عنفوانه  
تعظمه الأوهام قبل عيانه  
به تجتدى النعمى وتستدرك المنى  
أصابت بنا داعي نوالك مؤذناً  
قسمت صروف الدهر بأساً ونائلاً  
ولما رأى الله الخلافة قد وهت  
بنى بك أركاناً عليك محيطية  
وأر عن فيه للسوابغ جنة

يعني أن على الدروع من الغبار ما قد غشيها فصار كالجنة لها.

لها فلک فيه الأسنه أنجم  
أجزت قضاء الموت في مهج العدا  
لك اللحظات الكائنات قواصداً  
ولم لم تكن إلا بنفسك فاحراً  
ونقع المنايا مستطير وثائر  
ضحى فاستباحتها المنايا الغوادر  
بنعمى وبالأساء وهي شوازر  
لما انتسبت إلا إليك المفخر

قال: فطرب أبو محمد حتى نزل عن سريره إلى الأرض وقال: أحسنت والله وأجملت، ولو لم تقل قط ولا تقول

في باقي دهره غير هذا لما احتجت إلى القول، وأمر له بخمسة آلاف دينار فأحضر واقتطعه إلى نفسه، فلم يزل في جنبته أيام ولايته وبعد ذلك إلى أن مات ما تصدى لغيره.

### تردد على علي بن هشام فهجاه

#### هجاء موجعا

حدثني أحمد بن جعفر ححلة، قال: حدثني ميمون بن هارون، قال: كان محمد بن وهيب الحميري الشاعر قد مدح علي بن هشام وتردد عليه وإلى بابه دفعات، فحجبه ولقيه يوماً، فعرض له في طريقه وسلم عليه، فلم يرفع إليه طرفه، وكان فيه تيه شديد، فكتب إليه رقعة يعاتبه فيها، فلما وصلت إليه خرقتها وقال: أي شيء يريد هذا الثقيل السيء الأدب؟ فقيل له ذلك فانصرف مغضباً وقال: والله ما أردت ماله وإنما أردت التوسل بجاهه سيغني الله عز وجل عنه، أما والله ليدمن مغبة فعله. وقال يهجو:

أزرت بجود علي خيفة العدم	فصد منهزماً عن شأو ذي الهمم
لو كان من فارس في بيت مكرمة	أو كان من ولد الأملاك في العجم
أو كان أوله أهل البطاح أو الر	كب الملبون إهلاً إلى الحرم
أيام تتخذ الأصنام آلهة	فلا ترى عاكفاً إلا على صنم
لشجعته على فعل الملوك لهم	طبائع لم ترعها خيفة العدم
لو تتد كفاك من بذل النوال كما	لم يند سيفك مذ قلدته بدم
كنت امرأ رفعتة فتنة فعلا	أيامها غادراً بالعهد والذمم
حتى إذا انكشفت عنا عمايتها	ورتب الناس بالأحساب والقدم
مات التخلق وارتدتك مرتجعاً	طبيعة نذلة الأخلاق والشيم
كذاك من كان لا رأساً ولا ذنباً	كز اليمين حديث العهد بالنعيم
هيهات ليس بحمال الديات ولا	معطي الجزيل ولا المرهوب ذي النقم

قال: فحدثني بني هاشم أن هذه الأبيات لما بلغت علي بن هشام ندم على ما كان منه، وجزع لها وقال: لعن الله اللجاج فإنه شر خلق تخلقه الناس، ثم أقبل على أخيه الخليل بن هشام فقال: الله يعلم أي لا أدخل على الخليفة وعلي السيف إلا وأنا مستح منه، أذكر قول ابن وهيب في:

لم تتد كفاك من بذل النوال كما	لم يند سيفك مذ قلدته بدم
-------------------------------	--------------------------

حدثني محمد بن يحيى الصولي، قال: حدثني ميمون بن هارون، قال: من سمع ابن الأعرابي، يقول: أهجى بيت  
قاله المحدثون قول محمد بن وهيب:

لم تند كفاك من بذل النوال كما  
لم يند سيفك مذ قلدته بدم

### تعرض لأعرابية فأجابته جواباً مسكتاً

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان، قال: حدثني محمد بن مرزوق البصري، قال: حدثني محمد بن وهيب قال:  
جلست بالبصرة إلى عطار فإذا أعرابية سوداء قد جاءت فاشتريت من العطار خلوقاً فقلت له: تجدها اشتريت  
لابنتها وما ابنتها إلا حنفساء، فالتفتت إلي متضحكة، ثم قالت: لا والله، لكن مهارة جيداء، إن قامت فقناة،  
وإن قعدت فحصاة، وإن مشت فقطاه، أسفلها كتيب، وأعلىها قضيب، لا كفتياتكم اللواتي تسموئن بالفتوت  
، ثم انصرفت وهي تقول:

إن الفتوت للفتاة مضرطه  
يكربها في البطن حتى تتلطه

فلا أعلمني ذكرتها إلا أضحكني ذكرها.

تردد على مجلس يزيد بن هارون ثم تركه حدثني عيسى بن الحسين الوراق، قال: حدثنا أبو هفان، قال: كان  
محمد بن وهيب يتردد إلى مجلس يزيد بن هارون، فلزمه عدة مجالس يملئ فيها كلها فضائل أبي بكر وعمر  
وعثمان رضي الله عنهم، لا يذكر شيئاً من فضائل علي عليه السلام، فقال فيه ابن وهيب:

أتي يزيد بن هارون أدالجه  
في كل يوم ومالي وابن هارون

فليت لي بيزيد حين أشهده  
راحاً وقصفاً وندماناً يسليني

أغدو إلى عصابة صمت مسامعهم  
عن الهدى بين زنديق ومأفون

لا يذكرون علياً في مشاهدهم  
ولا بنيه بني البيض الميامين

الله يعلم أنني لا أحبهم  
كما هم بيقين لا يحبوني

ويستطيعون عن ذكرى أبا حسن  
وفضله قطعوني بالسكاكين

ولست أترك تفضيلي له أبداً  
حتى الممات على رغم الملاعين

### مذهبه من شعره

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان، قال: حدثني إسحاق بن محمد الكوفي، قال: حدثني محمد بن القاسم بن  
يوسف. وأخبرني به الحسن بن علي، قال: حدثنا أحمد بن القاسم، قال: حدثني إسحاق، عن محمد بن القاسم بن

يوسف قال: كان محمد بن وهيب يأتي أبي فقال له أبي يوماً: إنك تأتينا وقد عرفت مذاهبنا فنحب أن تعرفنا مذهبك فنوافقك أو نخالفك، فقال له: في غد أئين لك أمري ومذهبي، فلما كان من غد كتب إليه:

أيها السائل قد بينت إن كنت ذكياً

أحمد الله كثيراً	بأياديه عليا
شاهداً أن لا إله	غيره ما دمت حيا
وعلى أحمد بالصد	ق رسولاً ونبياً
ومنحت الود قرباً	ه وواليت الوصيا
وأتاني خير مطرح	لم يك شيا
أن على غير اجتماع	عقدوا الأمر بديا
فوقفت القوم تيماً	وعديا وأميا
غير شتام ولكني	توليت عليا

#### اعتزازه بشعره

حدثني جحظة، قال: حدثني علي بن يحيى المنجم، قال: بلغ محمد بن وهيب أن دعبل بن علي قال: أنا ابن قولي:

لا تعجبي يا سلم من رجل  
ضحك المشيب برأسه فبكي  
وأن أبا تمام قال: أنا ابن قولي:

نقل فؤادك حيث شئت من الهوى  
ما الحب إلا للحبيب الأول  
فقال محمد بن وهيب: وأنا بن قولي:

ما لمن تمت محاسنه  
لك أن تبدي لنا حسناً  
أن يعادي طرف من رمقا  
ولنا أن نعمل الحدقا

قال أبو الفرج الأصبهاني: وهذا من جيد شعره ونادره، وأول هذه الأبيات قوله:

نم فقد وكلت بي الأرقا  
إنما أبقيت من جسدي  
لاهيأ تغري بمن عشقا  
شبحاً غير الذي خلقا  
كنت كالنقصان في قمر  
ماحقاً منه الذي اتسقا

وفتى ناداك من كئيب  
أسعرت أحشاؤه حرقا  
غرقت في الدمع مقلته  
فدعا إنسانها الغرقا  
نما عاقبت ناظره  
أن أعاد اللحظ مسترقا  
ما لمن تمت محاسنه  
أن يعادي طرف من رمقا  
لك أن تبدي لنا حسناً  
ولنا أن نعمل الحدقا  
قدحت كفاك زند هوى  
في سواد القلب فاحترقا

وصف غلمان أحمد بن هشام فوهبه غلاماً فمدحه حدثني عمي، قال: حدثني أبو عبد الله الهشامي، عن أبيه، قال:

دخل محمد بن وهيب على أحمد بن هشام يوماً وقد مدحه، فرأى بين يديه غلاماً روقه مرداً وخدمياً بيضاً فرهاً في نهاية الحسن والكمال والنظافة، فدهش لما رأى وبقي متبلداً لا ينطق حرفاً، فضحك أحمد منه وقال له: ما لك؟ ويحك! تكلم بما تريد، فقال:

قد كانت الأصنام وهي قديمة  
كسرت وجدعهن إبراهيم  
ولديك أصنام سلمن من الأذى  
وصفت لهن غضارة ونعيم  
وبنا إلى صنم نلوذ بركنه  
فقر وأنت إذا هزرت كريم

فقال له: احتر من شئت، فاختار واحداً منهم، فأعطاه إياه، فقال بمدحه:

فضلت مكارمه على الأقوام  
وعلا فحاز مكارم الأيام  
وعلته أبهة الجلال كأنه  
قمر بدا لك من خلال غمام  
إن الأمير على البرية كلها  
بعد الخليفة أحمد بن هشام

### الحسن بن سهل يصله بالمأمون

وأخبرني جعفر بن قدامة في خبره الذي ذكرته آنفاً عنه، عن الحسن بن الحسن بن رجاء، عن أبيه، قال: لما قدم المأمون، لقيه أبو محمد الحسن بن سهل، فدخلاً جميعاً، فعارضهما ابن وهيب وقال:

اليوم جددت النعماء والمنن  
فالحمد لله حل العقدة الزمن  
اليوم أظهرت الدنيا محاسنها  
للناس لما التقى المأمون والحسن

قال: فلما جلسا سأله المأمون عنه فقال: هذا رجل من حمير، شاعر مطبوع، اتصل بي متوسلاً إلى أمير المؤمنين وطالباً الوصول مع نظرائه، فأمر المأمون بإيصاله مع الشعراء، فلما وقف بين يديه، وأذن له في الإنشاد، أنشده قوله:

طللان طال عليهما الأمد  
لبسا البلى فكأنما وجدا  
حييتما ظللين، حالهما  
إما طواك سلو غانية  
إن كنت صادقة الهوى فردي  
أدمي هرقت وأنت آمنة  
إن كنت فت وخانني سبب  
حتى انتهى إلى قوله في مدح المأمون:  
يا خير منتسب لمكرمة  
في كل أنملة لراحته  
وإذا القنا رعت أسنته  
فكأن ضوء جبينه قمر  
وكأنه روح تدبرنا  
دثراً فلا علم ولا نضد  
بعد الأحبة مثل ما أجد  
بعد الأحبة غير ما عهدوا  
فهواك لا ملل ولا فند  
في الحب منهلي الذي أرد  
أم ليس لي عقل ولا قود ؟  
فلربما يخطئ مجتهد  
في المجد حيث تبجح العدد  
نوء يسح وعارض حشد  
علقماً وصم كعوبها قصد  
وكأنه في صولة أسد  
حركاته وكأننا جسد

المأمون يستشير فيه الحسن بن سهل ثم يلحقه بجوائز مروان بن أبي حفصة فاستحسنها المأمون وقال لأبي محمد: احتكم له، فقال: أمير المؤمنين أولى بالحكم، ولكن إن أذن لي في المسألة سألت له، فأما الحكم فلا، فقال: سل، فقال: يلحقه بجوائز مروان بن أبي حفصة، فقال: ذلك والله أردت، وأمر بأن تعد أبيات قصيدته ويعطى لكل بيت ألف درهم، فعدت فكانت خمسين، فأعطي خمسين ألف درهم. من مدائحه للمأمون قال الأصبهاني: وله في المأمون والحسن بن سهل خاصة مدائح شريفة نادرة، من عيونها قوله في المأمون في قصيدة أولها:

العذر أن أنصفت متضح  
فضحت ضميرك عن ودائعه  
وإذا تكلمت العيون على  
وشهيد حبك أدمع سفح  
إن الجفون نواطق فصح  
إعجامها فالسر مفتضح

للحسن فيه مخايل تضح  
بدعاً وأذهب همه الفرح  
مرح وداؤك أنه مرح  
ويعلني الإبريق والقدرح  
ونشا خلال سواده وضح  
وجه الخليفة حين يمتدح

ربما أبيت معانقي قمر  
نشر الجمال على محاسنه  
يختال في حلل الشباب به  
ما زال يلثمني مراشفه  
حتى استرد الليل خلعتة  
وبدا الصباح كأن غرته

يقول فيها:

وتزينت بصفاتك المدح  
بإزاء طرفك عارضاً شبح  
جلل فلا بؤس ولا ترح

نشرت بك الدنيا محاسنها  
وكان ما قد غاب عنك له  
وإذا سلمت فكل حادثة

مدح المطلب بن عبد الله فوصله وأقام عنده مدة أبحرني هاشم بن محمد الخزاعي، قال: حدثني أهلنا: أن محمد بن وهيب قصد المطلب بن عبد الله بن مالك الخزاعي -عم أبي- وقد ولي الموصل وكان له صديقاً حفيماً، وكان كثير الرفد له والثواب على مدائحهم، فأنشده قوله فيه: صوت

أما في الهوى حاكم يعدل  
ودان الشباب له الأخطل  
غراراً كما ينظر الأحوال

دماء المحبين لا تعقل  
تعبدي حور الغانيات  
ونظرة عين تلافيتها

مقسمة بين وجه الحبيب وطرف الرقيب متى يغفل

إليك السلو ولا أذهل  
إذا حم مكروهه أجمل  
بايماض كحلاء لا تكحل  
وكل مواقعها مقتل  
وإن ضن بالمنطق المنزل  
بجد عن الدهر لا ينكل  
فلما تبذت له الموصل  
ولا يؤلف اللقن الحول

أذم على غربات النوى  
وقالوا عزاءك بعد الفراق  
أقيدي دماً سفكته العيون  
فكل سهامك لي مقصد  
سلام على المنزل المستحيل  
وعضب الضريبة يلقى الخطوب  
تغلغل شرقاً إلى مغرب  
ثوى حيث لا يستمال الأريب

لدى ملك قابلته السعود  
وإنبه الأنجم الأقل  
لأيامه سطوات الزمان  
وإنعامه حين لا موئل  
سما ما لك بك للباهرات  
وأوحذك المريراً الأطول  
وليس بعيداً بأن تحتذي  
مذاهب آسادهما الأشبل

قال: فوصله وأحسن جائزته وأقام عنده مدة، ثم استأذنه في الإنصراف فلم يأذن له، وزاد في ضيافته وجراياته ووجد له صلة، فأقام عنده برهة أخرى، ثم دخل عليه فأنشده:

ألا هل إلى ظل العقيق وأهله  
وإلى قصر أوس فالحزير معاد؟  
وهل لي بأكناف المصلى فسفحه  
إلى السور مغدى ناعم ومراد؟  
فلم تنسني نهر الأبله نية  
ولا عرصات المربدین بعاد  
هنالك لا تبني الكواعب خيمة  
ولا تنهادى كلثم وسعاد  
أجدي لا ألقى النوى مطمئنة  
ولا يزدهيني مضجع ومهاد

فقال له: أبيت إلا الوطن والتزاع إليه! ثم أمر له بعشرة آلاف درهم، وأوقر له زورقاً من طرف الموصل وأذن له.

### المأمون يتمثل من شعره

حدثني محمد بن يحيى الصولي، قال: حدثني أبو عبد الله الماقتاني، عن علي بن الحسين بن عبد الأعلى، عن سعيد بن وهيب، قال: كان المأمون كثيراً ما يتمثل إذا كربه الأمر:

ألا ربما ضاق الفضاء بأهله  
وأمكن من بين الأسنة مخرج

قصيدته في ابن عباد وزير المأمون حين أبعدته قال الأصبهاني: وهذا الشعر لمحمد بن وهيب يقوله في ابن عباد وزير المأمون، وكان له صديقاً، فلما ولي الوزارة اطرحه لانقطاعه إلى الحسن بن سهل فقال فيه قصيدة أولها:

تكلم بالوحي البنان المخضب  
ولله شكوى معجم كيف يعرب؟  
ألياء أطراف البنان ووجهها  
أباتا له كيف الضمير المغيب؟  
وقد كان حسن الظن أنجب مرة  
فأحمد عقبى أمره المتعقب  
فلما تدبرت الظنون مراقباً  
تقلب حالها إذا هي تكذب  
بدأت بإحسان فلما شكرته  
تتكرت لي حتى كأني مذنب  
وكل فتى يلقي الخطوب بعزمه  
له مذهب عن له عنه مذهب

عليه بما يأتي وما يتجنب  
مع الدهر يوماً مصعداً ومصوب  
وقومها غمز القداح المقلب  
وأن سوف أغضي للقذى حين أرغب  
شواكل أمر بينهن مجرب  
بودي وتتأى بي فلا أتقرب  
سلوك عني والأمور تقلب  
وإن جاد هطل من المزن هيدب  
وقلت إذا ما لاح: ذا البرق خلب  
وأعرضت عنها خوف ما أتقرب  
أعود له إن الزمان مؤدب

وهل يصرع الحب الكريم وقلبه  
تأنيت حتى أوضح العلم أنني  
وألحقت أعجاز الأمور صدورها  
وأيقنت أن اليأس للعرض صائن  
أغادرتي بين الظنون مميّزاً  
يقربني من كنت أصفيك دونه  
فله حظي منك كيف أضاعه  
أبعدك أستسقي بوارق مزنة  
إذا ما رأيت البرق أغضيت دونه  
وإن سنحت لي فرصة لم أسامها  
تأديت عن حسن الرجاء فلن أرى

وقال له أيضاً:

لها معقب تحدى إليه وتزعج  
وما العيش إلا جدة ثم تنهج  
ويطمعني ريعانه المتبلج  
ولا الرزق مجذور ولا أنا محرج؟  
وأدنى إلى الحال التي هي أسمح  
سرى الليل رحال العشيات مدلج  
وأمكن إدلاج وأصحر منهج  
وأمكن من بين الأسنة مخرج  
إذا لم يكن إلا عليه معرج

هل الهم إلا كربة تتفرج  
وما الدهر إلا عائد مثل سالف  
وكيف أشيم البرق والبرق خلب  
وكيف أديم الصبر لا بي ضراعة  
ألا ربما كان التصبر ذلة  
وهل يحمل الهم الفتى وهو ضامن  
ولا صبر ما أعدى على الدهر مطلب  
ألا ربما ضاق الفضاء بأهله  
وقد يركب الخطب الذي هو قاتل

مدح الأفيشين فأجازه المعتصم حدثني بعض أصحابنا عن أحمد بن أبي كامل قال: كان محمد بن وهيب تياهاً شديداً الذهب بنفسه، فملا قدم الأفيشين -وقد قتل بابك- مدحه بقصيدته التي أولها:

تتاجيها وتبكيها

طلول ومغانيها

يقول فيها:

## بعثت الخيل، والخير

## عقيد في نواصيها

وهي من جيد شعره، فأنشدناها ثم قال: ما لها عيب سوى أنها لا أخت لها.

قال: وأمر المعتصم للشعراء الذين مدحوا الأفشين بثلاثمائة ألف درهم جرت تفرقتها على يد ابن أبي داود، فأعطى منها محمد بن وهيب ثلاثين ألفاً، وأعطى أبا تمام عشرة آلاف درهم. قال ابن أبي كامل: فقلت لعلي بن يحيى المنجم: ألا تعجب من هذا الحظ؟ يعطى أبو تمام عشرة آلاف وابن وهيب ثلاثين ألفاً، وبينهما كما بين السماء والأرض. فقال: لذلك علة لا تعرفها؛ كان ابن وهيب مؤدب الفتح بن خاقان، فلذلك وصل إلى هذه الحال.

## يذكر الدنيا ويصل حاله وهو عليل

أخبرني محمد بن يحيى الصولي. قال: حدثني أبو زكوان، قال: حدثني من دخل إلى محمد بن وهيب يعودوه وهو عليل قال: فسألته عن خبره فتشكى ما به ثم قال:

نفوس المنايا بالنفوس تشعب	وكل له من مذهب الموت مذهب
نراع لذكر الموت ساعة ذكره	وتعترض الدنيا فنلهو ونلعب
وآجالنا في كل يوم وليلة	إلينا على غراتنا نتقرب
أيقن أن الشيب ينعي حياته	مدر لأخلاف الخطيئة مذنب
يقين كأن الشك أغلب أمره	عليه وعر فان إلى الجهل ينسب
وقد نمت الدنيا إلي نعيمها	وخاطبني إعجامها وهو معرب
ولكنني منها خلقت لغيرها	وما كنت منه فهو عندي محبب

ابن أبي فنن وأبو يوسف يطعان عليه فيرد عليهما من ينصفه أخبرني الحسن بن علي، قال: حدثنا ابن مهرويه، قال: حدثني أحمد بن أبي كامل، قال: كنا في مجلس ومعنا أبو يوسف الكندي وأحمد بن أبي فنن، فتذاكرنا شعر محمد بن وهيب فطعن عليه ابن أبي فنن وقال: هو متكلف حسود، إذا أنشد شعراً لنفسه قرظه ووصفه في نصف يوم وشكا أنه مظلوم منحوس الحظ وأنه لا تقصر به عن مراتب القدمات حال، فإذا أنشد شعر غيره حسده، وإن كان على نبيذ عربد عليه، وإن كان صاحياً عاداه واعتقد فيه كل مكروه. فقلت له: كلا كما لي صديق، وما أمتنع من وصفكما جميعاً بالتقدم وحسن الشعر، فأخبرني عما أسألك عنه إخبار منصف، أو يعد متكلفاً من يقول:

يقيني أن لا عسر إلا مفرج

أبي لي إغضاء الجفون على القذى

ألا ربما ضاق الفضاء بأهله

وأمكن من بين الأسنان مخرج؟

أو يعد متكلفاً من يقول:

رأت وضحاً من مفرق الرأس راعها

شريحين مبيض به وبهيم؟

فأمسك ابن أبي فنن، واندفع الكندي فقال: كان ابن وهيب ثوبياً. فقلت له: من أين علمت ذلك؟ أكلمك على مذهب الثنوية قط؟ قال: لا، ولكني استدلت من شعره على مذهبه، فقلت: حيث يقول ماذا؟ فقال: حيث يقول:

طللان طال عليهما الأمد

وحيث يقول:

تفتن عن سمطين من ذهب

إلى غير ذلك مما يستعمله في شعره من ذكر الاثني.

فشغلني والله الضحك عن جوابه. وقلت له: يا أبا يوسف، مثلك لا ينبغي أن يتكلم فيما لم ينفذ فيه علمه. يستنجز محمد بن عبد الملك الزيات حاجته أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار، قال: حدثني أحمد بن سليمان بن أبي شيخ، عن أبيه، قال: سألت محمد بن وهيب محمد بن عبد الملك الزيات حاجة فأبطأ فيها، فوقف عليه ثم قال له:

طبع الكريم على وفائه

وعلى التفضل في إخوانه

تغني عنايته الصديق عن التعرض لاقتضائه

حسب الكريم حياؤه

فكل الكريم إلى حياؤه

فقال له: حسبك فقد بلغت إلى ما أحببت، والحاجة تسبقك إلى متزك. ووفى له بذلك.

### صوت

وددت على ما كان من سرف الهوى

وغى الأمانى أن ما شئت يفعل

فترجع أيام نقضت ولذة

تولت، وهل يثنى من الدهر أول!

الشعر لمزاحم العقيلي والغناء لمقاسة بن ناصح، خفيف رمل بالبصر عن الهشامي. قال الهشامي: لأحمد بن يحيى المكي رمل.

أخبار مزاحم ونسبه

نسبه

هو مزاحم بن عمرو بن الحارث بن مصرف بن الأعلم بن خويلد بن عوف بن عامر بن عقيل بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن.  
وقيل: مزاحم بن عمرو بن مرة بن الحارث بن مصرف بن الأعلم، وهذا القول عندي أقرب إلى الصواب.  
بدوي شاعر فصيح إسلامي، صاحب قصيدة ورجز، كان في زمن جرير والفرزدق. وكان جرير يصفه ويقرظه ويقدمه.

### بيتان له تمنى جرير أنهما له

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان، قال: حدثني الفضل بن محمد اليزيدي، عن إسحاق الموصلي، قال: قال لي عمارة بن عقيل: كان جرير يقول: ما من بيتين كنت أحب أن أكون سبقت إليهما غير بيتين من قول مزاحم العقيلي:

وددت على ما كان من سرف الهوى      وغي الأمانى أن ما شئت يفعل  
فترجع أيام مضيئ ولذة      تولت وهل يثنى من العيش أول!

قال المفضل: قال إسحاق: سرف الهوى: خطؤه، ومثله قول جرير:

أعطوا هنيذة تحدوها ثمانية      ما في عطائهم من ولا سرف

أراد أنهم يحفظون مواضع الصنائع، لا أنه وصفهم بالاعتقاد والتوسط في الجود.

### إسحاق يعجب بشعره

قال إسحاق: وواعدي زياد الأعرابي موضعاً من المسجد، فطلبت فيه فلم أجده، فقلت له بعد ذلك: طلبتك لموعدك فلم أجده. فقال: أين طلبتني؟ فقلت: في موضع كذا وكذا، فقال: هناك والله سرفتك، أي أخطأتك.  
أخبرني محمد بن يزيد بن أبي الأزهر، قال: أنشدني حماد عن أبيه لمزاحم العقيلي قال - وكان يستجدها ويستحسنها -:

لصفراء في قلبي من الحب شعبة      حمى لم تبحه الغانيات صميم  
بها حل بيت الحب ثم ابتنى بها      فبانة بيوت الحي وهو مقيم  
بكت دارهم من نأيهم فتهللت      دموعي فأبي الجاز عين ألوم!  
أمستعبراً يبكي من الحزن والجوى      أم آخر يبكي شجوه فيهم؟  
تضمنه من حب صفراء بعدما      سلا هيضات الحب فهو كليم

يمت أو يعيش ما عاش وهو سقيم

ومن يتهيبض حبهن فؤاده

وعن بللات الرقيق فهو يحوم

كحران صاد نزيد عن برد مشرب

### منعه عمه من زواجه بابنته لفقره

أخبرني علي بن سليمان الأحفش، قال: حدثنا أبو سعيد السكري، قال: أخبرنا محمد بن حبيب، عن ابن أبي الدنيا العقيلي -قال ابن حبيب: وهو صاحب الكسائي وأصحابنا- قال: كان مزاحم العقيلي خطب ابنة عم له دنية فمنعه أهلها لإملاقه وقلة ماله، وانتظروا بها رجلاً موسراً في قومها كان يذكرها ولم يحقق، وهو يومئذ غائب. فبلغ ذلك مزاحماً من فعلهم، فقال لعمه: يا عم، أقطع رحمي وتختار علي غيري لفضل أباعر تحوزها وطيف من الحظ تحظى به! وقد علمت أني أقرب إليك من خاطبها الذي تريده، وأفصح منه لساناً، وأجود كفاً، وأمنع جانباً، وأغنى عن العشيرة! فقال له: لا عليك فإنها إليك صائرة، وإنما أعلل أمها بهذا، ثم يكون أمرها لك، فوثق به.

تزوجت ابنة عمه في غيابه فقال وأقاموا مدة، ثم ارتحلوا ومزاحم غائب، وعاد الرجل الخاطب لها فذاكروه أمرها، فرغب فيها، فأنكحوه إياها، فبلغ ذلك مزاحماً فأنشأ يقول:

يسيل بأطراف المخارم آلهما

نزلت بمفضى سيل حرسين والضحي

مقاربة الألاف ثم زيالها

بمسقية الأجفان أنفد دمعها

حمى البئر جلى عبرة العين جالها

فلما نهاها اليأس أن تونس الحمى

سوانا ويعيي النفس فيك احتيالها

أياليل إن تشحط بك الدار غربة

سريع على جيب القميص انهلالها

فكم ثم كم من عبرة قد رددتها

يقرب من ليلى إلينا احتيالها

خليلي هل من حيلة تعلمانها

عدتني عنها الحرب دان ظلالها

فإن بأعلى الأخشبين أراكة

جنى يجتنيه المجتني لو ينالها

وفي فرعها لو تستطاع جنابها

وتزويج ليلى حين حان ارتحالها

هنيئاً لليلى مهجة ظفرت بها

بها الربح أقوام تساخف مالها

فقد حبسوها محبس البدن وابتغى

غمامة صيف زعزعتها شمالها

فإن مع الركب الذين تحملوا

سجنه ثم هربه

وقال محمد بن حبيب في خبره، قال ابن الأعرابي:

وقع بين مزاحم العقيلي وبين رجل من بني جعدة لحاء في ماء فتشامتا وتضاربا بعصيهما، فشجحه مزاحم شجة أمته، فاستعدت بنو جعدة على مزاحم فحبس حبساً طويلاً، ثم هرب من السجن، فمكث في قومه مدة، وعزل ذلك الوالي وولى غيره، فسأله ابن عم لمزاحم يقال له مغلس أن يكتب أماناً لمزاحم، فكتبه له، وجاء مغلس والأمان معه، فنفر مزاحم ووطنها خيلة من السلطان، فهرب وقال في ذلك:

أتاني بقرطاس الأمير مغلس

فأفزع قرطاس الأمير فؤاديا

فقلت له: لا مرحباً بك مرسلأ

إلي ولا لي من أميرك داعيا

أليست جبال القهر قعساً مكانها

وعروى وأجبال الوحاف كما هيا؟

أخاف ذنوبي أن تعد ببابه

وما قد أزل الكاشحون أماميا

ولا أستريم عقبة الأمر بعدما

تورط في بهماء كعبي وساقيا

هوى امرأة من قومه وتزوجت غيره أخبرني محمد بن مزيد، وأحمد بن جعفر جحظة، قال: حدثنا حماد بن إسحاق، عن أبيه، قال: كان مزاحم العقيلي يهوى امرأة من قومه يقال لها مية، فتزوجت رجلاً كان أقرب إليها من مزاحم، فمر عليها بعد أن دخل بها زوجها، فوقف عليها ثم قال:

أيا شفنتي مي أما من شريعة

من الموت إلا أنتما توردانيا!

ويا شفنتي مي أمالي إليكما

سبيل وهذا الموت قد حل دانيا!

ويا شفنتي مي أما تبدلان لي

بشيء وإن أعطيت أهلي وماليا!

فقلت: أعزز علي يا بن عم بأن تسأل ما لا سبيل إليه، وهذا أمر قد حيل دونه، فإله عنه. فانصرف.

### جرير يتمنى أن يكون له بعض شعره

أخبرني علي بن سليمان الأحفش، قال: حدثنا محمد بن يزيد النحوي، قال: حدثني عمارة بن عقيل قال: قال لي أبي: قال عبد الملك بن مروان لجرير: يا أبا حذرة، هل تحب أن يكون لك بشيء من شعر غيرك؟ قال: لا، ما أحب ذلك، إلا أن غلاماً يتزل الروضات من بلاد بني عقيل يقال له مزاحم العقيلي، يقول حسناً من الشعر لا يقدر أحد أن يقول مثله، كنت أحب أن يكون لي بعض شعره مقايضة ببعض شعري.

هوى امرأة من قومه يقال لها ليلي وتزوجت من غيره أخبرني محمد بن الحسن بن دريد، قال: حدثني عمي، عن العباس بن هشام، عن أبيه، قال: كان مزاحم العقيلي يهوى امرأة من قومه يقال لها ليلي، فغاب غيبة عن بلاده، ثم عاد وقد زوجت، فقال في ذلك:

أتاني بظهر الغيب أن قد تزوجت

فظلت بي الأرض الفضاء تدور

وزايلني لبي وقد كان حاضراً  
فقلت وقد أيقنت أن ليس بيننا  
أيا سرعة الأخبار حين تزوجت  
ولست بمحص حب ليلي لسائل  
وكاد جناني عند ذاك يطير  
تلاق وعيني بالدموع تمور  
فهل يأتيني بالطلاق بشير  
من الناس إلا أن أقول كثير

صوت

لها في سواد القلب تسعة أسهم  
وللناس طراً من هواي عشير

قال ابن الكلبي: ومن الناس من يزعم أن ليلي هذه التي يهواها مزاحم العقيلي هي التي كان يهواها المجنون، وأنها اجتماع هو ومزاحم في حبها.

هوى امرأة أخرى من قشير وتزوجت بغيره قال الأصبهاني: وقد أخبرني بشرح هذا الخبر الحسن بن علي، قال: حدثنا عبد الله بن أبي سعدة، عن علي بن الصباح، عن ابن الكلبي، قال: كان مزاحم بن مرة العقيلي يهوى امرأة من قشير يقال لها ليلي بنت موازر، ويتحدث إليها مدة حتى شاع أمرهما، وتحدثت جوارى الحي به، فنهاه أهلها عنها، وكانوا متجاوزين، وشكوه إلى الأشياخ من قومه فنهوه واشتدوا عليه، فكان يتفلسف إليها في أوقات الغفلات، فيتحدثان ويتشاكيان، ثم انتجعت بنو قشير في ربيع لهم ناحية غير تلك قد نضرها غيث وأحصبها، فبعد عليه خبرها واشناقها، فكان يسأل عنها كل وارد، ويرسل إليها بالسلام مع كل صادر، حتى ورد عليه يوماً راكب من قومها، فسأله عنها فأخبره أنها خطبت فزوجت، فوجم طويلاً ثم أجهش باكياً وقال:

أتاني بظهر الغيب أن قد تزوجت  
فظلت بي الأرض الفضاء تدور

وذكر الأبيات الماضية.

وقد أنشدني هذه القصيدة لمزاحم ابن أبي الأزهر، عن حماد عن أبيه، فأتى بهذه الأبيات وزاد فيها:

وتنشر نفسي بعد موتي بذكرها  
عجبت لربي عجة ما ملكتها  
ليرحم ما ألقى ويعلم أنني  
لئن كان يهدى برد أنيابها العلا  
مراراً فموت مرة ونشور  
وربي بذى الشوق الحزين بصير  
له بالذي يسدي إلي شكور  
لأحوج مني إنني لفقير

**الفرزدق وجريرو ذو الرمة يفضلونه على أنفسهم**

حدثني عمي، قال: حدثني أبو أيوب المديني، قال: قال أبو عدنان: أخبرنا تميم بن رافع قال: حدثت أن الفرزدق دخل على عبد الملك بن مروان - أو بعض بنيه - فقال له: يا فرزدق، أتعرف أحداً أشعر منك؟ قال: لا، إلا غلاماً من بني عقيل، يركب أعجاز الإبل وينعت الفلوات فيجيد، ثم جاءه جريرو فسأله عن مثل ما سأل عنه

الفرزدق فأجابه بجوابه، فلم يلبث أن جاءه ذو الرمة فقال له: أنت أشعر الناس؟ قال: لا، ولكن غلام من بني عقيل يقال له مزاحم يسكن الروضات. يقول وحشياً من الشعر لا يقدر على مثله، فقال: فأنشدني بعض ما تحفظ من ذلك، فأنشده قوله:

خليلي عوجا بي على الدار نسأل      متى عهدها بالظاعن المترحل  
فعجت وعاجوا فوق ببداء مورت      بها الريح جولان التراب المنخل  
حتى أتى على آخرها ثم قال: ما أعرف أحداً يقول قولاً يواصل هذا.

### صوت

أكذب طرفي عنك في كل ما أرى      وأسمع أذني منك ما ليس تسمع  
فلا كبدي تبلى ولا لك رحمة      ولا عنك إقصار ولا فيك مطمع  
لقيت أموراً فيك لم ألق مثلها      وأعظم منها فيك ما أتوقع  
فلا تسأليني في هواك زيادة      فأيسره يجزي وأدناه يقنع

الشعر لبكر بن النطاح، والغناء لحسين بن محرز ثقيل أول بالوسطى عن الهشامي.

### أخبار بكر بن النطاح ونسبه

#### اسمه ونسبه

بكر بن النطاح الحنفي . يكنى أبا وائل، هكذا أخبرنا وكيع عن عبد الله بن شبيب، وذكر غيره أن عجلي من بني سعد بن عجل، واحتج من ذكر أنه عجلي بقوله:

فإن يك جد القوم فهر بن مالك      فجدي عجل قرم بكر بن وائل  
وأنكر ذلك من زعم أنه حنفي وقال: بل قال:  
فجدي لجيم قرم بكر بن وائل

وعجل بن لجيم وحنيفة بن لجيم أخوان.

وكان بكر بن النطاح صعلوكاً يصيب الطريق، ثم أقصر عن ذلك، فجعله أبو دلف من الجنند، وجعل له رزقاً سلطانياً، وكان شجاعاً بطلاً فارساً شاعراً حسن الشعر والتصرف فيه، كثير الوصف لنفسه بالشجاعة والإقدام.

#### قصته مع أبي دلف

فأخبرني الحسن بن علي ، قال: حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه، قال: حدثني أبي، قال: قال بكر بن النطاح الحنفي قصيدته التي يقول فيها:

### هنيئاً لإخواني ببغداد عيدهم وعيدي بجلوان قراع الكتائب

وأنشدها أبا دلف فقال له: إنك لتكثر الوصف لنفسك بالشجاعة، وما رأيت لذلك عندك أثراً قط، ولا فيك، فقال له: أيها الأمير وأي غناء يكون عند الرجل الحاسر الأعزل؟ فقال: أعطوه فرساً وسيفاً وترساً ودرعاً ورمحاً، فأعطوه ذلك أجمع، فأخذه وركب الفرس وخرج على وجهه، فلقيه مال لأبي دلف يحمل من بعض ضياعه، فأخذه وخرج جماعة من غلمانهم فمانعوه عنه، فجرحهم جميعاً وقطعهم وانهموا. وسار بالمال، فلم يتزل إلا على عشرين فرسخاً، فلما اتصل خبره بأبي دلف قال: نحن جنينا على أنفسنا، وقد كنا أغنياء عن إهاجة أبي وائل، ثم كتب إليه بالأمان، وسوغه المال، وكتب إليه: صر إلينا فلا ذنب لك، لأننا نحن كنا سبب فعلك بتحريكنا إياك وتحريضنا؛ فرجع ولم يزل معه يمتدحه، حتى مات.

### قصته مع الرشيد ويزيد بن يزيد

أخبرني الحسن بن علي، قال: حدثني محمد بن موسى، قال: حدثني الحسن بن إسماعيل، عن ابن الحفصي، قال: قال يزيد بن يزيد: وجه إلي الرشيد في وقت يرتاب فيه البريء، فلما مثلت بين يديه قال: يا يزيد، من الذي يقول:

### ومن يفتقر منا يعش بحسامه ومن يفتقر من سائر الناس يسأل

فقلت له: والذي شرفك وأكرمك بالخلافة ما أعرفه، قال: فمن الذي يقول:

### وإن يك جد القوم فهر بن مالك فجدي لجيم قرم بكر بن وائل

قلت: لا والذي أكرمك وشرفك يا أمير المؤمنين ما أعرفه، قال: والذي كرمني وشرفني إنك لتعرفه، أتظن يا يزيد أني إذا أوطأتك بساطي وشرفتك بصنيعي أني أحتملك على هذا؟ أو تظن أني لا أراعي أمورك وأتقصاها، وتحسب أنه يخفى علي شيء منها؟ والله إن عيوني لعليك في خلواتك ومشاهدك، هذا جلف من أجلاف بريعة عدا طوره وألحق قريشاً بريعة فأتني به. فانصرفت وسألت عن قائل الشعر، فقيل لي: هو بكر بن النطاح، وكان أحد أصحابي، فدعوته وأعلمته ما كان من الرشيد، فأمرت له بألفي درهم، وأسقطت اسمه من الديوان، وأمرته ألا يظهر ما دام الرشيد حياً، فما ظهر حتى مات الرشيد، فلما مات ظهر، فألحق اسمه وزدت في عطائه .

### شعره في جارية تدعى رامشنة

أخبرني محمد بن خلف وكيع، قال: حدثني محمد بن حمزة العلوي، قال: حدثني أبو غسان دماذ، قال: حضرت بكر بن النطاح الحنفي في منزل بعض الحنفيين، وكانت للحنفي جارية يقال لها رامشنة، فقال فيها بكر بن النطاح:

حيثك بالرامشن رامشنة  
أحسن من رامشنة الآس  
جارية لم يقتسم بعضها  
ولم تبت في بيت نخاس  
أفسدت إنساناً على أهله  
لا مفسد الناس على الناس

وقال فيها:

أكذب طرفي عنك والطرف صادق  
وأسمع أذني منك ما ليس تسمع  
ولم أسكن الأرض التي تسكنينها  
لكي لا يقولوا صابر ليس يجزع  
فلا كبدي تبلى ولا لك رحمة  
ولا عنك إقصار ولا فيك مطمع  
لقيب أموراً فيك لم الق مثلها  
وأعظم منها منك ما أتوقع  
قال تسأليني في هواك زيادة  
فأيسره يجزي وأدناه يقنع

### المأمون يعجب بشعره وينقد سلوكه

أخبرني الحسن بن علي، قال: حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه، عن علي بن الصباح -وأظنه مرسلًا وأن بينه وبينه ابن أبي سعد أو غيره، لأنه لم يسمع من علي بن الصباح- قال: حدثني أبو الحسين الراوية، قال لي المأمون: أنشدني أشجع بيت وأعفه وأكرمه من شعر المحدثين، فأنشدته:

ومن يفتقر منا يعيش بحسامه  
ومن يفتقر من سائر الناس يسأل  
وإن لنلهو بالسيوف كما لهت  
عروس بعقد أو سخاب قرنفل

فقال: ويحك! من يقول هذا؟ فقلت: بكر بن النطاح، فقال: أحسن والله، ولكنه قد كذب في قوله، فما باله يسأل أبا دلف ويمتدحه ويتنجه! هلا أكل خبزه بسيفه كما قال!

مدح أبا دلف فأعطاه جائزة أخبرني الحسن بن علي، قال: حدثنا ابن مهرويه، قال: حدثني أبو الحسن الكسكري، قال: بلغني أنا أبا دلف لحق أكراداً قطعوا الطريق في عمله، وقد أردف منهم فارس رفيقاً له خلفه، فطعنهما جميعاً فأنذهما، فتحدث الناس بأنه نظم بطعنة واحدة فارسين على فرس، فلما قدم من وجهه دخل إليه بكر بن النطاح فأنشده: صوت

قالوا: وينظم فارسين بطعنة  
يوم اللقاء ولا يراه جليلاً

ميل إذا نظم الفوارس ميلا

لا تعجبوا فلو أن طول قناته

قال: فأمر له أبو دلف بعشرة آلاف درهم، فقال بكر فيه:

على البر كان البر أئدى من البحر

له راحة لو أن معشار جودها

وبارزه كان الخلي من العمر

ولو أن خلق الله في جسم فارس

كما بوركت في شهرها ليلة القدر

أبا دلف بوركت في كل بلدة

عشق غلاماً نصرانياً وقال فيه شعراً أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار، وعيسى بن الحسين، قالاً: حدثنا يعقوب بن إسرائيل، قال: حدثني أبو زائدة، قال: كان بكر بن النطاح الحنفي يتعشق غلاماً نصرانياً ويجن به، وفيه يقول:

قلب التقي عن القرآن منصرفاً

يا من إذا درس الإنجيل كان له

كما تعانق لام الكاتب الألفا

إني رأيتك في نومي تعانقني

رده أبو دلف فغضب عليه وانصرف عنه أخبرني محمد بن القاسم الأنباري، قال: حدثني الحسن بن عبد الرحمن الربيعي، قال:

كان بكر بن النطاح يأتي أبا دلف في كل سنة، فيقول له: إلى جنب أرضي أرض تباع وليس يحضرنى ثمنها، فيأمر له بخمسة آلاف درهم ويعطيه ألفاً لنفقته، فجاءه في بعض السنين فقال له مثل ذلك، فقال له أبو دلف: ما تفنى هذه الأروضون التي إليها جانب ضيعتك! فغضب وانصرف عنه، وقال:

فإن في الله أعظم الخلف

يا نفس لا تجزعي من التلف

ويغنىك الله عن أبي دلف

إن تقنعي باليسير تغتبطي

رده قرّة بن محرز فغضب عليه وانصرف عنه كذلك قال: وكان بكر بن النطاح يأتي قرّة بن محرز الحنفي بكرمان فيعطيه عشرة آلاف درهم، ويجري عليه في كل شهر يقيم عند ألف درهم، فاجتاز به قرّة يوماً وهو ملازم في السوق وغرماؤه يطالبونه بدين، فقال له: ويحك! أما يكفيك ما أعطيتك حتى تستدين وتلازم في السوق! فغضب عليه وانصرف عنه وأنشأ يقول:

فتترك من يزورك في جهاد

ألا يا قر لا تك سامريا

وقد أودى الطريف مع التلاد

أتعجب أن رأيت علي ديناً

فما طمع العوائل في اقتصادي

ملأت يدي من الدنيا مراراً

وهل تجب الزكاة على جواد!

ولا وجبت علي زكاة مال

مدح أبا دلف ببيتين فأعطاه جائزة أخبرني محمد بن يزيد بن أبي الأزهر، قال: حدثنا حماد بن إسحاق، عن أبيه، قال: كنت يوماً عند علي بن هشام، وعنده جماعة فيهم عمارة بن عقيل، فحدثته أن بكر بن النطاح دخل إلى أبي دلف وأنا عنده، قال لي أبو دلف: يا أبا محمد أنشدني مديحاً فاحراً تستطرفه، فبدر إليه بكر وقال: أنا أنشدك أيها الأمير بيتين قلتها فيك في طريقي هذا إليك وأحملك، فقال: هات، فإن شهد لك أبو محمد رضينا، فأنشده:

إذا كان الشتاء فأنت شمس وإن حضر المصيف فأنت ظل

وما تدري إذا أعطيت مالاً أنكثر في سماحك أم تقل

فقلت له: أحسن والله ما شاء ووجبت مكافأته، فقال: أما إذ رضيت فأعطوه عشرة آلاف درهم، فحملت إليه، وانصرفت إلى منزلي، فإذا أنا بعشرين ألفاً قد سبقت إلي، وجه بها أبو دلف، قال: فقال عمارة لعلي بن هشام: فقد قلت أنا في قريب من هذه القصة:

ولا عيب فيهم غير أن أكفهم لأموالهم مثل السنين الحواطم

وأنهم لا يورثون بذيهم وإن ورثوا خيراً كنوز الدراهم

رثي معقل بن عيسى أخبرني عمي، قال: حدثني عبد الله بن أبي سعد، قال: حدثني أبو توبة، قال: كان معقل بن عيسى صديقاً لبكر بن النطاح، وكان بكر فاتكاً صعلوكاً، فكان لا يزال قد أحدث حادثة في عمل أبي دلف، أو حتى جنابة، فيهم به فيقوم دونه معقل حتى يتخلصه، فمات معقل فقال بكر بن النطاح يرثيه بقوله:

وحدث عنه بعض من قال إنه رأته عينه فيما ترى عين حالم

كأن الذي يبكي على قبر معقل ولم يره يبكي على قبر حاتم

ولا قبر كعب إذ يجود بنفسه ولا قبر حلف الجود قيس بن عاصم

فأيقنت أن الله فضل معقلاً على كل مذكور بفضل المكارم

هجاه عباد بن الممزق لبخله أخبرني عمي، قال: حدثنا الكراي، قال: حدثني العمري، قال: كان بكر بن النطاح الحنفي أبو وائل بخيلاً، فدخل عليه عباد بن الممزق يوماً، فقدم إليه خبزاً يابساً قليلاً بلا آدم، ورفع من بين يديه قبل أن يشبع، فقال عباد يهجو:

من يشتري مني أبا وائل بكر بن نطاح بفلسين؟

كأنما الآكل من خبزه يأكله من شحمة العين

قال: وكان عباد هذا هجاءً ملعوناً، وهو القائل:

أنا الممزق أعراض اللثام كما كان الممزق أعراض اللثام أبي

مدح مالك بن طوق ثم هجاه أخبرني عمي، قال: حدثنا أبو هفان، قال: كان بكر بن النطاح قصد مالك بن طوق فمدحه، فلم يرض ثوابه، فخرج من عنده وقال يهجو:

قلبت جدا مالك كله  
وما يرتجى منه من مطلب  
أصبت بأضعاف أضعافه  
ولم أنتجعه ولم أرغب  
أسأت اختياري منك الثواب  
لي الذنب جهلا ولم تذنب

وكتبها في رقعة وبعث بها إليه، فلما قرأها وجه جماعة من أصحابه في طلبه، وقال لهم: الويل لكم إن فاتكم بكر بن النطاح.

اعتذر إليه وأعطاه فمدحه ولا بد أن تنكفئوا على أثره ولو صار إلى الجبل، فلحقوه فردوه عليه، فلما دخل داره ونظر إليه قام فتلقاه وقال: يا أخي، عجلت علينا وما كنا نقتصر بك على ما سلف وإنما بعثنا إليك بنفقة، وعولنا بك على ما يتلوها، واعتذر كل واحد منهما إلى صاحبه، ثم أعطاه حتى أرضاه، فقال بكر بن النطاح بمدحه:

أقول لمرتاد ندى غير مالك  
كفى بذل هذا الخلق بعض عاداته  
فتى جاد بالأموال في كل جانب  
وأنها في عوده وبداته  
فلو خذلت أمواله بذل كفه  
لقاسم من يرجوه شطر حياته  
ولو لم يجد في العمر قسمة ماله  
وجاز له الإعطاء من حسناته  
لجاد بها من غير كفر بربه  
وشاركهم في صومه وصلاته

فوصله صلة ثانية لهذه الأبيات، وانصرف عنه راضياً.

هكذا ذكر أبو هفان في خبره وأحسبه غلطاً، لأن أكثر مدائح بكر بن النطاح في مالك بن علي الخزاعي - وكان يتولى طريق خراسان - وصار إليه بكر بن النطاح بعد وفاة أبي دلف ومدحه، فأحسن تقبله وجعله في جنده، وأسنى له الرزق، فكان معه، إلى أن قتله الشراة بحلوان، فرثاه بكر بعدة قصائد هي من غرر شعره وعيونته.

كان مع مالك الخزاعي يوم أن قتل فرثاه فحدثني عمي، قال: حدثني أحمد بن أبي طاهر، عن أبي وائلة السدوسي، قال: عاثت الشراة بالجبل عيثاً شديداً، وقتلوا الرجال والنساء والصبيان، فخرج إليهم مالك بن علي الخزاعي وقد وردوا حلوان، فقاتلهم قتالاً شديداً فهزمهم عنها، وما زال يتبعهم حتى بلغ بهم قرية يقال لها: حدان، فقاتلوه عندها قتالاً شديداً، وثبت الفريقان إلى الليل حتى حجز بينهم، وأصاب مالكاً ضربة على رأسه أثبتته، وعلم أنه ميت، فأمر برده إلى حلوان، فما بلغها حتى مات، فدفن على باب حلوان، وبنيت لقبره قبة على قارة الطريق، وكان معه بكر بن النطاح يومئذ، أبلى بلاء حسناً، وقال بكر يرثيه:

يا عين جودي بالدموع السجام  
على فتى الدنيا وصنديدها  
لا تدخري الدمع على هالك  
طاب ثرى حلوان إذ ضمنت  
أغلقت الخيرات أبوابها  
وأصبحت خيلك بعد الوجا  
ارحل بنا تقرب إلى مالك  
كان لأهل الأرض في كفه  
وكان في الصبح كشمس الضحى  
وسائل يعجب من موته  
قلنت له عهدي به معلماً  
والحرب من طاولها لم يكد  
لم ينظر الدهر لنا إذ عدا  
لن يستقبلوا أبداً فقده

قال: وقال أيضاً يرثيه:

أي امرئ خضب الخوارج ثوبه  
يا حفرة ضمت محاسن مالك  
لهفي على البطل المعرض خده  
خرق الكتيبة معلماً متكبناً  
ذهب بشاشة كل شيء بعده  
هدم الشراة غداة مصرع مالك  
قتلوا فتى العرب الذي كانت به  
حرموا معداً ما لديه وأوقعوا  
تركوه في رهج العجاج كأنه

على الأمير اليمني الهمام  
وفارس الدين وسيف الإمام  
أيتم إذ أودى جميع الأنام  
عظامه، سقياً لها من عظام  
وامتنتعت بعدك يا بن الكرام  
والغزو تشكو منك طول الجمام  
كيما نحبي قبره بالسلام  
غنى عن البحر وصوب الغمام  
وكان في الليل كبدر الظلام  
وقد رآه وهو صعب المرام  
يضر بهم عند ارتفاع القتام  
يفلت من وقع صقيل حسام  
على ربيع الناس في كل عام  
ما هيح الشجو دعاء الحمام

بدم عشية راح من حلوان  
ما فيك من كرم ومن إحسان  
وجبينه لأسنة الفرسان  
والمرهفات عليه كالنيران  
فالأرض موحشة بلا عمران  
شرف العلا ومكارم البنيان  
تقوى على اللزبات في الأزمان  
عصبية في قلب كل يمانى  
أسد يصول بساعد وبنان

هوت الجدود عن السعود لفقده  
لا يبعدن أخو خزاعة إذ ثوى  
وتمسكت بالنعس والدبران  
مستشهداً في طاعة الرحمن

عز الغواة به وذلت أمة  
وبكاء مصحفه وصدر قناتته  
محبوة بحقائق الإيمان  
والمسلمون ودولة السلطان  
أذراع وسوابغ الأبدان  
وغدت تعقر خيله وتقسمت  
أفتحم الدنيا وقد ذهبت  
بمن كان المجير لنا من الحدثن !

### تشوقه بغداد وهو بالجليل

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي، قال: أنشدني أبو غسان دماذ لبكر بن النطاح يتشوق بغداد وهو بالجليل يومئذ:

نسيم المدام وبرد السحر  
تقول: اجتنب دارنا بالنهار  
هما هيجا الشوق حتى ظهر  
فإن لنا حرساً إن رأوك  
وزرنا إذا غاب ضوء القمر  
وكم صنع الله من مرة  
ندمت وأعطوا عليك الظفر  
سقى الله بغداد من بلدة  
ونبئت أن جواري القصو  
وساكن بغداد صوب المطر  
ألا رب سائلة بالعرا  
ر صيرن ذكرى حديث السمر  
تقول: عهدنا أبا وائل  
ق غني وأخرى تطيل الذكر  
ليالي كنت أزور القيان  
كظبي الفلاة المليح الحور  
كأن ثيابي بهار الشجر

هوى جارية من القيان وقال فيها شعراً حدثني جعفر بن قدامة، قال: حدثني ميمون بن هارون، قال: كان بكر بن النطاح يهوى جارية من جواري القيان وهواه، وكانت لبعض الهاشميين، يقال لها درة، وهو يذكرها في شعره كثيراً، وكان يجتمع معها في منزل رجل من الجند من أصحاب أبي دلف يقال له: الفرز، فسعى به إلى مولاها، وأعلمه أنه قد أفسدها وواطأها على أن تهرب معه إلى الجبل، فمنعه من لقاءها وحجبه عنها، إلى أن خرج إلى الكرج مع أبي دلف، فقال بكر بن النطاح في ذلك:

أهل دار بين الرصافة والجسر  
عذبوني ببعدهم ابتلوا  
أطالوا غيظي بطول الصدود  
قلبي بحزنين : طارف وتلبد

ما تهب الشمال إلا تنفست

قل عنهم صبري ولم يرحموني

وكلنتي الأيام فيك إلى نفسي

وقال فيها أيضاً وفيه غناء من الرمل الطنبوري:

العين تبدي الحب والبغضا

درة ما أنصفتني في الهوى

مرت بنا في قرطق أخضر

غضبي ولا والله يا أهلها

كيف أطاعتكم بهجري وقد

وقال فيها أيضاً وفيه رمل طنبوري:

صدرت فأمسى لقاؤها حلماً

وسلّطت حبها على كبدي

وصرت فرداً أبكي لفرقتها

شق عليها قول الوشاة لها:

لولا شقائي وما بليت به

كم من حاجة في الكتاب بحت بها

وقال فيها أيضاً، وفيه رمل لأبي الحسن أحمد بن جعفر جحظة

بعدت عني فتغيرت لي

فجددي ما رث من وصلنا

أطيب النفس بكتمان ما

وعدك يا سيدتي غرني

يحزنني علمي بنفسي إذا

يا ليت من زين هذا لها

ساقى الندامى سقها صاحبي

وقال الفؤاد للعين: جودي

فتحيرت كالطريد

الشريد

فأعييت وانتهى مجهود

وتظهر الإبرام والنقضا

ولا رحمت الجسد المنضى

يعشق منها بعضها بعضا

لا أشرب البارد أو ترضى

جعلت خدي لها أرضاً!

واستبدل الطرف بالدموع دما

فأبدلنتي بصحة سقما

وأقرع السن بعدها ندما

أصبحت في أمر ذا الفتى علما

من هجرها ما استثرت ما اكتتما

أبكيت منها القرطاس والقلمما

وليس عندي لك تغيير

وكل ذنب لك مغفور

سارت به من غدرك العير

منك ومن يعشق مغرور

قال خليلي أنت مهجور

جارت لنا فيه المقادير

فإنني ويحك معذور

أشرب الخمر على هجرها

إني إذا بالهجر مسرور!

**وفيها يقول وقد خرج مع أبي دلف**

إلى أصبهان:

يا ظبية السيب التي أحببتها

ومنحتها لظفي ولين جناحي

عيناى باكيتان بعدك للذي

أودعت قلبي من ندوب جراح

سقىاً لأحمد من أخ ولقاسم

فقدا غدوي لاهياً ورواحي

وترددي من بيت فرز آمناً

من قرب كل مخالف وملاحي

أيام تغبطني الملوك ولا أرى

أحداً له كنتللي ومراحي

تصف القيان إذا خلون مجانتي

ويصفن للشرب الكرام سماحي

ومما يغنى فيه من شعر بكر بن النطاح في هذه الجارية قوله: صوت

هل يبتلي أحد بمثل بليتي

أم ليس لي في العالمين ضريب؟

قالت عنان وأبصرتني شاحباً:

يا بكر مالك قد علاك شحوب؟

فأجبتها: يا أخت لم يلق الذي

لاقيت إلا المبتلى أيوب

قد كنت أسمع بالهوى فأظنه

شيئاً يلذ لأهله ويطيب

حتى ابتليت بخلوه وبمره

فالحلو منه للقلوب مذيب

والمر يعجز منطقي عن وصفه

للمر وصف يا عنان عجيب

فأنا الشقي بخلوه وبمره

وأنا المعنى الهائم المكروب

يا در حالفك الجمال فما له

في وجه إنسان سواك نصيب

كل الوجوه تشابهت وبهرتها

حسناً فوجهك في الوجوه غريب

والشمس يغرب في الحجاب ضياؤها

عنا ويشرق وجهك المحجوب

**ومما يغنى فيه من شعره فيها أيضاً**

غضب الحبيب علي في حبي له

نفسي الفداء لمذنب غضبان

مالي بما ذكر الرسول يدان بل  
يا من يتوق إلى حبيب مذنب  
هلا انتحرت فكنت أول هالك  
كنا وكنتم كالبنان وكفها  
خلق السرور لمعشر خلقوا له  
إن تم رأيك ذا خلعت عناني  
طاوعته فجزاك بالعصيان  
إن لم تكن لك بالصدر يدان  
فالكف مفردة بغير بنان  
وخلقت للعبرات والأحزان

### صوت

ليت شعري أول الهرج هذا  
إن يعش مصعب فنحن بخير  
ملك يطعم الطعام ويسقي  
جلب الخيل من تهامة حتى  
حيث لم تأت قبله خيل ذي  
أم زمان من فتنة غير هرج  
قد أتانا من عيشنا ما نرجي  
لبن البخت في عساس الخنج  
بلغت خيله قصور زرنج  
الأكتاف يوجفن بين قف ومرج

عروضه من الخفيف. الشعر لعبيد الله بن قيس الرقيات، والغناء ليونس الكاتب ماحوري بالبنصر، وفيه لملك ثاني ثقيل بالخنصر في مجرى البنصر عن إسحاق.

### مقتل مصعب بن الزبير

#### خرج لمحاربة عبد الملك بن مروان

وهذا الشعر يقوله عبيد الله بن قيس لمصعب بن الزبير لما حشد للخروج عن الكوفة لمحاربة عبد الملك بن مروان.

#### استشارة عبد الملك في المسير إلى العراق

وكان السبب في ذلك، فيما أجاز لنا الحرمي بن أبي العلاء روايته عنه، عن الزبير بن بكار، عن المدائني، قال: لما كانت سنة اثنتين وسبعين، استشار عبد الملك بن مروان عبد الرحمن بن الحكم في المسير إلى العراق ومناجزة مصعب، فقال: يا أمير المؤمنين، قد واليت بين عامين تغزو فيهما وقد خسرت خيلك ورجالك، وعامك هذا عام حارد فأرح نفسك ورجلك ثم ترى رأيك. فقال: إني أبادر ثلاثة أشياء، وهي أن الشام أرض بها المال قليل فأخاف أن ينفذ ما عندي، وأشرف أهل العراق قد كاتبوني يدعونني إلى أنفسهم، وثلاثة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قد كبروا ونفدت أعمارهم، وأنا أبادر بهم الموت أحب أن يحضروا معي.

ثم دعا يحيى بن الحكم - وكان يقول: من أراد أمراً فليشاور يحيى بن الحكم فإذا أشار عليه بأمر فليعمل بخلافه. فقال: ما ترى في المسير إلى العراق؟ قال: أرى أن ترضى بالشام وتقيم بها وتدع مصعباً بالعراق، فلعن الله العراق! فضحك عبد الملك.

ودعا عبد الله بن خالد بن أسيد فشاوره، فقال: يا أمير المؤمنين قد غزوت مرة فنصرك الله، ثم غزوت ثانية فزادك الله بها عزاً، فأقام عامك هذا.

فقال لمحمد بن مروان: ما ترى؟ قال: أرجو أن ينصرك الله أقمتم أم غزوت، فشمر فإن الله ناصرك. فأمر الناس فاستعدوا للمسير، فلما أجمع عليه قالت عاتكة بنت يزيد بن معاوية زوجته: يا أمير المؤمنين، وجه الجنود وأقم، فليس الرأي أن يباشر الخليفة الحرب بنفسه، فقال: لو وجهت أهل الشام كلهم فعلم مصعب أي لست معهم لهلك الجيش كله، ثم تمثل:

### ومستخبر عنا يريد بنا الردى ومستخبرات والعيون سواكب

ثم قدم محمد بن مروان ومعه عبد الله بن خالد بن أسيد وبشر بن مروان، ونادى مناديه: إن أمير المؤمنين قد استعمل عليكم سيد الناس محمد بن مروان، وبلغ مصعب بن الزبير مسير عبد الملك، فأراد الخروج فأبى عليه أهل البصرة وقالوا: عدونا مظل علينا - يعنون الخوارج - فأرسل إليهم بالمهلب وهو بالموصل، وكان عامله عليها، فولاه قتال الخوارج، وخرج مصعب فقال بعض الشعراء:

### أكل عام لك باجميرا تغزو بنا ولا تفيد خيرا

#### القتال بينه وبين عبد الملك

قال: وكان مصعب كثيراً ما يخرج إلى باجميرا يريد الشام ثم رجع، فأقبل عبد الملك حتى نزل الأحنونية ونزل مصعب بمسكن إلى جنب أوانا وخذق خندقاً ثم تحول ونزل دير الجاثليق وهو بمسكن، وبين العسكرين ثلاثة فراسخ - ويقال فرسخان - فقدم عبد الملك محمداً وبشراً أخويه وكل واحد منهما على جيش والأمير محمد، وقدم مصعب إبراهيم بن الأشر، ثم كتب عبد الملك إلى أشرف أهل الكوفة والبصرة، يدعوهم إلى نفسه ويمينهم، فأجابوه وشرطوا عليه شروطاً، وسألوه ولايات، وسأله ولاية أصبهان أربعون رجلاً منهم، فقال عبد الملك لمن حضره: ويحكم! ما أصبهان هذه! تعجباً ممن يطلبها، وكتب إلى إبراهيم بن الأشر: لك ولاية ما سقى الفرات إن تبعني، فجاء إبراهيم بالكتاب إلى مصعب فقال: هذا كتاب عبد الملك، ولم يخصني بهذا دون غيري من نظرائي، ثم قال: فأطعني فيهم، قال: أصنع ماذا؟ قال: تدعوهم فتضرب أعناقهم. قال: أقتلهم على ظن ظننته! قال: فأوقرهم حديداً وابعث بهم إلى أرض المدائن حتى تنقضي الحرب، قال: إذا تفسد قلوب عشائركم، ويقول الناس: عبث مصعب بأصحابه. قال: فإن لم تفعل فلا تمدني بهم فإنهم كالمومسة تريد كل يوم خليلاً، وهم

يريدون كل يوم أميراً.

أرسل عبد الملك إلى مصعب رجلاً يدعوهُ إلى أن يجعل الأمر شورى في الخلافة، فأبى مصعب، فقدم عبد الملك أخاه محمداً ثم قال: اللهم انصر محمداً -ثلاثاً- ثم قال: اللهم انصر أصلحنا وخيرنا لهذه الأمة. قال: وقدام مصعب إبراهيم بن الأشتر، فالتقت المقدمتان وبين عسكر مصعب وعسكر بن الأشتر فرسخ، ودنا عبد الملك حتى قرب من عسكر محمد، فتناوشوا، فقتل رجل على مقدمة محمد يقال له فراس، وقتل صاحب لواء بشر وكان يقال له أسيد، فأرسل محمد إلى عبد الملك أن بشرأ قد ضيع لواءه. فصرف عبد الملك الأمر كله إلى محمد، وكف الناس وتواقفوا، وجعل أصحاب ابن الأشتر يهمون بالحرب ومحمد بن مروان يكف أصحابه، فأرسل عبد الملك إلى محمد: ناجزهم، فأبى، فأوفد إليه رسولاً آخر وشمته، فأمر محمد رجلاً فقال له: قف خلفي في ناس من أصحابك فلا تدعن أحداً يأتيني من قبل عبد الملك، وكان قد دبر تدبيراً سديداً في تأخير المناجزة إلى وقت رآه، فكره أن يفسد عبد الملك تدبيره عليه، فوجه إليه عبد الملك عبد الله بن خالد بن أسيد، فلما رآه أرسلوه إلى محمد بن مروان: هذا عبد الله بن خالد بن أسيد، فقال: ردوه بأشد مما رددتم من جاء قبله، فلما قرب المساء أمر محمد بن مروان أصحابه بالحرب، وقال: حركوهم قليلاً، فتأجج الناس، ووجه مصعب عتاب بن ورقاء الرياحي يعجز إبراهيم، فقال له: قد قلت له: لا تمدني بأحد من أهل العراق فلم يقبل، واقتتلوا، وأرسل إبراهيم بن الأشتر إلى أصحابه -بحضرة الرسول ليرى خلاف أهل العراق عليه في رأيه- ألا تنصرفوا عن الحرب عن ينصرف أهل الشام عنكم، فقالوا: ولم لا ننصرف؟ فانصرفوا وانهمز الناس حتى أتوا مصعباً. وصبر إبراهيم بن الأشتر فقاتل حتى قتل، فلما أصبحوا أمر محمد بن مروان رجلاً فقال: انطلق إلى عسكر مصعب فانظر كيف تراهم بعد قتل ابن الأشتر، قال: لا أعرف موضع عسكرهم، فقال له إبراهيم بن عدي الكناني: انطلق فإذا رأيت النخل فاجعله منك موضع سيفك، فمضى الرجل حتى أتى عسكر مصعب، ثم رجع إلى محمد فقال: رأيتهم منكسرين. وأصبح معصب فدنا منه، ودنا محمد بن مروان حتى التقوا، فترك قوم من أصحاب مصعب مصعباً وأتوا محمد بن مروان، فدنا إلى مصعب ثم ناداه: فذاك أبي وأمي، إن القوم خاذلوك ولك الأمان، فأبى قبول ذلك، فدعا محمد بن مروان ابنه عيسى بن مصعب، فقال له أبوه: انظر ما يريد محمد، فدنا منه فقال له: إني لكم ناصح؛ إن القوم خاذلوكم ولك ولأبيك الأمان، وناشده. فرجع إلى بيته فأخبره، فقال: إني أظن القوم سيفون، فإن أحببت أن تأتيهم فأتهم، فقال: والله لا تتحدث نساء قريش أي خذلتك ورغبت بنفسي عنك، قال: فتقدم حتى أحتسبك، فتقدم وتقدم ناس معه فقتل وقتلوا، وترك أهل العراق مصعباً حتى بقي في سبعة. وجاء رجل من أهل الشام ليحتز رأس عيسى، فشد عليه مصعب فقتله، ثم شد على الناس فانفجروا، ثم رجع فقعد على مرفقة ديباج، ثم جعل يقوم عنها ويحمل على أهل الشام فيفرجون عنه، ثم يرجع فيقعد على المرفقة، حتى فعل ذلك مراراً، وأتاه عبيد الله بن زياد بن ظبيان فدعاه إلى المبارزة، فقال له: اعزب يا كلب، وشد عليه مصعب فضربه على البيضة فهشمها

وجرحه، فرجع عبید الله فعصب رأسه، وجاء ابن أبي فروة كاتب مصعب فقال له: جعلت فداك، قد تركك القوم وعندی خیل مضمرة فاركبها وانج بنفسك، فدفع فی صدره وقال: ليس أخوك بالعبد.

### مقتل مصعب

ورجع ابن ظبيان إلى مصعب، فحمل عليه، وزرق زائدة بن قدامة مصعباً ونادى: يا لقارات المختار! فصرعه، وقال عبید الله لغلام له: احتز رأسه، فحمله إلى عبد الملك، فيقال: إنه لما وضعه بين يديه سجد. قال ابن ظبيان: فهتمت والله أن أقتله فأكون أفتك العرب، قتلت ملكين من قريش في يوم واحد، ثم وجدت نفس تنازعني إلى الحياة فأمسكت.

قال: وقال يزيد بن الرقاع العاملي أخو عدي بن الرقاع وكان شاعر أهل الشام:

نحن قتلنا ابن الحواري مصعباً      أخوا أسد والمذحجي اليمانيا

يعني ابن الأشتر، قال:

ومرت عقاب الموت منا بمسلم      فأهوت له ظفراً فأصبح ثاويًا

قال الزبير: ويروى هذا الشعر للبعيث الإشكري، ومسلم الذي عناه هو مسلم بن عمرو الباهلي.

### مقتل مسلم بن عمرو الباهلي

حدثنا محمد بن العباس اليزيدي، قال: حدثنا سليمان بن أبي شيخ، قال: حدثنا محمد بن الحكم، عن عوانة، قال: كان مسلم بن عمرو الباهلي على ميسرة إبراهيم بن الأشتر، فطعن وسقط فارتث، فلما قتل مصعب أرسل إلى خالد بن يزيد بن معاوية أن يطلب له الأمان من عبد الملك، فأرسل عليه: ما تصنع بالأمان وأنت الموت؟ قال: ليسلم لي مالي ويأمن ولدي. قال: فحمل على سرير فأدخل على عبد الملك بن مروان، فقال عبد الملك لأهل الشام: هذا أكفر الناس لمعروف، ويحك أكفرت معروف يزيد بن معاوية عندك؟ فقال له خالد: تؤمنه يا أمير المؤمنين، فأمنه، ثم حمل فلم يبرح الصحن حتى مات، فقال الشاعر:

نحن قتلنا ابن الحواري مصعباً      أخوا أسد والمذحجي اليمانيا

حدثنا محمد بن العباس، قال: حدثنا أحمد بن الحارث الخراز، عن المدائني، قال: قال رجل لعبيد الله بن زياد بن ظبيان: بماذا تحتج عند الله عز وجل من قتلك لمصعب؟ قال: إن تركت أحتج رجوت أن أكون أخطب من صعصعة بن صوحان.

### مصعب وسكينة بنت الحسين

وقال مصعب الزبيري في خبره: قال الماجشون: فلما كان يوم قتل مصعب دخل على سكينه بنت الحسين عليهما السلام ففرع عنه ثيابه، ولبس غلالة وتوشح بثوب، وأخذ سيفه، فعلمت سكينه أن لا يريد أن يرجع فصاحت من خلفه: واحزنه عليك يا مصعب، فالتفت إليها وقد كانت تخفي ما في قلبها منه، أوكل هذا لي في قلبك! فقالت: إي والله، وما كنت أخفي أكثر، فقال: لو كنت أعلم أن هذا كله لي عندك لكنت لي ولك حال، ثم خرج ولم يرجع.

قال مصعب: وحدثني مصعب بن عثمان: أن مصعب بن الزبير لما قدمت عليه سكينه أعطى أحاهها علي بن الحسين عليهما السلام - وهو كان حملها إليه - أربعين ألف دينار.

قال مصعب: وحدثني معاوية بن بكر الباهلي قال: قالت سكينه: دخلت على مصعب وأنا أحسن من النار الموقدة. قال: وكانت قد ولدت منه بنتاً، فقال لها: سميتها زبراء، فقالت: بل أسميتها باسم بعض أمهاتي، فسمتها الرباب.

قال: فحدثني محمد بن سلام، عن شعيب بن صخر، عن أمه سعدة بنت عبد الله بن سالم، قالت: لقيت سكينه بنت الحسين بين مكة ومي فقلت: قمي يا بنت عبد الله، ثم كشفت عن ابنتها فإذا هي قد أثقلتها باللؤلؤ. فقالت: والله ما ألبستها إياه إلا لتفضحه، قال: فلما قتل مصعب ولي أمر ماله عروة بن الزبير، فزوج ابنه عثمان بن عروة ابنة أخيه من سكينه وهي صغيرة فماتت قبل أن تبلغ، فورث عثمان بن عروة منها عشرة آلاف دينار. قال: ولما دخلت سكينه الكوفة بعد قتل مصعب خطبها عبد الملك فقالت: والله لا يتزوجني بعده قاتله أبداً. وتزوجت عبد الله بن عثمان بن عبد الله بن حكيم بن حزام، ودخلت بينها وبينه رملة بنت الزبير أخت مصعب حتى تزوجها خوفاً من أن تصير إلى عبد الملك، فولدت منه ابناً فسمته عثمان - وهو الذي يلقب بقرين - وريحة ابني عبد الله بن عثمان، فتزوج ربيعة العباس بن الوليد بن عبد الملك.

### عبيد الله بن قيس الرقيات يرثي مصعباً

ثم مات عبد الله بن عثمان عنها فتزوجها زيد بن عمر بن عثمان بن عفان، فقال عبيد الله بن قيس الرقيات يرثي مصعباً: صوت

إن الزرية يوم مسكن والمصيبة والفجيعة

لم يعده يوم الوقيعه

يا بن الحواري الذي

ق وأمكنت منه ربيعه

غدرت به مضر العرا

بالدير يوم الدير شيعه

تالله لو كانت له

لج لا يعرس بالمضيعة

لو وجدتموه حين يد

غناه يونس الكاتب من كتابه، ولحنه خفيف رمل بالوسطى، وفيه لموسى شهوات خفيف رمل بالبنصر عن حبش، وقيل: بل هو هذا اللحن، وغلط من نسبه إلى موسى.  
وقال عدي بن الرفاع العاملي يذكر مقتله:

لعمري لقد أصحرت خليناً  
يهزون كل طويل القنا  
فداؤك أمني وأبناؤها  
وما قلتها رهبة إنما  
بأكناف دجلة للمصعب  
ة معتدل النصل والثعلب  
وإن شئت زدت عليهم أبي  
يحل العقاب على المذنب  
أزاحم كالجمال الأجر  
وإذا شئت دافعت مستقتلاً  
فمن يك منا بيت آمناً

غناه معبد من رواية إسحاق ثاني ثقيل بالسبابة في مجرى الوسطى.

#### ابن قيس يرثي مصعباً

وقال ابن قيس يرثي مصعباً:

لقد أوث المصيرين خزيًا وذلة  
فما قاتلت في الله بكر بن وائل  
قنتيل بدير الجاتليق مقيم  
ولا صبرت عند اللقاء تميم  
لها مضري يوم ذاك كريم  
ولكنه رام القيام ولم يكن

#### مصعب يسأل عن قتل الحسين

قال الزبير: وكان مصعب لما قدم الكوفة يسأل عن الحسين بن علي عليهما السلام وعن قتله، فجعل عروة بن المغيرة يحدثه عن ذلك، فقال متمثلاً بقول سليمان بن قته:

فإن الألى بالطف من آل هاشم  
قال عروة: فعلمت أن مصعباً لا يفر أبداً.  
تأسوا فسنوا للكرام التأسيا

#### الحجاج يتأسى بموقف مصعب

قال الزبير: وقال أبو الحكم بن خلاد بن قره السدوسي: حدثني أبي، قال: لما كان يوم السبخة حين عسكر الحجاج بإزاء شبيب الشاري قال له الناس: لو تنحيت أيها الأمير عن هذه السبخة؟ فقال لهم: ما تنحوني - والله - إله أتنتن، وهل ترك مصعب لكريم مفراً؟ ثم تمثل قول الكلجة:

إذا المرء لم يغش المكاراة أو شكت  
حبال الهوينى بالفتى أن تقطعا

### خطبة عبد الله بعد مقتل مصعب

قال الزبير: وحدثني المدائني، عن عوانة والشرقي بن القطامي، عن أبي جناب، قال: حدثني شيخ من أهل مكة، قال: لما أتى عبد الله بن الزبير قتل مصعب أضرب عن ذكره أياماً حتى تحدثت به إمام مكة في الطريق، ثم صعد المنبر فجلس عليه ملياً لا يتكلم، فنظرت إليه والكآبة على وجهه، وجبينه يرشح عرقاً، فقلت لآخر إلى جنبي: ما له لا يتكلم؟ أتراه يهاب المنطق؟ فوالله إنه لخطيب، فما تراه يهاب؟ قال: أراه يريد أن يذكر قتل مصعب سيد العرب فهو يفضع لذكره، وغير ملوم فقال: الحمد لله الذي له الخلق والأمر ومالك الدنيا والآخرة، يعز من يشاء ويذل من يشاء، ألا إنه لم يذل والله من كان الحق معه وإن كان مفرداً ضعيفاً، ولم يعز من كان الباطل معه، وإن كان في العدة والعدد والكثرة، ثم قال: إنه قد أتانا خبر من العراق بلد الغدر والشقاق فساءنا وسرنا، أتانا أن مصعباً قتل رحمة الله عليه ومغفرته، فأما الذي أحزننا من ذلك فإن لفراق الحميم لذعة يجدها حميمه عند المصيبة، ثم يرعوي من بعد ذو الرأي والدين إلى جميل الصبر. وأما الذي سرنا منه فإننا قد علمنا أن قتله شهادة له وأن الله عز وجل جاعل لنا وله ذلك خيرة إن شاء الله تعالى. إن أهل العراق أسلموه وباعوه بأقل ثمن كانوا يأخذونه منه وأخسره، أسلموه لإسلام النعم المخطم فقتل، ولئن قتل أبوه وعمه وأخوه وكانوا الخيار الصالحين، إنا والله ما نموت حتف أنوفنا، ما نموت إلا قتلاً، قعصاً بين قصد الرماح وتحت ظلال السيوف وليس كما يموت بنو مروان، والله ما قتل رجل منهم في جاهلية ولا إسلام قط، وإنما الدنيا عارية من الملك القهار، الذي لا يزول سلطانه، ولا يبید ملكه، فإن تقبل الدنيا علي لا آخذها أخذ الأشر البطر، وإن تدبر عني لا أبك عليها بكاء الخرف المهتر. ثم نزل.

### رجل من بني أسد يرثي مصعباً

وقال رجل من بني أسد بن عبد العزى يرثي مصعباً:

لعمرك إن الموت منا لمولع  
بكل فتى رحب الذراع أريب  
فإن يك أمسى مصعب نال حتفه  
لقد كان صلب العود غير هيب  
جميل المحيا يوهن القرن غربه  
وإن عضه دهر فغير رهوب  
أتاه حمام الموت وسط جنوده  
فطاروا شلالاً واستنقى بذنوب

ولو صبروا نالوا حياً وكرامة

ولكنهم ولو بغير قلوب

### كان مصعب أشجع الناس

قال: وقال عبد الملك يوماً لجلسائه: من أشجع الناس؟ فأكثرنا في هذا المعنى، فقال: أشجع الناس مصعب بن الزبير، جمع بين عائشة بنت طلحة وسكينة بنت الحسين وأمة الحميد بنت عبد الله بن عاصم، وولي العراقيين، ثم زحف إلى الحرب، فبذلت له الأمان والحباء والولاية والعمو عما خلص في يده، فأبى قبول ذلك، وطرح كل ما كان مشغولاً به وأهله وراء ظهره، وأقبل بسيفه قرماً يقاتل وما بقي معه إلا سبعة نفر حتى قتل كريماً. ابن قيس الرقيات يمدح مصعباً أخيراً أحمد بن عبد العزيز، قال: حدثنا عمر بن شبة، قال: لما ولي مصعب بن الزبير العراق أقر عبد العزيز بن عبد الله بن عامر على سجستان وأمه بخيل، فقال ابن قيس الرقيات:

أم زمان من فتنة غير هرج؟

ليت شعري أول الهرج هذا

قد أتانا من عيشنا ما نرجي

إن يعش مصعب فنحن بخير

الأعداء حتى أتوه من كل فج

أعطي النصر والمهابة في

الأكتاف يوجفن بين قف ومرج

حيث لم تأت قبله خيل ذي

لبن البخت في عساس الخننج

ملك يطعم الطعام ويسقى

قال الزبير: حدثني عمي مصعب: أن عبيد الله بن قيس كان عند عبد الملك، فأقبل غلمان له معهم عساس خننج فيها لبن البخت، فقال عبد الملك: يا بن قيس، أين هذا من عساس مصعب التي تقول فيها:

لبن البخت في عساس الخننج؟

ملك يطعم الطعام ويسقى

فقال: لا أين يا أمير المؤمنين، لو طرحت عساسك هذه في عس من عساس مصعب لوسعها وتغلغلت في جوفه، فضحك عبد الملك ثم قال: قاتلك الله يا بن قيس، فإنك تأبى إلا كرمًا ووفاء.

قصة يونس الكاتب والوليد بن يزيد حدثني عمي، قال: حدثني أحمد بن الطيب، قال: قال لي أحمد ابن إبراهيم بن إسماعيل بن داود: خرج يونس الكاتب من المدينة يريد الشام بتجارة، فبلغ الوليد بن يزيد مكانه فأتته رسله وهو في الخان، وذلك في خلافة هشام، والوليد يومئذ أمير، فقالوا له: أجب الأمير، قال: فذهبت معهم، فأدخلوني عليه ولا أدري من هو إلا أنه حسن الوجه نبيل، فسلمت عليه، فأمرني بالجلوس فجلست، ودعا بالشراب والحواري، فكنا يومنا وليتنا في أمر عجيب، وغنيته فأعجبه غنائي، وكان مما أعجبه:

أم زمان من فتنة غير هرج؟

ليت شعري أول الهرج هذا

فلم يزل يستعيده إلى الصبح، ثم اصطحب عليه ثلاثة أيام، فقلت: أيها الأمير، أنا رجل تاجر قدمت هذا البلد في تجارة لي، وقد ضاعت، فقال: تخرج غداً غدوة وقد رجحت أكثر من تجارتك. وتم شربه، فلما أردت الانصراف لحقني غلام من غلمانه بثلاثة آلاف دينار، فأخذتها ومضيت، فلما أفضت الخلافة إليه أتيته، فلم أزل مقيماً عنده حتى قتل.

قال أحمد بن الطيب -وذكر مصعب الزبيري- أن يونس قال: كنت أشرب مع أصحاب لي فأردت أن أبول، فقممت وجلست أبول على كتيب رمل، فخطر بيالي قول ابن قيس:

### ليت شعري أول الهرج هذا

فغنيت فيه لحناً استحسنته وجاء عجباً من العجب، فألقىته على جاريتي عاتكة، ورددته حتى أخذته، وشاع لي في الناس، فكان أول صوت شاع لي وارتفع به قدرتي وقرنت بالفحول من المغنين، وعاشرت الخلفاء من أجله، وأكسبني مالاً جليلاً.

### صوت

فنقضى اللبانة أو نعهد

الأناد جيراننا يقصدوا

حذاراً من البين ما تبرد

كأن على كبدي جمرة

الشعر لكثير، والغناء لأشعب المعروف بالطمع، ثاني ثقيل بالوسطى، وفي البيت الثاني لابن جمام لحن من الثقيل الأول بالبنصر عن حبش.

### ذكر أشعب وأخباره

#### نسبه

هو أشعب بن جبير، واسمه شعيب، وكنيته أبو العلاء، كان يقال لأمه: أم الخلدج، وقيل: بل أم جميل، وهي مولاة أسماء بنت أبي بكر واسمها حميدة. وكان أبوه خرج مع المختار بن أبي عبيدة، وأسرته مصعب فضرب عنقه صبراً، وقال: تخرج علي وأنت مولاي؟ ونشأ أشعب بالمدينة في دور آل أبي طالب، وتولت تربيته وكفلته عائشة بنت عثمان بن عفان.

وحكي عنه أنه حكى عن أمه أنها كانت تغري بين أزواج النبي صلى الله عليه وسلم، وأنها زنت فحلقت وطيف بها، وكانت تنادي على نفسها: من رأني فلا يزين، فقالت لها امرأة كانت تطلع عليها: يا فاعلة، هانا الله عز وجل عنه فعصيناه، أو نطيعك وأنت مجلودة مجلودة راقبة على جمل!.

### أمه كانت مستظرفة من زوجات النبي

وذكر رضوان بن أحمد الصيدلاني فيما أجاز لي روايته عنه، عن يوسف بن الداية، عن إبراهيم بن المهدي: أن عبيدة بن أشعث أخبره -وقد سأله عن أولهم وأصلهم- أن أباه وجده كانا موليين عثمان، وأن أمه كانت مولاة لأبي سفيان بن حرب، وأن ميمونة أم المؤمنين أخذتها معها لما تزوجها النبي صلى الله عليه وسلم، فكانت تدخل إلى أزواج النبي صلى الله عليه وسلم فيستظرفنها، ثم إنها فارقت ذلك وصارت تنقل أحاديث بعضهن إلى بعض وتغري بينهن، فدعا النبي صلى الله عليه وسلم عليها فماتت.

وذكروا أنه كان مع عثمان -رضي الله عنه- في الدار، فلما حصر جرد مماليكه السيوف ليقاتلوا، فقال لهم عثمان: من أعمد سيفه فهو حر، قال أشعب: فلما وقعت والله في أذني كنت أول من أعمد سيفه، فأعتقت.

### سن أشعب

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري، قال: حدثنا عمر بن شبة، قال: حدثني إسحاق الموصلي، قال: حدثني الفضل بن الربيع، قال: كان أشعب عند أبي سنة أربع وخمسين ومائة، ثم خرج إلى المدينة فلم يلبث أن جاء نعيه. وهو أشعب بن جبير، وكان أبوه مولى لآل الزبير، فخرج مع المختار، فقتله مصعب صبراً مع من قتل. أخبرني الجوهري، قال: حدثنا ابن مهرويه، قال: حدثنا أحمد بن إسماعيل اليزيدي، قال: حدثني التوزي، عن الأصمعي، قال: قال أشعث: نشأت أنا وأبو الزناد في حجر عائشة بنت عثمان، فلم يزل يعلو وأسفل حتى بلغنا هذه المترلة.

أخبرني أحمد بن عبد العزيز، قال: حدثني محمد بن القاسم بن مهرويه، قال: حدثنا الزبير بن بكار، قال: حدثنا عبيد الله بن الحسن والي المأمون على المدينة، قال: حدثني محمد بن عثمان بن عفان قال: قلت لأشعب: لي إليك حاجة، فحلف بالطلاق لابنة وردان: لا سألته حاجة إلا قضاها، فقلت له: أخبرني عن سنك، فاشتد ذلك عليه حتى ظننت أنه سيطلق، فقلت له: على رسلك، وحلفت له إني لا أذكر سنه ما دام حياً، فقال لي: أما إذ فعلت فقد هونت علي، أنا والله حيث حصر جدك عثمان بن عفان، أسعى في الدار ألتقط السهام، قال الزبير: وأدركه أبي.

أخبرني أحمد، قال: حدثني محمد بن القاسم بن مهرويه، قال: حدثني محمد بن عبد الله اليعقوبي، عن الهيثم بن عدي، قال: قال أشعب: كنت ألتقط السهام من دار عثمان يوم حوصر، وكنت في شبيبتي ألق الحمر الوحشية عدواً.

### أمه يطاف بها بعد أن بغت

أخبرني أحمد، قال: حدثني محمد بن القاسم بن مهرويه، قال: حدثنا عبد الرحمن بن الجهم أبو مسلم وأحمد بن إسماعيل، قالوا: أخبرنا المدائني، قال: كان أشعب الطامع -واسمه شعيب- مولى لآل الزبير من قبل أبيه، وكانت

أمه مولاة لعائشة بنت عثمان بن عفان؛ وكانت بغت فضربت وحلقت وطيف بها وهي تنادي: من رأني فلا يزين، فأشرفت عليها امرأة فقالت: يا فاعلة، هانا الله عز وجل عن الزنا فعصيناها، ولسنا ندعه لقولك وأنت مخلوقة مضروبة يطاف بك.

أخبرني أحمد، قال: حدثنا أحمد بن مهرويه، قال: كتب إلي ابن أبي خيثمة يخبرني أن مصعب بن عبد الله أخبره، قال: اسم أشعب شعيب، ويكنى أبا العلاء، ولكن الناس قالوا أشعب فبقيت عليه، وهو شعيب بن جبير مولى آل الزبير، وهم يزعمون اليوم أنهم من العرب، فزعم أشعب أن أمه كانت تغري بين أزواج النبي صلى الله عليه وسلم ورحمهم، وامرأة أشعب بنت وردان، ووردان الذي بنى قبر النبي صلى الله عليه وسلم حين بنى عمر بن عبد العزيز المسجد.

### كان أشعب حسن الصوت بالقرآن

أخبرني أحمد قال: حدثني محمد بن القاسم، قال: وكتب إلي ابن أبي خيثمة يخبرني أن مصعب بن عبد الله أخبره، قال: كان أشعب من القراء للقرآن، وكان قد نسك وغزا، وكان حسن الصوت بالقرآن، وربما صلى بهم القيام. أخبرني أحمد بن عبد العزيز، قال: حدثني محمد القاسم، قال: حدثني أحمد بن يحيى، قال: أخبرنا إسحاق بن إبراهيم، قال: كان أشعب مع ملاحظته ونوادره يغني أصواتاً فيجيدها، وفيه يقول عبد الله بن مصعب الزبيري: صوت

كمثل ريح المسك أو أطيب

إذا تمززت صراحية

زيد أخو الأنصار أو أشعب

ثم تغنى لي بأهزاجه

حفت به الأملاك والموكب

حسبت أني ملك جالس

أشرق العالم أم غربوا

وما أبالي وإله الورى

غنى في هذه الأبيات زيد الأنصاري خفيف رمل بالبنصر.

وقد روى أشعب الحديث عن جماعة من الصحابة: أخبرني عمي، قال: حدثني عبد الله بن أبي سعد أن الربيع بن ثعلب حدثهم، قال: حدثني أبو البحري: حدثني أشعب، عن عبد الله بن جعفر، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "لو دعيت إلى ذراع لأجبت، ولو أهدي إلي كراع لقبلت".

### أشعب وسالم بن عبد الله

قال ابن أبي سعد، وروي عن محمد بن عباد بن موسى، عن عتاب بن إبراهيم، عن أشعب الطامع -قال عتاب: وإنما حملت هذا الحديث عنه لأنه عليه - قال: دخلت إلى سالم بن عبد الله بستاناً له فأشرف علي وقال: يا

أشعب، ويملك لا تسأل، فإني سمعت أبي يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "ليأتين أقوام يوم القيامة ما في وجوههم مزعة لحم، قد أحلقوها بالمسألة".

ويروى عن يزيد بن موهب الرملي، عن عثمان بن محمد، عن أشعب، عن عبد الله بن جعفر: أن النبي صلى الله عليه وسلم تختم في يمينه.

أخبرني أحمد، قال: حدثني عمر بن شبة، قال: حدثني الأصمعي، عن أشعب، قال: استنشدني ابن لسالم بن عبد الله بن عمر غناء الركبان بحضرة أبيه سالم فأنشدته، ورأس أبيه سالم في بت فلم ينكر ذلك.

أخبرني أحمد بن عبد العزيز، قال: حدثني محمد بن القاسم بن مهرويه، قال: حدثني أبو مسلم، عن عبد الرحمن بن الحكم، عن المدائني، قال: دفعت عائشة بنت عثمان في البزازين فقالت له بعد حول: أوجهت لشيء؟ قال: نعم، تعلمت نصف العمل وبقي نصفه، قالت: وما تعلمت؟ قال: تعلمت النشر وبقي الطي.

### أشعب يدعو الله أن يذهب عنه الحرص

#### ثم يستقبل ربه

قال المدائني: وقال أشعب: تعلقت بأستار الكعبة فقلت: اللهم أذهب عني الحرص والطلب إلى الناس، فمررت بالقرشيين وغيرهم فلم يعطني أحد شيئاً، فجئت إلى أمي فقال: ما لك قد جئت خائباً؟ فأخبرتها، فقالت: لا والله لا تدخل حتى ترجع فتستقبل ربك، فرجعت فقلت: يا رب أقلني، ثم رجعت، فلم أمر بمجلس لقريش وغيرهم إلا أعطوني ووهب لي غلام، فجئت إلى أمي بجمار موقر من كل شيء، فقالت: ما هذا الغلام؟ فنخفت أن أخبرها بالقصة فتموت فرحاً، فقلت: وهبوا لي، قالت: أي شيء؟ قلت: غين، قالت: أي شيء غين؟ قلت: لام، قالت: وأي شيء لام؟ قلت: ألف، قالت: وأي شيء ألف؟ قلت: ميم، قالت: وأي شيء ميم؟ قلت: غلام. فغشي عليها. ولو لم أقطع الحروف لماتت الفاسقة فرحاً.

أخبرني أحمد، قال: حدثني محمد بن القاسم، قال: حدثني العباس بن ميمون، قال: سمعت الأصمعي، يقول: سمعت أشعب يقول: سمعت الناس بموجون في أمر عثمان. قال الأصمعي: ثم أدرك المهدي.

#### صفتة

أخبرني أحمد، قال: حدثني محمد بن القاسم، قال: حدثني يحيى بن الحسن بن عبد الخالق بن سعيد الربيع، قال: حدثني عند بن حمدان الأرقمي المخزومي، قال: أخبرني أبي، قال: كان أشعب أزرق أحول أكشف أقرع. قال: وسمعت الأرقمي يقول: كان أشعب يقول: كنت أسقي الماء في فتنه عثمان بن عفان. والله أعلم.

#### أشعب والدينار

أخبرني أحمد، قال: حدثني محمد بن القاسم، قال: حدثنا عيسى بن موسى، قال: حدثنا الأصمعي، قال: أصاب أشعب ديناراً بالمدينة، فاشترى به قطيفة، ثم خرج إلى قباء يعرفها، ثم أقبل علي فيما أحسب - شك أبو يحيى - فقال: أتراها تعرف.

قال أحمد: وحدثناه أبو محمد بن سعد، قال: حدثني أحمد بن معاوية بن بكر، قال: حدثني الواقدي، قال: كنت مع أشعب نريد المصلى، فوجد ديناراً، فقال لي: يا بن واقد، قلت: ما تشاء؟ قال: وجدت ديناراً فما أصنع به؟ قال: قلت: عرفه، قال: أم العلاء إذا طالق، قال: قلت: فما تصنع به إذا؟ قال: اشتري به قطيفة أعرفها.

قال: وحدثني محمد بن القاسم، قال: وحدثني محمد بن عثمان الكريزي، عن الأصمعي: أن أشعب وجد ديناراً فتخرج من أخذه دون أن يعرفه، فاشترى به قطيفة، ثم قام على باب المسجد الجامع فقال: من يتعرف الوبدة؟ أخبرني أحمد الجوهري، قال: حدثني محمد بن القاسم، قال: سألت العتري، فقال: الوبد من كل شيء: الخلق؛ وبد الثوب وومد إذا أخلق.

### أشعب يطرب الناس بقائه

أخبرنا أحمد، قال: حدثني محمد بن القاسم، قال: حدثنا عيسى بن موسى، قال: حدثنا الأصمعي، قال: رأيت أشعب يغني وكأنه صوته صوت بلبل.

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز، قال: حدثنا محمد بن القاسم بن عبد الله في رفقة فيها ألف محمل، وكان ثم قاص يقص عليهم، فجئت فأخذت في أغنية من الرقيق، فتركوه وأقبلوا إلي، فجاء يشكوني إلى سالم فقال: إن هذا صرف وجوه الناس عني، قال: وأتيت سالماً - وأحسبه قال - والقاسم، فسألتهما بوجه الله العظيم، فأعطيني، وكانا يبغضاني أو أجدهما يبغضني في الله، قال: قلنا: لا تجعل هذا في الحديث، قال: بلى.

حدثنا أحمد، قال: حدثنا محمد بن القاسم، قال: وحدثناه قعنب بن محرز الباهلي، قال: أخبرنا الأصمعي، عن أشعب، قال: قدم علينا قاص كوفي يقص في رفقته، وفيها ألف بعير، فخرجنا وأحرمنا من الشجرة بالتلبية، فأقبل الناس إلي وتركوه. قال: ابن أم حميد، فجاء إلي عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان، فقال: إن مولاك هذا قد ضيق علي معيشتي.

### أشعب وزيد بن عبد الله الحارثي

أخبرنا أحمد، قال: حدثنا محمد بن القاسم، قال: أخبرنا أبو مسلم عبد الرحمن بن الجهم، عن المدائني، قال: تغدى أشعب مع زيد بن عبد الله الحارثي، فجاءوا بمضيرة، فقال أشعب لخباز: ضعها بين يدي، فوضعها بين يديه، فقال زيد: من يصلي بأهل السجن؟ قال: ليس لهم إمام، قال: أدخلوا أشعب يصلي بهم، قال أشعب: أو غير ذلك أصلح الله الأمير؟ قال: وما هو؟ قال: أحلف ألا أكل مضيرة أبداً.

أخبرنا أحمد، قال: حدثنا محمد بن القاسم، قال: قعنب بن المحرز، قال: حدثنا الأصمعي، قال: ولي المنصور زياد بن عبد الله الحارثي مكة والمدينة، قال أشعب: فلقيته بالجحفة فسلمت عليه، قال: فحضر الغداء، وأهدي إليّ جدي فطبخه مضيرة، وحشيت القبة قال: فأكلت أكلاً أتملح به، وأنا أعرف صاحبي، ثم أتى بالقبة، فشقققتها، فصاح الطباخ: إنا لله! شق القبة، قال: فانقطعت، فلما فرغت قال: يا أشعب! هذا رمضان قد حضر، ولا بد أن تصلي بأهل السجن، قلت: والله ما أحفظ من كتاب الله إلا ما أقيم به صلاتي، قال: لا بد منه، قال: قلت: أو لا أكل جدياً مضيرة؟ قال: وما أصنع به وهو في بطنك؟ قال: قلت: الطريق بعيد أريد أن أرجع إلى المدينة، قال: يا غلام، هات ريشة ذنب ديك - قال أشعب: والجحفة أطول بلاد الله ريشة ذنب ديك - قال: فأدخلت في حلقي فتقيأت ما أكلت، ثم قال لي: ما رأيك؟ قال: قلت: لا أقيم ببلدة يصاح فيها: شق القبة، قال: لك وظيفة على السلطان وأكره أن أكسرها عليك، فقل ولا تشطط قال: قلت: نصف درهم كراء حمار يبلغني المدينة، قال: أنصفت وأعطانيه.

### من طرائف أشعب

أخبرنا أحمد، قال: حدثنا محمد بن القاسم، قال: أخبرني أبو مسلم، عن المدائني، قال: أتى أشعب بفالوذجة عند بعض الولادة، فأكل منها، فقيل له: كيف تراها يا أشعب؟ قال: امرأته طالق إن لم تكن عملت قبل أن يوحى الله عز وجل إلى النحل.

أخبرنا أحمد، قال: حدثنا محمد بن القاسم، قال: حدثنا عبد الله بن شعيب الزبيري، عن عمه. قال أبو بكر: وحدثني ابن أبي سعد، قال: حدثني عبد الله بن شعيب وهو أتم من هذا وأكثر كلاماً، قال: جاء أشعب إلى أبي بكر بن يحيى من آل الزبير، فشكا إليه، فأمر له بصاع من تمر، وكانت حال أشعب رثة، فقال له أبو بكر بن يحيى: ويحك يا أشعب! أنت في سنك وشهرتك تجيء في هذه الحال فتضع نفسك فتعطي مثل هذا؟ اذهب فادخل الحمام فاخضب لحيتك، قال أشعب: ففعلت، ثم جئته فألبسني ثياب صوف له وقال: اذهب الآن فاطلب، قال: فذهبت إلى هشام بن الوليد صاحب البغلة من آل أبي ربيعة، وكان رجلاً شريفاً موسراً، فشكا إليه فأمر له بعشرين ديناراً، فقبضها أشعب وخرج إلى المسجد، وطفق كلما جلس في حلقة يقول: أبو بكر بن يحيى، جزاه الله عني خيراً، أعرف الناس بمسألة، فعل بي وفعل، فيقص قصته، فبلغ ذلك أبا بكر فقال: يا عدو نفسه! فضحتني في الناس، أفكان هذا جزائي!.

أخبرنا أحمد، قال: قال: حدثني محمد بن القاسم، قال: أخبرني محمد بن الحسين بن عبد الحميد، قال: حدثني شيخ أنه نظر إلى أشعب بموضع يقال له الفرع بيكي وقد خضب بالحناء، فقالوا: يا شيخ ما بيكيك؟ قال: لغربة هذا الجناح، وكان على دار واحدة ليس بالفرع غيره.

أخبرنا أحمد، قال: حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه، قال: أخبرني محمد بن الحسين، قال: حدثني أبي، قال:

نظرت إلى أشعب يسلم على رسول الله "صلى الله عليه وسلم قال: وهو يدعو ويتضرع، قال: فأدمت نظري إليه، فكلما أدمت النظر إليه كلح وبت أصابعه في يده بجذائي حتى هربت فسألت عنه فقالوا: هذا أشعب. أخبرني أحمد، قال: حدثني محمد بن القاسم، قال: حدثني محمد بن الحسين، قال: حدثني إسحاق بن إبراهيم بن عجلان الفهري، قال: إن أشعب مر برش قد رش من الليل في بعض نواحي المدينة فقال: كأن هذا الرش كساء برنكابي فلما توسطه قال: أظنني والله قد صدقت، وجلس يلمس الأرض.

أخبرنا أحمد، قال: حدثنا محمد بن القاسم، قال: حدثني محمد بن الحسين، قال: حدثنا بعض المدنيين، قال: كان لأشعب خرق في بابه، فينام ويخرج يده من الخرق ويطمع أن يجيء إنسان فيطرح في يده شيئاً؛ من الطمع. أخبرني أحمد، قال: حدثني محمد بن القاسم، قال: حدثنا الزبير، قال: حدثني عبد الرحمن بن عبد الله الزهري، قال: صلى أشعب يوماً إلى جانب مروان بن أبان بن عثمان، وكان مروان عظيم الخلق والعجيزة، فأفلتت منه ريح عند هوضه، لها صوت، فانصرف أشعب من الصلاة، فوهم الناس أنه هو الذي خرجت منه الريح، فلما انصرف مروان إلى منزله جاءه أشعب فقال له: الدية، فقال: دية ماذا؟ فقال: دية الضرطة التي تحملتها عنك، والله وإلا شهرتك، فلم يدعه حتى أخذ منه شيئاً صالحاً.

أخبرنا أحمد، قال: حدثنا محمد بن القاسم، قال: حدثني إبراهيم بن الجنيد، قال: حدثني سوار بن عبد الله، قال: حدثني مهدي بن سليمان المنقري مولى لهم، عن أشعب، قال: دخلت على القاسم بن محمد وكان يبغيضي في الله وأحبه فيه، فقال: ما أدخلك علي؟ أخرج عني، فقلت: أسألك بالله لما جددت عذقا، قال: يا غلام، جد له عذقا، فإنه سأل بمسألة لا يفلح من ردها أبداً.

أخبرنا أحمد، قال: حدثني محمد بن القاسم، قال: حدثنا الرياشي، قال: حدثني أبو سلمة أيوب بن عمر، عن الحرزي، وهو أيوب بن عباية أبو سليمان، قال: كان لأشعب علي في كل سنة دينار، قال: فأتاني يوماً ببطحان فقال: عجل لي ذلك الدينار، ثم قال: لقد رأيتني أخرج من بيتي فلا أرجع شهراً مما أخذ من هذا وهذا وهذا.

### بين أشعب وابنه

أخبرنا أحمد، قال: حدثني محمد بن القاسم، قال: حدثني علي بن محمد النوفلي، قال: سمعت أبي يحيى عن بعض المدنيين، قال: كبر أشعب فملته الناس وبرد عندهم، ونشأ ابنه فتغنى وبكى وأندر، فاشتتهى الناس ذلك، فأخصب وأجذب أبوه، فدعاه يوماً وجلس هو وعجوزه، وجاء ابنه وامرأته فقال له: بلغني أنك قد تغنيت وأندرت وحظيت، وأن الناس قد مالوا إليك فهلهم حتى أخايرك، قال: نعم، فتغنى أشعب فإذا هو قد انقطع وأرعد، وتغنى ابنه فإذا هو حسن الصوت مطرب، وانكسر أشعب ثم أندر فكان الأمر كذلك، ثم خطبا فكان

الأمر كذلك، فاحترق أشعب فقام فألقى ثيابه، ثم قال: نعم، فمن أين لك مثل خلقي؟ من لك بمثل حديثي؟ قال: وانكسر الفتى، فنعرت العجوز ومن معها.

### حديثه عن وفاة بنت الحسين بن علي

أخبرني أحمد، قال: حدثني عبد الله بن عمرو بن أبي سعد، قال: حدثني علي بن الحسين بن هارون، قال: حدثني محمد بن عباد بن موسى، قال: حدثني محمد بن عبد الله بن جعفر بن سليمان وكان جارنا هنا، قال: دخلت على جعفر بن سليمان وعند أشعب يحدثه قال:

كانت بنت حسين بن علي عند عائشة بنت عثمان تربيها حتى صارت امرأة، وحج الخليفة فلم يبق في المدينة خلق من قريش إلا وافي الخليفة إلا من لا يصلح لشيء، فماتت بنت حسين بن علي، فأرسلت عائشة إلى محمد بن عمرو بن حزم وهو والي المدينة، وكان عفيفاً حديداً عظيم اللحية، له جارية موكلة بلحيتها إذا ائتزر لا يأتزر عليها، وكان إذا جلس للناس جمعها ثم أدخلها تحت فخذها. فأرسلت عائشة: يا أخي قد ترى ما دخل علي من الصيبة بابنتي، وغيبة أهلي وأهلها، وأنت الوالي، فأما ما يكفي النساء من النساء فأنا أكفيكه بيدي وعيني، وأما ما يكفي الرجال من الرجال فاكفنيه، مر بالأسواق أن ترفع، وأمر بتجويد عمل نعشها، ولا يحملها إلا الفقهاء الألباء من قريش بالوقار والسكينة، وقم على قبرها ولا يدخله إلا قرابتها من ذوي الحجا والفضل، فأتى ابن حزم رسولها حين تغدى ودخل ليقبل، فدخل عليه فأبلغه رسالتها، فقال ابن حزم لرسولها: أقرئ ابنة المظلوم السلام وأخبرها أبي قد سمعت الواعية وأردت الركوب إليها فأمسكت عن الركوب حتى أبرد، ثم أصلي، ثم أنفذ كل ما أمرت به. وأمر حاجبه وصاحب شرطته برفع الأسواق، ودعا الحرس وقال: خذوا السياط حتى تحولوا بين الناس وبين النعش إلا ذوي قرابتها بالسكينة والوقار، ثم نام وانتبه وأسرج له، واجتمع كل من كان بالمدينة، وأتى باب عائشة حين أخرج النعش، فلما رأى الناس النعش التقفوه، فلم يملك ابن حزم ولا الحرس منه شيئاً، وجعل ابن حزم يركض خلف النعش ويصيح بالناس من السفلة والغوغاء: اربعوا أي ارفقوا فلم يسمعوا، حتى بلغ بالنعش القبر، فصلى عليها، ثم وقف على القبر فنادى: من ها هنا من قريش؟ فلم يحضره إلا مروان بن أبان بن عثمان، وكان رجلاً عظيم البطن بادناً لا يستطيع أن يشي من بطنه، سخيف العقل، فطلع وعليه سبعة قمص، كأنها درج، بعضها اقصر من بعض وردداء عدني يثمن ألف درهم، فسلم وقال له ابن حزم: أنت لعمرى قريبها، ولكن القبر ضيق لا يسعك، فقال: أصلح الله الأمير إنما تضيق الأخلاق. قال ابن حزم: إنا لله، ما ظننت أن هذا هكذا كما أرى، فأمر أربعة فأخذوا بضبعه حتى أدخلوه في القبر، ثم أتى خراء الزنج، وهو عثمان بن عمرو بن عثمان فقال: السلام عليك أيها الأمير ورحمة الله، ثم قال: واسيدتاه وابنت أختاه! فقال ابن حزم: تالله لقد كان يبلغني عن هذا أنه مخنث، فلم أكن أرى أنه بلغ هذا كله، دلوه فإنه عورة هو والله أحق بالدفن منها، فلما أدخلها قال مروان لخراء الزنج: تنح إليك شيئاً فقال له خراء الزنج: الحمد لله رب العالمين، جاء الكلب

الإنسي يطرد الكلب الوحشي، فقال لهما ابن حزم: اسكتا قبحكما الله وعليكما اللعنة، أيكما الإنسي من الوحشي، والله لئن لم تسكتا لأمرن بكما تدفنان، ثم جاء خال للجارية من الحاطبيين وهو ناقة من مرض لو أخذ بعوضة لم يضبطها فقال: أنا خالها وأمي سودة وأمها حفصة، ثم رمى بنفسه في القبر، فأصاب ترقوة خراء الزنج فصاح: أوه ألح الله الأمير دق والله عرقوبي، فقال ابن حزم: دق الله عرقوبك، وترقوتك اسكت ويلك، ثم أقبل على أصحابه فقال: ويحكم إني خبرت أن الجارية بادن، ومروان لا يقدر أن ينثني من بطنه، وخراء الزنج مخنث لا يعقل سنة ولا دفناً، وهذا الحاطبي لو أخذ عصفوراً لم يضبطه لضعفه، فمن يدفن هذه الجارية؟ والله ما أمرتني بهذا بنت المظلوم، فقال له جلساؤه: لا والله ما بالمدينة خلق من قريش، ولو كان في هؤلاء خير لما بقوا، فقال: من هاهنا من مواليهم؟ فإذا أبو هانئ الأعمى وهو ظفر لها، فقال ابن حزم: من أنت رحمك الله؟ فادفن هؤلاء الأحياء، حتى يدلى عليك الموتى ثم أقبل على أصحابه فقال: إنا لله -وهذا أيضاً أعمى لا يبصر، فنادوا: من هنا من مواليهم فإذا برجل يزيدي يقال له أبو موسى قد جاء، فقال له ابن حزم: من أنت أيضاً؟ قال: أنا أبو موسى صالمين، وأنا بن السميط سميطن والسعيد سعيدين، والحمد لله رب العالمين، فقال ابن حزم: والله العظيم لتكونن لهم خامساً، رحمك الله يا بنت رسول الله، فما اجتمع على جيفة خنزير ولا كلب ما اجتمع على جثتك فإنا لله وإنا إليه راجعون، وأظنه سقط رجل آخر .

أخبرني أحمد، قال: حدثني محمد بن القاسم، قال: حدثني يعقوب بن محمد بن عبد الله، قال: حدثني أبو بكر الزلال الزبيري، قال: حدثني من رأى أشعب وقد علق رأس كلبه وهو يضربه ويقول له: تنبح الهدية وتبصص للضيف.

### أرضع أشعب جدياً لبن زوجته

أخبرنا أحمد، قال: حدثني عبد الله بن عمرو بن أبي سعد، قال: حدثني محمد بن محمد الزبيري أبو الطاهر، قال: حدثني يحيى بن محمد بن أبي قتيلة، قال: إذا أشعب جدياً بلبن زوجته وغيرها حتى بلغ الغاية، قال: ومن مبالغته في ذلك أن قال لزوجته: أي ابنة وردان، إن أحب أن ترضعيه لبنك. قال: ففعلت، قال: ثم جاء به إلى إسماعيل بن جعفر بن محمد فقال: بالله إنه لابني، قد رضع بلبن زوجتي وقد حبوتك به، ولم أر أحداً يستأهله سواك، قال: فنظر إسماعيل إلى فتنة من الفتنة فأمر به فذبح وسمط، فأقبل عليه أشعب، فقال: المكافأة، فقال: ما عندي والله اليوم شيء، ونحن من تعرف، وذلك غير فائت لك، فلما يتس منه قام من عنده فدخل على أبيه جعفر بن محمد، ثم اندفع يشهق حتى التقت أضلاعه، ثم قال: أخلني، قال: ما معنا أحد يسمع لا عين عليك، قال: وثب ابنك إسماعيل على ابني فذبحه وأنا أنظر إليه، قال: فارتاع جعفر وصاح: ويلك! وفيم؟ وتريد ماذا؟ قال: أما ما أريد فوالله ما لي إسماعيل حيلة ولا يسمع هذا سامع أبداً بعدك. فجزاه خيراً وأدخله منزله، وأخرج إتيته مائتي دينار وقال له: خذ هذه ولك عندما ما تحب، قال: وخرج إلى إسماعيل لا يبصر ما يطأ عليه، فإذا به مترسل في مجلسه،

فلما رأى وجه أبيه نكره، وقام إليه، فقال: يا إسماعيل أو فعلتها بأشعب؟ قتلت ولده، قال: فاستضحك وقال: جاءني بجدي من صفته كذا، وخبره الخبر، فأخبره أبوه ما كان منه وصار إليه. قال: فكان جعفر يقول لأشعب: رعبتني رعبك الله فيقول: روعة ابنك والله إياي في الجدي أكبر من روعتك أنت في المائتي دينار.

### حزن أشعب لوفاة خالد بن عبد الله

أخبرنا أحمد، قال: حدثنا عبد الله بن عمرو بن أبي سعد، قال: حدثني محمد بن إسحاق المسيبي، قال: حدثني عمير بن عبد الله بن أبي بكر بن سليمان بن أبي خيثمة - قال: وعمير لقب واسمه عبد الرحمن - عن أشعب، قال: أتيت خالد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان ليلة أسأله، فقال لي: أنت على طريقة لا أعطي على مثلها، قلت: بلى جعلت فداءك، فقال: قم فإن قدر شيء فسيكون، قال: فقمت، فإني لفني بعض سكك المدينة، قال: كم عيالك؟ فأخبرته قال: قد أمرت أن أجري عليك وعلى عيالك ما كنت حياً، قال: من أمرك؟ قال: لا أخبرك ما كانت هذه فوق هذه، يريد السماء، وأشار إليها قال: قلت: إن هذا معروف يشكر، قال: الذي أمرني لم يرد شكرك، وهو يتمنى ألا يصل مثلك. قال: فمكثت آخذ ذلك إلى أن توفي خالد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان، قال: فشهدته قريش وحفل له الناس قال: فشهدته فلقيني ذلك الرجل فقال: يا أشعب انتف رأسك ولحيتك، هذا والله صاحبك الذي كان يجري عليك ما كنت أعطيك، وكان والله يتمنى مباحة مثلك، قال: فحمله والله الكرم إذ سألته أن فعل بك ما فعل، قال عمير: قال أشعب: فعملت بنفسي والله حينئذ ما حل وحرم.

### أشعب في المسجد

أخبرني أحمد، قال: حدثني محمد بن القاسم بن مهرويه، قال: حدثنا الزبير بن بكار، قال: كان أشعب يوماً في المسجد يدعو وقد قبض وجهه فصيره كالصبرة المجموعة، فراه عامر بن عبد الله بن الزبير فحصبه وناداه: يا أشعب، إذا تناجى ربك فناجيه بوجهه طلق، قال: فأرخصي لحية حتى وقع على زوره، قال: فأعرض عنه عامر وقال: ولا كل هذا.

### جزء أشعب لحيته

أخبرني أحمد بن عبد العزيز، قال: حدثني محمد بن القاسم، قال: حدثني الزبير، قال: حدثني مصعب، قال: جز أشعب لحيته فبعث إليه نافع بن ثابت بن عبد الله بن الزبير: ألم أقل لك إن البطال أملك ما يكون إذا طالت لحيته فلا تجز لحيتك.

### طرائف من طمعه وبخله

أخبرني أحمد، قال: حدثني محمد بن القاسم، قال: حدثنا أبو الحسن أحمد بن يحيى، قال: أخبرنا أبو الحسن المدائني، قال: وقف أشعب على امرأة تعمل طبق خوص فقال: لتكبريه فقالت: لم؟ أتريد أن تشتريه؟ قال: لا، ولكن عسى أن يشتريه إنسان فيهدي إلي فيه، فيكون كبيراً خيراً من أن يكون صغيراً.

أخبرني أحمد بن عبد العزيز، قال: حدثني محمد بن القاسم، قال: أخبرنا أحمد بن يحيى قال: أخبرنا المدائني، قال: قالت صديقة أشعب لأشعب: هب لي خاتمك أذكرك به، قال: اذكريني أي منعتك إياه؛ فهو أحب إلي. أخبرني أحمد، قال: حدثني محمد بن القاسم بن مهرويه، قال: أخبرنا أبو مسلم قال: أخبرنا المدائني، قال: قال أشعب مرة للصبيان: هذا عمرو بن عثمان يقسم مالا، فمضوا، فلما أبطؤوا عنه اتبعهم؛ يحسب أن الأمر قد صار حقاً كما قال.

أخبرنا أحمد، قال: حدثنا محمد بن القاسم، قال: أخبرنا أحمد بن يحيى، قال: أخبرنا المدائني، قال: دعا زياد بن عبد الله أشعب فتغدى معه، فضرب بيده إلى جدي بين يديه، وكان زياد أحد البخلاء بالطعام، فغاضه ذلك، فقال لخدمته: أخبروني عن أهل السجن ألهم إمام يصلي بهم؟ وكان أشعب من القراء لكتاب الله تعالى، قالوا: لا، قال: فأدخلوا أشعب فصبروه إماماً لهم، قال أشعب: أو غير ذلك؟ قال: وما هو؟ قال: أحلف لك -أصلحك الله- ألا أذوق جدياً أبداً، فخلاه.

أخبرنا أحمد، قال: حدثنا محمد بن القاسم، قال: أخبرنا أبو مسلم، قال: أخبرنا المدائني، قال: رأيت أشعب بالمدينة يقلب مالا كثيراً فقلت له: ويحك ما هذا الحرص! ولعلك أن تكون أيسر ممن تطلب من، قال: إن قد مهرب في هذه المسألة، فأنا أكره أن أدعها فتنفلت مني.

أخبرنا أحمد، قال: حدثنا محمد بن القاسم، قال: أخبرنا أبو مسلم، قال: أخبرنا المدائني، قال: قيل لأشعب: ما بلغ من طمعك؟ قال: ما رأيت اثنين يتساران قط إلا كنت أراهما يأمران لي بشيء.

أخبرنا أحمد، قال: حدثنا محمد بن القاسم، قال: حدثنا أبو مسلم، قال: أخبرنا المدائني، قال: قال أشعب لأمه: رأيتك في النوم مطلية بعسل وأنا مطلي بعدرة، فقالت: يا فاسق هذا عملك الخبيث كساكه الله عز وجل، قال: إن في الرؤيا شيئاً آخر، قالت: ما هو؟ قال: رأيتني أطلعك وأنت تلطعيني، قالت: لعنك الله يا فاسق.

أخبرنا أحمد، قال: حدثني محمد بن القاسم، قال: أخبرنا أبو مسلم، قال: أخبرنا المدائني، قال: كان أشعب يتحدث إلى امرأة بالمدينة حتى عرف ذلك، فقالت لها جارها يوماً: لو سألته شيئاً فإنه مؤسر، فلما جاء قالت: إن جارتي ليقن لي: ما يصلك بشيء، فخرج نافرماً من منزلها، فلم يقرها شهرين، ثم إنه جاء ذات يوم فجلس على الباب، فأخرجت إليه قدحاً ملاً من ماء، فقالت: اشرب هذا من الفزع، فقال: اشربيه أنت من الطمع. أخبرنا أحمد بن عبد العزيز، قال: حدثني محمد بن القاسم، قال: أخبرنا أبو مسلم وأحمد بن يحيى -واللفظ لأحمد- قال: أخبرنا المدائني عن جهم بن خلف، قال: حدثني رجل قال: قلت لأشعب: لو تحدثت عندي

العشية؟ فقال: أكره أن يجيء ثقيل، قال: قلت: ليس غيرك وغيري، قال: فإذا صليت الظهر فأنا عندك، فضلى وجاء، فلما وضعت الجارية الطعام إذا بصديق لي يدق الباب، فقال: ألا ترى قد صرت إلى ما أكره؟ قال: قلت: إن عندي فيه عشر خصال، قال: فما هي؟ قال: أولها أنه لا يأكل ولا يشرب، قال: التسع الخصال لك، أدخله. قال أبو مسلم: إن كرهت واحدة منها لم أدخله.

أخبرنا أحمد، قال: حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه، قال: أخبرنا أبو مسلم، قال: أخبرنا المدائني، قال: دخل أشعب يوماً على الحسين بن علي وعند أعرابي قبيح المنظر مختلف الحلقة، فسبح أشعب حين رآه، وقال للحسين عليه السلام: بأبي أنت وأمي، أتأذن لي أن أسلح عليه؟ فقال الأعرابي: ما شئت، ومع الأعرابي قوس وكنانة، ففوق له سهماً وقال: والله لئن فعلت لتكونن آخر سلحة سلحتها، قال أشعب للحسين: جعلت فداءك، قد أخذني القولنج.

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز، قال: حدثني محمد بن القاسم، قال: أخبرنا أبو مسلم، قال: أخبرنا المدائني، قال: ذكر أشعب بالمدينة رجلاً قبيح الاسم، فقيل له: يا أبا العلاء، أتعرف فلاناً؟ قال: ليس هذا من الأسماء التي عرضت على آدم.

وجدت في بعض الكتب، عن أحمد بن الحارث الخراز، عن المدائني، قال: توضع أشعب فغسل رجله اليسرى وترك اليمنى فقيل له: لم تركت غسل اليمنى؟ قال: لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "أمي غر محجلون من آثار الوضوء، وأنا أحب أن أكون أغر محلاً مطلق اليمنى".

وأخبرت بهذا الإسناد قال:

سمع أشعب حيي المدينة تقول: اللهم لا تمتني حتى تغفر لي ذنوبي، فقال لها: يا فاسقة أنت لم تسألني الله المغفرة إنما سألته عمر الأبد، يريد أنه لا يغفر لها أبداً.

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجوهري، قال: حدثني محمد بن القاسم، قال: أخبرنا المدائني، عن فليح بن سليمان، قال: ساوم أشعب رجلاً بقوس عربية فقال الرجل: لا أنقصها عن دينار، قال أشعب: أعتق ما أملك لو أنها إذا رمي بها طائر في جو السماء وقع مشوياً بين رغيفين ما أخذتها بدينار.

أخبرنا أحمد، قال: حدثنا محمد بن القاسم، قال: أخبرنا مسلم، قال: أخبرنا المدائني، قال: أهدى رجل من بني عامر بن لؤي إلى إسماعيل الأعرج بن جعفر بن محمد فالوذجة، وأشعب حاضر، قال: كل يا أشعب، فلما أكل منها قال: كيف تجدها يا أشعب؟ قال: أنا بريء من الله ورسوله إن لم تكن عملت قبل أن يوحى الله عز وجل إلى النحل، أي ليس فيها من الحلاوة شيء.

أخبرنا أحمد قال: حدثنا محمد بن القاسم، قال: أخبرنا أبو مسلم، قال: أخبرنا المدائني، قال: سألت سالم بن عبد الله أشعب عن طعمه، قال: قلت لصبياني مرة: هذا سالم قد فتح باب صدقة عمر، فانطلقوا يعطكم تمرًا، فمضوا، فلما أبطؤوا ظننت أن الأمر كما قلت فاتبعتهم.

أخبرني أحمد بن عبد العزيز، قال: حدثني محمد بن القاسم، قال: أخبرنا أبو مسلم، قال: أخبرني المدائني، قال: بينا أشعب يوماً يتغدى إذ دخلت جارة له، ومع أشهب امرأته تأكل، فدعاها لتغدى، فجاءت الجارة فأخذت العرقوب بما عليه -قال: وأهل المدينة يسمونه عرقوب رب البيت- قال: فقام أشعب فخرج ثم عاد فدق الباب، فقالت له امرأته: يا سخين العين ما لك! قال: أدخل؟ قالت: أتستأذن أنت، وأنت رب البيت؟ قال: لو كنت رب البيت ما كانت العرقوب بين يدي هذه.

### أشعب يبكي نفسه

أخبرني بعض أصحابنا، قال: حدثنا أحمد بن سعيد الدمشقي، قال: حدثنا الزبير، قال: حدثني مصعب، قال: قال لي ابن كليب: حدثت مرة أشعب بمصلحة فبكى، فقلت: ما يبكيك؟ قال: أنا بمزلة شجرة الموز إذا نشأت ابنتها قطعت، وقد نشأت أنت في موالي وأنا الآن أموت، فإنما أبكي على نفسي. أخبرني أحمد بن عبد العزيز، قال: حدثنا ابن مهرويه، قال: حدثنا الزبير بن بكار، قال: كان أشعب الطمع يغني وله أصوات قد حكيت عنه، وكان ابنه عبيدة يغنيها، فمن أصواته هذه:

إذا ما الأمر جل عن الخطاب

أروني من يقوم لكم مقامي

بأيديكم علي من التراب

إلى من تفرعون إذا حثوتم

أشعب وسكينة بنت الحسين أخبرني الحسن بن علي الخفاف، قال: حدثنا أحمد بن سعيد الدمشقي، قال: حدثنا الزبير بن بكار، قال: حدثنا شعيب بن عبيدة بن أشعب، عن أبيه، عن جده، قال: كانت سكينة بنت الحسين بن علي عليهم السلام عند زيد بن عمرو بن عثمان بن عفان قال: وقد كانت أحلفتها ألا يمنعها سفراً ولا مدحلاً ولا مخرجاً فقالت: اخرج بنا إلى حمران من ناحية عسفان، فخرج بها فأقامت، ثم قالت له: اذهب بنا نعتمر، فدخل بها مكة، فأتاني آت، فقال: تقول لك ديباجة الحرم -وهي امرأة من ولد عتاب بن أسيد-: لك عشرون ديناراً إن جئتني بزيد بن عمرو الليلة في الأبطح، قال أشعب: وأنا أعرف سكينة وأعلم ما هي، ثم غلب علي طباع السوء والشرة، فقلت لزيد فيما بيني وبينه: إن ديباجة الحرم أرسلت إلي بكيت وكيت، فقال: عدها الله بالأبطح، فأرسلت إليها فواعدتها الأبطح وإذا الديباجة قد افترشت بساطاً في الأبطح وطرحت النمارق، ووضعت حشايا وعليها أمشاط، فجلست عليها، فلما طلع زيد قامت إليه، فتلقته وسلمت عليه، ثم رجعت إلى مجلسها، فلم ننشأ أن سمعنا شحيج بلغة سكينة، فلما استبانها زيد قام فأخذ بركابها، واختبأت ناحية، فقامت الديباجة إلى سكينة فتلقتها وقبلت بين عينيها، وأجلستها على الفراش، وجلست هي على بعض النمارق، فقالت سكينة: أشعب والله صاحب هذا الأمر، ولست لأبي إن لم يأت يصيح صياح الهرة لن يقوم لي بشيء أبداً، فطلعت على أربع أصبح صياح الهرة، ثم دعت جارية معه مجمر كبير فحفنت منه وأكثرت، وصبت في حجر الديباجة، وحفنت لمن معها فصبته في حجورهن وركبت وركب زيد

وأنا معهم، فلما صارت إلى منزلها قالت لي: يا أشعب أفعلتها؟ قلت: جعلت فداءك، إنما جعلت لي عشرين ديناراً، وقد عرفت طمعي وشرهي، والله لو جعلت لي العشرين ديناراً على قتل أبي لقتلتها، قال: فأمرت بالرحيل إلى الطائف، فأقامت بالطائف وحوطت من ورائها بحيان ومنعت زيدا أن يدخل عليها. قال: ثم قالت لي يوماً: قد أئمتنا في زيد وفعلنا ما لا يحل لنا، ثم أمرت بالرحيل إلى المدينة، وأذنت لزيد فجاءها. قال الزبير: وحدثني عبد الله بن محمد بن أبي سلمة قال: جاء أشعب إلى مجلس أصحابنا فجلس فيه، فمرت جارية لأحدهم بحزمة عراجين من صدقة عمر، فقال له أشعب: فديتك، أنا محتاج إلى حطب فمر لي بهذه الحزمة، قال: لا، ولكن أعطيك نصفها على أن تحدثني بحديث ديباجة الحرم، فكشف أشعب ثوبه عن استه واستوفز وجعل يخنس ويقول: إن لهذا زماناً، وجعلت خصيتاه تحيطان الأرض، ثم قال: أعطاني والله فلان في حديث ديباجة الحرم عشرين ديناراً، وأعطاني فلان كذا، وأعطاني فلان كذا، حتى عد أموالاً، وأنت الآن تطلبها مني بنصف حزمة عراجين! ثم قام فانصرف. وفي ديباجة الحرم يقول عمر بن أبي ربيعة: صوت

وقد كنت منها في عناء وفي سقم

ذهبت ولم تلمم بديباجة الحرم

وقد كنت مجنوناً بجاراتها القدم

جننت بها لما سمعت بذكرها

فكن حجراً بالحزن من حرة أصم

إذا أنت لم تعشق ولم تدر ما لهوي

غناه مالك بن أبي السمح من رواية يونس عن حبيش .

قال الزبير: وحدثني شعيب بن عبيدة، عن أبيه، قال: دخل رجل من قريش على سكينه بنت الحسين عليهما السلام، قال: فإذا أنا بأشعب متفحج جالس تحت السرير، فلما رأيته جعل يفرقر مثل الدجاجة فجعلت أنظر إليه وأعجب، فقالت: ما لك تنظر إلى هذا؟ قلت: إنه لعجب، قالت: إنه لحبيث، قد أفسد علينا أمورنا بغبواته، فحضنته بيض دجاج، ثم أقسمت أنه لا يقوم عنه حتى ينفق . وهذا الخبر عندنا مشروح، ولكن هذا ما سمعناه، ونسخته على الشرح من أخبار إبراهيم بن المهدي التي رواها عنه يوسف بن إبراهيم، وقد ذكر في أخبار سكينه. وروى عن أحمد بن الحسن البزاز: وجدت بخط ابن الوشاء، عن أبي الوشاء، عن الكديمي، عن أبي عاصم قال: قيل لأشعب الطامع: أرايت أحداً قط أطمع منك، قال: نعم كلباً يتبعني أربعة أميال على مضغ العلك . أخبرني الحرمي بن أبي العلاء، وعمي عبد العزيز بن أحمد ، وحبیب بن نصر المهلبی، قالوا: حدثنا الزبير بن بكار، قال: حدثني مصعب، عن عثمان بن المنذر، عن عبد الله بن أبي بشر بن عثمان بن المغيرة، قال: سمعت جليلة شديدة مقبلة من البلاط، وأسرعت فإذا جماعة مقبلة، وإذا امرأة قد فرعتهم طولاً، وإذا أشعب بين أيديهم بكفه دف وهو يعني به ويرقص ويجرف استه ويجررها ويقول:

قبيل الصبح فاختمرت

الأحي التي خجرت

## يقال بعينها رمد

## ولا والله ما رمدت

فإذا تجاوز في الرقص الجماعة رجع إليهم حتى يخالطهم ويستقبل المرأة فيغني في وجهها وهي تبسم وتقول: حسبك الآن، فسألت عنها، فقالوا: هذه جارية صريم المغنية استلحقها صريم عند موته، واعترف بأنها بنته، فحاكمت ورثته إلى السطان، فقامت لها البينة فألحقها به وأعطاه الميراث منه، وكانت أحسن خلق الله غناءً، كان يضرب بها المثل في الحجاز فيقال: أحسن من غناء الصريمية.

أخبرني الحسن بن علي، قال: حدثنا الدمشقي، قال: حدثنا الزبير بن بكار، قال: وحدثني أبي، قال: اجتازت جنازة الصريمية بأشعب وهو جالس في قوم من قريش فبكى عليها ثم قال: ذهب اليوم الغناء كله، وعلى أهما الزانية كانت - لا رحمها الله - شر خلق الله، فقيل: يا أشعب ليس بين بكائك عليها ولعنك إياها فصل في كلامك، قال: نعم، كنا نجئها الفاجرة بكبش، فيطبخ لنا في دارها ثم لا تعشينا - يشهد الله - إلا بسلق.

## أشعب والغاضري

أخبرني الحسن بن علي، قال: حدثنا أحمد بن زهير، قال: حدثنا مصعب: بلغ أشعب أن الغاضري قد أخذ في مثل مذهبه ونوادره، وأن جماعة قد استطابوه، فركبه حتى علم أنه في مجلس من مجالس قريش يحادثهم ويضحكهم فصار إليه، ثم قال له: قد بلغني أنك قد نحوت نحوي وشعلت عني من كان يأليني فإن كنت مثلي فافعل كما أفعل، ثم غضن وجهه وعرضه وشنجه حتى صار عرضه أكثر من كوله، وصار في هيئة لم يعرفه أحد بها، ثم أرسل وجهه وقال له: افعل هكذا وطول وجهه حتى كاد ذقنه يجوز صدره، وصار كأنه وجه الناظر في سيفه، ثم نزع ثيابه وتحادب فصار في ظهره حدة كسنام البعير، وصار طوله مقدار شبر أو أكثر، ثم نزع سراويله وجعل يمد جلد خصييه حتى حك بهما الأرض، ثم خلاهما من يده ومشى وجعل يخنس وهما يخيطان الأرض، ثم قام فتناول وتمدد وتمطى حتى صار أطول ما يكون من الرجال، فضحك والله القوم حتى أغمي عليهم وقطع الغاضري فما تلکم بنادرة، ولا زاد على أن يقول: يا أبا العلاء لا أعاود ما تكره، إنما أنا تلميذك وخريجك، ثم انصرف أشعب وتركه.

## من أخلاق أمه

أخبرني رضوان بن أحمد الصيدلاني، قال: حدثنا يوسف بن إبراهيم، عن إبراهيم بن المهدي، عن عبيدة بن أشعب، عن أبيه: أنه كان مولده في سنة تسع من الهجرة، وأنا أباه كان من مماليك عثمان، وأن أمه كانت تنقل كلام أزواج النبي صلى الله عليه وسلم بعضهن إلى بعض، فتلقي بينهن الشر، فتأذى رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك، فدعا الله عز وجل عليها فأماها، وعمر ابنها أشعب حتى هلك في أيام المهدي.

## كان من المعتزلة

وكان في أشعب خلل، منها أنه كان أطيب أهل زمانه عشرة وأكثرهم نادرة، ومنها: أنه كان أحسن الناس أداء لغناء سمعه، ومنها: أنه أقوم أهل دهره بحجج المعتزلة وكان امراً منهم.

## أشعب وعبد الله بن عمر

قال إبراهيم بن المهدي فحدثني عبدة بن أشعب، عن أبيه، قال: بلغني أن عبد الله بن عمر كان في مال له يتصدق بثمرته، فركبت ناضحاً ووافيته في ماله، فقلت: يا بن أمير المؤمنين ويا بن الفارق أوقري بعيري هذا تمرًا، فقال لي: أمن المهاجرين أنت؟ قلت: اللهم لا، قال: فمن الأنصار أنت؟ فقلت: اللهم لا، قال: أفمن التابعين بإحسان؟ فقلت: أرجو، فقال: إلى أن يحقق رجائك، قال: أفمن أبناء السبيل أنت؟ قلت: لا، قال: فعلام أوقرك بك بعيرك تمرًا؟ قلت: لأني سائل، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن أتك سائل على فرس فلا ترده"، فقال: لو شئنا أن نقول لك: إنه قال: لو أتك على فرس، ولم يقل أتك على ناضح بعير لقلنا، ولكني أمسك عن ذلك لاستغنائي عنه؛ لأني قلت لأبي عمر بن الخطاب: إذا أتاني سائل على فرس يسألني أعطيته؟ فقال: إني سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عما سألتني عنه، فقال لي: نعم إذا لم تصب راجلاً ونحن أيها الرجل نصيب رجال فعلام أعطيك وأنت على بعير؟ فقلت له: بحق أبيك الفاروق، وبحق الله عز وجل، وبحق رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أوقرته لي تمرًا، فقال لي عبد الله: أنا موقره لك تمرًا، ووحق الله ووحق رسوله لئن عاودت استحلافي لا أبررت لك قسماً، ولو أنك اقتصرت على استحلافي بحق أبي علي في تمره أعطيكها لما أنفدت قسماً، لأني سمعت أبي يقول: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: لا تشد الرحال إلى مسجد لرجاء الثواب إلا إلى المسجد الحرام ومسجدي بيثرب، ولا يبر امرؤ قسم مستحلفه إلا أن يستحلفه بحق الله وحق رسوله، ثم قال للسودان في تلك الحال: أوقروا له بعيره تمرًا، قال: ولما أخذ السودان في حشو الغرائر قلت: إن السودان أهل الطرب، وإن أطربتهم أجادوا حشو غرائري، فقلت: يا بن الفاروق، أتأذن لي في الغناء فأغنيك؟ فقال لي: أنت وذلك، فاندفعت في النصب، فقال لي: هذا الغناء الذي لم نزل نعرفه. ثم غنيت صوتاً آخر لطويس المغني وهو:

ودمعي بما قلت الغداة شهيد

خليلي ما أخفي من الحب ناطق

فقال لي عبد الله: يا هناء، لقد حدث في هذا المعنى ما لم نكن نعرفه، قال: ثم غنيت لابن سريج:

وابكي على قتلى قريش البطاح

يا عين جودي بالدموع السفاح

فقال: يا أشعب، ويحك، هذا يحق الفؤاد -أراد: يحرق الفؤاد، لأنه كان أثلغ لا يبين بالراء ولا باللام. قال أشعب: وكان بعد ذلك لا يراني إلا استعادي هذا الصوت.

### من نواتره

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء، قال: حدثنا الزبير بن بكار، قال: حدثني عمي، قال: لقي أشعب صديق لأبيه فقال له: ويحك يا أشعب، كان أبوك ألقى وأنت أنط فإلى من خرجت؟ قال: إلى أُمِّي.

### من حيله

أخبرني الحسن بن علي: قال: أخبرنا أحمد بن أبي خيثمة، قال: حدثنا مصعب بن عبد الله، عن مصعب بن عثمان، قال:

لقي أشعب سالم بن عبد الله بن عمر فقال: يا أشعب، هل لك في هريس قد أعد لنا؟ قال: نعم، بأبي أنت وأُمِّي. قال: فصر إلي، فمضى إلى منزله، فقالت له امرأته: قد وجه إليك عبد الله بن عمرو بن عثمان يدعوك. قال: ويحك، إن لسالم بن عبد الله هريسة قد دعاني إليها، وعبد الله بن عمرو في يدي متى شئت، وسالم إنما دعوته للناس فلتة، وليس لي بد من المضي إليه. قالت: إذا يغضب عبد الله، قال: آكل عنده، ثم أصير إلى عبد الله. فجاء إلى سالم وجعل يأكل أكل متعائل فقال له: كل يا أشعب وابعث ما فضل عنك إلى منزلك، قال: ذاك أردت بأبي أنت وأُمِّي، فقال: يا غلام، احمل هذا إلى منزله، فحملة ومضى معه فجاء به امرأته فقالت له: ثكلتك أمك، قد حلف عبد الله أن لا يكلمك شهراً، قال: دعيني وإياه، هاتي شيئاً من الزعفران، فأعطته ودخل الحمام يمسح وجهه ويديه وجلس في الحمام حتى صفره، ثم خرج متكئاً على عصا يرعد، حتى أتى دار عبد الله بن عمرو، فلما رآه حاجبه قال: ويحك، بلغت بك العلة ما أرى؟ ودخل وأعلم صاحبه فأذن له، فلما دخل عليه إذا سالم بن عبد الله عنده، فجعل يزيد في الرعدة ويقارب الخطو، فجلس وما يقدر أن يستقل، فقال عبد الله: ظلمناك يا أشعب في غضبنا عليك، فقال له سالم: ما لك ويلك! ألم تكن عندي أنفاً وأكلت هريسة؟ فقال له: وأي أكل ترى بي؟ قال: ويلك! ألم أقل لك كيت وكيت وتقل لي كيت وكيت؟ قال له: شبه لك، قال: لا حول ولا قوة إلا بالله، والله إني لأظن الشيطان يتشبه بك. ويلك! أجاد أنت؟ قال: علي وعلي إن كنت خرجت منذ شهر. فقال له عبد الله: اعزب ويحك أتبهته، لا أم لك! قال: ما قلت إلا حقاً، قال: بحياتي اصدقني وأنت آمن من غضبي، قال: لا وحياتك لا صدق. ثم حدثه بالقصة فضحك حتى استلقى على قفاه.

### ابنه يذكر بعض طرائف أبيه

أخبرني رضوان بن أحمد بن يوسف بن إبراهيم، عن إبراهيم بن المهدي: أن الرشيد لما ولاه دمشق بعث إليه عبد الله بن أشعب، وكان يقدم عليه من الحجاز إذا أراد أن يطرب.

قال إبراهيم: وكان يحدثني من حديث أبيه بالطرائف: عادته يوماً وأنا خارج من دمشق في قبة على بغل لأهو بحديثه، فأصابنا في الطريق برد شديد فدعوت بدواج سمور لألبسه، فأتيت به فلما لبسته أقبلت على ابن أشعب

فقلت: حدثني بشيء من طمع أبيك. فقال لي: ما لك ولأبي، ها أنا إذا دعوت بالدواج فما شككت والله في أنك إنما جئت به لي، فضحكت من قوله، ودعوت بغيره فلبسته وأعطيته إياه، ثم قلت له: لأبيك ولد غيرك؟ فقال: كثير، فقلت: عشرة؟ قال: أكثر، قلت: فخمسون؟ قال: أكثر كثير، قلت: مائة؟ قال: دع المتين وخذ الألوفاً، فقلت: ويلك! أي شيء تقول؟ أشعب أبوك ليس بينك وبينه أب، فكيف يكون له ألوفاً من الولد؟ فضحك ثم قال: لي في هذا خبر ظريف، فقلت له: حدثني به، فقال: كان أبي منقطعاً إلى سكيينة بنت الحسين، وكانت متزوجة بزید بن عمرو بن عثمان بن عفان وكانت محبة له، فكان لا يستقر معها، تقول له: أريد الحج فيخرج معها، فإذا أفضوا إلى مكة تقول: أريد الرجوع إلى المدينة، فإذا عاد إلى المدينة، قالت: أريد العمرة، فهو معها في سفر لا ينقضي. قال عبد الله: فحدثني أبي قال:

كانت قد حلفت بما لا كفارة له ألا يتزوج عليها ولا يتسرى ولا يلتم بنسائه وجواريه إلا بإذنها، وحج الخليفة في سنة من السنين فقال لها: قد حج الخليفة ولا بد لي من لقائه، قالت: فاحلف بأنك لا تدخل الطائف، ولا تلم بجواريك على وجه ولا سبب، فحلف لها بما رضيت به من الإيمان على ذلك، ثم قالت له: احلف بالطلاق، فقال: لا أفعل، ولكن ابعثي معي بثقتك، فدعيتي وأعطيتني ثلاثين ديناراً وقالت لي: اخرج معي، وحلفتني بطلاق بنت وردان زوجتي ألا أطلق له الخروج إلى الطائف بوجه ولا سبب، لحلفت لها بما أتلتج صدرها، فأذنت له فخرج وخرجت معه. فلما حاذينا الطائف قال لي: يا أشعب، أنت تعرفني وتعرف صنائعي عندك، وهذه ثلاثمائة دينار، خذها بارك الله لك فيها وأذن لي ألم بجواري، فلما سمعتها ذهب عقلي ثم قلت: يا سيدي، هي سكيينة، فالله الله في. فقال: أو تعلم سكيينة الغيب! فلم يزل بي حتى أخذتها وأذنت له، فمضى وبات عند جواريه. فلما أصبحنا رأيت آيات قوم من العرب قريية منا، فلبست حلة وشيء كانت لزید قيمتها ألف دينار، وركبت فرسه وجمت إلى النساء فسلمت فرددن، ونسبني نسب زيد، فحدثتني وأنسن بي. وأقبل رجال الحمي، وكلما جاء رجل سأل عن نسبي فخير به هابني وسلم علي وعظمني وانصرف، إلى أن أقبل شيخ كبير منكر مبطن، فلما خير بي ونسبي شال حاجبيه عن عينيه، ثم نظر إلي وقال: وأبي ما هذه حلقة قرشي ولا شمائله، وما هو إلا عبد لهم ناد، وعلمت أنه يريد شراً، فركبت الفرس ثم مضيت، ولحقتني فرماني بسهم فما أخطأ قربوس السرج، وما شككت أنه يلحقتني بأخر يتقلني فسلحت - يعلم الله - في ثيابي فلوثها ونفذ إلى الحلة فصيرها شهرة، وأتيت رحل زيد بن عمرو فجلست أغسل الحلة وأجفها، وأقبل زيد بن عمرو، فرأى ما لحق الحلة والسرج، فقال لي: ما القصة؟ ويلك! فقلت: يا سيدي الصدق أنجي، وحدثته الحديث فاغتاز ثم قال لي: ألم يكفك أن تلبس حلتي وتصنع بها ما صنعت وتركب فرسي وتجلس إلى النساء حتى انتسبت بنسبي وفضحتني، وجعلتني عند العرب ولاجاً جماشاً، وجرى عليك ذل نسب إلي، أنا نفي من أبي ومنسوب إلى أبيك إن لم أسوك وأبلغ في ذلك. ثم لقي الخليفة وعاد ودخلنا إلى سكيينة، فسألته عن خبره كله فخيرها حتى انتهى إلى ذكر جواريه، فقالت: إيه وما كان من خبرك في طريقك؟ هل مضيت إلى جواريك بالطائف؟ فقال لها: لا أدري، سلي ثقتك. فدعيتني

فسألتني، وبدأت فحلفت لها بكل بيمين محرجة أنه ما مر بالطائف ولا دخلها ولا فارقني، فقال لها: اليمين التي حلف بها لازمة لي إن لم أكن دخلت الطائف وبت عند جواربي وغسلتني جميعاً، وأخذ مني ثلاثمائة دينار، وفعل كذا وكذا، وحدثها الحديث كله وأراها الحلة والسرج، فقالت لي: أفعليها يا أشعب! أنا نفية من أبي إن أنفقتها إلا فيما يسوءك، ثم أمرت بكبس متري وإحضارها الدنانير فأحضرت، فاشترت بها خشباً وبيضاً وسرجيناً، وعملت من الخشب بيتاً فحبستني فيه وحلف ألا أخرج منه ولا أفارقه حتى أحضن البيض كله إلى أن ينقب، فمكنت أربعين يوماً أحضن لها البيض حتى نقب، وخرج منه فراريح كثيرة فربتتهن وتناسلن فكن بالمدينة يسمين نبات أشعب ونسل أشعب، فهؤلاء إلى الآن بالمدينة نسل يزيد على الألوف، كلهن أهلي وأقاربي.

قال إبراهيم: فضحكت والله من قوله ضحكاً ما أذكر أي ضحكت مثله قط ووصلته، ولم يزل عندي زماناً حتى خرج إلى المدينة وبلغني أنه مات هناك .

يتسور البستان طلباً للطعام أخبرني أحمد، قال: حدثنا مصعب بن عبد الله بن عثمان، قال: قال رجل لأشعب: إن سالم بن عبد الله قد مضى إلى بستان فلان و معه طعام كثير، فبادر حتى لحقه فأعلق الغلام الباب دونه، فتسور عليه، فصاح به سالم: بناتي وملك بناتي، فناداه أشعب: "لقد علمت ما لنا في بناتك من حق وإنك لتعلم ما نريد"، فأمر بالطعام فأخرج إليه منه ما كفاه.

يقوقى مثل الدجاجة

أخبرني الحسن بن علي، قال: حدثنا أحمد بن سعيد، قال: حدثنا الزبير بن بكار، قال: حدثني عمي، قال: بعثت سكيناً إلى أبي الزناد فجاءها تستفتيه في شيء، فاطلع أشعب عليه من بيت وجعل يقوقى مثل ما تقوقى الدجاجة، قال: فسبح أبو الزناد وقال: ما هذا؟ فضحكت وقالت: إن هذا الخبيث أفسد علينا بعض أمرنا، فحلفت أن يحضن بيضا في هذا البيت و لا يفارقه حتى ينقب، فجعل أبو الزناد يعجب من فعلها.

وقد أخبرني محمد بن جعفر النحوي بخبر سكينه الطويل على غير هذه الرواية، وهو قريب منها، وقد ذكرته في أخبار سكينه بنت الحسين مفرداً عن أخبار أشعب هذه في أخبارها مع زيد بن عمرو بن عثمان بن عفان.

عبد يسلح في يده أخبرني الحسن بن علي، قال: حدثنا أحمد بن أبي خيثمة، قال: حدثنا مصعب، قال: حدثني بعض المدنيين، قال: كان لأشعب حرق في بابه، فكان ينام ثم يخرج يده من الخرق يطمع في أن يجيء إنسان يطرح في يده شيئاً من شدة الطمع، فبعث إليه بعض من كان يعث به من مجان آل الزبير بعبد له فسلح في يده، فلم يعد بعدها إلى أن يخرج يده.

وأخبرني به الجوهري، عن ابن مهرويه، عن محمد بن الحسن، عن مصعب، عن بعض المدنيين فذكر نحوه ولم يذكر ما فعل به الماجن.

أشعب وسالم بن عبد الله بن عمر أخبرني أحمد بن بد العزيز الجوهري، قال: حدثنا عبد الله بن أبي سعد، قال: حدثني محمد بن محمد الزبيري أبو طاهر، قال: حدثنا يحيى بن محمد بن أبي قتيلة، قال: حدثني إسماعيل بن جعفر

بن محمد الأعرج أن أشعب حدثه، قال: جاءني فتية من قريش فقالوا: إنا نحب أن نسمع سالم بن عبد الله بن عمر صوتا من الغناء وتعلمنا ما يقول لك، وجعلوا لي على ذلك جعلاً فتنني، فدخلت على سالم فقلت: يا أبا عمر، إن لي مجالسة وحرمة ومودة وسنا، وأنا مولع بالترنم، قال: وما الترنم؟ قلت: الغناء، قال: في أي وقت؟ قلت: في الخلوة ومع الإخوان في المتره، فأحب أن أسمعك، فإن كرهته أمسكت عنه، وغنيته فقال: ما أرى بأساً، فخرجت فأعلمتهم، قالوا: وأي شيء غنيته؟ قلت: غنيته:

### قرباً مربوط النعمة مني      لفتحت حرب وائل عن حيالي

فقالوا: هذا بارد ولا حركة فيه، ولسنا نرضى، فلما رأيت دفعهم إياي وخفت ذهاب ما جعلوه لي رجعت فقلت: يا أبا عمر، آخر، فقال: ما لي ولك؟ فلم أملكه كلامه حتى غنيت، فقال: ما أرى بأساً، فخرجت إليهم فأعلمتهم فقالوا: وأي شيء غنيته؟ فقلت غنيته قوله:

### لم يطيقوا أن ينزلوا ونزلنا      وأخو الحرب من أطاق النزالا

فقالوا: ليس هذا بشيء، فرجعت إليه فقال: مه، قلت: وآخر، فلم أملكه أمره حتى غنيت:

### غيضن من عبراتهن وقلن لي:      ماذا لقيت من الهوى ولقينا

فقال: هلا هلا، فقلت: لا والله إلا بذاك السداك، وفيه تمر عجوة من صدقة عمر فقال: هو لك، فخرجت به عليهم وأنا أخطر فقالوا: مه، فقلت: غنيت الشيخ:

### غيضن من عبراتهن وقلن لي      .....

فطرب وفرض لي فأعطاني هذا، وكذبتهم، والله ما أعطانيه إلا استكفافاً حتى صمت، قال ابن أبي سعد: السداك: الزبيل الكبير. وفرض لي أي نقطي، يعني ما يهبه الناس للمغني ويسمونه النقط. كانت له ألحان مطربة وشهد له معبد حدثني الجوهري، قال: حدثنا محمد بن القاسم، قال: حدثني قعنب بن الحرز، عن الأصمعي، قال: حدثني جعفر بن سليمان، قال: قدم أشعب أيام أبي جعفر، فأطاف به فتيان بني هاشم وسألوه أن يغنيهم فغنى فإذا ألحانه مطربة وحلقه على حاله، فقال له جعفر بن المنصور: لمن هذا الشعر والغناء:

### لمن طلل بذات الجيش أمسى دارسا خلقا؟

فقال له: أخذت الغناء عن معبد، وهو للدلال، ولقد كنت آخذ اللحن عن معبد فإذا سئل عنه قال: عليكم بأشعب فإنه أحسن تأدية له مني.

أشعب يلازم جريراً ويغنيه في شعره أخبرني محمد بن يزيد، قال: حدثنا حماد بن إسحاق، عن أبيه، عن عبد الله بن مصعب، قال:

قدم جرير المدينة، فاجتمع إليه الناس يستنشدونه ويسألونه عن شعره، فتنشدهم ويأخذون عنه وينصرفون، ولزمه

أشعب من بينهم فلم يفارقه، فقال له جرير: أراك أطولهم جلوساً وأكثرهم سؤالاً، وإني لأظنك الأهمهم حساباً، فقال له: يا أبا حزره، أنا والله أنفعهم لك، قال: وكيف ذلك؟ قال: أنا أخذ شعرك فأحسنه وأجوده، قال: كيف تحسنه وتجوده؟ قال: فاندفع فغناه في شعره والغناء لابن سريج: صوت

**يا أخت ناجية السلام عليكم**

**قبل الرحيل وقبل لوم العدل**

**لو كنت أعلم أن آخر عهدكم**

قال: فطرب جرير حتى بكى وجعل يزحف إليه حتى لصقت ركبته بركبته وقال: أشهد أنك تحسنه وتجوده، فأعطاه من شعره ما أراد، ووصله بدنانير وكسوة.

حدثني أحمد بن عبد العزيز، قال: حدثنا محمد بن القاسم، قال: حدثني أبي، قال: قال الهيثم بن عدي: لقيت أشعب فقلت له: كيف ترى أهل زمانك هذا؟ قال: يسألون عن أحاديث الملوك ويعطون إعطاء العبيد.

### **أشعب وأم عمر بنت مروان**

حدثني أحمد، قال: حدثني محمد بن القاسم، قال: حدثنا أحمد بن يحيى، قال: أخبرنا مصعب، قال: حجت أم عمر بنت مروان فاستحجبت أشعب وقالت له: أنت أعرف الناس بأهل المدينة، فأذن لهم على مراتبهم، وجلست لهم ملياً، ثم قامت فدخلت القائلة، فجاء طويس فقال لأشعب: استأذن لي على أم عمر، فقال: ما زالت جالسة وقد دخلت، فقال له: يا أشعب ملكت يومين فلم تفت بعرتين ولم تقطع شعرتين، فدق أشعب الباب ودخل إليها، فقال لها: أنشدك الله يا بنة مروان، هذا طويس بالباب فل اتعرضي للسانه ولا تعرضيني، فأذنت له، فلما دخل إليها قال لها: والله لئن كان بابك غلقاً لقد كان باب أبيك فلماً، ثم أخرج دفه ونقر به وغنى:

**ما تمنعني يقظي فقد تَوَّيتينه**

**في النوم غير مصر محسوب**

**كان المنى بلقائها فلقيتها**

**فلهوت من لهو امرئ مكذوب**

قالت: أيهما أحب إليك العاجل أم الآجل؟ فقال: عاجل وآجل، فأمرت له بكسوة. أخبرني الجوهري، قال: حدثني ابن مهرويه، عن أبي مسلم، عن المدائني، قال: حدث رجل من أهل المدينة أشعب بحديث أعجبه فقال له: في حديثك هذا شيء، قال: وما هو؟ قال: تقليبه على الرأس.

### **أشعب والوليد بن يزيد**

أخبرني الجوهري، قال: حدثني ابن مهرويه، قال: أخبرنا أبو مسلم، قال: حدثنا المدائني، قال: بعث الوليد بن يزيد إلى أشعب بعدما طلق امرأته سعدة فقال له: يا أشعب، لك عندي عشرة آلاف درهم على أن تبلغ رسالتي

سعدة، فقال له: أحضر المال حتى أنظر إليه، فأحضر الوليد بكرة فوضعها أشعب على عنقه، ثم قال: هات رسالتك يا أمير المؤمنين، قال: قل لها: يقول لك:

أسعدة هل إليك لنا سبيل  
وهل حتى القيامة من تلاقى؟!  
بلى، ولعل دهرًا أن يواتي  
بموت من حليلك أو طلاق  
فأصبح شامتاً وتقر عيني  
ويجمع شملنا بعد افتراق

قال: فأتى أشعب الباب، فأخبرت بمكانه، فأمرت ففرشت لها فرش وجلست فأذنت له، فدخل وأنشدها ما أمره، فقالت لخدمها: خذوا الفاسق، فقال: يا سيدتي إنها بعشرة آلاف درهم، قالت: والله لأقتلنك أو تبلغه كما بلغتني، قال: وما تهيبين لي؟ قالت: بساطي الذي تحتي، قال: قومي عنه، فقالت فطواه ثم قال: هاتي رسالتك جعلت فداءك، قالت: قل له:

أتبكي على لبنى وأنت تركتها  
فقد ذهب لنبى فما أنت صانع؟!  
فأقبل أشعب فدخل على الوليد فأنشده البيت، فقال: أوه! قتلتني والله، ما تراني صانعاً بك يا بن الزانية؟ اختر إما أن أدليك منكساً في بئر، أو أرمي بك من فوق القصر منكساً، أو أضرب رأسك عمودي هذا ضربة، فقال: ما كنت فاعلاً بي شيئاً من ذلك، قال: ولم؟ قال: لأنك لم تكن لتعذب رأساً فيه عينان قد نظرنا إلى سعدة فقال: صدقت يا بن الزانية، اخرج عني.

وقد أخبرني بهذا الخبر محمد بن مزيد، عن حماد، عن أبيه، عن الهيثم بن عدي، أن سعدة لما أنشدها أشعب قوله:

أسعدة هل إليك لنا سبيل  
وهل حتى القيامة من تلاقى؟!  
بلى ولعل دهرًا أن يواتي  
بموت من حليلك أو طلاق  
فأصبح شامتاً وتقر عيني  
ويجمع شملنا بعد افتراق

قالت: لا والله لا يكون ذلك أبداً، فلما أنشدها:

بلى ولعل دهرًا أن يواتي  
بموت من حليلك أو طلاق  
قالت: كلا إن شاء الله، بل يفعل الله ذلك به، فلما أنشدها:

فأصبح شامتاً وتقر عيني  
ويجمع شملنا بعد افتراق

قالت: بل تكون الشمامة به، وذكر باقي الخبر مثل حديث الجوهري، عن ابن مهرويه.

أخبرني عمي، قال: حدثنا محمد بن سعيد الكراني، قال: حدثنا العمري، عن الهيثم بن عدي، قال: كتب الوليد بن يزيد في إشخاص أشعب من الحجاز إليه وجمله على البريد، فحمل إليه، فلما دخل أمر بأن يلبس تباناً ويجعل فيه ذنب قرد، ويشد في رجله أجراس، وفي عنقه جلاجل، ففعل به ذلك، فدخل وهو عجب من العجب، فلما رآه ضحك منه وكشف عن أيره، قال أشعب: فنظرت إليه كأنه ناي مدهون، فقال لي: أسجد للأصم ويحك، يعني أيره، فسجدت، ثم رفعت رأسي وسجدت أخرى، فقال: ما هذا؟ فقلت: الأولى للأصم، والثانية لخصيتيك، فضحك وأمر بتزع ما كان ألبسنه ووصلني، ولم أزل من ندمائه حتى قتل.

أخبرني محمد بن يزيد، قال: حدثنا حماد بن إسحاق، عن أبيه، قال: قال رجل لأشعب إنه أهدي إلى زياد بن عبد الله الحارثي قبة آدم قيمتها عشرة آلاف درهم فقال: امرأته الطلاق لو أنها قبة الإسلام ما ساوت ألف درهم. فقيل له: إن معها جبة وشي حشوها فز قيمتها عشرون ألف دينار، فقال: أمه زانية لو أن حشوها زغب أجنحة الملائكة ما ساورت عشرين ديناراً.

أشعب ورجل من ولد عامر بن لؤي أخبرني عمي، قال: حدثني أبو أيوب المدائني، قال: حدثني مصعب بن عبد الله الزبيري، عن أبيه، قال: حدثني أشعب، قال: ولي المدينة رجل من ولد عامر بن لؤي، وكان أبخل الناس وأنكدهم، وأغراه الله بي يطلبني في ليه ونهاره، فإن هربت منه هجم على منزلي بالشرط، وإن كنت في موضع بعث إلى من أكون معه أو عنده يطلبني منه، فيطالبني بأن أحدثه وأضحكه، ثم لا أسكت ولا ينام، ولا يطعمني ولا يعطيني شيئاً، فلقيت منه جهداً عظيماً وبلاءً شديداً، وحضر الحج، فقال لي: يا أشعب، كن معي، فقلت: بأبي أنت وأمي، أنا عليل، وليست لي نية في الحج. فقال: عليه وعليه، وقال: إن الكعبة بيت النار، لمن لم تخرج معي لأودعك الحبس حتى أقدم، فخرجت معه مكرهاً، فلما نزلنا المنزل أظهر أنه صائم ونام حتى تشاغل، ثم أكل ما سفرته، وأمر غلامه أن يطعمني رغيفين بملح، فجت وعندي أنه صائم، ولم أزل أنتظر المغرب أتوقع إفطاره، فلما صليت المغرب قلت لغلامه: ما ينتظر بالأكل؟ قال: قد أكل منذ زمان، قلت: أو لم يكن صائماً؟ قال: لا، قلت: أفأطوي أنا؟ قال: قد أعد لك ما تأكله فكل، وأخرج إلي الرغيفين والملح فأكلتهما وبت ميتاً جوعاً، وأصبحت فسرنا حتى نزلنا المنزل، فقال لغلامه: ابتع لنا لحماً بدرهم، فابتاعه، فقال: كيب لي قطعاً، ففعل، فأكله ونصب القدر، فلما اغبرت قال: اغرف لي منها قطعاً، ففعل، فأكلها، ثم قال: اطرح فيها دقة وأطعمني منها، ففعل، ثم قال: ألق توابلها وأطعمني منها، ففعل؛ وأنا جالس أنظر إليه لا يدعوني، فلما استوفى اللحم كله قال: يا غلام، أطعم أشعب، ورمي إلى برغيفين، فجت إلى القدر وإذا ليس فيها غلام مرق وعظام، فأكلت الرغيفين، وأخرج له جراباً فيه فاكهة يابسة، فأخذ منها حفنة فأكلها، وبقي في كفه كف لوز بقشره، ولم يكن له فيه حيلة، فرمى به إلي وقال: كل هذا يا أشعب، فذهبت أكسر واحدة منها فإذا بضرسي قد انكسرت منه قطعة فسقطت بين يدي، وتباعدت أطلب حجراً أكسره به، فوجدته، فضربت له لوزة فظفرت - يعلم الله - مقدار رمية حجر، وعدوت في طلبها، فبينما أنا في ذلك إذ أقبل بنو مصعب - يعني ابن ثابت وإخوانه - يلبون بتلك الحلوق الجهورية، فصحت بهم: الغوث الغوث العياذ بالله وبكم يا آل الزبير، الحقوني أدركوني، فركضوا إلي، فلما رأوني قالوا: أشعب، ما لك ويلك! قلت: خذوني معكم تخلصوني من الموت، فحملوني معهم، فجعلت أرفرف بيدي كما يفعل الفرخ إذا طلب الزق من أبويه، فقالوا: ما لك ويلك! قلت: ليس هذا وقت الحديث، زقوني مما معكم، فقد مت ضراً وجوعاً منذ ثلاث، قال: فأطعموني حتى تراجع نفسي، وحملوني معهم في محمل، ثم قالوا: أخبرنا بقصتك، فحدثتهم وأريتهم ضرسي المكسورة، فجعلوا يضحكون ويصفقون وقالوا: ويلك! من أين وقعت على هذا؟ هذا من أبخل خلق الله وأدنتهم نفساً، فحلفت

بالطلاق أي لا أدخل المدينة ما دام بها سلطان، فلم أدخلها حتى عزل.

أشعب يسقط الغاضري

أخبرني رضوان بن أحمد الصيدلاني، قال: حدثنا يوسف بن إبراهيم، قال: حدثنا إبراهيم بن المهدي، قال: حدثني عبيدة بن أشعب، قال: كان الغاضري مندر أهل المدينة ومضحكهم قبل أبي، فأسقطه أبي واطرح، وكان الغاضري حسن الوجه ماد القامة غبلاً فحماً، وكان أبي قصيراً دميماً قليل اللحم؛ إلا أنه كان يتضرم ويتوقد ذكاء وحدة وخفة روح، وكان الغاضري يحسده إلا أنهما متساويان، وكان الغاضري لقيطاً منبوذاً لا يعرف له أب، فمر يوماً -ومعه فتية من قريش- بأبي في المسجد وقد تأذى بثيابه فترعها، وتجرد وجلس عرياناً، فقال لهم الغاضري: أنشدتكم الله هل رأيتم أعجب من هذه الخلقة! يريد خلقة أبي، فقال له أبي: إن خلقتي لعجيبة، وأعجب منها أنه زقني اثنان فصراً نضواً، وزقك واحد فصرت بختياً، قال: وأهل المدينة يسمون المهلوس من الفراخ النضو والمسروول البخعي، فغضب الغاضري عند ذلك وشتمه، فسقط واستبرد، وترك النوادر بعد ذلك، وغلب أبي على أهل المدينة واستطابوه، وكان هذا سببه.

أشعب وزباد بن عبد الله الحارثي أخبرني جعفر بن قدامة، قال: حدثنا حماد بن إسحاق، عن أبيه، قال: كان زياد بن عبد الله الحارثي أبخل خلق الله، فأولم وليمة لطهر بعض أولاده، وكان الناس يحضرون ويقدم الطعام فلا يأكلون منه إلا تعلقاً وتشعناً لعلمهم به، فقدم فيما قدم جدي مشوي فلم يعرض له أحد، وجعل يردده على المائدة ثلاثة أيام والناس يجتنبونه إلى أن انقضت الوليمة، فأصغى أشعب إلى بعض من كان هناك فقال: امرأته الطلاق إن لم يكن هذا الجدي بعد أن ذبح وشوي أطوال عمراً وأمد حياة منه قبل أن يذبح، فضحك الرجل، وسمعها زياد فتغافل.

غضبت سكينه عليه فأمرت بخلق لحيته أخبرني عمي، قال: حدثنا عبد الله بن أبي سعد، قال: حدثني محمد بن عبد الله بن مالك، عن إسحاق، قال: حدثني إبراهيم بن المهدي، عن عبيدة بن أشعب، قال: غضبت سكينه على أبي في شيء خالفها فيه فحلفت لتحلقت لحيته، ودعت بالحجام فقالت له: احلق لحيته، فقال له الحجام: انفخ شديقك حتى أتمكن منك، فقال له: يا بن البطراء، أمرتك أن تحلق لحيتي أو تعلمني الزمر! خبرني عن امرأتك إذا أردت أن تحلق حرها تنفخ أشداقه! فغضب الحجام وحلف ألا يحلق لحيته وانصرف، وبلغ سكينه الخبر وما جرى بينهما فضحكت وعفت عنه.

بين زياد بن عبد الله الحارثي وكاتبه أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان، قال: حدثني أبو العيناء، عن الأصمعي، قال: أهدى كاتب لزياد بن عبد الله الحارثي إليه طعاماً، فأني به وقد تغدى فغضب وقال: ما أصنع به وقد أكلت؟ ادعوا أهل الصفة يأكلونه، فبعث إليهم وسأل كاتبه: فيم دعا أهل الصفة؟ فعرف، فقال الكاتب: عرفوه أن في السلال أخبصة وحلواء ودجاجاص وفراخاً، فأخبر بذلك، فأمر بكشفها، فلما رآها أمر برفعها فرفعت، وجاء أهل الصفة فأعلم، فقال: اضربوهم عشرين عشرين درة، واحبسوهم فإنهم يفسون في مسجد رسول الله

صلى الله عليهم وسلم ويؤذون المصلين، فكلم فيهم، فقال: حلفوهم ألا يعاودوا وأطلقوهم.

أشعب وأبان بن عثمان والأعرابي أخبرني محمد بن يزيد، قال: حدثنا عمر بن شبة، قال: حدثنا ابن زبالة، قال: حدثنا ابن زبنج راوية بن هرمة، عن أبيه، قال:

كان أبان بن عثمان من أهزل الناس وأعبثهم، وبلغ من عبثه أنه كان يجيء بالليل إلى منزل رجل في أعلى المدينة له لقب يغضب منه فيقول له: أنا فلان فلان، ثم يهتف بلقبه، فيشتمه اقبح شتم وأبان يضحك. فبينما نحن ذات يوم عنده وعنده أشعب إذ أقبل أعرابي ومعه جمل له، والأعرابي أشق أزرق أزعر غضوب يتلظى كأنه أفعى، ويتبين الشر في وجهه ما يدنو منه أحد إلا شتمه ونهره، فقال أشعب لأبان: هذا والله من البادية ادعوه، فدعي وقيل له: إن الأمير أبان بن عثمان يدعوك، فأتاه فسلم عليه، فسأله أبان عن نسبه فانتسب له، فقال: حياك الله يا خالي، حبيب ازداد حباً، فجلس، فقال له: إني في طلب جمل مثل جملك هذا منذ زمان فلم أجده كما أشتهي بهذه الصفة، وهذه القامة، واللون، والصدر، والورك، والأخفاف، فالحم لله الذي جعل ظفري به من عند من أحبه، أتبيعه؟ فقال: نعم أيها الأمير، فقال: إني قد بذلت لك به مائة دينار - وكان الجمل يساوي عشرة دنانير - فطمع الأعرابي وسر وانتفخ، وبان السرور والطمع في وجهه، فأقبل أبان على أشعب ثم قال له: ويلك يا أشعب! إن خالي هذا من أهلك وأقاربك - يعني في الطمع - فأوسع له مما عندك. فقال له: نعم بأبي أنت وزيادة، فقال له أبان: يا خالي، إنما زدتك في الثمن على بصيرة وإنما الجمل يساوي ستين ديناراً، ولكن بذلت لك مائة لقلّة النفذ عندنا، وإني أعطيك به عروضاً تساوي مائة، فزاد طمع الأعرابي وقال: قد قبلت ذلك أيها الأمير، فأسر إلي أشعب، فأخرج شيئاً مغطى فقال له: أخرج ما جئت به، فأخرج جرد عمامة خز خلق تساوي أربعة دراهم، فقال له: قومها يا أشعب، فقال له: عمامة الأمير تعرف به، ويشهد فيها الأعياد والجمع ويلقى فيها الخلفاء؛ خمسون ديناراً. فقال: ضعها بين يديه: وقال لابن زبنج، أثبت قيمتها. فكتب ذلك، ووضعت العمامة بين يدي الأعرابي، فكاد يدخل بعضه في بعض غيظاً، ولم يقدر على الكلام، ثم قال: هات قلنسوتي، فأخرج قلنسوة طويلة خلقة قد علاها الوسخ والدهن وتخرقت، تساوي نصف درهم، فقال: قوم، فقال: قلنسوة الأمر تعلق هامته ويصلي فيها الصلوات الخمس، ويجلس للحكم؛ ثلاثون ديناراً. قال: أثبت، فأثبت ذلك، ووضعت القلنسوة بين يدي الأعرابي، فتردد وجهه وحفظت عيناه وهم بالوثوب، ثم تماسك وهو متقليل.

ثم قال لأشعب: هات ما عندك، فأخرج خفين خلقين قد نقبا وتقشرا وتفتقا، فقال له: قوم، فقال: خفا الأمير، يطاءً بهما الروضة، ويعلو بهما منبر النبي صلى الله عليه وسلم؛ أربعون ديناراً. فقال: ضعها بين يديه فوضعهما. ثم قال للأعرابي: اضمم إليك متاعك، وقال لبعض الأعوان: اذهب فخذ الجمل، وقال لآخر: امض مع الأعرابي فاقبض منه ما بقي لنا عليه من ثمن المتاع وهو عشرون ديناراً، فوثب الأعرابي فأخذ القماش فرب به وجوه القوم لا يألوا في شدة الرمي به، ثم قال له: أتدري أصلحك الله من أي شيء أموت؟ قال: لا، قال: لم أدرك أباك عثمان فأشترك والله في دمه إذ ولد مثلك، ثم نهض مثل الجنون حتى أخذ برأس بعيه، وضحك أبان حتى سقط

وضحك كل من كان معه. وكان الأعرابي بعد ذلك إذا لقي أشعب يقول له: هلم إلي بابت الخبيثة حتى أكافئك على تقويمك المتاع يوم قوم، فيهرب أشعب منه.

يخشى أن تحسده العجوز على خفة موته أخبرني جعفر بن قدامة، قال: حدثنا أحمد بن الحارث، عن المدائني، قال: حدثني شيخ من أهل المدينة قال: كانت بالمدينة عجوز شديدة العين، لا تنظر إلى شيء تستحسنه إلا عانته، فدخلت على أشعب وهو في الموت، وهو يقول لبنته: يا بنية، إذا مت فلا تندييني والناس يسمعونك، فتقولين: وا أبتاه أندبك للصوم والصلوات، وا أبتاه أندبك للفقه والقراءة، فيكذبك الناس ويلعنوني. والتفت أشعب فرأى المرأة، فغطى وجهه بكفه وقال لها: يا فلانة بالله إن كنت استحسنت شيئاً مما أنا فيه فصلي على النبي صلى الله عليه وسلم لا تهلكتي. فغضبت المرأة وقالت: سخنت عينك، في أي شيء أنت مما يستحسن! أنت في آخر رمق! قال: قد علمت ولكن قلت لئلا تكون قد استحسنت خفة الموت علي وسهولة الترع، فيشتد ما أنا فيه. وخرجت من عنده وهي تشتمه، وضحك كل من كان حوله من كلامه، ثم مات.

أمثلة من طرائف وطمعه أخبرني الحسن بن علي، قال: حدثنا أحمد بن أبي طاهر، قال: حدثنا أبو أيوب المدائني، عن مصعب، قال:

لا عب أشعب رجلاً بالنرد، فأشرف على أن يقره إلا بضرب دويكين، ووقع الفصان في يد ملاعبه، فأصابه زمع وجزع، فضرب يكين وضرط مع الضربة فقال له أشعب: امرأته طالق إن لم أحسب لك الضرطة بنقطة حتى يصير لك اليكان دوويك وتقمّر. وسلم له القمر بسبب الضرطة.

أخبرني الحسن، قال: حدثنا أحمد، قال: حدثني أبو أيوب، عن حماد، عن ابن إسحاق، عن أبيه، قال: قال رجل لأشعب: كان أبوك ألقى وأنت أظ فإلى من خرجت؟ قال: إلى أمي، فمر الرجل وهو يعجب من جوابه، وكان رجلاً صالحاً.

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي، قال: حدثني الرياشي، قال: سمعت أبا عاصم النبيل يقول: رأيت أشعب وسأله رجل: ما بلغ من طمعك؟ قال: ما زفت عروس بالمدينة إلى زوجها قط إلا فتحت بابي، رجاء أن تهدى إلي. أخبرني حبيب بن نصر المهلب، قال: حدثنا الزبير بن بكار، عن عمه، قال: تظلمت امرأة أشعب منه إلى أبي بكر محمد بن عمرو بن حزم وقالت: لا يدعي أهدأ من كثرة الجماع، فقال له أشعب، أتراني أعلف ولا أركب، لتكف ضررها لأكف أيري.

قال: وشكا حال لأشعب غليه امرأته وأما تخونه في ماله، فقال له: فديتك لا تأمنن قحبة، ولو أنها أمك، فانصرف عنه وهو يشتمه.

أخبرني عمي، قال: حدثني عبد الله بن أبي سعد، قال: حدثني قعب بن الحرز، عن الأصمعي، عن جعفر بن سليمان، قال: قدم علينا أشعب أيام جعفر، فأطاف به فتيان بني هاشم، وسألوه أن يغني غناهم فإذا ألقاه مطربة وحلقه على حاله، فسألوه: لمن هذا اللحن:

## لمن طلل بذات الجيش أمسى دارساً خلقاً؟

فقال: للدلال، وأخذته عن معبد، ولقد كنت آخذ عنه الصوت، فإذا سئل عنه قال: عليكم بأشعب فإنه أحسن أداء له مني.

الحسن بن الحسن بن علي يعيث به أخبرني الحسن بن علي، قال: حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه، قال: ذكر الزبير بن بكار، عن شعيب بن عبيد بن أشعب، عن أبيه، قال: كان الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليهم السلام يعيث بأبي أشد عبث، وربما أراه في عبثه أنه قد ثمل وأنه يعربد عليه، ثم يخرج إليه بسيف مسلول ويريه أنه يريد قتله، فيجري بينهما في ذلك كل مستمع، فهجره أبي مدة طويلة، ثم لقيه يوماً فقال له: يا أشعب، هجرتي وقطعتني ونسيت عهدي، فقال له: بأبي أنت وأمي، لو كنت تعربد بغير السيف ما هجرتك، ولكن ليس مع السيف لعب، فقال له: فأنا أعفيك من هذا فلا تراه مني أبداً، وهذه عشرة دنانير، ولك حماري الذي تحت أحملك عليه، وصر إلى ولك الشرط ألا ترى في داري سيفاً، قال: لا والله أو تخرج كل سيف في دارك قبل أن نأكل قال: ذلك لك، قال: فجاءه أبي، ووفى له بما قال من الهبة وإخراج السيوف، وخلف عنده سيفاً في الدار، فلما توسط الأمر قام إلى البيت فأخرج السيف مشهوراً، ثم قال: يا أشعب إنما أخرجت هذا السيف لخير أريده بك، قال: بأبي أنت وأمي، وأي خير يكون مع السيف؟ أأست تذكر الشرط بيننا؟ قال له: فاسمع ما أقول لك، لست أضربك به، ولا يلحقك منه شيء تكرهه، وإنما أريد أن أضجعك وأجلس على صدرك، ثم أخذ جلدة حلقك بإصبعي من غير أن أقبض على عصب ولا ودج ولا مقتل، فأحزها بالسيف، ثم أقوم عن صدرك وأعطيك عشرين ديناراً، فقال: نشدتك الله يا بن رسول الله ألا تفعل بي هذا! وجعل يصرخ ويكي ويستغيث، والحسن لا يزيد على الحلف له أنه لا يقتله، ولا يتجاوز به أن يحز جلده فقط، ويتوعده مع ذلك بأنه إن لم يفعله طائعاً فعله كارهاً، حتى إذا طال الخطب بينهما، واكتفى الحسن من المزح معه، أراه أنه يتغافل عنه، وقال له: أنت لا تفعل هذا طائعاً، ولكن أجيء بجبل فأكتفك به، ومضى كأنه يجيء بجبل، فهرب أشعب وتسور حائطاً بينه وبين عبد الله بن حسن أخيه فسقط إلى داره، فانفكت رجله وأغمي عليه، فخرج عبد الله فرعاً، فسأله عن قصته، فأخبره، فضحك منه وأمر له بعشرين ديناراً، وأقام في منزله يعالجه ويعوله إلى أن صلحت حاله. قال: وما رآه الحسن بن الحسن بعدها.

وأخبرني الحرمي بن أبي العلاء، قال: حدثنا الزبير بن بكار، قال: حدثني عمي، قال: دعا حسن بن حسن بن علي عليهم السلام أشعب، فأقام عنده، فقال لأشعب يوماً: أنا أشتهي كبد هذه الشاة -لشاة عند عزيزة عليه فارهة- فقال له أشعب: بأبي أنت وأمي أعطينها وأنا أذبح لك أسمن شاة بالمدينة، فقال: أحرك أي أشتهي كبد هذه وتقول لي: أسمن شاة بالمدينة، اذبح يا غلام، فذبحها وشوى له من كبدها وأطياها، فأكل. ثم قال لأشعب من الغد: يا أشعب أنا أشتهي كبد نجيب هذا -لنجيب كان عند ثمنه ألوف الدراهم- فقال له أشعب: يا سيدي في ثمن هذا والله غناي، فأعطينه وأنا والله أطعمك من كبد كل جزور بالمدينة، فقال:

أخبرك أي أشتهي من كبد هذا وتطعمني من غيره! يا غلام انحر، فنحر النجيب وشوى كبده فأكلنا، فلما كان اليوم الثالث قال له: يا أشعب، أنا والله أشتهي أن أكل من كبذك، فقال له: سبحان الله أتأكل من أكباد الناس! قال: قد أخبرتك، فوثب أشعب فرمى بنفسه من درجة عالية فاكسرت رجله، فقيل له: ويلك أظننت أنه يذبحك؟ فقال: والله لو أن كبدي وجميع أكباد العالمين جميعاً اشتهاها لأكلها. وإنما فعل حسن بالشاة والنجيب ما فعل توطئة للعبث بأشعب.  
تمت أخباره

## صوت

أحاديث نفس وأحلامها

ألمت خناس وإمامها

تطاول في المجد أعمامها

يمانية من بني مالك

الشعر لعوييف القوافي الفزاري والغناء للهدلي رمل بالوسطى، عن عمرو، وذكر حماد بن إسحاق، عن أبيه أن فيه لحناً جميلة ولم يذكر طريقته، وفيه لأبي العبيس بن حمدون خفيف ثقيل مطلق في مجرى الوسطى.

## أخبار عوييف ونسبه

### نسبه

هو عوييف بن معاوية بن عقبة بن حصن، وقيل: ابن عقبة بن عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر بن عمرو بن جؤية بن لودان بن ثعلبة بن عددي بن فرارة بن ذبيان بن بغيض بن ريث بن غطفان بن سعد بن قيس بن عيلان بن مضر بن نزار.

### بيوتات العرب المشهورة بالشرف ثلاثة

قال أبو عبيدة: حدثني أبو عمرو بن العلاء أن العرب كانت تعد البيوتات المشهورة بالكبر والشرف من القبائل بعد بيت هاشم بن عبد مناف في قريش ثلاثة بيوت، ومنهم من يقول أربعة، أولها بيت آل حذيفة بن بدر الفزاري بيت قيس، وبيت آل زرارة بن عدس الدارميين بيت تميم، وبيت آل ذي الجدين بن عبد الله بن همام بيت شيبان، وبيت بني الديان من بني الحارث بن كعب بيت اليمن.  
وأما كندة فلا يعدو من أهل البيوتات، وإنما كانوا ملوكاً.

### كسرى يسأل النعمان عن شرف القبيلة

وقال ابن الكلبي: قال كسرى للنعمان: هل في العرب قبيلة تشرف على قبيلة؟ قال: نعم. قال: بأي شيء؟ قال: من كانت له ثلاثة آباء متوالية رؤساء، ثم اتصل ذلك بكمال الرابع، والبيت من قبيلته فيه، قال: فاطلب لي ذلك، فطلبه فلم يصبه إلا في آل حذيفة بن بدر بيت قيس بن عيلان، وآل حاجب بن زارة بيت تميم، وآل ذي الجدين بيت شيبان، وآل الأشعث بن قيس بيت كندة. قال: فجمع هؤلاء الرهط ومن تبعهم من عشائريهم، فأقعد لهم الحكام العدول، فأقبل من كل قوم منهم شاعرهم، وقال لهم: ليتكلم كل رجل منكم بماثر قومه وفعالهم، وليقل شاعرهم فيصدق، فقام حذيفة بن بدر - وكان أسن القوم وأجرأهم مقدماً - فقال: لقد علمت معد أن منا الشرف الأقدم، والعز الأعظم، ومأثرة الصنيع الأكرم، فقال من حوله: ولم ذاك يا أبا فزارة؟ فقال: ألسنا الدعائم التي لا ترام، والعز الذي لا يضام! قيل له: صدقت، ثم قام شاعرهم فقال:

فزارة بيت العز والعز فيهم	فزارة قيس حسب قيس نضالها
لا العزة القعساء والحسب الذي	بناه لقيس في القديم رجالها
فمن ذا إذا مد الأكف إلى العلا	يمد بأخرى مثلها فينالها
فهيئات قد أعيأ القرون التي مضت	مأثر قيس مجدها وفعالها
وهل أحد إن مد يوماً بكفه	إلى الشمس في مجرى النجوم ينالها!
وإن يصلحوا يصلح لذاك جميعنا	وإن يفسدوا يفسد على الناس حالها

ثم قام الأشعث بن قيس - وإنما أذن له أن يقوم قبل ربيعة وتميم لقربته بالنعمان - فقال: لقد علمت العرب أنا نقاتل عديدها الأكثر، وقدم زحفها الأكبر، وأنا غياث للزيات . فقالوا: لم يا أبا كندة؟ قال: لأنا ورثنا ملك كندة فاستظللنا بأفيائه، وتقلدنا منكبه الأعظم، وتوسطنا بجبوحه الأكرم، ثم قام شاعرهم فقال:

إذا قست أبيات الرجال ببيتنا	وجدت له فضلاً على من يفاخر
فمن قال: كلاً أو أتانا بخطة	ينافرننا يوماً فنحن نخاطر
تعالوا فعدوا يعلم الناس أيننا	له الفضل فيما أورثته الأكابر

ثم قام بسطام بن قيس فقال: لقد علمت ربيعة أنا بناء بيتها الذي لا يزول، ومغرس عزها الذي لا ينقل، قالوا: ولم يا أبا شيبان؟ قال: لأنا أدركهم للنار، وأقتلهم للملك الجبار، وأقوهم للحق، وألدهم للخصم، ثم قام شاعرهم فقال:

لعمرى لبسطام أحق بفضلها	وأولى ببيت العز عز القبائل
فسائل أبيات اللعن عن عز قومنا	إذا جد يوم الفخر كل مناضل

ألسنا أعز الناس قوماً وأسرة  
 فيخبرك الأقوام عنها فإنها  
 وقائع عز كلها ربعية  
 إذا ذكرت لم ينكر الناس فضلها  
 وإنا ملوك الناس في كل بلدة  
 وأضربهم للكبش بين القبائل  
 وقائع ليست نهزة للقبائل  
 تنزل لهم فيها رقاب المحافل  
 وعاذ بها من شرها كل قائل  
 إذا نزلت بالناس إحدى الزلازل

ثم قام حاجب بن زرارة فقال: لقد علمت معد أنا فرع دعامتها، وقادة زحفها، فقالوا له: بم ذاك يا أخا بني تميم؟ قال: لأننا أكثر الناس إذا نسبنا عدداً، وأنجبهم ولداً، وأنا أعطاهم للجزيل، وأحملهم للثقل، ثم قام شاعرهم فقال:

لقد علمت أبناء خندف أننا  
 وأنا هجان أهل مجد وثروة  
 فكم فيهم من سيد وابن سيد  
 فسائلأبيت اللعننا فإننا  
 لنا العز قدماً في الخطوب الأوائل  
 وعز قديم ليس بالمتضائل  
 أغر نجيب ذي فعال ونائل  
 دعائم هذا الناس عند الجلائل

ثم قام قيس بن عاصم فقال: لقد علم هؤلاء أنا أرفعهم في المكرمات دعائم، وأثبتهم في النائبات مقاوم، قالوا: ولم ذاك يا أخا بني سعد؟ قال: لأننا أمنعهم للجار، وأدركهم للثأر، وأنا لا ننكل إذا حملنا، ولا نرام إذا حللنا، ثم قام شاعرهم فقال:

لقد علمت قيس وخندف كلها  
 بأننا عماد في الأمور وأننا  
 وأنا ليوث الناس في كل مازق  
 وأنا إذا داع دعانا لنجدة  
 فمن ذا ليوم الفخر يعدل عاصما  
 فتهيئات قد أعيا الجميع فعالهم  
 وجل تميم والجموع التي ترى  
 لنا الشرف الضخم المركب في الندى  
 إذا اجتز بالبيض الجماجم والطلی  
 أجبنا سراعا في العلا ثم من دعا  
 وقيسا إذا مد الأكف إلى العلا  
 وفاتوا بيوم الفخر مسعاة من سعى

فلما سمع كسرى ذلك منهم قال: ليس منهم إلا سيد يصلح لموضعه، فأثنى حباؤهم.

### سبب تسميته عويف القوافي

وإنما قيل لعويف: عويف القوافي لبيت قاله، نسخت خبره في ذلك من كتاب محمد بن الحسن بن دريد ولم أسمع منه. قال: أخبرنا السكن بن سعيد، عن محمد بن عباد، عن ابن الكلبي، قال: أقبل عويف القوافي - وهو عويف بن

معاوية بن عقبة بن حصن بن حذيفة الفزاري، وإنما قيل له عويف القوافي، كما حدثني عمار بن أبان بن سعيد بن عيينة، ببیت قاله:

**سأكذب من قد كان يزعم أنني إذا قلت قولاً لا أجيد القوافيا**

قال: فوقف على جرير بن عبد الله البجلي وهو في مجلسه فقال:

**أصب على بجيلة من شقاها هجائي حين أدركني المشيب**

فقال له جرير: ألا أشتري منك أعراض بجيلة؟ قال: بلى، قال: بكم؟ قال: بألف درهم وبرذون، فأمر له بما طلب فقال:

**لولا جرير هلكت بجيلة نعم الفتى وبئست القبيلة**

نسخت من كتاب أبي سعيد السكري في كتاب "" من قال بيتاً فلقب به "" قال: أخبرني محمد بن حبيب قال: وإنما قيل لعويف: عويف القوافي لقوله، وقد كان بعض الشعراء غيره بأنه لا يجيد الشعر، فقال أبياتا منها:

**سأكذب من قد كان يزعم أنني إذا قلت شعراً لا أجيد القوافيا**

فسمي عويف القوافي.

### **قصته مع عبد الملك بن مروان**

أخبرنا محمد بن خلف وكيع، قال: حدثني أحمد بن إسحاق، عن أبيه، قال: حدثني عزيز بن طلحة بن عبد الله بن عثمان بن الأرقم المخزومي، قال: حدثني غير واحد من مشيخة قريش، قالوا: لم يكن رجل من ولاة أولاد عبد الملك بن مروان كان أنفـس على قومه، ولا أحسد لهم من الوليد بن عبد الملك. فأذن يوماً للناس فدخلوا عليه؛ وأذن للشعراء، فكان أول من بدر بين يديه عويف القوافي الفزاري، فاستأذنه في الإنشاد فقال: ما بقيت لي بعدما قلت لأخي بني زهرة! قال: وما قلت له مع ما قلت لأمير المؤمنين؟ قال: ألسـت الذي تقول:

**يا طلح أنت أخو الندى وحليفه إن الندى من بعد طلحة ماتا**

**إن الفعال إليك أطلق رحله فحيث بت من المنازل باتا**

أو لست الذي تقول:

**إذا ما جاء يومك يا بن عوف فلا مطرت على الأرض السماء**

**ولا سار البشير بغنم جيش ولا حملت على الطهر النساء**

**تساقى الناس بعدك يا بن عوف ذريع الموت ليس له شفاء**

ألم تقم علينا الساعة يوم قامت عليه؟ لا والله لا أسمع منك شيئا، ولا أنفك بنافحة أبدا، أخرجوه عني. قصته مع طلحة أخي بني زهرة فلما أخرج قال له القرشيون والشاميون: وما الذي أعطاك طلحة حين استخرج هذا منك؟ قال: أما والله لقد أعطاني غيره أكثر من عطيته، ولكن لا والله ما أعطاني أحد قط أحلى في قلبي ولا أبقى شكرا ولا أجدر ألا أنساها ما عرفت الصلوات من عطيته، قالوا: وما أعطاك؟ قال: قدمت المدينة ومعني بضيفة لي لا تبلغ عشرة دنانير، أريد أن أبتاع قعودا من قعدان الصدقة، فإذا برجل في صحن السوق على طنفسة قد طرحت له، وإذا الناس حوله، وإذا بين يديه إبل معلوفة له، فظننت أنه عامل السوق، فسلمت عليه، فأثبتني وجهلته، فقلت: أي رحمك الله، هل أنت معيني ببصرك على قعود من هذه القعدان تبتاعه لي؟ فقال: نعم، أو معك ثمنه؟ فقلت: نعم، فأهوى بيده إلي فأعطيته بضيعتي، فرفع طنفته وألقاها تحتها، ومكث طويلا، ثم قمت إليه فقلت: أي رحمك الله، انظر في حاجتي فقال: ما معنى منك إلا النسيان، أمعك حبل؟ قلت: نعم قال: هكذا أفرجوا، فأفرجوا عنه حتى استقبل الإبل التي بين يديه، فقال: اقرن هذه وهذه وهذه، فما برحت حتى أمر لي بثلاثين بكرة أدنى بكرة منها-ولا دنية فيها-خير من بضاعتي. ثم رفع طنفته فقال: وشأنك ببضاعتك فاستعن بها على من ترجع إليه، فقلت: أي رحمك الله، أتدري ما تقول! فما بقي عنده إلا من نهرني وشتمني، ثم بعث معي نفرا فأطردوها حتى أطلعوها من رأس الثنية، فوالله لا أنساه ما دمت حيا أبدا.

وهذا الصوت المذكور تمثل به إبراهيم بن عبد الله بن حسن بن حسن بن علي يوم مقتله. حدثني ابن عبيد الله بن عمار، قال: حدثني ميسرة بن سيار أبو محمد، قال: حدثني إبراهيم بن علي الرافقي، عن الفضل الضبي، وحدثنا يحيى بن علي بن يحيى المنجم، وأحمد بن عبد العزيز الجوهري قالا: حدثنا عمر بن شبة، قال: حدثني عبد الملك بن سليمان، عن علي بن الحسن، عن الفضل الضبي؛ ورواية ابن عمار أتم من هذه الرواية .

ونسخت هذا الخبر أيضا من بعض الكتب عن أبي حاتم السجستاني، عن أبي عثمان اليقطري، عن أبيه عن الفضل، وهو أتم الروايات، وأكثر اللفظ له قال: قال الفضل: خرجت مع إبراهيم بن عبد الله بن حسن بن علي بن حسن، فلما صار بالمربد، وقف على رأس سليمان بن علي فأخرج إليه صبيان من ولده، فضمهم إليه وقال: هؤلاء والله منا ونحن منهم، إلا أن آباءهم فعلوا بنا وصنعوا، وذكر كلاما يعتد عليهم فيه بالإساءة، ثم توجه لوجهه وتمثل:

مهلا بني عمنا ظلامتنا

لمتلكم نحمل السيوف ولا

إني لإنمي إذا انتميت إلي

إن بنا سورة من القلق

تغمز أحسابنا من الدقق

عز عزيز ومعشر صدق

## بيض سباط كأن أعينهم

## تكحل يوم الهياج بالعلق

فقلت: ما أفحل هذه الأبيات، فلمن هي؟ قال: لضرار بن الخطاب الفهري، قالها يوم الخندق، وتمثل بها علي بن أبي طالب عليه السلام يوم صفين، والحسين بن علي يوم قتل، وزيد بن علي عليهم السلام، ولحق القوم، ثم مضى إلى باخرى، فلما قرب منها أتاه نعي أخيه محمد، فتمثل:

## نبئت أن بني ربيعة أجمعوا

## أمرأ خلالهم لتقبل خالدًا

## إن يقتلوني لا تصب أرماعهم

## ثأري ويسعى القوم سعيا جاهدا

## أرمي الطريق وإن صددت بضيقه

## وأنازل البطل الكمي الجاحدا

فقلت: لمن هذه الأبيات؟ فقال: للأحوص بن جعفر بن كلاب، تمثل بها يوم شعب جيلة، وهو اليوم الذي لقيت فيه قيس تميما، قال: وأقبلت عساكر أبي جعفر، فقتل من أصحابه وقتل من القوم، وكاد أن يكون الظفر له . قال ابن عمار في حديثه: قال المفضل: فقال لي: حركني بشيء، فأنشدته هذه الأبيات:

## ألا أيها الناهي فزارة بعدما

## أجدت بسير إنما أنت حالم

## أبى كل حر أن يببب بوتره

## ويمنع منه النوم إذا أنت نائم

## أقول لفتيان العشي: تروحو

## على الجرد في أفواههن الشكائم

## قفوا وقفه من يحي لا يخز بعدها

## ومن يخترم لا تتبعه اللوائم

## وهل أنت إن باعدت نفسك منهم

## لتسلم فيما بعد ذلك سالم

فقال لي: أعد، فتنبهت، وندمت، فقلت: أو غير ذلك؟ فقال: لا، أعدها، فأعدتها، فتمطى في ركابه حتى خلته قد قطعهما، ثم حمل فكان آخر العهد به.

هذه رواية ابن عمار، وفي الرواية الأخرى: فحمل فطعن رجلا، وطعنه آخر، فقلت: أتباشر الحرب بنفسك والعسكر منوط بك؟ فقال: إليك يا أبا بني ضبة، كأن عويفا أبا بني فزارة نظر في يومنا هذا حيث يقول:

## ألمت خناس وإمامها

## أحاديث نفس وأحلامها

## يمانية من بني مالك

## تطاول في المجد أعمامها

## وإن لنا أصل جرثومة

## ترد الحوادث أيامها

## ترد الكتيبة مغلولة

## بها أفنها وبها أمها

قال: وجاءه سهم العائر فشغله عني.

اعترض عمر بن عبد العزيز وأسمعه شعرا أخبرني محمد بن عمران الصيرفي، قال: حدثنا الحسن بن عليل العتري، قال: حدثني محمد بن معاوية الأسدي، قال: حدثني أصحابنا الأسديون، عن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري،

قال: حضرت مع عمر بن عبد العزيز جنازة، فلما انصرف انصرفت معه، وعليه عمامة قد سد لها من خلفه، فما علمت به حتى اعترضه رجل على بعير فصاح به:

أجبنني أبا حفص لقيت محمدا

على حوضه مستبشرا وراكا

فقال له عمر: لبيك، ووقف الناس معه، ثم قال له: فمه، فقال:

فأنت امرؤ كلتا يديك مفيدة

شمالك خير من يمين سواكا

قال: ثم مه، فقال:

بلغت مدى المجرين قبلك إذ جروا

ولم يبلغ المجرون بعد مداكا

فجدالك لا جدين أكرم منهما

هناك تناهى المجد ثم هناكا

فقال له عمر: ألا أرك شاعرا! ما لك عندي من حق، قال: لا، ولكني سائل وابن سبيل وذو سهمة فالتفت عمر إلى قهرمانه فقال: أعطه فضل نفقتي، قال: وإذا هو عويف القوافي الفزاري.

### هجا بني مرة

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي، قال: حدثنا أبو غسان دماذ، عن أبي عبيدة، قال: لما كان يوم ابن جرح، وافتلت بنو مرة وبنو حن بن عذرة، قال عويف القوافي لبني مرة يهجوهم ويوبخهم بتركهم نصرهم:

كنا لكم يا مر أما حفية

وكنتم لنا يا مر بوا مجلدا

وكنتم لنا سيفا وكنا وعاءه

إذا نحن خفنا أن يكل فيغمدا

عقيل بن علفة يجيبه بقصيدة فأجابه عقيل بن علفة بقصيدته التي أولها:

أماوي إن الركب مرتحل غدا

وحق ثوي نازل أن يزودا

يقول فيها يخاطب عويفا:

إذا قلت: قد سامحت سهما ومازنا

أبى النسب الداني وكفرهم اليدا

وقد أسلموا أستاذهم لقبيلة

قضاعية يدعون حنا وأصيذا

فما كنت أما بل جعلتك لي أخوا

وقد كنت في الناس الطريد المشردا

عويف استنها قد رمت ويك مجدنا

قديمًا فلم تعد الحمار المقيدا

ولو أنني يوم ابن جرح لقيتهم

لجردت في الأعداء عضبا مهندا

وأبيات عوفيف هذه يقولها يوم مرج راهط؛ وهي الحرب التي كانت بين قيس و كلب. 0 يوم مرج راهط أخبرني بالسبب فيه أحمد بن عبد العزيز الجوهري، قال: أخبرني سليمان بن أيوب بن أعين أبو أيوب المدني، قال: حدثنا المدائني، قال: كان بدء حرب قيس و كلب في فتنة ابن الزبير ما كان من وقعة مرج راهط، وكان من قصة المرج أن مروان بن الحكم بن أبي العاص قدم بعد هلاك يزيد بن معاوية والناس بموجون، وكان سعيد بن بحدل الكلبي على قنرسين، فوثب عليه زفر بن الحارث فأخرجه منها وبايع لابن الزبير، فلما قعد زفر على المنبر، قال: الحمد لله الذي أفعدني مقعد الغادر الفاجر، وحصر، فضحك الناس من قوله، وكان النعمان بن بشير على حمص، فبايع لابن الزبير. وكان حسان بن بحدل على فلسطين والأردن، فاستعمل على فلسطين روح بن زنباع الجذامي، ونزل هو الأردن فوثب نابل بن قيس الجذامي على روح بن زنباع، فأخرجه من فلسطين وبايع لابن الزبير.

موقف الضحاك بن قيس القهري وكان الضحاك بن قيس القهري عاملاً ليزيد بن معاوية على دمشق حتى هلك، فجعل يقدم رجلاً ويؤخر أخرى، إذ جاءته اليمانية وشيعة بني أمية أخبرهم أنه أموي، وإذا جاءته القيسية أخبرهم أنه يدعو إلى ابن الزبير، فلما قدم مروان قال له الضحاك: هل لك أن تقدم على ابن الزبير ببيعة أهل الشام؟ قال: نعم، وخرج من عنده، فلقه عمرو بن سعيد بن العاص، ومالك بن هبيرة، وحصين بن نمير الكنديان، وعبيد الله بن زياد، فسأله عما أخبره به الضحاك، فأخبرهم، فقالوا له: أنت شيخ بني أمية، وأنت عم الخليفة، هلم نبايعك. فلما فشا ذلك أرسل الضحاك إلى بني أمية يعتذر إليهم، ويذكر حسن بلائهم عنده، وأنه لم يرد شيئاً يكرهونه، فاجتمع مروان بن الحكم، وعمرو بن سعيد بن العاص، وخالد وعبد الله ابنا يزيد بن معاوية وقال لهم: اكتبوا إلى حسان بن بحدل فليسر من الأردن حتى يتزل الجابية، ونسير من ها هنا حتى نلقاه، فيستخلف رجلاً ترضونه، فكتبوا إلى حسان، فأقبل في أهل الأردن، وسار الضحاك بن قيس وبنو أمية في أهل دمشق، فلما استقلت الرايات من جهة دمشق، قالت القيسية للضحاك: دعوتنا لبيعة ابن الزبير، وهو رجل هذه الأمة، فلما تابعتك خرجت تابعاً لهذا الأعراي من كلب تبايع لابن أخته تابعاً له، قال: فتقولون ماذا؟ قالوا: نقول: أن تنصرف وتظهر بيعة ابن الزبير ونظهرها معك، فأجابهم إلى ذلك، وسار حتى نزل مرج راهط، وأقبل حسان حتى لقي مروان بن الحكم، فسار حتى دخل دمشق، فأنته اليمانية تشكر بلاء بني أمية، فساروا مع مروان حتى نزلوا المرج على الضحاك، وهم نحو سبعة آلاف، والضحاك في نحو من ثلاثين ألفاً، فلقوا الضحاك، فقتل الضحاك، وقتل معه أشراف من قيس، فأقبل زفر هارباً من وجهه ذاك حتى دخل قرقيسيا، وأقام عمير بن الحباب شيئاً على طاعة بني مروان، ثم أقبل حتى دخل قرقيسيا على زفر فأقام معه، وذلك بعد يوم خازر حين قتل عبيد الله بن زياد.

ما قيل في يوم المرج وأقبل زفر ييكي قتلى المرج يقول:

لمروان صدعاً بيننا متنائيا

لعمرى لقد أبقت وقية راهط

أتذهب كلب لم تتلها رماحنا  
فقد ينبت المرعى على دمن الثرى  
أبعد ابن صقر وابن عمرو تتابعا  
فقال ابن المخلاة الكلبي يجيبه:

لعمري لقد أبقت وقية راھط  
تبكي على قتلى سليم وعامر  
وقال ابن المخلاة في يوم المرج:

ويوم ترى الرايات فيه كأنها  
مضى أربع بعد اللقاء وأربع  
طعنا زياداً في استه وهو مدبر  
ونجى حبيشاً ملهب ذو علالة

وقد شهد الصفيين عمرو بن محرز  
وقال رجل من بني عذرة:

سائل بني مروان أهل العج  
عنا وعن قيس غداة المرج  
تسدس أطراف القنا المعوج  
مذ تركوا من بعد طول هرج  
وقال جواس بن القعطل الكلابي في يوم المرج:

هم قتلوا براھط جد قيس  
وهم قتلوا بني بدر وعيساً  
تذكرت الذحول فلن تقصى  
إذا سارت قبائل من جناب  
وقد حاربتنا فوجدت حرباً

ويترك قتلى راھط هي ما هيا!  
وتبقى حزازات النفوس كما هيا  
ومصرع همام أمنى الأمانيا!

على زفر داء من الداء باقيا  
وذبيان مغروراً وتبكي البواكيا

حوائم طير مستدير وواقع  
وبالمرج باق من دم القوم ناقع  
وثر أصابته السيوف القواطع  
وقد جذ من يمين يديه الأصابع

فضاق عليه المرج والمرج واسع

رھط النبي وولاية الحج  
إذ يتقفون ثقفاً بنج  
إذا أخلف الضحاك ما يرجي  
لحم ابن قيس للضباع العرج

سليما والقبائل من كلاب  
وألصق حر وجهك بالتراب  
ذحولك أو تساق إلى الحساب  
وعوف أشحنوا شم الهضاب  
تغصك حين تشرب بالشراب

فأقبل عمير يخطر، فخرج من قرقيسيا يتطرف بوادي كلب، فيغير عليها وعلى من أصاب من قضاة وأهل اليمن، ويخص كلباً ومعشر تغلب، قبل أن تقع الحرب بين قيس وتغلب، فعل أهل البادية ينتصفون من أهل القرار كلهم. فلما رأت كلب ما لقي أصحابهم، وأنهم لا يمتنعون من خيل الحاضرة، اجتمعوا إلى حميد بن حريث بن بحدل، فسار بهم حتى نزل تدمر، وبه بنو نمير، وقد كان بين النميريين خاصة وبين الكلبيين الذي بتدمر عقد مع ابن بحدل بن بعاج الكلبي، فأرسلت بنو نمير رسلاً إلى حميد يناشدونه الحرمة، فوثب عليهم ابن بعاج الكلبي فذبحهم، وأرسلوا إليهم: إنا قد قطعنا الذي بيننا وبينكم، فالحقوا بما يسعكم من الأرض، فالتقوا فقتل ابن بعاج وظفر بالنميريين فقتلوا قتلاً ذريعاً وأسروا، فقال راعي الإبل في قتل ابن بعاج ولم يذكر غيره من الكلبيين:

تجىء ابن بعاج نسور كأنها  
مجالس تبغي بيعة عند تاجر  
تطيف بكلي عليه جدية  
طويل القرا يقذفه في الحناجر  
يقول له من كان يعلم علمه  
كذاك انتقام الله من كل فاجر

وقد كان زفر بن الحارث لما أغار عمير بن الحباب على الكلبيين قال يعيرهم بقوله:

يا كلب قد كلب الزمان عليكم  
وَأصابكم مني عذاب مرسل  
إن السماوة لا سماوة فالحقي  
بمنابت الزيتون وابنيحدل  
وبأرض عك والسواحل إنها  
أرض تذوب باللقاح وتهزل

حميد بن بحدل يغير على بوادي قيس

فجمع لهم حميد بن الحريث بن بحدل، ثم خرج يريد الغارة على بوادي قيس، فانتهى إلى ماء لبني تغلب، فإذا النساء والصبيان يبكون، فقالت لهم النساء -وهن يحسبنهم قيساً-: ويحكم، ما ردكم إلينا، فقد فعلتم بنا بالأمس ما فعلتم! فقالت لهم كلب: وما لكم؟ قالوا: أغار علينا بالأمس عمير بن الحباب، فقتل رجالنا، واستاق أموالنا، ولم يشككن أن الخيل خيل قيس وأن عميراً عاد إليهن، فقال بعض كلب لحميد: ما تريد من نسوة قد أغير عليهن وحرين، وصيبة يتامى، وتدع عميراً. فاتبعوه، فبينما هم يسرون إذ أخذوا رجلاً ريئة للقوم. فسأله فقال لهم: هذا الجيش ها هنا والأموال، وقد خرج عمير في فوارس يريد الغارة على أهل بيت من بني زهير بن جناب، أخبر عنهم مخبر، فأقام حميد حتى جن عليه الليل، ثم بيت القوم بيئاً. وقال حميد لأصحابه: شعاركم: نحن عباد الله حقاً. فأصابوا عامة ذلك العسكر، ونجا فيمن نجا رجل عريان قذف ثوبه وجلس على فرس عري، فلما انتهى إلى عمير، قال عمير: قد كنت أسمع بالندير العريان فلم أره، فهو هذا، ويلك ما لك! قال: لا أدري غير أنه لقينا قوم فقتلوا من قتلوا وأخذوا العسكر، فقال: أفنعرهم؟ قال: لا، فقصد عمير القوم وقال لأصحابه: إن كانت الأعراب فسيسارعون إلينا إذا رأونا، وإن كانت خيول أهل الشام فستقف. وأقبل عمير، فقال حميد لأصحابه:

لا يتحركن منكم أحد، وانصبوا القنا، فحمل عمير حملة لم تحركهم، ثم حمل فلم يتحركوا، فنأدى مراراً. ويحكم من أنتم؟! فلم يتكلموا، فنأدى عمير أصحابه: ويلكم خيل بني بحدل والأمانة، وانصرف على حاميته، فحمل عليه فوارس من كلب يطلبونه، ولحقه مولى لكلب يقال له شقرون، فاطعنا، فجرح عمير وهرب حتى دخل قرقيسيا إلى زفر، ورجع حميد إلى من ظفر به من الأسرى والقتلى، فقطع سبالهم وأنفهم، فجعلها في خيط، ثم ذهب بها إلى الشام، وقال قائل: بل بعث بها إلى عمير وقال: كيف ترى؟ أوقعي أم وقعك؟ فقال في ذلك سنان بن جابر الجهني:

لقد طار في الآفاق أن ابن بحدل  
و عرف قيساً بالهوان ولم تكن  
فقلت له: قيس بن عيلان إنه  
سما بالعتاق الجرد من مرج راهط  
فكان لها عرض السماوة ليلة  
فمن يحتمل في شأن كلب ضغينة  
فإننا وكلباً كالبيدين متى تضع  
لقد تركت قتلى حميد بن بحدل  
وقيسية قد طلقته رماحنا

وقال سنان أيضاً في هذا الأمر بعدما أوقع بيبي فرارة:

يا أخت قيس سلي عنا علانية  
إنأ ذوو حسب مال ومكرمة  
منا ابن مرة عمرو قد سمعت به  
والبحدلي الذي أردت فوارسه  
فغادرت حلبساً منها بمعترك  
كائن تركنا غداة العاه من جزر  
ومن غوان تبكي لا حميم لها  
كي تخبري من بيان العلم تبيانأ  
يوم الفخار وخير الناس فرسانأ  
غيث الأرامل لا يردين ما كانأ  
قيساً غداة اللوى من رمل عدنانأ  
والجعد منعرفاً لم يكس أكفانأ  
للطير منهم ومن تكلى وثكلانأ  
بالعاه تدعو بني عم وإخوانأ

فلما انتهى الخبر إلى عبد الملك بن مروان، وعبد الله ومصعب يومئذ حيان، وعند عبد الملك حسان بن مالك بن بحدل وعبد الله بن مسعدة بن حكم الفزاري، وحيء بالطعام، فقال عبد الملك لابن مسعدة: ادن، فقال ابن

مسعدة: لا والله، لقد أوقع حميد بسليم وعامر وقعة لا ينفعني بعدها طعام حتى يكون لها غير، فقال له حسان: أجزعت أن كان بيني وبينكم في الحاضرة على الطاعة والمعصية، فأصبنا منكم يوم المرج، وأغار أهل قرقيسيا بالحاضرة على البادية بغير ذنب؟ فلما رأى حميد ذلك طلب بثأر قومه، فأصاب بعض ما أصابهم، فجزعت من ذلك، وبلغ حميداً قول ابن مسعدة فقال: والله لأشغلنه بمن هو أقرب إليه من سليم وعامر.

ذكر في شعره إيقاع حميد ببني فزارة فخرج حميد في نحو من مائتي فارس، ومعه رجلان من كلب ودليلان، حتى انتهى إلى بني فزارة أهل العمود لخمس عشرة مضت من شهر رمضان، فقال: بعثني عبد الملك بن مروان مصداقاً: فابعثوا إلى كل من يطيق أن يلقانا، ففعلوا، فقتلهم أو من استطاع منهم، وأخذ أموالهم، فبلغ قتلاهم نحواً من مائة ونيف، فقال عوييف القوافي:

منا الله أن ألقى حميد بن بحدل  
بمنزلة فيها إلى النصف معلما  
لكيما نعاطيه ونبلو بيننا  
سريجية يعجمن في الهام معجما  
ألا ليت أني صادفتني منيتي  
ولم أر قتلى لم تدع لي بعدها  
وأقسم ما ليث بخفان خادر  
يدين فما أرجوا من العيش أجذما  
بأشجع من جعد جنانا ومقدما

يعني الجعد بن عمران بن عيينة وقتل يومئذ.

أسماء بن خارجة يشكو حميداً إلى عبد الملك فلما رجع عبد الملك من الكوفة وقتل مصعب، لحقه أسماء بن خارجة بالنخيلة، فكلمه فيما أتى حميد به إلى أهل العمود من فزارة، وقال: حدثنا أنه مصدقك وعاملك، فأجبتك وبك عدنا، فعليك وفي ذمتك ما على الحر في ذمته، فأقصدنا من قضاعي سكير، فأبى عبد الملك وقال: انظر في ذلك وأستشير وحميد يجحد وليست لهم بينة، فوداهم ألف ومائتي ألف، وقال: إني حاسبها في أعطيات قضاة، فقال في ذلك عمرو بن مخلاة الكلبي.

صوت

خذوها يا بني ذبيان عقلاً  
على الأجياد واعتقدوا الخداما  
دراهم من بني مروان بيضا  
ينجمها لكم عاماً فعاما  
وأيقن أنه يوم طويل  
على قيس يذيقهم السماما  
ومختب أمام القوم يسعى  
كسرحان التنوفة حين ساما  
رأى شخصاً على بلد بعيد  
فكبر حين أبصره وقاما

وأقبل يسأل البشرى إلينا  
وقال لخيله سيرى حميد  
فما لاقيت من سجح وبدر  
بكل مقلص عبل شواه  
وكل طمرة مرطى سبوح  
وقائلة على دهش وحزن  
كأن بني فزارة لم يكونوا  
ولم أر حاضراً منهم بشاء

فقال: رأيت إنساً أو نعماً  
فإن لكل ذي أجل حماماً  
ومرة فاتركي حطاباً حطاماً  
يدق بوقع نابيه اللجاماً  
إذا ما شد فارسها الحزاماً  
وقد بليت مدامعها اللثاماً  
ولم يرعوا بأرضهم اللثاماً  
ولا من يملك النعم الركاماً

فزارة تنتقم من قيس قال: فلما أخذوا الدية انطلقت فزارة فاشترت خيلاً وسلاحاً، ثم استتبت سائر قبائل قيس، ثم أغارت على ماء يدعى بانث قين، يجمع بطوناً كلب كثيرة وأكثر من عليه بنو عبد ود وبنو عليم بن جناب، وعلى قيس يومئذ سعيد بن عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر، وحلحلة بن قيس بن الأشيم بن يسار أحد بني العشاء، فلما أغاروا نادوا بني عليم: إنا لا نطلبكم بشيء، وإنما نطلب بني عبد ود بما صنع الدليلان اللذان حملاً حميداً، وهما المأمور ورجل آخر اسمه أبو أيوب، فقتل من العبدية تسعة عشر رجلاً، ثم مالوا على العليميين فقتلوا منهم خمسين رجلاً، وساقوا أموالاً.

### موقف عبد الملك بن مروان وعرضه الدية

فبلغ الخبر عبد الملك، فأمهل حتى إذا ولي الحجاج العراق كتب إليه يبعث إليه سعيد بن عيينة وحلحلة بن قيس ومعهما نفر من الحرس، فلما قدم بهما عليه قذفهما في السجن وقال لكلب: والله لئن قتلتم رجلاً لأهريقين دماءكم، فقدم عليه من بني عبد ود عياض ومعاوية ابنا ورد، ونعمان بن سويد أبوه ابن مالك يومئذ أشرف من قتل يوم بنات قين، وكان شيخ بني عبد ود، فقال له النعمان: دماءنا يا أمير المؤمنين، فقال له عبد الملك: إنما قتل منكم الصبي الصغير والشيخ الفاني، فقال النعمان: قتل منا والله من لو كان أحلاً لأبيك لاختير عليك في الخلافة، فغضب عبد الملك غضباً شديداً، فقال له معاوية وعياض: يا أمير المؤمنين، شيخ كبير موتوتر.

فأعرض عنه عبد الملك وعرض الدية، وجعل خالد بن يزيد بن معاوية ومن ولدته كلب يقولون: القتل، ومن كانت أمه قيسية من بني أمية يقولون: لا، بل الدية كما فعل بالقوم، حتى ارتفع الكلام بينهم بالمقصورة، فأخرجهم عبد الملك ودفع حلحلة إلى بعض بني عبد ود، ودفع سعيد بن عيينة إلى بعض بني عليم، وأقبل عليهما عبد الملك فقال: ألم تأتياي تستعدياي فأعديتكما وأعطيتكما الدية، ثم انطلقتما فأخفرتما ذمتي وصنعتما ما

صنعتما، فكلمه سعيد بكلام يستعطفه به ويرققه، فضرب حلحلة صدره وقال: أترى خضوعك لابن الزرقاء نافعك عنده، فغضب عبد الملك وقال: اصبر حلحلة، فقال له: أصبر من عود بجنيبه حلب فقتلا وشق ذلك على قيس، وأعظمه أهل البادية منهم والحاضرة، فقال في ذلك علي بن الغدير الغنوي:

لحلحلة القتيل ولابن بدر وأهل دمشق أنجبة تبين

فبعد اليوم أيام طوال وبعد خمود ففتنتكم فتون

وكل صنيعه رصد ليوم تحل به لصاحبها الزبون

خليفة أمة قسرت عليه تخمط واستخف بمن يدين

فقد أتيا حميد ابن المنايا وكل فتى ستشعبه المنون

وقال رجل من بني عبد ود:

نحن قتلنا سيديهم بشيخنا سويد فما كانا وفاء به دما

وقال حلحلة وهو السجن

لعمري لئن شيخا فزاره أسلما لقد خزيت قيس وما ظفرت كلب

وقال أروطة بن سهية يجرض قيساً:

أيقتل شيخنا ويرى حميد رخي البال منتشياً خمورا

فإن دمنا بذاك وطال عمر بنا وبكم ولم نسمع نكيرا

فناكت أمها قيس جهاراً وعضت بعدها مضر الأيوار

وقال عميرة بنت حسان الكلبية تفخر بفعل حميد في قيس:

سمت كلب إلى قيس بجمع يهد مناكب الأكم الصعاب

بذي لجب يدق الأرض حتى تضايق من دعا بهلا وهاب

نفين إلى الجزيرة فل قيس إلى بق بها وإلى ذناب

وألфина هجين بني سليم يفدي المهر من حب الإياب

فلولا عدوة المهر المفدى لأبت وأنت منخرق الإهاب

ونجاه حثيث الركض منا أصيلانا ولون الوجه كابي

وأض كأنه يطلى بورس ودق هوي كاسرة عقاب

حمدت الله إذ لقي سليماً على دهمان صقر بني جناب

تركن الروق من فتيات قيس  
أيامى قد يئسن من الخضاب  
فهن إذا زكرن حميد كلب  
نعقن برنة بعد انتخاب  
متى تذكر فتى كلب حميداً  
تر القيسي يشرق بالشراب

### مدح عيينة بن أسماء رغم تطليقه أخته

أخبرني محمد بن الحسن بن دريد، قال: أخبرني عبد الرحمن بن أخي الأصمعي، عن عمه، قال: أنشدني رجل من بني فزارة لعويف القوافي -وهو عويف بن معاوية بن عقبة بن حصن بن حذيفة الفزاري- وكانت أخته عند عيينة بن أسماء بن خارجة فطلقها، فكان عويف مراغماً لعيينة وقال: الحرة لا تطلق بغير ما بأس، فلما حبس الحجاج عيينة وقيده قال عويف:

منع الرقاد فما يحس رقاد  
خبر أتاني عن عيينة موجه  
بلغ النفوس بلاؤها فكأننا  
سواء الأقارب يوم ذاك فأصبحوا  
يرجون عثرة جدنا ولو أنهم  
لما أتاني عن عيينة أنه  
نخلت له نفسي النصيحة إنه  
وذكت أي فتى يسد مكانه  
أم من يعين لنا كرائم ماله  
لو كان من حضن تضاعل ركنه  
خبر أتاك ونامت العواد  
ولمثلة تتصدع الأكباد  
موتى وفينا الروح والأجساد  
بهجين قد سروا به الحساد  
لا يدفعون بنا المكاره بادوا  
عان تظاهر فوقه الأقياد  
عند الشدائد تذهب الأحقاد  
بالرغد حين تقاصر الأرفاد  
ولنا إذا عدنا إليه معاد  
أو من نضاد

### مدح عبد الرحمن ابن مروان وهو صغير

أخبرني حبيب بن نصر المهلبى، قال: حدثنا عمر بن شبة، قال: قال العتيبي: سألت عويف القوافي في حمالة، فمر به عبد الرحمن بن محمد بن مروان وهو حديث السن، فقال له: لا تسأل أحداً وصر إلي أكفك، فأتاه فاحتملها جمعاء له، فقال عويف بمدحه:

غلام رماه الله بالخير يافعاً  
كأن الثريا علقت في جبينه  
له سيمياء لا تشق على البصر  
وفي حده الشعري وفي جيده القمر

تردى رداء واسع الذيل وانزر

ذليل بلا ذل ولو شاء لانتصر

على حين لا باد يرجى ولا حضر

ولما رأى المجد استعيرت ثيابه

إذا قبيلت العوراء أغضى كأنه

رآني فأساني ولو صد لم ألم

قال أبو زيد: هذه الأبيات لابن عنقاء الفزاري، يقولها في ابن أخ له، كان قوم من العرب أغاروا على نعم ابن عنقاء، فاستقوها، حتى لم يبق لها منها شيء، فأتى ابن أخيه فقال له: يا بن أخي، إنه قد نزل بعمك ما ترى، فهل من حلوبة؟ قال: نعم يا عم، يروح المال وأبلغ مرادك، فلما راح ماله قاسمه إياه وأعطاه شطره، فقال ابن عنقاء:

إلى ماله حالي أسر كما جهر

رآني على ما بي عميلة فاشتكى

وذكر بعد هذا البيت باقي الأبيات. قال أبو زيد: وإنما تمثلها عوييف.

رثى سليمان بن عبد الملك ومدح عمر بن عبد العزيز أخبرني محمد بن خلف وكيع، والحسن بن علي قالاً: حدثنا الغلابي، قال: حدثنا محمد بن عبيد الله، عن عطاء بن مصعب، عن عاصم بن الحدثان، قال: لما مات سليمان بن عبد الملك وولي عمر بن عبد العزيز الخلافة، وفد إليه عوييف القوافي وقال شعراً رثى به سليمان ومدح عمر فيه، فلما دخل إليه أنشده:

ثم تدانى فسمعنا صعقه

ودهمه ثم تزجي ورقه

قبر امرئ عظم ربي حقه

وجحد الخير الذي قد بقه

فارق في الجود منه صدقه

ألقى إلى خير قريش وسقه

سميت بالفاروق فافرق فرقه

واقصد إلى الجود ولا توقه

ريك فالمحروم من لم يسقه

لاح سحاب فرأينا برقه

وراحت الريح تزجي بلقه

ذاك سقى قبراً فروى ودقه

قبر سليمان الذي من عقه

في المسلمين جلّه ودقه

قد ابتلى الله بخير خلقه

يا عمر الخير الملقى وقفه

وارزق عيال المسلمين رزقه

بحرك عذب الماء ما أعقه

فقال له عمر: لسنا من الشعر في شيء، ومالك في بيت المال حق، فأخ عوييف يسأله فقال: يا مزاحم، انظر فيما بقي من أرزاقنا فشاطره إياه، ولنصبر على الضيق إلى وقت العطاء، فقال له عبد الرحمن بن سليمان بن عبد الملك: بل توفّر يا أمير المؤمنين وعلي رضا الرجل، فقال: ما أولاك بذلك، فأخذ بيده وانصرف به إلى منزله، وأعطاه حتى رضى.

## صوت

صفرا يطويها الضجيع لصلبها  
طي الحمالة لين مثناها  
نعم الضجيع إذا النجوم تغورت  
بالغور أولاهها على أخواها  
عذب مقبلها وثير ردفها  
عبل شواها طيب مجناها  
يادار صهباء التي لا أنتهي  
عن حبها أبداً ولا أنساها

الشعر لعبد الله بن جحش الصعاليك، والغناء فيه لعلي بن هشام ثقيل أول بالوسطى من كتاب أحمد بن المكي.

## أخبار عبد الله بن جحش

### طلاق صهباء من ابن عمها

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي، قال: حدثنا عمر بن شبة، قال: حدثني محمد بن يحيى أبو غسان، عن غسان بن عبد الحميد قال: كان بالمدينة امرأة يقال لها: صهباء من أحسن الناس وجهاً، وكانت من هذيل، فتزوجها ابن عم لها، فمكث حيناً معها لا يقدر عليها من شدة ارتئاقها، فأبضغته وطالبته بالطلاق، فطلقها. ثم أصاب الناس مطر شديد في الخريف، فسال العقيق سيلاً عظيماً، وخرج أهل المدينة، وخرجت صهباء معهم، فصادفت عبد الله بن جحش وأصحابه في نزهة، فرآها وافترقا.

### يهيم بصهباء ويتقدم لخطبتها

ثم مضت إلى أقصى الوادي فاستنقعت في الماء وقد تفرق الناس وخفوا، فاجتاز بها ابن جحش فرآها فتهالك عليها وهام بها، وكان بالمدينة امرأة تدل على النساء يقال لها: قطنة، كانت تداخل القرشيات وغيرهن، فلقبها ابن جحش فقال لها: اخطبي علي صهباء، فقالت: قد خطبها عيسى بن طلحة بن عبيد الله وأجابوه، ولا اراهم يخارونك عليه، فشتما ابن جحش وقال لها: كل مملوك له فهو حر، لئن لم تحتالي فيها حتى أتزوجها لأضربنك ضرب بالسيف - وكان مقداماً جسوراً - فرقت منه فدخلت على صهباء وأهلها، فتحدثت معهم، ثم ذكرت ابن عمها، فقالت لعمة صهباء: ما باله فارقتها، فأخبرتها خبرها، وقالت: لم يقدر عليها وعجز عنها. فقالت لها: وأسمعت صهباء-: إن هذا ليعتري كثيراً من الرجال فلا ينبغي أن تتقدموا في أمرها إلا على من تختبرونه، وأما والله لو كان ابن جحش لصهباء لثقبها ثقب اللؤلؤ ولو رنقت بحجر، ثم خرجت من عندهم. وزوجه بصهباء فأرسلت إليها صهباء: مري ابن جحش فليخطبني، فلقبته قطنة فأخبرته الخبر، فمضى فخطبها،

فأنعمت له وأبي أهلها إلا عيسى بن طلحة، وأبت هي إلا ابن جحش، فتزوجته ودخل بها وافترضها، وأحب كل واحد منهما صاحبه فقال فيها:

نعم الضجيع إذا النجوم تغورت  
بالغور أولاها على أخراها  
عذب مقلها وثير ردفها  
عبل شواها طيب مجناها  
صراء يطويها الضجيع لجنبها  
طي الحماله لين متناها  
لو يستطيع ضجيعها لأجنها  
في الجوب حب نسيمها ونشائها  
يا دار صهباء التي لا أنتهي  
عن ذكرها أبداً ولا أنساها

### كان عبد الملك بن مروان معجباً بشعره

أخبرني حبيب بن نصر المهلي، قال: حدثنا عبد الله بن أبي سعد، قال: حدثني عبد الرحيم بن أحمد بن زيد بن الفرغ، قال: حدثني محمد بن عبد الله، قال: كان عبد الملك بن مروان معجباً بشعر عبد الله بن جحش، فكتب إليه يأمره بالقدوم عليه، فورد كتابه وقد توفي، فقال إخوانه لابنه: طرده عبد الملك لتضييعه أدب أبيه لو شخصت إلى أمير المؤمنين عن إذنه لأبيك لعله كان ينفكك، ففعل، فبينما هو في طريقه إذ ضاع منه كتاب الإذن، فهم بالرجوع، ثم مضى لوجهه، فلما قدم على عبد الملك سأله عن أبيه فأخبره بوفاته، ثم سأله عن كتابه فأخبره بضياعه، فقال له: أنشدي قول أبيك: صوت

هل يبلغنها السلام أربعة  
مني وإن يفعلوا فقد نفعوا  
على مصكين من جمالهم  
وعنتريسين فيهما سطع  
قرب جيراننا جمالهم  
صباحاً فأضحوا بها قد انتجعوا  
ما كنت أدري بوشك بينهم  
حتى رأيت الحدأة قد طلعت  
قد كاد قلبي والعين تبصرهم  
لما تولى بالقوم ينصدع  
ساروا وخلفت بعدهم دنفاً  
أليس بالله بئس ما صنعوا!

قال: لا والله يا أمير المؤمنين ما أرويه، قال: لا عليك، فأنشدي قول أبيك: صوت

أجد اليوم جيرتك الغيارا  
رواحاً أم أرادوه ابتكارا  
بعينك كان ذاك وإن يبينوا  
يزدك البين صدعاً مستطارا  
بلى أبقت من الجيران عندي  
أناساً ما أو افقهم كثارا  
وماذا كثرة الجيران تغني  
إذا ما بان من أهوى فسارا

قال: لا والله ما أرويه يا أمير المؤمنين، قال: ولا عليك، فأنشدني قول أبيك:

دار لصهباء التي لا ينثني  
عن ذكرها قلبي ولا أنساها  
صفراء يطويها الضجيع لصلبها  
طي الحماله لين متناها  
لو يستطيع ضجيعها لأجنها  
في القلب شهوة ريحها ونشاها

قال: لا والله يا أمير المؤمنين، ما أرويه، وإن صهباء هذه لأمي، قال: ولا عليك، قد يبغض الرجل أن يشب بأمه، ولكن إذا نسب بما غير أبيه، فأف لك! ورحم الله أباك، فقد ضيعت أدبه وعققتة؛ إذ لم ترو شعره. اخرج فلا شيء عندنا.

### صوت

أماطت كساء الخز عن حر وجهها  
وأدنت على الخدين برداً مهلهلا  
من اللاء لم يحججن يبيغين حسبة  
ولكن يقتلن البرء المغفلا

رأنتي خضيب الرأس شمרת مئزري  
وقد عهدتني أسود الرأس مسبلا  
خطوا إلى اللذات أجزرت مئزري  
كإجراك الحبل الجواد المحجلا  
صريع الهوى لا يبرح الحب قائدي  
بشر فلم أعدل عن الشر معدلا  
لدى الجمرة القصوى فريعت وهلت  
ومن ريع في حج من الناس هلا

الشعر للعرجي، والغناء لعبد الله بن العباس الربيعي ثقيل أول في الأول والثاني والخامس والسادس من هذه الأبيات، وهو من جيد الغناء وفاخر الصنعة، ويقال: أنه أول شعر صنعه، ولعزاز المكي في الثالث وما بعده ثاني ثقيل، عن يحيى المكي وغيره، وفيه خفيف ثقيل ينسب إلى معبد وإلى ابن سريج وإلى الغريض، وفيه لإبراهيم لحن من كتابه غير مجنس، وأنا ذاكرها هنا أخباراً لهذا الشعر من أخبار العرجي؛ إذ كان أكثر أخباره قد مضى سوى هذه.

### بعض أخبار للعرجي

#### امرأة تتمثل بشعره

أخبرني محمد بن خلف وكيع، قال: حدثنا إسماعيل بن مجمع، عن المدائني، عن عبد الله بن سليم، قال: قال عبد الله بن عمر العمري: خرجت حاجاً فرأيت امرأة جميلة تتكلم بكلام رفئت فيه، فأدريت ناقتي منها، ثم قلت لها:

يا أمة الله، ألسنت حاجة! أما تخافين الله! فسفرت عن وجه يبهر الشمس حسناً، ثم قالت: تأمل يا عمي، فإني ممن عني العرجي بقوله:

**من اللاء لم يحججن يبيغين حسبة ولكن ليقتلن البريء المغفلا**

قال: فقلت لها: فإني أسأل الله ألا يعذب هذا الوجه بالنار. قال: وبلغ ذلك سعيد بن المسيب فقال: أما والله لو كان من بعض بغضاء أهل العراق لقال لها: اعزبي قبحك الله، ولكنه ظرف عباد الحجاز. وقد رويت هذه الحكاية عن أبي حازم بن دينار.

أخبرني به وكيع، قال: حدثنا أحمد بن زهير، قال: حدثنا مصعب الزبيري، قال: حدثني عبد الرحمن بن أبي الحسن وقد روى عنه ابن أبي ذئب، قال: بينا أبو حازم يرمي الجمار إذ هو بامرأة متشعبدة -يعني حاسرة- فقال لها: أيتها المرأة استتري، فقالت: إني والله من اللواتي قال فيهن الشاعر قوله:

**من اللاء لم يحججن يبيغين حسبة ولكن ليقتلن البريء المغفلا**

**وترمي بعينيها القلوب ولا ترى لها رمية لم تصم منهن مقتلا**

فقال أبو حازم لأصحابه: ادعوا الله لهذه الصورة الحسنة ألا يعذبها بالنار. وأبو حازم هذا هو أبو حازم بن دينار من وجوه التابعين، قد روى عن سهل بن سعد وأبي هريرة، وروى عنه مالك وابن ذئب ونظراؤهما.

حدثني عمي، قال: حدثني الكرابي، قال: حدثني العمري، عن العتبي، عن الحكم بن صخر، قال: انصرف من منى فسمعت زفناً من بعض الحامل، ثم ترنمت جارية فتغنّت:

**من اللاء لم يحججن يبيغين حسبة ولكن ليقتلن البريء المغفلا**

فقلت لها: أهذا مكان هذا يرحمك الله! فقالت: نعم وإياك أن تكونه.

### **أخبار عبد الله بن العباس الربيعي**

#### **نسبه**

عبد الله بن العباس بن الفضل بن الربيع، والربيع -على ما يدعيه أهله- ابن يونس بن أبي فروة، وقيل: إنه ليس ابنه، وآل أبي فروة يدفعون ذلك ويزعمون أنه لقيط، وجد منبوءاً، فكفله يونس بن أبي فروة ورباه، فلما خدم المنصور ادعى عليه، وأخباره مذكورة مع أخبار ابنه الفضل في شعر يغني به من شعر الفضل وهو:

**كنت صباً وقلبي اليوم سالي**

ويكنى عبد الله بن العباس أبا العباس.

**كان شاعراً مطبوعاً ومغنياً جيد الصنعة**

وكان شاعراً مطبوعاً، ومغنياً محسناً جيد الصنعة نادرها، حسن الرواية، حلو الشعر ظريفه، ليس من الشعر الجيد الجزل ولا من المرذول، ولكنه شعر مطبوع ظريف مليح المذهب، من أشعار المترفين وأولاد النعم.  
حدثني أبو القاسم الشيربازي - وكان نديماً لجدي يحيى بن محمد - عن يحيى بن حازم، قال: حدثني عبد الله بن العباس الربيعي، قال:

دخل محمد بن عبد الملك الزيات على الواثق وأنا بين يديه أغنيه، وقد استعادي صوتاً فاستحسنته، فقال له محمد بن عبد الملك: هذا والله يا أمير المؤمنين أولى الناس بإقبالك عليه واستحسانك له واصطناعك إياه، فقال: أجل، هذا مولاي وابن مولاي وابن مولاي لا يعرفون غير ذلك، فقال له: ليس كل مولى - يا أمير المؤمنين - بولي لمواليه، ولا كل مولى متحمل بولائه، يجمع ما جمع عبد الله من ظرف وأدب وصحة عقل وجودة شعر، فقال الحسن له: صدقت يا محمد. فلما كان من الغد جئت محمد بن عبد الملك شاكراً لمحضره، فقلت له في أضعاف كلامي: وأفرط الوزير - أعزه الله - في وصفي وتقريظي بكل شيء حتى وصفني بجودة الشعر وليس ذلك عندي، وإنما أعبث بالبيتين والثلاثة، ولو كان عندي أيضاً شيء بعد ذلك لصغر عن أن يصفه الوزير، ومحله في هذا الباب الحلل الرفيع المشهور، فقال: والله يا أخي، لو عرفت مقدار شعرك وقولك:

**يا شادناً رام إذ مر في السعانيين قتلي**

**يقول لي: كيف أصبحت كيف يصبح مثلي!**

لما قلت هذا القول، والله لو لم يكن لك شعر في عمرك كله إلا قولك: "كيف يصبح مثلي" لكنت شاعراً مجيداً.  
حدثني جحظة، قال: حدثني أحمد بن الطيب، قال: حدثني حماد بن إسحاق، قال: سمعت عبد الله بن العباس الربيعي يقول: أنا أول من غنى بالكنكلة في الإسلام ووضعت هذا الصوت عليها:

**ح ليلاً فقلت له: غادها**

**أتاني يؤامرني في الصبو**

**سبب تعلمه الغناء**

حدثني جعفر بن قدامة، قال: حدثنا علي بن يحيى المنجم، قال: حدثني عبد الله بن العباس الربيعي، قال: كان سبب دخولي في الغناء وتعلمي إياه أني كنت أهوى جارية لعمتي رقية بنت الفضل بن الربيع، فكنت لا أقدر على ملازمتها والجلوس معها خوفاً من أن يظهر ما لها عندي فيكون ذلك سبب منعي منها، فأظهرت لعمتي أنني أشتهي أن أتعلم الغناء ويكون ذلك في ستر عن جدي، وكان جدي وعمتي في حال من الرقة علي والمحبة لي لا نهاية وراؤها، لأن أبي توفي في حياة جدي الفضل، فقالت: يا بني، وما دعاك إلى ذلك؟ فقلت: شهوة غلبت على قلبي إن منعت منها مت غماً، وكان لي في الغناء طبع قوي، فقالت لي: أنت أعلم وما تختاره، والله ما أحب منعك من شيء، وإني لكارهة أن تحذق ذلك وتشهر به فتسقط ويفتضح أبوك وجدك، فقلت: لا تخافي ذلك، فإنما آخذ منه مقدار ما أهو به، ولازمت الجارية لمحبتني إياها بعلقة الغناء، فكنت آخذ عنها وعن صواحبها حتى

تقدمت الجماعة حذفاً، وأقرن لي بذلك، وبلغت ما كنت أريد من أمر الجارية، وصرت أأزم مجلس جدي فكان يسر بذلك ويظنه تقريباً مني إليه، وإنما كان وكدي فيه أخذ الغناء، فلم يكن يمر لإسحاق ولا لابن جامع ولا للزبير بين دحمان ولا لغيرهم صوت إلا أخذته، فكنت سريع الأخذ، وإنما كنت أسمع مرتين أو ثلاثاً، وقد صح لي وأحسست من نفسي قوة في الصناعة، فصنعت أول صوت صنعته في شعر العرجي:

**أماطت كساء الخز عن حر وجهها وأدنت على الخدين برداً مهلهلاً**

ثم صنعت في:

**أقفر من بعد خلة سرف فالمنحني فالعقيق فالجرف**

وعرضتها على الجارية التي كنت أهواها وسألتها عما عندها فيهما، فقالت: لا يجوز أن يكون في الصناعة شيء فوق هذا، وكان جوارى الحارث بن بسخرن وجوارى ابنه محمد يدخلن إلى دارنا فيطرحن على جوارى عمي وجوارى جدي ويأخذن أيضاً مني ما ليس عندهن من غناء دارنا، فسمعتني ألقى هذين الصوتين على الجارية، فأخذتهما مني وسألن الجارية عنهما، فأخبرتهن أنهما من صنعتي، فسألتهما أن تصحهما لهن، ففعلت فأخذتهما عنها، ثم اشتهر حتى غني الرشيد بهما يوماً، فاستظرفهما وسأل إسحاق: هل تعرفهما؟ فقال: لا، وإلهما لمن حسن الصناعة وجيدها ومتقنها، ثم سألت الجارية عنهما فتوقفت خوفاً من عمي وحذراً أن يبلغ جدي أنهما ذكرتني، فانتهرها الرشيد، فأخبرته بالقصة.

**جده ينفي معرفته بأنه يغني**

فوجه من وقته فدعا بجدي، فلما أحضره قال له: يا فضل، يكون لك ابن يغني ثم يبلغ في الغناء المبلغ الذي يمكنه معه أن يصنع صوتين يستحسنهما إسحاق وسائر المغنين ويتداولهما جوارى القيان ولا تعلمني بذلك؟ كأنك رفعت قدره عن خدمتي في هذا الشأن! فقال له جدي: وحق ولائك يا أمير المؤمنين ونعمتك، وإلا فأنا نفي منهما بري من بيعتك وعلي العهد والميثاق والعتق والطلاق، إن كنت علمت بشيء من هذا قط إلا منك الساعة، فمن هذا من ولدي؟ قال: عبد الله بن العباس هو، فأحضرني الساعة. فجاء جدي وهو يكاد أن ينشق غيظاً، فدعاني، فلما خرجت إليه شتمني وقال: يا كلب، بلغ من أمرك ومقدارك أن تجسر على أن تتعلم الغناء بغير إذني، ثم زاد ذلك حتى صنعت، ولم تقنع بهذا حتى ألقىت صنعتك على الجوارى في داري، ثم تجاوزتهن إلى جوارى الحارث بن بسخرن، فاشتهرت وبلغ أمرك أمير المؤمنين، فتنكر لي ولامني وفضحت آباءك في قبورهم، وسقطت الأبد إلا من المغنين وطبقة الخنياكرين. فبكيت غماً بما جرى، وعلمت أنه قد صدق، فرحمي وضمي إليه وقال: قد صارت الآن مصيبتني في أبيك مصيبتين: إحداهما به وقد مضى وفات، والأخرى بك وهي موصولة بحياتي، ومصيبة باقية العار علي وعلى أهلي بعدي، وبكى وقال: عز علي يا بني أن أراك أبداً ما بقيت على غير

ما أحب، وليست لي في هذا الأمر حيلة، لأنه أمر قد خرج عن يدي، ثم قال: جئني بعود حتى أسمعك وأنظر كيف أنت، فإن كنت تصلح للخدمة في هذه الفضيحة، وإلا جئته بك منفرداً وعرفته خبرك واستعفيتك لك، فأنتيه بعود وغنيته غناء قديماً، فقال: لا، بل غني صوتيك اللذين صنعتهما، فغنيته إياهما فاستحسنهما وبكى، ثم قال: بطلت والله يا بني وخاب أملي فيك، فواحزني عليك وعلى أبيك! فقلت له: يا سيدي، ليتني مت من قبل ما أنكرته أو خرس، وما لي حيلة ولكني وحياتك يا سيدي، وإلا فعلي عهد الله وميثاقه والعق والطلاق وكل يمين يلحف بها حالف لازمة لي، لا غنيت أبداً إلا لخليفة أو ولي عهد، فقال: قد أحسنت فيما نبهت عليه من هذا.

### غنى أمام الرشيد فطرب وكافاه

ثم ركب وأمري، فأحضرت فوقفت بين يدي الرشيد وأنا أرعد فاستدنانني حتى صرت أقرب الجماعة إليه ومازحني وأقبل علي وسكن مني، وأمر جدي بالانصراف وأمر الجماعة فحدثوني، وسقيت أقداحاً وغني المغنون جميعاً، فأوماً إلي إسحاق الموصلبي بعينه أن أبدأ فغن إذا بلغت النوبة إليك قبل أن تؤمر بذلك، ليكون ذلك أصلح وأجود بك، فلما جاءت النوبة إلي أخذت عوداً ممن كان إلى جنبي وقمت قائماً واستأذنت في الغناء، فضحك الرشيد وقال: عن جالساً، فجلست وغنيت لحني الأول فطرب واستعاده ثلاث مرات، وشرب عليه ثلاثة أنصاف، ثم غنيت الثاني، فكانت هذه حاله، وسكر، فدعا بمسور فقال له: احمل الساعة مع عبد الله عشرة آلاف دينار وثلاثين ثوباً من فاخر ثيابي، وعيبة مملوءة طيباً، فحمل ذلك أجمع معي.

### المعتصم يأمره بالتكفير عن يمينه

#### والغناء لأصحابه جميعاً

قال عبد الله: ولم أزل كلما أراد ولي عهد أن يعلم من الخليفة بعد الخليفة الوالي أهو أم غيره دعاني فأمرني بأن أغني، فأعرفه بيمينني، فيستأذن الخليفة في ذلك، فإن أذن لي في الغناء عنده عرف أنه ولي عهد، وإلا عرف أنه غير حتى كان آخرهم الوائق، فدعاني في أيام المعتصم وسأله أن يأذن لي في الغناء، فأذن لي، ثم دعاني من الغد فقال: ما كان غناؤك إلا سبباً لظهور سري وسر الخلفاء قبلي، ولقد هممت أن أمر بضرب رقبتك. لا يبلغني أنك امتنعت من الغناء عند أحد، فوالله لئن بلغني لأقتلنك، فأعتق من كنت تملكه يوم حلفت، وطلق من كان يوجد عندك من الحرائر، واستبدل بمن وعلي العوض من ذلك، وأرحنا من يمينك هذه المشؤومة، فقلت وأنا لا أعقل خوفاً منه، فأعتقت جميع من كان بقي عندي من ممالئكي، الذي حلفت يومئذ وهم في ملكي، وتصدقت بجملة، واستفتيت في يميني أبا يوسف القاضي حتى خرجت منها، وغنيت بعد ذلك إخواني جميعاً حتى اشتهر أمرني،

وبلغ المعتصم خبري، فتخلصت منه، ثم غضب علي الوائق لشيء أنكره، وولي الخلافة وهو ساحط علي فكتبت إليه:

أيام أُرهب سطوة السيف

أذكر أمير المؤمنين وسائلي

بين المقام ومسجد الخيف

أدعو إلهي أن أراك خليفة

فدعاني ورضي عني.

حدثني سليمان بن أبي شيخ قال:

دخلت علي العباس بن الفضل بن الربيع ذات يوم وهو محتلط مغتاط وابنه عبد الله عنده، فقلت له: ما لك أمتع الله بك؟ قال: لا يفلح والله ابني عبد الله أبداً. فظننته قد جنى جناية، وجعلت أعتذر إليه له، فقال: ذنبه أعظم من ذلك وأشنع، فقلت: وما ذنبه؟ قال: جاعني بعض غلماني فحدثني أنه رآه بقطربل يشرب نبيذ الداذي بغير غناء، فهل هذا فعل من يفلح؟ فقلت له وأنا أضحك: سهلت علي القصة، قال: لا تقل ذاك فإن هذا من ضعة النفس وسقوط الهممة، فكننت إذا رأيت عبد الله بعد ذلك في جملة المغنين، وشاهدت تبذله في هذه الحال وانخفاضه عن مراتب أهله تذكرت قول أبيه فيه.

### صنع غناء في شعر لأبي العتاهية

قال: وسمعت يوماً يغني بصنعه في شعر أبي العتاهية:

غيرها من الناس رقا

أنا عبد لها مقر وما يملك

زق منها والحمد لله عتقا

ناصح مشفق وإن كنت ما أر

أبدأ ما حبيبت منها ملقى

لينتي مت فاسترحت فإني

لحن عبد الله بن العباس في هذا الشعر رمل.

إسحاق الموصلي يصنع له لحناً من شعره أخبرني جعفر بن قدامة، قال: حدثني علي بن يحيى وأحمد بن حمدون، عن أبيه. وأخبرني لحظة، عن أبي عبد الله الهاشمي، إن إسحاق الموصلي دخل يوماً إلى الفضل بن الربيع وابن ابنه عبد الله بن العباس في حجره قد أخرج إليه وله نحو الستين، وأبوه العباس واقف بين يديه، فقال إسحاق للوقت:

حتى يكون ابنك هذا جدا

مد لك الله الحياة مداً

ثم يفدى مثل ما تقدى

مؤزراً بمجده مردى

وشيماً محموداً ومجدا

أشبه منك سنة وخذاً

كأنه أنت إذا تبدى

قال: فاستحسن الفضل الأبيات وصنع فيها إسحاق لحنه المشهور، وقال جحظة في خبره عن الهاشمي، وهو رمل ظريف من حسن الأرمال ومختارها، فأمر له الفضل بثلاثين ألف درهم.

أصبح العباس بن الفضل مهموماً فنشطه الشعر والشراب أخبرني جعفر بن قدامة، قال: حدثني عبد الله بن عمر، قال: حدثني محمد بن عبد الله بن مالك، قال: حدثني بعض ندماء الفضل بن الربيع قال: كنا عند الفضل بن الربيع في يوم دجن، والسماء ترش وهو أحسن يوم وأطيبه، وكان العباس يومئذ قد أصبح مهموماً، فجهدنا أن ينشط، فلم تكن لنا في ذلك حيلة، فبينما نحن كذلك إذ دخل عليه بعض الشعراء، إما الرقاشي وإما غيره من طبقتة، فسلم وأخذ بعضادتي الباب ثم قال:

ألا أنعم صباحاً يا أبا الفضل واربع  
على مربع القطربلي المشعشع  
وعلل ندامك العطاش بقهوة  
لها مصرع في القوم غير مروع  
فإنك لاق كلما شئت ليلة  
ويوماً يغصان الجفون بأدمع

قال: فبكى العباس وقال: صدقت والله، إن الإنسان ليلقى ذلك متى يشاء، ثم دعا بالطعام فأكل، ثم دعا بالشراب فشرب ونشط، ومر لنا يوم حسن طيب.

وسط أحمد بن المرزبان المنتصر حدثني عمي، قال: حدثني أحمد بن المرزبان، قال: جاءني عبد الله بن العباس في خلافة المنتصر وقد سألتني عرض رقعة عليه، فأعلم أني نائم، وقد كنت شربت بالليل شرباً كثيراً، فصليت الغداة ونمت، فلما انتبهت إذا رقعة عند رأسي وفيها مكتوب:

أنا بالباب واقف منذ أصبحت  
على السرج ممسك بعناني  
وبعين البواب كل الذي بي  
ويراني كأنه لا يراني

فأمرت بإدخاله، فدخل، فعرفته خبري واعتذرت إليه وعرضت رقعته على المنتصر وكلمته حتى قضى حاجته. غناؤه مع إسحاق أخبرني محمد بن يزيد بن أبي الأزهر، قال: حدثنا حماد بن إسحاق، قال: دعا عبد الله بن العباس الربيعي يوماً أبي، وسأله أن يبكر إليه ففعل، فلما دخل بادر إليه عبد الله بن العباس ملتقياً وفي يده العود وغناه:

قم نصطبج بفيديك كل مبخل  
عاب الصبوح لحبه للمال  
من قهوة صفراء صرف مزة  
قد عتقت في الدن مذ أحوال

قال: وقدم الطعام فأكلنا واصطبحننا، واقترح أبي هذا الصوت عليه بقية يومه. يناشد الشعر مع إسحاق بعد أن غنى قال: وأتيت في داره بالمطيرة عائداً، فوجدته في عافية، فجلسنا نتحدث فأنشدته لذي الرمة:

إذا ما امرؤ حاولن أن يقتتلنه  
بلا إحنة بين النفوس ولا ذحل

تبسمن عن نور الأقاحي في الثرى  
وكشفن عن أجياد غزلان رملة  
وإننا لنرضى حين نشكو بخلوة  
وما الفقر أزرى عندهن بوصلنا  
وفترن عن أبصار مكحولة نجل  
هجان فكان القتل أو شبهة القتل  
إليهن حاجات النفوس بلا بذل  
ولكن جرت أخلاقهن على البخل

قال: فأنشديني هو:

أنى اهتدت لمناخنا جمل  
طرقت أخوا سفر وناجية  
في مهمه هجع الدليل به  
فكأن أحدث من ألم به  
ومن الكرى لعيوننا كحل  
خرقاء عرفني بها الرجل  
وتعللت بصريفها البزل  
درجت على آثاره النمل

قال إسحاق: فقال لي عبد الله بن العباس: كل ما يملك في سبيل الله إن فارقتك ولم نصطبح على هذين الشعرين، وأنشدك وتنشديني، ففعلنا ذلك وما غنيا ولا غنيا.

اصطبح مع خادم صالح بن عجيف على زنا بنت الخس أخبرني محمد بن يزيد، قال: حدثنا حماد بن إسحاق، عن أبيه، قال: لقيت عبد الله بن العباس يوماً في الطريق فقلت له: ما كان خيرك أمس؟ فقال: اصطبحت، فقلت: على ماذا ومع من؟ فقال: مع خادم صالح بن عجيف، وأنت به عارف، وبخبري معه ومحبي له عالم، فاصطبحنا على زنا بنت الخس لما حملت من زناً، وقد سئلت: ممن حملت؟ فقالت:

أشم كغصن البان جعد مرجل  
تكلت أبي إن كنت ذقت كريقه  
وأقسم لو خيرت بين فراقه  
فإن لم أوسد ساعدي بعد هجعة  
شغفت به لو كان شيئاً مدانيا  
سلافاً ولا عذباً من الماء صافيا  
وبين أبي لاخترت أن لا أبا ليا  
غلاماً هلالياً فشلت بنانيا

فقلت له: أقمت على لواط وشربت على زنا، والله ما سبقك إلى هذا أحد.

طلب من فائز غلام محمد بن راشد الغناء وهم يشربون أخبرني محمد بن العباس اليزيدي، قال: أخبرني ميمون بن هارون، قال: كان محمد بن راشد الخناق عند عبد الله بن العباس بن الفضل بن الربيع على القاطول في أيام المعتصم، وكان لمحمد بن راشد غلام يقال له: فائز، يغني غناءً حسناً، فأظلمت سحابة وهم يشربون، فقال عبد الله بن العباس:

محمد قد جادت علينا بمائها  
سحابة مزن برقها يتهلل

ونحن من القاطول في مترج  
ومزلنا فيه المنابت مبقل  
فمر فائزاً يشدو إذا ما سقيتني  
أعن ظعن الحي الألى كنت تسأل  
ولا تسقني إلا حلالاً فأيني  
أعاف من الأشياء ما لا يحلل

قال: فأمر محمد بن راشد غلامه فائزاً، فغناه بهذا الصوت، وشرب عليه حتى سكر.  
قال: وكان أبو أحمد بن الرشيد قد عشق فائزاً، فاشتراه من محمد بن راشد بثلاثمائة ألف درهم، فبلغ ذلك  
المأمون، فأمر بأن يضرب محمد بن راشد ألف سوط، ثم سئل فيه فكف عنه، وارتجع منه نصف المال، وطالبه  
بأكثر فوجده قد أنفقتة وقضى دينه، ثم حجر على أبي أحمد بن الرشيد، فلم يزل محجوراً عليه طوال أيام المأمون؛  
وكان أمر بماله مردوداً إلى مخلص بن أبان.

### شرب الخمر في رمضان إلى الفجر

أخبرني الحسن بن علي، قال: حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه، قال: أخبرني ابن الجرجاني، قال: اتفق يوم  
النيروز في شهر رمضان، فشرب عبد الله بن العباس بن الفضل في تلك الليلة إلى أن بدا الفجر أن يطلع، وقال في  
ذلك وغنى فيه قوله:

اسقني صفراء صافية  
ليلة النيروز والأحد  
حرم الصوم اصطبأحكما  
فتزود شربها لغد

صنع لحناً للوائق وغناه في يوم نيروز فلم يستعد غيره أخبرني عمي، قال: حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه،  
قال: حدثني غبراهيم بن المدبر، قال: قال لي محمد بن الفضل الجرجاني: أنشدت عبد الله بن العباس الربيعي  
للمعلى الطائي:

باكر صبوحك صبحة النيروز  
واشرب بكأس مترع وبكوز  
ضحك الربيع إليك عن نواره  
آس ونسرير ومر ماحوز

فاستعادنيهما فأعدتهما عليه، وسألني أن أمليهما، وصنع فيهما لحناً غنى به الوائق في يوم نيروز، فلم يستعد غيره  
يومئذ، وأمر له بثلاثين ألف درهم.

تأثر من شعر لجميل إلى أن بكى أخبرني جعفر بن قدامة، قال: حدثني علي بن يحيى، قال:  
أنشدني عبد الله بن العباس بن الفضل بن الربيع لجميل، وأنشدني وهو يبكي ودموعه تنحدر على لحيته.  
صوت

فما لك لما خبر الناس أنني  
غدرت بظهر الغيب لم تسليني  
فأحلف بتاً أو أجيء بشاهد  
من الناس عدل إنهم ظلموني

قال: وله فيه صنعة من خفيف الثقل وخفيف الرمل.

### كان مصطباً دهره

#### ويقول الشعر في الصبوح

أخبرني عمي، قال: حدثني عبيد الله بن محمد بن عبد الملك الزيات، قال: حدثنا نافذ مولانا، قال: كان عبد الله بن العباس صديقاً لأبيك، وكان يعاشره، كثيراً وكان عبد الله بن العباس مصطباً دهره يفوته ذلك إلا في يوم جمعة أصوم شعر رمضان، وكان يكثر المدح للصبوح ويقول الشعر فيه، ويعني فيما يقوله، قال عبيد الله: فأنشدني نافذ مولانا وغيره من اصحابنا في ذلك، منهم حماد بن إسحاق: صوت

في فتية باصطباح الراح حذاق

ومستطيل على الصهباء باكرها

وكل شخص رآه خاله الساقى

فكل شيء رآه خاله قدحاً

قال: ولحنه فيه خفيف رمل ثقيل. قال حماد: وكان أبي يستجيد هذا الصوت من صنعته، ويستحسن شعره ويعجب من قوله:

وكل شخص رآه خاله الساقى

فكل شيء رآه خاله قدحاً

ويعجب من قوله:

ومستطيل على الصهباء باكرها

ويقول: وأي شيء تحته من المعاني الظريفة!

قال: وسمعه أبي يعنيه فقال له: كأنك والله يا عبد الله خطيب يخطب على المنبر، قال عبد الله بن محمد: فأنشدني حماد له في الصبوح:

فالعيش شرب الصبوح

لا تعذلن في صبوحى

ط غير وغد شحيح

ما عاب مصطباً ق

قال عمي: قال عبيد الله: دخل يوماً عبد الله بن العباس الربيعي على أبي مسلماً، فلما استقر به المجلس وتحادثا ساعة قال له: أنشدني شيئاً من شعرك، فقال: إنما أعبت ولست ممن يقدم عليك بإنشاد شعره، فقال: أتقول هذا وأنت القائل:

يا شادناً رام إذ مر في الشعانين قتلى

تقول لي: كيف أصبحت؟ كيف يصبح مثلي!

أنت والله أعزك الله أغزل الناس وأرقهم شعراً، ولو لم تقل غير هذا البيت الواحد لكفكاف ولكنك شاعراً.

## كتب شعراً في ليلة مقمرة

### وصنع فيه لحناً

أخبرني عمي والحسين بن القاسم الكوكبي، قالا: حدثنا أحمد بن أبي الطاهر، قال: حدثني أحمد بن الحسين الهشامي أبو عبد الله، قال: حدثني عبد الله بن العباس بن الفضل بن الربيع قال: كنت جالساً على دجلة في ليلة من الليالي، وأخذت دواة وقرطاساً وكتبت شعراً حضرني وقتته في ذلك الوقت: صوت

فاصبر فذا جل أمر ذا القدر

أخلفك الدهر ما تنتظره

فرقنا والزمان ذو غير

لعلنا أن نديل من زمن

قال: ثم أرتج علي فلمأدر ما أقول حتى يقتس من أن يجيئي شيء، فالتفت فرأيت القمر وكانت ليلة تتمته فقلت:

إن كان قد ضن عنك بالنظر

فانظر إلى البدر فهو يشبهه

ثم صنعت فيه لحناً من الثقيل الثاني. قال أبو عبد الله الهشامي: وهو والله صوت حسن.

وصف البرق وصنع فيه لحناً غناه للوائق أخبرني جحظة عن ابن حمدون، وأخبرني الكوكبي، عن علي بن محمد بن نصر، عن خالد بن حمدون، قال: كنا عند الواثق في يوم دجن، فلاح برق واستطار، فقال: لو في هذا شيء، فبدرهم عبد الله بن العباس بن الفضل بن الربيع، فقال هذين البيتين:

خفي كلمحك بالحاجب

أعني على لامع بارق

يدا كاتب أو يدا حاسب

كأن تألقه في السماء

وصنع فيه لحناً شرب فيه الواثق بقية يومه، واستحسن شعره ومعناه وصنعتة، ووصل عبد الله بصلة سنية. صنع لحناً في شعر الحسين بن الضحاك وغناه حدثني عمي، قال: حدثنا عبد الله بن أبي سعد، قال: حدثني محمد بن محمد بن مروان، قال: حدثني الحسين بن الضحاك، قال: كنت عند عبد الله بن العباس بن الفضل بن الربيع، وهو مصطبح، وخادم له قائم يسقيه فقال لي: يا أبا علي، قد استحسنت سقي هذا الخادم، فإن حضرك شيء في قصتنا هذه فقل، فقلت:

وطاب يومي بقرب أشباهي

أحيت صبوحى فكاهة اللاهية

من قبل يوم منغص ناهي

فاستنثر اللهو من مكامنه

مؤترر بالمجون تياه

بابنة كرم من كف منتطق

سقي لطيف مجرب داهي

يسقيك من طرفه ومن يده

حيران بين الذكور والساهي

طاساً وكاساً كأن شاربها

فاستحسنه عبد الله، وغنى فيه لحناً مليحاً، وشربنا عليه بقية يومنا.

قصته مع جارية نصرانية أحبها أخبرني عمي، قال: حدثنا أبو عبد الله أحمد بن المرزبان بن الفيروزن، قال: حدثني شيبه بن هشام، قال: كان عبد الله بن العباس بن الفضل بن الربيع قد علق جارية نصرانية قد رآها في بعض أعياد النصارى، فكان لا يفارق البيع في أعيادهم شغفاً بها، فخرج في عيد ماسرجيس فظفر بها في بستان إلى جانب البيعة، وقد كان قبل ذلك يرأسلها ويعرفها حبه لها، فلا تقدر على مواصلته ولا على لقائه إلا على الطريق، فلما ظفر بها التوت عليه وأبت بعض الإباء، ثم ظهرت له وجلست معه، وأكلوا وشربوا، وأقام معها ومع نسوة كن معها أسبوعاً، ثم انصرفت في يوم خميس، فقال عبد الله بن العباس في ذلك وغنى فيه:

رب صهباء من شراب المجوس      قهوة بابلية خندريس  
قد تجليتها بناي وعود      قبل ضرب الشمس بالناقوس  
وغزال مكحل ذي دلال      ساحر الطرف سامري عروس  
قد خلونا بطيبه نجتليه      يوم سبت إلى صباح خميس  
ينتنى بحسن جيد غزال      وصليت مفضض أبنوسي  
كم لثمت الصليب في الجيد منها      كهلال مكلل بشموس

تطير من الغراب واستبشر بالهدهد أخبرني عمي، قال: حدثني أحمد بن المرزبان، عن شيبه بن هشام، قال: كان عبد الله بن العباس يوماً جالساً ينتظر هذه النصرانية التي كان يهواها، وقد وعدته بالزيارة، فهو جالس ينتظرها ويفقدتها إذ سقط غراب على برادة داره فنعب مرة واحدة ثم طار، فتطير عبد الله من ذلك ولم يزل ينتظرها يومه فلم يراها، فأرسل رسوله عشاء يسأل عنها، فعرف أنها قد انحدرت مع أبيها إلى بغداد، فتنغص عليه يومه، وتفرق من كان عنده، ومكث مدة لا يعرف لها خبراً. فبينما هو جالس ذات يوم مع أصحابه، إذ سقط هددهد على برادته، فصاح ثلاثة أصوات وطار، فقال عبد الله بن العباس: وأي شيء أبقى الغراب للهدهد علينا؟ وهل ترك لنا أحد يؤذينا بفراقه؟ وتطير من ذلك، فما فرغ من كلامه حتى دخل رسولها يعلمه أنها قد قدمت منذ ثلاثة أيام، وأنها قد جاءت زائرة على إثر رسولها، فقال في ذلك من وقته:

سفاك الله يا هددهد وسميا من القطر

كما بشرت بالوصل      وما أنذرت بالهجر  
فكم ذا لك من بشرى      أنتتني منك في ستر  
كما جاءت سليمان      فأوفت منه بالندر

ولا زال غراب البين في قفاعة الأسر

## كما صرح بالبين

## وما كنت به أدري

ولحنه في هذا الشعر هزج.

غني للمتوكل لحناً لم يعجبه فذكره بألحان له سابقة حدثني عمي، قال: حدثني ميمون بن هارون، قال: قال إسحاق بن إبراهيم بن مصعب: قال لي عبد الله بن العباس الربيعي: لما صنعت لحن في شعري:

من قهوة عنقت بكركين

ألا أصبحاني يوم السعانيين

وإن تولوا ديناً سوى ديني

عند أناس قلبي بهم كلف

جود أبيه وبأس هارون

قد زين الملك جعفر وحكى

أخاف أهل الإلحاد في الدين

وأمن الخائف البريء كما

دعاني المتوكل فلما جلست في مجلس المنادمة غنيت هذا الصوت فقال لي: يا عبد الله، إين غناؤك في هذا الشعر في أيامي هذه من غنائك في:

وأدنت على الخدين برداً مهلهلاً

أماطت كساء الخز عن حر وجهها

ومن غنائك في:

فالمحنى فالعقيق فالجرف

أفقر من بعد حلة سرف

ومن سائر صنعتك المتقدمة التي استفرغت محاسنك فيها، فقلت له: يا أمير المؤمنين، إني كنت أتغني في هذه الأصوات ولي شبابا وطرب وعشق، ولو رد علي لغنيت مثل ذلك الغناء، فأمر بجائزة واستحسن قولي. غني للمنتصر بشعر لم يطلبه منه فلم يصله بشيء حدثني عمي، قال: حدثنا أحمد بن المرزبان، قال: حدثني أبي، قال:

ذكر المنتصر يوماً عبد الله بن العباس وهو في قراح النرجس مصطبج، فأحضره وقال له: يا عبد الله، اصنع لحناً في شعري الفلاني، وغني به، وكان عبد الله حلف لا يغني في شعره، فأطرق ملياً، ثم غنى في شعره قاله للوقت وهو:

في مجلس ما مثله من مجلس!

يا طيب يومي في قراح النرجس

نار تشب لبائس مستقبس

تسقى مشعشة كأن شعاعها

قال: فجهد أبي بالمنتصر يوماً واحتال عليه بكل حيلة أن يصله بشيء فلم يفعل.

غني للمتوكل فأطربه وأمر له بجائزة حدثني عمي، قال: حدثني أحمد بن المرزبان، قال: حدثني أبي، قال: غضبت قبيحة على المتوكل وهاجرتة، فجلس ودخل المجلس والمغنون، وكان فيهم عبد الله بن العباس الربيعي، وكان قد عرف الخير، فقال هذا الشعر وغنى فيه:

وامض عني مصاحباً بسلام

لست مني ولست منك فدعني

فصارت تعتل بالأحلام

لم تجد علة تجنى بها الذنب

قد رأينا خلاف ذا في المنام

فإذا ما شكوت ما بي قالت:

قال: فطرب المتوكل وأمر له بعشرين ألف درهم وقال له: إن في حياتك يا عبد الله لأنساً وجمالاً وبقاء للمروءة والظرف.

غني بشعر للسليك أخبرني عمي، قال: حدثني أحمد بن المرزبان، قال: حدثني أبي، قال: حدثني عبد الله بن العباس الربيعي، قال: كنت في بعض العساكر فأصابتنا السماء حتى تأذينا، فضربت لي قبة تركية، وطرح لي فيها سريران، فخطر بقلبي قول السليك: صوت

واطرح السرج عليه واللجام

قرب النخام واعجل يا غلام

غمرة الضرب فمن شاء أقام

أبلغ الفتيان أنى خائض

فغنيت فيه لحني المعروف، وغدونا فدخلت مدينة، فإذا أنا برجل يغني به والله ما سبقني إليه أحد ولا سمعه مني أحد، فما أدري من الرجل، ولا من أين كان له، وما أرى إلا أن الجن أوقعته في لسانه!.  
غنى محمد بن الجهم فاحتمل خراجه في سنة حدثني عمي، قال: حدثني أحمد بن المرزبان، قال: حدثني أبي، قال: حدثني عبد الله بن العباس الربيعي، قال: كنت عند محمد بن الجهم الرمكي بالأهواز، وكانت ضيعتي في يده، فغنيتها في يوم مهرجان وقد دعانا للشرب: صوت

يوم سرور قد حف بالزبين

المهرجان ويوم الاثنين

برد شتاء ما بين فصلين

ينقل من وغرة المصيف إلى

للمجد بيتاً من خير بيتين

محمد يا بن الجهم ومن بنى

في طيب عيش وقرة العين

عش ألف نيروز ومهرج فرحاً

قال: فسر بذلك واحتمل خراجي في تلك السنة، وكان مبلغه ثلاثين ألف درهم.

**عشق جارية عند أبي عيسى بن الرشيد**

**فوجه بها معه إلى منزله**

أخبرني الحسن بن علي، قال: حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه، قال: حدثني ابن أبي سعد، قال: حدثني أبو توبة القطراني، عن محمد بن حسين، قال: كنا عند أبي عيسى بن الرشيد في زمن الربيع ومعنا مخارق، وعلوية، وعبد الله بن العباس الربيعي، ومحمد بن الحارث بن بسخر، ونحن مصطحبون في طارمة مضروبة على بستانه،

وقد تفتح فيه ورد وياسمين وشقائق، والسماء متغيمة غيماً مطبقاً، وقد بدأت ترش رشاً ساكباً، فنحن في أكمل نشاط وأحسن يوم إذ خرجت قيمة دار أبي عيسى فقالت: يا سيدي، قد جاءت عساليح، فقال: لتخرج إلينا، فليس بحضرتنا من تحتشمه، فخرجت إلينا جارية شكلة حلوة، حسنة العقل والهيئة والأدب، في يدها عود. فسلمت، فأمرها أبو عيسى بالجلوس فجلست، وغنى القوم حتى انتهى الدور إليها، وظننا أنها لا تصنع شيئاً وخفنا أن هابنا فتحصر، فغنت غناء حسناً مطرباً متقناً، ولم تدع أحداً ممن حضر إلا غنت صوتاً من صنعته وأدته على غاية الإحكام، فطربنا واستحسننا غنائها وخاطبناها بالاستحسان، وألح عبد الله بن العباس من بيننا بالاقتراح عليها والمزاح معها والنظر إليها، فقال له أبو عيسى: عشقتها وحياتي يا عبد الله، قال: لا والله يا سيدي وحياتك مع عشقتها، ولكني استحسننت كل ما شاهدت منها من منظر وشكل وعقل وعشرة وغناء، فقال له أبو عيسى: فهذا والله هو العشق وسببه، ورب جد جره اللعب. وشربنا، فلما غلب النبيذ على عبد الله غنى أهزاجاً قديمة وحديثة، وغنى فيما غنى بينهما هزجاً في شعر قاله فيها لوقته، فما فطن له إلا أبو عيسى وهو: صوت

كم يرى المكنوم يخفى لا يضح

نطق السكر بسري فبدا

لم يدع ذا صبوة أو يفتضح

سحر عينيك إذا ما رنتا

عندها صبا بها لم يسترح

ملكيت قلباً فأمسى غلقاً

جل عن أين يبتقيه المقترح

بجمال وغناء حسن

كنت مسروراً بمرآه فرح

أورث القلب هموماً ولقد

بكر اللهو بكور المصطبج

ولكم مغتبق هما وقد

-الغناء لعبد الله بن العباس هزج - فقال له أبو عيسى: فعلتها والله يا عبد الله، وطار طرباً، وشرب على الصوت وقال له: صح والله قولي لك في عساليح. وأنت تكابريني حتى فضحك السكر. فحجده، وقال: هذا غناء كنت أرويه، فحلف أبو عيسى أنه ما قاله ولا غناه إلا في يومه، وقال له: احلف بحياتي أن الأمير ليس هو كذلك، فلم يفعل، فقال له أبو عيسى: والله لو كانت لي لوهبتها لك، ولكنها لآل يحيى بن معاذ، والله لئن باعوها لأملكك إيها ولو بكل ما أملك، وحياتي لتصرفن قبلك إلى مترلك، ثم دعا بحافظتها وخدام من خخدمه، فوجه بها معهما إلى مترله. والتوى عبد الله قليلاً وتجلد، وجاحدنا أمره ثم انصرف. اشترت عمته عساليح ثم وهبتها له واتصل الأمر بينهما بعد ذلك، فاشترتها عمته رقية بنت الفضل بن الربيع من آل يحيى بن معاذ، وكانت عندهم حتى ماتت.

فحدثني جعفر بن قدامة بن زياد عن بعض شيوخه -سقط عني اسمه- قال: قالت بذل الكبيرة لعبد الله بن العباس: قد بلغني أنك عشقت جارية يقال لها عساليح فأعرضها علي، فيما أن عذرتك وإما أن عذلتك، فوجه

إليها فحضرت، وقال لبذل: هذه هي يا سيّ فانظري واسمعي، ثم مريني بما شئت أطلعك، فأقبلت عليه عساليح وقالت: يا عبد الله أتشاور في؟ فوالله ما شاروت لما صاحبتك، فنعرت بذل وصاحت: إيه، أحسنت والله يا صبية، ولو لم تحسني شيئاً ولا كانت فيك خصلة تحمد لوجب أن تعشقي لهذه الكلمة، أحسنت والله، ثم قالت لعبد الله: ما ضيعت، احتفظ بصاحبتك.

غني الواصل في يوم نيروز فأمر له بجائزة حدثني عمي، قال: حدثني محمد بن المرزبان، عن أبيه، عن عبد الله بن العباس، قال: دعانا الواصل في يوم نوروز، فلم دخلت عليه غنيته في شعر قلته وصنعت فيه لحناً وهو:

هي للنيروز جاما  
يحمدون الله والوا  
ومداماً وندامي  
ما رأى كسرى أنوشير  
ثق هارون الإمام  
نرجساً غضاً وورداً  
وإن مثل العام عاماً  
وبهاراً وخزامى

قال: فطرب واستحسن الغناء، وشرب عليه حتى سكر، وأمر بثلاثين ألف درهم.

حدثني عمي، قال: حدثني أحمد بن المرزبان، قال: حدثني شيبه بن هشام قال: ألفت متيم على جوارينا هذا اللحن وزعمت أنها أخذته من عبد الله بن العباس والصنعة له: صوت

أخذت عدوة  
وفديتها بأقاربي  
فسقى الإله عدوتي  
وبأسرتي وبجيرتي  
جدلت كجدل الخيزرا  
واستيقنت أن الفؤا  
د يحبها فأدلت

عشق مصايح وقال فيها شعراً قال: ثم حدثنا متيم أن عبد الله بن العباس كان يتعشق مصايح جارية الأحذب المقيين، وأنه قال هذا الشعر فيها، وغنى فيه هذا اللحن بحضرتها، فأخذته عنه. هكذا ذكر شيبه بن هشام من أمر مصايح، وهي مشهورة من جوارى آل يحيى بن معاذ، ولعلها كانت لهذا المقيين قبل أن يملكها آل يحيى، وقبل أن تصل إلى رقية بنت الفضل بن الربيع.

وحدثنا أيضاً عمي، قال: حدثنا أحمد بن المرزبان، عن شيبه ابن هشام، قال: كان عبد الله بن العباس يتعشق جارية الأحذب المقيين - ولم يسمها في هذا الخبر - فغاضبها في شيء بلغه عنها، ثم رام بعد ذلك أن يترضاها فأبت، وكتب إليها رقعة يحلف لها على بطلان ما أنكرته، ويدعو الله على من ظلم، فلم تجبه عن شيء مما كتب به، ووقعت تحت دعائه: آمين، ولم تجب عن شيء مما تضمنته الرقعة بغير ذلك، فكتب إليها:

أما سروري بالكنا  
ب فليس يفنى ما بقينا

## وأتى الكتاب وفيه لي

## أمين رب العالمينا

قال: وزارته في ليلة من ليالي شهر رمضان وأقامت عنده ساعة، ثم انصرفت وأبت أن تبيت وتقيم ليلتها عنده، فقال هذا الشعر وغنى فيه هزجاً وهو مشهور من أغانيه وهو: صوت

ما بين لهم أمسى يؤرقني  
عني ولم أدر أنها حضرت  
إني سقيم موله دنف  
جودي له بالشفاء منيته  
حتى مضى شطر ليلة الجهني  
كذاك من كان حزنه حزني  
أسقمني حسن وجهك الحسن  
لا تهجري هائماً عليك ضني

قال: وليلة الجهني ليلة تسع عشرة من شهر رمضان، قال رجل من جهينة: إنه رأى فيها ليلة القدر فيما يرى النائم فسميت ليلة الجهني.

غنى في دار محمد بن حماد أخبرني عمي، قال: حدثنا أحمد بن المرزبان، قال: حدثني شيبه بن هشام، قال: دعانا محمد بن حماد بن دنقش وكان له ستارة في نهاية الوصف، وحضر معنا عبد الله بن العباس، فقال عبد الله وغنى فيه:

دع عنك لومي فإنني غير منقاد  
فلست أعرف لي يوماً سررت به  
إلى الملام وإن أحببت إرشادي  
كمثل يومي في دار ابن حماد

غنى الواثق بشعر ذكرت فيه أعياد النصارى فخشي أن يتنصر أخبرني يحيى بن علي بن يحيى، قال: حدثني أبو أيوب المديني، قال: حدثني ابن المكي، عن عبد الله بن العباس، قال: لما صنعت الحني في شعري:

يا ليلة ليس لها صبح  
من شادن مر على وعده المي  
وموعداً ليس له نجح  
لاد والسلاق والذبح

-هذه أعياد النصارى - غنيته الواثق فقال: ويلكم، أدركوا هذا لا يتنصر، وتمام هذا الشعر:

وفي السعائين لو أني به  
فإنه أستعدي على ظالم  
وكان أقصى الموعد الفصح  
لم يغن عنه الجود والشح

نسخت من كتاب أبي سعيد السكري: قال أبو العتاهية: وفيه لعبد الله بن العباس غناء حسن:

أنا عبد لها مقر وما يملك لي  
ناصر مشفق وإن كنت ما أر  
غيرها من الناس رقا  
زق منها والحمد لله عتقا  
ومن الحين والشقاء تعلقت

## إن شكوت الذي لقيت إليه

## صدعني وقال: بعداً وسحقاً

حكى حاله في غناء بحضرة حمدون بن إسماعيل أخبرني عمي، حدثني علي بن محمد بن نصر، عن جده حمدون بن إسماعيل، قال: دخلت يوماً إلى عبد الله بن العباس الربيعي، وخادم له يسقيه، وييده عوده، وهو يغني هذا الصوت:

## إذا اصطبحت ثلاثاً

## وكان عودي نديمي

## والكأس تغرب ضحكاً

## من كف ظبي رخم

## فما علي طريق

## لطارقات الهموم

قال: فما رأيت أحسن مما حكى حاله في غنائه، ولا سمعت أحسن مما غنى.

عشق غلام حزام خادم المعتصم أخبرني الحسين بن القاسم الكوكبي، قال: حدثنا عبد الله بن أبي سعد، قال: حدثني دوسر الخراساني قال: اشترى حزام خادم المعتصم خادماً نظيفاً، كان عبد الله بن العباس بن الفضل بن الربيع يتعشقه، فسأله هبته له أو يبعه منه فأبى، فقال عبد الله أبياتاً وصنع فيها غناء، وهي قوله:

## يوم سبت فصرفا لي المداما

## واسقياني لعلني أنا أناما

## شرد النوم حب ظبي غرير

## ما أراه يرى الحرام حراما

## اشتراه يوماً بعلفة يوم

## أصبحت عنده الدواب صياما

فاتصلت الأبيات وخبرها بحزام، فخشيت أن تشتهر ويسمعاها المعتصم فيأتي عليه؛ فبعث بالغلام إلى عبد الله، وسألن عن يمسك عن الأبيات، ففعل.

إبراهيم الموصلي يغني أمام الرشيد لحناً من صنعته فيرسل إليه ويلزمه حدثني الصولي، قال: حدثني الحسين بن يحيى، قال: قلت لعبد الله بن العباس: إنه بلغني لك خبر مع الرشيد أو ما شهرت بالغناء، فحدثني به، قال: نعم أول صوت صنعته:

## أتاني يؤامرني في الصبو

## ح ليلاً فقلت له: غاها

فلما أتى لي وضربت عليه بالكنكلة؛ عرضته على جارية لنا يقال لها راحة، فاستحسنته وأخذته عني، وكانت تختلف إلى إبراهيم الموصلي، فسمعها يوماً تغنيه وتناغي به جارية من جواريه، فاستعادها إياه وأعادته عليه، فقال لها: فمن هذا؟ فقالت: صوت قديم، فقال لها: كذبت، لو كان قديماً لعرفته، وما زال يداريها ويتغاضب عليها حتى اعترفت له بأنه من صنعتي، فعجب من ذلك، ثم غناه يوماً بحضرة الرشيد، فقال له: لمن هذا اللحن يا إبراهيم؟ فأمسك على الجواب وخشي أن يكذبه فينمي الخبر إليه من غيره، وخاف من جدي أن يصدقه، فقال له: ما لك لا تجيبني؟ فقال: لا يمكنني يا أمير المؤمنين، فاستراب بالقصة، ثم قال: والله، وتربة المهدي لئن لم

تصدقني لأعاقبناك عقوبة موجعة، وتوهم أنه لعلية أو لبعض حرمه فاستطير غضباً، فلما رأى إبراهيم الجد منه صدقه فيما بينه وبينه سراً، فدعا لوقته الفضل بن الربيع ثم قال له: أيصنع ولدك غناء ويرويه الناس ولا تعرفني؟ فجزع وحلف بحياته وبيعته أنه ما عرف ذلك قط، ولا سمع به إلا في وقته ذلك، فقال له: ابن ابنك عبد الله بن العباس أحضرني الساعة، فقال: أنا أمضي وأمتحنه، فإن كان يصلح للخدمة أحضرته، وإلا كان أمير المؤمنين أولى من ستر عورتنا، فقال: لا بد من إحضاره. فجاء جدي فأحضرني وتغيظ علي، فاعتذرت وحلفت له أن هذا شيء ما تعمدته، وإنما غنيت لنفسي، وما أدري من أين خرج، فأمر بإحضار عود فأحضر، وأمرني فغنيت الصوت، فقال: قد عظمت مصيبي فيك يا بني، فحلفت له بالطلاق والعنق ألا أقبل على الغناء رفاً أبداً، ولا أغني إلا خليفة أو ولي عهد، ومن لعله أن يكون حاضراً مجالسهم، فطابت نفسه. فأحضرني، فغنيت الرشيد الصوت فطرب وشرب عليه أقداحاً، وأمرني بالملازمة مع المجلساء، وجعل لي نوبة، وأمر بحمل عشرة آلاف دينار إلى جدي، وأمره أن يبتاع ضيعة لي بها، فابتاع لي ضيعة بالأهواز، ولم أزل ملازماً للرشيد حتى خرج إلى خراسان، وتأخرت عنه وفرق الموت بيننا.

### افترض الواثق مالاً ليعطيه له

قال ابن المرزبان: فكان عبد الله بن العباس سبباً لمعرفة أولياء العهد برأي الخلفاء فيهم، فكان منهم الواثق، فإنه أحب أن يعرف: هل يوليه المعتصم العهد بعده أم لا، فقال له عبد الله: أنا أدلك على وجه تعرف به ذلك، فقال: ما هو؟ فقال: تسأل أمير المؤمنين أن يأذن للجلساء والمغنين أن يصيروا إليك، فإذا فعل ذلك فاحلح عليهم وعلي معهم، فإني لا أقبل خلعتك لليمين التي علي؛ ألا أقبل رفاً إلا من خليفة أو ولي عهد. فقعد الواثق ذات يوم وبعث إلى المعتصم وسأله الإذن إلى المجلساء، فأذن لهم، فقال عبد الله بن العباس: قد علم أمير المؤمنين يميني، فقال له: امض إليه فإنك لا تحنت، فمضى إليه وأخبره الخبر فلم يصدقه، وظن أنه يطيب نفسه، فحلح عليه وعلى الجماعة، فلم يقبل عبد الله خلعته، وكتب إلى المعتصم يشكوه، فبعث إليه: اقبل الخلعة، فإنه ولي عهدي، ونمي إليه الخبر أن هذا كان حيلة من عبد الله، فنذر دمه، ثم عفا عنه.

وسر الواثق بما جرى، وأمر إبراهيم بن رباح، فاقترض له ثلثمائة ألف درهم، ففرقها على المجلساء، ثم عرف غضب المعتصم على عبد الله بن العباس واطراحه إياه، فاطرحه هو أيضاً. فلما ولي الخلافة استمر على جفائه، فقال عبد الله:

أيام أُرهب سطوة السيف

ما لي جفيت وكننت لا أحفي

بين المقام ومسجد الخيف

أدعو إلهي أن أراك خليفة

ودس من غناه الواثق، فلما سمعه سأل عنه، فعرف قائله، فتذمم ودعا عبد الله فبسطه ونادمه إلى أن مات. وذكر العتاي عن ابن الكلبي أن الواثق كان يشتهي على عبد الله بن العباس:

## أيها العاذل جهلاً تلوم

## قبل أن ينجاب عنه الصريم

وأنه غناه يوماً فأمر بأن يخلع عليه خلعة، فلم يقبلها ليمينه، فشكاه إلى المعتصم، فكاتبه في الوقت، فكتب إليهمع مسرور سمانة: اقبل خلع هارون فإنك لا تحث، فقبلها وعرف الواثق أنه ولي عهد.  
خرج يوم الشعانين ليرى محبوبته النصرانية حدثني عمي، قال: حدثني أحمد بن المرزبان، قال: حدثني شيبه بن هشام، قال:

كان عبد الله بن العباس يهوى جارية نصرانية لم يكن يصل إليها ولا يراها إلا إذا خرجت إلى البيعة، فخرجنا يوماً معه إلى السعانين، فوقف حتى إذا جاءت فرآها، ثم أنشدنا لنفسه، وغنى فيه بعد ذلك:

ولا تلم فاللوم يغريني

إن كنت ذا طب فداويني

من شادن يوم السعانين

يا نظرة أبقت جوى قائلاً

خرجن في أحسن تزيين

ونظرة من ربرب عين

عواتقاً بين البساتين

خرجن يمشين إلى نزهة

والعيش ما تحت الهمايين

مزنرات بهمايينها

لحن عبد الله بن العباس في هذا الشعر هزج.

## شرب ليلة الشك في رمضان في نيروز

أخبرني الحسن بن علي، قال: حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه، قال: حدثنا محمد بن عمر الجرجاني، ومحمد بن حماد كاتب راشد، قالوا: كتب عبد الله بن العباس الربيعي في يوم نيروز - واتفق في يوم الشك بين شهري رمضان وشعبان - إلى محمد بن الحارث بن بسخنر يقول:

ليلة النيروز والأحد

اسقني صفراء صافية

فتزود شربها لغد

حرم الصوم اصطبأحكما

نشترك في عيشة رغد

وأنتنا أو فادعنا عجلأ

قال: فجاءه محمد بن الحارث بن بسخنر فشربا ليلتهما.

## صنع لحناً من شعره للواثق فأمر بجائزة

أخبرني يحيى بن علي بن يحيى، قال: حدثنا أبو أيوب المديني، قال: حدثنا أحمد بن المي، قال: حدثنا عبد الله بن العباس الربيعي، قال: جمع الواثق يوماً المغنين ليصطبح، فقال: بجياتي إلا صنعت لي هزجاً حتى أدخل وأخرج إليكم الساعة، ودخل إلى جواريه، فقلت هذه الأبيات وغنيت فيها هزجاً قبل أن يخرج، وهي: صوت

بأبي زور أتاني بالجلس  
قمت إجلالاً له حتى جلس  
فتعانقا جميعاً ساعة  
كادت الأرواح فيها تختلس  
قلت: يا سؤلي ويا بدر الدجى  
في ظلام الليل ما خفت العس!  
قال: قد خفت ولكن الهوى  
أخذ بالروح مني والنفس  
زارني يخطر في مشيته  
حوله من نور خديه قبس

قال: فلما خرج من دار الحرم قال لي: يا عبد الله، ما صنعت؟ فغنيت، فشرب حتى سكر، وأمر لي بخمسة آلاف درهم، وأمرني بطرحه على الجواري، فطرحته عليهن.

صنع لحناً جميلاً من شعر يوسف بن الصقيل أخبرني يحيى بن علي بن يحيى، قال: حدثنا أبو أيوب المديني، عن حماد، قال: من مليح صنعة عبد الله بن العباس الربيعي، والشعر ليوسف بن الصقيل، ولحنه هزج: صوت

أبعد الموائيق لي  
وبعد الموائيق الحفي  
وبعد اليمين التي  
حلفت على المصحف  
تركت الهوى بيننا  
كضوء سراج طففي  
فليتك إذا لم تفي  
بوعدك لم تخفي

غنى للوائق لحناً من شعر الأحوص فأعطاه ألف دينار حدثني الصولي، قال: حدثني يزيد بن محمد المهلي، قال: كان الوائق قد غضبت على فريدة لكلام أخفته إياه فأغضبت، وعرفنا ذلك وجلس في تلك الأيام للصبوح، فغناه عبد الله بن العباس: صوت

لا تأمني الصرم مني أن تري كلفي  
وإن مضى لصفاء الود أعصار  
ما سمي القلب إلا من تقلبه  
والرأي يصرف والأهواء أطوار  
كم من ذي مقة قبلي وقبلكم  
خانوا فأضحوا إلى الهجران قد صاروا

فاستعاده الوائق مراراً، وشرب عليه وأعجب به، وأمر لعبد الله بألف دينار وخلع عليه.  
الشعر للأحوص، والغناء لعبد الله بن العباس هزج بالوسطى عن عمرو.

### فضله المتوكل على سائر المغنين

وأخبرني جعفر بن قدامة، قال: حدثنا حماد بن إسحاق، قال: حدثني عبد الله بن العباس بن الفضل بن الربيع، قال: غنيت المتوكل ذات يوم:

أحب إلينا منك دلاً وما يرى  
له عند فعلي من ثواب ولا أجر

فطرب وقال: أحسنت والله يا عبد الله، أما والله لو رآك الناس كلهم كما أراك لما ذكروا مغنياً سواك أبداً.

### أشار بذكره ابن الزيات عند المعتصم

نسخت من كتاب لأبي العباس بن ثوابة بخطه: حدثني أحمد بن إسماعيل بن حاتم، قال: قال لي عبد الله بن العباس الربيعي:

دخلت على المعتصم أودعه وأنا أريد الحج، فقبلت يده وودعته، فقال: يا عبد الله إن فيك لخصلاً تعجبني كثير الله في موالي مثلك، فقبلت رجله والأرض بين يديه، وأحسن محمد بن عبد الملك الزيات محضري وقال له: إن له يا أمير المؤمنين، أدباً حسناً وشعراً جيداً، فلما خرجت قلت له: أيها الوزير، ما شعري أنا في الشعر تستحسنه وتشيد بذكره بي يدي الخليفة! فقال: دعنا منك، تنتفي من الشعر وأنت الذي تقول:

يا شادناً مر إذ را  
م في السعانيين قتلي  
يقول لي: كيف أصبح  
ت، كيف يصبح مثلي!

أحسنت والله في هذا، ولو لم تقل غير هذا لكنت شاعراً. طلب من سوار بن عبد الله القاضي أن يصنع له لحناً من شعر قاله أخبرني عمي، قال: حدثنا أحمد بن المرزبان، قال: قال أبي: قال عبد الله بن العباس الربيعي: لقيني سوار بن عبد الله القاضي -وهو سوار الأصغر- فأصغى إلي وقال: إن لي إليك حاجة فأتني في خفي، فجتته، فقال: لي إليك حاجة قد أنست بك فيها، لأنك لي كالولد، فإن شرطت لي كتماها أفضيت بما إليك، فقلت: ذلك للقاضي علي شرط واجب، فقال: إني قلت أبياتاً في جارية لي أميل إليها وقد قلتني وهجرتني؛ وأحببت أن تصنع فيها لحناً وتسمعني، وإن أظهرته وغنيته بعد ألا يعلم أحد أنه شعري، فلست أبالي، أتفعل ذلك؟ قلت: نعم حباً وكرامة، فأنشدني: صوت

سلبت عظامي لحمها فتركتها  
عواري في أجلادها تتكسر  
وأخلبت منها محها فكأنها  
أنابيب في أجوافها الريح تصفر  
إذا سمعت باسم الفراق ترعدت  
مفاصلها من هول ما تتحذر  
خذي بيدي ثم اكشفي الثوب فانظري  
بلى جسدي لكنني أتستر  
وليس الذي يجري من العين ماؤها  
ولكنها روح تذوب فتقطر

-اللحن الذي صنعه عبد الله بن العباس في هذا الشعر ثقيل أول- قال عبد الله: فصنعت فيه لحناً، ثم عرفته خيره في رقعة كتبها إليه، وسألته وعداً يعدني به للمصير إليه، فكتب إلي: نظرت في القصة فوجدت هذا لا يصلح ولا ينكتم علي حضورك وسماعي إياك، وأسأل الله أن يسرك ويبيحك. فغنيت الصوت ظهر حتى تغني به الناس،

فلقيني سوار يوماً فقال لي: يا بن أخلي، قد شاع أمرك في ذلك الباب حتى سمعناه من بعد كأننا لم نعرف القصة فيه، وجعلنا جميعاً نضحك.

### صنع لحناً جيداً في شفاء بشر

#### خادم بن عجيف

كان بشر خادم صالح بن عجيف عليلاً ثم برئ، فدخل إلى عبد الله بن العباس، فلما رآه قام فتلقاه وأجلسه إلى جانبه، وشرب سروراً بعافيته، وصنع لحناً من الثقليل الأول وهو من جيد صنعته: صوت

مولاي ليس لعيش لست حاضره  
قدراً ولا قيمة عندي ولا ثمن  
ولا فقدت من الدنيا ولذتها  
شيئاً إذا كان عندي وجهك الحسن

### غنى الواصل بعد شفائه لحناً فأجازه

حدثني محمد بن يزيد بن أبي الأزهر، قال: حدثنا حماد بن إسحاق، قال: حدثنا عبد الله بن العباس الربيعي، قال: جمعنا الواصل يوماً بعقب علة غليظة كان فيها، فعوفي وضح جسمه، فدخلت إليه مع المغنين وعودي في يدي، فلما وقعت عيني عليه من بعيد، وصرت بحيث يسمع صوتي، ضرب وغنيت في شعر قلته في طريقي إليه، وصنعت فيه لحناً وهو: صوت

اسلم وعمرك الإله لأمة  
بك أصبحت قهرت ذوي الإلحاد  
لو تستطيع وقتك كل أذية  
بالنفس والأموال والأولاد

فضحك وسر وقال: أحسنت يا عبد الله وسررتني، وتيمنت بابتدائك، ادن مني، فدنوت منه حتى كنت أقرب المغنين إليه، ثم استعادي الصوت، فأعدته ثلاث مرات، وشرب عليه ثلاث أقداح، وأمر لي بعشرة آلاف درهم وخلعة من ثيابه.

### فاجأته محبوبته النصرانية بالوداع فقال

حدثني الصولي، قال: حدثني عون بن محمد الكندي، قال: كان عبد الله بن العباس بن الفضل بن الربيع يهوى جارية نصرانية، فجاءته يوماً تودعه، فأعلمته أن أباها يردي الانحدار إلى بغداد والمضي بها معه، فقال في ذلك وغنى فيه: صوت

أفدي التي قلت لها  
والبين منا قد دنا:  
فقدك قد أنحل جسمي وأذاب البدنا

قالت: فماذا حيلتي

كذاك قد ذبت أنا!

باليأس بعدي فاقتنع

قلت: إذا قل الغنا

**طلب من علي بن عيسى تأجيل الصوم**

**ومباشرة الشرب فأجابه**

حدثني الصولي، قال: حدثني عون بن محمد، قال: حدثني علي بن عيسى بن جعفر الهاشمي، قال: دخل علي عبد الله بن العباس في يوم النصف من شعبان، وهو يوم سبت، وقد عزمت على الصوم، فأخذ بعضادي باب مجلسي، ثم قال: يا أميري:

**تصبح في السبت غير نشوان**      **وقد مضى عنك نصف شعبان !**

فقلت: قد عزمت على الصوم، فقال: أفعليك وزر إن أفطرت اليوم -لمكاني وسررتي بمساعدتك لي - وصمت غداً، وتصدقت مكان إفطارك؟ فقلت: أفعل، فدعوت بالطعام فأكلت، وبالنيذ فشربنا، وأصبح من غد عندي، فاصطبح وساعدته، فلما كان اليوم الثالث انتبهت سحراً وقد قال هذا الشعر وغنى فيه:

شعبان لم يبق منه      إلا ثلاث وعشر  
فباكر الراح صرفاً      لا يسبقنك فجر  
فإن يفتك صطباح      فلا يفوتنك سكر

**ولا تناد فتى وقت شربه الدهر عصر**

قال: فأطربني واصطبحت معه في اليوم الثالث، فلما كان من آخر النهار سكر وانصرف، وما شربنا يومنا كله إلا على هذا الصوت.

**دخل على المتوكل آخر شعبان وطلب الشراب**

**فأجابه**

حدثني عمي، قال: حدثني ابن دهقانة النديم، قال: دخل عبد الله بن العباس إلى المتوكل في آخر شعبان فأنشده:

عللاني نعمتاً بمدام      واسقياني من قبل شهر الصيام  
حرم الله في الصيام التصابي      فتركناه طاعة للإمام  
أظهر العدل فاستنار به الدين      وأحيا شرائع الإسلام

فأمر المتوكل بالطعام فأحضر، وبالنديم وبالجلساء فأتي بذلك، فاصطحب وغناه عبد الله في هذه الأبيات، فأمر له بعشرة آلاف درهم.

### حرم المرابين من مائة ألف دينار

أخبرني الحسن بن علي، قال: حدثنا يزيد بن محمد المهلي، قال: حدثني عبد الله بن العباس قال: كنت مقيماً بسر من رأى وقد ركبني دين ثقیل أكثره عينة ورباً، فقلت في المتوكل:

اسقياني سحراً بالكبره  
ما قضى الله ففیه الخيره  
أكرم الله الإمام المرتضى  
وأطال الله فينا عمره  
إن أكن أقعدت عنه هكذا  
قدر الله رضا قدره  
سره الله وأبقاه لنا  
ألف عام وكفانا الفجره

وبعثت بالأبيات إليه، وكنت مسروراً من الغرماء، فقال لعبيد الله بن يحيى: وقع إليه: من هؤلاء الفجرة الذين استكفيت الله شرهم؟ فقلت: المعينون الذين قد ركبني إليهم أكثر مما أخذت منهم من الدين بالربا، فأمر عبيد الله أن يقضي ديني، وأن يحتسب لهم رؤوس أموالهم، ويسقط الفضل، وينادي بذلك في سر من رأى حتى لا يقضي أحد أحداً إلا رأس ماله، وسقط عن وعن الناس من الأرباح زهاء مائة ألف دينار كانت أبياتي هذه سببها. عتب علي إخوانه لأنهم لم يعودوه في مرضه فجاءوه معتذرين حدثني الصولي، قال: حدثني غون بن محمد الكندي، قال: حدثني أبي، قال: مرض عبد الله بن العباس بسر من رأى في قدمه قدمها غليها، فتأخر عنه من كان يثق به، فكتب إليهم:

ألا قل لمن بالجانبين بأنني  
مريض عداني عن زيارتهم ما بي  
فلو بهم بعض الذي لي لزرتهم  
وحاش لهم من طول سقمي وأوصابي  
وإن أقشعت عني سحابة علتي  
تطاول عتبي إن تأخر إعتابي

قال: فما بقي أحد من إخوانه إلا جاءه عائداً معتذراً.

### غنى عند علوية بشعر في النصرانية

#### التي كان يهواها

أخبرني عمي، قال: حدثني عبد الله بن أبي سعد، قال: حدثني محمد بن محمد بن موسى، قال: سمعت عبد الله بن العباس يغني ونحن مجتمعون عند علوية بشعر في النصرانية التي كان يهواها والصنعة له: صوت

إن في القلب من الطبي كلوم  
فدع اللوم فإن اللوم لوم

نلت فيه من نعيم لو يدوم  
فالذي تركب من عدلي عظيم  
فدع اللوم فذا داء قديم

حبذا يوم السعانيين وما  
إن يكن أعظمت أن همت به  
لم أكن أول من سن الهوى

الغناء لعبد الله هزج بالوسطى.

### علم وصيفته هيلانة الغناء

حدثني أبو بكر الربيعي، قال: حدثني عمي - وكانت ربيت في دار عمها عبد الله بن العباس - قالت: كان عبد الله لا يفارق الصبوح أبداً إلا في يوم الجمعة، أو شهر رمضان، وإذا حج. وكانت له وصيفة يقال لها: هيلانة قد رباها وعلّمها الغناء، فأذكره يوماً وقد اصطبح، وأنا في حجره جالسة والقدح في يده اليمنى، وهو يلقي على الصبية صوتاً أوله:

إذ به الصائح نادي

صدع البين الفؤادا

فهو يردده، ويومئ بجميع أعضائه إليها يفهمها نغمه، ويوقع بيده على كتفي مرة وعلى فخذي أخرى، وهو لا يدري حتى أوجعني، فبكيت وقلت: قد أوجعتني مما تضربني وهيلانة لا تأخذ الصوت وتضربني أنا، فضحك حتى استلقى واستلمح قولي، فوهب لي ثوب قصب أصفر، وثلاثة دنانير جدداً، فما أنسى فرحي بذلك وقيامي به إلى أمي، وأنا أعدوا إليها وأضحك فرحاً به.

نسبة هذا الصوت صوت

إذ به الصائح نادي

صدع البين الفؤادا

عون إذ صاروا فرادى

بينما الأحباب مجمو

وأتى بعض بلادا

فأتى بعض بلاداً

حدثان الدهر عادا

كلما قلت: تناهى

### صوت

وغدا بهن مشمر مزعاج  
حتى استمر به الهوى المجاج  
إن المحب يسوقه الإزعاج

حضر الرحيل وشدت الأحجاج  
للسوق نيران قدحن بقلبه  
أزعج هواك إلى الذين تحبهم

## إلا السرى والبازل الهجهاج

## لن يدنينك للحبيب ووصله

الشعر لسلم الخاسر، والغناء لهاشم بن سليمان ثقیل أول بالوسطى.

### أخبار سلم الخاسر ونسبه

#### نسبه، ومقدرته الشعرية

سلم بن عمرو مولى بني تيم بن مرة، ثم مولى أبي بكر الصديق، رضوان الله عليه، بصري، شاعر مطبوع متصرف في فنون الشعر، من شعراء الدولة العباسية. وهو راوية بشار بن برد وتلميذه، وعنه أخذ، ومن بحره اغترف، وعلى مذهبه ونمطه قال الشعر.

#### سبب تلقيبه سلم الخاسر

ولقب سلم بالخاسر -فيما يقال- لأنه ورث من أبيه مصحفاً، فباعه واشترى بثمنه طنبوراً، وقيل: بل خلف له أبوه مالاً، فأنفقه على الأدب والشعر، فقال له بعض أهله: إنك لخاسر الصفقة، فلقب بذلك.

#### صداقته للموصلي وأبي العتاهية

#### وانقطاعه للبرامكة

وكان صديقاً لإبراهيم الموصلي، ولأبي العتاهية خاصة من الشعراء والمغنين، ثم فسد ما بينه وبين أبي العتاهية. وكان سلم منقطعاً إلى البرامكة، وإلى الفضل بن يحيى خصوصاً من بينهم. وفيه يقول أبو العتاهية:

ليس فيه لسوى سلم درك

إنما الفضل لسلم وحده

#### من قول أبي العتاهية له

وكان هذا أحد الأسباب في فساد ما بينه وبين أبي العتاهية. ولسلم يقول أبو العتاهية وقد حج مع عتبة:

ما مت يا سلم بعد ذا السفر

والله والله ما أبالي متى

وقبلت الذي قبلت من الحجر

أليس قد طفت حيث طافت

وله يقول أبو العتاهية وقد حبس إبراهيم الموصلي:

حبس الموصلي فالعيش مر

سلم يا سلم ليس دونك سر

المطبق رأس اللذات والله، حر

ما استطاب اللذات مذ سكن

ه جميعاً وعيشهم مقشعر

ترك الموصل من خلق الل

## يرد مصحفاً ويأخذ مكانه دفاتر شعر

أخبرني الحسن بن علي، قال: حدثني محمد بن القاسم بن مهرويه، قال: حدثني علي بن الحسن الواسطي، قال: حدثني أبو عمرو سعيد بن الحسن الباهلي الشاعر، قال: لما مات عمرو أبو سلم الخاسر اقتسموا ميراثه، فوقع في قسط سلم مصحف، فرده وأخذ مكانه دفاتر شعر كانت عند أبيه، فلقب الخاسر بذلك.

## أجازته المهدي أو الرشيد بمائة ألف

### درهم ليكذب تلقبيه بالخاسر

أخبرني الحسن، قال: حدثني محمد بن القاسم بن مهرويه، قال: حدثني محمد بن عمر الجرجاني، قال: ورث سلم الخاسر أباه مائة ألف درهم، فأنفقها على الأدب، وبقي لاشيء عنده، فلقبه الجيران ومن يعرفه بسلم الخاسر، وقالوا: أنفق ماله على ما لا يتفعه. ثم مدح المهدي، أو الرشيد -وقد كان بلغه اللقب الذي لقب به- فأمر له بمائة ألف درهم، وقال له: كذب بهذا المال جيرانك، فجاءهم بها، وقال لهم: هذه المائة الألف التي أنفقتها وربحت الأدب، فأنا سلم الراجح، لا سلم الخاسر.

## ورث مصحفاً فباعه واشترى طنبوراً

### فلقب الخاسر

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار، قال: حدثني علي بن محمد النوفلي، عن أبيه، قال: إنما لقب الخاسر لأنه ورث عن أبيه مصحفاً فباعه، واشترى بثمانه طنبوراً. أخبرني محمد بن العباس اليزيدي، قال: حدثني عمر الفضل، قال: قال لي الجماز: سلم الخاسر خالي لحا، فسألته: لم لقب الخاسر؟ فضحك، ثم قال: إنه قد كان نسك مدة يسيرة، ثم رجع إلى أقبح ما كان عليه، وباع مصحفاً له ورثه عن أبيه -وكان لجدته قبله- واشترى بثمانه طنبوراً. فشاع خبره وافتضح، فكان يقال له: ويلك! هل فعل أحد ما فعلت؟ فقال: لم أجد شيئاً أتوسل به إلى إبليس هو أقر لعينه من هذا. أخبرني عمي، قال: أنبأنا عبد الله بن أبي سعد، قال: حدثني أحمد بن صالح المؤدب، وأخبرنا يحيى بن علي بن يحيى إجازة، قال: حدثني أبي، عن أحمد بن صالح، قال: قال بشار بن برد: صوت

لا نلتقي وسبيل الملتقى نهج

لا خير في العيش إن دمننا كذا أبدا

ما في التلاقي ولا في غيره حرج

قالوا حرام تلاقينا فقلت لهم

وقاز بالطيبات الفاتك اللهج

من راقب الناس لم يظفر بحاجته

قال: فقال سلم الخاسر أبياتا، ثم أخذ معنى هذا البيت، فسلخه، وجعله في قوله:

من راقب الناس مات غما وفاز باللذة الجسور

سبب غضب بشار عليه ثم رضاه عنه

فبلغ بيته بشارا، فغضب واستشاط، وحلف ألا يدخل إليه، ولا يفيده ولا ينفعه ما دام حيا. قاسبشفع إليه بكل صديق له، وكل من يثقل عليه رده، فكلّموه فيه، فقال: أدخلوه إلي، فأدخلوه إليه فاستدناه، ثم قال: إيه يا سلم، من الذي يقول:

من راقب الناس لم يظفر بحاجته وفاز بالطيبات الفاتك اللهج

قال: أنت يا أبا معاذ، قد جعلني الله فداءك! قال: فمن الذي يقول:

من راقب الناس مات غما وفاز باللذة الجسور؟

قال: تلميذك، وخربجك، وعبدك يا أبا معاذ، فاجتذبه إليه، وقنعه بمحصرة كانت في يده ثلاثا، وهو يقول: لا أعود يا أبا معاذ إلى ما تنكره، ولا آتي شيئا تدمه، إنما أنا عبدك، وتلميذك، وصنيعتك، وهو يقول له: يا فاسق! أتجيء إلى معنى قد سهرت له عيني، وتعب فيه فكري وسبقت الناس إليه، فتسرقه، ثم تختصره لفظا تقربه به، لتزري علي، وتذهب ببيني؟ وهو يحلف له ألا يعود، والجماعة يسألونه. فبعد لأي وجهد ما شفّعهم فيه، وكف عن ضربه، ثم رجع له، ورضي عنه.

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار، قال: أخبرني يعقوب بن إسرائيل مولى المنصور، قال: حدثني عبد الوهاب بن مرار، قال: حدثني أبو معاذ النميري رواية بشار، قال: قد كان بشار قال قصيدة فيها هذا البيت:

من راقب الناس لم يظفر بحاجته وفاز بالطيبات الفاتك اللهج

قال: فقلت له يا أبا معاذ! قد سلم الخاسر بيتا، هو أحسن وأخف على الألسن من بيتك هذا، قال: وما هو؟ فقلت:

من راقب الناس مات غما وفاز باللذة الجسور

فقال بشار: ذهب والله بيتنا، أما والله لو ددت أنه ينتمي في غير ولاء أبي بكر -رضي الله عنه- وأني مغرم ألف دينار محبة مني لهتك عرضه وأعراض مواليه! قال: فقلت له: ما أخرج هذا القول منك إلا عم. قال: أجل، فو الله لا طعمت اليوم طعاما، ولا صمت.

أخبرني الحسن بن علي، قال: حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه، قال: حدثني محمد بن إسحاق بن محمد النخعي، قال: قال أبو معاذ النميري: قال بشار قصيدة، وقال فيها:

من راقب الناس لم يظفر بحاجته وفاز بالطيبات الفاتك اللهج

فعرفته أن سلما قد قال:

من راقب الناس مات غما      وفاز باللذة الجسور

فلما سمع بشار هذا البيت قال: سار والله بيت سلم، وخمل بيتنا! قال: وكان كذلك، لهج الناس ببيت سلم، ولم ينشد بيت بشار أحد.

### شعره في قصر صالح بن المنصور

أخبرني محمد بن عمران الصيرفي، قال: حدثني الحسن بن عليل العتري، قال: حدثني أبو مالك محمد بن موسى اليماني، قال: لما بنى صالح بن المنصور قصره بدجلة قال فيه سلم الخاسر:

يا صالح الجود الذي مجده      أفسد مجد الناس بالجود  
بنيت قصرا مشرفا عاليا      بطائري سعد ومسعود

كأنما يرفع بنيانه      جن سليمان بن داود  
لا زلت مسرورا به سالما      على اختلاف البيض والسود  
يعني الأيام والليالي-، فأمر له صالح بألف درهم.

### ينشد عمر بن العلاء قصيدة لبشار فيه،

#### ثم ينشده لنفسه

أخبرني الحسن بن علي، قال: حدثني محمد بن القاسم بن مهرويه، قال: حدثني بعض آل ولد حمدون بن إسماعيل -وكان ينادم المتوكل- عن أبيه، قال: كان سلم الخاسر من غلمان بشار، فلما قال بشار قصيدته الميمية في عمر بن العلاء -وهي التي يقول فيها:

إذا نبهتكَ صعاب الأمور      فنبه لها عمرا ثم نم  
فتى لا يبيت على دمنة      ولا يشرب الماء إلا بدم

بعث بها مع سلم الخاسر إلى عمر بن العلاء، فوفاه فأنشده إياها، فأمر لبشار بمائة ألف درهم. فقال له سلم: إن خادمك -يعني نفسه- قد قال في طريقه فيك قصيدة، قال: فإنك هناك؟ قال: تسمع، ثم تحكم، ثم قال: هات، فأنشده: صوت

قد عزني الداء فما لي دواء      مم ألاقي من حسان النساء

أصبح من سلمى بداء عياء  
سحر ومالي غيرها من دواء  
هل تصلح الخمرة إلا بماء؟

قلب صحيح كنت أسطو به  
أنفاسها مسك وفي طرفها  
وعدنتي وعدا فأوفي به

ويقول فيها:

ناديت فيها عمر بن العلاء

كم كربة قد مسني ضرها

قال: فأمر له بعشرة آلاف درهم، فكانت أول عطية سنوية وصلت إليه.

### صداقته لعاصم بن عتبة ومدحه إياه

أخبرني الحسن بن علي، قال: حدثني ابن مهرويه، قال: وجدت في كتاب بخط الفضل بن مروان: وكان عاصم بن عتبة الغساني جد أبي السمراء الذي كان مع عبد الله بن طاهر صديقا لسلم الخاسر، كثير البر به، والملاطفة له، وفيه يقول سلم:

ما بقيت غسان

الجود في قحطان

ما فعل الإخوان

اسلم ولا أبالي

ما فعل الزمان

ما ضر مرتجيه

فعاصم أمان

من غاله مخوف

وكانت سبعين بيتا، فأعطاه عاصم سبعين ألف درهم، وكان مبلغ ما وصل إلى سلم من عاصم خمسمائة ألف درهم، فلما حضرته الوفاة دعا عاصما فقال له: إني ميت ولا ورثة لي، وإن مالي مأخوذ، فأنت أحق به، فدفع إليه خمسمائة ألف درهم، ولم يكن لسلم وارث. قال: وكان عاصم هذا جوادا.

### ابن مزيد يحسد عاصما على شعره فيه

أخبرني محمد بن خلف وكيع، قال: حدثنا عبد الله بن أبي سعد، قال: حدثني محمد بن طهمان، قال: أخبرني القاسم بن موسى بن مزيد.

أن يزيد بن مزيد قال: ما حسدت أحدا قط على شعر مدح به إلا عاصم بن عتبة الغساني، فإني حسدته على قول سلم الخاسر فيه:

عارضها تهتان

لعاصم سماء

والدر والعقيان

أمطارها اللجين

إذ خبت النيران  
ما بقيت غسان  
ما فعل الإخوان  
والسيف والسنان

وناره تنادي  
الجود في قحطان  
اسلم ولا أبالي  
صلت له المعالي

**كان يقدم أبا العتاهية على بشار**

**ثم فسد ما بينهما**

أخبرني أحمد بن علي، عن ابن مهرويه، عن الغريبي، عن محمد بن عمر الجرجاني، قال: كان سلم تلميذ بشار، إلا أنه كان تباعد ما بينهما، فكان سلم يقدم أبا العتاهية، ويقول: هو أشعر الجن والإنس، إلى أن قال أبو العتاهية يخاطب سلما:

أذل الحرص أعناق الرجال  
أليس مصير ذاك إلى زوال

تعالى الله يا سلم بن عمرو  
هب الدنيا تصير إليك عفوا

قال: وبلغ الرشيد هذا الشعر فاستحسنه، وقال: لعمري إن الحرص لمفسدة لأمر الدين والدنيا، وما فتشت عن حريص قط مغيبه إلا انكشف لي عما أذمه. وبلغ ذلك سلما، فغضب على أبي العتاهية، وقال: ويلي على الجرار ابن الفاعلة الزنديق! زعم أبي حريص، وقد كثر البدور وهو يطلب وأنا في ثوبي هذين، لا أملك غيرهما. وانحرف عن أبي العتاهية بعد ذلك.  
رده على أبي العتاهية

**حين اتهمه بالحرص في شعر له**

أخبرني محمد بن يحيى الصولي، قال: حدثنا محمد بن موسى، قال: أخبرني محمد بن أسماعيل السدوسي، قال: حدثني جعفر العاصمي، وأخبرني عمي، عن أحمد بن أبي طاهر، عن القاسم بن الحسن، عن زكريا بن يحيى المدائني، عن علي بن المبارك القضاعي، عن سلم الخاسر.  
أن أبا العتاهية لما قال هذا الشعر فيه كتب إليه:

يزهد الناس ولا يزهد

ما أقبح التزهيد من واعظ

أضحى وأمسى بيته المسجد

لو كان في تزهيده صادقا

ولم يكن يسعى ويسترفد

ورفض الدنيا ولم يلقها

والرزق عند الله لا ينفد

يناله الأبيض والأسود

من كف عن جهد ومن يجهد

يخاف أن تنفذ أرزاقه

الرزق مقسوم على من ترى

كل يوفى رزقه كاملاً

ابن أخته ينتصر له من أبي العتاهية أخبرني الحسن بن علي، قال: حدثنا ابن مهرويه، قال: حدثني أبو العسكر المسمعي، وهو محمد بن سليمان، قال: حدثني العباس بن عبد الله بن سنان بن عبد الملك بن مسمع، قال: كنا عند قثم بن جعفر بن سليمان، وهو يومئذ أمير البصرة، وعنده أبو العتاهية ينشده شعره في الزهد، فقال لي: قثم: يا عباس! اطلب لي الجمار الساعة حيث كان فجتني به، ولك سبق، فطلبتة؛ فوجدته جالساً ناحية عند ركن دار جعفر بن سليمان، فقلت له: أجب الأمير، فقام معي حتى أتى قثم فجلس في ناحية مجلسه وأبو العتاهية ينشده، ثم قام إليه الجمار فواجهه، وأنشد قول سلم الخاسر فيه:

يزهد الناس ولا يزهد

أضحى وأمسى بيته المسجد

ما أقبح التزهيد من واعظ

لو كان في تزهيده صادقاً

وذكر الأبيات كلها، فقال أبو العتاهية: من هذا أعز الله الأمير؟ قال: هذا الجمازا، وهو ابن أخت سلم الخاسر، انتصر لخاله منك حيث قلت له:

إذل الحرص أعتاق الرجال

تعالى الله يا سلم بن عمرو

قال: فقال أبو العتاهية للجمازا: يا بن أخي، إني لم أذهب في شعري الأول حيث ذلك خالك؛ ولا أردت أن أهتف به، ولا ذهبت أيضاً في حضورني وإنشادي حيث ذهبت من الحرص على الرزق، والله يغفر لكما! ثم قام فانصرف.

### مبلغ ما وصل إليه من الرشيد والبرامكة

أخبرني عمي، عن أحمد بن أبي طاهر، عن أبي هفان، قال: وصل إلى سلم الخاسر من آل برمك خاصة سوى ما وصل إليه من غيرهم عشرون ألف دينار، ووصل إليه من الرشيد مثلها. يطلب إلى أبي محمد البيهقي أن يهجوهم فيفعل فيندم أخبرني محمد بن العباس البيهقي، قال: حدثني عمي عبيد الله والفضل؛ عن أبيهما، عن أبي محمد البيهقي: أنه حضر مجلس عيسى بن عمر، وحضر سلم الخاسر، فقال له: يا أبا محمد، اهجني على روي قصيدة امرئ القيس:

مخرج كفيه في ستره

رب رام من بني ثعل

قال: فقلت له: ما دعاك إلى هذا؟ قال: كذا أريد. فقلت له: يا هذا أنا وأنت أعني الناس عما تستدعيه من الشر فلتسعك العافية، فقال: إنك لتحتجز مني نهاية الاحتجاز، وأراد أن يوهم عيسى أبي مفحم عبي لا أقدر على ذلك، فقال لي عيسى: أسألك يا أبا محمد بحقي عليك إلا فعلت. فقلت:

رب مغموم بعاقبة	غمط النعمة من أشده
وامرئ طالببت سلامته	فرماه الدهر من غيره
بسهام غير مشوية	نقصت منه قوى مرره
وكذاك الدهر منقلب	بالفتى حالين من عصره
يخلط العسر بميسرة	ويسار المرء في عسره
عق سلم أمه صغراً	وأبا سلم على كبره
كلي يوم خلفه رجل	رامح يسعى على أثره
يولج الغرمول سبته	كولوج الضب في جحره

قال: فاغتم سلم وندم، وقال: هكذا تكون عاقبة البغي والتعرض للشر، فضحك عيسى، وقال له: قد جهد الرجل أن تدعه، وصيانتته ودينه فأبيت إلا أن يدخلك في حر أمك.  
ترفبه وتخشن مروان بن أبي حفصة أخبرني الحسن بن علي، قال: حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه، قال: حدثني علي بن محمد النوفلي، قال: سمعت أبي يقول:

كان المهدي يعطي مروان وسلماً الخاسر عطية واحدة، فكان سلم يأتي باب المهدي على البرذون الفاره، قيمته عشرة آلاف درهم، بسرج ولجام مفضضين، ولباسه الخز والوشي، وما أشبه ذلك من الثياب الغالية الأثمان ورائحة المسك والطيب والغالية تفوح منه، ويجيء مروان بن أبي حفصة عليه فرو كبل وقميص كرايس وعمامة كرايس وخفا كبل وكساء غليظ، وهو منتن الرائحة. وكان لا يأكل اللحم حتى يقرم إليه بخلاً، فإذا قرم أرسل غلامه، فاشترى له رأساً فأكله. فقال له قائل: أراك لا تأكل إلا الرأس! قال: نعم، أعرف سعره، فأمن خيانة الغلام، ولا أشترى لحمًا فيطبخه فيأكل منه، والرأس آكل منه ألواناً: آكل منه عينيه لوناً، ومن غلصمته لوناً، ومن دماغه لوناً.

### ابتلاؤه بالكيمياء ثم انصرافه عنها

أخبرني الحسن بن علي، قال: حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه، قال: حدثنا يحيى بن الحسن الربيعي، قال: أخبرني أبي، قال: كان سلم الخاسر قد بلي بالكيمياء فكان يذهب بكل شيء له باطلاً، فلما أراد الله -عز وجل- أن يصنع له عرف أن يباب الشام صاحب كيمياء عجيماً، وأنه لا يصل إليه أحد إلا ليلاً، فسأل عنه

فدلوه عليه.

قال: فدخلت إليه إلى موضع معور ، فدققت الباب فخرج إلي، فقال: من أنت عافاك الله؟ فقلت: رجل معجب بهذا العلم. قال: فلا تشهري، فإني رجل مستور، إنما أعمل للقوت. قال: قلت: لأني لا أشهرك، إنما أقتبس منك، قال: فاكتم ذلك. قال: وبين يديه كوز شبه صغير. فقال لي: اقلع عروته، فقلعتها. فقال: اسبكها في البوظة، فسبكتها، فأخرج شيئاً من تحت مصلاه، فقال: ذره عليه، ففعلت. فقال: أفرغه، فأفرغته. فقال: دعه معك، فإذا أصبحت فاخرج، فبعه وعد إلي، فأخرجته إلى باب الشام، فبعت المثقال بأحد وعشرين درهماً، ورجعت إليه فأحبرته. فقال: اطلب الآن ما شئت. قلت: تفيدني. قال: بخمسائة درهم على أن لا تعلمه أحداً، فأعطيته، وكتب لي صفة، فامتحنتها، فإذا هي باطلة. فعدت إليه، فقيل لي: قد تحول، وإذا عروة الكوز المشبه من ذهب مركبة عليه، والكوز شبه. ولذلك كان يدخل إليه من يطلبه ليلاً، ليخفى عليه، فانصرفت، وعلمت أن الله - عز وجل - أراد بي خيراً، وأن هذا كله باطل.

يرثي البانوكة بنت المهدي أحرني محمد بن عمران الصيرفي، قال: حدثنا العتري، قال: حدثني أبو مالك اليماني، قال: حدثني أبو كعب، قال: لما ماتت البانوكة بنت المهدي رثاها سلم الخاسر بقوله:

مؤنسة المهدي والخيزران

أودى ببانوكة ريب الزمان

مولودن حن لها الوالدان

لم تنطو الأرض على مثلها

أصبحت من زينة أهل الجنان

بانوك يا بنت إمام الهدى

في كل أفق بين إنس وجان

بكت لك الأرض وسكانها

كان يهاجي والبة بن الحباب أحرني الحسن بن علي، قال: حدثني ابن مهرويه، قال: حدثني علي بن الحسن الشيباني، قال: حدثني أبو المستهل الأسدي، وهو عبد الله بن تميم بن حمزة، قال: كان سلم الخاسر يهاجي والبة بن الحباب، فأرسلني إليه وقال: قل له:

لست من أهل الزناء فانطلق

يا واللب بن الحباب يا حلقي

مثل ولوج المفتاح في الغلق

دخل فيه الغرسول تولجه

قال: فأتيت والبة فقلت له ذلك، فقال لي: قل له: يا بن الزانية، سل عنك ريعان التميمي - يعني أنه ناكه - قال: وكان ريعان لوطياً آفة من الآفات، وكان علامة ظريفاً.

قال: فحدثني جعفر بن قدامة عن محمد العجلي، عن أحمد بن معاوية الباهلي، قال: سمعت ريعان يقول: نكت الهيثم بن عدي، فمن ترونه يقلت مني بعده؟ يعتذر إلى المهدي من مدحه لبعض العلويين وأخبرني أحمد بن العباس العسكري، قال: حدثنا العتري، قال: حدثني أبو مالك محمد بن موسى اليماني، قال: كان سلم الخاسر مدح بعض العلويين، فبلغ ذلك المهدي، فتوعده وهم به، فقال سلم فيه:

إني أنتتني على المهدي معتبة  
تكداد من خوفها الأخشاء تضطرب  
اسمع فذاك بنو حواء كلهم  
وقد يجور برأس الكاذب الكذب  
فقد حلفت يميناً غير كاذبة  
يوم المغيبة لم يقطع لها سبب  
ألا يحالف مدحي غيركم أبداً  
ولو تلاقى علي الغرض والحقب

ولو ملكت عنان الريح أصرفها  
في كل ناحية ما فاتها الطلب  
مولاك لا تشمت أعاديه  
فما ورايك لي ذكر ولا نسب

فعفا عنه.

كان لا يحسن المدح ويحسن الرثاء وأخبرني أحمد بن العباس ، وأحمد بن عبيد الله بن عمار، قالاً: حدثنا العتري، قال: حدثني العباس بن عبد الواحد بن جعفر بن سليمان، قال: حدثني موسى بن عبد الله بن شهاب المسمعي، قال: سمعت أبا عبيدة معمر بن المثنى يقول: كان سلم الخاسر لا يحسن أن يمدح، ولكنه كان يحسن أن يرثي ويسأل.

يعد الرثاء في حياة من يعنيه رثاؤهم أخبرني الحسن بن علي، قال: حدثنا محمد القاسم بن مهرويه، قال: حدثني علي بن الحسن الشيباني، قال: حدثني أبو المستهل، قال: دخلت يوماً على سلم الخاسر، وإذا بين يديه قراطيس فيها أشعار يرثي ببعضها أم جعفر، وبعضها جارية غير مسماة، وبعضها أقواماً لم يموتوا، وأم جعفر يومئذ باقية. فقلت له: ويحك! ما هذا؟ فقال: تحدث الحوادث فيطالبوننا بأن نقول فيها، ويستعجلوننا، ولا يحمل بنا أن نقول غير الجيد، فنعد لهم هذا قبل كونه، فمتى حدث حادث أظهرنا ما قلناه فيه قديماً، على أنه قيل في الوقت. إعجاب المأمون ببيت: تعالى الله يا سلم أخبرني محمد بن مزيد وعيسى بن الحسين، قالاً: حدثنا الزبير بن بكار، قال: قال عبد الله بن الحسن الكاتب: أنشد المأمون قول أبي العتاهية:

تعالى الله يا سلم بن عمرو  
أذل الحرص أعناق الرجال

فقال المأمون: صدق لعمر الله، إن الحرص لمفسدة للدين والمروءة، والله ما رأيت من رجل قط حرصاً ولا شرهاً، فرأيت فيه مصطنعاً. فبلغ ذلك سلماً الخاسر، فقال: ويلى على ابن الفاعلة يباع الخزف، كثر البدور. يمثل ذلك الشعر المفكك الغث، ثم ترهد بعد أن استغنى، وهو دائباً يهتف بي، ينسبني إلى الحرص، وأنا لا أملك إلا ثوبي هذين.

يسكت أبا الشمقمق عن هجائه بخمسة دنانير

أخبرني عمي والحسن بن علي، قالوا: حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه، قال: حدثنا زكريا بن مهران قال: طالب أبو الشمقمق سلماً الخاسر بأن يهب له شيئاً، وقد خرجت لسلم جائزة، فلم يفعل، فقال أبو الشمقمق يهجو:

**يا أم سلم هداك الله زورينا**

**كيما ننيكك فرداً أو تنيكينا**

**ما إن ذكرتك إلا هاج لي شبيق**

**ومثل ذكراك أم السلم يشجينا**

قال: فجاءه سلم فأعطاه خمسة دنانير، وقال: أحب أن تعفيني من استزارتك أمي وتأخذ هذه الدنانير فقتنقها. من شعره حين ولي يعقوب بن داود بعد أبي عبيد الله أخبرني الحسن بن علي، قال: حدثنا ابن مهرويه، قال: حدثني يحيى بن الحسن بن عبد الخالق، قال: حدثني محمد بن القاسم بن الربيع عن أبيه، قال: دخل الربيع على المهدي وأبو عبيد الله جالس يعرض كتباً، فقال له أبو عبيد الله: مر هذا أن يتنحى -يعني الربيع- فقال له المهدي: تنح، فقال: لا أفعل. فقال: كأنك تراني بالعين الأولى! فقال: لا، بل أراك بالعين التي أنت بها. قال: فلم لا تتنحى إذ أمرتك؟ فقال له: أنت ركن الإسلام، وقد قتلت ابن هذا، فلا آمن أن يكون معه حديدة يغتالك بها، فقام المهدي مذعوراً، وأمر بتفتيشه، فوجدوا بين جوربه وخفه سكيناً، فردت الأمور كلها إلى الربيع، وعزل أبو عبيد الله، وولي يعقوب بن داود، فقال سلم الخاسر فيه:

**يعقوب ينظر في الأمو**

**ر وأنت تنظر ناحيه**

**أدخلته فعلا عليك كذاك شؤم الناصيه**

قال: وكان بلغ المهدي من جهة الربيع أن أبي عبيد الله زنديق، فقال له المهدي: هذا حسد منك. فقال: افحص عن هذا، فإن كنت مبطلاً بلغت مني الذي يلزم من كذلك. فأتى بابن عبيد الله، فقرره تقريراً خفياً، فأقر بذلك، فاستتابه، فأبى أن يتوب، فقال لأبيه: اقتله، فقال: لا تطيب نفسي بذلك. فقتله وصلبه على باب أبي عبيد الله. قال: وكان أبي عبيد الله هذا من أحمق الناس: وهب له المهدي وصيفة، ثم سأله بعد ذلك عنها، فقال: ما وضعت بيني وبين الأرض حشية قط أوطأ منها حاشا سامع، فقال المهدي لأبيه: أترأه يعني، أو يعنيك؟ قال: بل يعني أمه الزانية، لا يكنى.

**شعره في الفضل حين أخذ البيعة للمهدي**

أخبرني الحسن بن علي، قال: حدثنا ابن مهرويه، قال: حدثني يحيى بن الحسن، قال: حدثني أبي، قال: كنت أنا والربيع نسير قريباً من محل المنصور حين قال للربيع: رأيت كأن الكعبة تصدعت، وكأن رجلاً جاء بجبل أسود فشددها، فقال له الربيع: من الرجل؟ فلم يجبه، حتى إذا اعتل قال للربيع: أنت الرجل الذي رأيت في نومي شدد الكعبة! فأبي شيء تعمل بعدي؟ قال: ما كنت أعمل في حياتك، فكان من أمره في أخذ البيعة للمهدي ما كان، فقال سلم الخاسر في الفضل بن الربيع:

يا بن الذي جبر الإسلام يوم وهي  
 قالت قريش غداة أنهاض ملكهم:  
 فقام بالأمر مثناس بوحدته  
 إن الأمور إذا ضاقت مسالكها  
 ماضي العزيمة ضراب القماحيد  
 حلت يد الفضل منها كل معقود  
 رواق مجد على العباس ممدود  
 إن الربيع وإن الفضل قد بنيا  
 قال: فوهب له الفضل خمسة آلاف دينار.

### شعره حين عقدت البيعة للأمين

أخبرني عمي، قال: حدثنا أبو هفان، قال: حدثني سعيد أبو هرير وأبو دعامة، قالا: لما قال سلم الخاسر في  
 الرشيد حين عقد البيعة لابنه محمد الأمين:

قد بايع الثقلان في مهد الهدى  
 وليته عهد الأنام وأمرهم  
 لمحمد بن زبيدة ابنه جفر  
 فدمغت بالمعروف رأس المنكر

أعطته زبيدة مائة ألف درهم.

المهدي يأمر له بخمسمائة ألف درهم لقصيدته فيه أخبرني الحسن بن علي، قال: حدثنا محمد بن القاسم بن  
 مهرويه، قال: حدثنا عبد الله بن عمرو، قال: حدثني أحمد بن محمد بن علي الخراساني، عن يحيى بن الحسن بن  
 عبد الخالق، عن أبيه، قال: قال سلم الخاسر في المهدي قصيدته التي يقول فيها:

له شيمة عند بذل العطا  
 ومهدي أمتنا والذي  
 ء لا يعرف الناس مقدارها  
 حماها وأدرك أوتارها

فأمر له المهدي بخمسمائة ألف درهم.

طلب إلى الرشيد أن يفضله في الجائزة على مروان بن أبي حفصة فأجابه أخبرنا وكيع، قال: حدثنا عبد الله بن  
 سليمان، قال: حدثنا منصور بن أبي مزاحم، قال: شهدت المهدي وقد أمر لمروان بن أبي حفصة بأربعين ألف  
 درهم، وفرض على أهل بيته وجلسائه ثلاثين ألف درهم. وأمر الرشيد بعد ذلك لما ولى الخلافة لسلم الخاسر -  
 وقد مدحه - بسبعين ألف درهم، فقال له: يا أمير المؤمنين، إن أكثر ما أعطى المهدي مروان سبعون ألف درهم،  
 فردني وفضلني عليه، ففعل ذلك، وأعطاه تمة ثمانين ألف درهم، فقال سلم: فخره على مروان بجائزته ورد  
 مروان عليه

ألا قل لمروان أتتك رسالة  
 لها نبأ لا ينثني عن لقائكا

مشهرة قد طأطأت من حباتكا  
ولم يك قسماً من أولى وأولاتكا

حباني أمير المؤمنين بنفحة  
ثمانين الفاً حزت من صلب ماله

فأجابه مروان فقال:

تقصر عنها بعد طول عنائك  
لما ابتلت الدلو التي في رشائك  
تقوم بها مصرورة في رداك

أسلم بن عمرو قد تعاطيت غاية  
فأقسم لولا ابن الربيع ورفده  
وما نلت مذ صورت إلا عطية

### مات عن غير وارث فوهب الرشيد تركته

حدثني وسوسة بن الموصلي، وهو محمد بن أحمد بن غسماويل بن إبراهيم، قال: حدثني حماد، عن أبيه قال: استوهب أبي من الرشيد تركة سلم الخاسر، وكان قد مات عن غير وارث، فوهبها له قبل أن يتسلمها صاحب الموارث، فحصل منها خمسين ألف دينار.

أخبرني عمي، قال: حدثني أبو هفان، عن سعيد بن هريم وأبي دعامة أنه رفع إلى الرشيد أن سلما الخاسر قد توفي، وخلف مما أخذه منه خاصة ومن زبيدة ألف ألف وخمسمائة ألف درهم سوى ما خلفه من عقار وغيره مما اعتقده قديماً، فقبضه الرشيد. وتظلم إليه مواليه من آل أبي بكر الصديق، رضوان الله عليهم، فقال: هذا خادمي ونديمي، والذي خلفه من مالي، فأنا أحق به، فلم يعطهم إلا شيئاً يسيراً من قديم أملاكه.

رثاؤه معن بن زائدة ومالكاً وشهاباً ابني عبد الملك بن مسمع

أخبرني هاشم بن محمد الخراعي، قال: حدثنا عيسى بن إسماعيل، عن القحذمي، قال: كان مالك وشهاب ابنا عبد الملك بن مسمع ومعن بن زائدة متواخين، لا كادون يفترون. وكان سلم الخاسر ينادمهم ويمدحهم، ويفضلون عليه ولا يحوجونه إلى غيرهم، فتوفي مالك ثم أخوه ثم معن في مدة متقاربة، فقال سلم يرثيهم:

واندبي من أصاب ريب الزمان

عين جودي بعبرة تهتان

فعلى مالك أبي غسان

وإذا ما بكيت قوماً كراماً

ن غيائاً للهالك الحيران

أين معن أبو الوليد ومن كا

ولا عاقداً بحلف يمان

طرقتك المنون لا واهي الحبل

عند بذل الندى وحر الطعان

وشهاب وأين مثل شهاب

وخرق رزئت من شيبان

رب خرق رزئته من بني قيس

منهم في لفائف الكتان!

در در الأيام ماذا أجننت

وشهاب ثوى بأرض عمان

وللف الأقران بالأقران

ويفكان كل كبل وعان

ذاك معن ثوى ببست رهيناً

وهما ما هما لبذل العطايا

يسبقان المنون طعناً وضرباً

أمر له الرشيد بمائة ألف درهم في قصيدة أنشده إياها أخبرني وكيع، قال: حدثني يزيد بن محمد المهلي، قال: حدثني عبد الصمد بن المعذل، قال: لما أنشد سلم الخاسر الرشيد قصيدته فيه:

### حضر الرحيل وشدت الأحداج

أمر له بمائة ألف درهم.

من شعره في الفضل بن يحيى وجائزته عليه حدثني جحظة قال: حدثني ميمون بن هارون قال: دخل سلم الخاسر على الفضل بن يحيى في يوم نيروز والهدايا بين يديه، فأنشده:

وقد أقوت منزله

ل حب ما يزايله

ف إن الحب قاتله

وقد نامت عواذله

أمن ربع تسائله

بقلبي من هوى الأطلا

رويدكم عن المشغو

بلايل صدره تسري

أحق الناس بالتفصيل من ترجى فواضله

ق ما ضمت حمائله

س إلا الفضل فاضله

فتفعله أنامله

فإن الفضل فاعله

رأيت مكارم الأخلا

فلست أرى فتي في النا

يقول لسانه خيراً

ومهما يرج من خير

وكان إبراهيم الموصللي وابنه إسحاق حاضرين، فقال لإبراهيم: كيف ترى وتسمع؟ قال: أحسن مرئي ومسموع، وفضل الأمير أكثر منه. فقال: خذوا جميع ما أهدي إلي اليوم فاقتسموا بينكم أثلاثاً إلا ذلك التمثال، فإني أريد أن أهديه اليوم إلى دنانير، ثم قال: لا، والله، ما هكذا تفعل الأحرار، يقوم وندفع إليهم ثمه، ثم تهديه. فقوم بألف دينار، فحملها إلى القوم من بيت ماله، واقتسموا جميع الهدايا بينهم.

شعر له يعده معن بن زائدة أحسن ما مدح به أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي، قال: حدثني عيسى بن إسماعيل تينة، قال: حدثني القحذمي، قال: قيل لمعن بن زائدة: ما أحسن ما مدحت به من الشعر عندك؟ قال: قول سلم الخاسر:

أن خير الود ما نفعا

أبلغ الفتیان مألکة

أن قرما من بني مطر

أنثفت كفاه ما جمعا

كلما عدنا لنائله

عاد في معرفه جذعا

شعر له في الفضل بن يحيى وقد أشار برأي أخذ به أخبرني عمي، قال: حدثني عبد الله بن أبي سعد، قال: حدثني أبو توبة، وأخبرني الحسن بن علي، قال: حدثني محمد بن القاسم بن مهرويه، عن أبي توبة، قال: حدث في أيام الرشيد أمر فاحتاج فيه إلى الرأي، فأشكل، وكان الفضل بن يحيى غائباً، فورد في ذلك الوقت، فأخبروه بالقصة، فأشار بالرأي في وقته، وأنفذ الأمر على مشورته، فحمد ما جرى فيه، فدخل عليه سلم الخاسر فأنشده:

بديهته وفكرته سواء

إذا ما نابه الخطب الكبير

وأحزم ما يكون الدهر رأياً

إذا عي المشاور والمشير

فأمر له بعشرة آلاف درهم.

اشترى سكوت أبي الشمقمق عن هجائه أخبرني جعفر بن قدامة، قال: حدثني أبو العيلاء، قال: حدثني الجماز أن أبا الشمقمق جاء إلى سلم الخاسر يستميحه فمنعه، فقال له: اسمع إذاً ما قلته، وأنشده:

حدثوني أن سلما

يشتكى جارة أيره

فهو لا يحسد شيئاً

غير أير في است غيره

وإذا سرك يوماً

يا خليلي نيل خيره

قم فمر راهبك الأصلع يقرع باب ديره

فضحك سلم، وأعطاه خمسة دنانير، وقال له: أحب - جعلت فداءك - أن تصرف راهبك الأصلع عن باب ديرنا.

أنشد الرشيد فتطير وأمر بإخراجه أخبرنا الحسن بن علي، قال: حدثنا ابن مهرويه، قال: حدثني أحمد بن أبي كامل، قال: حدثني أبو دعامة، قال: دخل سلم الخاسر على الرشيد، فأنشده:

حي الأحية بالسلام

فقال الرشيد:

حياهم الله بالسلام

فقال:

على وداع أم مقام

فقال الرشيد: حياهم الله على أي ذلك كان، فأنشده:

## لم يبق منك ومنهم

## غير الجلود على العظام

فقال له الرشيد: بل منك، وأمر بإخراجه، وتطير منه، ومن قوله، فلم يسمع منه باقي الشعر ولا أثابه بشيء. شعره في الهادي حين بويغ له أخبرني محمد بن مزيد، قال: حدثنا حماد بن إسحاق، عن أبيه، قال: أتت وفاة المهدي إلى موسى الهادي، وهو بجرجان، فبويغ له هناك، فدخل عليه سلم الخاسر مع المهنيين، فنأه بخلافة الله، ثم أنشده:

لما أتت خير بني هاشم

خلافة الله بجرجان

شمر للحزم سراييله

برأي لا غمر ولا وان

لم يدخل الشورى على رأيه

والحزم لا يمضيه رأيان

يقر بأستاذية بشار له

أخبرني الحسن بن علي وعمي، قالا: حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه، قال: حدثني صالح بن عبد الرحمن، عن أبيه، قال: دخل سلم الخاسر على الرشيد، وعنده العباس بن محمد وجعفر بن يحيى، فأنشده قوله فيه:

## حضر الرحل وشدت الأحداج

فلما انتهى إلى قوله:

## إن المنايا في السيوف كوامن حتى يهيجها فتى هياج

فقال الرشيد: كان ذلك معن بن زائدة، فقال: صدق أمير المؤمنين، ثم أنشد حتى انتهى إلى قوله:

## ومدحج يغشى المضيق بسيفه حتى يكون بسيفه الإفراج

فقال الرشيد: ذلك يزيد بن مزيد، فقال: صدق أمير المؤمنين، فاغتاظ جعفر بن يحيى، وكان يزيد بن مزيد عدواً للبرامكة، مصافياً للفضل بن الربيع، فلما انتهى إلى قوله:

## نزلت نجوم الليل فوق رؤوسهم

## ولكل قوم كوكب وهاج

قال له جعفر بن يحيى: من قلة الشعر حتى تمدح أمير المؤمنين بشعر قيل في غيره! هذا لبشار في فلان التميمي، فقال الرشيد: ما تقول يا سلم؟ قال: صدق يا سيدي، وهل أنا إلا جزء من محاسن بشار، وهل أنطلق إلا بفضل منطقته! وحياتك يا سيدي إني لأروي له تسعة آلاف بيت ما يعرف أحد غيري منها شيئاً، فضحك الرشيد، وقال: ما أحسن الصدق! امض في شعرك، وأمر له بمائة ألف درهم، ثم قال للفضل بن الربيع: هل قال أحد غير سلم في طيننا المنازل شيئاً؟ - وكان الرشيد قد انصرف من الحج، وطوى المنازل. وصفه هو والنمري على الرشيد للمنازل فوصف ذلك سلم - فقال الفضل: نعم يا أمير المؤمنين، النمري، فأمر سلماً أن يثبت قائماً حتى يفرغ النمري من إنشاده، فأنشده النمري، قوله:

## تخرق سربال الشباب مع البرد

## وحالت لنا أم الوليد عن العهد

فقال الرشيد للعباس بن محمد: أيهما أشعر عندك يا عم؟ قال: كلاهما شاعر، ولو كان الكلام يستفحل لجودته حتى يؤخذ منه نسل لاستفحلت كلام النمري، فأمر له بمائة الف درهم أخرى.  
رثاه أشجع السلمي أخبرني عمي، قال: أنشدني أحمد بن أبي طاهر لأشجع السلمي يرثي سلماً الخاسر ومات سلم قبله:

يا سلم إن أصبحت في حفرة  
موسداً تريباً وأحجارا  
فرب بيت حسن قلته  
خلفته في الناس تيارا  
قلدته ربا وسيرته  
فكان فخراً منك أو عارا  
لو نطق الشعر بكى بعده  
عليه إعلاناً وإسرارا

## صوت

يا ويح من لعب الهوى بحياته  
فأماته من قبل حين مماته  
من ذا كذا كان الشقي بشادن  
هاروت بين لسانه ولهاته  
وحياة من أهوى فإني لم أكن  
يوماً لأحلف كاذباً بحياته  
لأخالفن عواذلي في لذتي  
ولأسعدن أخي على لذاته

الشعر لبعض شعراء الحجازيين ولم يقع إلينا اسمه، والغناء لأبي صدقة رمل بالبصرة .

## أخبار أبي صدقة

### اسمه وولاه

اسمه مسكين بن صدقة من أهل المدينة، مولى لقريش. وكان مليح الغناء، طيب الصوت، كثير الرواية، صالح الصنعة؛ من أكثر الناس نادرة، وأخفهم روحاً، وأشدهم طمعاً، وألهم في مسألة. وكان له ابن يقال له: صدقة يعني، وليس من المعدودين، وابن ابنه أحمد بن صدقة الطنبوري -أحد المحسنين من الطنبوريين، وله صنعة جيدة، وكان أشبه الناس بجده في المزح والنوادر. وأخباره تذكر بعد أخبار جده. وأبو صدقة من المغنين الذين أقدمهم هارون الرشيد من الحجاز في أيامه.

### يذكر أسباب كثرة سؤاله

أخبرني علي بن عبد العزيز، عن عبيد الله بن عبد الله، قال: قيل لأبي صدقة ما أكثر سؤالك، وأشد إلحاحك! فقال: وما يعنيني من ذلك، واسمي مسكين، وكنيتي أبو صدقة، وامراتي فاقه، وابني صدقة!.

### يتغنى مع مغني الرشيد

#### فيشند طرب الرشيد لغنائه

أخبرني رضوان بن أحمد الصيدلاني، قال: حدثنا يوسف بن إبراهيم، قال: حدثنا أبو إسحاق إبراهيم بن المهدي أن الرشيد قال للحارث بن بسخر: قد اشتهيت أن أرى ندمائي ومن يحضر مجلسي من المغنين جميعاً في مجلس واحد، يأكلون ويشربون، ويتدلون منبسطين على غير هيبة ولا احتشام، بل يفعلون ما يفعلون في منازلهم وعند نظرائهم، وهذا لا يتم إلا بأن أكون بحيث لا يروني، عن غير علم منهم برؤيتي إياهم. فأعد لي مكاناً أجلس فيه أنا وعمي سليمان وأخوتي: إبراهيم بن المهدي، وعيسى بن جعفر، وجعفر بن يحيى. فإنا مغلسون عليك غداة غد، واستزر أنت محمد بن خالد بن برمك، وخالد أخا مهرويه، والخضر بن جبريل، وجميع المغنين، وأجلسهم بحيث لا نراهم ولا يرونا، وابسط الجميع، وأظهر برهم، واخلع عليهم، ولا تدع من الإكرام شيئاً إلا فعلته بهم. ففعل ذلك الحارث، وقدم إليهم الطعام فأكلوا، والرشيد ينظر إليهم، ثم دعا لهم بالنبيذ، فشربوا، وأحضرت الخلع، وكان ذلك اليوم شديد البرد، فخلع على ابن جامع جبة خز طاروني مبطنه بسمور صيني، وخلع على إبراهيم الموصلية جبة وشي كوفي مرتفع مبطنه بفنك، وخلع على أبي دراعة ملحمة خراسانية محشوة بقز، ثم تغنى ابن جامع، وتغنى بهذه إبراهيم، وتلاههما أبو صدقة فغنى لابن سريح:

### ومن أجل ذات الخال أعملت ناقتي أكلفها سير الكلال مع الظلع

فأجاده، واستعاده الحارث ثلاثاً وهو يعيده. فقال له الحارث: أحسنت والله يا أبا صدقة! قال له: هذا غنائي وقد قرصني البرد، فكيف تراه -فديتك- كان يكون لو كان تحت دراعتي هذه شعيرات؟ يعني الوبر، والرشيد يسمع ذلك فضحك، فأمر بأن يخلع عليه دراعة ملحمة مبطنه بفنك، ففعلوا، ثم تغنى الجماعة، وغنى أبو صدقة لمعبد:

### بأن الخليل على بزل مخيسة هذل المشافر أدنى سيرها الرمل

ثم تغنى بعده لمعبد أيضاً:

### بان الخليل ولو طووعت ما بانا وقطعو من حبال الوصل أقرانا

فأقام فيهما جميعاً القيامة، فطرب الرشيد حتى كاد أن يخرج إلى المجلس طرباً فقال له الحارث: أحسنت والله يا أبا صدقة -فديتك- وأجملت، فقال أبو صدقة: فكيف ترى -فديتك- الحال تكون لو كانت على هذه الدراعة

نقيطات؟ يعني الوشم، فحضك الرشيد حتى ظهر ضحكك، وعلموا بموضعه، وعرف علمهم بذلك فأمر بإدخالهم عليه، وأمر بأن يخلع على أبي صدقة دراعة أخرى مبطنة، فخلعت عليه.

### صادره الحسن بن سليمان على جعل

### يأخذه ويكف عن السؤال فلم يف له

أخبرني محمد بن يزيد بن أبي الأزهر، قال: حدثنا حماد بن إسحاق، عن أبيه، قال: سأل الحسن بن سليمان أخو عبيد الله بن سليمان الطفيلي الفضل وجعفرأبني يحيى أن يقيما عند يوماً، فأجاباه ، فواعد عدة من المغنين، فيهم أبو صدقة المدني، فقال لأبي صدقة: إنك تبرم بكثرة السؤال: فصادرتني على شيء أدفعه إليك ولا تسأل شيئاً غيره، فصادره على شيء أعطاه إياه. فلما جلسوا وغنوا أعجبوا بغناء أبي صدقة، واقترحوا عليه أصواتاً من غناء ابن سريج ومعبد وابن محرز وغيرهم، فغناهم، ثم غنى -والصنعة له رمل:

فأماته من قبل حين مماته

يا ويح من لعب الهوى بحياته

هارون بين لسانه ولهاته

من ذا كذا كان الشقي بشهادن

وذكر الأبيات الأربعة المتقدم ذكرها، قال: فأجاد وأحسن ما شاء، وطرب جعفر، فقال له: أحسنت وحياتي، وكان عليه دواج خز مبطن بسمور جيد، فلما قال له ذلك شرهت نفسه وعاد إلى طبعه، فقال: لو أحسنت ما كان هذا الدواج عليك، ولتخلعنه علي، فألقاه عليه، ثم غنى أصواتاً من القديم والحديث، وغنى بعدها من صناعته في الرمل:

ولم أغب عنك فتتاعني

لم يطل العهد فتتساني

ولم تكن صاحب بهتان

بدلت بي غيري وباهنتي

بعدك في سر وإعلان

لا وثقت نفسي بإنسان

منك ومن عهد وأيمان

أعطيتني ما شئت من موثق

فقال له الفضل: أحسنت وحياتي! فقال: لو أحسنت لخلعت علي جبة تكون شكلاً لهذا الدواج، فترع جيبته وخلعها عليه، وسكروا وانصرفوا. فوثب الحسن بن سليمان، فقال له: قد وافقتك على ما أرضاك، ودفعته إليك على ألا تسأل أحداً شيئاً، فلم تف، وقد أخذت مالك! والله لا تركت عليك شيئاً مما أخذته، ثم انتزعه منه كرهاً وصرفه، فشكاه أبو صدقة إلى الفضل وجعفر، فضحكا منه، وأخلفا عليه ما ارتجعه الطفيلي منه من خلعهما.

نسبة ما مضى في هذه الأخبار من الغناء صوت

هدل المشافر أدنى سيرها الرمل

بان الخليط على بزل مخيسة

ينفي الزمام إذا ما حنت الإبل

من كل أعيس نضاح القفا قطم

الغناء لابن عائشة، خفيف ثقيل أول بالوسطى عن عمرو الهشامي، وقال الهشامي خاصة: فيه لابن محرز هزج، وإسحاق ثقيل أول، ووافقه ابن المكي. وما وجدت لمعبد فيه صنعة في شيء من الروايات، إلا في المذكور. وأما:

بان الخليط ولو طووعت ما بانا

فقد مضى في المائة المختارة، ونسب هناك وذكرت أخباره.

### يذكر للرشيد أسباب إلحاحه في المسألة

أخبرني رضوان بن أحمد، قال: حدثنا يوسف بن إبراهيم، قال: حدثني أبو إسحاق إبراهيم بن المهدي، قال: كان أبو صدقة أسأل خلق الله وألحهم، فقال له الرشيد: ويلك ما أكثر سؤالك! فقال: وما يعني من ذلك، واسمي مسكين، وكنيتي أبو صدقة، واسم ابني صدقة، وكانت أمي تلقب فاقدة، واسم أبي صدقة، فمن أحق مني بهذا؟ كثرة عبث الرشيد معه وكان الرشيد يعبث به عبثاً شديداً، فقال ذات يوم لمسرور: قل لابن جامع وإبراهيم الموصلي وزبير بن دحمان وزلز وبرصوصاً وابن أبي مريم المدني: إذا رأيتموني قد طابت نفسي، فليسألني كل واحد منهم حاجة، مقدارها مقدار صلته. وذكر لكل واحد منهم مقدار ذلك، وأمرهم أن يكتموا أمرهم عن أبي صدقة، فقال لهم مسرور ما أمره به، ثم أذن لأبي صدقة قبل إذنه لهم، فلما جلس قال له: يا أبا صدقة، قد أضجرتني بكثرة مسألتك، وأنا في هذا اليوم ضجر، وقد أحببت أن أتفرج وأفرح، ولست آمن أن تنغص علي مجلس بمسألتك، فإما أن أعفيتني من أن تسألني اليوم حاجة وإلا فانصرف. فقال له: يا سيدي لست أسألك في هذا اليوم، ولا إلى شهر حاجة، فقال له الرشيد: أما إذا شرطت لي هذا على نفسك، فقد اشترت منك حوائجك بخمسمائة دينار، وها هي ذو فخذها هنيئاً معجلة، فإن سألتني شيئاً فعددها في هذا اليوم، فلا لوم علي إن لم أصلك سنة بشيء. فقال له: نعم، وستين. فقال له الرشيد: زدني في الوثيقة، فقال: قد جعلت أمر أم صدقة في يدك، فطلقها متى شئت، إن شئت واحدة، وإن شئت ألفاً إن سألتك في يومي هذا حاجة. وأشهد الله ومن حضر على ذلك، فدفعت إليه المال، ثم أذن للجلساء والمغنين فحضروا، وشرب القوم.

فلما طابت نفس الرشيد قال له ابن جامع: يا أمير المؤمنين، قد نلت منك ما لم تبلغه أمني، وكثير إحسانك إلي حتى كبت أعدائي وقتلتهم. وليست لي بمكة دار تشبه حالي، فإن رأى أمير المؤمنين أن يأمر لي بمال أبي به داراً، وأفرشها بباقيه لأفقا عيون أعدائي وأزهق نفوسهم - فعل، فقال: وكم قدرت لذلك؟ قال: أربعة آلاف دينار، فأمر له بها. ثم قام إبراهيم الموصلي فقال له: قد ظهرت نعمتك علي وعلى أكابر ولدي، وفي أصغرهم من قد

بلغ، وأريد تزويجه، ومن أصاغرهم من أحتاج إلى أن أطهره، ومنهم صغار أحتاج إلى أن أتخذ لهم خدماً، فإن رأى أمير المؤمنين أن يحسن معونتي على ذلك فعل، فأمر له بمثل ما أمر لابن جامع، وجعل كل واحد منهم يقوم فيقول من الثناء ما يحضره، ويسأل حاجة على قدر جائزته، وأبو صدقة ينظر إليهم وإلى الأموال تفرق يميناً وشمالاً، فوثب على رجليه قائماً، وقال للرشيد: يا سيدي، أقلي، أقال الله عثرتك! فقال له الرشيد: لا أفعل، فجعل يستحلفه ويضطرب<sup>4</sup> ويلج، والرشيد يضحك ويقول: ما إلى ذلك سبيل، الشرط أملك.

فلما عيل صبره أخذ الدنانير فرمى بها بين يدي الرشيد، وقال له: هاكها قد رددتها عليك وزدتك فرج أم صدقة فطلقها إن شئت واحدة، وإن شئت ألفاً. وإن لم تلحقني بجوائز القوم فألحقني بجائزة هذا البارء بن البارء عمرو الغزل، وكانت صلته ألف دينار. فضحك الرشيد حتى استلقى، ثم رد عليه الخمسمائة الدينار، وأمر له بألف دينار معها. وكان ذلك أكثر ما أخذه منه مذ يوم خدمه إلى أن مات، فانصرف يومئذ بألف وخمسمائة دينار.

عبث جعفر بن يحيى والرشيد به أخبرني رضوان بن أحمد، قال: حدثني يوسف بن إبراهيم، قال: حدثني أبو إسحاق، قال: مطرنا ونحن مع الرشيد بالرقعة مطراً مع الفجر، واتصل إلى غد ذلك اليوم، وعرفنا خبر الرشيد، وأنه مقيم عند أم ولده المسماة بسحر، فتشاغلنا في منازلنا. فلما كان من غد جاءنا رسول الرشيد، فحضرنا جميعاً، وأقبل يسأل واحداً واحداً عن يومه الماضي: ما صنع فيه فيخبره، إلى أن انتهى إلى جعفر بن يحيى، فسأله عن خبره، فقال: كان عندي أبو زكار الأعمى وأبو صدقة، فكان أبو زكار كلما غنى صوتاً لم يفرغ منه حتى يأخذه أبو صدقة، فإذا انتهى الدور إليه أعاده، وحكى أبا زكار فيه وفي شمائله وحركاته، ويفطن أبو زكار لذلك فيجن ويموت غيظاً، ويشتم أبا صدقة كل شتم حتى يضجر، وهو لا يجيبه ولا يدع العبث به، وأنا أضحك من ذلك إلى أن توسطنا الشراب وسئمنا من العبث به، فقلت له: دع هذا وغن غناءك، فغنى رماً ذكر أنه من صنعته، طربت له -والله يا أمير المؤمنين- طرباً ما أذكر أبي طربت مثله منذ حين، وهو: صوت

**وبثغر كأنه نظم در**

**فتنتني بقاحم اللون جعد**

**ر وعين في طرفها نفت سحر**

**وبوجه كأنه طلعة البد**

فقلت له: أحسنت والله يا أبا صدقة، فلم أسكت عن هذه الكلمة حتى قال لي: إني قد بنيت داراً حتى أنفقت عليها حرييتي، وما أعددت لها فرشاً، فافرشها لي، نجد الله لك في الجنة ألف قصر. فتغافلت عنه، وعاود الغناء، فتعمدت أن قلت له: أحسنت، ليعاود مسألتي وأتغافل عنه، فسألني وتغافلت، فقال لي: يا سيدي هذا التغافل متى حدث لك؟ سألتك بالله، وبحق أيبك عليك إلا أجبتني عن كلامي ولو بشتم! فأقبلت عليه وقلت له: أنت والله بغيض، أسكت يا بغيض، واكفف عن هذه المسألة الملحة، فوثب بين يدي، وظننت أنه خرج لحاجة، وإذا هو قد نزع ثيابه وتجرد منها خوفاً من أن تبتل، ووقف تحت السماء، لا يواريه منها شيء والمطر يأخذه، ورفع رأسه، وقال: يا رب أنت تعلم أي مله، ولست نائحاً، وعبدك هذا الذي رفعته وأحوجتني إلى خدمته يقول لي: أحسنت، لا يقول لي: أسأت، وأنا منذ جلست أقول له: بنيت، لم أقل: هدمت، فيحلف بك جرأة عليك أي

بغيض، فاحكم بيني وبينه يا سيدي، فأنت خير الحاكمين.

فغلبني الضحك، وأمرت به فتنحى، وجهدت به أن يغني، فامتنع حتى حلفت له بحياتك يا أمير المؤمنين أبي أفرش له داره، وخدمته فلم أسم له ما أفرشها به، فقال الرشيد: طيب والله! الآن تم لنا به اللهو، وهو ذا أدعو به، فإذا رآك فسوف يقتضيك الفرش، لأنك حلفت له بحياتي، فهو يتنجز ذلك بحضرتي ليكون أوثق له، فقل له: أنا أفرشها لك بالبواري، وحاكمه إلي. ثم دعا به فأحضر، فما استقر في مجلسه حتى قال لجعفر بن يحيى: الفرش الذي حلفت لي بحياة أمير المؤمنين أنك تفرش به داري، تقدم فيه، فقال له جعفر: اختر، إن شئت فرشتها لك بالبواري، وإن شئت بالبردي من الحصر، فضج واضطرب.

فقال له الرشيد: وكيف كانت القصة؟ فأخبره، فقال له: أخطأت يا أبا صدقة، إذ لم تسم النوع ولا حددت القيمة، فإذا فرشها لك بالبواري أو بالبردي أو بما دون ذلك فقد وفي يمينه، وإنما خدعك، ولم تفتن له أنت، ولا توثقت، وضيعت حقلك. فسكت، وقال: نوفر البردي والبواري عليه أيضاً، أعزه الله. وغنى المغنين حتى انتهى إليه الدور، فأخذ يغني غناء الملاحين والبنائين والسقائين وما جرى مجراه من الغناء، فقال له الرشيد: أيش هذا الغناء ويلك! قال: من فرشت داره بالبواري والبري فهذا الغناء كثير منه، وكثير أيضاً لمن هذه صلته، فضحك الرشيد وطرب وصفق، ثم له بألف دينار من ماله وقال له: افرش دارك من هذه، فقال: وحياتك لا أخذها يا سيدي أو تحكم لي على جعفر بما وعدني، وإلا مت والله أسفاً لفوات ما حصل في طمعي ووعدت به، فحكم له على جعفر بخمسمائة دينار، فقبلها جعفر، وأمر له بها.

### قصة وصوله إلى السلطان

أخبرني محمد بن يزيد، قال: حدثنا حماد بن إسحاق، عن أبيه، قال: كان سبب وصول أبي صدقة إلى السلطان أن أبي لما حج مر بالمدينة، فاحتاج إلى قطع ثياب، فالتمس خياطاً حاذقاً، فدل على أبي صدقة، ووصف به بالحذق في الخياطة والحذق في الغناء، وخفة الروح، فأحضره فقطع له ما أراد وخاطه، وسمع غناؤه فأعجبه؛ وسأله عن حاله، فشكا إليه الفقر، فخلف لعياله نفقة سابعة لسنة، ثم أخذه معه وخلطه بالسلطان. قال حماد: فقال أبو صدقة يوماً لأبي: قد اقتصرت بي على صنعة أبي إسحاق أيلك، رحمه الله عندي، وأنت لا، رب ذلك بشيء، فقال له: هذه الصينية الفضة التي بين يدي لك إذا انصرفت، فشكره وسر بذلك، ولم يزل يغنيه بقية يومه، فلما أخذ النبيذ فيه قام قومة ليبول، فدعا أبي بصينية رصاص فحول قنينته وقده فيها، ورفع الصينية الفضة، فلما أراد أبو صدقة الانصراف شد أبي الصينية في منديل، ودفعها إلى غلامه، وقال له: بت الليلة عندي واصطبح غداً، وارد دابتك. فقال: إني إذا لأحمق، أدفع إلى غلامي صينية فضة، فيأخذها ويطلع فيها أو يبيعها، ويركب الدابة ويهرب، ولكني أبيت عندك، فإذا انصرفت غداً أخذتها معي، وبات وأصبح عندنا

مصطبحاً، فلما كان وقت انصرافه أخذها ومضى، فلم يلبث من غد أن جاءنا والصينية معه، فإذا هو قد وجه بها لتباع، فعرفوه أنها رصاص، فلما رآه أبي من بعيد ضحك، وعرف القصة، وتماسك، فقال أبو صدقة: نعم الخلافة خلفت أبك، وما أحسن ما فعلت بي! قال: وأي شيء فعلت بك؟ قال: أعطيتني صينية رصاص، فقال له أبي: سخنت عينك! سخرت امرأتك بك، وأنا من أين لي صينية رصاص؟ فتشكك ساعة، ثم قال: أظم والله أن ذلك كذلك، فقام. فقال له أبي: إلى أين؟ قال: أضع والله عليها السوط فأضربها به حتى ترد الصينية، فلما رأى أبي الجد منه قال له: اجلس يا أبا صدقة، فإنما مزحت معك، وأمر له بوزنها دراهم.

## صوت

مالك دق الرقاب

إن من يملك رقي

لم هذا في حسابي

لم يكن يا أحسن العا

الشعر لفضل الشاعرة، والغناء لعريب خفيف ثقيل بالوسطى، عن ابن المعتز .

## أخبار فضل الشاعرة

### نشأتها وصفاتها

كانت فضل جارية مولدة من مولدات البصرة، وكانت أمها من مولدات اليمامة. بها ولدت، ونشأت في دار رجل من عبد القيس، وباعها بعد أن أدبها وخرجها، فاشترت وأهدت إلى المتوكل. وكانت هي تزعم أن الذي باعها أخوها، وأنا أبها وطئ أمها فولدتها منه، فأدبها وخرجها معترفاً بها، وأن بنيه من غير أمها تواطئوا على بيعها وجحدها، ولم تكن تعرف بعد أن أعتقت إلا بفضل العبدية. وكانت حسنة الوجه والجسم والقوام، أدبية فصيحة سريعة البديهة، مطبوعة في قول الشعر. ولم يكن في نساء زمانها أشعر منها.

### كانت تجلس لرجال ويجيبها الشعراء

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان، قال: حدثني أحمد بن أبي طاهر، قال: كانت فضل الشاعرة لرجل من النخاسين، بالكرخ يقال له: حسنويه، فاشتراها محمد بن الفرغ أخو عمر بن الفرغ الرخجي، وأهداها إلى المتوكل، فكانت تجلس للرجال، ويأتيها الشعراء، فألقى عليها أبو دلف القاسم بن عيسى:

أشهى المطي إلي ما لم يركب

قالوا عشقت صغيرة فأجبتهم

نظمت وحبّة لؤلؤ لم تنقب

كم بين حبة لؤلؤ متقوبة

فقال فضل مجيبة له:

إن المطية لا يلد ركوبها  
والدري ليس بنافع أصحابه  
ما لم تذلل بالزمام وتركب  
حتى يؤلف للنظام بمتقب

### شعرها في المتوكل حين دخلت عليه

حدثني عمي ومحمد بن خلف، قالا: حدثنا أبو العيلاء، قال: لما دخلت فضل الشاعرة على المتوكل يوم أهديت إليه قال لها: أشاعرة أنت؟ قالت: كذا زعم من باعني واشتراني، فضحك وقال: أنشدنا شيئاً من شعرك فأنشدته:

استقبل الملك إمام الهدى  
-تعني سنة ثلاث وثلاثين من سني الهجرة-:  
علم ثلاث وثلاثيننا  
خليفة أفضت إلى جعفر  
وهو ابن سبع بعد عشريننا  
إننا لنرجو يا إمام الهدى  
أن تملك الناس ثمانينا  
لا قدس الله امرأ لم يقل  
عند دعائي لك: آمينا

### شعرها على لسان المعتمد في جارية

حدثني عمي، قال: حدثني أبو عبد الله أحمد بن حمدون، قال: عرضت على المعتمد جارية تباع في خلافة المتوكل، وهو يومئذ حديث السن، فاشتط مولاها في السوم، فلم يشتريها، وخرج بها إلى ابن الأغلب، فبيعت هناك. فلما ولي المعتمد الخلافة سأل عن خبرها، وقد ذكرها فأعلم أنها بيعت وأولدها مولاها، فقال لفضل الشاعرة: قولي فيها شيئاً، فقالت:

علم الجمال تركنتي  
ونصبتني يا منيتي  
فارقنتي بعد الدنو فصرت عندي كالحلم  
فو أن نفسي فارقت  
في الحب أشهر من علم  
غرض المظنة والتهم  
جسمي لفقدك لم تلم  
ما كان ضرك لو وصلت فخف عن قلبي الألم  
برسالة تهدينها  
أو لا فطيفي في المنا  
م فلا اقل من اللمم

## شعر لها تجيب به

## عن شعر في الشوق إليها

حدثني محمد بن العباس اليزيدي، قال: كتب بعض أهلنا إلى فضل الشاعر:

أصبحت فرداً هائم العقل  
إلى غزال حسن الشكل  
أضنى فؤادي طول عهدي به  
وبعده مني ومن وصلي  
منية نفسي في هوى فضل  
أن يجمع الله بها شملي  
أهواك يا فضل هوى خالصاً  
فما لقلبي عنك من شغل

قال: فأجابته: صوت

الصبر ينقص والسقام يزيد  
والدار دانية وأنت بعيد  
أشكوك أم أشكو إليك فإنه  
لا يستطيع سواهما المجهود  
إني أعوذ بحرمتي بك في الهوى  
من أن يطاع لديك في حسود

في هذه الأبيات رمل طنبروري. وأظنه للحظفة.

## شعر آخر تبادل فيه شوقاً بشوق

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان، قال: حدثني الحسن بن عيسى الكوفي، قال: حدثنا أبو دهمان، وأخبرني أيضاً به عبد الله بن نصر المروزي، قالوا: كانت فضل الشاعر من أحسن الناس وجهاً وخلقاً وخلقاً وأرقهم شعراً، فكتب إليها بعض من كان يجمعه وإياها مجلس الخليفة، ولا تطلعه على حبه لها:

ألا ليت شعري فيك هل تذكريني  
فذكراك في الدنيا إلي حبيب

وهل لي نصيب في فؤادك ثابت  
وكما لك في الفؤاد نصيب  
ولست بموصول فأحيا بزورة  
ولا النفس عند اليأس عنك تطيب

قال: فكتبت إليه:

نعم وإلهي إنني بك صبة  
فهل أنت يا من لا عدمت مثيب؟  
لمن أنت منه في الفؤاد مصور  
وفي العين نصب العين حين تغيب

فتق بوداد أنت مظهر مثله

على أن بي سقماً وأنت طبيب

### تجيز بيتاً أنشده المتوكل

أخبرني جعفر بن قدامة، قال: حدثني يحيى بن علي بن يحيى المنجم، قال: حدثني الفضل بن العباس الهاشمي، قال: حدثني بنان الشاعر، قالت: اتكأ المتوكل على يدي ويد فضل الشاعر، وجعل يمشي بيننا، ثم قال: أحيزا لي قول الشاعر:

وعلمها حبي لها كيف تغضب

تعلمت أسباب الرضا خوف عتبتها

فقالت له فضل:

وتبعد عني بالوصال وأقرب

تصد وأدنو بالمودة جاهداً

فقلت أنا:

فما منه لي بد ولا عنه مذهب

وعندي لها العتبي على كل حالة

### تجيب بيت عن بيت ألقى عليها

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان، قال: حدثني أحمد بن أبي طاهر، قال: ألقى بعض أصحابنا على فضل الشاعر:

تزود منها قلبه حسرة الدهر

ومستفتح باب البلاء بنظرة

فقالت:

على قلبه أو أهلكته وما تدري؟

فوالله ما يدري أتدري بما جنت

### ارتجالها شعراً تجيز به بيتاً

أخبرني محمد بن خلف، قال: حدثني أحمد بن أبي طاهر، قال: ألقى أنا على فضل الشاعر:

بهواك أشهر من علم

علم الجمال تركنتي

فقالت على اليديهية:

سقماً يجل عن السقم

وأبحتني يا سيدي

وتركنتي غرضاً فدينك للعواذل والتهم

الله يعلمه كرم

صلة المحب حبيبه

أخبرني محمد بن خلف، قال: حدثني محمد بن الوليد، قال: سمعت علي بن الجهم يقول: كنت يوماً عند فضل الشاعر، فلحظتها لحظة استرابت بها، فقالت:

يارب رام حسن تعرضه      يرمي ولا يشعر أني عرضه

فقلت:

أي فتى لحظك ليس يمرضه      وأي عقد محكم لا ينقضه!

فضحكت، وقالت: خذ في غير هذا الحديث.

### تتشوق إلى حبيب

حدثني عمي، قال: حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه، قال: حدثني إبراهيم بن المدبر، قال: كتبت فضل الشاعر إلى سعيد بن حميد أيام كانت بينهما محبة وتواصل:

وعيشك لو صرحت باسمك في الهوى      لأقصرت عن أشياء في الهزل والجد

ولكنني أبدي لهذا مودتي      وذاك، وأخلو فيك بالبت والوجد

مخافة أن يغري بنا قول كاشح      عدوا فيسعى بالوصول إلى الصد

فكتب إليها سعيد:

تتامين عن ليل وأسهره وحدي      وأنهى جفوني أن تبتك ما عندي

فإن كنت لا تدريين ما قد فعلته      بنا فانظري ماذا على قاتل العمدة؟

قال عمي: هكذا ذكر ابن مهرويه.

وحدثني به علي بن الحسين بن عبد الأعلى، فذكر أن بيتي سعيد كانا الابتداء، وأن أبيات فضل كانت الجواب. وذكر لهما خيراً في عتاب عاتبها به، ولم أحفظه، وإنما سمعته يذكره، ثم أخرج إلي كتاباً بعد ذلك فيه أخبار عن علي بن الحسين، فوجدت هذا الخبر فيه، فقرأته عليه.

قال علي بن الحسين بن عبد الأعلى: حضر سعيد بن حميد مجلساً حضرته فضل الشاعر وبنان، وكان سعيد يهواها، وتظهر له هوى، ويتهمها مع ذلك بنان، فرأى فيها إقبالاً شديداً على بنان، فغضب وانصرف، فكتبت إليه فضل بالأبيات الأولى، وأجابها بالبيتين الآخرين، فاتفقت رواية ابن مهرويه وعلي بن الحسين في هذا الخبر.

### تعتذر من حجب زائرین عنها دون علمها

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان، قال: حدثني أبو يوسف بن الدقاق الضرير، قال: صرت أنا وأبو منصور  
الباخرزي إلى منزل فضل الشاعر فحجبتنا عنها وانصرفنا، وما علمت بنا، ثم بلغها بحجبتنا وانصرفنا فكرهت ذلك  
وغمها، فكتبت إلينا تعتذر:

ولكن أمر الله ما عنه مذهب

وما كنت أخشى أن تروا لي زلة

بصفح و عفو ما تعود مذنب

أعوذ بحسن الصبح منكم وقبلنا

فكتب إليها أبو منصور الباخري:

فمثلك يا فضل الفضائل يعتب

لئن أهديت عتباك لي ولإخوتي

وكل امرئ لا يقبل العذر مذنب

إذا اعتذر الجاني محا العذر ذنبه

شعراه للمتوكل وقد يئست من إيقاظه لموعده بينهما حدثني علي بن هارون بن علي بن يحيى المنجم، قال: حدثني  
عمي عن جدي، قال: قال لي المتوكل يوماً - وفضل واقفة بين يديه: يا علي، كان بيني وبين فضل موعد،  
فشربت شرباً فيه فضل، فسكرت ونمت، وجاءتني للموعد، فحركتني بكل ما ينتبه به النائم من قرص وتحريك  
وغمز وكلام، فلم أنتبه. فلما علمت أنه لا حيلة لها في كتب رقعة ووضعها على مخدتي، فانتبهت فقرأتها، فإذا  
فيها:

لاي يحدو بالظلام

قد بدا شبهك يا مو

ت التزام والتنام

قم بنا نقض لبانا

دة أرواح النيام

قبل أن نقضنا عو

تماحي جارية هشام المكفوف أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان، قال: حدثني أحمد بن أبي طاهر، قال: كانت  
فضل الشاعر تماحي خنساء جارية هشام المكفوف، وكانت شاعرة، وكان أبو شبل عاصم بن وهب يعاون  
فضلاً عليها، ويهجوها مع فضل. وكان القصيدي والحفصي يعينان خنساء على فضل وأبي شبل، فقال أبو شبل  
على لسان فضل:

أصبحت معشوقة نذلين

خنساء طيري بجناحين

فأنت تهوين عشيقين

من كان يهوى عاشقاً واحداً

الحفصي قد زارك فردين

هذا القصيدي وهذا الفتى

ينعم خنزير بحشين

نعمت من هذا وهذا كما

فقال خنساء تحييها:

مقال خنزيرين فردين

ماذا مقال لك يا فضل بل

يكنى أبا الشبل ولو أبصرت

عيناه شبلاً راث كرين

وقالت فضل في خنساء:

إن خنساء لا جعلت فداها

اشتراها الكسار من مولاها

ولها نكهة يقول محاذيها

! أهذا حديثها أم فساها

وقالت خنساء في فضل وأبي شبل:

تقول له فضل إذا ما تخوفت

ركوب قبيح الذل في طلب الوصل

حر أم فتى لم يلق في الحب ذلة

فقلت لها لا بل حر أم أبي الشبل

وقالت خنساء تهجو أبا شبل:

ما ينقضي فكري وطول تعجبي

من نعمة تكنى أبا الشبل

لعب الفحول بسفلها وعجانها

فتمردت كتمرد الفحل

لما اكتنيت بما اكتنيت به

وتسمت النقصان بالفضل

كادت بنا الدنيا تميد ضحى

ونرى السماء تذوب كالمهل

قال: فغضب أبو شبل لذلك، ولم يجبها، وقال يهجو مولاها هشاماً:

نعم مأوى العزاب بيت هشام

حين يرمي اللثام باغي اللثام

من أراد السرور عند حبيب

لينال السرور تحت الظلام

فهشام نهاره ودجى الليل

سواء نفسي فداء هشام

ذاك حر دواته ليس تخلو

أبدأ من تخرق الأعلام

زارت سعيد بن حميد فأعجلها طلب الخليفة حدثني عمي، قال: حدثني ميمون بن هارون، قال: زارت فضل

الشاعرة سعيد بن حميد ليلة على موعد مسبق بينهما، فلما حصلت عنده جاءتها جاريتها مبادرة تعلمها أن

رسول الخليفة قد جاء يطلبها، فقامت مبادرة فمضت، فلما كان من غد كتب إليها سعيد:

ضن الزمان بها فلما نلتها

ورد الفراق فكان أقبح وارد

والدمع ينطق للضمير مصدقاً

قول المقر مكذباً للجاحد

ترثي المنتصر وتبكيه

حدثني الحسن بن علي، قال: حدثنا ابن أبي الدنيا، قال: حدثني ميسرة بن محمد، قال: حدثني عبيد بن محمد، قال: قلت لفضل الشاعرة: ماذا نزل بكم البارحة؟ - قال: وذلك في صبيحة قتل المنتصر المتوكل - فقالت وهي تكفي:

إن الزمان بذحل كان يطلبنا  
مالي وللدهر قد أصبحت همته  
ما كان أغفلنا عنه وأسهاننا!  
مالي وللدهر ما للدهر لا كانا!

### شعرها في حضرة المتوكل يوم نيروز

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان، قال: حدثني محمد بن الفضل، قال: حدثني أبو هفان، قال: حدثني أحمد بن أبي فنن، قال:

خرجت قبيحة إلى المتوكل يوم نيروز ويدها كأس بلور بشراب صاف، فقال لها: ما هذا فديتك؟ قالت: هديتي لك في هذا اليوم، عرفك الله بركته! فأخذه من يدها، وإذا على خدها: جعفر، مكتوباً بالمسك، فشرب الكأس وقبل خدها، وكانت فضل الشاعرة واقفة على رأسه فقالت: صوت

وكاتبة بالمسك في الخد جعفرأ  
لئن أثرت بالمسك سطرأ بخدها  
بنفسي سواد المسك من حيث أثرا  
سقى الله من سقيا ثناياك جعفرا  
فيا من مناها في السريرة جعفر

الغناء لعريب، خفيف رمل. قال: وأمر عريب فغنت فيه. وقالت فضل في ذلك أيضاً:

سلافة كالقمر الباهر  
يديرها خشف كبدر الدجي  
في قدح كالكوكب الزاهر  
فوق قضيب أهيف ناضر  
مثل الحسام المرهف الباتر  
على فتى أروع من هاشم

وقد رويت الأبيات الأولى لمحبة شاعرة المتوكل، ولها أخبار وأشعار كثيرة قد ذكرت بعضها في موضع آخر من هذا الكتاب.

### تتشوق إلى سعيد بن حميد

أخبرني محمد بن خلف، قال: أخبرني أبو الفضل المروودي، قال: كتبت فضل الشاعر إلى سعيد بن حميد:

بثنت هواك في بدني وروحي  
فأجابها سعيد في رقعتها:  
فألف فيهما طمعاً بياس

## كفانا الله شر اليأس إني

## لبغض اليأس أبغض كل آسي

بين بنان وسعيد بن حميد حدثني عمي، قال: حدثني ابن أبي المدور الوراق، قال: كنت عند سعيد بن حميد، وكان قد ابتدأ ما بينه وبين فضل الشاعرة يتشعب، وقد بلغه ميلها إلى بنان وهو بين المصدق والمكذب بذلك، فأقبل على صديق له فقال: أصبحت والله من أمر فضل في غرور، أخادع نفسي بتكذيب العيان، وأمنيتها ما قد حيل دونه. والله إن إرسالي إليها بعدما قد لاح من تغيرها لذل، وإن عدولي عنها وفي أمرها شبه لعجز، وإن تبصري عنها لمن دواعي التلف، والله در محمد بن أمية حيث يقول:

يا لبيت شعري ما يكون جوابي  
وأما الرسول فقد مضى بكتابي  
وتعجلت نفسي الظنون وأشعرت  
وطمع الحريص وخيفة المرتاب  
وتروعني حركات كل محرك  
والباب يقرعه وليس ببابي  
كم نحو باب الدار لي من وثبة  
أرجو الرسول بمطمع كذاب  
والويل لي من بعد هذا كله  
إن كان ما أخشاه رد جوابي

تعتذر إلى بنان فلا يقبل عذرها حدثن لحظة، قال: حدثني علي بن يحيى المنجم، قال: غضب بنان على فضل الشاعرة في أمر أنكره عليها، فاعتذرت إليه، فلم يقبل معذرتها، فأنشدتني لنفسها في ذلك:

يا فضل صبراً إنها ميتة  
يجرعها الكاذب والصادق  
ظن بنان أنني خنته  
روحي إذا من بدني طالق

## تجيز بيتاً لعلي بن الجهم طلب إجازته

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان، قال: حدثني أبو العباس المروزي، قال: قال المتوكل لعلي بن الجهم: قل بيتاً، وطالب فضل الشاعر بأن تجيزه، فقال علي: أجزى يا فضل:

لاذ بها يشتكى إليها  
فلم يزل ضارعاً إليها  
قال: فأطرفت هنيهة ثم قالت:  
فمات وجداً فكان ماذا؟  
فلم يجد عندها ملاذا  
فطرب المتوكل، وقال: أحسنت وحياتي يا فضل، وأمر لها بمائتي دينار، وأمر عريب فغنت في الأبيات.

قال مؤلف هذا الكتاب: أعرف في هذه الأبيات هزجاً لا أدري أهو هذا اللحن، أم غيره؟ ولم أره في أغاني عريب، ولعله شد عنها.

## صوت

ه ذل معيشة أبدا

وقاك السوء قد فسدا

ة يدعونه ولدا

أمامة لا أراك الل

ألا تستصلحين فتى

غلام كان أهلك مر

الشعر لعبد الله بن محمد بن سالم الخياط، والغناء للرباط الجدي، ثاني ثقيل، بالوسطى عن عمرو، وفيه ليحيى المكي ثاني ثقيل بالخنصر في مجرى عن إسحاق وأحمد بن المكي. وذكر عبد الله بن موسى بن محمد بن إبراهيم الإمام عن قلم الصالحية أنها أخذت اللحن المنسوب إلى الرباط عن تينة، وسألته عن صانعه فأخبرها أنه له.

## الجزء العشرون

### نسب ابن الخياط وأخباره

#### نسبه وولائه

هو عبد الله بن محمد بن سالم بن يونس بن سالم. ذكر الزبير بن بكار أنه مولى لقريش، وذكر غيره أنه مولى لهذيل.

#### أوصافه

وهو شاعر ظريف، ماجن خليع، هجاء خبيث، مخضرم من شعراء الدولة الأموية والعباسية. وكان منقطعاً إلى آل زبير بن العوام مداحاً لهم، وقدم على المهدي مع عبد الله بن مصعب فأوصله إليه، وتوصل له إلى أن سمع شعره وأحسن صلته.

#### يمدح المهدي فيجزه

#### ثم يمدحه فيضعف جائزته:

أخبرني الحرابي بن أبي العلاء قال: حدثنا الزبير بن بكار قال: حدثني يونس بن عبد الله بن سالم الخياط قال: دخل أبي على المهدي فمدحه، فأمر له بخمسين ألف درهم، فقال يمدحه:

أخذت بكفي كفه أبتغي الغنى  
ولم أدر أن الجود من كفه يعدى  
فلا أنا منه ما أفاد ذو الغنى  
أدت وأعداني فأتلفت ما عندي

قال: فبلغ المهدي خبره، فأضعف جائزته، وأمر بحملها إليه إلى منزله.  
قال الزبير بن بكار: سرق ابن الخياط هذا المعنى من ابن هرمة.

#### كان من الهجائين

أخبرني الحسن بن علي الخفاف قال: حدثنا أحمد بن أبي خيثمة، قال: حدثني مصعب بن عبد الله قال: سمعت أبي يقول: لم يرح هذه الثنية قط أحد يقذف أعراض الناس ويهجوهم، قلت: مثل من؟ قال: الخزين الكناني، والحكم بن عكرمة الدؤلي، وعبد الله بن يونس الخياط، وابنه يونس، وأبو الشدائد.

### عقوق ابنه يونس له

أخبرني محمد بن يزيد قال: حدثنا الزبير بن بكار قال: كان يونس بن الخياط عاقا لأبيه، فقال أبوه فيه:

يونس قلبي عليك يلتهم  
والعين عبرى دموعها تكف

تلحفني كسوة العقوق فلا  
برحت منها ما عشت تلتحف

أمرت بالخفض للجناح وبالر  
فق فأمسى يعوقك الأنف

وتلك والله من زبانية  
إن سلطوا في عذابهم عنفوا

فأجابه ابنه يونس، فقال:

أصبح شيخي يزري به الخرف  
ما إن له حرمة ولا نصف

صفاتنا في العقوق واحدة  
ما خلطنا في العقوق نختلف

لحفته سالفا أباك فقد  
أصبحت مني كذاك تلتحف

### يهجو رجلا شيد دارا وكان يعرفه بالضعة

أخبرني محمد بن خلف وكيع قال: حدثني طلحة بن عبد الله قال: حدثني أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل بن داود قال: مر ابن الخياط بدار رجل كان يعرفه قبل ذلك بالضعة وحساسة الحال، وقد شيد بإها وطرمح بناءها، فقال:

أطله فما طول البناء بنافع  
إذا كان فرع الوالدين قصيرا

يهجو موسى بن طلحة فلا يكثر لهجائه فيناشده أن يكتف عليه: أخبرني وكيع قال: أخبرني إبراهيم بن إسحاق بن إبراهيم بن صالح قال: أخبرني العامري قال: هجا ابن الخياط موسى بن طلحة بن بلال التيمي، فقال:

عجب الناس للعجيب المحال  
حاض موسى بن طلحة بن بلال

زعموه يحيض في كل شهر  
ويرى صفرة لكل هلال

قال: فلقية موسى، فقال: يا هذا، وأي شيء عليك؟ نعم حضت، وحملت، وولدت وأرضعت. فقال له ابن الخياط: أنشدك الله ألا يسمع هذا منك أحد فيجترئ على شعري الناس، فلا يكون شيئا، ولن يبلغك عني ما تكره بعد هذا، فتكافأ.

### شعره في جارية القتيلي

أخبرني الحرمي قال: حدثني الزبير قال: حدثني مصعب بن عثمان قال: ما رأيت بريق صلح الأشراف في سوق الرقيق أكثر منها يوم رحب القتيلة حارية إبراهيم بن أبي قتيلة، وكان يعشقها، وبيعت في دين عليه، فبلغت خمسمائة دينار فقال المغيرة بن عبد الله لابن أبي قتيلة: ويحك! اعتقها فتقوم عليك، فتزوجها، ففعل. فرفع ذلك إلى أبي عمران - وهو القاضي يومئذ - فقال: أخطأ الذي أشار عليه في الحكومة. أما نحن في الحكومة فقد عرفنا أن قد بلغت خمسمائة دينار، فذهبوا فقوموها، فإن بلغت القيمة أكثر من هذا ألزمناه، وإلا فخذوا منه خمسمائة دينار، فاستحسن هذا الرأي، وليس عليه الناس قبلنا، فقال ابن الخياط يذكر ذلك من أمر ابن قتيلة وما كان من أمر جاريته:

يا معشر العشاق من لم يكن  
لما رأى السوام قد أهدقوا  
مثل القتيلي فلا يعشق  
وصيح في المغرب والمشرق

واجتمع الناس على درة  
وأبدت الأموال أعناقها  
نظيرها في الخلق لم يخلق  
وطاحت العسرة للملوك  
يدير ما يأتي وما يتقي  
للمعتق المن على المعتق  
إن افرقنا فمتى نلتقي؟  
وقال للحاكم في أمرها  
أعتقها والنفس في شدقها  
قلوب في الرأى في نفسه  
وإذا ما أعتقها

وأخبرني بهذا الخبر وكيع قال: قال الزبير بن بكار، وذكر مثل ما ذكره الحرمي، وزاد فيه: فكان فيهم - يعني فيمن حضر - لاتباعها موسى بن جعفر بن محمد بن زيد بن علي، والقاسم بن إسحاق بن عبد الله بن جعفر، وغيرهم. قال: فرأيتهم قياما في الشمس يتزايدون فيها. وقال في خبره: ابن أبي قتيلة بالتاء. يسأل سائل عنه ابنه يونس فيمضي به إليه فيستشده شعره في العصبية: أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال: حدثنا الزبير بن بكار قال: حدثني يونس بن عبد الله بن سالم الخياط قال: كنت ذات عشية في مسجد رسول الله " وقت العصر في أيام الحاج، فإذا أنا برجل جميل عليه مقطعات خبز، وإذا معه جماعة. فوقف إلى جانبي فصلى ركعتين، ثم أقبل علي - وكان ذلك من أسباب الرزق - فقال: يا فتى، أتعرف عبد الله ابن سالم الخياط؟ فقلت: نعم. فلما صلينا قال: امض بنا إليه، فمضيت به، فاستخرجت له أبي من منزله، فقال الرجل: بلغني أنك قلت شعرا في أمر العصبية، فقال له أبي: ومن أنت بأبي أنت وأمي؟ فقال: أنا خزيم بن أبي الهيثم، فقال له أبي: نعم قد قلته، وأنشده:

استقياني من صرف هذي المدام  
واشربا حيث شئتما إن قيسا  
ودعاني وأقصر من ملامي  
قد علا عزها فروع الأنام

ليس والله بالشأم يمان  
فيه روح ولا بغير الشأم  
يطعم النوم حين تكتحل الأعين  
بالنوم عند وقت المنام  
حذرا من سيوف ضرغامة عا  
د على الهول باسل مقدم  
من بني مرة الأطايب يكنى  
عند دسر الرماح بالهيذام

### ابنه يونس ينافسه ليحرمه جائزة

قال: فأشرع الفتى يده إليه بشيء وجزاه خيرا. قال يونس: فبادرت فأخذت بيد المري وقلت له: لا تعجل فيني  
قد قلت شعرا أجود من شعره. قال أبي: ويلك يا يونس يا عاض بظر أمه! تحرمي؟ فقلت: دع هذا عنك، فوالله  
لا تجوع امرأتي وتشيع امرأتك، فقلت ليونس: ومن كانت امرأة أبيك يومئذ؟ فقال: أمي، وجمعت والله  
عقوقهما . فقال لي المري أنشد فأنشدته:

اسقياني يا صاحبي اسقياني  
ودعاني من الملام دعاني  
اسقياني هديتما من كميت  
بننت عشر مشمولة أسقياني  
فض عنها ختامها إذ سباها  
واضح الخد من بني عدنان  
نتحايا بالكأس أربعة في الد  
ور هذان ناعمان وذان  
ذالهدا ريحانة مثل هذا  
ك لهذا من طيب الريحان  
فنهضنا لموعد كان منا  
إذ سمعنا تجارب البكمان  
فنعمنا حولين بهرا وعشنا  
بين دف ومسمع ودنان  
ثم هجنا للحرب إذ شبت الحر  
خارج سهمها على السهمان  
إن قيسا في كل شرق وغرب  
ذام حلف السماح والإحسان  
منع الله ضيمنا بأبي الهي  
رون أن النبي غير يمان  
واليمانون يفخرون أما يد

قال: فقال الفتى لأبي: قد وجب علينا من حقه ما وجب علينا من حقلك يا شيخ؛ واستظرف ما جرى بيني وبين  
أبي، وقسم الدنانير بيننا، وكانت خمسين دينارا.

### ابنه يعصر حلقه

فيعترف لمنقذه بأن عق أباه من قبله:

أخبرني الحسن بن علي قال: حدثنا محمد بن موسى بن حماد قال: حدثني الزبير قال: مر رجل بيونس بن عبد الله بن الخياط -وهو يعصر حلق أبيه وكان عاقا به- فقال له: ويلك أتفعل هذا بأبيك؟ وخلصه من يده، ثم أقبل على الأب يعزيه ويسكن منه، فقال له الأب: يا أخي لا تلمه، واعلم أنه ابني حقا. والله لقد خنقت أبي في هذا الموضع الذي خنقتني فيه. فانصرف عنه الرجل وهو يضحك.

**يشكو حاله إلى محمد بن سعيد**

**فيأمر له بمعونة فيمدحه:**

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال: حدثني علي بن محمد بن سليمان النوفلي عن عمه عيسى قال: شكى عبد الله بن يونس الخياط إلى محمد بن سعيد بن المغيرة بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب حاله وضيقا قد ناله، فأمر له بدنانير وكسوة وتمر، فقال يمدحه:

يا بن سعيد يا عقيد الندى	يا بارع الفضل على المفضل
حللت في الذروة من هاشم	وفي يفاع من بني نوفل
فطاب في الفرعين هذا وذا	ما اعتم من منصبك الأطوال
قد قلت للدهر وقد نالني	بالباب والمخلب والكلكل
قد عذت من ضرك مستعصما	بها شمي ماجد نوفلي
فقال لي أهلا وسهلا معا	فزت ولم يمنع ولم يبخل
الدهر شقان فشق له	لين وشق خشن المنزل
وأخشن الشقين عني نفي	وشقه الألين ما عاش لي
فقل لهذا الدهر ما عاش لا	تبق ولا ترع ولا تأتلي

يأخذه والى الحجاز بالصلاة

**فيحاول أن يعفيه منها:**

أخبرني محمد بن يزيد قال: حدثنا الزبير بن بكار قال: أخذ أبي -لما ولي الحجاز عبد الله بن يونس الخياط- بأن يصلي الصلوات الخمس مع الجماعة في مسجد رسول الله "، فجاءني هو ومحمد بن الضحاك وجعفر بن الحسين اللهي، فوقف بين يدي، ثم أنشدني:

قل للأمير يا كريم الجنس      يا خير من بالغور أو بالجلس

## وعدتي لولدي ونفسي

## شغلنتي بالصلوات الخمس

فقلت له: ويلك! أتريد أن أستعفيه لك من الصلاة؟ والله ما يعفيك، وإن ذلك ليبعثه على اللجاج في أمرك، ثم يضرك عنده. فمضى وقال: نصبر إذن حتى يفرج الله تعالى.

## شعره في صديق كان يدعوهُ للشرب

أخبرني محمد قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثنا يونس بن الخياط قال: كان لأبي صديق، وكان يدعوهُ ليشرب معه، فإذا سكر خلع عليه قميصه، فإذا صبحا من غد بعث إليه فأخذه منه فقال أبي فيه:

كاني قميصا مرتين إذا انتشى

وينزعه مني إذا كان صاحيا

فلي فرحة في سكره بقميصه

وروعاته في الصحو حصت شواتيا

فياليت حظي من سروري وروعتي

تكون كفافا لا علي ولا ليا

ابنه يعقه، وابن ابنه يعق أباه: أخبرنا وكيع قال حدثنا محمد بن الحسن بن مسعود الزرقي قال: قال يونس بن عبد الله الخياط لأبيه، وكان عاقبا به:

ما زال بي ما زال بي

طعن أبي في النسب

حتى تريببت وحت

ى ساء ظني بأبي

قال: ونشأ ليونس ابن يقال له: دحيم، فكان أعق الناس به، فقال يونس فيه:

جلا دحيم عماية الريب

والشك مني والطعن في النسب

ما زال بي الظن والتشكك حت

ى عقتي مثل ما عقتت أبي

ابنه ينشد سعيد ابن عمرو نسيبا فيقرر بعجزه عن مثله: أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال: حدثنا الزبير بن بكار قال: حدثني يونس بن الخياط قال: أنشدت سعيد بن عمرو الزبيري:

لو فاح ريح حبيبة من حبها

فاحت رياح حبيبتني من ريحي

قال: فقال لي سعيد بن عمرو: والله إني لأقول النسيب، فلا أقدر على مثل هذا فقلت له: ومن أين تقدر على مثل هذا يا أبا عثمان؟ لا تقدر والله على مثله حتى يسوء الثناء عليك.

يؤثر ابنه بالفريضة: أخبرني الحرمي قال: حدثنا الزبير قال حدثني يونس بن الخياط قال: لما أعطى المهدي المغيرة بن حبيب ألف فريضة يضعها حيث شاء جاءه أبي عبد الله ابن سالم، وقال له:

ألف تدور على يد لمدح

ما سوق مادحه لديه بكاسد

الظن مني لو فرضت لو احد

في الأعجمين خصصتني بالواحد

قال: فقال له المغيرة: أيهما أحب إليك: أأفرض لك أم لابنك يونس؟ فقال له: أنا شيخ كبير، هامة اليوم أو غد، افرض لابني يونس، وفرض لي في خمسين ديناراً، فلما خرجت الأغطية الثلاثة في زمن الرشيد على يدي بكار بن عبد الله قال لي خليفته أيوب بن أبي سميير -وهما يعرضان أهل ديوان العطاء-: أنت من هذيل ونراك قد صرت من آل الزبير فنردك إلى فرائض هذيل خمسة ديناراً. فقال لهما بكار: إنما جعلتما لتتبعا ولا تبتدعا، أمضياه، فأعطياني مائة وخمسين ديناراً.

ابنه يهجو هشام بن عبد الله حين ولي القضاء ليغض عنه: أخبرني محمد بن خلف وكيع قال: حدثني محمد بن الحسن بن مسعود الزرقي قال: حدثني ابن أبي قباحة الزهري قال: لما عزل ابن عمران -وهو عبد الله بن محمد بن عمران التيمي- عن القضاء، واستعمل هشام بن عبد الله بن عكرمة المخزومي، جزع ابن عمران من ذلك، فقال بعض أصحابه ليونس بن عبد الله الخياط: اهج هشاماً بما يغض منه، فقال:

كم تغنى لي هشام	ذلك الجلف الطويل
بعد وهن وهو في المجد	لس سكران يميل
هل إلى نار بسلع	آخر الدهر سبيل
قلنت للندمان لما	دارت الراح الشمول
بأبي مال هشام	فكما مال فميلوا

قال: وشهرها في الناس، وبلغ ذلك هشاماً: لعنه الله؛ إن كان لكاذباً فقال ابن أبي قباحة: قلنت لابن الخياط كذبت، وأما والله إنه لأمر من ذلك.

ابنه يطعن في نسبه بحضرة أبيه وأصحاب له: أخبرنا وكيع قال: حدثنا محمد بن الحسن بن مسعود قال: قال يونس بن عبد الله بن الخياط: جئت يوماً إلى أبي وهو جالس وعنده أصحاب له؛ فوقف عليهم لأغيظه، وقلت: ألا أنشدكم شعراً قلته بالأمس؟ قالوا: بلى، فأنشدتهم:

يا سائلني من أنا أو من يناسبني	أنا الذي ماله أصل ولا نسب
الكلب يختال فخراً حين يبصرني	والكلب أكرم مني حين ينتسب
لو قال لي الناس طراً أنت الأمانة	ما وهم الناس في ذاكم ولا كذبوا

قال: فوثب إلي ليضربني، وعدوت من بين يديه، فجعل يشتمني وأصحابه يضحكون.

شعر ابنه وقد جلد في الشراب: أخبرني وكيع قال: حدثنا محمد بن الحسن بن مسعود: أن مالك بن أنس جلد يونس بن عبد الله بن سالم الخياط حداً في الشراب. قال: وولي ابن سعيد القضاء بالمدينة، فقال يونس فيه:

بكتنتي الناس لأن	جلدت وسط الرحبه
------------------	-----------------

وأني أزي وقد  
أعزف فيهم بعضا  
فقلت لما أكثروا  
ذا ابن سعيد قد قضى  
لا بل له التفضيل فيما لم أنل والغلبه  
بحسن صوت مطرب  
غنيت في المجتسبه  
مالك المقتضبه  
علي فيم الجلبه؟  
وحالنا مقتربه  
وزوجة مغتصبه

### ابن الخياط يستزير الزبير ابن بكار

#### في مرض موته ليجدد له عهدا:

أخبرني الحرمي ابن أبي العلاء ووكيع، قال الحرمي قال الزبير، وقال وكيع قال الزبير بن بكار: أرسل إلي ابن الخياط يقول: إني عليل منذ كذا وكذا، ومترلي على طريقك إذا صدرت إلى الثنية، وأنا أحب أن أحدد بك عهدا، قال: فجعلته على طريقي، فوجدته على فرش مضربة، وحوله وسائد، وهو مسجى فكشف ابنه الثوب عن وجهه، وقال له: فديتك، هذا أبو عبد الله. فقال له: أجلسني، فأجلسه وأسندته إلى صدره، فجعل يقول بنفس منقطع: بأبي أنت وأمي! أموت منذ بضع عشرة ليلة ما دخل علي قرشي غيرك وغير الزبير بن هشام وإبراهيم بن المنذر ومحمد بن عبد الله البكري، ولا والله ما أعلم أحدا أحب قريشا كحبي. قال زبير: وذكر رجلا كان بيني وبينه خلاف فقال: لو كنت شابا لفعلت بأمه كذا وكذا، لا يكني. ثم قال:

والله لو عادت بني مصعب  
أو ولدي عن حبهم قصروا  
أو نظرت عيني خلافا لهم  
فأقانتها عمدا بسكين  
حليتي قلت لها: بيني  
ضغظتهم بالرغم والهون

ثم أقبل على ابنه، فقال: يا بني أقول لك في أبي عبد الله ما قال ابن هرمة لابنه في الحسن بن يزيد:

الله جار عتي دعوة شققا  
من الزمان وشر الأقرب الوالي

من كل أحميد عنه لا يقربه  
وسط النجي ولا في المجلس الخالي

يمون في غد اليوم الذي زاره فيه الزبير: قال الزبير: حدثني محمد بن عبد الله البكري: أنه دخل إليه بعدي في اليوم الذي مات فيه، قال: فقال لي: يا أبا عبد الله، أنا أجود بنفسي منذ كذا وكذا ولا تخرج، ما هكذا كانت نفس عبيد ولا لبيد ولا الحطيئة، ما هي إلا نفس كلب؛ قال: فخرجت فما أبعدت حتى سمعت الواعية عليه.

## صوت

بأبي مالك عني  
وأرى برك نذرا  
وتسميني عدوا  
أتعلمت سلوا  
أحمد الله فما أغ  
مائل الطرف كليلا!  
وتحفيك قليلا  
وأسميك خليلا  
أم تبدلت بديلا؟  
نى الرجا فيك فتبلا

الشعر لعلي بن جبلة، والغناء لزرزور غلام المارقي، خفيف رمل بالبصر من روايتي الهشامي وعبد الله بن موسى. وفيه لعريب هزج، وفيه ثقيل أول من جيد الغناء. ينسب إليها وإلى علويه، وهو بغنائها أشبه منه بغناء علويه.

## أخبار علي بن جبلة

### نسبه ولقبه

هو علي بن جبلة بن عبد الله الأبنوي، ويكنى أبا الحسن، ويلقب بالعكوك، من أبناء الشيعة الخراسانية من أهل بغداد، وبها نشأ، وولد بالحريية من الجانب الغربي، وكان ضريرا، فذكر عطاء الملقط أنه كان أكمه، وهو الذي يولد ضريرا، وزعم أنه عمي بعد أن نشأ.

### استنفاذ شعره في مدح أبي دلف وحميد

وهو شاعر مطبوع، عذب اللفظ جزله، لطيف العاني، مداح حسن التصرف. واستنفاذ شعره في مدح أبي دلف القاسم بن عيسى العجلي، وأبي غانم حميد بن عبد الحميد الطوسي، وزاد في تفضيلهما وتفضيل أبي دلف خاصة حتى فضل من أجله ربيعة على مضر، وجاوز الحد في ذلك. فيقال: إن المأمون طلبه حتى ظفر به، فسل لسانه من قفاه، ويقال: بل هرب، ولم يزل متواريا منه حتى مات ولم يقدر عليه؛ وهذا هو الصحيح من القولين، والآخر شاذ.

### نشأته وتربيته

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار الثقفي قال: حدثني الحسين بن عبد الله بن جبلة بن علي بن جبلة قال: كان لجدتي أولاد، وكان علي أصغرهم، وكان الشيخ يرق عليه، فجدري، فذهبت إحدى عينه في الجدري، ثم نشأ فأسلم في الكتاب، فحذق بعض ما يحذقه الصبيان، فحمل على دابة ونثر عليه اللوز، فوقعت على عينيه

الصحيحة لوزة فذهبت، فقال الشيخ لولده: أنتم لكم أرزاق من السلطان، فإن أعتنوني على هذا الصبي، وإلا صرفت بعض أرزاقكم إليه. فقلنا: وما تريد؟ قال: تختلفون به إلى مجالس الأدب.

### يقصد أبا دلف فيتهم بانتحال القصيدة

#### فيطلب أن يمتحن:

قال: فكنا تأتي به مجالس العلم ونتشاغل نحن بما يلعب به الصبيان، فما أتى عليه الحول حتى برع، وحتى كان العالم إذا رآه قال لمن حوله: أوسعوا للبعوي وكان ذكياً مطبوعاً، فقال الشعر، وبلغه أن الناس يقصدون أبا دلف لجوده وما كان يعطي الشعراء، فقصدته - وكان يسمى العكوك - فامتدحه بقصيدته التي أولها:

وارعوى واللهم من وطره

ذاد ورد الغي عن صدره

يقول فيه في مدحه:

ومديل اليسر من عسره

يادواء الأرض أن فسدت

بين باديه إلى حضره

كل من في الأرض من عرب

يكتسبها يوم مفتخره

مستعير منك مكرمة

بين مبداه ومحتضره

إنما الدنيا أبو دلف

ولت الدنيا على أثره

فإذا ولي أبو دلف

فلما وصل إلى أبي دلف - وعنده من الشعراء وهم لا يعرفونه - استرابوه بها، فقال له قائده: إنهم قد اهتموك وظنوا أن الشعر لغيرك، فقال: أيها الأمير، إن المحنة تزيل هذا، قال: صدقت فامتحنوه. القصيدة التي امتحن بها في وصف فرس أبي دلف: فقالوا له: صف فرس الأمير، وقد أجلك ثلاثاً، قال: فاجعلوا معي رجلاً تثقون به يكتب ما أقول، فاجعلوا معه رجلاً، فقال هذه القصيدة في ليلته، وهي:

نم لها عهد الصبا حين انتسب

ربعت لمنشور على مفرقه

مكروهة الجدة أنضاء العقب

أهداب شيب جدد في رأسه

كان دجاه لهوى البيض سبب

أشرقن في أسود أزريني به

عن ميت مطلبه حي الأدب

واعتقن أيام الغواني والصبا

لكن يد لم تتصل بمطلب

لم يزدجر مرعويا حين ارعوى

وكالشباب الغض ظلاً يستلب

لم أر كالشيب وقاراً يجتوى

وذاهب أبقي جوى حين ذهب  
وصاحباً حراً عزيز المطح  
لا أعتب الدهر إذا الدهر  
وأقصد الخود وراء المحتجب  
بأعوجي دلفي المنتسب  
مستنفراً بروعة أو ملتهب  
كالماء جالت فيه ريح فاضطرب  
حتى إذا استدبرته قلت أكب  
يقصر عنه المحزمان واللبب  
وهو كمتن القدح ما فيه حنّب  
لم يتواكل عن شظى ولا عصب  
كأنها واطئة على الركب  
لم يئوت من بر به ولا حدب  
ونقصر الخور عليه بالحلب  
لم تتحبس واحدة على عتب  
أوابد الوحش فأجدى واكتسب  
ويعرق الأحقب في شوط الخيب  
وإن تظنى فوته العير كذب  
ويبلغ الريح به حيث طلب  
وكل بقيا فإلى يوم عطب  
بالقدح فيهم وارتجاع ما وهب  
ينهض به أبلج فراج الكرب  
وكغراربه على أهل الريب  
فاستيقظت بنوبة من النوب

فنازل لم يبتهج بقربه  
كان الشباب لمة أزهى بها  
إذ أنا أجري سادراً في غيه  
أبعد شأو اللهو في إجراءاته  
وأذعر الربرب عن أطفاله  
تحسبه من مرح العز به  
مرتهج يرتج من اقطاره  
تحسبه أقعد في استقباله  
وهو على إرهاقه وطيه  
تقول فيه حنّب إذا انثنى  
يخطو على عوج تتاهبن الثرى  
تحسبها نائنة إذا خطب  
شئا وقاظ برهتبه عندنا  
يصان عصري حره وقره  
حتى إذا تمت له أعضاؤه  
رمنابه الصيد فرادينا به  
مجذم الجري يبارى ظله  
إذا تظنينا به صدقنا  
لا يبلغ الجهد به راكبه  
ثم انقضى ذلك كأن لم يعنه  
وخلف الدهر على أبنائه  
فحمل الدهر ابن عيسى قاسماً  
كرونق السيف انبلاجاً بالندى  
ما وسنت عين رأت طلعتة

لولا ابن عيسى القرم كنا هملا  
ولم يقم في يوم بأس وندى  
تكاد تبدى الأرض ما تضره  
ويستهل أملا وخيفة  
وهو وإن كان ابن فرعي وائل  
وبعلاه وعلا آبائه  
يا زهر الدنيا ويا باب الندى  
لولاك ما كان سدى ولا ندى  
خذها إليك من ملئ بالثنا  
فاثو في الأرض أو استفرز بها  
لو يؤتتل مجد ولم يرع حسب  
ولا تلاقى سبب إلى سبب  
إذا تداعت خيله هلا وهب  
جانبها إذا استهل أو قطب  
فبمساعيه يوافي في الحساب  
تحوى غداة السبق أخطار القصب  
وما مجير الرعب من يوم الرهب  
ولا قریش عرفت ولا العرب  
لكنه غير ملئ بالنشب  
أنت عليها الرأس والناس الذنب

شهادة الشعراء بأنه صاحب مدح أبي دلف قال: فلما غدا عليه بالقصيدة وأنشده إياها استحسنتها من حضر، وقالوا: نشهد أن قاتل هذه قاتل تلك، فأعطاه ثلاثين ألف درهم. وقد قيل: إن أبا دلف أعطاه مائة ألف درهم، ولكن أراها في دفعات؛ لأنه قصده مراراً كثيرة، ومدحه بعدة قصائد. المأمون يستنشد بعض جلسائه قصيدته في أبي دلف أخبرني الحسن بن علي الخفاف قال: حدثني محمد بن موسى بن حماد قال: حدثني أحمد بن أبي فنن قال: قال عبد الله بن مالك: قال المأمون يوماً لبعض جلسائه: أقسم على منضر حضر ممن يحفظ قصيدة علي بن جبلة الأعمى في القاسم بن عيسى إلا أنشدنيها، فقال له بعض جلسائه: قد أقسم أمير المؤمنين، ولا بد من إبرار قسمه، وما أحفظها، ولكنها مكتوبة عندي. قال: قم فجنني بها، فمضى وأتاه بها، فأنشده إياها وهي:

زاد ورد الغي عن صدره  
وأبت إلا البكاء له  
ندمي أن الشباب مضى  
وانقضت أيامه سلماً  
حسرت عني بشاشته  
ودم أهدرت من رشا  
فأنت دون الصبا هنة  
وارعوى واللهم من وطره  
ضحكات الشيب في شعره  
لم أبلغه مدى أشره  
لم أجد حولا على غيره  
وذودي المحمود من ثمره  
لم يرد عقلا على هدره  
فليت فوقى على وتره

راح محنياً على كبره  
صارها حلمي إلى صوره  
في يمانيه وفي مضره  
عصر الآفاق في عصره  
والعطايا في ذرا حجره  
كانبلاج النوء من مطره  
كابتسام الروض عن زهره  
أمنت عدنان في ثغره  
بين مبداه ومحتضره  
ولت الدنيا على أثره  
غير أن الأرض في خفره  
بي باديه إلى حضره  
يكتسيها يوم مفتخره

كصياح الحشر في أثره  
في مذاكيه ومشتجره  
طوت المنشور من نظره  
تحمل البؤس على عقره  
كخروج الطير من وكره  
عوجة ذادته عن صدره  
فرددت الصفو في كدره  
لم تكن ترتد في فكره  
فأبى المحترم من قدره  
خطة شنعاء من ذكره

جارتا ليس الشباب لمن  
ذهبت أشياء كنت لها  
دع جدا قحطان أو مضر  
وامتدح من وائل رجلا  
المنايا في مناقبه  
ملك تندى أنامله  
مستهل عن مواهبه  
جبل عزت مناكبه  
إنما الدنيا أبو دلف  
فإذا ولي أبو دلف  
لست أدري ما أقول له  
كل من في الأرض من عرب  
مستعير منك مكرمة

يقول فيها:

وزخرف في صواهله  
قدته والموت مكتمن  
فرمت جيلويه منه يد  
زرتة والخيل عابسة  
خارجات تحت رايتها  
وعلى النعمان عجت به  
غمط النعمان صفوتها  
ولقرقور أدرت رحا  
قد تأنيت البقاء له  
وطغى حتى رفعت له

قال: فغضب المأمون واغتاض، وقال: لست لأبي إن لم أقطع لسانه أو أسفك دمه.  
 أنشد أبا دلف مدحته بعد أن قتل قرقوراً قال ابن أبي فتن: وهذه القصيدة قالها علي بن جبلة وقصد بها أبا دلف  
 بعد قتله الصعلوك المعروف بقرقور، وكان من أشد الناس بأساً وأعظمهم. فكان يقطع هو وغلمانه على القوافل  
 وعلى القرى، وأبو دلف يجتهد في أمره فلا يقدر عليه. فبينما أبو دلف خرج ذات يوم يتصيد وقد أمعن في طلب  
 الصيد وحده إذا بقرقور قد طلع عليه وهو راكب فرساً يشق الأرض بجريه، فأيقن أبو دلف بالهلاك، وخاف أن  
 يولي عنه فيهلك، فحمل عليه وصاح: يا فتيان! يمينة يمينة - يوهمه أن معه خيلاً قد كمنها له - فخافه قرقور  
 وعطف على يساره هارباً، ولحقه أبو دلف فوضع رمحه بين كتفيه فأحرجه من صدره، ونزل فاحتز رأسه، وحمله  
 على رمحه حتى أدخله الكرج.  
 قال: فحدثني من رأى رمح قرقور وقد أدخل بين يديه يحمله أربعة نفر. فلما أنشده علي بن جبلة هذه القصيدة  
 استحسناها وسر بها وأمر له بمائة ألف درهم.

### اتساع شهرة قصيدته فيه

أخبرني علي بن سليمان الأحفش قال: حدثنا محمد بن يزيد الأزدي قال: أخبرني إبراهيم بن خلف قال: بينا أبو  
 دلف يسير مع أخيه معقل - وهما إذا ذاك بالعراق - إذ مر بمرأتين تتماشيان، فقالت إحداهما لصاحبتها: هذا أبو  
 دلف، قالت: ومن أبو دلف؟ قالت: الذي يقول فيه الشاعر:

بين باديه ومحتضره

إنما الدنيا أبو دلف

ولت الدنيا على أثره

فإذا ولي أبو دلف

قال: فاستعير أبو دلف حتى جرى دمعه. قال له معقل: مالك يا أخي تبكي؟ قال: لأني لم أقض حق علي بن  
 جبلة.

قال: أو لم تعطه مائة ألف درهم لهذه القصيدة؟ قال: والله يا أخي ما في قلبي حسرة تقارب حسرتي على اني  
 أكن أعطيته مائة ألف دينار. والله لو فعلت لما كنت قاضياً حقه.

### شدة إعجاب أبي تمام بببيت من بائيته

حدثني الحسن بن علي قال: حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال: حدثني عبد الله ابن محمد بن جرير قال:  
 أنشدت أبا تمام قصيدة علي بن جبلة البائية، فلما بلغت إلى قوله:

إلى الأعماد والحجب

ورد البيض والبيض

اهتز أبو تمام من فرقه إلى قدمه، ثم قال: أحسن، والله لوددت أن لي هذا البيت بثلاث قصائد من شعري يتخيرها وينتخبها مكانه.

طلب أن ينشد المأمون مدحاً فيه ثم يختار الإقالة فراراً من شروط المأمون أخبرني عمي قال: حدثني أحمد بن أبي طاهر قال: حدثني أبو نزار الضبي الشاعر قال: قال لي علي بن جبلة قلت لحميد بن عبد الحميد الطوسي: يا أبا غانم، إني قد مدحت أمير المؤمنين بمدح لا يحسن مثله أحد من أهل الأرض، فاذكري له. قال: فأنشدني، فأنشدته. قال: أشهد أنك صادق، ما يحسن أحد أن يقول هكذا. وأخذ المديح فأدخله إلى المأمون، فقال له: يا حميد، الجواب في هذا واضح، إن شاء عفونا عنه وجعلنا ذلك ثواباً لمديحه، وإن شاء جمعنا بين شعره فيك وفي أبي دلف وبين شعره فينا، فإن كان الذي قاله فيكما أجود ضربنا ظهره، وأطلنا حبسه، وإن كان الذي قاله أجود أعطينا لكل بيت ألف درهم، وإن شاء أقلناه فقلت له: يا سيدي ومن أنا ومن أبو دلف حتى يمدحنا بأجود مديحك! فقال: ليس هذا الكلام من الجواب في شيء، فاعرض ما قلت لك على الرجل. فقال: أفعلم. قال علي بن جبلة: فقال لي حميد: ما ترى؟ فقلت: الإقالة أحب إلي، فأحبر المأمون بذلك. فقال: هو أعلم، ثم قال لي حميد: يا أبا الحسن أي شيء يعني من مدائحك لي ولأبي دلف؟ فقلت: قولي فيك:

**حسب يعد ولا نسب**

**لولا حميد لم يكن**

**يا واحد العرب الذي عزت بعزته العرب**

وقولي في أبي دلف:

**بين باديه ومحتضره**

**إنما الدنيا أبو دلف**

**ولت الدنيا على أثره**

**فإذا ولي أبو دلف**

قال: فأطرق حميد ثم قال: لقد انتقد عليك أمير المؤمنين فأجاد، وأمر لي بعشرة آلاف درهم وخلعة وفرس وخادم. وبلغ ذلك أبا دلف فأضعف لي العطية، وكان ذلك في ستر منهما، ما علم به أحد خوفاً من المأمون حتى حدثتك به يا أبا نورا.

**يمسك عن زيارة أبي دلف حياء**

**لكثرة بره به**

أخبرني علي بن سليمان قال: حدثني محمد بن يزيد، قال: حدثني علي بن القاسم قال: قال لي علي بن جبلة: زرت أبا دلف، فكنت لا أدخل إليه إلا تلقاني بیره وأفرط، فلما أكثر فعدت عنه حياء منه، فبعث إلي بمعقل أخيه، فأتاني فقال لي: يقول لك الأمير: لم هجرتنا؟ لعلك استبطأت بعض ما كان مني، فإن كان الأمر كذلك

فإني زائد فيما كنت أفعله حتى ترضى، فدعوت من كبت لي، وأمليت عليه هذه الأبيات، ثم دفعتها إلى معقل، وسألته أن يوصلها، وهي:

هجرتك لم أهجرك من كفر نعمة      وهل يرتجى نيل الزيادة بالكفر  
ولكنني لما أتيتك زائرا      فأفرطت في بري عجزت عن الشكر  
فهانأ لا آتيك إلا مسلما      أزورك في الشهرين يوما وفي الشهر  
فإن زدنتي برا تزايدت جفوة      ولم تلقني طول الحياة إلى الحشر

قال: فلما سمعها معقل استحسناها جدا، وقال: جودت والله، أما أن الأمير ليعجب بمثل هذه الأبيات، فلما أوصلها إلى أبي دلف قال: والله دره! ما أشعره، وما أرق معانيه! ثم دعا بدواة فكتب إلي:

ألا رب ضيف طارق قد بسطته      وأنستة قبل الضيافة بالبشر  
أتاني يرجيني فما حال دونه      ودون القرى من نائلي عنده ستري  
وجدت له فضلا علي بقصده      إلي وبرأ يستحق به شكري  
فلم أعد أن أدنيتيه وابتدأته      ببشر وإكرام وبر على بر  
وزودته مالا قليل بقاؤه      وزودني مدحا يدوم على الدهر

ثم وجه بهذه الأبيات مع وصيف يحمل كيسا فيه ألف دينار، فذلك حيث قلت له:

إنما الدنيا أبو دلف      بين يديه ومحتضره

**يقصد عبد الله بن طاهر ليمدحه، فيرده**

**لغله في مدح أبي دلف:**

أخبرني عمي قال: حدثني أحمد بن أبي طاهر قال: حدثني أحمد بن القاسم قال: حدثني نادر مولانا: أن علي بن جبلة خرج إلى عبد الله بن طاهر وإلى خراسان، وقد امتدحه، فلما وصل إليه قال له: أأست القائل

إنما الدنيا أبو دلف      بين يديه ومحتضره  
فإذا ولي أبو دلف      ولت الدنيا على أثره

قال: بلى، قال: فما الذي جاء بك إلينا، وعدل بك عن الدنيا التي زعمت؟ ارجع من حيث جئت، فارتحل، وممر بأبي دلف وأعلمه الخبر، فأعطاه حتى أرضاه. قال نادر فرأيتيه عند مولاي القاسم بن يوسف، وقد سأله عن خبره فقال:

أبو دلف إن تلقه تلق ماجدا      جوادا كريما راجح الحلم سيذا

أبو دلف الخيرات أنداهم يدا  
وأبسط معروفًا وأكرم محتدا  
تراث أبيه عن أبيه وجده  
وكل امرئ يجري على ما تعودا  
ولست بشاك غيره لنقيصة  
ولكنما الممدوح من كان أمجدا

### يصف قصر حميد الطوسي ويمدحه

قال ومؤلف هذا الكتاب : والأبيات التي فيها الغناء المذكورة بذكرها أخبار أبي الحسن علي بن جبلة من قصيدة له مدح بها حميد الطوسي، ووصف قصره على دجلة وقال فيها بعد الأبيات التي فيها الغناء:

ليس لي ذنب سوى أن  
وأناديك عزيزا  
أنا أهواك وحالي  
ثق بود ليس يفنى  
جعل الله حميدا  
ملك لم يجعل الله  
فأقاموا في ذراه  
لا ترى فيهم مقلا  
جاد بالأموال حتى  
وبنى الفخر على الفخ  
صار للخائف أمنا  
ي أسميك خليلا  
وتتادينني ذليلا  
ك صروما ووصولا  
وبعهد لن يحولا  
لبنى الدنيا كفيلا  
له فيهم عديلا  
مطمئين حلولا  
يسأل المثرى فضولا  
علم الجود البخيل  
ر بناء مستطيلا  
وعلى الجود ذليلا

يرثي حميدا الطوسي ولما مات حميد الطوسي رثاه بقصيدته العينية المشهورة، وهي من نادر الشعر وبديعه، وفي أولها غناء من الثقيل الأول، يقال: إنه لأبي العبيس، ويقال: إنه للقاسم ابن زررور:

ألدهر تبكي أم على الدهر تجزع؟  
وما صاحب الأيام إلا مفجع  
ولو سهلت عنك الأسا كان في الأسا  
عزاء معز للبيب ومقنع  
تعز بما عزيت غيرك إنها  
سهام المنايا حائمات ووقع  
أصبنا بيوم في حميد لو أنه  
أصاب عروش الدهر ظلت تضعع  
وأدبنا ما أدب الناس قبلنا  
ولكنه لم يبق للصبر موضع

به وبه كانت تزداد وتدفع  
على جبل كانت به الأرض تمنع  
وأضحى به أنف الندى وهو أجدع  
أمانى كانت في حشاه تقطع  
قواعد ما كانت على الضيم تركع  
ولم أدر أن الخلق يبكيه أجمع  
حمام كذاك الخطب بالخطب يقدر  
حمى أختها أو أن يذل الممنوع  
وحلت بخطب وهيه ليس يرقع  
تزداد بأطراف الرماح وتوزع  
فلم يدر في حوماتها كيف يصنع؟  
لها غيره داعى الصباح المفزع  
إلى عسكر أشياعه لا تزوع

مراحا ولي يرجع بها وهي ظلع  
كتائبه إلا على النهب ترجع  
المريع وحاميه الكمي المشيع  
ومفتاح باب الخطب والخطب أفضع  
ونائله فقر من الأرض بلقع  
إلى شجوه أو يذخر الدمع مدمع  
عليه وأضحى لونها وهو أسفع  
وأجدب مرعاها الذي كان يمرع  
فقد جعلت أوتادها تتقلع  
نداه الندى وابن السبيل المدفع

ألم تر للأيام كيف تصرمت  
وكيف التقى مثنوى من الأرض ضيق  
ولما انقضت أيامه انقضت العلا  
وراح عدو الدين جذلان ينتحي  
وكان حميد معقلا ركعت به  
وكننت أراه كالرزايا رزئتها  
حمام رماه من مواضع أمنه  
وليس بغرو أن تصيب منية  
لقد أدركت فينا المنايا بثارها  
نعاء حميد للسرايا إذا عدت  
وللمرهق المكروب ضاقت بأمره  
وللبيض خلقتها البعول ولم يدع  
كأن حميدا لم يقدر جيش عسكر

ولم يبعث الخيل المغيرة بالضا  
رواجع يحملن النهاب ولم تكن  
هوى جبل الدنيا المنيع وغيثها  
وسيف أمير المؤمنين ورمحه  
فأقنعه من ملكه ورباعه  
على أي شجو تشتكي النفس بعده  
ألم تر أن الشمس حال ضياؤها  
وأوحشت الدنيا وأودى بهاؤها  
وقد كانت الدنيا به مطمئنة  
بكى فقده روح الحياة كما بكى

وفارقت البيض الخدور وأبرزت  
 وأيقظ أجفانا وكان لها الكرى  
 ولكنه مقدار يوم ثوى به  
 وقد رأب الله الملا بمحمد  
 أغر على أسيفه ورماحه  
 حوى عن أبيه بذل راحته الندى  
 عواطل حسرى بعده لا تقنع  
 ونامت عيون لم تكن قبل تهجع  
 لكل امرئ منه نهال ومشرع  
 وبالأصل ينمي فرعه المتفرع  
 تقسم أنفال الخميس وتجمع  
 وطعن الكلى والزاعبية شرع

وإنما ذكرت هذه القصيدة على طولها لجودتها وكثرة نادرها، وقد أخذ البحري أكثر معانيها فسلخه، وجعله في قصيدته اللتين رثى بهما أبا سعيد الثغري:

انظر إلى العلياء كيف تضام

و:

بأي أسى تنتنى الدموع الهوامل

وقد أخذ الطائي أيضاً بعض معانيها، ولولا كراهية الإطالة لشرحت المواضع المأخوذة. وإذا تأمل ذلك منتقد بصير عرفه.

بلغ في مدح حميد الطوسي ما لم يبلغه في مدح غيره أخبرني عمي قال: حدثنا أحمد بن أبي طاهر قال: حدثني أبو وائلة قال: قال رجل لعلي بن جبلة: ما بلغت في مديح أحد ما بلغت في مديح حميداً الطوسي. فقال: وكيف لا أفعل وأدن ما وصل إلي منه أني أهديت له قصيدة في يوم نيروز فسر بها، وأمر أن يحمل إلي كل ما أهدى له، فحمل إلي ما قيمته مائتا ألف درهم، وأهديت له قصيدة في يوم عيد فبعث إلي بمثل ذلك. يصف جيشاً ركب فيه حميد قال أبو وائلة. وقد كان حميد ركب يوم عيد في جيش عظيم لم ير مثله، فقال علي بن جبلة يصف ذلك:

غدا بأمرير المؤمنين ويمنه  
 وضافت فجاج الأرض عن كل موكب  
 كأن سمو النقع والبيض فوقهم  
 فكان لأهل العيد عيد بنسكهم  
 ولولا حميد لم تبلج عن الندى  
 ولو ملك الدنيا لما كان سائل  
 له ضحكة تستغرق المال بالندى  
 أبو غانم غدو الندى والسحائب  
 أحاط به مستعليا للمواكب  
 سماوة ليل فرنت بالكواكب  
 وكان حميد عيدهم بالمواهب  
 يمين ولم يدرك غنى كسب كاسب  
 ولا اعتمام فيها صاحب فضل صاحب  
 على عيسة تشجى القنا بالترائب

ذهبت بأيام العلاء فارداً بها  
وصرمت عن مسعاك شأو المطالب  
وعدلت ميل الأرض حتى تعدلت  
فلم ينأ منها جانب فوق جانب  
بلغت بأدنى الحزم أبعد قطرها  
كأنك منها شاهد كل غائب

قصيدة أهداها إليه يوم نيروز قال: والتي أهداها له يوم النيروز قصيدته التي فيها:

حميد يا قاسم الدنيا بنائله  
وسيفه بين أهل النكث والدين  
أنت الزمان الذي يجري تصرفه  
على الأنام بتشديد وتلين  
لو لم تكن كانت الأيام قد فنيت  
والمكرمات ومات المجد مذ حين  
صورك الله من مجد ومن كرم  
وصور الناس من ماء ومن طين

نسخت من كتاب بخط محمد بن العباس اليزيدي:

### يدخل على أبي دلف فيستنشه

قال أحمد بن إسماعيل الخصب الكاتب: دخل علي بن جبلة يوماً إلى أبي دلف فقال له: هات يا علي ما معك.  
فقال: إنه قليل. فقال هاته، فكم من قليل أجود من كثير فأنشده:

الله أجرى من الأرزاق أكثرها  
على يدك فشكراً يا أبا دلف  
أعطى أبو دلف والريح عاصفة  
حتى إذا وقفت أعطى ولم يقف

يستنشه أبو دلف فيتطير مما أنشده قال: فأمر له بعشرة آلاف درهم، فلما كان بعد مدة دخل إليه، فقال له:  
هات ما معك فأنشده:

من ملك الموت إلى قاسم  
رسالة في بطن قرطاس  
يا فارس الفرسان يوم الوغى  
مرني بمن شئت من الناس

قال: فأمر له بألفي درهم، وكان قد تطير من ابتدائه في هذا الشعر، فقال: ليست هذه من عطاياك أيها الأمير،  
فقال: بلغ بها هذا المقدار ارتباعنا من تحملك رسالة ملك الموت إلينا.

### يهجو الهيثم بن عدي إجابة لطلب الخزيمي

أخبرني محمد بن عمران الصيرفي قال: حدثنا الحسن عليل العتري قال: حدثني محمد بن عبد الله قال: حدثني علي  
بن جبلة العكوك المروزي قال: جاءني أبو يعقوب الخزيمي فقال لي: إن لي إليك حاجة. قلت: وما هي؟ قال:

تهجو لي الهيثم بن عدي. فقلت: وما لك أنت لا تهجوه وأنت شاعر؟ فقال: قد فعلت، فما جاءني شيء كما أريد. فقلت له: فقلت له: كيف أهجو رجلاً لم يتقدم إلي منه إساءة، ولا له إلي حرم يحفظني؟ فقال: تقرضني، فإني ملي بالقضاء، قلت: نعم، فأمهلي اليوم فمضى، وغدوت عليه فأنشدته:

للهيثم بن عدي نسبة جمعت  
أبأه فأراحتنا من العدد  
أعدد عدياً فلو مد البقاء له  
ما عمر الناس لم ينقص ولم يزد  
نفسى نداء بني عبد المدان وقد  
تلوه للوجه واستعلوه بالعمد  
حتى أزالوه كرهاً عن كريمتهم  
وعرفوه بدل أين أصل عدي؟  
يا بن الخبيثة من أهجو فأفضحه  
إذا هجوت وما تنمى إلى أحد؟

هجاؤه الهيثم مزق بينه وبين زوجته قال: وكان الهيثم قد تزوج إلى بني الحارث بن كعب، فركب محمد بن زياد بن عبيد الله بن عبد المدان الحارثي، أخو يحيى بن زياد، ومعه جماعة من أصحابه الحارثيين إلى الرشيد، فسأله أن يفرق بينهما. فقال الرشيد: أليس هو الذي يقول فيه الشاعر:

إذا نسبت عدياً في بني ثعل  
فقدم الدال قبل العين في النسب

قالوا: بلى يا أمير المؤمنين. قال فهذا الشعر من قاله؟ قالوا: هو لرجل من أهل الكوفة من بني شيبان يقال له: ذهل بن ثعلبة فأمر الرشيد داود بن يزيد أن يفرق بينهما، فأخذوه داراً وضربوه بالعصي حتى طلقها. يشخص إلى عبد الله بن طاهر ويمدحه: أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي قال: حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال: حدثني محمد بن الحسن بن الخصيب قال: شخص علي بن جبلة إلى عبد الله بن طاهر والي خراسان -وقد مدحه فأجزل صلته- واستأذنه في الرجوع، فسأله أن يقيم عنده، وكان بره يتصل عنده، فلما طال مقامه اشتاق إلى أهله، فدخل إليه فأنشدته: ينشد عبد الله بن طاهر شعراً يطلب به أن يأذن له في الرحيل:

راعه الشيب إذ نزل  
وكفاه من العذل  
وانقضت مدة الصبا  
فانقضى اللهو والغزل  
قد لعمرى دملته  
بخضاب فما أندمل  
فابك للشيب إذ بدا  
لا على الربيع والطل  
وصل الله للأمير عر الملك فاتصل  
ملك عزمه الزما  
كسروي بمجده  
وإلى ظل عزه  
ن وأفعاله الدول  
يضرب الضارب المثل  
يلجأ الخائف الوجل

كل خلق سوى الإماما

م لإنعامه خول

ليته حين جاد لي

بالغنى جاد بالقل

قال: فضحك وقال: أبيت إلا أن توحشنا. وأجزل صلته، وأذن له.

ينشد حميداً الطوسي شعراً في أول رمضان: أخبرني الحسن بن علي، قال: حدثني أحمد بن أبي طاهر، قال: حدثني أبو وائلة السدوسي، قال: دخل علي بن جبلة العكوك على حميد الطوسي في أول يوم من شهر رمضان، فأنشده:

جعل الله مدخل الصوم فوزا

لحميد ومتعه في البقاء

فهو شهر الربيع للقراء

وفراق الندمان والصهباء

وأنا الضامن المني لمن عا

قراها مفطرا بطول الظماء

وكأني أرى الندامي على الخسف

يرجون صباحهم بالمساء

قد طوى بعضهم زيارة بعض

واستعاضوا مصاحفاً بالغناء

يقول فيها:

بحميد وأين مثل حميد

فخرت طيء على الأحياء

جوده أظهر السماحة في الأر

ض وأغنى المقوي عن الإقواء

ملك يأمل العباد نداه

مثل ما يأملون قطر السماء

صاغه الله مطعم الناس في الأر

ض وصاغ الحساب للإسقاء

ينشد حميداً الطوسي شعراً ثاني شوال: قال: فأمر له بخمسة آلاف درهم، وقال: استعن بهذه على نفقة صومك. ثم دخل إليه ثاني شوال، فأنشده:

عللاني بصفو ما في الدنن

واتركا ما بقوله العاذلان

واسبقا فاجع المنيه بالعيش فكل على الجديدين فإني

عللاني بشرية تذهب الهم وتنفي طوارق الأحزان

وانفتا في مسامع سدها الصو

م رقى الموصلي أو دحمان

قد أتانا شوال فاقتبل العيش وأعدى قسرا على رمضان

نعم عون الفتى على نوب الدهر

سماع القيان والعيان

وكئوس تجري بماء كروم  
من عقار تميت كل احتشام  
فاشرب ألراح واعص من لام فيها  
واصطحب الدهر بارتحال وحل  
حسب مستظهر على الدهر ركناً  
ملك يقتني المكارم كنزا  
خلقت راحتاه للجود وأبا  
ملكته على العباد معد  
أريحي الندى جميل المحيا  
وجهه مشرق إلى معتفيه

جعل الدهر بين يوميه قسمين بعرف جزل وحر طعان

فإذا سار بالخميس لحرب  
وإذا ما هزرتة لنوال  
غيث جذب إذا أقام ربيع  
يا أبا غانم بقيت على الدهر  
ما نبالي إذا عدت المنايا  
قد جعلنا إليك بعث المطايا  
وحملنا الحاجات فوق عتاق  
ليس جود وراء جودك ينتا

فأمر له بعشرة آلاف درهم، وقال: تلك كانت للصوم، فخففت وخففنا، وهذه للفرط، فقد زدتنا وزدناك.

### أحب جارية وأحبته على قبح وجهه

أخبرني عمي قال: حدثنا أحمد بن الطيب السرخسي قال: حدثنا ابن أخي علي بن جبلة العكوك -قال أحمد: وكان علي جارنا بالربض هو وأهله، وكان أعمى وبه وضح. وكان يهوى جارية أدبية ظريفة شاعرة وكانت تحبه هي أيضاً على قبح وجهه وما به من الوضح، حدثني بذلك عمرو بن بحر الجاحظ.

قال عمرو: وحدثني العكوك أن هذه الجارية زارته يوماً وأمكنته من نفسها حتى افتضاها. قال، وذلك عنيت في قولي:

لم يرد عقلا على هدره

ودم أهدرت من رشا

وهي القصيدة التي مدح بها أبا دلف، يعني بالدم: دم البضع .

يستأذن على حميد الطوسي فيمتنع، ثم يأذن له فيمدحه: قال: ثم قصدت حميداً بقصيدتي التي مدحته بها، فلما استؤذن لي عليه أبي أن يأذن لي، وقال: قولوا له: أي شيء أبقيت لي بعد قولك في أبي دلف:

بين مبداه ومحتضره

إنما الدنيا أبو دلف

ولت الدنيا على أثره

فإذا ولي أبو دلف

فقلت للحاجب: قل لله: الذي قلت فيك أحسن من هذا، فإن وصلتني سمعته، فأمر بإيصالي، فأنشدت قولي فيه:

وأياديه الجسام

إنما الدنيا حميد

فعلى الدنيا السلام

فإذا ولي حميد

فأمر بمائتي دينار، فشرقتها في حجر عشيقتي، ثم جنته بقصيدتي التي أقول فيها:

يطعم من تسقي من الناس

دجلة تسقي وأبو غانم

فأمر لي بمائتي دينار.

شعره حين غضبت عليه التي أحبها حدثني عمي قال: حدثني أحمد بن الطيب قال: حدثني ابن أخي علي بن جبلة أيضاً: أن عمه عليا كان يهوى جارية، وهي هذه القينة، وكانت له مساعدة، ثم غضبت عليه، وأعرضت عنه، فقال فيها:

تدل بما تتلوه عندي وتعرف

تسيء ولا تستنكر السوء إنها

ومن أين ما جربت صبري يضعف

فمن أين ما استعطفتها لم ترق لي

**ينشد لنفسه أقبح ما قيل في ترك الضيافة**

أخبرني حبيب بن نصر قال: حدثنا عمر بن شبة قال: تذاكرنا يوماً أقبح ما هجي به الناس في ترك الضيافة وإضاعة الضيف، فأنشدنا علي بن جبلة لنفسه:

وقالوا لا تتم للديبان

أقاموا الديبان على يفاع

فصفق بالبنان على البنان

فإن آنست شخصاً من بعيد

## تراهم خشية الأضياف خرساً

## ويأتون الصلاة بلا أذان

يمدح حميداً الطوسي فيعطيه ألف دينار كان أمر بالتصدق بها: أخبرني الحسن بن علي قال: حدثني محمد بن القاسم بن مهرويه قال: حدثني أبي قال: حدثني وهب بن سعيد المروزي، كاتب حميد الطوسي، قال: جئت حميداً في أول يوم من شهر رمضان، فدفعت إلي كيساً فيه ألف دينار، وقال: تصدقوا بهذه. وجاءه ابنه أصرم فسلم عليه ودعا له، ثم قال له: خادمك علي بن جبلة بالباب، فقال: وما أصنع به؟ جئتني به يا بني تقابلني بوجهه في أول يوم من هذا الشهر. فقال: إنه يجيد فيك القول. قال: فأنشدي بيتاً مما تستجيد له: فأنشده قوله:

## حيدري حياذ فإن غزوة جيشه

## ضمنت لجائلة السباع عيالها

فقال: أحسن. ائذنوا له، فدخل فسلم، ثم أنشد قوله:

## إن أبا غانم حميدا

## غيث على المعتقين هاميا

## صوره الله سيف حتف

## وباب رزق على الأنام

## يا مانع الأرض بالعوالي

## والنعم الجمة العظام

## ليس من سوء في معاذ

## من لم يكن منك في ذمام

## وما تعمدت فيك وصفاً

## إلا تقدمته أمامي

## فقد تتاهت بك المعالي

## وانقطعت مدة الكلام

## أجد شهراً وأبل شهراً

## واسلم على الدهر ألف عام

قال: فالتفت إلي حميد، وقال: أعطه ذلك الألف الدينار حتى يخرج للصدقة غيره.

يستشفع بحميد الطوسي إلى أبي دلف وكان غضب عليه: حدثني عمي قال: حدثني يعقوب بن إسرائيل قال: حدثني أبو سهيل عن سالم مولى حميد الطوسي قال: جاء علي بن جبلة إلى حميد الطوسي مستشفعاً به إلى أبي دلف -وقد كان غضب عليه وجفاه- فكرب معه إلى أبي دلف شافعاً، وسأله في أمره، فأجابته واتصل الحديث بينهما وعلي بن جبلة محجوب، فأقبل علي رجل إلى جانبه وقال: اكتب ما أقول لك، فكتب:

## لا تتركى بباب الدار مطرحا

## فالحر ليس عن الأحرار يحتجب

## هبنا بلا شافع جئنا ولا سبب

## ألست أنت إلى معروفك السبب؟

قال: فأمر بإيصاله إليه، ورضي عنه ووصله.

## بخشاه المخزومي أن ينشد شعراً

## في حضرته:

أخبرني الحسن بن علي قال: حدثنا ابن مهرويه قال: حدثني أحمد بن مروان قال: حدثني أبو سعيد المخزومي قال: دخلت على حميد الطوسي، فأنشدته قصيدة مدحته بها وبين يديه رجل ضير، فجعل لا يمر بيت إلا قال: أحسن قاتله الله! أحسن ويحه! أحسن لله أبوه! أحسن أيها الأمير. فأمر لي حميد ببدره، فلما خرجت قام علي البوابون، فقلت: كم أنتم؟ عرفوني أولاً من هذا المكفوف الذي رأيته بين يدي الأمير؟ فقالوا: علي بن جبلة العكوك فرفضت عرقاً. ولو علمت أنه علي بن جبلة لما جسرت على الإنشاد بين يديه.

لا يأذن له المأمون في مدحه إلا بشرط، فيختار الإقالة:

أخبرني الحسن بن علي قال: حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال: حدثنا أحمد بن عبيد بن ناصح قال: كلم حميد الطوسي المأمون في أن يدخل عليه علي بن جبلة، فيسمع منه مديحاً مدحه به، فقال: وأي شيء يقوله في بعد قوله في أبي دلف:

بين مغزاه ومحتضره

إنما الدنيا أبو دلف

ولت الدنيا على أثره

فإذا ولى أبو دلف

وبعد قوله فيك:

عزت بعزته العرب

يا واحد العرب الذي

أحسن أحواله أن يقول في مثل ما قاله في أبي دلف، فيجعلني نظيراً له. هذا إن قدر على ذلك ولم يقصر عنه، فخيروه بين أن أسمع منه، فإن كان مدحه إياي أفضل من مدحه أبا دلف وصلته، وإلا ضربت عنقه أو قطعت لسانه، وبين أن أقيه وأعفيه من هذا وذا. فخيروه بذلك، فاختار الإقالة.

يمدح حميد الطوسي بخير من مدحه أبا دلف: ثم مدح حميداً الطوسي، فقال له: وما عساک أن تقول في بعد ما قلته في أبي دلف، فقال: قد قلت فيك خيراً من ذلك. قال: هات، فأنشده:

يطعم من تسقي من الناس

دجلة تسقي وأبو غانم

رأس وأنت العين في الراس

الناس جسم وإمام الهدى

فقال له حميد: قد أجدت، ولكن ليس هذا مثل ذلك، ووصله.

يرثي حميداً الطوسي: قال أحمد بن عبيد، ثم مات حميد الطوسي، فرثاه علي بن جبلة، فلقيته، فقلت له: أنشدني مرثيتك حميداً، فأنشدني:

تضاد بأطراف الرماح وتوزع

نعاء حميداً للسرائيا إذا غدت

حتى أتى على آخرها.

لا يبلغ شأو الخزيمي في رثاه أبي الهيدام: فقلت له: ما ذهب على النحو الذي نحوته يا أبا الحسن، وقد قاربته وما بلغته. فقال: وما هو؟ فقلت: أردت قول الخزيمي في مرثيته أبا الهيدام:

وأعدته ذخراً لكل ملمة

وسهم المنايا بالذخائر مولع

فقال: صدقت والله، أما والله لقد نحوته وأنا لا أطمع في اللحاق به، لا والله ولا امرؤ القيس لو طلبه وأراد ما كان يطمع أن يقاربه في هذه القصيدة.

### هربه من المأمون

وقد طلبه لتفضيله أبا دلف عليه وعلى آله:

أخبرني عمي، قال: حدثنا أحمد بن أبي طاهر، قال: حدثني ابن أبي حرب الزعفراني، قال: لما بلغ المأمون قول علي بن جبلة لأبي دلف:

بين باديه إلى حضره

كل من في الأرض من عرب

يكتسيها يوم مفتخره

مستعير منك مكرمة

غضب من ذلك، وقال: اطلبوه حيث كان، فطلب فلم يقدر عليه، وذلك أنه كان بالجبل، فلما اتصل به الخبر هرب إلى الجزيرة، وقد كانوا كتبوا إلى الآفاق في طلبه، فهرب من الجزيرة أيضاً، وتوسط الشام فظفروا به، فأخذوه، وحملوه إلى المأمون، فلما صار إليه قال له: يا بن اللخناء، أنت القائل للقاسم بن عيسى:

بين باديه إلى حضره

كل من في الأرض من عرب

يكتسيها يوم مفتخره

مستعير منك مكرمة

جعلتنا ممن يستعير المكارم منه! فقال له: يا أمير المؤمنين، أنتم أهل بيت لا يقاس بكم أحد، لأن الله جل وعز فضلكم على خلقه، واختاركم لنفسه. وإنما عنيت بقولي في القاسم أشكال القاسم وأقرانه، فقال: والله ما استثنيت أحداً عن الكل، سلوا لسانه من قفاه.

### أمر المأمون أن يسئل لسانه لكفره

أخبرني الحسن بن علي قال: حدثنا محمد بن موسى قال: وحدثني أحمد بن أبي فنن: أن المأمون لما أدخل عليه علي بن جبلة قال له: إني لست أستحل دمك لتفضيلك أبا دلف على العرب كلها وإدخالك في ذلك قريشاً - وهم آل رسول الله صلى الله عليه وسلم وعترته - ولكني أستحله بقولك في شعرك وكفرك حيث تقول القول الذي أشركت فيه:

وتنقل الدهر من حال إلى حال

أنت الذي تنزل الأيام منزلها

الإقضيت بأرزاق وآجال

وما مددت مدى طرف إلى أحد

كذبت يا ماص بظر أمه، ما يقدر على ذلك أحد إلا الله - عز وجل - الملك الواحد القهار. سلوا لسانه من قفاه.

## صوت

لعل روحاً يدال من كرب

لا بد من سكرة على طرب

-ويروى:

لعل روحاً يدبيل من كرب

-وهو أصوب:

تضحك من لؤلؤ على ذهب

فعاظنيها صهباء صافية

لخير أم من هاشم وأب

خليفة الله أنت منتخب

من الإمام المنصور في النسب

أكرم بأصلين أنت فرعهما

الشعر للتمي، والغناء لسليم بن سلام، خفيف ثقيل أول بالبنصر عن عمرو، وفيها لنظم العمياء خفيف رمل بالبنصر عن الهشامي.

## أخبار التيمي ونسبه

### اسمه وولأؤه وصفته

هو عبد الله بن أيوب، ويكنى أبا محمد مولى بني تميم ثم مولى بني سليم. ذكر ذلك ابن النطاح، وكان له أخ يقال له أبو التيحان، وكلاهما كان شاعراً، وهما من أهل الكوفة، وهما من شعراء الدولة العباسية. أحد الخلعاء الجحان الوصافين للخمر، وكان صديقاً لإبراهيم الموصلي وابنه إسحاق، وندباً لهما، ثم اتصل بالبرامكة ومدحهم، واتصل بيزيد بن يزيد فلم يزل منقطعاً إليه حتى مات يزيد.

### أكثر شعره في وصف الخمر

واستنفد شعره أو أكثره في وصفه الخمر، وهو الذي يقول:

بالكاس والطاس والقنقل

شربت من الخمر يوم الخميس

وتذهب بالأول الأول

فما زالت الكأس تغتالنا

ونحن من السكر لم نعقل

إلى أن توافقت صلاة العشا

وحق المدام فلا يجهل

فمن كان يعرف حق الخميس

تهيج مرآء على السلسل

وما إن جرت بيننا مزحة

وهو القائل:

ولن أنتهي عن طيب الراح أو يرى  
أضعت شبابي في الشراب تلذذا  
بوادي عظامي في ضريحي لاحد  
وكننت امرأ غير الشباب أكابد

رواية أخرى في ولاته: أخبرني محمد بن يحيى الصولي قال: حدثني أبو العيناء عن محمد بن عمر، قال: أبو محمد التيمي اسمه عبد الله بن أيوب مولى بني تميم.

يرثي ابنا له: حبان: أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار عن محمد بن الجراح قال: قال دعبل: كان للتيمي أبي محمد ابن يقال له حبان، ومات وهو حديث السن، فجزع عليه، وقال يرثيه: صوت

أودى بجبان ما لم يترك الناس  
لما رمته المنايا إذ قصدن له  
فأمنح فؤادك من أحبابك الياسا  
أصبين مني سواد القلب والراسا  
وإذ يقول لي العواد إذ حضروا  
فبت أرعى نجوم الليل مكتئباً  
لا تأس أبشر أبا حبان لا تأسى  
إخال سنته في الليل قرطاسا

غنى في الأول والرابع من هذه الأبيات حكم الوادي، ولحنه رمل مطلق في مجرى البنصر عن إسحاق. وأول هذه القصيدة:

يا دير هند لقد أصبحت لي أنسا  
وما عهدتك لي يا دير مئناسا

وهي مشهورة من شعره.

يحيى بيتاً لإسحاق عجز عن إتمامه: أخبرني حبيب بن نصر المهلي قال: حدثني هارون بن محمد بن عبد الملك الزيات قال: حدثني حماد بن إسحاق عن أبيه قال: قلت:

وصف الصد لمن أهوى فصد

ثم أجبت ، فمكثت عدة ليال لا يستوى لي تمامه. فدخل علي التيمي فرآني مفكراً، فقال لي: ما قصتك؟ فأخبرته، فقال:

وبدا يمزح بالهجر فجد

ثم أتممتها، فقلت:

وهو لا يعدله عندي أحد؟

ما له يعدل عني وجهه

وخرجت إلى مدح الفضل بن الربيع، فقلت:

تطلب الغرة في خيس الأسد

وقد أرادوا غيرة الفضل وهل

وبه يصلح منا ما فسد

ملك ندفع ما نخشى به

يفعل الناس إذا ما وعدوا

وإذا ما فعل الفضل وعد

-لإسحاق في هذا الشعر صنعة، ونسبتها: صوت

وصف الصد لمن نهوى فصد

وبدا يمزح بالهجر فجد

ماله يعدل عني وجهه

وهو لا يعد له عندي أحد؟

الشعر والغناء لإسحاق، خفيف رمل بالبنصر، وله فيه أيضاً ثقبيل أول، وفيه لذكر يا بن يحيى بن معاذ هزج بالبنصر عن الهشامي وغيره. قال الهشامي: وقيل إن الهزج لإسحاق، وخفيف الرمل لذكر يا. اشترك هو وإسحاق في البيتين السابقين: أخبرني جحظة عن علي بن يحيى المنجم عن إسحاق قال: اشتركت أنا وأبو محمد التيمي في هذا الشعر:

وصف الصد لمن نهوى فصد .

وذكر البيتين.

يطلب الرشيد إنشاد مرثيته في يزيد بن يزيد: أخبرني عمي قال: حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال: حدثني محمد بن عبد الله بن طهمان قال: حدثني محمد الراوية الذي يقال له البيذق وكان يقرأ شعر المحدثين على الرشيد - قال:

قال لي الرشيد يوماً: أنشدني مرثية مروان بن أبي حفصة في معن بن زائدة التي يقول فيها:

كأن الشمس يوم أصيب معن

من الإظلام ملبسة جلالا

هو الجبل الذي كانت معد

تهد من العدو به الجبالا

أقمنا باليمامة بعد معن

مقاماً لا نريد به زيالا

وقلنا أين نذهب بعد معن

وقد ذهب النوال فلا نوالا

قال: فأنشدته إياها، ثم قال لي، أنشدني قصيدة أبي موسى التيمي في مرثية يزيد بن يزيد، فهي والله أحب إلي من هذه، فأنشدته:

أحق أنه أودى يزيد

تبين أيها الناعي المشيد

أتدري من نعت وكيف فاهت

به شفتاك، كان بك الصعيد

أحامي المجد والإسلام أودى

فما للأرض ويحك لا تميد!

تأمل هل ترى الإسلام مالت

دعائمه وهل شاب الوليد!

وهل شيمت سيوف بني نزار

وهل وضعت على الخيل اللبود!

وهل تسقي البلاد عشار مزن

بدرتها وهل يخضر عود!

أما هدت لمصرعه نزار  
 وحل ضريحه إذ حل فيه  
 أما والله ما تتفك عيني  
 فإن تجمد دموع لئيم قوم  
 أبعد يزيد تختزن البواكي  
 لتبكيك قبة الإسلام لما  
 ويبيك شاعر لم يبق دهر  
 فمن يدعو الإمام لكل خطب  
 ومن يحمي الخميس إذا تعايا  
 فإن يهلك يزيد فكل حي  
 ألم تعجب له أن المنايا  
 قصدن له وهن يحدن عنه  
 لقد عوى ربعة أن يوماً

بلى وتقوض المجد المشيد  
 طريف المجد والحسب التليد  
 عليك بدمعها أبداً تجود  
 فليس لدمع ذي حسب جمود  
 دموعاً أو تصان لها خدود؟  
 وهت أطنابها ووهي العمود  
 له نشبا وقد كسد القصيد  
 ينوب وكل معضلة تتود؟  
 بحيلة نفسه البطل النجيد؟  
 فريس للمنية أو طريد  
 فتكن به وهن له جنود؟  
 إذا ما الحرب شب لها وقود  
 عليها مثل يومك لا يعود

قال: فبكى هارون الرشيد بكاء اتسع فيه حتى لو كانت بين يديه سكرجة لملاها من دموعه.  
 يجيز شعراً للأمين: أخبرني محمد بن يحيى قال حدثنا أبو العيناء قال حدثنا محمد بن عمر قال: خرج كوثر خادم  
 محمد الأمين ليرى الحرب، فأصابته رجمة في وجهه، فجلس يبكي، فوجه محمد من جاءه به، وجعل يمسح الدم  
 عن وجهه، وقال:

ضربوا قرّة عيني  
 وأخذ الله قلبي  
 ومن أجلي ضربوه  
 من أناس أحرقوه

قال: وأراد زيادة في الأبيات فلم يواته، فقال للفضل بن الربيع: من ها هنا من الشعراء، فاقل: الساعة رأيت عبد  
 الله بن أيوب التيمي، فقال: علي به. فلما أدخل أنشده محمد هذين البيتين، وقال: أجزهما، فقال:

ما لمن أهوى شبيهه  
 وصله حلو ولكن  
 من رأى الناس له الفض  
 مثل ما قد حسد القا  
 فبه الدنيا تننيه  
 هجره مر كرية  
 ل عليهم حسدوه  
 ثم بالملك أخوه

فقال محمد: أحسنت، هذا والله خير مما أوردناه، بحياتي عليك يا عباسي إلا نظرت، إن جاء على الظهر ملأت أحمال ظهره دراهم، وإن كان جاء في زورق ملأته. فأوقرت له ثلاثة أبغل دراهم.  
يلجأ إلى الفضل بن سهل ليوصله إلى المأمون، فيمدحه، ويعفو المأمون عنه: قال محمد بن يحيى: فحدثني الحسن بن عليل العتري قال: حدثني محمد بن إدريس قال: لما قتل محمد الأمين خرج إلى أبو محمد التيمي إلى المأمون وامتدحه، فلم يأذن له، فصار إلى الفضل بن سهل ولجأ إليه وامتدحه، فأوصله إلى المأمون. فلما سلم عليه قال له المأمون: إيه يا تيمي:

ثم بالملك أخوه

مثل ما قد حسد القا

فقال التيمي: بل أنا الذي أقول يا أمير المؤمنين:

ه لما ظلموه

نصر المأمون عبد الل

نوا قديماً أكدوه

نقضوا العهد الذي كا

بالذي أوصى أبوه

لم يعامله أخوه

ثم أنشده قصيدة له امتدحه بها أولها:

وبان الشباب والشباب حبيب

جزعت ابن تيم أن أتاك مشيب

قال: فلما أنشده إياها وفرغ منها قال: قد وهبتك لله -عز وجل- ولأخي العباسي - يعني الفضل بن سهل - وأمرت لك بعشرة آلاف درهم.

ينشد الأمين أبياتاً فيأمر له بمائتي ألف درهم: أخبرني محمد بن يحيى قال: حدثني عون بن محمد الكندي قال: حدثني عباد ابن محمد الكاتب عن أبي محمد التيمي الشاعر قال: أنشدت الأمين محمد أول ما ولي الخلافة قولي:

لعل روحاً يديل من كرب

لا بد من سكرة على طرب

الآبيات المذكورة في الغناء. قال: فأمر لي بمائتي ألف درهم، صالحوني منها على مائة ألف درهم. يدخل على الأمين فيتمنى أنه يكون له مثل مدح أنشده إياه، فيمدحه بقصيدة: وأخبرني جعفر بن قدامة قال: حدثني محمد بن يحيى المنجم قال: وحدثني حسين بن الضحاك قال: قال لي أبو محمد التيمي: دخلت على محمد الأمين أول ما ولي الخلافة، فقال: يا تيمي، وددت أنه قيل في مثل قول طريح بن إسماعيل في الوليد بن يزيد:

طوبى لفرعك من هنا وهنا

طوبى لفرعك من هنا وهنا

فإني والله أحق بذلك منه، فقلت: أنا أقول ذلك يا أمير المؤمنين، ثم دخلت إليه من غد فأنشدته قصيدي:

لعل روحاً يديل من كرب

لا بد من سكرة على طرب

حتى انتهيت إلى قولي:

## أكرم بفرعين يجريان به

## إلى الإمام المنصور في النسب

فتبسم، ثم قال لي: يا تيمي قد أحسنت، ولكنه كما قيل: مرعى ولا كالسعدان، ثم التفت إلى الفضل بن الربيع فقال: بحياتي أو قر له زورقه مالا، فقال: نعم يا سيدي. فلما خرجت طالبت الفضل بذلك، فقال: أنت مجنون؟ من أين لنا ما يملأ زورقك؟ ثم صالحني على مائة ألف درهم.

يمدح الفضل بن يحيى فيأمر له بخمسة آلاف درهم: أخبرني وكيع قال: حدثني ابن إسحاق قال: حدثني أبي قال: كنت على باب الفضل بن يحيى، فأتاني التيمي الشاعر بقصيدة في قرطاس، وسألني أن أوصلها إلى الفضل، فنظرت فيها ثم حرقت القرطاس، فغضب أبو محمد وقال لي: أما كفاك أن استخففت بحاجتي؟ منعتني أن أدفعها إلى غيرك. فقلت له: أنا خير لك من القرطاس، ثم دخلت إلى الفضل، فلما تحدثنا قلت له: معي هدية وصاحبها بالباب؛ وأنشدته، فقال: كيف حفظتها؟ قلت: الساعة دفعها إلي على الباب، فحفظتها. فقال: دع ذا الآن.

فقلت له: فأدخله، فأدخل، فسأله عن القصة فأخبره. فقال: أنشدني شيئاً من شعرك ففعل، وجعلت أردد أبياته، وجعلت أشيعها بالاستحسان، ثم خرج التيمي فقلت: خذ في حاجة الرجل، فقال: أما إذ عنيت به فقد أمرت له بخمسة آلاف درهم. فقلت له: أما غداً أقللتها فعجلها، فأمر بها فأحضرت. فقلت له: أليس لإعانتك إياي ثمن؟ قال: نعم. قلت فهاته. قال: لا أبلغ بك في الإعانات ما بلغت بالشاعر في المديح. فقلت: فهات ما شئت، فأمر بثلاثة آلاف درهم، فضممتها إلى الخمسة الآلاف، ووجهت بها عليه.

يسكر هو وأخوه وابن عم له، وينظم في ذلك شعراً بعد انصرافهم: وذكر أحمد بن طاهر عن أبي هفان عن إسحاق قال: كان التيمي وأخوه أبو التيحان وابن عم له يقال له: قبيصة يشرون في حانة حتى سكروا وانصرفوا من غد، فقال التيمي يذكر ذلك ويتشوق مثله: صوت

هل إلى سكرة بناحية الح

يرة شنعاء يا قبيص سبيل

وأبو التيحان في كفه القر

رعة والرأس فوقه إكليل

وعرار كأنه ببذق الشطرنج يفتن فيه قال وقيل

الشعر للتيمي والغناء ل محمد بن الأشعث، رمل بالوسطى.

يشترى ضيعة بجائزة له من الأمين: أخبرني الحسن بن علي قال: حدثنا أبو العيناء عن أبي العالية، قال: أمر محمد الأمين لعبد الله بن أيوب بجائزة عشرة آلاف دينار ثواباً عن بعض مدائحه، فاشترى بها ضيعة بالبصرة، وقال عبد ابتياعه إياها:

إن اشتريت بما وهبت ليه

أرضاً أمون بها قرابتيه

فبحسن وجهك حين أسأل قل

يا بن الربيع احمل إليه ميه

فغني بها الأمين، فقال للفضل: بحياتي يا عباسي، احمل إليه مائة ألف، فدعا به فأعطاه خمسين ألفاً، وقال له:  
الخمسون الآخر علي إذا اتسعت أيدينا.

يعشق جارية، ويسأل ثمنها فيعطيه المأمون إياه فيشتريها:  
أخبرني الحسن، قال: حدثني أبو العيناء، عن أبي العالية قال: عشق التيمي جارية لبعض الخاسين، فشكا وجده بها  
إلى أبي عيسى بن الرشيد، فقال أبو عيسى للمأمون: يا أمير المؤمنين، إن التيمي يجد بجارية لبعض النحاسين، وقد  
كتب إلي بيتين يسألني فيهما ثمنها، فقال: وهما هما؟ فقال:

يا أبا عيسى إليك المشتكى  
ليس لي صبر على فقدانها  
وأخو الصبر إذا عيل شكا  
وأعاف المشرب المشترك

قال: فأمر له بثلاثين ألف درهم فاشتراها بها .  
يمدح الفضل بن الربيع يوم عيد فيعطيه عشرة آلاف درهم: أخبرني الحسن، قال: حدثني أبو العيناء عن أبي العالية  
قال: دخل التيمي إلى الفضل بن الربيع في يوم عيد فأنشده:

ألا إنما آل الربيع ربيع  
إذا ما بدا آل الربيع رأيتهم  
وغيث حياً للمرملين مريع  
لهم درج فوق العباد رفيع

فأمر به بعشرة آلاف درهم.  
يمدح الفضل بن يحيى بثلاثة أبيات فيعطيه ثلاثة آلاف درهم: أخبرني عيسى بن الحسن قال: حدثنا أحمد بن أبي  
خيثمة قال: حدثنا الزبير بن بكار قال: مدح أبو محمد التيمي بن يحيى بثلاثة أبيات ودفعها إلى إسحاق الموصلي،  
فعرضها على الفضل بن يحيى، فأمر له بثلاثة آلاف درهم، والأبيات:

لعمرك ما الأشراف في كل بلدة  
ترى عظماء الناس للفضل خشعا  
وإن عظموا للفضل إلا صنائع  
تواضع لما زاده الله رفعة  
إذا ما بدا والفضل لله خاشع  
وكل جليل عنده متواضع

يسمع كتاباً للحجاج إلى قتيبة بن مسلم فينظم شعراً يضمنه معناه: أخبرني جحظة قال: حدثني علي بن يحيى  
المنجم قال: حدثني إسحاق الموصلي عن محمد بن سلام قال: كتب الحجاج إلى قتيبة بن مسلم: إني قد نظرت في  
سني، فإذا أنا ابن ثلاث وخمسين سنة، وأنا وأنت لدة عام. وإن امرأ قد سار إلى منهل خمسين سنة لقريب أن  
يرده، والسلام.

فسمع هذا أبو محمد التيمي مني فقال:

إذا ذهب القرن الذي أنت فيهم  
وإن امرأ قد سار خمسين حجة  
وخلفت في قرن فأنت غريب  
إلى منل من ورده لقريب

يحييه المأمون على مدح له في الأمين يذكر فيه الخمر: حدثني عمي قال: حدثني أحمد بن أبي طاهر، قال: حدثني أبو دعامة علي بن يزيد قال: حدثني التيمي أبو محمد قال: دخلت على الحسن بن سهل، فأنشدته مديحاً في المأمون ومديحاً فيه، وعنده طاهر بن الحسين، فقال له طاهر: هذا والله أيها الأمير الذي يقول في محمد المخلوع:

لا بد من سكرة على طرب لعل روحاً يديل من كرب

خليفة الله خير منتخب لخير أم من هاشم وأب

خلافة الله قد توارثها آباؤه في سالف الكتب

فهي له دونكم مورثة عن خاتم الأنبياء في الحقب

يا بن الذرا من ذوائب الشرف ال أقدم أنتم دعائم العرب

فقال الحسن: عرض والله ابن اللخناء بأمر المؤمنين، والله لأعلمنه. وقام إلى المأمون فأخبره، فقال المأمون: وما عليه من ذلك، رجل أمل رجلاً فمدحه، والله لقد أحسن بنا، وأساء إليه إذ لم يتقرب إليه إلا بشرب الخمر، ثم دعاني فخلع علي وحملني، وأمر لي بخمسة آلاف درهم.

ينشد أول شعر عرف به ووصل به إلى الخليفة: أخبرني الحسن بن علي قال: حدثني محمد بن القاسم بن مهرويه قال: حدثني أبو الشبل البرجمي عن أبيه قال: قال لي أبو محمد التيمي: أول شعر عرفت به فشاع فيه ذكري ووصلت به إلى الخليفة قولي: صوت

طاف طيف في المنام بمحب مستهام

زورة أبقت سقاما وشفقت بعض السقام

لم يكن ما كان فيها من حرام بحرام

لم تكن إلا فواقا وهي في ليل التمام

الغناء لإسحاق فقال: فصنع فيها إسحاق لحناً وغنى به الرشيد، فسأله عن قائل الشعر، فقال له: صديق لي شاعر ظريف، يعرف بالتيمي، فطلبت وأمرت بالحضور، فسألت عن السبب الذي دعيت له فعرفته، فأتممت الشعر وجعلته قصيدة مدحت بها هارون. ودخلت إليه فأنشدته إياها، فأمر لي بثلاثين ألف درهم، وصرت في جملة من يدخل إليه بنوبة وأمر أن يدون شعري.

يجتاز بإسحاق الموصلية فيدعوه إلى طعام وشراب: أخبرني محمد بن يزيد بن أبي الأزهر قال: حدثنا حماد بن إسحاق قال: حدثني عمي طيب بن إبراهيم الموصلية قال: حدثني أبو محمد التيمي الشاعر قال: اجتزت يوماً باخيك إسحاق فقال: ادخل حتى أطعمك طعاماً صرفاً، وأسقيك شراباً صرفاً وأغنيك غناء صرفاً، فدخلت إليه، فأطعمني لحماً مكيباً، وشواء حاراً وبارداً مبزراً، وأسقاني شراباً عتيقاً صرفاً، وغناني وحده مرتجلاً:

ولو أن أنفاسي أصابت بحرها  
ولو أن عيني أطلق من وكائها  
ولو أن سلمى تطلع الشمس دونها  
لحدثت نسي أن تريع بها النوى

فلم تنزل تلك حالي حتى حملت من بينه سكران .

يستأذن عمرو بن مسعدة في الإنشاد فيجعل الإذن لإسحاق الموصلي فيأذن: أخبرني لحظة قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه قال: دخلت يوماً على مروة بن مسعدة، فإذا أبو محمد التيمي واقف بين يديه يستأذنه في الإنشاد، فقال: ذاك إلى أبي محمد -يعني- وكان على التيمي عاتباً، فكره أن يمنعه لعلمه بما بيننا من المودة، فقلت له: أنشد إذ جعل الأمر لي، فأرجو أن يجعل أمر الجائزة أيضاً إلي. فتبسم عمرو، وأنشده التيمي:

يا أبا الفضل كيف تغفل عني  
أنسيت الإخاء والعهد والود  
أنا من قد بلوت في سالف الدهر  
فاصطنعني لما ينوب به الدهر  
أنا ليث على عدوك سلم لك  
أنا سيف يوم الوغى وسانان  
أنا طب في الرأي في موضع الرأ  
وأمين على الودائع والسر

قال: فأقبل علي عمرو وهو يضحك، وقال: أتعلم هذا الغناء منك أم كان يعلمه قديماً؟ فقلت له: لم يكذب، أعزك الله. فقال: أفي هذا وحده أو في الجميع؟ فقلت: أما في هذا فأنا أحق كذبة، والله أعلم بالباقي. ثم أنشده:

وإذا ما أردت حجا فرحا  
ل دليل إن نام كل ضفن

فقال له: إذا عزمنا على الحج امتحنك في هذا، فإني أراك تصلح له، ثم أنشده:

ولبيب على مقال أبي العب  
اس إني أرى به مس جن

فقال: ما أراه أبعد، فقال:

وهو الناصح الشفيق ولكن  
وظريف عند المزاح خفيف  
خاف هيج الزمان فازور عني  
في الملاهي وفي الصبا متثن

كيف باعدت أو جفوت صديقاً  
صرت بعد الإكرام والأنس أَرْضِي  
لم تخني ولم أحنك ولا والل  
إن أكن تبت أو هجرت الملاهي  
فحديثي كالدرد فصل باليا  
لا ملولا، لا لا ولا متجن  
منك بالترهات ما لم تهني  
ه ربي لا خنت من لم يخني  
وسلافا يجنها بطن دن  
قوت يجري في جيد ظبي أغن

فأمر له بخمسة آلاف درهم، فقال له: هذا شيء تطوعت به، فأين موضع حكمي؟ فقال: مثلها، فانصرف بعشرة آلاف درهم.

يمر بخمار بالحيرة وقد أسن، فينشد شعراً في شربه عنده: أخبرني عمي قال: حدثني محمد بن الحسن بن مسعود قال: حدثني علي بن عمرو قال: مر التيمي بالحيرة على خمارة كان يألفه، وقد أسن التيمي وأرعش، وترك النبيذ. فقال له الخمار: ويحك! أبلغ بك الأمر إلى ما أرى؟ فقال: نعم والله، لولا ذلك لأكثرت عندك. ثم أنشأ يقول:  
صوت

هل إلى سكرة بناحية الحيرة  
وأبو التيحان في كفه القر  
يوماً قبل الممات سيبيل؟  
عة والرأس فوق الإكليل

وعرار كأنه يبيد الشط  
رنج يفتن فيه قال وقيل

في هذه الأبيات لمحمد بن الأشعث رمل بالوسطى عن الهشامي.  
يهوى غلاماً ويشغل الغلام عنه بهوى جارية فينظم في هذا شعراً: أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي قال: حدثنا عيسى بن إسماعيل قال: كان أبو محمد التيمي يهوى غلاماً، وكان الغلام يهوى جارية من جواري القيان، فكان بها مشغولاً عنه، وكانت القينة تهوى الغلام أيضاً فلا تفارقه، فقال التيمي:

ويلي على أغيد ممكور  
تؤثره الحور علينا كما  
علق من علق فيه هوى  
وكل من تهواه في أمره  
وساحر ليس بمسحور  
نؤثره نحن على الحور  
منتظم الألفة مغمور  
مقلب صفقة مقمور

يمدح الأمين فيأمر بملئ زورقه دراهم: أخبرني الحسن بن علي قال: حدثنا ابن أبي سعد قال: حدثني أحمد بن محمد الفارسي قال: حدثنا غسان بن عبد الله عن أبي محمد التيمي قال: لما أنشدت الأمين قولي فيه:

خليفة الله خير منتخب  
لخير أم من هاشم وأب

## أكرم بعرقين يجريان به

## إلى الإمام المنصور في النسب

طرب، ثم قال للفضل بن الربيع: بحياتي أوقر له زورقه دراهم، فقال: نعم يا سيدي. فلما خرجنا طالبته بذلك، فقال: أجمنون أنت؟ من أين لنا ما يملأ زورقك؟ ثم صالحني على مائة ألف درهم، فقبضتها. يقول شعراً ينهي فيه عن الخضوع لغير الله: أخبرني حبيب بن نصر المهلي، قال: حدثني محمد بن عبد الله المدني قال: حدثني عبد الله بن أحمد التيمي ابن أخت أبي محمد التيمي الشاعر، قال: أنشدني خالي لنفسه قوله:

فإن ذاك مضر منك بالدين

لا تخضعن لمخلوق على طمع

فإنما هو بين الكاف والنون

وارغب إلى الله مما في خزائنه

من الخلائق مسكين ابن مسكين

أما ترى كل من ترجو وتأمله

## صوت

بمطلبها ومطلبها عسير؟

ألم تر أنني أفنيت عمري

يقربني وأعييتني الأمور

فلما لم أجد سبباً إليها

فجيمعني وإياها المسير

حججت وقلت قد حجت جنان

الشعر لأبي نواس، والغناء للزبير بن دحمان، رمل بالوسطى من رواية أحمد بن المكي وبذل، وغنائي محمد بن إبراهيم قريظ الجرحي - رحمه الله - فيه لحناً من خفيف الثقيل، فسألته عن صانعه فلم يعرف.

## أخبار أبي نواس وجنان خاصة

إذ كانت أخباره قد أفردت خاصة صفات جنان وصدق أبي نواس في حبها: كانت جنان هذه جارية آل عبد الوهاب بن عبد المجيد الثقفي المحدث الذي كان ابن مناذر يصحب ابنه عبد المجيد، ورثاه بعد وفاته، وقد مضت أخبارهما.

وكانت حلوة جميلة المنظر أديبة، ويقال: إن أبا نواس لم يصدق ي حبه امرأة غيرها.

حجت جنان فحج معها أبو نواس: أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال: حدثني إسحاق بن محمد عن أبي هفان عن أصحاب أبي نواس قالوا: كانت جنان جارية حسناء أديبة عاقلة ظريفة، تعرف الأخبار، وتروي الأشعار قال الـيـؤيـر: خاصة، وكانت لبعض الثقفيين بالبصرة، فرآها أبو نواس فاستحلاها، وقال فيها أشعاراً كثيرة، فقلت له يوماً: إن جنان قد عزمت على الحج، فكان هذا سبب حجها، وقال: أما والله - لا يفوتني المسير معها والحج عامي هذا إن أقامت على عزيمتها، فظننته عابثاً مازحاً، فسبقها والله إلى الخروج بعد أن علم أنها خارجة، وما كان نوع الحج، ولا أحدث عزمه له إلا خروجها، وقال وقد حج وعاد:

ألم تر أنني أفنيت عمري

بمطلبها ومطلبها عسير؟

فلما لم أجد سبباً إليها

يقربني وأعيتني الأمور

حججت وقلت قد حجت جنان

فيجمعني وإياها المسير

قال البيهقي: فحدثني من شاهده لما حج مع جنان وقد أحرم، فلما جنه الليل جعل يلي بشعر ويحدو ويطرب، فغنى به كل من سمعه، وهو قوله:

إلهنا ما أعدلك!

ملك كل من ملك

لبيك قد لببت لك

لبيك إن الحمد لك

والملك لا شريك لك

والليل لما أن حلك

والسباحات في الفلك

على مجاري المنسلك

ما خاب عبد أملك

أنت له حيث سلك

لولاك يا رب هلك

كل نبي وملك

وكل من أهل لك

سبح أو لبي فلك

يا مخطئاً ما أغفلك!

عجل وبادر أجلك

واختم بخير عملك

لبيك إن الملك لك

والحمد والنعمة لك

والعز لا شريك لك

من شعره فيها: أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار وأحمد بن عبد العزيز الجوهري قالا: حدثنا عمر بن شبة قال: كانت جنان التي يذكرها أبو نواس جارية لآل عبد الوهاب بن عبد المجيد الثقفي، وفيها يقول:

جفن عيني قد كاد

يقط من طول ما اختلج

وفؤادي من حر حبك

والهجر قد نضج

خبريني فدتك نف

سي وأهلي: متى الفرج؟

كان ميعادنا خرو

ج زياد فقد خرج

أنت من قتل عائذ

بك في أضيق الحرج

تشهد عرساً فإراها فبرجل فيها شعراً: أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال: حدثني إسحاق بن محمد النخعي قال: حدثني الجماز قال ابن عمار: وحدثني به قليب بن عيسى قال: كانت جنان قد شهدت عرساً في جوار أبو نواس، فانصرفت منه وهو جالس معنا، فأراها فأنشدنا بديها قوله:

شهدت جلوة العروس جنان  
فاستمالت بحسنا النظر  
حسبها العروس حين رأوها  
فإليها دون العروس الإشارة  
قال أهل العروس حين رأوها  
ما دهانا بها سواك عمارة

قال: وعمارة زوج عبد الرحمن الثقفي، وهي مولاة جنان.

تغضب من كلام له فيرسل معتذراً فلا تحسن الرد فينظم شعراً: أخبرني محمد بن يحيى الصولي ومحمد بن خلف قالوا: حدثنا يزيد بن محمد المهلي عن محمد بن عمر قال: غضبت جنان من كلام كلمها به أبو نواس، فأرسل يعتذر إليها، فقالت للرسول: قل له: لا برح المجران ربك، ولا بلغت أملك من أحببتك، فرجع إليه، فسأله عن جوابها، فلم يجبره فقال:

فديتك فيم عتبتك من كلام  
نطقت به على وجه جميل؟  
وقولك للرسول عليك غيري  
فليس إلى التواصل من سبيل  
فقد جاء الرسول له انكسار  
وحال ما عليها من قبول  
ولو ردت جنان مرد خير  
تبين ذاك في وجه الرسول

يعاتبها حتى يستميلها: قال أبو خالد يزيد بن محمد: وكان أبو نواس صادقاً في محبة جنان من بين من كان ينسب به من النساء ويداعبه، ورأيت أصحابنا جميعاً يصححون ذلك عنه، وكان لها محباً، ولم تكن تبغ، فمما عابتها به حتى استمالها بصحة حبة لها فصارت تحبه بعد نبوها عنه قوله:

جنان إن جدت يا مناي بما  
أمل لم تقطر السماء دما  
وإن تمادي ولا تماديت  
فيمنعك أصبح بقفرة رمما  
علقت من لو أتى على أنفـس  
الماضين والغابرين ما ندما  
لو نظرت عينه إلى حجر  
ولد فيه فتورها سقما

يسأل امرأة عنها فتخبره أنها رحمته فيقول في ذلك شعراً: أخبرني محمد بن جعفر النحوي صهر المبرد قال: حدثني محمد بن القاسم عن أبي هفان عن الجماز، وأخبرني محمد بن يحيى الصولي، قال: حدثني عون بن محمد، قال: حدثني الجماز قال: كنت عند أبي نواس جالساً إذ مرت بنا امرأة ممن يداخل الثقفيين، فسألها عن جنان وألحف في المسألة واستقصى، فأخبرته خبرها وقالت: قد سمعتها تقول لصاحبة لها من غير أن تعلم أن أسمع: ويحك! قد

آذان هذا الفتى، وأبرمني، وأخرج صدري، وضيق علي الطرق بحدة نظره وتمتكه؛ فقد لهج قلبي بذكره والفكر فيه من كثرة فعله لذلك حتى رحمته، ثم التفتت فأمسكت عن الكلام؛ فسر أبو نواس بذلك، فلما قامت المرأة أنشأ يقول:

يا ذا الذي عن جنان ظل يخبرنا      بالله قل وأعد يا طيب الخبر  
قال اشتكتك وقالت ما ابتليت به      أراه من حيثما أقبلت في أثري  
ويعمل الطرف نحوي إن مررت به      حتى ليخجلني من حدة النظر  
وإن وقفت له كيما يكلمني      في الموضع الخلو لم ينطق من الحصر  
ما زال يفعل بي هذا ويدمنه      حتى لقد صار من همي ومن وطري

يمر به القاضي وهو يكلم امرأة فينصحه فيقول في ذلك شعراً:

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال: حدثني علي بن محمد النوفلي وأحمد بن سليمان بن أبي شيخ قال: قال ابن عائشة: وأخبرني الحسن بن علي وابن عمار عن الغلابي عن ابن عائشة: قال ابن عمار: وحدثت به عن الجما، وذكره لي محمد بن داود الجراح عن إسحاق النخعي عن أحمد بن عمير: أن محمد بن حفص بن عمر التميمي - وهو أبو ابن عائشة - انصرف من المسجد وهو يتولى القضاء، فرأى أبا نواس قد خلا بامرأة يكلمها. وقال أحمد بن عمير في خبره: وكانت المرأة قد جاءت برسالة جنان جارية عمارة امرأة عبد الوهاب بن عبد المجيد، فمر به عمر بن عثمان التيمي وهو قاضي البصرة - هكذا ذكر أحمد بن عمير وحده - وذكر الباقر جميعاً أنه محمد بن حفص.

قال الجماز: وكانت عليه ثياب بياض، وعلى رأسه قلنسوة مضرية فقال له: اتق الله، قال: إنها حرمي، قال: فصنّها عن هذا الموضع. وانصرف عنه، فكتب إليه أبو نواس: صوت

إن التي أبصرتها      بكرة أكلمها رسول  
أدت إلي رسالة      كادت لها نفسي تسيل  
من ساحر العينين      يجذب خصره ردف ثقيل  
متقلد قوس الصبا      يرمي وليس له رسيل  
فلو أن أذنك بيننا      حتى تسمع ما تقول  
لرأيت ما استقبحت من      أمري هو الأمر الجميل

في هذه الأبيات لجنان من الرمل وخفيفه، كلاهما لأبي العبيس بن حمدون.

قال بن عمير: ثم وجه بها فألقيت في الرقاع بين يدي القاضي فلما رآها ضحك وقال إن كانت رسولاً فلا بأس.

قال ابن عائشة في خبره: برقعة فيها هذه الأبيات، وقال لي: ادفعها إلى أبيك، فأوصلتها إليه، ووضعها بين يديه، فلما قرأها ضحك، وقال: قل له: إني لا أتعرض للشعراء.

من شعره يسأل عنها وهي في حكمان: حدثني علي بن سليمان الأخفش قال: حدثنا محمد بن يزيد قال: كان أبو عثمان أخوا مولى جنان، وكان مولاها أبو مية زوج عمارة وهي مولاها، وكانت له بحكمان ضيعة كان يترها هو وابن عم له يقال له: أبو مية، فقال أبو نواس فيه قوله:

أسأل القادمين من حكمان

كيف خلفتما أبا عثمان

وأبا مية المهذب والمأ

جد والمرتجى لريب الزمان؟

فيقولان لي: جنان كما سرك

في حالها فسل عن جنان

ما لهم لا يبارك الله فيهم

كيف لم يغن عندهم كتماننا؟

لم يكن يعشق ولا كانت جنان موضع عشق ولكنه العبث: فأخبرني ابن عمار قال: حدثني محمد بن القاسم بن مهرويه، قال: حدثني محمد بن عبد الملك بن مروان الكاتب قال: كنت جالسا بسر من رأى في شارع أبي أحمد، فأنشدني قول أبي نواس:

أسأل المقبلين من حكمان

كيف خلفتما أبا عثمان؟

وإلى جاني شيخ جالس فضحك، فقلت له: لقد ضحكت من أمر، فقال: أجل، أنا أبو عثمان الذي قال أبو نواس فيه شعراً، وأبو مية ابن عمي، وحنان جارية أخي، ولم تكن في موضع عشق، ولا كان مذهب أبي نواس النساء، ولكنه عبث خرج منه.

سبقه النابغة الجعدي إلى التكنية في شعره بغير اسم صاحبتة: أخبرني علي بن سليمان قال: قال لي أبو العباس محمد بن يزيد: قال النابغة الجعدي:

أكني بغير اسمها وقد علم

الله خفيات كل مكنتم

وهو سبق الناس إلى هذا المعنى، وأخذوه جميعاً منه، وأحسن من أخذه أبو نواس حيث يقول:

أسأل القادمين من حكمان

كيف خلفتما أبا عثمان؟

فيقولان لي: جنان كما سر

ك في حالها فسل عن جنان

ما لهم لا يبارك الله فيهم

كيف لم يغن عندهم كتماننا!

شعره وقد حضرت مأتماً في البصرة: أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار، قال: أنشدني أحمد بن محمد بن صدقة الأنباري لأبي نواس يذكر مأتماً بالبصرة، وحضرته جنان:

يا منسي المأتم أشجاناه

لما أتاهم في المعزينا

سرت قناع الوشي عن صورة

ألبسها الله التحاسينا

فاستقتنتهن بتمثالها

فهن للتكليف بيكينا

حق لذاك الوجه أن يزدهي

عن حزنه من كان محزونا

شعره وقد اشرف عليها فرآها تلتط في مآتم: أخبرني عمي قال: حدثني إسحاق بن محمد النخعي، قال: حدثنا عبد الملك بن عمر ابن أبان النخعي، وكان صديقاً لأبي نواس: أن أبا نواس أشرف من دار على منزل عبد الوهاب الثقفي، وقد مات بعض أهله وعندهم مآتم، وحنان واقفة مع النساء تلتطم وجهها وفي يدها خضاب، فقال:

يا قمراً أبرزه مآتم

يندب شجواً بين أتراب

بيكي فيذري الدر من عينه

ويلطم الورد بعناب

لا تبك ميتاً حل في حفرة

وابك قتيلاً لك بالباب

أبرزه المآتم لي كارهاً

برغم دايات وحجاب

لا زال موتاً دأب أحبابه

ولا تزل رؤيته دابي

استحسان ابن عيينة لشعره ذاك: فحدثني أحمد بن عبيد الله بن عمار، قال: حدثني محمد بن القاسم، حدثني محمد ابن عائشة قال: قال لي سفيان بن عيينة: لقد أحسن بصريكم هذا أبو نواس حيث يقول - وشدد الواو وفتح النون:

يا قمراً أبصرت في مآتم

يندب شجواً بين أتراب

بيكي فيذري الدر من عينه

ويلطم الورد بعناب

قال: وجعل يعجب من قوله: ويلطم الورد بعناب.

ابن أبي عيينة ينشد بيتاً من شعره ذاك ويكرر إعجابه ببراعته: وأخبرني الحسن بن علي قال: حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال: حدثني محمد بن محمد قال: حدثني حسين ابن الضحاك قال: أنشد ابن عيينة قول أبي نواس:

بيكي فيذري الدر من عينه

ويلطم الورد بعناب

فعجبت منه، وقال: آمنت بالذي خلقه.

روي أن شعره ذاك كان في غير جنان: وقد قيل: إن أبا نواس قال هذا الشعر في غير جنان.

أخبرني بذلك الحسن بن علي قال: حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه، قال: حدثني بعض الصيارف بالكرخ، وسماء، قال: كان حارس درب عو يقال له: المبارك، وكان يلبس ثياباً نظيفة سرية، ويركب حمراً، فيطوف عليه السوق بالليل ويكرهه بالنهار، فإذا رآه من لا يعرفه ظن أنه من بعض التجار، وكان يصل إليه في كل شهر من

السوق ما يسعه ويفضل عنه، وكانت له بنت من أجمل النساء، فمات مبارك وحضره الناس، فلما أخرجت خرجت بنته هذه حاسرة بين يديه، فقال أبو نواس فيها:

يا قمراً أبرزه مأتّم  
يندب شجواً بين أتراب

وذكر الأبيات كلها.

طلبت قطع صلته بما أياماً ففعل: أخبرني محمد بن جعفر قال: حدثني أحمد بن القاسم عن أبي هفان عن الجمار واليؤيؤ وأصحاب أبي نواس أن جنان وجهت إليه: فاقطع زيارتك عني أياماً لينقطع بعض القالة، ففعل وكتب إليها:

إنا اهتجرنا للناس إذ فطنوا  
وبيننا حين نلتقي حسن

ندافع الأمر وهو مقتبل  
فشب حتى عليه قد مرنوا

فليس يقذي عيناً معاينة  
له وما إن تمجه أذن

ويح ثقيف ماذا يضرهم  
أن كان لي في ديارهم سكن

أريب ما بيننا الحديث فإن  
زدنا فزيدوا وما لذا ثمن

يكتب إليها من بغداد شعراً: أخبرني الحسن بن علي قال: حدثنا ابن مهوريه، قال: حدثني ابن أبي سعد قال: بلغني أن أبا نواس كتاب إلى جنان من بغداد:

كفى حزناً ألا أرى وجه حيلة  
أزور بها الأحباب في حكمان

وأقسم لولا أن تنال معاشر  
جناناً بما لا أشتهى لجنان

لأصبحت منها داني الدار لاصفاً  
ولكن ما أخشى فديت عداني

فواحزنا حزناً يؤدي إلى الردى  
فأصبح مأثوراً بكل لسان

أراني انقضت أيام وصلي منكم  
وآذن فيكم بالوداع زماني

شعره وقد شتمته وتنقصته حين ذكر عشقه لها: أخبرني الحسن قال: حدثنا ابن مهوريه عن يحيى بن محمد عن الخريبي قال: بلغ أبو نواس أن امرأة ذكرت لجنان عشقه لها، فشتمته جنان وتنقصته وذكرته أقبح الذكر، فقال:

وا بأبي من إذا ذكرت له  
وطول وجدي به تنقصني

لو سألوه عن وجه حجته  
في سبه لي لقال: يعشقني

نعم إلى الحشر والتناد نعم  
أعشقه أو ألف في كفني

أصيح جهراً لا أستسر به  
عنفني فيه من يعنفني:

أن جنانا صديقة الحسن

يا معشر الناس فاسمعوه وعوا:

شعره إليها وقد رآها في المنام بعد أن هجرته:

فبلغها ذلك، فهجرته، وأطالت هجره، فرآها ليلة في منامه وأنها قد صالحته، فكتب إليها:

عاد لنا الوصل كما كانا

إذا التقى في النوم طيفانا

نشقى ويلتذ خيالانا

يا قرّة العين فيما بالنا

أتممت إحسانك يقظانا

لو شئت إذ أحسنت لي في الكرى

وأصبحت غضبي وغضباننا

يا عاشقين اصطلحا في الكرى

وربما تصدق أحياننا

كذلك الأحلام غدارة

الغناء في هذه الأبيات لابن جامع، ثقيل أول بالوسطى عن عمرو.

يهجرها حين جبهته بما يكره، ويرأها في المنام تصالحه، فينظم شعراً: وقال الخربعي: ورأها يوماً في ديار تقيف فجبته بما كره، فغضب وهجرها مدة، فأرسلت إليه رسولاً تصالحه فرده، ولم يصالحها، ورأها في النوم تطلب صلحه، فقال:

في النوم حين تأبى الصلح يقظانا

دست له طيفها كيما تصالحه

ولا رثى لتشكيه ولا لانا

فلم يجد عند طيفي طيفها فرجاً

أكون من أجله غضبان غضباننا

حسبت أن خيالي لا يكون لما

فلم يكن هيناً منك الذي كانا

جنان لا تسأليني الصلح سرعة ذا

من شعره فيها: وأنشدني علي بن سليمان الأخفش لأبي نواس في جنان:

ولا تبقي على هذا اللسان!

أما يفنى حديثك عن جنان

فكم هذا أما هذا بقان!

أكل الدهر قلت لها وقالت

إذا حدثت عنها في البيان

جعلت الناس كلهم سواء

سواء، والأبعاد كالأداني

عدوك كالصديق وذا كهذا

عجائبه أتيتهم بشأن

إذا حدثت عن شأن توالت

علمنا إذ كنييت من أنت حان؟

فلو موهت عنها باسم أخرى

شعره وقد بيعت وسافر بها مولاها: أخبرني الحسن بن علي، قال: حدثني يحيى بن محمد السلمي، قال: حدثني أبو عكرمة الضبي: أن رجلاً قدم البصرة فاشترى جنان من موالها، ورحل بها، فقال أبو نواس في ذلك:

بين استيق العيس والركبان

أما الديار فقلما لبثوا بها

حتى اطلعن بهم على الأوطان

وضعوا سياط السوق في أعناقها

أخبرني عيسى بن الحسين قال: حدثني محمد بن سعد الكراني قال: حدثني أبو عثمان الأشناداني قال: كتب أبو نواس إلى جنان:

وامحيه إذا ما محوته باللسان

أكثرني المحو في كتابك

لك العذاب المفلجات الحسان

وأمرني بالمحاء بين ثنايا

فيه محو لطعته بلساني

إنني كلما مررت بسطر

أهديت لي وما برحت مكاني

تلك تقبيلة لكم من بعيد

### صوت

وكانوا لنا سلماً فأضحوا لنا حرباً

تجني علينا آل مكتوبة الذنبا

فقلت ألا طوباي لو أن لي قلباً

يقولون عز القلب بعد ذهابه

عروضه من الطويل. الشعر لابن أبي عيينة، والغناء لسليمان أخي جحظة، رمل بالوسطى عن عمر بن بانة.

### ابن أبي عيينة وأخباره

اسمه وكنيته ونسبه: أبو عيينة - فيما أخبرنا به علي بن سليمان الأخفش عن محمد بن يزيد - اسمه وكنيته أبو المنهال، قال: وكل من يدعى أبا عيينة من آل المهلب فأبو عيينة اسمه وكنيته أبو المنهال، وكل من يدعى أبا رهم من بني سدوس فكنيته أبو محمد.

وابن أبي عيينة هو محمد بن أبي عيينة بن المهلب بن أبي صفرة. وقال أبو خالد الأسلمي: هو أبو عيينة المنجاب بن أبي عيينة، وهو الذي كان يهجو ابن عمه خالداً.

واسم أبي صفرة ظالم بن سراق، وقيل: غالب بن إسراق بن صبح بن كندي بن عمرو بن عدي بن وائل بن الحارث بن العتيك بن الأسد بن عمران بن الوضاح بن عمرو بن مزريقاء بن حارثة الغطريف بن امرئ القيس البطريق بن ثعلبة البهلول بن مازن الراكب بن الأزدي.

هذا النسب الذي عليه آل المهلب، وذكر غيرهم أن أصلهم من عجم عمان وأنهم تولوا الإزد، فلما سار المهلب وشرف وعلا ذكره استلحقوه. ومن ذكر ذلك الهيثم بن عدي وأبو عبيدة وابن مزروع وابن الكلبي وسائر من جمع كتاباً في المثالب وهجتهم به الشعراء فأكثر.

أبو صفرة ليس عربياً:

أخبرني محمد بن عمران الصيرفي قال: أخبرني الحسن بن عليل العتري قال: حدثني أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حميد بن سليمان العدوي قال: أخبرني الهيثم بن عدي، عن عبد الله بن عياش الهمداني قال: وفد ابن الجلندي في الأزدي، أزد عمان ومواليهم وأحلافهم، فكان فيمن وفد منهم أبو صفرة، وكان يلقب بذلك، لأنه كان يصفر لحيته، فدخل على عمر مع ابن الجلندي ولحيته مخضوبة مصفرة، فقال عمر لابن الجلندي: أكل من معك عربي؟ قال: لا، فينا العربي وفينا غير ذلك، فالتفت عمر -رحمه الله- إلى أبي صفرة، فقال له: أعربي أنت؟ قال: لا، أنا ممن من الله عليه بالإسلام.

أبو صفرة يخن وهو شيخ أشمط: قال: وقدم الحكم بن أبي العاصي الثقفي أخو عثمان بأعلاج من شهرك في خلافة عمر قد أسلموا، فأمر عمر عثمان بن أبي العاصي أن يخنهم، وقد كان أبو صفرة حاضراً فقال: ما هؤلاء يطهرون ليصلوا! قال: إهم يخنون.

قال: إنا والله هكذا مثلهم، قال: فسمع ذلك عثمان بن أبي العاصي، فأمر بأبي صفرة فأجلس على جفنة فخن وإنه لشيخ أشمط فكان بها من قال: لسنا نشك في أن زوجته كذلك، فأحضرت وهي عجوز أدماء، فأمر بها القابلة فنظرت إليها وكشفتها، وإذا هي غير محتونة، وذلك منها قد أحشف، فأمر بها فخفضت. وقال في ذلك زياد الأعجم، وقد غضب على المهلب:

**قلفته كي يدخل البصره**

**نحن قطعنا من أبي صفرة**

**أتن على قلفته الشفره**

**لما رأى عثمان غرمولة**

من عمل كتاب المثالب: وليس هذا من الأقوال المعول عليها، لأن أصل المثالب زياد لعنه الله، فإنه لما ادعى إلى أبي سفيان، وعلم أن العرب لا تقر له بذلك مع علمها بنسبه ومع سوء آثاره فيهم، عمل كتاب المثالب، فألصق بالعرب كلها كل عيب وعار، وحق باطل، ثم بنى على الهيثم بن عدي -وكان دعياً- فأراد أن يعر أهل البيوتات تشفياً منهم، وفعل ذلك أبو عبيدة معمر بن المثنى، وكان أصله يهودياً، أسلم جده على يدي بعض آل أبي بكر الصديق رضي الله عنه، فانتمى إلى ولاء بني تميم فجدد كتاب زياد وزاد فيه، ثم نشأ غيلان الشعبي لعنه الله، وكان زنديقاً ثوبياً لا يشك فيه، عرف في حياته بعض مذهبه، وكان يوري عنه في عوراته للإسلام بالتشعب والعصية، ثم انكشف أمره بعد وفاته، فأبدع كتاباً عمله لطاهر بن الحسين، وكان شديد التشعب والعصية، خارجاً عن الإسلام بأفاعيله، فبدأ فيه بمثالب بني هاشم وذكر مناكحهم وأمهاهم وصنائعهم، وبدأ منهم بالطيب الطاهر، رسول الله صلى الله عليه وسلم فغمصه وذكره، ثم والى بين أهل بيته الأذكىاء النجباء عليهم السلام، ثم ببطون قريش على الولاء، ثم بسائر العرب، فألصق بهم كل كذب وزور، ووضع عليهم كل خير باطل، وأعطاه على ذلك مائتي ألف درهم فيما بلغني.

وإنما جر هذا القول، ذكر المهلب وما قيل فيه، وأني ذكرته فلم أجد بداً من ذكر ما روي فيه؛ وفيما مر عن أهل النسب، ثم قلت ما عندي.

يقرأ كتاب المثالب على عبد الملك، فيأمر بإحراقه: أخبرني حبيب بن نصر قال: أخبرني عمر بن شبة قال: حدثني محمد بن يحيى أبو عثمان عن أبيه قال: دخل بعض الناس على عبد الملك بن مروان فقال له: هل عندك كتاب زياد في المثالب؟ فتلكأ، فقال له: لا بأس عليك، وبحقي إلا جئتني به. فمضى فجاء به، فقال له: اقرأ علي، فقرأه وجعل عبد الملك يتغيظ ويعجب مما فيه من الأباطيل، ثم تمثل قول الشاعر:

### وأجرأ من رأيت يظهر غيب      على عيب الرجال أولو العيوب

ثم أمر بالكتاب فأحرق .

رجع الخبر إلى سياقه أخبار ابن أبي عيينة.

أنفذ أكثر شعره في هجاء ابن عمه "خالد": وهو شاعر مطبوع ظريف غزل هجاء. وأنفذ أكثر أشعاره في هجاء ابن عمه خالد. وأخبارهما تذكر على أثر هذا الكلام وما يصلح تصدير أخباره به. وكان من شعراء الدولة العباسية من ساكني البصرة.

حدثني عمي والصولي قالوا: حدثنا أحمد بن يزيد المهلي قال: حدثني أبي قال: أبو عيينة اسمه كنيته، وهو ابن محمد بن أبي عيينة بن المهلب بن أبي صفرة.

كان أبوه يتولى الري للمنصور: وأخبرني محمد بن عرمان الصيرفي قال: حدثني العززي قال: حدثني أبو خالد الأسلمي قال:

أبو عيينة الشاعر هو أبو عيينة بن النمجاب بن أبي عيينة بن المهلب، وكان محمد بن أبي عيينة أبو أبي عيينة الشاعر يتولى الري لأبي جعفر المنصور، ثم قبض عليه وحبسه وغرمه.

حبس المنصور أباه: وأخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال: حدثني يزيد بن محمد المهلي قال: قال وهب بن جرير: رأيت في منامي كأن قائلاً يقول لي:

### ما يلقي أبو حرب      تعالى الله من كرب

فلم ألبث أن أخذ المنصور أما حرب محمد بن أبي عيينة المهلي فحبسه، وكان ولاءه الري فأقام بها سنين. كان يحب امرأة نبيلة ويكنى عنها خوف أهلها: أخبرني عيسى بن الحسين الوراق ومحمد بن يحيى الصولي وعمي قالوا: حدثنا الحزنبل الأصبهاني قال: حدثني الفيض بن مخلد مولى أبي عيينة بن المهلب قال: كان أبو عيينة بن محمد بن أبي عيينة يهوى فاطمة بنت عمر بن حفص الملقب هزار مرد، وكانت امرأة نبيلة شريفة، وكان يخاف أهلها أن يذكرها تصريحاً، ويرهب زوجها عيسى بن سليمان، فكان يقول الشعر في جارية لها يقال لها: دنيا، وكانت قيمة دارها، ووالية أمورها كلها. وأنشدنا لابن أبي عيينة فيها، ويكنى باسم دنيا هذه:

ما لقلبي أرق من كل قلب      ولحبي أشد من كل حب!

ولدنيا على جنوني بدنيا      أشتي قربها وتكره قربي

والبلايا تكون من كل ضرب

رطوبة من دموع من عيني كتبي

وتهددتم بحبس وضرب

كان هذا جزاءه أي ذنب؟

نزلت بي بلية من هواها

قل لدنيا إن لم تجبك لما بي

فعلام انتهرت بالله رسلي

أي ذنب أذنبته ليت شعري

أخبرني علي بن سليمان قال حدثني محمد بن يزيد قال: كان أبو عيينة من أطبع الناس وأقربهم مأخذاً، من غير أدب موصوف ولا رواية كثيرة، وكان يقرب البعيد، ويحذف الفضول، ويقل التكلف. وكان أصغر من أخيه عبد الله ومات قبله.

وقيل لعبد الله: أنت أشعر أم أخوك؟ فقال: لو كان له علمي لكان أشعر مني، وكان يتعشق فاطمة بنت عمر بن حفص هزار مرد التي تزوجها علي بن سليمان، ويسر عشقتها، ويلقبها بدنيا كتماناً لأمرها. وكانت امرأة حليمة نبيلة سرية من النساء، وكان أبوها من أشد الفرسان وشجعانهم، فذكر عيسى بن جعفر أن عيسى بن موسى قال للمهلب بن المغيرة بن المهلب: أكان يزيد بن خالد أشجع أم عمر بن حفص هزار مرد؟ فقال المهلب: لم أشهد من يزيد ما شهدته من عمر بن حفص، وذلك أني رأيته يركب في طلب حمار وحشي حتى إذا حازاه جمع جراميزه وقفز، فصار على ظهره، فقمص الحمار، وجعل عمر بن حفص يحز معرفته إما بسيف وإما بسكين معه حتى قتله.

كان جندياً، ولم يكن يهوى فاطمة بل جارية لها: قال محمد بن يزيد: وحدثت عن محمد بن المهلب أنه أنكر أن يكون أبو عيينة يهوى فاطمة، وقال: إنما كان جندياً في عداد الشطار، وكانت فاطمة من أنبل النساء وأسراهن، وإنما كان يتعشق جارية لها، وهذه الأبيات التي فيها الغناء من قصيدة له جيدة مشهورة من شعره، يقولها في فاطمة هذه أو جاريته، ويكنى عنها بدنيا، فمما اختير منها قوله:

غلبتم على قلبي بسلطانكم غصبا!

ولكن دنيا لا ملولا ولا غضبي

ولم تر لي فيما ترى منهم ذنبا

وما إن لهم عندي رضاء ولا عتبي

بشعري كما تلهي المغنية الشربا

وحبي إذا أحببت لا يشبه الحبا

فلا زلفة منها أرجى ولا قربا

وبيني ألا للشامتين بنا العقبى

وقالوا تجنبنا فقلت أبعد ما

غضاب وقد ملوا وقوفي ببابهم

وقد أرسلت في السر أني برية

وقالت لك العتبي وعندك لك الرضا

ونبتتها تلهوا إذا اشتد شوقها

فأحببتها حباً يقر بعينها

فيا حسرتا نغصت قرب ديارها

لقد شمت الأعداء أن حيل بينها

ومما قاله فيها وغني فيه: صوت

ضيعت عهد فتى لعهدك حافظ  
ونأيت عنه فما له من حيلة  
متخشعاً يذري عليك دموعه  
إن تقتليه وتذهب بفؤاده  
في حفظه عجب وفي تضييعك  
إلا الوقوف إلى أوان رجوعك  
أسفاً ويعجب من جمود دموعك  
فبحسن وجهك لا بحسن صنيعك

عروضه من الكامل، الغناء في هذه الأبيات من الثقل الأول بالوسطى. ذكر عمرو بن بانه أنه له، وذكر الهشامي أنه لمحمد بن الحارث بن بسخرن، وذكر عبد الله بن موسى بن محمد بن إبراهيم الإمام أنه لإبراهيم الموصلي. فذكر العنابي ومحمد بن الحسن جميعاً، أن محمد بن أحمد بن يحيى المكي حدثهما قال: حدثني عمرو بن بانه قال: ركب يوماً إلى دار صالح بن الرشيد، فاجتزت بمحمد بن جعفر بن موسى الهادي - وكان معاقراً للصبوح - فألفيته في ذلك اليوم خالياً منه، فسألته عن السبب في تعطيله إياه، فقال: نيران علي غضبي - يعني جارية لبعض النخاسين ببغداد - وكانت إحدى المحسنات، وكانت بارعة الجمال ظريفة اللسان، وكان قد أفرط في حبها حتى عرف به، فقلت له: فما تحب؟ قال: تجعل طريقك على مولاها فإنه يستخرجها إليك، فإذا فعل دفعت رقعتي هذه إليها - ودفع إلي رقعة فيها:

ضيعت عهد فتى لعهدك حافظ  
إن سمته أن تذهبي بفؤاده  
في حفظه عجب وفي تضييعك  
فبحسن وجهك لا بحسن صنيعك

فقلت له: نعم، أنا أتحمل هذه الرسالة وكرامة، على ما فيها، حفظاً لروحك عليك، فإني لا آمن أن يتمادي بك هذا الأمر. فأخذت الرقعة وجعلت طريقتي على منزل النخاس، فبعثت إلى الجارية: اخرجي، فخرجت، فدفعت إليها الرقعة، وأخبرتها بخبري فضحكت، ورجعت إلى الموضع الذي أقبلت منه فجلست جلسة خفيفة، ثم إذا بها قد وافتني ومعها الرقعة، فيها: صوت

وما زلت تعصيني وتغري بي الردى  
وتقطع أسبابي وتنسى مودتي  
فأصبحت لا أدري أياًساً تصبري  
على الهجر أم جد البصيرة لا أدري  
وتهجرني حتى مرنت على الهجر  
فكيف ترى يا مالكي في الهوى صبري!

غنى في هذه الأبيات عمر بن بانه، ولحنه ثقل أول بالنصر، ولمقاسة بن ناصح فيها ثقل آخر بالوسطى. لحن عمرو في الأول والثالث بغير نشيد.

قال: فأخذت الرقعة منها وأوصلتها إليه، وصرت إلى منزلي، فصنعت في بيتي محمد بن جعفر لحناً وفي أبياتها لحناً، ثم صرت إلى الأمير صالح بن الرشيد، فعرفته ما كان من خبري، وغنيته الصوتين، فأمر بإسراج دوابه فأسرجت،

وركب فركبت معه إلى النخاس مولى نيران، فما برحنا حتى اشتراها منه بثلاثة آلاف دينار، وحملها إلى دار محمد بن جعفر فوهبها له، فأقمنا يومنا عنده.  
أخبرنا محمد بن يحيى الصولي قال: حدثني يزيد بن محمد المهلي قال: دخلت على الواثق يوماً وهو خليفة ورباب في حجره جالسة، وهي صبية، وهو يقلب عليها قوله:

### ضيعت عهد فتى لعهدك حافظ في حفظه عجب وفي وتضييعك

وهي تغنيه ويردده عليها، فما سمعت غناء قط أحسن من غنائهما جميعاً، وما زال يردده عليها حتى حفظته.  
رجع الخبر إلى حديث أبي عيينة شعر لأخيه في فاطمة محبوبته: أخبرني علي بن سليمان قال: حدثنا محمد بن يزيد قال: قال عبد الله بن محمد بن أبي عيينة أخو أبي عيينة في فاطمة - بنت عمر بن حفص لما تزوجها عيسى بن سليمان بن علي، وكان عيسى مبخلاً، وكانت له محابس يجبس فيها البياح ويبيعه، وكانت له ضيعة تعرف بدالية عيسى يبيع منها البقول والرياحين، وكان أول من جمع السماد بالبصرة وباعه، فقال فيه أبو الشمقمق:

### إذا رزق العباد فإن عيسى له رزق من استاه العباد

فلما تزوج عيسى فاطمة بنت عمر بن حفص قال عبد الله بن محمد بن أبي عيينة في ذلك:

أفطم قد زوجت عيسى فأبشري	لديه بذل عاجل غير أجل
فإنك قد زوجت عن غير خبرة	فتى من بني العباس ليس بعاقل
فإن قلت من رهط النبي فإنه	وإن كان حر الأصل عبد الشمائل
وقد قال فيه جعفر ومحمد	أقاويل حتى قالها كل قائل
وما قلت ما قالاً لأنك أختنا	وفي البيت منا والذرا والكواهل
لعمري لقد أثبتته في نصابه	بأن صرت منه في محل الحلائل
إذا ما بنو العباس يوماً تنازعوا	عرا المجد واختاروا كرام الخصائل
رأيت أبا العباس يسمو بنفسه	إلى بيع بياحاته والمباقل

قال مؤلف هذا الكتاب: وكان عبد الله، أخو أبي عيينة شاعراً، وكان يقدم على أخيه، فأخبرني جحظة قال: حدثني علي بن يحيى المنجم، قال: قال إسحاق الموصلي: شعر عبد الله بن أبي عيينة أحب إلي من شعر أبيه وأخيه. قال: وكان عبد الله صديقاً لإسحاق.  
يصرح أخوه بذكر فاطمة وأنه يعنيها: قال محمد بن يزيد: ومما قاله في فاطمة وصرح بذكر القرابة بينهما، وحقق على نفسه أنه يعنيها قوله:

دعوتك بالقرابة والجوار  
لأني عنك مشغول بنفسي  
وأنت توقرين وليس عندي  
فأنت لأن ما بك دون ما بي  
ولو والله تشتاقين شوقي  
ألا يا وهب فيم فضحت دنيا  
أما والراقصات بكل واد  
لقد فضلتك دنيا في فؤادي  
فقولي ما بدا لك أن تقولي

من ظريف شعره فيها: قال وقال فيها، وهو من ظريف أشعاره:

رق قلبي لك يا نور عيني  
فأراك الله موتى فإني  
أنا من وجد بدنياي منها  
وأبى قلبك لي أن يرقا  
لست أرضى أن تموتي وأبقى  
ومن العذال فيها ملقى

صوت

زعموا أنني صديق لدنيا  
في هذا البيت ثم الذي قبله، ثم الأول لإبراهيم لحن ماحوري بالوسطى عن الهشامي.  
قال: وقال فيها أيضاً في هذا الوزن، وفيه غناء محدث رمل طنهوري:  
عيشها حلو وعيشك مر  
كمد في الحب تسخن فيه  
قلت للائم فيها اله عنها  
أتراني مقصراً عن هواها  
ليت ذا الباطل قد صار حقا  
ليس مسرور كمن لا يسر  
عينه أكثر مما تقر  
لا يقع بيني وبينك شر  
كل مملوك إذاً لي حر

وقال فيها أيضاً، وأنشدناه الأحفش عن المرد، وأنشدناه محمد بن العباس اليزيدي قال:  
أنشدني عمي عبيد الله لأبي عيينة:

حين قالت دنيا علام نهارا  
زرت؟ هلا انتظرت وقت المساء!

رق فاستحي يا قليل الحياء

إن تكن معجباً برأيك لا تف

ن كأصفي خمر بأعذب ماء

ذاك إذ روحها وروحي مزاجا

معنى له يأخذه البحترى: قال محمد بن يزيد: وقد أخذ هذا المعنى غيره منه ولم يسمه، وهو البحترى، فقال:

صوت

هي المصافاة بين الماء والراح

جعلت حبك من قلبي بمنزلة

مرور غيث من الوسمي سحاح

تهتز مثل اهتزاز الغصن حركه

الغناء في هذين البيتين لرذاذ ثقيل أول مطلق في مجرى البصر.

من شعره الذي يكى فيه عن فاطمة: ومما قاله أبو عيينة في فاطمة هذه، وكى فيه بدنيا قوله: صوت

ومالك والعشق لولا الشقا

ألم تنه قلبك أن يعشقا

وشمك ريحان أهل النقى

أمن بعد شربك كأس النهى

ين أشهر من فرس أبلقا

عشقت فأصبحت في العالم

خذي بيدي قبل أن أغرقا

أدنياي من غمر بحر الهوى

لو أن إلى الخلد لي مرتقى

أنا ابن المهلب ما مثله

غنى فيه أبو العبيس بن حمدون، ولحنه ثاني ثقيل مطلق، وفيه لعريب ثقيل أول، رواه أبو العبيس عنها.

قصيدة يذكر فيها دنيا ويفخر بمآثر المهلب: وهذه قصيدة طويلة يذكر فيها دنيا ويفخر بعقب النسيب بأبيه،

ويذكر مآثر المهلب بالعراق، ولكن مما قاله في دنيا منها قوله:

خذي بيدي قبل أن أغرقا

أدنياي من غمر بحر الهوى

إذا سره عبده أعتقا

أنا لك عبد فكوني كمن

وقد يخدع العاقل الأحمقا

ألم أخدع الناس عن وصلها

أحب إلى الخير أن أسبقا

بلى فسبقتهم إنني

على رقعة أن جز الخندقا

ويوم الجنازة إذ أرسلت

برفق وإياك أن تخرقا

وعج ثم فانظر لنا مجلسا

قريني خدنين قد أورقا

فجئنا كغصنين من بانه

من شعره المحكم المنتقى

فقال لأخت لها استنشديه

فقلت أمرت بكتمانه

وحذرت إن شاع أن يسرقا

فقالتم بعيشك قولي له

تمنع لعلك أن تتفقا

من شعره في دنيا وقد أفحش فيه: ومن مشهور قوله في دنيا وهو مما تمثك فيه وصرح وأفحش وهي من جيد قوله قصيدته التي يقول فيها:

أنا الفارغ المشغول والشوق آفتي

فلا تسألوني عن فارغي وعن شغلي

عجبت لترك الحب دنيا خلية

وإعراضه عنها وإقباله قبلي

وما بالها لما كتبت تهاونت

بكتبي وقد أرسلت فانتهزت رسلي

وقد جلفت ألا تخط بكفها

إلى قابل خطا غلي ولا تملي

أبخلا عليها كل ذا وقطيعة

قضيت لدينا بالقطيعة والبخل

سلوا قلب دنيا كيف أطلقه الهوى

فقد كان في غل وثيق وفي كبل

فإن جددت فاذا ذكر لها قصر معبد

بمنصف ما بين الأبلّة والحبل

وملعبنا في النهر والماء زاجر

قرينين كالغصنين فرعين في أصل

ومن حولنا الريحان غضا وفوقنا

ظلال من الكرم المعرش والنخل

إذا شئت مالت بي إليها كأنني

إلى غصن بان دعصين من رمل

ليالي ألقاني الهوى فاستضفتها

فكانت ثناياها بلا حشمة نزلي

وكم لذة لي في هواها وشهوة

وركضي إليها راكباً وعلى رجل

وفي مأتى المهدي زاحمت ركنها

بركني وقد وطنت نفسي على القتل

وبتنا على خوف أسكن قلبها

بيسراي واليمنى على قائم النصل

فيا طيب طعم العيش إذ هي جارة

وإذ نفسها وإذ أهلها أهلي

وإذ هي لا تعتل عني برقبة

ولا خوف عين من وشاة ولا بعل

فقد عفت الآثار بيني وبينها

وقد أوحشت مني إلى دارها سبلي

ولما بلوت الحب بعد فراقها

قضيت على أم المحبين بالثكل

وأصبحت معزولاً وقد كنت والياً

وشتان ما بين الولاية والعزل

من شعره فيها، وقد وصف فيه قصراً: صوت ومما قاله فيها وفيه غناء:

ألا في سبيل الله ما جل بي منك      وصبرك عني حين لا صبر لي عنك  
وتركك جسمي بعد أخذك مهجتي      ضئيلاً كان من قبل ذا تركي  
فهل حاكم في الحب يحكم بيننا      فيأخذ لي حقي وينصفني منك

لسليم في هذه الأبيات هزج مطلق في مجرى الوسطى، وفي هذه القصيدة يقول يصف قصراً كانوا فيه، وهي من عجيب شعره:

لقد كنت يوم القصر مما ظننت بي      بريناً كما أن بريء من الشرك  
يذكرني الفردوس طوراً فأرعوي      وطوراً يواتيني إلى القصف والفتك  
بغرس كأبكار الجواري وتربة      كأن تراها ماء ورد على مسك  
وسرب من الغزلان يرتعن حوله      كما استل منظوم من الدر من سلك  
وورقاء تحكى الموصلي إذا غدت      بتغريدها أحبب بها وبمن تحكي  
فيا طيب ذاك القصر قصراً ومنزلاً      بأفيح سهل غير وعر ولا ضنك  
كأن قصور القوم ينظرن حوله      إلى ملك موف على منبر الملك  
يدل عليها مستطيلاً بظله      فيضحك منها وهي مطرقة تبيكي

يعده الفضل بن الربيع أشعر زمانه: أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال: حدثني علي بن عمرو الأنصاري، قال: سمعت الأصمعي يذكر أن الفضل بن الربيع قال لجلسائه: من أشعر أهل عصرنا؟ فقالوا فأكثرنا، فقال الفضل بن الربيع: أشعر أهل زماننا الذي يقول في قصر عيسى بن جعفر بالخرية - يعني أبا عيينة:

زر وادي القصر نعم القصر والوادي      وحبذا أهله من حاضر بادي  
ترفا قراقيره والعيس واقفة      والضب والنون والملاح والحادي

يجذر سعيد بن عباد عاقبة زواج له:

أخبرني الحسن بن علي قال: حدثنا محمد بن مجمع قال: تزوج سعيد بن عباد بن حبيب بن المهلب بنت سفيان بن معاوية بن المهلب - وقد كان تزوجها قبله رجلان فدفنتهما، فكتب إليه أبو عيينة:

رأيت أثنائها فرغبت فيه      وكم نصب لغيرك بالأثاث  
إلى دار المنون فجزتهم      تحنهم بأربعة حثاث  
فصير أمرها بيدي أبيها      وعيشك من حبالك بالثلاث  
وإلا فالسلام عليك مني      سأبدأ من غد لك بالمراثي

يعاتب إسحاق لتأخره عن دعوة إلى مجلس: أخبرني محمد بن يزيد الصولي قال: حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه، قال: كان علي بن هشام قد دعاني وداعا أبا عيينة وتأخرت عنه حتى اصطبحنا شديداً، وتشاغلنا برجل كان عندي من الأعراب، وكان فصيحاً لأكتب عنه، وكان عنده؟ بعض من يعاديني -قال حماد: كأنه يومئذ بهذا القول إلى إبراهيم بن المهدي- فسأل أبا عيينة أن يعاتبني بشعر ينسبني فيه إلى الخلف فكتب إلي:

يا مليئاً بالوعد والخلف والمط

ل بطيئاً عن دعوة الأصحاب

لهجاً بالأعراب إن لدنيا

بعض من تشتهي من الأعراب

قد عرفنا الذي شغلت به عنا

وإن كان غير ما في الكتاب

قال: فكتبت إلى الذي حمل أبا عيينة على هذا -يعني إبراهيم بن المهدي:

قد فهمت الكتاب أصلحك الله

وعندي إليك رد الجواب

ولعمري ما تتصفون ولا كا

ن الذي جاء منكم في حسابي

لست آتيك فاعلمن ولا لي

فيك حظ من بعد هذا الكتاب

ينسب إليه شعر وجد منقوشاً على حجر: أخبرني عيسى بن الحسين الوراقي قال حدثني عبد الله بن أبي سعد قال: حدثني إبراهيم بن إسحاق العمري قال: حدثنا أبو هاشم الإسكندراني، عن ابن لهيعة قال: حفر حفر في بعض أفنية مكة، فوجد فيه حجر عليه منقوش:

ما لا يكون فلا يكون بحيلة

أبدأ وما هو كائن فيكون

سيكون هو كائن في وقته

وأخو الجهالة متعب محزون

يسعى القوي فلا ينال بسعيه

حظا ويحظى عاجز ومهين

قال ابن أبي سعد: هكذا في الحديث، وقد أنشدني هذه الأبيات جماعة لأبي عيينة.

هو عند الفضل بن الربيع أشعر من أبي النواس: حدثني عمي قال، حدثني عمر بن محمد بن عبد الملك، قال: حدثني علي بن عمرو الأنصاري عن الأصمعي قال: قال لي الفضل بن الربيع: يا أصمعي، من أشعر أهل زمانك؟ فقلت: أبو نواس قال: حيث يقول ماذا؟ قلت: حيث يقول:

أما ترى الشمس حلت الحملا

وقام وزن الزمان فاعتدلا

فقال: والله إنه لذهن فطن، وأشعر عندي منه أبو عيينة .

شعره في دنيا حين زوجت: حدثني عمي، قال: حدثني فضل الزبيدي: عن إسحاق أنه أنشده لأبي عيينة في دنيا التي كان يشبب بها، وقد زوجت وبلغه أنها تهدى إلى زوجها، وكان إسحاق يستحسن هذا الشعر ويستجيده:

أرى عهدا كالورد ليس بدائم

ولا خير فيمن لا يدوم له عهد

وعهدي لها كالأس حسنا وبهجة  
فما وجد العذري إذ طال وجده  
كوجدي غداة البين عند التفاتها  
فقلت لأصحابي هي الشمس ضوءها  
وإني لمن تهدي إليه لحاسد  
جری طائري نحسا وطائره سعد

أخوه يهجو عيسى بن سليمان وقد تزوج فاطمة محبوبته: أخبرني عمي قال حدثني أحمد بن يزيد الملي قال: سألت أبي عن دنيا التي ذكرها أبو عيينة بن محمد بن أبي عيينة في شعره، وقلت: إن قوماً يقولون: إنها كانت أمة لبعض مغني البصرة، فقال: لا يا بني، هي فاطمة بنت عمر بن حفص هزار مرد بن عثمان بن قبيصة أخي المهلب، وكان عيسى بن سليمان بن علي أخو جعفر ابن سليمان تزوجها، وهجاه عبد الله بن محمد بن أبي عيينة، أخو أبي عيينة فقال:

أفاطم قد زوجت عيسى فأبشري  
فإنك قد زوجت عن غير خبرة  
لديه بذل عاجل غير أجل  
فتى من بني العباس ليس بعائل

وذكر باقي الأبيات، وقد مضت متقدماً.

يصرح بنسبه الجامع له ولفاطمة: قال أحمد بن يزيد: ثم أنشدني أبي لأبي عيينة يصرح بنسبه الجامع له ولفاطمة من أبيات له:

ولأنت إن مت المصابة بي  
فلئن هلكت لتلطنن جزعا  
فتجنبي قتلي بلا وتر  
خديك قائمة على قبوري

من شعره الذي يكنى فيه بدنياً: قال أحمد: وأنشدني أبي أيضاً في تصديق ذلك، وأنه كان يكنى بدنياً عن غيرها:

ما لدنيا تجفوك والذنب منها  
عرفت ذنبها إلي فقالت  
قد أمرت الفؤاد بالصبر عنها  
وكتمت اسمها حذاراً من النا  
ويقولون بح لنا باسم دنيا  
ثم قالوا ليعلموا ذات نفسي  
إن هذا منها لخب ومكر  
ابدعوا القوم بالصياح يفروا  
غير أن ليس مع الحب أمر  
س ومن شرهم وفي الناس شر  
واسم دنيا سر على الناس دخر  
أعوان دنياك أم هي بكر

فتنفست ثم قلت أبكر

شب يا أخوتي عن الطوق عمرو

شعر له ينصح فيه بترك الإلحاح: أخبرني جعفر بن قدامة قال: حدثني هارون بن محمد بن عبد الملك الزيات قال: حدثني أبو خالد الأسلمي قال: كان ابن أبي عيينة المهلي صديقي، وهو أبو عيينة بن المنجاب بن أبي عيينة، فجاءه رجل من جيرانه كان يستثقله، فسأله حاجة فقضاها، ثم سأله أخرى فوعده بها، ثم سأله ثالثة فقال:

خفف على إخوانك المؤمنا

إن شئت أن تبقى لهم سكنا

لا تلحقن إذا سألت ففي ال

إلحاف إجحاف بهم وعنا

فقال الرجل وانصرف.

يطلب عزل أمير البصرة فلا يجاب ويمنح صلة عوضاً: أخبرني أبو دلف هاشم بن محمد، قال: حدثني الميرد قال: وفد ابن أبي عيينة إلى طاهر بن الحسين يسأله أن يعزل أمير البصرة، وكان من قبله فدافعه، وعرض عليه عوضاً خطيراً من حاجته، ووعدته أن يستصلح له ذلك الأمير ويزيله عما كرهه، فأبى عزله وأجزل صلته، فقال ابن أبي عيينة فيه:

يا ذا اليمينين قد أقرتني مننا

تتري هي الغاية القصوى من المنن

ولست أستطيع من شكر أجيء به

إلا استطاعة ذي روح وذي بدن

لو كنت أعرف فوق الكشر منزل

أوفى من الشكر عند الله في الثمن

أخلصتها لك من قلبي مهذبة

حذواً على مثل ما أوليت من حسن

أسا والي البصرة جواره فطلب عزله فأجيب إلى طلبه: أخبرني محمد بن القاسم الأنباري قال: حدثني أبي عنه أبي عكرمة عامر بن عمران، وأخبرني به عمي عن أحمد بن يزيد المهلي عن أبيه قال: كان إسماعيل بن سليمان والياً على البصرة خليفة لطاهر بن الحسين، فأساء مجاورة ابن أبي عيينة حتى تباعد بينهما وقبح، وأظهر إسماعيل تنقصه وعييه، فخرج إلى طاهر ليشكو إسماعيل، ويسعى في عزله عن البصرة، فبعد ذلك عليه بعض البعد، وسافر طاهر بن الحسين إلى وجه أمر بالخروج إليه، فصحبه ابن أبي عيينة في سفره، فتذمم من ذلك، وأمر بإيصاله إليه، فلما دخل ابن أبي عيينة إليه سأله عن حوائجه وأدناه، وأمره برفعها فأنشده:

من أوحشته البلاد لم يرم

فيها ومن أنسته لم يرم

ومن يبت والهموم قادحة

في صدره بالزناد لم ينم

ومن ير النقص من موطنه

يزل عن النقص موطن القدم

والقرب ممن ينأى بجانبه

صدع على الشعب غير ملتئم

ورب أمر يعيا اللبيب به

يظل منه في حيرة الظلم

وتركه من مواقع الندم  
أتك من خلة ومن عدم  
ومغندى واسع وفي نعم  
إلى العلا من كرائم الهمم  
في القدر من منصبي ومن شيمي  
التي لا تخيب في الذم  
في الحق حق الرجاء والرحم  
جميل رأي عندي بمتهم

تعويق امرئ في اللوح والقلم  
حر كريم بالصبر معتصم  
العامل أو حد مصلت خذم  
عن ثوب حرية وعن كرم  
في الصدر محصورة عن الكلم  
ولم تقصر فيهم ولم تلم  
بالنصف من ملئها إلى الوزم  
ورنق الصبابة الأمم  
ولا نعم السماء بالديم  
شريفة والأمور بالقسم

إلا كنوم المريض ذي السقم  
تولد فيه الهموم من ألم  
وما بأذني عنك من صمم  
لفاقة فيك لا ولا عدم

صبر عليه كظم على مضض  
يا ذا اليمينين لم أزرک ولم  
إني من الله في مراح غنى  
زارتك بي همة منازعة  
وإنني للجميل محتمل  
وقد تعلقت منك بالذمم الكبرى  
فإن أتل بغيتي فأنت لها  
وإن يعق عائق فلست على

في قدر الله ما أحمله  
لم يضق الصبر والفجاج على  
ماض كحد السنان في طرف  
إذا ابتلاه الزمان كشفه  
ما ساء ظني إلا بواحدة  
ليهن قوم جزت المدى بهم  
وليس كل الدلاء راجعة  
ترجع بالحماة القليلة أحياناً  
ما تنبت الأرض كل زهرتها  
ما في نقص عن كل منزلة

فأجابه طاهر:

من تستصفه الهموم لم ينم  
ولا يزال قلبه يكابد ما  
وقد سمعت الذي هتفت به  
وقد علمنا أن لست تصحبنا

إلحاق وحرمة وعلى  
أنت امرء لا تزول عن كرم  
وأنت من أسرة جحاجة  
فما ترم من جسيم منزلة  
إن كنت مستسقياً سماحتنا  
إننا أناس لنا صنائنا  
مغتنمو كسب كل محمده  
مغتنمو كسب كل محمده

فاحتكم عليه أبو عيينة في عزل إسماعيل بن جعفر عن البصرة، فعزله عنها وأمر له بمائة ألف درهم.  
شعره في والي البصرة بعد عزله: فقال أبو عيينة في عزله إسماعيل بن جعفر عن إمارة البصرة:

لا تعدم العزل يا أبا الحسن  
ولا انتقالاً من دار عافية  
أنا الذي إن كفرت نعمته  
ولا هزالاً في دولة السمن  
إلى ديار البلاء والمحن  
أذاب ما في جنبيك من عكن

يهجو نزاراً، فيرد عليه ابن زعل: حدثني عيسى بن الحسين قال: حدثني محمد بن عبد الله الحزنبلي الأصبهاني  
قال: كان ابن أبي عيينة قد هجا نزاراً بقصيدة له مضمورة، وفضل عليها قحطان، فقال ابن زعل يهجو ويرد  
عليه، واسمه عمرو بن زعل:

بني أبي عيينة ما  
على ما أنت ملتحف  
لما في الدبر من نغل  
أنتنا الخمس والمائتا  
أمير من هلال مس  
شريف ليس بالمدخو  
أظنك من يديه وا  
ووالى الخرج فياض ال  
له نعم حباك بها  
وقاض من أمير المؤ

نطقت به من اللغظ؟  
من الأوجاع في الوسط  
وما في العرض من سقط  
ن بالنعماء والغبط  
تطيل الباع منبسط  
ل في عرض ولا رهط  
قعاً لا شك في ورط  
يدي بنائل سبط  
فلم تحفظ لم تحط  
منين يقوم بالقسط

يسرك أن من آ  
وأنك إن ذكرت يقا  
أعبد من عبيد عما  
وتهجو الغر من مضر  
تيمم في مقبرة  
مجوفة مزينة  
بنوك تجرها بالقل  
متى غمسوا مراديهم  
وأنت بموضع السكا  
عليك عباءة مشكو  
فطيب ريح بلدتنا  
وأنك قد عرفت بكث  
تري الخسران إن لم تز

ل قحطان على شحط  
ل شيخ فاسق الشمط  
ن عاب مناقب السبط  
كفى هذا من الشطط  
مسيراً غير مغتبط  
بودع لاح كالرقط  
س مؤتررين بالفو  
لجد السير تحتلط  
ن يمسكه بلا غلط  
كة بالشوك لم تخط  
فرارك خيفة الشرط  
رة التخليط والغلط  
ن في يوم ولم تلتط

طلبه المأمون لهجائه نزاراً ففر إلى عمان:

قال: وكان ابن أبي عيينة لما هجا نزاراً بلغ شعره المأمون، فنذر دمه، فهرب من البصرة وركب البحر إلى عمان، فلم يزل بها متوارياً في نواحي الأزدي حتى مات المأمون.

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال: حدثني ابن مهرويه عن أبيه بقصة ابن أبي زعبل، فذكر نحو الخبر المتقدم. يشبب بوهبة ثم يعدل دنيا: حدثني عمي قال: حدثني أحمد بن يزيد المهلي؛ قال: حدثني أبي قال: كان ابن أبي عيينة يشبب بوهبة جارية القروي، وهي التي يقول فيها فروج الزين قوله:

يا وهب لم يبق لي شيء أسر به  
إلا الجلوس فتسقينني وأسقينك

ثم عدل عن التشبيب بها إلى دنيا، وذكرهما جميعاً في شعره فقال:

أرسلت وهبة لما رأنتي  
أتغيرت كأن لم تكن لي  
قد لعمرى كان ذاك ولكن  
بعد سقم من هواها مفيقا :  
قبل أن تعرف دنيا صديقا  
قطعت دنيا عليك الطريقا

شعر له يدل على أنه كان يكنى بدنيا عن فاطمة: أخبرني عمي قال: حدثني أحمد بن يزيد عن أبيه قال: لما ولي عمر بن حفص هزار مرد بالبصرة -قال ابن أبي عيينة في ذلك وفي دنيا يكنى بها عن فاطمة بنت عمر بن حفص صاحبه:

هنيئاً لدنيا هنيئاً لها  
قدوم أبيها على البصره  
على أنها أظهرت نخوة  
وقالت لي الملك والقدرة  
فيا نور عيني كذا عاجلاً  
علي تطاولت بالإمره

قال: وهذا دليل على أنه كان يكنى عن فاطمة بدنيا، لا أنه كان يهوى جاريتها دنيا.  
قال أحمد بن يزيد: وفيها يقول أيضاً:

يا حسنها يوم قالت لي مودعة  
لا تنس ما قلت، من فيها إلى أذني  
كأنني لم أصل دنيا علانية  
ولم أزر أهل دنيا زورة الختن  
جسمي معي غير أن الروح عندكم  
فالروح في وطن والجسم في وطن  
فليعجب الناس مني أن لي جسداً  
لا روح فيه ولي روح بلا بدن

وفي هذه الأبيات هزج طنبوري محدث.

يرثي أخاه داود وقد مات في طريقه إليه: أخبرني عمي قال: حدثني أحمد بن يزيد عن أبيه قال: ورد على ابن أبي عيينة كتاب من بعض أهله بأن أخاه داود خرج إليه يريد ، فمات بهمدان، فقال ابن أبي عيينة عند ذلك يرثيه:

أنائحة الحمام قفي فنوحي  
على داود رهنا في ضريح  
لدى الأجيال من همذان راحت  
به الأيام للموت المريح  
ولم يشهد جنازته البواكي  
فتبكيه بمنهل سفوح  
وكوني مثله إذ كان حيا  
جواداً بالغبوق وبالصبح  
أنائحة الحمام فلا تشحي  
عليه فليس بالرجل الشحيح  
ولا بمنثر مالاً لدنيا  
ولا فيها بمغمار طموح  
يبيع كثير ما فيها بباق  
ثمين من عواقبه ربيح  
ومن آل المهلب في لباب  
لباب الخالص المحض الصريح  
همو أبناء آخرة ودنيا  
وأهداف المراثي والمديح

يقدم إلى الكوفة فيحب قينة فيها: أخبرني عمي، قال: حدثنا أحمد بن يزيد عن أبيه قال: قدم أبو عيينة إلى الكوفة في بعض حوائجه، فعاشره جماعة من وجوه أهلها، وأقام بها مدة، وألف فيها قينة كان يعاشرها وأحبها حباً شديداً، فقال فيها:

لعمري لقد أعطيت بالكوفة المنى  
وفوق المنى بالغانيات النواعم  
ونادمت أخت الشمس حسناً فوافقت  
هوأي ومثلي مثلها فلينادم  
وأنشدتها شعري بدنيا فعربدت  
وقال: ملول عهده غير دائم  
فقلت لها يا ظبية الكوفة اغفري  
فقال: قد استوجبت منا عقوبة  
ولكن سنرعى فيك روح ابن حاتم

شعره في بستان له وضيعة: قال أحمد بن يزيد، قال لي أبي: كان لابن أبي عيينة بستان وضيعة في بعض قطائع المهلب بالبصرة، فأوطنها وصيرها منزله، وأقام بها، وفيها يقول:

يا جنة فاقت الجنان فما  
تبلغها قيمة ولا ثمن  
ألفتها فاتخذتها وطناً  
إن فؤادي لأهلها وطن  
زوج حيتانها الضباب بها  
فهذه كنة وذا ختن

فانظر وفكر فيما نطقت به  
إن الأريب المفكر الفطن  
من سفن كالنعام مقبلة  
ومن نعام كأنها سفن

ينشد الموصلية من شعره: أخبرني عيسى بن الحسين قال: حدثنا الزبير بن بكار وقال: حدثنا إسحاق بن إبراهيم الموصلية، أن أبا عيينة أنشده لنفسه: صوت

لا يكن منك ما بدا لي بعيني  
ك من اللحظ حيلة واختداعا  
إن يكن في الفؤاد شيء وإلا  
فدعيني لا تقتليني ضياعا  
فلعلي إذا قربت تباعد  
ت وأظهرت جفوة وامتناعا  
حين نفسي لا تستطيع لما قد  
وقعت فيه من هواها ارتجاعا

في هذه الأبيات رمل مطلق محدث.

كان أخوه عبد الله شاعراً وله شعر في عتاب خالد البرمكي: أخبرني عمي قال: حدثني أحمد بن يزيد قال: حدثني أبي قال: كان عبد الله بن محمد بن أبي عيينة أخو أبي عيينة شاعراً، وهو القائل يعاتب محمد بن يحيى بن خالد البرمكي بأبيات رائية أولها:

اسلم وإن كان فيك عني  
تلحظني عابساً قطوبا  
لو كان أمر عتبت فيه  
أو كنت سألة حريصا  
أو كنت نذلاً عديم عقل  
أولم أكن حاملاً بنفسي  
وأنتي من خيار قومي  
عذرت إن نالني جفاء  
لكن ذنبي إليك أني  
عليك مني السلام، هذا  
ما كنت إلا كلحم ميت  
راحت على الناس لابن يحيى  
ولم يكن ما أنلت منه  
قد أصبح الناس في زمان  
يستأخر السابق المذكى  
وليس للمرء ما تمنى  
ما قدر الله فهو آت

قبض لكفيك وازورار  
كأنما بي إليك ثار  
يجوز منه لي اعتذار  
لحان مني لك الفرار  
لا منصب لي ولا نجار  
ما تحمل الأنفس الكبار  
وكل أهلي فتى خيار  
منك وإن نالني ضرار  
قحطان لي الجد لا نزار  
أوان ينأى بي المزار  
دعا إلى أكله اضطرار  
محمد ديمة غزار  
بقدر ما ينجلي الغبار  
أعلامه السفلة الشرار  
فيه ويستقدم الحمار  
يوماً وما إن له اختيار  
وفي مقاديره الخيار

يهجو قبيصة بن روح المهلي، ويمدح داود بن عمه: أخبرني عمي قال: حدثنا أبو هفان، قال: كان ابن أبي عيينة قد قصد ربيعة بين قبيصة بن روح بن حاتم المعلي واستماحه، فلم يجد عنده ما قدر فيه، فانصرف مغاضباً، فوجه إليه داود ابن مزيد بن حاتم بن قبيصة، وبلغ ما أحبه ورضيه من بره، ومعونته، فقال بمدحه ويهجو قبيصة:

أقبيص لست وإن جهدت بمدرك  
شتان بينك يا قبيص وبينه  
أختار داود بناء محامد  
قد كان مجد أبيك لو أحببته

سعي ابن عمك ذي العلا داود  
إن المذمم ليس كالمحمود  
واخترت أكل شبارق وثرديد  
روح أبي خلف كمجد يزيد

لكن جرى داود جري مبرز  
 داود محمود وأنت مذمم  
 فحوى المدى وجريت جري بليد  
 داود محمود وأنت مذمم  
 عجباً لذاك وأنتما من عود  
 ولرب عود قد يشق لمسجد  
 نصفاً وسائره لحش يهود  
 فالحش أنت له وذاك لمسجد  
 كم بين موضع مسلح وسجود  
 هذا جزاؤك يا قبيص لأنه  
 جادت يدها وأنت قفل حديد

يدعوه حذيفة مولى جعفر بن سليمان إلى مجلس فيقول في ذلك شعراً: حدثني جعفر بن قدامة قال: حدثنا حماد بن إسحاق قال: حدثني أبي قال: كانت لأبي حذيفة مولى جعفر بن سليمان جارية مغنية يقال لها: بستان، فبلغه أن أبا عيينة بن محمد بن عيينة ذكر لبعض إخوانه محبته لها ولاستماع غنائها فدعاه، وسأله أن يطرح الحشمة بينه وبينه، فأجابته إلى ذلك، وقال لما سكر وانصرف من عنده في ذلك:

ألم ترني على كسلي وفنري  
 وكنت إذا دعيت إلى سماع  
 أجبته أبا حذيفة إذ دعاني  
 أجبته ولم يكن مني تواني  
 كأننا من بشاشتنا ظللنا  
 بيوم ليس من هذا الزمان

يهجو عيسى بن موسى لأنه لم يعطه سماداً لضييعته: أخبرني الحسن بن علي قال: حدثنا محمد بالقاسم بن مهرويه قال: حدثني محمد بن عثمان قال: كانت لعيسى بن موسى ضيعة إلى جانب ضيعة ابن أبي عيينة بالبصرة، وكان له إلى جانب ضييعته سماد كثير، فسأله أن يعطيه بعضه ليعمر ابن أبي عيينة به ضييعته، فلم يفعل فقال فيه:

رأيت الناس همه المعالي  
 ورزق العالمين بكف ربي  
 وعيسى همه جمع السماد  
 وعيسى رزقه في است العباد

هكذا ذكره ابن مهرويه، وهذا بيت فاسد، وإنما هو:

إذا رزق العباد فإن عيسى  
 له رزق من استاه العباد

أخبره مع ابن عمه خالد وسبب هجائه إياه: ولابن أبي عيينة مع ابن عمه خالد أخبار جملة أذكرها هاهنا والسبب الذي حملة على هجائه: أخبرني علي بن سليمان الأحفش ببعضها، عن محمد بن يزيد المبرد، وبعضها عن أحمد بن يزيد المهلي عن أبيه، وقد جمعت روايتهما فيما اتفقا عليه، ونسبت كل ما انفرد به أحدهما أو خالف فيه غليه، وذكرت في فصول ذلك وخلالله ما لم يأتيها به مما كتبتة عن الرواة، قالاً جميعاً: ولي خالد بن يزيد بن حاتم بن قبيصة بن المهلب جرحان، فسأل يزيد بن حاتم أبا عيينة أن يصحبه ويخرج معه، ووعدته الإحسان والولاية، وأوسع له المواعيد. وكان أبو عيينة جندياً، فجرد اسمه في جريدته، وأخرج رزقه معه، فلما

حصل لجرجان أعطاه رزقه لشهر واحد، واقتصر على ذلك، وتشاغل عنه وجفاه، فبلغه أنه قد هجاه وطعن عليه، وبسط لسانه فيه، وذكره بكل قبيح عند أهل عمله ووجوه رعيته، فلم يقدر على معاقبته، لموضع أبيه وسنه ومحله في أهله، فدعا به، وقال له: إنه قد بلغني أنك تريد أن تهرب فيما أن أقمت لي كفيلاً برزقك أو رددته، فأتاه بكفيل فأعنته، ولم يقبله، ولم يزل يردده حتى ضجر، فجاءه بما قبض من الرزق فأخذه. من هجائه لابن عمه: ولج أبو عينة في هجائه وأكثر فيه حتى فضحه، فقال في هذا عن أحمد بن يزيد المهلي:

دنيا دعوتك مسرعاً فأجيبني  
وبما اصطفتك في الهوى فأثيبي  
دومي أدم لك بالصفاء على النوى  
إني بعهدك واثق فتقي بي  
ومن الدليل على اشتياقي عبرتي  
ومشيب رأسي قبل حين مشيبي  
أبكي إليك إذا الحمامة طربت  
يا حسن ذاك إلي من تطريب  
تبكي على فنن الغصون حزينة  
وأن الغريب فلا ألام على البكا  
أفلا ينادى للقفول برحلة  
تشفى جوى من أنفس وقلوب  
ما لي اصطفت على التعسف خالداً  
والله ما أنا بعدها بأريب  
تبا لصحبة خالد من صحبة  
ولخالد بن يزيد من مصحوب  
يا خالد بن قبيصة هيجت بي  
حرباً فدونك فاصطبر لحروبي  
لما رأيت ضمير غشك قد بدا  
وأبيت غير تجهم وقطوب  
وعرفت منك خلائفا جربتها  
ظهرت فضائحها على التجريب  
خليت عنك مفارقاً لك عن قلى  
ووهبت للشيطان منك نصيبي  
فلئن نظرت إلى الرصافة مرة  
نظراً يفرج كربة المكروب  
لأمرقنك قائماً أو قاعداً  
ولتأئين أباك فيك قصائد  
ولينشدين بها الإمام قصيدة  
ولأودينك مثلما أذيتني  
ولتأئين أباك فيك قصائد

يهجو ابن عمه وقد كتب إليه أخوه بسلامته وسلامة أهل بتيه: قال أحمد بن يزيد في خبره: حدثني أبي قال: أعرس داود بن محمد بن أبي عيينة أخو أبي عيينة بالبصرة، وأخوه غائب يومئذ مع ابن عمه خالد بجرجان، فكتب داود إلى أخيه يخبره بسلامته وسلامة أهل بيته، وبخبر نقله أهله إليه، فقال أبو عيينة في ذلك:

ومنا لدموعك منهله

ألا ما لعينك متعلة

وحيد بها غير ذي خله

وكيف بجرجان صبر امرئ

إذا عسكر القوم بالأثله

وأطول بليلك أطول به

من القوم ليست له قبله

وراعك من خيله حائر

وداود بالمصر في غفله

يسوقك نحوهم مكرهاً

ينادي وفي سمعه ثقله

وما مدنف بين عواده

تأهب إلى الري بالرحله

بأوجع مني إذا قيل لي:

ء إن كنت عنها فلي عزله

ومالي وللري لولا الشقا

على فرس أو على بغله

أكلف أجبالتها شاتيا

ركوب القراقير في دجله

وأهون من ذلك لو سهلوه

رواح الندامى إلى دله

تروح إلينا بها طربة

تغيظ من قدمي ركله

أخالد خذ من يدي لطفة

وبعت خصال الندى جملة

جمعت خصال الردى جملة

وكم لك في الشر من خله

فمالك في الخير من خلة

نضلت فأذعنت للنضله

ولما تناضل أهلا العلا

مقرطسة لا ولا خصله

فمالك في المجد يا خالد

أبوك وأشياخه قبله

وأسرعت في هدم ما قد بنى

نصاراً وعودك من أثله

وكانت من النبع عيدانهم

خلاقاً وريحانة بقله

فيا عجباً نبعة أنبتت

وعرضك للشم والبذله

ثيابك للعبد مطوية

ولم تؤت في ذلك من قله

أجعت بنيك وأعريتهم

إذا ما دعينا لقبض العطاء  
وحيأت كيسك للغله  
وجلة تمر تغادي بها  
فتأتي على آخر الجله  
وتقصي بنيك وهم بالعرا  
ء نزلهم الملح والمله  
ولو كان خبز وتمر لديك  
لما طمعوا منك في فضله  
وتصبح تقلس عن تخمة  
كأن جشاءك عن فجله  
إذا الحي راعهم رائع  
فأوهن من غادة طفله  
وليث يصول على قرنه  
إذا ما دعيت إلى أكله  
فقله درك عند الخوا  
ن من فارس صادق الحمله  
وإن جاعك الناس في حاجة  
تفكرت يومين في العله  
وتلقاهم أبداً كالحا  
كأن قد عضضت على بصله  
فهذا نصيبي من خالد  
وإني لصحبته مبغض  
لکم هنة بته بتله  
ولا خير في صحبة السفله

ينشد مسلم بن الوليد من هجائه في ابن عمه: حدثني أحمد بن عبيد الله بن عمار الثقفي قال: حدثني أبو الحسن بن المنجم قال: رأيت مسلم بن الوليد الأنصاري يوماً عند أبي، ثم خرج من عنده، فلقية ابن أبي عيينة، فسلم عليه وتحفى به، ثم قال له: ما خبرك مع خالد؟ قال: الخبر الذي تعرفه، ثم أنشده قوله فيه:

يا حفص عاط أخاط عاطه  
كأساً تهيج من نشاطه

قال: ومسلم يتبسم من هجائه إياه حتى مر فيها كلها، ثم ختمها بقوله:

وإذا تناولت ولت الرؤ  
وس فغط رأسك ثم طاطه

فقال مسلم: مه، إن لله! هتكته والله وأخزيتة، وإنما كنت أظن أنك تمزح وتهزل إلى آخر قولك حتى ختمته بالجد القبيح، وأفرطت فيما خرجت به إليه، ثم مضى وهو يقول: فضحته والله، هتكته والله!. يستنشده دعبل من هجائه لابن عمه فينشده: أخبرني عمي قال: حدثني أحمد بن يزيد قال: حدثني أبي قال: لقي دعبل أبا عيينة فقال له: أنشدني قولك في ابن عمك فأنشده:

يا حفص عاط أخاك عاطه  
كأساً تهيج من نشاطه

صرباً يعود لوقعها  
كالظبي أطلق من رباطه

صبا طرت عنه الهمو  
م نعيمه بعد انبساطه

فبكى وحق له البكا  
جزع المخنث خالد  
فانظر إلى نزواته  
دعني وإيا خالد  
لشقاؤه بعد اغتباطه  
لما وقعت على قماطه  
من منطقي وإلى اختلاطه  
فلأقطعن عرى نياطه

إني وجدت كلامه  
رجل يعد لك الوعي  
وإذا انتظرت غداءه  
يا خال صد المجد عن  
وعريت من حلل الندى  
فإذا تطاولت الرؤو  
فبه مشابه من ضراطه  
د إذا وطئت على بساطه  
فخف البوادر من سياطه  
ك فلن تجوز على صراطه  
عري اليتيم ومن رياطه  
س فغط رأسك ثم طاطه

قال له دعبيل: أغرقت والله في الزرع وأسرفت، وهتكت ابن عمك وقتلته وغضضت منه، وإنما استنشدتك وأنا  
أظن أنك قلت كما يقول الناس قولاً متوسطاً، ولو علمت أنك بلغت به هذا كله لما استنشدتك .  
أخبرني بهذا الخبر الحسن بن علي وعمي قالاً: حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه، قال: حدثني الحسين بن السري  
قال: لقي دعبيل أبا عيينة فقال له: أنشدني بعض ما قلت في ابن عمك، ثم ذكر الخبر مثل ما ذكره أحمد بن يزيد،  
وقال فيه: إنما ظننت أنك قلت فيه قولاً أبقيت معه عليه بعض الإبقاء، ولو علمت أنك بلغت به هذا كله  
وأغرقت هذا الإغراق ما استنشدتك، وجعل يعيد "فغط رأسك ثم طاطه"، ويقول: قتله الله! من مختار هجائه في  
خالد: أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال: حدثني محمد بن يزيد قال: ومن مختار ما قاله في خالد قوله:

قل لدنيا بالله لا تقطعينا  
لا تخوني بالغيب عهد صديق  
واذكرني عيشنا وإذ نفض الريح  
إذ جعلنا الشاه سفرام فراشاً  
لم تخافيه ساعة أن يخونا  
من أذى الأرض والظلال غصونا  
من بلاد سارين أم مدلجينا  
وهم في المكارم الأولونا  
واذكرينا في بعض ما تذكرينا  
علينا الخيري والياسمينا  
والأطيبون للأطيبينا  
وهم الأكثرون يعلم ذلك الناس،

أز عجتني الأقدار عنهم  
وتبدلت خالداً لعنة الله عليه  
رجل يقهر اليتيم ولا يؤ  
ويصون الثياب والعرض بال  
نزع الله منه صالح ما أعطاه  
فلعمر المبادرين إلى مكة  
إن أضياف خالد وبنيه  
وتراهم من غير نسك يصومو  
يا بني خالد دعوه وفروا

وقد كنت بقربي منهم شحيحاً ضنيناً  
ولعنة اللاعنينا  
تى زكاة وينهر المسكينا  
ويرائي ويمنع الماعونا  
أمين عاجلاً آمناً  
وفداً غادين أو رائحين  
ليجوعون فوق ما يشبعونا  
ن ومن غير علة يحتمونا  
كم على الجوع ويحكم تصبرونا

من مشهور هجائه في خالد: قال محمد بن يزيد: ومن مشهور شعره في قصيدته التي أولها:

ألا خبروا إن كان عندكم خبر  
نفى النوم عن عيني تعرض رحلة  
فإن أشك من ليلي يجر جان طوله  
فيا حبذا بطن الخريز وظهره  
ويا حبذا نهر الأبله منظرأ  
وفتيان صدق همهم طلب العلا  
لعمري لقد فارقتهم غير طائع  
وقائلة ماذا نأى بك عنهم  
فيا سفراً أودي بلهوى ولذتي  
دعوني وإيا خالد بعد ساعة  
كأنى بصدق القول لما لقينته  
دنيء به عن كل خير بلادة  
له منظر يعمي العيون سماجة  
أبوك لنا غيث يعاش بوبله

أنقل أن نثوي على الهم والضجر؟  
بها الهم واستولى بها بعده السهر  
لقد كنت أشكو فيه بالبصرة القصر  
ويا حسن واديه إذا ماؤه زخر  
إذا مد في إبانه النهر أو جزر  
وسيماهم التحجيل في الجد والغرر  
ولا طيب نفساً بذاك ولا مقر  
فقلت لها لا علم لي فسلي القدر  
ونغصني عيشي عدمتك من سفر  
سيحمله شعري على الأبلق الأغر  
وأعلمته ما فيه ألقمته الحجر  
لكل قبيح عن ذراعيه قد حسر  
وإن يختبر يوماً فيا سوء مختبر  
وأنت جراد لبس يبقي ولا يذر

له اثر في المكرمات يسرنا

وأنت تعفي دائماً ذلك الأثر

لقد قنعت قحطان خزيماً بخالد

فهل لك فيه يخزك الله يا مضر

قول الرشيد وقد أنشد بيتاً في هجاء خالد: أخبرني عيسى بن الحسين قال: حدثني الزبير بن بكار قال: حدثني عمي قال: أنشد الرشيد قول بن أبي عيينة:

لقد قنعت قحطان خزيماً بخالد

فهل لك فيه يخزك الله يا مضر

فقال الرشيد: بل يوقرون ويشكرون.

يجمع هجاء رجل ومدح أبيه في بيت: أخبرني محمد بن يحيى الصولي قال: قال لنا أبو العباس محمد بن يزيد: لم يجتمع لأحد من الحديثين في بيت واحد هجاء رجل ومدح أبيه كما اجتمع لابن عيينة في قوله:

أبوك لنا غيث نعيش بوبله

وأنت جراد ليس بيبقى ولا يذر

من جيد هجائه في خالد أيضاً:

على إخوتي مني السلام تحية

تحية مثن بالأخوة حامد

وقل لهم بعد التحية أنتم

بنفسي ومالي من طريف وتالد

وعز عليهم أن أقيم ببلدة

أخا سقم فيها قليل العوائد

لئن ساءهم ما كان من فعل خالد

لقد سرهم ما قد فعلت بخالد

وقد علموا أن ليس مني بمفلت

ولا يومه المسكين مني بواحد

أخالد لا زالت من الله لعنة

عليك وإن كنت ابن عمي وقائدي

أخالد كانت صحبتك ضلالة

عصيت بها ربي وخالفت والدي

وأرسل يبقي الصلح لما تكنفت

عوارض جنبيه سياط القصائد

فأرسلت بعد الشر أني مسالم

إلى غير ما لا تشتهي غير عائد

هو أهجى الحديثين في عصره: أخبرني عمي قال: حدثنا الكراني قال: زعم القحذمي أن الرشيد قال للفضل بن الربيع: من أهجى الحديثين عندك يا فضل في عصرنا هذا؟ قال: الذي يقول في ابن عمه:

لو كان ينقص يزدا

د إذا نال السماء

خالد لولا أبوه

كان والكلب سواء

أنا ما عشت عليه

أسوأ الناس ثناء

## إن من كان مسيئاً

## لحقيق أن يساء

فقال الرشيد: هذا ابن أبي عيينة، ولعمري لقد صدقت.

يقرأ الهادي قصيدة أرسلها إليه فيرده من جيش خالد: أخبرني الحسن بن علي قال: حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال: حدثني أبي قال: كان ابن أبي عيينة مع ابن عمه خالد بجرجان، فأساء به وجفاه، وكان لابن أبي عيينة صديقان من جند خالد من أهل البصرة، أحدهما مهلي والآخر مولي للأزد، وكلهم شاعر ظريف، فكانوا يمدحون السراة من أهل جرجان فيصيبون منهم ما يقوهم. وولى موسى الهادي الخلافة فكتب ابن عيينة إلى من كان في خدمة الخلفاء من أهله بهذه القصيدة:

### كيف صبري ومنزلي جرجان

### والعراق البلاد والأوطان؟

نحن فيها ثلاثة حلفاء

وندامى على الهوى إخوان

نتساقى الهوى ونطرب للذكر

كما تطرب النشاوي القيان

وإذا ما بكى الحمام بكينا

لبكاه كأننا صبيان

يا زماني الماضي ببغداد عد لي

طالما قد سررتني يا زمان

يا زماني المسيء أحسن فقدمنا

كان عندي من فعلك الإحسان

ما يريد العذال مني أما يترك

أيضاً بغمه الإنسان؟

ويقولون أملك هواك وأقصر

قلنت مالي على الهوى سلطان

أيها الكاتم الحديث وقد طا

ل به الأمر وانتهى الكتمان

قد لعمري عرضت حيناً فبين

ليس بعد التعريض إلا البيان

واتخذ خالداً عدواً مبيناً

ما تعادى الإنسان والشيطان

واله عنه فما يضرك منه

عض كلب ليست له أسنان

ولعمري لولا أبوه لنالته

بسوء مني يد ولسان

قل لفتياننا المقيمين بالبا

ب تقوا النجاح يا فتیان

لا تخافوا الزمان قد قام موسى

فلكم من ردى الزمان أمان

أولم تأته الخلافة طوعاً

طاعة ليس بعدها عصيان؟

فهى منقادة لموسى وفيها

عن سواء تقاعس وحران

قل لموسى يا ملك الملك طوعاً

بقياد وفي يدك العنان

خير رأي لنا سلطان

أنت بحر لنا ورأيك فينا

رماه لحتفه الرحمن

فاكفنا خالدًا فقد سامنا الخسف

وإلى كم يكون هذا الهوان؟

كم إلى كم يغضى على الذل منه

قال: فلما قرأ هذه القصيدة موسى الهادي أمر له بصلة، وأعطاه ما فات من رزقه، وأقله من جيش خالد إليه.

### صوت

خبر سقاك الرائح الغادي

أين محل الحي يا وادي؟

مثل عقاب السرحة العادي

مستصحب للحرب خيفانة

حدا بقلبي معها الحادي

بين خدور الظعن محجوبة

مثل لسان الحية الصادي

وأسمرا في رأسه أزرق

الشعر لدعبل بن علي الخزاعي، والغناء لأحمد بن يحيى المكي، خفيف ثقيل مطلق في مجرى الوسطى عن أبي عبد الله الهشامي.

### أخبار دعبل بن علي ونسبه

نسبه وكنيته: هو دعبل بن علي بن رزين بن سليمان بن تميم بن هاشم بن خداح بن عبد بن دعبل بن أنس بن خزيمه بن سلامان بن أسلم بن أفصى بن حارثة بن عمر بن عامر بن مزيقيا، ويكنى أبا علي. شاعريته: شاعر متقدم مطبوع هجاء خبيث اللسان، لم يسلم عليه أحد من الخلفاء ولا من وزرائهم ولا أولادهم ولا ذو نباهة، أحسن إليه أو لم يحسن، ولا أفلت منه كبير أحد. يناقض "الكميت" في مذهبه فيناقضه المخزومي: وكان شديد التعصب على التزارية للقحطانية، وقال قصيدة يرد فيها على الكميت بن زيد، ويناقضه في قصيدته المذهبة التي هجا بها قبائل اليمن.

### ألا حبيبت عنا يا مرينا

فرأى النبي صلى الله عليه وسلم في النوم ، فنهاه عن ذكر الكميت بسوء .

وناقضه أبو سعد المخزومي في قصيدته وهجاه، وتناول الشر بينهما، فخافت بنو مخزوم لسان دعبل وأن يعمهم بالهجاء، فنفوا أبا سعد عن نسبهم، وأشهدوا بذلك على أنفسهم.

تيشعه ومكافأة علي بن موسى الرضا له: وكان دعبل من الشيعة المشهورين بالميل إلى علي صلوات الله عليه، وقصديته:

## مدارس آيات خلت من تلاوة

من أحسن الشعر وفاخر المدائح المقولة في أهل البيت، عليهم السلام، وقصد بها أبا الحسن علي بن موسى الرضا، عليه السلام، بخراسان، فأعطاه عشرة آلاف درهم من الدراهم المضروبة باسمه، وخلع عليه خلعة من ثيابه، فأعطاه بها أهل قم ثلاثين ألف درهم، لم يبيعها، فقطعوا عليه الطريق فأخذوها، فقال لهم: إنما تراد الله عز وجل، وهي محرمة عليكم، فدفعوا إليه ثلاثين ألف درهم، فحلف ألا يبيعها أو يعطوه بعضها ليكون في كفنه، فأعطوه فردكم، فكان في أكفانه.

وكتبت قصيدته: "مدارس آيات" فيما يقال على ثوب، وأحرم فيه، وأمر أن يكون في أكفانه. ولم يزل مرهوب اللسان وخائفاً من هجائه للخلفاء، فهو دهره كله هارب متوار. حدثني إبراهيم بن أيوب قال: حدثنا عبد الله بن مسلم بن قتيبة قال: رأيت دعبل بن علي وسمعتة يقول:

**أنا أحمل خشبتي على كتفي منذ خمسين سنة، لست أجد أحداً يصلبني عليها.**

إبراهيم بن المهدي يخرض المأمون عليه: حدثني عمي قال: حدثنا ميمون بن هارون قال: قال إبراهيم بن المهدي للمأمون قولاً في دعبل يخرضه عليه، فضحك المأمون، وقال: إنما تحرضني عليه لقوله فيك:

**وارضوا بما كان ولا تسخطوا**

**يا معشر الأجناد لا تقطنوا**

**يلتذها الأورد والأشمط**

**فسوف تعطون حنينية**

**لا تدخل الكيس ولا تربط**

**والمعبديات لقوادكم**

**خليفة مصحفه البربط**

**وهكذا يرزق قواده**

فقال له إبراهيم: فقد والله هجاك أنت يا أمير المؤمنين، فقال: دع هذا عنك فقد عفوت عنه في هجائه إياي لقوله هذا، وضحك. ثم دخل أبو عباد، فلما رآه المأمون من بعد قال لإبراهيم: دعبل يجسر على أبي عباد بالهجاء ويحجم عن أحد؟ فقال له: وكأن أبا عباد أبسط يداً منك يا أمير المؤمنين؟ قال لا، ولكنه حديد جاهل لا يؤمن، وأنا أحلم وأصفح. والله ما رأيت أبا عباد مقبلاً إلا أضحكني قول دعبل فيه:

**أمر يدبره أبو عباد**

**أولى الأمور بضيعة وفساد**

**حرد يجر سلاسل الأقياد**

**وكأنه من دير هزقل مفلت**

ما قاله أبوه من الشعر:

أخبرني الحسن بن علي الخفاف قال: حدثني محمد بن القاسم بن مهرويه قال: حدثني أبي قال: أخبرني دعبل بن علي قال: قال لي أبي علي بن رزين: ما قلت شيئاً من الشعر قط إلا هذه الأبيات:

**طوى الكشح عني اليوم وهو مكين**

**خليلي ماذا أرتجي من غد امرئ**

وإن امرأ قد ضن منه بمنطق

يسد به فقر امرئ لضنين

وبيتين آخرين وهما:

أقول لما رأيت الموت يطلبني

يا ليتني درهم في كيس مياح

فيا له درهاً طالَت صيانتَه

لا هالك ضيعة يوماً ولا ضاح

اسمه واشتقاق دعبل: أخبرني علي بن صالح بن الهيثم الكاتب قال: حدثني أبو هفان قال: قال لي دعبل قال لي أبو زيد الأنصاري: مم اشتق دعبل؟ قلت: لا أدري، قال: الدعبل: الناقة التي معها ولدها. أخبرني محمد بن عمران الصيرفي قال: حدثني العتري قال: حدثني محمد بن أيوب قال: دعبل اسمه محمد وكنيته أبو جعفر، ودعبل: لقب لقب به.

وحدثني بعض شيوخنا عن أبي عمرو الشيباني قال: الدعبل: البعير المسن. أحد اثنين ختم بهما الشعر: أخبرني الحسن بن علي قال: حدثني محمد بن القاسم بن مهرويه قال: سمعت حذيفة بن الطائي يقول: الدعبل: الشيء القديم. قال ابن مهرويه: سمعت أبي يقول: ختم الشعر بدعبل، قال: وقال أبي: كان أبو محلم يقول: ختم الشعر بعمارة بن عقيل. رده الكميت وضع قدره: أخبرني الحسن بن علي قال: حدثنا ابن مهرويه قال: سمعت أبي يقول: لم يزل دعبل عند الناس جليل القدر حتى رد على الكميت بن زيد:

ألا حبيبت عنا يا مرينا

فكان ذلك مما وضعه. قال: وقال: فيه أبو سعد المخزومي:

وأعجب ما سمعنا أو رأينا

هجاؤه قاله حي لميت

وهذا دعبل كلف معنى

بتسطير الأهاجي في الكميت

وما يهجو الكميت وقد طواه الر

دى إلا ابن زانية بزيت

من ظن أن كلمة دعبل شتم: أخبرني علي بن سليمان الأحفش قال: حدثني محمد بن زيد قال: حدثني دعبل قال: كنت جالسا مع بعض أصحابنا ذات يوم، فلما قمت سألت رجل لم يعرفني - أصحابنا عني، فقالوا: هذا دعبل، فقال: قولوا في جليسكم خيرا، كأنه ظن اللقب شتماً. يصيح في أذن مصرع: دعبل، فيفيق: أخبرني علي بن سليمان قال: حدثني محمد بن يزيد قال: حدثني دعبل قال: صرع مجنون مرة فصحت في أذنه: دعبل، ثلاث مرات، فأفاق. وأخبرني بهذين الخبرين الحسن بن علي عن ابن مهرويه عن محمد بن يزيد عن دعبل - وزاد فيه: قال دعبل: وصرع مرة مجنون بحضرتي فصحت به: دعبل، ثلاث مرات فأفاق من جنونه. سبب خروجه من الكوفة: أخبرني محمد بن عمران الصيرفي أبو أحمد قال: حدثنا الحسن بن عليل العتري قال:

حدثني علي بن عمرو بن شيان قال: حدثني أبو خالد الخزاعي الأسلمي، قال العتري: وقد كتبت عن أبي خالد أشياء كثيرة ولم أكتب عنه هذا الخبر، قال: كان سبب خروج دعبل بن علي من الكوفة أنه كان يتشطر ويصحب الشطار، فخرج هو ورجل من أشجع فيما بين العشاء والعتمة، فجلسا على طريق رجل من الصيارفة، وكان يروح كل ليلة بكيسه إلى منزله، فلما طلع مقبلاً إليهما وثبا إليه فجرحاه، وأخذ ما في كفه، فإذا هي ثلاث رمانات في خرقة، ولم يكن كيسه ليلتئذ معه، ومات الرجل مكانه، واستتر دعبل وصاحبه، وجد أوليا الرجل في طلبهما، وجد السلطان في ذلك، فطال على دعبل الاستتار، فاضطر إلى أن هرب من الكوفة. قال أبو خالد: فما دخلها حتى كتبت إليه أعلمه أنه لم يبق من أولياء الرجل أحد.

يشرح أسباب هجائه الناس: أخبرني محمد بن عمران قال: حدثني أبو خالد الخزاعي الأسلمي قال: قلت لدعبل: ويحك! قد هجوت الخلفاء والوزراء والقواد ووترت الناس جميعاً، فأنت دهرك كله شريد طريد هارب خائف، فلو كفت عن هذا وصرفت هذا الشر عن نفسك! فقال: ويحك؟ إن تأملت ما تقول، فوجدت أكثر الناس لا ينتفع بهم إلا على الرهبة، ولا يبالي بالشاعر وإن كان مجيداً إذا لم يخف شره، ولمن يتقنيك على عرضه أكثر ممن يرغب إليك في تشريفه. وعيوب الناس أكثر من محاسنهم، وليس كل من شرفته شرف، ولا كل من وصفته بالجود والمجد والشجاعة ولم يكن ذلك فيه انتفع بقول، فإذا رأك قد اوجعت عرض غيره وفضحته - اتقاك على نفسه وخاف من مثل ما جرى على الآخر. ويحك، يا أبا خالد إن الهجاء المقذع أخذ بضعب الشاعر من المديح المضرع. فضحكت من قوله، وقلت: هذا والله مقال من لا يموت حتف أنفه.

البيت الذي عرف به: أخبرني الحسن بن علي قال: حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال: حدثني الحمدي الشاعر قال: سمعت دعبل بن علي يقول: أنا ابن قولي:

**ضحك المشيب برأسه فبكي**

**لا تعجبي يا سلم من رجل**

وسمعت أبا تمام يقول: أنا ابن قولي:

**ما الحب إلا للحبيب الأول**

**نقل فؤادك حيث شئت من الهوى**

قال الحمدي: وأنا ابن قولي في الطيلسان:

**لو بعثناه وحده لتهدني**

**طال ترداده إلى الرقو حتى**

قال الحمدي: معنى قولنا: أنا ابن قولي، أي أبي به عرفت.

يسرق بيتاً ويتفوق فيه على صاحبه: أخبرني علي بن صالح قال: حدثني أبو هفان قال: قال مسلم بن الوليد:

**ورأسه يضحك فيه المشيب**

**مستعير يبكي على دمنة**

فسرقه دعبل، فقال:

**ضحك المشيب برأسه فبكرى**

**لا تعجبي يا سلم من رجل**

فجاء به أجود من قول مسلم، فصار أحق به منه.  
قال أبو هفان: فأنشدت يوماً بعض البصريين الحمقى قول دعبل:

### ضحك المشيب برأسه فبكى

فجاءني بعد أيام، فقال: قد قلت أحسن من البيت الذي قاله دعبل: فقلت له: وأي شيء قلت؟ فتمنع ساعة، ثم قال: قلت:

### قهقهه في رأسك القنير

أخبرني بهذه الحكاية الحسن بن علي عن ابن مهرويه عن أبي هفان، قال: ذكر نحوه، وزاد فيه ابن مهرويه وحدثني الحمدوي قال: سمع رجل قول المأمون:

### فاعتل من شفثيه

### قلته من بعيد

فقال:

### إذ توهمت أن أقبل فاه

### رق حتى تورمت شفثاه

يرتاح له غنت جارية به: أخبرني علي بن الحسن قال: حدثني ابن مهرويه: حدثني أبو ناجية -وزعم أنه من ولد زهير بن أبي سلمى- قال: كنت مع دعبل بن شهرزور، فدعاه رجل إلى منزله وعنده قينة محسنة فعنت الجارية بشعر دعبل:

### لا، أين يطلب؟ ضل، بل هلكا

### أين الشباب وأية سلكا؟

قال: فارتاح دعبل لهذا الشعر قال: قد قلت هذا الشعر منذ سبعين سنة.  
نسبة هذا الصوت صوت

### لا، أين يطلب، ضل، بل هلكا

### أين الشباب وأية سلكا؟

### ضحك المشيب برأسه فبكى

### لا تعجبي يا سلم من رجل

### يا صاحبي إذا دمي سقكا

### يا لبيت شعري كيف توكمما

### قلبي وطرفي في دمي اشتركا

### لا تأخذوا بظلامتي أحدا

قال: والغناء لأحمد بن المكي، ثقيل أول بالوسطى مطلق.

يسرق من شعر الحسين بن مطير: أخبرني الحسن بن علي قال: حدثنا ابن مهرويه قال: حدثني أبو المثني أحمد بن يعقوب بن أخت أبي بكر الأصم قال: كنا في مجلس الأصمعي، فأنشده رجل لدعبل قوله:

### ضحك المشيب برأسه فبكى

### لا تعجبي يا سلم من رجل

فاستحسنه، فقال الأصمعي: إنما سرقه من قول الحسين بن مطير الأسدي:

أين أهل القباب بالدهناء؟

أين جيراننا على الأحساء

فارقونا والأرض ملبسة نو

ر الأفاحي تجاد بالأنواء

كل يوم بأفحوان جديد

تضحك الأرض من بكاء السماء

يهجو جماعة أكلوا ديكاً له وقع عليهم: أخبرني أحمد بن العباس العسكري قال: حدثني الحسن بن عليل العتري قال: حدثني أحمد بن خالد قال:

كنا يوماً بدار صالح بن علي من عبد القيس ببغداد، ومعنا جماعة من أصحابنا، فسقط على كنيئة في سطحه - ديك طار من دار دعبل، فلما رأيناه قلنا هذا صيدنا، فقال صالح: ما نضع به؟ قلنا: نذبحه، فذبحناه، وشويناه. وخرج دعبل فسأل عن الديك فعرف أنه سقط في دار صالح، فطلبه منا، فوجدناه، وشربنا يومنا. فلما كان من الغد خرج دعبل فصلى الغداة، ثم جلس على المسجد، وكان ذلك المسجد مجمع للناس، يجتمع فيه جماعة من العلماء، ويتناهم الناس، فجلس دعبل على المسجد وقال:

أسر المؤذن صالح وضيوفه

أسر الكمي هفا خلال الماقت

بعثوا عليه بنبيهم وبناتهم

من بين ناتفة وآخر سامط

يتنازعون كأنهم قد أوتقوا

خاقان أو هزموا كتائب ناعط

نهشوه فانتزعت له أسنانهم

وتهشمت أبقاؤهم بالحائط

قال: فكتبها الناس عنه ومضوا، فقال لي أبي وقد رجع إلى البيت: ويحكم، ضاقت عليكم الماكتل، فلم تجدوا شيئاً تأكلونه سوى ديك دعبل؟ ثم أنشدنا الشعر، وقال لي: لا تدع ديكا ولا دجاجة تقدر عليه إلا اشتريته، وبعث به إلى دعبل، وإلا وقعنا في لسانه، ففعلت ذلك. قال وناعط قبيلة من همدان ومجالد بن سعيد ناعطي قال: وأصله جبل نزلوا به، فنسبوا إليه.

يهجو غير معين، ثم يذكر فيه اسم من يغضب عليه: إخباري الحسن بن علي قال: حدثني ابن مهرويه قال: حدثني أحمد بن أبي كامل قال: كان دعبل ينشدني كثيراً هجاء قاله، فأقول له: فيمن هذا؟ فيقول ما استحقه أحد بعينه بعد، وليس له صاحب، فإذا وجد على رجل جعل ذلك الشعر فيه، وذكر اسمه في الشعر.

وقد أخبرني الحسن بن علي عن ابن مهرويه عن أحمد بن أبي كامل بهذا الخبر بعينه، وزاد فيه -فيما ذكر ابن أبي كامل- أنه كان عند صالح هذا في يوم أخذه ديك دعبل، قال: وهو صالح بن بشر بن صالح بن الجارود العبدي. يهجو أبا نضير الطوسي لأنه لم يرضه في مدحه: أخبرني محمد بن عمران قال حدثني العتري قال حدثني أحمد بن محمد ابن أبي أيوب قال: مدح دعبل أبا نضير بن حميد الطوسي، فقصر في أمره ولم يرضه من نفسه، فقال عند ذلك دعبل فيه يهجو:

أبا نضير تحلل عن مجالسنا

فإن فيك لمن جارك منتقنا

أنت الحمار حرونا إن وقعت به  
وإن قصدت إلى معروفه قمصا  
إني هزرتك لا ألوك مجتهدا  
لو كنت سيفاً ولكني هزرت عصا

أبو تمام يهجو ويتوعده: قال: فشكاه أبو نضير إلى أبي تمام الطائي، واستعان به عليه، فقال أبو تمام يجب دعبلا عن قوله، ويهجو

أدعبل إن تطاولت الليالي  
عليك فإن شعري سم ساعة  
وما وفد الشيب عليك إلا  
بأخلاق الدناءة والضراعة  
ووجهك إن رضيت به نديما  
فأنت نسيج وحدك في الرقاعه  
ولو بدلته وجهها بوجه  
لما صليت يوما في جماعه  
ولكن قد رزقت به سلاحا  
لو استعصيت ما أعطيت طاعه  
مناسب طيء قسمت فدعها  
فليست مثل نسبك المشاعه  
وروح منكيبك فقد أعيدا  
حطاما من زحامك في خزاعه

قال العتري: يقول إنك تراحم خزاعة، تدعي أنك منهم ولا يقبلونك.  
يهجو الخاركي لأنه هجاه: أخبرني محمد بن عمران قال حدثني العتري قال: حدثني محمد بن أحمد بن أيوب قال:  
تعرض الخاركي النصرى-وهو رجل من الأزد-لدعبل بن علي فهجاه، وسبه فقال فيه دعبل:

وشاعر عرض لي نفسه  
لخارك أبأؤه تنمي  
يشتم عرضي عند ذكري وما  
أمسى ولا أصبح من همي  
فقلت لا بل حبذا أمة  
خيرة طاهرة علمي  
أكذب والله على أمه  
ككذبه كان على أمي

يعده ابن المدبر أجسر الناس لهجائه المأمون: أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا ابن مهرويه قال حدثني إبراهيم بن  
المدبر قال: لقيت دعبل بن علي، فقلت له: أنت أجسر الناس عندي وأقدمهم حيث تقول:

إني من القوم الذين سيوفهم  
قتلت أخاك وشرفتك بمقعد  
رفعوا محللك بعد طول خموله  
واستتقذك من الخضيض الأوهده

فقال: يا أبا إسحاق، أنا أحمل خشيتي منذ أربعين سنة، فلا أحد من يصليني عليها.  
يرثي ابن عم له: أخبرني علي بن سليمان الأحفش قال: حدثنا محمد بن يزيد قال: قال دعبل بن علي يرثي ابن  
عم له من خزاعة نعي إليه، قال محمد بن يزيد: ولقد أحسن فيها ما شاء:

كانت خزاعة ملء الأرض ما اتسعت  
هذا أبو القاسم الثاوي ببلقعة  
هبت وقد علمت أن لا هبوب به  
أضحة قرى للمنايا إذ نزلن به  
فقص مر الليلي من حواشيها  
تسقي الرياح عليه من سواقبها  
وقد تكون حسيرا إذ يباربها  
وكان في سالف الأيام يقربها

حدثني الحسن بن مهرويه عن أبيه، فذكر أن المنعي إلى دعبل أبو القاسم المطلب بن عبد الله بن مالك، وأنه نعي إلى دعبل، وكان هو بالجبل، فرثاه بهذه الأبيات.

يتوعده إسماعيل بن جعفر، فيعيه بالهرب من زيد بن موسى: أخبرني الأخصف قال: حدثنا محمد بن يزيد، قال: بلغ إسماعيل بن جعفر بن سليمان أن دعبلًا هجاه، فتوعده بالمكروه وشتمه، وكان إسماعيل بن جعفر على الأهواز، فهرب من زيد بن موسى بن جعفر بن محمد لما ظهر وبيض في أيام أبي السرايا، فقال دعبل بن علي يعير إسماعيل بذلك:

لقد خلف الأهواز من خلف ظهره  
يهول إسماعيل بالبيض والقنا  
يريد وراء الزاب من أرض كسكر  
وقد فر من زيد بن موسى بن جعفر  
وعاينته في يوم خلى حريمه  
فيا قبحها منه ويا حسن منظر

كان يتشاطر بالكوفة وهرب منها معد ما قتل صيرفيا: أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا ابن مهرويه قال حدثني ابن الأعرابي عن أبي خالد الأسلمي قال: كان دعبل بن علي الخزاعي بالكوفة يتشطر وهو شاب، وكانت له شعرة جعدة، وكان يدهنها ويرجلها حتى تكاد تقطر دهنًا، وكان يصل على الناس بالليل فقتل رجلا صيرفيا، وظن أن كيسه معه، فوجد في كفه رمانا فهرب من الكوفة، وكنت إذا رأيت دعبلًا يمشي رأيت الشطارة في مشيته وتبخرته.

يتطير من عمير الكاتب فيهجوه: أخبرني الحسن قال: حدثنا ابن مهرويه قال: حدثني الحسن بن أبي السري قال: كان عمير الكاتب أقبح الناس وجهًا، فلقى دعبلًا يوما بكرة وقد خرج لحاجة له، فلما رآه دعبل تطير من لقائه، فقال فيه:

خرجت مبكرا من سر من را  
فلك أثن العنان وقلت أمضي  
أبادر حاجة فإذا عمير  
فوجهك يا عمير خزا وخير

يهدد عبد الرحمن بن خاقان لأنه بعث إليه برذونا يظلع: أخبرني الحسن قال حدثنا ابن مهرويه قال: حدثني الحسن بن أبي السرمي قال حدثني دعبل قال: مدحت عبد الرحمن بن خاقان، وطلبت منه برذونا، فبعث إلى برذون غامر، فكتبت إليه:

حملت على قارح غامز

فلا للركوب ولا للثمن

حملت على زمن ظالع

فسوف تكافأ بشكر زمن

فبعث إلي بردون غيره فاره بسرجه ولجامه، وألفي درهم.

قال ابن مهرويه وحدثني إسحاق بن إبراهيم العكبري عن دعبل أنه مدح يحيى بن خاقان، فبعث إليه بهذا البردون.

يهجو خريجه الفضل بن العباس لأنه عابه: أخبرني الحسن قال: حدثنا ابن مهرويه قال: قال الحسين بن دعبل: كان أبي يختلف إلى الفضل بن العباس بن جعفر بن محمد بن الأشعث، وهو خرج وفهمه وأدبه، فظهر له منه جفاء، وبلغه أنه يعيبه ويذكره، وينال منه، فقال يهجو:

يا بؤس للفضل لو لم يأت ما عابه

يستفرغ السم من صماء قرضابه

ما إن يزال وفيه العيب يجمعه

إن عابني لم يعب إلا مؤدبه

فكان كالكلب ضراه مكلبه

جهلا لأعراض أهل المجد عيابه

ونفسه عاب لما عاب أدابه

لصيده فعدا فاصطاد كلابه

يهجو ابن أبي دواد لأنه كان يطعن عليه: أخبرني الحسن قال: حدثنا ابن مهرويه قال: حدثني أبو جعفر العجلي قال: كان أحمد بن دواد يطعن على دعبل بحضرة المأمون والمعتصم، ويسبه تقربا إليهما لهجاء دعبل إياهما، وتزوج أبي ابن دواد امرأتين من بني عجل في سنة واحدة، فلما بلغ ذلك دعبلا قال يهجو:

غصبت عجلا على فرجين في سنة

أفسدتهم ثم ما أصلحت من نسبك

ولو خطبت إلى طوق وأسرته

نك من هويت ونل ما شئت من نشب

إن كان قوم أراد الله خزيهم

فذاك يوجب أن النبع تجمعه

ولو سكت ولم تخطب إلى عرب

عد البيوت التي ترضى بخطبتها

فزوجك لما زادوك في حسبك

أنت ابن زرياب منسوباً إلى نشبك

فزوجك ارتغاباً منك في ذهبك

إلى خلافك في العيدان أو غربك

لما نبشت الذي تطويه من سببك

تجد فزارة العكلي من عربك

قال: فلقية فزارة العكلي، فقال له: يا أبا علي، ما حملك على ذكرى حتى فضحتني، وأنا صديقك؟ قال: يا أخي والله ما اعتمدتكم بمكروه، ولكن كذا جاءني الشعر لبلاء صبه الله عز وجل عليك لم أعتمدك به.

يهجو جارية عبثت به في مجلس: أخبرني جعفر بن قدامة قال: حدثني هارون بن محمد بن عبد الملك الزيات قال:

حدثني أبو خالد الأسلمي الكوفي قال: أجمعت مع دعبل في منزل بعض أصحابنا، وكانت عنده جارية مغنية صفراء مليحة حسنة الغناء، فوقع لها العيب بدعبل والتعنت والأذى له، وهيناها عنه، فما انتهت، فأقبل علينا فقال: اسمعوا ما قلت في هذه الفاجرة، فقلنا: هات، فقد هيناها عنك، فلم تنته، فقال:

**فتخضب الحناء من مسودها**

**تخضب كفا قطعت من زندها**

**تكحل عينيها ببعض جلدها**

**كأنها والحل في مرودها**

**أشبه شيء أستها بخدها**

قال: فجلست الجارية تبكي، وصارت فضيحة، واشتهرت بالأبيات، فما انتفعت بنفسها بعد ذلك. يجسه العلاء بن منظور ويضربه في جناية بالكوفة فيخرج منها: أخبرني جعفر بن قدامة قال: حدثني هارون قال: حدثني أبي وخالد قالوا: كان دعبل قد جنى جناية بالكوفة وهو غلام، فأخذه العلاء بن منظور الأسدي، وكان على شرطة الكوفة من قبل موسى بن عيسى، فحبسه، فكلمه في عمه سليمان بن رزين، فقال: أضربه أنا خير من أن يأخذه غريب فيقطع يده، فلعله أن يتأدب بضربي إياه، ثم ضربه ثلثمائة سوط، فخرج من الكوفة، فلم يدخلها بعد ذلك إلا عزيزا.

كان يضرب في الأرض فلا يؤذيه الشراة ولا الصعاليك: أخبرني الحسن بن علي قال: حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال: حدثني أحمد ابن أبي كامل قال: كان دعبل يخرج فيغيب سنين، يدور الدنيا كلها، ويرجع وقد أفاد وأثري. وكانت الشراة والصعاليك يلقونه فلا يؤذونه، ويؤاكلونه ويشاربونه ويرونه، وكان إذ لقيهم وضع طعامه وشرابه، ودعاهم إليه، ودعا بغلاميه ثقيف وشعف، وكانا مغنيين، فأقعدهما يغنيان، وسقاهم وشرب معهم، وأنشداهم، فكانوا قد عرفوه، وألفوه لكثرة أسفاره، وكانوا يواصلونه ويصلونه. وأنشدني دعبل بن علي لنفسه في بعد أسفاره:

**ويعجز عنه الطيف أن يتجشما**

**حللت محلا يقصر البرق دونه**

يعده البحري أشعر من مسلم بن الوليد: أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال: قال لي البحري: دعبل بن علي أشعر عندي من مسلم بن الوليد، فقلت له: وكيف ذلك؟ قال: لأن كلام دعبل أدخل في كلام العرب من كلام مسلم، ومذهبه أشبه بمذاهبهم. وكان يتعصب له.

يهجو صاحب بيت دب إلى رجل بات عنده: أخبرني الحسن قال: حدثنا ابن مهرويه قال: حدثنا الفضل بن الحسن بن موسى البصري قال: بات دعبل ليلة عند صديق له من أهل الشام، وبات عندهم رجل من أهل بيت لهيان يقال له حوي بن عمرو السككي جميل الوجه، فدب إليه صاحب البيت، وكان شيخا كبيرا فانيا قد أتى عليه حين، فقال فيه دعبل:

**ما قام أير العزب الفاني**

**لولا حوى لبيت لهياني**

## له دواة في سراويله

## يليقها النازح والداني

قال: وشاع هذان البيتان، فهرب حوي من ذلك البلد، وكان الشيخ إذا رأى دعبلاً سبه، وقال: فضحتني أخزاك الله.

يتمنى موت من تكون له منة عنده: أخبرني الحسن بن علي قال: حدثني ابن مهرويه قال: حدثني محمد بن الأَشعث قال: سمعت دعبلاً يقول: ما كانت لأحد قط عندي منة إلا تمنيت موته.

يهجو شاعر بالري وهو هناك فيرتحل:

أخبرني الحسن قال حدثنا ابن مهرويه قال حدثنا محمد بن عمر الجرجاني قال: دخل دعبل بن علي الري في أيام الربيع، فجاءهم ثلج لم يروا مثله في الشتاء، فجاء شاعر من شعرائهم فقال شعراً، وكتبه في رقعة هو:

فجادت سماؤنا بالثلوج

جاءنا دعبل بثلج من الشعر

د وقد أئبعت رياض المروج

نزل الري بعدما سكن البر

ثوباً من كرسف ملحوج

فكسانا ببرده لا كسناه الله

قال: فألقي الرقعة في دهليز دعبل، فلما قرأها ارتحل عن الري.

هجاؤه لصالح الأضجم لأنه قصر عن حاجته: أخبرني محمد بن عمران قال: حدثنا العتري قال: حدثنا أبو خالد الأسلمي قال: عرضت لدعبل حاجة إلى صالح بن عطية الأضجم، فقصر عنها، ولم يبلغ ما أحبه دعبل فيها، فقال يهجو:

فقس على الغائب بالشاهد

أحسن ما في صالح وجهه

تدعو إلى تزنية الوالد

تأملت عيني له خلقه

فتحمل عليه صالح بي وبجماعة من إخوانه حتى كف عنه، وعرض عليه قضاء الحاجة، فأباها.

يهجو بني مكلم الذئب من خزاعة لأنهم فخرُوا عليه: أخبرني الحسن بن علي قال حدثني محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدثني أبي قال: فخر قوم من خزاعة على دعبل بن علي يقال لهم: بنو مكلم الذئب، وكان جدهم جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فحدثه أن الذئب أخذ من غنمه شاة فتبعه، فلما غشيه بالسيف قال له: ما لي ولك تمنعني رزق الله؟ قال فقلت: يا عجباً لذئب يتكلم! فقال: أعجب منه أن محمداً نبي قد بعث بين أظهركم وأنتم لا تتبعونه، فبنوه يفخرون بتكليم الذئب جدهم، فقال دعبل بن علي يهجوهم:

فقد لعمرى أبوكم كلم الذئب

تهتم علينا بأن الذئب كلمكم

أفنيتم الناس مأكولا ومشروبا

فكيف لو كلم الليث الهصور إذاً

يكلم الفيل تصعيداً وتصويبا

هذا السندي لا أصل ولا طرف

يهجو محمد بن عبد الملك الزيات لأنه مدحه فلم يرضه: حدثني الحسن بن علي قال حدثني ابن مهرويه قال حدثني أبي قال: كان دعبل قد مدح محمد بن عبد الملك الزيات، فأنشده ما قاله فيه، وفي يده طومار قد جعله على فمه كالمثكنة عليه وهو جالس، فلما فرغ أمر له بشيء لم يرضه، فقال: يهجو:

يا من يقلب طوماراً ويلثمه  
مأذا بقلبك من حب الطوامير  
فيه مشابه من شيء تسربه  
طولاً بطول وتدويراً بتدوير  
لو كنت تجمع أموالاً كجمعكها  
إذا جمعت بيوتاً من دنائير

يتزل بحمص فلم يره رجالان من أهلها فيهجوهما: أخبرني الحسن بن علي قال: حدثنا ابن مهرويه قال: حدثني أبي قال: نزل دعبل بحمص على قوم من أهلها، فبروه ووصلوه سوى رجلين منهم يقال لأحدهما: أشعث وللآخر أبو الصناع، فارتحل من وقته من حمص وقال فيهما يهجوهما:

إذا نزل الغريب بأرض حمص  
رأيت عليه عز الإمتناع  
سمو المكركات بآل عيسى  
أحلهم على شرف التلاع  
هناك الخز يلبسه المغالي  
وعيسى منهم سقط المتاع  
فسدد لآست أشعث أير بغل  
وآخر في حر أم أبي الصناع  
فليس بصانع مجداً ولكن  
أضاع المجد فهو أبو الضياع

شعره في الفضل بن مروان: أخبرني الحسن قال: حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه عن الحسين بن دعبل قال: قال أبي في الفضل بن مروان:

نصحت فأخلصت النصيحة للفضل  
وقلت فسيرت المقالة في الفضل  
ألا إن في الفضل بن سهل لعبرة  
إن اعتبر الفضل بن مروان بالفضل  
وللفضل في الفضل بن يحيى مواعظ  
إذا فكر الفضل بن مروان في الفضل  
فأبق جميلاً من حديث تفر به  
فإنك قد أصبحت للملك قيما  
وصرت مكان الفضل والفضل والفضل  
ولم أر أبياتاً من الشعر قبلها  
جميع قوافيها على الفضل والفضل  
وليس لها عيب إذا هي أنشدت  
سوى أن نصحي الفضل كان من الفضل

فبعث إليه الفضل بن مروان بدنانير، وقال له: قد قبلت نصحك، فاكفني خيرك وشرك.

ينقد شعر شاعر احتكم إليه في شعره:

حدثني عمي قال: حدثني ميمون بن هارون قال: حدثني أبو الطيب الحراني قال: أنشد رجل دعبل بن علي شعراً

له، فجعل يعيبه وينبهه على خطئه فيه بيتاً بيتاً، ويقول: أي شيء صنعت بنفسك! ولم تقوم الشعر إذا لم تقدر إلا على مثل هذا منه؟ إلى أن مر له بيت جيد، فقال دعبل: أحسنت، أحسنت ما شئت. فقال له يا أبا علي: أتقول لي هذا بعد ما مضى؟ فقال له: يا حبيبي لو أن رجلاً شرط سبعين ضربة ما كان بمنكر أن يكون فيها دستنبوية واحدة.

لا يرى المأمون عجباً أن يهجو: أخبرني الحسن بن علي قال: حدثنا ابن مهرويه قال حدثني محمد بن حاتم المؤدب قال: قيل للمأمون: إن دعبل بن علي قد هجأك، فقال: وأي عجب في ذلك؟ هو يهجو أبا عباد ولا يهجو أنا! ومن أقدم على جنون أبي عباد أقدم على حلمي، ثم قال للجلساء: من كان منكم يحفظ شعره في أبي عبارة فليشدنيه، فأنشده بعضهم:

أولى الأمور بضيعة وفساد	أمر يدبره أبو عباد
خرق على جلسائه فكأنهم	حضرُوا للملحمة ويوم جلاذ
يسطو على كتابه بدواته	فمضمخ بدم ونضح مداد
وكأنه من دير هزقل مفلت	حرد يجر سلاسل الأقياد
فاشدد أمير المؤمنين وثاقه	فأصح منه بقية الحداد

قال: وكان بقية هذا مجنوناً في المارستان، فضحك المأمون. وكان إذا نظر إلى أبي عباد يضحك، ويقول لمن يقرب منه: والله ما كذب دعبل في قوله.

حدثني جحظة عن ميمون بن هارون فذكر مثله أو قريباً منه.

يزعم أن رجلاً من الجن استشهده قصيدة مدارس آيات خلت: أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار ومحمد بن أحمد الحكيم قالوا: حدثنا أنس ابن عبد الله النبھاني قال: حدثني علي بن المنذر قال: حدثني عبد الله بن سعيد الأشقري قال: حدثني دعبل بن علي قال: لما هربت من الخليفة بت ليلة بنيسابور وحدي، وعزمت على أن أعمل قصيدة في عبد الله بن طاهر في تلك الليلة، فإني لفي ذلك إذ سمعت والباب مردود علي: السلام عليكم ورحمة الله، انج يرحمك الله، فاقشعر بدني من ذلك، ونالي أمر عظيم، فقال لي: لا ترع عافاك الله؛ فإني رجل من إخوانك من الجن من ساكني اليمن طراً إلينا طارئاً من أهل العراق فأنشدنا قصيدتك:

مدارس آيات خلت من تلاوة	ومنزل وحي مقفر العرصات
-------------------------	------------------------

فأحبيت أن أسمعها منك، قال فأنشدته إياها، فبكى حتى خر، ثم قال: رحمك الله! ألا أحدثك حديثاً يزيد في نيتك ويعينك على التمسك بمذهبك؟ قلت: بلى قال: مكثت حيناً أسمع بذكر جعفر بن محمد عليه السلام، فصرت إلى المدينة فسمعتة يقول: حدثني أبي عن أبيه عن جده أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: علي وشيعته هم الفائزون، ثم ودعني لينصرف، فقلت له: يرحمك الله، إن رأيت أن تخبرني باسمك ففعل، قال: أنا

ظبيان بن عامر.

يدعو إليه أعرابياً من كلاب فينشده في كلابي هجاء له: أخبرني الحسن بن القاسم الكوكبي قال: حدثني إسحاق بن محمد النخعي وأخبرني به الحلبي عن يعقوب بن إسرائيل عن إسحاق النخعي قال: كنت جالساً مع دعبل بالبصرة وعلى رأسه غلامه ثقيف، فمر به أعرابي يرفل في ثياب خز، فقال لغلامه: ادع لي هذا الأعرابي، فأوماً الغلام إليه، فجاء، فقال له دعبل: ممن الرجل؟ قال: من بني كلاب. قال: ومن أي ولد كلاب أنت؟ قال: من ولد أبي بكر، فقال دعبل: أتعرف القائل:

ونبتت كلباً من كلاب يسبني

ومحض كلاب يقطع الصلوات

فإن أنا لم أعلم كلاباً بأنها

كلاب وأني باسل النقمات

فكان إذاً من قيس عيلان والذي

وكانت إذاً أمي من الحبطات

قال: وهذا الشعر لدعبل يقوله في عمر بن عاصم الكلابي، فقال الأعرابي: ممن أنت؟ فكره أن يقول له من خزاعة فيهجوهم، فقال: أنا أنتمي إلى القوم الذي يقول فيهم الشاعر:

أناس علي الخير منهم وجعفر

وحمزة والسجاد ذو الثغفات

إذا فخرُوا يوماً أتوا بمحمد

وجبريل والفرقان والسورات

فوثب الأعرابي وهو يقول: مالي إلى محمد وجبريل والفرقان والسورات مرتقى.

يهجو بني بسام لأن رجلاً منهم لم يقبض حاجة له: أخبرني الكوكبي قال حدثني ابن عبدوس قال:

سأل دعبل نصر بن منصور بسام حاجة، فلم يقضها لشغل عرض له دونها، فقال يهجو بني بسام:

حواجب كالجبال السود

إلى عثانين كالمخالي

وأوجه جهمة غلاظ

عطل من الحسن والجمال

يهجو أحمد بن خالد حين ولى الوزارة للمأمون: أخبرني الكوكبي قال حدثني ميمون بن هارون قال: لما ولى

أحمد بن أبي خالد الوزارة في أيام المأمون قال دعبل بن علي يهجو:

وكان أبو خالد مرة

إذا بات متخماً عاقداً

يضيق بأولاده بطنه

فيخراهم واحداً واحداً

فقد ملأ الأرض من سلحه

خنافس لا تشبه الوالدا

يهرب من المعتصم ويهجو: أخبرني الحسن بن علي قال: حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدثنا أبو ناجية

قال: كان المعتصم يبغض دعبلاً لطول لسانه، وبلغ دعبلاً أنه يريد اغتياله وقتله، فهرب إلى الجبل، وقال يهجو:

بكى لشتات الدين مكتئب صب

وفاض بفرط الدمع من عينه غرب

وقام إمام لم يكن ذا هداية  
فليس له دين وليس له لب  
وما كانت الآباء تأتي بمثله  
بملك يوماً أو تدين له العرب  
ولكن كما قال الذين تتابعوا  
من السلف الماضين إذ عظم الخطب :  
ملوك بني العباس في الكتب سبعة  
ولم تأتتا عن ثامن لهم كتب  
كذلك أهل الكف في الكهف سبعة  
خيار إذا عدوا وثامنهم كلب  
وإني لأهلي كلبهم عنك رفعة  
لأنك ذو ذنب وليس له ذنب  
لقد ضاع ملك الناس إذ ساس ملكهم  
وصيف وأشناس وقد عظم الكرب  
وفضل بن مروان يتلم ثلثة  
يظل لها الإسلام ليس له شعب

يعارض محمد بن عبد الملك الزيات في رثائه للمعتصم: أخبرني عمي قال حدثني ميمون بن هارون قال: لما مات المعتصم قال محمد بن عبد الملك الزيات يرثيه:

قد قلت إذ غيبوه وانصرفوا  
في خير قبر لخير مدفون  
لن يجبر الله أمة فقدت  
مثلك إلا بمثل هارون

فقال دعبل يعارضه:

قد قلت إذ غيبوه وانصرفوا  
في شر قبر لشر مدفون  
أذهب إلى النار والعذاب فما  
خلتكَ إلا من الشياطين  
ما زلت حتى عقدت بيعة من  
أضر بالمسلمين والدين

يكتم نسبة رثاء محمد بن عبد الملك الزيات للمعتصم: قال عمي حدثنا ابن مهرويه قال حدثني محمد بن عمر الجرجاني قال: أنشد دعبل بن علي يوماً قول بعض الشعراء:

قد قلت إذ غيبوه وانصرفوا

وذكر البيتين والجواب ولم يسم قائل المرثية ولا نسبة إلى محمد بن عبد الملك الزيات ولا غيره.

ينكر نسبة شعر إليه فيه هجاء بني العباس: أخبرني علي بن سليمان الأحفش قال حدثنا محمد بن يزيد قال: سألت دعبلاً عن هذه الأبيات:

ملوك بني العباس في الكتب سبعة

فأنكر أن تكون له، فقلت: فمن قالها؟ قال: من حشا الله قبره ناراً، إبراهيم بن المهدي، أراد أن يغري بي المعتصم فيقتلني لهجائي إياه.

يستعيد ابن المدبر أبياتاً له في هجاء بن أبي داود: أخبرني عمي والحسن بن علي جميعاً قالوا: حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال: حدثني أبي قال: كنت عند أحمد بن المدبر ليلة من الليالي، فأنشدته لدعبل في أحمد بن أبي داود قوله:

إن هذا الذي داود أبوه وإياد قد أكثر الأنباء

ساحقت أمه ولاط أبوه ليت شعري عنه فمن أين جاء!

جاء من بين صخرتين صلودين عقامين ينبتان الهباء

لا سفاح ولا نكاح ولا ما يوجب الأمهات والآباء

قال: فاستعادها أربع مرات، فظننت أنه يردي أن يحفظها، ثم قال لي: جئني بدعبل حتى أوصله إلى المتوكل، فقلت له: دعبل موسوم بهجاء الخلفاء والتشيع، وإنما غايته أن يخمل ذكره، فأمسك عني، ثم لقيت دعبلاً فحدثته بالحديث، فقال: لو حضرت أنا أحمد بن المدبر لما قدرت أن أقول أكثر مما قلت. يروي له بيت في هجاء المتوكل: أخبرني الحسن قال حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدثني محمد بن جرير قال:

أنشدني عبيد الله بن يعقوب هذا البيت وحده لدعبل يهجو به المتوكل، وما سمعت له غيره فيه:

ولست بقائل قذعا ولكن لأمر ما تعبدك العبيد

قال: يرميه في هذا البيت بالأبنة.

يهجو المعتصم والواثق حين علم نعي المعتصم: أخبرني الحسن قال: حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال: كنت مع دعبل بالصيمرة وقد جاء نعي المعتصم وقيام الواثق، فقال لي دعبل: أمعك شيء تكتب فيه؟ فقلت: نعم، وأخرجت قرطاساً، فأملني علي بديها:

الحمد لله لا صبر ولا جلد ولا عزاء إذا أهل البلا رقدوا

خليفة مات لم يحزن له أحد وآخر قام لم يفرح به أحد

يمزق قصيدة أعدها في مدح الحسن بن وهب: حدثني عمي قال: حدثنا أحمد بن عبيد الله بن ناصح قال: قلت لدعبل، وقد عرض علي قصيدة له يمدح بها الحسن بن وهب، أولها:

أعاذلتي ليس الهوى من هوائيا

فقلت له: ويحك، أتقول فيه هذا بعد قولك:

أين محل الحي يا حادي خبر سقاك الرائح الغادي

وبعد قولك:

قالت سلامة أين المال قلت لها

المال ويحك لاقى الحمد فاصطحبا

وبعد قولك:

فعلى أيماننا يجري الندى

وعلى أسيافنا تجري المهج

والله إني أراك لو أنشدته إياها لأمر بصفع قفاك، فقال: صدقت والله، ولقد نبهتني وحذرتني، ثم مزقها. يغضب على خريج له فيهجو أباه: أخبرني عمي قال: حدثني العتري قال حدثني الحسين بن أبي السري قال: غضب دعبل على أبي نصر بن جعفر بن محمد بن الأشعث - وكان دعبل مؤدبه قديماً - لشيء بلغه عنه، فقال يهجو أباه:

ما جعفر بن محمد بن الأشعث

عندي بخير أبوة من عثعث

عبتاً تمارس بي تمارس حية

سواراة إن هجتها لم تلبث

لم يعلم المغرور ماذا حاز من

خزي لو لده إذا لم يعبث

قال: فلقية عثعث، فقال له: عليك لعنة الله، أي شيء كان بيني وبينك حتى ضربت بي المثل في حسنة الآباء، فضحك، وقال: لا شيء والله، اتفقا اسمك واسم ابن الأشعث في القافية. أو لا ترضى أجعل -أباك وهو أسود- خيراً من آباء الأشعث بن قيس!.

يصف العيش الذي يرتضيه: أخبرني الحسن بن علي قال: حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال: حدثني إبراهيم بن سهل القاري، وكان يلقب أرزة قال: حدثني دعبل بن علي الخزاعي قال: كتبت إلى أبي هثثل بن حميد الطوسي قوله:

إنما العيش في منادمة الإخ

وان لا في الجلوس عند الكعاب

ويصرف كأنه ألسن البر

ق إذا استعرضت رقيق السحاب

إن تكونوا تركتم لذة العيش

حذار العقار يوم العقاب

فدعوني وما ألد وأهوى

وادفعوا بي في صدر يوم الحساب

ينشد علي بن موسى الرضا: مدارس آيات خلت: أخبرني الحسن بن علي قال: حدثنا ابن مهرويه قال: حدثني موسى بن عيسى المروزي - وكان منزله بالكوفة في رحبة طيء - قال: سمعت دعبل بن علي وأنا صبي يتحدث في مسجد المروزية قال: دخلت على علي بن موسى الرضا -عليهما السلام- فقال لي: أنشدني شيئاً مما أحدثت، فأنشدته:

مدارس آيات خلت من تلاوة

ومنزلة وحي مقفر العرصات

حتى انتهيت إلى قولي:

## إذا وتروا مدوا إلى واتريهم

## أكفا عن الأوتار منقبضات

قال: فبكى حتى أغمي عليه، وأوماً إلي خادم كان على رأسه: أن أسكت، فسكت ساعة، ثم قال لي: أعد، فأعدت حتى انتهيت إلى هذا البيت أيضاً، فأصابه مثل الذي أصابه في المرة الأولى، وأوماً الخادم إلي: أن أسكت، فسكت، فمكث ساعة أخرى ثم قال لي: أعد، فأعدت حتى انتهيت إلى آخرها، فقال لي: أحسنت، ثلاث مرات، ثم أمر لي بعشرة آلاف درهم مما ضرب باسمه، ولم تكن دفعت إلى أحد بعد، وأمر لي من في منزله بحلى كثير أخرجه إلي الخادم، فقدمت العراق، فبعت كل درهم منها بعشرة دراهم، اشتراها مني الشيعة، فحصل لي مائة ألف درهم، فكان أول مال اعتقدته .

يستوهب الرضا ثوباً لبسه ليجعله في أكفانه: قال ابن مهرويه وحديثي حذيفة بن محمد: أن دعبلا قال له: إنه استوهب من الرضا عليه السلام ثوباً قد لبسه في أكفانه فخلع جبة كانت عليه، فأعطاه إياها وبلغ أهل قم خبرها فسألوه أن يبيعهم إياها بثلاثين ألف درهم، فلم يفعل، فخرجوا عليه في طريقه، فأخذوها منه غضباً، وقالوا له: إن شئت أن تأخذ المال فافعل، وإلا فأنت أعلم. فقال لهم: إني والله لا أعطيكم إياها طوعاً، ولا تنفعكم غضباً، وأشكوكم إلى الرضا عليه السلام. فصالحوه على أن أعطوه الثلاثين الألف الدرهم وفردكم من بطانتها فرضي بذلك.

يهجو إبراهيم بن المهدي حين خرج ببغداد: أخبرني محمد بن يزيد قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه قال: يبيع إبراهيم بن المهدي ببغداد، وقد قل المال عنده، وكان قد لجأ إليه أعراب من أعراب السواد وغيرهم من أوغاد الناس، فاحتبس عنهم العطاء، فجعل إبراهيم يسوفهم ولا يرون له حقيقة إلى أن خرج إليهم رسوله يوماً وقد اجتمعوا وضجوا فصرح لهم بأنه لا مال عنده، فقال قوم من غوغاء أهل بغداد: أخرجوا إلينا خليفتنا ليغني لأهل هذا الجانب ثلاثة أصوات، ولأهل هذا الجانب ثلاثة أصوات، فتكون عطاء لهم، فأنشدني دعبل بعد ذلك بأيام قوله:

وارضوا بما كان ولا تسخطوا

يا معشر الأجناد لا تقطنوا

يلتذها الأمد والأشمط

فسوف تعطون حنينة

لا تدخل الكيس ولا تربط

والمعبيات لقوادكم

خليفة مصفحه البربط

وهكذا يرزق قواده

وزادني فيها جعفر بن قدامة:

وصح العزم فلا تسخطوا

قد ختم الصك بأرزاكم

يقتل فيها الخلق أو يقحط

بيعة إبراهيم مشئومة

يقص قصة صديق له متخلف يقول شعراً: أخبرني الحسن بن علي قال: حدثنا ابن مهرويه قال: حدثني أبو علي يحيى بن محمد بن ثوبة الكاتب قال: حدثني دعبل قال: كان لي صديق متخلف يقول شعراً فاسداً مردولاً وأنا أهماه عنه إذا أنشدني، فأنشدني يوماً:

**ليس ينجيه الفرار**

**إن ذا الحب شديد**

**من ذل المخازي**

**ونجا من كان لا يعشق**

فقلت له: هذا لا يجوز، البيت الأول على الرء، والبيت الثاني على الزاي. فقال: لا تنقطه، فقلت له: فالأول مرفوع، والثاني مخفوض. فقال: أنا أقول له لا تنقطه وهو يشكله.

يستشهده لكلمة أنكرت عليه: أخبرني الحسن قال: حدثنا ابن مهرويه قال: حدثنا محمد بن زكريا بن ميمون الفرغاني قال: سمعت دعبل بن علي يقول في كلام جرى: ليسك، فأنكرته عليه. فقال: دخل زيد الخيل على النبي صلى الله عليه وسلم فقال له: يا زيد ما وصف لي رجل إلا رأيتَه دون وصفه ليسك - يريد غيرك. يحسد شاعراً على معنى أعجبه: أخبرني الحسن قال: حدثنا ابن مهرويه قال: حدثنا علي بن عبد الله بن سعد قال: قال لي دعبل، وقد أنشدته قصيدة بكر بن خارجة في عيسى بن البراء النصراني الحربي:

**كأنه من كبدي مقدود**

**زناره في خصره معقود**

يقول شعراً كل يوم خلال ستين سنة: أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي قال: سمعت الجاحظ يقول: سمعت دعبل بن علي يقول: مكثت نحو ستين سنة ليس من يوم ذر شارقه إلا وأنا أقول فيه شعراً. يعود مفلوجاً ويعجب لخفة روحه وهو على تلك الحال: أخبرني الحسن بن علي قال: حدثني محمد بن القاسم بن مهرويه قال: حدثني أبي قال: سمعت دعبل بن علي يقول: دخلت على أبي الحارث جميز - وقد فلج - لأعوده، وكان صديقي، فقلت: ما هذا يا أبا الحرث؟ فقال: أخذت من شعري ودخلت الحمام، فغلط بي الفالج، وظن أبي قد احتجمت. فقلت له: لو تركت خفة الروح والجون في موضع لتركتهما في هذا الموضع وعلى هذه الحال. يسأل المأمون جلساءه أن ينشدوا من شعره: أخبرني الحسن بن القاسم الكوكبي قال: حدثنا أحمد بن صدقة قال: حدثني أبي قال: حدثني عمرو بن مسعدة قال:

حضرت أبا دلف عند المأمون، وقد قال له المأمون: أي شيء تروي لأخي خزاعة يا قاسم؟ فقال وأي أخي خزاعة يا أمير المؤمنين؟ قال: ومن تعرف فيهم شاعراً؟ فقال: أما من أنفسهم فأبوا الشيص ودعبل وابن أبي الشيص وأما من مواليهم فظاهر وابنه عبد الله. فقال: ومن عسى من هؤلاء أن يسأل عن شعره سوى دعبل! هات أي شيء عندك فيه. فقال وأي شيء أقول في رجل لم يسلم عليه أهل بيته حتى هجاهم، فقرن إحسانهم بالإساءة، وبذلهم بالمنع، وجودهم بالبخل، حتى جعل كل حسنة منهم بإزاء سيئة! قال: حين يقول ماذا؟ قال حين يقول في المطلب بن عبد الله بن مالك، وهو أصدق الناس له، وأقربهم منه، وقد وفد إليه إلى مصر فأعطاه العطايا الجزيلة، وولاه ولم يمنعه ذلك من أن قال فيه:

بلموم مطلب فينا وكن حكماً

اضرب ندى طلحة الطلحات متتداً

فلا تحس لها لؤماً ولا كرم

تخرج خزاعة من لؤم ومن كرم

قال: فقال المأمون: قاتله الله! ما أغوصه وأطفه وأدهاه! وجعل يضحك، ثم دخل عبد الله بن طاهر، فقال له: أي شيء تحفظ يا عبد الله لدعبل؟ فقال: أحفظ أبياتاً له في أهل بيت أمير المؤمنين، قال: هاها ويحك، فأنشده عبد الله قول دعبل:

أيام أرفل في أثواب لذاتي

سقيا ورعيا لأيام الصبابات

أصبوا إلى غير جارات وكنات

أيام غصني رطيب من ليانته

واقذف برجلك عن متن الجهالات

دع عنك ذكر زمان فات مطلبه

نحو الهداة بني بيت الكرامات

واقصد بكل مديح أنت قائله

وصفه لسفر طويل يعجب المأمون: فقال المأمون: إنه قد وجد مقالاً فقال، ونال ببعيد ذكرهم مالا يناله في وصف غيرهم، ثم قال المأمون: لقد أحسن في وصف سفر سافره، فطال ذلك السفر عليه، فقال فيه:

إلى وطن قبل الممات رجوع!

ألم يأن للسفر الذين تحملوا

نطقن بما ضمت عليه ضلوع

فقلت ولم أملك سوابق عبرة

وشمل شتيت عاد وهو جميع

تبين فكم دار تفرق شملها

لكل أناس جدبة وربيع

كذاك الليالي صرفهن كما ترى

ثم قال: ما سافرت قط إلا كانت هذه الأبيات نصب عيني وفي سفري، وهجري ومسلبي حتى أعود. يقص قصة مكار أساء جوابه: أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال: حدثني المبرد ومحمد بن الحسن بن الحرون قالاً: قال دعبل: خرجت إلى الجبل هارباً من المعتصم، فكنت أسير في بعض طريقي والمكاري يسوق بي بغلاً تحتي، وقد أتعبني تعباً شديداً، فتغنى المكاري في قولي:

ضحك المشيب برأسه فبكي

لا تعجبي يا سلم من رجل

فقلت له، وأنا أريد أن أتقرب إليه وأكف ما يستعمله من الحث للبلغل لثلا يتعبي: تعرف لمن هذا الشعر يا فتى؟ فقال: لمن ناك أمه وغرم درهين، فما أدري أي أموره أعجب: من هذا الجواب أم من قلة العرم على عظم الجناية! تغنت بشعره جارية: حدثني عمي قال: حدثني أحمد بن الطيب السرخسي قال: حضرت مجلس محمد بن علي بن طاهر وحضرته مغنية يقال لها: شنين مشهورة، فغنت:

ضحك المشيب برأسه فبكي

لا تعجبي يا سلم من رجل

ثم غنت بعده:

## لقد عجبت سلمى وذاك عجيب

فقلت لها: ما أكثر تعجب سلمى هذه! فعلمت أني أعبث بها لأسمع جوابها، فقالت متمثلة غير متوقفة ولا متفكرة:

فهلك الفتى ألا يراح إلى ندى وألا يرى شيئاً عجيباً فيعجبا

فعجبت والله من جوابها وحدثه وسرعته، وقلت لمن حضر: والله لو أجاب الجاحظ هذا الجواب لكان كثيراً منه مستظرفاً.

نسبة هذا الصوت صوت

لقد عجبت سلمى وذاك عجيب رأت بي شيئاً عجلته خطوب

وما شيبنتي كبرة غير أنني بدهر به رأس الفطيم يشيب

الغناء ليحيى المكي، ثقيل أول بالوسطى من كتاب أبيه أحمد.

صديق له يصنع كل غناء بشعره: حدثني جعفر بن قدامة قال: حدثني محمد المرتجل بن أحمد بن يحيى المكي قال: كان أبي صديقاً لدعبل، كثير العشرة له، حافظاً لغيبه، وكل شعر يغنى فيه لدعبل فهو من صنعة أبي، وغنائي من صنعة أبيه في شعر دعبل، والطريقة فيه خفيف ثقيل في مجرى البنصر:

سرى طيف ليلي حين أن هبوب وقضيت شوقاً حين كاد يذوب

فلم أر مطروقاً يحل برحله ولا طارقاً يقرى المنى ويثيب

وأنشدي عمي هذين البيتين عن أحمد بن يحيى بن أبي طاهر وابن مهرويه جميعاً لدعبل.

ينفي أنه صاحب أبيات في هجاء بني العباس: حدثني حبيب بن نصر المهلب قال: حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال: سألت دعبلًا من الذي يقول:

ملوك بني العباس في الكتب سبعة

فقال: من أضرم الله قبره ناراً، إبراهيم بن المهدي، قال ابن أبي سعد: وحدثني عبد العزيز بن سهل أنه سأله عنها فاعترف بها.

يهجو طاهر بن الحسين: حدثني عمي قال: أنشدني ابن أخي دعبل لعمه في طاهر بن الحسين، وكان قد نقم عليه أمراً أنكره منه:

وذي يمينين وعين واحده نقصان عين ويمين زائده

نزر العطيات قليل الفائدة أعضه الله ببظر الوالده

يهجو أخوين لم يرض ما فعلاً: حدثني جحظة قال: حدثني ميمون بن هارون قال: كان دعبل قد مدح دينار بن عبد الله وأخاه يحيى، فلم يرض ما فعلاه، فقال يهجوهم:

ما زال عصياننا لله يردلنا  
حتى دفعنا إلى يحيى ودينار  
وغدين علجين لم تقطع ثمارهما  
قد طال ما سجداً للشمس والنار  
يهجو الأخوين والحسن بن سهل معهما:

قال: وفيهما وفي الحسن بن سهل يقول أيضاً دعبل يهجوهم، والحسن بن رجاء وأبيه أيضاً:

ألا فاشتروا مني ملوك المخزم  
أبع جسناً وابني رجاء بدرهم  
وأعطر رجاء فوق ذلك زيادة  
وأسمح بدينار بغير تندم  
فإن رد من عيب علي جميعهم  
فليس يرد العيب يحيى بن أكنم

انخرافه عن الطاهرية وهجاؤه فيهم: أخبرني الحسن بن علي قال: حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال: حدثني أبو الطيب الحراني قال: كان دعبل منحرفاً عن الطاهرية مع ميلهم إليه وأيادهم عنده، فأنشدني لنفسه فيهم:

وأبقى طاهر فينا ثلاثاً  
عجائب تستخف لها الحلوم  
ثلاثة أعبد لأب وأم  
تميز عن ثلاثتهم أروم  
فبعض في قريش منتماه  
ولا غير ومجهول قديم  
وبعضهم يهش لآل كسرى  
ويزعم أنه عالج لثيم  
فقد كثرت مناسبتهم علينا  
وكلهم على حال زنيم

يهجو رجلاً لقبح وجهه: أخبرني الحسن بن علي قال: حدثنا ابن مهرويه قال: حدثني أبي قال: كان صالح بن عطية الأضجم من أبناء الدعوة، وكان من أقبح الناس وجهاً، وكان يتزل واسطاً، فقال فيه دعبل:

أحسن ما في صالح وجهه  
فقس على الغائب بالشاهد  
تأملت عيني له خلقة  
تدعو إلى تزنية الوالد

قال وقال فيه أيضاً، وخطاب فيها المعتصم:

قل للإمام إما آل محمد  
قول امرئ حذب عليك محام  
أنكرت أن تفتر عنك صنيعه  
في صالح بن عطية الحجام  
ليس الصنائع عنده بصنائع  
لكنهن طوائف الإسلام  
اضرب به جيش العدو فوجهه  
جيش من الطاعون والبرسام

يعرض شعره على مسلم بن الوليد أو يكتمه حتى أذن له في إظهاره: أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال: أخبرني إبراهيم بن محمد الوراق قال: حدثني الحسين بن أبي السري قال: قال لي دعبل: ما زلت أقول شعر وأعرضه على مسلم، فيقول لي: أكنتم هذا حتى قلت:

### أين الشباب وأية سلكا ، أين يطلب ضل؟ بل هلكا

فلما أنشدته هذه القصيدة قال: اذهب الآن فأظهر شعرك كيف شئت لمن شئت . ينسبه أبو تمام إلى قصيدة من شعره: قال إبراهيم: وحدثني الفتح غلام أبي تمام الطائي، وكان أبو سعيد الثغري اشتراه له بثلثمائة دينار لينشد شعره، وكان غلاماً أديباً فصيحاً، وكان إنشاد أبي تمام قبيحاً، فكان ينشد شعره عنه، فقال: سألت مولاي أبا تمام عن نسب دعبل فقال: هو دعبل بن علي الذي يقول:

### ضحك المشيب برأسه فبكي

يهجر مسلم بن الوليد حين وفد عليه فجفاه: قال الفتح: وحدثني مولاي أبو تمام قال: ما زال دعبل مائلاً إلى مسلم بن الوليد مقرأً بأستاذيته حتى ورد عليه جرجان فجفاه مسلم، وكان فيه بخل، فهجره دعبل وكتب إليه:

أبا مخلد كنا عقيدي مودة هوانا وقلباناً جميعاً معاً معاً

أحوطك بالغيب الذي أنت حائطي وأيجمع إشفافاً لأن تتوجعا

فصيرتني بعد انتكاسك متهما لنفسي، عليها أرهب الخلق أجمعا

غششت الهوى حتى تداعت أصوله بنا وابتذلت الوصل حتى تقطعا

وأنزلت من بين الجوانح والحشا ذخيرة ود طالما تمنعا

فلا تعدلني ليس لي فيك مطمع تخرقت حتى لم أجد لك مرقعا

فهبك يميني استأكلت فقطعتها وجشمت قلبي صبره متشجعا

ويروى: وحملت قلبي فقدها. قال ثم تهاجرا، فما التقيا بعد ذلك.

استمسك خزاعة بانتمائه إليهم: أخبرني محمد بن خلف قال: حدثني إبراهيم بن محمد قال: حدثنا الحسين بن علي قال: قلت لابن الكلبي: إن دعبلأ قطعني ، فلو أخبرت الناس أنه ليس من خزاعة، فقال لي: يا فاعل، مثل دعبل تنفيه خزاعة! والله لو كان من غيرها لرغب فيه حتى تدعيه. دعبل والله يا أخي خزاعة كلها.

يقص خبر رحلته إلى مصر يقصد المطلب في ولايته: أخبرني محمد بن المرزبان قال: حدثني إبراهيم بن محمد الوراق عن الحسين بن أبي السري عن عبد الله بن أبي الشيص قال: حدثني دعبل قال: حججت أنا وأخي رزين وأخذنا كتباً إلى المطلب بن عبد الله بن مالك وهو بمصر يتولاها، فصرنا من مكة إلى مصر، فصحبنا رجل يعرف بأحمد بن فلان السراج، نسي عبد الله بن أبي الشيص اسم أبيه، فما زال يحدثنا ويؤانسنا طول طريقنا، ويتولى خدمتنا كما يتولاها الرفقاء والأتباع. ورأيناه حسن الأدب، وكان شاعراً، ولم نعلم، وكنتمنا نفسه، وقد علم ما

قصدا له فعرضنا عليه أن يقول في المطلب قصيدة، ننحله إياها. فقال: إن شئتم، وأرانا بذلك سروراً وتقبلاً له، فعملنا قصيدة، وقلنا له: تنشدها المطلب فإنك تنتفع بها. فقال: نعم. ووردنا مصربه، فدخلنا إلى المطلب، وأوصلنا إليه كتباً كانت معناً، وأنشدناه. فسر بموضعنا، ووصفنا له أحمد السراج هذا، وذكرنا له أمره، فأذن له، فدخل عليه ونحن نظن أنه سينشد القصيدة التي نحلناه إياها، فلما مثل بين يديه عدل عنها وأنشده:

لم آت مطلباً إلا بمطلب وهمة بلغة بي غاية الرتب

أفردته برجاء أن تشاركه في الوسائل أو ألقاه في الكتب

قال: وأشار إلى كتيبي التي أوصلتها إليه وهي بين يديه، فكان ذلك أشد من كل شيء مر بي منه علي، ثم أنشده:

رحلت عنسى إلى البيت الحرام على ما كان من وصب فيها ومن نصب

ألقي بها وبوجهي كل هاجرة تكاد تقدح بين الجلد والعصب

حتى إذا ما قضت نسكي تثيت لها عطف الزمام فأمت سيد العرب

فيممتك وقد ذابت مفاصلها من طول ما تعب لاقت ومن نقب

إني استجرت بإستارين مستلماً ركنين: مطلباً والبيت ذا الحجب

فذاك للآجل المأمول ألمسه وأنت للعاجل المرجو والطلب

هذا ثنائياً وهذي مصر سائحة وأنت أنت وقد ناديت من كتب

قال: فصاح مطلب: لبيك لبيك: ثم قام إليه فأخذ بيده، وأجلسه معه، وقال: يا غلمان، البدر، فأحضرت، ثم قال: الخلع: فنشرت، ثم قال: الدواب، فقيدت، فأمر له من ذلك بما ملأ عينه وأعيننا وصدورنا وحسدناه عليه، وكان حسدنا له بما اتفق له من القبول وجودة الشعر، وغيظنا بكتمه إيانا نفسه واحتياله علينا أكثر وأعظم، فخرج بما أمر له به، وخرجنا صفراً.

يوليه المطلب أسوان: فمكثنا أياماً، ثم ولي دعبل بن علي أسوان، وكان دعبل قد هجا المطلب غيظاً منه فقال:

تعلق مصر بك المخزيات وتبصق في وجهك الموصل

وعاديت قوماً فما ضرهم وشرفت قوماً فلم ينبلوا

شعارك عند الحروب النجاء وصاحبك الأخور الأفضل

فأنت إذا ما التقوا آخر وأنت إذا انهزموا أول

وقال فيه:

اضرب ندى طلحة الطلحات متتدا بلؤم مطلب فينا وكن حكماً

تخرج خزاعة من لؤم ومن كرم فلا تعد لها لؤماً ولا كرماً

من قصيدته في مدح المطلب:

قال: وكانت القصيدة التي مدح بها دعبل المطلب قصيدته المشهورة التي يقول فيها:

أبعد مصر وبعد مطلب  
ترجو الغنى إن ذا من العجب  
إن كاثرونا جننا بأسرته  
أو واحدونا جننا بمطلب

يعزله المطلب عن أسوان حين بلغه هجاؤه له: قال وبلغ المطلب هجاؤه إياه بعد أن ولاه، فعزله عن أسوان، فأنفذ إليه كتاب العزل مع مولى له، وقال: انتظره حتى يصعد المنبر يوم الجمعة، فإذا علاه فأوصل الكتاب إليه، وامنعه من الخطبة، وأنزله عن المنبر، واصعد مكانه. فلما أن علا المنبر وتحنح ليخطب ناوله الكتاب، فقال له دعبل: دعني أخطب، فإذا نزلت قرأته. قال: لا، قد أمرني أن أمنعك الخطبة حتى تقرأه، فقرأه وأنزله عن المنبر معزولاً.

قال: فحدثني عبد الله بن أبي الشيص قال: قال لي دعبل قال لي المطلب: ما تفكرت في قولك قط:

إن كاثرونا جننا بأسرته  
أو واحدونا جننا بمطلب

إلا كنت أحب الناس إلي، ولا تفكرت والله في قولك لي:

وعاديت قوماً فما ضرهم  
وقدمت قوماً فلم ينبلوا

إلا كنت أبغض الناس إلي.

معنى إستارين في شعره: قال ابن المرزبان حدثني من سأل الرياشي عن قوله: إستارين، قال: يجوز على معنى إستار كذا، وإستار كذا. وأنشدنا الرياشي:

سعى عقالا فلم يترك لنا سبدا  
فكيف لو قد سعى عمرو عقالين  
لأصبح القوم أفاضاً فلم يجدوا  
يوم الترحل والهيجا حمالين  
هجاؤه المطلب:

أخبرني حبيب بن نصر المهلي قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال: حدثني عبد العزيز بن سهل قال: لما قصد دعبل عبد المطلب بن عبد الله بن مالك إلى مصر ولم يرض ما كان منه إليه قال فيه:

أمطلب أنت مستعذب  
حميا الأفاعي ومستقبل  
فإن اشف منك تكن سبة  
وإن أعف عنك فما تعقل  
ستأتيك إما وردت العراق  
صحائف يأتها دعبل  
منمقة بين أثنائها  
مخاز تحط فلا ترحل  
وضعت رجالاً فما ضرهم  
وشرفت قوماً فلم ينبلوا

فأيهم الزين وسط الملا  
عطية أم صالح الأحول؟  
أم الباذجاني أم عامر  
تتوط مصر بك المخزيات  
وتبصق في وجهك الموصل  
ويوم السراة تحسيتها  
يطيب لدى مثلها الحنظل  
توليت ركضاً وفتياننا  
صدر القنا فيهم تعمل  
إذا الحرب كنت أميراً لها  
فحظهم منك أن يقتلوا  
فمنك الرؤوس غداة اللقاء  
وممن يحاربك المنصل  
شعارك في الحرب يوم الوغى  
إذا انهزموا: عجلوا عجلوا  
هزائمك الغر مشهورة  
يقرطس فيهن من ينضل  
فأنت لأولهم آخر  
وأنت لآخرهم أول

ومن هجائه المطلب: أخبرني عمي قال أنشدنا المبرد لدعبيل يهجو المطلب بن عبد الله ويعيره بغلامين: علي وعمرو، وكان يتهم بما:

فأير علي له آلة  
وفقحة عمرو له ربه  
فطورا تصادفه جعبة  
وطوراً تصادفه حربه

ومن مدحه إياه: وأنشدني ابن عمار عن أحمد بن سليمان بن أبي شيخ لدعبيل يمدح المطلب بن عبد الله بن مالك، وفيه غناء.  
صوت

زمني بمطلب سقبت زمانا  
ما كنت إلا روضة وجنانا  
كل الندى إلا نذاك تكلف  
لم أرض بعدك كائناً من كانا  
أصلحتني بالبر بل أفسدتني  
فتركتني أتسخط الإحسانا

سبب سخطه على المطلب: وقد أخبرني بخره الأول الطويل مع المطلب الحسن بن علي عن أحمد بن محمد حدان عن أحمد بن يحيى العدوي أن سبب سخطه على المطلب أن رجلاً من العلويين كان قد تحرك بطنجة، فكان يث دعائه إلى مصر، وخافه المطلب، فوكل بالأبواب من يمنع الغرباء دخولها.

فلما جاء دعبيل منع فأغظ للذي منعه، فقتعه بالسوط وحبسه، مضى رزين فأخبر المطلب، فأمر بإطلاقه، ودعا به فخلع عليه. فقال له: لا أرضى أو تقتل الموكل بالباب فقال له: هذا لا يمكن لأنه قائد من قواد السلطان،

فغضب ثم أنشده الرجل الأبيات المذكورة، فأجازه، وحكى أن اسمه محمد بن الحجاج، لا أحمد بن السراج. وسائر الخبر مثله.

سبب مناقضته أبا سعد المخزومي: وكان سبب مناقضته أبا سعد المخزومي وما خرج إليه الأمر بينهما قول دعبيل قصيدته التي هجا فيها قبائل نزار، فحمي لذلك أبو سعد، فهجاهم، فأجابه أبو سعد، ولج الهجاء بينهما. وروي أنه نزل بقوم بن بني مخزوم، فلم يضيفوه، فهجاهم، فأجابه أبو سعد ولج الهجاء بينهما. أخبرني عمي والحسن بن علي الخفاف قالا: حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال: حدثني محمد بن الأشعث قال: حدثني دعبيل أنه ورزينا العروضي نزلا بقوم من بني مخزوم، فلم يقروهما، ولا أحسنوا ضيافتهما فقال دعبيل: فقلت فيهم:

**عصابة من بني مخزوم بت بهم** **بحيث لا تطمع المسحاة في الطين**

ثم قلت لرزين: أجز فقال:

**في مضغ أعراضهم من خبزهم عوض** **بني النفاق وأبناء الملاعين**

قال ابن الأشعث: فكان هذا أول الأسباب في مهاجته لأبي سعد.

أخبرني محمد بن عمران الصيرفي قال: حدثني العتري قال: حدثني علي بن عمر الشيباني أن الذي هاج الهجاء بين أبي سعد ودعبيل قصيدته القحطانية التي هجا فيها نزاراً، فأجابه عنها أبو سعد، ولج الهجاء بينهما. أخبرني الحسن بن علي قال: حدثنا محمد بن القاسم قال: حدثني أحمد بن أبي كامل قال: كان سبب وقوع الهجاء بين دعبيل وأبي سعد قول دعبيل في قصيدة يفخر فيها بخزاعة، ويهجو نزاراً، وهي التي يقول فيها:

**أتانا طالباً وعرأ** **فأعقبناه بالوعر**

**وترناه فلم يرض** **فأعقبناه بالوتر**

فغضب أبو سعد، وقال قصيدته التي يقول فيها لدعبيل، وهي مشهورة:

**وبالكرخ هوى أبقى** **على الدهر من الدهر**

**هوى والحمد لله** **كفاني كلفة العذر**

قال: ثم التحم الهجاء بينهما بعد ذلك.

من هجاء أبي سعد المخزومي له: أخبرني الحسن بن علي قال: حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال: حدثني أحمد بن هارون قال: دخلت على أبي سعد المخزومي يوماً وهو يقول: وأي شيء ينفعني؟ أجود الشعر فلا يروى، ويرذل فيروى، ويفضحني برديته، ولا أفضحه بجيدي، فقلت: من تعني يا أبا سعد؟ فقال: من تراني أعني إلا من عليه لعنة الله دعبلاً! فقلت فيه:

**ليس لبس الطيالس** **من لباس الفوارس**

لا ولا حومة الوعى  
كصدور المجالس  
ضرب أوتار نفنن  
غير ضرب القوانس  
وظهور الجياد غير ظهور الطناقس  
ليس من ضارس الحرو  
بأبي غرس فتية  
ب كمن لم يضارس  
من كرام المغارس  
فتية من بني المغيرة شم المعاطس  
يطعمون السديف في  
في جفان كأنها  
ثم يمشون في السنو  
ويخوضون باللوا  
نحن خير الأنام عند قياس المقاييس

فو الله ما التفت إليها في مصرنا هذا إلا علماء الشعر: وقال هو في:

يا أبا سعد قوصره  
زانى الأخت والمره  
لو تراه محنباً  
خلته عقد قنطره  
أو ترى الأير في استه  
قلت ساق بمقطره

قال: فوالله لقد رواه صبيان الكتاب ومارة الطريق والسفل، فما أجتاز بموضع إلا سمعته من سفلة يهدرون به ، فمنهم من يعرفني فيعيني به، ومنهم من لا يعرفني، فأسمعه منه لسهولته على لسانه.

يذكر أن المحزومي دس في شعره ما لم يقله: أخبرني محمد بن عمران الصيرفي ومحمد بن يحيى الصولي وعمي قالوا: حدثنا الحسن بن عليل العتري قال: حدثني علي بن أبي عمرو الشيباني قال: جاءني إسماعيل بن إبراهيم بن ضمرة الخزاعي، فقال لي: إني سألت دعبلأ أن أقرأ عليه قصيدته التي يناقض بها الكميت:

أفيقي من ملامك يا طعينا  
كفالك اللوم مر الأربعينا

فقال لي إسماعيل: قال لي دعبل: يا أبا الحسن فيها أخبار وغريب، فليكن معك رجل يقرأها علي وأنت معه، فيكون أهون علي منك، فقلت له: لقد اخترت صديقاً لي يقال له: علي، فقال: أمن العرب هو؟ قلت: نعم. قال: من أي العرب؟ قلت: من بني شيبان. قال: شيبان كندة؟ فقلت: بل شيبان ربيعة. فقال لي: ويحك! أتأتيني برجل أسمعه ما يكره في قومه؟ فقلت له: إنه رجل يحتمل، ويجب أن يسمع ما له وعليه. فقال: في مثل هذا رغبة

، فأتني به، فصرنا إليه، فلما لقيه قال: قد أحبرني عنك أبو الحسن بما سررت به؛ أن كنت رجلاً من العرب تحب أن تسمع ما لك وعليك لكيلا تغبن، فقرأنا عليه الشعر حتى انتهينا في القصيدة إلى قوله:

### من أي ثنية طلعت قریش وكانوا معشراً منتبطينا

فقال دعبل: معاذ الله أن يكون هذا البيت لي، ثم قال: لعنه الله وانتقم منه -يعني أبا سعد المخزومي - دسه والله في هذا الشعر وضرب بيده إلى سكين كانت معه فجرد البيت بحدها ثم قال لنا: أحدثكم عنه بحديث طريف: يزوره المخزومي ويجالسه، ويرسل إليه حين انصرف هجاء فيه: جاءني يوماً ببغداد أشد ما كان بيني وبينه من الهجاء، وبين يدي صحيفة ودواة، وأنا أهجوه فيها، إذ دخل علي غلام لي فقال: أبو سعد المخزومي بالبواب. فقلت له: كذبت. فقال، وهو عارف بأبي سعد: بلى والله يا مولاي، فأمرته برفع الدواة والجلد الذي كان بين يدي، وأذنت له في الدخول، وجعلت أحمد الله في نفسي، فأقول: الحمد لله الذي أصلح بيني وبينه من هتك الأعراض وذكر القبيح، وكان الابتداء منه. فقممت إليه وسلمت عليه وهو ضاحك مسرور، فأبدت له مثل ذلك من السرور به، ثم قلت: أصبحت والله حاسداً لك. قال: علي ماذا يا أبا علي؟ فقلت: بسبقك إياي إلى الفضل. فقال لي: أنا اليوم في دعوى عندك، فقلت: قل ما أحببت. فقال: إن كان عندك ما نأكله، وإلا ففي منزلي شيء معد. فسألت الغلمان فقالوا: عندنا: قدر أمسية. فقال: غاية واتفاق جيد. فهل عندك شيء نشربه، وإلا وجهت إلى منزلي ففيه شراب معد؟ فقلت له: عندما ما نشرب، فطرح ثيابه ورد دابته وقال: أحب ألا يكون معنا غيرنا، فتغدينا وشربنا، فلما أن أخذ الشراب منا قال: مر غلاميك يغنياني، فأمرت الغلامين فغنياه، فطرب وفرح، واستحسن الغناء حتى سرني وأطربني معه، ثم قال: حاجتي إليك يا أبا علي أن تأمرهما بأن يغنياني في هجائك لي -وكان الغلمان لكثرة ما يسمعانه مني في هجائي قد حفظا منه أشياء ولحناها- فقلت له: سبحان الله يا أبا سعد قد طفئت النائرة، وذهبت العداوة بيننا، وانقطع الشر. فما حاجتك إلى هذا؟ فقال لي: سألتك بالله إلا فعلت، فليس يشق ذلك علي. ولو كرهته لما سألته. فقلت في نفسي: أترى أبا سعد يتماجن علي؟ يا غلمان فغنوه بما يريد، فقال غنوه:

### زاني الأخت والمره

يا أبا سعد قوصره وهو يحرك رأسه وكتفيه، ويطرب ويصفق، فما زلنا يومنا مسرورين. فلما ثمل ودعني وقام فانصرف وأمرت غلماني فخرجوا معه إلى الباب، فإذا غلام منهم قد انصرف إلي بقطعة قرطاس، وقال: دفعها إلي أبو سعد المخزومي، وأمرني أن أدفعها إليك. قال: فقرأتها، فإذا فيها:

### فلست حتى الممات أنساها

### ودس بامرأته فنكناها

### يا أبا سعد قوصره

### لدعبل منة يمن بها

### أدخلنا بيته فأكر منا

فقال: ويلي علي ابن الفاعلة، هاتوا جلدًا ودواة، قال فردوهما علي، فعدت إلى هجائه، ولقيته بعد يومين أو ثلاثة، فما سلم علي، ولا سلمت عليه.

أخبرني الحسن بن علي قال: حدثنا ابن مهرويه قال: حدثنا علي بن عبد الله بن سعد، أنه سمع دعبلاً يحدث بخره هذا مع أبي سعد، فذكر نحو ما ذكره العتري.

يشد علي المخزومي فيقنعه بسيفه: أخبرني الحسن بن علي قال: حدثنا محمد بن القاسم قال: حدثني أحمد بن أبي كامل قال: رأيت دعبلاً قد لقي أبا سعد في الرصافة، وعليهما السواد وسيفاهما على أكتافهما، فشد دعبل علي أبي سعد فقنعه، فركض أبو سعد بين يديه هارباً، وركض دعبل في أثره وهو يهرب منه حتى غاب.

يهجو المخزومي حين انتفى منه بنو مخزوم:

قال: وكنت أرى أبا سعد يجلس مع بني مخزوم في دار المأمون، فتظلموا منه إلى المأمون، وذكروا أنهم لا يعرفون له فيهم نسباً، فأمرهم المأمون بنفيه، فانتفوا منه، وكتبوا بذلك كتاباً. فقال دعبل فيه يذكر ذلك من قصيدة طويلة:

قنعوه بخزايه

غير أن الصيد منهم

فهو بين الناس آيه

كتبوا الصك عليه

قيل قد جاء النفايه

فاذا أقبل يوماً

وقال فيه أيضاً:

عليك وشنوا فوق هامتك القفدا

هم كتبوا الصك الذي قد علمته

قال: وكان إذا قيل له ذلك شيء في نسبه قال: أنا عبد ابن عبد. قال: ونظر دعبل فرأى علي أبي سعد قباء مروياً مصبوغاً بسواد، فقال: هذا دعي علي دعي.

يرى دفتر شعر المخزومي فيملي هجاء له على حامله: أخبرني الحسن بن علي قال: حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال: حدثني أحمد بن مروان مولى الهادي قال: لقيني أبو سعد المخزومي على ظهر الطريق فقال لي: يا أحمد أنا أدرس شكائتك إلى أبيك، قال فقلت: ولم أبقاك الله؟ قال: فما فعل دفتر البزاريات؟ قلت: هو ذا أحيئك به، فلما صليت الظهر جئت بالدفتر أريده، فمررت بدعبل فدققت بابه، فسمعتة يقول لجارية له: يا دراهم، انظري من الباب. فقال له: أحمد بن مروان. فقال: افتحي له، فلما دخلت قلت له: أيش هو دراهم من الأسماء؟ قال: سميتم جواريكم دنانير، فسمينا جوارينا بدراهم. ثم قال: ما هذا معك؟ قلت: دفتر فيه شعر أبي سعد في البزاريات، فأخذته فنظر فيه وابنه علي بن دعبل بن علي معه، فلما بلغ من نظره إلى شعره الذي يقول فيه:

فهو مجم الهم خزانه

مالت إلى قلبك أحزانه

قال له ابنه علي: فما كان عليه با أبت لو قال في شعره:

عادت إلى قلبك أحزانه؟

فقال دعبل: صدقت والله يا بني، أنت والله أشعر منه، قال: ثم إنه أملي علي دعبل إملاء:

ما كنت أحسب أن الدهر يمهلني حتى أرى أحداً يهجوهُ لا أحد

إني أعجب ممن في حقيته من المني بحور كيف لا يلد؟

فإن سمعت به بعت القنا عبثاً فقد أراد قناً ليست له عقد

ثم صرت إلى أبي سعد، فلما رأي من بعيد قال: يا أحمد، من أين أقبلت؟ قلت: من عند دعبل. قال: وما دعبلت عنده؟ فأنشدته شعر دعبل فيه، وأخبرته بما قال ابنه في شعره، فقال: صدق والله، في أي سن هو؟ قلت: قد بلغ، فدعا بدواة وقرطاس وقال: اكتب فكتبت:

لا والذي خلق الصهباء من ذهب والماء من فضة لا ساد من بخلا

يقول لي دعبل في بطنه حبل ولو أصاب ثيابي دعبل حبلا

ودعبل رجل ما شئت من رجل لو كان أسفله من خلفه رجلا

قال: ثم هجاني أبو سعد، فقال:

عدو راح في ثوبي صديق شريك في الصبوح وفي الغبوق

له وجهان ظاهره ابن عم وباطنه ابن زانية عتيق

يسرك معلنا ويسوء سراً كذلك يكون أبناء الطريق

يخاف بنو مخزوم هجاءه فينفون المخزومي عنهم: أخبرني عمي والحسن بن علي قالاً: حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال: حدثنا أبو ناجية -شيخ من ولد زهير بن أبي سلمى- قال: حضرت بني مخزوم وهم ببغداد، وقد اجتمعوا على أبي سعد لما لج الهجاء بينه وبين دعبل، وقد خافوا لسان دعبل، وأن يقطعهم ويهجوهم هجاء يعمهم جميعاً، فكتبوا عليه كتاباً، وأشهدوا أنه ليس منهم. فحدثني غير واحد أنه أتى حينئذ بخاتمة النقاش، فنقش عليه: أبو سعد العبد ابن العبد بري من بني مخزوم تمأوناً بما فعلوه.

المخزومي يحرص المأمون عليه فلا يستجيب له: أخبرني علي بن سليمان الأحفش قال: حدثني محمد بن يزيد قال: كان أبو سعد المخزومي قد كان يستعلي على دعبل في أول أمره، وكان يدخل إلى المأمون فينشده هجاء دعبل له وللخلفاء، ويحرضه عليه وينشده جوابه، فلم يجد عند المأمون ما أراد فيه.

يعترض ابن أبي الشيص بينهما، ويهجو المخزومي: وكان يقول: الحق في يدك والباطل في يد غيرك، والقول لك

ممكن، فقل ما يكذبه ، فأما القتل فإنني لست أستعمله فيمن أعظم ذنبه، أفأستعمله في شاعر! فاعترض بينهما ابن أبي الشيص، فقال يهجو أبا سعد:

أنا بشرت أبا سعد فأعطاني البشاره

بأب صيد له بال  
فهو يوماً من تميم  
كل يوم لأبي سعد على الأنساب غاره  
خزمت مخزوم فاه  
قال: وقال فيه ابن أبي الشيص أيضاً:

أبا سعد بحق الخم  
أقلت الحق في النسبة أم تحلم في نومك؟  
ابن لي أيها المعرور  
فولى قائلاً لو شئت قد أقصرت من لومك  
ودعني أك من شئت  
من هجائه في المخزومي: وقال فيه دعبل:

إن أبا سعد فتى شاعر  
ينشد في حي معد أبا  
فرحمة الله على مسلم  
يعرف بالكنية لا الوالد  
ضل عن المنشود والناشد  
أرشد مفقوداً إلى فاقد

يغري الصبان أن يصيحوا بهجائه في المخزومي: أخبرني الحسن بن علي قال: حدثنا ابن مهرويه قال: حدثني أحمد بن عثمان الطبري قال: سمعت دعبل بن علي يقول: لما هاجيت أبا سعد أخذت معي جوزاً ودعوت الصبيان فأعطيتهم منه، وقلت لهم: صيحوا به قائلين:

يا أبا سعد قوصره  
زاني الأخت والمره

فصاحوا به، فغلبته.

تخريص آخر للمأمون عليه: أخبرني الحسن بن علي، قال حدثني ابن مهرويه، قال: حدثني أحمد بن مروان قال: حدثني أبو سعد المخزومي واسمه عيسى بن خالد بن الوليد قال: أنشدت المأمون قصيدتي الدالية التي رددت فيها على دعبل قوله:

ويسومني المأمون خطة عاجز

أو ما أرى بالأمس رأس محمد !

وأول قصيدي:

أخذ المشيب من الشباب الأغيد

والنائبات من الأنام بمرصد

ثم قلت: يا أمير المؤمنين، ائذن لي أن أحيئك برأسه. قال: لا، هذا رجل فخر علينا فافخر عليه كما فخر علينا، فأما قتله بلا حجة فلا.

يذكر هجائه للمخزومي فيه وقد رأي وجهه في المرأة: أخبرني عمي والحسن بن علي عن أحمد بن أبي طاهر قال: حدثني أبو السري عمرو الشيباني قال: نظر دعبل يوماً في المرأة، فجعل يضحك، وكانت في عنفقه سلعة، فقلت له: من أي شيء تضحك؟ قال: نظرت إلى وجهي في المرأة، ورأيت هذه السلعة التي في عنفقي، فذكرت قول الفاجر أبي سعد:

وسلعة سوء به سلعة

ظلمت أباه فلم ينتصر

ينشده منشد قصيدة للمخزومي فيه: أخبرني محمد بن عمران الصيرفي قال: حدثنا الحسن بن عليل العتري قال: قال عبد الله بن الحسن بن أحمد مولى عمر بن عبد العزيز قال: حدثنا محمد بن علي الطالبي قال: لقيت دعبل بن علي، فحدثني أن أبا عمرو الشيباني سأله: ما هو دعبل؟ فقلت له: لا أدري، فقال: إنها الناقة المسنة. قال محمد بن علي الطالبي: ثم تحدثنا ساعة، فقلت: أما ترى لأبي سعد يا أبا علي وانهماكه في هجائك؟ فقال دعبل: لكني لم أقل فيه إلا أبياتاً سخيطة يلعب بها الصبان والإماء، وأنشدني قوله فيه:

يا أبا سعد قوصره

زاني الأخت والمره

لو تراه محنباً

خلته عقد قنطره

أو ترى الأير في استه

قلت ساق بمقطره

قال محمد، فقلت لدعبل: دع عنك ذا، فقد والله أوجعك الرجل، فإذا أجبته بجواب مثله انتصفت، وإلا فإن هذا اللو الذي فخرت به يسقط وتفضح آخر الدهر، قال: ثم أنشدته قول أبي سعد فيه:

لم يبق لي لذة من طية بدد

ولا المنازل من خيف ولا سند

أبعد خمسين عادت جاهليته

ياليت ما عاد منها اليوم لم يعد

وما تزيد عيون العين من رجل

كر الجديان في أيامه الجدد

أبدى سرائره وجدا بغانية

ولو أطاع مشيب الرأس لم يجد

واستمطرت عبرات العين منزلة

لم يبق منها سوى الآري والوتد

وما بكاؤك داراً لا أنيس بها

إلا الخواضب من خيطانها الريد

لدعبل وطر في كل فاحشة  
ولي قواف إذا أنزلتها بلداً  
لو باد لؤم بني قحطا لم يبد  
طارت بهن شياطيني إلى بلد  
لم ينج من خيرها أو شرها أحد  
فاحذر شأبيها إن كنت من أحد

إن الطرماح نالته صواعقها  
وأنت أولى بها إذ كنت وارثه  
في ظلمة القبر بين الهام والصرد  
فابعد وجهك أن تتجو على البعد  
تهجو نزاراً وترعى في أرومتها  
إنني إذا رجل دببت عقاربه  
زدني أزدك هواناً أنت موضعه  
لو كنت متئداً فيما تآلفه  
أو كنت معتمداً منه على ثقة  
من المكارم قلنا: طول معتمد  
بلا ولي ولا مولى ولا عضد  
لقد تقلت أمراً لست نائله  
وقد رميت بياض الشمس تحسبه  
ببياض بطنك من لؤم ومن نكد  
لا توعدني بقوم أنت ناصرهم  
واقعد فإنك نومان من القعد  
لله معتصم بالله، طاعته  
قضية من قضايا الواحد الصمد

قال، فلما أنشدتها دعبلًا، قال: أنا أشتمه وهو يشتمني، فما إدخال المعتصم بيننا؟ وشق ذلك عليه وخافه، ثم قال نقيض هذه القصيدة:

### منازل الحي من غمدان فالنضد

وهي طويلة مشهورة في شعره، هكذا قال العتري في الخبر، ولم يأت بها.  
بمر بأبي سعيد على جسر بغداد فيشتمه: حدثنا محمد قال: حدثنا العتري قال: حدثني عبد الله بن الحسين عن  
محمد بن علي الطالبي قال: عبر دعبل الجسر ببغداد، وأو سعد واقف على دابته عند الجسر، وعليه ثوب صوف  
مشبه بالخز مصبوغ، فضرب دعبل بيده على فخذه، وقال: دعي علي دعي.  
حديث بين عبد الله بن طاهر والضيبي عن نسبه: أخبرني محمد بن جعفر الصيدلاني صهر المبرد قال: حدثني محمد  
بن موسى الضبي راوية العتايي، وكان نديماً لعبد الله بن طاهر قال: بينما هو ذات ليلة يذاكرنا بالأدب وأهله  
وشعراء الجاهلية والإسلام إذ بلغ إلى ذكر المحدثين حتى انتهى إلى ذكر دعبل، فقال: ويحك يا ضبي!، إني أريد أن  
أحدثك بشيء على أن تستره طول حياتي، فقلت له: أصلحك الله أنا عندك في موضع ظنة؟ قال: لا، ولكن

أطيب لنفسي أن توثق لي بالأيمان لأركن إليها، ويسكن قلبي عندها، فأحدثك حينئذ.

قال: قلت: إن كنت عند الأمير في هذه الحال فلا حاجة به إلى إفشاء سره إلي، واستعفيته مراراً فلم يعفني، فاستحييت من مراجعته، وقلت: فليبر الأمير رأيه. فقال لي: يا ضبي، قل: والله. قلت: والله، فأمرها علي غموساً مؤكداً بالبيعة والطلاق وكل ما يحلف به مسلم. ثم قال: أشعرت أن دعبللاً مدخول النسب؟ وأمسك، فقلت: أعز الله الأمير، أفي هذا أخذت العهود والمواثيق وملغظ الأيمان؟ قال: إي والله، فقلت: ولم؟ قال: لأني رجل لي في نفسي حاجة، ودعبل رجل قد حمل نفسه على المهالك، وحمل جذعه على عنقه، فليس يجد من يصلبه عليه، وأحاف إن بلغه أن يقول في ما يبقى علي عاره على الدهر، وقصاراي إن ظفرت به وأسلمته اليمين - وما أراها تفعل؛ لأنه اليوم لسانها وشاعرها والذاب عنها والحامي لها والمرامي دونها - فأضربه مائة سوط، وأثقله حديداً، وأصبره في مطبق باب الشام.

وليس في ذلك عوض مما سار في من الهجاء وفي عقبي من بعدي. فقلت: ما أراه يفعل ويقدم عليك. فقال لي: يا عاجز، أهون عليه مما لم يكن. أترأه أقدم على الرشيد والأمين والمأمون وعلى أبي ولا يقدم علي؟ فقلت: فإذا كان الأمر كذا فقد وفق الأمير فيما أخذه علي.

قال: وكان دعبل صديقاً لي، فقلت: هذا شيء قد عرفته، فمن أين؟ قال الأمير: إنه مدخول النسب وهو في البيت الرفيع من خزاعة، لا يتقدمهم غير بني أهبان مكلم الذئب. فقال: أسمع أنه كان أيام ترعرع حاملاً لا يؤبه له، وكان ينام هو ومسلم بن الوليد في إزار واحد، لا يملكان غيره. ومسلم أستاذه وهو غلام أمرد يخدمه، ودعبل حينئذ لا يقول شعراً يفكر فيه حتى قال:

### ضحك المشيب برأسه فبكى

### لا تعجبني يا سلم من رجل

بداية اشتهاره وطلب الرشيد أن يلازمه:

وغنى فيه بعض المغنين وشاع، فغني به بين يدي الرشيد، إما ابن جامع أو ابن المكبي، فطرب الرشيد، وسأل عن قائل الشعر، فقيل له: دعبل بن علي، وهو غلام نشأ من خزاعة. فأمر بإحضار عشرة آلاف درهم وخلعة من ثيابه، فأحضر ذلك، فدفعه مع مركب من مراكبه إلى خادم من خاصيته، وقال له: اذهب بهذا إلى خزاعة فاسأل عن دعبل بن علي، فإذا دلت عليه فأعطه هذا، وقل له: ليحضر إن شاء، وإن لم يجب ذلك فدعه. وأمر للمغني بجائزة، فسار الغلام إلى دعبل، وأعطاه الجائزة، وأشار عليه بالمسير إليه.

فلما دخل عليه وسلم أمره بالجلوس فجلس، واستنشد الشعر فأنشده إياه، فاستحسنه وأمره بملازمته وأجرى عليه رزقاً سنياً، فكان أول من حرضه على قول الشعر.

يبلغه موت الرشيد فيهجوه: فوالله ما بلغه أن الرشيد مات حتى كافأه علي ما فعله: من العطاء السني، والغنى بعد الفقر، والرفعة بعد الخمول بأقبح مكافأة. وقال فيه من قصيدة مدح بها أهل البيت عليهم السلام، وهجا الرشيد:

### من ذي يمان ومن بكر ومن مضر

### وليس حي من الأحياء نعلمه

إلا وهم شركاء في دمائهم  
 قتل وأسر وتحريق ومنهبة  
 كما تشارك أيسار على جزر  
 فعل الغزاة بأرض الروم والخزر  
 أرى أمية معذورين إن قتلوا  
 ولا أرى لبني العباس من عذر  
 أربع بطوس على القبر الزكي إذا  
 ما كنت تربع من دين على وطر  
 قبران في طوس خير الناس كلهم  
 وقبر شرهم هذا من العبر  
 ما ينفع الرجس من قرب الزكي ولا  
 على الزكي بقرب الرجس من ضرر  
 هيهات كل امرئ رهن بما كسبت  
 له يدها فخذ ما شئت أو فذر

-يعني قبر الرشيد وقبر الرضا عليه السلام، فهذه واحدة.

يدس إلى المأمون شعر له فيصفح عنه ويستقدمه: وأما الثانية فإن المأمون لم يزل يطلبه وهو طائر على وجهه حتى دس إليه قوله:

علم وتحكيم وشيب مفارق  
 وإمارة في دولة ميمونة  
 طمس ريعان الشباب الرائق  
 كانت اللذات أشغب عائق  
 أرى يكون وليس ذاك بكائن  
 يرث الخلافة فاسق عن فاسق  
 إن كان إبراهيم مضطلاً بها  
 فلتصلحن من بعده لمخارق

فلما قرأها المأمون ضحك، وقال: قد صفحت عن كل ما هجانا به إذا قرن إبراهيم بمخارق في الخلافة، وولاه عهده.

وكتب إلى أبي أن يكتبه بالأمان، ويحمل إليه مالاً. وإن شاء أن يقيم عنده أو يصير إلى حيث شاء فليفعل. فكتب إليه أبي بذلك، وكان واثقاً به، فصار إليه، فحمله وخلع عليه، وأجازه وأعطاه المال، وأشار عليه بقصد المأمون ففعل. فلما دخل وسلم عليه تبسم في وجهه، ثم قال أنشدني:

مدارس آيات خلت من تلاوة  
 ومنزل وحي مقفر العرصات

فجزع، فقال له: لك الأمان لا خف، وقد رويتها ولكني أحب سماعها من فيك، فأنشده إياها إلى آخرها والمأمون يبكي حتى أخضل لحيته بدمعه، فوالله ما شعرنا به إلا وقد شاعت له أبيات يهجو بها المأمون بعد إحسانه إليه وأنسه به حتى كان أول داخل، وآخر خارج من عنده. يستدعيه بعض بني هاشم ثم لا يرضيه فيهجوه: أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال: حدثني أبو بكر العامري، قال: استدعى بعض بني هاشم دعبل وهو يتولى للمعتصم ناحية من نواحي الشام، فقصده إليها، فلم يقع منه بحيث ظن وجفاه، فكتب إليه دعبل:

دليتني بغرور وعدك في  
 حتى إذا شمت العدو وقد  
 أنشأت تحلف أن ودك لي  
 وحسبتني فقعا بقرقرة  
 ونصبتني علما على غرض  
 وظننت أرض الله ضيقة  
 من غير ما جرم سوى ثقة  
 ومودة تحنو عليك بها  
 فمتى سألتك حاجة أبداً  
 متلاطم من حومة الغرق  
 شهر انتقاصك شهرة البلق  
 صاف وحبلك غير منحذق  
 فوظنتني وطناً على حنق  
 ترميني الأعداء بالحدق  
 عني وأرض الله لم تضق  
 مني بوعدك حين قلت: ثق  
 نفسي بلا من ولا ملق  
 فاشدد بها قفلا على غلق

وقف الإخاء على شفى جرف  
 وأعدلي قفلا وجامعة  
 أعفيك مما لا تحب بها  
 ما أطول الدنيا وأعرضها  
 هار فبعه بيعة الخلق  
 فاشدد يدي بها إلى عنقي  
 واسدد علي مذاهب الأفق  
 وأدلني بمسالك الطرق

يتهم بشتهم بنت عبد المطلب فيهرب وينكر التهمة: أخبرني الحسن بن علي قال: حدثنا ابن مهرويه قال: حدثني أبي قال: قدم دعبل الدينور ، فجرى بينه وبين رجل من ولد الزبير بن العوام كلام وعريدة على النبيذ، فاستعدى علي عمرو بن حميد القاضي، وقال: شتم بنت عبد المطلب، واجتمع عليه الغوغاء، فهرب دعبل، وبعث القاضي إلى دار دعبل فوكل بها وختم بابه، فوجه إليه برقعة فيها: ما رأيت قط أجهل منك إلا من ولاك، فإنه أجهل، يقضي في العريدة على النبيذ، ويحكم على خصم غائب، ويقبل عقلك أي رافضي شتم صفية بنت عبد المطلب. سخنت عينك، أفمن دين الرافضة شتم صفية! قال أبي: فسألني الزبير بن القاسم عن هذا الحديث فحدثته، فقال: صدق والله دعبل في قوله، لو كنت مكانه لوصلته وبررته.

يغري متنسكاً فيعود إلى الندماء يسمع الغناء ولا يشرب النبيذ: أخبرني الحسن بن علي قال: حدثنا ابن مهرويه قال: حدثني إبراهيم بن سهل القارئ قال حدثني دعبل قال: كتبت إلى أبي هاشم بن حميد، وقد كان نسك وترك شرب النبيذ، ولزم دار الحرم:

إنما العيش في منادمة الإخوان  
 وبصرف كأنها ألسن البرق  
 لا في الجلوس عند الكعاب  
 إذا استعرضت رقيق السحاب

إن تكونوا تركتم لذة العيش

حذار العقاب يوم العقاب

فدعوني وما ألد وأهوى

وادفعوا بي في نحر يوم الحساب

قال: فكان بعد ذلك يدعوني وسائر ندمائي، فنشرب بين يديه، ويستمتع الغناء، ويقتصر على الأنس والحديث. يشترك في نظم قصيدة نصفها له ونصفها الآخر لإبراهيم بن العباس: أخبرني الحسن قال: حدثنا ابن مهرويه قال: حدثنا إبراهيم بن المدير قال: كنت أنا وإبراهيم بن العباس رفيقين نتكسب بالشعر قال: وأنشدني قصيدة دعبل في المطلب بن عبد الله:

أمطلب أنت مستعذب

سمام الأفاعلي ومستقبل

قال، وقال لي دعبل: نصفها لإبراهيم بن العباس، كنت أقول مصراعاً فيجيزه، ويقول هو مصراعاً فأجيزه. يهجو مالك بن طوق لأنه لم يرص ثوابه: قال ابن مهرويه: وحدثني إبراهيم بن المدير أن دعبلًا قصد مالك بن طوق ومدحه، فلم يرص ثوابه، فخرج عنه وقال فيه:

إن ابن طوق وبني تغلب

لو قتلوا أو جرحوا قصره

لم يأخذوا من دية درهما

يوماً ولا من أرشهم بعره

دماؤهم ليس لها طالب

مطلولة مثل دم العذره

وجوههم بيض وأحسابهم

سود وفي آذانهم صفرة

يمدح عبد الله بن طاهر فيجيزه: حدثنا محمد بن عمران الصيرفي قال: حدثني العتري قال: حدثنا عبد الله بن الحسن قال: حدثني عمر بن عبد الله أبو حفص النحوي مؤدب آل طاهر قال: دخل دعبل بن علي بن علي عبد الله بن طاهر، فأنشده وهو ببغداد:

جئت بلا حرمة ولا سبب

إليك إلا بحرمة الأدب

فاقض ذمامي فإنني رجل

غير ملح عليك في الطلب

قال فاتتعل عبد الله، ودخل إلى الحرم، ووجه إلى بصرة فيها الف درهم، وكتب إليه:

أعجلتتا فأتاك عاجل برنا

ولو انتظرت كثيرة لم يقلل

فخذ القليل وكن كأنك لم تسئل

ونكون نحن كأننا لم نفعئل

يهجو مالك بن طوق فيطلبه فيهرب إلى البصرة: أخبرني أحمد بن عاصم الحلواني قال: حدثنا أبو بكر المدائني قال: حدثنا أبو طالب الجعفري ومحمد بن أمية الشاعر جميعاً قالوا: هجا دعبل بن علي مالك بن طوق قال:

سألت عنكم يا بني مالك

في نازح الأرضين والدانيه

طراً فلم تعرف لكن نسبة

حتى إذا قلت بني الزانية

وتلك ها دارهم ثانيه  
من قال أمك زانيه

قالوا فدع داراً على يمينة  
لا حد أخشاه على

وقال أيضاً فيه:

يا زاني ابن الزان ابن الزانية

ء على السنين الخالية

أنت المردد في الزنا

كر السنين الباقية

ومردد فيه على

وبلغت الأبيات مالكا، فطلبه، فعرب فأبي البصرة وعليها إسحاق بن العباس بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب، وكان بلغه هجاء دعبل وابن أبي عيينة نزاراً. فأما ابن أبي عيينة فإنه هرب منه فلم يظهر بالبصرة طوال أيامه. يقبض عليه والي البصرة فيعفيه من القتل ويشهره: وأما دعبل فإنه حين دخل البصرة بعث فقبض عليه، ودعا بالنطع والسيف ليصرب عنقه، فجحذ القصيدة وحلف بالطلاق على جحدها وبكل يمين تبرئ من الدم أنه لم يقلها وأن عدواً له قالها، إما أبو سعد المخزومي أو غيره ونسبها عليه ليغري بدمه، وجعل يتضرع إليه ويقبل الأرض ويكي بين يديه، فرق له، فقال: أما إذا أعفيتك من القتل فلا بد من أن أشهرك، ثم دعا بالعصا فضربه حتى سلح، وأمر به فألقي على قفاه، وفتح فمه فرد سلحه فيه والمقارع تأخذ رجله، وهو يحلف ألا يكف عنه حتى يستوفيه ويبلعه أو يقتله. فما رفعت عنه حتى بلع سلحه كله، ثم خلاه، فهرب إلى الأهواز. بعث مالك بن طوق رجلاً فاغتاله بأرض السوس: وبعث مالك بن طوق رجلاً حصيفاً مقداماً، وأعطاه سماً وأمره أن يغتاله كيف شاء، وأعطاه على ذلك عشرة آلاف درهم، لم يزل يطلبه حتى وجدته في قرية من نواحي السوس، فاغتاله في وقت من الأوقات بعد صلاة العتمة، فضرب ظهر قدمه بعكاز له زج مسموم فمات من غد، ودفن بتلك القرية.

وقيل بل حمل إلى السوس، فدفن فيها.

طلب والي البصرة أن ينقض شاعر هجاءه هو وابن أبي عيينة لنزار: وأمر إسحاق بن العباس شاعراً يقال له: الحسن بن زيد ويكنى أبا الدفاء، فنقض قصيدي دعبل وابن أبي عيينة بقصيدة أولها:

تحب البيض تعصي العاذلينا

أما تنفك متبولاً حزيناً

يهجو بها قبائل اليمن، ويذكر مثالبهم، وأمره بتفسير ما نظمه، وذكر الأيام والأحوال، ففعل ذلك وسماها الدامغة، وهي إلى اليوم موجودة.

صوت

أسأت إذا وأنت له ظلوم

أتهجر من تحب بغير جرم

لعمر ك ما تؤرقك الهموم

تؤرقني الهموم وأنت خلوم

الشعر لجعيفران الموسوس، أنشدنيه عمي عن عبد الله عثمان الكاتب عن أبيه عن جده ، وأنشد فيه لحظة عن خالد الكاتب له، وأنشدنيه ابن الوشاء عن بعض شيوخه عن سلمة النحوي له. ووجدته في بعض الكتب منسوباً إلى أم الضحاك المحاربية، والقول الأول أصح. والغناء لابن أبي قباحة، ثاني ثقيل بالوسطى في مجرى البنصر. وفي أبيات آخر من شعر جعيفران غناء، فإن لم يصح هذا له فالغناء له في أشعاره الآخر صحيح، منها:

كل امرئ يشبهه فعله

ما يفعل المرء فهو أهله

سكتنا عن ذمه بذله

ولا ترى أعجز من عاجز

الشعر لجعيفران، والغناء لمثيم، ومما وجدته من الشعر المنسوب إليه في جامعة وفيه له غناء:

وتقر صاحبة الشنوف وألحق

قلبي بصاحبة الشنوف معلق

### أخبار جعيفران ونسبه

نسبه ونشأته: هو جعيفران بن علي بن أصفر بن السري بن عبد الرحمن الأبناعي، من ساكني سر من رأى، ومولده ومنشؤه ببغداد. وكان من أبناء الجند الخراسانية، وكان يتشيع، ويكثر لقاء أبي الحسن علي بن موسى بن جعفر.

كان شاعراً مطبوعاً ثم اختلط: أخبرني بذلك أبو الحسن علي بن العباس بن أبي طلحة الكاتب عن أبيه وأهله. وكان جعيفران أديباً شاعراً مطبوعاً، وغلبت عليه المرة السوداء، فاختلط وبطل في أكثر أوقاته ومعظم أحواله، ثم كان إذا أفاق ثاب إليه عقله وطبعه، فقال الشعر الجيد. وكان أهله يزعمون أنه من العجم ولد أذين. خالف أباه إلى جارية له فطرده: فأخبرني الحسن بن علي الخفاف قال: حدثني محمد بن مهربة قال: حدثني علي بن سليمان النوفلي قال: حدثني صالح بن عطية قال: كان لجعيفران الموسوس قبل أن يختلط عقله أب يقال له: علي بن أصفر، وكان دهقان الكرخ ببغداد، وكان يتشيع، فظهر على ابنه جعيفران أنه خالفه إلى جارية له سرية، فطرده عن داره.

يشكوه أبوه إلى موسى بن جعفر فيأمره بإخراجه من ميراثه: وحج فشكا ذلك إلى موسى بن جعفر، فقال له موسى: إن كنت صادقاً عليه فليس يموت حتى يفقد عقله، وإن كنت قد تحققت ذلك عليه فلا تساكبه في منزلك، ولا تطعمه شيئاً من مالك في حياتك، وأخرجه عن ميراثك بعد وفاتك.

فقدم فطرده، وأخرجه من منزله، وسأل الفقهاء عن حيلة يشهد بها في ماله حتى يخرج عن ميراثه، فدلوه على

السبيل إلى ذلك، فأشهد به، وأوصى إلى رجل. فلما مات الرجل حاز ميراثه ومنع منه جعيفران، فاستعدى عليه أبا يوسف القاضي، فأحضر الوصي.

وسأل جعيفران البينة على نسبه وتركه أبيه، فأقام على ذلك بينة عدة، وأحضر الوصي بينة عدولاً على الوصية يشهدون على أبيه ما كان احتال به عليه.

فلم ير أبو يوسف ذلك شيئاً، وعزم على أن يورثه، فدفعه الوصي عن ذلك مرات بعلل. ثم عزم أبو يوسف على أن يسجل لجعيفران بالمال، فقال له الوصي: أيها القاضي، أنا أدفع هذا بحجة واحدة بقيت عندي، فأبى أبو يوسف أن يقبل منه، وجعل جعيفران يجرح عليه، ويقول له: قد ثبت عندك أمري، فبأي شيء تدافعني؟ وجعل الوصي يسأل أن يسمع منه منفرداً، فيأبى، ويقول: لا أسمع منك إلا بحضرة خصمك. فقال له أجليني إلى غد، فأجله إلى منزله وكتب رقعة خبره فيها بحقيقة ما أفتى به موسى بن جعفر، ودفعتها إلى صديق لأبي يوسف، فدفعتها إليه، فلما قرأها دعا الوصي واستحلفه أنه قد صدق في ذلك. فحلف باليمين الغموس. فقال له: اغد على غدا مع صاحبك، فحضر وحضر جعيفران معه، فحكم عليه أبو يوسف للوصي. فلما أمضى الحكم عليه وسوس جعيفران واختلط منذ يومئذ.

وأخبرني بجمل أخباره المذكورة في هذا الكتاب علي بن العباس بن أبي طلحة الكاتب، عن شيوخ له أخذها عنهم وإجازات وجدتها في الكتب، ولم أر أخباره عند أحد أكثر مما وجدتها عنده إلا ما أذكره عن غيره فأنسبه إليه.

يقف بالرصافة على رجل وينشده شعراً: قال علي بن العباس: وذكر عبد الله بن عثمان الكاتب أن أباه عثمان بن محمد حدثه قال: كنت يوماً برصافة مدينة السلام جالساً إذ جاءني جعيفران وهو مغضب، فوقف علي وقال:

**استوجب العالم مني القتلا**

فقلت: ولم يا أبا الفضل؟ فنظر إلي نظرة منكرة خفت منها، وقال:

**لما شعرت فرأوني فعلا**

ثم سكت هنيهة، وقال:

**إني مجنون فقدت العقلا**

**قالوا علي كذباً وبطلاً**

**أقبح بهذا الفعل منهم فعلا**

**قالوا المحال كذباً وجهلا**

ثم ذهب لينصرف، فخفت أن يؤذيه الصبيان، فقلت: اصبر فديتك حتى أقوم معك؛ فإنك مغضب، وأكره أن تخرج على هذه الحال. فرجع إلي، وقال: سبحان الله، أتراني أنسبهم إلى الكذب والجهل، وأستقبح فعلهم، وتتخوف مني مكافأتم! ثم إنه ولى وهو يقول:

**ولا مجازيه بفعل فعلا**

**لست براضٍ من جهول جهلا**

## لكن أرى الصفح لنفسى فضلاً

## من يرد الخير يجده سهلاً

ثم مضى .

رئي وحده يدور في دار طول ليلته وهو ينشده رجزاً: وقال علي بن العباس، وقال عثمان بن محمد : قال أبي: كنت أشرف مرة من سطح لي على جعيفران وهو في دارٍ وحده وقد اعتل، وتحركت عليه السوداء، فهو يدور في الدار طول ليلته، ويقول:

طاف به طيف من الوسواس

نقر عنه لذة النعاس

فما يرى يأنس بالأناس

ولا يلذ عشرة الجلاس

فهو غريب بين هذا الناس

حتى أصبح وهو يرددها، ثم سقط كأنه بقلة ذابلة.

يستجيب لنظم بيت بنصف درهم: قال علي: وحدثني علي بن رستم النحوي، قال: حدثني سلمة بن محارب قال: مررت ببغداد، فرأيت قوماً مجتمعين على رجل، فقلت: ما هذا؟ فقالوا: جعيفران المجنون، فقلت: قل بيتاً بنصف درهم. قال: هاته، فأعطيته، فقال:

لج ذا الهم واعتلج

كل هم إلى فرج

ثم قال: زد إن شئت حتى أزيدك.

يصيح الصبيان خلفه وهو عريان، وينشد شعراً في جناية الفقر عليه: قال علي: وحدثني عبد الله بن عثمان، عن أبيه قال: غاب عنا جعيفران أياماً ثم جاءنا والصبيان يشدون خلفه وهو عريان وهم يصيحون به: يا جعيفران يا خرا في الدار. فلما بلغ إلي وقف، وتفرقوا عنه فقال: يا أبا عبد الله:

رأيت الناس يدعونني

بمجنون على حالي

وما بي اليوم من جن

ولا وسواس بلبال

ولكن قولهم هذا

لإفلاسي وإقلالي

ولو كنت أخواً وفر

رخياً ناعم البال

رأوني حسن العقل

أحل المنزل العالي

وما ذاك على خبر

ولكن هيبة المال

يدخله سيد داره فيطعمه ويسقيه: قال: فأدخلته منزلي، فأكل، وسقيته أقداحاً، ثم قلت له: تقدر على أن تغير تلك القافية؟ فقال: نعم، ثم قال بديهة غير مفكر ولا متوقف:

رأيت الناس يرمون  
ومن يضبط يا صاح  
فدى ما قاله الناس  
فتى حراً صحيح الود ذا بر وإيناس  
بأمثالي وأجناسي  
فإن الخلق مغرور  
أتوني بين جلاسي  
ولو كنت أخا مال  
على العينين والراس  
يحبوني ويحبوني  
ر أن الذل إفلاسي  
ويدعوني عزيزاً غي

يضيق به بعض مجالسيه ويفطن لذلك فيقول شعراً: ثم قام يبول، فقال بعض من حضر: أي شيء معنى عشرتنا هذا المجنون العريان؟ والله ما نأمنه وهو صاح، فكيف إذا سكر؟ وفطن جعيفران للمعنى، فخرج إلينا وهو يقول:

وندامي أكلوني  
زعموا أنني مجنو  
إذ تغيبت قليلاً  
كيف لا أعرى وما أب  
ن أرى العرى جميلاً  
إن يكن قد ساءكم قر  
صر في الناس مثيلاً؟  
وأنتموا يومكم سركم الله طويلاً

قال: فرققنا له، واعتذرنا إليه، وقلنا له: والله ما نلتذ إلا بقربك، وأتيناه بثوب، فلبسه، وأتمنا يومنا ذلك معه. يجتكم إلى القاضي فيدفعه عن دعواه فيدعو عليه: أخبرني ححظة قال: حدثني ميمون بن هارون قال: تقدم جعيفران إلى أبي يوسف الأعرى القاضي بسر من رأى في حكومة في شيء كان في يده من وقف له، فدفعه عنه، وقضى عليه. فقال له: أراي الله أيها القاضي عينيك سواء، فأمسك عنه، وأمر برده إلى داره. فلما رجع أطعمه ووهب له دراهم، ثم دعا به فقال له: ماذا أردت بدعائك؟ أردت أن يرد الله على بصري ما ذهب؟ فقال له: والله لئن كنت وهبت لي هذه الدراهم لأسخر منك؛ لأنك المجنون لا أنا. أخبرني كم من أعرى رأيت عمي؟ قال: كثيراً، قال: فهل رأيت أعرى صح قط؟ قال: لا. قال: فكيف توهمت علي الغلط! فضحك وصرفه.

يمدح أبا دلف فيجزل له العطاء: أخبرني محمد بن جعفر النحوي صهر المبرد قال: حدثني أحمد بن القاسم البرقي قال: حدثني علي بن يوسف قال: كنت عند أبي دلف القاسم بن عيسى العجلي فاستأذن عليه حاجبه لجعيفران الموسوس، فقال له: أي شيء أصنع بموسوس! قد قضينا حقوق العقلاء، وبقي علينا حقوق المجانين! فقلت له:

جعلت فداء الأمير موسوس أفضل من كثير من العقلاء، وإن له لساناً يتقى وقولاً ماثوراً يبقى، فالله الله أن تحجبه، فليس عليك منه أذى ولا ثقل، فأذن له، فلما مثل بين يديه قال:

يا أكرم العالم موجوداً  
ويا أعز الناس مفقوداً  
لما سألت الناس عن واحدٍ  
أصبح في الأمة محموداً  
قالوا جميعاً إنه قاسمٌ  
أشبه آباء له صيدا  
لو عبدوا شيئاً سوى ربهم  
أصبحت في الأمة معبودا  
لا زلت في نعمى وفي غبطةٍ  
مكرماً في الناس معدوداً

قال، فأمر له بكسوة وبألف درهم، فلما جاء بالدرهم أخذ منها عشرة، وقال: تأمر القهرمان أن يعطيني الباقي مفرقاً كلما جئت؛ لئلا يضيع مني، فقال للقهرمان: أعطه المال، وكلما جاءك فأعطه ما شاء حتى يفرق الموت بيننا، فبكى عند ذلك جعيفران، وتنفس الصعداء، وقال:

يموت هذا الذي أراه  
وكل شيء له نفاذ  
لو غير ذي العرش دام شيء  
لدام ذا المفضل الجواد

ثم خرج، فقال أبو دلف: أنت كنت أعلم به مني.  
يسأل عن أبي دلف ويرتجل في مدحه شعراً:

قال: وغبر عني مدة، ثم لقيني وقال: يا أبا الحسن، ما فعل أميرنا وسيدنا وكيف حاله؟ فقلت: بخير وعلى غاية الشوق إليك. فقال: أنا والله يا أخي أشوق، ولكنني أعرف أهل العسكر وشرهم وإلحاحهم والله ما أراهم يتركونه من المسألة ولا يتركهم، ولا يتركه كرمه أن يخليهم من العطية حتى يخرج فقيراً. فقلت: دع هذا عنك وزره، فإن كثرة السؤال لا تضر بماله، فقال: وكيف؟ أهو أيسر من الخليفة؟ قلت: لا. قال: والله لو تبذل لهم الخليفة كما يبذل أبو دلف وأطمعهم في ماله كما يطمعهم لأفقره في يومين، ولكن اسمع ما قلته في وقتي هذا، فقلت: هاته يا أبا الفضل فأنشأ يقول:

أبا حسن بلغن قاسماً  
بأني لم أجفه عن قلبي  
ولا عن ملال لإتيانه  
ولا عن صدود ولا عن غنى  
ولكن تعففت عن ماله  
وأصفيته مدحتي والثنا  
أبو دلف سيد ماجد  
سني العطية رحب الفنا  
كريم إذا انتابه المعقوف  
ن عمهم بجزيل الحبا

يلقى أبا دلف فينشده ما حاله: قال: فأبلغتها أبا دلف، وحدثته بالحديث الذي جرى، فقال لي: قد لقيته منذ أيام؛ فلما رأيته وقفت له، وسلمت عليه، وتحفيت به، فقال لي: سر أيها الأمير على بركة الله، ثم قال لي:

يا معدي الجود على الأموال  
ويا كريم النفس في الفعال  
قد صنتني عن ذلة السؤال  
بجودك الموفي على الآمال  
صانك ذو العزة والجلال  
من غير الأيام والليالي

قال: ولم يزل يختلف إلى أبي دلف ويبره حتى افترقا.

يرى وجهه في حب فيهجو نفسه: سمعت عبد الله بن أحمد، عم أبي رحمه الله يحدث فحفظت الخبر، ولا أدري أذكر له إسناداً فلم أحفظه أم ذكره بغير إسناد، قال: كان جعيفران حبيث اللسان هجاء، لا يسلم عليه أحد، فاطلع يوماً في الحب، فرأى وجهه قد تغير، وعفا شعره فقال:

ما جعفرٌ لأبيه  
ولا له بشبيه  
أصحى لقوم كثير  
فكلهم يدعيه  
هذا يقول بني  
وذا يخاصم فيه  
والأم تضحك منهم  
لعلمها بأبيه

يسأل طعاماً فيجاب له: حدثني محمد بن الحسن الكندي خطيب القادسية قال: حدثني رجل من كتاب الكوفة قال: اجتاز بي جعيفران مرة فقال: أنا جائع، فأني شيء عندك تطعمني؟ فقلت سلق بخردل. يهجو جارية مضيقة لتأخرها في شراء بطيخ له: فقال: إشتري لي معه بطيخاً، فقلت: أفعل، فادخل، وبعثت بالجارية تجمعه به، وقدمت إليه الخبز والخردل والسلق، فأكل منه حتى ضجر، وأبطأت الجارية، فأقبل علي وقد غضب فقال:

سلفتنا وخردلت  
ثم ولت فأدبرت  
وأراها بواحد  
وافر الأير قد خلت

قال فخرجت -يشهد الله- أطلبها، فوجدتها خالية في الدهليز بسائس لي على ما وصف.

### صوت

ولها مربعٌ ببرقةٍ خاخٍ  
ومصيفٌ بالقصر قصر قباء  
كفونني إن مت في درع أروى  
واجعلوا لي من بئر عروة مائي  
سخنةٌ في الشتاء باردة الصي  
ف سراجٌ في الليلة الظلماء

الشعر للسري بن عبد الرحمن، والغناء لمعبد، ثقيل بالوسطى عن الهشامي: قال: وفيهما -يعني الثالث والأول- رمل مطلق في مجرى الوسطى.

### أخبار السري ونسبه

نسبه السري بن عبد الرحمن بن عتبة بن عويم بن ساعدة الأنصاري، لوجه عويم بن ساعدة صحبة بالنبي ". شعره وشخصه: والسري شاعر من شعراء أهل المدينة، وليس بمكثر ولا فحل، إلا أنه كان أحد الغزليين والفتيان والمنادمين على الشراب. كان هو وعتير بن سهل بن عبد الرحمن بن عوف، وجبير بن أيمن، وخالد بن أبي أيوب الأنصاري يتنادمون. قال: وفيهم يقول:

جبيرا ونازعت الزجاجة خالداً

إذا أنت نادمت العتير وذا الندى

وأن ينبهوا من نومة السكر راقدا

أمنت بإذن الله أن تقرع العصا

غناه الغريض ثقيلاً.

وكان السري هذا هجا الأحوص، وهجا نصيباً؛ فلم يجيباه.

يهجو النصيب فيهبه لقومه، والله ورسوله:

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال: حدثني الزبير بن بكار قال: حدثني عمي، وأخبرني الحسين بن يحيى المردي قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه عن ابن الكلبي قال: حبس النصيب في مسجد النبي - "فأنشد، وكان إذا أنشد لوى حاجبيه، وأشار بيده، فرآه السري بن عبد الرحمن الأنصاري، فجاءه حتى وقف بإزائه ثم قال:

ألم تستحي من مقت الكرام

فقدت الشعر حين أتى نصيباً

حسبت الكلب يضرب في الكعام

إذا رفع ابن ثوبة حاجبيه

قال: فقال نصيب: من هذا! فقالوا: هذا ابن عويم الأنصاري، قال: قد وهبته لله عز وجل ورسوله - " - ولعويم بن ساعدة. قال: وكان لعويم صحبةً ونصرةً.

يجب امرأة يقال لها زينب ويشبب بها: أخبرني الحرمي قال: حدثنا الزبير قال: حدثني عمي عن عبد الرحمن بن عبد الله العمري قال: كان السري قصيراً دميماً أزرق، وكان يهوى امرأة يقال لها زينب ويشبب بها، فخرج إلى البادية، فرآها في نسوة فصار إلى راعٍ هناك وأعطاه ثيابه، وأخذ منه جيبته وعصاه، وأقبل يسوق الغنم حتى صار إلى النسوة فلم يحفلن به، وظنن أنه أعراي، فأقبل يقلب بعصاه الأرض وينظر إليهم فقلن له: أذهب منك يا راعي الغنم شيء فأنت تطلبه؟ فقال: نعم. قال: فضربت زينب بكمها على وجهها وقالت: السري والله أخزاه الله! فأنشأ يقل: صوت

من ريح زينب فينا ليلة الأحد

ما زال فينا سقيمٌ يستطب له

حزت الجمال ونشراً طيباً أرجاً

فما تسمين إلا مسكة البلد

أما فؤادي فشيء قد ذهبت به

فما يضرك ألا تحربي جسدي !

يستحسن المهدي شعراً له في الغزل: أخبرني الحسين بن علي قال: حدثنا أحمد بن أبي خيثمة قال: حدثنا مصعبُ الزبيري قال، قال أبي: قال لي المهدي: أنشدني شعراً غزلاً، فأنشدته قول السري بن عبد الرحمن:

ما زال فينا سقيمٌ يستنطب له

من ريح زينب فينا ليلة الأحد

فأعجبته، وما زال يستعيدها مراراً حتى حفظها.

كان وندماءه تقبل شهادتهم مع شريهم النبيذ: أخبرني الحسن قال: حدثني أحمد قال: حدثني محمد بن سلام الجمحي قال: كان السري بن عبد الرحمن ينادم عتير بن سهل بن عبد الرحمن بن عوف وجبير بن أيمن بن أم أيمن مولى النبي -" - وخالد بن أبي أيوب الأنصاري، وكانوا يشربون النبيذ، وكلهم كان على ذلك مقبول الشهادة جليل القدر مستوراً، فقال السري:

إذا أنت نادمت العتير وذا الندى

جبيرا ونازعت الزجاجة خالداً

أمنت بإذن الله أن تفرع العصا

وأن ينبهوا من نومة السكر راقدا

فقالوا: قبحك الله! ماذا أردت إلى التنبيه علينا والإذاعة لسرنا؟ إنك لحقيق ألا ننادمك. قال: والله ما أردت بكم سوءاً، ولكنه شعر طفح فنفتته عن صدري، قال: وخالد بن أبي أيوب الأنصاري الذي يقول: صوت

ألا سقني كأسي ودع قول من لحي

ورو عظماً قصرهن إلى بلى

فإن بطوء الكأس موتٌ وحبسها

وإن دراك الكأس عندي هو الحيا

الغناء في هذين البيتين هة لعبد الله بن العباس الربيعي، خفيف رمل بالنصر عن عمرو بن بانة. التمثل بشعره في طلب الشراب: أخبرني أبو الحسن الأسدي قال: حدثني سليمان بن أبي شيخ قال: حدثني مصعب بن عبد الله الزبيري قال: حدثني مصعب بن عثمان قال: حدثني عبيد الله بن عروة بن الزبير قال: خرجت وأنا غلام أدور في السكك بالمدينة فانتهيت إلى فناءٍ مرشوش وشاب جميل الوجه جالس، فلما رأيته دعاني، ثم قال لي: من أنت يا غلام؟ فقلت عبيد الله بن عروة بن الزبير. فقال: اجلس، فجلست، فدعا بالغداء فتغدنا جميعاً، ثم قال: يا جارية؛ فأقبلت جارية تتهادى كأنها مهاة، وفي يدها قنينية فيها شرابٌ صافٍ وقلة ماء وكأس، فقال لها: استقني؛ فصبت في الكأس وسكبت عليه ماءً وناولته، فشرب ثم قال: اسقيه، فصبت الكأس وسكبت عليه ماءً وناولته. فلما وجدت رائحته بكيته، فقال: ما يبكيك يا بن أخي؟ فقلت: إن أهلي إن وجدوا رائحة هذا مني ضربونب، فأقبل على الجارية بوجهه، وقال لها يخاطبها:

ألا سقني كأسي ودع عنك من أبي

ورو عظماً قصرهن إلى بلى

فأخذته من يدي وأعطته؛ فشربه، وقيمت فلما جاوزته سألت عنه فقيل لي: هذا خالد بن أبي أيوب الأنصاري الذي يقول فيه الشاعر:

إذا أنت نادمت العتير وذا الندى      جبيرا ونازعت الزجاجة خالداً  
أمنت بإذن الله أن تقرع العصا      وأن يوقظوا من سكرة النوم راقداً  
وصرت بحمد الله في خير عصابة      حسان الندامي لا تخاف العرابداً

يأبي ابن الماحشون دخول مجلس حتى يخرجهم أصحابه فيخرجوه: أخبرنا وكيع قال: حدثنا محمد بن علي بن حمزة قال: حدثني أبو غسان عن محمد بن يحيى بن عبد الحميد قال: كان السري بن عبد الرحمن يختلف إلى فتية، فجاء ابن الماحشون فقال: لا أدخل حتى يخرج السري؛ فأخرجته فقال السري:

قبح الله أهل بيت بسلع      أخرجوني وأدخلوا الماحشونا  
أدخلوا هرةً تلاعب قردا      ما نراهم يرون ما يصنعونا

شعر له في أمة وبنتها: أخبرني الحسن قال: حدثنا أحمد بن زهير قال حدثني مصعب قال: أنشدني أبي للسري بن عبد الرحمن في أمة الحميد بنت عبد الله بن عباس وفي ابنتها أمة الواحد:

أمة الحميد وبنتها      ظبيان في ظل الأراك  
يتتبعان بريره      وظلاله فهما كذاك  
حذي الجمال عليهما      حذو الشراك على الشراك

يتمنى أن يكون مؤذناً ليرى ما في السطوح: أخبرني محمد بن العباس اليزيدي قال: حدثني محمد بن الحسن بن مسعود الزرقني قال: حدثني يحيى بن عثمان بن أبي قباحة الزهري قال: أنشدني أبو غسان صالح بن العباس بن محمد - وهو إذ ذاك على المدينة - للسري بن عبد الرحمن:

ليتني في المؤذنين نهراً      إنهم يبصرون من في السطوح  
فيشيرون أو يشار إليهم      حبذا كل ذات جيد مليح

قال: فأمر صالح بسد المنابر، فلم يقدر أحدٌ على أن يطلع رأسه حتى عزل صالح. يعمره عمر بن عمرو بن عثمان أرضاً بقاء: أخبرني حبيب بن نصر المهلي، قال: حدثنا عبد الله بن شبيب قال: حدثني زبير بن بكار عن عمه: أن السري بن عبد الرحمن وقف على عمر بن عمرو بن عثمان، وهو جالسٌ على بابه والناس حوله، فأنشأ يقول:

يا بن عثمان يا بن خير قریش      أبغني ما يكفني بقاء

## ربما بلني نذاك وجلى

## عن جيبني عجاجة الغرماء

فأعمره أرضاً بقاء، وجعلها طعمةً له أيام حياته، فلم تزل في يده حتى مات.  
مثل من الولوع بالنغي بشعره: أخرجني وسوسة بن الموصلي، قال: حدثني حماد بن إسحاق عن أبيه، عن عزيز بن طلحة، قال: قال معبد: خرجت من مكة أريد المدينة، فلما كنت قريباً من المنزل أريت بيتاً فعدلت إليه، فإذا فيه أسود عنده حبان من ماء وقد جهدي العطش، فسلمت عليه واستسقيت، فقال: تأخر عافاك الله، فقلت: يا هذا، اسقني بسرعة من الماء فقد كدت أموت عطشاً، فقال: والله لا تذوق منه جرعة ولو مت، فرجعت القهقري، وأنخت راحلي واستظلت بظلها من الشمس، ثم اندفعت أغني لبيتل لساني:

## كفوني إن مت في درع أروى

## واستقوا لي من بئر عروة مائي

فإذا أنا بالأسود قد خرج إلي ومعه قدح خيشاني فيه سويق ملت بماء بارد، فقال: هل لك في هذا أرب؟ قلت: قد منعتني ما هو أقل منه: الماء. فقال: اشرب -عافاك الله- ودع عنك ما مضى، فشربت ثم قال: أعد -فديتك- الصوت، فأعدته، فقال: هل لك -أبي وأمي- أن أحمل لك قربة من ماء، وأمشي بها معك إلى المنزل وتعيد علي هذا الصوت حتى أتزود منه، وكلما عطشت سقيتك؟ قلت: افعل، ففعل وسار معي، فما زلت أغنيه إياه، وكلما عطشت استقيته حتى بلغت المنزل عشاء .

## صوت

## سلب الشباب رداءه

## عني ويتبعه إزاره

## ولقد تحل علي حلتته ويعجبني افتخاره

## ت بسوءةٍ أو ذل جاره

## سائل شبابي هل مسك

## كان لي وله خياره

## ما إن ملكت المال إلا

ويروي: هل أسأت مساكه.

الشعر لمسكن الدرامي، والغناء لمقاسة بن ناصح، خفيف رمل بالبنصر عن عمرو.

## أخبار مسكين ونسبه

اسمه ونسبه:

مسكين لقبٌ غلب عليه، واسمه ربيعة بن عامر بن أنيف بن شريح بن عمرو بن زيد بن عبد الله بن عدس بن دارم بن مالك بن زيد مناة بن تميم. وقال أبو عمرو الشيباني: مسكين بن أنيف بن شريح بن عمرو بن عدس

زيد بن عبد الله بن دارم بن مالك بن حنظلة بن زيد مناة بن تميم.  
لماذا لقب مسكيناً؟ قال أبو عمرو: وإنما لقب مسكيناً لقوله:

أنا مسكينٌ لمن أنكرني

ولمن يعرفني جد نطق

لا أبيع الناس عرضي إنني

لو أبيع الناس عرضي لنفق

وقال أيضاً:

سميت مسكيناً وكانت لجاجاً

وإني لمسكين إلى الله راغب

وقال أيضاً:

إن أدع فلست بمنكر

وهل ينكرن الشمس ذر شعاعها

لعمرك ما الأسماء إلا علامة

منارٌ ومن خير المنار ارتفاعها

شاعر شريف من سادات قومه، هاجي الفرزدق ثم كافه، فكان الفرزدق بعد ذلك في الشدائد التي أفلت منها.  
مهاجاته الفرزدق لأنه نقض رثاءه لزيد: حدثني حبيب بن أوس بن نصر المهلي قال: حدثنا عمر بن شبة عن أبي  
عبدة قال: كان زياد قد أرعى مسكيناً الدارمي حمى له بناحية العذيب في عام قحط حتى أخصب الناس  
وأحيوا، ثم كتب له ببر وتمر وكساه، قال: فلما مات زياد رثاه مسكين، فقال:

رأيت زيادة الإسلام ولت

جهاراً حين ودعنا زياد

فعارضه الفرزدق، وكان منحرفاً عن زياد لطلبه إياه وإخافته له، فقال:

أمسكين أبكى الله عينك إنما

جری في ضلال دمعها فتحذرا

بكيته على عالج بميسان كافر

ككسرى على عدانه أو كقيصرا

أقول له لما أتاني نعيه: به

لا بظبي بالصريمة أعفرا

فقال مسكين يجيبه:

ألا أيها المرء الذي لست قاعداً

ولا قائماً في القوم إلا نبرى ليا

فجئتني بعم مثل عمي أو أب

كمثل أبي أو خال صدق كخاليا

كعمرو بن عمرو أو زرارة ذي الندى

أو البشر من كل فرعت الروابيا

قال: فأمسك الفرزدق عنه، فلم يجبه، وتكافأ.

أخبرني ببعض هذا الخبر أبو خليفة عن محمد بن سلام، فذكر نحوه مما ذكره أبو عبدة وزاد فيه، قال: والبشر  
خال لمسكين من النمر بن قاسط، وقد فخر به، فقال:

شريح فارس النعمان عمي

وخالي البشر بشر بني هلال

## وقائل خاله بأبيه منا

## سماعة لم يبع حسبا بمال

اتقى الفرزدق هجاءه واتقى هو هجاء الفرزدق: وأخبرني عمي قال: حدثنا الحزنبلي عن عمرو بن أبي عمرو، عن أبيه. يمثل هذه الحكاية، وزاد فيها، قال: فتكافأ واتقاه الفرزدق أن يعين عليه جريراً، واتقاه مسكين أن يعين عليه عبد الرحمن بن حسان بن ثابت. ودخل شيوخ بني عبد الله وبني نجاشع، فتكافأ.

مهاجاته الفرزدق من الخن التي أفلت منها الفرزدق: وأخبرني هاشم بن محمد الخزاعي قال: حدثنا أبو غسان دماذ عن أبي عبيدة عن أبي عمرو قال: قال الفرزدق.

نجوت من ثلاثة أشياء لا أخاف بعدها شيئاً: نجوت من زياد حين طلبني، ونجوت من ابني رميلة وقد نذرا دمي وما فلتهما أحد طلباه قط، ونجوت من مهاجاة مسكين الدارمي؛ لأنه لو هجاني اضطرني أن أهدم شطر حسي وفخري، لأنه من بجوحة نسبي وأشرف عشيرتي، فكان حرير حينئذ ينتصف مني بيدي ولساني.

شعره في الغيرة أشعر ما قيل فيها: أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال: حدثني محمود بن داود عن أبي عكرمة عامر بن عمران عن مسعود بن بشر عن أبي عبيدة أنه سمعه يقول: أشعر ما قيل في الغيرة قول مسكين الدارمي:

فيم تغار إذا لم تغر؟

ألا أيها الغائر المستشيط

وما خير عرس إذا لم تزر؟

فما خير عرس إذا خفتها

وهل يفتن الصالحات النظر؟

تغار على الناس أن ينظروا

فتحفظ لي نفسها أو تذر

وإني سأخلي لها بيتها

فلن يعطي الحب سوطاً ممر

إذا الله لم يعطني حبها

يأبى معاوية أن يفرض له: ثم يعود فيجيبه إلى طلبه: أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي قال: حدثني عبد الله بن عمرو بن أبي سعد قال: حدثني عبد الله بن مالك الخزاعي قال: حدثني عبد الله بن بشر قال: أخبرني أيوب بن أبي أيوب السعدي قال:

لما قدم مسكين الدارمي على معاوية فسأله أن يفرض له فأبى عليه، وكان لا يفرض إلا لليمن، فخرج من عنده مسكين وهو يقول:

كساع إلى الهيجا بغير سلاح

أخاك أخاك إن من لا أخا له

وهل ينهض البازي بغير جناح؟

وإن ابن عم المرء فأعلم جناحه

وما نال شيئاً طالب كنجاح

وما طالب الحاجات إلا مغرر

قال السعدي: فلم يزل معاوية كذلك حتى غزت اليمن وكثرت، وضعضت عدنان، فبلغ معاوية أن رجلاً من أهل اليمن قال يوماً: هممت ألا أدع بالشأم أحداً من مضر، بل هممت ألا أحل حبوتي حتى أخرج كل نزارى بالشأم، فبلغت معاوية، ففرض من وقته لأربعة آلاف رجل من قيس سوى خندق، وقدم على تفتية ذلك عطارد

بن حاجب على معاوية، فقال له: ما فعل الفتى الدارمي الصبيح الوجه الفصيح اللسان؟ يعني مسكيناً، فقال: صالح: يا أمير المؤمنين، فقال: أعلمه أبي فرضت له من شرف العطاء وهو في بلاده؛ فإن شاء أن يقيم بها أو عندنا فليفعل، فإن عطاءه سيأتيه، وبشره أبي فرضت لأربعة آلاف من قومه من خندق؛ قال: وكان معاوية بعد ذلك يغزي اليمن في البحر، ويغزي قيساً في البر، فقال شاعر اليمن:

ألا أيها القوم الذين تجمعوا  
بعكا أناسٌ أنتم أم أباعر؟  
أنترك قيسٌ آمنين بدارهم  
ونركب ظهر البحر والبحر زاخر؟  
فوالله ما أدري وإني لسائل  
أهمدان يحمي ضيمها أم يحابر؟  
أم الشرف الأعلى من أولاد حمير  
بنو مالك إذ تستمر المرائر  
أوصى أبوهم بينهم أن تواصلوا  
وأوصى أبوكم بينكم أن تدابروا

قال، ويقال: إن النجاشي قال هذه الأبيات.

أخبرني بذلك عبد الله بن أحمد بن الحارث العدوي عن محمد بن عائد عن الوليد بن مسلم عن إسماعيل بن عياش وغيره، قالوا: فلما بلغت هذه الأبيات معاوية بعث إلى اليمن فاعتذر إليهم، وقال: ما أغزيتكم البحر إلا لأبي أتيمن بكم، وأن في قيس نكداً وأخلاقاً لا يحتملها الثغر، وأنا عارف بطاعتكم. ونصحكم. فأما إذ قد ظننتم غير ذلك فأنا أجمع فيه بينكم وبين قيس فتكونون جميعاً فيه وأجعل الغزو فيه عقباً بينكم، فرضوا فعل ذلك فيما بعد. بشر بن مروان يتمثل بشعر له: حدثني الحسن بن علي قال: حدثنا أحمد بن زهير بن حرب قال: حدثني مصعب بن عبد الله قال: وحدثني زبير عن عمه قال: كان أصاغر ولد مروان في حجر ابنه عبد العزيز بن مروان، فكتب عبد العزيز إلى بشر كتاباً، وهو يومئذ على العراق، فورد عليه وهو ثمل، وكان فيه كلام أحفظه، فأمر بشر كاتبه فأجاب عبد العزيز جواباً قبيحاً، فلما ورد عليه علم أنه كتبه وهو سكران، فجفاه وقطع مكاتبه زماناً. وبلغ بشراً عتبه عليه، فكتب إليه: لولا الهفوة لم أحتج إلى العذر، ولم يكن لك في قبوله مني الفضل. ولو احتمل الكتاب أكثر مما ضمنته لزدت فيه، وبقية الأكابر على الأصاغر من شيم الأكارم. ولقد أحسن مسكين الدارمي حين يقول:

أخاك أخاك إن من لا أخا له  
كساع إلى الهيجا بغير سلاح  
وإن ابن عم المرء فأعلم جناحه  
وهل ينهض البازي بغير جناح!

قال: فلما وصل كتابه إلى عبد العزيز دمعت عينه، وقال: إن أخي كان منتشياً ولولا ذلك لما جرى منه ما جرى، فسلوا عمن شهد ذلك المجلس؛ فسئل عنهم، فأخبر بهم، فقبل عذره، وأقسم عليه ألا يعاشر أحداً من ندمانه الذين حضروا ذلك المجلس، وأن يعزل كاتبه عن كتابته، ففعل.

مهاجاته الفرزدق من الخن التي نجا الفرزدق منها: أخبرني محمد بن الحسين الكندي خطيب القادسية قال: حدثنا

عمر بن شبة عن أبي عبيدة عن أبي عمرو قال: كان الفرزدق يقول: نجوت من ثلاث أرجو ألا يصيبني بعدهن شر: نجوت من زياد حين طلبني وما فاته مطلوب قط، ونجوت من ضربة رثاب بن رميلة أبي البذال فلم يقع في رأسي، ونجوت من مهاجاة مسكين الدارمي. ولو هاجيته لحال بيني وبين بني عمي، وقطع لساني عن الشعراء.

يخطب فتاة فتأباه، ويمر بها وهي مع زوجها، فيقول في ذلك شعراً: أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال: حدثنا أبو العيناء عن الأصمعي قال:

خطب مسكين بن خلف فتاة من قومه فكرهته لسواد لونه وقلة ماله، وتزوجت بعده رجلاً من قومه ذا يسار ليس له مثل نسب مسكين، فمر بهما مسكين ذات يوم، وتلك المرأة جالسة مع زوجها، فقال:

أنا مسكين لمن يعرفني	لوني السمرة ألوان العرب
من رأى ظيباً عليه لؤلؤ	واضح الخدين مقروناً بضب
أكسبته الورق البيض أباً	ولقد كان وما يدعى لأب
رب مهزول سمين بيته	وسمين البيت مهزول النسب
أصبحت ترزق من شحم الذرا	وتخال اللؤم دراً ينتهب
لا تلمها إنها من نسوة	صخبات ملحها فوق الركب
كشموس الخيل يبدو شغبها	كلما قيل لها هال وهب

يأمره يزيد أن يرشحه للخلافة في أبيات وينشدها في مجلس أبيه: أخبرني محمد بن يزيد قال: حدثني حماد بن إسحاق الموصلي قال: حدثني أبي عن المهشم بن عدي عن عبد الله بن عياش قال: كان يزيد بن معاوية يؤثر مسكيناً الدارمي، ويصله ويقوم بحوائجه عند أبيه، فلما أراد معاوية البيعة ليزيد هيب ذلك وخاف ألا يمالئه عليه الناس، لحسن البقية فيهم، وكثرة من يرشح للخلافة، وبلغه في ذلك ذرء وكلام كرهه من سعيد بن العاص ومروان بن الحكم وعبد الله بن عامر، فأمر يزيد مسكيناً أن يقول أبياتاً وينشدها معاوية في مجلسه إذا كان حافلاً وحضره وجوه بني أمية، فلما اتفق ذلك دخل مسكين إليه، وهو جالس وابنه يزيد عن يمينه وبنو أمية حواليه وأشرف الناس في مجلسه، فمثل بين يديه وأنشأ يقول:

إن أدع مسكيناً فإني ابن معشر	من الناس أحمي عنهم وأذود
إليك أمير المؤمنين رحلتها	تثير القطا ليلاً وهن هجود
وهاجرة ظلت كأن ظبائها	إذا ما اتفتها بالقرون سجود

صوت

ومروان أم ماذا يقول سعيد؟

يبوئها الرحمن حيث يريد

فإن أمير المؤمنين يزيد

لكل أناس طائر وجدود

وفود تساميهما إليك وفود

تشيد أطناب له وعمود

أثاف كأمثال الرئال ركود

ألا ليت شعري ما يقول ابن عامر

بني خلفاء الله مهلاً فإنما

إذا المنبر الغربي خلاه ربه

-الغناء لمعبد ثقيل أول بالبنصر، عن عمرو بن بانه:

على الطائر الميمون والجد صاعد

فلا زلت أعلى الناس كعباً ولا تنزل

ولا زال بيت الملك فوقك عالياً

قدور ابن حرب كالجوابي وتحتها

فقال له معاوية: ننظر فيما قلت يا مسكين، ونستخير الله. قال: ولم يتكلم أحد من بني أمية في ذلك إلا بالإقرار والموافقة، وذلك الذي أراد يزيد ليعلم ما عندهم، ثم وصله يزيد ووصله معاوية فأجزلا صلته.

يغير مغن للرشيد شطر بيت له، فيعجب الرشيد تغييره: أخبرني محمد بن خلف قال: حدثنا العتري قال: حدثنا أبو معاوية بن سعيد بن سالم قال: قال لي عقيد: غنيت الرشيد:

إذا المنبر الغربي خلاه ربه

ثم فطنت لخطابي، ورأيت وجه الرشيد قد تغير، قال: فتداركتها وقلت:

فإن أمير المحسنين عقيد

فطرب، وقال: أحسنت والله، بجياتي قل:

فإن أمير المؤمنين عقيد

فوالله لأنت أحق بها من يزيد بن معاوية، فتعاضمت ذلك، فحلف لا أغنيه إلا كما أمر، ففعلت، وشرب عليه ثلاثة أرطال، ووصلني صلة سنية.

تمر به امرأة له وهو ينشد من شعره، فتعقب عليه، فيضربها: أخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال: حدثنا عبد الرحمن بن أخي الأصمعي قال: حدثني عمي قال: كانت لمسكين الدارمي امرأة من منقر، وكانت فاركا كثيرة الخصومة والمماظة، فجازت به يوماً وهو ينشد قوله في نادي قومه:

قدري بيوت الحي والجدر

وإليه قبلي تنزل القدر

إن أدع مسكيناً فما قصرت

فوقفت عليه تسمع حتى إذا بلغ قوله:

ناري ونار الجار واحدة

فقلت له: صدقت والله، يجلس جارك فيطبخ قدره، فتصطلى بناره، ثم يتزها فيجلس يأكل وأنت بجذائه كالكلب، فإذا شبع أطعمك، أجل والله، إن القدر لتزول إليه قبلك، فأعرض عنها، ومر في قصيدته حتى بلغ قوله:

**ما ضر جاراً لي أجوره**      **ألا يكون لبيته ستر**

فقلت له: أجل، إن كان له ستر هتكته، فوثب إليها يضربها، وجعل قومه يضحكون منهما وهذه القصيدة من جيد شعره .

### صوت

**يا فرحتا إذ صرفنا أوجه الإبل**      **نحو الأحبة بالإزعاج والعجل**  
**نحتنن وما يؤتتين من دأب**      **لكن للشوق حثا ليس للإبل**

الشعر لأبي محمد اليزيدي، والغناء لسليمان، ثقیل أول بالبنصر عن عمرو، والهشامي.

### أخبار أبي محمد ونسبه

نسبه: أبو محمد بن يحيى المبارك، أحد بني عدي بن عبد شمس بن زيد مناة بن تميم. سمعت أبا عبد الله محمد بن العباس بن محمد بن أبي اليزيدي يذكر ذلك، ويقول: نحن من رهط ذي الرمة. لم يقال له اليزيدي؟: وقيل: إنهم موالي بني عدي، وقيل لأبي محمد: اليزيدي لأنه كان فيمن خرج مع إبراهيم بن عبد الله بن الحسن بالبصرة، ثم توارى زماناً حتى استتر أمره، ثم اتصل بعد ذلك بيزيد بن منصور خال المهدي، فوصله بالرشيد، فلم يزل معه. وأدب المأمون خاصةً من ولده، ولم يزل أبو محمد وأولاده منقطعين إليه وإلى ولده، ولهم فيهم مدائح كثيرة جياذ.

مكانته العلمية والأدبية وشيوخه: وكان أبو محمد عالماً باللغة والنحو، راوية للشعر، متصرفاً في علوم العرب. أخذ عن أبي عمرو بن العلاء ويونس بن حبيب النحوي وأكابر البصريين، وقرأ القرآن على أبي عمرو بن العلاء، وجود قراءته ورواها عن.، وهي المعول عليها في هذا الوقت. وكان بنوه جميعاً في مثل منزلته من العلم والمعرفة باللغة، وحسن التصرف في علوم العرب. ولسائرهم علمٌ جيد .

من له شعر يتغنى به من أولاده: ونحن نذكر بعد انقضاء أخباره أخبار من كان له شعر وفيه غناء من ولده، إذ كنا قد شرطنا ذكر ما فيه صنعة دون غيره.

فمنهم محمد بن أبي محمد، وإبراهيم بن أبي محمد، وإسماعيل بن أبي محمد. كل هؤلاء ولده لصلبه، ولكلهم شعر جيد.

ومن ولد ولده أحمد بن محمد بن أبي محمد، وهو أكبرهم، وكان شاعراً راوية عالماً.

ومنهم عبيد الله والفضل ابنا محمد بن محمد، وقد روي عن أكابر أهل اللغة، وحمل عنهما علم كثير. وآخر من كان بقي من علماء أهل هذا البيت أبو عبد الله محمد بن العباس بن محمد بن أبي محمد، وكان فاضلاً عالماً ثقة فيما يرويه، منقطع القرين في الصدق وشدة التوقي فيما ينقله.

وقد حملنا نحن عنه وكثيراً من طلبه العلم ورواته علماً كثيراً، فسمعنا منه سماعاً جماً. فأما ما أذكرها هنا من أخبارهم فإني أخذته عن أبي عبد الله عن عميه عبيد الله والفضل، وأضفت إليه أشياء آخر يسيرة أخذتها من غيره، فذكرت ذلك في مواضعه، ورويته عن أهله.

يقول في المأمون شعراً وقد ضرب عنق أسيرين فأبان رأسيهما: أخبرني محمد بن العباس اليزيدي قال: حدثني عمي عبيد الله عن عمه إسماعيل بن أبي محمد قال: حدثني أبي قال: كان الرشيد جالساً في مجلسه فأتي بأسير من الروم، فقال لدفاة العبسي: قم فاضرب عنقه، فضربه فبنا سيفه، فقال لابن فليح لندني: قم فاضرب عنقه، فضربه فبنا سيفه أيضاً، فقال: أصلح الله أمير المؤمنين! تقدمتني ضربة عبسية، فقال الرشيد للمأمون، وهو يومئذ غلام: قم -فداك أبوك- فاضرب عنقه، فقام فضرب العليج، فأبان رأسه، ثم دعا بأخر فأمره بضرب عنقه، فضربه فأبان رأسه، ونظر إلي المأمون نظر مستنطق، فقلت:

أبقي دفاة عاراً بعد ضربته

عند الإمام لعبس آخر الأبد

كذلك أسرته تنبو سيوفهم

كسيف ورقاء لم يقطع ولم يكد

ما بال سيفك قد خانتك ضربته

وقد ضربت بسيف غير ذي أود

هلا كضربة عبد الله إذ وقعت

ففرقت بين رأس العليج والجسد

يحتكم في فضله اثنان فيفضله الحكم على الكسائي فيقول في ذلك شعراً: قال إسماعيل ابن أخت الحسن الحاجب وسعيد والجوهري واقفين، فذكرا أبا محمد -يعني أباه والكسائي- ففضل حمويه الكسائي على أبي محمد، وفضل سعيد الجوهري أبا محمد على الكسائي.

وطال الكلام بينهما إلى أن تراضيا برجل يحكم بينهما، فتراهننا على أن من غلب أخذ برذون صاحبه، فجعلنا الحكم بينهما أبا صفوان الأحوزي، فلما دخل سألاه فقال لهما: لو ناصح الكسائي نفسه لصار إلى أبي محمد، وتعلم منه كلام العرب، فما رأيت أحداً أعلم منه به، فأخذ الجوهري دابة حمويه. وبلغ أبا محمد اليزيدي هذا الخبر فقال:

يا حمويه اسمع ثناً صادقاً

فيك وما الصادق كالكاذب

يا جالب الخزي على نفسه

بعدا وسحقاً لك من جالب

إن فخر الناس بأبائهم

آتيتهم بالعجب العاجب

قلت وأدغمت أبا خاملاً

أنا ابن أخت الحسن الحاجب

يهجو سلم الخاسر: قال إسماعيل: وحدثني أبي قال: كنت ذات يوم جالساً أكتب كتاباً، فنظر فيه سلم الخاسر طويلاً، ثم قال:

أير يحيى أخط من كف يحيى

إن يحيى بأيره لخطوط

فقال أبو محمد يحيى:

أم سلم بذاك أعلم شيء

إنها تحت أيره لضروط

ولها تارة إذا ما علاها

أزمل من وداقها وأطيط

أم سلم تعلم الشعر سلماً

حبذا شعر أمك المنقوط

ليت شعري ما بال سلم بن عمرو

كاسف البال حين يذكر لوط

لا يصلي عليه فيمن يصلي

بل له عند ذكره تشييط

فقال له سلم: ويحك ما لك خبثت؟ أي شيء دعاك إلى هذا كله؟ فقال أبو محمد: بدأت، فانتصرت، والبادي أظلم.

يطلب سلم الخاسر أن يهجوهُ على روي سماه، فيفعل، فيغضب سلم: قال أبو عبد الله محمد بن العباس اليزيدي حدثني عبيد الله وعمي أبو القاسم عن أبي علي إسماعيل قال: قال لي أبي: قال سلم الخاسر يوماً: يا أبا محمد، قل أبياتاً على قول امرئ القيس:

رب رام من بني ثعل

ولا أبالي أن تهجوني فيها، فقلت:

رب مغموم بعافية

غمط النعماء من أشره

مورداً أمراً يسر به

فرأى المكروه في صدره

وامرئ طالت سلامته

فرماه الدهر من غيره

بسهام غير مشوية

نقضت منه عرا مرره

وكذاك الدهر مختلف

بالفنتى حالين من عصره

يخلط العسرى بميسرة

ويسار المرء في عصره

عق سلم أمة سفها

وأبا سلم على كبره

كل يوم خلفه رجل

رامح يسعى على أثره

## يولج الغرمول سبته

## كولج الضب في حجره

فانصرف سلم وهو يشتمه ويقول: ما يحل لأحد أن يكلمك يطلب شاعر أن ينظم على قافية معينة فيهجو فيما نظم: قال: وقال لي يوماً أبو حنش الشاعر: يا أبا محمد، قل أبياتاً قافيتها على هاءين، فقلت له: على أن أهجوك فيها، فقال نعم، فقلت:

قلت ونفسي جم تأوها  
سقيا لصنعاء لا أرى بلداً  
حصنا ولا كبهجتها  
يعرف صنعاء من أقام بها  
أبلغ حضيراً عني أبا حنش  
تأتيه مثل السهام عامدة  
كنيته طرح نون كنيته  
تصبو إلى إلفها وأندهها  
أوطنه الموطنون يشبهها  
أعذى بلاد عذا وأنزها  
أرغد أرض عيشا وأرفها  
عائرة نجوه أوجهها  
عليه مشهورة أدهدهها  
إذا تهجيتها ستفقهها

يريد إسقاط النون من أب حنش حتى يكون أبا حس .

يقول شعراً في يونس بن الربيع وكان وسيماً: قال أبو عبد الله: وحدثني عمي قال: حدثني الطلحي - وكان له علم وأدب - قال: اجتمعت مع أبي محمد عند يونس بن الربيع، وكان قد دعانا، فأقمنا عنده، فاتفق مجلسي إلى جنب مجلس أبي محمد، فقام يونس لحاجته، وكان جميلاً وسيماً، فالتفت إلى اليزيدي فقال:

وفتى كالفناة في الطرف منه  
فإذا الراح المشيخ تلاه  
إن تأملت طرفه استرخاء  
وضع الرمح منه حيث يشاء

يهجو قتيبة الخراساني لأنه كان يسأله كالمتعنت: قال: وحدثني عمي عن عمه إسماعيل عن أبي محمد قال: كان قتيبة الخراساني عيسى بن عمر يأتيني، فيسألني عن مسائل كالمتعنت، فإذا أحبته عنها انصرف منكسراً، وكان أفطس، فقلت له يوماً:

أمخبري أنت يا قتيبة عن  
بأي جرم وأي ذنب ترى  
فصيرته كفيشة نبتت  
قد كان في ذاك شاغل لك عن  
أنفك أم أنت كاتم خبره؟  
سوت بخديك أنفك البقره  
في وجه قرد مفضوضة الكمره  
تفتيش باب العرفان والنكره

وقلت فيه أيضاً:

إذا عافى عليك الناس عبداً  
فلا عافاك ربك يا قتيبة

طلبت النحو مذ أن كنت طفلاً

فما تزداد إلا النقص فيه

وكنت كغائب قد غاب حيناً

فطال مقامه وأتى بخيبه

يلقن قتيبة غريباً فيه فحش، فيعابي به عيسى بن عمر: قال أبو محمد: كان عيسى بن عمر أعلم الناس بالغريب، فأتاني قتيبة الخراساني هذا، فقال لي: أفديني شيئاً من الغريب أعابي به عيسى بن عمر، فقلت له: أجد المساويك عند العرب الأراك، وأجد الأراك عندهم ما كان متمراً عجاراً جيداً، وقد قال الشاعر:

إذا استكت يوماً بالأراك فلا يكن

سواك إلا المتمتر العجارما

يعني الأير. قال: فكتب قتيبة ما قلت له، وكتب البيت، ثم أتى عيسى بن عمر في مجلسه، قال: يا أبا عمر، ما أجد المساويك عند العرب؟ فقال: الأراك، يرحمك الله. فقال له قتيبة: أفلا أهدي إليك منه شيئاً متمراً عجاراً؟ فقال: أهده إلى نفسك. وغضب، وضحك كل من كان في مجلسه، وبقي قتيبة متحيراً، فلم يعلم عيسى أنه قد وقع عليه بلاء، فقال له: ويلك! من فضحك وسخر منك بهذه المسألة؟ ومن أهلك ودمر عليك؟ قال: أبو محمد اليزيدي، فضحك عيسى حتى فحص برجله، وقال: هذه والله من مزحاته وبلاياه. أراه عنك منحرفاً، فقد فضحك. فقال قتيبة: لا أعاد مسألته عن شيء.

الخليل يحبه ويحبه: حدثني عمي قال: حدثني عبيد الله بن محمد اليزيدي قال: حدثني أخي أبو جعفر قال: سمعت جدي أبا محمد يقول: صرت يوماً إلى الخليل بن أحمد، والمجلس غاص بأهله، فقال لي: ها هنا عندي، فقلت أضيع عليك، فقال: إن الدنيا بخذافيرها تضيق عن متباغضين، وإن شبراً في شبر لا يضيع عن متحابين. قال: وكان الخليل لأبي محمد صافي الود.

يجمع بين الخليل وابن المقفع: حدثنا اليزيدي قال: حدثني عمي عبيد الله قال: حدثني أخي أحمد قال: سمعت جدي أبا محمد يقول: كنت ألقى الخليل بن أحمد، فيقول لي: أحب أن يجمع بيني وبين عبد الله بن المقفع، وألقى ابن المقفع فيقول: أحب أن يجمع بيني وبين الخليل بن أحمد. فجمعت بينهما، فمر لنا أحسن مجلس وأكثره علماً، ثم افترقنا، فلقيت الخليل فقلت له: يا أبا عبد الرحمن، كيف رأيت صاحبك؟ قال: ما شئت من علم وأدب، إلا أني رأيت كلامه أكثر من علمه، ثم لقيت ابن المقفع فقلت: كيف رأيت صاحبك؟ فقال: ما شئت من علم وأدب، إلا أن عقله أكثر من علمه.

ينظر الكسائي في مجلس المهدي فيغلبه: حدثنا اليزيدي قال حدثني عمي عبيد الله قال: حدثني أخي أحمد بن محمد قال: حدثني أبي محمد بن أبي محمد قال: قال لي أبو محمد: كنا مع المهدي ببلد في شهر رمضان قبل أن يستخلف بأربعة أشهر، وكان الكسائي معنا، فذكر المهدي العربية وعنده شيبه بن الوليد العبيسي عم دفافة، فقال المهدي: نبعث إلى اليزيدي والكسائي، وأنا يومئذ مع يزيد بن المنصور خال المهدي، والكسائي مع الحسن الحاجب، فجاءنا الرسول، فجئت أنا، فإذا الكسائي على الباب قد سبقني. فقال: يا أبا محمد، أعوذ بالله من

شرك، فقلت: والله لا تؤتى من قبلي حتى أوتى من قبلك.

فلما دخلنا عليه أقبل علي، وقال: كيف نسبوا إلى البحرين فقالوا: بحراي، ونسبوا إلى الحصنين فقالوا: حصني ولم يقولوا حصناني. كما قالوا بحراي؟ فقلت: أصلح الله الأمير! لو أنهم نسبوا إلى البحرين فقالوا: بحري لم يعرف أإلي البحرين نسبوا أم إلى البحر؟ فلما جاءوا إلى الحصنين لم يكن موضع آخر يقال له: الحصن ينسب إليه غيرهما فقالوا: حصني.

قال أبو محمد، سمعت الكسائي يقول لعمر بن بزيع - وكان حاضراً - لو سألتني الأمير لأخبرته فيها بعلة هي أحسن من هذه. قال أبو محمد: قلت: أصلح الله الأمير، إن هذا يزعم أنك لو سألته لأجاب بأحسن مما أجبت به. قال: فقد سألته فقال الكسائي: لما نسبوا إلى الحصنين كانت فيه نونان، فقالوا: حصني اجتزأ بإحدى النونين عن الأخرى، ولم يكن في البحرين إلا نون واحدة، فقالوا: بحراي. فقلت: أصلح الله الأمير! فيكيف تنسب رجلاً من بني جنان فإنه يلزمه على قياسه أن يقول: جني إن في جنان نونين، فإن قال ذلك فقد سوى بينه وبين المنسوب إلى الجن.

قال: فقال المهدي وله: تناظرا في غير هذا حتى نسمع، فتناظرا في مسائل حفظ فيها قولي وقوله إلى أن قلت له: كيف تقول: إن من خير القوم أو خيرهم نية زيد؟ قال: فأطال الفكر لا يجيب. فقلت: لأن تجيب فتخطئ فتعلم أحسن من هذه الإطالة. فقال: إن من خير القوم أو خيرهم نية زيداً. قال: فقلت: أصلح الله الأمير، ما رضي أن يلحن حتى لحن وأحال. قال: وكيف؟ قلت: لرفعه قبل أن يأتي باسم إن، ونصبه بعد رفعه.

فقال شيبه بن الوليد: أراد بأو - بل، فرفع هذا معنى. فقال الكسائي: ما أردت غير ذلك فقلت: فقد أخطأ جميعاً أيها الأمير. لو أراد بأو - بل رفع زيداً؛ لأنه لا يكون بل خيرهم زيداً، فقال المهدي: يا كسائي، لقد دخلت علي مع مسلمة النحوي وغيره، فما رأيت كما أصابك اليوم. قال: ثم قال: هذان عالمان، ولا يقضي بينهما إلا أعرابي فصيح يلتقى عليه المسائل التي اختلفا فيها فيجيب. قال: فبعث إلى فصيح من فصحاء الأعراب. قال أبو محمد، وأطرقت إلى أن يأتي الأعرابي، وكان المهدي محباً لأخواله، ومنصور بن يزيد بن منصور حاضر، فقلت: أصلح الله الأمير! كيف ينشد هذا البيت الذي جاء في هذه الآيات:

عن بصنعاء من ذوي الحساب

يا أيها السائل لأخبره

بالفضل طراً ججاج العرب

حمير ساداتها تقر لها

أو خيرهم نية أبو كرب

وإن من خيرهم وأكرمهم

قال: فقال لي المهدي: كيف تنشده أنت؟ فقلت: أو خيرهم نية أبو كرب على إعادة إن، كأنه قال: أو إن خيرهم نية أبو كرب. فقال الكسائي: هو والله قالمها الساعة. قال: فتبسم المهدي، وقال: إنك لتشهد له وما تدري. قال: ثم طلع الأعرابي الذي بعث إليه فألقيت عليه المسائل، فأجاب فيها كلها بقولي، فاستفزني السرور

حتى ضربت بقلنسيي الأرض، وقلت: أنا أبو محمد. قال لي شيبه: أتتكني باسم الأمير؟ فقال المهدي: والله ما أراد بذلك مكروهاً، ولكنه فعل ما فعل للظفر، وقد -لعمري- ظفر. فقلت: إن الله -عز وجل- أنطقك أيها الأمير بما أنت أهله، وأنطق غيرك بما هو أهله.

يتهدده شيبه بن الوليد فيهجوه في رقاد دسها في الدواوين: قال: فلما خرجنا قال لي شيبه: أتخطئي بين يدي الأمير؟ أما لتعلمن! قلت: قد سمعت ما قلت، وأرجو أن تجد غيبها، ثم لم أصبح حتى كتبت رقاعاً عدة، فلم أدع ديواناً إلا دسست إليه رقعة فيها أبيات قلتها فيه، فأصبح الناس يتناشدونها، وهي:

عش بجد ولا يضرك نوك

إنما عيش من ترى بالجدود

عش بجد وكن هينقه القيسي

نوكا أو شيبه بن الوليد

شيب يا شيب يا جدي بني القعقاع

ما أنت بالحليم الرشيد

لا ولا فيك خلّة من خلال

الخير أحرزتها لحزم وجود

غير ما أنك المجيد لتقطيع

غناء وضرب دف وعود

فعلى ذا وذاك يحتمل الدهر

مجيئاً له وغير مجيد

يهجو خلفاً الأحمر: قال: وقال أبو محمد البيدي يهجو خلفاً الأحمر أستاذ الكسائي، أنشدني عمي الفضل:

زعم الأحمر المقيت علي

والذي أمه تقر بمقتته

أنه علم الكسائي نحواً

فلئن كان ذا كذاك فباسته

يأمر له الرشيد بمال، ويستعين الغساني على تعجيله فلا يعينه: وبهذا الإسناد عن أبي محمد قال: أمر لي الرشيد بمال وحضر شخوصه إلى السن، فأتيت عاصماً الغساني -وكان أثيراً عند يحيى بن خالد- فقلت له: إن أمير المؤمنين قد أمر لي بمال، وقد حضر من شخوصه ما قد علمت، فأحب أن تذكر أبا علي يحيى بن خالد أمره ليعجله إلي. فقال: نعم، ثم عدت بعد ذلك بيومين، فقال لي يتفخم في لفظه: ما أصبت بحاجتك موضعاً. قال: قلت فاجعلها منك -أكرمك الله- ببال.

فلما خرجت لحقني بعض من كان في المجلس، فقال لي: يا أبا محمد، إني لأربأ بك أن تأتي هذا الكلب أو تسأله حاجة، قلت: وكيف؟ قال: سمعته يقول -وقد وليت- لو أن بيدي دجلة والفرات ما سقيت هذا منهما شربة، فقيل له: ولم ذاك -أصلحك الله- فإن له قدراً وعلماً؟ قال: لأنه من مضر، وما رأيت مضريراً قط يجب اليمانية. قال: فأحببت ألا أعجل، فعدت إليه من غد فقلت: هل كان منك -أكرمك الله- في الحاجة شيء؟ فقال: والله لكأنك تطلبنا بدين فتحقق عندي ما بلغني عنه، فقلت له: لا قضى الله هذه الحاجة على يدك، ولا قضى لي حاجة أبداً إن سألتكها، والله لا سلمت عليك مبتدئاً أبداً، ولا رددت عليك السلام إن بدأتني به. ونفضت ثوبي

وخرجت.

يستعين بجعفر بن يحيى على تعجيل المال فيعيّنه: فإني لأسير وأفكر في الحيلة لحاجتي إذا براكب يركض حتى لحقتي، فقال: بعثني إليك أبو علي يحيى بن خالد لتقف حتى يلحقك، فرجعت مع رسوله إليه فلقيته، وكان قريباً، فسلمت عليه ثم سايرته، فقال لي: إن أمير المؤمنين أمرني أن أمرك بطلب مؤدب لابنه صالح، فإني أحدثك حديثاً حدثني به أبي خالد بن برمك: أن الحجاج بن يوسف أراد مؤدباً لولده، فقبل له: ها هنا رجل نصراني عالم، ها هنا مسلم ليس علمه كعلم النصراني، قال: ادعوا لي المسلم.

فلما أتاه قال: ألا ترى يا هذا أنا قد دللنا على نصراني قد ذكروا أنه أعلم منك، غير أنني كرهت أن أضم إلى ولدي من لا ينههم للصلاة عند وقتها، ولا يدهم على شرائع الإسلام ومعلمه؟ وأنت - إن كان لك عقل - قادر على أن تتعلم في اليوم ما يعلمه أولادي في جمعه، وفي الجمعة ما يعلمهم في الشهر، وفي الشهر ما يعلمهم في سنة. ثم قال لي يحيى: فينبغي يا أبا محمد أن نؤثر الدين على ما سواه، فقلت له: قد أصبت من أرضاه، وذكرت له الحسن بن المسور، فضمه إليه ثم سألتني: من أين أقبلت؟ فأخبرته بخبر عاصم وما كان منه، فقلت له: قد حضر هذا المسير، ولست أدري من أي وجه أتقاضاه؟ فضحك وقال: ولم لا تدري؟ التقت صديقك جعفرًا، يعني ابنه، حتى يكلم أمير المؤمنين أو يذكرني حاجتك، فقد تركته على المضى الساعة، فأنشيت إلى جعفر وقلت له في طريقي:

يا سائلي عما أخبره  
عن جعفر كرمًا وعن شيمه  
إن ابن يحيى جعفرًا رجل  
سيط السماح بلحمه ودمه  
فعليه "لا" أبدًا محرمة  
وكلامه وقف على نعمه  
وترى مسابقه ليدرکه  
بمكان حذو النعل من قدمه

فلما دخلت إليه أخبرته الخبر، وأنشدته الأبيات، وأعلمته ما أمرني به أبوه، فقال لي: قل بيتين تذكره فيهما إلى أن أجدد طهرا واكتبتهما حتى يكونا معي، فأذكر بهما حاجتك، فقلت: نعم يا سيدي، وأخذت الدواة وكتبت:

أحق من أنجز موعوده  
خليفة الله على خلقه  
ومن له إرث نبي الهدى  
بالحق لا يدفع عن حقه  
ينسب في الهدى إلى هديه  
براً وفي الصدق إلى صدقه  
ومن له الطاعة مفروضة  
لائحة بالوحي في رقه  
والراتق الفتق العظيم الذي  
لا يقدر الناس على رتقه

يهجو الغساني لأنه لم يعنه على تعجيل المال: قال: فأخذ الشعر، ومضى إلى الرشيد في حاجتي وأقرأه إياه، فصك إلي بالمال عليه، وقبضته بعد ذلك بيوم، وأنشأت أقول في الغساني:

ألا طرقت أسماء أم أنت حالم؟  
 إذا قيل أي الناس أعظم جفوة  
 دعي أجاخته إلى اللؤم دعوة  
 شهيدي على أن ليس حراً صليبةً  
 صفيحة دقاق أبوه شبيهه  
 أعاصم خل المكرمات لأهلها  
 فكيف تنال الدهر مجدداً وسوددا  
 وأصلك مدخول وفسقك ظاهر  
 تصانع غساناً لتلحق فيهم

فأهلاً بطيف زار والليل عاتم  
 وآلام قبيل الجرهماني عاصم  
 ومغرس سوء لؤمه متقادم  
 صفيحة وجه ابن استها واللهازم  
 وجداه سماك لئيم وحاجم  
 وأغض على لؤم ووجهك سالم  
 وفي كل يوم كوكبٌ لك ناجم؟  
 وعجبك مهموز وعردك عارم  
 ورب دعي ألحقته الدراهم

فإن راب ريب أو أصابتك شدة  
 -قال: وكان اسم ابنه شلثي، فصيره صلثا -  
 إذا عاصماً يوماً أتيت لحاجة  
 وعرض له من قبل ذلك بأمرٍ  
 وإلا فلا تسأله ما عشت حاجة  
 رجعت إلى شلثي وأنفك راغم  
 فلا تلقه إلا وأيرك قائم  
 وضيء وسيم أنقلته المآكم  
 ولا تبكه إن أعولته المآتم

يستعينه الغساني على رد ضيعة له قبضت فيعيته: قال: فلما حدث بيني وبين برمك ما حدث قبضت ضيعته في المقبوض من ضياع أسباهم، فصار إلي وكلمني في أمرها، وسألني كلام الجوهري في ذلك، فقممت له حتى ردت الضيعة عليه، فجاءني يشكرني، ويعتذر مما جرى من فعله المتقدم، فقلت له: تناس ما مضى، فلست ممن يكافئ على سوء أحد.

يتهمه أبو عبيدة بذكر مساوي الناس في المسجد فيهجوه: قال أبو محمد: كان أبو عبيدة يجلس في مسجد البصرة إلى سارية، وكنت أنا وخلف الأحمري نجلس جميعاً إلى أخرى، وكان أبو عبيدة من أعضاء الناس للناس وأذكرهم لمتالبهم، فقال لأصحابه: أترون الأحمري واليزيدي إنما يجتمعان على الوقعة للناس وذكر مساويهم؟ وبلغني ذلك وأنه قد رمانا بمذهبه، فقلت لخلف: دعه، فأنا أكفيكه. فلما كان من الأذان جئت أنا وخلف إلى المسجد، فكتبت على الحصص في الموضوع الذي كان يجلس فيه أبو عبيدة:

صلى الإله على لوط وشيعته  
 أبا عبيدة قل بالله آمينا

قال: وأصبح الناس، وجاء أبو عبيدة، فجلس وهو لا يعلم ما فوق رأسه مكتوباً وأقبل الناس ينظرون إلى البيت ويضحكون، ورفع أبو عبيدة رأسه ونظر إليه، فحجل، ولم يزل منكسا رأسه حتى انصرف الناس وأنا وخلف ناحيةً ننظر إلى ما به، ثم قمنا حتى وقفنا عليه، فقلنا له: ما قال صاحب هذا البيت إلا حقاً، نعم فصلى الله على لوط، فأقبل علي وقال: قد علمت من أين أتيت، ولن أعاود التعرض لتلك الجهة، ولم يعد لذكرنا بعد ذلك. يجفوه يزيد بن المنصور فيعاتبه فيعتبه: وقال أبو محمد: اعتلت علة من حمى ربع طالت علي أشهراً، فحفاني يزيد بن منصور، ولم يمر بي في علي، ولم يتفقدني كما ينبغي؛ فكتبت رقعة إليه ضممتها هذه الأبيات:

قل للأمير الذي يرجو نوافله  
من جاء طالباً للخير منتاباً  
إني صحبتك دهرأ كل ذلك أرى  
من دون خيرك حجاباً وأبوأباً  
وكم ضريك أجاءته شقاوته  
إليك إذا أنتشبت ضراؤها نابا  
فما فتحت له باباً لميسرة  
ولا سددت له من فاقة بابا  
كغائب شاهدٌ يخفى عليك كما  
من غاب عنك فوافى حظه غابا

فلما قرأها قال: حفونا أبا محمد؛ وأحوجناه إلى استبطائنا. والله المستعان، وبعث إليه بصلة.

يعبث به خلف الأحمر في قصيدة نسبه فيها إلى اللواط: أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي أبو دلف قال: حدثني محمد بن عبد الرحمن بن الفهم، وكان من أصحاب الأصمعي، قال: كان خلف الأحمر يعبث بأبي محمد اليزيدي عبثاً شديداً، وربما جد فيه وأخرجه مخرج المزح، فقال فيه ينسبه إلى اللواط:

إني ومن وسج المطي له  
حذب الذرى أذاقها رجف  
يطرحن بالبيد السحال إذا  
حث النجاء الركب وازدهفوا  
والمحرمين لصوتهم زجل  
بفناء كعبته إذا هتفوا  
وإذا قطعن مساف مهممة  
قذف تعرض دونها شرف  
وافت بهم خوص محزمة  
مثل القسي ضوامرٌ شسف  
مني إليه غير ذي كذب  
ما إن رأى قوم ولا عرفوا  
في غابر الناس الذين بقوا  
أحدأ كيحيى في الطعان إذا اف  
في معرك يلقي الكمي به  
الفرط الماضين إذ سلفوا  
ولوجه منبطحاً وينحرف  
طعناً دوين صلاه ينخسف  
وإذا أكب القرن ينبعه

في الحرب إذ هموا وإذ وقفوا  
ولا تصد إذا هم زحفوا  
إحلال والمضمار والعلف

بان اللقاح كأنها نرف  
درا تطابق فوقه الصدف  
والمرء منه اللين واللف  
نهذاً أسيل الخد مشترف  
عبل الشوى في منته قطف  
ذهب السكون وأقبل العنف  
في كل غادية لها عرف  
صلعاء في خرطومها قلف  
دعيت نزال وهب مرتدف  
د الجلز في يافوخه جوف  
لا خانه خور ولا قصف  
في جذره عن فخذة جنف  
نادى بجهد الويل يلتف  
ودنا بجهد الطعان فمدعس تقف  
حتى يكاد لعبه يكف  
فنداً وهذا قلبه كلف  
وجناء ناجيةً بها شدف  
أو أن يوارى هامتي لجف  
إيهاً إليك توق يا خلف  
من دون قلة رأسه شعف

الله درك أي ذي نزل  
لا تخطئ الوجعاء ألتة  
وله جياذ لا يفرطها ال

جرد يهان لها السويق وأل  
مرد وأطفال تخالهم  
فهم لديه يعكفون به  
ومتى يشا يجنب له جذع  
يمشي العرضنة تحت فارسه  
ربذاً إذا عرقت مغابنه  
فأعد ذاك لسرجه وله  
في حقوه عرداً تقدمه  
جرداء تشخذ بالبزاق إذا  
أوفى على قيد الذراع شدي  
خاظم ممر منته ضرم  
عرد المجس بمنتته عجر  
قلو أن فياضاً تأمله  
وإذا تمسحه لعادته  
وإذا رأى نفقا ربا ونزا  
لا ناشئاً يبقى ولا رجلاً  
يا ليتني أدري أمنجيتي  
من أن تعلقني حباله  
ولقد أقول حذار سطوته  
ولو أن بيتك في ذرا علم

وَعَرِ التَّنَائِفَ بَيْتَهَا قَذْفَ

زَلَقِ أَعَالِيهِ وَأَسْفَلِهِ

أَنْ لَمْ يَكُنْ لِي عَنْهُ مَنْصَرَفٌ

لَخَشِيْتِ عَرْدَكَ أَنْ يَبِيْتِي

أعرابي يعلق على بيت من هذه الفائية: قال الأصمعي: فحدثني شيخ من آل أبي سفيان بن العلاء أخي أبي عمرو بن العلاء قال: أنشدت قصيدة خلف الفائية هذه و أعرابي جالس يسمع، فلما سمع قوله:

طَعْنًا دَوِينٌ صَلَاةً يَنْخَسِفُ

فَإِذَا أَكْبَرَ الْقُرْنَ أَتْبَعَهُ

قال الأعرابي: وأبيك لقد أحب أن يضعه في حاق مقيل ضرطته.

يشغب في مجلس ضم خلفا الأحمر، ليهجوه خلف فيغضب: أخبرني هاشم بن محمد قال: حدثني ابن الفهم قال: حدثني الأصمعي قال: كنت مع خلف جالسا، فجرى كلام في شيء من اللغة، وتكلم فيه أبو محمد اليزيدي وجعل يشغب، فقال لي خلف: دعني من هذا يا أبا محمد، وأخبرني من الذي يقول:

رَبِّ الْحَرِيْبَةِ وَالرَّمِيْحِ

فَإِذَا انْتَشَأَتْ فَاِنْنِي

رَبِّ الدَّوِيَةِ وَاللَّوِيْحِ

وَإِذَا صَحَوْتُ فَاِنْنِي

يعرض به أنه معلم، وأنه يلوط، فغضب اليزيدي، وقام فانصرف.

يهجو مواليه بني عدي لعودهم عنه وقد استنهضهم: أخبرني الحسن بن علي قال: حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال: حدثني طلحة الخزاعي قال: حدثني أبو سعيد عثمان بن يوسف الحنفي قال: غاضب أبو محمد اليزيدي مواليه بني عدي رهط ذي الرمة من بني تميم لأمر استنهضهم فيه، ففعدوا عنه، فقال يهجوهم:

لَمَّا رَأَى بَزَةَ أَحْبَابِهِمْ

يَأْيِهَا السَّائِلُ عَنْ قَوْمِنَا

إِعْلَانِهِمْ لَيْسَ كَأَسْرَارِهِمْ

وَحَسَنَ سَمْتِ مَنْهُمْ ظَاهِرًا

يَنْبِيْكَ عَنْ قَوْمِي وَأَخْبَارِهِمْ

سَائِلٌ بِهِمْ أَحْمَرٌ أَوْ غَيْرُهُ

صَوْلَتِهِمْ مِنْهُمْ عَلَى جِيرَانِهِمْ

قَوْمٌ كَرَامٌ مَا عَدَا أَنَّهُمْ

أَمْنَةٌ تَخْطُرُ فِي دَارِهِمْ

أَسَدٌ عَلَى الْجِيرَانِ أَعْدَاؤُهُمْ

مَا قَبَسُوهُ الدَّهْرَ مِنْ نَارِهِمْ

لَوْ جَاءَهُمْ مَقْتَبَسًا جَارِهِمْ

يَنْهَضُ فِي سَبِيْرِهِ أَوْ ثَارِهِمْ

وَقَدْ وَتَرْنَاهُمْ فَلَمْ نَخْشَ مِنْ

إِنْ أَيْسَرُوا يَوْمًا لِأَيْسَارِهِمْ

أَحْسَنَ قَوْمٌ لِمَوْلِيَيْهِمْ

حَقًّا بِهَا قِيْمَةٌ أَخْبَارِهِمْ

شَهَادَةُ الزُّورِ لَهُمْ عَادَةٌ

بِهِ تَعَدُّوا فَوْقَ أَطْوَارِهِمْ

وَمَا لَهُمْ مَجْدٌ سِوَى مَسْجِدِ

## لو هدم المسجد لم يعرفوا

## يوماً ولم يسمع بأخبارهم

يهنئ الرشيد ويمدح المأمون لتوقفه في أول خطبة له:

أخبرني محمد بن العباس اليزيدي قال: أخبرني عمي عبيد الله قال: حدثني عمي إسماعيل وأخي أحمد قالا: لما بلغ المأمون وصار في حد الرجال أمرنا الرشيد أن نعمل له خطبة يقوم بها يوم الجمعة، فعملنا له خطبته المشهورة. وكان جهير الصوت حسن اللهجة، فلما خطب بما رقت قلوب الناس، وأبكى من سمعه، فقال أبو محمد اليزيدي:

عليه بها شكر الإله وجوب

لتهن أمير المؤمنين كرامة

بدا فضله إذ قام وهو خطيب

بأن ولي العهد مأمون هاشم

بأبصارهم والعود منه صليب

ولما رماه الناس من كل جانب

وفي دونه للسامعين عجيب

رماهم بقول أنصتوا عجباً له

أنابت ورقت عند ذاك قلوب

ولما وعت آذانهم ما أتى به

أغر بطاحي النجار نجيب

فأبكى عيون الناس أبلغ واعظ

جريء جنان لا أكع هيوب

مهيب عليه للوقار سكيئة

إذا ما اعترى قلب النجيب وجيب

ولا واجب فوق المنابر قلبه

فليس له في العالمين ضريب

إذا ما علا المأمون أعواد منبر

تحدث عنه نازح وقريب

تصدع عنه الناس وهو حديثهم

إذا وردت يوماً عليه خطوب

شبيه أمير المؤمنين حزامه

فأغصانه من طيبه ستطيب

إذا طاب أصل في عروق مشاجه

يقدم عبد الله فهو أديب

فقل لأمير المؤمنين الذي به

عليها ولا التدبير منك يغيب

كأن لم تغب عن بلدة كان والياً

فسيرته شخص إليك حبيب

تتبع ما يرضيك في كل أمره

فليس لحي في التراث نصيب

، ورتتم بني العباس إرث محمد

عطايك والراجيك ليس يخيب

وإني لأرجو يا بن عم محمد

نوالاً فإياه بذاك تثيب

أثبني على المأمون وإبني محمداً

لنا ولكل المؤمنين خصيب

جناب أمير المؤمنين مبارك

## لقد عمهم جود الإمام فكلهم

## له في الذي حازت يداه نصيب

صوت فلما وصلت هذه الأبيات إلى الرشيد أمر لأبي محمد بخمسين ألف درهم، ولابنه محمد بن أبي محمد بمثله. أخبرني عمي قال: حدثنا الفضل بن محمد البيزدي قال: حدثني أخي أحمد عن أبيه قال: أستاذن أبو محمد الرشيد وهو بالرقعة في الحج، فأذن له، فلما عاد أنشدنا لنفسه:

يا فرحتا إذ صرفنا أوجه الإبل

إلى الأحبة بالإزعاج والعجل

نحثهن ولا يؤتين من دأب

لكن للشوق حناً ليس للإبل

يا نائياً قربت منه وساوسه

أمسى قرين الهوى والشوق والوجل

إن طال عهدك بالأحباب مغترباً

فإن عهدك بالتسويد لم يطل

أما اشتقى الدهر من حران مختبل

صب الفؤاد إلى حران مختبل

عش بالرجاء وأمل قرب دارهم

لعل نفسك أن تبقى مع الأمل

أخبار من له شعر فيه صنعة من ولد أبي محمد البيزدي وولد والده شعر له غنى فيه: فمنهم محمد بن أبي محمد، ومما يعنى فيه من شعره قوله: صوت

أتيتك عائداً بك منك لما ضاقت الحيل

لحينني يضرب المثل

وصيرني هواك وبي

فما لاقيته جل

فإن سلمت لكم نفسي

فإنني ذلك الرجل

وإن قتل الهوى رجلاً

الشعر لمحمد بن أبي محمد البيزدي، يكنى أبا عبد الله، والغناء لسليم بن سلام، ثقيل أول بالبنصر، وله أيضاً فيه ماخوري.

يمدح سليم بن سلام المغني: وكان سليم صديق محمد بن أبي محمد البيزدي، كثير العشرة له، وليس في شيء من شعره صنعة إلا له. وله يقول محمد بن أبي محمد البيزدي: صوت

ضقت ذراعاً بهجر من لا أسمى

بأبي أنت يا سليم وأمي

صد عني أقر من خلق الله لعيني فاشتد غمي وهمي

بق للحين أن أموت بسقمي؟

ما احتيالي إن كان في القدر السا

الغناء لسليم، خفيف رمل بالوسطى عن عمرو.

ينظر إليه أبو ظبية العكلي فيعجب له:

أخبرني محمد بن العباس اليزيدي قال: حدثني عبيد الله عن أخيه أبي جعفر عن أبيه محمد بن أبي محمد قال: قال لي أبي: نظر إليك أبو ظبية العكلي - وقد جاءني - فقال لي، وقد أقبلت:

يولد الرجال بنبيهم أولادهم  
وولدت أنت أبا من الأولاد  
يجيب أبا ظبية شعراً وقد كتب إليه شعراً: قال أبو محمد: وكتب أبو ظبية يوماً:

أحيى لقد زرنالك نلتمس الجدا  
وأنت امرؤ يرجى جداه ونائله  
وما صنع المعروف في الناس صانع  
فيحمد إلا أنت بالخير فاضله  
تخيرك الناس الخليفة لابنه  
وأحكمت منه كل أمر يحاوله  
فما ظن ذو ظن من الناس علمه  
كعلمك إلا مخطيء الظن فائله  
إليك تناهت غاية الناس كلهم  
إذا اشتبهت عند البصير مسائله

قال أبو محمد: فكتب إليه:

أبا ظبية اسمع ما أقول فخير ما  
يقال إذا ما قيل صدق قائله  
إذا شئت فأنهد بي إلى من أردته  
وأملت جدواه فإني منازله  
فإن يك تقصيرٌ ولا يك عارفاً  
بحقك فاعذله فتكثر عواذله

يتمنى العباس بن الأحنف أن يكون سبقه إلى بيتين له: حدثني أبو عبد الله محمد بن العباس اليزيدي قال: حدثني عمي عبيد الله قال: حدثني أخي أحمد عن أبي قال: صرت إلى العباس بن الأحنف، فقال لي ما حاجتك؟ قلت: أمرني أخوك وأبي أن أصير إليك وأستفيد منك، فقال لي: أتصير إلي؟ وددت أني سبقتك إلى بيتين قلتها وأني لم أقل من الشعر شيئاً غيرهما، فدخلني من السرور ما الله به عليم، فقلت وما هما؟ فقال: قولك:

يا بعيد الدار موصو  
لا بقلبي ولساني  
ربما باعدك الده  
ر وأدنتك الأمانى

لم يسرق من الشعر إلا معنيين لمسلم بن الوليد: حدثني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال: حدثني بن داود الجراح قال: حدثني أبو القاسم عبيد الله بن محمد اليزيدي قال: حدثني أحمد بن محمد قال: سمعت أبي يقول: ما سرقت من الشعر شيئاً إلا معنيين: قال مسلم بن الوليد:

ذاك ظبي تحير الحسن في الأر  
كان منه وحل كل مكان  
عرضت دونه الحجال فما يل  
قاك إلا في النوم أو في الأمانى

فقلت:

يا بعيد الدار موصو  
لا بقلبي ولساني

ر وأدنتك الأمانى

ربما بأعدك الده

وقال مسلم أيضاً:

أصيب فإنني ذاك القتيل

متى ما تسمعي بقتيل حب

فقلت أنا:

ك لما ضاقت الحيل

أتيتك عائداً بك من

لحيني يضرب المثل

وصيرني هواك وبى

فما لاقيته جلل

فإن سلمت لكم نفسي

فإنى ذلك الرجل

وإن قتل الهوى رجلاً

يعتب على صديق له فيحييه: أخبرني محمد بن العباس قال: حدثني عمي عبيد الله عن اخيه أبي جعفر قال: عتب  
أبي - يعني محمد بن أبي محمد - على يونس بن الربيع، وكان صديقه فكتب إليه:

بأربعة تجري عليك همولاً

سأبكيك حياً لا بكيتك ميتاً

أرى اليوم لا ألقاك فيه طويلاً

وأعفيك من طول اللقاء وإنني

حللت محلاً في الفؤاد جليلاً!

فكيف بصبري عنك لا كيف بعدما

قال، وكتب إليه يونس:

عتاب منك لي أبداً طويل؟

إلى كم قد بليت وليس يبلى

ولم تذنّب فقد ظلم الخليل

إذا كثر التجني من خليل

يقول في قنفذ شعراً اقترح عليه: أخبرني عمي قال: حدثني الحسن بن الفهم قال: قال لي أبو سمير عبد الله بن  
أيوب مولى بني أمية: بات عندي ليلة محمد بن أبي محمد اليزيدي، فظهر لنا قنفذ، فقلت له: قل فيه شيئاً، فأنشأ  
يقول:

من الليل إلا ما تحدث سامر

وطارق ليل زارنا بعد هجعة

فقال امرؤ سبقت إليه المقادر

فقلت لعبد الله ما طارق أتى؟

وقد جاء خفاق الحشا وهو سادر

قريناه صفو الزاد حين رأيتَه

حمته من الضيم الرماح الشواجر

جميل المحيا والرضا فإذا أبى

مدى الدهر موتوراً ولا هو واتر

ولست تراه واضعاً لسلاحه

يحب عن المأمون، فيرسل إليه شعراً، فيأذن له ويحيزه: حدثنا البيهقي قال: حدثني عمي الفضل قال: حدثني أبو صالح بن يزداد قال: حدثني أبي قال: جاء محمد بن أبي محمد البيهقي إلى باب المأمون وأنا حاضر، فاستأذن، فقال الحاجب: قد أخذ دواء وأمري ألا آذن لأحد. قال: فأمرك ألا توصل إليه رقعة؟ قال: لا، فدفعت إليه رقعة فيها:

هديتي التحية للإمام	إمام العدل والملك الهمام
لأنني لو بذلت له حياتي	وما أهوى لقللاً للإمام
أراك من الدواء الله نفعاً	وعافية تكون إلى تمام
وأعقبك السلامة منه رب	يريك سلامة في كل عام
أتأذن في السلام بلا كلام	سوى تقبيل كفك والسلام

قال: فأوصلها، وخرج فأذن له، فدخل وسلم وحملت معه ألفاً دينار. يستحسن المعتصم شعراً اقترحه له: حدثني عمي قال: حدثني الفضل البيهقي قال: حدثني أخي أحمد عن أبي: قال: دخلت إلى المعتصم وهو ولي عهد وقد طلع القمر، فتنفس ثم قال: يا محمد، قل أبياتاً في معنى طلوع القمر، فإنه غاب مدة كما غاب محبوب عن حبيبه ثم طلع، فإن كان كما أحب فلك بيت مائة دينار، فقلت: صوت

هذا شبيه الحبيب قد طلعا	غاب كما غاب ثم قد لمعا
وما أرى غيره يشاكله	فأسأله بالله عنه ما صنعا؟
فرق بيني وبينه قدر	وهو الذي كان بيننا جمعا
فهل له عودة فأرقبها	كما رأينا شبيهه رجعا

فقال: أحسنت وحياتي، ثم قال لعلويه: عن هذه الأبيات - وكان حاضراً - فغنى فيها، وشرب عليها ليلته، وأمر لي بأربعمائة دينار وعلويه بمنزلها.

لحن علويه في هذه الأبيات رمل.

المأمون يحكم له بثلاثة آلاف دينار من مال عبد الله بن طاهر: حدثني عمي قال: حدثنا الفضل بن محمد قال: حدثني أخي عن أبي قال: شكوت إلى المأمون دينا علي، فقال: إن عبد الله بن طاهر اليوم عندي، وأريد الخلوة معه، فإذا علمت فاستدع أن يكون دخولك أو إخراجك إليك، فإني سأحكم لك عليه بمال، فلما علمت أنهم قد جلسوا للشرب صرت إلى الدار، وكتب بهذين البيتين:

يا خير سادات وأصحاب	هذا الطفيلي على الباب
فصيروا لي معكم مجلساً	أو أخرجوا لي بعض أصحابي

وبعثت بهما إليه، فلما قرأهما قال: صدق اكتبوا إليه وسلوه أن يختار، فكتب إلي: أما وصولك فلا سبيل إليه، ولكن من تختار لنخرجه إليك فتمضي معه. فكتبت: ما كنت لأختار على أبي العباس أحداً. فقل له المأمون: قم إلى صديقك. فقال: يا أمير المؤمنين إن رأيت أن تعفيني من ذلك. أخرجني عما شرفنتني به من منادمتك وتبدلني بها منادمة ابن اليزيدي! قال: لا بد من ذلك أو ترضيه. قال: فليحتكم. قال: أخاف أن يشتط أو تقصر أنت، ولكنني أحكم فأعدل. قال: قد رضيت. قال: تحمل إليه ثلاثة آلاف دينار معجلة. قال: قد فعلت، فأمر صاحب بيت المال أن يحملها معي، وأمر عبد الله بردها إلى بيت المال.

يعشق جارية ويجرمها فيعوضه المأمون: حدثني الصولي قال: حدثني عون بن محمد قال: كان محمد بن أبي اليزيدي يعشق جارية لسحاب يقال لها عليا، وكانت من أظرف النساء لساناً وأحسنهن وجهاً وغناءً، فأعطني بها ثلاثة آلاف دينار فلم تبع، واشتراها المعتصم بخمسة آلاف دينار، وذلك في خلافة المأمون، وكان علي بن الهيثم جونفا صديقاً لمحمد بن أبي أحمد اليزيدي، فبلغ المأمون الخبر، فدعا محمداً، وقال: ما قصتك مع عليا؟ قال: قد قلت في ذلك أبياتاً، فإن أذن أمير المؤمنين أنشدتها قال: هاتهما فأنشده:

أشكو إلى الله حبي للعلينا	وأنتي فيهم ألقى الأمرينا
حسبي علياً أمير المؤمنين فقد	أصبحت حقاً أرى حبي له دينا
وحب خلي وخلصاني أبي حسن	أعني علياً قريع التغلبيينا
ورقتي لبني لي أصبت به	وجدي به فوق وجد الآدميينا
ورابع قد رمى قلبي بأسهمه	فجزت في حبه حد المحبينا
وبعض من لا أسمى قد تملكه	فرحت عنه بما أعياء المداوينا

أتاه بالدين والدنيا تمكنه فلم يدع لي لا دنيا ولا دنيا  
قال: فقال المأمون: لولا أنه أبو إسحاق لانتزعتها منه، ولكن هذا ألف دينار فخذة عوضاً، ولقيني المعتصم في الدار فقال لي: يا محمد، قد علمت ما آل أمر فلانة، فلا تذكرها. فقلت السمع والطاعة لأمرك.  
ينظم شعراً اقترحه المأمون عليه: أخبرني علي بن سليمان الأحفش قال: حدثنا أبو العباس محمد بن الحسن بن دينار مولى بني هاشم قال: حدثني جعفر بن محمد اليزيدي عن أبيه محمد بن أبي محمد قال: كنت عند المأمون فقال لي: يا محمد، قل شعراً في نحو هذين البيتين:

صحيح يود السقم كيما تعوده	وإن لم تعده عاد عنها رسولها
ليعلم عل ترتاع عند شكاته	كما قد يروع المشفقات خليلها؟

قال فقلت:

لتكتب أو يرى منكم رسولاً  
إذا ما اعتل كنت له وصولاً  
يكون على هواك له دليلاً  
وموت الهجر شرهما سبيلاً

صحيحٌ ود لو أمسى عليلاً  
رأك تسومه الهجران حتى  
فودضنا الحياة بوصل يوم  
هما موتان موت هوى وهجر

قال: فأمر لي بعشرة آلاف درهم.

أخبرني إسماعيل بن يونس الشيعي قال: حدثني أبو جعفر بن محمد بن أبي محمد اليزيدي. عن أبيه قال: دخلت على المأمون وهو يشرب، وعنده عريب ومحمد بن الحارث بن بسخرن يغنيانه، فقال: أطعموا محمداً شيئاً، فقلت: قد بدأت بذلك في دار أمير المؤمنين، فقال: أما ترى كيف عتق هذا الشراب حتى لم يبق إلا أقله، ما أحسن ما قيل في قدم الشراب؟ فقلت: قول الحكمي:

بلسان ناطق وفم

عتقت حتى لو اتصلت

ثم قصت قصة الأمم

لاحتببت في القوم ماثلة

فقال: هذا كان في نفسي، ثم قال: اسقوا محمداً رطلين، وأعطوه عشرين ألف درهم، ثم نكت في الأرض ورفع رأسه ثم قال: يا محمد:

عنى العيان ودقت عن مدى الفهم

إني وأنت رضيعاً قهوة لطفت

والكأس حرمتها أولى من الرحم

لم نرتضع غير كأس درها ذهبٌ

قال: والشعر له قاله في ذلك الوقت.

ومما فيه غناء من شعر محمد بن أبي محمد، أنشدناه محمد بن العباس عن عمه عبيد الله عن أخيه أحمد: صوت

ولست بالغضببان

أنت امرؤ متجن

فيما أرى غير شاني

أنت امرؤ لك شأنٌ

أكف عنك لساني

صرح بما عنه أكني

مننت بالغفران

حسبي أسأت فهلا

صوت

عيني أما ترحمني!

يا أحسن الأمة في

موكلاً بالحزن

أما تراني كامداً

راتي لأهل الظنن

أما ترى فيك مدا

فأمنه أن يفضحني

أصرف طرفي عنك خو

يراني الله وما ألغى وإن لم ترني

وممن له شعر فيه صنعة من ولد أبي محمد اليزيدي لصلبه إبراهيم:

### صوت

من كان للعشق مستحقاً

لا تلحني إن منحت عشقاً

ولم أقدم عليه خلقاً

ولم يقدم علي خلقاً

من ملكه ما حبيت عنقاً

يملك رقي ولست أبغي

أعطف منه ولا أرقاً

لم أر فيمن هويت خلقاً

الشعر لإبراهيم بن محمد اليزيدي، والغناء لأبي العبيس بن حمدون، خفيف ثقيل مطلق. وفيه لعريب رمل مزموم.

### أخبار إبراهيم

خبر له مع عريب وقد نظم شعراً اقترحه عليه: أخبرني عمي قال: حدثني الفضل بن محمد اليزيدي قال: حدثنا أحمد عن عمه إبراهيم قال: كنت مع المأمون في بلد الروم، فبينما أنا في ليلة مظلمة شاتية ذات غيم وريح وإلى جانبي قبة، فبرقت برقاً وإذا في القبة عريب. قالت: إبراهيم بن اليزيدي؟ فقلت: لبيك! فقالت: قل في هذا البرق أبياتاً ملاحاً لأعني فيها، فقلت:

إذا رأيت لمعان البرق

ما بقلبي من أليم الخفق

لأن من أهوى بذاك الأفق

من قبل الأردن أو دمشق

علي والزور خلاف الحق

فارقته وهو أعز الخلق

ولست أبغي ما حبيت عتقي

ذاك الذي يملك مني رقي

قال: فتنفست نفساً ظننته قد قطع حيازيمها، فقلت: ويحك علي من هذا؟ فضحكت ثم قالت: على الوطن. فقلت: هيهات! ليس هذا كله للوطن، فقالت: ويلك! أفتراك ظننت أنك تستفزي؟ والله لقد نظرت نظرة مريية في مجلس، فادعها أكثر من ثلاثين رئيساً، والله ما علم أحد منهم لمن كانت إلى هذا اليوم. يقيم أياماً بسيحان مع صديق، ويقول هناك شعراً: أخبرني الحسن بن علي فقال: حدثني الفضل بن محمد اليزيدي قال: حدثني أخي عن عمي إبراهيم بن أبي محمد: أنه كان مع المعتصم لما خرج إلى الغزو، قال فكتب في رفقته

فيها فتى من أهل البصرة، ظريف أديب شاعر راوية، فكان لي فيه أنس، وكنا لا تفترق حتى غزونا وعدنا، فعاد إلى البصرة، وكان له بستان حسن بسيحان، فكان أكثر مقامه به، وعزم لي على الشخوص إلى البصرة لحاجة عرضت لي، فكان أكثر نشاطي لها من أجله، فوردتها، ونظرت فيما وردت له، ثم سألت عنه، ومضيت إليه، فكاد أن يستطار بي فرحاً، وأقمت بسيحان معه أياماً، وقلت في بعضها وقد اصطحبنا في بستانه:

يا مسعدي بسيحان فديتكما	حنا المدامة في أكناف سيحانا
نهر كريم من الفردوس مخرجه	بذاك خبرنا من كان أنبانا
لا تحسداني رواحاً أو مياكراً	طيب المسير على سيحان أحياناً
بشط سيحان إنسان كلفت به	نفسى تقى ذلك الإنسان إنساناً
رياه ريحاننا والكأس معملة	لا شيء أطيب من رياه ريحانا
حنا شرابكما حتى أرى بكما	سكراً فإنني قد أمسيت سكرانا
ريا الحبيب وكأس من معتقه	يهيجان لنفس الصب أشجانا
سقى لسيحان من نهر ومن وطن	وساكنيه من السكان من كانا
هم الذين عقدنا الود بينهم	وبيننا وهم في دير مرانا

يدعو ابن أخيه محمداً سعراً إلى مجلس شراب: أخبرني محمد بن العباس قال: حدثني عمي عبيد الله عن جماعة من أهلنا: أن إبراهيم بن أبي محمد اليزيدي كان يعاشر أبا غسان، مولى منيرة؛ وكانت له جارية مغنية؛ فقال لها جاني؛ فدعاه يوماً أبو غسان وجلسنا للشرب، فقال له: لو دعوت ابن أخيك -يعني محمد بن أبي محمد- لأنس به فكتب إليه إبراهيم:

يا أكرم الناس طراً	وأكرم الفتیان
بادر إلينا لكيما	تسقى سلاف الدنان
على غناء غزال	مهفهف فتان
اشرب على وجه جان	شرايك الخسرواني
فما لجان نظير	وما لها من مدان
إلا الذي هو فرد	وما له من ثان
أعني الهلال لست	في شهره وثمان
للناس بدر منير	يرى بكل مكان

وما لنا غير بدر  
لدى أبي غسان  
ذكراه في كل وقت  
موصولة بلساني  
سبيته وسباني  
فحبه قد براني  
من ثم لست تراني  
أصبو إلى إنسان

يستصلحه بعض إخوانه بعد جفوة فيقول في ذلك شعراً: أنشدنا أبو عبيد الله اليزيدي عن عمه الفضل لإبراهيم بن أبي محمد اليزيدي في بعض إخوانه، وقد رأى منه جفوة، ثم عاد واستصلح، فكتب إليه:

من تاه واحدة فته عشرا  
كي لا يجوز بنفسه القدرا  
وإذا زها أحد عليك فكن  
أزهى عليه ولا تكن غمرا  
أرأيت من لم ترج منفعةً  
منه ولم تحذر له ضرا  
لم يستذل وتستذل له  
بل كن أشد إذا زها كبرا

يعربد في مجلس شراب مع المأمون، ثم يعتذر إليه: حدثني عمي والحسن بن علي قالوا: حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال: حدثني أبي عن جعفر بن المأمون قال: دخل إبراهيم بن أبي محمد اليزيدي على أبي وهو يشرب، فأمره بالجلوس فجلس، وأمر له بشراب فشرب. وزاد في الشراب فسكر وعربد، فأخذ علي بن صالح المصلي بيده، فأخرجه، فلما أصبح كتب إلى أبي:

أنا المذنب الخطاء والعفو واسع  
ولو لم يكن ذنب لما عرف العفو  
ثملت فأبدت مني الكأس بعض ما  
كرهت وما إن يستوي السكر والصحو

ولو لا حميا الكأس كان احتمال ما  
بدهت به لا شك فيه هو السرو  
ولا سيما إذ كنت عند خليفة  
وفي مجلس ما إن يجرز به اللغو  
تتصلت من ذنبي تتصل ضارع  
إلى من لديه يغفر العمد والسهو  
فإن تعف عني تليف خطوي واسعاً  
وإلا يكن عفو فقد قصر الخطو

يحجب عن هارون بن المأمون، فينظم في ذلك شعراً: حدثني عمي قال: حدثنا الفضل بن محمد اليزيدي قال: جاء إبراهيم إلى هارون بن المأمون، فصادفه قد خلا هو وجماعة من المعتزلة. فلم يصل إليه وحجب عنه، فكتب إليه:

غلبت عليكم هذه القدرية  
فعليكم مني السلام تحيه  
آتيكم شوقاً فلا ألقاكم  
وهم لديكم بكرةً وعشيه

أشباعه وكفى بتلك بليه

ما قد رآه فنحن مأمونيه

هرون قائدهم وقد حفت

لكن قائدنا الإمام ورأينا

يكتب شعراً إلى ابن له أحب غلاماً وأحب الغلام غيره: أخبرني عمي قال: حدثني الفضل قال: كان لعمي إبراهيم ابن يقال له: إسحاق، وكان يألف غلاماً من أولاد الموالي. فلما خرج المعتصم إلى الشام خرج إبراهيم معه، وخرج الغلام الذي يألفه في المعسكر، وعرف إبراهيم أنه قد صحب فتى من فتيان العسكر غير ابنه، فكتب عمي إبراهيم إلى ابنه:

يعرفه قد فعل الحوبا

فالآن قد صادف محبوباً

ينفك تصعيداً وتصوبياً

أظهر شيئاً كان محجوباً

منصوبةً شعبين تشعبياً

إذ ركبت في الرأس تركيباً

يحمل منهن أعاجيباً!

قل لأبي يعقوب إن الذي

كان محباً لك فيما مضى

يركب هذا ذا وذا ذا فما

فرأس إسحاق فديناه قد

أرى قروناً قد تجلننه

أطنه يعجز عن حملها

يا رحمتا لابني على ضعفه

يسأله ابن أخ له مزيداً من العناية به فيجيبه شعراً: حدثني عمي قال: حدثني الفضل اليزيدي قال: كتبت إلى عمي إبراهيم أستعين به في حاجة لي، وأستريده من عنايته بأموري، وأطالبه أن يتوفر نصيبي لديه وفيما أبتغيه منه، فكتب إلي:

وكنت امرأً أجنبياً غريباً

به مستخفاً إليك اللببياً

ك مثل نصيبك مني نصيباً

وازداد حقك عندي وجوباً

فما زلت في الحاج شهماً نجيباً

ت واحتل برفقك حتى يجيباً

وإلا استعنت عليه الحبيبياً

لتلفيه غير شك مجيباً

كذاك الأديب يحب الأديباً

فديتك لو لم تكن لي قريباً

مع البر منك وما يستجر

لما إن جعلت لخلق سوا

وكنت المقدم ممن أود

تأطف لما قد تكلمت فيه

وراوض أبا حسن إن رأي

فإن هو صار إلى ما تريد

وما لا يخالف ما تشتهييه

يودك خاقان وداً عجيباً

وَأنت تكافيه بل قد تزيد  
تثيب أخاك على الود منه  
ولا سيما إذ براه الإله  
يرى المتمني له ردفه  
وقد فاق في العلم والفهم منه  
ويبلغ فيما يقولون ليس  
ولكنه وافق الزاهدين  
وإن ركب المرء فيه هوا  
إذا زارت الشاة ذنباً طبيياً  
وعند الطبيب شفاء السقيم  
ولست ترى فارساً في الأنا  
عليه وتجمع فيه ضروبا  
وذو اللب يأنف ألا يثيبا  
كالبدر يدعو إليه القلوبا  
كثيباً وأعلاه يحكي القضييا  
كما تم ملحاً وحسناً وطيبا  
يعاف إذا ناولوه القضييا  
فخاب وقد ظن أن لن يخيبا  
ه عاث فتطهيره أن يثوبا  
فلا تأمن على الشاة ذيبا  
إذا اعتل يوماً وجاء الطيبا  
م إلا وثوبا بجيد الركوبا

شعره وقد زامل المأمون في سفر يحيى بن أكثم ومختنا: أخبرني محمد بن العباس اليزيدي قال: حدثني عمي عبيد الله قال: وحدثني أخي أحمد قال: زامل المأمون في بعض أسفاره بين يحيى بن أكثم وعبادة المخنث، فقال عمي إبراهيم في ذلك:

وحاكم زامل عباده  
لو جاز لي حكم لما جاز أن  
كم من غلام عز في أهله  
يرمي يحيى بن أكثم باللواط: وقال في يحيى أيضاً:  
وكنا نرجي أن نرى العدل ظاهراً  
متى تصلح الدنيا ويصلح أهلها  
ولم يزل تلك له عاده  
يحكم في قيمة لباده  
وافت قفاه منه سجاده  
فأعقبنا بعد الرجاء قنوط  
وقاضي قضاة المسلمين يلوط!

يتمثل المأمون ببيت من هجائه ليحيى بن أكثم: وأخبرني عمي حدثنا أبو العيناء قال: نظر المأمون إلى يحيى بن أكثم يلحظ خادماً له، فقال للخادم: تعرض له إذا قمت؛ فإني سأقوم للوضوء - وأمره ألا يرح - وعد إلي بما يقول لك، وقام المأمون، وأمر يحيى بالجلوس. فلما غمزه الخادم بعينه، قال يحيى: "لولا أنتم لكننا مؤمنين" فمضى الخادم إلى المأمون فأخبره، فقال له: عد إليه فقل له: "أنحن صددناكم عن الهدى بعد إذ جاءكم بل كنتم مجرمين" فخرج الخادم إليه، فقال له ما أمره به المأمون، فأطرق يحيى وكاد يموت جزعاً، وخرج المأمون وهو يقول:

## متى تصلح الدنيا ويصلح أهلها

## وقاضي قضاة المسلمين يلوط !

قم وانصرف، واتق الله وأصلح نيتك .

يرتجل في مجلس المأمون بيت ويزيد المأمون بيتاً عليه: حدثنا اليزيدي قال: حدثني ابن عمي إسحاق بن إبراهيم بن أبي محمد اليزيدي عن أبيه إبراهيم قال: كنت عند المأمون يوماً وبحضرتة عريب، فقالت لي على سبيل الولوج بي: يا سلعوس، وكان حوارِي المأمون يلقبني بذلك عبثاً، فقلت لها:

## قل لعريب لا تكوني مسلعه

## وكوني كتزيف وكوني كمونسه

فقال المأمون:

## فإن كثرت منك الأقاويل لم يكن

## هنالك شك أن ذا منك وسوسة

قال: فقلت: كذا والله يا أمير المؤمنين أردت أن أقول، وعجبت من ذهن المأمون.

ومن غني في شعره من ولد أبي محمد اليزيدي أبو جعفر أحمد بن محمد بن أبي محمد فمن ذلك: صوت

## شوقي إليك على الأيام يزداد

## والقلب مذ غبت للأحزان معتاد

## يا لهف نفسي على دهر فجعت به

## كأن أيامه في الحسن أعياد

الشعر لأحمد بن محمد بن أبي محمد، والغناء لبحر هزج، وفيه ثاني ثقيل مطلق. ذكر الهشامي أنه لإسحاق، وما أراه أصاب، ولا هو في جامع إسحاق، ولا يشبه صنعته.

طريف من أخباره: وكان أحمد راوية لعلم أهله، فاضلاً أديباً، وكان أسن ولد محمد بن أبي محمد، وكان أخوته جميعاً يأترون علوم جدهم وعمومتهم عنه، وقد أدرك أبا محمد، وأظن أنه قد روى عنه أيضاً، إلا أني لم أذكر شيئاً من ذلك وقت ذكرى إياه فأحكيه عنه.

بييت عند ابن المأمون فيكتب إليه عمه شعراً: أخبرني الحسن بن علي قال: حدثنا الفضل بن محمد اليزيدي قال: حدثني أخي أبو جعفر قال: كنت عند جعفر بن المأمون مقيماً، فلما أردت الانصراف منعي، فبت عنده، وزارته لما أصبحنا عريب في حوارِها؛ وبت فاحتبسها من غد؛ فاستطبت المقام أيضاً فأقمت، فكتب إلي عمي إبراهيم بن محمد اليزيدي:

## شردت يا هذا شرود البعير

## وطالت الغيبة عند الأمير

## أقمت يومين وليليهما

## وثالثاً تحبى ببر كثير

## يوم عريب مع إحسانها

## إن طالت الأيام يوم قصير

## لها أغان غير مملولة

## منها ولا تخلق عند الكرور

## غير ملوم يا أبا جعفر

## أن تؤثر اللهو ويوم السرور

فاجعل لنا منك نصيباً فما  
 وصر إلينا غير ما صاغر  
 إن لم يكن عندي غناء ولا  
 والذكر بالعلم الذي قد مضى  
 وهو جديد عندنا نهجه  
 فالحمد لله على كل ما  
 إن كنت عن مجلسنا بالنفور  
 أشارك الرحمن خير المصير  
 عود فعندي القمر بالندشير  
 بأهله حادث صرف الدهور  
 أعلامه تحويه منا الصدور  
 أولى وأبلى ولربي الشكور

يقترح عليه المعتصم شعراً في غلام وسيم: حدثنا بن العباس اليزيدي قال: حدثني عمي الفضل قال: سمعت أخي  
 أبا جعفر أحمد بن محمد يقول:

دخلت إلى المعتصم يوماً وبين يديه خادم وضيء جميل وسيم، فطلعت عليه الشمس، فما رأيت أحسن منها على  
 وجهه، فقال لي: يا أحمد، قل في هذا الخادم شيئاً، وصف طلوع الشمس عليه وحسنها، فقلت:

قد طلعت شمس على شمس  
 وكنت أقلبي الشمس فيما مضى  
 وطاب لي الهوى مع الأنس  
 فصرت أشتاق إلى الشمس

من شعره في الرد على اعتذار: حدثني اليزيدي قال: حدثني عمي الفضل قال: كتب إلى أخي بعض إخوانه ممن  
 كان يألفه ويدم زيارته، ثم انقطع عنه -يعتذر إليه من تأخره عنه، فكتب إليه:

إني امرؤ أعذر إخواني  
 لأنه لا لهو عندي ولا  
 وأكثر الإخوان في دهرنا  
 فمن أتاني منعماً مفضلاً  
 ومن جفاني لم يكن لومه  
 أعفو عن السيء من فعلهم  
 حسب صديقي أنه واثق  
 في تركهم بري وإتياني  
 لي اليوم جاء عند سلطان  
 أصحاب تمييز ورجحان  
 فشكره عندي شكران  
 عندي ولا تعنيفه شاني  
 وأتبع الحسنى بإحسان  
 مني بإسراري وإعلاني

ينشد المأمون شعراً وهو لا يزال غلاماً: حدثني اليزيدي قال: حدثني أبي عن عمي من أبي جعفر أحمد بن محمد  
 قال: دخلت على المأمون وهو في مجلس غاص بأهله -وأنا يومئذ غلام- فاستأذنت في الإنشاد، فأذن، فأنشدته  
 مديحاً لي مدحته به، وكان يستمع للشاعر ما دام في تشبيب أو وصف ضرب من الضروب، حتى بلغ إلى مديحه  
 لم يسمع منه إلا بيتين أو ثلاثة، ثم يقول للمنشد: حسبك ترفعاً، فأنشدته:

يا من شكوت إليه ما ألقاه  
فأجابني بخلاف ما أملتة  
أتري جميلاً أن شكاً ذو صبوة  
يكفيك صمت أو جواب مؤيس  
وبذلت من وجدي له أقصاه  
ولربما منع الحريص منا  
فهجرتة وغضبت من شكواه  
إن كنت تكره وصله وهواه  
يهواه يزعم أن ذلك رضا

فلما صرت إلى المديح قلت:

أبقى لنا الله الإمام وزاده  
فإنه مكرماً بأننا معشر  
عزاً إلى العز الذي أعطاه  
عنتاء من نعم العباد سواه

فسر بذلك وضحك، وقال: جعلنا الله وإياكم ممن يشكر النعمة، ويحسن العمل.  
ينشد المأمون شعراً وهو يريد الغزو: أخبرنا محمد بن العباس قال: حدثني أبي عن أخيه أبي جعفر قال: دخلت يوماً على المأمون بقاراً، وهو يريد الغزو فأنشدته شعراً مدحته فيه؛ أوله:

يا قصر ذا النخلات من بارا  
أبصرت أشجاراً على نهر  
لله أيامٌ نعمت بها  
إذ لا أزال أزور غانية  
فذكرت أشجاراً وأنهاراً  
بالقفص أحياناً وفي بارا  
ألهو بها وأزور خمارا  
وأجيب شطاراً ودعارا  
وأطيع أوتاراً ومزمارا

قال: فغضب المأمون، وقال: أنا في وجه عدو، وأحض الناس على الغزو، وأنت تذكرهم نزهة بغداد؟ فقلت:  
الشيء بتمامه، ثم قلت:

فصحوت بالمأمون عن سكري  
ورأيت طاعته مؤديةً  
ورأيت خير الأمر ما اختارا  
للفرض إعلاناً وإسراراً  
ورضيت دار الجد لي داراً  
وجواره وكفى به جاراً  
وظللت معتصماً بطاعته  
إن حل أرضاً فهي لي وطن

فقال له يحيى بن أكثم: ما أحسن ما قال يا أمير المؤمنين! أخبر أنه كان في سكر وخسار، فترك ذلك وارعوى،  
وآثر طاعة خليفته، وعلم أن الرشد فيها؛ فسكن وأمسك.  
يحيى بيتاً للمأمون في غلام المعتصم: حدثني الصولي قال: حدثني محمد بن يحيى بن أبي عبادة قال: حدثني هارون  
بن محمد بن عبد الملك الزيات عن أبيه قال:  
دعا المعتصم ذات يوم المأمون فجاءه، فأجلسه في بيت على سقفه جامات، فوقع ضوء الشمس من وراء تلك  
الجامات على وجه سيما التركي غلام المعتصم، وكان المعتصم أوجد الناس به، ولم يكن في عصره مثله، فصاح  
المأمون يا أحمد بن محمد اليزيدي - وكان حاضراً - فقال: انظر إلى ضوء الشمس على وجه سيما التركي، أرايت  
أحسن من هذا قط؟ وقد قلت:

وزالت الوحشة بالأنس

قد طلعت شمس على شمس

أجز يا أحمد، فقلت:

فصرت أشتاق إلى الشمس

قد كنت أشتا الشمس فيما مضى

قال: ووطن المعتصم، فعرض على شفته لأحمد، فقال أحمد للمأمون: والله لئن لم يعلم الحقيقة من أمير المؤمنين  
لأقنع معه فيما أكره، فدعاه المأمون فأخبره الخبر، فضحك المعتصم. فقال له المأمون: كثر الله في غلمانك مثله،  
إنما استحسنت شيئاً فجرى ما سمعت لا غيره.  
يعدد المأمون الحقوق التي توجب عليه مراعاته له: حدثني الصولي قال: حدثني عون بن محمد قال: حدثني أحمد  
بن محمد اليزيدي قال: كنا بين يدي المأمون، فأنشدته مدحاً، فقال: لئن كانت حقوق أصحابي تجب علي  
لطاقعتهم بأنفسهم فإن أحمد ممن تجب له المراعاة لنفسه وصحبته، ولأبيه وخدمته، ولجده وقدم خدمته وحرمته،  
وإنه للعريق في خدمتنا، فقلت: قد علمتني يا أمير المؤمنين كيف أقول، ثم تنحيت ورجعت إليه، فأنشدته:

فبه أمنت بوائق العطب

لي بالخليفة أعظم السبب

قبلي وجدي كان قبل أبي

ملك غذنتي كفه وأبي

أسمو به في العجم والعرب

قد خصني الرحمن منه بما

فضحك، وقال: قد نظمت يا أحمد ما نثرناه.

هذا آخر أخبار اليزيديين وأشعارهم التي فيها صنعة.

### صوت

إلى الشم من أعلام ميلاء ناظر

أفي كل يوم أنت من غبر الهوى

بها خزرٌ أو طرفها متخازرٌ

بعمشاء من طول البكاء كأنما

عروضه من الطويل، والغبر: البقية من الشيء، يقال: فلان في غير من علته، وأكثر ما يستعمل في هذا ونحوه، والشم: الطوال، والأعلام جمع علم وهو الجبل، قالت الخنساء:

**وإن صخرًا لتأثم الهداة به**      **كأنه علم في رأسه نار**

والخزر: ضيق العين وصغرها، ومنه الخزر بذلك لصغر أعينهم، قال الراجز:

**إذا تخازرت وما بي من خزر**      **ثم كسرت الطرف من غير عور**

والشعر لرجل من قيس يقال: كعب، ويلقب بالمخبل. والغناء لإبراهيم، ثقيل أول بالوسطى. ومن الناس من يروي الشعر لغير هذا الرجل وينسبه إلى ذي الرمة، ويجعل فيه مية مكان ميلاء، ويقال: إن اللحن لابن المكّي، وقد نسب إلى غيرهما، والصحيح ما ذكرناه أولاً.

### أخبار المخبل القيسي ونسبه

حبة بنتي عن له: قال عبد الله بن أبي سعد الوراق -فيما أخبرني به حبيب بن نصر المهلي، إجازة عنه-: حدثني علي بن الصباح بن الفرات، قال: أخبرني علي بن الحسن بن أيوب النبيل، عن رباح بن قطيب بن زيد الأسدي، قال: كانت عند رجل من قيس يقال له: كعب -بنت عم له، وكانت أحب الناس إليه فخلا بها ذات يوم فنظر إليها وهي واضعة ثيابها، فقال: يا أم عمرو، هل ترين أن الله خلق أحسن منك؟ قالت: نعم، أختي ميلاء، هي أحسن مني.

ينكشف حبه فيرحل ولا يدري مكانه: قال: فإني أحب أن أنظر إليها، فقالت: إن علمت بك لم تخرج إليك، ولكن كن من وراء الستر، ففعل، وأرسلت إليها فجاءتها فلما نظر إليها عشقها وانتظرها حتى راحت إلى أهلها، فاعترضها فشكا إليها حبه، فقالت: والله يا بن عم، ما وجدت من شيء إلا وقد وقع لك في قلبي أكثر منه. وواعدته مرة أخرى، فأتتهما أم عمرو وهما لا يعلمان، فرأتهما جالسين، فمضت إلى إخوتها -وكانوا سبعة- فقالت: إما أن تزوجوا ميلاء كعباً، وإما أن تكفوني أمرها. وبلغهما الخبر، ووقف إخوتها على ذلك، فرمى بنفسه نحو الشام حياء منهم، وكان منزله ومزلة أهل الحجاز، فلم يدر أهله ولا بنو عمه أين ذهب، فقال كعب: شعره في أرض الغربة:

**أفي كل يوم أنت من لاعج الهوى**      **إلى الشم من أعلام ميلاء ناظر**

**بعمشاء من طول البكاء كأنما**      **بها خزر أو طرفها متخازر**

**تمنى المنى حتى إا ملت المنى**      **جرى واكف من دمعها متبادر**

**كما ارفض عنها بعدما ضم ضمةً**      **بخيط الفتيل اللؤلؤ التناثر**

تدل رواية شعره على مكانه: قال: فرواه عنه رجل من أهل الشام، ثم خرج بعد ذلك الشامي يريد مكة، فاجتاز بأمر عمرو وأختها ميلاء، وقد ضل الطريق، فسلم عليهما ثم سألهما عن الطريق، فقالت أم عمرو: يا ميلاء، صفي له الطريق، فذكر -لما نادى: يا ميلاء- شعر كعب هذا، فتمثل به، فعرفت أم عمرو الشعر، فقالت: يا عبد الله، من أين أنت؟ قال: رجل من أهل الشام. قالت: من أين رويت هذا الشعر؟ قال: رويته عن أعرابي بالشام، قالت: أو تدري ما اسمه؟ فقال: سمعت أنه كعب، فأقسمت عليه: لا تبرح حتى تعرف إخواننا بذلك فنحسن إليك نحن وهم، وقد أنعمت علينا. قال: أفعل، وإني لأروي له شعراً آخر، فما أدري أتعرفانه أم لا؟ فقالت: نسألك بالله أسمعنا، قال: سمعته يقول: شعر آخر له في أرض الغربة:

خليلي قد قست الأمور ورمتها	بنفسي وبالفتيان كل زمان
فلم أخف سوءاً للصديق ولم أجد	خلياً ولا ذا البث يستويان
من الناس إنسانان ديني عليهما	مليئان لو شاءا لقد قضيانني
خليلي أما أم عمرو فمنهما	وأما عن الأخرى فلا تسلاني
بلينا بهجران ولم أر مثلنا	من الناس إنسانيت يهجران
أشد مصافاةً وأبعد من قلبي	وأعصى لو اش حين يكتفیان
تحدث طرفانا بما في صدورنا	إذا استعجمت بالمنطق الشفتان
فوالله ما أدري أكل ذوي الهوى	على ما بنا أو نحن مبتليان؟
فلا تعجبا مما بي اليوم من هوى	فبي كل يوم مثل ما تريان
خليلي عن أي الذي كان بيننا	من الوصل أم ماضي الهوى تسلان؟
وكنا كريمي معشر حم بيننا	هوى فحفظناه بحسن صيان
سلاه بأمر العمرو من هي إذ بدا	به سقم جم وطول ضمان
فما زادنا بعد المدى نقض مرة	ولا رجعا من علمنا ببيان
خليلي لا والله ما لي بالذي	تريدان من هجر الحبيب يدان
ولالي بالبين اعتلاءً إذا نأت	كما أنتما بالبين معتليان

يعود به ابن عمه من الشام ويموت غمماً: قال: ونزل الرجل ووضع رحلة حتى جاء إخواتهما، فأخبراهم الخبر، وكانوا مهتمين بكعب، وكان كعب أظرفهم وأشعرهم، فأكرموا الرجل وحملوه على راحلة ودلوه على الطريق، وطلبوا طبعاً فوجدوه بالشام، فأقبلوا به، حتى إذا كانوا في ناحية ماء أهلهم إذا الناس قد اجتمعوا عند البيوت، وكان كعب ترك نبياً له صغيراً، فزحمه غلام منهم في ناحية الماء، فقال له كعب: ويحك يا غلام! من أبوك؟

فقال: رجل يقال له: كعب، قال: وعلى أي شيء قد اجتمع الناس؟ وأحس قلبه بالشر. قال: اجتمعوا على خالتي ميلاء. قال: وما قصتها؟ قال: ماتت. فزفر زفرة مات منها مكانه، فدفن حذاء قبرها. من شعره في الشام: قال: وقال كعب وهو بالشام:

أحقاً عباد الله أن لست ماشياً  
ولا لاهياً يوماً إلى الليل كله  
يمنيننا حتى تريع قلوبنا  
فعيني يا عيني حتام أنتما  
أما أنتما إلا علي طليعةً  
فلو أن أم العمرو أضحت مقيمةً  
إذا لرجوت الله يجمع شملنا  
بمرحاب حتى يحشر الثقلان  
بييض لطيفات الخصور رواني؟  
ويخلطن مطلا ظاهراً بليان  
بهجران أم العمرو تختلجان؟  
على قرب أعدائي كما تريان  
بمصر وجثماني بشحر عمان  
فإننا على ما كان ملتقيان

نسبة ما في هذا الخبر من الغناء صوت اختلاف الرواة في نسبة صوت من شعره:

من الناس إنسانان ديني عليهما  
خليلي أما أم عمرو فمنهما  
ملئان لو شاء لقد قضيانني  
وأما عن الأخرى فلا تسلاني

عروضه من الطويل، الشعر -على ما في هذا الخبر- لكعب المذكور قصته، وروى المفضل بن سلمة وأبو طالب بن أبي طاهر هذين البيتين مع غيرهما لابن الدمينة الخثعمي. والغناء لإبراهيم الموصلي، خفيف رمل بالوسطى، ذكره أبو العبيس عنه، وذكر ابن المكي أنه لعلويه. والأبيات التي ذكرنا أن المفضل بن سلمة وابن أبي طاهر رواها لابن الدمينة مع البيتين اللذين فيهما الغناء هي:

من الناس إنسانان ديني عليهما  
خليلي أما أم عمرو فمنهما  
منوعان ظلامان ما ينصفانني  
من البيض نجلاء العيون غذاهما  
أفي كل يوم أنت رام بلادها  
إذا اغرورقت عيناي قال صحابتي  
ملئان لو شاء لقد قضيانني  
وأما عن الأخرى فلا تسلاني  
بدليهما والحسن قد خلباني  
نعيمٌ وعيشٌ ضاربٌ بجران  
بعينين إنسانا هما غرقان؟  
لقد أولعت عيناك بالهملان

وقد روي أيضاً أن هذا البيت:

## أفي كل يوم أنت رام بلادها

لعروة بن حزام:

إلى حاضر الروحاء ثم ذراني

ألا فاحملاني بارك الله فيكما

أخبرني محمد بن خلف وكيع، قال: حدثني أبو سعيد القيسي، قال: حدثني سليمان بن عبد العزيز، قال: حدثني خارجة المالبي قال: حدثني من رأى عروة بن حزام يطاف به حول البيت، قال: فقلت له: من أنت؟ قال: أنا الذي أقول:

بعينين إنسانا هما غرقان؟

أفي كل يوم أنت رام بلادها

إلى حاضر الروحاء ثم ذراني

ألا فاحملاني بارك الله فيكما

فقلت: زدني، قال: لا، ولا حرف.

التعني بالصوت المنسوب إليه يهيج الوراق للإيقاع بشخصين: ويقال: إن الذي هاج الوراق على القبض على أحمد بن الخصيب وسليمان بن وهب أنه غني - هذا الصوت - أعني:

## من الناس إنسانان ديني عليهما

فدعا خادماً كان للمعتصم، ثم قال له: أصدقني وإلا ضربت عنقك. قال: سل يا أمير المؤمنين عما شئت، قال: سمعت أبي وقد نظر إليك يتمثل بمذنب البيتين، ويومئ إليك إيماء تعرفه، فمن اللذان عني؟ قال، قال لي: إنه وقف على إقطاع أحمد بن الخصيب وسليمان بن وهب ألفي دينار، وأنه يريد الإيقاع بهما. فكان كلما رأني يتمثل بمذنب البيتين. قال: صدقني والله، والله لا سبقاني بهما كما سبقاه، ثم أرقع بهما. وأخبرني محمد بن يحيى الصولي، قال: حدثني ميمون بن هارون، قال: نظر الوراق إلى أحمد بن الخصيب يمشي فتمثل:

## من الناس إنسانان ديني عليهما

وذكر البيتين، وأشار بقوله:

## خليلي أما أم عمرو فمنهما

إلى أحمد بن الخصيب. فلما بلغ هذا سليمان بن وهب، قال: إنا لله! أحمد بن الخصيب والله أم عمرو، وأنا الأخرى. قال: ونكبهما بعد أيام. وقد قيل: إن محمد بن عبد الملك الزيات كان السبب في نكبهما. رواية أخرى لسبب إيقاع الوراق بصاحبيه: أخبرنا محمد بن يحيى، قال: حدثنا عون بن محمد الكندي، قال: كانت الخلافة أيام الوراق تدور على إيتاخ، وعلى كاتبه سليمان بن وهب، وعلى أشناس وكاتبه أحمد بن الخصيب، فعمل الوزير محمد بن عبد الملك الزيات قصيدة، وأوصلها إلى الوراق على أنها لبعض أهل العسكر، وهي:

حزت الخلافة عن آبائك الأول  
فيه البرية من خوف ومن وهل  
وكلهم خاطبٌ في حبل محتبل  
مشارك الأرض من سهل ومن جبل  
إلى الجزيرة فالأطراف من ملل  
أحكامه في دماء القوم والنفل  
خلافة الشأم والغازين والقفل  
بما أراد من الأموال والحلل  
بنو الرشيد زمان القسم للدول  
من الخلافة والتبليغ للأمل  
كالقاسم بن الرشيد الجامع السبل

يا بن الخلائف والأملك إن نسبوا  
أجرت أم رقدت عيناك عن عجب  
وليت أربعة أمر العباد معاً  
هذا سليمان قد ملكت راحته  
ملكته السند فالشحرين من عدن  
خلافةً قد حواها وحده فمضت  
وابن الخصيب الذي ملكت راحته  
فنبيل مصر فبحر الشأم قد جريا  
كأنهم في الذي قسمت بينهم  
حوى سليمان ما كان الأمين حوى  
وأحمد بن خصيب في إمارته

ولا علانيةً خوفاً من الحيل  
وسل خراجك عن أموالك الجمل  
أسرى التكدب في الأقياد والكبل  
قس الأمور التي تتجي من الزلل  
على البرامك بالتهديم للقلل

أصبحت لا ناصحٌ يأتيك مستترا  
سل بيت مالك أين المال تعرفه  
كم في حبوسك ممن لا ذنوب لهم  
سميت باسم الرشيد المرتضى فبه  
عث فيهم ما عاثت يدها معاً

فلما قرأ الواثق غاظه وبلغ منه، ونكب سليمان بن وهب وأحمد بن الخصيب، وأخذ منهما ومن أسبأهما ألف ألف دينار، فجعلها في بيت المال، فقال أحمد بن أبي فنن:

سنةً للناس ممتحنه  
وأزالت دولة الخونه  
وهم في دولة حسنه  
أن يؤدي كل ما احتجنه  
راتٌ وعماً يريب متسع

نزلت بالخائنين سنه  
سوغت ذا النصح بغيته  
فترى أهل العفاف بها  
وترى من جار همته  
وقال إبراهيم بن العباس لابن الزيات:  
إيهأً أبا جعفر وللدهر كر

وأنت منها فانظر متى تقع

وقد تقضت أفواته شبع

أرسلت ليثاً على فرائسه

لكنه قوته وفيك له

وهي أبيات، وقد كان أحمد بن أبي داود حمل الوثائق على الإيقاع بابن الزيات وأمر علي بن الجهم فقال فيه:

مصباحات ومهجرات

عرض شمل الملك للشتات

معقدات غير مفتوحات

كأنها بالزيت مدهونات

وبعد بيع الزيت بالحببات

هارون يا بن سيد السادات

تشكو إليك عدم الكفاة

لعائن الله موفرات

على ابن عبد الملك الزيات

يرمي الدواوين بتوقيعات

أشبه شيء برقي الحيات

بعد ركوب الطوف في الفرات

سبحان من جل عن الصفات

أما ترى الأمور مهملات

وهي أبيات، فهم الوثائق بالقبض على ابن الزيات، وقال: لقد صدق، قائل هذا الشعر، ما بقي لنا كاتب. فطرح نفسه على إسحاق بن إبراهيم، وكانا مجتمعين على عداوة بن أبي داود، فقال للوثائق: أمثل ابن الزيات -مع خدمته وكفأيته- يفعل به هذا، وما جنى عليك وما خانك، وإنما ذلك على خونة أخذت ما اختانوه، فهذا ذنبه!

وبعد، فلا ينبغي لك أن تعزل أحداً أو تعد مكانه جماعةً يقومون مقامه، فمن لك بمن يقوم مقامه؟ فمحا ما كان في نفسه عليه ورجه له.

وكان إيتاخ صديقاً لابن أبي داود، فكان يغشاه كثيراً، فقال له بعض كتابه: إن هذا بينه وبين الوزير ما تعلم، وهو يجيئك دائماً، ولا تأمن أن يظن الوزير بك ممالأة عليه؛ فعرفه ذلك، فلما دخل ابن أبي داود إليه خاطبه في هذا المعنى، فقال: إني والله ما أجيئك متعزراً بك من ذلة، ولا متكثرأ من قلة، ولكن أمير المؤمنين رتبك رتبة أوجبت لقاءك، فإن لقيناك فله، وإن تأخرنا عنه فلنفسك، ثم خرج من عنده فلم يعد إليه. وفي هذه القصة أخبار كثيرة يطول ذكرها، ليس هذا موضعها، وإنما ذكرنا ها هنا هذا القدر منها كما يذكر الشيء بقرائنه.

### صوت

والضنى إن لم تصلني وأصلي

فيك والسقم بجسم ناعل

عش فحببك سريعاً قاتلي

ظفر الشوق بقلب دنف

## فهما بين اكتئابٍ وضنى

الشعر لخالد الكاتب، والغناء للمسدود، رمل مطلق في مجرى الوسطى، وذكر لحظة أن هذا الرمل أخذ عنه، وأنه صوت سمعه فكتبه.

## أخبار خالد الكاتب

وطنه وأصله وسبب إصابته باوسواس: هو خالد بن يزيد، ويكنى أبا الهيثم، من أهل بغداد، وأصله من خراسان، وكان أحد كتاب الجيش. ووسوس في آخر عمره، قيل إن السوداء غلبت عليه، وقال قوم: كان يهوى جارية لبعض الوجوه ببغداد فلم يقدر عليها، وولاه محمد بن عبد الملك الإعطاء في الثغور، فخرج فسمع في طريقه منشداً ينشد، ومغنية تغني:

## من كان ذا شجن بالشام يطلبه ففي سوى الشام أمسى الأهل والشجن

فبكى حتى سقط على وجهه مغشياً عليه، ثم أفاق مختلطاً. واتصل ذلك حتى وسوس وبطل.

كيف اتصل بعلي بن هشام وإبراهيم بن المهدي؟

وكان اتصل بعلي بن هشام وإبراهيم بن المهدي وكان سبب اتصاله بعلي بن هشام أنه صحبه في وقت خروجه إلى قم، في جملة كتاب الإعطاء، فبلغه وهو في طريقه أن خالداً يقول الشعر، فأنس به وسر به، وأحضره فأنشده قوله:

إن كنت أهواك فما ذنبي؟

يا تارك الجسم بلا قلب

منك بطول الهجر والعتب

يا مفرداً بالحسن أفردتني

فهل على قلبي من عتب

إن تك عيني أبصرت فتنةً

أنك في فعلك بي حسبي

حسيبك الله لما بي كما

للمسدود في هذه الأبيات رمل طنبري مطلق من رواية المشامي، قال: فجعله علي بن هشام في ندمائه إلى أن قتل.

كيف اتصل بالمعتصم؟: ثم صحب الفضل بن مروان، فذكره للمعتصم وهو بالماحوزة قبل أن يبني سر من رأى، فقال خالد:

م بسر من را للإمام

عزم السرور على المقام

ح المستنيرات العظام

بلد المسرة والفتو

في الأرض بالبلد الحرام

وتراه أشبه منزل

## فالله يعمره بمن

## أضحى به عز الأنام

فاستحسنها الفضل بن مروان وأوصلها إلى المعتصم قبل أن يقال في بناء سر من رأى شيء، فكانت أول ما أنشد في هذا المعنى من الشعر، فتترك بها وأمر لخالد بخمسة آلاف درهم.

وذكر ذلك كله إسماعيل بن يحيى الكاتب، وذكر اليوسفي صاحب الرسائل أن خالدًا قال أيضاً في ذلك:

بين صفو الزمان عن كدره

في ضحكات الربيع عن زهره

يا سر من رابوركت من بلدٍ

بورك في نبتته وفي شجره

غرس جدود الإمام ينبتته

بابك والمازيار من ثمره

فالفتح والنصر ينزلان به

والخصب في تربه وفي شجره

فغنى مخارق في هذه الأبيات، فسأله المعتصم: لمن هذا الشعر؟ فقال: لخالد يا أمير المؤمنين، قال: الذي يقول:

كيف ترجى لذاذة الإغتماض

لمريض من العيون المراض!

فقال محمد بن عبد الملك: نعم يا أمير المؤمنين، هو له، ولكن بضاعته لا تزيد على أربعة أبيات، فأمر له المعتصم بأربعة آلاف درهم، وبلغ خالدًا الخير، فقال لأحمد بن عبد الوهاب صاحب محمد بن عبد الملك -وقيل لأبي جعفر- أعزه الله: إذا بلغت المراد في أربعة أبيات فالزيادة فضل.

يداخل الشعراء في القصائد. وكان أول صاحب مقطعات: قال اليوسفي: ولما قال خالد في صفة سر من رأى قصيدته التي يقول فيها:

اسقني في جرائر وزقاق

لتلاقي السرور يوم التلاق

من سلاف كأن في الكأس منه

عبرات من مقلتي مشتاق

في رياض بسر من را إلى الكر

خ ودعني من سائر الآفاق

باد كارات كل فتح عظيم

لإمام الهدى أبي إسحاق

وهي قصيدة ، لقيه دعبل فقال: يا أبا الهيثم، كنت صاحب مقطعات فداخلت الشعراء في القصائد الطوال وأنت لا تدوم على ذلك، ويوشك أن تتعب بما تقول وتغلب عليه. فقال له خالد: لو عرفت النصح منك لغيري لأطعتك في نفسي.

خلافة مع الحلبي الشاعر وهجاؤه إياه: قال اليوسفي: وحدثني أبو الحسن الشهرزاني: أن خالدًا وقع بينه وبين الحلبي الشاعر الذي يقول فيه البحترى:

سل الحلبي عن حلب

خلاف في معنى شعر، فقال له الحلبي: لا تعد طورك فأخرسك! فقال له خالد: لست هناك، ولا فيك موضع للهزاء، ولكن ستعلم أني أجعلك ضحكة سر من رأى. وكان الحلبي من أوسخ الناس، فجعل يهجو جبهته وثيابه وطيلسانه، فمن ذلك قوله:

وشاعر ذي منطقٍ رائق  
في جبةٍ كالعارض البارق  
قطعاء شلاء رقاعية  
دهرية مرقوعة العاتق  
قدمها العري على نفسه  
لفضلها في القدر السابق

وقوله:

وشاعر مقدم له قوم  
ليس عليهم في نصره لوم  
قد ساعدوه في الجوع كلهم  
فقرى فكل غداؤه الصوم  
يأتيك في جبة مرقعة  
أطول أعمار مثلها يوم  
وطيلسان كالآل يلبسه  
على قميص كأنه غيم  
من حلب في صميم سفلتها  
غناه فقرٌ وعزه ضيم

قال: وقال فيه:

تاه على ربه فأفقره  
حتى رآه الغنى فأنكره  
فصار من طول حرفةٍ علماً  
يقذفه الرزق حيث أبصره  
يا حليباً قضى الإله له  
بالتيه والفقير حين صوره  
لو خلطوه بالمسك وسخه  
أو طرحوه في البحر كدره

يستنشه إبراهيم بن المهدي شعراً فيجيزه: حدثني لحظة، قال: حدثني خالد الكاتب، قال: دخلت على إبراهيم بن المهدي فاستنشدني، فقلت: أيها الأمير، أنا غلامٌ أقول في شجون نفسي، لا أكاد أمدح ولا أهجو، فقال: ذلك أشد لدواعي البلاء، فأنشدته: صوت

عانتبت نفسي في هوا  
كفلم أجدها تقبل  
وأطعت داعياً إليك ولم أطع من يعذل  
ه لحسن وجهك تمثل  
لا والذي جعل الوجو  
ك من التصابي أجمل  
لا قلت إن الصبر عن

لحظة في هذه الأبيات رملٌ مطلق بالوسطى.

قال: فبكى إبراهيم وصاح: وأي عليك يا إبراهيم، ثم أنشدته أبياتي التي أقول فيها:

**فبكائي لبكا العاذل**

**وبكى العاذل من رحمتي**

وقال إبراهيم: يا رشيق، كم معك من العين؟ قال: ستمائة وخمسون ديناراً. قال: اقسّمها بيني وبين الفتى، واجعل الكسر له صحيحاً، فأعطاني ثلاثمائة وخمسين ديناراً، فاشتريت بها منزلي بساباط الحسن والحسين، فواراني إلى يومي هذا.

يستوهبه علي بن الجهم بيتاً من شعره: حدثني لحظة، قال: حدثني خالد الكاتب قال: قال لي علي بن الجهم: هب لي بيتك الذي تقول فيه:

**ة خديك بقلبك**

**ليت ما أصبح من رق**

فقلت: يا جاهل، هل رأيت أحداً يهب ولده.

يتعاطي الهجاء: وقال أحمد بن إسماعيل الكاتب: لقيت خالداً الكاتب ذات يوم فسألته عن صديق له، وكان قد باعده ولم أعلم، فأنشأ يقول:

**حتى المخافة نأتي البلد**

**ظعن الغريب لغيبه الأبد**

**يومٌ توّعه بشر غد**

**حيران يؤنسه ويكلّوه**

**تغدو النحوس به على أحد**

**سنح الغراب له بأنكر ما**

**الجد العثور له يداً بيد**

**وابتاع أشأمه بأيمنه**

**في حيث لم يولد ولم يلد**

**حتى ينيخ بأرض مهلكة**

**تخلو من الزفرات والكمد**

**جزعت حليلته عليه فما**

**منه وأهدى اليتيم للولد**

**نزل الزمان بها فأهلكها**

**عنه بناقرة ولم تكد**

**ظفرت به الأيام فانحسرت**

**مثل الذي أبقين من لبد**

**فتركن منه بعد طيبته**

قال، فقلت له: يا أبا الهيثم مذ كم دخلت في قول الهجاء؟ قال: مذ سألت فحوربت، وصافيت فتوقفت. شعره في غلام نافس أبا تمام في حبه: وقال الرياشي. كان خالد مغرمًا بالغلّمان المرد، ينفق عليهم كل ما يفيد، فهوي غلاماً يقال له: عبد الله، وكان أبو تمام الطائي يهواه، فقال فيه خالد:

**تحمله وجنةٌ وخذ**

**قضيّب بان جناه ورد**

**مات عراءٌ وعاش وجد**

**لم أثن طرفي إليه إلا**

علمه الزهو حين يبدو

ليس لخلق سواه صد

في برده يا خالد البارد

ملك طوع النفوس حتى

واجتمع الصد فيه حتى

فبلغ أبا تمام ذلك فقال فيه أبياتاً منها:

شعرك هذا كله مفرطٌ

فعلمها الصبيان، فلم يزلوا يصيحون به: يا خالد يا بارد حتى وسوس، قال: ومن الناس من يزعم أن هذا السبب كان بينه وبين رجل غير أبي تمام، وليس الأمر كذلك.

هجاؤه أبا تمام: وكان خالدًا قد هجا أبا تمام في هذه القصة فقال فيه:

والمرء في القول بين الصدق والكذب

فإن وجعاه أعدى من الجرب

فتركبوا عمداً ليست من الخشب

يا معشر المرد إني ناصح لكم

لا ينكحن حبيباً منكم أحدٌ

لا تأمنوا أن تحركوا بعد ثلاثة

يستشده إبراهيم بن المهدي حين بويع ويستمع شعره:

حدثني محمد بن يحيى الصولي، قال: حدثني الحسن بن إسحاق قال: حدثني خالد الكاتب، قال: لما بويع إبراهيم

بن المهدي بالخلافة طلبني -وقد كان يعرفني- وكنت متصلاً ببعض أسبابه، فأدخلت إليه فقال: أنشدني يا خالد

شيئاً من شعرك، فقلت: يا أمير المؤمنين، ليس شعري من الشعر الذي قال فيه رسول الله: "إن من الشعر

لحكماً"، وإنما أمرح وأهزل، فقال: لا تقل هذا، فإن جد الأدب وهزله جد، هات أنشدني، فأنشدته:

والضنى إن لم تصلني وأصلي

فيك والسقم بجسم ناحل

تركاني كالقضيبي الذابل

عش فحبيك سريعاً قاتلي

ظفر الشوق بقلب دنف

فهما بين اكتئاب وضنى

قال: فاستملح ذلك ووصلني.

رثى راكباً قصبة الصبيان يصيحون به: حدثني حمزة لن أبي سلالة الشاعر الكوفي، قال دخلت بغداد في بعض

السنين فبينما أنا مار بجنيئة إذا أنا برجل عليه مبطنة نظيفة، وعلى رأسه قلنسية سوداء، وهو راكب قصبة،

والصبيان خلفه يصيحون به: يا خالد يا بارد، فإذا آذوه حمل عليهم بالقصبة، فلم أزل أطردهم عنه حتى تفرقوا،

وأدخلته بستاناً هناك، فجلس واستراح، واشترت له رطباً فأكل، واستشده فأنشدني:

فكيف أسلو وكيف أتركه!

يخطر في القلب منه مسلكه

عمة لولا القميص يمسكه

قد حاز قلبي فصار يملكه

رطيب جسم كالماء تحبسه

يكاد يجري من القميص من الن

فاستزادته، فقال: لا، ولا حرف .

يخلع ثياباً أعطيها على غلام يحبه، ويقول فيه شعراً: وذكر علي بن الحسين بن أبي طلحة عن أبي الفضل الكاتب -أنه دعا خالداً ذات يوم فأقام عنده. وخلع عليه، فما استقر به المجلس حتى خرج، قال: فأتبعته رسولاً ليعرف خبره، فإذا هو قد جاء إلى غلام كان يحبه، فسأل عنه فوجده في دار القمار، فمضى إليه حتى خلع عليه تلك الثياب وقبله وعانقه وعاد إلينا، فلما جاء خالد أعطيت الغلام الذي وجهنا به دنائير ودعاه فجاء به إلينا، وأخفيناه وسألنا خالداً عن خبره فكنتمه وجمجم ، فغمزنا الرسول فأخرجه علينا، فلما رآه خالد بكى ودهش، فقلنا له: لا ترع، فإن من القصة كيت وكيت، وإنما أردنا أن نعرف خبرك لا أن نسوءك، فطابت نفسه وأجلسه إلى جنبه، وقال: قد بليت بحبه وبالخوف عليه مما قد بلي به من القمار، ثم أنشد لنفسه فيه:

وخامر جسمه سقمه

محب شفاه ألمه

من السرار مكتمه

وباح بما يجمجه

يحبك لحمه ودمه

أما ترثي لمكتنب

يغار على قميصك حين تلبسه ويتهمه

من شعره في الشوق: وذكر علي بن الحسين أيضاً أن محمد بن السري حدثه أنه أطل الغيبة عن بغداد وقد وسوس خالد، فمر به في الرصافة والصبيان يصيحون به: يا غلام الشريطي يا خالد البارد، ويرجع إليهم فيضربهم ويزايد ويرميهم، قال: فقلت له: كيف أنت يا أبا الهيثم؟ قال: كما ترى! فقلت له: فمن تعاشر اليوم؟ قال: من أحذره، فعجبت من جوابه مع اختلاله، فقلت له: ما قلت بعدي من الشعر؟ قال: ما حفظه الناس وأنسيته، وعلى ذلك قولي:

بين عتب وسخطةٍ وعذاب

كبدٌ شفها غليل التصابي

ق ونوع مجددٍ من عذاب

كل يوم تدمى بجرح من الشو

فاشفني كيف شئت، لا بك ما بي

يا سقيم الجفون أسقمت جسمي

و أو اجعل سوى الصدود عقابي

إن أكن مذنباً فكن حسن العف

ثم قال: يا أبا جعفر، جنت بعدك، فقلت: ما جعلك الله مجنوناً؟ وهذا كلامك لي ونظمك. حدثني محمد بن الطلاس أبو الطيب، قال: حضرت جنازة بعض حيراني، فلقيت خالداً في المقبرة فقبضت عليه، وقلت: أنشدني، فذهب ليهرب مني، فغمزت على يده غمزة أو جعلته، فقال: خل عني أنشدك، فأرحت يدي عن يده، فأنشدني:

أحسن من منظره

لم تر عينٍ نظرت

لا تصل الألسن بالوصف إلى أكثره

كيف بمن تنتسب الشمس إلى جوهره !

ينشد شعراً لأبي تمام، ثم ينشد شعراً عارضه به:

حدثني عمي -رحمه الله- قال: مر بنا خالد الكاتب ها هنا والصبيان خلفه يصيحون به، فجلس إلي فقال: فرق هؤلاء عني، فقلت، وألحت عليه جارية تصيح: يا خالد يا بارد، فقال لها: مري يا منتنة الكس، ويا من كسها دس . فقلت له: يا أبا الهيثم، أي شيء معنى "دس" ها هنا؟ قال: تشتهي الأير الصغير والكبير والوسط، ولا تكره منها شيئاً وأقبل الصبيان يصيحون بتلك الجارية. بمثل ما قال لها خالد، وهي ترميهم وتهرب منهم حتى غابوا معها عنا، فأقبل علي خالدٌ متمثلاً فقال:

وما أنا في أمري ولا في خصومتي بمهتضم حقي ولا قارع سني

فاحتبسته عندي يومي ذلك. فلما شرب وطابت نفسه، أنشده لأبي تمام:

أحبابه لم تفعلون بقلبه ما ليس يفعله به أعداؤه؟

مطرٌ من العبرات خدي أرضه حتى الصباح ومقلتاي سماؤه

نفسى فداء محمدٍ ووقاؤه وكذبت، ما في العالمين فداؤه

أزعمت أن البدر يحكي وجهه والغصن حين يמיד فيه ماؤه؟

أسكت فأين بهائه وكماله وجماله وحيائه وضيائه؟

لا تقر أسماء الملاحه باطلاً فيمن سواه فإنها أسماؤه

ثم قال: وقد عارضه أبو الهيثم -يعني خالداً نفسه- فقال:

فديت محمداً من كل سوء يحاذر في رواح أو غدو

أيا قمر السماء سلفت حتى كأنك قد ضجرت من العلو

رأيتك من حبيبك ذا بعادٍ وممن لا يحبك ذا دنو

وحسبك حسرةً لك من حبيب رأيت زمامه بيدي عدو

هكذا أخبرني عمي عن خالد، وهذه البيات أيضاً تروي لأبي تمام.

يبعث بشعر إلى صديق له عليل: وقال ابن أبي طلحة: حدثني الهلالي، قال: مررت بخالد وحوله جماعة ينشدهم فقلت له: يا أبا الهيثم، سلوت عن صديقك، فقال: لا والله. قلت: فإنه عليل وما عدته، فسكت ساعة ثم رفع رأسه إلي، وقال:

زعموا أنني صحت وكلا

أشهد الله أنني لن أملا

كيف صبري يا من إذا ازداد تيبها

أبدأ زدته خضوعاً وذلاً؟

ثم قال: احفظه وأبلغه عني:

بجسمي لا بجسمك يا عليل

ويكفيني من الألم القليل

تعداك السقام إلي إنني

على ما بي لعاديه حمول

إذا ما كنت يا أملي صحيحا

فحالفني وسالمك النحول

ألست شقيق ما ضمت ضلوعي

على أني لعلتك العليل

من شعره في غلام يحبه: قال: وحدثني العباس بن يحيى أنهم كانوا عند علي بن المعتصم، فغني في شعر لخالد، فأمر باحضاره وطلب فلم يوجد، فوجه إلي غلام كان يتعشقه فأحضر، وسأله عنه فدل عليه، وقال: كنا نشرب إلى السحر، وقد مضى إلى حمام فلان، وهو يخرج ويجلس عند فلان الفقاعي، ودكانه مألّف للغلمان المرد والمغنين، فبعث إليه فأحضر، فلما جلس أخرج علي بن المعتصم الغلام؛ وقال: هذا دلنا عليك؛ وهو يزعم أنك تعشقه، فقال له الغلام: نعم أيها الأمير، لو لم يكن من فضيحتي إيائي إلا أنه لم يوجد أحضرت وسئلت عنه، فأقبل عليه خالد وقال:

يا تارك الجسم بلا قلب

إن كنت أهواك فما ذنبي؟

يا مفردا بالحسن أفردتني

منك بطول الشوق والحب

إن تك عيني أبصرت فتنة

فهل على قلبي من عتب؟

حسيبك الله لما بي كما

أنك في فعلك بي حسبي

لحظة فيه رمل، فاستحسن علي الشعر، وأمر له بخمسين ديناراً.

يعتذر إلى غلام أعرض عنه: قال: حدثني ابن أبي المدور أنه شهد خالداً عند عبد الرحيم بن الأزهر الكاتب، وأنه دخل عليهم غلاماً من أولاد الكاتب، فلما رأى خالداً أعرض عنه، فقلت له: لم أعرضت عن أبي الهيثم؟ فقال: والله لو علمت أنه هنا ما دخلت إليكم، ما يبالي إذا شرب هذين القدحين ما قال ولا من هتك، فقال لي خالد: ألا تعينني على ظالمي؟ فقلت: بلى والله أعينك، فأقبل على الفتى وقال: صوت

هبني أسأت فكان ذنبي مثل ذنب أبي لهب

ت وكم أسأت ولم تتب

فأنا أتوب وكم أسأ

فما زلنا مع ذلك الفتى نداريه ونستعطفه له حتى أقبل عليه وكلمه وحادثه، فطابت نفسه، وسر بقية يومه.

في هذين البيتين لأبي العبيس خفيف رمل بالسبابة في مجرى الوسطى، ولرذاذ خفيف رمل مطلق. شعره في تفاحة معضوضة: وحدثني عبد الله بن صالح الطوسي أن علي بن المعتصم دعا خالداً يوماً وهو يشرب، وقد أخرجت إليه وصيفة من وصفاء حظيته تفاحة معضوضة مغلغة بعثت بها إليه ستها، فقال:

تفاحةٌ خرجت بالدر من فيها      أشهى إلي من الدنيا وما فيها  
بيضاء في حمرة علت بغاليةٍ      كأنما قطفت من خد مهديها  
جاءت بها قينةٌ من عند غانية      روحي من السوء والمكروه تقديها  
لو كنت ميناً ونادتني بنغمتها      إذا لأسرعت من لحدي ألبها

فاستحسن علي بن المعتصم الأبيات، وغني فيها، وأمر بتخت ثياب وخمسين ديناراً.

### أخبار المسدود

اسمه وكنيته وموطنه المسدود من أهل بغداد، وكان منزله في ناحية درب الفضل، في الموضع المعروف بخراب المسدود، منسوب إليه.

وأخبرني جحظة أن اسمه الحسن، وكنيته أبو علي، وأن أباه كان قصاباً، وأنه كان مسدود فرد منخر ومفتوح الآخر، وكان يقول: لو كان منخري الآخر مفتوحاً لأذهلت بغنائي أهل الحلوم وذوي الألباب، وشغلت من سمعه عن أمر دينه ودنياه ومعاشه ومعاده.

أشجى الناس صوتاً وأحضرهم بديهة: قال جحظة: وكان أشجى الناس صوتاً وأحضرهم نادرة، ولم يكتسب أحد من المعين بطنبور ما كسبه، وكان مع يساره وقلة نفقته يقرض بالعينه وكانت له صنعة عجيبة، أكثرها الأهراج. قال جحظة: قال لي مخارق غلامه: قال لي، وقد صنع هذين البيتين وهما جميعاً هزج: صوت

من رأى العيس عليها الرحال      إضم قصد لها أم أثال؟  
لست أدري حيث حلوا ولكن      حيثما حلوا فثم الجمال

والآخر:

عج بنا نجن بطرف العين تفاح الخدود

ونسئل القلب عمن      حظنا منه الكدود

ثم قال: والله لا تركت بعدي من يهزج. قال جحظة: والله ما كذب! ينفية الواثق إلى عمان: أخبرني جحظة، قال: كان الواثق قد أذن لجلسائه ألا يرد أحد نادرة عن أحد يلاعبه، فغنى الواثق يوماً:

نظرت كأني من وراء زجاجة      إلى الدار من ماء الصبابة انظر

وقد كان النبيذ عمل فيه وفي المجلساء فانبعث إليه المسدود فقال: أنت تنظر أبداً من وراء زجاجة، إن كان في عينيك ماء صباية أو لم يكن، فغضب الواصل من ذلك وكان في عينيه بياض، ثم قال: خذوا برجل العاض بظر أمه، فسحب من بين يديه. ثم قال: ينفي إلى عمان الساعة، فنفي من وقته وحدر ومعه الموكلون . فلما سلموه إلى صاحب البصرة، سأله أن يقيم عنده يوماً ويغنيه، ففعل.

يأبي الغناء لأمير البصرة فيرسله إلى عمان: فلما جلسوا للشرب ابتداءً فقال: احذروني يا أهل البصرة على حرمكم، فقد دخلت إلى بلدكم وأنا أزين خلق الله. قال: فقال له الجماز: أما يعني أنه أزين خلق الله أما، فغضب المسدود، وضرب بطنبوره الأرض وحلف ألا يغني، فسأله الأمير أن يقيم عنده وأمر بإخراج الجماز وكل من حضر، فأبى ولب فأحدره إلى عمان.

يشتاقه الواصل فيكتب في إحضاره: ومكث الواصل لا يسأل عنه سنة، ثم اشتاقه فكتب في إحضاره، فلما جاءه الرسول ووصل إلى الواصل قبل الأرض بين يديه، فاعتذر من هفوته وشكر التفضل عليه. فأمره بالجلوس ثم قال له: حدثني بما رأيت بعدي. فقال: لي حديث ليس في الأرض أظرف منه، وأعاد عليه حديثه بالبصرة. فقال له الواصل: قبحك الله ما أجهلك! ويلك! فأنت سوقة وأنا ملك، وكنت صاحبياً وكنت منتشياً وبدأت القوم فأجابوك، فبلغ بك الغضب ما ذكرته وما بدأتك فتجيبني، وبدأتني -من المزح- بما لا يحتمله النظر لنظيره، ويلك! لا تعاود مباحة خليفة وإن أذن لك في ذلك، فليس كل أحد يحضره حلمه كما حضري فيك. يهجو الواصل في رقعة ويقدمها إليه خطأً: أخبرني محمد بن يحيى الصولي، قال: حدثني عون بن محمد، قال: سمعت حمدون بن إسماعيل يقول:

لم يكن في الخلفاء أحد أحلم من الواصل، ولا أصبر على أذى وخلاف. وكان يعجبه غناء أبي حشيشة الطنبوري، فوجد المسدود من ذلك، فكان يبلغه عنه ما يكره ويتجاوز عنه . وكان المسدود قد هجاه بيتين، فكانا معه في رقعة، وفي رقعة أخرى حاجة له يريد أن يرفعها إليه، فغلط بين الرقعتين، فناوله رقعة الشعر وهو يرى أنها رقعة الحاجة، فقرأها وفيها:

إلى المسدود في العين

فيا طبلاً بشقين

من المسدود في الأنف

أنا طبلاً له شق

فلما قرأ الرقعة علم أنها فيه، فقال للمسدود: خلطت في الرقعتين، فهات الأخرى وخذ هذه واحترز من مثل هذا، والله ما زاده على هذا القول.

من أجوبته الموجهة: أخبرني جحظة، قال: تحدث المسدود في مجلس المنتصر بحديث، فقال له المنتصر: متى كان ذلك؟ قال: ليلة لا ناه ولا زاجر، يعرض له بليلة قتل فيها المتوكل ، فأغضى المنتصر واحتمله.

قال: وقالت الذكورية يوماً بين يدي المعتمد: إن يا مسدود، قال: نعم يا مفتوحة! وقالت له امرأة: كيف أخذ إلى شجرة بابك؟ قال: قدامك، أطعمك الله من ثمرها.

قال: وغنى بين يدي المتوكل، فسكته وقل لبكران الشيري : تغن أنت، فقال المسدود: أنا أحتاج إلى مستمع، فلم يفهم المتوكل ما قال.  
وقدم إليه طباخ المتوكل طبقاً وعليه رغيفان، ثم قال له: أي شيء تشتهي حتى أحيئك به؟ قال: خبزاً، فبلغ ذلك المتوكل، فأمر بالطباخ فضرب مائي مقرعة.  
قال جحظة: وحدثني بعض الجلساء أنه لما وضع الطباخ الرغيفين بين يديه قال له المسدود: هذا حرز فأين النير؟ قال ودعاه بعض الرؤساء فأهدى له برذوناً أشهب ، فارتبطه ليلته، فلما كان من غد نفق، وبعث إليه يدعوه بعد ذلك، فكتب: أنا لا أمضى إلى من يعرف آجال الدواب، فيهب ما قرب أجله منها.  
قال: واستوهب من بعض الرؤساء وبرا، فأعطاه سموراً قد قرع بعضه، فردده وقال: ليس هذا سموراً، هذا أشكر .

### صوت

أجذك ما تغفو كلوم مصيبة  
على صاحب إلا فجعت بصاحب  
تقطع أحشائي إذا ما ذكرتهم  
وتتهل عيني بالدموع السواكب  
عروضه من الطويل، الشعر لسلمة بن عياش، والغناء لحكم، وله فيه لحنان: رمل بالبصر، وهزج بالوسطى .

### أخبار سلمة بن عياش

ولاؤه وعصره ومن انقطع لمدحه: سلمة بن عياش مولى بني حسل بن عامر بن لؤي. شاعر بصري من مخضرمي الدولتين، وكان يتدين ويتصون ، وانقطع إلى جعفر ومحمد ابني سليمان بن علي بن عبد الله بن عباس، ومدحهما فأكثر وأجاد.  
من مدحه: ومما مدحهما به وفيه غناه قوله: صوت

أرقت وطالت ليلتي بأبان  
لبرقٍ سرى بعد الهدوء يمان  
يضيء بأعلام المدينة همداً  
إلى أمج فالطلح طلح قنان  
غنى في هذين البيتين دحمان، ولحنه ثقيل أول بالوسطى عن عمرو، قال: وفيه لحن لعطرد يقول فيها:  
وردت خليجي جعفر ومحمد  
وكل بديء من نداء سقاني  
وإني لأرجو جعفرًا ومحمدًا  
لأفضل ما يرجى له ملكان  
هما ابنا رسول الله وابنا ابن عمه  
فقد كرم الجدان والأبوان

شعر يعزى إليه: ومنها ما ذكره محمد بن داود بن الجراح قوله: صوت

أنارٌ بدت وهناً لعينك ترمض  
ببغداد أم سار من البرق مومض؟

يضيء سناه مكفهرًا كأنه

حناتم سودًا أو عشار تمخض

غنى فيهما عطرده ثقيلًا أول؛ بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى عن إسحاق يقول فيها:

ولولا انتظاري جعفرًا ونواله

لما كان في بغداد ما أتبرض

وقد وجدت هذا الشعر لابن المولى في جامع شعره من قصيدة له، وأظن ذلك الصحيح، لا ما ذكر محمد بن داود من أنها لسلمة بن عياش.

يرفد الفرزدق بيت من الشعر حين أحبل في قصيدة: أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري، قال: حدثنا عمر بن شبة وغيره، قال: قال سلمة بن عياش - وذكور محمد بن داود، عن عسل بن ذكوان، عن أبي حاتم، عن الأصمعي، عن سلمة بن عياش مولى بني عامر بن لؤي - قال: دخلت على الفرزدق السجن، وهو محبوس، وقد قال قصيدته:

إن الذي سمك السماء بنى لنا

بيتًا دعائمه أعز وأطول

وقد أفحم وأحبل، فقلت له: ألا أرفدك؟ فقلت: وهل ذاك عندك؟ فقلت: نعم، ثم قلت:

بيت زرارة محتب بفنائنه

ومجاشع وأب الفوارس نهشل

فاستجاد البيت وغازه قولي له، فقال لي: ممن أنت؟ فقلت: من قريش، فقال: كل أير حمار من قريش! فمن أيها أنت؟ قلت: من بني عامر بن لؤي، قال: لئام والله ربيعة، جاورهم بالمدينة فما أحمدتهم، فقلت: ألام والله منهم قومك وأرضع. جاء رسول مالك بن المنذر وأنت سيدهم وشاعرهم، فأخذ بأذنك يقودك حتى احتبسك فما اعترضه أحد، ولا نصرك، فقال: قاتلك الله ما أكرمك! وأخذ البيت، فأدخله في قصيدته. يتغزل في بربر المغنية، فتوهب له: أخبرنا وكيع، قال: أخبرني محمد بن سعد الكراني، قال: حدثنا سهل بن محمد، قال: حدثني العتيبي، قال كان سلمة بن عياش وأبو سفيان بن العلاء عند محمد بن سليمان، وجارية تغنيهم وتسقيهم يقال لها: بربر، فقال سلمة:

إلى الله أشكو ما ألقى من القلى

لأهلي وما لاقيت من حب بربر

على حين ودعت الصباية والصبا

وفارقت أخداني وشمرت مئزري

نأى جعفر عنا وكان لمتلها

وأنت لنا في النائبات كجعفر

قال: فقال محمد بن سليمان لسلمة: خذها، هي لك، فاستحيا وارتدع، وقال: لا أريدها فألح عليه في أخذها، فقال: أعتق ما أملك إن أخذتها، فقال له أبو سفيان: يا سخين العين، أعتق ما تملك وخذها، فهي خير من كل ما تملك، فلما مات أبو سفيان رثاه سلمة فقال: يرثي صديقه أبا سفيان:

لعمرك لا تعفو كلوم مصيبة

على صاحبٍ إلا فجعت بصاحب

تقطع أحشائي إذا ما ذكرتك  
وتتهل عيني بالدموع السواكب  
وكننت امرأ جلدأ على ما ينوبني  
ومعترفاً بالصبر عند المصائب  
فهد أبو سفيان ركني ولم أكن  
جزوعاً ولا مستكراً للنوائب  
غنياً معاً بضعاً وستين حجةً  
خليلي صفاء ودنا غير كاذب  
فأصبحت لما حالت الأرض دونه  
على قربه مني كمن لم أصاحب

وذكر محمد بن داود عن عسل بن ذكوان أن محمد بن سليمان قال له: اختر ما شئت غيرها، لأن أبا أيوب قد وطئها.

يهزأ بأبي حية النميري فيخرسه: أخبرني علي بن سليمان الأحفش قال: حدثني محمد بن يزيد النحوي، قال: حدثت من غير وجه عن سلمة بن عياش أنه قال: قلت لأبي حية النميري أهزأ به: ويحك يا أبا حية! أتدري ما يقول الناس؟ قال: لا، قلت: يزعمون أني أشعر منك، قال: إنا لله! هلك والله الناس. من شعره في بربر: وفي بربر هذه يقول سلمة بن عياش، وفيه غناء، وذكر عمر بن شبة أنه لمطيع ابن إياس: صوت

أظن الحب من وجدي  
سبيقتني على بربر  
وبربر درة الغوا  
ص من يملكها يحبر  
فخافي الله يا بربر  
فقد أفتنت ذا العسكر  
بحسن الدل والشكل  
وريح المسك والعنبر  
ووجه يثبه البدر  
وعيني جوذر أحور

فيه لحكم ثلاثة ألحان: رمل مطلق في مجرى الوسطى عن إسحاق، وخفيف رمل عن هارون بن الزيات، وهزيج عن أبي أيوب المدني.

شعر مطيع بن إياس في جارية لبربر بعد ما أعتقت: أخبرني إسماعيل بن يونس، قال: حدثنا عمر بن شبة، قال بربر جارية آل سليمان أعتقت، وكان لها جوار مغنيات، فيهن جارية اسمها جوهر، وكان في البصرة فتى يعرف بالصحاف، حسن الوجه، فبلغ مطيع بن إياس أنه بات مع جوهر جارية بربر، فغاضه ذلك، فقال:

نالك والله جوهر الصحاف  
وعليها قميصها الأفواف  
شام فيها أيراً له ذا صلاح  
لم يخنه نقص ولا إخطاف  
زعموها قالت وقد غاب فيها  
قائماً في قيامه استحصاف  
وهو في جارة استنها ينلطي  
وبها شهوة له والتهاف

بعض هذا مهلاً ترفق قليلاً

ما كذا يا فتى تناك الظراف

قال: وقال فيها، وقد وجهت بجواربها إلى عسكر المهدي:

خافي الله يا بربر

فقد أفسدت ذا العسكر

أفضت الفسق في الناس

فصار الفسق لا ينكر

ومن ذا يملك الناس

إذا ما أقبلت بربر؟

وأعطاف جواربها

كريح المسك والعنبر

وجوهر درة الغوا

ص من يملكها يحبر

ألا يا جوهر القلب

لقد زدت على الجوهر

وقد أكملك الله

بحسن الدل والمنظر

إذا غنيت يا أحسن خلق الله بالمزهر

فهذا حزناً يبكي

وهذا طرباً يكفر

وهذا يشرب الكأس

وذا فرح ينعر

ولا والله ما المهدي

أولى منك بالمنبر

فما عشت ففي كفيك خلع ابن أبي جعفر

قال: فبلغ ذلك المهدي، فضحك وأمر لمطيع بصلة، وقال: أنفق هذا عليها، وسلها ألا تخلعنا ما عاشت.

قال: وفي جوهر يقول مطيع:

جارية أحسن من حليها

وفيه فضل الدر والجوهر

وجرمها أطيب من طيبها

والطيب فيه المسك والعنبر

جاءت بها بربر ممكورة

يا حبذا ما جلبت بربر

قال: وقال فيها:

أنت يا جوهر عندي جوهره

في بياض الدرّة المشتهره

وإذا غنت فنارٌ أضرمت

قدحت في كل قلب شرره

صوت

يا عمود الإسلام خير عمود  
والذي صيغ من حياء وجود  
إن يوماً أراك فيه ليوم  
طلعت شمسهُ بسعد السعود  
الشعر لأبي العتاهية يمدح محمد الأمين، والغناء لإسحاق، ثقبيل أول بالبنصر عن عمرو بن بانه وإسحاق.

### أخبار لأم جعفر

تستشهد أبا العتاهية مدحه للأمين: أخبرني محمد بن يحيى الصولي، قال: حدثنا العلاءي، قال: حدثني محمد بن أبي العتاهية، قال: لما جلس الأمين في الخلافة أنشده أبو العتاهية:

يا بن عم النبي خير البرية  
يا إمام الهدى الأمين المصفي  
لك نفس أمانة لك بالخي  
إن نفساً تحملت منك ما حم  
إنما أنت رحمة للرعية  
بلباب الخلافة الهاشميه  
ر وكف بالمكرمات نديه  
لت للمسلمين نفسٌ قوية

قال: ثم خرج إلى دار أم جعفر، فقالت له: أنشدني ما أنشدت أمير المؤمنين، فأنشدها. فقالت: أين هذا من مدائحك في المهدي والرشيدي؟ فغضب وقال: إنما أنشدت أمير المؤمنين ما يستملح، وأنا القائل فيه:

يا عمود الإسلام خير عمود  
والذي صيغ من حياء وجود  
والذي فيه ما يسلي ذوي الأح  
زان عن كل هالك مفقود  
طلعت شمسهُ بسعد السعود  
إن يوماً أراك فيه ليوم

فقالت له: الآن وفيك المديح حقه، وأمرت له بعشرة آلاف درهم. يستنجز أبو العتاهية ما كانت تجريه عليه: أخبرني محمد بن يحيى، قال: حدثني محمد بن موسى البيزدي، قال: حدثني محمد بن الفضل، قال: كان المأمون يوجه إلى أم جعفر زبيدة في كل سنة بمائة ألف دينار جدد وألف ألف درهم، فكانت تعطي أبا العتاهية منها مائة دينار وألف درهم، فأغفلته سنة، فدفع إلي رقعة وقال: ضعها بين يديها فوضعتها، وكان فيها:

خبروني أن في ضرب السنة  
سككاً قد أحدثت لم أرها  
جدداً بيضاً وصفراً حسنه  
مثل ما كنت أرى كل سنه

فقالت: إنا لله! أغفلناه. فوجهت إليه بوظيفة على يدي. تطلب أن ينظم أبو العتاهية أبياتاً تعطف عليها المأمون حدثني محمد بن موسى، قال: حدثنا جعفر بن الفضل

الكاتب، قال: أحست زبيدة من المأمون بجفاء، فوجهت إلى أبي العتاهية تعلمه بذلك، وتأمره أن يعمل فيه أبياتاً تعطفه عليها، فقال: صوت

ألا إن ريب الدهر يدني ويبعد  
ويؤنس بالآلاف طوراً ويفقد  
أصاب لريب الدهر مني يدي يدي  
فسلمت للأقدار والله أحمد  
وقلت لريب الدهر إن ذهب يدٌ  
فقد بقيت والحمد لله لي يد  
إذا بقي المأمون فالرشيد لي  
ولي جعفرٌ لم يفقداً ومحمد

الغناء لعلويه.

قال: فحسن موقع الأبيات منه، وعاد لها المأمون إلى أكثر مما كان لها عليه. وجدت في كتاب محمد بن الحسن الكاتب.

حدثني هارون بن مخارق، قال: حدثني أبي، قال: ظهرت لأم جعفر جفوة من المأمون، فبعثت إلي بأبيات وأمرتني أن أغني فيها المأمون إذا رأته نشيطاً وأسنت لي الجائزة، وكان كاتبها قال الأبيات، ففعلت فسألني المأمون عن الخبر فعرفته، فبكى ورق لها، وقام من وقته فدخل إليها فأكب عليها، وقبلت يديه، وقال لها: يا أمه، ما جفوتك تعمداء، ولكن شغلت عنك بما لا يمكن إغفاله، فقالت: يا أمير المؤمنين، إذا حسن رأيك لم يوحشني شغلك، وأتم يومه عندها، والأبيات:

ألا إن ريب الدهر يدني ويبعد  
ويؤنس بالآلاف طوراً ويفقد

وذكر باقي الأبيات مثل ما في الخبر الأول: ينظم أبو العتاهية شعراً على لسانها للمأمون: أخبرني محمد بن يحيى، قال: حدثني الحسن بن علي الرازي، قال: حدثني أبو سهل الرازي عن أبيه، قال: عمل أبو العتاهية شعراً على لسان زبيدة بأمرها لما قدم المأمون بغداد، أوله:

لخير إمام قام من خير عنصر  
وأفضل راقٍ فوق أعواد منبر

فذكر محمد بن أحمد بن المرزبان عن بعض كتاب السلطان: أن المأمون لما قدم مدينة السلام واستقرت به الدار، وانتظمت له الأمور، أمرت أم جعفر كاتباً لها فقال هذه الأبيات، وبعثت بها إلى علويه، وسألته أن يصنع فيها لحناً، ويغني فيه المأمون ففعل، وكان ذلك مما عطفه عليها، وأمرت لعلويه بعشرين ألف درهم. وقد روي أن الأبيات التي أولها:

يا عمود الإسلام خير عمود

لعيسى بن زينب المراكبي.

أخبرني محمد بن يحيى، قال: حدثني الحسين بن يحيى الكاتب، قال: حدثنا علي بن نجيح، قال: حدثني صالح بن

الرشيد، قال: كنا عند المأمون يوماً وعقيد المغني وعمرو بن بانة يغنيان، وعيسى بن زينب المراكبي حاضر، وكان مشهوراً بالإبنة، فتغنى عقيد بشعر عيسى:

يا عمود الإسلام خير عمود  
والذي صيغ من حياء وجود  
لك عندي في كل يوم جديد  
طرفة تستفاد يا بن الرشيد

فقال المأمون لعقيد: أنشد باقي هذا الشعر، فقال: أصون سمع أمير المؤمنين عنه، فقال: هاته ويحك! فقال:

كنت في مجلس أنيق وريحان  
ن وراح ومسمعات وعود  
فتغنى عمرو بن بانة إذا ذا  
ك وهو ممسك بأير عقيد  
يا عمود الإسلام خير عمود  
والذي صيغ من حياء وجود  
فتنفست ثم قلت كذا كل  
محب صب الفؤاد عميد

فقال المأمون لعيسى بن زينب: والله لا فارقتك حتى تخبرني عن تنفسك عند قبض عمرو على أير عقيد: لأي شيء هو؟ لا بد من أن يكون ذلك إشفافاً عليه، أو على أن تكون مثله، لعن الله تنفسك هذا يا مريب! قال: وإنما سمي المراكبي لتوليه مراكب المنصور، وأمه زينب بنت بشر صاحب طاقات بشر بباب الشام.

### صوت

لقيت من الغنيات العجبا  
لو أدرك مني العذارى الشبا  
غلام يكحلن حور العيون  
ويحدثن بعد الخضاب الخضا  
ويبرقن إلا لما تعلمون  
فلا تمنعن النساء الضرابا

الشعر لأيمن بن خزيم بن فاتك الأسدي، والغناء لإبراهيم الموصلي، ولحنه من الثقيل الأول بالسبابة في مجرى الوسطى من رواية الهشامي.

### أخبار أيمن بن خريم

نسبه وتشيعه وأيمن بن خريم بن فاتك الأسدي لأبيه صحبة برسول الله -" - ورواية عنه، وينسب إلى فاتك، وهو جد أبيه. وهو أيمن بن خريم بن الأخرم بن عمرو بن فاتك بن القليب بن عمرو بن أسد بن خزيم بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار. وكان أيمن يتشيع، وكان أبوه أحد من اعتزل حرب الجمل وصفين وما بعدهما من الأحداث، فلم يحضرها.

يصف قوته لعبد الملك بن مروان، فيحسده ويتغير عليه:

أخبرني الحسن بن علي، قال: حدثنا محمد بن القاسم بن مهروية، قال: حدثني النوشجاني عن العمري عن الهيثم

بن عدي، عن عبد الله بن عياش، عن مجالد، قال كان عبد الملك شديد الشغف بالنساء، فلما أسن ضعف عن الجماع وازداد غرامه بهن، فدخل إليه يوماً أيمن بن حريم قال له: كيف أنت؟ فقال: بخير يا أمير المؤمنين. قال: فكيف قوتك؟ قال: كما أحب، والله الحمد، إني لأكل الجذعة من الضأن بالصاع من البر، وأشرب العس المملوء ، وأرتحل البعير الصعب وأنصبه ، وأركب المهر الأرن فأذللته، وأفترع العذراء، ولا يقعدني عنها الكبر، ولا يمنعني منها الحصر ، ولا يرويني منها الغمر ولا ينقضني مني الوطر. فغاظ عبد الملك قوله وحسده، فمنعه العطاء وحجبه، وقصده بما كره حتى أثر ذلك في حاله، فقالت له امرأته: ويحك! أصدقني عن حالك؟ هل لك جرم؟ قال: لا والله، قالت: فأي شيء دار بينك وبين أمير المؤمنين آخر ما لقيته؟ فأخبرها، فقالت: إنا لله؟ من ها هنا أتيت.

تحتال له امرأته فيعود عبد الملك إلى بره: أنا أحتال لك في ذلك حتى أزيل ما جرى عليك، فقد حسدك الرجل على وصفت به نفسك، فتهيأت ولبست ثيابها ودخلت على عاتكة زوجته، فقالت: أسألك أن تستعدي لي أمير المؤمنين على زوجي، قالت: وماله؟ قالت: والله ما أدري أنا مع رجل أو حائط؟ وإن له لسنين ما يعرف فراشي، فسليه أن يفرق بيني وبينه، فخرجت عاتكة إلى عبد الملك فذكرت ذلك له، وسألته في أمرها، فوجه إلى أيمن بن حريم فحضر، فسأله عما شككت منه فاعترف به، فقال: أو لم أسألك عاماً أول عن حالك فوصفت كيت وكيت؟ فقال: يا أمير المؤمنين، إن الرجل ليتحمل عن سلطانه، ويتجلد عند أعدائه بأكثر مما وصفت نفسي به، وأنا القائل:

لوقيت من الغانيات العجبا	لو أدرك مني الغواني الشبا
ولكن جمع النساء الحسان	عناءً شديد إذا المرء شبا
ولو كلت بالمد للغانيات	وضاعفت فوق الثياب الثيا
إذا لم تتلهن من ذاك ذاك	جددك عند الأمير الكتابا
يذدن بكل عصا ذائد	ويصبحن كل غداة صعا
إذا لم يخالطن كل الخلا	ط أصبحن مخرنظمات غضا
علام يكحلن حور العيون	ويحدثن بعد الخضا
ويعركن بالمسك أجيا	ويدنين عند الحجال العيا
ويبرقن إلا لما تعلمون	فلا تحرموا الغانيات الضرا

قال: فجعل عبد الملك يضحك من قوله، ثم قال: أولى لك يا بن حريم! لقد لقيت منهن ترحا ، فما ترى أن نصنع بينك وبين زوجتك؟ قال: تستأجلها إلى أجل العنين، وأداريها لعلي أستطيع إمساكها، قال: أفعل ذلك، وردّها إليه، وأمر له بما فات من عطائه، وعاد إلى بره وتقريبه.

يعتزل عمرو بن سعيد وعبد العزيز بن مروان في منازعة بينهم ويقول في ذلك شعراً: أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي أو دلف، قال: حدثنا الرياشي، قال: ذكر العتيبي أن منازعة وقعت بين عمرو بن سعيد وعبد العزيز بن مروان، فتعصب لكل واحد منهما أحواله، وتداعوا بالسلاح واقتتلوا، وكان أيمن بن خريم حاضر للمنازعة فاعتزلهم هو ورجل من قومه، يقال له: ابن كوز، فعاتبه عبد العزيز وعمرو جميعاً على ذلك، فقال:

أُقتل بين حجاج بن عمرو  
وبين خصيمه عبد العزيز  
أنقتل ضلة في غير شيء  
ويبقى بعدنا أهل الكنوز  
لعمر أبيك ما أتيت رشدي  
ولا وفقت للحرز الحريز  
فإني تاركٌ لهما جميعاً  
ومعتزلٌ كما اعتزل ابن كوز

يهجو يحيى بن الحكم: أخبرني عمي قال: حدثني الكراي، عن العمري عن الهيثم بن عدي، قال: أصاب يحيى بن الحكم جارية في غزاة الصائفة، بها وضح، فقال: أعطوها أيمن بن خريم، وكان موضحاً، فغضب وأنشأ يقول:

تركت بني مروان تندي أكفهم  
وصاحبت يحيى ضلة من ضالينا  
فإنك لو أشبهت مروان لم تقل  
لقومي هجراً أن أتوك ولا ليا

وانصرف عنه، فأتى عبد العزيز بن مروان، وكان يحيى محمقاً.

يرى عبد الملك مدحه لبني هاشم مثلاً يحتذى:

حدثني محمد بن العباس اليزيدي، قال: حدثني عمي الفضل، قال: حدثني الزبيري عن أشياخه أن عبد الملك بن مروان قال: يا معشر الشعراء تشبهوننا مرة بالأسد الأبخز، ومرة بالجبل الأوعر، ومرة بالبحر الأحاج، ألا قلتُم فينا كما قال أيمن بن خريم في بني هاشم:

نهاركم مكابدةً وصومٌ  
وليلكم صلاةً واقتراء  
وليتم بالقران وبالتركي  
فأسرع فيكم ذاك البلاء  
بكي نجدٌ غداة غدٍ عليكم  
ومكة والمدينة والجواء  
وحق لكل أرض فارقوها  
عليكم لا أبالكم البكاء  
أجعلكم وأقواماً سواءً  
وبينكم وبينهم الهواء  
وهم أرض لأرجلكم وأنتم  
لأرؤسهم وأعينهم سماء

شعره وقد أدى عبد الملك عنه دية قتل خطأ: أخبرني الحسن بن علي، عن أحمد بن زهير، عن أبي همام الوليد بن شجاع، قال: حدثنا عبد الله بن إدريس، قال: أصاب أيمن بن خريم امرأة له خطأ -يعني قتلها- فوداها عبد الملك بن مروان: أعطى ورثتها ديتها، وكفر عنه كفارة القتل، وأعطاه عدة حوار، ووهب له مالا، فقال أيمن:

رأيت الغواني شيئاً عجاباً  
ولكن جمع العذارى الحسان  
ولو كلت بالمد للغانيات  
إذا لم تتلهن من ذاك ذاك  
يذدن بكل عصا ذائد  
إذا لم يخالطن كل الخلاط  
علام يكلطن حور العيون  
ويعركن بالمسك أجيادهن  
ويغمرن إلا لما تعلمون

لو أنس مني الغواني الشبابا  
عناءً شديد إذا المرء شابا  
وضاعفت فوق الثياب ثيابا  
بغينك عند الأمير الكذابا  
ويصبحن كل غداة صعبا  
تراهن مخرنظمات غضابا  
ويحدثن بعد الخضاب الخضابا  
ويدينن عند الحجال العيابا  
فلا تحرموا الغانيات الضرابا

قال: فبلغني أن عبد الملك أنشد هذا الشعر، فقال: نعم الشفيح أيمن لهن.

يستجيد عبد الملك وصفه للنساء: وأخبرني أحمد بن عبد العزيز عن عمر بن شبة وإبراهيم بن أيوب عن ابن قتيبة، قال: قال له عبد الملك لما أنشده هذا الشعر: ما وصف النساء أحد مثل صفتك، ولا عرفهن أحد معرفتك. قال: فقال له: لئن كنت صدقت في ذلك لقد صدق الذي يقول: صوت

فإن تسألوني بالنساء فإنني  
إذا شاب رأس المرء أو قل ماله  
يردن ثراء المال حيث علمنه  
خيرٌ بأدواء النساء طبيب  
فليس له في ودهن نصيب  
وشرخ الشباب عندهن عجيب

فقال له عبد الملك: قد لعمرى صدقتما وأحسنتما، الشعر لعلقمة بن عبدة، والغناء لبسباسة، ولحنه خفيف ثقيل أول بالوسطى عن حبش. وهذه الأبيات يقولها علقمة بن عبدة يمدح بها الحارث ويسأله إطلاق ابنه شأس . وخبره يذكر وخبر الحارث بعد انقضاء أخبار أيمن بن خريم.

رجع الحديث إلى أخبار أيمن يفضل عبد العزيز بن مروان شعر نصيب على شعره، فيلحق ببشر بن مروان: أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري، قال: حدثنا عمر بن شبة، قال: حدثني المدائني عن أبي بكر الهذلي، قال: دخل نصيب يوماً إلى عبد العزيز بن مروان، فأنشده قصيدة له امتدحه بها فأعجبته، وأقبل على أيمن بن خريم فقال: كيف ترى شعر مولاي هذا؟ قال: هو أشعر أهل جلدته . فقال: هو أشعر والله منك. قال أمي أيها الأمير؟.

فقال: إي والله، قال: لا والله، ولكنك طرفٌ ملول، فقال له: لو كنت كذلك ما صبرت على مؤاكلتك منذ

سنة وبك من البرص ما بك ، فقال: ائذن لي أيها الأمير في الانصراف، قال: ذلك إليك، فمضى لوجهه حتى لحق ببشر بن مروان، وقال فيه:

ركبت من المقطم في جمادى  
ولو أعطاك بشر ألف ألف  
إلى بشر بن مروان البريدا  
أمير المؤمنين أقم ببشر  
رأى حقاً عليه أن يزيداً  
ودع بشراً يقومهم ويحدث  
عمود الدين إن له عموداً  
وإننا قد وجدنا أم بشر  
لأهل الزيغ إسلاماً جديداً  
كأن التاج تاج أبي هرقل  
كأم الأسد مذكراً ولودا  
جلوه لأعظم الأيام عيدا

يحالف لونه ديباج بشر

إذا الألوان حالفت الخودا

-يعرض بنمش كان بوجه عبد العزيز - فقبله بشر بن مروان ووصله، ولم يزل أثيراً عنده.

من مدحه في بشر بن مروان: أخبرني عمي، قال: حدثني الكراني، وأبو العيلاء عن العتيبي، قال: لما أتى أيمن بن حريم بشر بن مروان نظر الناس يدخلون عليه أفواجا، فقال من يؤذن لنا الأمير أو يستأذن لنا عليه؟ قيل له: ليس على الأمير حجاب ولا ستر، فدخل وهو يقول:

يرى بارزاً للناس بشر كانه  
ولو شاء بشر أغلق الباب دونه  
إذا لاح في أثوابه قمر بدر  
أبي ذا ولكن سهل الإذن للتي  
طماطم سود أو صقالبة شقر  
يكون له في غبها الحمد والشكر

فضحك إليه بشر، وقال: إنا قوم نحجب الحرم، وأما الأموال والطعام فلا، وأمر له بعشرة آلاف درهم.

2يعبر أهل العراق بقلة غنائهم في حرب غزاة: أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي أبو دلف، قال: حدثني الرياشي، قال: حدثنا الأصمعي عن المعتمد بن سليمان، قال: لما طالت الحرب بين غزاة وبين أهل العراق وهم لا يغنون شيئاً - قال أيمن بن حريم:

أتينا بهم مائتي فارس  
وخمسون من مارقات النساء  
من السافكين الحرام العبيطا  
وهم مائتا ألف ذي قونس  
ء يسحبن للمنديات المروطا  
رأيت غزاة إن طرحت  
بيط العراقان منهم أطيطا  
سمت للعراقين في جمعها  
بمكة هودجها والغبيطا  
فلاقى العراقان منها بطيطا

ألا يستحي الله أهل العرا  
وخيل غزاة تسبي النساء  
ولو أن لوطاً أميراً لكم  
ق إن قلدوا الغانيات السموطا؟  
وتحوي النهاب وتحوي النبيطا  
لأسلمتم في الملمات لوطا

### صوت

تصابيت أم هاجت لك الشوق زينب  
وكيف تصابي المرء والرأس أشيب!  
إذا قربت زادتك شوقاً بقربها  
وإن جانبت لم يسئل عنها التجنب  
فلا اليأس إن ألممت يبدو فترعوي  
ولا أنت مردود بما جئت تطلب  
وفي اليأس لو يبدو لك اليأس راحةً  
وفي الأرض عنن لا يؤاتيك مذهب

الشعر لحجية بن المضرب الكندي، فيما ذكره إسحاق والكوفيون. وذكر الزبير بن بكار أنه لإسماعيل بن يسار، وذكر غيره أنه لأخيه أحمد بن يسار. والغناء ليونس الكاتب، ولحنه من الثقيل الثاني بإطلاق الوتر في مجرى البنصر، وفيه ثقل أول بالبنصر. ذكر حبش أنه لمالك، وذكر غيره أنه لمبعد.

### أخبار حجية بن المضرب

تجعله عائشة مثلاً في بر صبية لأخيه مات عنهم: حدثني ابن عمار، قال: حدثنا سعيد بن يحيى الأموي، وأخبرنا به وكيع عن إسماعيل بن إسحاق، عن سعيد بن يحيى الأموي، قال: حدثني الخبير بن قحزم، عن هشام بن عروة، عن أبيه، قال: لما قدم القاسم بن محمد بن أبي بكر وأخته من مصر - وأخبرني بهذا الخبر محمد بن أبي الأزهر، قال: حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه، عن الهيثم بن عدي، عن عوانة، قال: كان القاسم بن محمد بن أبي بكر يحدث، قال: لما قتل معاوية بن حديج الكندي وعمرو بن العاص أبي - يعني محمد بن أبي بكر بمصر - جاء عمي عبد الرحمن بن أبي بكر فاحتملني وأختاً لي من مصر. وقد جمعت الروايتين واللفظ لابن أبي الأزهر، وخبره أتم قال.

فقدم بنا المدينة، فبعثت إلينا عائشة، فاحتملتنا من منزل عبد الرحمن إليها، فما رأيت والدة قط، ولا والداً أبر منها، فلم نزل في حجرها حتى إذا كان ذات يوم وقد ترعرعنا ألبستنا ثياباً بيضاء، ثم أجلست كل واحد منا على فخذه، ثم بعثت إلى عمي عبد الرحمن، فلما دخل عليها تكلمت فحمدت الله - عز وجل - وأثنت عليه. فما رأيت متكلماً ولا متكلمة قبلها ولا بعدها أبلغ منها، ثم قالت: يا أخي إني لم أزل أراك معرضاً عني منذ قبضت هذين الصبيين منك، ووالله ما قبضتهما تطاولاً عليك، ولا قهمة لك فيهما، ولا لشيء تكرهه، ولكنك كنت رجلاً ذا نساء، وكانا صبيين لا يكفيان من أنفسهما شيئاً،

فخشيت أن يرى نساؤك منهما ما يتقدرون به من قبيح أمر الصبيان فكنت ألطف لذلك وأحق بولايته، فقد قويا على أنفسهما وشبا، وعرفا ما يأتيان، فها هما هذان فضمهما إليك، وكن لهما كحجية بن المضرب أخي كندة، فإنه كان له أخ يقال له: معدان، فمات وترك أصيبية صغاراً في حجر أخيه، فكان أبر الناس بهم وأعطفهم عليهم، وكان يؤثرهم على صبيانه، فمكث بذلك ما شاء الله. ثم إنه عرض له سفر لم يجد بداً من الخروج فيه، فخرج وأوصى بهم امرأته، وكانت إحدى بنات عمه، وكان يقال لها: زينب، فقال: اصنعي ببني أخي ما كنت أصنع بهم، ثم مضى لوجهه أشهراً، ثم رجع وقد ساءت حال الصبيان وتغيرت، فقال لامرأته: ويلك! مالي أرى بني معدان مهازيل، وأرى بني سمانا؟ قالت: قد كنت أواسي بينهم، ولكنهم كانوا يعبتون ويلعبون، فخلا بالصبيان فقال: كيف كانت زينب لكم؟ قالوا: سيئة، ما كانت تعطينا من القوت إلا ملء هذا القدرح من لبن - وأرؤه قدحاً صغيراً - فغضب على امرأته غضباً شديداً وتركها، حتى إذا أراح عليه راعيا إبله قال لهما: اذهبا، فأنتما وإبلكما لبني معدان. فغضبت من ذلك زينب وهجرته، وضربت بينه وبينها حجاباً، فقال: والله لا تذوقين منها صبوحةً ولا غبوقاً أبداً، وقال في ذلك: شعره في امرأته حين عرف سوء معاملتها لصغار أخيه:

لججنا ولجت هذه في التغضب	ولط الحجاب بيننا التجنب
وخطت بفردي إثم جفن عينها	لتقتلني وشد ما حب زينب
تلوم على مال شفاني مكانه	فلومي حياتي ما بدا لك واغضبي
رحمت بني معدان أن قل مالهم	وحق لهم مني ورب المحصب
وكان اليتامى لا يسد اختلالهم	هدايا لهم في كل قعب مشعب
فقلت لعبدينا: أريحا عليهم	سأجعل بيتي بيت آخر معزب
وقلت خذوها واعلموا أن عمكم	هو اليوم أولى منكم بالتكسب
عيالي أحق أن ينالوا خصاصة	وأن يشربوا رنقاً إلى حين مكسبي
أحابي بها من لو قصدت لماله	حريباً لآساني على كل موكب
أخي والذي إن أدعه لعظيمة	يجبني وإن اغضب إلى السيف يغضب

إلى ها هنا رواية ابن عمار.

تركنه زوجته إلى المدينة وأسلمت فراح يطلبها: وفي خبر إسحاق قال: فلما بلغ زينب هذا الشعر وما وهب زوجها خرجت حتى أتت المدينة فأسلمت، وذلك في ولاية عمر بن الخطاب، فقدم حجية المدينة فطلب زينب أن ترد عليه، وكان نصرانياً، فترل بالزبير بن العوام فأخبره بقصته، فقال له: إياك وأن يبلغ هذا عنك عمر فتلقى منه أذى.

يمدح الزبير بن العوام ويرحل كئيباً يائساً: وانتشر خبر حجية وفشا بالمدينة وعلم فيم كان مقدمه، فبلغ ذلك

عمر، فقال للزبير: قد بلغني قصة ضيفك، ولقد هممت به لولا تحرمه بالتزول عليك، فرجع الزبير إلى حجية فأعلمه قول عمر، قال حجية في ذلك.

إن الزبير بن عوام تداركني  
منه بسيب كريم سبيه عصم  
نفسى فداؤك مأخوذاً بحجزتها  
إذ شاط لحمي وإذ زلت بي القدم  
إذ لا يقوم بها إلا فتى أنف  
عاري الأشجاع في عرنيه شم

ثم انصرف من عنده متوجهاً إلى بلده، آيساً من زينب كئيباً حزيناً، فقال في ذلك:

تصابيت أم هاجت لك الشوق زينب

الآيات المذكورة فيها الغناء.

### صوت

خليلي هبا نصطح بسواد  
ونرو قلوباً هامهن صواد  
وقولاً لساقينا زياد يرقها  
فقد هز بعض القوم سقي زياد

الشعر والغناء لإسحاق، ولحنه من الثقيل الأول بالبنصر.

### خبر إسحاق مع غلامه زياد

وصف زياد غلام إسحاق: هذا الشعر يقوله إسحاق في غلامه له مملوك خلاسي ، يقال له: زياد. كان مولداً من مولدي المدينة، فصيحاً ظريفاً، فجعله ساقيه، وذكره هو وغيره في شعره. فممن ذكره من الشعراء دعبيل، وله يقول:

أخبرني بذلك علي بن سليمان الأخفش، عن أبي سعيد السكري قال: كان زياد الذي يذكره إسحاق في عدة مواضع، منها قوله:

وقولاً لساقينا زياد يرقها  
-وكان نظيف السقي لبقاً، فقال فيه دعبيل:  
يقول زياداً قف بصحبك مرة  
على الربع، مالي والوقوف على الربع!

صوت

أدرها على فقد الحبيب فر بما  
شربت على نأى الأحبة والنجع  
فما بلغتني الكأس إلا شربتها  
وإلا سقيت الأرض كأساً من الدمع

غنى في البيت الثاني والثالث من هذه الأبيات محمد بن العباس بن عبد الله بن طاهر لحناً من خفيف الثقيل الأول بالبنصر.

نسبة الصوت إلى غير إسحاق: قال أبو الحسن: وقد قيل: إن هذين البيتين -يعني:

### خليلي هبا نصطبح بسواد

-للأخطل.

زياد يراجع إسحاق وهو يغني: أخبرني علي بن سليمان، قال: حدثني أبي، قال: قال لي جعفر بن معروف الكاتب -وكان قد جاوز مائة سنة! لقد شهدت إسحاق يوماً في مجلس أنس وهو يتغنى هذا الصوت:

### خليلي هبا نصطبح بسواد

وغلامه زياد جالس على مسورة يسقي، وهو يومئذ غلام أمرد أصفر، رقيق البدن حلو الوجه. ثم أخذ يراجعه ولا أحد يستطيع يقول له: زدني ولا انقصني.

يعتقه إسحاق ويزوجه: أخبرني علي بن صالح بن الهيثم الأنباري، قال حدثني أحمد بن الهيثم، يعني جد أبي -رحمه الله- قال: كنت ذات يوم جالسا في منزلي بسر من رأى وعندني إخوان لي، وكان طريق إسحاق في مضيه إلى دار الخليفة ورجوعه منها على منزلي، فجاءني الغلام يوماً وعندني أصدقاء لي فقال لي: إسحاق بن إبراهيم الموصلبي بالباب، فقلت له: قل له، ويلك! يدخل، أوفى الخلق أحد يستأذن عليه لإسحاق! فذهب الغلام وبادرت أسعى في أثره حتى تلقيته، فدخل وجلس منبسطاً آنساً، فعرضنا عليه ما عندنا، فأجاب إلى الشرب، فأحضرناه نبيداً مشمساً فشرب منه، ثم قال: أتجيون أن أغنيكم؟ قلنا: إي والله أطل الله بقاءك، إنا نحب ذلك. قال: فلم لم تسألوني؟ قلنا: هبنك والله، قال: فلا تفعلوا، ثم دعا بعود فأحضرناه، فاندفع فغانا، فشربنا وطربنا. فلما فرغ قال: أحسنت أم لا؟ فقلنا: بلى والله، جعلنا الله فداءك لقد أحسنت. قال: فما منعكم أن تقولوا لي: أحسنت!.

قلنا: الهيبة والله لك، قال: فلا تفعلوا هذا فيما تستأنفون، فإن المغني يجب أن يقال له: غن، ويجب أن يقال له إذا غنى: أحسنت، ثم غنانا صوته:

### خليلي هبا نصطبح بسواد

فقلنا له: يا أبا محمد، من هو زياد الذي غنيته؟ قال: هو غلامي الواقف بالباب، أدعوه يا غلمان، فأدخل إلينا، فإذا غلام خلاسي، قيمته عشرون ديناراً أو نحوها. فأمسكنا عنه، فقال: أتسألوني عنه فأعرفكم إياه ويخرج كما دخل، وقد سمعتم شعري فيه وغنائي؟ أشهدكم أنه حر لوجه الله، وأني زوجته أمي فلانة، فأعينوه على أمره. قال: فلم يخرج حتى أوصلنا إليه عشرين ألف درهم، أخرجناها له من أموالنا.

إسحاق يرثيه: أخبرني يحيى بن علي قال: حدثني أبي، قال: توفي زياد غلام إسحاق الذي يقول فيه:

## وقولاً لساقينا زياد يرقها

فقال إسحاق يرثيه:

فلا زال يسقي الغيث قبر زياد

فقدنا زياداً بعد طول صحابة

وظمان يستبطي الزجاجة صاد

ستبكيك كأس لم تجد من يديرها

يطلب الأمين إسحاق فيغنيه: أخبرني عمي، قال: حدثني ابن المكي عن أبيه، قال: اصطحب محمد الأمين ذات يوم، وأمر بالتوجيه إلى إسحاق، فوجه إليه عدة رسل، كلهم لا يصادفه، حتى جاء أحدهم به، فدخل منتشياً ومحمد مغضب. فقال له: أين كنت وبيك! قال: أصبحت يا أمير المؤمنين نشيطاً، فركبت إلى بعض المنتزهات، فاستطبت الموضوع وأقمت فيه وسقاني زياد، فذكرت أبياتاً للأخطل وهو يسقيني، فدار لي فيها لحن حسن فصنعتة فيها، وقد جئتك به. فتبسم، ثم قال: هات، فما تزال تأتي بما يرضي عنك عند السخط، فغناه: صوت

ثلاث زجاجات لهن هدير

إذا ما زيادٌ علني ثم علني

عليك أمير المؤمنين أمير

خرجت أجر الذيل زهواً كأنني

قال: بل على أبيك، قبح الله فعلك، فما يزال إحسانك في غنائك يحو إساءتك في فعلك، وأمر له بألف دينار. الشعر في هذين البيتين للأخطل، والغناء لإسحاق، رمل بالبصرة. ورواية شعر الأخطل:

إذا ما نديمي علني ثم علني

وإنما غيره إسحاق فقال: "إذا ما زياد".

أخبرني علي بن سليمان عن محمد بن يزيد النحوي: أن عبد الملك بن مروان قال للأخطل: ما يدعوك إلى الخمر؟ فوالله إن أولها لمر، وإن آخرها لسكر! قال: أجل، ولكن بينهما حالة، ما ملكك عندها بشيء، وقد قلت في ذلك:

ثلاث زجاجات لهن هدير

إذا ما نديمي علني ثم علني

عليك أمير المؤمنين أمير

خرجت أجر الذيل زهواً كأنني

قال: فجعل عبد الملك يضحك.

صوت

إشارة مخرون ولم تتكلم

أشارت بطرف العين خيفة أهلها

وأهلاً وسهلاً بالحبیب المسلم

فأيقنت أن الطرف قد قال مرحباً

فقد سيط من لحمي هواك ومن دمي

هنيئاً لكم حبي وصفو مودتي

الشعر لعمر بن أبي ربيعة، والغناء لابن عائشة ثاني ثقيل بالبنصر، وفيه لدحمان ثقيل أول بالبنصر. ويقال: إنه لابن سريج، وقيل: إن الثقيل الأول لابن عائشة، والثقل الثاني لابن سريج، وفيه خفيف ثقيل أول، ينسب إلى ابن سريج وإلى علي بن الجواري.

خبر لحبابة مع ابن عائشة تشناق حبابة إلى ابن عائشة فتحتال لتسمع غناؤه: أخبرني الحسن بن يحيى وابن أبي الأزهر، عن حماد بن إسحاق، عن أبيه، عن المدائني، قال: كانت حبابة جارية يزيد بن عبد الملك معجبةً بغناء ابن عائشة، وكان ابن عائشة حديث السن، فلما طال عهدهما به اشتاقت إلى أن تسمع غناؤه، فلم تدر كيف تصنع، فاختلفت هي وسلامة في صوت لمعبد، فأمر يزيد بإحضاره ووجه في ذلك رسوياً، فبعثت حبابة إلى الرسول سراً فأمرته أن يأتي ابن عائشة وأمير المدينة في خفاء، ويبلغهما رسالتها بالخروج مع معبد سراً، وقالت: قل لهما يستران ذلك عن أمير المؤمنين.

فلما قدم الرسول إلى عامل المدينة أبلغه ما قالت حبابة، فأمر ابن عائشة بالرحلة مع معبد، وقال لمعبد: انظر ما تأمرك به حبابة فانته به، فقال: نعم، فخرجا حتى قدما على يزيد، وبلغ الخبر حبابة فلم تدر كيف تصنع في أمر ابن عائشة. فلما حضر معبد حاكمت سلامة إليه، فحكم لها، فاندفعت فغنت صوتاً لابن عائشة، وفيه لابن سريج لحن، ولحن ابن عائشة أشهرهما، وهو:

### أشارت بطرف العين خيفة أهلها

فقال يزيد: يا حبيبي؛ أي لك هذا ولم أسمعه منك، وهو على غاية الحسن؟ إن لهذا لشأناً، فقالت: يا أمير المؤمنين، هذا لحن كنت أخذته عن ابن عائشة، قال: ذلك الصبي! قالت: نعم، وهذا أستاذه -وأشارت بيدها إلى معبد- فقال لمعبد: أهذا لحن ابن عائشة أو اتحلته؟ فقال معبد: هذا -أصلح الله الأمير- له، فقال يزيد: لو كان حاضراً ما كرهنا أن نسمع منه، فقال معبد: هو والله معي لا يفارقني، فقال يزيد: وملك يا معبد! احتملنا الساعة أمرك، فزدتنا ما كرهنا، ثم قال لحبابة: هذا والله عملك، قالت: أجل يا سيدي، قال لها: هذه الشام، ولا تحتمل لنا ما تحتمله المدينة. قالت: يا سيدي أنا والله أحب أن أسمع من ابن عائشة، فأحضر، فلما دخل قال له: هات صوتاً غنته حبابة:

### أشارت بطرف العين خيفة أهلها

فغناه، فقال: هو والله يا حبابة منه أحسن منك، قالت: أجل يا سيدي، ثم قال يزيد: هات يا محمد ما عندك، فغنى: صوت

واستنطق الربع المحيل المخلقا

قف بالمنازل قبل أن نتفرقا

بجواب رجع حديثهم أن ينطقا

عن علم ما فعل الخليط لعله

أمسى وأصبح بالرسول معلقا

فبيبين من أخبارهم لمتميم

وسط الديار مسائلاً مستنطقاً

كلفأ بها أبدأ تنسح دموعه

في لجة من مائها مغرورقاً

ذرفت له عين يرى إنسانها

درٌ وهي من سلكه مستوسقاً

تقري محاجرها الدموع كأنها

الغناء لابن عائشة، ولحنه من الثقليل الأول بالوسطى، وفيه لشاربة خفيف رمل مطلق في مجرى الوسطى، ويقال: إن فيه لابن جندب وحنين لحنين، قال: فقال له يزيد: أهلاً وسهلاً بك يا بن عائشة، فأنت والله الحسن الوجه، الحسن الغناء. وأحسن إليه ووصله.

ثم لم يره يزيد بعد هذا المجلس، وبعثت إليه حباية بير وألطف واتبعتها سلامة في ذلك.

### صوت

وتوسط النسران بطن العقرب

لما سمعت الديك صاح بسحرة

نور وعارضه هجان الربرب

وبدا سهيل في السماء كأنه

يا بن الكرام من الشراب الطيب

نبهت ندماني وقلت له اصطبج

حرق الجراداة أو لعاب الجندب

صفراء تيرق في الزجاج كأنها

الشعر لأبي الهندي، والغناء لإبراهيم الموصلي، ثاني ثقليل بالبنصر عن عمرو.

### أخبار أبي الهندي ونسبه

اسمه ونسبه وشعره: اسمه غالب بن عبد القدوس، بن شيبث بن ربيعي. وكان شاعراً مطبوعاً، وقد أدرك الدولتين: دولة بني أمية، وأول دولة ولد العباس. وكان جزل الشعر، حسن الألفاظ، لطيف المعاني. وإنما أحمله وأمات ذكره بعده من بلاد العرب، ومقامه بسجستان وبخراسان، وشغفه بالشراب ومعاقرة إياه، وفسقه وما كان يتهم به من فساد الدين.

هو أول من وصف الخمر من شعراء الإسلام: واستفرغ شعره بصفة الخمر، وهو أول من وصفها من شعراء الإسلام، فجعل وصفها وكده وقصده، ومن مشهور قوله فيها ومختاره:

وذو الرعئات منتصبٌ يصيح

سقيت أبا المطرح إذ أتاني

ويلتغ حين يشربه الفصيح

شراباً يهرب الذبان منه

أبو نواس يأخذ من معانيه في الخمر: أخبرني علي بن سليمان الأحفش، قال: حدثني فضل اليزيدي أنه سمع إسحاق الموصلي يوماً يقول، وأنشد شعراً لأبي الهندي في صفة الخمر، فاستحسنه وقرظه، فذكر عنده أبو نواس،

فقال: ومن أين أخذ أبو نواس معانيه إلا من هذه الطبقة؟ وأنا أوجدكم سلخه هذه المعاني كلها في شعره، فجعل ينشد بيتاً من شعر أبي الهندي، ثم يستخرج المعنى والموضع الذي سرقه الحسن فيه حين أتى على الأبيات كلها واستخرجها من شعره.

شعر مأخوذ من شعره: أخبرني الحسن بن علي؛ قال: حدثني محمد بن القاسم بن مهرويه قال: حدثني عبد الله بن أبي سعد. قال: حدثني شيخ من أهل البصرة، قال: كنا عند أبي عبيدة، فأنشد منشداً شعراً في صفة الخمر -أنسيه الشيخ- فضحك ثم قال: هذا أخذه من قول أبي الهندي:

سيغني أبا الهندي عن وطب سالم  
أباريق لم يعلق بها وضر الزبد  
مقدمة قز كأن رقابها  
رقاب بنات الماء تفزع للرع  
جلتها الجوالي حين طاب مزاجها  
وطيبتها بالمسك والعنبر والورد  
تمج سلافا في الأباريق خالصاً  
وفي كل كأس من مهاً حسن القد  
تضمنها زق أزب كأنه  
صريع من السودان ذو شعر جعد

نسخت من كتاب ابن النطاح.

ثلاثة أيام يسكر فيها كلما أفاق: حدثني بعض أصحابنا: أن أبا الهندي انتهى الصبح في الحانة ذات يوم، فأتى خمراً بسجستان في محلة يقال لها: كوه زيان -وتفسيره: جبل الخسران- يباع فيها الخمر والفاحشة، ويأوي إليها كل خارب وزان ومغنية، فدخل إلى الخمار فقال له: اسقني، وأعطاه ديناراً، فكال له، وجعل يشرب حتى سكر، وجاء قوم يسألون عنه فصادفوه على تلك الحال. فقالوا للخمار: ألحقنا به؛ فسقاهم حتى سكروا، فانتبه فسأل عنهم، فعرفه الخمار خبرهم، فقال له: هذا الآن وقت السكر، الآن طاب، ألحقني بهم، فجعل يشرب حتى سكر، وانتبهوا فقالوا للخمار: ويحك! هذا نائم بعد! فقال: لا، ولقد انتبه، فلما عرف خبركم شرب حتى سكر، فقالوا: ألحقنا به فسقاهم حتى سكروا، وانتبه فسأل عن خبرهم، فعرفه فقال: والله لألحقن بهم، فشرب حتى سكر، ولم يزل ذلك دأبه ودأبهم ثلاثة أيام لم يلتقوا وهم في موضع واحد، ثم تركوا الشرب عمداً حتى أفاق، فلقوه.

وهذا الخبر بعينه يحكي لواليه بن الحباب مع أبي نواس، وقد ذكر في أخبار والبة، والصحيح أنه لأبي الهندي، وفي ذلك يقول:

ندامى بعد ثلاثة تلاقوا  
بضمهم بكوه زيان راح  
وقد باكرتها فتركت منها  
قتيلاً ما أصابنتي جراح  
وقالوا أيها الخمار من ذا؟  
فقال أخ تخونه اصطباح  
فقالوا هات راحك ألحقنا  
به وتعللوا ثم استراحوا

فما إن لبنتهم أن رمتهم  
بحد سلاحها ولها سلاح  
وحان تنبهي فسألت عنهم  
فقال أتاحهم قدر متاح  
رأوك مجدلاً فاستخبروني  
فحركهم إلى الشرب ارتياح

فقلت بهم فألحقني فهبوا  
فقال نعم فقالوا ألحقنا  
فقالوا هل تنبه حين راحوا؟  
به قد لاح للرائي صباح  
فما إن زال الدأب منا  
ثلاثاً يستغب ويستباح  
نبيت معاً وليس لنا لقاءً  
ببيت ما لنا فيه براح

يموت محتثناً: أخبرني عمي الحسن بن أحمد، قال: حدثني الحسن بن عليل العتري، قال: قال صدقة بن إبراهيم البكري: كان أبو الهندي يشرب معنا بمرو، وكان إذا سكر يتقلب تقلباً قبيحاً في نومه، فكنا كثيراً ما نشد رجله لئلا يسقط من السطح، فسكر ليلة وشدنا رجله بجبل، وطولنا فيه ليقدر على القيام إلى البول وغير ذلك من حوائجه، فتقلب وسقط من السطح، وأمسكه الحبل فبقي منكساً وتحنق بما في جوفه من الشراب، فأصبحنا فوجدناه ميتاً. قال صدقة: فمررت بقبره بعد ذلك فوجدت عليه مكتوباً:

اجعلوا إن مت يوماً كفني  
ورق الكرم وقبري معصره  
إنني أرجو من الله غداً  
بعد شرب الراح حسن المغفره

قال: فكان الفتيان بعد ذلك يجيئون إلى قبره، ويشربون ويصبون القدح إذا انتهى إليه على قبره. قال حماد بن إسحاق عن أبيه في وفاة أبي الهندي: إنه خرج وهو سكران في ليلة باردة من حانة خمّار وهو ريان، فأصابه ثلج فقتله، فوجد من غد ميتاً على الطريق.

شعره وقد كف عن الشراب مدة: وروى حماد بن إسحاق عن أبيه، قال: حج نصير بن سيار وأخرج معه أبا الهندي، فلما حضرت أيام الموسم قال له: يا أبا الهندي، إنا بحيث ترى، وفد الله وزوار بيته، فهب لي النبيذ في هذه الأيام واحتكم علي، فلولا ما ترى، ما منعتك، فضمن له ذلك وغلظ عليه الاحتكام، ووكل به نصر بن سيار، فلما انقضى الأجل مضى في السحر قبل أن يلقي نصراً، فجلس في أكمة يشرف منها على فضاء واسع، فجلس عليها ووضع بين يديه إداوة، وأقبل يشرب ويبكي، ويقول:

أديرا علي الكأس إني فقدتها  
كما فقد المفطوم در المراضع  
حليف مدام فارق الراح روحه  
فظل عليها مستهل المدامع

قال: وعاتب قوم أبا الهندي على فسقه ومعاقرة الشراب، فقال:

فإن الله يغفر لي فسوقي

فقد أمسكت بالدين الوثيق

يبلغني إلى البيت العتيق

دعوني من بنيات الطريق

إذا صليت خمساً كل يوم

ولم أشرك برب الناس شيئاً

وجاهدت العدو ونلت مالاً

فهذا الدين ليس به خفاء

شعره وقد امتنع من أجر فسقه: قال إسحاق: وشرب يوماً أبو الهندي بكوه زيان عند خمارة هناك، وكان عندها نسوة عواهر، ففجر بهن ولم يعطهن شيئاً، فجعلن يطالبنه يجعل فلم ينفعهن، فقال في ذلك:

ليعطين زواني لست ماشينا

قال ارتحلن فأخزى الله ذادينا

آلي يميناً أبو الهندي كاذباً

وغرهن فلما أن قضى وطراً

يخطب امرأة فيرد أهلها خطبته: أخبرني عمي عن هبيد بن عبد الله بن طاهر، عن أبي محلم، قال: خطب أبو الهندي غالب بن عبد القدوس بن شيبث بن ربعي إلى رجل من بني تميم، فقال: لو كنت مثل أبيك لزوجتك، فقال له غالب: لكنك لو كنت مثل أبيك ما خطبت إليك.

أمثلة من سرعة جوابه: قال أبو محلم: ومر نصر بن سيار بأبي الهندي، وهو سكران يتمايل، فوقف عليه فعذله وسبه، وقال: ضيقت شرفك، وفضحت أسلافك. فلما طال عتابه التفت إليه فقال: لولا أني ضيقت شرفي لم تكن أنت على خراسان، فانصرف نصر حجلاً.

قال أبو محلم: وكان بسجستان رجل يقال له: برزين ناسكا، وكان أبوه صلب في خرابة فجلس إليه أبو الهندي -فطفق ويعرض له بالشراب. فقال له أبو الهندي: أحدكم يرى القذاة في عين أخيه، ولا يرى الخشبة في أست أبيه! فأحجله.

قال أبو محلم: وكان أسرع الناس جواباً.

### صوت

بت العيس يا نوار

فلم يربعوا وساروا

وقلبي له انكسار

ودمعي له انحدار

لقد قلت حين قر

قفوا فاربعوا قليلاً

فنفسي لها حنين

وصدري به غليل

الشعر لسعيد بن وهب، والغناء لسليم رمل بالوسطى عن الهشامي، ومن جامع سليم ونسخة عمرو الثانية.

### أخبار سعيد بن وهب

نسبه ومنشؤه:

سعيد بن وهب أبو عثمان مولى بني سلمة بن لؤي بن نصر، مولده ومنشؤه بالبصرة، ثم سار إلى بغداد فأقام بها، وكانت الكتابة صناعته، فتصرف مع البرامكة فاصطنعوه، وتقدم عندهم. أكثر شعره في الغزل: وكان شاعراً مطبوعاً، ومات في أيام المأمون، وأكثر شعره في الغزل والتشبيب بالمذكر، وكان مشغولاً بالغلما والشراب. ثم تنسك وتاب، وحج راجلاً على قدميه، ومات على توبة وإقلاع ومذهب جميل. أبو العتاهية يرثيه: ومات وأبو العتاهية حي، وكان صديقه فرثاه.

فأخبرني علي بن سليمان الأحفش. عن محمد بن يزيد. قال: حدثت عن بعض أصحاب أبي العتاهية. قال: جاء رجل إلى أبي العتاهية - ونحن عنده - فساره في شيء فبكى أبو العتاهية، فقلنا له: ما قال لك هذا الرجل يا أبا إسحاق فأبكاك؟ فقال، وهو يحدثنا لا يريد أن يقول شعراً:

رحم الله سعيد بن وهب

قال لي مات سعيد بن وهب

يا أبا عثمان أوجعت قلبي

يا أبا عثمان أبكيت عيني

قال: فعجبنا من طبعه وأنه تحدث، فكان حديثه شعراً موزوناً.

يتوب ويتزهد: وأخبرني الحسن بن علي الخفاف. قال: حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال: حدثني سيويه أبو محمد، قال: كان سعيد بن وهب الشاعر البصري مولى بني سامة قد تاب وتزهد، وترك قول الشعر. وكان له عشرة من البنين وعشر من البنات، فكان إذا وجد شيئاً من شعره خرقه وأحرقه. وكان امرأة صدق، كثير الصلاة، يزكي في كل سنة عن جميع ما عنده حتى إنه ليزكي عن فضة كانت على امرأته.

شعره وقد توعدده غلام كان يعشقه: أخبرني عمي، قال: حدثني علي بن الحسين بن عبد الأعلى، قال: حدثني أبو عثمان الليثي، قال: كان سعيد بن وهب يتعشق غلاماً يتشطر، يقال له: سعيد، فبلغه أنه توعدده أن يجرحه، فقال فيه:

من عذيري من سعيد؟

من عذيري من سمي

ويجائي بالحديد

أنا باللحم أجاه

شعره حين رأى كتاباً في أحوال جميلة: حدثني جحظة، قال: حدثني ميمون بن هارون، قال: نظر سعيد بن وهب إلى قوم من كتاب السلطان في أحوال جميلة، فأنشأ يقول:

فنحن من نظارة الدنيا

من كان في الدنيا له شارة

كأننا لفظ بلا معنى

نرمقها من كذب حسرة

## يعلوا بها الناس وأيامنا

## تذهب في الأزدل وتلأدنى

شعره في غلام وسيم حين رآه: أخبرني عمي، قال: حدثني عبد الله بن أبي سعد، قال: حدثني محمد بن عبد الله بن يعقوب بن داود، قال: حدثني عبد الله بن أبي العلاء المغني، قال: نظر إلي سعيد بن وهب، وأنا على باب ميمون بن إسماعيل، حين اخضر شاربي، ومعه إسحاق بن إبراهيم الموصلي، فسلمت على إسحاق فأقبل عليه سعيد، وقال: من هذا الغلام؟ فتبسم، وقال: هذا ابن صديق لي، فأقبل علي وقال:

## لا تخرجن مع الغزي لمغنم

## إن الغزي يراك أفضل مغنم

## في مثل وجهك يستحل ذور النقي

## والدين والعلماء كل محرم

## ما أنت إلا غادة ممكورة

## لولا شواربك المطلة بالفم

يستميل غلاماً بالشعر: أخبرني محمد بن خلف المرزبان، قال: حدثني أحمد بن أبي طاهر، عن أبي دعامة، قال: مر سعيد بن وهب والكسائي، فلقيا غلاماً جميل الوجه، فاستحسنه الكسائي وأراد أن يستميله، فأخذ يذكره بالنحو ويتكلم به، فلم يمل إليه، وأخذ سعيد بن وهب في العشر ينشده، فمال إليه الغلام، فبعث به إلى منزله، وبعث معه بالكسائي، وقال له: حدثه وآنسه إلى أن أجيء وتشاغل بحاجة له، فمضى به الكسائي، فما زال يداريه حتى قضى حاجته وأربه، ثم قال له: انصرف، وجاء سعيد فلم يره، فقال: شعره وقد نال الكسائي من الغلام الذي استماله:

## أبو حسن لا يفي

## فمن ذا يفي بعده؟

## أثرت له شادناً

## فصايديه وجده

## وأظهر لي غدره

## وأخلفني وعده

## سأطلب ما ساءه

## كما ساعني جهده

يرثي ابناً له:

أخبرني جعفر بن قدامة، قال: حدثني حماد بن إسحاق، عن أبيه قال: كان سعيد بن وهب لي صديقاً، وكان له ابن يكنى أبا الخطاب، من أكيس الصبيان وأحسنهم وجهاً وأدباً، فكان لا يكاد يفارقه في كل حال، لشدة شغفه به، ورقته عليه. فمات وله عشر سنين، فجزع عليه جزعاً شديداً، وانقطع عن لذاته. فدخلت إليه يوماً لأعاتبه على ذلك، وأستعطفه، فحين رأى ذلك في وجهي فاضت دموعه، ثم انتحب حتى رحمته، وأنشدني:

## عين جودي على أبي الخطاب

## إذ تولى غضا بماء الشباب

## لم يقارف ذنباً ولم يبلغ الحن

## ث مرجى مطهر الأثواب

## فقدته عيني إذا ما سعى أت

## رأبه من جماعة الأتراب

إن غدا موحشاً لداري فقد أص

بح أنس الثرى وزين التراب

أحمد الله يا حبيبي فأني

بك راج منه عظيم الثواب

ثم ناشدني ألا أذكره بشيء مما جئت إليه، فقلت ولم أخاطبه بحرف.

وقد رأيت هذه الأبيات بعينها بخط إسحاق في بعض دفاتره، يقول فيه: أنشدني سعيد بن وهب لنفسه يرثي ابناً له صغيراً، وهي على ما ذكره جعفر بن قدامة عن حماد سواء.

كان مألوفة للغلمان والظرفاء والقيان: أخبرني عيسى بن الحسين الوراق، قال: حدثني أبو هفان، قال: حدثني أبو دعامة، قال: كان سعيد بن وهب مألوفة لكل غلام أمرد، وفتى ظريف، وقينة محسنة، فحدثني رجل كان يعاشره، قال: دخل إليه يوماً وأنا عنده غلامان أمردان، فقالا له: قد تحاكمنا إليك: أينا أجمل وجهاً، وأحسن جسماً؟ وجعلنا لك أجر حكمك أن تختار أينا حكمت له، فتقضي حاجتك منه. فحكمت لأحدهما، وقام فقضى حاجته واحتبسهما فشربا عنده نبيداً، ثم مال على الآخر أيضاً، وقلت معه. فداخلتها حتى فعلت كفعله، فقال لي سعيد: هذا يوم الغارات في الحارات، ثم قال: شعره في غلامين احتكما إليه أيهما أجمل:

رثمان جاء فحكمانى

لا حكم قاضٍ ولا أمير

هذا كشمس الضحى جمالا

وذا كبدر الدجى المنير

وفضل هذا كذا على ذا

فضل خميس على عشير

قالا أشر بيننا برأى

ونجعل الفضل للمشير

تباذلا ثم قمت حتى

أخذت فضلي من الكبير

وكان عيباً بأن أرانى

أحرم حظي من الصغير

فكان مني ومن قريني

إليهما وثبة المغير

فمن رأى حاكما كحكمي

أعظم جوراً بلا نكير!

وقال: وشاعت الأبيات حتى بلغت الرشيد، فدعا به فاستنشدته إياها، فتلكأ، فقال له: أنشد ولا بأس عليك، فأنشد، فقال له: ويلك! احترت الكبير سناً أو قدراً؟ قال: بل الكبير قدراً. قال: لو قلت غير هذا سقطت عندي واستخفت بك. ووصله.

يمدح الفضل بن يحيى ببيتين فيطرب لهما: أخبرني جعفر بن قدامة، قال: حدثني أبو العيناء، قال: دخل سعيد بن وهب على الفضل بن يحيى في يوم قد جلس فيه للشعراء، فجعلوا ينشدونه ويأمر لهم بالجوائز حتى لم يبق منهم أحد، فالتفت إلى سعيد بن وهب كالمستنطق، فقال له: أيها الوزير، إني ما كنت استعددت لهذه الحال، ولا تقدمت لها، عندي مقدمة فأعرفها، ولكن قد حضرني بيتان أرجو أن ينوبا عن قصيدة، فقال: هاتهما فرب قليل أبلغ من الكثير، فقال سعيد:

## مدح الفضل نفسه بالفعال

## فعلا عن مديحنا بالمقال

### أمروني بمدحه قلت كلا

### كبر الفضل عن مديح الرجال

قال: فطرب الفضل، وقال له: أحسنت والله وأجدت! ولئن قل القول ونزر لقد اتسع المعنى وكثر. ثم أمر له بمثل ما أعطاه كل من أنشده مديحاً يومئذ، وقال: لا خير فيما يجيء بعد بيتيك؛ وقام من المجلس وخرج الناس يومئذ بالبيتين لا يتناشدون سواهما. كان نديم الفضل بن يحيى وأنيسه: حدثني عمي قال: حدثني ميمون بن هارون، قال: حدثت عن الخريبي، قال: كان الفضل بن يحيى ينافس أخاه جعفرًا، وينافسه جعفر، وكان أنس بن أبي شيخ خاصاً بجعفر، ينادمه ويأسس به في خلواته، وكان سعيد بن وهب بهذه المتزلة للفضل. فدخلت يوماً إلى جعفر، ودخل إليه سعيد بن وهب، فحدثه وأنشده وتنادر له، وحكي عن المتنادرين، وأتى بكل ما يسر ويطرب ويضحك، وجعفر ساكت ينظر إليه لا يزيد على ذلك.

فلما خرج سعيد من عنده تجاهلت عليه، وقلت له: من هذا الرجل الكثير الهذيان؟ قال: أو ما تعرفه؟ قلت: لا؛ قال: هذا سعيد بن وهب صديق أخي أبي العباس وخلصانه وعشيقه، قلت: وأي شيء رأي فيه؟ قال: لا شيء والله إلا القدر والبرد والغثاة.

ثم دخلت بعد ذلك إلى الفضل، ودخل أنس بن أبي شيخ فحدث وندر وحكى عن المضحكين وأتى بكل طريقة، فكانت قصة الفضل معه قصة جعفر مع سعيد، فقلت له بعد أن خرج من حضرته: من هذا المبرد؟ قال: أو لا تعرفه؟ قلت: لا. قال: هذا أنس بن أبي شيخ صديق أخي أبي الفضل وعشيقه وخاصته. قلت: وأي شيء أعجبه فيه؟ قال: لا أدري والله، إلا القدر والبرد وسوء الاحتيال.

قال: وأنا والله أعرف بسعيد وأنس من الناس جميعاً، ولكني تجاهلت عليهما وساعدتهما على هواهما. يفي للفضل بن الربيع في نكبته فيعظم قدره: حدثني عمي، قال: حدثني ميمون بن هارون، قال: قال إبراهيم بن العباس: قال لي الفضل بن الربيع ذات يوم: عرفتنا أيام النكبة من كنا نجعله من الناس، وذلك أنا احتجنا إلى أن نودع أموالنا، وكان أمرها كثيراً مفرطاً، فكنا نلقيها على الناس إلقاء، ونودعها الثقة وغير الثقة، فكان ممن أودعته سعيد بن وهب، وكان رجلاً صعلوكاً لا مال له، إنما صحبنا على البطالة: فظننت أن ما أودعته ذاهب، ثم طلبته منه بعد حين، فجاءني والله بخواتيمه.

وأودعت علي بن الهيثم كاتبنا جملة عظيمة، وكان عندي أوثق من أودعته، فلما أمنت طالبته بالوديعة، فجددتها وبهتني وحلف على ذلك، فصار سعيد عندي في السماء، وبلغت به كل مبلغ، وسقط علي بن الهيثم، فما يصل إلي ولا يلقاني.

يحاجي جارية رجل من البرامكة: أخبرني جعفر بن قدامة، قال: حدثني حماد بن إسحاق عن أبيه، حدثني عمرو

بن بانه. قال: كان في حوارى رجل من البرامكة، وكانت له جارية شاعرة ظريفة، يقال لها حسناء، يدخل إليها الشعراء ويسألونها عن المعاني، فتأتي بكل مستحسن من الجواب، فدخل إليها سعيد بن وهب يوماً، وجلس إليها فحادثها طويلاً، ثم قال لها بعد ذلك:

ء في جنسٍ من الشعر	حاجبتك يا حسنا
وقد يوفى على الشبر	وفيما طوله شبرٌ
مطوفٌ بالندى يجري	له في رأسه شقٌ
لدى بر ولا بحر	إذا ما جف لم يجر
جب العاجب والسحر	وإن بل أتى بالبع
ورب الشفع والوتر	أجيبى لم أرد فحشاً
لها حظ من الزجر	ولكن صغت أبياتاً

قال: فغضب مولاها وتغير لونه، وقال أتفحش على جاريتي وتخطبها بالخنا! فقالت له: خفض عليك، فما ذهب إلى ما ظننت، وإنما يعني القلم، فسري عنه، وضحك سعيد وقال: هي أعلم منك بما سمعت.

### صوت

داينت أروى والديون تقضى	فمطلت بعضاً وأدت بعضاً
ياليت أروى إذ لوتك القرصا	جادت بقرض فشكرت القرصا

الشعر لرؤبة بن العجاج، والغناء لعمر بن بانه، رمل بالوسطى.

### أخبار رؤبة ونسبه

نسبه والاحتجاج بشعره: هو رؤبة بن العجاج، واسم العجاج عبد الله بن رؤبة بن حنيفة، وهو أبو جذيم بن مالك بن قدامة بن أسامة بن الحارث بن عوف بن مالك بن سعد بن زيد مناة بن تميم. عصره والاحتجاج بشعره: من رجاز الإسلام وفصائحهم، والمذكورين المقدمين منهم، بدوي نزل البصرة، وهو من مخزومي الدولتين.

مدح بني أمية وبني العباس، ومات في أيام المنصور وقد أخذ عنه وجوه أهل اللغة، وكانوا يقتدون به، ويحتجون بشعره، ويجعلونه إماماً؛ ويكنى أبا الجحاف وأبا العجاج.

يراه يونس بن حبيب أفصح من معد بن عدنان: أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري وأحمد بن عمار -واللفظ له- قال: حدثنا عمر بن شبة، قال: حدثنا خلاد بن يزيد، قال: حدثني يونس بن حبيب، قال: كنت جالساً مع

أبي عمرو بن العلاء إذ مر بنا شبيل بن عزرة الضبعي -قال أبو يزيد: وكان علامة- فقال: يا أبا عمرو، أشعرت  
أني سألت رابة عن اسمه فلم يدر ما هو وما معناه؟ قال يونس: فقلت له: والله لرؤبة أفصح من معد بن عدنان،  
وأنا غلام رؤبة، أفتعرف أنت روبة وروبة وروبة ورؤبة؟ قال: فضرب بغلته وذهب، فما تكلم بشيء:  
قال يونس: فقال لي أبو عمرو: ما يسرني أنك نقصتني منها.

قال ابن عمار في خبره: والروبة: اللبن الخاثر، والروبة: ماء الفحل، والروبة: الساعة تمضي من الليل، والروبة:  
الحاجة، والرؤبة: شعب القدح، قال: وأنشدني بعد ذلك.

### فأما تميمٌ تميمٌ بن مر فألفاهم القوم روبي نياما

حدثني ابن عمار، قال: حدثني عبد الله بن أبي سعد، قال: حدثني يحيى بن محمد بن أعين المروزي، قال: حدثني  
أبو عبيدة؛ قال: شهدت شبيلاً الضبعي وأبا عمرو، فذكر نحوه.  
أخبرني أبو خليفة في كتابه إلي عن محمد بن سلام، قال: قلت ليونس: هل رأيت عربياً قط أفصح من رؤبة؟ قال:  
لا، ما كان معد بن عدنان أفصح منه.

قال يونس: قال لي رؤبة: حتى متى أزحرف لك كلام الشيطان؟ أما ترى الشيب قد بلغ في لحيتك! يروي هو  
وأبوه الحديث: وقد روى رؤبة بن العجاج الحديث المسند عن رسول الله "، ورواه أبوه أيضاً.  
ينشد أبا هريرة فيشهد له بالإيمان: أخبرني عبد الله بن أبي داود السجستاني، قال: حدثنا عبد الله بن محمد بن  
خلاد، قال: حدثنا يعقوب بن محمد الزهري، قال: حدثنا محمد بن إبراهيم، عن يونس بن حبيب، عن رؤبة بن  
العجاج، عن أبيه قال: أنشدت أبا هريرة:

الحمد لله الذي تعلت بأمره السماء واستقلت

بأذنه الأرض وما تغيت

الباعث الناس ليوم الموقت

قال أبو هريرة: أشهد أنك تؤمن بيوم الحساب.

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري، عن ابن شبة، عن أبي حرب البائي -من آل الحجاج بن باب- قال: حدثنا  
يونس بن حبيب، عن رؤبة بن العجاج، عن أبي الشعثاء، عن أبي هريرة قال: كنا مع النبي " في سفر وحاد  
يحدو:

طاف الخيالان فهاجا سقما

قامت تربك خشيةً أن تصرما

خيال لبنى وخيال تكتما

ساقاً بخنداةً وكعباً أدرما

والنبي " يسمع ولا ينكر .

أخبرني محمد بن خلف وكيع، قال: حدثنا عبد الله بن عمرو، عن محمد بن إسحاق السهمي، عن أبي عبيدة الحداد، قال: حدثنا رؤبة بن العجاج عن أبيه، قال: سمعت أبا عبيدة يقول: السواك يذهب وضر الطعام ينشد أبا مسلم الخراساني فيجيزه: أخبرني عمي، قال: حدثنا محمد بن سعد الكراني، قال: حدثنا أبو حاتم والأشنانديني أبو عثمان، عن أبي عبيدة، عن رؤبة بن العجاج، قال: بعث إلي أبو مسلم لما أفضت الخلافة إلى بني هاشم، فلما دخلت عليه رأى مني جزعاً، فقال اسكن فلا بأس عليك، ما هذا الجزع الذي ظهر منك؟ قلت أخافك، قال: ولم؟ قلت: لأنه بلغني أنك تقتل الناس، قال: إنما أقتل من يقاتلني ويريد قتلي، أفأنت منهم؟ قلت: لا، قال: فهل ترى بأساً؟ ل، فأقبل على جلسائه ضاحكاً، ثم قال: أما ابن العجاج فقد رخص لنا، ثم قال: أنشدني قولك:

### وقاتم الأعماق خاوي المخترق

فقلت: أو أنشدك -أصلحك الله أحسن منه؟ قال: هات، فأنشدته:

لبيك إذ دعوتني لبيكا

قلت وقولي مستجداً حوكا

أحمد رباً ساقني إليكا

قال: هات كلمتك الأولى، قلت: أو أنشدك أحسن منها؟ قال: هات، فأنشدته:

ويستجيش عسكريا ويهزمه

ما زال يبني خندقاً ويهدمه

مروان لما أن تهاوت أنجمه

ومغتما يجمعه ويقسمه

وخانه في حكمه منجمه

قال: دع هذا وأنشدني: وقاتم الأعماق، قلت: أو أحسن منه؟ قال: هات، فأنشدته:

وشدت ركن الدين إذ بنينا

رفعت بيتاً وخفضت بيتا

في الأكرمين من قريش بيتا

قال: هات ما سألتك عنه، فأنشدته:

على اليمين وعلى يساره

ما زال يأتي الأمر من أقطاره

حتى أقر الملك في قراره

مشمراً لا يصطلي بنااره

وفر مروان على حماره

قال: ويحك! هات ما دعوتك له وأمرت بإنشاده، ولا تنشد شيئاً غيره، فأنشدته:

### وقاتم الأعماق خاوي المخترق

فلما صرت إلى قولي:

## يرمي الجلاميد بجلمود مدق

قال: فانتك الله! لشد ما استصلبت الحافر! ثم قال: حسبك، أنا ذلك الجلمود المدق.  
قال: وجيء بمنديل فيه مال فوضع بين يدي، فقال أبو مسلم: يا رؤبة، إنك أتيتنا والأموال مشفوهة، وإن لك لعودة إلينا وعلينا معولاً، والدهر أطرق مستتباً، فلا تجعل بجنيك الأسد .

قال رؤبة: فأخذت المنديل منه، وتالله ما رأيت أعجمياً أفصح منه، وما ظننت أحداً يعرف هذا الكلام غيري، وغير أبي.

قال الكراي: قال أبو عثمان الأشناداني خاصة: يقال: اشتف ما في الإناء، وشفهه: إذا أتى عليه، وأنشد:

## وكاد المال يشفهه عيالي وما ذو عيلتي من لا أعول

يأكل الفأر ويفضله على الدواجن: أخبرني علي بن سليمان الأحفش، قال: حدثني: محمد بن يزيد، وأخبرني إبراهيم بن أيوب، قال: حدثني ابن قتيبة، قال: كان رؤبة يأكل الفأر، فقيل له في ذلك وعوتب، فقال: هو والله أنظف من دواجنكم ودجاجكم اللواتي يأكلن القدر، وهل يأكل الفأر إلا نقي البر ولباب الطعام؟ يرحل هو وأبوه ليلقيا الوليد بن عبد الملك: أخبرني محمد بن الحسن بن دريد، قال: حدثنا أبو حاتم، عن أبي عبيدة، عن رؤبة، قال: لما ولي الوليد بن عبد الملك الخلافة بعث بي الحجاج مع أبي لنلقاه، فاستقبلنا الشمال حتى صرنا بباب الفراديس .

قال: وكان خروجنا في عام مخصب، وكنت أصلي الغداة، وأجيتني من الكمأة ما شئت، ثم لا أحاوز إلا قليلاً حتى أرى خيراً منها، فأرمي بها وأخذ الآخر، حتى نزلنا بعض المياه، فأهدي لنا حمل محرفج ووطب لبن غليظ وزبدة كأهما رأس نعجة حوشية، فقطعنا الحمل آراباً، وكررنا عليه اللبن والزبدة، حتى إذا بلغ إناه انتشلنا اللحم بغير خبز.

ثم شربت من مرقه لم تزل لها ذفرياي ترشحان؛ حتى رجعنا إلى حجر .  
فكان أول من لقينا من الشعراء جريراً، فاستعهدنا ألا نعين عليه. فكان أول من أذن له من الشعراء أبي ثم أنا، فأقبل الوليد على جرير فقال له: ويلك! ألا تكون مثل هذين؟ عقدا الشفاه عن أعراض الناس، فقال: إني أظلم فلا أصبر .

ثم لقينا بعد ذلك جرير فقال: يا بني أم العجاج، والله لئن وضعت كلكلي عليكما ما أغنت عنكما مقطعاتكما، فقلنا: لا والله ما بلغه عنا شيء، ولكنه حسدنا لما أذن لنا قبله، واستنشدنا قبله.

يتوعد جرير أباه فيعتذر إليه: وقد أخبرني ببعض هذا الخبر الحسن بن علي، قال: حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال: حدثني أحمد ابن الحارث الخراز عن المدائني، قال: قال روح بن فلان الكلبي: كنت عند عبد الملك بن بشر بن مروان فدخل جرير، فلما رأى العجاج أقبل عليه ثم قال له: والله لئن سهرت لك ليلة ليقطن عنك

نفع مقطعاتك هذه، فقال العجاج: يا أبا حزره، والله ما فعلت ما بلغك، وجعل يعتذر ويحلف ويخضع؛ فلما خرج قال له رجل: لشد ما اعتذرت إلى حريز، قال: والله لو علمت أنه لا ينفعني إلا السلاح لسلحت. ليس في شعره ولا شعر أبيه حرف مدغم: أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري، قال: حدثنا عمر بن شبة، عن أحمد بن معاوية عن الأصمعي، عن سليمان بن أخضر، عن ابن عون، قال: ما شبهت لهجة الحسن البصري إلا بلهجة رؤبة، ولم يوجد له ولا لأبيه في شعرهما حرف مدغم قط. هو وأبوه أشعر الناس عند يونس بن حبيب: أخبرني محمد بن الحسن بن دريد، قال: أخبرني عبد الرحمن بن أخي الأصمعي عن عمه، قال: قيل ليونس: من أشعر الناس، قال: العجاج ورؤبة، فقيل له لم ولم نعن الرجاز؟ فقال: هما أشعر من أهل القصيد، إنما الشعر كلام: فأجوده أشعره، قد قال العجاج:

### قد جبر الدين الإله فجبر

وهي نحو من مائتي بيت موقوفة القوافي ولو أطلقت قوافيها كانت كلها منصوبة، وكذلك عامة أراجيزهما. يقعد اللغويون إليه يوم الجمعة: أخبرني أبو خليفة في كتابه إلي عن محمد بن سلام: عن أبي زيد الأنصاري والحكم بن قنبر: قالوا: كنا نقعد إلى رؤبة يوم الجمعة في رحبة بني تميم: فاجتمعنا يوماً فقطعنا الطريق، ومرت بنا عجوز فلم تقدر على أن تجوز في طريقها، فقال رؤبة بن العجاج:

### إذا أقبلت رائحةً من سوقها

### تتح للعجوز عن طريقها

### دعها فما النحوي من صديقها

يعبث به الصبيان فيستعين الوالي عليهم: أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري وأحمد بن عبيد الله بن عمار، قالوا: حدثنا عمر بن شبة، قال: حدثنا أبو زيد سعيد بن أوس الأنصاري النحوي، قال: دخل رؤبة العجاج السوق وعليه برنكان أخضر، فجعل الصبيان يعبثون به، ويغرزون شوك النخل في برنكانه ويصيحون به، يا مردوم يا مردوم! فجاء إلى الوالي فقال: أرسل معي الوزعة، فإن الصبيان قد حالوا بيني وبين دخول السوق، فأرسل معي أعواناً فشد على الصبيان، وهو يقول:

### أعور جعدٌ من بني تميم

### أنحى على أمك بالمرذوم

### شراب ألبان خلایا الكوم

ففروا من بين يديه فدخلوا داراً في الصيارفة، فقال له الشرط: أين هم؟ قال: دخلوا دار الظالمين، فسميت دار الظالمين إلى الآن لقول رؤبة، وهي في صيارفة سوق البصرة. بينه وبين راجز من أهل المدينة: وذكر أحمد بن الحارث الخراز عن المدائني، قال: قدم البصرة راجزٌ من أهل المدينة، فجلس إلى حلقةٍ فيها الشعراء، فقال: أنا أرحز العرب، أنا الذي أقول:

### مروان نبغٌ وسعيدٌ خروع

### مروان يعطي وسعيد يمنع

وودت أي راميت من أحب في الرجز يداً بيد، والله لأنا أرحز من العجاج، فليت البصرة جمعت بيني وبينه، قال: والعجاج حاضر وابنه رؤبة معه، فأقبل رؤبة على أبيه فقال: قد أنصفك الرجل، فأقبل عليه العجاج وقال: هأنذا العجاج، فهلم! وزحف إليه، فقال: وأي العجاجين أنت؟ قال: ما خللتك تعني غيري، أنا عبد الله الطويل

0 وكان يكنى بذلك - فقال له المدني: ما عنيتك ولا أردتك، فقال: وكيف وقد هتفت بي؟ قال: وما في الدنيا عجاج سواك؟ قال: ما علمت، قال: لكني أعلم، وإياه عنيت. قال: فهذا ابني رؤبة، فقال: اللهم غفراً، ما بيني وبينكما عمل: وإنما مرادي غيركما، فضحك أهل الحلقة منه، وكفا عنه.

بينه وبين زائرين: أخبرني أبو خليفة في كتابه، عن محمد بن سلام: عن يونس، قال: غدوت يوماً أنا وإبراهيم بن محمد العطاردي على رؤبة: فخرج إلينا كأنه نسر، فقال له ابن نوح: أصبحت والله كقولك:

**كالكرز المشدود بين الأوتاد** **ساقط عنه الريش كر الإبراد**

فقال له رؤبة: والله يا بن نوح ما زلت لك ماقنّاً، فقلت: بل أصبحت يا أبا الجحاف كما قال الآخر:

**فأيقن منه وأبقى الطرا** **د خميصاً وصلباً سميناً**

فضحك: وقال: هات حاجتك.

من رجزه وقد استأذن فلم يؤذن له: قال ابن سلام: ووقف رؤبة على باب سليمان بن علي يستأذن: فقيل له: قد أخذ الإذريطوس فقال رؤبة:

**يا منزل الوحي على إدريس** **ومنزل اللعن على إبليس**

**وخالق الإثنين والخميس** **بارك له في شرب إذريطوس**

يخطئه سلم بن قتيبة: أخبرني الحسن بن يحيى قال: قال حماد: أخبرني أبي عن الأصمعي قال: أنشد رؤبة سلم بن قتيبة في صفة خيل:

**يهوين شتى ويقعن وقفاً**

فقال له: أخطأت يا أبا الجحاف: جعلته مقيداً فقال: أدني أيها الأمير ذنب البعير أصفه لك كما يجب.

من رجزه وقد قدم الطعام وهو يلعب بالنرد: أخبرني أبو خليفة في كتابه إلي، عن محمد بن سلام، عن عبد الرحمن بن محمد.

أخبرني أبو خليفة في كتابه إلي، عن محمد بن سلام، عن عبد الرحمن بن محمد، عن علقمة الضبي، قال: خرج شاهين بن عبد الله الثقفي برؤبة إلى أرضه، فقعوا يلعبون بالنرد فلما أتوا بالخوان قال رؤبة:

**يا إخوتي جاء الخوان فارفوا** **حنانةً كعابها تققع**

**لم أدر ما ثلاثها والأربع**

قال: فضحكنا ورفعناه، وقدم الطعام.

يشيد الخليل بفضلته وقد عاد من جنازته: أخبرني الحسن بن علي، قال: حدثني محمد بن القاسم بن مهرويه، قال: حدثنا عبد الله بن أبي سعد، عن محمد بن عبد الله بن مالك عن أبيه عن يعقوب بن داود، قال: لقيت الخليل بن أحمد يوماً بالبصرة فقال لي: يا أبا عبد الله دفنا الشعر واللغة والفصاحة اليوم، فقلت: وكيف ذلك؟ قال: هذا حين انصرفت من جنازة رؤبة.

## صوت

فأوجع قلبي بالحديث الذي بيدي

لعمري لقد صاح الغراب ببينهم

بريش فهل للبين ويحك من رد؟

فقلت له أفصحت لا طرت بعدها

الشعر لقيس بن ذريح، وقد تقدمت أخباره والغناء لعمر بن أبي الكنت، ثقيل أول بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى.

## أخبار عمرو بن أبي الكنت

اسمه وولائه وكنيته:

هو عمرو بن عثمان بن أبي الكنت، مولى بني جمح، مكّي مغن، محسن موصوف بطيب الصوت من طبقة ابن جامع وأصحابه، وفيه يقول الشاعر:

رجل من بني أبي الكنت

أحسن الناس فاعلموه غناء

وله في هذا الشعر غناء مع أبيات قبله لحن ابتداءه: صوت

بسوار؛ فملتقى عرفات

عفت الدار بالهضاب اللواتي

فدياراً بالربع ذي السلمات

فالحريان أوحشا بعد أنس

فإلى محضرين؛ فالنخلات

إن بالبين مربعاً من سليمي

وبعده البيت الأول المذكور.

الغناء في هذا الشعر لعمر بن أبي الكنت، وطريقته من الرمل بالوسطى.

وقيل: إنه لابن سريح، وقيل: بل لحن ابن سريح غير هذا اللحن، وليس فيه البيت الرابع الذي فيه ابن أبي الكنت.

ويكنى عمرو بن أبي الكنت أبا عثمان، وذكر بن خردادبه أنه كان يكنى أبا معاذ؛ وكان له ابن يعني أيضاً يقال له: دراج؛ ليس بمشهور ولا كثير الغناء.

يؤثره الرشيد على جمع من المغنين: فذكر هارون بن محمد بن عبد الملك الزيات في الخبر الذي حكاه عنه من أخباره أن محمد بن عبد الله المخزومي حدثه قال: حدثني محمد بن عبد الله بن فروة قال: قلت لابن جامع يوماً: هل غلبك أحد من المغنين قط؟ قال: نعم؛ كنت ليلة ببغداد إذ جاءني رسول الرشيد؛ يأمرني بالركوب؛ فركبت حتى إذا صرت إلى الدار، فإذا أنا بفضل بن الربيع معه زلزل العواد ويرصوما: فسلمت وجلست قليلاً، ثم طلع خادم فقال للفضل: هل جاء؟ فقال: لا، قال: فابعث إليه؛ ولم يزل المغنون يدخلون واحداً بعد واحد حتى كنا ستة أو سبعة.

ثم طلع الخادم فقال: هل جاء؟ فقال: لا، قال: قم؛ فابعث في طلبه؛ فقام فغاب غير طويل؛ فإذا هو قد جاء بعمرو بن أبي الكنتات؛ فسلم؛ وجلس إلى جنبي فقال لي: من هؤلاء؟ قلت مغنون؛ وهذا زلزل، وهذا برصوما. فقال: والله لأغنينك غناء يخرق هذا السقف وتجيبه الحيطان ولا يفهمون منه شيئاً. قال: ثم طلع الخصي فدعا بكراسي؛ وخرجت الجواربي. فلما جلسن قام الخادم للمغنين: شدوا، فشدوا عيدانهم، ثم قال: نعم يا بن جامع؛ فغنت سبعة أو ثمانية أصوات. ثم قال: اسكت وليغن إبراهيم الموصلي؛ فغنى مثل ذلك أو دونه. ثم سكت؛ فلم يزل يمر القوم واحداً واحداً حتى فرغوا.

ثم قال: لابن أبي الكنتات: عن، فقال لزلزل: شد طبقتك، فشد ثم أخذ العود من يده فحبسه حتى وقف على الموضع الذي يريده، ثم قال: على هذا وابتدأ بصوت أوله: ألا لا: فوالله لقد خيل لي أن الحيطان تجاوبه. ثم رجع النغم فيه. فطلع الخصي فقال له: اسكت. لا تتم الصوت، فسكت.

ثم قال: يجيب عمرو بن أبي الكنتات، وينصرف باقي المغنين، فقمنا بأكسف حال وأسوأ بال، لا والله ما زال كل واحد منا يسأل صاحبه عن كل شعر يرويه من الغناء الذي أوله: ألا لا، طمعاً في أن يعرفه أو يوافق غناؤه. فما عرفه منا أحد وبات عمرو ليلته عند الرشيد، وانصرف من عنده بجوائز وصلات و طرف سنيه.

يغني وقد دفع من عرفة فيزحم الناس الطريق: قال هارون: وأخبرني محمد بن عبد الله عن موسى بن أبي المهاجر قال: خرج ابن جامع وابن أبي الكنتات حين دفعا من عرفة حتى إذا كان بين المأزمين جلس عمرو على طرف الجبل، ثم اندفع يغني، فوقف القطارات، وركب الناس بعضهم بعضاً حتى صاحوا واستغاثوا: يا هذا، الله الله.

اسكت عنا يجز الناس، فضبط إسماعيل بن جامع بيده على فيه حتى مضى الناس إلى مزدلفة.

يغني على جسر بغداد فتمتلئ الجسور بالناس: قال هارون. وحدثني عبد الرحمن بن سليمان عن علي بن أبي الجهم قال: حدثني من أثق به قال.

واقفت ابن أبي الكنتات المدني على جسر بغداد أيام الرشيد. فحدثته بحديث اتصل بي عن ابن عائشة أنه فعله أيام هشام، وهو أن بعض أصحابنا حدثني قال: وقف ابن عائشة في الموسم فمر به بعض أصحابه، فقال له: ما تعمل؟ فقال: إني لأعرف رجلاً لو تكلم لحبس الناس، فلم يذهب أحد ولم يجيء. فقلت له: ومن هذا الرجل؟ قال: أنا، ثم اندفع يغني: صوت

## جرت سناً فقلت لها أجزبي

بنفسي من تذكره سقام

## نوى مشمولة فمتى اللقاء

أعالجه ومطلبه عناء

قال: فحبس الناس، واضطربت الحامل، ومدت الإبل أعناقها، وكادت الفتنة تقع، فأتي به هشام فقال: يا عدو الله أردت أن تفتن الناس؟ فأمسك عنه وكان تياهاً، فقال له هشام: أرفق بتيهك . فقال ابن عائشة: حق لمن كانت هذه قدرته على القلوب أن يكون تياهاً، فضحك وأطلقه قال فبرق ابن أبي الكنات، وكان معجباً بنفسه، وقال: أنا أفعل كما فعل، وقدرتي على القلوب أكثر من قدرته كانت، ثم اندفع فغنى في هذا الصوت ونحن على جسر بغداد.

وكان إذ ذاك على دجلة ثلاثة جسور معقودة، فانقطعت الطرق، وامتألت الجسور بالناس، وازدحموا عليها، واضطربت حتى خيف عليها أن تنقطع لثقل من عليها من الناس. فأخذ فأتي به الرشيد، فقال: يا عدو الله أردت أن تفتن الناس؟ فقال: لا والله يا أمير المؤمنين، ولكنه بلغني أن ابن عائشة فعل مثل هذا في أيام هشام، فأحببت أن يكون في أيامك مثله فأعجب من قوله ذلك، وأمر له بمال، وأمره أن يغني، فسمع شيئاً لم يسمع مثله فاحتبسه عنده شهراً يستريده في كل يوم استأذنه فيع في الانصراف - يوماً آخر حتى تم له شهر فقال هذا المخبر عنه: وكان ابن أبي الكنات كثير الغشيان لي: فلما أبطأ توهمته قد قتل فصار إلي بعد شهر بأموال جسيمة، وحدثني بما جرى بينه وبين الرشيد.

يسمع غناؤه على ثلاثة أميال: قال هارون: وأخبرني محمد بن عبد الله المخزومي عن عثمان بن موسى مولانا قال: كنا يوماً باللاحجة ومعنا عمرو بن أبي الكنات، ونحن على شراينا إذ قال لنا قبل طلوع الشمس: من تحبون أن يجيئكم؟ قلنا: منصور الحجبي. فقال: أمهلوا حتى يكون الوقت الذي ينحدر فيه إلى سوق البقر، فمكثنا ساعة ثم اندفع يغني:

أحسن الناس فاعلموه غناءً

رجل من بني أبي الكنات

عفت الدار بالهضاب اللواتي

بسوار فملتقى عرفات

فلم نلبث أن رأينا منصوراً من بعد قد أقبل يركض دابته نحونا، فلما جلس إلينا قلنا له: من أين علمت بنا؟ قال: سمعت صوت عمرو يغني كذا وكذا وأنا في سوق البقر، فخرجت أركض دابتي حتى صرت إليكم، قال: وبيننا وبين ذلك الموضع ثلاثة أميال.

قال هارون، وأخبرني محمد بن عبد الله، قال أخبرني يحيى بن يعلى بن سعيد قال: بينا أنا ليلة في منزلي في الرمضة أسفل مكة إذ سمعت صوت عمرو بن أبي الكنات كأنه معي، فأمرت الغلام فأسرج لي دابتي، وخرجت أريده، فلم أزل أتبع الصوت حتى وجدته جالساً على الكتيب العارض ببطن عرنة يغني:

## صوت

خذي العفو مني تستديمي مودتي ولا تتطقي في سورتني حين أغضب  
ولا تتقريني نقرة الدف مرة فإنك لا تدرين كيف المغيب  
فإني وجدت الحب في الصدر والأذى إذا اجتمعا لم يلبث الحب يذهب

عروضه من الطويل، ولحنه من الثقيل الثاني بالوسطى من رواية إسحاق. والشعر لأسماء بن خارجة الفزاري، وقد قيل: إنه لأبي الأسود الدؤلي، وليس ذلك بصحيح. والغناء لإبراهيم الموصلي، وفيه لحن قديم للغريض من رواية حماد عن أبيه.

## أسماء بن خارجة وابنته هند

وصيته لبنته ليلة زفافها: أخبرني الزبير بن أحمد بن زهير عن الزبير بن بكر قال: زوج أسماء بن خارجة الفزاري بنته هند من الحجاج بن يوسف، فلما كانت ليلة أراد البناء بها قال لها أسماء بن خارجة: يا بنية، إن الأمهات يؤدبن البنات، وإن أمك هلكت وأنت صغيرة، فعليك بأطيب الطيب الماء، وأحسن الحسن الكحل. وإياك وكثرة المعاتبة، فإنها قطيعة للود، وإياك والغيرة فإنها مفتاح الطلاق. وكوني لزوجك أمة يكن لك عبداً، واعلمي أي القائل لأمك:

## خذي العفو مني تستديمي مودتي

شعر لبعض الشعراء فيها: قال: وكانت هند امرأة مجربة قد تزوجها جماعة من أمراء العراق، فقبلت من أبيها وصيته. وكان الحجاج يصفها في مجلسه بكل خير، وفيها يقول بعض الشعراء يخاطب أباها:

جزاك الله يا أسماء خيراً  
كما أرضيت فيثلة الأمير  
بصدغ قد يفوح المسك منه  
عليه مثل كركرة البعير  
إذا أخذ الأمير بمشعبيها  
سمعت لها أزيزاً كالصريير  
إذا لقت بأرواح تراها  
تجيد الرهز من فوق السرير

قال مؤلف هذا الكتاب: الشعر لعقيبة الأسدي.

يعبر معبر بتزويج الحجاج فيحتال حتى يزوجه المعبر أيضاً: أخبرني الجوهري وحبیب المهلي عن ابن شبة قال: لما قدم الحجاج الكوفة أشار عليه محمد بن عمير بن عطار أن يخطب إلى أسماء ابنته هند، فخطبها فزوجه أسماء ابنته، فأقبل محمد متمثلاً يقول:

## أمن حذر الهزال نكحت عبداً

## فصهر العبد أدنى للهزال!

فاحتملها عليه أسماء وسكت عن جوابه، ثم أقبل على الحجاج يوماً وهند جالسة، فقال: ما يمنعك من الخطبة إلى محمد بن عمير ابنته فإن من شأنها كيت وكيت. فقال: أتقول هذا وهند تسمع؟ فقال: موافقتك أحب إلي من رضا هند، فخطبها إلى محمد بن عمير، فزوجه إياها، فقال أسماء لمحمد بن عمير، وضرب بيده على منكبه:

سواء كعين الديك أو قذة النسر

دونك ما أسديته يا بن حاجب

فلا تعد هنداً من نساء بني بدر

بقولك للحجاج إن كنت ناكحاً

كفاءً له إلا المتوج من فهر

فإن أباه لا يرى أن خاطباً

ولا راغباً عنه ونعم أخو الصهر

فزوجتها الحجاج لامتكارها

وقد يحسن الإنسان من حيث لا يدري

أردت ضراري فاعتمدت مسرتي

وإن ترها فخراً فهل لك من شكر!

فإن ترها عاراً فقد جئت مثلها

أحبت هند عبد الله بن زياد حباً شديداً: قال المدائني حدثني الحرمازي عن الوليد بن هشام القحذمي وكان كاتب خالد القسري ويوسف بن عمر أن هنداً بنت أسماء كانت تحت عبيد الله بن زياد، وكان أبا عذرها، فلما قتل -وكانت معه- لبست قباء، وتقلدت سيفاً، وركبت فرساً لعبيد الله كان يقال لها: الكامل، وخرجت حتى دخلت الكوفة ليس معها دليل، ثم كانت بعد ذلك أشد خلق الله جزعاً عليه، ولقد قالت يوماً: إني لأشتاق إلى القيامة لأرى وجه عبيد الله بن زياد.

بشر بن مروان يتزوجها: فلما قدم بشر بن مروان الكوفة دل عليها، فخطبها، فزوجها، فولدت له عبد الملك بن بشر، وكان ينال من الشراب ويكتم ذلك، وكان إذا صلى العصر خلا في ناحية من داره ليس معه أحد إلا أعين مولاه صاحب حمام أعين بالكوفة، وأخذ في شأنه. فلم تزل هند تتجسس خبره حتى عرفت، فبعثت مولى لها، فأحضرها أطيب شراب وأحده وأشدّه وأرقه وأصفاه، وأحضرت له طعاماً علمت أنه يشتهي، وأرسلت إلى أخويها: مالك وعيينة، فأتياها وبعثت إلى بشر واعتلت عليه بعلّة، فجاءها فوضعت بين يديه ما أعدته، فأكل وشرب، وجعل مالك يسقيه، وعيينة يحدثه، وهند تريه وجهها. فلم يزل في ذلك حتى أمسى، فقال: هل عندكم من هذا شيء نعود عليه غداً؟ فقالت: هذا دائم لك ما أردته، فلزمها وبقي أعين يتبع الديار بوجهه ولا يرى بشراً، إلا أن يبحث عن أمره فعرفه، وعلم أنه ليس فيه حظ بعدها. قال ومات عنها بشر تجزع عليه، فقال الفرزدق في ذلك:

عليه الثريا في كواكبها الزهر

فإن تك لا هند بكته فقد بكت

الحجاج يخلف بشراً في تزوجها: ثم خلف عليها الحجاج، وكان السبب في ذلك فيما ذكره المدائني عن الحرمازي عن القحذمي، وأخبرني به من هاهنا أحمد بن عبد العزيز عن ابن شبة عن عثمان بن عبد الوهاب عن

عبد الحميد الثقفى قالاً: كان السبب في ذلك أنه بعث أبا بردة بن أبي موسى الأشعري -وهو قاضيه- إلى أسماء يقول له: إن قبيحاً بي مع بلاء أمير المؤمنين عندي أن أقيم بموضع فيه ابنا أخيه بشر لا أضمهما إلي، وأتولى منهما مثل ما أتولى من ولدي. فاسأل هندا أن تطيب نفسها عنهما.

وقال عمر بن شبة في خبره: وأعلمها أنه لا بد من التفرقة بينها وبينهما حتى أؤدبهما، قال أبو بردة: فاستأذنت فأذن لي وهو يأكل وهند معه، فما رأيت وجهاً ولا كفاً ولا ذراعاً أحسن من وجهها وكفها وذراعها، وجعلت تتحفني وتضع بين يدي.

قال أبو زيد في خبره: فدعاني إلى الطعام، فلم أفعل، وجعلت تعبت بي وتضحك، فقلت: أما والله لو علمت ما جئت له لبكيت، فأمسكت يدها عن الطعام فقال: أسماء: قد منعتها الأكل: فقل: ما جئت له. فلما بلغت أسماء ما أرسلت به بكت، فلم أر والله دموعاً قط سائلة من محاجر أحسن من دموعها على محاجرها. ثم قالت: نعم أرسل بهما إليه، فلا أحد أحق بتأديبهما منه.

وقال أسماء: إنما عبد الملك ثمة قلوبنا -يعني عبد الملك بن بشر- وقد أنسنا به، ولكن أمر الأمير طاعة، فأتيت الحجاج، فأعلمته جوابها وهيئتها. فقال: ارجع فاخطبها علي فرجعت وهما على حالهما. فلما دخلت قلت: إني جئتك بغير الرسالة الأولى قال: اذكر ما أحببت. قلت: قد جئت خاطباً. قال: أعلى نفسك فما بنا عنك رغبة؟ قلت: لا، على من هو خير لها مني، وأعلمته ما أمرني به الحجاج، فقال: ها هي تسمع ما أدبت، فسكتت، فقال أسماء: قد رضيت، وقد زوجتها إياه.

فقال أبو زيد في حديثه: فلما زوجها أبوها قامت مبادرة وعليها مطرف، ولم تستقل قائمة من ثقل عجيزتها حتى انثنت ومالت لأحد شقيها من شحمها، فانصرفت بذلك إلى الحجاج، فبعث إليها بمائة ألف درهم وعشرين تحتاً من ثياب وقال: يا أبا بردة، إني أحب أن تسلمها إليها، ففعلت ذلك، وأرسلت إلي من المال بعشرين ألفاً، ومن الثياب تحتين. فقلت: ما أقبل شيئاً حتى أستطلع رأي الأمير. ثم انصرفت إليه فأعلمته، فأمرني بقبضة ووصلني بمثله.

وقال: أبو زيد في حديثه: فأرسل إليها بثلاثين غلاماً مع كل غلام عشرة آلاف درهم، وثلاثين جارية مع كل جارية تحت من ثياب، وأمر لي بثلاثين ألفاً وثياباً لم يذكر عددها. فلما وصل ذلك إلى هند أمرت بمثل ما أمر لي به الحجاج، فأبيت قبوله، وقلت: ليس الحجاج ممن يتعرض له بمثل هذا. وأتيت الحجاج فأخبرته. فقال: قد أحسنت وأضعف الله لك ذلك، وأمر له بستين ألفاً، وبضعف تلك الثياب، وكان أول ما أصبته مع الحجاج. وأرسل إليها: إني أكره أن أبيت خلواً، ولي زوجة. فقالت: وما احتباس امرأة عن زوجها وقد ملكها وآتاها كرامته وصداقها، فأصلحت من شأنها، وأتته ليلاً.

قال: المدائني: فسمعت أن ابن كنانة ذكر أن رجلاً من أهل العلم حدثه عن امرأة من أهله قالت: كنت فيمن

زفها. فدخلنا عليه وهو في بيتٍ عظيم في أقصاره ستارة، وهو دون الستارة على فرشه، فلما أن دخلت سلمت، فأوما إليها بقضيب كان في يده. فجلست عند رجله، ومكثت ساعة وهو لا يتكلم ونحن وقوف، فضربت بيدها على فخذه، ثم قالت: ألم تبعد من سوء الخلق؟ قال: فتبسم، وأقبل عليها، واستوى جالساً. فدعونا له وخرجنا وأرخت الستور.

سبب تطلق الحجاج لها: قال: ثم قدم الحجاج البصرة، فحملها معه. فلما بنى قصره الذي دون المحدث الذي يقال له: قصر الحجاج اليوم قال لها: هل رأيت قط أحسن من هذا القصر؟ قالت: ما أحسنه! قال: أصدقيني، قالت: أما إذ أبيت فوالله ما رأيت أحسن من القصر الأحمر. وكان فيه عبيد الله بن زياد، وكان دار الإمارة بالبصرة، وكان ابن زياد بناه بطين أحمر. فطلق هنداً غضباً بما قالت، وبعث إلى القصر فهدمه، وبناه بلبن. ثم تعهده صالح بن عبد الرحمن في خلافة سليمان بن عبد الملك، فبناه بالآجر، ثم هدم بعد ذلك فأدخل في المسجد الجامع. حينئذ الحجاج إلى مراجعتها: قال: القحذمي عن محمد بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام المخزومي: فخرجنا يوماً نعود عبد الملك بن بشر، فسلمنا عليه وعدناه معه. ثم خرجنا وتخلف الحجاج، فوقفنا ننتظره، فلما خرج التفت فرآني، فقال: يا محمد ويحك! رأيت هنداً الساعة فما رأيتها، قط أجمل ولا أشب منها حين رأيتها، وما أنا بممس حتى أراجعها: فقلت: أصلح الله الأمير، امرأة طلقته على عتب يرى الناس أن نفسك تتبعها، وتكون لها الحجة عليك. قال: صدقت، الصبر أحجى.

قال: محمد: والله ما كان مني ما كان نظراً ولا نصيحة، ولكني أنفت لرجل من قريش أن تداس أمه في كل وقت.

خبر طريف يروى عن أسماء: أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه عن المدائني عن جويرية بن أسماء عن عمه قال: حججت فإني لفي رفقة من قومي إذ نزلنا ومعنا امرأة، فنامت واتبعت وحية مطوية عليها، قد جمعت رأسها وذنبها بين ثدييها. فهالنا ذلك وارتحلنا .

فلم تزل منطوية عليها لا تضيرها حتى دخلنا الحرم فانسابت، فدخلنا مكة وقضينا نسكنا، فرآها الغريض فقال: أي شقية، ما فعلت حيتك؟ فقالت: في النار، قال: ستعلمين من أهل النار؟ ولم أفهم ما أراد، وظننت أنه مازحها، واشتقت إلى غنائها، ولم يكن بيني وبينه ما يوجب ذلك، فأتيت بعض أهله، فسألته ذلك، فقال نعم، فوجه إليه أن اخرج بنا إلى موضع كذا، وقال لي: اركب بنا، فركبنا حتى سرنا قدر ميل، فإذا الغريض هناك، فترلنا، فإهذا طعام معد، وموضع حسن. فأكلنا وشربنا، ثم قال: يا أبا يزيد، هات بعض طرائفك فاندفع يغني، ويوقع بقضيب:

وأدنفنت والممشى إلي قريب

مرضت فلم تحفل علي جنوب

إذا ما صبونا صبوة سنتوب

فلا يبعد الله الشباب وقولنا

فلقد سمعت شيئاً ظننت أن الجبال التي حولي تنطق معه: شجا صوت، وحسن غناء. وقال لي: أتحب أن يزيدك؟ فقلت: إي والله. فقال: هذا ضيفك وضيفنا، وقد رغب إليك وإلينا، فأسعفه بما يريد. فاندفع يغني بشعر مجنون بني عامر:

عفا الله ليلي الغداة فإنها إذا وليت حكما علي تجور

أترك ليلي ليس بيني وبينها سوى ليلة؟ إني إذا لصبور !

فما عقلت لما غنى من حسنه إلا بقول صاحبي: نجور عليك يا أبا يزيد. فقلت: وما معنك في ذلك؟ فقال: إن أبا يزيد عرض بأني لما وليت الحكم عليه جرت في سؤالي إياه أكثر من صوت واحد. فقلت له -بعد ساعة- سرّاً: جعلت فداءك، إني أريد المضي وأصحابي يريدون الرحلة، وقد أبطأت عليهم، فإن رأيت أن تسأله -حاطه الله من سوء والمكروه- أن يزودني لحناً واحداً. فقال لي: يا أبا يزيد، أتعلم ما أمهي إلينا ضيفنا؟ قال: نعم، أراك أن تكلمني في أن أغنيه قلت: هو والله ذلك، فاندفع يغني:

خذني العفو مني تستديمي مودتي ولا تنطقي في سورتني حين أغضب

فإني رأيت الحب في الصدر والأذى إذا اجتمع لم يلبث الحب يذهب

فقال: قد أخذنا العفو منك، واستدمننا مودتك، ثم أقبل علينا فقال: ألا أحدثكم بحديث حسن؟ فقلنا: بلى. قال: قال شيخ العلم وفقهه الناس وصاحب علي -صلوات الله عليه- وخليفة عبد الله بن العباس على البصرة أبو الأسود الدؤلي لابتته ليلة البناء: أي بنية، النساء كن بوصيتك وتأديتك أحق مني، ولكن لا بد مما لا بد منه. يا بنية، إن أطيب الطيب الماء، وأحسن الحسن الدهن، وأحلى الحلاوة الكحل. يا بنية، لا تكثري مباشرة زوجك فيملك، ولا تباعدي عنه فيجفوك ويعتل عليك، وكوبي كما قلت لأمك:

خذني العفو مني تستديمي مودتي ولا تنطقي في سورتني حين أغضب

فقلت: له فدتك نفسي، ما أدري أيهما أحسن: أحدثك أم غناؤك؟ والسلام عليكم. وهضت فركبت وتحلف الغريض وصاحبه في موضعهما، وأتيت أصحابي وقد أبطأت، فرحلنا منصرفين حتى إذا كنا في المكان الذي رأيت فيه الحية منطوية على صدر المرأة ونحن ذاهبون -رأيت المرأة والحية منطوية عليها، فلم ألبث أن صفرت الحية، فإذا الوادي يسيل علينا حيات فنهشناها حتى بقيت عظاماً. فطال تعجبنا من ذلك، ورأينا ما لم تر مثله قط. فقلت لجارية كانت معها: ويحك أخبرينا عن هذه المرأة، قالت: نعم أأكلت ثلاث مرات، كل مرة تلد ولداً: فإذا وضعته سحرت التنور ثم ألقته: فذكرت قول الغريض حين سألتها عن الحية، فقالت: في النار. فقال: ستعلمين من في النار .

نسبة ما في هذه الأصوات من الغناء فمتها: صوت

مرضت فلم تحفل علي جنوب وأدنفنت والممشى إلي قريب

فلا يبعد الله الشباب وقولنا

إذا ما صبونا صبوة سنتوب

عروضه من الطويل. الشعر لحميد بن ثور الهلالي، والغناء للغريض من رواية حماد عن أبيه، وفيه لعلويه ثقيل أول بالوسطى على مذهب إسحاق من رواية عمرو بن بانة ومنها: صوت

عفا الله ليلى الغداة فإنها

إذا وليت حكما علي تجور

أترك ليلى ليس بيني وبينها

سوى ليلة إني إذا لصبور!

عروضه من الطويل، والشعر -لأبي دهب الجمحي، ويقال: إنه لمجنون بني عامر، ويقال: إنه لعمر بن أبي ربيعة. والغناء لابن سريج، خفيف رمل بالوسطى، عن عمرو بن بانة، وفيه للغريض ثاني ثقيل بالوسطى، وفي الثاني والأول خفيف ثقيل أول بالبنصر مجهول.

أخبرني الحرمي عن الزبير عن محمد بن الضحاك عن أبيه قال: قال أبو دهب:

أترك ليلى ليس بيني وبينها

سوى ليلة إني إذا لصبور!

هبوني امرأ منكم أضل بعيره

له ذمة إن الذمام كبير

وللصاحب المتروك أعظم حرمة

على صاحب من أن يضل بعير

قال الزبير وقال عمي: هذه الأبيات لمجنون بني عامر.

قال أحمد بن الحارث الخزار عن المدائني عن أبي محمد الشيباني قال: قال عبد الملك بن مروان لعمر بن أبي ربيعة: أنت القائل:

أترك ليلى ليس بيني وبينها

سوى ليلة إني إذا لصبور!

قال: نعم. قال فبئس الحب أنت: تركتها وبينها وبينك غدوة. قال: يا أمير المؤمنين، إنها من غدوات سليمان، غدوها شهر، ورواحها شهر.

أخبرني البيهقي عن أحمد بن يحيى وابن زهير قال حدثني عمر بن القاسم بن المعتمر الزهري قال: قلت لأبي السائب المخزومي: أما أحسن الذي يقول:

أترك ليلى ليس بيني وبينها

سوى ليلة إني إذا لصبور!

هبوني امرأ منكم أضل بعيره

له ذمة إن الزمام كبير

وللصاحب المتروك أعظم حرمة

على صاحب من أن يضل بعير؟

فقال: بأبي أنت، كنت والله أجنبك وتنقل علي، فأنا الآن أحبك وتخف علي، حيث تعرف هذا.

صوت

من الخفريات لم تفضح أباها

ولم ترفع لوالدها شناراً

كأن مجامع الأرداف منها

نفاً درجت عليه الريح هاراً

يعاف وصال ذات البذل قلبي

ويتبع الممنعة النواراً

الخفرة: الحية، والخفر: الحياء. والشنار: العار. والنقا: الكتيب من الرمل. درجت عليه الريح: مرت. هار: تهافت وتداعى. قال الله تبارك وتعالى: "على شفا جرف هار" ويعاف: يكره. والنوار: الصعبة الممتنعة الشديدة الإباء. عروضه من الوافر. الشعر للسليك بن السلكة، والغناء لابن سريج، رمل بالسبابة في مجرى البنصر عن إسحاق. وفيه لابن الهريذ لحن من رواية بذل، ولم يذكر طريقته وفيه لابن طنبورة لحن ذكره إبراهيم في كتابه ولم يجنسه.

### أخبار السليك بن السلكة ونسبه

نسبه: هو السليك بن عمرو، وقيل: بن عمير بن يثربي. أحد بني مقاعس، وهو الحارث بن عمرو بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم. والسلكة: أمة، وهي أمة سوداء. من صعاليك العرب العدائين: وهو أحد صعاليك العرب العدائين الذين كانوا لا يلحقون، ولا تعلق بهم الخيل إذا عدوا. وهم: السليك بن السلكة، والشنفري، وتأبط شراً، وعمرو بن براق، ونفيل بن براق. وأخبارهم تذكر على تواليها ها هنا إن شاء الله تعالى في أشعار لهم يغنى فيها؛ لتتصل أحاديثهم. فأما السليك فأخبرني بخبره الأخفش عن السكري عن ابن حبيب عن ابن الأعرابي، قال: وفرئ لي خبره وشعره على محمد بن الحسن الأحوال عن الأثرم عن أبي عبيدة. أخبرني ببعضه اليزيدي عن عمه عن ابن حبيب عن ابن الأعرابي عن المفضل، وقد جمعت رواياتهم، فإذا اختلفت نسبت كل مروى إلى روايه. يستودع بيض النعام ماء في الشتاء ليشربه في الصيف: قال أبو عبيدة: حدثني المنتجع بن نبهان قال: كان السليك بن عمير السعدي إذا كان الشتاء استودع بيض النعام ماء السماء ثم دفنه، فإذا كان الصيف وانقطعت إغارة الخيل وأغار. وكان أدل من قطة -يجيء حتى يقف على البيضة. وكان لا يغير على مضر، وإنما يغير على اليمن، فإذا لم يمكنه ذلك أغار على ربيعة. صفاته: وقال المفضل في روايته: وكان السليك من أشد رجال العرب وأنكرهم وأشعرهم. وكانت العرب تدعوه سليك المقانب وكان أدل الناس بالأرض، وأعلمهم بمسالكها، وأشدهم عدواً على رجله لا تعلق به الخيل. وكان يقول: اللهم إنك تهيم ما شئت لما شئت إذا شئت. اللهم إني لو كنت ضعيفاً كنت عبداً، ولو كنت امرأة أمة. اللهم إني أعوذ بك من الخيبة، فأما الهيبة فلا هيبة. من إنهاء غاراته:

فذكروا أنه أملق حتى لم يبق له شيء فخرج على رجله رجاء أن يصيب غرة من بعض من يمر به فيذهب بإبله، حتى أمسى في ليلة من ليالي الشتاء باردة مغمرة فاشتمل الصماء ثم نام -واشتمال الصماء: أن يرد فضلة ثوبه

على عضده اليميني، ثم ينام عليها-فبينما هو نائم إذ جثم رجل فقعد على جنبه فقال: استأسر. فرفع السليك إليه رأسه، وقال: الليل طويل وأنت مقمر. فأرسلها مثلاً، فجعل الرجل يلهمه ويقول: يا خبيث استأسر. فلما آذاه بذلك أخرج السليك بعده، فضم الرجل إليه ضمة شرط منها وهو فوقه، فقال السليك: أضربا وأنت الأعلى؟ فأرسلها مثلاً، ثم قال: من أنت؟ فقال: أنا رجل افتقرت، فقلت: لأخرجن فلا أرجع إلى أهلي حتى أستغني فأتيتهم وأنا غني قال. انطلق معي. فانطلقا، فوجدا رجلاً قصته مثل قصتهما. فاصطحبوا جميعاً حتى أتوا الجوف: جوف مراد.

فلما أشرفوا عليه إذا فيه نعم قد ملاً كل شيء من كثرته. فهابوا أن يغيروا فيطردوا بعضها، فيلحقهم الطلب. فقال لهما سليك. كونا قريباً مني حتى آتي الرعاء فأعلم لكما علم الحي، أقرب أم بعيد. فإن كانوا قريباً رجعت إليكما، وإن كانوا بعيداً قلت لكما قولاً أومئ إليكما به فأغيروا. فانطلق حتى أتى الرعاء، فلم يزن يستنطقهم حتى أحبروه. بمكان الحي، فإذا هم بعيد. إن طلبوا لم يدركوا. فقال السليك للرعاء: ألا أغنيكم؟ فقالوا: بلى غننا، فرفع صوته وغنى:

يا صاحبي ألا لا حي بالوادي  
سوى عبيد وآم بين أذواد  
أنتظران قريباً ريث غفلتهم  
أم تغدوان فإن الريح للغادي؟

فلما سمعا ذلك أتيا السليك، فأطردوا الإبل فذهبوا بها ولم يبلغ الصريخ الحي حتى فاتوهم بالإبل. نبأ آخر من أنباء المراتع: قال المفضل: وزعموا أن سليكاً خرج ومعه رجلان من بني الحارث بن امرئ القيس بن زيد مناة بن تميم يقال لهما: عمرو وعاصم وهو يريد الغارة، فمر على حي بني شيبان في ربيع والناس مخصبون في عشية فيها ضباب ومطر، فإذا هو بيت قد انفرد من البيوت وقد أمسى. فقال لأصحابه: كونوا بمكان كذا حتى آتي أهل هذا البيت، فلعلني أن أصيب لكم خيراً، أو آتيكم بطعام قالوا: افعل، فانطلق وقد أمسى وجن عليه الليل، فإذا البيت بيت رويم، وهو جد حوشب بن يزيد بن رويم، وإذا الشيخ وامراته بفناء البيت. فأتى سليك البيت من مؤخره فدخله، فلم يلبث أن راح ابنه بإبله. فلما أراحها غضب الشيخ، فقال لابنه: هلا عشيتها ساعة من الليل. فقال له ابنه: إنها أبت العشاء فقال: العاشية تهيج الآبية، فأرسلها مثلاً. ثم غضب الشيخ، ونفض ثوبه في وجهها، فرجعت إلى مراتعها ومعها الشيخ حتى مالت بأدنى روضة. فرتعت. وحبس الشيخ عندها لتعشى، وغطى وجهه بثوبه من البرد، وتبعه سليك. فلما وجد الشيخ مغترا ختله من ورائه، فضربه فأطار رأسه، وصاح بالإبل فطردوها، فلم يشعر صاحبه -وقد ساء ظنهما وتخوفا عليه- حتى إذا هما بالسليك يطردوها فطرداها معه، وقال سليك في ذلك:

وعاشية راحت بطانا ذعرتها  
بسوط قتيل وسطها يتسيف  
كأن عليه لون برد محبر  
إذا ما أتاه صارخ ينلثف

فبات لها أهل خلاءً فناؤهم  
ومرت بهم طير فلم يتعيفوا  
وباتوا يظنون الظنون وصحبتى  
إذا ما علوا نشزوا أهلوا وأوجفوا  
وما نلتها حتى تصعلكت حقة  
وكدت لأسباب المنية أعرف  
وحتى رأيت الجوع بالصيف ضرني  
إذا قمت تغشاني ظلال فأسدف

من حيله للغارة: وقال الأثرم في روايته عن أبي عبيدة: خرج سليك في الشهر الحرام حتى أتى عكاظ، فلما اجتمع الناس ألقى ثيابه، ثم خرج متفضلاً مترجلاً، فجعل يطوف الناس ويقول: من يصف لي منازل قومه، وأصف له منازل قومي؟ فلقبه قيس بن مكشوح المرادي، فقال: أنا أصف لم منازل قومي، وصف لي منازل قومك، فتوافقا، وتعاهدا ألا يتكاذبا.

فقال قيس بن المكشوح: خذ بين مهب الجنوب والصباء، ثم سر حتى لا تدري أين ظل الشجرة؟ فإذا انقطعت المياه فسر أربعاً حتى تبدو لك رملة وقف بينها الطريق، فإنك ترد على قومي مراد وختعم.

فقال السليك: خذ بين مطلع سهيل ويد الجوزاء اليسرى العاقد لها من أفق السماء، فثم منازل قومي بني سعد بن زيد مناة.

فانطلق قيس إلى قومه فأخبرهم الخبر، فقال أبوه المكشوح: ثكلتك أمك. هل تدري من لقيت؟ قال: لقيت رجلاً فضلاً كأنما خرج من أهله، فقال: هو والله سليك بن سعد.

فاستعلق واستعوى السليك قومه فخرج أحماس بني سعد وبني عبد شمس - وكان في الربيع يعمد إلى بيض النعام فيملؤه من الماء ويدفنه في طريق اليمن في المفاوز. قال: فإذا غزا في الصيف مر به فاستثاره - فمر بأصحابه حتى إذا انقطعت عنهم المياه قالوا: يا سليك أهلكتنا ويحك! قال: قد بلغت الماء، ما أقربكم منه! حتى إذا انتهى إلى قريب من المكان الذي خبأ فيه طلبه فلم يجده، وجعل يتردد في طلبه. فقال بعض أصحابه لبعض: أين يقودكم هذا العبد؟ قد والله هلكتم، وسمع ذلك. ثم أصاب الماء بعد ما ساء ظنهم، فهم السليك بقتل بعضهم، ثم أمسك. فانصرفت عنه بنو عبد شمس في طوائف من بني سعد. قال: ومضى السليك في بني مقاعس ومعه رجل من بني حرام يقال له: صرد. فلما رأى أصحابه قد انصرفوا بكى ومضى به السليك، حتى إذا دنوا من بلاد خثعم ضلت ناقة صرد في جوف الليل، فخرج في طلبها، فأصابه أناس حين أصبح، فإذا هم مراد وختعم، فأسروه، ولحقه السليك فاقتلوا قتلاً شديداً.

وكان أول من لقيه قيس بن مكشوح، فأسره السليك بعد أن ضربه ضربة أشرفت على نفسه، وأصاب من نعمهم ما عجز عنه هو وأصحابه، وأصاب أم الحارث بنت عوف بن يربوع الخثعمية يومئذ، واستنقذ صرد من أيدي خثعم، ثم انصرف مسرعاً، فلحق بأصحابه الذين انصرفوا عنه قبل أن يصلوا إلى الحبي، وهم أكثر من الذين شهدوا معه، فقسمها بينهم على سهام الذين شهدوا. وقال السليك في ذلك:

بكى صرداً لما رأى الحي أعرضت  
 وخوفه ريب الزمان وفقره  
 ونأي بعيد عن بلاد مقاعس  
 سيكيفيك فقد الحي لحم مغرض  
 ألم تر أن الدهر لونان لونه  
 فما خير من لا يرتجى خير أوبة  
 رددت عليه نفسه فكأنما  
 فما ذر قرن الشمس حتى أريته  
 وضاربت عنه القوم حتى كأنما  
 وقلت له خذ هجمة حميرية  
 وليلةً جابان كررت عليهم  
 عشية كرت بالحرامي ناقة  
 فضاربت أولي الخيل حتى كأنما

الأيدع: دم الأخوين، والصيب: الحناء.

من أنباء قدرته على الاحتمال: قال أبو عبيدة: وبلغني أن السليك بن السلركة رآته طلائع جيش لبكر بن وائل، وكانوا جازوا منحدرين ليغيروا على بني تميم ولا يعلم بهم أحد، فقالوا: إن علم السليك بنا أنذر قومه، فبعثوا إليه فارسين على جوادين، فلما هاجاه خرج بمحص كأنه ظي، وطاردها سحابة يومه، ثم قالوا: إذا كان الليل أعياء، ثم سقط أو قصر عن العدو، فنأخذه.

فلما أصبحا وجدا أثره قد عثر بأصل شجرة فترعها، فندرت قوسه فانحطمت، فوجدا قصدة منها قد ارتزت بالأرض، فقالوا: ما له، أحزاه الله؟ ما أشده! وهما بالرجوع، ثم قالوا: لعل هذا كان من أول الليل ثم فتر، فتبعاه، فإذا أثره متفاج قد بال فرغا في الأرض وخدها فقالوا: ما له قاتله الله؟ ما أشد متته! والله لا نتبعه أبداً، فانصرفا. ونمى إلى قومه وأنذرهم، فكذبوه لبعده الغاية، فأنشأ يقول:

يكذبني العمران عمرو بن جندب  
 لعمرك ما ساعيت من سعى عاجز  
 وعمرو بن سعد والمكذب أكذب  
 ولا أنا بالواني ففيم أكذب ؟  
 تكلتكما إن لم أكن قد رأيتها  
 كراديس يهديها إلى الحي موكب

كراديس فيها الحوفزان وقومه

فوارس همام متى يدع يركبوا

-يعني الحوفزان بن شريك الشيباني-.

تفاقدتم هل أنكرن مغيرة

مع الصبح يهديهن أشقر مغرب ؟

تفاقدتم: يدعو عليهم بالتفاقد .

قال، وجاء الجيش فأغاروا على جمعهم.

كان يقال له: سليك المقانب: قال: وكان يقال للسليك سليك المقانب، وقد قال في ذلك فرار الأسدي -وكان قد وجد قوماً يتحدثون إلى امرأته من بني عمها فعقرها بالسيف، فطلبه بنو عمها فهرب ولم يقدرُوا عليه - فقال في ذلك:

لزوار ليلي منكم آل برثن

على الهول أمضي من سليك المقانب

يزورونها ولا أزور نساءهم

ألهفي لأولد الإماء الحواطب

يلجأ إلى امرأة فتتقده فيقول فيها شعراً: وقال أبو عبيدة: أغار السليك على بني عوار بطن من بني مالك بن ضبيعة، فلم يظفر منهم بفائدة، وأرادوا مساورته.

فقال شيخ منهم: إنه إذا عدا لم يتعلق به، فدعوه حتى يرد الماء، فإذا شرب وثقل لم يستطع العدو، وظفرت به، فأمهلوه حتى ورد الماء وشرب، ثم بادروه، فلما علم أنه مأخوذ خاتلهم وقصد لأدنى بيوتهم حتى ولج على امرأة منهم يقال لها: فكيهة، فاستجار بها، فمئنته، وجعلته تحت درعها، واخترطت السيف، وقامت دونه، فكأثروها فكشفت حمارها عن شعرها، وصاحت بإخوتها فجاءوا، ودفعوا عنه حتى نجا من القتل، فقال السليك في ذلك:

لعمر أبيك والأنباء تنمي

لنعم الجار أخت بني عوارا

من الخفرات لم تفضح أباهها

ولم ترفع لإخوتها شنارا

كأن مجامع الأرداف منها

نقاً درجت عليه الريح هارا

يعاف وصال ذات البذل قلبي

ويتبع الممنعة النوارا

وما عجزت فكيهة يوم قامت

بنصل السيف واستلبوا الخمارا

يأخذ رجلاً من كنانة ثم يطلقه فيجزلون له العطاء: أخبرني الأخفش عن السكري عن أبي حاتم عن الأصمعي أن السليك أخذ رجلاً من بني كنانة بن تيم بن أسامة بن مالك بن بكر بن حبيب بن غنم بن تغلب يقال له: النعمان بن عقفان، ثم أطلقه وقال:

سمعت بجمعهم فرضخت فيهم

بنعمان بن عقفان بن عمرو

## فإن تكفر فإنني لا أبالي

## وإن تشكر فإنني لست أدري

قال: ثم قدم بعد ذلك على بني كنانة وهو شيخ كبير، وهم بماء لهم يقال له: قباقيب، خلف البشر، فأتاه نعمان بابنيه الحكم وعثمان -وهما سيدي بني كنانة- ونائلة ابنته، فقال: هذان وهذه لك، وما أملك غيرهم، فقالوا: صدق، فقال: قد شكرت لك وقد رددتهم عليك.

يسبق في العدو جمعاً من الشباب وهو شيخ: فجمعت له بنو كنانة إبلاً عظيمة فدفعوها إليه، ثم قالوا له: إن رأيت أن ترينا بعض ما بقي من إحضارك . قال: نعم، وأبغوني أربعين شاباً، وأبغوني درعاً ثقيلة، فأتوه بذلك، فلبس الدرع، وقال للشبان: الحقوا بي إن شئتم. وعد، فلاث العدو لوثاً، وعدوا جنبته فلم يلحقوه إلا قليلاً، ثم غاب عنهم وكر حتى عاد إلى الحي هو وحده يحضر والدرع في عنقه تضرب كأنها خرقة من شدة إحضاره. أخبر به هاشم بن محمد الخزاعي عن عبد الرحمن بن أخي الأصمعي، عن عمه فذكر فيه نحو ما تقدم . خير مقتله: وقال السكري في خير مقتله: إنه لقي رجلاً من خثعم في أرض يقال لها: فحة، بين أرض عقيل وسعد تميم، وكان يقال للرجل: مالك بن عمير بن أبي ذراع بن جشم بن عوف، فأخذه ومعه امرأة له من خفاجة يقال لها: النوار، فقال له الخثمعي: أنا أفدي نفسي منك، فقال له: السليك: ذلك لك، على ألا تخيس بي، ولا تطلع علي أحداً من خثعم، فحالفه على ذلك، ورجع إلى قومه، وخلف امرأته رهينة معه، فنكحها السليك، وجعلت تقول: احذر خثعم؛ فإنني أخافهم عليك، فأنشأ يقول:

تحذرنني كي أحذر العام خثعما

وقد علمت أنني امرؤ غير مسلم

وما خثعم إلا لئام أذلة

إلى الذل والإسحاق تنمي وتنتمي

قال: وبلغ ذلك شبل بن قلادة بن عمر بن سعد، وأنس بن مدرك الخثعميين، فخالفا إلى السليك، فلم يشعر إلا وقد طرقاه في الخيل، فأنشأ يقول:

من مبلغ جذمي بأبني مقتول؟

يارب نهب قد حويت عثكول

ورب قرن قد تركت مجدول

ورب زوج قد نكحت عطبول

ورب عانٍ قد فككت مكبول

ورب وادٍ قد قطعت مسبول

قال أنس للشبل: إن شئت كفيتك القوم واكفني الرجل، وإن شئت أكفني القوم أكفك الرجل. قال: بل أكفنيك القوم، فشد أنس على السليك فقتله، وقتل شبل وأصحابه من كان معه.

وكاد الشر يتفاقم بين أنس وبين عبد الملك ، لأنه كان أجاره حتى وداه أنس لما خاف أن يخرج الأمر من يده، وقال:

كم من أخ لي كريمٍ قد فجعت به  
لا أستكين على ريب الزمان ولا  
مردى حروب أدير الأمر حابله  
قد أطعن الطعنة النجلاء أتبعها  
ويوم حمضة مطلوب دلفت له  
ثم بقيت كأني بعده حجر  
أغضي على الأمر يأتي دونه القدر  
إذ بعضهم لأمر تعتري جزر  
طرفاً شديداً إذا ما يشخص البصر  
بذات ودقين لما يعفها المطر

وذكر باقي الأبيات التي تتلو هذه:

**إني وقتلي سليكا ثم أعقله**

كما ذكره من روينا عنه ذلك.

أخبرني هاشم بن محمد عن عبد الرحمن بن أخي الأصمعي عن عمه فذكر ما تقدم.  
يجعل لعبد الملك بن مويك إتاوةً ليحيره: قال أبو عبيدة وحدثني المنتجع بن نيهان قال: كان السليك يعطي عبد الملك بن مويك الخثعمي إتاوةً من غنائه على أن يجيره فيتجاوز بلاد خثعم إلى من وراءهم من أهل اليمن، فيغير عليهم. فمر قافلاً من غزوة فإذا بيت من خثعم أهله خلوف وفيه امرأة شابة بضة، فسألها عن الحي فأخبرته، فتسنمها، أي علاها، ثم جلس حجرًا ، ثم التقم المحجة، فبادرت إلى الماء فأخبرت القوم، فركب أنس بن مدرك الخثعمي في طلبه فلحقه، فقتله. فقال عبد الملك: والله لأقتلن قاتله أو ليدينه، فقال أنس: والله لا أدبه ولا كرامة، ولو طلب في ديتة عقالا لما أعطيته. وقال في ذلك:

**إني وقتلي سليكا ثم أعقله**  
**كالثور يخضرب لما عافت البقر**  
**عضبت للمرء إذ نيكت حليلته**  
**وإذ يشد على وجعائها الثقر**  
**إني لتارك هامات بمجزرة**  
**لا يزدهيني سواد الليل والقمر**  
**أغشى الحروب وسربالي مضاعفة**  
**نغشى البنان وسيفي صارم ذكر**

الغناء بشعره أفسد مجلس هو: أخبرني ابن أبي الأزهر عن حماد بن إسحاق عن أبيه عن فليح بن أبي العوراء قال: كان لي صديق بمكة، وكنا لا نفترق ولا يكتم أحد صاحبه سراً، فقال لي ذات يوم: يا فليح، إني أهوى ابنة عم لي ولم أقدر عليها قط، وقد زارتني اليوم فأحب أن تسرني بنفسك، فإني لا أحتشمك. فقلت: أفعل، وصرت إليهما، وأحضر الطعام فأكلنا، ووضع النبيذ فشربنا أفداحنا، فسألني أن أغنيهما، فكأن الله - عز وجل - أنساني الغناء كله إلا هذا الصوت:

### من الخفريات لم تفصح أباهما

### ولم تلحق بإخوتها شنارا

فلما سمعته الجارية قالت أحسنت يا أخي، أعد، فأعدته. فوثبت وقالت: أنا إلى الله تائبة، والله ما كنت لأفصح أبي ولا لأرفع لإخوتي شنارا. فجهد الفتى في رجوعها فأبت وخرجت، فقال لي: ويحك ما حملك على ما صنعت؟ فقلت: والله ما هو شيء اعتمدته، ولكنه ألقى على لساني لأمر أريد بك وبها. هكذا في الخبر المذكور. وقد رواه غير من ذكرته عن فليح بن أبي العوراء، فأخبرني اليزيدي عن عمه عبيد الله قال: كان غبراهيم بن سعدان يؤدب ولد علي بن هشام، وكان يعني بالعود تأدباً ولعباً، قال: فوجه إلي يوماً علي بن هشام يدعوني، فدخلت فإذا بين يديه امرأة مكشوفة الرأس تلاعبه بالنرد، فرجعت عجللاً فصاح بي: ادخل، فدخلت، فإذا بين أيديهما نبيذ يشربان منه، فقال: خذ عوداً وغن لنا، ففعلت، ثم غنيت في وسط غنائي:

### من الخفريات لم تفصح أباهما

### ولم ترفع لإخوتها شنارا

فوئبت من بين يديه، وغطت رأسها، وقالت: إني أشهد الله أني تائبة إليه، ولا أفصح أبي ولا أرفع لإخوتي شنارا. ففتر علي بن هشام ولم ينطق وخرجت من حضرته، فقال لي: ويلك، من أين صبك الله علي؟ هذه مغنية بغداد، وأنا في طلبها منذ سنة لم أقدر عليها إلا اليوم، فجتتني بهذا الصوت حتى هربت. فقلت: والله ما اعتمدت مساءتك، ولكنه شيء خطر على غير تعمد.

### صوت

### أمسلم إني يا بن كل خليفة

### ويا جبل الدنيا ويا ملك الأرض

### شكرتك إن الشكر حظ من التقى

### وما كل من أوليته نعمة يقضي

الشعر لأبي مخيلة الحماني، والغناء لا بن سريج، ثقيل بالوسطى عن يحيى المكي.

### أخبار أبي نخيلة ونسبه

اسمه وكنيته ونسبه: أبو نخيلة اسمه لا كنيته، ويكنى أبا الجنيد، ذكر الأصمعي ذلك وأبو عمرو الشيباني وابن حبيب، لا يعرف له اسم غيره، وله كنيتان: أبو الجنيد وأبو العرماس، وهو ابن حزن بن زائدة بن لقيط بن هرم بن يثري، وقيل: بن أثري بن ظالم بن مجاسر بن حماد بن عبد العزى بن كعب بن لؤي بن سعد بن زيد مناة بن تميم.

نفاه أبوه عن نفسه لعقوقه: وكان عاقاً بأبيه، فنفاه أبوه عن نفسه، فخرج إلى الشام وأقام هناك إلى أن مات أبوه، ثم عاد وبقي مشكوكاً في نسبه، مطعوناً عليه. وكان الأغلب عليه الرجز، وله قصيد ليس بالكبير.

مسلمة بن عبد الملك يصطنعه: ولما خرج إلى الشام اتصل بمسلمة بن عبد الملك، فاصطنعه وأحسن إليه وأوصله إلى الخلفاء واحداً بعد واحد، واستماحهم له فأغنوه، وكان بعد ذلك قليل الوفاء لهم. انقطع إلى بني هاشم، ولقب نفسه شاعر بني هاشم، فمدح الخلفاء من بني العباس، وهجا بني أمية فأكثر. يغزي المنصور بعيسى بن موسى فيبعث من يقتله: وكان طمعه، فحمله ذلك على أن قال في المنصور أرجوزة يغريه فيها بخلع عيسى بن موسى وبعقد العهد لابنه محمد المهدي، فوصله المنصور بألفي درهم، وأمره أن ينشدها بحضرة عيسى بن موسى ففعل. فطلبه عيسى فهرب منه؛ وبعث في طلبه مولى له، فأدركه في طريق خراسان، فذبحه وسلخ جلده .

سأل فمطل فهجا ثم أجيب فمدح: أخبرني هاشم الخزاعي عن عبد الرحمن ابن أخي الأصمعي عن عمه قال: رأى أبو نخيلة على شبيب حلة فأعجبته، فسأله إياها، فوعده ومطله، فقال فيه:

**الخائن بن الخائن الكذوبا**

**يا قوم لا تسودوا شبيبا**

**هل تلد الذبيبة إلا الذبيبا؟**

قال: فبلغه ذلك، فبعث إليه بما فقال:

**على فتاها وعلى خطيبها**

**إذا غدت سعد على شبيبها**

**عجبت من كثرتها وطيبها**

**من مطلع الشمس إلى مغيبها**

لا يهجو خالد بن صفوان خشية لسانه: حدثني حبيب بن نصر المهلي عن عمر بن شبة، قال: حدثني الرعل بن الخطاب قال: بنى أبو نخيلة داره، فمر به خالد بن صفوان وكان بينهما مداعبة قديمة، ومودة وكيدة، فوقف عليه .

فقال أبو نخيلة: يا بن صفوان، كيف ترى داري؟ قال: رأيتك سألت فيها إلخافاً، وأنفقت ما جمعت إسرافاً. جعلت إحدى يديك سطحاً، وملأت الأخرى سلاحاً، فقلت: من وضع في سطحي وإلا ملأته بسلحي، ثم ولي وتركه.

فقبل له: ألا تهجوه؟ فقال: إذن والله يركب بغلته، ويطوف في مجالس البصرة، ويصف أبنيتي بما يعيبها. وما عسى أن يضر الإنسان صفة أبنيته بما يعيبها سنةً ثم لا يعيد فيها كلمة.

تأديب في البادية حتى شعر: أخبرني الحسن بن علي الخفاف عن ابن مهروية عن أبي مسلم المستملي عن الحرمازي عن يحيى بن نجيم قال: لما انتفى أو نخيلة من أبيه خرج يطلب الرزق لنفسه، فتأدب بالبادية حتى شعر وقال رجلاً كثيراً وقصيداً صالحاً وشهراً بهما، وسار شعره في البدو والحضر، ورواه الناس. مده مسلمة بن عبد الملك: ثم وفد إلى مسلمة بن عبد الملك فرجع منه، وأعطاه، وشفع له، وأوصله إلى الوليد بن

عبد الملك ، فمدحه، ولم يزل به حتى أغناه، قال لحي بن نعيم: فحدثني أبو نخيلة قال: وردت على مسلمة بن عبد الملك فمدحته، وقلت له:

أمسلم إني يا بن كل خليفة  
شكرتك إن الشكر حبل من التقى  
ويا فارس الهيجا ويا جبل الأرض  
وما كل من أوليته نعمة يقضي  
علي لحافاً سابغ الطول والعرض  
وألقيت لما أن أتيتك زائراً  
وأحييت لي ذكرى وما كان خاملاً  
ولكن بعض الذكر أنبه من بعض

يستنشده مسلمة فينتحل أرجوزة لرؤية:

قال: فقال لي مسلمة: ممن أنت؟ فقلت: من بني سعد. فقال: مالكم يا بني سعد والقصيد وإنما حظكم في الرجز؟ قال: فقلت له: أنا والله أرجز العرب، قال: فأنشدني من رجلك، فكأني والله لما قال ذلك لم أقل رجراً قط، أنسانيه الله كله، فما ذكرت منه ولا من غيره شيئاً إلا أرجوزة لرؤية كان قائلها في تلك السنة، فظننت أنها لم تبلغ مسلمة، فأنشده إياها، فنكس رأسه وتنتعت، فرفع رأسه إلي وقال: لا تتعب نفسك، فأنا أروى لها منك، قال: فانصرفت وأنا أكذب الناس عنده وأخزاهم عند نفسي حتى تلطفت بعد ذلك ومدحته برجز كثير، فعرفني وقربني. وما رأيت ذلك أثر فيه، يرحمه الله ولا قر عني به حتى افترقنا. من مدحه لمسلمة: وحدثني أبو نخيلة قال: لما انصرف مسلمة من حرب يزيد بن المهلب تلقيته، فلما عاينته صحت به:

مسلم يا مسلمة الحروب  
مصاصة من كرم وطيب  
أنت المصفي من أذى العيوب  
لولا ثقاف ليس بالتدبيب  
تفري به عن حجب القلوب  
لأمست الأمة شاء الذيب

فضحك وضمي إليه، وأجزل صلي.

يسأل رجل من عشيرته أن يوصله إلى الخليفة هشام فيفعل: حدثني هاشم بن محمد الخزاعي قال: حدثنا عبد الرحمن بن أخي الأصمعي عن عمه، وأخبرني بهذا الخبر أحمد بن عبيد الله بن عمار قال: حدثني علي بن محمد النوفلي عن أبيه -وقد جمعت روايتهما وأكثر اللفظ للأصمعي، قال: قال أبو نخيلة: وفدت على هشام بن عبد الملك فصادفت مسلمة قد مات، وكنت بأخلاق هشام غراً وأنا غريب، فسألت عن أحص الناس به، فذكر لي رجلان: أحدهما من قيس، والآخر من اليمن، فعدلت إلى القيسي بالتؤدة فقلت: هو أقربهما إلي، وأجدرهما بما أحب، فجلست إليه، ثم وضعت يدي على ذراعه وقلت له: إني مسستك لتمسني رحمك .

أنا رجل غريب شاعر من عشيرتك، وأنا غير عارف بأخلاق هذا الخليفة، وأحييت أن ترشدني إلى ما أعمل فينفعني عنده، وعلى أن تشفع لي وتوصلني إليه، فقال: ذلك كله لك علي. وفي الرجل شدة ليس كمن عهدت

من أهله، وإذا سئل وخلط مدحه بطلب حرم الطالب، فأخلص له المدح، فإنه أجدر أن ينفك، واغد إليه غداً  
فإني منتظر بك بالبواب حتى أوصلك، والله يعينك. فصرت من غد إلى باب هشام، فإذا بالرجل منتظر لي، فأدخلني  
معه، وإذا بأبي النجم قد سبقني فبدأ فأنشده قوله:

إلى هشام وإلى مروان  
كفاك بالجوّد تباريان  
مال علي حدث الزمان  
بالثمن الوكس من الأثمان  
بيتان ما مثلهما بيتان  
كما تبارى فرساً رهان  
وبيع ما يغلو من الغلمان  
والمهر بعد المهر والحصان

يمدح هشاماً فيجزه: قال: فأطال فيها وأكثر المسألة حتى ضجر هشام، وتبينت الكراهة في وجهه، ثم استأذنت  
فأذن لي، فأنشده:

لما أتتني بغية كالشهد  
يا بردها لمشتف بالبرد  
وقلت للعيس إعتلي وجدي  
كم قد تعسفت بها من نجد  
قد ادرعن في مسير سمد  
إلى أمير المؤمنين المجدي  
ممن دعا من أصيد وعبد  
في وجهه بدر بدا بالسعد  
طوقتها مجتمع الأشد  
والعسل الممزوج بعد الرقد  
رفعت من أطمار مستعد  
فهي تخدى أبرح التخدي  
ومجرهد بعد مجرهد  
ليلاً كلون الطيلسان الجرد  
رب معد وسوى معد  
ذي المجد والتشريف بعد المجد  
أنت الهمام القرم عند الجد  
فانهل لما قمت صوب الرعد

قال: حتى أتيت عليها وهممت أن أسأله، ثم عزفت نفسي وقلت: قد استنصحت رجلاً، وأخشى أن أخالفه  
فأخطئ، وحانت مني التفاتة فرأيت وجه هشام منطلقاً. فلما فرغت أقبل على جلسائه فقال: الغلام السعدي  
أشعر من الشيخ العجلي، وخرجت. فلما كان بعد أيام أتتني جائزته، ثم دخلت عليه بعد ذلك، وقد مدحته  
بقصيدة فأنشده إياها فألقى علي جبة خز من جبابه مبطنه بسمور، ثم دخلت عليه يوماً آخر، فكساني دواجاً  
كان عليه من خز أحمر مبطن بسمور، ثم دخلت عليه يوماً ثالثاً فلم يأمر لي بشيء، فحملتني نفسي على أن قلت  
له:

كسوتنيها فهي كالتجفاف  
من خزك المصونة الكثاف

من عبد شمس أو بني مناف

كأنني فيها وفي اللحاف

والخز مشتاق إلى الأفواف

قال، فضحك -وكانت عليه جبة أفواف- وأدخل يده فيها ونزعها ورمى بها إلي، وقال: خذها، فلا بارك الله لك فيها.

يغير داليتها ويجعلها في السفاح: قال محمد بن هشام في خبره خاصة: فلما أفضت الخلافة إلى السفاح نقلها إليه وغيرها وجعلها فيه -يعني الأرجوزة الدالية- فهي الآن تنسب في شعره إلى السفاح.

يشفع للفرزدق عند ان هبيرة: أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال: حدثني أحمد بن الهيثم بن فراس قال: حدثني أبو عمر الخصاف عن العتيبي قال: لما حبس عمر بن هبيرة الفرزدق وهو أمير العراق أبي أن يشفع فيه أحداً، فدخل عليه أبو نخيلة في يوم فطر، فوقف بين يديه وأنشأ يقول:

فهل، فذاك نفري ووفري

أطلقت بالأمس أسير بكر

ينجي التميمي القليل الشكر

من سبب أو حجة أو عذر

ما زال مجنوناً على أست الدهر

من حلق القيد الثقال السمر

هبه لأخوالك يوم الفطر

ذا حسب ينمو وعقل يحري

يعود الفرزدق إلى السجن حين علم أن شقيقه أبو نخيلة: قال: فأمر بإطلاقه، وكان قد أطلق رجلاً من عجل جيء به من عين التمر قد أفسد، فشفعت فيه بكر بن وائل فأطلقه. وإياه عني أبو نخيلة. فلما أخرج الفرزدق سأل عمن شفع له فأخبر، فرجع إلى الحبس وقال: لا أريته ولو مت. انطلق قبلي بكري وأخرجت بشفاعة دعي، والله لا أخرج هكذا ولو من النار. فأخبر ابن هبيرة بذلك فضحك ودعا به فأطلقه، وقال: وهبتك لنفسي. وكان هجاء فحبسه لذلك، فلما عزل ابن هبيرة وحبس مدحه الفرزدق، فقال: ما رأيت أكرم منه، هجاني أميراً ومدحني أسيراً.

رواية أخرى لخبر هذه الشفاعة: وجدت هذا الخبر بخط القاسم بن يوسف، فذكر أن أبا القاسم الحضرمي حدثه أن هذه القصة كانت لأبي نخيلة مع يزيد بن عمر بن هبيرة، وأنه أتى بأسيرين من الشراه أخذوا بعين التمر: أحدهما أبو القاسم بن بسطام بن ضرار بن القعقاع بن معبد بن زرارة، والآخر رجل من بكر بن وائل. فتكلم في البكري قومه فأطلقه، ولم يتكلم في التميمي أحد، فدخل عليه أبو نخيلة فقال:

هو الذي أخرج كل غمر

الحمد لله ولي الأمر

من كل ذي قلب نقي الصدر

وكل عوار وكل وغر

ست أثاف، لا أثافي القدر

لما أنت من نحو عين التمر

فظلت القضببان فيهم تجري

هبرا هو الهبر وفوق الهبر

إني لمهد للإمام الغمر

شعري ونصح الحب بعد الشعر

ثم ذكر باقي الأبيات كما ذكرت في الخبر المتقدم.

عندما نزل به ضيف هجاء: أخبرني أبو الحسن الأسدي أحمد بن محمد قال: حدثني محمد بن صالح بن النطاح قال: ذكر عن العتيبي أن أبا نخيلة حج ومعه جريب من سويق قد حلاه بقند ، فترل متزلاً في طريقه، فأتاه أعرابي من بني تميم وهو يقلب ذلك السويق، واستحيا منه فعرض عليه، فتناول ما أعطاه فأتي عليه، ثم قال: زدني يا بن أخ، فقال أبو نخيلة:

لما نزلنا منزلاً ممقوتاً

نريد أن نرحل أو نبينا

جئت ولم ندر من أين جيتا

إذا سقيت المزبد السحتيتا

قلت ألا زدني وقد روينا

فقام الأعرابي وهو يسبه.

وحدثني بهذا الخبر هاشم بن محمد أبو دلف الخزاعي قال: حدثنا أبو غسان دماذ عن أبي عبيدة قال: كان أبو نخيلة إذا نزل به ضيف هجاء، فترل به يوماً رجل من عشيرته، فسقاه سويقاً قد حلاه، فقال له: زدني، فزاده. فلما رحل هجاء وذكر الأبيات بعينها، وقال في الخبر قال أبو عبيدة: السحتيت: السويق الدفاق. يعتذر إلى السفاح من مدحه بني مروان: أخبرني محمد بن يحيى الصولي قال: حدثنا محمد بن زكريا الغلابي قال: حدثني ابن عائشة قال: دخل أبو نخيلة على أبي العباس السفاح فسلم، واستأذن في الإنشاد، فقال له أبو العباس: لا حاجة لنا في شعرك، إنما تشدنا فضلات بني مروان، فقال: يا أمير المؤمنين:

كنا أناساً نرهب الأملاك

إذ ركبوا الأعناق والأوراكا

قد ارتجينا زمناً أباك

ثم ارتجينا بعده أخاك

ثم ارتجينا بعده إياك

وكان ما قلت لمن سواكا

زورا فقد كفر هذا ذاكا

فضحك أبو العباس، وأجازته جائزة سنوية، وقال: أجل، إن التوبة لتكفر ما قبلها، وقد كفر هذا ذاك. وأخبرنا أبو الفياض سوار بن أبي شراة قال: حدثني أبي عن عبد الصمد بن المعذل عن أبيه قال: دخل أبو نخيلة على أبي العباس، قال وكان لا يجترئ عليه مع ما يعرفه به من اصطناع مسلمة إياه، وكثرة مديحه لبني مروان حتى علم أنه قد عفا عمّن هو أكبر محلاً من القوم وأعظم جرماً منه، فلما وقف بين يديه سلم عليه، ودعا له

وأثنى، ثم استأذنه في الإنشاد، فقال له: ومن أنت؟ قال: عبدك يا أمير المؤمنين أبو نخيلة الحماي. فقال: لا حياك الله، ولا قرب دارك يا نضو السوء. ألسنت القائل في مسلمة بن عبد الملك بالأمس:

**أمسلم يا من ساد كل خليفة  
ويا فارس الهيجا ويا قمر الأرض؟**

والله لولا أي قد أمنت نظراءك لما ارتد إليك طرفك حتى أخضبك بدمك. فقال أبو نخيلة:

**كنا أناساً نرهب الأملكا**

يعفو السفاح عنه ويخوله اختيار جارية فلا يحمدها: وذكر الأبيات المتقدمة كلها مثل ما مضى من ذكرها، فتبسم أبو العباس، ثم قال له: أنت شاعر وطالب خير . وما زال الناس يمدحون الملوك في دولهم، والتوبة تكفر الخطيئة، والظفر يزيل الحقد. وقد عفونا عنك، واستأنفنا الصنيعة لك. وأنت الآن شاعرنا فاتسم بذلك فيزول عنك ميسم بني مروان، فقد كفر هذا ذاك. كما قلت. ثم التفت إلى أبي الخصيب فقال: يا مرزوق، أدخله دار الرقيق فخيره جارية يأخذها لنفسه، ففعل واختار جارية وطفاء كثيرة اللحم فلم يحمدها، فلما كان من غد دخل على أبي العباس وعلى رأسه وصيفة حسناء تذب عنه، فقال له: قد عرفت خبر الجارية التي أخذتها بالأمس وهي كذنا كونه فاحتفظ بها، فأنشأ يقول:

**غير منيك فابغني منيكا**

**إني وجدت الكذنا ذنوكا**

**حتى إذا حركته تحركا**

فضحك أبو العباس، وقال: خذ هذه الوصيفة، فإنك إذا خلوت بها تحرك من غير أن تحركه. رجزه وقد هرب من دين طولب به: أخبرني هاشم بن محمد الخزامي قال: حدثنا أبو غسان دماذ عن أبي عبيدة قال: أدان أبو نخيلة من بقال له يقال له: ماعز الكلابي باليمامة، وكان يأخذ منه أولاً أولاً حتى كثر ما عليه وثقل، فطالبه ماعز فمطله، ثم بلغه أنه قد استعدى عليه عامل اليمامة، فارتحل يريد الموصل، وخرج عن اليمامة ليلاً، فلم يعلم به ماعز إلا بعد ثلاث. وقد نجا أبو نخيلة وقال في ذلك:

**لقد خدعت ولقد هجيتا**

**يا ماعز الكراث قد خزيتنا**

**وكنت ذا حظ فقد محيتا**

**كدت تخصينا فقد خصيتا**

**ولا بأي حجر رميتا**

**ويحك لم تعلم بمن صليتا**

**يركب شديقا شديقا هريتا**

**إذا رأيت المزيد الهبوتا**

**حران حران فهيتا هيتا**

**طر بجناحيك فقد أتيتا**

**حيث تبيع النبط البيوتا**

**والموصل الموصل أو تكريتا**

**ويأكلون العدس المريتا**

وقال أيضاً لماعر هذا:

يا ماعز القمل وبيت الذل  
وبات شيطان القوافي يملي  
على امرئ فحل وغير فحل  
لا خير في علمي ولا في جهلي  
لو كان أودى ماعز بنخلي  
ما زال يقليني و عيمي يغلي  
بتناوبات البغل في الإصطبل  
طبقت تطبيق الجراز النصل

نسخت من كتاب اليوسفي.

يقرن مدح الممدوح بمدح سائسه: حدثني المنمق بن جماع عن أبيه قال: كان أبو نخيلة ندلاً يرضيه القليل، ويسخطه، وكان الربيع يتزله عنده، ويأمر سائساً يتفقد فرسه، فمدح الربيع بأرجوزة، ومدح فيها معه سائسه فقال:

لولا أبو الفضل ولولا فضله  
ومن صلاح راشد إصطبله  
يسمن منه طرفه ويغله  
ما اسطيع باب لا يسني قفله  
نعم الفتى وخير فعل فعله

فضحك الربيع، وقال: يا أبا نخيلة أترضى أن تقرن بي السائس في مديح! كأنك لو لم تمدحه معي كان يضيع فرسك.

يمدح خباز مضيفه: قال: ونزل أبو نخيلة بسليمان بن صعصعة، فأمر غلامه بتعهده، وكان يغاديه ويراوحه في كل يوم بالخبز واللحم، فقال أبو نخيلة يمدح خباز سليمان بن صعصعة:

بارك ربي فيك من خباز  
تتصب باللحم انصباب الباز  
ما زلت إذ كنت على أوفاز

شعره وقد رأى اجتهاد العمال في أرض له: أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي قال: حدثنا عيسى بن إسماعيل تينة قال: حدثنا أحمد بن المعدل عن علي بن أبي نخيلة الحماني قال: دخلت مع أبي إلى أرض له وقد قدم من مكة، فرآها وقد أضر بها جفاء القيم عليها وتهاونه بها، وكلما رآه الذين يسقونها زادوا في العمل والعمارة حتى سمعت نقيض الليف، فقلت: الساعة يقول في هذا شعراً، فلم ألبث أن التفت إلي وقال:

شاهد مالاً رب مال فساسه  
أقام بها العصرين حيناً ولم يكن  
كأن نقيض الليف عن سعفاته  
كمن صن عن عمرانها بالدرهم  
نقيض رحال الميس فوق العياهم  
سياسة شهيم حازم وابن حازم

## وأضحت تغالي بالنبات كأنها

## على متن شيخ من شيوخ الأعاجم

### وما الأصل ما رويت مضرب عرقه

### من الماء عن إصلاح فرع بنائم

أخبرني بهذا الخبر محمد بن يزيد عن أبي الأزهر البوشنجي قال: حدثنا حماد بن إسحاق الموصلي عن النضر بن حديد عن أبي محضة عن الأزرق بن الخميس بن أرطاة - وهو ابن أخت أبي نخيلة - فذكر قريباً مما ذكر في الخبر الذي قبله.

يسأل فلا يعطى فيهبجو ثم يعطى فيمدح: وأخبرني عيسى بن الحسن الوراق المروزي قال: حدثنا علي بن محمد النوفلي قال: حدثني أبي قال: ابتاع أبو نخيلة داراً في بني حمان ليصحح بها نسبه، وسأل في بنائها، فأعطاه الناس اتقاء للسانه وشره، فسأل شبيب بن شيبة فلم يعطه شيئاً واعتذر إليه، فقال:

### يا قوم لا تسودوا شيبيا

### الملذان الخائن الكذوبا

### هل تلد الذبية إلا الذيبا

فقال شبيب: ما كنت لأعطيه على هذا القول شيئاً، فإنه قد جعل إحدى يديه سطحاً، وملاً الأخرى سلاحاً، وقال: من وضع شيئاً في سطحي وإلا ملأته بسلحي، من أجل دار يريد أن يصحح نسبه بها، فسفر بينهما مشايخ الحي يعطيه، فأبى شبيب أن يعطيه شيئاً، وحلف أبو نخيلة ألا يكف عن عرضه أو يأخذ منه شيئاً يستعين به. فلما رأى شبيب ذلك خافه، فبعث إليه بما سأل، وغدا أبو نخيلة عليه وهو جالس في مجلسه مع قومه، فوقف عليهم، ثم أنشأ يقول:

### إذا غدت سعد على شيبيا

### على فتاها وعلى خطيبها

### من مطلع الشمس إلى مغيبها

### عجبت من كثرتها وطيبها

ينتحل أرجوزة لرؤية وينشدها فيفجؤه رؤية من مرقدته فيعتذر: أخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال: حدثنا أبو حاتم عن أبي عبيدة قال: دخل أبو نخيلة على عمر بن هبيرة، وعنده رؤية قد قام من مجلسه فاضطجع خلف ستر، فأنشد أبو نخيلة مديحه له، ثم قال ابن هبيرة: يا أبا نخيلة، أي شيء أحدثت بعدنا؟ فاندفع ينشده أرجوزة لرؤية، فلما توسطها كشف رؤية الستر، وأخرج رأسه من تحته، فقال له: كيف أنت يا أبا نخيلة؟ فقطع إنشاده وقال: بخير أبا العجاج، فمعدرة إليك ما علمت بمكانك، فقال له رؤية: ألم ننهك أن تعرض لشعري إذا كنت حاضراً، فإذا ما رغبت فشأنك به! فضحك أبو نخيلة، وقال: هل أنا إلا حسنة من حسناتك، وتابع لك، وحامل عنك؟ فعاد رؤية إلى موضعه فاضطجع، ولم يراجعه حرفاً. والله أعلم.

بمدح ثم لا يرضى الجائزة فيهبجو، ثم يزداد فيمدح: أخبرني هاشم بن محمد قال: حدثنا دماذ عن أبي عبيدة: أن أبا نخيلة قدم على المهاجر بن عبد الله الكلابي - وكان أبو نخيلة أشبه خلق الله بو وجهاً وجسماً وقامة، لا يكاد الناظر إلى أحدهما أن يفرق بينه وبين الآخر - فدخل عليه فأنشده قوله فيه:

يا دار أم مالك ألا اسلمي  
كيف أنا إن أنت لم تكلمي  
تقول لي بنتي ملام اللوم  
فقلت كلا فاعلمي ثم اعلمي  
لو كنت في ظلمة شعب مظلم  
لا نصب مقداري إلى مجرثمي  
ورب حوض زمزم وزمزم  
على التناهي من مقام وانعمي  
بالوحي أو كيف بأن تجممي  
يا أبنا إنك يوماً مؤثمي  
أني لميقات كتاب محكم  
أو في السماء أرتقي بسلم  
إني ورب الراقصات الرسم  
لأستبين الخير عند مقدمي

وعند ترحالي عن مخيمي  
فإنني بالعلم ذو ترسم  
حتى تبينت قضايا الغشم  
أنت إذا انتجعت خير مغم  
ولتميم منك خير مقسم  
قد علم الشأم وكل موسم  
طوراً وطوراً أنت مثل العلقم  
على ابن عبد الله قرم الأقرم  
لم أدر ما مهاجر التكرم  
مهاجر يا ذا النوال الخضرم  
مشترك النائل جم الأنعم  
إذا التقوا شتى معاً كالهميم  
أنك تحلو لي كحلو المعجم

قال: فأمر له المهاجر بناقة، فتركها ومضى مغضباً، وقال يهجو:

إن الكلابي اللئيم الأثر ما  
ما جبر العظم ولكن تما

فبلغ ذلك المهاجر، فبعث فترضاه، وقام في أمره بما يجب، ووصله، فقال له أبو نخيلة: هذه صلة المديح، فأين صلة الشبه؟ فإن التشابه في الناس نسب، فوصله حتى أرضاه، فلم يزل يمدحه بعد ذلك حتى مات، وراثه بعد وفاته فقال:

خليلي مالي باليمامة مقعداً  
مضى ما مضى من صالح العيش فاربعاً  
ولا قرّة للعين بعد المهاجر  
على ابن سبيل مزعم البين عابر  
فإن تك في ملحودة يا بن وائل  
فقد كنت زين الوفد زين المنابر  
وقد كنت لولا سلك السيف لم ينم  
مقيم ولم تأمن سبيل المسافر

لعز على الحيين قيس وخذق

تبكي علي والوليد وجابر

هوى قمر من بينهم فكأنما

هوى البدر من بين النجوم الزواهر

يهجو أخته لأنها خاصمته في مال لها: أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي قال: حدثنا دماذ عن أبي عبيدة قالك تزوجت أخت أبي نخيلة برجل يقال له ميار ، وكان أبو نخيلة يقوم بمالها مع ماله، ويرعى سوامها مع سوامه، ويستبد عليها بأكثر منافعها، فخاصمته يوماً من وراء حدرها في ذلك، فأنشأ يقول:

أطل أرعى وترا هزينا

ململما ترى له غصونا

ذا ابن مقوماً عثنونا

يطعن طعناً يقضيب الوتينا

ويهتك الأعفاج والربينا

يذهب ميار وتقعدينا

وتفسدين أو تبذرينا

وتمنحين استك آخرينا

أير الحمار في است هذا دينا

يطلق امرأته لأنها ولدت بنتاً، ثم يراجعها ويرق للبنت: أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي قال: حدثنا دماذ عن أبي عبيدة قال: تزوج أبو نخيلة امرأة من عشيرته، فولدت له بنتاً، فغمه ذلك، فطلقها تطليقة ثم ندم، وعاتبه قومه فراجعها. فبينما هو في بيته يوماً إذ سمع صوت ابنته وأمها تلاعبها، فحركه ذلك ورق لها، فقام إليها فأخذها، وجعل يتربها ويقول:

يا بنت من لم يك يهوى بنتاً

ما كنت إلا خمسة أو ستا

حتى حللت في الحشى وحتى

فتت قلبي من جوى فانفتا

لأنت خير من غلام أنتا

يصبح مخموراً ويمسي سبتا

يسأل المهدي زائراً أي النساء أحب إليه فيفضل التي وصفها أبو نخيلة: أخبرني جعفر بن قدامة قال: حدثني هارون بن محمد بن عبد الملك الزيات قال: حدثنا أبو هفان قال: حدثني أصحابنا الأهتميون قالوا: دخل عقال بن شبة الجاشعي على المهدي فقال له: أيا أبا الشيطم، ما بقي من حبك بنات آدم؟ وما يعجبك منهن؟ التي عصبت عصب الجان ، وجدلت جدل العنان، واهترت اهتراز البان، أم التي بدنت فعظمت وكملت فتمت؟ فقال: يا أمير المؤمنين أحبهما إلي التي وصفها أبو نخيلة، فإنه كانت له جارية صغيرة وهبها له عمك أبو العباس السفاح، فكان إذا غشيها صغرت عنه، وقلت تحته، فقال:

إني وجدت الكذنا ذنوكا

غير منيك فابغني منيكا

شييناً إذا حركته تحركا

قال، فوهب له المهدي جارية كاملة فائقة متأدبة ربعة ، فلما أصبح عقال غدا على المهدي متشكراً، فخرج المهدي وفي يده مشط يسرح به لحيته وهو يضحك، فدعا له عقال وقال له: يا أمير المؤمنين مم تضحك؟ أدام الله سرورك. قال: يا أبا الشيطان، إني اغتسلت آنفاً من شيء إذا حركته تحرك، وذكرت قولك الآن لما رأيتك، فضحكت.

يرثي ممدوحاً له كان يكثره بره:

أخبرني محمد بن جعفر النحوي صهر المبرد قال: حدثني أحمد بن القاسم العجلي البرقي قال: حدثني أبو هفان قال: حدثني رقية بنت حمل عن أبيها قال: كان أبو نخيلة مداحاً للجنيدي بن عبد الرحمن المري، وكان الجنيدي له محباً، يكثر رفته ويقرب مجلسه، ويجسن ، إليه فلما مات الجنيدي قال أبو نخيلة يرثيه:

لعمري لئن ركب الجنيدي تحملوا  
إلى الشام من مر وراحت ركائبه  
لقد غادر الركب الشامون خلفهم  
فتى غطفانيا يعلل جانبه  
فتى كان يسرى للعدو كأنما  
سروب القطا في كل يوم كتائبه  
وكان كأن البدر تحت لوائه  
إذا راح في جيش وراحت عصائبه

تلومه امرأة له على شدة حبه لابنه فيمدحها فتسكت عنه: أخبرنا محمد بن جعفر قال: حدثني أحمد بن القاسم قال: حدثني أبو هفان عن عبد الله بن داود عن علي بن أبي نخيلة ، قال: كان أبي شديد الرقة علي معجباً بي، فكان إذا أكل خصني بأطيب الطعام، وإذا نام أضجعي إلى جنبه، فغاظ ذلك امرأته أم حماد الحنفية، فجعلت تعذله وتؤنبه، وتقول: قد أقمت في منزلك، وعكفت على هذا الصبي، وتركت الطلب لولدك وعيالك. فقال أبي في ذلك:

ولولا شهوتي شفني علي  
ولكن الوسائل من علي  
ربعت على الصحابة والركاب  
خلصن إلى الفؤاد من الحجاب  
قال، فازدادت غضباً، فقال لها:  
وليس كأمر حماد خليل  
منعمة أرى فتقر عيني  
إذا ما الأمر جل عن الخطاب  
وتكفيني خلائقها عتابي

فرضيت وأمسكت عنا.

يمدح بيت علي مثال بيت ثمانه الممدوح: حدثني عمي قال: حدثني هارون بن محمد بن عبد الملك قال حدثني سهل بن زكريا قال: حدثني عبد الله بن أحمد الباهلي قال: قال أبان بن عبد الله النميري يوماً لجلسائه - وفيهم أبو نخيلة - : والله لوددت أنه قيل في ما قيل في جرير بن عبد الله:

لولا جرير هلكت بجيله  
نعم الفتى وبئست القبيله

وأني أثبت على ذلك مالي كله، فقال له أبو نخيلة: هلم الثواب، فقد حضرنى من ذلك ما تريد، فأمر له بدراهم، فقال: اسمع يا طالب ما يجزيه:

**لولا أبانٌ هلكت نمير** **نعم الفتى وليس فيهم خير**

يستأذن على أبي جعفر فلا يصل، ويقول في ذلك شعراً: أخبرني محمد بن عمران الصيرفي قال: حدثنا الحسن بن عليل العززي قال: حدثنا سلمة بن خالد المازني عن أبي عبيدة قال: وقف أبو نخيلة على باب أبي جعفر واستأذن، فلم يصل، وجعلت الخراسانية تدخل وتخرج، فتهازأ به، فيرون شيخاً أعرابياً جلفاً فيبعثون به، فقال له رجل عرفه: كيف أنت أبا نخيلة؟ فأنشأ يقول:

**أصبحت لا يملك بعضي بعضاً** **أشكو العروق الأبخضات أبضا**

**كما تشكي الأرحبي الغرضاً** **كأنما كان شبابي قرصاً**

فقال له الرجل: وكيف ترى ما أنت فيه في هذه الدولة؟ فقال:

**أكثر خلق الله من لا يدري** **من أي خلق الله حين يلقى**

**وحلةٌ تنتشر ثم تطوى** **وطيلسانٌ يشتري فيغلى**

**لعبد عبدٍ أو لمولى مولى** **يا ويح بيت المال ماذا يلقى!**

يسأل عن ممدوح له فيعدد هباته له: وبهذا الإسناد عن أبي عبيدة أن أبا نخيلة قدم على أبان بن الوليد فامتدحه، فكساه ووهب له جارية جميلة، فخرج يوماً من عنده، فلقيه رجل من قومه، فقيل له: كيف وجدت أبان بن الوليد يا أبا نخيلة؟ فقال:

**أكثر والله أبان ميري** **ومن أبان الخير كل خيرى**

**ثوب لجلدي وحر لأيري**

نسخت من كتاب اليوسفي يصاب بتخمة: حدثني خالد بن حميد عن أبي عمرو الشيباني قال: أقحمت السنة أبا نخيلة فأتى القعقاع بن ضرار -وهو يومئذ على شرطة الكوفة- فمدحه، وأنزله القعقاع بن ضرار وابنيه وعبيده وركابهم في دار، وأقام لهم الأنزال، ولركابهم العلوقة. وكان طباخ القعقاع يجيئهم في كل يوم بأربع قصاع، فيها ألوان مطبوخة من لحوم الغنم، ويأتيهم بتمر وزبد، فقال له يوماً القعقاع: كيف منزلك أبا نخيلة؟ فقال:

**ما زال عنا قصعات أربع** **شهرين دأبا ذود ورجع**

**عبداي وابناي وشيخ يرفع** **كما يقوم الجمل المطبع**

قال: وكان أبو نخيلة يكثر الأكل فأصابته تخمة، فدخل على القعقاع فسأله: كيف أصبحت أبا نخيلة؟ فقال: أصبحت والله بشما أمرت خبازك فأتاني بهذا الرقاق الذي كأنه الثياب المبلولة، قد غمسه في الشحم غمساً، وأتبعه بزيد، كرأس النعجة الخرسية، وتمر كأنه عتر رابضة. إذا أخذت التمرة من موضعها تبعها من الرب كالسلوك الممدودة، فأمنعت في ذلك، وأعجبي حتى بشمت، فهل من أقداح جياذ؟ وبين يدي القعقاع حجام واقف وسفرةً موضوعة فيها المواسي، فإذا أتني بشراب النبيذ حلق رؤوسهم ولحاهم. فقال له القعقاع: أتطلب مني النبيذ وأنت ترى ما أصنع بشرابه؟ عليك بالعلس والماء البارد، فوثب ثم قال:

قد علم المظل والمبيت  
 أني من القعقاع فيما شيت  
 إذا أتت مائدة أتيت  
 ببدع لست بها غذيت  
 وليت فاستشفعت واستعديت  
 كأنني كنت الذي وليت  
 ولو تمنيت الذي أعطيت  
 ما ازددت شيئاً فوق ما لقيت  
 أيا بن بيت دونه البيوت  
 أقصر فقد فوق القرى قرئت  
 ما بين شرابي عسلٌ منعوت  
 ولا فرات صرد بيوت  
 لكني في النوم قد أريت  
 رطل نبيذ مخفس سقيت  
 صلباً إذا جاذبته رويت

فغمزه على إسماعيل ابن أخيه، وأوماً إلى إسماعيل، فأخذ بيده ومضى به إلى منزله، فسقاه حتى صلح. يمدح السفاح ويغضب في مدحه بعض أهل المجلس فيحرض عليه السفاح: أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي قال: حدثنا قعنّب بن الحرز وأبو عمرو الباهلي قالا: حدثنا الأصمعي قال: دخل أبو نخيلة على أبي العباس السفاح، وعنده أبو صفوان إسحاب بن مسلم العقيلي، فأنشده قوله:

صادتك يوم الرملتين شعفر  
 وقد يصيد القانص المزعفر  
 يا صورةً حسنهما المصور  
 للريم منها جيدها والمحجر  
 يقول فيها في مدح أبي العباس:

حتى إذا ما الأوصياء عسكروا  
 وقام من تبر النبيي الجوهر  
 ومن بني العباس نبع أصفر  
 ينميه فرغ طيب وعنصر  
 أقبل بالناس الهوى المستبهر  
 وصاح في الليل نهار أنور  
 أنا الذي لو قيل إنني أشعر  
 جلي الضباب الرجز المخبر

لما مضت لي أشهر وأشهر  
لا يستخفك ركب يصدر  
وخالفي الأنبياء فهي المحشر  
مني فإنني كل جنح أحضر  
والغيث يرجى والديار تنضر  
حتى زهاماً مسجد ومنبر  
لا غائب ولا أناس حضر  
وأمت الأنبار داراً تعمر  
حصصاً وباب التبن والموقر  
وواسط لم يبق إلا القرقر

قلت لنفس تزدهى فتصبر  
لا منجد يمضي ولا مغور  
أو يسمع الخليفة المطهر  
وإن بالأنبار غيثاً يهمر  
ما كان إلا أن أتاها العسكر  
لم يبق من مروان عين تنتظر  
هيهات أودى المنعم المعقر  
وخربت من الشام ادور  
ودمرت بعد امتناع تدمر  
منها وإلا الدير بان الأخضر

"ومنها"

أين أبو الورد وأين الكوثر

أبو الورد بن هذيل بن زفر، وكوثر بن الأسود صاحب شرطة مروان .

وأين فل لم يفت محير

وأين مروان وأين الأشقر

وعامر وعامر وأعصر؟

وأين عاديك المجمعهر

-قال: يعني عامر بن صعصعة، وعامر بن ربيعة، وأعصر باهلة وغني- قال: فغضب إسحاق بن مسلم، وقال: هؤلاء كلهم في حر أمك أبا نخيلة، فأنكر الخليفة عليه ذلك، فقال: إني والله يا أمير المؤمنين قد سمعت منه فيكم شراً من هذا في مجالس بني مروان. وما له عهد، وما هو بوفي ولا كريم. فبان ذلك في وجه أبي العباس، وقال له قولاً ضعيفاً: إن التوبة تغسل الحوبة، والحسنات يذهبن السيئات، وهذا شاعر بني هاشم. وقام فدخل، وانصرف الناس، ولم يعط أبا نخيلة شيئاً.

يدعو في رجز له إلى تولية المهدي العهد فيجيزه المنصور: وأخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار الثقفي حدثنا علي بن محمد بن سليمان النوفلي قال: حدثني أبي عن عبد الله بن أبي سليم مولى عبد الله بن الحارث قال: بينا أنا أسير مع أبي الفضل يعني -سليمان بن عبد الله- وحدي بين الحيرة والكوفة - وهو يريد المنصور، وقد هم بتولية المهدي العهد وخلع عيسى بن موسى، وهو يروض ذلك- إذا هو يأبي نخيلة الشاعر، ومعه ابنان له وعبد، وهم يحملون متاعه. فقال له: يا أبا نخيلة، ما هذا الذي أرى؟ قال: كنت نازلاً على القعقاع بن معبد أحد ولد معبد زرارة، فقلت شعراً فيما عزم عليه أمير المؤمنين من تولية المهدي العهد ونزع عيسى بن موسى،

فسألني التحول عنه، لئلا يناله مكروه من عيسى إذ كان صنيعته، فقال سليمان: يا عبد الله، اذهب بأب نخيلة  
فأنزله منزلاً وأحسن نزله وبره ، ففعلت. ودخل سليمان إلى المنصور فأخبره الخبر، فلما كان يوم البيعة جاء بأبي  
نخيلة فأدخله على المنصور، فقام فأنشد الشعر على رؤوس الناس، وهي قصيدته التي يقول فيها:

بل يا أمين الواحد الموحد      إن الذي ولاك رب المسجد  
ليس ولي عهدنا بالأسعد      عيسى فزحلفها إلى محمد  
من عند عيسى معهدا عن معهد      حتى تؤدى من يد إلى يد

قال: فأعطاه المنصور عشرة آلاف درهم، قال: وبايع محمد بالعهد، فانصرف عيسى بن موسى إلى منزله، قال:  
فحدثني داود بن عيسى بن موسى قال: جمعنا أبي فقال: يا بني، قد رأيت ما جرى، فأبما أحب إليكم: أن يقال  
لكم: ابني المخلوع، أو يقال لكم: يا بني المفقود؟ فقلنا: لا، بل يا بني المخلوع. فقال: وفقتم بني. وأول هذه  
الأرجوزة التي هذه الأبيات منها:

لم ينسني يا بنة آل معبد      ذكراك تكرر الليالي العود  
ولا ذوات العصب المورد      ولو طلبن الود بالتودد  
ورحن في الدر وفي الزبرجد      هيهات منهن وإن لم تعهدي  
نجديّة ذات معانٍ منجد      كأن رياها بعيد المرقد  
ريا الخزامى في ثرى جعدٍ ندى      كيف التصابي فعل من لم يهتد  
وقد علنتي درة بادي بدي      ورثيةً تنهض في تشددي  
بعد انتهاضي في الشباب الأملد

يقول فيها:

إلى أمير المؤمنين فاعمد      إلى الذي يندى ولا يندى ندى  
سيرى إلى بحر البحار المزيد      إلى الذي إن نفذت لم ينفد  
أو ثمدت أشراعها لم يثمد

ويقول في ذكر البيعة لمحمد بعد الأبيات التي مضت في صدر الخبر:

فقد رضينا بالغلام الأمرد      وقد فرغنا غير أن لم نشهد  
وغير أن العقد لم يؤكد      فلو سمعنا قولك امدد امدد  
كانت لنا كزعة الورد الصدى      فناد للبيعة جمعا نحشد

واصنع كما شئت ورد يردد

فهو رداء الساق المقلد

عادت ولو قد نقلت لم تردد

لله دري من أخ ومنشد

في يومنا الحاضر هذا أو غد

ورده منك رداء يرتد

وكان يروي أنها كأن قد

أقول في كرى أحاديث الغد

لو نلت حظ الحبشي الأسود

-يعني أبا دلامة.

خبر آخر من أرجوزة العهد للمهدي: فأخبرني عبد الله بن محمد الرازي قال: حدثنا أحمد بن الحارث قال: حدثنا المدائني -أن أبا نخيلة أظهر هذه القصيدة التي رواها الخدم والخاصة، وتناشدها العامة، فبلغت المنصور فدعا به، وعيسى بن منصور عنده جالس عن يمينه، فأنتشه إياها، وأنصت له حتى سمعها إلى آخرها. قال: أبو نخيلة: فجعلت أرى فيه السرور، ثم قال لعيسى بن موسى: ولئن كان هذا عن رأيك لقد سررت عمك، وبلغت من مرضاته أقصى ما يبلغه الولد البار السار. فقال عيسى: لقد ضللت إذاً وما أنا من المهتدين. قال: أبو نخيلة: فلما خرجت لحقني عقاب لن شبة فقال: أما أنت فقد سررت أمير المؤمنين، ولئن تم الأمر فلعمري لتصبين خيراً، ولئن لم يتم فابتغ نفقاً في الأرض، أو سلماً في السماء. فقلت له:

### علقت معالقتها وصر الجندب

خبر ثالث عن هذه الأرجوزة: قال المدائني: وحدثني بعض موالي المنصور قال: لما أراد المنصور أن يعقد للمهدي أحب أن تقول الشعراء في ذلك، فحدثني عبد الجبار بن عبيد الله الحماني قال: حدثني أبو نخيلة قال: قدمت على أبي جعفر، فأقمت ببابه شهراً لا أصل إليه، فقال لي عبد الله بن الربيع الحارثي: يا أبا نخيلة، إن أمير المؤمنين يريد أن يقدم المهدي بين يدي عيسى بن موسى، فلو قلت شيئاً على ما يريد، فقلت:

أم ما مرى دمعك من ذكراكا؟

أسند إلى محمد عصاكا

وابنك ما استكفيتك كفاكا

لو قلت هاتوا قلت هاك هاكا

ماذا على شحط النوى عناكا

وقد تكبيت فما أبكاكا

وذكر أرجوزة طويلة يقول فيها:

خليفة الله وأنا ذاكا

فأحفظ الناس لها أدناكا

وكلنا منتظر لذاكا

المنصور يحذره عيسى بن موسى وعيسى يوكل به من يقتله: قال: فأنشدته إياها، فوصلني بألفي درهم، وقال لي: احذر عيسى بن موسى، فإني أخافه عليك أن يغتالك. قال المدائني: وخلع أبو جعفر عيسى بن موسى، فبعث عيسى في طلب أبي نخيلة، فهرب منه، وخرج يريد خراسان، فبلغ عيسى خبره، فجرد خلفه مولى له يقال له: قطري، معه عدة من مواليه، وقال له: نفسك نفسك أن يفوتك أبو نخيلة، فخرج في طلبه مغذاً للسير، فلحقه في طريقه إلى خراسان، فقتله وسلخ وجهه. ونسخت من كتاب القاسم بن يوسف عن خالد بن حمل أن علي بن أبي نخيلة حدثه أن المنصور أمر أبا نخيلة أن يهرب إلى خراسان، فأخذه قطري وكتفه فأضجعه، فلما وضع السكين على أوداجه قال: إيه يا بن اللخناء، ألسن القائل:

### علقت معالقتها وصر الجندب

الآن صر جندبك. فقال: لعن الله ذاك جندباً، ما كان أشأم ذكره! ثم ذبحه، قطري، وسلخ وجهه، وألقى جسمه إلى النسور، وأقسم لا يريم مكانه حتى تمزق السباع والطيور لحمه، فأقام حتى لم يبق منه إلا عظامه، ثم انصرف. أبو الأبرش يشمت به لمهاجات كانت بينهما: أخبرنا جعفر بن قدامة قال: حدثنا أبو حاتم السجستاني قال: حدثني الأصمعي عن سعيد بن سلم عن أبيه قال: قلت لأبي الأبرش: مات أبو نخيلة، قال: حتف أنفه؟ قلت: لا، بل اغتيل فقتل. فقال: الحمد لله الذي قطع قلبه، وقبض روحه، وسفك دمه، وأراخى منه، وأحياني بعده. وكان أبو نخيلة يهاجي الأبرش، فغلبه أبو نخيلة.

### صوت

ة الخدر في اليوم المطير

مشي القطة على الغدير

كتنفس الطيبي البهير

ولقد دخلت على الفتا

فدفعنها فتدافعت

فلثمتها فتنفست

الشعر للمنخل الإشكري، والغناء لإبراهيم، ثاني ثقيل بالوسطى عن عمرو وأحمد المكي.

## الجزء الحادي والعشرون

### أخبار المنخل ونسبه

هو المنخل بن عمرو - ويقال: المنخل بن مسعود - بن أفلت بن عمرو بن كعب بن سواة بن غنم بن حبيب بن يشكر بن بكر بن وائل. وذكر أبو محلم النسابة: أنه المدخل بن مسعود بن أفلت بن قط بن سواة بن مالك بن ثعلبة بن حبيب بن غنم بن حبيب بن كعب بن يشكر. وقال ابن الأعرابي: هو المنخل بن الحارث بن قيس بن عمرو بن ثعلبة بن عدي بن جشم بن حبيب بن كعب بن يشكر. يتهمه النعمان بالمتجرّدة فيقتله: شاعر مقل من شعراء الجاهلية، وكان النعمان بن المنذر قد اتهمه بامرأته المتجرّدة ت وقيل: بل وجدته معها، وقيل: بل سعي به إليه في أمرها فقتله، وقيل: بل حبسه، ثم غمض خيره، فلم تُعلم له حقيقة إلى اليوم. فيقال: إنه دفنه حياً، ويقال: إنه غرقه. والعرب تضرب به المثل كما تضربه بالقارظ العتري وأشباهه ممن هلك ولم يعلم له خبر. وقال ذو الرمة:

وليست بأدنى من إياب المنخل

تقارب حتى تظمع التابع الصبا

وقال النمر بن توب:

وتلاقونه حتى يئوب المنخل

وقولي إذا ما أطلقوا عن بغيرهم

تفضيل سبب قتله: أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان، قال أخبرني أحمد بن زهير قال: أخبرني عبد الله بن كريم قال: أخبرني أبو عمرو الشيباني قال:

كان سبب قتل المنخل أن المتجرّدة - واسمها ماوية وقيل: هند بنت المنذر بن الأسود الكلبيّة - كانت عند ابن عم لها يقال له: حلم، وهو الأسود بن المنذر بن حارثة الكلبي، وكانت أجمل أهل زمانها، فرآها المنذر بن المنذر الملك اللخمي فعشقتها، فجلس ذات يوم على شرايه ومعه حلم وامرأته المتجرّدة، فقال المنذر لحلم: إنه لقبيح بالرجل أن يقيم على المرأة زماناً طويلاً حتى لا يبقى في رأسه ولا لحيته شعرة بيضاء إلا عرفتها، فهل لك أن تطلق امرأتك المتجرّدة وأطلق امرأتي سلمى؟ قال: نعم، فأخذ كل واحد منهما على صاحبه عهداً. قال: فطلق المنذر امرأته سلمى، وطلق حلم امرأته المتجرّدة، فتزوجها المنذر ولم يطلق لسلمى أن تتزوج حلماً، وحجبها - وهي أم ابنه النعمان بن المنذر - فقال النابغة الذبياني يذكر ذلك:

حتى تبطنها الخداع ذو الحلم

قد خادعوا حلماً عن حرة خرد

قال: ثم مات المنذر بن المنذر، فتزوجها بعده النعمان بن المنذر ابه، وكان قصيراً دميماً أبرش، وكان ممن يجالسه ويشرب معه النابغة الذبياني - وكان جميلاً عفيفاً - والمنخل اليشكري - وكان جميلاً - وكان يتهم بالمتجرده. فأما النابغة فإن النعمان أمره بوصفها فقال قصيدته التي أولها:

عجلان ذا زاد وغير مزود

من آل مية رائح أو مغتدي

ووصفها فأفحش فقال:

رابي المجسة بالعبير مقرم

وإذا طعنت طعنت في مشتهدف

نزع الحزور بالرشاء المحصد

وإذا نزعت نزعت معن مستحصف

فغار المنخل من ذلك، وقال: هذه صفة مُعَين، فهم النعمان بقتل النابغة حتى هرب منه، وخلا المنخل بمجالسته، وكان يهوي المتجرده وهواه، وقد ولدت للنعمان غلامين جميلين يشبهان المنخل، وكانت العرب تقول: إلهما منه. فخرج النعمان لبعض غزواته - قال ابن الأعرابي: بل خرج متصيِّداً - فبعثت المتجرده إلى المنخل فأدخلته قُبَّتْها، وجعلا يشربان، فأخذت خلخالها وجعلته في رجله، وأسدلت شعرها فشددت خلخالها إلى خلخاله الذي في رجله من شدة إعجابها به. ودخل النعمان بعقب ذلك فرأها على تلك الحال، فأخذه فذفعه إلى رجل من حرسه من تغلب يقال له: عكَب، وأمره بقتله، فعذبه حتى قتله. يجرّض على عكَب قاتله: فقال المنخل يجرّض قومه عليه:

بأن القوم قد قتلوا أبنياً

ألا من مبلغ الحيين عني

فلا رويتم أبداً صدياً

فإن لم تأروا لي من عكَب

وقال أيضاً:

م وقومي يُنتجون السخالا

ظلّ وشطّ الندى قتلى بلا جرّ

من شعره في المتجرده: وقال في المتجرده:

بلا سيف يعد ولا نبال

ديار للتي قتلتك غصبا

له خبل يزيد على الخبال

بطرف ميت في عين حي

وقال أيضاً:

ة الخدر في اليوم المطير

ولقد دخلت على الفتا

قل في الدمقس وفي الحرير

الكاعب الخنساء تر

مشى القطة إلى الغدير

دافعتها فتدافعت

كتنفس الظبي البهير

ولثمتها فتنفست

ورنت وقالت يامنخ  
ل هل بجسمك من فتور؟  
ما مس جسمي غير حب  
ك فاهدئي عني وسيري  
يا هند هل من نائل  
يا هند للعاني الأسير؟  
وأحبها وتحبني  
ويحب ناقتها بعيري  
ولقد شربت من المدا  
ممة بالكبير وبالصغير  
فإذا سكرت فإنني  
رب الخورنق والسريير  
وإذا صحت فإنني  
رب الشويهة والبعير  
يا رب يوم للمنخل قد لها فيه قصير

رواية أخرى لخير المنخل مع المتجردة: وأخبرني بخبر المنخل مع المتجردة أيضاً علي بن سليمان الأحفش قال:  
أخبرني أبو سعيد السكري عن محمد بن حبيب عن ابن الأعرابي قال:  
كانت المتجردة امرأة النعمان فاجرة، وكانت تتهم بالمنخل، وقد ولدت للنعمان غلامين جميلين يشبهان المنخل،  
فكان يقال: إنهما منه، وكان جميلاً وسيماً، وكان النعمان أحمر أبرش قصيراً دميماً. وكان للنعمان يوم يركب  
فيه يطليل المكث، وكان المنخل من ندمائه لا يفارقه، وكان يأتي المتجردة في ذلك اليوم الذي يركب فيه النعمان  
فيطيل عندها، حتى إذا جاء النعمان آذنتها بمحيته وليدة لها موكلة بذلك فتخرجه.  
فركب النعمان ذات يوم وأتاها المنخل كما كان يأتيها فلاعبته، وأخذت قيماً، فجعلت إحدى حلقتيه في رجله  
والأخرى في رجلها، وغفلت الوليدة عن ترقب النعمان؛ لأن القوت الذي يجيء فيه لم يكن قرب بعد، وأقبل  
النعمان حينئذ ولم يطل في مكثه كما كان يفعل، فدخل إلى المتجردة، فوجدها مع المنخل قد قيدت رجلها،  
ورجله بالقيد، فأخذه النعمان فدفعه إلى عكب صاحب سجنه ليعذبه - وعكب رجل من لحم - فعذبه حتى  
قتله. وقال المنخل قبل أن يموت هذه الأبيات، وبعث بها إلى ابنه:

ألا من مبلغ الحرين عني  
بأن القوم قد قتلوا أبيا  
وإن لم تتأروا لي من عكب  
فلا أرويتما أبداً صديا  
يطوف بي عكب في معد  
ويطعن بالملة في قفيا

الأصح أن قتله هو النعمان لا عمرو بن هند: قال ابن حبيب: وزعم ابن الجصاص أن عمرو بن هند هو قاتل  
المنخل، والقول الأول أصح.

قصيدته في المتجردة: وهذه القصيدة التي منها الغناء يقولها في المتجردة، وأولها قوله:

إن كنت عادلتني فسيري  
نحو العراق ولا تحوري

لي واذكري كرمي وخيري  
بجوانب البيت الكسير  
بمر قدحي أو شجيري

دني أبو أفعى جريري  
هو جاء جائلة الضفور  
سرباله باقي المسير  
ق إليك علقمة بن صير  
يا والأوانس في الخدور  
بالعصب والحلي الكثير  
النار أحلاس الذكور  
في كل محكمة القتير  
إن التلبب للمغير  
ت فوارس مثل الصقور  
ر يجفن بالنعيم الكثير  
نك والفوائح بالعبير  
وصائك كدم النحير  
نوم لم تعكف لزور  
ة الخدر في اليوم المطير  
فل في الدمقس وفي الحرير  
مشي القطاة إلى الغدير  
كتنفس الظبي البهير  
ل ما بجسمك من حرور؟  
ك فاهدئي عني وسيري

لا تسألني عن جل ما  
وإذا الرياح تناوحت  
أفيتني هس الندي

الشجير: القدح الذي لم يصلح حسناً، ويقال: بل هو القدح العارضة - .

ونهي أبو أفعى فقل  
وجلالة خطارة  
تعدو بأشعث قد وهي  
فضلا على ظهر الطري  
الواهب الكوم الصفا  
يصفيك حين تجيئه  
وفوارس كأوار حر  
شدوا دوابر بيضهم  
فاستألموا وتلببوا  
وعلى الجياد المضمرا  
يخرجن من خلل الغبا  
فشفيت نفسي من أول  
يرفلن في المسك الذكي  
يعكفن مثل أسود الت  
ولقد دخلت على الفتا  
الكاعب الخنساء تر  
فدفعتها فتدافعت  
ولثمته فتنفست  
فدنت وقالت يا منح  
ما شف جسمي غير حب

مة بالصغير وبالكبير  
عبد الصحيح وبالأسير  
رب الخورنق والسدير

ولقد شربت من المدا  
ولقد شربت الخمر بال  
فإذا سكرت فإنني

وإذا صحت فإنني رب الشويهة والبعير

ل قد لها فيه قصير  
يا هند للعاني الأسير

يا رب يوم للمنخ  
يا هند هل من نائل

ومن الناس من يزيد في هذه القصيدة:

ويحب ناقتها بعيري

وأحبها وتحبني

ولم أحده في رواية صحيحة.

### صوت

كتاب الله لو قبل الكتابا

لمن شيخان قد نشدا كلابا

فلا وأبي كلاب ما أصابا

أناشده فعرض في إباء

الشعر لأمية بن الأسكر الليثي، والغناء لعبد الله بن طاهر، رمل بالوسطى. صنعه ونسبه إلى لميس جاريتته، وذكر الهشامي أن اللحن لها، وذكره عبيد الله بن عبد الله بن طاهر في جامع أغانيهم ووقع إلي، فقال: الغناء فيه للدار الكبيرة، وكذلك كان يكتى عن أبيه، وعن إسحاق بن إبراهيم بن مصعب وجواريتهم، ويكنى عن نفسه وجاريتته شاجي وما يصنع في دور إخوته بالدار الصغيرة.

### أخبار أمية بن الأسكر ونسبه

#### نسبه

هو أمية بن حرثان بن الأسكر بن عبد الله بن سراييل الموت بن زهرة بن زينة بن جندع بن ليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة بن خزيمه بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار. شاعر فارس مخضرم أدرك الجاهلية والإسلام، وكان من سادات قومه وفرسانهم، وله أيام مأثورة مذكورة. عمر يستعمل ابنه كلابا على الأبله: وكان له أخ يقال له: أبو لاقع الدم، وكان من فرسان قومه وشعرائهم، وابنه كلاب بن أمية أيضاً أدرك النبي صلى الله عليه وسلم فأسلم مع أبيه، ثم هاجر إلى النبي صلى الله عليه وسلم

فقال أبوه فيه شعراً، ذكر أبو عمرو الشيباني أنه هذا الشعر، وهو خطأ، إنما خاطبه بهذا الشعر لما غزا مع أهل العراق لقتال الفرس، وخبره في ذلك يذكر بعد هذا.

قال أبو عمرو في خبره: فأمره صلى الله عليه وسلم بصلة أبيه وملازمته طاعته.

وكان عمر بن الخطاب استعمل كلاباً على الأبله، فكان أبواه ينتابانه، يأتيه أحدهما في كل سنة، ثم أبطأ عليه وكبرا فضغفا عن لقائه، فقال أبياتاً وأنشدها عمر، فرق له ورده إليهما، فلم يلبث معهما إلا مدة حتى نهشته أفعى؛ فمات وهذا أيضاً وهم من أبي عمرو، وقد عاش كلاب حتى ولي لزياد الأبله، ثم استعفى، أعفاه. وسأذكر خبره في ذلك وغيره ها هنا إن شاء الله تعالى: شعره لابنه كلاب لما أغزاه عمر وطالت غيبته عنه: فأما خبره مع عمر فإن الحسن بن علي أخبرني به، قال: حدثني اعلحارث بن محمد قال: حدثني المدائني عن أبي بكر الهذلي عن الزبير بن عروة بن الزبير قال: هاجر كلاب بن أمية بن الأسكر إلى المدينة في خلافة عمر بن الخطاب، فأقام بها مدة، ثم لقي ذات يوم طلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام، فسألهما: أي الأعمال أفضل في الإسلام؟ فقالا: الجهاد، فسأل عمر فأغزاه في جيش، وكان أبوه قد كبر وضعف، فلما طالت غيبة كلاب عنه قال:

لمن شيخان قد نشدا كلابا

كتاب الله إن قبل الكتابا

أناديه فيعرض في إباء

إذا شجعت حمامة بطن واد

فلا وأبي كلاب ما أصابا

إلى بيضاتها دعرا كلابا

أناه مهاجران تكنفاه

فأفارق شيخه خطنا وخابا

وأمك ما تسبغ لها شرابا

تمسح مهره شفقاً عليه

وتجنبه أباعرها الصعابا

قال: تجنبه وتجنبه واحد، من قول الله عز وجل: "واجنبني وبني أن نعبد الأصنام". قال:

فإنك قد تركت أباك شيخاً

فإنك والتماس الأجر بعدي

ينشد عمر شعراً ليرد له كلاباً فيبكي عمر رحمة له ويرده عليه: فبلغت أبياته عمر، فلم يردد كلاباً وطال مقامه

فأهتر أمية وخلط جزعا عليه، ثم أتاه يوماً وهو في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وحوله المهاجرون

والأنصار، فوقف عليه ثم أنشأ يقول:

أعادل قد عدلت بغير قدر

ولا تدرين عادل ما ألاقى

فإما كنت عادلتني فردي

كلابا إذ توجه للعراق

ولم أقض اللبانة من كلاب

غداة غدوآذن بالفراق

شديد الركن في يوم التلاقي  
ولا شفقي عليك ولا اشتياقي  
وضمك تحت نحر واعتناقي  
لهم سواد قلبي بانفلاق  
له دفع الحجيج إلى بساق  
بيبطن الأخشبين إلى دفاق  
إلى شيخين هامهما زواق

فتى الفتیان في عسر ويسر  
فلا واما باليت وجدي  
وإقائي عليك إذا شتونا  
فلو فلق الفؤاد شديد وجد  
سأستعدي على الفاروق ربا  
وَأدعو الله مجتهداً عليه  
إن الفاروق لم يردد كلاباً

عمر يسأل كلاباً عن مبلغ بره بأبيه فيصفه له:

قال: فبكى عمر بكاء شديداً، وكتب برد كلاب إلى المدينة، فلما قدم دخل إليه، فقال: ما بلغ من برك بأبيك؟ قال: كنت أوثره وأكفيه أمره، وكنت أعتمد إذا أردت أن أحلب له لبناً أغزر ناقة في إبله وأسمنها فأريجها وأتركها حتى تستقر، ثم أغسل أخلافها حتى تبرد ثم أحتلب له فأسقيه.  
عمر يرد كلاباً عليه ويأمره أن يلزم أبويه: فبعث عمر إلى أمية من جاء به إليه، فأدخله يتهادى وقد ضعف بصره وانحنى. فقال له: كيف أنت يا أبا كلاب؟ قال: كما تراني يا أمير المؤمنين. قال: فهل لك من حاجة؟ قال: نعم، أشتهي أن أرى كلاباً فأشمه شمة، وأضمه ضمة قبل أن أموت. فبكى عمر، ثم قال: ستبلغ من هذا ما تحب إن شاء الله تعالى. ثم أمر كلاباً أن يحتلب لأبيه ناقة كما كان يفعل، ويبعث إليه، بلبنها، ففعل فناوله عمر الإناء، وقال: دونك هذا يا أبا كلاب.

فلما أخذه وأدناه إلى فمه قال: لعمر: والله يا أمير المؤمنين، إني لأشم رائحة يدي كلاب من هذا الإناء، فبكى عمر، وقال: هذا كلاب عندك حاضراً قد جئت بك به، فوثب إلى ابنه وضمه إليه وقبله، وجعل عمر يبكي ومن حضره، وقال للكلاب: الزم أبويك فجاهد فيهما ما بقيا، ثم شأنك بنفسك بعدهما، وأمر له بعطائه، وصرفه مع أبيه، فلم يزل معه مقيماً حتى مات أبوه.

يخرجه قومه لأن إبله أصيبت بالهيام: ونسخت من كتاب أبي سعيد السكري أن أمية كانت له إبل هائمة - أي أصابها الهيام وهو داء يصيب الإبل من العطش - فأخرجته بنو بكر مخافة أن يصيب إبلهم، فقال لهم: يا بن بكر، إنما هي ثلاث ليال: ليلة بالبعاء وليلة بالفرع، وليلة بلقف في سامر من بكر، فلم ينفعه ذلك وأخرجوه، فأتى مزينة فأجاروه، وأقام عندهم إلى أن صحت إبله، وسكنت، فقال يمدح مزينة:

فما تأوي إلى إبل صحاح  
على ما كان فيها من جناح  
خلائق ينتمين إلى صلاح

تكنفها الهيام وأخرجوها  
فكان إلى مزينة منتهاها  
وما يكن الجناح فإن فيها

تراعى تحت قعقة الرماح  
وراء الدار يتقلني سلاحي  
على ذي منعة عتد وقاح  
على ما كان مؤتكل ولاح

ويوماً في بني ليث بن بكر  
فلما أصبح شيخاً كبيراً  
فقد أتني الصريخ إذا دعاني  
وشر أخي مؤامرة خذول

شعره حين ضحك راع منه وقد عمر حتى خرف: أخبرني عمي قال: حدثنا محمد بن عبد الله الحزنبلي عن عمرو بن أبي عمرو والشيباني عن أبيه، وأخبرني به محمد بن خلف بن المرزبان قال: حدثنا أبو توبة عن أبي عمرو قال: عمر أمية بن الأسكر عمراً طويلاً حتى خرف، فكان ذات يوم جالساً في نادي قومه وهو يحدث نفسه، إذ نظر إلى راعي شأن لبعض قومه يتعجب منه، فقام لينهض فسقط على وجهه، فضحك الراعي منه، وأقبل ابناه إليه، فلما رآهما أنشأ يقول:

وما الغنى غير أني مرعش فان  
فإنما أنتما والثكل سيان  
إن التراث لهيان بن بيان

يا بني أمية إنني عنكما غان  
يا بني أمية إلا تحفظا كبري  
هل لكما في تراث تذهبان به

يقال: هيان بن بيان، وهي ترى للقريب والبعيد .

ماذا يريبيك مني راعي الضأن  
أعمام مجد وأجدادي وإخواني  
بين الأساف وأنتجها بجلدان

أصبحت هزءاً لراعي الضأن يسخر بي  
أعجب لغيري إنني تابع سلفي  
وانعق بضأنك في أرض تطيف بها

جلدان: موضع بالطائف

ولا يقر بها أصحاب ألوان

ببلدة لا ينام الكالئان بها

الإمام علي يتمثل بشعر له: وهذه الأبيات تمثل بما أمير المؤمنين علي بن أبي طالب صلوات الله عليه في خطبة له على المنبر بالكوفة.

حدثنا بما أحمد بن عبيد الله بن عمار وأحمد بن عبد العزيز الجوهري، قالوا: حدثنا عمر بن شبة قال: حدثنا محمد بن أبي رجاء، قال: حدثنا إبراهيم بن سعد، قال: قال عبد الله بن عدي بن الخيار:

شهدت الحكمين، ثم أتيت الكوفة وكانت لي إلى علي رضي الله عنه حاجة، فدخلت عليه، فلما رأيته قال: مرحباً بك يا بن أم قتال، أزاراً جئتنا أم لحاجة؟ فقلت: كل جاء بي، جئت لحاجة، وأحببت أن أجدد بك عهداً، وسألته عن حديث فحدثني على ألا أحدث به واحداً، فبينما أنا يوماً بالمسجد في الكوفة إذا علي صلوات الله عليه متنكب قرناً له. فجعل يقول: الصلاة جامعة. وجلس على المنبر، فاجتمع الناس، وجاء الأشعث بن

قيس فجللس إلى جانب المنبر. فلما اجتمع الناس، ورضي منهم قام فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أيها الناس، إنكم تزعمون أن عندي من رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ليس عند الناس، ألا وإنه ليس عندي إلا ما في قرني هذا، ثم نكت كناتته، فأخرج منها صحيفة فيها: المسلمون تتكافأ دماؤهم، وهم يد على من سواهم. من أحدث حدثاً أو آوى محدثاً فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين". فقال له الأشعث بن قيس: هذه والله عليك لا لك، دعها تترحل، فخفض علي - صلوات الله عليه - إليه بصره، وقال: ما يدريك ما علي مما لي! عليك لعنة الله ولعنة اللاعنين، حائك ابن حائك، منافق ابن منافق، كافر ابن كافر. والله لقد أسرك الإسلام مرة والكفر مرة، فما فداك من واحد منهما حسبك ولا مالك، ثم رفع إلي بصره فقال: يا عبيد الله:

**أصبحت قنا لراعي الضأن يلعب بي ماذا يريبك مني راعي الضان**

فقلت: بأبي أنت وأمي، قد كنتُ والله أحب أن أسمع هذا منك. قال: هو والله ذلك، قال:

**فما قيل من بعدها من مقالة ولا علقت مني جديداً ولا درساً**

يعود كلاب إلى البصرة بعد موت أبيه ويولي الأبله ثم يستعفي منها: أخبرني الحسن بن علي قال: ححدثنا الحارث، عن المدائني قال: لما مات أمية بن الأسكر عاد ابنه كلاب إلى البصرة، فكان يغزو مع المسلمين، منها مغازيهم، وشهد فتوحات كثيرة، وبقي إلى أيام زياد، فولاه الأبله، فسمع كلاب يوماً عثمان بن أبي العاص يحدث أن داود نبي الله - عليه السلام - كان يجمع أهله في السحر فيقول: ادعوا ربكم فإن في السحر ساعة لا يدعو فيها عبد مؤمن إلا غفر له، إلا أن يكون عشراً أو عريفاً. فلما سمع ذلك كلاب كتب إلى زياد، فاستعفاه من عمله فأعفاه. قال المدائني: ولم يزل كلاب بالبصرة حتى مات، والمربعة المعروفة بمربعة كلاب بالبصرة منسوبة إليه.

شعر أمية وقد ظفر بنو ليث بقومه: وقال أبو عمرو الشيباني: كان بين بني غفار قومه و بني ليث حرب، فظفرت بنو ليث بغفار، فحالف رحضة بن خزيمه بن خلاف بن حارثة بن غفار وقومه جميعاً بني أسلم بن أفضى بن خزاعة، فقال أمية بن الأسكر في ذلك، وكان سيد بني جندع بن ليث وفارسهم:

**لقد طببت نفساً عن مواليك يا رحضا آثرت أذنان الشوائل والحمضا**

**تعلنا بالنصر في كل شتوة وكل ربيع أنت رافضنا رفضا**

**فلولا تأسينا وحد رماحنا لقد جر قوم لحمنا تريباً قضا**

القضّ والقضيض: الحصا الصغار عبد الله بن الزبير يتمثل بشعره: أخبرني الحسن بن علي قال: حدثني أحمد بن زهير قال: حدثنا مصعب بن عبد الله عن أبيه قال: افتعل عمرو بن الزبير كتاباً عن معاوية إلى مروان بن الحكم بأن يدفع إليه مالاً، فدفعه إليه، فلما عرف معاوية خبره كتب إلى مروان بأن يجبس عمرأ حتى يؤدي المال، فحبسه مروان، وبلغ الخبر عبد الله بن الزبير، فجاء إلى مروان وسأله عن الخبر، فحدثه به، فقال: ما لكم في

ذميتي، فأطلق عمرًا، وأدى عبد الله المال عنه، وقال: والله إني لأؤديه عنه وإني لأعلم أنه غير شاكر، ثم تمثل قول أمية بن الأسكر الليثي:

### قلولا تأسينا وحد رماحنا لقد جر قوم لحمنا تربا قضا

سيدان يخطبان بنتًا له ويتفاخران في الظفر بما: وقال ابن الكلبي: حدثنا بعض بني الحارث بن كعب قال: اجتمع يزيد بن عبد المدان وعامر بن الطفيل بموسم عكاظ، فقدم أمية بن الأسكر، ومعه بنت له من أجمل أهل زمانها، فخطبها يزيد وعامر، فقالت أم كلاب امرأة أمية: من هذان الرجلان؟ قال: هذا ابن الديان، وهذا عامر بن الطفيل. قالت: أعرف ابن الديان، ولا أعرف عامرًا. قال: هل سمعت بملاعب الأسنة؟ قالت: نعم والله. قال: فهذا ابن أخيه.

وأقبل يزيد فقال: يا أمية أنا ابن الديان، صاحب الكتيب، ورئيس مذحج، ومكلم العقاب، ومن كان يصوب أصابعه فتنطف دمًا، ويدلك راحتيه فتخرجان ذهبًا. قال أمية: بخ بخ. فقال عامر: جدي الأحزم، وعمي أبو الأصبع، وعمي ملاعب الأسنة، وجدي الرحال، وأبي فارس قرزل. قال أمية: بخ بخ، مرعى ولا كالسعدان، فأرسلها. مثلاً. فقال يزيد: يا عامر، هل تعلم شاعراً من قومي رحل بمدحه إلى رجل من قومك؟ قال: لا، قال: فهل تعلم أن شعراء قومك يرحلون بمدحهم إلى قومي؟ قال: نعم. قال: فهل لك نجم يمان أو برد يمان أو سيف يمان أو ركن يمان؟ فقال: لا، قال: فهل ملكناكم ولم تملكونا؟ قال: نعم، فنهض يزيد قوقام، ثم قال:

### أمي يا بن الأسكر بن مدلج لا تجعلن هوازنا كمدحج

إنك إن تلهج بأمر تلجج ما النبع في مغرسه كالعوسج

### ولا الصريح المحض كالممزج

وقال مرة بن دودان العقيلي، وكان عدواً لعامر بن الطفيل:

يا لبيت شعري عنك يا يزيد ماذا الذي من عامر تريد؟

لكل قوم فخرهم عتيد أُمَّطلقون نحن أم عبيد؟

### لا بل عبيد زاننا الهبيد

فزوج أمية يزيد فقال يزيد في ذلك:

يا للرجال لطارق الأحزان ولعامر بن طفيل الوسنان

كانت إتاوة قومه لمحرق زمنا وصارت بعد للنعمان

كتفأ علي وجئت بالديان  
ضم الدسيعة أزانى ويمان  
غض الشباب أخو ندى وقيان  
دون الذي تسمو له وتداني  
لك بالفضيلة في بني عيلان  
وبني الضباب وحي آل قنان  
والدافع الأعداء عن نجران؟  
كرماً لعمر ك والكريم يمان

عد الفوارس من هوازن كلها  
فإذالي الفضل المبين بوالد  
يا عام إنك فارس متهور  
واعلم بأنك يا بن فارس قرزل  
ليست فوارس عامر بمقرة  
فإذا لقيت بني الخميس ومالكا  
فاسأل من المرء المنوه باسمه  
يعطى المقادة في فوارس قومه

فقال عامر بن الطفيل مجيباً له:

ولما يجيء به بنو الديان  
وإتاوة سلفت من النعمان  
وإتاوة اللخمي في عيلان؟  
ودع القبائل من بني قحطان  
أولى ففخر ك فخر كل يمان  
وابن الضباب وزعبل وقيان  
وأبو نزار زانني ونماني  
كنت المنوه باسمه والثاني

يا للرجال لطارق الأحزان  
فخروا علي بحبوة لمحرق  
ما أنت وابن محرق وقبيله  
فاقصد بذرعك قصد أمرك قصده  
إذ كان سالفنا الإتاوة فيهم  
وافخر برهط بني الحماس ومالك  
وأنا المنخل وابن فارس فرزل  
وإذا تعاضمت الأمور موازنا

فلما رجع القوم إلى بني عامر وثبوا على مرة بن دودان، وقالوا: أنت شاعر بني عامر ولم تهج بني الديان، فقال:

يقولون الأنام لنا عبيد  
مقال والأنام له شهود؟  
تجئ إليهم منا الوفود  
عن العلياء أو من ذا بكيد؟  
لكم قنا وما عنكم محيد

تكلفني هوازن فخر قوم  
أبوهم مذحج وأبو أبيهم إذا ما عدت الآباء هود  
وهل لي إن فخرت بغير فخر  
فإننا لم نزل لهم قطينا  
فإننا نضرب الأحلام صفحا  
فقولوا يا بني عيلان كنا

وهذا الخبر مصنوع من مصنوعات ابن الكلبي، والتوليد فيه بين، وشعره شعر ركيك غث، لا يشبه أشعار القوم، وإنما ذكرته لثلاثي يخلو الكتاب من شيء قد روي.

شعره حين أصيب رهط من قومه يوم المريسيع: وقال محمد بن حبيب فيما روى عنه أبو سعيد السكري، ونسخته من كتابه، قال أبو عمرو الشيباني:

أصيب قوم من بني جندع بن ليث بن بكر بن هوازن رهط أمية بن الأسكر يقال لهم: بنو زبينة، أصابهم أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يوم المريسيع في غزوته بني المصطلق، وكانوا جيرانه يومئذ - ومعهم ناس من بني لحيان من هذيل، ومع بني جندع رجل من خزاعة يقال له: طارق، فاتهمه بنو ليث بهم، وأنه دل عليهم. وكانت خزاعة مسلمها ومشرکها يميلون إلى النبي صلى الله عليه وسلم على قريش. فقال أمية بن الأسكر لطارق الخزاعي:

لعمرك إني والخزاعي طارقاً

أثارت عليها شفرة بكراعها

شمت بقوم هم صديقك أهلکوا

كأنك لم تتبأ بيوم ذؤالة

فهلا أباكم في هذيل وعمكم

ويوم الأراك يوم أردف سبيكم

وسعد بن ليث إذ تسل نساؤكم

عجبت لشيخ من ربيعة مهتر

شعر طارق الخزاعي يجيبه فيه: فأجابه طارق الخزاعي فقال:

لعمرك ما أدري وإني لقائل

أعنف أن كانت زبينة أهلكت

ابن عباس ومعاوية يتمثلان بشعره وشعر صاحبه: وهذه الأبيات: الابتداء، والجواب تمثل بابتدائها ابن عباس في

رسالة إلى معاوية، وتمثل بجوابها معاوية في رسالة أجابه بها.

حدثني بذلك أحمد بن عيسى بن أبي موسى العجلي العطار بالكوفة، قال: حدثنا الحسين بن نصر بن مزاحم

المنقري قال: حدثنا زيد بن المعدل النمري، قال: حدثنا يحيى بن شعيب الخراز، قال: حدثنا أبو مخنف، قال: لما

بلغ معاوية مصاب أمير المؤمنين علي - رضي الله عنه - دس رجلاً من بني القين إلى البصرة يتجسس الأخبار

ويكتب بها إليه، فدل على القيني بالبصرة في بني سليم، فأخذ وقتل.

وكتب ابن عباس من البصرة إلى معاوية: أما بعد، فإنك ودسك أخوا بني القين إلى البصرة تلتمس من غفلات قريش مثل الذي ظفرت به من يمانيتك لكما قال الشاعر:

لعمرك إني والخزاعي طارقاً  
أثارت عليها شفرة بكراعها  
كنعجة عاد حتفها تتحفر  
فطلت بها من آخر الليل تجزر  
أصابهم يوم من الدهر أعر  
شمت بقوم هم صديقك أهلکوا

فأجابه معاوية: أما بعد، فإن الحسن قد كتب إلي بنحو مما كتبت به وأنبني بما لم أجن ظناً وسوء رأي، وإنك لم تصب مثلنا، ولكن مثلنا ومثلكم كما قال طارق الخزاعي:

فوالله ما أدري وإني لصادق  
أعنف أن كانت زبينة أهلكت  
إلى أي من يظنني أتعذر؟  
ونال بني لحيان شر ونفروا

### صوت

أبني إني قد كبرت ورايني  
فلئن كبرت نقد دنوت من البلى  
بصري وفي لمصلح مستمتع  
وحلت لكم مني خلائق أربع

عروضه من الكامل، والشعر لعبدة بن الطبيب، والغناء لابن محرز، ولحنه من القدر الأوسط من الثقيل الأول بالبنصر في مجراها عن إسحاق، وفيه لمعبد خفيف ثقيل أول بالبنصر في مجراها عنه أيضاً.

### نسب عبدة بن الطبيب وأخباره

#### نسبه واسم الطبيب أبيه

هو فيما ذكر ابن حبيب عن ابن الأعرابي، وأبو نصر أحمد بن حاتم عن الأصمعي وأبي عمرو الشيباني وأبي فروة العكلي: عبدة بن الطبيب، والطبيب اسمه يزيد بن عممو بن وعلة بن أنس بن عبد الله بن عبد تيم بن جشم بن عبد شمس. ويقال: عبشمس بن سعد بن زيد مناة بن تميم. وقال ابن حبيب خاصة: وقد أخبرني أبو عبدة قال: تميم كلها كانت في الجاهلية يقال لها: عبد تيم، وتيم: صنم كان لهم يعبدونه.

كان شاعراً مجيداً ليس بالكثير: وعبدة شاعر مجيد ليس بالكثير، وهو مخضرم، أدرك الإسلام فأسلم، وكان في جيش النعمان بن المقرن الذين حاربوا معه الفرس بالمدائن. وقد ذكر ذلك في قصيدته التي أولها:

هل حبل خولة بعد الهجر موصول  
أم أنت عنها بعيد الدار مشغول؟

## حلت خويلة في دار مجاورة

أهل المدينة فيها الديك والفيل

### يقارعون رؤوس العجم ضاحية

منهم فوارس لا عزل ولا ميل

أرثى بيت قائلته العرب من شعره: أخبرني محمد بن العباس اليزيدي قال: حدثني عبد الرحمن ابن أخي الأصمعي عن عمه قال: أرثى بيت قائلته العرب قول عبدة بن الطيب:

فما كان قيس هللكه هلك واحد

ولكنه بنيان قوم تهدما

وتمام هذه الأبيات: أنشدناه علي بن سليمان الأخفش عن السكري والمبرد والأحول لعبدة يرثي قيساً:

عليك سلام الله قيس بن عاصم

ورحمته ما شاء أن يترحمنا

تحية من أوليته منك نعمة

إذا زار عن شحط بلادك سلما

وما كان قيس هللكه هلك واحد

ولكنه بنيان قوم تهدما

يترفع عن الهجاء: أخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال: حدثنا أبو عثمان الأشناداني عن التوزي عن أبي عبيدة عن يونس قال: قال رجل لخالد بن صفوان: كان عبدة بن الطيب لا يحسن أن يهجو، فقال: لا تقل ذلك، فوالله ما أبي من عي، ولكنه كان يترفع عن الهجاء ويراه ضعة، كما يرى تركه مروءة وشرفاً، قال:

وأجراً من رأيت بظهر غيب

على عيب الرجال أولو العيبو

عبد الملك بن مروان يروي أفضل ما ذكره في شعره: أخبرني محمد بن القاسم الأنباري قال: حدثنا أحمد بن يحيى ثعلب، عن ابن الأعرابي: أن عبد الملك بن مروان قال يوماً لجلسائه: أي المناديل أشرف؟ فقال قائل منهم: مناديل مصر، كأنها غرقى البيض. وقال آخرون: مناديل اليمن، كأنها نور الربيع. فقال عبد الملك: مناديل أخي بني سعد عبدة بن الطيب، قال:

لما نزلنا نصبنا ظل أخبية

وفار للقوم باللحم المراجيل

ورد وأشقر ما يؤنيه طابخه

ما غير الغلي منه فهو مأكول

ثمت قمنا إلى جرد مسومة

أعرافهن لأيدينا مناديل

يعني بالمراجيل: المراحل، فزاد فيها الباء ضرورة.

## صوت

إن الليالي أسرع في نقضي

أخذن بعضي وتركن بعضي

حنين طولي وطوين عرضي

أقعدنني من بعد طول نهض

عروضه من الرجز، الشعر للأغلب العجلي، والغناء لعمر بن بانه، هزج بالبنصر.

## أخبار الأغلب ونسبه

### نسبه

هو - فيما ذكر ابن قتيبة - الأغلب بن جشم بن سعد بن عجل بن لجيم بن صعيب بن علي بن بكر بن وائل. إسلامه واستشهاده: وهو أحد المعمرين، عمر في الجاهلية عمراً طويلاً، وأدرك الإسلام فأسلم، وحسن إسلامه وهاجر، ثم كان فيمن توجه إلى الكوفة مع سعد بن أبي وقاص، فترها، واستشهد في وقعة بنهاوند، فقره هناك في قبور الشهداء. هو أول من رجز الأراجيز الطوال: ويقال: إنه أول من رجز الأراجيز الطوال من العرب، وإياه عنى الحجاج بقوله مفتخراً:

### إني أنا الأغلب أمسى قد نشد

قال ابن حبيب: كانت العرب تقول الرجز في الحرب والحداء والمفاخرة وما جرى هذا الجرى، فتأتى منه بأبيات يسيرة، فكان الأغلب أول من قصد الرجز، ثم سلك الناس بعده طريقته. كانت له سرحة يصعد عليها ويرتجز: أخبرنا الفضل بن الحباب الجمحي أو خليفة في كتابه إلينا، قال: أخبرنا محمد بن سلام، قال: حدثنا الأصمعي. وأخبرنا أحمد بن محمد أبو الحسن الأسدي قال حدثنا الرياشي، قال حدثنا معمر بن عبد الوارث عن أبي عمرو بن العلاء، قال: كانت للأغلب سرحة يصعد عليها، ثم يرتجز:

### وقد شمطت بعدها واشمطت

### قد عرفنتي سرحتي فأطت

فاعترضه رجل من بني سعد، ثم أحد بني الحارث بن عمرو بن كعب بن سعد، فقال له:

### عبد إذا ما رسب القوم طفا

### قبحت من سالفة ومن قفا

### كما شرار الرعي أطراف السفى

ينقص عمر عطاءه لقبوله الإنشاد من شعر في الجاهلية: أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري، قال: حدثنا عمر بن شبة، قال: حدثني محمد بن عباد بن حبيب المهلي، قال: حدثني نصر بن ناب عن داود بن أبي هند عن الشعبي، قال: كتب عمر بن الخطاب إلى المغيرة بن شعبة وهو على الكوفة: أن أستنشد من قبلك من شعراء قومك ما قالوا في الإسلام، فأرسل إلى الأغلب العجلي فاستنشده فقال:

### أجزأ تريد أم قصيدا؟

### لقد سألت هيناً موجوداً

ثم أرسل إلى ليبيد فقال له: إن شئت مما عفا الله عنه - يعني الجاهلية - فعلتُ. قال: لا، أنشدني ما قلت في الإسلام. فانطلق ليبيد فكتب سورة البقرة في صحيفة، وقال: أبدلني الله عز وجل بهذه في الإسلام مكان الشعر. فكتب المغيرة بذلك إلى عمر، فنقص عمر من عطاء الأغلب خمسمائة، وجعلها في عطاء ليبيد؛ فكتب إلى عمر: يا أمير المؤمنين، أتقص عطائي أن أطعتك! فرد عليه خمسمائة وأقرّ عطاء ليبيد على ألفين وخمسمائة. أخبرني محمد بن عبد العزيز، قال: حدثنا عمر بن شبة، قال: حدثنا محمد بن حاتم، قال: حدثنا علي بن القاسم، عن الشعبي قال: دخل الأغلب على عمر، فلما رآه قال: هيه، أنت القائل:

### أرجزاً تريد أم قصيدا؟ لقد سألت هيناً موجوداً

فقال: يا أمير المؤمنين إنما أطعتك، فكتب عمر إلى المغيرة: أن أردد عليه الخمس المائة وأقر الخمس المائة لليبيد. شعر في سجاح حين تزوجت مسيلمة: أخبرنا أبو خليفة عن محمد بن سلام قال: قال الأغلب العجلي في سجاح لما تزوجت مسيلمة الكذاب:

لقد لقيت سجاح من بعد العمى	ملوحاً في العين مجلود القرا
مثل العتيق في شباب قد أتى	من اللجميين أصحاب القرى
ليس بذى واهنة ولا نسا	نشأ بلحم وبخبز ما اشترى
حتى شتا ينتح ذفراه الندى	خاطى البضيع لحمه خطابظا
كأنما جمع من لحم الخصى	إذا تمطى بين برديه صأى
كأن عرق أيره إذا ودى	حبل عجوز ضفرت سبع قوى
يمشي على قوائم خمس زكا	يرفع وسطاهن من برد الندى
قالت: متى كنت أبا الخير متى؟	قال حديثاً لم يغيرني البلى
ولم أفارق خلة لي عن قلى	فانتسفت فيشته ذات الشوى
كأن في أجلادها سبع كلى	ما زال عنها بالحديث والمنى
والخلق السفساف يردى في الردى	قال: ألا ترينه قالت: أرى
قال: ألا أدخله؟ قالت: بلى	فشام فيها مثل محراث الغضى
يقول لما غاب فيها واستوى	لمثلها كنت أحسبك الحسا

من أخبار سجاح: وكان من خبر سجاح وادعائها النبوة وترويج مسيلمة الكذاب إياها ما أخبرنا به إبراهيم بن النسوي يحيى، عن أبيه عن شعيب عن سيف: إن سجاح التميمية ادعت النبوة بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه

وسلم، واجتمعت عليها بنو تميم، فكان فيما ادعت أنه أنزل عليها: يَا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ الْمُتَّقُونَ، لَنَا نِصْفُ الْأَرْضِ، وَلَقْرِيشَ نِصْفِهَا، وَلَكِنْ قَرِيشًا قَوْمَ يَبِغُونَ.

واجتمعت بنو تميم كلها إليها لتنصرها. وكان فيهم الأحنف بن قيس، وحرثة بن بدر، ووجوه تميم كلها. وكان مؤدِّمها شبيب بن ربيعي الرياحي، فعمدت في جيشها إلى مسيلمة الكذاب وهو باليمامة، وقالت: يا معشر تميم، اقصدوا اليمامة، فاضربوا فيها كل هامة، وأضرموا فيها ناراً ملهامة، حتى تتركوها سوداء كالحمامة. وقالت لبني تميم: إن الله لم يجعل هذا الأمر في ربيعة، وإنما جعله في مضر، فاقصدوا هذا الجمع، فإذا فضضتموه كررتم على قريش. فسارت في قومها وهم الدَّهْمُ الداهم. وبلغ مسيلمة خيراً، فضاقت بما ذرعاً، وتحصن في حجر حصن اليمامة. وجاءت في جيوشها فأحاطت به، فأرسل إلى وجوه قومه وقال: ما ترون؟ قالوا: نرى أن نسلّم هذا الأمر إليها وتدعنا، فإن لم نفعل فهو البوار. وكان مسيلمة ذا دهاء، فقال: سأنظر في هذا الأمر. ثم بعث إليها: إن الله - تبارك وتعالى - أنزل عليك وحياً، وأنزل علي. فهل مني نجمع، فنتدارس ما أنزل الله علينا، فمن عرف الحق تبعه، واجتمعنا فأكلنا العرب أكلاً بقومي وقومك.

فبعثت إليه: أفعل، فأمر بقبة آدم فضربت، وأمر بالعود المندي فسجر فيها، وقال: أكثروا من الطيب والجمر، فإن المرأة إذا شمّت رائحة الطيب ذكرت الباه، ففعلوا ذلك.

وجاءها رسوله يخبرها بأمر القبة المضروبة للاجتماع، فأنته فقالت: هات ما أنزل عليك. فقال: ألم تر كيف فعل ربك بالحلبى، أخرج منها نطفة تسعى، بين صفاق وحشاً، من بين ذكر وأنثى، وأموات وأحيا، ثم إلى ربهم يكون المنتهى. قالت: وماذا؟ قال: ألم تر أن الله خلقنا أفواجاً، وجعل النساء لنا أزواجاً، فنولج فيهن الغراميل إبلاجا، ونخرجها منهن إذا شئن إخراجاً. قالت: فبأي شيء أمرك؟ قال:

فقد هبي لك المضجع

ألا قومي إلى النيك

فإن شئت في البيت وإن شئت في المخدع

وإن شئت على أربع

وإن شئت سلقناك

وإن شئت به أجمع

وإن شئت بتلثيه

قال: فقالت: لا، إلاّ به أجمع. قال: فقال: كذا أوحى الله إلي، فواقعها. فلما قام عنها قالت: إن مثلي لا يجري أمرها هكذا، فيكون وصمة على قومي وعلي، وليكن مسلمة النبوة إليك، فاحطبي إلى أوليائي يزوجوك، ثم أقود تميماً معك.

فخرج وخرجت معه، فاجتمع الحيان من حنيفة وميم، فقالت لهم سجاح: إنه قرأ عليّ ما أنزل عليه، فوجدته حقاً، فاتبعته، ثم خطبها، فزوجوه إياها، وسألوه عن المهر، فقال: قد وضعت عنكم صلاة العصر، فبنو تميم إلى

الآن بالرمل لا يصلونها، ويقولون: هذا حق لنا، ومهر كريمة منا لا نرده. قال: وقال شاعر من بني تميم يذكر أمر سَجَاح في كلمة له:

### أضحت نبيتنا أنثى نطيف بها وأصبحت أنبياء الله ذكرانا

قال: وسمع الزبرقان بن بدر لأحنف يومئذ، وقد ذكر مسيلمة وما تلاه عليهم، فقال الأحنف: والله ما رأيت أحق من هذا النبي قط. فقال الزبرقان: والله لأخبرن بذلك مسيلمة. قال: إذاً والله أحلف أنك كذبت فيصدقني ويكذبك. قال: فأمسك الزبرقان، وعلم أنه قد صدق. قال: وحدث الحسن البصري بهذا الحديث، فقال: أمن والله أبو بحر من نزول الوحي. قال: فأسلمت سجاح بعد ذلك وبعد قتل مسيلمة، وحسن إسلامها.

### صوت

ولوعة من هواك أضمرها

كم ليلة فيك بت أسهرها

ثم يعود الجوى فيسعرها

وحرقة ودموع تطفئها

في خجل دائب يعصفرها

بيضاء رود الشباب قد غمست

عيناها إلا من حيث أبصرها

الله جار لها فما امتلأت

الشعر للبحثري، والغناء لعريب، رمل مطلق من مجموع أغانيها، وهو لحن مشهور في أيدي الناس، والله أعلم.

### أخبار البحثري ونسبه

#### نسبه وكنيته

هو الوليد بن عبيد الله بن يحيى بن عبيد بن شمال بن جابر بن سلمة بن مسهر بن الحارث بن خيثم ابن أبي حارثة بن جدي بن تدول بن بختر بن عتود بن عثمة بن سلامان بن ثعل بن عمرو بن الغوث بن جلهمة وهو طيء بن أدد بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان. شاعريته وندرة هجائه: ويكنى أبا عبادة، شاعر فاضل فصيح حسن المذهب، نقي الكلام، مطبوع، كان مشايخنا رحمة الله عليهم يحتمون به الشعراء، وله تصرف حسن فاضل نقي في ظروف الشعر، سوى الهجاء، فإن بضاعته فيه نزرة، وجيده منه قليل. وكان ابنه أبو الغوث يزعم أن السبب في قلة بضاعته في هذا الفن أنه لما حضره الموت دعا به، وقال له: اجمع كل شيء قتلته في الهجاء. ففعل، فأمره بإحراقه، ثم قال له: يا بني، هذا شيء قتلته في وقت، فشفيت به غيظي، وكافأت به قبيحاً فعل بي، وقد انقضى أربي في ذلك، وإن بقي روي، وللناس أعقاب يورثونهم العدا والمودة، وأحشى أن يعود عليك من هذا شيء في نفسك أو معاشك لا فائدة لك ولي فه، قال:

فعلمت أنه قد نصحني وأشفق علي، فأحرقته.  
أخبرني بذلك علي بن سليمان الأحفش عن أبي الغوث.  
وهذا - كما قال أبو الغوث - لا فائدة لك ولا لي فيه، لأن الذي وجدناه وبقي في أيدي الناس من هجائه  
أكثره ساقط، مثل قوله في ابن شيرزاد:

وبان ضراطك عنا فمر

نفقت نفوق الحمار الذكر

ومثل قوله في علي بن الجهم:

لزادك منه في غلظ الأيور

ولو أعطاك ربك ما تمنى

بما لفقت من كذب وزور

علام طفقت تهجوني مليا

وأشبه هذه الأبيات، ومثلها لا يشاكل طبعه، ولا تليق بمذهبه، وتنبئ بركاكتها وغثاثة ألفاظها عن قلة حظه في  
الهجاء، وما يعرف له هجاء جيد إلا قصيدتان إحداهما قوله في ابن أبي قماش:

مبديّة للشنان والشنف

مرت على عزمها ولم تقف

يقول فيها لابن أبي قماش:

تعرف ما في ضميرها النطف

قد كان في الواجب المحقق أن

أوتيت من حكمة ومن لطف

بما تعاطيت في العيوب وما

هرة في الجد منه والشرف

أما رأيت المريخ قد مازج الزر

في حالتي ثابت ومنصرف

وأخبرتكم النحوس أنكما

التقويم والزيج جد منعكف

من أين أعملت ذا وأنت على

فت المها أو نظرت في الكتف

أما زجرت الطير العلا أو تعي

أكدبت أو رمتها على الخرف

رذلت في هذه الصناعة أو

إلا وخلخالها مع الشنف

لم تخط باب الدهليز منصرفاً

وهي طويلة، ولم يكن مذهبي ذكرها إلا للإخبار عن مذهبه في هذا الجنس، وقصيدته في يعقوب بن الفرج  
النصراني، فإنها - وإن لم تكن في أسلوب هذه وطريقتها - تجري مجرى التهكم باللفظ الطيب الخبيث المعاني،  
وهي:

وقد خلع البين من قد خلع

تظن شجوني لم تعتلج

وكان البحرني يتشبهه بأبي تمام من شعره، ويجذو مذهبه، وينحو نحوه في البديع الذي كان أبو تمام يستعمله،  
ويراه صاحباً وإماماً، ويقدمه على نفسه، ويقول في الفرق بينه وبينه قول منصف: إن جيد أبي تمام خير من

جيده، ووسطه ورديته خير من وسط أبي تمام ورديته، وكذا حكم هو على نفسه.  
هو وأبو تمام: أخبرني محمد بن يحيى الصولي: قال: حدثني الحسين بن علي الياقظاني: قال: قلت للبحثري: أيما  
أشعر أنت أو أبو تمام؟ فقال: جيده خير من جيدي، ورديتي خير من رديته.  
حدثني محمد بن يحيى قال: حدثني أبو الغوث يحيى بن البحتري: قال: كان أبي يكنى أبا الحسن، وأبا عبادة، فأشير  
علي في أيام المتوكل بأن أقتصر على أبي عبادة، فإنها أشهر، فاقترعت عليها.  
حدثني محمد قال: سمعت عبد الله بن الحسين بن سعد يقول للبحثري - وقد اجتمعنا في دار عبد الله بالخلد،  
وعنده المبرد في سنة ست وسبعين ومائتين، وقد أنشد البحتري شعراً لنفسه قد كان أبو تمام قال في مثله - :  
أنت والله أشعر من أبي تمام في هذا الشعر، قال: كلا والله، إن أبا تمام للرئيس والأستاذ، والله ما أكلت الخبر إلا  
به، فقال له المبرد: لله درك يا أبا الحسن، فإنك تأبي إلا شرفاً من جميع جوانبك.  
حدثني محمد: قال: حدثني الحسين بن إسحاق: قال: قلت للبحثري: إن الناس يزعمون أنك أشعر من أبي تمام،  
فقال: والله ما ينفعني هذا القول، ولا يضر أبا تمام، والله ما أكلت الخبز إلا به، ولوددت أن الأمر كان كما  
قالوا، ولكني أو الله تابع له آخذ منه لاأخذ به، نسيمي يركد عند هوائه، وأرضي تنخفض عند سمائه.  
حدثني محمد بن يحيى: قال: حدثني سوار بن أبي شراعة، عن البحتري: قال: وحدثني أبو عبد الله الألويسي، عن  
علي بن يوسف، عن البحتري: قال: كان أول أمرني في الشعر ونباهتي أبي صرت إلى أبي تمام، وهو بجمص،  
فعرضت عليه شعري، وكان الشعراء يعرضون عليه أشعارهم، فأقبل علي، وترك سائر من حضر، فلما تفرقوا  
قال لي: أنت أشعر من أنشدني، فكيف بالله حالك؟ فشكوت خلة فكتب إلى أهل معرة النعمان، وشهد لي  
بالحذق بالشعر، وشفع لي إليهم وقال: امتدحهم، فصرت إليهم، فأكرموني بكتابه، ووظفوا لي أربعة آلاف  
درهم، فكانت أول مال أصبته. وقال علي بن يوسف في خبره: فكانت نسخة كتابه: "يصل كتابي هذا على يد  
الوليد أبي عبادة الطائي، وهو - على بذاذته - شاعر، فأكرموه".

يعشق غلاماً فيلتيحي: حدثني لحظة: قال: سمعت البحتري يقول: كنت أتعشق غلاماً من أهل منبج يقال له  
شقران، واتفق لي سفر، فخرجت فيه، فأطلت الغيبة، ثم عدت، وقد التحى، فقلت فيه، وكان أول شعر قلته:

**ن شقيق النفس بعدي**

**نبتت لحية شقرا**

**حلقت، كيف أنته قبل أن ينجز وعدي !**

وقد روى في غير هذه الحكاية أن اسم الغلام شندان.

بدء التعارف بينه وبين أبي تمام: حدثني علي بن سليمان: قال: حدثني أبو الغوث بن البحتري عن أبيه، وحدثني  
عمي: قال: حدثني علي بن العباس النوبختي، عن البحتري، وقد جمعت الحكايتين، وهما قريبتان: قال: أول ما  
رأيت أبا تمام أبي دخلت على أبي سعيد محمد بن يوسف، وقد مدحته بقصيدتي:

**أو خان عهداً أو أطاع شقيقاً؟**

**أفاق صب من هوى فأفياً**

فسر بها أبو سعيد، وقال: أحسنت والله يا فتى وأجدت، قال: وكان في مجلسه رجل نبيل رفيع المجلس منه، فوق كل من حضر عنده، تكاد تمس ركبته ركبته، فأقبل علي ثم قال: يا فتى، أما تستحي مني! هذا شعر لي تنتحلته، وتنشده بحضرتي! فقال له أبو سعيد: أحقاً تقول! قال: نعم، وإنما علقه مني، فسبقتني به إليك، وزاد فيه، ثم اندفع فأنشد أكثر هذه القصيدة، حتى شككني - علم الله - في نفسي، وبقيت متحيراً، فأقبل علي أبو سعيد، فقال: يا فتى، قد كان في قرابتك منا وودك لنا ما يغنيك عن هذا، فجعلت أحلف له بكل محرجة من الأيمان أن الشعر لي ما سبقني إليه أحد، ولا سمعته منه، ولا انتحلته، فلم ينفع ذلك شيئاً، وأطرق أبو سعيد، وقطع بي، حتى تمنيت أن سحت في الأرض، فقامت منكسر البال أجر رجلي، فخرجت، فما هو إلا أن بلغت باب الدار حتى خرج الغلمان فردوني، فأقبل علي الرجل، فقال: الشعر لك يا بني، والله ما قلته قط، ولا سمعته إلا منك، ولكنني ظننت أنك تماونت بموضعي، فأقدمت على الإنشاد بحضرتي من غير معرفة كانت بيننا، تريد بذلك مضاهاتي ومكائرتي، حتى عرفني الأمير نسبك وموضعك، ولوددت ألا تلد أبداً طائية إلا مثلك، وجعل أبو سعيد يضحك، ودعاني أبو تمام، وضمني إليه، وعانقني، وأقبل يقرظني، ولزمته بعد ذلك، وأخذت عنه، واقتديت به، هذه رواية من ذكرت.

إشاد له بأبي سعيد محمد بن يوسف الثغري: وقد حدثني علي بن سليمان الأحفش أيضاً قال: حدثني عبد الله بن الحسين بن سند القطريلي: أن البحري حدثه أنه دخل على أبي سعيد محمد بن يوسف الثغري، وقد مدحه بقصيدة، وقصده بها، فألقى عنده أبا تمام وقد أنشده قصيدة له فيه، فاستأذنه البحري في الإنشاد وهو يومئذ حديث السن، فقال له: يا غلام أنشدني بحضرة أبي تمام؟ فقال: تأذن ويستمع، فقام، فأنشده إياها، وأبو تمام يسمع ويهتز من قرنه إلى قدمه استحساناً فلما فرغ منها قال: أحسنت والله يا غلام، فمن أنت؟ قال: من طيب، فطرب أبو تمام وقال: من طيب، الحمد لله على ذلك، لوددت أن كل طائية تلد مثلك، وقبل بين عينيه، وضمه إليه وقال لمحمد بن يوسف: قد جعلت له جائزتي، فأمر محمد بها، فضمت إلى مثلها، ودفعت إلى البحري، وأعطى أبا تمام مثلها، وخص به، وكان مداحاً له طول أيامه ولائنه بعده، ورتاهما بعد مقتليهما، فأجاد، ومراثيه فيهما أجود من مدائحه، وروى أنه قيل له في ذلك فقال: من تمام الوفاء أن تفضل المراثي المدائح لا كما قال الآخر - وقد سئل عن ضعف مراثيه فقال - : كنا نعمل للرجاء، نحن نعمل اليوم للوفاء. وبينهما بعد.

كان بخيلاً زري الهيئة: حدثني حكيم بن يحيى الكنتحي قال: كان البحري من أوسخ خلق الله ثوباً وآلة وأجلهم على كل شيء، وكان له أخ وغلام معه في داره، فكان يقتلها جوعاً، فإذا بلغ منها الجوع أتياه بيكيان، فيرمي إليهما بثمر أفواهما مضيماً مقترراً، ويقول: كلا، أجاج الله أكبادكما وأعري أجلاذكما وأطال إجهادكما. قال حكيم بن يحيى: وأنشدته يوماً من شعر أبي سهل بن نوبخت، فجعل يجر رأسه، فقالت له: ما تقول فيه؟ فقال: هو يشبه مضع الماء ليس له طعم ولا معنى.

وحدثني أبو مسلم محمد بن بحر الأصبهاني الكاتب، قال: دخلت على البحري يوماً فاحتبسي عنده، ودعا بطعام له، ودعاني إليه، فامتنعت من أكله، وعنده شيخ شامي لا أعرفه، فدعاهخ إلى الطعام، فتقدم، وأكل معه أكلاً عنيفاً، فغاضه ذلك، والتفت إليّ، فقال لي: أتعرف هذا الشيخ؟ فقلت: لا، قال: هذا شيخ من بني المهجيم الذي يقول فيهم الشاعر:

وبنو المهجيم قبيلة ملعونة

حص اللحي متشابهو الألوان

لو يسمعون بأكلة أو شربة

بعمان أصبح جمعهم بعمان

قال: فجعل الشيخ يشتمه، ونحن نضحك.

ماء من يد حسناء: وحدثني جحظة: قال: حدثني علي بن يحيى المنجم: قال: احتازت جارية بالمتوكل معها كوز ماء، وهي أحسن من القمر، فقال لها: ما اسمك؟ قالت: برهان، قال: ولمن هذا الماء؟ قالت: لسيتي قبيحة، قال: صبيه في حلقي، فشربه عن آخره، ثم قال للبحري: قل في هذا شيئاً، فقال البحري:

ما شربة من رحيق كأسها ذهب

جاءت بها الحور من جنات رضوان

يوماً بأطيب من ماء بلا عطش

شربته عبثاً من كف برهان

أخبرني علي بن سليمان الأحفش، وأحمد بن جعفر جحظة: قالوا: حدثنا أبو الغوث بن البحري: قال: كتبتُ إلى أبي يوماً أطلب منه نبئاً، فبعث إلي بنصف قنينة دردي، وكتب إلي: دونكها يا بني، فإنها تكشف القحط، وتضبط الرهط. قال الأحفش، وتقيت الرهط.

قصته مع أحمد بن علي الإسكافي: حدثني أبو الفضل عباس بن أحمد بن ثوابة قال: قدم البحري النيل على أحمد بن علي الإسكافي مادحاً له، فلم يثبه ثواباً يرضاه بعد أن طالت مدته عنده، فهجاه بقصيدته التي يقول فيها:

ما كسبنا من أحمد بن علي

ومن النيل غير حمى النيل

وهجاه بقصيدة أخرى أولها:

قصة النيل فاسمعوها عجايبه

فجمع إلى هجائه إياه هجاء أبي ثوابة، وبلغ ذلك أبي، فبعث إليه بألف درهم وثياب ودابة بسرجهما ولجامها، فرده إليه، وقال: قد أسلفتكم إساءة لا يجوز معها قبول رفقكم، فكتب إليه أبي: أما الإساءة فمغفورة وأما المعذرة فمشكورة، والحسنات يذهبن السيئات، وما يأسو جراحك مثل يدك. وقد رددت إليك ما رددته علي، وأضعفته، فإن تلافيت ما فرط منك أثبتنا وشكرنا، وإن لم تفعل احتملنا وصبرنا. فقبل ما بعث به، وكتب إليه: كلامك والله أحسن من شعري، وقد أسلفتني ما أحجلني، وحملتني ما أثقلني، وسيأتيك ثنائي. ثم غدا إليه بقصيدة أولها:

ضلال لها ماذا أرادت إلى الصد

وقال فيه بعد ذلك:

برق أضواء العقيق من ضرمه

وقال فيه أيضاً:

دان دعا داعي الصبا فأجابه

قال: ولم يزل أبي يصله بعد ذلك، ويتابع برّه لديه حتى افترقا.

شعره في نسيم غلامه: أخبرني لحظة قال: كان نسيم غلام البحري الذي يقول فيه:

دعا عبرتي تجري على الجور والقصد      أظن نسيماً قارف الهم من بعدي

خلا ناظري من طيفه بعد شخصه      فيا عجباً للدهر فقد على فقد

غلاماً رومياً ليس بحسن الوجه، وكان قد جعله باباً من أبواب الحيل على الناس، فكان يبيعه ويعتمد أن يصيره إلى ملك بعض أهل المروءات ومن ينفق عنده الأدب، فإذا حصل في ملكه شبب به، وتشوقه، ومدح مولاه، حتى يهبه له، فلم يزل ذلك دأبه حتى مات نسيم، فكفي الناس أمره.

خبره مع محمد بن علي القمي وغلامه: أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال: كتب البحري إلى أبي محمد بن علي القمي يستهديه نبيذاً، فبعث إليه نبيذاً مع غلام له أمرد، فجمشه البحري، فغضب الغلام غضباً شديداً، دل البحري على أنه سيخبر مولاه بما جرى، فكتب إليه:

ابا جعفر كان تجميشنا      غلامك إحدى الهنات الدنية

بعثت إلينا بشمس المدام      تضيء لنا مع شمس البرية

فليت الهدية كان الرسول      وليت الرسول إلينا الهدية

فبعث إليه محمد بن علي الغلام هدية، فانقطع البحري عنه بعد ذلك مدة، خجلاً مما جرى، فكتب إليه محمد بن علي:

هجرت كأن البر أعقب حشمة      ولم أر وصلاً قبل ذا أعقب الهجرا

فقال فيه قصيدته التي أولها:

فتى مذحج عفواً فتى مذحج عفرا

وهي طويلة. وقال فيه أيضاً:

أمواهب هاتيك أم أنواع      هطل وأخذ ذاك أم إعطاء

إن دام ذا أو بعض ذا من فعل ذا      ذهب السخاء فلا يعد سخاء

ليس الذي حَلَّتْ تميم وشطه ال  
 ملك أغر لآل طلحة مجده  
 وشريف أشراف إذا احتكت بهم  
 أمحمد بن علي أسمع عذرة  
 مالي إذ ذكر الكرام رأتي  
 يصفو علي العذل وهو مقارب  
 إني هجرتك إذ هجرتك حشمة  
 أخلتني بندي بديك فسودت  
 وقطعتني بالبر حتى إنني  
 دهناء، لكن صدرك الدهاء  
 كفاه بحر سماحة وسماء  
 جرب القبائل أحسنوا وأسأوا  
 فيها شفاء للمسيء وداء  
 مالي مع النفر الكرام وفاء؟  
 ويضيق عني العذر وهو فضاء  
 لا العود يذهبها ولا الإبداء  
 ما بيننا تلك اليد البيضاء  
 متوهم أن لا يكون لقاء

صلة غدت في الناس وهي قطيعة  
 ليواصلنك ركب شعري سائرا  
 حتى يتم لك الثناء مخلداً  
 فتظل تحسدك الملوك الصيد بي  
 عجباً وبر راعح وهو جفاء  
 تهدي به في مدحك الأعداء  
 أبداً كما دامت لك النعماء  
 وأظل يحسدني بك الشعراء

كان موته بالسكنة: أخبرني علي بن سليمان الأخفش: قال: سألتني القاسم بن عبيد الله عن خير البحري، وقد كان أسكت، ومات من تلك العلة، فأخبرته بوفاته، وأنه مات في تلك السكنة، فقال: ويحه رمي في أحسنه. أبو تمام يلقن البحري درساً في الاستطرد: أخبرني محمد بن يحيى: قال: حدثني محمد بن علي الأنباري: قال: سمعت البحري يقول: أنشدني أبو تمام وبما لنفسه:

وسابح هطل التعداء هتان  
 أظمي الفصوص ولم تظماً قوائمه  
 فلو تراه مشيحاً والحصى زيم  
 أيقنت إن لم تثبت أن حافره  
 على الجراء أمين غير خوان  
 فخل عينيك في ظمآن ريان  
 بين السنابك من مثني ووحدان  
 من صخر تدمر أو من وجه عثمان

ثم قال لي: ما هذا الشعر؟ قلت: لا أدري، قال: هذا هو المتسپرد، أو قال الاستطرد. قلت: وما معنى ذلك؟ قال: يريك أنه يريد وصف الفرس وهو يريد هجاء عثمان، وقد فعل البحري ذلك، فقال في صفة الفرس:

ما إن يعاف قذى ولو أوردته  
 يوماً خلّاق حمدويه الأحوال

وكان حمدويه الأحول عدواً لمحمد بن علي القمي الممتدح بهذه القصيدة فهجاه في عرض مدحه محمداً. والله أعلم.

أبو تمام يشيد به: حدثني علي بن سليمان الأحفش: قال: حدثني أبو الغوث بن البحري: قال: حدثني أبي: قال: قال لي أبو تمام: بلغني أن بني حميد أعطوك مالاً جليلاً فيما مدحتهم به، فأنشدني شيئاً منه، فأنشدته بعض ما قلته فيهم، فقال لي: كم أعطوك؟ فقلت: كذا وكذا، فقال: ظلموك، والله ما وفوك حقك، فلم استكثرت ما دفعوه إليك؟ والله لبيت منها خير مما أخذت، ثم أطرق قليلاً، ثم قال: لعمرى لقد استكثرت ذلك، واستكثرت ذلك، واستكثرت لك لما مات الناس وذهب الكرام، وغاضت المكارم، فكسدت سوق الأدب، أنت والله يا بني أمير الشعراء غداً بعدي، فقلت فقبلت رأسه ويديه ورجليه، وقلت له: والله لهذا القول أسر إلى قلبي وأقوى لنفسي مما وصل إلي من القوم.

أبو تمام يعني نفسه: حدثني محمد بن يحيى عن الحسن بن علي الكاتب: قال: قال لي البحري: أنشدت أبا تمام يوماً شيئاً من شعري، فتمثل بيت أوس بن حجر:

**إذا مكرم منا دراً حد نابه** **تخبط فينا ناب آخر مكرم**

ثم قال لي: نعت والله إلي نفسي، فقلت: أعيدك بالله من هذا القول، فقال: إن عمري لن يطول، وقد نشأ في طيء مثلك، أما علمت أن خالد بن صفوان رأى شبيب بن شيبه، وهو من رهطة يتكلم، فقال: يا بني، لقد نعى إلي نفسي إحسانك في كلامك، لأننا أهل بيت ما نشأ فينا خطيب قط إلا مات من قبله، فقلت له: بل يقيك الله، ويجعلني فداً لك. قال: ومات أبو تمام بعد سنة.

يشمخ بأنفه فيغري به المتوكل الصيمري: حدثني أحمد بن جعفر ححظة: قال: حدثني أبو العنيس الصيمري قال: كنت عند المتوكل والبحري ينشده:

**عن أي ثغر تبتسم** **وبأي طرف تحتكم؟**

حتى بلغ إلى قوله:

**قل للخليفة جعفر ال** **متوكل بن المعتصم**

**المبتدي للمبتدي** **والممنع بن المننم**

**أسلم لدين محمد** **فإذا سلمت فقد سلم**

قال: وكان البحري من أبغض الناس إنشاداً، يتشادق ويتزاور في مشيه مرة جانباً، ومرة القهقري، ويهز رأسه مرة، ومنكبيه أخرى، ويشير بكفه، ويقف عند كل بيت، ويقول: أحسنت والله، ثم يقبل على المستمعين، فيقول: ما لكم لا تقولون أحسنت؟ هذا والله ما لا يحسن أحد أن يقول مثله: فضجر المتوكل من ذلك وأقبل علي، وقال: أما تسمع يا صيمري ما يقول؟ فقلت: بلى يا سيدي، فمرني فيه بما أحببت، فقال: بجياقي أهجه

على هذا الروي الذي أنشدنيه، فقلت: تأمر ابن حمدون أن يكتب ما أقول، فدعا بداوة وقرطاس، وحضرتني على البديهة أن قلت:

وعلمت أنك تنهزم

أدخلت رأسك في الرحم

ك من قضاقضة ضغم

يا بحتري حذار ويح

ك من الهجا سيل العرم

فلقد أسلت بواديي

وبهتكه جف القلم؟

فبأي عرض تعتصم

وبقبر أحمد والحرم

والله حلفة صادق

م ابن الإمام المعتصم

وبحق جعفر الإما

بين المسيل إلى العلم

لأصيرنك شهرة

حيث الأراكة والخيم

حي الطلول بذى سلم

لى قلوب ذوي النعم

يا بن الثقيلة والتقىل ع

ر من الموالى والحشم

وعلى الصغير مع الكبي

وبأي كف تلتقم؟

في أي سلح ترتطم

أمن العفاف أم التهم

يا بن المباحة للورى

وفرأش أمك في الظلم

إذ رحل أختك للعجم

في بيته يؤتى الحكم

وبباب دارك حانة

قال: فغضب، وخرج يعدو، وجعلت أصيح به:

وعلمت أنك تنهزم

أدخلت رأسك في الرحم

والمتوكل يضحك، ويصفق حتى غاب عن عينه.

هكذا حدثني جحظة عن أبي العنيس.

ووجدت هذه الحكاية بعينها بخط الشاهيني حكاية عن أبي العنيس، فرأيتها قريبة اللفظ، موافقة المعنى لما ذكره جحظة، والذي يتعارفه الناس أن أبا العنيس قال هذه الأبيات ارتجالاً، وكان واقفاً خلف البحترى، فلما ابتداء وأنشد قصيدته:

وبأي طرف تحنكم

عن أي ثغر تبتسم

صاح به أبو العنيس من خلفه:

وبأي كف تلتقم

في أي سلح ترتطم

وعلمت أنك تنهزم

أدخلت رأسك في الرحم

فغضب البحري، وخرج، فضحك المتوكل حتى أكثر، وأمر لأبي العنيس بعشرة آلاف درهم والله أعلم. وأخبرني بهذا الخبر محمد بن يحيى الصولي، وحدثني عبد الله بن أحمد بن حمدون عن أبيه: قال: وحدثني يحيى بن علي عن أبيه: إن البحري أنشد المتوكل - وأبو العنيس الصيمري حاضر - قصيدته:

وبأي طرف تحتكم؟

عن أي ثغر تبتسم

إلى آخرها، وكان إذا أنشد يختال، ويعجب بما يأتي به، فإذا فرغ من القصيدة رد البيت الأول، فلما رده بعد فراغه منها. وقال:

وبأي طرف تحتكم

عن أي ثغر تبتسم

قال أبو العنيس وقد غمزه المتوكل أن يولع به:

وبأي كف تلتقم

في أي سلح ترتطم

وعلمت أنك تنهزم

أدخلت رأسك في الرحم

فقال نصف البيت الثاني، فلما سمع البحري قوله ولي مغضباً، فجعل أبو العنيس يصيح به:

وعلمت أنك تنهزم

فضحك المتوكل من ذلك حتى غلب، وأمر لأبي العنيس بالصلة التي أعدت للبحري.

قال أحمد بن زياد: فحدثني أبي قال: جاءني البحري، فقال لي: يا أبا خالد أنت عشيرتي وابن عمي وصديقي، وقد رأيت ما جرى علي، أفتأذن لي أن أخرج إلى منبج بغير إذن، فقد ضاع العلم، وهلك الأدب؟ فقلت: لا تفعل من هذا شيئاً، فإن الملوك تمرح بأعظم مما جرى، ومضيت معه إلى الفتحة، فشكا إليه ذلك، فقال له نحواً من قولي، ووصله، وخلع عليه، فسكن إلى ذلك.

الصيمري يسترسل في سخريته به بعد موت المتوكل: حدثني جحظة عن علي بن يحيى المنجم: قال: لما قتل المتوكل قال أبو العنيس الصيمري:

على الهمام الملك الأزهر

يا وحشة الدنيا على جعفر

بين سرير الملك والمنبر

على قتيل من بني هاشم

والله أن لو قتل البحري

والله رب البيت والمشعر

في ألف نغل من بني عض خرى

لثار بالشام له نائر

## يقدمهم كل أخي ذلة

## على حمار دابر أعور

فشاعت الأبيات حتى بلغت البحري، فضحك، ثم قال: هذا الأحمق يرى أبي أجيبة على مثل هذا، فلو عاش امرؤ القيس. فقال، من كان يجيبه؟.

## ذكر نتف من أخبار عريب مستحسنة

### منزلتها في الغناء والأدب

كانت عريب معنية محسنة، وشاعرة صالحة الشعر، وكانت مليحة الخط والمذهب في الكلام، ونهاية في الحسن والجمال والظرف، وحسن الصورة وجودة الضرب، وإتقان الصنعة والمعرفة بالنغم والأوتار، والرواية للشعر والأدب، لم يتعلق بها أحد من نظرائها، ولا روائي في النساء بعد القيان الحجازيات القديمات، مثل جميلة وعزة الميلاء وسلامة الزرقاء ومن جرى مجراهن - على قلة عددهن - نظير لها، وكانت فيها من الفضائل التي وصفناها ما ليس لهن مما يكون لمثلها من جواري الخلفاء، ومن نشأ في قصور الخلافة وغذي بريق العيش، الذي لا يدانيه عيش الحجاز، والنش بين العامة والعرب الجفافة، ومن غلظ طبعه، وقد شهد لها بذلك من لا يحتاج مع شهادته إلى غيره.

أخبرني محمد بن خلف وكيع، عن حماد بن إسحاق: قال: قال لي أبي: ما رأيت امرأة أضرب من عريب، ولا أحسن صنعة ولا أحسن وجهاً، ولا أخف روحاً، ولا أحسن خطاباً، ولا أسرع جواباً، ولا ألب بالشطرنج والنرد، ولا أجمع لخصلة حسنة لم أر مثلها في امرأة غيرها. قال حماد: فذكرت ذلك ليحيى بن أكنم في حياة أبي، فقال: صدق أبو محمد، هي كذلك، قلت: أسمعتها؟ قال: نعم هناك، يعني في دار المأمون، قلت: أفكانت كما ذكر أبو محمد في الحذق؟ فقال يحيى: هذه مسألة الجواب فيها على أبيك، فهو أعلم مني بما، فأخبرت بذلك أبي، فضحك، ثم قال: ما استحييت من قاضي القضاة أن تسأله عن مثل هذا.

هي وإسحاق والخليفة المعتصم: أخبرنا يحيى بن علي بن يحيى: قال: حدثني أبي، قال: قال لي إسحاق: كانت عندي صناجة كنت بها معجباً، واشتهاها أبو إسحاق المعتصم في خلافة المأمون، فبينما أنا ذات يوم في منزلي، إذ أتاني إنسان يدق الباب دقاً شديداً فقلت: انظروا من هذا؟ فقالوا: رسول أمير المؤمنين، فقلت: ذهب صناجتي، تجده ذكرها له ذاكر، فبعث إلي فيها. فلما مضى بي الرسول انتهيت إلى الباب، وأنا مثخن، فدخلت، فسلمت، فرد علي السلام، ونظر إلى تغير وجهي، فقال لي: أسكن، فسكنت، فقال لي: إن صوتاً وقال لي: أتدري لمن هو؟ فقلت: أسمع، ثم أخبر أمير المؤمنين إن شاء الله ذلك، فأمر جارية من وراء الستارة، فغنته وضربت، فإذا هي قد شبهته بالغناء القديم، فقلت: زدني معها عوداً آخر، فإنه أثبت لي، فزادني عوداً آخر، فقلت: هذا الصوت يحدث لامرأة ضاربة، قال: من أين قلت ذلك؟ قلت: لما سمعت لينة عرفت أنه يحدث من غناء النساء، ولما رأيت

جودة مقاطعه علمت أن صاحبه ضاربة، وقد حفظت مقاطعه وأجزائه، ثم طلبت عوداً آخر، فلم أشك، فقال: صدقت، الغناء لعريب.

قال ابن المعتز: وقال يحيى بن علي: أمرني المعتمد على الله أن أجمع غناءها الذي صنعته، فأخذت منها دفاترها وصحفها التي كانت قد جمعت فيها غناءها فكتبته فكان ألف صوت. أصواتها كماً وكيفاً: وأخبرني علي بن عبد العزيز، عن ابن خردادبه: أنه سأل عريب عن صنعتها، فقالت: قد بلغت إلى هذا الوقت ألف صوت.

وحدثني محمد بن إبراهيم قريظ أنه جمع غناءها من ديواني ابن المعتز، وأبي العبيس بن حمدون، وما أخذه عن بدعة جاريتها التي أعطاها إياها بنو هاشم، فقابل بعضه ببعض، فكان ألفاً ومائة وخمسة وعشرين صوتاً. وذكر العتاي أن أحمد بن يحيى حدثه: قال: سمعت أبا عبد الله الهشامي يقول - وقد ذكرت صنعة عريب - : صنعتها مثل قول أبي دلف في خالد بن يزيد حيث يقول:

### ألفا ويدعى واحدا

### يا عين بكى خالداً

يريد أن غناءها ألف صوت في معنى واحد، فهي بمتزلة صوت واحد. وحكى عنه أيضاً هذه الحكاية ابن المعتز.

وهذا تحامل لا يجل، ولعمري إن في صنعتها لأشياء مردولة لينة، وليس ذلك مما يضعها، ولا عري كبير أحد من المغنين القدماء والمتأخرين من أن يكون صنعته النادر والمتوسط سوى قوم معدودين مثل ابن محرز ومعبد في القدماء، ومثل إسحاق وحده في المتأخرين، وقد عيب بمثل هذا ابن سريج في محله، فبلغه أن المغنين في القدماء، ومثل إسحاق وحده في المتأخرين، وقد عيب بمثل هذا ابن سريج في محله، فبلغه أن المغنين يقولون: إنما يغني ابن سريج الأرمال والخفاف، وغناؤه يصلح للأعراس والولائم، فبلغه ذلك فتغنى بقوله:

### مساكن ما بين الوتائر فالنقع

### لقد حبيت نعم إلينا بوجهها

ثم توفي بعدها، وغناؤه يجري مجرى المعيب عليه، وهذا إسحاق يقول في أبيه: - على عظيم محله في هذه الصناعة وما كان إسحاق يشيد به من ذكره وتفضيله على ابن جامع وغيره - ولأبي ستمائة صوت، منها مائتان تشبه فيها بالقديم، وأتى بها في نهاية من الجودة، ومائتان غناء وسط مثل أغاني سائر الناس، ومائتان فلسية وددت أنه لم يظهرها وينسبها لنفسه، فأسترها عليه، فإذا كان هذا قول إسحاق في أبيه فمن يعتذر بعده من أن يكون له جيد ورديء، وما عري أحد في صناعة من الصناعة من حال ينقصه عن الغاية، لأن الكمال شيء تفرد الله العظيم به، والنقصان جبلة طبع بني آدم عليها، وليس ذلك إذا وجد في بعض أغاني عريب مما يدعو إلى إسقاط سائرها، ويلزمه اسم الضعف واللين، وحسب المحتج لها شهادة إسحاق بتفضيلها، وقلما شهد لأحد، أو سلم خلق - وإن تقدم وأجمع على فضله - من شينه إياه وطعنه عليه، لنفاسته في هذه الصناعة، واستصغاره أهلها، فقد تقدم في

أخباره مع علوية، ومخارق، وعمرو بن بانة، وسليم بن سلام، وحسين بن محرز، ومن قبلهم ومن فوقهم مثل ابن جامع وإبراهيم بن المهدي وتمجينه إياهم، وموافقته لهم على خطئهم فيما غنوه وصنعه مما يستغنى به عن الإعادة في هذا الموضوع، فإذا انضاف فعله هذا بهم. وتفضيله إياها، كان ذلك أدل على التحامل ممن طعن عليها، وإبطاله فيما ذكرها به، ولقائل ذلك - وهو أبو عبد الله الهشامي - سبب كان يصطنعه عليها، فدعاه إلى ما قال، نذكره بعد هذا إن شاء الله تعالى.

ومما يدل على إبطاله أن المأمون أراد أن يمتحن إسحاق في المعرفة بالغناء القديم والحديث، فامتحنه بصوت من غنائها من صنعتها، فكاد يجوز عليه، لولا أنه أطال الفكر والتلوم واستثبت، مع علمه بالمذاهب في الصنعة، وتقدمه في معرفة النغم وعللها، والإيقاعات ومجاريها.

وأخبرنا بذلك يحيى بن علي بن يحيى: قال: حدثني أبي عن إسحاق: فأما السبب الذي كان من أجله يعاديهما الهشامي، فأخبرني به يحيى بن محمد بن عبد الله بن طاهر قال: ذكر لأبي أحمد عبيد الله بن عبد الله بن طاهر عمي أن الهشامي زعم أن أحسن صوت صنعه عريب:

### صاح قد أمت ظالما

وإن غناءها بمتزلة قول أبي دلف في خالد:

### ألفاً ويدعى واحدا

### يا عين بكى خالداً

فقال: ليس الأمر كما ذكر، ولعريب صنعة فاضلة متقدمة، وإنما قال هذا فيها ظلماً وحسداً، وغمطها ما تستحقه من التفضيل، بخبر لها معه طريف، فسألناه عنه، فقال: أخرجت الهشامي معي إلى سر من رأى، بعد وفاة أخي، يعني أبا محمد بن عبد الله بن طاهر، فأدخلته على المعتز، وهو يشرب، وعريب تغني، فقال له: يا بن هشام، غن، فقال: تبت من الغناء قتل سيدي المتوكل، فقالت له عريب: قد والله أحسنت حيث تبت، فإن غناءك كان قليل المعنى، لا متقن ولا صحيح ولا مطرب، فأضحكت أهل المجلس جميعاً منه، فنججل؛ فكان بعد ذلك ييسط لسانه فيها، ويعيب صنعتها، ويقول: هي ألف صوت في العدد، وصوت واحد في المعنى. وليس الأمر كما قاله، إن لها لصنعة تشبهت فيها بصنعة الأوائل، وجودت، وبرزت فيها، منها:

### أئن سكنت نفسي وقل عويلها

ومنها:

### تقول همي يوم ودعتها

ومنها:

### إذا أردت انتصافاً كان ناصركم

ومنها:

## بأبي من هو دائي

ومنها:

## أسلموها في دمشق كما

ومنها:

## فلا تتعنتي ظلماً وزوراً

ومنها:

## لقد لام ذا الشوق الخلي من الهوى

ونسخت ما أذكره من أخبارها، فأنسبه إلى ابن المعتز من كتاب دفعه إلي محمد بن إبراهيم الجراحي المعروف بقريظ، وأخبرني أن عبد الله بن المعتز دفعه إليه، من جمعه وتأليفه، فذكرت منها ما استحسنته من أحاديثها، إذا كان فيها حشو كثير، وأضفت إليه ما سمعته ووقع إلي غير مسموعاً مجموعاً ومتفرقاً، ونسبت كل رواية إلى راويها.

برمكية النسب: قال ابن المعتز: حدثني الهشامي أبو عبد الله وأخبرني علي بن عبد العزيز، عن ابن خردادبة قالاً: كانت عريب لعبد الله بن إسماعيل صاحب مراكب الرشيد، وهو الذي رباها، وأدها، وعلمها الغناء. قال ابن المعتز: وحدثني غير الهشامي، عن إسماعيل بن الحسين خال المعتصم: أهما بنت جعفر بن يحيى، وأن البرامكة لما انتهبوا سرقت وهي صغيرة.

قال: فحدثني عبد الواحد بن إبراهيم بن محمد بن الخصيب: قال:

حدثني من أثق به، عن أحمد بن عبد الله بن إسماعيل المراكبي: أن أم عريب كانت تسمى فاطمة، وكانت قيمة لأم عبد الله بن يحيى بن خالد، وكانت صبية نظيفة، فرأها جعفر بن يحيى، فهبوها، وسأل أم عبد الله أن تزوجه إياها، ففعلت، وبلغ الخبر يحيى بن خالد، فأنكره؛ وقال له: أنتزوج من لا تعرف لها أم ولا أب؟ اشتر مكاها مائة جارية وأخرجها، فأخرجها، وأسكنها داراً في ناحية باب الأنبار سراً من أبيه. ووكل بها من يحفظها، وكان يتردد إليها، فولدت عريب في سنة إحدى وثمانين ومائة، فكانت سنوها إلى أن ماتت ستاً وتسعين سنة، قال: وماتت أم عريب في حياة جعفر، فدفعها إلى امرأة نصرانية، وجعلها دابة لها، فلما حدثت الحادثة بالبرامكة باعتهما سنسب النخاس، فباعها من المراكبي.

قال ابن المعتز: وأخبرني يوسف بن يعقوب: إنه سمع الفضل بن مروان يقول: كنت إذا نظرت إلى قدمي عريب شبهتهما بقدمي جعفر بن يحيى، قال: وسمعت من يحكي أن بلاغتها في كتبها ذكرت لبعض الكتاب فقال: فما يمنعها من ذلك وهي بنت جعفر بن يحيى؟

وأخبرني جحظة قال: دخلت إلى عريب مع شروين المغني وأبي العبيس بن حمدون، وأنا يومئذ غلام علي قباء

ومنطقة، فأنكرتني وسألت عني، فأخبرها شروين، وقال: هذا فتى من أهلك، هذا ابن جعفر بن موسى بن يحيى بن خالد، وهو يعني بالطنبور، فأدنتني، وقربت مجلسي، ودعت بطنبور، وأمرتني بأن أغني فغنيت أصواتاً، فقالت: قد أحسنت يا بني ولتكونن مغنياً، ولكن إذا حضرت بين هذين الأسدين ضعت أنت وطنبورك بين عوديهما، وأمرت لي بخمسين ديناراً.

قال ابن المعتز: وحدثني ميمون بن هارون: قال: حدثتني عريب قالت: بعث الرشيد إلى أهلها - تعني البرامكة - رسولاً يسألهم عن حالهم، وأمره ألا يعلمهم أنه من قبله، قالت: فصار إلى عمي الفضل، فسأله، فأنشأ عمي يقول: صوت

من هوى نجمه فكيف يكون؟

سألونا عن حالنا كيف أنتم

ر فظلنا لربيه نستكين

نحن قوم أصابنا عند الده

ذكرت عريب أن هذا الشعر للفضل بن يحيى، ولها فيه لحنان: ثاني ثقيل وخفيف ثقيل، كلاهما بالوسطى، وهذا غلط من عريب، ولعله بلغها أن الفضل تمثل بشعر غير هذا، فأنسيته وجعلت هذا مكانه. فأما هذا الشعر فللحسين بن الضحاك، لا يشك فيه، يرثي به محمداً الأمين بعد قوله:

دث الدهر فظلنا لربيه نستكين

نحن قوم أصابنا حا

كل يوم وأين منا الأمين؟

نتمنى من الأمين إياباً

وهي قصيدة.

تعشق، وتغرب إلى معشوقها: قال ابن المعتز: وحدثني المشامي: إن مولاها خرج إلى البصرة، وأدبها وخرجها وعلمها الخط والنحو والشعر والغناء، فبرعت في ذلك كله، وترايدت حتى قالت الشعر، وكان لمولاها صديق يقال له حاتم بن عدي من قواد خراسان، وقيل: إنه كان يكتب لعجيف على ديوان الفرض، فكان مولاها يدعوها كثيراً، ويخالطه، ثم ركب دين فاستتر عنه، فمد عينه إلى عريب، فكاتبها، فأجابته، وكانت المواصلة بينهما، وعشقتة عريب، فلم تزل تحتال حتى اتخذت سلماً من عقب، وقيل: من حيوط غلاظ، وسترتة، حتى إذا همت بالهرب إليه بعد انتقاله عن منزل مولاها بمدة - وقد أعد لها موضعاً - لفت ثيابها وجعلتها في فراشها بالليل، ودثرتها بدثارها، ثم تسورت من الحائط، حتى هربت، فمضت إليه، فمكثت عنده زماناً، قال: وبلغني أنها لما صارت عنده بعث إلى مولاها يستعير منه عوداً تغنيه به، فأعاره عودها، وهو لا يعلم أنها عنده، ولا يتهمه بشيء من أمرها، فقال عيسى بن عبد الله بن إسماعيل المراكبي، وهو عيسى ابن زينب يهو أباه ويعبره بها، وكان كثيراً ما يهجو:

فعلت فعلاً عجيباً

قاتل الله عريباً

مركباً صعباً مهوباً

ركبت والليل داج

فارتقت متصلا بالنجم  
صبرت حتى إذا ما  
مثلت بين حشايا  
خلفاً منها إذا نو  
ومضت يحملها الخو  
محة لو حركت خفت ع  
فتدللت لمحب فتلقاها حبيبا

أو منه قريبا  
أقصد النوم الرقيا  
هالكيلا تستريا  
دي لم يلف مجيبا  
ف قضيباً وكثيبا  
ليها أن تذوبا

جذلاق دنال في الدني  
أيها الضبي الذي تسحر ع  
والذي يأكل بعضا  
كنت نهياً لذئاب  
وكذا الشاة إذا لم  
لا يبالي وبأ المر  
فلقد أصبح عبد الله م  
قد لعمرى لطم الوجه  
وجرت منه دموع

امن الدنيا نصيبا  
ناه القلوبا  
بعضه حسناً وطيبا  
فلقد أطعمت ذيبا  
يك راعيها لبيبا  
عى إذا كان خصيبا  
كشخان حريبا  
وقد شق الجيوبا  
بكت الشعر الخصبيا

وقال ابن المعتز: حدثنا محمد بن موسى بن يونس: أنها ملته بعد ذلك، فهربت منه، كانت تغني عند أقوام عرفتهم ببغداد، وهي مسترة متخفية، فلما كان يوم من الأيام اجتاز ابن أخ للمراكبي ببستان كانت فيه مع قوم تغني، فسمع غناءها، فعرفه، فبعث إلى عمه من وقته، وأقام هو بمكانه، فلم يبرح حتى جاء عمه، فلببها وأخذها، فضربها مائة مقرعة، وهي تصيح: يا هذا لم تقتلي! أنا لست أصبر عليك، أنا امرأة حرة إن كنت مملوكة فبعني، لست أصبر على الضيقة، فلما كان من غد ندم على فعله، وصار إليها فقبل رأسها ورجلها، ووهب لها عشرة آلاف درهم، ثم بلغ محمداً الأمين خبرها، فأخذها منه، قال: وكان خبرها سقط إلى محمد في حياة أبيه، فطلبها منه، فلم يجبه إلى ما سأل، وقبل ذلك ما كان طلب منه خادماً عنده، فاضطغن لذلك عليه، فلما ولي الخلافة جاء المراكبي، ومحمد راكب، ليقبل يده، فأمر بمنعه ودفعه، ففعل ذلك الشاكري، فضربه المراكبي وقال له: أتمنعي من

يد سيدي أن أقبلها؟ فجاء الشاكري لما نزل محمد فشكاه، فدعا محمد بالمراكي، وأمر بضر عنقه، فسئل في أمره، فأعفاه، وحبسه، وطالبه بخمسمائة ألف درهم مما اقتطعه من نفقات الكراع، وبعث، فأخذ عريب من منزله مع خدم كانوا له، فلما قتل محمد هربت إلى المراكي، فكانت عنده، قال: وأنشدني بعض أصحابنا لحاتم بن عدي الذي كانت عنده لما هربت إليه، ثم ملته فهربت منه، وهي أبيات عدة، هذان منها:

ورشوا على وجهي من الماء واندبوا

قتيل عريب لا قتيل حروب

فليتك إن عجلتني فقتلتني

تكونين من بعد الممات نصيبي

قال ابن المعتز: وأما رواية إسماعيل بن الحسين، خال المعتصم فإنها تخالف هذا، وذكر أنها إنما هربت من دار مولاه المراكبي إلى محمد بن حامد الخاقاني المعروف بالخشن، أحد قواد خراسان قال: وكان أشقر أصهب الشعر أزرق، وفيه تقول عريب - ولها فيه هزج ورميل من روايتي الهشامي وأبي العباس :

بأبي كل أزرق

أصهب اللون أشقر

جن قلبي به ول

يس جنوني بمنكر

تذكر ناسياً: قال ابن المعتز: وحدثني ابن المدبر قال: خرجت مع المأمون إلى أرض الروم، أطلب ما يطلبه الأحداث من الرزق، فكنا نسير مع العسكر، فلما خرجنا من الرقة رأينا جماعة من الحرم في العماريات على الجمازات وكنا رفقة، وكنا أترابا، فقال لي أحدهم: على بعض هذه الجمازات عريب، فقلت: من يراهنني أمر في جنبات هذه العماريات، وأنشد أبيات عيسى ابن زينب؟.

قاتل الله عربيا

فعلت فعلاً عجيباً

فراهنني بعضهم وعدل الرهنان وسرت إلى جانبها فأنشدت الأبيات رافعاً صوتي بها، حتى أتممتها، فإذا أنا بامرأة قد أخرجت رأسها فقالت: يا فتى أنسيت أجود الشعر وأطيبه؟ أنسيت قوله:

وعريب رطبة الشف

رين قد نيكت ضروبا

أذهب فخذ ما بايعت فيه، ثم ألت السجف، فعلمت أنها عريب، وبادرت إلى أصحابي خوفاً من مكروه يلحقني من الخدم.

رقيب يحتاج إلى رقيب: أخبرني إسماعيل بن يونس قال: قال لنا عمر بن شبة: كانت للمراكي جارية يقال لها مظلومة، جميلة الوجه، بارعة الحسن، فكان يبعث بها مع عريب إلى الحمام، أو إلى من تزوره من أهله ومعارفه، فكانت ربما دخلت معها إلى ابن حامد الذي كانت تميل إليه، فقال فيها بعض الشعراء وقد رآها عنده:

لقد ظلموك يا مظلوم لما

أقاموك الرقيب على عريب

ولو أولوك إنصافاً وعدلاً

لما أخلوك أنت من الرقيب

أنتهين المريب عن المعاصي  
وكيف يجانب الجاني ذنوباً  
فكيف وأنت من شأن المريب  
لديك وأنت داعية الذنوب  
فإن يسترقبوك على عريب  
فما رقبوك من غيب القلوب

وفي هذا المعنى، وإن لم يكن من جنس ما ذكرته ما أنشدنيه علي بن سليمان الأخفش في رقية مغنية استحسنت وأظنه للناشي:

فديتك لو أنهم أنصفوا  
ألم يقرعوا ويحهم ما يرو  
لقد منعوا العين عن ناظريك  
وقد بعثوك رقيباً لنا  
ن من وحي طرفك في مقلتيك  
تصدين أعيننا عن سواك  
فمن ذا يكون رقيباً عليك  
وهل تنظر العين إلا إليك

من بلاط الأمين إلى بلاط المأمون: قال ابن المعتز: وحدثني عبد الواحد بن إبراهيم، عن حماد بن إسحاق، عن أبيه، وعن محمد بن إسحاق البغوي، عن إسحاق بن إبراهيم: أن خبر عريب لما نمي إلى محمد الأمين بعث في إحضارها وإحضار مولاها، فأحضرها، وغنت بحضرة إبراهيم بن المهدي تقول:

لكل أناس جوهر متنافس  
وأنت طراز الأنسات الملائح

فطرب محمد، واستعاد الصوت مراراً، وقال لإبراهيم: يا عم كيف سمعت؟ قال: يا سيدي، سمعتُ حسناً، وإن تطاولت بها الأيام، وسكن روعها ازداد غناؤها حسناً، فقال للفضل بن الربيع: خذها إليك، وساوم بها، ففعل، فاشتط مولاها في السوم، ثم أوجبها له بمائة ألف دينار، وانتقض أمر محمد، وشغل عنها، وشغلت عنه، فلم يأمر لمولاها بثمانها حتى قتل بعد أن أفتضها، فرجعت إلى مولاها، ثم هربت منه إلى حاتم بن عدي، وذكر باقي الخبر كما ذكره من تقدم.

وقال في خبره: إنها هربت من مولاها إلى ابن حامد، فلم تزل عنده حتى قدم المأمون بغداد، فتظلم إليه المراكبي من محمد بن حامد، فأمر بإحضاره فأحضر، فسأله عنها فأنكر، فقال له المأمون: كذبت قد سقط إلي خبرها. وأمر صاحب الشرطة أن يجرده في مجلس الشرطة، ويضع عليه السياط حتى يردها، فأخذها، وبلغها الخبر فركبت حمار مكار، وجاءت وقد جرد ليضرب، وهي مكشوفة الوجه، وهي تصيح: أنا عريب، إن كنت مملوكة فليبعني، وإن كنت حرة فلا سبيل له علي، فرفع خبرها إلى المأمون، فأمر بتعديلها عند قتيبة بن زياد القاضي، فعدلت عنده، وتقدم إليه المراكبي مطالباً بها، فسأله البيعة على ملكه إياها، فعاد متظلماً إلى المأمون، وقال: قد طولبت بما لم يطالب به أحد في رقيق، ولا يوجد مثله في بد من ابتاع عبداً أو أمة.

وتظلمت إليه زبيدة، وقالت: من أغلظ ما جرى علي بعد قتل محمد ابني هجوم المراكبي على داري وأخذه عريباً منها. فقال المراكبي: إنما أخذت ملكي، لأنه لم ينقدي الثمن، فأمر المأمون بدفعها إلى محمد بن عمر الواقدي -

وكان قد ولاه القضاء بالجانب الشرقي - فأخذها من قتيبة بن زياد، فأمر ببيعها ساذجة، فاشتراها المأمون بخمسين ألف درهم، فذهبت به كل مذهب ميلاً إليها ومحبة لها.

قال ابن المعتز: ولقد حدثني علي بن يحيى المنجم أن المأمون قبل في بعض الأيام رجلها، قال: فلما مات المأمون بيعت في ميراثه، ولم يبع له عبد ولا أمة غيرها، فاشتراها المعتصم بمائة ألف درهم، وأعتقها، فهي مولاته. وذكر حماد بن إسحاق عن أبيه أنها لما هربت من دار محمد حين قتل تدلت من قصر الخلد بجبل إلى الطريق، وهربت إلى حاتم بن عدي.

وأخبرني جحظة، عن ميمون بن هارون: أن المأمون اشتراها بخمسة آلاف دينار، ودعا بعبد الله بن إسماعيل، فدفعها إليه وقال: لولا أي حلفت ألا أشتري مملوكاً بأكثر من هذا لزدتك، ولكني سأوليك عملاً تكسب فيه أضعافاً لهذا الثمن مضاعفة، ورمى إليه بخاتمين من ياقوت أحمر، قيمتهما ألف دينار، وخلع خلعة سنوية، فقال: يا سيدي، إنما ينتفع الأحياء. بمثل هذا، وأما أنا فإني ميت لا محالة، لأن هذه الجارية كانت حياتي، وخرج عن حضرته، فاحتلط وتغير عقله، ومات بعد أربعين يوماً.

قال ابن المعتز: فحدثني علي بن يحيى قال: حدثني كاتب الفضل بن مروان: قال: حدثني إبراهيم بن رباح قال: كنت أولى نفقات المأمون، فوصف له إسحاق بن إبراهيم الموصلية عريب، فأمره أن يشتريها، فاشتراها بمائة ألف درهم، فأمرني المأمون بحملها، وأن أحمل إلى إسحاق مائة ألف درهم أخرى. ففعلت ذلك، ولم أدر لصانغها ودلاها، فجاء الفضل بن مروان إلى المأمون، وقد رأى ذلك، فأنكره، وسألني عنه، فقلت: نعم هو ما رأيت، فسأل المأمون، فدعاني، ودنوت إليه، وأخبرته أنه المال الذي خرج في ثمن عريب وصلة إسحاق، وقلت: أيما أصوب يا أمير المؤمنين: ما فعلت أو أثبت في الديوان أنها خرجت في صلة مغن وثن مغنية؟ فضحك المأمون وقال: الذي فعلت أصوب، ثم قال للفضل بن مروان: يا نبطي، لا تعترض على كاتبتي هذا في شيء.

وقال ابن المكّي: حدثني أبي عن تحرير الخادم: قال: دخلت يوماً قصر الحرم، فلمحت عريب جالسة على كرسي ناشرة شعرها تغتسل، فسألت عنها، فقيل: هذه عريب دعا بها سيدها اليوم، فافتضها.

قال ابن المعتز: فأخبرني ابن عبد الملك البصري: أنها لما صارت في دار المأمون احتالت حتى وصلت إلى محمد بن حامد، وكانت قد عشقته وكاتبته بصوت قالت، ثم احتالت في الخروج إليه، وكانت تلقاه في الوقت بعد الوقت، حتى حبلت منه وولدت بنتاً، وبلغ ذلك المأمون فزوجه إياها.

وأخبرنا إبراهيم بن القاسم بن زرور، عن أبيه، وحدثني به المظفر بن كيغلق عن القاسم بن زرور، قال: لما وقف المأمون على خبرها مع محمد بن حامد أمر بالباسها جبة صوف وختم زيقها وحبسها في كنيف مظلم شهراً لا ترى الضوء، يدخل إليها خبز وملح وماء من تحت الباب في كل يوم، ثم ذكرها، فرق لها، وأمر بإخراجها، فلم فتح الباب عنها، وأخرجت لم تتكلم بكلمة حتى اندفعت تغني:

جبوه عن بصري فمثل شخصه في القلب فهو محجب لا يحجب

فبلغ ذلك المأمون، فعجب منها، وقال: لن تصلح هذه أبداً، فزوجها إياه.  
نسبة هذا الصوت صوت

لو كان يقدر أن يبئك ما به  
لرأيت أحسن عاتب يتعجب  
حجبه عن بصري فمثل شخصه  
في القلب فهو محجب لا يحجب  
الغناء لعريب ثقيل أول بالوسطى.

رقعة منها في تركه: قال ابن المعتز: وحدثني لؤلؤ صديق علي بن يحيى المنجم: قال: حدثني أحمد بن جعفر بن حامد: قال: لما توفي عمي محمد بن حامد صار جدي إلى منزله، فنظر إلى تركته، وجعل يقلب ما خلف، ويخرج إليه منها الشيء بعد الشيء إلى أن أخرج إليه سبط محتوم، ففض الخاتم، وجعل يفتحه، فإذا فيه رقاع عريب إليه، فجعل يتصفحها ويتسمم، فوقع في يده رقعة، فقرأها، ووضعها من يده وقام لحاجة، فقرأها فإذا فيها قوله: صوت

ويلي عليك ومنكا  
زعمت أني خئون  
إن كان ما قلت حقاً  
فأبدل الله ما بي  
أوقعت في الحق شكاً  
جوراً علي وإفكاً  
أو كنت أزعمت تركاً  
من ذلة الحب نسكاً

لعريب في هذه الأبيات رمل وخزج، عن الهشامي والشعر لها.  
تجيب على قبلة بطعنة: قال ابن المعتز: وحدثني عبد الوهاب بن عيسى الخراساني، عن يعقوب الرّحامي: قال: كنا مع العباس بن المأمون بالرقعة وعلى شرطته هاشم - رجل من أهل خراسان - فخرج إلي، وقال: يا أبا يوسف، ألقى إليك سرّاً لثقتي بك، وهو عندك أمانة، قلت: هاته، قال: كنت واقفاً على رأس الأمين وبي حر شديد، فخرجت عريب، فوفقت معي، وهي تنظر في كتاب فما ملكت نفسي أن أوأمت بقبلة، فقالت: كحاشية البرد. فوالله ما أدري ما أردت، فقلت: قالت لك: طعنة.  
قال: وكيف ذاك؟ قلت: أردت قول الشاعر:

رمى ضرع ناب فاستمر بطعنة  
كحاشية البرد اليماني المسهم

وحكى هذه القصة أحمد بن أبي طاهر، عن بشر بن زيد، عن عبد الله بن أيوب بن أبي شمر، أنهم كانوا عند المأمون ومعهم محمد بن حامد، وعريب تغنيهم، فغنت تقول:

رمى ضرع ناب فاستمر بطعنة  
كحاشية البرد اليماني المسهم

فقال لها المأمون: من أشار إليك بقبلة، فقلت له طعنة؟ فقالت له: يا سيدي، من يشير إلي بقبلة من مجلسك؟ فقال: بحياتي عليك! قالت: محمد بن حامد، فسكت.

تحب أميراً وتزوج خادماً: قال ابن المعتز: وحدثني محمد بن موسى: قال: اصطحب المأمون يوماً ومعه ندماًؤه، وفيهم محمد بن حامد وجماعة من المغنين، وعريب معه على مصلاه، فأوماً محمد بن حامد إليها بقبلة، فاندفعت تغني ابتداء:

### رمى ضرع ناب فاستمر بطعنة كحاشية البرد اليماني المسهم

تريد بغنائها جواب محمد بن حامد بأن تقول له: طعنة، فقال لها المأمون: أمسكي، فأمسكت، ثم أقبل على الندماء فقال: من فيكم أوماً إلى عريب بقبلة؟ والله لئن لم يصدقني لأضربن عنقه، فقام محمد، فقال: أنا يا أمير المؤمنين أو مأت إليها، والعفو أقرب للتقوى، فقال: قد عفوت. فقال: كيف استدلل أمير المؤمنين على ذلك؟ قال: ابتدأت صوتاً، وهي لا تغني ابتداء إلا لمعنى، فعلمت أنها لم تبدئ بهذا الصوت إلا لشيء أو مئى به إليها، ولم يكن من شرط هذا الموضع إلا إيماء بقبلة، فعلمت أنها أجابت بطعنة.

قال ابن المعتز: وحدثني علي بن الحسين: أن عريب كانت تتعشق أبا عيسى بن الرشيد وروى غيره أنها كانت لا تضرب المصل إلا بحسن وجه أبي عيسى وحسن غنائها، وكانت تزعم أنها ما عشقت أحداً من بني هاشم وأصفتها المحبة من الخلفاء وأولادهم سواه.

قال ابن المعتز: وحدثني بعض جوارينا: إن عريب كانت تتعشق صالحاً المنذري الخادم، وتزوجته سرّاً، فوجه به المتوكل إلى مكان بعيد في حاجة له، فقالت فيه شعراً، وصاغت لحنه في خفيف الثقل وهو: صوت

### أما الحبيب فقد مضى بالرغم مني لا الرضا

### أخطأت في تركي لمن لم ألق منه معوضاً

قال: فغنته يوماً بين يدي المتوكل، فاستعاده، وجعل جواريه يتغامزن ويضحكن، فأصغت إليهن سرّاً من المتوكل، فقالت: يا سحاقات، هذا خير من عملكنّ.

قبلي سالفتي تجدي ريح الجنة: قال: وحدثت عن بعض جوارى المتوكل، أنها دخلت يوماً على عريب، فقالت لها: تعالي ويحك إلي، فجاءت. قال: فقالت: قبلي هذا الموضع مني فإنك تجدين ريح الجنة فأومأت إلى سالفتها، ففعلت، ثم قالت لها: ما السبب في هذا؟ قالت: قبلي صالح المنذري في ذلك الموضع.

وقت انسجام لا وقت ملام: قال ابن المعتز: وأخبرني أبو عبد الله الهشامي قال: حدثني محمد بن يحيى الوائقي، قال: قال لي محمد بن حامد ليلة: أحب أن تفرغ لي مضربك، فإني أريد أن أحيئك، فأقيم عندك، ففعلت، ووافاني، فلما جلس جاءت عريب، فدخلت.

وقد حدثني به جحظة: قال: حدثني أبو عبد الله بن حمدون: أن عريب زارت محمد بن حامد، وجلسا جميعاً، فجعل يعاتبها، ويقول: فعلت كذا، وفعلت كذا، فقالت لي: يا محمد، هذا عندك رأي؟ ثم أقبلت عليه، فقالت: يا عاجز خذ بنا فيما نحن فيه وفيما جئنا إليه.

وقال جحظة في خبره: اجعل سراويلي مخنقي، وألصق خلخالتي بقرطي، فإذا كان غد فاكتب إلي بعتابك في طومار حتى أكتب إليك بعذري في ثلاثة، ودع هذا الفضول، فقد قال الشاعر: صوت

**تعالى لا أعد ولا تعدي**

**دعي عد الذنوب إذا التقينا**

وتمام هذا قوله:

**إلى نار الجحيم لقلت مدي**

**فأقسم لو هممت بمدّ شعري**

الشعر للمؤمل: والغناء لعريب، خفيف رمل، وفيه لعلوية رمل بالبنصر من رواية عمرو بن بانه: مع ثمانية من الخلفاء: أخبرني أبو يعقوب إسحاق بن الضحاك بن الخصيب: قال: حدثني أبو الحسن علي بن محمد بن الفرات قال: كنت يوماً عند أخي أبي العباس، وعنده عريب جالسة على دست مفرد لها، وجواربها يغنين بين يدينا وخلف ستارتنا، فقلت لأخي - وقد جرى ذكر الخلفاء: قالت لي عريب: ناكني منهم ثمانية ما اشتبهت منهم أحداً إلا المعتز، فإنه كان يشبه أبا عيسى بن الرشيد. قال ابن الفرات: فأصغيت إلى بعض بني أخي، فقلت له: فكيف ترى شهوتها الساعة فضحك ولحته، فقالت: أي شيء قلت؟ فجحدها. فقالت لجواربها: أمسكن، ففعلن، فقالت: هنّ حرائر لئن لم تخبراني بما قلتما لينصرفن جميعاً، وهن حرائر. إن حردت من شيء جرى، ولو أنّها تسفيل، فصدقتها. فقالت: وأي شيء في هذا؟ أما الشهوة فبحالها، ولكن الآلة قد بطلت أو قالت: قد كلت، عودوا إلى ما كنتم فيه.

شرطان فاحشان: وحدثني الحسن بن علي بن مودة قال: حدثني إبراهيم بن أبي العيس: قال: حدثنا أبي: قال: دخلنا على عريب يوماً مسلّمين، فقالت: أقيموا اليوم عندي حتى أطعمكم لوزنيحة صنعتها بدعة بيدها من لوز رطب، وما حضر من الوظيفة، وأغنيكم أنا وهي، قال: فقلت لها على شريطة، قالت: وما هي؟ قلت: شيء أريد أن أسألك عنه منذ سنين، وأنا أهابك؟ قالت: ذاك لك، وأنا أقدم الجواب قبل أن تسأل، فقد علمت ما هو، فعجبت لها، وقلت: فقولي، فقالت: تريد أن تسألني عن شرطي أي شرط هو؟ فقلت: إي والله ذاك الذي أردت. قالت: شرطي أير صلب، ونكهة طيبة، فإن انضاف إلى ذلك حسن يوصف، وجمال يحمد فقد زاد قدره عندي، وإلا فهذان ما لا بد لي منهما.

تلحن حبيها درساً في كيف تكون الهدية: وحدثني الحسن بن علي، عن محمد بن ذي السيفين إسحاق بن كنداجيق. عن أبيه: قال: كانت عريب تولع بي وأنا حديث السن، فقالت لي يوماً: يا إسحاق قد بلغني أنّ عندك دعوة فابعث إلي نصيبي منها، قال: فاستأنفت طعاماً كثيراً. وبعثت إليها منه شيئاً كثيراً؛ فأقبل رسولي من عندها مسرعاً. فقال لي: لما بلغت إلى باهما، وعرفت خبري أمرت بالطعام فأهّمت وقد وجهت إليك برسول. وهو معي، فتحيرت وظننت أنّها قد استقصرت فعلي، فدخل الخادم ومعه شيء مشدود في منديل ورقعة، فقرأها، فإذا فيها: بسم الله الرحمن الرحيم، يا عجمي يا غبي، ظننت أنّي من الأتراك ووحش الجند، فبعثت إلي بخبز ولحم وحلواء، الله المستعان عليك، يا فدتك نفسي، قد وجهت إليك زلة من حضرتي، فتعلم ذلك من الأخلاق ونحوه

من الأفعال، ولا تستعمل أخلاق العامة، في رد الظرف. فيزداد العيب والعتب عليك إن شاء الله، فكشفت المنديل، فإذا طبق ومكبه من ذهب منسوج على عمل الخلاف، وفيه زبدية فيها لقمتان من رقاق، وقد عصبت طرفيهما وفيها قطعتان من صدر دراج مشوي ونقل وطلع وملح. وانصرف رسولها.

أيهما أعلى: الخلافة أم الخل الوفي؟ قال ابن المعتز: حدثني الهشامي أبو عبد الله. عن رجل ذكره، عن علوية قال: أمرين المأمون وسائر المغنين في ليلة من الليالي أن نصير إليه بكرة ليصطح، فغدونا ولقيني المراكبي موىل عريب، وهي يومئذ عنده، فقال لي: يأيها الرجل الظالم المعتدي، أما ترق ولا ترحم ولا تستحي؟ عريب هائمة تحلم بك في النوم ثلاث مرات في كل ليلة، قال علوية: فقلت: أم الخلافة زانية. ومضيت معه، فحين دخلت قلت: استوثق من الباب، فإني أعرف خلق الله بفضول البوابين والحجاب، وإذا عريب جالسة على كرسي تطبخ، وبين يديها ثلاث قدور من دجاج، فلما رأيتن قامت تعانقني وتقبلني، ثم قالت: أما أحب إليك أن تأكل من هذه القدور، أو تشتهي شيئاً يطبخ لك، فقلت: بل قدر من هذه تكفيننا، فغرفت قدراً منها، وجعلتها بيني وبينها، فأكلنا ودعونا بالبيد، فجلسنا نشرب حتى سكرنا، ثم قالت: يا أبا الحسن، صنعت البارحة صوتاً في شعر لأبي العتاهية، فقلت: وما هو؟ فقالت هو:

### عذيري من الإنسان لا إن جفوته صفا لي ولا إن كنت طوع يديه

وقالت لي: قد بقي فيه شيء، فلم نزل نردده أنا وهي حتى استوى، ثم جاء الحجاب فكسروا باب المراكبي واستخرجوني، فدخلت على المأمون، فلما رأيته أقبلت أمشي إليه برقص وتصفيق، وأنا أعني الصوت، فسمع وسمع من عنده ما لم يعرفوه واستظرفوه، وسألني المأمون عن خبره، فشرحته له. فقال لي: ادن ورددته، فرددته عليه سبع مرات. فقال في آخر مرة: يا علوية. خذ الخلافة واعطني هذا الصاحب.

نسبة هذا الصوت صوت

### عذيري من الإنسان لا إن جفوته صفا لي ولا إن كنت طوع يديه

### وإني لمشتاق إلى قرب صاحب يروق ويصفو إن كدرت عليه

الشعر من الطويل وهو لأبي العتاهية، والغناء لعريب، خفيف ثقيل أول بالوسطى، ونسبه عمرو بن بانه في هذه الطريقة والأصبع إلى علوية.

لماذا غضب الواصل والمعتصم عليها: قال ابن المعتز: وحدثني القاسم بن زرور: قال: حدثني عريب قالت: كنت في أيام محمد ابنة أربع عشرة سنة، وأنا حينئذ أصوغ الغناء.

قال القاسم: وكانت عريب تكايد الواصل فيما يصوغه من الألحان وتصوغ في ذلك الشعر بعينه لحناً أجود من لحنه، فمن ذلك:

### لم آت عامدة ذنباً إليك بلى أقر بالذنب فاعف اليوم عن زلي

لحنها فيه حفيف ثقيل، ولحن الواثق رمل، ولحنها أجود من لحنه، ومنها:

أشكو إلى الله ما ألقى من الكمد حسبي برربي ولا أشكو إلى أحد

لحنها ولحن الواثق جميعاً من الثقيل الأول، ولحنها أجود من لحنه.

نسبة هذين الصوتين صوت

لم آت عامدة ذنباً إليك بلى أقر بالذنب فاعف اليوم عن زللي

فالصفح من سيد أولى لمعتذر وقاك ربك يوم الخوف والوجل

الغناء للواثق رمل، ولعريب خفيف ثقيل وذكر ذكاء وجه الرزة أن لطالب بن يزداد فيه هزجاً مطلقاً.

صوت

أشكو إلى الله ما ألقى من الكمد حسبي برربي ولا أشكو إلى أحد

أين الزمان الذي قد كنت ناعمة في ظله بدنوي منك يا سندي

وأسأل الله يوماً منك يفرحني فقد كحلت جفون العين بالسهد

شوقاً إليك وما تدري بما لقيت نفسي عليك وما بالقلب من كمد

الغناء لعريب ثقيل أول بالوسطى، وللواثق ثقيل أول بالبنصر.

قال ابن المعتز: وكان سبب انحراف الواثق عنها. وكيادها آياه، وانحراف المعتصم عنها أنه وجد لها كتاباً إلى العباس بن المأمون ببلد الروم: اقتل أنت العليج ثم، حتى أقلت أنا الأعور الليلي هاهنا. تعني الواثق، وكان يسهر بالليل، وكان المعتصم استخلفه ببغداد.

تغضب على جارية مبتذلة: قال: وحدثني أبو العبيس بن حمدون قال: غضبت عريب على بعض جواريتها المذكورات - وسماها لي - فجئت إليها يوماً. وسألتها أن تعفو عنها. فقالت في بعض ما تقوله، مما تعتد به عليها من ذنوبها: يا أبا العبيس إن كنت تشتهي أن ترى زناي وصفاقة وجهي وجراعتي على كل عزيمة أيام شبابي فانظر إليها واعرف أخبارها.

كانت تجيد ركوب الخيل: قال ابن المعتز: وحدثني القاسم بن زرور قال: حدثني المعتمد، قال: حدثني عريب أنها كانت في شبابها يقدم إليها بردون. فتطفر عليه بلا ركاب.

تندمج في الصوت فلا تحس لدغ العقرب: قال: وحدثني الأسدي: قال: حدثني صالح بن علي بن الرشيد المعروف بزعفرانة: قال: تمارى خالي أبو علي مع المأمون في صوت، فقال المأمون: أين عريب؟ فجاءت وهي محمومة، فسألها عن الصوت فقالت فيه بعلمها، فقال لها: غنية، فولت لتجيء بعود، فقال لها: غنية بغير عود، فاعتمدت على الحائط للحمي وغنت، فأقبلت عقرب، فرأيتها قد لسعت يدها مرتين أو ثلاثاً، فما نحت يدها، ولا سكتت. حتى فرغت من الصوت، ثم سقطت وقد غشي عليها.

غسالة رأسها تنقسمها جواريتها: قال ابن المعتز: وحدثني أبو العباس بن الفرات: قال: قالت لي تحفة جارية عريب: كانت عريب تجد في رأسها برداً، فكانت تغلف شعرها مكان العلة بستين مثقالاً مسكاً وعنبراً، وتغسله من جمعة إلى جمعة، فإذا غسلته أعادته، وتنقسم الجوارى غسالة رأسها بالقوارير وما تسرحه منه بالميزان. ترجل معارضة لصوت: حدثني أحمد بن جعفر جحظة، عن علي بن يحيى المنجم: قال: دخلت يوماً على عريب مسلماً عليها، فلما اطمأننت جالساً هطلت السماء بمطر عظيم، فقالت: أقم عندي اليوم حتى أغنيك أنا وجواري، وابعث إلى من أحببت من إخوانك، فأمرت بدواي فردت، وجلسنا نتحدث، فسألني عن خبرنا بالأمس في مجلس الخليفة، ومن كان يغنيا، وأي شيء استحسنا من الغناء، فأخبرتها أن صوت الخليفة كان لحناً صنعه بنان من الماخوري، فقالت: وما هو؟ فأخبرتها أنه: صوت

جفون حشوها الأرق

تجافي ثم تنطبق

وسفر القوم منطلق

وذي كلف بكى جزعا

وكان وما به قلق

به قلق يملله

بنار الشوق تحترق

جوانحه على خطر

فوجهت رسولاً إلى بنان، فحضر من وقته، وقد بلته السماء، فأمرت بخلع فاخرة، فخلعت عليه، وقدم له طعام فاخر، فأكل وجلس يشرب معنا، وسألته عن الصوت، فغناها إياه فأخذت دواة ورقعة وكتبت فيها:

وصاح النرجس الغرق

أجاب الوايل الغدق

وقد غنى بنان لنا: جفون حشوها الأرق

كأن حبابها حدق

فهات الكأس مترعة

قال علي بن يحيى: فما شربنا بقية يومنا إلا على هذه الأبيات.

ررموز برموز: حدثني محمد بن خلف بن المرزبان، عن عبد الله بن محمد المروزي: قال:

قال لي الفضل بن العباس بن المأمون: زارني عريب يوماً ومعهما عدة من جواريتها، فوافقتنا ونحن على شراينا، فتحدثنا ساعة. وسألته أن تقيم عندي، فأبت وقالت: دعاني جماعة من إخواني من أهل الأدب والظرف، وهم مجتمعون في جزيرة المؤيد، فيهم إبراهيم بن المدبر وسعيد بن حميد ويحيى بن عيسى بن منارة، وقد عزمت على المسير إليهم، فحلفت عليها. فأقامت عندنا، ودعت بدواة وقرطاس فكتبت: بسم الله الرحمن الرحيم وكتبت بعد ذلك في سطر واحد ثلاثة أحرف متفرقة لم ترد عليها، وهي: أردت، ولولا، ولعلي.

ووجهت به إليهم، فلما وصلت الرقعة عيوا بجواهما، فأخذ إبراهيم بن المدبر الرقعة، فكتب تحت أردت: ليت، وتحت لولا: ماذا، وتحت لعلي: أرجو. ووجهوا بالرقعة فصفقت ونعرت وشربت رطلاً وقالت لنا: أأترك هؤلاء وأقعد عندكم؟ إذا تركني الله من يديه، ولكني أخلف عندكم من جوارى من يكفيكم، وأقوم إليهم، ففعلت

ذلك وخلفت عندنا بعض جواريتها، وأخذت معها بعضهن، وانصرفت.  
لها حكم النظام: أخبرنا محمد بن خلف، عن سعيد بن عثمان بن أبي العلاء، عن أبيه قال: عتب المأمون على عريب، فهجرها أياماً، ثم اعتلت فعادها، فقال لها: كيف وجدت طعم الهجرة؟ فقالت: يا أمير المؤمنين، لولا مرارة الهجرة ما عرفت حلاوة الوصل، ومن ذم بدء الغضب أحمد عاقبة الرضا، قال: فخرج المأمون إلى جلسائه، فحدثهم بالقصة، ثم قال: أترى هذا لو كان من كلام النظام ألم يكن كبيراً؟  
لا تريد دخيلاً بينها، وبين المأمون: حدثني محمد بن خلف، عن أبي العيناء، عن أحمد بن أبي داود: قال: جرى بين عريب وبين المأمون كلام، فكلّمها المأمون بشيء غضبت منه، فهجرته أياماً، قال أحمد بن أبي داود: فدخلت على المأمون. فقال لي: يا أحمد، اقض بيننا، فقالت عريب: لا حاجة لي في قضائه ودخوله فيما بيننا، وأنشأت تقول:

### وتخلط الهجر بالوصال لا يدخل في الصلح بيننا أحد

ماذا كانت تفعل في خلوتها مع محمد بن حامد: حدثني محمد بن خلف قال: حدثني محمد بن عبد الرحمن، عن أحمد بن حمدون، عن أبيه، قال: كنت حاضراً مجلس المأمون ببلاد الروم بعد صلاة العشاء الآخرة في ليلة ظلماء ذات رعود وبروق، فقال لي المأمون: اركب الساعة فرس النوبة وسر إلى عسكر أبي إسحاق - يعني المعتصم - فأد إليه رسالتي في كيت وكيت، قال: فركبت ولم تثبت مع شعبة، وسمعت وقع حافر دابة، فرهبت ذلك، وجعلت أتوقاه، حتى صك ركابي ركاب تلك الدابة، وبرقت بارقة فأضاءت وجه الراكب، فإذا عريب، فقلت: عريب؟ قالت: نعم، حمدون، قلت: نعم. ثم قتل: من أين أقبلت في هذا الوقت؟ قالت: من عند محمد بن حامد، قلت: وما صنعت عنده؟ قالت عريب: ياتكش، عريب تجيء من عند محمد بن حامد في هذا الوقت خارجة من مضرب الخليفة وراجعة إليه، تقول لها: أي شيء عملت عنده؟ صليت مع التراويح؟! أو قرأت عليه أجزاء من القرآن، أو دارسته شيئاً من الفقه، يا أحمق تعاتبنا، وتحادثنا، واصطلحنا، ولعبنا، وشربنا، وغنينا، وتنايكننا، وانصرفنا، فأحججنتي وغازطني، وافترقنا، ومضيت فأدّيت الرسالة، ثم عدت إلى المأمون وأخذنا في الحديث وتناشد الأشعار، وهممت والله أن أحدثه حديثها، ثم هبتة فقلت: أقدم قبل ذلك تعريضاً بشيء من الشعر، فأنشده:

ألا حي أطلاقاً لو اسعة الحبل      ألوف تسوى صالح القوم بالردل

قلو أن من أمسى بجانب تلعة      إلى جبلي طي فساقطة الحبل

جلوس إلى أن يقصر الظل عندها      لراحوا وكل القوم منها على وصل

فقال لي المأمون: احفض صوتك لا تسمعك عريب فتغضب، وتظن أنا في حديثها، فأمسكت عما أردت أخبره، وخار الله لي في ذلك.

تعشق ولا تعشق: حدثني محمد بن أحمد الحكيمي: قال: أخبرني ميمون بن هارون، قال: قال لي ابن اليزيدي: حدثني أبي قال: خرجنا مع المأمون في خروجه إلى بلد الروم، فرأيت عريب في هودج، فلما رأته قلت لي: يا يزيدي، أنشدني شعراً قلته حتى أصنع فيه لحناء فأنشدتها:

ماذا بقلبي من دوام الخفق  
من قبل الأردن أو دمشق  
فإن فيه وهو أعز الخلق  
علي والزور خلاف الحق

ذاك الذي يملك مني رقي  
ولست أبغي ما حبيت عتقي

قال: فتنفست تنفساً ظننت أن ضلوعها قد تقصفت منه، فقلت: هذا والله تنفس عاشق، فقالت: اسكت يا عاجز أنا أعشق، والله لقد نظرت نظرة مريبة في مجلس، فادعها من أهل المجلس عشرون رئيساً طريفاً. بيتا عباس بن الأحنف يصلحان بينها وبين حبيبها: حدثني محمد بن خلف: قال: حدثني أحمد بن أبي طاهر: قال: حدثني أحمد بن حمدون: قال: وقع بين عريب وبين محمد بن حامد شر، وكان يجذبها الوجد كله، فكادا يخرجان من شرهما إلى القطيعة، وكان في قلبها منه أكثر مما في قلبه منها، فلقيته يوماً، فقالت له: كيف قلبك يا محمد؟ قال: أشقى والله ما كان وأقرحه، فقالت له: استبدل تسل، فقل لها: لو كانت البلوى باختيار لفعلت: فقالت: لقد طال إذاً تعبك، فقال: وما يكون؟ أصير مكرها، أما سمعت قول العباس بن الأحنف.

تعب يطول مع الرجاء بذوي الهوى  
لو لا كرامتكم لما عاتبتمكم  
خير له من راحة في اليأس  
ولكنتم عندي كبعض الناس

قال: فذرفت عينها، واعتذرت إليه وأعتبته، واصطلحا، وعادا إلى أفضل ما كانا عليه. اختلاف في فن عريب: حدثني أحمد بن جعفر جحظة: قال: قال لي أبو العباس بن حمدون - وقد تجاذبنا غناء عريب - ليس غناؤها مما يعتد بكثرتة، لأن سقطه كثير، وصنعها ساذجة، فقلت له: ومن يعرف في الناس كلهم من مغني الدولة العباسية سلمت صنعته كلها حتى تكون مثله! ثم جعلت أعد ما أعرفه من جيد صنعتها ومتقدمها وهو يعترف بذلك، حتى عددت نحواً من مائة صوت مثل لحنها في:

يا عز هل لك في شيخ فتى أبدا  
وسيسليك عما فات دولة مفضل  
وصاح قد لمت ظالماً  
وضحك الزمان وأشرق

ونحو هذا، ثم قال لي: ما خلفت عريب بعدها امرأة مثلها في الغناء والرواية والصنعة، فقلت له: لا، ولا كثيراً من الرجال أيضاً.

قصة لحن في بيت يتيم: ولعريب في صنعتها:

### يا عز هل لك في شيخ فتى أبداً

خبر أخبرني ببعضه أحمد بن عبيد الله بن عمار، عن ميمون بن هارون. وذكر ابن المعتز أن عبد الواحد بن إبراهيم بن الخصيب حدثه عن يثق به، عن أحمد بن عبد الله بن إسماعيل المراكبي: قال: قالت لي عريب: حج بي أبوك وكان مضعوفاً، فكان عديلي، وكنت في طريق أطلب الأعراب فأستشدهم الأشعار، وأكتب عنهم النوادر وسائر ما أسمعهم منهم، فوقف شيخ من الأعراب علينا يسأل، فاستشده، فأنشدني:

### وقد يكون شباب غير فتیان

### يا عز هل لك في شيخ فتى أبداً

فاستحسنته، ولم أكن سمعته قبل ذلك، قلت: فأنشدني باقي الشعر، فقال لي: هو يتيم، فاستحسنت قوله وبررته، وحفظت البيت وغنيت فيه صوتاً من الثقيل الأول، ومولاي لا يعلم بذلك لضعفه، فلما كان في ذلك اليوم عشياً قال لي: ما كان أحسن ذلك البيت الذي أنشدك إياه الأعرابي، وقال لك: إنه يتيم. أنشدني إن كنت حفظته، فأنشدته، إياه، وأعلمته أبي قد غنيت فيه، ثم غنيت له، فوهب لي ألف درهم بهذا السبب، وفرح بالصوت فرحاً شديداً.

قال ابن المعتز: قال ابن الخصيب: فحدثني هذا المحدث أنه قد حضر بعد ذلك بمجلس أبي عيسى بن المتوكل - ومن هاهنا تتصل رواية ابن عمار، عن ميمون، وقد جمعت الروایتين إلا أن ميمون بن هارون ذكر أنهم كانوا عند جعفر بن المأمون، وعندهم أبو عيسى، وكان عندهم علي بن يحيى، وبدعة جارية عريب تغنيهم - فذكر علي بن يحيى أن الصنعة فيه لعريب، وذكر أنها لا تدعى هذا وكابر فيه، فقام جعفر بن المأمون، فكتب رقعة إلى عريب - ونحن لا نعلم - يسألها عن أمر الصوت وأن تكتب إليه بالقصة، ففعلت، فكتبت إليها بخطها: بسم الله الرحمن الرحيم.

### وللعزب المسكين ما يتلمس

### هنيا لأرباب البيوت بيوتهم

أنا المسكينة، وحيدة فريدة بغير مؤنس، وأنتم فيما أنتم فيه، وقد أخذتم أنسي ومن كان يلهيني، تعني جاريتها: بدعة وتحفة - فأنتم في القصف والعزف، وأنا في خلاف ذلك، هناكم الله وأبقاكم، وسألت - مد الله في عمرك - عما اعترض فيه فلان، والقصة في هذا الصوت كذا وكذا، وقصت قصتها مع الأعرابي كما حدثت به، ولم تخرم حرفاً منها، فجاء الجواب إلى جعفر بن المأمون فقرأه وضحك. ثم رمى به إلى أبي عيسى، ورمى به أبو عيسى إليّ، وقال: اقرأه، وكان علي بن يحيى جالساً إلى جنبي، فأراد أن يستلب الرقعة، فمنعته، وقمت ناحية،

فقرأتها: فأنكر ذلك، وقال: ما هذا؟ فورينا الأمر عنه لئلا تقع عريضة، وكان - عفا الله عنا وعنه - مبغضاً لها. تروي قصة غرامية عن أبي محلم: قال ابن المعتز: وحدثني أبو الخطاب العباس بن أحمد بن الفرات، قال: حدثني أبي، قال: كنا يوماً عند جعفر بن المأمون نشرب وعريب حاضرة إذا غنى بعض من كان هناك:

يا بدر إنك قد كسيت مشابهاً

من وجه ذاك المستنير اللائح

وأراك تمصح بالمحاق، وحسنها

باق على الأيام ليس ببارح

فضحكت عريب وصفقت وقالت: ما على وجه الأرض أحد يعرف خبر هذا الصوت غيري، فلم يقدم أحد منا على مسألتها عنه غيري، فسألتها، فقالت: أنا أخبركم بقصته، ولولا أن صاحب القصة قد مات لما أخبرتكم، إن أبا محلم قدم بغداد، فترل بقرب دار صالح المسكين في خان هناك، فاطلعت أم محمد ابنة صالح يوماً، فرأته يبول، فأعجبها متاعه. وأحبت مواصلته، فجعلت لذلك علة بأن وجهت إليه تقترض منه مالاً، وتعلمه أنها في ضيقة وأنها ترده إليه بعد جمعة، فبعث إليها عشرة آلاف درهم، وحلف أنه لو ملك غيرها لبعث به، فاستحسنت ذلك ومواصلته، وجعلت القرض سبباً للوصلة، فكانت تدخله إليها ليلاً، وكنت أنا أغني لهم، فشرينا ليلة في القمر، وجعل أبو محلم ينظر إليه، ثم دعا بدواة ورقعة، وكتب فيها قوله:

يا بدر إنك قد كسيت مشابهاً

من وجه أم محمد ابنة صالح

والبيت الآخر، وقال لي: غني فيه، ففعلت واستحسنناه وشرينا عليه، فقلت لي أم محمد في آخر المجلس: يا أختي، قد تنبلت في هذا الشعر إلا أنه سيبقى علي فضيحة آخر الدهر، فقال أبو محلم: وأنا أغيره، فجعل مكان أم محمد ابنة صالح، "ذاك المستنير اللائح". وغنيته كما غيره، وأخذته الناس عني، ولو كانت أم محمد حية لما أخبرتكم بالخبر.

فأما نسبة هذا الصوت فإن الشعر لأبي محلم النسابة، والغناء لعريب ثقیل أول مطلق في مجرى الوسطى من رواية الهشامي وغيره، وأبو محلم اسمه عوف بن محلم.

تستزير حبيبها فيخشى على نفسه: أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي، عن ميمون بن هارون: قال: كتبت عريب إلى محمد بن حامد - الذي كانت تهواه - تستزيره، فكتب إليها: إني أخاف على نفسي، فكتبت إليه.  
صوت

إذا كنت تحذر ماتحذر

وتزعم أنك لا تجسر

فمالي أقيم على صبوتي

ويوم لقائك لا يقدر

فصار إليها من وقته.

لعريب في هذين البيتين وآخرين بعدهما لم يذكر في الخبر رمل، ولشاريه خفيف رمل، جمعا من رواية ابن المعتز، والبيتان الآخران:

وأبليت جسيمي وما تشعر

تبينت عذري وما تعذر

ودمعي من العين ما يفتنر

ألقت السرور وخليتني

وذكر ميمون في هذا الخبر أن محمد بن حامد كتب إليها يعاتبها في شيء كرهه، فكتبت إليه تعتذر، فلم يقبل، فكتبت إليه بهذين البيتين الآخرين اللذين ذكرتهما بعد نسبة هذا الصوت.

صوت

بيتا، كلفت به من شعر بشار

أحبيت من شعر بشار لحبكم

وجاورينا فدتك النفس من جار

يا رحمة الله حلي في منازلنا

كنيت عنك وما يعدوك إضماري

إذا ابتهلت سألت الله رحمته

الشعر لأبي نواس منه البيت الأول، والثاني لبشار ضمنه أبو نواس، والغناء لعريب ثقل أول بالبنصر، ولعمرو بن بانة في الثاني والثالث رمل.

وهذا الشعر يقوله أبو نواس في رحمة بن نجاح عم نجاح بن سلمة الكاتب.

رحمة حبيبة بشار ورحمة حبيب أبي نواس: أخبرني بخره علي بن سليمان الأخفش، عن محمد بن يزيد النحوي: قال:

كان بشار يشبب بامرأة يقال لها رحمة، وكان أبو نواس يتعشق غلاماً اسمه رحمة بن نجاح، عم نجاح بن سلمة الكاتب، وكانت متقدماً في جماله، وكان أبوه قد ألزمه وأخاه رجلاً مدنياً، وكان معهم كأحدهم، وأكثر أبو نواس التشبيب برحمة في إقامته ببغداد وشخصه عنها، وكان بشار قد قال في رحمة المرأة التي يهواها.

حسبي برائحة الفردوس من فيك

يا رحمة الله حلي في منازلنا

إلا شهادة أطراف المساويك

يا أيب الناس ريقاً غير مختبر

فقال أبو نواس، وضمن بيت بشار.

بيتا كلفت به من شعر بشار

أحبيت من شعر بشار لحبكم

الآيات الثلاثة...

وقال فيه:

متيمماً ببغداد غير ملاح

يا من تأهب مزماً لرواح

رماً وكل سباحة السباح

في بطن جارية كفتك بسيرها

صنفان من قار ومن ألواح

بنيت على قدر ولائم بينها

وكأنها والماء ينضح صدرها والخيزرانة في يد الملاح

يهوي بصوت واصطفاق جناح  
واخصص هناك مدينة الوضاح  
فيمقصد عن ظبي آل نجاح  
سيماه سيما شارب للراح  
ومنعم ومكل ورداح  
سميتها منه بنور أقاحي  
لتبوح عني ثم كل مباح  
ممساي فيها واحد وصباحي

جون من الغربان بيتدر الدجى  
سلم على شاطي الصراة وأهلها  
واقصد هذيت ولا تكن متحيراً  
عن رحمة الرحمن واسأل من ترى  
فإذا دفعت إلى أغن وألثغ  
وكشمسنا وكبدرنا حاشى التي  
فاقصد لوقت لقائه في خلوة  
واخبر بما أحببت عن حالي التي

قال: فافتدى أبو رحمة من أبي نواس ذكر ابنه بأن عقد بينه وبينه حرمة، ودعاه إلى منزله، فجاءه أبو نواس  
والمديني لا يعرفه، فمازحه مزاحاً أسرف عليه فيه، فقام إليه رحمة، فعرفه أنه أبو نواس، فأشفق المدني من ذلك،  
وخاف أن يهجوّه ويشهر اسمه، فسأل رحمة أن يكلمه في الصفح له والإغضاء عن الانتقام، فأجابه أبو نواس  
وقال:

وأما ولثغة رحمة بن نجاح  
وترفقي لك بعد واستملاحي  
عطف الفؤاد عليك بعد جماح  
في ساعة ليست بحين مزاح  
وما أنت والطلل المحول؟  
وسنك قد قاربت تكمل؟

أذهب سلمت من الهجاء ولذعه  
لولا فتور في كلامك يشتهى  
وتكسر في مقتليك هو الذي  
لعلمت أنك لا تمازح شاعراً  
مدخل إلى ترجمة معقل بن عيسى: صوت  
أبكالك بالعرف المنزل  
وما أنت ويك ورسم الديار

عروضه من المتقارب، والشعر للكميّ بن زيد الأسدي، والغناء لمعقل بن عيسى أخي أبي دلف العجلي، ولحنه  
من الثقيل الأول بالبنصر، وهذا البتان من قصيدة مدح الكميّ بما عبد الرحمن بن عنبسة بن سعيد بن العاصي  
بن أمية.

أخبرني الحين بن علي قال: حدثني الحسن بن عليل العتري، عن علي بن هشام، عن محمد بن عبد الأعلى بن  
كناسة: قال: كان بين بني أسد وبين طيء بالحصّ - وهي قرية من قادية الكوفة - حرب، فاصطلحوا وبقي  
لطيء دماء رجلين، فاحتمل ذلك رجل من بني أسد، فمات قبل أن يؤديه، فاحتمله الكميّ بن زيد، فأعانه فيه  
عبد الرحمن بن عنبسة، فمدحه بقوله:

## أبكاك بالعرف المنزل

## وما أنت والطلل المحول

فأعانه الحكم بن الصلت الثقفي، فمدحه بقصيدته التي أولها:

### رأيت الغواني وحثاً نفورا

وأعانه زياد بن المغفل الأسدي، فمدحه بقصيدته التي أولها:

### هل للشباب الذي قد فات من طلب؟

ثم جلس الكميت وقد خرج العطاء، فأقبل الرجل يعطي الكميت المائتين، والثلاث المائة، وأكثر وأقل، قال: وكانت دية الأعرابي حينئذ ألف بغير ودية الحضري عشرة آلاف درهم، وكانت قيمة الجمل عشرة دراهم، فأدى الكميت عشرين ألفاً عن قيمة ألفي بغير. نسبة ما في أشعار الكميت هذه من الأغاني

## صوت

منها:

أم ليس غابره الماضي بمنقلب

هل للشباب الذي قد فات من طلب

فالدهر يأتي بألوان من العجب

دع البكاء على ما فات من طلب

غناه إبراهيم الموصلني خفيف رمل بالسبابة في مجرى الوسطى من رواية إسحاق.

## ذكر معقل بن عيسى

### شاعر مغن

كان معقل بن عيسى فارساً شاعراً جواداً، مغنياً فهما بالنغم والوتر، وذكره الجاحظ مع ذكر أخيه أبي دلف وتقريره في المعرفة بالنغم، وقال: إنه من أحسن أهل زمانه وأجود طبقتة صنعة؛ إذ سلم ذلك له أخوه معقل، وإنما أحمل ذكره ارتفاع شأن أخيه، وهو القائل لأبي دلف في عتب عتبه عليه:

وإن رميتك سهماً لم يجز كبدي

أخي مالك ترميني فنقصدني

كأن أجسادنا لم تغذ من جسد

أخي مالك مجبولاً على ترتي

وهو القائل لمخارق، وقد كان زار أبا دلف إلى الجبل، ثم رجع إلى العراق، أخبرني بذلك علي بن سليمان

الأخفش عن أبي سعيد السكري: صوت

لعمرى لئن قرت بقربك أعين  
لقد سخنت بالبين منك عيون  
فسر أو أقم وقف عليك محبتي  
مكانك من قلبي عليك مصون  
فما أوحش الدنيا إذا كنت نازحاً  
وما أحسن الدنيا بحيث تكون

عروضه من الطويل، والشعر لمعقل بن عيسى، والغناء لمخارق، ولحنه من الثقيل الأول بالوسطى، وفيه لحن لمعقل بن عيسى خفيف رمل، وفيه ثاني ثقيل يقال: إنه لمخارق، ويقال: إنه لمعقل.

ومن شعر معقل قوله يمتدح المعتصم، وفيه غناء للزبير بن دحمان من الثقيل الأول بالبنصر: صوت

الدار هاجك رسمها وطلولها  
أم بين سعدى يوم جد رحيلها  
كل شجائك فقل لعينك أعولي  
إن كان يغني في الديار عويلها  
ومحمد زين الخلائف والذي  
سن المكارم فاستبان سبيلها

صوت

أليس إلى أجدال شمش إلى اللوى  
لوى الرمل يوماً للنفوس معاد؟  
بلاد بها كنا، وكنا من أهلها  
إذ الناس ناس والبلاد بلاد

الشعر لرجل من عاد فيما ذكروا، والغناء لابن محرز، ولحنه من الثقيل الأول بالبنصر عن ابن المكي، وقيل: إنه من منحوه إليه.

خبر رجل من عاد: أخبرني ابن عمار عن أبي سعد، عن محمد بن الصباح: قال: حدثنا يحيى بن سلمة بن أبي الأشهب التيمي عن الهيثم بن عدي: قال: أخبرني حماد الرواية: قال: حدثني ابن أخت لنا من مراد: قال: وليت صدقات قوم من العرب، فبينما أنا أقسمها في أهلها إذ قال لي رجل منهم: ألا أريك عجباً؟ قلت: بلى، فأدخلني في شعب من جبل، فإذا أنا بسهم من سهام عاد، فتى قد نشب في ذروة الشعب وإذا على الجبل تجاهي مكتوب:

ألا هل إلى أبيات شمش إلى اللوى  
لوى الرمل يوماً للنفوس معاد؟  
بلاد بها كنا وكنا من أهلها  
إذ الناس ناس والبلاد بلاد

ثم أخرجني إلى ساحل البحر، وإذا أنا بحجر يعلوه الماء طوراً، ويظهر تارة، وإذا عليه مكتوب: يا بن آدم يا بن عبد ربه، اتق الله، ولا تعجل في أمرك، فإنك لن تسبق رزقك، ولن ترزق ما ليس لك، ومن البصرة إلى الدليل ستمائة فرسخ، فمن لم يصدق بذلك فليمش الطريق على الساحل حتى يتحققه، فإن لم يقدر على ذلك فلينطح برأسه هذا الحجر.

صوت

يا بيت عاتكة الذي أت عزل

حذر العدا وبه الفؤاد موكل

إني لأمنحك الصدود وإنني

قسماً إياك مع الصدود لأميل

أتعزله: أجنبه وأكون بمعزل عنه. العدا: جمع عدو، ويقال عدا بالضم وعدا بالكسر، وأمنحك: أعطيك. والمنيحة: العطية. وفي الحديث أن رجلاً منح بعض ولده شيئاً من ماله، فقال له النبي: أكل ولدك منحت مثل هذا؟ قال: لا، قال: فارجه.

الشعر للأحوص بن محمد الأنصاري، من قصيدة يمدح بها عمر بن عبد العزيز الغناء لمبعد ثاني ثقيل بالخنصر في مجرى البنصر، عن إسحاق ويونس وغيرهما، وفيه لابن سريج خفيف ثقيل الأول بالبنصر عن الهشامي وابن المكي وعلي بن يحيى.

### الأحوص وبعض أخباره

الأحوص يعارض ابن أبي دباكل أو يسرقه: أخبرني بخر الأحوص في هذا الشعر الحرميّ عن الزبير قال: حدثني عمر بن أبي بكر المؤملي، وأخبرنا به الحسين بن يحيى، عن حماد، عن أبيه، عن مصعب الزبيري، عن المؤملي، عن عمر بن أبي بكر الموصلي، عن عبد الله بن أبي عبيدة بن عمار بن ياسر: قال: خرجت أنا والأحوص بن محمد مع عبد الله بن الحسن بن الحسن إلى الحج، فلما كنا بقديد قلنا لعبد الله بن الحسن: لو أرسلت إلى سليمان بن أبي دباكل، فأنشدنا شيئاً من شعره، فأرسل إليه فأتانا، فاستنشدنا، فأنشدنا قصيدته التي يقول فيها:

يا بيت خنساء الذي أتجنب

ذهب الشباب وحبها لا يذهب

أصبحت أمنحك الصدود وإنني

قسماً إياك مع الصدود لأجنب

مالي أحن إلى جمالك قربت

وأصد عنك وأنت مني أقرب

لله درك هل لديك معول

لمتيم أم هل لودك مطلب؟

فلقد رأيتك قبل ذاك وإنني

لموكل بهواك أو متقرب

إذ نحن في الزمن الرخي وأنتم

متجاورون كلامكم لا يرقب

تبكي الحمامة شجوها فتهيجني

ويروح عازب همي المتأوب

وتهب جارية الرياح من أرضكم

فأرى البلاد لها تطل وتخصب

وأرى السمية باسمكم فيزيدني

شوقاً إياك رجاًوك المنتسب

وأرى العدو يودكم فأوده

إن كان ينسب منك أو لا ينسب

وأخالف الواشين فيك تجملاً

وهم علي ذوو ضغائن دؤب

ثم اتخذتهم علي وليجة

حتى غضبت ومثل ذلك يغضب

قال: فلما كان من قابل حجّ أبو بكر بن عبد العزيز بن مروان، فقدم المدينة، فدخل عليه الأحوص، واستصحبه فأصحبه، فلما خرج الأحوص قال له بعض من عنده: ماذا تريد بنفسك؟ تقدم بالأحوص الشام، وبها من ينافسك من بني أبيك، وهو من الأفن والسفه على ما قد علمت فيعيونك به. فلما رجع أبو بكر من الحج دخل عليه الأحوص منتجزاً لما وعده من الصحابة فدعا له بمائة دينار وأثواب وقال: يا خال، إني نظرت فيما سألتني من الصحابة فكرهت أن أهجم بك على أمير المؤمنين من غير إذنه، فيجبهك فيشمت بك عدوي من أهل بيتي، ولكن خذ هذه الثياب والدنانير، وأنا مستأذن لك أمير المؤمنين، فإذا أذن لك كتبت إليك، فقدمت علي، فقال له الأحوص: لا ولكن قد سبعت عندك، ولا حاجة لي بعطيتك، ثم خرج من عنده، فبلغ ذلك عمر بن عبد العزيز، فأرسل إلى الأحوص وهو يومئذ أمير المدينة، فلما دخل عليه أعطاه مائة دينار، وكساه ثياباً فأخذ ذلك، ثم قال له: يا أخي هب لي عرض أبي بكر، قال: هو لك، ثم خرج الأحوص، فقال في عروض قصيدة سليمان بن أبي دباكل قصيدة مدح بها عمر بن عبد العزيز.

وقال حماد: قال أبي: سرق أبيات سليمان بأعيانها، فأدخلها في شعره، وغير قوافيها فقط، فقال:

يا بيت عاتكة الذي أت عزل

حذر العدا وبه الفؤاد موكل

أصبحت أمنحك الصدود وإنني

قسماً إليك مع الصدود لأميل

فصدت عنك وما صدت لبغضة

أخشى مقالة كاشح لا يعقل

هل عيشنا بك في زمانك راجع

فلقد تفاحش بعدك المتعل؟

إني إذا قلت استقام يحطه

حلف كما نظر الخلاف الأقبل

لو بالذي عالجت لين فؤاده

فأبى يلان به للان الجندل

وتجنبي بيت الحبيب أوده

أرضي البغيض به، حديث معضل

ولئن صدت لأنت لولا رقبتي

أهوى من اللائي أزور وأدخل

إن الشباب وعيشنا اللذ الذي

كنا به زمنا نسر ونجدل

ذهبت بشابته وأصبح ذكره

حزنا يعل به الفؤاد وينهل

إلا تذكر ما مضى وصبابة

منيت لقلب متيم لا يذهل

أودى الشباب وأخلقت لذاته

وأنا الحزين على الشباب المعول

بيكي لما قلب الزمان جديده

خلقاً وليس على الزمان معول

والرأس شامله البياض كأنه  
وسفيهة هبت علي بسحرة  
فأجبتها أن قلت لست مطاعة  
إني كفاني أن أعالج رحلة  
بنوال ذي فجر تكون سجاله

بعد السواد به الثغام المحجل  
جهلاً تلوم على الثواء وتعذل  
فذري تنصحك الذي لا يقبل  
عمر ونبوة من يضمن ويبخل  
عمما إذا نزل الزمان المحمل

ماض على حدث الأمور كأنه  
تبدي الرجال إذا بدا إعظامه  
فيرون أن له عليهم سورة  
متحمل ثقل الأمور حوى له  
وله إذا نسبت قريش منهم  
وله بمكة إذ أمية أهلها  
أعيت قرابته وكان لزومه  
وسموت عن أخلاقهم فتركتمهم  
ولقد بدأت أريد ود معاشر  
حتى إذا رجع اليقين مطامعي  
زألت ما صنعوا إليك برحلة  
ووعدتني في حاجة فصدقنتني  
وشكوت غرماً فادحاً فحملته  
فلأشكرن لك الذي أوليتني  
مدحاً تكون لكم غرائب شعرها  
فإذا تتحلت القريض فإنه  
ولعمر من حج الحجيج لبيته  
إن امرأ قد نال منك قرابة

ذو رونق 1 غضب جلاه الصيقل  
حذر البغاث هوى لهن الأجدل  
وفضيلة سبقت له لا تجهل  
سبق المكارم سابق متمهل  
مجد الأرومة والفعال الأفضل  
إرث إذا عد القديم مؤثّل  
أمرأ أبان رشاده من يعقل  
لنذاك إن الحازم المتحول  
وعدوا مواعد أخلفت إن حصلوا  
بأساً وأخلفني الذين أوّمل  
عجلي وعندك عنهم متحول  
ووفيت إذ كذبوا الحديث وبدلوا  
عني وأنت لمتله متحمل  
شكراً تحل به المطي وترحل  
مبذولة ولغيركم لا تبذل  
لكم يكون خيار ما أتتحل  
تهوي به قلص المطس الذمل  
يبغي منافع غيرها لمضلل

تغفوا إذا جهلوا بحلمك عنهم  
وتنيل إن طلبوا النّوال فتجزل  
وتكون معقلهم إذا لم ينجهم  
من شر ما يخشون إلا المعقل  
حتى كأنك يتقنى بك دونهم  
من أشد بيئة خادر متبسل  
وأرى المدينة حين صرت أميرها  
أمن البرىء بها ونام الأعزل

فقال عمر: ما أراك أعفيتني مما استعفيت منه، قال: لأنه مدح عمر وعرض بأخيه أبي بكر.

نسبة ما مضى في هذه الأخبار من الأغاني صوت

ما لي أحن إذا جمالك قربت  
وأرى البلاد إذا حللت بغيرها  
يا بيت خنساء الذي أتجنب  
تبكي الحمامة شجوها فتهيجني  
وأصدّ عنك وأنت مني أقرب؟  
وحشاً وإن كانت تظل وتخصب  
ذهب الشباب وحبها لا يذهب  
ويروح عازب همي المتأوب

الشعر لسليمان بن أبي دباكل، والغناء لمبعد خفيف ثقيل أول بالبنصر، عن عمرو.

وقال ابن المكي: فيه خفيف ثقيل آخر لابن محرز، وأوله:

### تبكي الحمامة شجوها فتهيجني

من هي عاتكة؟ أخبرني الحسين بن يحيى قال: قال حماد: قرأت على أبي، وقال محمد بن كناسة: حدثني أبو دكين بن زكريا بن محمد بن عمار بن ياسر: قال: رأيت عاتكة التي يقول فيها الأحوص:

### يا بيت عاتكة الذي أتعزل

وهي عجوز كبيرة وقد جعلت بين عينها هلالاً من نيلج تتملح به.

أخبرني الحرمي عن الزبير، عن محمد بن محمد العمري: قال: عاتكة التي يشبب بها الأحوص عاتكة بنت عبد الله بن يزيد بن معاوية أخبرني الحرمي، عن الزبير، عن إسحاق بن عبد الملك: إن الأحوص كان لينا، وأن عاتكة التي ينسب بها ليست عاتكة بنت عبد الله بن يزيد بن معاوية، وإنما هو رجل كان يتزل قرى كانت بين الأشراف كنى عنه بعاتكة.

أخبرني الحرمي عن الزبيري عن يعقوب بن حكيم: قال: كان الأحوص لينا، وكان يلزم نازلاً بالأشراف، فنهاه أخوه عن ذلك، فتركه فرقاً من أخيه، وكان يمر قريباً من خيمة النازل بالأشراف ويقول:

### يا بيت عاتكة الذي أتعزل

يكنى عنه بعاتكة ولا يقدر أن يدخل عليه.

الفرزدق وكثير بزوران الأحوص: أخبرني الحرمي، عن الزبيري، عن محمد بن إسماعيل بن جعفر بن إبراهيم: قال:

حدثني عبد العزيز بن عمران: قال:

قدم الفرزدق المدينة، فقال لكثير؟ هل لك بنا في الأحوص نأتيه ونتحدث عنده؟ فقال له: وما نصنع به؟ إذا والله نجد عنده عبداً حالكاً أسود حلوكاً يؤثره علينا، ويبيت مضاجعه ليلته حتى يصبح، قال الفرزدق: فقلت: إن هذا من عداوة الشعراء بعضهم لبعض، قال: فأنهض بنا إليه إذاً - لا أب لغيرك - قال الفرزدق: فأردفت كثيراً ورائي على بغليتي، وقلت: تلف يا أبا صخر، فمثلك لا يكون رديفاً، فحمر رأسه وألصق في وجهه، فجعلت لا أجتاز بمجلس قوم إلا قالوا: من هذا وراءك يا أبا فراس؟ فأقول: جارية وهبها لي الأمير، فلما أكثرت عليه من ذلك، واجتاز على بني زريق، وكان ييغضهم، فقلت لهم ما كنت أقول قبل ذلك، كشف عن رأسه وأومض وقال: كذب، ولكني كرهت أن أكون له رديفاً وكان حديثه لي معجباً، فركبت وراءه، ولم تكن لي دابة أركبها إلا دابته، فقالوا: لا تعجل يا أبا صخر، ههنا دواب كثيرة تركب منها ما أردت، فقال: دوابكم والله أبغض إلى من ردفه، فسكتوا عنه. وجعل يتغشم عليهم، حتى جاوز أبصارهم، فقلت: والله ما قالوا لك بأساً، فما الذي أغضبك عليهم؟ فقال: والله ما أعلم نفرأ أشد تعصباً للقرشيين من نفر اجترت بهم، قال: فقلت له: وما أنت - لا أم لك ولقريش - قال: أنا والله أحدهم، قلت: إن كنت أحدهم فأنت والله دعيهم، قال: دعيتهم خير من صحيح نسب العرب، وإلا فأنا والله من أكرم بيوتهم، أنا أحد بني الصلت بن النضر، قلت: إنما قریش ولد فهر بن مالك، فقال: كذبت. فقال: ما علمك يا بن الجعراء بقریش؟ هم بنو النضر بن كنانة، ألم تر إلى النبي انتسب إلى النضر بن كنانة، ولم يكن ليجاوز أكرم نسبه، قال: فخرجنا حتى أتينا الأحوص، فوجدناه في مشربة له، فقلنا له: أنرقى إليك أم تنزل إلينا؟ قال: لا أقدر على ذلك، عندي أم جعفر، ولم أرها منذ أيام، ولي فيها شغل، فقال كثير: أم جعفر والله بعض عبید الزرانيق فقلنا له: فأنشدنا بعض ما أحدثت به، فأنشدنا قوله:

### يا بيت عاتكة الذي أت عزل حذر العدا وبه الفؤاد موكل

حتى أتى على آخرها، فقلت لكثير: قاتله الله، ما أشعره، لولا ما أفسد به نفسه، قال: ليس هذا إفساداً، هذا خسف إلى التخوم، فقلت: صدقت، وانصرفنا من عنده، فقال: أين تريد؟ فقلت: إن شئت فمتزلي، وأحملك على البغلة، وأهب لك المطرف، وإن شئت فمتزلك ولا أرزؤك شيئاً، فقال: بل متزلي، وأبذل لك ما قدرت عليه، وانصرفنا إلى منزله، فجعل يحدثني وينشديني حتى جاءت الظهر، فدعا لي بعشرين ديناراً وقال: استعن بهذه يا أبا فرس على مقدمك، قلت: هذا أشد من حملان بني زريق، قال: والله إنك ما تأنف من أخذ هذا من أحد، غير الخليفة، قال الفرزدق: فجعلت أقول في نفسي: تالله إنه لمن قریش، وهممت ألا أقبل منه. فدعيتني نفسي - وهي طمعة - إلى أخذها منه، فأخذتها.

من هي الجعراء؟ معنى قول كثير للفرزدق: يا بن الجعراء: يعيره بدغة، وهي أم عمرو بن تميم، وبها يضرب المثل في الحماسة، فيقال: هي أحمق من دغة، وكانت حاملاً، فدخلت الخلاء، فولدت، وهي لا تعلم ما الولد، وخرجت وسلاها بين رجليها، وقد استهل ولدها، فقالت: يا جارتا، أيفتح الجعرفاه فقالت جارتها: نعم يا

حقاء، ويدعو أباه، فبنو تميم يعيرون بذلك، ويقال للمنسوب منهم: يا بن الجعراء.  
ملاحظة بينه وبين السري: أخبرني الحرمي، عن الزبير قال: حدثني سليمان بن داود الجمعي: قال: اجتاز السري  
بن عبد الرحمن بن عتبة بن عويمر بن ساعدة الأنصاري بالأحوص وهو ينشد قوله:

### يا بيت عاتكة الذي أتزل

فقال السري:

أقعد على من تحت سقفك واعجل

يا بيتعاتكة المنوة باسمه

فواثبه الأحوص، وقال في ذلك:

وسبي به كالكلب إذ ينبح النجما

فأنت وشتمي في أكاريس مالك

تحق أبا إلا الولاء ولا أما

تداعى إلى زيد وما أنت منهم

وأيامها فيها ولم تنطق الرجما

وإنك لو عددت أحساب مالك

تلمس في حي سوى مالك جذما

أعادتك عبداً أو تنقلت كاذباً

ولا بالمسمى ثم يلتزم إلا سما

وما أنا بالمحسوس في جدم مالك

توسط منها العز والحسب الضخما

ولكن أبي لو قد سألت وجدته

فأجابه السري فقال:

متى كان الأحيوص من رجالي

سألت جميع هذا الخلق طرا

وهي أبيات ليست بجيدة ولا مختارة، فألغيت ذكرها.

شعره يسعف دليل المنصور: أخبرني محمد بن أحمد بن الطلاس أبو الطيب، عن أحمد بن الحارث الخراز، عن

المدائني، وأخبرني به الحرمي، عن الزبير: قال: حدثني عمي - وقد جمعت روايتيهما - .

أن المنصور أمر الربيع لما حج أن يسايره برجل يعرف المدينة وأهلها وطرقها ودورها وحيطاتها، فكان رجل من أهلها قد انقطع إلى الربيع زماناً، وهو رجل من الأنصار، فقال له: تمياً فيني أظن جدك قد تحرك، إن أمير المؤمنين قد أمرني أن أسايره برجل يعرف المدينة وأهلها وطرقها وحيطاتها ودورها فتحسن موافقته ولا تبتدئه بشيء حتى

يسألك، ولا تكتمه شيئاً، ولا تسأله حاجة، فغدا عليه بالرجل، وصلى المنصور، فقال: يا ربيع، الرجل، فقال: ها

هو ذا، فسار معه يخبره عما سأل حتى ندر من أبيات المدينة، فأقبل عليه المنصور، فقال: من أنت أولاً؟ فقال: من

لا تبلغه معرفتك - هكذا ذكر الخراز وليس في رواية الزبير - فقال: ما لك من الأهل والولد؟ فقال: والله ما

تزوجت، ولا لي خادم، قال: فأين متزلك؟ قال: ليس لي منزل، قال: فإن أمير المؤمنين قد أمر لك بأربعة آلاف

درهم، فرمى بنفسه فقبل رجله، فقال له: اركب، فركب، فلما أراد الانصراف قال للربيع: يا أبا الفضل، قد أمر

لي أمير المؤمنين بصلة، قال: إيه، قال: إن رأيت أن تنجزها لي، قال: هيهات، قال: فأصنع ماذا؟ قال: لا أدري

والله - وفي رواية الخراز أنه قال: ما أمر لك بشيء، ولو أمر به لدعاني، فقال: أعطه أو وقع إليّ - فقال الفتى: هذا هم لم يكن في الحساب، فلبثت أياماً، ثم قال المنصور للربيع: ما فعل الرجل؟ قال: حاضر، قال: سايرنا به الغداة، ففعل، وقال له الربيع: إنه خارج بعد غد، فاحتل لنفسك، فإنه والله إن فاتك فإنه آخر العهد به، فسار معه، فجعل لا يمكنه شيء حتى انتهى إلى مسيره، ثم رجع وهو كالمعرض عنه، فلما خاف فوته أقبل عليه فقال: يا أمير المؤمنين، هذا بيت عاتكة، قال: وما بيت عاتكة؟ قال: الذي يقول فيه الأحوص.

### يا بيت عاتكة الذي أتعزل

قال: فمه، قال: إنه يقول فيها:

يرجو منافع غيرها لمضلل

إن أمراً قد نال منك وسيلة

مدق الحديث يقول ما لا يفعل

وأراك تفعل ما تقول وبعضهم

فقال الزبير في خبره: فقال له: لقد رأيتك أذكرت بنفسك، يا سليمان بن مخلد، أعطه أربعة آلاف درهم، فأعطاه إياها، وقال الخراز في خبره: فضحك المنصور، وقال: قاتلك الله، ما أظرفك، يا ربيع أعطه ألف درهم، فقال: يا أمير المؤمنين إنها كانت أربعة آلاف درهم، فقال: ألف يحصل خير من أربعة آلاف لا تحصل. ابن المقفع يتمثل بمطلع لاميته: وقال الخراز في خبره: حدثني المدائني: قال: أخذ قوم من الزنادقة، وفيهم ابن لابن المقفع، فمر بهم على أصحاب المدائن، فلما رأهم ابن المقفع خشي أن يسلم عليهم فيؤخذ، فتمثل:

حذر العدا وبه الفؤاد مركل

يا بيت عاتكة الذي أتعزل

الأبيات، ففطنوا لما أراد، فلم يسلموا عليه، ومضى.

هو ومعبد يردان اعتبار جارية: أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري عن ابن شبة: قال: بلغني أن يزيد بن عبد الملك كتب إلى عامله أن يجهز إليه الأحوص الشاعر ومعبد المغني. فأخبرنا محمد بن خلف وكيع: قال: حدثنا عبد الله بن شبيب: قال: حدثني إسماعيل بن أبي أويس: قال: حدثني أبي: قال: حدثنا سلمة بن صفوان الزرقني، عن الأحوص الشاعر - وذكر إسماعيل بن سعيد الدمشقي - : أن الزبير بن بكار حدثه عن ابن أبي أويس، عن أبيه، عن مسلمة بن صفوان، عن الأحوص، وأخبرني به الحرمي، عن الزبير، عن عمه، عن جرير المديني المغني، وأبو مسكين: قالوا جميعاً: كتب يزيد بن عبد الملك في خلافته إلى أمير المدينة - وهو عبد الواحد بن عبد الله النصري - أن يحمل إليه الأحوص الشاعر ومعبد المغني مولى ابن قطن قال: فجهزنا وحملنا إليه، فلما نزلنا عمان أبصرنا غديراً وقصوراً، فقعدنا على الغدير وتحدثنا وذكرنا المدينة، فخرجت جارية من بعض تلك القصور، ومعها جرة تريد أن تستقي فيها ماء، قال الأحوص: فتغننت بمدحي في عمر بن عبد العزيز:

يا بيت عاتكة الذي أتعزل

فتغنت بأحسن صوت ما سمعته قط، ثم طربت، فألقت الجرة فكسرتها، فقال معبد: غنائي والله، وقلت: شعري والله، فوثبنا إليها، وقلنا لها: لمن أنت يا جارية؟ قالت: لآل سعيد بن العاص - وفي خبر جرير المغني: لآل الوليد بن عقبة - ثم اشتراي رجل من آل الوحيد بخمسين ألف درهم، وشغف بي، فغلبته بنت عم له طرأت عليه، فتزوجها على أمرى، فعاقبت منزلتها منزلتي، ثم علا مكانها مكاني، فلم تزدها الأيام إلا ارتفاعاً، ولم تردني إلا اتضاعاً، فلم ترض منه إلا بأن أخدمها، فوكلتني باستقاء الماء، فأنا على ما تريان، أخرج أستقي الماء، فإذا رأيت هذه القصور والغدران ذكرت المدينة، فطربت إليها، فكسرت جرتي، فيعذلني أهلي، ويلوموني، قال: فقلت لها: أنا الأحوص، والشعر لي، وهذا معبد، والغناء له، ونحن ماضيان إلى أمير المؤمنين، وسندكرك له أحسن ذكر. وقال جرير في خبره وواقفه وكيع، ورواية عمر بن شبة: قالوا: فأنشأت الجارية تقول:

تأين تروني الغداة أسعى بجر	أستقي الماء نحو هذا الغدير
فلقد كنت في رخاء من العي	ش وفي كل نعمة وسرور
ثم قد تبصران ما فيه أمسي	ت وماذا إليه صار مصيري
فإلى الله أشتكى ما ألقى	من هوان وما يجن ضميري
أبلغا عني الإمام وما يع	رف صدق الحديث غير الخبير
أنني أضرب الخلائق بالعو	د وأحكاهم بيم وزير
فلعل الإله ينقذ مما	أنا فيه فإنني كالأسير
لينتي مت يوم فارقت أهلي	وبلادي فزرت أهل القبور
فاسمعا ما أقول لفاكما	الله نجاحاً في أحسن التيسير

فقال الأحوص من وقته: صوت

إن زين الغدير من كسر الجر	ر وغنى غناء فحل مجيد
قلت: من أنت يا ظعين فقالت:	كنت فيما مضى لآل الوليد

وفي رواية الدمشقي:

قلت: من أين يا خلوب فقالت:	كنت فيما مضى لآل سعيد
ثم أصبحت بعد حي قريش	في بني خالد لآل الوحيد
فغنائي لمعبد ونشيدي	لفتى الناس الأحوص الصنديد
فتباكيت ثم قلت: أنا الأح	وص والشيخ معبد فأعيدي

فأعادت لنا بصوت شجي

يترك الشيخ في الصبا كالوليد

وفي رواية أبي زيد:

فأعادت فأحسننت ثم ولت

تتهادى فقلت قول عميد

يعجز المال عن شركك ولكن

أنت في ذمة الهمام يزيد

ولك اليوم ذمتي بوفاء

وعلى ذاك من عظام العهود

أن سيجري لك الحديث بصوت

معبدي يرد حبل الوريد

يفعل الله ما يشاء فظني

كل خير بنا هناك وزيدي

قالت القينة الكعاب: إلى ال

له أموري وأرتجي تسديد

غناه معبد ثاني ثقيل بالبنصر من رواية حبش والمشملي وغيرهما، وهي طريقة هذا الصوت، وأهل العلم بالغناء لا يصححونه لمعبد.

قال الأحوص: وضع فيه معبد لحناً فأجاده، فلما قدمنا على يزيد قال: يا معبد أسمعني أحدث غناء غنيت وأطراه، فغناه معبد:

إن زين الغدير من كسر الجر

وغنى غناء فحل مجيد

فقال يزيد: إن لهذا لقصة فأخبراني بها، فأخبراه، فكتب لعامله بتلك الناحية: إن لآل فلان جارية، من حالها "ذيت وذيت"، فاشترها بما بلغت، فاشترها بمائة ألف درهم، وبعث بها هدية، وبعث معها بألطف كثيرة، فلما قدمت على يزيد رأى فضلاً باررعاً فأعجب بها، وأجازها، وأخدمها، وأقطعها، وأفرد لها قصرًا، قال: فوالله ما برحنا حتى جاءتنا منها جوائز وكساً وطرف.

يزيد بن عمر بن هبيرة يتمثل بشعره عند النكسة: وقال الزبير في خبره عن عمه: قال: أظن القصة كلها مصنوعة، وليس يشبه الشعر شعر الأحوص، ولا هو من طرازه، وكذلك ذكر عمر بن شبة في خبره. أخبرني الحرمي، عن الزبير قال:

سمعت هشام بن عبد الله بن عكرمة يحدث عن عتبة بن عمر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام: قال: كنت مع يزيد بن عمر بن هبيرة ليلة الفرات، فلما انهزم الناس التفت إلي فقال: يا أبا الحارث، أمسينا والله وهم كما قال الأحوص:

أبكي لما قلب الزمان جديده

خلقاً وليس على الزمان معول

بيتان من شعره يؤذنان بزوال الدولة الأموية: أخبرني الحرمي عن الزبير عن محمد بن محمد العمري: أن عاتكة بنت عبد الله بن يزيد بن معاوية رثيت في النوم قبل ظهور دولة بني العباس على بني أمية كأنها عريانة ناشرة شعرها تقول:

كنا به زمناً نسر ونجدل

أين الشباب وعيشنا اللذ الذي

حزناً يعل به الفراد وينهل

ذهبت بشاشته وأصبح ذكره

فتأول الناس ذلك بزوال دنيا بني أمية، فكان كما قالوا: أخبرني بهذا الخبر الحسن بن يحيى، عن حماد، عن أبيه، عن الجمحي، عن شيخ من قریش: أنه رأى في النوم امرأة من ولد عثمان بن عفان على منامم على دار عثمان المقبلة على المسجد، وهي حاسرة في يديها عود وهي تضرب به وتغني:

كنا به يوماً نسر ونجدل

أين الشباب وعيشنا اللذ الذي

حزناً يعل به الفؤاد وينهل

ذهبت بشاشته وأصبح ذكره

قال: فما لبثنا إلا يسيراً حتى خرج الأمر عن أيديهم، وقتل مروان.

قال إسحاق: المنامة: الدكان وجمعها منامم.

### صوت

ت بعاذلين تتابعا

يا هند إنك لو علم

قالا وقلت بل اسمعا

قالا فلم أسمع لما

مالي وروحي فارجعا

هند أحب إلي من

وأطغت قلباً موجعا

ولقد عصيت عواذلي

الشعر لعبد الله بن الحسن بن الحسن عليهم السلام، والغناء لابن سريح، ولحنه فيه لحنان أحدهما من القدر الأوسط من الثقل، الأول بالسبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق والآخر رمل بالوسطى عن عمرو، وفيه خفيف ثقيل، ذكر أبو العبيس أنه لابن سريح وذكر الهشامي وابن المكي أنه للغريض، وذكر حبش أن لإبراهيم فيه رماً آخر بالينصر، وقال أحمد بن عبيد: الذي صح فيه ثقيل الأول وخفيفه ورملة، وذكر إبراهيم أن فيه لحناً لابن عباد.

### ذكر عبد الله بن الحسن بن الحسن

عليهم السلام ونسبه وأخباره وخبر هذا الشعر

### نسبه

عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب - عليهم السلام - وقد مضى نسبه في أخبار عمه الحسين صلوات الله عليه في شعره الذي يقول فيه:

## لعمرك إنني لأحب دارا

## تحل بها سكينه والرباب

ويكنى عبد الله بن الحسن أبا محمد، وأم عبد الله بن الحسن فاطمة بنت الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام، وأمها أم إسحاق بنت طلحة بن عبيد الله، وأمها الجرباء بنت قسامة بن رومان عن طيء. سميت جدته الجرباء لحسنها: أخبرني أحمد بن سعيد: قال: حدثنا يحيى بن الحسن: قال: إنما سميت الجرباء لحسنها، كانت لا تقف إلى جنبها امرأة، وإن كانت جميلة إلا استقبح منظرها لجمالها، وكان النساء يتحامين أن يقفن إلى جنبها، فشبهت بالناقة الجرباء التي تتوقاها الإبل مخافة أن تعديها.

وكانت أم إسحاق من أجمل نساء قريش وأسوئهن خلقاً، ويقال: إن نساء بني تيم كانت لهن حظوة عند أزواجهن على سوء أخلاقهن، ويروى أن أم إسحاق كانت ربما حملت وولدت وهي لا تكلم زوجها. أخبرني الحرمي بن أبي العلاء عن الزبير بن بكار عن عمه بذلك: قال: وقد كانت أم إسحاق عند الحسن بن علي بن أبي طالب صلوات الله عليه قبل أخيه الحسين رضي الله عنه، فلما حضرته الوفاة دعا بالحسين صلوات الله عليه فقال له: يا أخي إني أرضى هذه المرأة لك، فلا تخرجن من بيوتكم، فإذا انقضت عدتها فتزوجها. فلما توفي الحسن عنها تزوجها الحسين رضي الله عنه، وقد كانت ولدت من الحسن رضي الله عنه ابنه طلحة بن الحسن، فهو أخو فاطمة لأمها وابن عمها، وقد درج طلحة ولا عقب له.

جمال وسوء خلق: ومن طرائف أخبار التيميات من نساء قريش في حظوتهن وسوء أخلاقهن ما أخبرنا به الحرمي بن أبي العلاء عن الزبير بن بكار عن محمد بن عبد الله. قال:

كانت أم سلمة بنت محمد بن طلحة عند عبد الله بن الحسن وكانت تقسو عليه قسوة عظيمة وتغلظ، له، ويفرق منها ولا يخالفها، فرأى يوماً منها طيب نفس، فأراد أن يشكو إليها قسوتها، فقال لها: يا بنت محمد، قد أحرق والله قلبي... فحددت له النظر، وجمعت وجهها وقالت له: أحرق قلبك ماذا؟ فخافها فلم يقدر على أن يقول لها: سوء خلقك، فقال لها: حب أبي بكر الصديق، فأمسكت عنه.

وتزوج الحسن بن الحسن فاطمة بنت الحسين في حياة عمه، وهو - رضي الله عنه - زوجه إياها.

زواجه فاطمة بنت الحسين: أخبرني الطوسي والحرمي، عن الزبير، عن عمه بذلك، وحدثني أحمد بن محمد بن سعيد عن يحيى بن الحسن عن إسماعيل بن يعقوب قال: حدثني جدي عبد الله بن موسى بن عبد الله بن الحسن، قال: حدثني جدي عبد الله بن موسى بن عبد الله بن الحسن، قال: خطب الحسن بن الحسن إلى عمه الحسين - صلوات الله عليه - وسأله أن يزوجه إحدى ابنتيه، فقال له الحسن رضي الله عنه: اختر يا بني أحبهما إليك، فاستحيا الحسن، ولم يجر جواباً، فقال له الحسين رضي الله عنه: فإني اخترت منهما لك ابنتي فاطمة، فهي أكثر شبيهاً بأبي فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم.

أخبرني الطوسي والحرمي عن الزبير عن عمه مصعب: إن الحسن لما خيره عمه اختار فاطمة، وكانوا يقولون: إن امرأة، سكينه مردودتها، لمنقطعة القرين في الجمال.

أخبرني الطوسي والحرمي بن أبي العلاء، عن الزبير بن بكار، وأخبرني محمد بن العباس البيهقي، عن أحمد بن يحيى وأحمد بن زهير، عن الزبير، وأخبرني أحمد بن سعيد، عن يحيى بن الحسن، عن الزبير بن بكار واللفظ للحسن بن علي، وخبره أتم: قال: قال الزبير: حدثني عمي مصعب ولم يذكر أحداً.

ليس لمخضوب البنان يمين: وأخبرني محمد بن يحيى عن أيوب، عن عمر بن أبي الموالى قال الزبير: وحدثني عبد الملك بن عبد العزيز بن يوسف بن الماجشون، وقد دخل حديث بعضهم في بعض حديث الآخرين: أن الحسن بن الحسن لما حضرته الوفاة جزع، وجعل يقول: إني لأجد كرباً ليس إلا هو كرب الموت، وأعاد ذلك دفعات، فقال له بعض أهله: ما هذا الجزع، تقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جدك وعلى علي والحسن والحسين - صلوات الله عليهم - وهم آباؤك؟ فقال: لعمرى إن الأمر لكذلك، ولكن كأني بعبد الله بن عمرو بن عثمان حين أموت وقد جاء في مضرجتين أو مضرجتين وهو يرجل حمته يقول: أنا من بني عبد مناف جئت لأشهد ابن عمي، وما به إلا أن يخطب فاطمة بنت الحسين، فإذا جاء فلا يدخل علي، فصاحت فاطمة: أسمع؟ قال: نعم، قالت: أعتقت كل مملوك لي، وتصدقت بكل ملك لي إن أنا تزوجت بعدك أحداً أبداً، قال: فسكن الحسن وما تنفس ولا تحرك حتى قضى، فلما ارتفع الصباح أقبل عبد الله على الصفة التي ذكرها الحسن، فقال بعض القوم: ندخله. وقال بعضهم: لا يدخل، وقال قوم: لا يضر دخوله، فدخل وفاطمة تصك وجهها، فأرسل إليها وصيفاً كان معه، فجاء يتخطى الناس حتى دنا منها فقال لها: يقول لك مولاي أبقى على وجهك فإن لنا فيه أرباً، قال: فأرسلت يدها في كمها واحتمرت وعرف ذلك منها، فما لظمت وجهها حتى دفن صلوات الله عليه. فلما انقضت عدتها خطبها فقالت: فكيف لي بنذري وبميجي؟ فقال: نخلف عليك بكل عبد عدين، وبكل شيء شيتين، ففعل وتزوجته، وقد قيل في تزويجه إيهام غير هذا.

أخبرني به أحمد بن محمد بن إسماعيل الهمداني، عن يحيى بن الحسن العلوي عن أخيه أبي جعفر، عن إسماعيل بن يعقوب، عن محمد بن عبد الله البكري: أن فاطمة لما خطبها عبد الله أبت أن تتزوجه، فحلفت عليها أمها لتتزوجنه، وقامت في الشمس، وآلت لا تبرح حتى تتزوجه، فكرهت فاطمة أن تخرج، فتزوجته. وكان عبد الله بن الحسن بن الحسن شيخ أهله وسيداً من ساداتهم ومقرباً فيهم فضلاً وعلماً وكرماً، وحبسه أبو جعفر المنصور في الهاشمية بالكوفة لما خرج عليه ابنه محمد وإبراهيم فمات في الحبس، وقيل: إنه سقط عليه وقيل غير ذلك.

كان من أجمل الناس وأفضلهم: أخبرني أحمد بن محمد بن سعيد، عن يحيى بن الحسن عن علي بن أحمد الباهلي: قال: سمعت مصعباً الزبيري يقول: انتهى كل حسن إلى عبد الله بن حسن، وكان يقال: من أحسن الناس؟ فيقال: عبد الله بن الحسن، ويقال: من أفضل الناس؟ فيقال عبد الله بن الحسن.

حدثني محمد بن الحسن الخثعمي الأشاشي والحسن بن علي السلولي قالا: حدثنا عباد بن يعقوب قال: حدثنا تلميذ

بن سليمان، قال: رأيت عبد الله بن الحسن، وسمعتة يقول: أنا أقرب الناس إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولدتني بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم مرتين.

حدثني أحمد بن محمد بن سعيد عن يحيى بن الحسن، عن إسماعيل بن يعقوب، عن عبد الله بن موسى، قال: أول من اجتمعت له ولادة الحسن رضي الله عنه والحسين - صلوات الله عليهما - عبد الله بن الحسن رضي الله عنه: حدثني محمد بن الحسن الأشناني، عن عبد الله بن يعقوب، عن بندقة بن محمد بن حجازة الدهان قال: رأيت عبد الله بن الحسن، فقلت: هذا والله سيد الناس، كان مكسوياً نوراً من قرنه إلى قدمه.

قال علي بن الحسين: وقد روي ذلك في أخبار أبي جعفر محمد بن علي رضي الله عنه، وأمه أم عبد الله بنت الحسن بن علي رضي الله عنه.

حدثني أحمد بن محمد بن سعيد، عن يحيى بن الحسن، عن القاسم بن عبد الرزاق: قال: جاء منظور بن زيان الفزاري إلى حسن بن حسن - وهو جده أبو أمه - فقال له: لعلك أحدثت بعدي أهلاً، قال: نعم، تزوجت بنت عمي الحسين بن علي - رضي الله عنهما - قال: بئسما صنعت، أما علمت أن الأرحام إذا التقت أضوت، كان ينبغي أن تتزوج في الغرب، قال: فإن الله جل وعز قد رزقني منها ولداً، قال: أرنيه، فأخرج إليه عبد الله بن الحسن فسر به، وقال: أنجبت، هذا والله ليث غاب ومعدو عليه، قال: فإن الله تعالى قد رزقني منها ولداً ثانياً، قال: فأرنيه، فأخرج إليه حسن بن حسن بن حسن، فسر به، وقال: أنجبت، وهذا دون الأول، قال: فإن الله قد رزقني منها ولداً ثالثاً، قال: فأرنيه. فأراه إبراهيم بن الحسن.

غمزة ترحى بها شفاعة: حدثني أبو عبيد محمد بن أحمد الصيرفي: قال: حدثنا محمد بن علي بن خلف قال: حدثنا عمر بن عبد الغفار قال: حدثنا سعيد بن أبان القرشي قال: كنت عند عمر بن عبد العزيز، فدخل عبد الله بن الحسن عليه، وهو يومئذ شاب في إزار ورداء، فرحب به وأدناه وحياه، وأجلسه إلى جنبه وضاحكه، ثم غمز عكنة من بطنه، وليس في البيت حينئذ إلا أموي، فقبل له: ما حملك على غمز بطن هذا الفتى؟ قال: إني لأرجو بها شفاعة محمد صلى الله عليه وسلم.

يعطي جائزة: حدثني عمر بن عبد الله بن جميل العتكي، عن عمر بن شبة، عن إسماعيل بن جعفر الجعفري: قال: حدثني سعيد بن عقبة الجهني: قال: إني لعند عبد الله بن الحسن إذ أتاني آت، فقال: هذا رجل يدعوك، فخرجت، فإذا أنا بأبي عدي الشاعر الأموي، فقال: أعلم أبا محمد، فخرج إليه عبد الله، وهم خائفون، فأمر له بأربعمائة دينار، وهند بمائتي دينار، فخرج بستمائة دينار. وقد روى مالك بن أنس عن عبد الله بن الحسن الحديث.

كان يسدل شعره: حدثني أحمد بن محمد بن سعيد عن يحيى بن الحسن قال: حدثنا علي بن أحمد الباهلي عن مصعب بن عبد الله قال: سئل مالك عن السدل قال: رأيت من يرضى بفعله؛ عبد الله بن الحسن يفعله، والسبب في حبس عبد الله بن الحسن وخروج ابنه وقتلها يطول ذكره. وقد أتى عمر بن شبة منه بما لا يزيد عليه أحد

إلا اليسير، ولكن من أخباره ما يحسن ذكره ها هنا فنذكره.

السبب في حبسه وقتل ابنه: أخبرني عمر بن عبد الله العتكي عن عمر بن شبة، قال: حدثني موسى بن سعيد بن عبد الرحمن وأيوب بن عمر عن إسماعيل بن أبي عمرو قالوا: لما بنى أبو العباس بناءه بالأبواب الذي يدعى الرصافة: رصافة أبي العباس قال لعبد الله بن الحسن: ادخل فانظر ودخل معه، فلما رآه تمثل:

**بناء نفعه لبني نفيلة**

**ألم تر حوشباً أمسى يبني**

**وأمر الله يحدث كل يلية**

**يوئمل أن يعمر عمر نوح**

فاحتمله أبو العباس ولم ييكته بها.

أخبرني عمي عن ابن شبة عن يعقوب بن القاسم عن عمرو بن شهاب، وحدثني أحمد بن محمد بن سعيد عن يحيى بن الحسن عن الزبير عن محمد بن الضحاك عن أبيه قالوا: إن أبا العباس كتب إلى عبد الله بن الحسن في تغيب ابنه:

**عذيرك من خليلك من مراد**

**أريد حياته ويريد قتلي**

قال عمر بن شبة: وإنما كتب بها إلى محمد، قال عمر بن شبة: فبعثوا إلى عبد الرحمن بن مسعود مولى أبي حنين، فأجابته:

**بمنزلة النياط من الفؤاد**

**وكيف يريد ذاك وأنت منه**

**وزندك حين تقدح من زناد**

**وكيف يريد ذاك وأنت منه**

**وأنت لهاشم رأس وهاد**

**وكيف يريد ذاك وأنت منه**

أخبرني عمر بن عبد الله بن شبة عن عيسى بن عبد الله بن محمد بن عمر بن علي بن أبي طالب عليهم السلام عن الحسن بن زيد عن عبد الله بن الحسن قال: بينا أنا في سمر أبي العباس، وكان إذا تئأب أو ألقى المروحة من يده قمنا، فألقاها ليلة فقمنا، فأمسكني فلم يبق غيري، فأدخل يده تحت فراشه، وأخرج إضبارة كتب وقال: اقرأ يا أبا محمد، فقرأت فإذا كتاب من محمد بن هشام بن عمرو التغلبي يدعوه إلى نفسه، فلما قرأته قلت له: يا أمير المؤمنين، لك عهد الله وميثاقه ألا ترى منهما شيئاً تكرهه ما كانا في الدنيا.

أخبرنا العتكي عن ابن شبة عن محمد بن إسماعيل عن عبد العزيز بن عمر، عن عبد الله بن عبدة بن محمد بن عمار بن ياسر قال: لما استخلف أبو جعفر ألح في طلب محمد والمسألة عنه، وعمن يؤويه، فدعا بني هاشم رجلاً رجلاً، فسألهم عنه، فكلهم يقول: قد علم أمير المؤمنين أنك قد عرفته بطلب هذا الشأن قبل اليوم، فهو يخافك على نفسه، ولا يريد لك خلافاً، ولا يجب لك معصية، إلا الحسن بن زيد فإنه أخبره خبره، فقال: والله ما آمن وثوبه عليك، وأنه لا ينام فيه فر رأيك فيه قال ابن أبي عبيدة: فأيقظ من لا ينام.

أخبرني عمر بن عبد الله بن شبة عن عيسى بن عبد الله بن محمد بن عمر بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه عن محمد بن عمران عن عقبة بن سلم: إن أبا جعفر دعاه فسأله عن اسمه ونسبه، فقال: أنا عقبة بن سلم بن نافع بن الأزدهاني، قال: إني أرى لك هيئة وموضعاً، وإني لأريدك لأمر أنا به معني، قال: أرجو أن أصدق ظن أمير المؤمنين، قال: فأخف شخصك، وائتني في يوم كذا وكذا، فأتيته، فقال: إن بني عمنا هؤلاء قد أبوا إلا كيداً بملكنا، ولهم شيعة بخراسان بقرية كذا وكذا، يكاتبونهم، ويرسلون إليهم بصدقات وألطف، فاذهب حتى تأتيهم متنكراً بكتاب تكتبه عن أهل تلك القرية، ثم تسير ناحيتهم، فإن كانوا نزعوا عن رأيهم علمت ذلك، وكنت على حذر منهم حتى تلقى عبد الله بن الحسن متخشعاً، وإن جبهك - وهو فاعل - فاصبر وعاوده أبداً حتى يأنس بك، فإذا ظهر لك ما في قلبه فاعجل إلي، ففعل ذلك، وفعل به حتى أنس عبد الله بناحيته، فقال له عقبة: الجواب، فقال له: أما الكتاب فإني لا أكتب إلى أحد، ولكن أنت كتابي إليهم، فأقرئهم السلام، وأخبرهم أن ابني خارج لوقت كذا وكذا، فشخص عقبة حتى قدم على أبي جعفر، فأخبره الخبر.

أخبرني العتكي عن عمر بن محمد بن يحيى بن الحارث بن إسحاق، قال: سألت أبو جعفر عبد الله بن الحسن عن ابنه لما حج، فقال: لا أعلم بما حتى تغالظا، فأمضه، أبو جعفر، فقال له: يا أبا جعفر، بأي أمهاتي تمضني؟ أئخذ ببنات خويلد أم بفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم أم بفاطمة بنت الحسين - عليهم السلام - أم بأم إسحاق بنت طلحة؟ قال: لا ولا بواحدة منهن، ولكن بالجرباء بنت قسامة فوثب المسيب بن زهير، فقال: يا أمير المؤمنين، دعني أضرب عنق ابن الفاعلة، فقام زياد بن عبد الله، فألقى عليه رداءه، وقال: يا أمير المؤمنين، هبه لي، فأنا المستخرج لك ابنه، فتخلصه منه.

قال ابن شبة: وحدثني بكر بن عبد الله مولى أبي بكر، عن علي بن رباح أخي إبراهيم بن رباح، عن صاحب المصلى: قال: إني لواقف على رأس أبي جعفر وهو يتغذى بأوطاس، وهو متوجه إلى مكة، ومعه على مائدته عبد الله بن الحسن وأبو الكرام الجعفري وجماعة من بني العباس، فأقبل على عبد الله بن الحسن، فقال: يا أبا محمد؛ محمد وإبراهيم أراهما قد استوحشا من ناحيتي، وإني لأحب أن يأنسا بي ويأتياني فأصلهما وأزوجهما، وأخلطهما بنفسي، قال: وعبد الله يطرق طويلاً، ثم يرفع رأسه ويقول: وحقك يا أمير المؤمنين مالي بهما ولا بموضعهما من البلاد علم، ولقد خرجا عن يدي، فيقول: لا تفعل يا أبا محمد، اكتب إليهما وإلى من يوصل كتابك إليهما، قال: وامتنع أبو جعفر عن عامة غداته ذلك اليوم إقبالاً على عبد الله، وعبد الله يحلف أنه لا يعرف موضعهما، وأبو جعفر يكرر عليه: لا تفعل يا أبا محمد.

قال ابن شبة: فحدثني محمد بن عباد عن السندي بن شاهك:

أن أبا جعفر قال لعقبة بن سلم: إذا فرغنا من الطعام فلحظتلك فامثل بين يدي عبد الله، فإنه سيصرف بصره عنك، فدر حتى تغمز ظهره بإبهام رجلك، حتى يملأ عينيه منك، ثم حسبك وإياك أن يراك ما دام يأكل، ففعل ذلك عقبة، فلما رآه عبد الله وثب حتى جثا بين يدي أبي جعفر، وقال: يا أمير المؤمنين أقلني أقالك الله، قال: لا

أقالي الله إن أقلتك، ثم أمر بحبسه.

قال ابن شبة، فحدثني أيوب بن عمر، عن محمد بن خلف المخزومي قال: أخبرني العباس بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس قال: لما حج أبو جعفر في سنة أربعين ومائة أتاه عبد الله وحسن ابنا حسن، فإيهما وإياي لعنده، وهو مشغول بكتاب ينظر فيه إذ تكلم المهدي فلحن فقال عبد الله: يا أمير المؤمنين، ألا تأمر بهذا من يعدل لسانه، فإنه يفعل فعل الأمة، فلم يفهم، وغمرت عبد الله فلم ينتبه، وعاد لأبي جعفر فأحفظ من ذلك، وقال له: أين ابنك؟ قال: لا أدري، قال: لتأتيني به، قال: لو كان تحت قدمي ما رفعتهما عنه، قال: يا ربيع فمر به إلى الحبس.

زوجته هند بنت أبي عبيدة: أخبرني أحمد بن محمد بن سعيد، عن يحيى بن الحسن قال: توفي عبد الله في محبسه بالهاشمية وهو ابن خمس وسبعين سنة في سنة خمس وأربعين ومائة وهند التي عنها عبد الله في شعره الذي فيه الغناء زوجته هند بنت أبي عبيدة بن عبد الله بن زعدة بن الأسود بن المطلب. وكان أبو عبيدة جواداً وممدحاً، وكانت هند قبل عبد الله بن الحسن تحت عبد الله بن عبد الملك بن مروان، فمات عنها.

فأخبرني الحرمي عن الزبير عن سليمان بن عياش السعدي قال: لما توفي أبو عبيدة وجدت ابنته هند وجداً شديداً، فكلم عبد الله بن الحسن محمد بن بشير الخارجي أن يدخل على هند بنت أبي عبيدة، فيعزيها ويؤسسيها عن أبيها، فدخل معه عليها، فلما نظر إليها صاح بأبعد صوته.

**قومي اضربي عينيك يا هند لن تري**

**أباً مثله تسمو إليه المفاخر**

**وكننت إذا أسبلت فوقك والدا**

**تزيني كما زان اليبدين الأساور**

فصكت وجهها، وصاحت بحربها وجهدها، فقال له عبد الله بن الحسن: ألهذا دخلت؟ فقال الخارجي: وكيف أعزي عن أبي عبيدة وأنا أعزى به!.

أخبرني العتكي، عن شبة: قال: حدثني عبد الرحمن بن جعفر بن سليمان، عن علي بن صالح، قال: زوج عبد الملك بن مروان ابنه عبد الله هند بنت أبي عبيدة وريطة بنت عبد الله بن عبد المدان لما كان يقال إنه كائن في أولادهما، فمات عنهما عبد الله أو طلقهما، فتزوج هنداً عبد الله بن الحسن، وتزوج ربيعة محمد بن علي، فجاءت بأبي العباس السفاح.

أخبرني العتكي عن عمر بن شبة عن ابن داجة عن أبيه قال: لما مات عبد الله بن عبد الملك رجعت هند بميراثها منه، فقال عبد الله بن حسن لأمه فاطمة: اخطي علي هنداً، فقالت: إذا تردك، أتطمع في هند وقد ورثت ما ورثته، وأنت ترب لا مال لك؟ فتركها ومضى إلى أبي عبيدة أبي هند، فخطبها إليه، فقال: في الرحب والسعة، أما مني فقد زوجتك، مكانك لا تبرح، ودخل على هند، فقال: يا بنية، هذا عبد الله بن حسن، أذاك خاطباً، قالت: فما قلت له؟ قال: زوجته. قالت: أحسنت. قد أجزت ما صنعت، وأرسلت إلى عبد الله: لا تبرح حتى

تدخل على أهلك. قال: فتزيت له فبات بها معرساً من ليلته، ولا تشعر أمه، فأقام سبعاً، ثم أصبح يوم سابعه غادياً على أمه وعليه ردع الطيب، وفي غير ثيابه التي تعرف، فقالت له: يا بني، من أين لك هذا؟ قال: من عند التي زعمت أنها لا تريدني.

أخبرني حبيب بن نصر المهلي وعمي عبد العزيز بن أحمد بن بكار: قالوا: حدثنا الزبير: قال: حدثني ظبية مولاة فاطمة: قالت: كان جدك عبد الله بن مصعب يستنشدني كثيراً أبيات عبد الله بن حسن ويعجب بها:

**إن عيني تعودت كحل هند** **جمعت كفها مع الرفق لنا**

### صوت

**يا عيد مالك من شوق وإبراق** **ومر طيف على الأهوال طراق**

**يسري على الأين والحيات محتفياً** **نفسى فداؤك من سار على ساق**

عروضه من البسيط: العيد: ما اعتاد الإنسان من هم أو شوق أو مرض أو ذكر. والأين والأيم: ضرب من الحيات. والأين: الإعياء أيضاً، وروى أبو عمرو:

**يا عيد قلبك من شوق وإبراق**

الشعر لتأبط شراً، والغناء لابن محرز ثقيل أول بالوسطى من رواية يحيى المكي وحبش وذكر الهشامي أنه من منحول يحيى إلى ابن محرز.

### أخبار تأبط شراً ونسبه

#### نسبه ولقبه

هو ثابت بن جابر بن سفيان بن عميثل بن عدي بن كعب بن حزن. وقيل: حرب بن تميم بن سعد بن فهم بن عمرو بن قيس عيلان بن مضر بن نزار.

وأمه امرأة يقال لها: أميمة، يقال: إنها من بني القين بطن من، فهم ولدت خمسة نفر: تأبط شراً، وريش بلغب، وريش نسر، وكعب جدر، ولا بواكي له، وقيل: إنها ولدت سادساً اسمه عمرو.

وتأبط شراً لقب لقب به، ذكر الرواة أنه كان رأى كبشاً في الصحراء، فاحتمله تحت إبطه، فجعل يبول عليه طول طريقه، فلما قرب من الحي ثقل عليه الكبش، فلم يقله فرمى به فإذا هو الغول، فقال له قومه: ما تأبطت يا ثابت؟ قال: الغول، قالوا: لقد تأبطت شراً فسمي بذلك.

وقيل: بل قالت له أمه: كل إخوتك يأتيك بشيء إذا راح غيرك، فقال لها: سأتيك الليلة بشيء، ومضى فصاد

أفاعي كثيرة من أكبر ما قدر عليه، فلما راح أتى بمن في جراب متأبطاً له، فألقاه بين يديها، ففتحتة، فتساعين في بيتها، فوثبت، وخرجت، فقال لها نساء الحي: ماذا أتاك به ثابت؟ فقالت: أتاني بأفاع في جراب، قلن: وكيف حملها؟ قالت: تأبطها، قلن: لقد تأبط شراً، فلزمه تأبط شراً.  
حدثني عمي قال حدثني علي بن الحسن بن عبد الأعلى عن أبي محلم بمثل هذه الحكاية وزاد فيها: أن أمه قالت له في زمن الكمأة: ألا ترى غلمان الحي يجتنون لأهليهم الكمأة، فيروحون بها؟ فقال أعطيني جرابك، حتى أجتني لك فيه، فأعطته، فملأه لها أفاعي، وذكر باقي الخبر مثل ما تقدم.  
ومن ذكر أنه إنما جاءها بالغول يحتج بكثرة أشعاره في هذا المعنى، فإنه يصف لقاء إياها في شعره كثيراً، فمن ذلك قوله:

فيا جارتا لك ما أهولا

فأصبحت الغول لي جارة

علي وحاولت أن أفعلا

فطالبتها بضعها فالتوت

فإن لها باللوى منزلا

فمن كان يسأل عن جارتي

كان أحد العدائين المعدودين: أخبرني عمي عن الحزنبل عن عمرو بن أبي عمرو الشيباني قال: نزلت على حي من فهم إخوة بني عدوان من قيس، فسألتهم عن خبر تأبط شراً، فقال لي بعضهم: وما سؤالك عنه، أتريد أن تكون لصاً؟ قلت: لا، ولكن أريد أن أعرف أخبار هؤلاء العدائين، فأحدثت بها، فقالوا: نحدثك بخبره: إن تأبط شراً كان أعدى ذي رجلين وذو ساقين وذو عينين، وكان إذا جاع لم تقم له قائمة، فكان ينظر إلى الطباء فينتقي على نظره أسمنها، ثم يجري خلفه فلا يفوته، حتى يأخذه، فيذبحه بسيفه، ثم يشويه فيأكله.  
يصف غولاً افترسها: وإنما سمي تأبط شراً لأنه - فيما حكى لنا - لقي الغول في ليلة ظلماء في موضع يقال له رحي بطسان في بلاد هذيل، فأخذت عليه الطريق فلم يزل بها، حتى قتلها، وبات عليها فلما أصبح حملها تحت إبطه وجاء بها إلى أصحابه، فقالوا له: لقد تأبطت شراً، فقال في ذلك:

يوائم غنماً أو يشيف على ذحل

تأبط شراً ثم راح أو اغتدى

يوائم: يوافق، ويشيف: يقتدر. وقال أيضاً في ذلك:

بما لاقيت عند رحي بطان

ألا من مبلغ فتیان فهم

بسهب كالصحيفة صححان

وأنى قد لقيت الغول تهوي

أخو سفر فخلي لي مكاني

فقلت لها: كلانا نضوئين

لها كفي بمصقول يمانى

فشدت شدة نحوي فأهوى

صريعاً لليدين وللجران

فأضربها بلا دهش فخرت

مكانك إنني ثبت الجنان

لأنظر مصباحاً ماذا أتاني

كرأس الهر مشقوق اللسان

وثوب من عباء أو شنان

فقلت: عد، فقلت لها: رويداً

فلم أنفك متكنناً عليها

إذا عينان في رأس قبيح

وساقاً مخدج وشوأة كلب

لم لا تنهشه الحيات؟ أخبرنا الحسين بن يحيى: قال: قرأت على حماد: وحدثك أبوك عن حمزة بن عتبة اللهي: قال: قيل لتأبط شراً: هذه الرجال غلبتها، فكيف لا تنهشك الحيات في سراك؟ فقال: إني لأسرى البردين. يعني أول الليل، لأنها تمور خارجة من حجرها، وآخر الليل تمور مقبلة إليها. يبيع ثقيفاً أحق اسمه بطيلسانة:

قال حمزة: ولقي تأبط شراً ذات يوم رجلاً من ثقيف يقال له أبو وهب، كان جباناً أهوج، وعليه حلة جيدة، فقال أبو وهب لتأبط شراً: بم تغلب الرجال يا ثابت، وأنت كما أرى دميم ضئيل؟ قال: باسمي، إنما أقول ساعة ما ألقى الرجل: أنا تأبط شراً، فينخلع قلبه حتى أنال منه ما أردت، فقال له الثقيفي: أقط قال: قط، قال: فهل لك أن تبيعني اسمك؟ قال: نعم، فبم تبناعه؟ قال: بهذه الحلة وبكنيتك قال له: أفعل، ففعل، وقال له تأبط شراً لك اسمي ولي كنيتك؟، وأخذ حلته وأعطاه طمرية، ثم انصرف، وقال في ذلك يخاطب زوجة الثقيفي:

تأبط شراً واكتنيت أبا وهب

فأين له صبري على معظم الخطب؟

وأين له في كل فادحة قلبي؟

ألا هل أتى الحسناء أن حليلها

فهبه تسمى اسمي وسميت باسمه

وأين له بأس كبأسي وسورتي

يخونه نشاطه أمام الحسان: قال حمزة: وأحب تأبط شراً جارية من قومه، فطلبها زماناً لا يقدر عليها، ثم لقيته ذات ليلة فأجابته وأرادها، فعجز عنها، فلما رأت جزعه من ذلك تناومت عليه فأنسته وهدأ، ثم جعل يقول:

عجزت عن جارية رفته

كمشية الأرخ تريد العله

الأرخ: الأنتى من البقر التي لم تنتج. العلة تريد أن تعل بعد النهل، أي أنها قد رويت فمشيتها ثقيلة. والعل: الشرب الثاني.

تحمل قلعين لها قبله

لو أنها راعية في ثله

لصرت كالهراوة العتله

قصته مع بجيلة: أخبرني الحسن بن علي عن عبد الله بن أبي سعد عن أحمد بن عمر عن أبي بركة الأشجعي قال: أغار تأبط شراً - وهو ثابت بن العميثل الفهمي، ومعه ابن براق الفهمي على بجيلة - فأطردا لهم نعماً، ونذرت

بهما بجيلة، فخرجت في آثارهما ومضيا هارين في جبال السراة، وركبا الحزن، وعارضتهما بجيلة في السهل فسبقوهما إلى الوهط - وهو ماء لعمر بن العاص بالطائف - فدخلوا لهما في قسبة العين، وجاء، وقد بلغ العطش منهما، إلى العين، فلما وقفا عليها قال تأبط شراً لابن براق: أقل من الشراب فإنها ليلة طرد، قال: وما يدريك؟ قال: والذي أعدو بطيره، إني لأسمع وجيب قلوب الرجال تحت قدمي. وكان من أسمع العرب وأكيدهم. فقال له ابن براق: ذلك وجيب قلبك. فقال له تأبط شراً: والله ما وجب قط، ولا كان وجاباً، وضرب بيده عليه، وأصاخ نحو الأرض يستمع فقال: والذي أعدو بطيره، إني لأسمع وجيب قلوب الرجال، فقال له ابن براق: فأنا أنزل قبلك، فتزل فرك وشرب وكان أكل القوم عند بجيلة شوكة، فتركوه وهم في الظلمة، ونزل ثابت، فلما توسط الماء وثبوا عليه، فأخذوه وأخرجوه من العين مكتوفاً، وابن براق قريب منهم لا يطمعون فيه لما يعلمون من عدوه، فقال لهم ثابت: إنه من أصلف الناس وأشدهم عجباً بعدوه، وسأقول له: أستأسر معي، فسيدعوه عجبه بعدوه إلى أن يعدو من بين أيديكم، وله ثلاثة أطلاق: أولها كالريح الهابة، والثاني كالفرس الجواد، والثالث يكبو فيه ويعثر، فإذا رأيتم منه ذلك فخذوه فإني أحب أن يصير في أيديكم كما صرت إذ خالفني ولم يقبل رأيي ونصحي له، قالوا: فافعل، فصاح به تأبط شراً: أنت أخي في الشدة والرخاء، وقد وعدني القوم أن يمنوا عليك وعلي، فاستأسر، وواسني بنفسك في الشدة، كما كنت أخي في الرخاء، فضحك ابن براق، وعلم أنه قد كادهم، وقال: مهلاً يا ثابت، أيستأسر من عنده هذا العدو؟ ثم عدا فعدا أول طلق مثل الريح الهابة كما وصف لهم، والثاني كالفرس الجواد، والثالث جعل يكبو ويعثر ويقع على وجهه. فقال ثابت: خذوه، فعدوا بأجمعهم، فلما أن نفسهم عنه شيشناً عدا تأبط شراً في كتافه، وعارضه ابن براق، فقطع كتافه، وأفلتا جميعاً، فقال تأبط شراً قصيدته القافية في ذلك:

يا عيد مالك من شوق وإبراق	ومر طيف على الأهوال طراق
يسري على الأين والحيات محتقياً	نفسى فداؤك من سار على ساق
طيف ابنة الحر إذ كنا نواصلها	ثم اجتبتت بها من بعد تفراق
لتقر عن علي السن من ندم	إذا تذكرت يوماً بعض أخلاقي
تالله آمن أنتى بعدما حلفت	أسماء بالله من عهد وميثاق

ممزوجة الود بينا واصلت صرمت	الأول اللذ مضى والآخر الباقي
فالأول اللذ مضى قال مودتها	واللذ منها هذاء غير إحقاق
تعطيك وعد أمانى تغر به	كالقطر مر على صخبان براق
إني إذا خلة ضنت بنائلها	وأمسكت بضعيف الحبل أحذاق

## نجوت منها نجائي في بجيلة إذ

## ألقيت للقوم يوم الروع أرواقي

وذكرها ابن أبي سعيد في الخبر إلى آخرها.

وأما المفضل الضبي فذكر أن تأبط شرا وعمرو بن براق والشنفري - وغيره يجعل مكان الشنفري السليق بن السلكة - غزوا بجيلة فلم يظفروا منهم بغرة، وثاروا إليهم فأسروا عمراً، وكنفوه، وأفلتهم الأخران عدواً، فلم يقدروا عليهما، فلما علما أن ابن براق قد أسر قال تأبط شراً لصاحبه: امض فكن قريباً من عمرو، فإنني سأترأى لهم وأطمعهم في نفسي حتى يتباعدوا عنه، فإذا فعلوا ذلك فحل كتافه، وانجوا، ففعل ما أمره به، وأقبل تأبط شراً، حتى ترأى لبجيلة، فلما رأوه طمعوا فيه، فطلبوه، وجعل يطمعهم في نفسه، ويعدو عدواً خفيفاً يقرب فيه، ويسألهم تخفيف الفدية وإعطاءه الأمان، حتى يستأسر لهم، وهم يجيبونه إلى ذلك، ويطلبونه وهو يحضر إحضاراً خفيفاً، ولا يتباعد، حتى علا تلعة أشرف منها على صاحبيه، فإذا هما قد نجوا، ففطنت لهما بجيلة، فألحقتها طلباً لفاتاهم، فقال: يا معشر بجيلة أععجبكم عدو ابن براق اليوم، والله لأعدون لكم عدواً أنسيكم به عدوه، ثم عدا عدواً شديداً، ومضى وذلك قوله:

## يا عيد مالك في شوق وإبراق

وأما الأمصعي فإنه ذكر فيما أخبرني به ابن أبي الأزهر عن حماد بن إسحاق عن أبيه عن عمه: أن بجيلة أمهلتهم حتى وردوا الماء وشربوا وناموا، ثم شدوا عليهم، فأخذوا تأبط شراً، فقال لهم: إن ابن براق دلاني في هذا، وإنه لا يقدر على العدو لعقر في رجله، فإن تبعتموه أخذتموه، فكتفوا تأبط شراً، ومضوا في أثر ابن براق، فلما بعدوا عنه عدا في كتافه ففاهم، ورجعوا.

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء، قال: حدثنا أبو سعيد السكري قال: حدثنا ابن الأثرم، عن أبيه. وحدثنا محمد بن حبيب، عن أبي عمرو، قال: كان تأبط شراً يعدو على رجله، وكان فاتكاً شديداً، فبات ليلة ذات ظلمة وبرق ورعد في قاع يقال له رحي بطن، فلقيته الغول فمالها ليلته إلى أن أصبح وهي تطلبه، قال: والغول: سبع من سبع الجن، وجعل يراوغها، وهي تطلبه، وتلتمس غرة منه، فلا تقدر عليه، إلى أن أصبح، فقال تأبط شراً:

بما لاقيت عند رحي بطن

ألا من مبلغ فتیان فهم

بسهب كالصحيفة صححان

بأنی قد لقيت الغول تهوي

أخوه سفر فخلي لي مكاني

فقلت لها: كلانا نضوئين

لها كفي بمصقول يماني

فشددت شدة نحوي فأهوى

صريعاً لليدين وللجران

فأضربها بلا دهش فخرت

مكانك إنني ثبت الجنان

فقال عد، فقلت لها: رويداً

لأنظر مصباحاً ماذا أتاني

كرأس الهر مشقوق اللسان

وثوب من عباء أو شنان

فلم أنفك متكناً عليها

إذا عينان في رأس قبيح

وساقا مخدج وشوأة كلب

يفر ويدع من معه: قالوا: وكان من حديثه أنه خرج غازياً يريد بجيلة هو ورجل معه، وهو يريد أن يغترهم، فيصيب حاجته، فأتى ناحية منهم، فقتل رجلاً، ثم استاق غنماً كثيرة، فنذروا به، فتبعه بعضهم على خيل، وبعضهم رجالة، وهم كثير، فلما رأهم، وكان من أبصر الناس عرف وجوههم، فقال لصاحبه: هؤلاء قوم قد عرفتهم، ولن يفارقونا اليوم حتى يقاتلونا أو يظفروا بحاجتهم، فجعل صاحبه ينظر، فيقول: ما أتيت أحداً، حتى إذا دهمهما قال لصاحبه: اشتد فيني سأمنعك مادام في يدي سهم، فاشتد الرجل، ولقيهم تأبط شراً، وجعل يرميهم حتى نفذت نبله، ثم إنه اشتد فمر بصاحبه فلم يطق شدة، فقتل صاحبه، وهو ابن عم لزوجته، فلما رجع تأبط شراً وليس صاحبه معه عرفوا أنه قد قتل، فقالت له امرأته: تركت صاحبك وجئت متباطئاً، فقال تأبط شراً في ذلك:

من الله إثمًا مستسا وعالنا

وجئت إلينا فارقاً متباطئاً

أو اثنتين مثلينا فلا أبت آمنة

ولا المرء يدعوني ممرأ مدهانا

وأرضاً يكون العوض فيها عجانها

عصافير رأسي من غواة فرانتنا

ورائي نحل في الخلية واكنا

ولم أك بالشد الذليق مداينا

وقلت ترحزح لا تكونن حائنا

هحف رأى قصرأ سمالاً وداجنا

إذا استدرج الفيفا ومد المغابنا

هزف بيد الناجيات الصوافنا

بغيراء أو عرفاء تقري الدفائنا

ألا تلكما عرسي منيعة ضمنت

تقول: تركت صاحباً لك ضائعاً

إذا ما تركت صاحبي لثلاثة

وما كنت أباء على الخل إذا دعا

وكري إذا أكرهت رهطاً وأهله

ولما سمعت العوص تدعو تنفرت

ولم أنتظر أن يدهموني كأنهم

ولا أن تصيب النافذات مقاتلي

فأرسلت مثنياً عن الشد واهنا

وحثت مشعوف النجاء كأنه

من الحص هرروف يطير عفاؤه

أزج زلوج هزرفي زفازف

فزحزحت عنهم أو تجنني منيتي

إذا أمكنت أنيابها والبرائنا

حتوف تنقي مخ من كان واهنا

إذا نزعوا مدوا الدلا والشواطنا

كأنني أراها الموت لا در درها

وقالت لأخرى خلفها وبناتها

أخاليج وراذ علي ذي محافل

وقال غيره: بل خرج تأبط شراً هو وصاحبان له، حتى أغاروا على العوص من بجيلة، فأخذوا نعماً لهم، واتبعتهم العوص، فأدركوهم، وقد كانوا استأجروا لهم رجالاً كثيرة، فلما رأى تأبط شراً ألا طاقة لهم بهم شمر وتركهما، فقتل صاحبه، وأخذت النعم، وأفلت، حتى أتى بني القين من فهم، فبات عند امرأة منهم يتحدث إليها، فلما أراد أن يأتي قومه دهنته ورجلته، فجاء إليهم وهم يبكون، فقالت له امرأته: لعنك الله تركت صاحبك وجئت مدهناً، وإنه إنما قال هذه القصيدة في هذا الشأن، وقال تأبط شراً يرثيها وكان اسم أحدهما عمراً:

وصاحبه أو يأمل الزاد طارق؟

علالة يوم أن تعوق العوائق

على سرحة من سرح دومة سامق

بأيمانهم سمر القنا والعقائق

حريق الغضا تلقى عليها الشقائق

قتيل أناس أو فتاة تعانق

أبعد قتيل العوص آسى على فتى

أطرد فهما آخر الليل أبتغي

لعمري فتى نلتم كأن رداءه

لأطرد نهياً أو نرود بفنية

مساعرة شعث كأن عيونهم

فعدوا شهور الحرم ثم تعرفوا

محاولة قتله هو وأصحابه بالسم: قال الأثرم: قال أبو عمرو في هذه الرواية: وخرج تأبط شراً يريد أن يغزو هذيلاً في رهط، فترل على الأحل بن قنصل - رجل من بجيلة - وكان بينهما حلف، فأنزلهم ورحب بهم، ثم إنه ابتغى لهم الذراريح ليستريح منهم، ففطن له تأبط شراً، فقام إلى أصحابه، فقال: إني أحب ألا يعلم أنا قد فطنا له، ولكن سابوه حتى نخلف ألا نأكل من طعامه، ثم أغتره فأقتله لأنه إن علم حذري - وقد كان مالاً ابن قنصل رجل منهم يقال له لكيز قتلت فهم أخاه - فاعتل عليه وعلى أصحابه فسبوه وحلفوا ألا يذوقوا من طعامه ولا من شرابه، ثم خرج في وجهه، وأخذ في بططن واد فيه النمر، وهي لا يكاد يسلم منها أحد، والعرب تسمى النمر ذا اللونين، وبعضهم يسميه السبيني، فترل في بطنه وقال لأصحابه: انطلقوا جميعاً فتصيدوا، فهذا الوادي كثير الأروى، فخرجوا وصادوا، وتركوه في بطن الوادي فجاءوا فوجدوه قد قتل غمراً وحده، وغزا هذيلاً فغنم وأصاب، فقال تأبط شراً في ذلك:

صنيع لكيز والأحل بن قنصل

فإنك عمري قد ترى أي منزل

وكيف بكاء ذي القليل المعيل

أقسمت لا أنسى وإن طال عيشنا

نزلنا به يوماً فساء صباحنا

بكي إذ رأنا نازلين ببابه

فلا وأبيك ما نزلنا بعامر

ولا عامر ولا الرئيس ابن قوقل

عامر بن مالك أبو براء ملاعب الأسنه، وعامر بن الطفيل، وابن قوقل: مالك بن ثعلبة أحد بني عوف بن الخزرج

- .

ولا بالشليل رب مروان قاعداً

بأحسن عيش والنفائش نوفل

رب مروان: جرير بن عبد الله البجلي. ونوفل بن معاوية بن عروة بن صخر بن يعمر أحد بني الدليل بن بكر - .

ولا ابن وهيب كاسب الحمد والعلاب

ولا ابن ضبييع وسط آل المخبل

ولا ابن حليس قاعداً في لقاحه

ولا ابن جري وسط آل المغفل

ولا ابن رياح بالزليفات داره

رياح بن سعد لا رياح بن معقل

أولئك أعطى للولائد خلفه

وأدعى إلى شحم السديف المرعبل

يتخذ من العسل مزلقاً على الجبل فينجو من موت محقق: وقال أيضاً في هذه الرواية: كان تأبط شراً يشتر عسلاً في غار من بلاد هذيل، يأتيه كل عام، وأن هذيلاً ذكرته، فرصدوه لإبان ذلك، حتى إذا جاء هو وأصحابه تدلى، فدخل الغار، وقد أغاروا عليهم فأنفروهم، فسبقوهم ووقفوا على الغار، فحركوا الحبل، فأطلع تأبط شراً رأسه، فقالوا: أصعد، فقال: ألا أراكم، قالوا: بلى قد رأيتنا. فقال: فعلام أصعد، أعلى الطلاقة أم الفداء؟ قالوا: لا شرط لك، قال: فأراكم قاتلي وأكلي جناي، لا والله لا أفعل، قال: وكان قبل ذلك نقب في الغار نقباً أعده للهرب، فجعل يسيل العسل من الغار ويثريقه، ثم عمد إلى الزق فشده على صدره ثم لصق بالعسل فلم يبرح يتزلق عليه حتى خرج سليماً وفاهم، وبين موضعه الذي وقع فيه وبين القوم مسيرة ثلاث، فقال تأبط شراً في ذلك:

أقول للحيان وقد صفرت لهم

وطابي ويومي ضيق الحجر معور

هما خطتا إما إيسار ومنة

وإما دم والقتل بالحر أجدر

وأخرى أصادي النفس عنها وإنها

لمورد حزم إن ظفرت ومصدر

فرشت لها صدري فزل عن الصفا

به جؤجؤ صلب ومتن مخصر

فخالط سهل الأرض لم يكدح الصفا

به كدحه والموت خزيان ينظر

فأبت إلى فهم وما كنت آتياً

وكم مثلها فارقتها وهي تصفر

إذا المرء لم يحتل وقد جد جده

أضاع وقاسى أمره وهو مدبر

ولكن أخو الحزم الذي ليس نازلاً

به الأمر إلا وهو للحزم مبصر

إذا سد منه منخر جاش منخر

فذاك قريع الدهر ما كان حولاً

بلقمان لم يقصر بي الدهر مقصر

فإنك لو قايست باللصب حيلتي

غارة ينتصر فيها على العوص: وقال أيضاً في حديث تأبط شراً: إنه خرج من عدة من فهم، فيهم عامر بن الأحنس، والشنفرى، والمسيب، وعمرو بن براق، ومرة بن خليف، حتى بيتوا العوص وهم حي من بجيلة، فقتلوا منهم نفرأ، وأخذوا لهم إبلاً، فساقوها حتى كانوا من بلادهم على يوم وليلة، فاعترضت لهم خثعم وفيهم ابن حاجز، وهو رئيس القوم، وهم يومئذ نحو من أربعين رجلاً، فلما نظرت إليهم صعاليك فهم قالوا لعامر بن الأحنس: ماذا ترى؟ قال: لا أرى لكم إلا صدق الضراب، فإن ظفرتم فذاك، وإن قتلتهم كنتم قد أخذتم ثأركم، قال تأبط شراً: بأبي أنت وأمي، فنعم رئيس القوم أنت إذا جد الجدد، وإذا كان قد أجمع رأيكم على هذا فإني أرى لكم أن تحملوا على القوم حملة واحدة فإنكم قليل والقوم كثير، ومتى افتترقتم كثرتم القوم، فحملوا عليهم فقتلوا منهم في حملتهم، فحملوا ثانية فانهزمت خثعم وتفرقت، وأقبل ابن حاجز فأسند في الجبل فأعجز، فقال تأبط شراً في ذلك:

سماؤهم تحت العجاجة بالدم

جزى الله فتيانا على العوص أمطرت

بلمحته إقراب أبلق أدهم

وقد لاح ضوء الفجر عرضاً كأنه

صباحاً على آثار حوم عرمرم

فإن شفاء الداء إدراك نحلة

قبائل من أبناء قسر وخثعم

وضاربتهم بالسفح إذ عارضتهم

ذرا الصخر في جوف الوجين المديم

ضراباً عدا منه ابن حاجز هارباً

وقال الشنفرى في ذلك:

سيغدي بنعشي مرة فأغيب

دعيني وقولي بعد ما شئت إنني

ثمانية ما بعدها متعتب

خرجنا فلم نعهد وقلت وصاتنا

مصاييح أو لون من الماء مذهب

سراحين فتیان كأن وجوههم

ثمائلنا والزاد ظن مغيب

نمر برهو الماء صفحاً وقد طوت

على العوص شعشاع من القوم محرب

ثلاثاً على الأقدام حتى سما بنا

وصوت فينا بالصباح المثوب

فتاروا إلينا في السواد فهجهجوا

وصمم فيهم بالحسام المسيب

فشن عليهم هزة السيف ثابت

بهن قليلاً ساعة ثم جنبوا

وظلت بفتيان معي أنقيهم

كمي صرعناه و حوم مسلّب  
ثمانية والقوم رجل ومقنب  
فقلنا :اسألوا عن قائل لا يكذب

وقد خر منهم راجلان وفارس  
يشق إليه كل ربع وقلعة  
فلما رأنا قومنا قيل أفلحوا

وقال تأبط شراً في ذلك:

كتحليل الظليم حدا رئاله  
بخثعم أو بجيلة أو ثماله

أرى قدمي وقعهما خفيف  
أرى بهما عذاباً كل يوم

ففرق تأبط شراً أصحابه، ولم يزالوا يقاتلونهم حتى انهزمت خثعم، وساق تأبط شراً وأصحابه الإبل حتى قدم بها عليا مكة.

عود إلى سبب تسميته: وقال غيره: إنما سمي تأبط شراً بيت قاله: وهو:

يوائم غنماً أو يشيف على ذحل

تأبط شراً ثم راح أو اغتدى

غارته على مراد: قال: وخرج تأبط شراً يوماً يريد الغارة، فلقى سرحاً لمراد فأطرده، وندرت به مراد، فخرجوا في طلبه، فسبقهم إلى قومه، وقال في ذلك:

عليه ولا يهملك يوم سو  
شجوتهم سباقاً أي شجو  
بصرت به ليوم غير زو  
أباريق الكرامة يوم لهو

إذا لاقيت يوم الصدق فاربع  
على أني بسرح بني مراد  
وآخر مثله لا عيب فيه  
خفضت بساحة تجري علينا

مع غلام من خثعم: أغار تأبط شراً وحده على خثعم، فبينما هو يطوف إذ مرّ بغلام يتصيد الأرناب، معه قوسه ونبله، فلما رآه تأبط شراً أهوى ليأخذه، فرماه الغلام فأصاب يده اليسرى، وضربه تأبط شراً فقتله، وقال في ذلك:

تقوض عن ليلي وتبكي النوائح  
غلام نمته المحصنات الصرائح  
ودون الذي قد ترتجيه النواكح  
بأبيض قصال نمى وهو فادح  
يداوى لها في أسود القلب قادح

وكادت وبيت الله أطناب ثابت  
تمنى فتى منا يلاقي ولم يكد  
غلام نمى فوق الخماسي قدره  
فإن تك نالته خطاطيف كفه  
فقد شد في إحدى يديه كنانه

هذه الأبيات أن تكون لقوم المقتول أشبه بتأبط شراً - .

قالوا لها لا تنكحيه: قال: وخطب تأبط شراً امرأة من هذيل من بني سهم فقال لها قائل: لا تنكحيه، فإنه لأول نصل غداً يفقد فقال تأبط شراً:

وقالوا لها: لا تنكحيه فإنه  
لأول نصل أن يلاقي مجعاً  
فلم تر من رأي فتيةً وحاذرت  
تأيمها من لابس الليل أروعا  
قليل غرار النوم أكبر همه  
دم الثأر أو يلقى كميا مقنعا  
قليل ادخار الزاد إلا تعلقة  
وقد نشز الشر سوف والتصق المعى  
تناضله كل يشجع نفسه  
ويصيح لا يحمى لها الدهر مرتعا  
بييت بمغنى الوحش حتى ألفنه  
فلو صافحت إنساً لصافحنه معا  
رأين فتى لا صيد وحش يهमे  
إذا افتقده أو رأوه مشيعاً  
ولكن أرباب المخاض يشقهم  
سألقى سنان الموت يرشيق أضلعا  
وإني ولا علم لأعلم أنني  
أطال نزال الموت حتى تسعسا  
على غرة أو جهرة من مكائر

تسعسع: فني وذهب. يقال: قد تسعسع الشهر، ومنه حديث عمر رضي الله عنه حين ذكر شهر رمضان فقال: "إن هذا الشهر قد تسعسع"

وكننت أظن الموت في الحي أو أرى  
ألذ وأكرى أو أموت مقنعا  
ولست أبيت الدهر إلا على فتى  
أسلبه أو أذعر السرب أجمعا  
ومن يضرب الأبطال لا بد أنه  
سيلقى بهم من مصرع الموت مصرعا

عود إلى فراره وترك صاحبيه:

قال: وخرج تأبط شراً ومعه صاحبان له: عمرو بن كلاب أخو المسيب، وسعد بن الأشرس وهم يريدون العارة على بجيلة فنذروا بهم، وهم في جبل ليس لهم طريق عليهم فأحاطوا بهم وأخذوا عليهم الطريق، فقاتلوهم فقتل صاحباً تأبط شراً ونجاً، ولم يكد حتى أن قومه. فقالت له امرأته وهي أخت عمرو بن كلاب إحدى نساء كعب بن علي بن إبراهيم بن رياح: هربت عن أخي وتركته وغررتة، أما والله لو كنت كريماً لما أسلمتته، فقال تأبط شراً في ذلك:

ألا تلكما عرشي منيعة ضمنت  
من الله خزيماً مستسراً وعاهنا

وذكر باقي الأبيات.

وإنما دعا امرأته إلى أن عيرته أنه لما رجع بعد مقتل صاحبيه انطلق إلى امرأة كان يتحدث عندها، وهي من بني القين بن فهم، فبات عندها، فلما أصبح غدا إلى امرأته وهو مدهن مترجل، فلما رأته في تلك الحال علمت أين بات، فغارت عليه فعيرته.

يغير على خثعم: وذكروا أن تأبط شراً أغار على خثعم، فقال كاهن لهم: أروني أثره حتى آخذه لكم فلا يرح حتى تأخذوه، فكفتموا على أثره قال: هذا ما لا يجوز في صاحبه الأخذ، فقال تأبط شراً:

ألا أبلغ بني فهم بن عمرو  
على طول التثائي والمقالة  
مقال الكاهن الجامي لما  
رأى أثيري وقد أنهبت ماله  
رأى قدمي وقعهما حثيث  
كتحليل الظليم دعا رئاله  
أرى بهما عذاباً كل عام  
لخثعم أو بجيلة أو ثمالة  
وشر كان صب على هذيل  
إذا علقته حبالهم حباله  
ويوم الأزد منهم شر يوم  
إذا بعدوا فقد صدقت قاله

فزعموا أن ناساً من الأزد ربوا لتأبط شراً ربيئة وقالوا: هذا مضيق ليس له سبيل إليكم من غيره، فأقيموا فيه حتى يأتيكم، فلما دنا من القوم توجس، ثم انصرف، ثم عاد فنهضوا في أثره حين رأوه لا يجوز، ومر قريباً فطمعوا فيه، وفيهم رجل يقال له حاجز؛ ليث من ليوثهم سريع، فأغروه به فلم يلحقه، فقال تأبط شراً في ذلك:

تتعنت حاضي حاجز وصحابه  
وقد نبذوا خلقانهم وتشنعوا  
أظن وأن صادفت وعتاً وأن جرى  
بي السهل أو متن من الأرض مهيع  
أجاري ظلال الطير لو فات واحد  
ولو صدقوا قالوا له هو أسرع  
فلو كان من فتيان قيس وخذف  
أطاف به القناص من حيث أفرعوا  
وجاب بلاداً نصف يوم وليلة  
لآب إليهم وهو أشوس أروع  
فلو كان منكم واحد لكفيته  
وما ارتجعوا لو كان في القوم مطمع  
فأجابه حاجز:

فإن تك جاريت الظلال فر بما  
سبقت ويوم القرن عريان أسنع  
وخليت إخوان الصفاء كأنهم  
ذبائح عنز أو فحيل مصرع  
تبكيهم شجو الحمامة بعدما  
أرحت ولم ترفع لهم منك إصبع

## فهذي ثلاث قد حويت نجاتها

## وإن نتج أخرى فهي عندك أربع

خير أيامه: أخبرني عمي قال: حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال ذكر علي بن محمد المدائني، عن ابن دأب قال: سئل تأبط شراً: أي يوم مر بك خير؟ قال: خرجت حتى كنت في بلاد بجيلة، أضاءت لي النار رجلاً جالساً إلى امرأة. فعمدت إلى سيفي فدفنته قريباً، ثم أقبلت حتى استأنست، فنبحتي الكلب، فقال: ما هذا؟ فقلت: بائس. فقال: ادنه فدنوت، فإذا رجل جلد حب آدم، وإذا أضوى الناس إلى جانبه، فشكوت إليه الجوع والحاجة، فقال: اكشف تلك القصة، فأنتيت قصعة إلى جنب إبله، فإذا فيها تمر ولبن، فأكلت منه حتى شعبت، ثم حررت متناوماً، فوالله ما شئت أن أضطجع حتى اضطجع هو ورفع رجله على رجله، ثم اندفع يغني وهو يقول:

خير الليالي إن سألت بليلة

ليل بخيمة بين بيش و عثر

لضجيع أنسة كأن حديثها

شهد يشاب بمزجة من عنبر

وضجيع لاهية لأعب مثلها

بيضاء واضحة كظيظ المئزر

ولأنت مثلهما وخير منهما

بعد الرقاد وقبل أن لم تسحري

قال: ثم انحرف فنام، ومالت فنامت: فقلت: ما رأيت كالليلة في الغرة، فإذا عشر عشراوات بين أثلاث فيها عبد واحد وأمة، فوثبت فانتضيت سيفي، وانتحيت للعبد فقتلته وهو نائم، ثم انحرفت إلى الرجل فوضعت سيفي على كبده حتى أخرجته من صلبه، ثم ضربت فخذ المرأة فجلست، فلما رأته مقتولاً جزعت، فقلت: لا تخافي، أنا خير لك منه. قال: وقيمت إلى جل متاعها فرحلته على بعض الإبل أنا والأمة فما حللت عقده حتى نزلت بصعدة بني عوف بن فهر. وأعرست بالمرأة هناك وحين اضطجعت فتحت عقيرتي وغنيت:

بحليلة البجلي بت من ليلها

بين الإزار وكشحها ثم الصق

بأنيسة طويت على مطويها

طي الحمالة أو كطي المنطق

فإذا تقوم فصعدة في رملة

لبدت بريق ديمة لم تغدق

وإذا تجيء تجيء شحب خلفها

كالأيم أصعد في كئيب يرتقي

كذب الكواهن والسواحر والهنا

أن لا وفاء لعاجز لا يتعقي

قال: فهذا خير يوم لقيته.

شر أيامه: وشر يوم لقيت أبي خرجت، حتى إذا كنت في بلاد ثمالة أطوف، حتى إذا كنت من القفير عشياً إذا أنا بسبع خلفات فيهن عبد، فأقبلت نحوه، وكأني لا أريده وحذرتي فجعل يلوذ بناقة فيها حمراء، فقلت في نفسي: والله إنه ليثق بما. فأفوق له، ووضع رجله في أرجلها وجعل يدور معها، فإذا هو على عجزها. وأرميه حين

أشرف فوضعت سهمي في قلبه فخر، وندت الناقة شيئاً وأتبعتها فرجعت فسقتهن شيئاً ثم قلت: والله لو ركبت الناقة وطردهن، وأخذت بعثنون الحمراء فوثبت، فساعة استويت عليها كرت نحو الحي تريع وتبعها الخلفات، وجعلت أسكنها وذهبت، فلما خشيت أن تطرحني في أيدي القوم رميت بنفسي عنها، فانكسرت رجلي، وانطلقت والذود معها. فخرجت أعرج، حتى انخنست في طرف كثيب وجازني الطلب، ونويرة صغيرة، فهويت للصرى، وأنا أجمر، فلما نبحتي الكلب نادى رجل فقال: من هذا؟ فقلت: بائس، فقال: ادنه، فدنوت وجلست وجعل يسألني، إلى أن قال: والله إني لأجد منك ريح دم. فقلت: لا والله، ما بي دم. فوثب إلي فنفضني، ثم نظر في جعبي فإذا السهم، فقلت: رميت العشية أرنباً فقال كذبت، هذا ريح دم إنسان، ثم وثب إلي ولا أدفع الشر عن نفسي فأوثقني كتافاً، ثم علق جعبي وقوسي، وطرحني في كسر البيت ونام، فلما أسحرت حركت رجلي، فإذا هي صالحة وانفتل الرباط فحللته، ثم وثبت إلى قوسي وجعبي فأخذتهما ثم هممت بقتله فقلت: أنا ضمن الرجل، وأنا أخشى أن أطلب فأدرك ولم أقتل أحداً أحب إلي، فوليت ومضيت. فوالله إني لفي الصحراء أحدث نفسي إذا أنا به على ناقة يتبعني، فلما رأيته قد دنا مني جلست على قوسي وجعبي وأمنت، وأقبل فأناخ راحلته ثم عقلها، ثم أقبل إلي، وعهده بي عهده، فقلت له: ويلك، ما تريد مني؟ فأقبل يشتمني، حتى إذا أمكنني، وثبت عليه فما ألبثته أن ضربت به الأرض، وبركت عليه أربطه، فجعل يصيح: يا لثمالة، لم أر كالיום. فجذبته إلى ناقته وركبتها، فما نزعت حتى أحللتها في الحي، وقلت:

عشية أن رابت علي روائي

أغرك مني يا بن فعلة علتي

والأمها إذا قدتها غير عازب

وموقد نيران ثلاث فشرها

فيا خير مسلوب ويا شر سالب

سلبت سلاحي بائساً وشتمتني

نيوب أساويد وشول عقارب

فإن أك لم أخضبك فيها فإنها

وكادت تكون شر بكبة راكب

ويا ركبة الحمراء شررة ركبة

مخاتلة يظفر فيها:

قال: وخرج تأبط غازياً يريد الغارة على الأزدي في بعض ما كان يغير عليهم وحده، فنذرت به الأزدي، فأهملوا له إبلاً، وأمروا ثلاثة من ذوي بأسهم: حاجز بن أبي، وسواد بن عمرو بن مالك، وعوف بن عبد الله، أن يتبعوه حتى ينام فيأخذوه أحداً، فكمنوا له مكمناً، وأقبل تأبط شراً فبصر بالإبل، فطردها بعض يومه. ثم تركها وهض في شعب لينظر: هل يطلبه أحد؟ فكمن القوم حين رأوه ولم يرههم، فلما لم ير أحداً في أثره عاود الإبل فشلها يومه وليته والغد حتى أمسى، ثم عقلها، وصنع طعاماً فأكله، والقوم ينظرون إليه في ظله، ثم هياً مضطجعا على النار، ثم أخذها وزحف على بطنه ومعه قوسه، حتى دخل بين الإبل، وحشي أن يكون رآه أحد وهو لا يعلم، ويأبى إلا الحذر والأخذ بالحزم، فمكث ساعة وقد هياً سهماً على كبد قوسه، فلما أحسو نومه أقبلوا ثلاثتهم

يؤمنون المهاد الذي رأوه هياً، فإذا هو يرمي أحدهم فيقتله، وجمال الآحران، ورمى آخر فقتله، وأفلت حاجز هارباً، وأخذ سلب الرجلين، وأطلق عقل الإبل وشلها حتى جاء بها قومه، وقال تأبط في ذلك:

ترجي نساء الأزد طلعة ثابت  
فإن الألى أوصيتم بين هارب  
وخذت بهم حتى إذا طال وخدمهم  
مهدت لهم حتى إذا طاب روعهم  
فلما أحسوا النوم جاءوا كأنهم  
فقدت سوار بن عمرو بن مالك  
فخر كأن الفيل ألقى جرانه  
وظل رعا ع المتن من وقع حاجز  
لأبت كما آبا ولو كنت قارناً  
فسرك ندمانك لما تتابعا  
ستأتي إلي فهم غنيمة خسلة  
فقال حاجز بن أبي الأزدي يجيبه:

سألت فلم تكلمني الرسوم

وهي في أشعار الأزد.

فأجابه تأبط شراً:

لقد قال الخلي وقال خلساً  
لطيف من سعاد عناك منها  
وتلك لئن عنيت بها رداح  
نياق القرط غراء الثنايا  
ولكن فات صاحب بطن وهو  
أؤخذ خطة فيها سواء  
ثأرت به وما اقترفت يداه  
تحز رقابهم حتى نزعنا  
بظهر الليل شد به العكوم  
مراعاة النجوم ومن يهيم  
من النسوان منطقتها رخم  
وريداء الشباب ونعم خيم  
وصاحبه فأنت به زعيم  
أبيت وليل واطرها نؤوم  
فظل لها بنا يوم غشوم  
وأنف الموت منخره رميم

فلحم المعتقي لحم كريم

فليس له لذي رحم حريم

فألقيه المصاحب والحميم

لها وفر وكافية رحوم

إذا قعدت به اللؤما ألوم

وإن تقع النسور علي يوماً

وذي رحم أحال الدهر عنه

أصاب الدهر آمن مروتيه

مددت له يميناً من جناحي

أواسيه على الأيام إني

موت أخيه عمرو: ذكروا أنه لما انصرف الناس عن المستغل؛ وهي سوق كانت تجتمع بها، قال عمرو بن جابر بن سفيان أخو تأبط شراً لمن حضر من قومه: لا واللات والعزى لا أرجع حتى أغير على بني عتير من هذيل، ومعه رجلان من قومه هو ثالثهما، فأطردوا إبلاً لبني عتير فأتبعهم أرباب الإبل، فقال عمرو: أنا كار على القوم ومنههم عنكما، فامضيا بالإبل. فكر عليهم فنهتهم طويلاً، فجرح في القوم رئيساً، ورماه رجل من بني عتير بسهم فقتله، فقالت بنو عتير: هذا عمرو بن جابر، ما تصنعون أن تلحقوا بأصحابه؟ أبعدها الله من إبل، فإننا نخشى أن نلحقهم فيقتل القوم منا، فيكونوا قد أخذوا الثأر، فرجعوا ولم يجاوزوه. وكانوا يظنون أن معه أناساً كثيراً، فقال تأبط لما بلغه قتل أخيه:

بشور أو بمزج أو لصاب

وكاهلها بجمع ذي ضباب

وحرمت النساء وإن أطلت

حياتي أو أزور بني عتير

وسيار يسوغ لها شرابي

أطالع طلعة أهل الكراب

أوم سواد طود ذي نقاب

إذا وقعت لكعب أو خثيم

أظني ميتاً كمداً ولما

ودمت مسيراً أهدي رعيلاً

فأجابه أنس بن حذيفة الهذلي:

تساق لفتية منا غضاب

وتنزل طريقة الضبع السغاب

لعلك أن تكون من المصاب

لعلك أن تجيء بك المنايا

فتنزل في مكرهم صريعاً

تأبط سواة وحملت شراً

أخوه السمع يثأر لأخيه عمرو: ثم أن السمع بن جابر أخا تأبط شراً خرج في صعاليك من قومه يريد الغارة على بني عتير ليثأر بأخيه عمرو بن جابر، حتى إذا كان ببلاد هذيل لقي راعياً لهم، فسأله عنهم، فأخبره بأهل بيت من عتير كثير مالهم، فبيتهم، فلم يفلت منهم مخبر، واستاقوا أموالهم، فقال في ذلك السمع بن جابر:

إذا ظعننت عشيرتهم أقاموا

بأعلى ذي جماجم أهل دار

## طرقتهم بفتيان كرام

## مساغير إذا حمي المقام

### متى ما أدع من فهم تجبني

### وعدوان الحمأة لهم نظام

إصابته في غارة على الأزدي: ذكروا أن تأبط شراً خرج ومعه مرة بن خليف يريدان الغارة على الأزدي، وقد جعلوا الهداية بينهما، فلما كانت هداية مرة نعس، فجار عن الطريق، ومضيا حتى وقعا بين جبال ليس فيها جبل متقارب، وإذا فيها مياه يصيح الطير عليها؛ وإذا البيض والفراخ بظهور الأكم، فقال تأبط شراً: هلكننا واللات يا مرة، ما وطئ هذا المكان إنس قبلنا، ولو وطئته إنس ما باضت الطير بالأرض، فاختر أية هاتيت القنتين شئت، وهما أطول شيء يريان من الجبال، فأصعد إحدهما وتصعد أنت الأخرى، فإن رأيت الحياة فألح بالثوب، وإن رأيت والموت فألح بالسيف، فإني فاعل مثل ذلك، فأقاما يومين. ثم إن تأبط شراً ألح بالثوب، وانحدرا حتى التقيا في سفح الجبل، فقال مرة: ما رأيت يا ثابت؟ قال: دخاناً أو حراداً. قال مرة: إنك إن جزعت منه هلكننا، فقال تأبط شراً: أما أنا فإني سأحرم بك من حيث تهتدي الرياح، فمكثنا بذلك يومين وليلتين، ثم تبعنا الصوت، فقال تأبط شراً: نعم والناس. أما والله لئن عرفنا لنقتلن، ولئن أغرنا لندركن، فأت الحي من طرف وأنا من الآخر، ثم كن ضيفاً ثلاثاً، فإن لم يرجع إليك قلبك فلا رجوع، ثم أغر على ما قبلك إذا تدلت الشمس فكانت قدر قامة، وموعدك الطريق. ففعلا، حتى إذا كان اليوم الثالث أغار كل واحد منهما على ما يليه، فاستاقا النعم والغنم، وطردها يوماً وليلة طرداً عنيفاً حتى أمسى الليلة الثانية دخلاً شعباً، فنحرا قلوفاً، فبينما هما يشويان إذا سمعا حساً على باب الشعب، فقال تأبط: الطلب يا مرة، إن ثبت فلم يدخل فهم مجيزون، وإن دخل فهو الطلب، فلم يلبث أن سمع الحس يدخل، فقال مرة: هلكننا، ووضع تأبط شراً يده على عضد مرة، فإذا هي ترعد، فقال: ما أرعدت عضدك إلا من قبل أمك الوايشية من هذيل، خذ بظهري، فإن نجوت نجوت، وإن قتلت وقتيتك. فلما دنا القوم أخذ مرة بظهر تأبط، وحمل تأبط فقتل رجلاً، ورموه بسهم فأعلقوه فيه؛ وأفلتا جميعاً بأنفسهما، فلما أمنا وكان من آخر الليل، قال مرة: ما رأيت كاليوم غنيمة أخذت على حين أشرفنا على أهلنا، وعض مرة عضده، وكان الحي الذين أغاروا عليهم بجيلة، وأتى تأبط امرأته، فلما رأيت جراحته ولولت، فقال تأبط في ذلك:

وبالشعب إذ سدت بجيلة فجه

ومن خلفه هضب صغار وجامل

شددت لنفس المرء مرة حزمه

وقد نصب دون النجاء الحباثل

وقلت له: كن خلف ظهري فإنني

سأفديك وانظر بعد ما أنت فاعل

فعاذ بحد السيف صاحب أمرهم

وخلوا عن الشيء الذي لم يحاولوا

وأخطأهم قتلي ورفعت صاحبي

على الليل لم تؤخذ عليه المخاتل

واخطأ غنم الحي مرة بعدما

حوته إليه كفه والأنامل

بعض على أطرافه كيف زوله  
فقلت له: هذي بتلك وقد يرى  
تولول سعدى أن أتيت مجرحاً  
ودون الملا سهل من الأرض مائل  
لها ثمناً من نفسه ما يزاول  
إليها وقد منت علي المقاتل

وكائن أتاها هارباً قبل هذه  
ومن غانم فأين منك الولاول

يثبت مع قلة من أصحابه فيظفرون: فلما انقضت الأشهر الحرم خرج تأبط والمسيت بن كلاب في ستة نفر يريدون الغارة على بجيلة، والأخذ بثأر صاحبيهم عمرو بن كلاب وسعد بن الأشرس. فخرج تأبط والمسيت بن كلاب وعامر بن الأخنس وعمرو بن براق ومرة بن خليف والشنفري بن مالك، والسمع وكعب حدا رابنا جابر أخوا تأبط. فمضوا حتى أغاروا على العوص، فقتلوا منهم ثلاثة نفر: فارسين وراجلاً، وأطردوا لهم إبلاً، وأخذوا منهم امرأتين، فمضوا بما غنموا، حتى إذا كانوا على يوم وليلة من قومهم عرضت لهم خثعم في نحو من أربعين رجلاً، فيهم أبي بن جابر الخثعمي، وهو رئيس القوم، فقال تأبط: يا قوم، لا تسلموا لهم ما في أيديكم حتى تبلوا عذراً، وقال عامر بن الأخنس: عليكم بصدق الضراب وقد أدركتم بثأركم، وقال المسيت: اصدقوا القوم الحملة، وإياكم والفشل، وقال عمرو بن براق: ابدلوا مهجكم ساعة، فإن النصر عند الصبر. وقال الشنفري:

نحن الصعاليك الحماة البزل  
وقال مرة بن خليف:

يا ثابت الخير ويا بن الأخنس  
والشنفري عند حيود الأنفس  
ويا بن براق الكريم الأشوس  
أنا ابن حامي السرب في المغمس

نحن مساعير الحروب الضرس  
وقال كعب حدار أخو تأبط:

يا قوم أما إذ لقيتم فاصبروا  
وقال السمع أخو تأبط:

يا قوم كونوا عندها أحرارا  
ولا القناعيس ولا العشارا  
لا تسلموا العون ولا البكارا  
لخثعم وقد دعوا غرارا  
واقفروا الدهر بها افتخاراً  
ساقوهم الموت معاً أحرارا

فلما سمع تأبط مقاتلهم قال: بأبي أنتم وأمي، نعم الحماة إذا جد الجد، أما إذا أجمع رأيكم على قتال القوم فاحملوا ولا تتفرقوا، فإن القوم أكثر منكم، فحملوا عليهم فقتلوا منهم، ثم كروا الثانية فقتلوا، ثم كروا الثالثة فقتلوا فاهزمت خثعم وتفرقت في رؤوس الجبال، ومضى تأبط وأصحابه بما غنموا وأسلاب من قتلوا، فقال تأبط من ذلك:

جزى الله فتياناً على العوص أشرفت  
سيوفهم تحت العجاجة بالدم

... الأبيات

وقال الشنفرى في ذلك:

دعيني وقولي بعد ما شئت إنني  
سيفدي بنفسى مرة فأغيب

... الأبيات

وقال الشنفرى أيضاً:

ألا هل أتى عنا سعاد ودونها  
مهامه بيد تعتلي بالصعاليك

بأننا صبحنا القوم في حر دارهم  
حمام المنايا بالسيوف البواتك

قتلنا بعمرهم منهم خير فارس  
يزيد وسعدا، وابن عوف بمالك

ظللنا نفري بالسيوف رؤوسهم  
ونرشقهم بالنبل بين الدكادك

ينهزم أمام النساء:

قال: وخرج تأبط في سرية من قومه، فيهم عمرو بن براق، ومرة بن خليف، والمسيب بن كلاب، وعامر بن الأحنس، وهو رأس القوم، وكعب حدار، وريش كعب، والسمع وشريس بنو جابر إخوة تأبط شراً، وسعد ومالك ابنا الأقرع، حتى مروا ببني نفاثة بن الدليل وهم يريدون الغارة عليهم، فباتوا في جبل مطل عليهم، فلما كان في وجه السحر أخذ عامر بن الأحنس قوسه، فوجد وترها مسترخياً، فجعل يوترها ويقول له تأبط: بعض حطيط وترك يا عامر، وسمعه شيخ من بني نفاثة، فقال لبنات له: أنصتن فهذه والله غارة لبني ليث - وكان الذي بينهم يومئذ متفاقماً في قتل حميصة بن قيس أخي بلعاء، وكانوا أصابوه خطأ - وكانت بنو نفاثة في غموة والحي خلوف وليس عندهم غير أشياخ وغللمان لا طباخ بهم، فقالت امرأة منهم: اجهروا الكلام، والبسوا السلاح، فإن لنا عدة فواللات ما هم إلا تأبط وأصحابه. فبرزن مع نوفق وأصحابه، فلما بصر بهم قال: انصرفوا فإن القوم قد نذروا بكم، فأبوا عليه إلا الغارة فسل تأبط سيفه وقال: لئن أغرتم عليهم لأتكنن على سيفي حتى أنفذه من ظهري، فانصرفوا ولا يحسبون إلا أن النساء رجال، حتى مروا بإبل البلعاء بن قيس بقرب المنازل فأطردوها، فلحقهم غلام من بني جندع بن ليث؟ فقال: يا عامر بن الحنسن، أتهاب نساء بني نفاثة وتغير على رجال بني ليث؟ هذه والله إبل لبلعاء بن قيس. فقال له عامر: أو كان رجالهم خلوفاً؟ قال: نعم، قال: أقرئ بلعاء مني

السلام، وأخبره بردي إبله، وأعلمه أي قد حبست منها بكرة لأصحابي، فإننا قد أرمنا، فقال الغلام: لئن حبست منها هلبة لأعلمته، ولا أطرده منها بعيراً أبداً. فحمل عليه تأبط فقتله، ومضوا بالإبل إلى قومهم؛ فقال في ذلك تأبط:

ألا عجب الفتیان من أم مالك  
تقول: أراك اليوم أشعث أغبراً  
تبوعاً لآثار السرية بعدما  
رأيتك براق المفارق أيسراً  
فقلت لها: يومان يوم إقامة  
أهز به غصناً من البان أخضراً  
ويوم أهز السيف في جيد أغيد  
له نسوة لم تلق مثلي أنكرا  
يخفن عليه وهو ينزع نفسه  
لقد كنت أباء الظلامه قسورا  
وقد صحت في آثار حوم كأنها  
عذارى عقيل أو بكاره حميرا  
أبعد النفائين أمل طرقة  
وآسى على شيء إذا هو أدبرا  
أكفكف عنهم صحبتي وإخالهم  
من الذل يعرا بالتلاعه أعرافا  
فلو نالت الكفان أصحاب نوفل  
بمهمه من بطن طرء فعرعرا  
ولما أبى الليثي إلا تهكماً  
بعرضي وكان العرض عرضي أوفرا  
فقلت له: حق الثناء فإنني  
سأذهب حتى لم أجد متأخرا  
ولما رأيت الجهل زاد لجاجة  
يقول فلا يألوك أن تنتشورا  
دنوت له حتى كأن قميصه  
تشرب من نضح الأخادع عصفرا  
فمن مبلغ ليث بن بكر بأننا  
تركنا أخاهم يوم قرن معفرا

قال: غزا تأبط بني نفاثة بن الدليل بن بكر بن عبد مناة بن كنانة وهم خلوف، ليس في دارهم رجل، وكان الخبر قد أتى تأبط، فأشرف فوق جبل ينظر إلى الحي وهم أسفل منه، فرأته امرأة فطرح نفسه، فعلمت المرأة أنه تأبط، وكانت عاقلة، فأمرت النساء فلبسن لبسة الرجال، ثم خرجن كأنهن يطلبن الضالة، وكان أصحابه يتفلقون ويقولون: أغز، وإنما كان في سرية من بين الستة إلى السبعة، فأبى أن يدعهم، وخرج يريد هذيلاً، وانصرف عن النفائين، فبينما هو يتردد في تلك الجبال إذ لقي حليفاً له من هذيل، فقال له: العجب لك يا تأبط، قال: وما هو؟ قال: إن رجال بني نفاثة كانوا خلوفاً فمكرت بك امرأة، وأهم قد رجعوا. ففي ذلك يقول:

ألا عجب الفتیان من أم مالك  
تقول: لقد أصبحت اشعث أغبراً

وذكر باقي الأبيات المتقدمة.

وقال غيره: لا بل قال هذه القصيدة في عامر بن الأحنس الفهمي، وكان من حديث عامر بن الأحنس أنه غزا في نفر، بضعة وعشرين رجلاً، فيهم عامر بن الأحنس، وكان سيداً فيهم، وكان إذا خرج في غزو رأسهم، وكان يقال له سيد الصعاليك، فخرج بهم حتى باتوا على بني نفاثة بن عدي بن الدليل ممسين، ينتظرون أن ينام الحي، حتى إذا كان في سواد الليل مر بهم راع من الحي قد أغدر، فمعه غدירתه يسوقها فبصر بهم وبمكائهم، فخلى الغيرة وتبع الضراء ضراء الوادي، حتى جاء الحي فأخبرهم بمكان القوم وحيث رأهم، فقاموا فاختاروا: فتيان الحي فسلحوهم، وأقبلوا نحوهم، حتى إذا دنوا منهم قال رجل من النفاثيين: والله ما قوسي بموترة. فقالوا: فأوتر قوسك، فوضع قوسه فأوترها، فقال تأبط لأصحابه: اسكنوا، واستمع فقال: أتيتم والله، قالوا: وما ذلك؟ قال: أنا والله أسمع حطيظ وتر قوس. قالوا: والله ما نسمع شيئاً، قال: بلى والله إني لأسمعه، يا قوم النجاء، قالوا: لا والله ما سمعت شيئاً، فوثب فانطلق وتركهم، ووثب معه نفر، وبيتهم بنو نفاثة فلم يفلت منهم إنسان، وخرج هو وأصحابه الذين انطلقوا معه، وقتل تلك الليلة عامر بن الأحنس.

قال ابن عمير: وسألت أهل الحجاز عن عامر بن الأحنس، فرعموا أنه مات على فراشه.

فلما رجع تأبط قالت له امرأته: تركت أصحابك، فقال حينئذ:

### ألا عجب الفتيان من أم مالك      تقول: لقد أصبحت أشعث أغبراً

مصصره على يد غلام دون المحتلم: فلما رجع تأبط وبلغه ما لقي أصحابه قال: والله ما يمس رأسي غسل ولا دهن حتى أثار بهم. فخرج في نفر من قومه، حتى عرض لهم بيتع من هذيل بين صوى جبل، فقال: اغنموا هذا البيت أولاً، قالوا: لا والله، ما لنا فيه أرب، ولئن كانت فيه غنيمة ما نستطيع أن نسوقها. فقال: إني أنفعل أن أنزل، ووقف، وأتت به ضبع من يساره، فكرهها، وعاف على غير الذي رأى، فقال: أبشري أشبعك من القوم غداً. فقال له أصحابه: ويحك، انطلق، فوالله ما نرى أن نقيم عليها. قال: لا والله لا أريم حتى أصبح. وأتت به ضبع عن يساره فقال: أشبعك من القوم غداً. فقال أحد القوم: والله إني أرى هاتين غداً بك، فقال: لا والله لا أريم حتى أصبح. فبات، حتى إذا كان في وجه الصبح، وقد رأى أهل البيت وعدهم على النار، وأبصر سواد غلام من القوم دون المحتلم، وغدوا على القوم، فقتلوا شيخاً وعجوزاً، وحازوا جاريتين وإبلًا. ثم قال تأبط: إني قد رأيت معهم غلاماً؛ فأين الغلام الذي كان معهم؟ فأبصر أثره فاتبعه، فقال له أصحابه: ويلك دعه فإنك لا تريد منه شيئاً، فاتبعه، واستتر الغلام بقتادة إلى جنب صخرة، وأقبل تأبط يقصه وفوق الغلام سهماً حين رأى أنه لا ينجيه شيء، وأمهلته حتى إذا دنا منه قفز قفزة، فوثب على الصخرة، وأرسل السهم، فلم يسمع تأبط إلا الحبضة فرفع رأسه، فانتظم السهم قلبه، وأقبل نحوه وهو يقول: لا بأس، فقال الغلام: لا بأس، والله لقد وضعت حيث تكره، وغشية تأبط بالسيف وجعل الغلام يلوذ بالقتادة، ويضربها تأبط بحشاشته، فيأخذ ما أصابت الضربة

منها، حتى خلص إليه، فقتله، ثم نزل إلى أصحابه بجر رجله، فلما رأوه وثبوا، ولم يدروا ما أصابه، فقالوا: مالك؟ فلم ينطق، ومات في أيديهم، فانطلقوا وتركوه، فجعل لا يأكل منه سبع ولا طائر إلا مات، فاحتملته هذيل، فألقته في غار يقال له غار رحمان، فقالت ريطة أخته وهي يومئذ متزوجة في بني الدليل:

ثابت بن جابر بن سفيان

نعم الفتى غادرتم برحمان

وقال مرة بن خليف يرثيه:

أكفان ميت غداً في غار رحمان

إن العزيمة والعزاء قد ثويا

ولا يكن كفن من ثوب كتان

إلا يكن كرسف كفنت جيده

ريش الندى، والندى من خير أكفان

فإن حراً من الأنساب ألبسه

ويوم أور من الجوزاء رنان

وليلة رأس أفاعها إلى حجر

في إثر عادية أو إثر فتیان

أمضيت أول رهط عند آخره

وقالت أم تأبط ترثيه:

وابناه وابن الليل

مقته:

قال أبو عمر الشيباني: لا بل كان من شأن تأبط وهو ثابت بن جابر بن سفيان، وكان جريئاً شاعراً فاتكاً أنه خرج من أهله بغارة من قومه، يريدون بني صاهلة بن كاهل بن الحارث بن سعيد بن هذيل، وذلك في عقب شهر حرام مما كان يحرم أهل الجاهلية، حتى هبط صدر آدم، وخفض عن جماعة بني صاهلة، فاستقبل التلاعة، فوجد بها داراً من بني نفاثة بن عددي، ليس فيها إلا النساء، غير رجل واحد، فبصر الرجل بتأبط وخشية، وذلك في الضحى، فقام الرجل إلى النساء، فأمرهن فجعلن رؤوسهن جماً وجعلن دروعهن أردية، وأخذن من بيوتهن عمداً كهيئة السيوف فجعلن لها حمائل، ثم تأبطنها ثم نهض ونهضن معه يغريهن كما يغري القوم، وأرمهن أن لا يبرزن خدماً، وجعل هو يبرز للقوم لبروه، وطفق يغري ويصيح على القوم، حتى أفرغ تأبط شراً واصحابه وهو على ذلك يغري. في بقية ليلة أو ليلتين من الشهر الحرام، فنهضوا في شعب يقال له شعب وشل، وتأبط ينهض في الشعب مع أصحابه، ثم يقف في آخرهم، ثم يقول: يا قوم لكأنما يطردكم النساء، فيصيح عليه أصحابه فيقولون: انج أدركك القوم، وتأبى نفسه، فلم يزل به أصحابه حتى مضى معهم فقال تأبط في ذلك:

على شيء إذا هو أدبرا

أبعد النفاثيين أزر طائراً وأسى

من الذل يعراً بالتلاعة أعفرا

أنهنه رجلي عنهم وإخالهم

بمهممة من بين ظراء وعرعرا

ولو نالت الكفان أصحاب نوفل

قال: ثم طلعا الصدر حين أصبحوا فوجدوا أهل بيت شاذ من بني قريم ذنب نمار فظل يراقبهم حتى أمسوا، وذلك البيت لساعدة بن سفيان أحد بني حارثة بن قريم، فحصرهم تأبط وأصحابه حتى أمسوا. قال: وقد كانت قالت وليدة لساعدة: إني قد رأيت اليوم القوم أو النفر بهذا الجبل، فبات الشيخ حذراً قائماً بسيفه بساحة أهله. وانتظر تأبط وأصحابه أن يغفل الشيخ، وذلك آخر ليلة من الشهر الحرام فلما خشوا أن يفضحهم الصبح، ولم يقدرُوا على غرة مشوا إليه وغروه ببقية الشهر الحرام، وأعطوه من موثيقهم ما أقنعه، وشكوا إليه الجوع، فلما اطمأن إليهم وثبوا عليه فقتلوه وابناً له صغيراً حين مشى. قال: ومضى تأبط شراً إلى ابن له ذي ذؤابة، كان أبوه قد أمره فارتبأ من وراء ماله، يقال له: سفيان بن ساعدة. فأقبل إليه تأبط شراً مستتراً بمجنّة، فلما خشى الغلام أن يناله تأبط بسيفه وليس مع الغلام سيف، وهو مفوق سهماً، رمى مجن تأبط بحجر، فظن تأبط أنه قد أرسل سهمه، فرمى مجنه عن يده، ومشى إليه فأرسل الغلام سهمه فلم يخط لبته حتى خرج منه السهم، ووقع في البطحاء حذو القوم، وأبوه ممسك، فقال أبو الغلام حين وقع السهم: أحاطه سفيان؟ فحرد القوم، فذلك حين قتلوا الشيخ وابنه الصغير، ومات تأبط.

فقال أمه - وكانت امرأة من بني القين بن جسر بن قضاة - ترثيه:

قتيل ما قتيل بني قريم  
فتى فهم جميعاً غادروه  
وقالت أمه ترثيه أيضاً:

إذا ضنت جمادى بالقطار  
مقيماً بالحريضة من نمار  
وقالت ترثيه أيضاً:  
ويل أم طرف غادروا برخمان  
يجدل القرن ويروي الندمان  
وقالت ترثيه أيضاً: وابناه وابن الليل، ليس بزميل، شراب للليل، رقاد بالليل، وواد ذي هول، أجزت بالليل، تضرب بالذيل، برجل كالشول.

قال: وكان تأبط شراً يقول قبل ذلك:

ولقد علمت لتعدون  
ياكلن أوصالاً ولح  
يا طير كلن فإني  
وقال قبل موته:

م علي شتم كالحساكل  
ما كالشكاعي غير جاذل  
سم لكن وذو دغاؤل  
أطالع أهل ضيم فالكراب  
لعل مييت كمداً ولما  
وإن لم آت جمع بني خثيم وكاهلها برجل كالضباب

وسيار فيا سوغ الشراب

إذا وقعت بكعب أو قريم

فأجابه شاعر من بني قريم:

لعلك أن تكون من المصاب

تأبط سواة وحملت شراً

تساق لفتية منا غضاب

لعلك أن تجيء بك المنايا

وتصبح طرفة الضبع السغاب

فتصبح في مكرهم سريعاً

تسوقون الحرائم بالنقاب

فزلتم تهربون لو كرهتم

طليلة فتية غلب الرقاب

وزال بأرضكم منا غلام

ونذكرها هنا بعد أخبار تأبط شراً أخبار صاحبيه عمرو بن براق والشنفري ونبداً بما يغني فيه من شعريهما،  
وتبعه بالأخبار.

فأما عمرو بن براق فمعاً يغني فيه من شعره قوله:

### صوت

وأنفا حميا تجتنبك المظالم

متى تجمع القلب الذكي وصارما

فهل أنا في ذا يا لهمدان ظالم!

وكنت إذا قوم غزوني غزوتهم

مراغمة مادام للسيف قائم

كذبتم وبيت الله لا تأخذونها

وتضرب بالبيض الرقاق الجماجم

ولا صلح حتى تعثر الخيل بالقنا

عروضه من الطويل، الشعر لابن براق وقيل ابن بريقة. والغناء لمحمد بن إسحاق بن عمرو بن بزيع ثقيل أول  
مطلق في مجرى الوسطى عن الهشامي.

### عمرو بن براق

يسلبه حريم ماله فيسترده منه: أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال: حدثنا السكري عن ابن حبيب قال:  
وأخبرنا الهمداني ثعلب، عن ابن الأعرابي، عن المفضل، قالاً: أغار رجل من همدان يقال له حريم على إبل لعمرو  
بن براق وخيل، فذهب بها، فأتى عمرو امرأة كان يتحدث إليها ويزورها فأخبرها أن حريماً أغار على إبله  
وخيله فذهب بها، وأنه يريد الغارة عليه، فقالت له المرأة ويحك لا تعرض لتلفات حريم فإني أخافه عليك، قال:

فخالفها، وأغار عليه، فاستاق كل شيء كان له، فأتاه حريم بعد ذلك يطلب إليه أن يرد عليه ما أخذه منه، فقال: لا أفعل، وأبى عليه، فانصرف، فقال عمرو في ذلك:

تقول سليمي لا تعرض لتلفة  
وكيف ينام الليل من جل ماله  
صموت إذا عض الكريهة لم يدع  
نقدت به ألفاً وسامحت دونه  
ألم تعلم أن الصعاليك نومهم  
إذا الليل أدجى واكفهرت نجومه  
ومال بأصحاب الكرى غالباته  
كذبتم وبيت الله لا تأخذونها  
تحالف أقوام علي ليسمنوا  
أفألان أدعى للهوادة بعدما  
كأن حريماً إذا رجا أن يضمها  
متى تجمع القلب الذكي وصارماً  
ومن يطلب المال الممنع بالقنا  
وكننت إذا قوم غزوني غزوتهم  
فلا صلح حتى تعثر الخيل بالقنا

وأما الشنفرى فإنه رجل من الأزد ثم من الأواس بن الحجر بن الهنو بن الأزد. ومما يعنى فيه من شعره قوله:

### صوت

ألا أم عمرو أزمعت فاستقلت  
فواندما باننت أمامة بعدما  
وقد أعجبتني لا سقوطاً خمارها  
وما ودعت جيرانها إذ تولت  
طمعت فهبها نعمة قد تولت  
إذا ما مشت ولا بذات تلفت

عنى في هذه الأبيات إبراهيم ثابى ثقيل بالبنصر عن عمرو بن بانة.

### أخبار الشنفرى ونسبه

نسبه ونشأته في غير قومه: وأخبرني بخبره الحرمي بن أبي العلاء قال: حدثنا أبو يحيى المؤدب وأحمد بن أبي المنهال المهلب، عن مؤرج عن أبي هشام محمد بن هشام النميري:  
 أن الشنفرى كان من الأواس بن الحجر بن الهنو بن الأزد بن الغوث، أسرته بنو شباية بن فهم بن عمرو بن قيس بن عيلان، فلم يزل فيهم حتى أسرت بنو سلامان بن مفرج بن عوف بن ميدعان بن مالك بن الأزد رجلاً من فهم، أحد بني شباية ففدته بنو شباية بالشنفرى قال: فكان الشنفرى في بني سلامان بن مفرج لا تسبح إلا أحدهم حتى نازعته بنت الرجل الذي كان في حجره، وكان السلامي اتخذها ولداً وأحسن إليه وأعطاه، فقال لها الشنفرى: اغسلي رأسي يا أختي وهو لا يشك في أمها أخته، فأنكرت أن يكون أحاها ولطمته، فذهب مغاضباً حتى أتى الذي اشتراه من فهم، فقال له الشنفرى: اصدقني ممن أنا؟ قال: أنت من الأواس بن الحجر، فقال: أما إني لن أدعكم حتى أقتل منكم مائة بما استعبدتموني، ثم إنه مازال يقتلهم حتى قتل تسعة وتسعين رجلاً، وقال الشنفرى للحارية السلامية التي لطمته وقالت: لست بأخي:

ألا ليت شعري والتلف ضلة

ولو علمت قعسوس أنساب والدي

أنا ابن خيار الحجر بيتاً ومنصذاً

وأمي ابنة الأحرار لو تعرفينها

بما ضربت كف الفتاة هجينها؟

غارته على من نشأ فم: قال: ثم لزم الشنفرى دار فهم فكان يغير على الأزد على رجله فيمن تبعه من فهم،

وكان يغير وحده أكثر من ذلك، وقال الشنفرى لبني سلامان:

وإني لأهوى أن ألف عجاجتي

وأصبح بالعضداء أبغي سراتهم

على ذي كساء من سلامان أو برد

وأسلك خلا بين أرباع والسررد

فكان يقتل بني سلامان بن مفرج حتى قعد له رهط من الغامديين من بني الرمضاء فأعجزهم فأشلوا عليه كلباً لهم

يقال له حببش ولم يضعوا له شيئاً، ومر وهو هارب بقرية يقال لها دحيس برجلين من بني سلامان بن مفرج

فأرادهما ثم خشي الطلب فقال:

قتيلي فجار أنتما إن قتلتما

بجوف دحيس أو تبالة يا اسمعا

يريد: يا هذان اسمعا، وقال فيما كان يطالب به بني سلامان:

فإلا تزرني حقتي أو تلاقني

أمشي بأطراف الحماط وتارة

وأبغي بني صعب بن مرب بلادهم

ويوماً بذات الرأس أو بطن منجل

هنالك تلقى القاصي المتغورا

يقتلونه بعد أن يسملوا عينه: قال: ثم قعد له بعد ذلك أسيد بن جابر السلاماني وخازم الفهمي بالناصف من أبيدة ومع أسيد ابن أخيه، فمر عليهم الشنفرى، فأبصر السواد بالليل فرماه، وكان لا يرى سواداً إلا رماه كائناً ما كان، فشك ذراع ابن أخي أسيد إلى عضده، فلم يتكلم، فقال الشنفرى: إن كنت شيئاً فقد أصبتك وإن لم تكن شيئاً فقد أمنتك، وكان خازم باطحاً: يعني منبطحاً بالطريق يرصده، فنادى أسيد: يا خازم أصلت، يعني اسل سيفك. فقال الشنفرى: لكل أصلت، فأصلت الشنفرى. فقطع إصبعين من أصابع خازم الخنصر والبنصر، وضبطه خازم حتى لحقه أسيد وابن أخيه بنجدة، فأخذ أسيد سلاح الشنفرى وقد صرع الشنفرى خازماً وابن أخي أسيد، فضبطاه وهما تحته، وأخذ أسيد برجل ابن أخيه، فقال أسيد: رجل من هذه؟ فقال الشنفرى: رجلى، فقال ابن أخي أسيد: بل هي رجلى يا عم فأسروا الشنفرى، وأدوه إلى أهلهم، وقالوا له: أنشدنا، فقال: إنما النشيد على المسرة، فذهبت مثلاً، ثم ضربوا يده فعرضت، أي اضطربت فقال الشنفرى في ذلك:

فرب واد نفرت حمامه

لا تبعدي إما ذهبت شامه

ورب قرن فصلت عظامه

ثم قال له السلامي: أأطرفك؟ ثم رماه في عينه فقال الشنفرى له: كأن كنا نفعل أي كذلك كنا نفعل، وكان الشنفرى إذا رمى رجلاً منهم قال له: أأطرفك؟ ثم يرمي عينه. ثم قالوا له حين أرادوا قتله: أين نقرتك؟ فقال:

عليكم ولكن أبشري أم عامر

لا تقبروني إن قبري محرم

وغودر عند الملتقى ثم سائري

إذا احتملت رأسي وفي الرأس أكثرى

سمير الليالي مبسلاً بالجرائر

هنالك لا أرجوا حياة تسرني

تأبط شراً يرثي الشنفرى:

غزير الكلي، وصيب الماء باكراً

على الشنفرى سارى الغمام ورائح

وقد أرعفت منك السيوف البواتر

عليك جزاء مثل يومك بالجبا

عطفتم وقد مس القلوب الحناجر

ويومك يوم العيكتين وعطفة

بشوكتك الحدى ضئيين نوافر

تجول ببز الموت فيهم كأنهم

وهل يلقيين من غيبته المقابر

فإنك لو لاقيتني بعد ما ترى

إليك وإما راجعاً أنا ثائر

لألفيتني في غارة أنتمي بها

وأبليت حتى ما يكيدك واطر

وإن تك مأسوراً وظلت مخيماً

وخيرك مبسوط وزادك حاضر

وحتى رماك الشيب في الرأس عانساً

ولابد يوماً موته وهو صابر

وأجمل موت المرء إذ كان ميتاً

حديد وشد خطوه متواتر

فلا يبعدن الشنفرى وسلاحه ال

حمى معه حر كريم مصابر

إذا راع روع الموت راع وإن حمى

رواية أخرى في مقتله: قال: وقال غيره: لا بل كان من أمر الشنفرى وسبب أسره ومقتله أن الأزد قتلت الحارث بن السائب الفهمي، فأبوا أن يبيعوا بقتله، فباء بقتله رجل منهم يقال له حزام بن جابر قبل ذلك، فمات أخو الشنفرى، فأنشأت أمه تبكيه، فقال الشنفرى، وكان أول ما قاله من الشعر:

ولا قولها لابنها ددع

ليس لو الودة هوءها

وغيرك أملك بالمصرع

تطيف وتحدث أحواله

قال: فلما ترعرع الشنفرى جعل يغير على الأزد مع فهم: فيقتل من أدرك منهم، ثم قدم منى وبها حزام بن جابر، فقيل له: هذا قاتل أبيك، فشد عليه فقتله، ثم سبق الناس على رجله فقال:

ببطن منى وشط الحجيج المصوت

قتلت حزاماً مهدياً بملبد

قال: ثم إن رجلاً من الأزد أتى أسيد بن جابر، وهو أخو حزام المقتول فقال: تركت الشنفرى بسوق حباشة، فقال أسيد بن جابر: والله لئن كنت صادقاً لا نرجع حتى نأكل من جنى أليف أبيدة، فقعد له على الطريق هو وابنا حزام، فأحسوه في جوف الليل وقد نزع نعلاً ولبس نعللاً ليخفى وطأه، فلما سمع الغلامان وطأه قالوا: هذه الضبع، فقال أسيد: ليست الضبع، ولكنه الشنفرى، ليضع كل واحد منكما نعله على مقتله، حتى إذا رأى سوادهم نكص ملياً لينظر هل يتبعه أحد، ثم رجع حتى دنا منهم، فقال الغلامان: أبصرنا، فقال عمهما: لا والله ما أبصر كما، ولكنه أطرده؛ ليكما تتبعاه، فليضع كل واحد منكما نعله على مقتله. فرماه الشنفرى فحسق في النعل ولم يتحرك المرمى، ثم رمى فانتظم ساقى أسيد، فلما رأى ذلك أقبل حتى كان بينهم، فوثبوا عليه، فأخذوه فشدوه وثاقاً، ثم إنهم انطلقوا به إلى قومهم، فطرحوه وسطهم، فتماروا بينهم في قتله، فبعضهم يقول: أخوكم وابنكم، فلما رأى ذلك أحد بني حزام ضربه ضربة فقطع يده من الكوع، وكانت بها شامة سوداء، فقال الشنفرى حين قطعت يده:

فرب خرق قطعت قتامة

لا تبعدى إما هلكت شامه

ورب قرن فصلت عظامه

وقال تأبط شراً يرثيه:

حديد وشد خطوه متواتر

لا يبعدن الشنفرى وسلاحه ال

حمى معه حر كريم مصابر

إذا راع روع الموت راع وإن حمى

قال: وذرع خطو الشنفرى ليلة قتل فوجد أول نزوة نزاها إحدى وعشرين خطوة، ثم الثانية سبع عشرة خطوة.  
قال: وقال ظالم العامري في الشنفرى وغاراته على الأزرد وعجزهم عنه، ويحمد أسيد بن جابر في قتله الشنفرى:

فما لكم لم تدرکوا رجل شنفرى  
وأنتم خفاف مثل أجنحة الغرب  
تاديتم حتى إذا ما لحقتم  
تباطأ عنكم طالب وأبو سقب  
لعمرك للساعي أسيد بن جابر  
أحق بها منكم بني عقب الكلب

قال: لوما قتل الشنفرى وطرح رأسه مر به رجل منهم فضرب جمجمة الشنفرى بقدمه، فعقرت قدمه فمات منها، فتمت به المائة.

من شعر الشنفرى: وكان مما قاله الشنفرى فيهم من الشعر وفي لطمه المرأة التي أنكرته الذي ذكرته واستغنى عن إعادته مما تقدم ذكره من شعر الشنفرى، وقال الشنفرى في قتله حزاماً قاتلاً أبيه:

أرى أم عمرو أجمعت فاستقلت  
وما ودعت جيرانها إذ تولت  
فقد سبقتنا أم عمرو بأمرها  
وقد كان أعناق المطي أظلت

فوائد ما على أميمة بعد ما  
طمعت فهببها نعمة العيش ولت  
أميمة لا يخزي نثاها حليلها  
إذا ذكر النسوان عفت وجلت  
يحل بمنجاة من اللوم بيتها  
إذا ما بيوت بالملامة حلت  
فقد أعجبتني، لا سقوط قناعها  
إذا ما مشت ولا بذات تلفت  
كأن لها في الأرض نسياً تقصه  
إذا ما مشت وإن تحدثك تبلت

النسي: الذي يسقط من الإنسان وهو لا يدري أين هو؛ يصفها بالحياء، وأما لا تلتفت يميناً ولا شمالاً ولا تبرج. ويروى:

تقصه على أمها وإن تكلمك  
فدقت وجلت واسبكرت وأكملت  
تبيت بعيد النوم تهدي غيوبها  
فلو جن إنسان من الحسن جنت  
لجاراتها إذا الهدية قلت

الغيوب: ما غب عندها من الطعام أي بات ويروى: غبوقها

فبتنا كأن البيت حجر حولنا  
بريحانة من بطن حلية أمرعت  
لها أرج من حولها غير مسنت  
بريحانة راحت عشاء وطلت

غدوت من الوادي الذي بين مشعل  
أمشي على الأرض التي لن تضيرني  
إذا ما أنتتني حتفتي لم أبالها  
وهنيء بي قوم وما إن هنأتهم  
وأم عيال قد شهدت تقوتهم  
تخاف علينا الجوع إن هي أكثرت  
عفاهية لا يقصر الستر دونها  
لها وفضة فيها ثلاثون سلجماً  
وتأتي العدي بارزاً نصف ساقها  
إذا فزعت طارت بأبيض صارم  
حسام كلون الملح صاف حديده  
تراها كأذئاب المطي صوادراً  
سنجزي سلامان بن مفرج قرضهم  
شفينا بعبد الله بعض غليلنا  
قتلنا حزاماً مهدياً بملبد  
فإن تقبلوا تقبل بمن نيل منهم  
ألا لا تزرني إن تشكيت خلتي  
وإني لخلو إن أريدت حلاوتي  
أبي لما آبي وشيك مفيتي

وقال الشنفرى أيضاً:

وبين الجباهيات أنسأت سربتي  
لأكسب مالا أو ألاقى حمتي  
ولم تذر خالاتي الدموع وعمتي  
وأصبحت في قوم وليسوا بمنبتي  
إذا أطعمتهم أو تحت وأقلت  
ونحن جياع، أي ألي تألت  
ولا ترتجى للبيت إن لم تبيت  
إذا ما رأيت أولى العدي اقشعرت  
كعدو حمار العانة المتقلت  
وراحت بما في جفرها ثم سلت  
جراز من أقطار الحديد المنعت  
وقد نهلت من الدماء وعلت  
بما قدمت أيديهم وأزلت  
وعوف لدى المعدي أو ان استهلت  
محلها بين الحجيج المصوت  
وإن تدبروا فأم من نيل فتت  
كفاني بأعلى ذي الحميرة عدوتي  
ومر إذا النفس الصدوف استمرت  
إلى كل نفس تنتحي بمودتي

أخو الضرورة الرجل الخفي المخفف  
من الليل ملتف الحديقة أسدف  
كما يتطوى الأرقم المتعطف  
صدورها مخصورة لا تخصف

ومرقبة عنقاء يقصر دونها  
نميت إلى أعلى ذراها وقد دنا  
فبت على حد الزراعين أحديا  
قليل جهازى غير نعلين أسحقت

وملحفة درس وجرّد ملاءة  
وأبيض من ماء الحديد مهند  
وصفراء من نبع أبي ظهيرة  
إذا طال فيها النزع تأتي بعجسها  
كأن حفيف النبل من فوق عجسها  
نأت أم قيس المربعين كليهما  
وإنك لو تدرين أن رب مشرب  
وردت بمأثور ونبل وضالة  
أركبها في كل أحمر عاتر

إذا أنهجت من جانب لا تكف  
مجد لأطراف السواعد مقطف  
ترن كإرنان الجشي وتهتف  
وترمي بذرويها بهن فتقذف  
عواذب نحل أخطأ الغار مطنف  
وتحذر أن ينأى بها المتصيف  
مخوف كداء البطن أو هو أخوف  
تخبرتها مما أريش وأرصف  
وأقذف منهن الذي هو مقرف

وتابعت فيه البري حتى تركته  
بكفي منها للبغيض عراضة  
وواد بعيد العمق ضنك جماعه  
تعسفت منه بعد ما سقط الندى  
وإني إذا خام الجبان عن الردى  
وإن امرأً أجار سعد بن مالك  
وقال الشنفرى أيضاً:

ومستبسل ضافى القميص ضغته  
عليه نساري على خوط نبعة  
وقاربت من كفي ثم فرجتها  
فصاحت بكفي صيحة ثم رجعت

بأزرق لا نكس ولا متعوج  
وفوق كعرقوب القطة مخرج  
بنزع إذا ما استكره النزع مخلج  
أنين الأميم ذي الجراح المشجج

وقد روى: فناحت بكفي نوحة.

رواية ثالثة في مقتله: وقال غيره: لا بل كان من أمر الشنفرى أنه سبت بنو سلامان بن مفرج بن مالك بن هوازن بن كعب بن عبد الله بن مالك بن نصر بن الأزد الشنفرى - وهو أحد بني ربيعة بن الحجر بن عمران بن عمرو بن حارثة بن ثعلبة بن امرئ القيس بن مازن بن الأزد - وهو غلام، فجعله الذي سباه في بئمة يرهاها

مع ابنة له، فلما خلا بها الشنفرى أهوى ليقبلها، فصكت وجهه، ثم سعت إلى أبيها فأخبرته، فخرج إليه ليقته، فوجده وهو يقول:

ألا هل أتى فتیان قومي جماعة  
بما لطمت كف الفتاة هجينها؟  
ولو علمت تلك الفتاة مناسبي  
ونسبتها ظلت تقاصر دونها  
أليس أبي خير الأواس وغيرها  
وأمي ابنة الخيرين لو تعلمينها  
إذا ما أروم الود بيني وبينها  
يؤم بياض الوجه مني يمينها

قال: فلما سمع قوله سأله: ممن هو، فقال: أنا الشنفرى، أخو بني الحارث بن ربيعة، وكان من أقبح الناس وجهاً، فقال له: لولا أني أخاف أن يقتلني بنو سلامان لأنكحتك ابنتي. فقال: علي إن قتلك أن أقتل بك مائة رجل منهم، فأنكحه ابنته، وحلى سبله، فسار بها إلى قومه، فشدت بنو سلامان خلافه على الرجل فقتلوه، فلما بلغه ذلك سكت ولم يظهر جزءاً عليه، وطفق يصنع النبل، ويجعل أفواقها من القرون والعظام، ثم إن امرأته بنت السلاماني قالت له ذات يوم: لقد خست بميثاق أبي عليك، فقال:

كأن قد فلا يغرك مني تمكثي  
سلكت طريقاً بين يربغ فالسرد  
وإني زعيم أن تثور عجاجتي  
على ذي كساء من سلامان أو برد  
هم عرفوني ناشئاً ذا مخيلة  
أمشي خلال الدار كالفرس الورد  
كأنني إذا لم يمس في الحي مالك  
بتيهاء لا أهدى السبيل ولا أهدي

قال: ثم غزاهم فجعل يقتلهم، ويعرفون نبله بأفواقها في قتلاهم، حتى قتل منهم تسعة وتسعين رجلاً، ثم غزاهم غزوة، فندروا به، فخرج هارباً، وخرجوا في إثره، فمر بامرأة منهم يلتمس الماء فعرفته، فأطعمته أقطاً ليزيد عطشاً، ثم استسقى فسقته رائباً، ثم غيبت عنه الماء، ثم خرج من عندها، وجاءها القوم فأخبرتهم خبره، ووصفت صفته وصفة نبله، فعرفوه، فرصدوه على ركي لهم، وهو ركي ليس لهم ماء غير لاه، فلما جن عليه الليل أقبل إلى الماء، فلما دنا منه قال: إني أراكم، وليس يرى أحداً إنما يريد بذلك أن يخرج رسداً إن كان ثم، فأصاخ القوم وسكتوا. ورأى سواداً، وقد كانوا أجمعوا قبل إن قتل منهم قتيل أن يمسه الذي إلى جنبه لئلا تكون حركة، قال: فرمى لما أبصر السواد، فأصاب رجلاً فقتله، فلم يتحرك أحد، فلما رأى ذلك أمن في نفسه وأقبل إلى الركي، فوضع سلاحه، ثم انحدر فيه، فلم يرعه إلا بهم على رأسه قد أخذوا سلاحه فترا ليخرج. فضرب بعضهم شماله فسقطت، فأخذها فرمى بها كبد الرجل، فخر عنده في القلب، فوطئ على رقبته فدقها. وقال في قطع شماله:

لا تبعدني إما ذهب شامه  
فرب واد نفرت حمامه  
ورب قرن فصلت عظامه  
ورب حي فرقنت سوامه

قال: ثم خرج إليهم، فقتلوه وصلبوه، فلبث عاماً أو عامين مصلوباً وعليه من ذنره رجل، قال: فجاء رجل منهم كان غائباً، فمر به وقد سقط فركض رأسه برجله، فدخل فيها عظم من رأسه فعلت عليه فمات منها، فكان ذلك الرجل هو تمام المائة.

## صوت

ألا طرقت في الدجى زينب وأحباب بزینب إذ تطرق

عجبت لزينب أنى سرت وزينب من ظلها تفرق

عروضه من المتقارب، الشعر لابن رهيمة، والغناء لخليل المعلم رمل بالبصرة، عن الهشامي وأبي أيوب المدني.

## أخبار الخليل ونسبه

### نسبه

هو الخليل بن عمرو، مكّي، مولى بني عامر بن لؤي، مقل لا تعرف له صنعة غير هذا الصوت. يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله: أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال: حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال: حدثني القطراني المغني، عن محمد بن حسين، قال: كان خليل المعلم يلقب خليلان، وكان يؤدب الصبيان ويلقنهم القرآن والخط، ويعلم الجوارى الغناء في موضع واحد، فحدثني من حضره قال: كنت يوماً عنده وهو يردد على صبي يقرأ بين يديه "ومن الناس من يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله بغير علم" ثم يلتفت إلى صبية بين يديه فيردد عليها:

اعتاد هذا القلب بلباله أن قرابت للبين أجماله

فضحكت ضحكاً مفرطاً لما فعله، فالتفت إلي فقال: ويك مالك؟ فقلت: أتنكر ضحكي مما تفعل؟ والله ما سبقك إلى هذا أحد! ثم قلت: انظر شأى شيء أخذت على الصبي من القرآن، وأي شيء هو ذا تلقي على الصبية، والله إني لأظنك ممن يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله، فقال: أرجو ألا أكون كذلك إن شاء الله. يسيء الأزدي فهم غنائه: أخبرني علي بن سليمان الأحفش قال: حدثنا محمد بن يزيد المبرد قال: حدثني عبد الصمد بن المعذل قال: كان خليلان المعلم أحسن الناس غناء، وأفتاهم وأفصحهم، فدخل يوماً على عقبة بن سلم الأزدي الهنائي فاحتبسه عنده، فأكل معه ثم شرب، وحانت منه التفاتة، فرأى عوداً معلقاً، فعلم أنه عرض له به، فدعا به وأخذته فغناهم:

يا بنة الأزدي قلبي كئيب مستهام عندها ما ينيب

وحانت من التفاتة فرأى وجه عقبة بن سلم متغيراً، وقد ظن أنه عرض به، ففطن لما أراد فغنى:

ية يهتتز موكبها

ألا هزئت بنا قرش

فسري عن عقبة وشرب، فلما فرغ وضع العود من حجره، وحلف بالطلاق ثلاثاً أنه لا يغني بعد يومه ذلك إلا لمن يجوز حكمه عليه.

نسبة هذين الصوتين

مستهام عندها ما ينيب

يا بنة الأزدي قلبي كئيب

إن من تنهون عنه حبيب

ولقد لاموا فقلت: دعوني

حبها والحب شيء عجيب

إنما أبلى عظامي وجسمي

أنت تقدي من أراك تعيب

أيها العائب عندي هواها

عروضه من المديد، والشعر لعبد الرحمن بن أبي بكر الصديق - رضي الله عنه - والغناء لمعبد ثقيل أول بالسبابة في مجرى البنصر عن إسحاق، وفيه لمالك خفيف ثقيل أول بالخنصر في مجرى البنصر عنه، وفيه خفيف رمل بالسبابة في مجرى الوسطى لم ينسبه إسحاق إلى أحد، ووجدته في روايات لا أثق بها منسوباً إلى حنين، وقد ذكر يونس أن فيه لحنين ومالك كلاهما، ولعل هذا أحدهما، وذكر حبش أن خفيف الرمل لابن سريج، وذكر الهشامي وعلي بن يحيى أن لحن مالك الآخر ثاني ثقيل، وذكر الهشامي أن فيه لطويس هزجاً مطلقاً في مجرى البنصر، وذكر عمرو بن بانه أن لمالك فيه ثقيلاً أول وخفيفه، ولمعبد خفيف ثقيل آخر: صوت

يهتتز موكبها

ألا هزئت بنا قرشية

س مني ما أغيبها

رأت بي شبية في الرأ

وبعض الشيب يعجبها

فقلت لي: ابن قيس ذا؟

يحصرها ويحجبها

لها بعل خبيث النفس

فيوعدها ويضربها

يراني هكذا أمشي

عروضه من الوافر، الشعر لابن قيس الرقيات، والغناء لمعبد خفيف ثقيل بالخنصر في مجرى الوسطى وفيه ليونس ثقيل أول عن إسحاق بن إبراهيم والهشامي.

### صوت

أم حبليها إذ نأتك اليوم مصروم

هل ما علمت وما استودعت مكتوم

إثر الأحبة يوم البين مشكوم

أم هل كئيب بكى لم يقض عبرته

كأن تطيابها في الأنف مشموم

يحملن أترجة، نضخ العبير بها

للباسط المتعاطي وهو مزكوم

كأن فأرة مسك في مفارقها

مقدم بسبا الكتان ملثوم

كأن إبريقهم ظبي على شرف

والقوم تصرعهم صهباء خرطوم

قد أشهد الشرب فيهم مزهر صدح

الشعر لعلقمة بن عبدة، والغناء لابن سريج، وله فيه لحنان أحدهما في الأول والثاني خفيف ثقيل أول بالخنصر في مجرى البنصر عن إسحاق، والآخر رمل بالخنصر في مجرى البنصر في الخامس والسادس من الأبيات، وذكر عمرو بن بانه أن في الأربعة الأبيات الأولى المتوالية لملك خفيف ثقيل بالوسطى، وفيها ثقيل أول نسبه الهشامي إلى الغريض، وذكر حبش أن لحن الغريض ثاني ثقيل بالبنصر، وذكر حبش أن في الخامس والسادس خفيف رمل بالبنصر لابن سريج.

### أخبار علقمة ونسبه

هو علقمة بن عبدة بن النعمان بن ناشرة بن قيس بن عبيد بن ربيعة بن مالك بن زيد مناة بن تميم بن مر بن أد بن طابخة بن إلياس بن مضر بن نزار.

واش يلقي جزاءه: وكان زيد مناة بن تميم وفد هو وبكر بن وائل - وكانا لدة عصر واحد - على بعض المولك، وكان زيد مائة حسوداً شرهاً طعناً، وكان بكر بن وائل خبيثاً منكرأ داهياً فخاف زيد مناة أن يحظى من الملك بفائدة، ويقل معها حظه، فقال له: يا بكر لا تلق الملك بشباب سفرك، ولكن تأهب للقائه وادخل عليه في أحسن زينة، ففعل بكر ذلك، وسبقه زيد مناة إلى الملك، فسأله عن بكر، فقال: ذلك مشغول بمغازلة النساء والتصدّي لهن، وقد حدث نفسه بالتعرض لبنت الملك، فغاظه ذلك، وأمسك عنه، ونمى الخبر إلى بكر بن وائل، فدخل إلى الملك فأخبره بما دار بينه وبين زيد مناة، وصدقه عن، واعتذر إليه مما قاله فيه عذراً قبله، فلما كان من غد اجتمعوا عند الملك، فقال الملك لزيد مناة: ما تحب أن أفعل بك، فقال: لا تفعل بيكر شيئاً إلا فعلت بي مثليه، وكان بكر أعور العين اليمنى، قد أصابها ماء فذهب بها، فكان لا يعلم من رآه أنه أعور، فأقبل الملك على بكر بن وائل فقال له: ما تحب أن أفعل بك يا بكر، قال: تفقأ عيني اليمنى، وتضعف لزيد مناة، فأمر بعينه العوراء ففقتت، وأمر بعيني زيد مناة ففقتتا، فخرج بكر وهو أعور بحاله، وخرج زيد مناة وهو أعمى.

سبب تسميته بعلقمة الفحل: وأخبرني بذلك محمد بن الحسن بن دريد، عن أبي حاتم، عن أبي عبيدة. ويقال لعلقمة بن عبدة علقمة الفحل، سمي بذلك لأنه خلف على امرأة امرئ القيس لما حكمت له على امرئ القيس بأنه أشعر منه في صفة فرسة، فطلقها، فخالفه عليها، وما زالت العرب تسمية بذلك، وقال الفرزدق:

### والفحل علقمة الذي كانت له

### حل الملوك كلامه يتنحل

قصيدته سمط الدهر: أخبرني عمي قال: حدثني النضر بن عمرو قال: حدثني أبو السوار، عن أبي عبيد الله مولى إسحاق بن عيسى، عن حماد الرواية قال: كانت العرب تعرض أشعارها على فريش، فما قبلوه منها كان مقبولاً، وما ردوه منها كان مردوداً، فقدم عليهم علقمة بن عبدة، فأنشدهم قصيدته التي يقول فيها:

هل ما علمت وما استودعت مكتوم أم حبلها أن نأتك اليوم مصروم

فقالوا: هذه سمط الدهر، ثم عاد إليهم العام المقبل فأنشدهم:

طحابك قلب في الحسان طروب بعيد الشباب عصر حان مشيب

فقالوا: هاتان سمط الدهر.

يسرقون شعره: أخبرني الحسن بن علي قال: حدثني هارون بن محمد بن عبد الملك، عن حماد بن إسحاق قال: سمعت أبي يقول: سرق ذو الرمة قوله:

يطفو إذا ما تلقته الجرائيم

من قول العجاج:

إذا تلقته العقاقيل طفا

وسرقه العجاج من علقمة بن عبدة في قوله:

يطفو إذا ما تلقته العقاقيل

أيهما أوصف للفرس هو أم امرئ القيس: أخبرني عمي قال: حدثنا الكراخي قال: حدثنا العمري عن لقيط، وأخبرني أحمد بن عبد العزيز قال: حدثنا عمر بن شبة قال: حدثني أبو عبيدة قال: كانت تحت امرئ القيس امرأة من طيء تزوجها حين جاور فيهم، فزل به علقمة الفحل بن عبدة التميمي، فقال كل واحد منهما لصاحبه: أنا أشعر منك، فتحاكما إليها، فأنشد امرؤ القيس قوله:

خليلي مرا بي على أم جندب

حتى مر بقوله:

وللجزر منه وقع أخرج مهذب

فللسوط ألحوب وللحاق درة

ويروى: "أهوج منعب فأنشدها علقمة قوله:

ذهبت من الهجران في غير مذهب

حتى انتهى إلى قوله:

يمر كغيث رائج متحلب

فأدركه حتى ثنى من عنانه

فقلت له: علقمة أشعر منك، قال: وكيف؟ قالت: لأنك زجرت فرسك، وحركته بساقيك، وضربتته بسوطك. وأنه جاء هذا الصييد، ثم أدركه ثانياً من عنانه، فغضب امرؤ القيس وقال: ليس كما قلت، ولكنك هويته، فطلقها، فتزوجها علقمة بعد ذلك، وبهذا لقب علقمة الفحل.

ربيعة بن حذار يحكم له: أخبرني عمي قال: حدثنا الكراني قال: حدثنا العمري، عن لقيط قال: تحاكم علقمة بن عبدة التميمي. والزبرقان بن بدر السعدي، والمخبل، وعمرو بن الأهتم، إلى ربيعة بن حذار الأسدي، فقال: أما أنت يا زبرقان فإن شعرك كلحم لا أنضح فيؤكل، ولا ترك نيتاً فينتفع به، وأما أنت يا عمرو فإن شعرك كبرد حبرة يتلألأ في البصر، فكلما أعدته فيه نقص، وأما أنت يا مخبل فإنك قصرت عن الجاهلية ولم تدرك الإسلام، وأما أنت يا علقمة فإن شعرك كمزادة قد أحكم خرها فليس يقطر منها شيء.

بيت من أبياته يضرب المتمثل به عشرين سوطاً: أخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال: حدثني عمي، عن العباس بن هشام، عن أبيه قال: مر رجل من مزينة على باب رجل من الأنصار، وكان يتهم بامرأته، فلما حاذى بابه تنفس ثم تمثل:

**هل ما علمت وما استودعت مكتوم أم حبلها إذ نأتك اليوم مصروم؟**

قال: فتعلق به الرجل: فرفعه إلى عمر رضوان الله عليه، فاستعداء عليه، فقال له المتمثل: وما علي في أن أنشدت بيت شعر، فقال له عمر رضي الله عنه عنه: مالك لم تنشده قبل أن تبلغ بابه؟ ولكنك عرضت به مع ما تعلم من القالة فيه، ثم أمر به فضرب عشرين سوطاً.

### صوت

**فوالله لا أنسى قتيلاً رزيتيه**  
**بجانب قوسي ما حييت على الأرض**  
**بلى إنها تغفو الكلوم وإنما**  
**توكل بالأدنى وإن جل ما يمضي**  
**ولم أدر من ألقى عليه رداءه**  
**ولكنه قد بز عن ماجد محض**

الشعر لأبي خراش الهذلي، والغناء لابن محرز خفيف ثقيل أول بالوسطى من رواية عمرو بن بانه وذكر يحيى بن المكي أنه لابن مسجح وذكر الهشامي أنه ليحيى المكي، نخله بن مسجح، وفي أخبار معبد أن له فيه لحناً.

### ذكر أبي خراش الهذلي وأخباره

أبو خراش اسمه خويلد بن مرة، أحد بني قرد، واسم قرد عمرو بن معاوية بن سعد بن هذيل بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار.

شاعر فحل من شعراء المذكورين الفصحاء، مخضرم، أدرك الجاهلية والإسلام فأسلم وعاش بعد النبي صلى الله عليه وسلم مدة، ومات في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، هُشنته أفعى فمات، وكان ممن يعدو فيسبق

الخيل في غارات قومه وحروبهم.

يتربصون به فيفلت منهم: أخبرني حبيب بن نصر المهلبي وعمي والحسن بن علي قالوا: حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال: حدثنا أحمد بن عمير بن إسماعيل بن عبد العزيز بن عمر بن عبد الرحمن بن عوف قال: حدثني أبو بركة الأشجعي من أنفسهم قال: خرج أبو خراش الهذلي من أرض هذيل يريد مكة، فقال لزوجته أم خراش: ويحك إني أريد مكة لبعض الحاجة، وإنك من أفك النساء، وإن بني الدليل يطلبونني بتراث فيأياك وأن تذكربني لأحد من أهل مكة حتى نصدر منها! قالت: معاذ الله أن أذكرك لأهل مكة وأنا أعرف السبب.

قال: فخرج بأمر خراش وكمن لحاجته وخرجت إلى السوق لتشتري عطراً أو بعض ما تشتريه النساء من حوائجهن، فجلست إلى عطار فمر بها فتبان من بني الدليل، فقال أحدهما لصاحبه: أم خراش ورب الكعبة وإنما لمن إفك النساء وإن كان أبو خراش معها فستدلنا عليه، قال: فوقفا عليها فسلما وأحفيا المسألة والسلام، فقالت: من أنتما بأبي أنتما؟ فقالا: رجلان من أهلك من هذيل، قالت: بأبي أنتما. فإن أبا خراش معي ولا تذكره لأحد، ونحن رائحون العشية، فخرج الرجلان فجمعا جماعة من فتيانهم وأخذوا مولى لهم يقال له مخلد وكان من أجود الرجال عدواً، فكمنوا في عقبة على طريقه، فلما رأهم قد لاقوه في عين الشمس قال لها: قتلتي ورب الكعبة لمن ذكرتي؟ فقالت: والله ما ذكرتك لأحد إلا لفتيين من هذيل، فقال لها: والله ما هما من هذيل ولكنهما من بني الدليل وقد جلسا لي وجمعا علي جماعة من قومهم فاذهي أنت فإذا حزت عليهم فإهم لن يعرضوا لك لثلاثاً أستوحش فأفوتهم، فاركضي بعيرك، وضعي عليه العصا، والنجات النجاء.

قال: فانطلقت وهي على قعود عقيلي يسابق الريح، فلما دنا منهم وقد تثلثوا ووضعوا تمرّاً على طريقه على كساء، فوقف قليلاً كأنه يصلح شيئاً، وحازت بهم أم خراش فلم يعرضوا لها لثلاثاً ينفر منهم، ووضعت العصا على قعودها، وتواثبوا إليه ووثب يعدو.

قال: فزاحمه على المحجة التي يسلك فيها على العقبة ظني، فسبقه أبو خراش، وتصايح القوم: يا مخلد أحمداً أحمداً. قال: ففات الأحمذ. فقالوا: ضرباً ضرباً، فسبق الضرب، فصاحوا: رمياً رمياً فسبق الرمي، وسبقت أم خراش إلى الحي فنادت: ألا إن أبا خراش قد قتل، فقام أهل الحي إليها، وقام أبوه وقال: ويحك ما كانت قصته، فقالت: إن بني الدليل عرضوا له الساعة في العقبة، قال: فما رأيت، أو ما سمعت؟ قالت: سمعتهم يقولون: يا مخلد أحمداً أحمداً، قال: ثم سمعت ماذا؟ قالت: ثم سمعتهم يقولون: ضرباً ضرباً، قال: ثم سمعت ماذا؟ قالت: سمعتهم يقولون: رمياً رمياً، قال: فإن كنت سمعت رمياً رمياً فقد أفلت، وهو منا قريب، ثم صاح: يا أبا خراش، فقال أبو خراش: يا لبيك، وإذا هو قد وافاهم على أثرها. وقال أبو خراش في ذلك:

**فقلت وأنكرت الوجوه هم هم**

**رفوني وقالوا يا خويلد لم ترع**

رفوني بالفاء: سكنوني وقالوا: لا بأس عليك.

فغاررت شيئاً والدريس كأنما

يزعزه وعك من الموم مردم

غاررت: تلبثت. والدريس: الخلق من الثياب، ومثله الجرد والسحق والحشيف. ومردم: لازم.

تذكرت ما أين المفر وإنني

بحبل الذي ينجي من الموت معصم

فوالله ما ربداء أو عالج عانة

أقب وما إن تيس رمل مصمم

بأسرع مني إذ عرفت عديهم

كأنني لأولاهم من القرب توأم

وأجود مني حين وافيت ساعياً

وأخطأني خلف الثنية أسهم

أوائل بالشد الذليق وحتني

لدى المتن مشبوح الذراعين خلجم

تذكر نحلاً عندنا وهو فاتك

من القوم يعرفه اجترأ ومأثم

تقول ابنتي لما رأيتين عشية:

سلمت وما إن كدت بالأمس تسلم

فقلت وقد جاوزت صارى عشية:

أجازت أولى القوم أم أنا أحلم

فلولا دراك الشد أضت حليلتي

تخير في خطابها وهي أيم

فتسخط أو ترضى مكاني خليفة

وكاد خراش عند ذلك ييتم

يسابق الخيل فيسبقها: أخبرني هاشم بن محمد الخراعي ومحمد بن الحسين الكندي خطيب المسجد الجامع بالقادسية قالاً: حدثنا الرياشي قال: حدثنا الأصمعي قال: حدثني رجل من هذيل قال: دخل أبو خراش الهذلي مكة وللوليد بن المغيرة المخزومي فرسان يريد أن يرسلهما في الحلبة، فقال للوليد: ما تجعل لي إن سبقتهما؟ قال: إن فعلت، فهما لك، فأرسلا، وعدا بينهما فسبقتهما فأخذهما.

قال الأصمعي: إذا فاتك الهذلي أن يكون شاعراً أو ساعياً أو رامياً فلا خير فيه.

وأخبرني بما أذكره من مجموع أخبار أبي خراش علي بن سليمان الأخفش، عن أبي سعيد السكري، وأخبرني بما أذكره من مجموع أشعارهم وأخبارهم فذكره أبو سعيد، عن محمد بن حبيب، عن ابن الأعرابي، عن أبي حاتم، عن أبي عبيدة، وعن ابن حبيب عن أبي عمرو.

يمدح دبية حياً ويرثيه ميتاً: وأخبرني ببعضه محمد بن العباس البيهقي قال: حدثنا الرياشي، عن الأصمعي، وقد ذكرت ما رواه في أشعار هذيل وأخبارها كل واحد منهم عن أصحابه في مواضعه، قال السكري: فيما رواه عن ابن حبيب عن أبي عمرو قال: نزل أبو خراش الهذلي على دبية السلمي - وكان صاحب العزى التي في غطفان وكان يسدّها، وهي التي هدمها خالد بن الوليد لما بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم إليها فهدمها وكسرهما

وقتل دبية السلمي - قال: فلما نزل عليه أبو خراش أحسن ضيافته. ورأى في رجله نعلين قد أخلقتا، فأعطاه نعلين من حذاء السبت فقال أبو خراش يمدحه:

حذاني بعد ما خذمت نعلي  
مقابلتين من صلوي مشب  
دبية إنه نعم الخليل  
بمثلهما يروح المرء لهواً  
من الثيران وصلهما جميل  
فنعم معرس الأضياف تذحي  
ويقضي الهم ذو الأرب الرجيل  
يقاتل جو عهم بمكلمات  
رحالهم شامية بليل  
من الفرني يربها الجميل

قال أبو عمرو: الجميل: إلا هالة، ولا يقال لها جميل حتى تذاب إهالة كانت أو شحماً، وقال أبو عمرو: ولما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد فهدم عزي غطفان، وكانت بيطن نخلة، نصبها ظالم بن أسعد بن عامر بن مرة وقتل دبية فقال أبو خراش الهذلي يرثيه:

ما لدبية منذ اليوم لم أراه  
لو كان حياً لغاداهم بمترة  
وسط الشروب ولم يلهم ولم يطف  
بنو الهطف: قوم من بني أسد يعملون الجفان.  
فيها الرواويق من شيزى بني الهطف  
كابي الرماد عظيم القدر جفنته  
حين الشتاء كحوض المنهل اللقف

المنهل: الذي إبله عطاش. واللقف: الذي يضرب الماء أسفله فيتساقط وهو ملآن

أمسى سقام خلاء لا أنيس به  
يرثي زهير بن العجوة: وقال الأصمعي وأبو عمرو في روايتهما جميعاً: أخذ أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في يوم حنين أسارى، وكان فيهم زهير بن العجوة أخو بني عمرو بن الحارث، فمر به جميل بن معمر بن حبيب بن وهب بن حذافة بن جمح، وهو مربوط في الأسرى، وكانت بينهما إحنة في الجاهلية، فضرب عنقه، فقال أبو خراش يرثيه:

فجع أصحابي جميل بن معمر  
طويل نجاد السيف ليس بحيدر  
بذي فجر تأوي إليه الأرامل  
إلى بيته يأوي الغريب إذا شتا  
إذا قام واستنتت عليه الحمائل  
تروح مقروراً وراحت عشية  
ومهتلك بالي الدريسين عائل  
لها حدب تحتته فيوائل  
تكاد يدها تسلمان رداءه  
من القر لما استقبلته الشمائل

وقد خف منها المودعي الحلالح  
لآبك بالجزع الضباع النواهل  
ولكن ظهر القرن للمرء شاغل  
ولكن أحاطت بالرقاب السلاسل  
سوى الحق شيئاً فاستراح العوائل  
بحلية إذ نلقى بها ما نحاول  
وقال أيضاً يرثيه:

من الدهر لا يبعد قتيل جميل  
قريش ولما يقتلوا بقتيل  
مدى الدهر حتى تقتلوا بغليل  
أفي كل ممسى ليلة أنا قائل  
فما كنت أخشى أن تصيب دماءنا  
فأبرح ما أمرتم وعمرتم  
يستنقذ أسرى بني ليث:

وقال أبو عمرو في خبره خاصة: أقبل أبو خراش وأخوه عروة وصهيب القردي في بضعة عشر رجلاً من بني قرد يطلبون الصيد فبينما هم بالجمعة من نخلة لم يرعهم إلا قوم قريب من عدتهم فظنهم القرديون قوماً من بني ذؤيبة أحد بني سعد بن بكر بن هوازن أو من بني حبيب أحد بني نصر، فعدا الهذليون إليهم يطلبونهم وطمعوا فيهم حتى خالطوهم وأسروهم جميعاً، وإذا هم قوم من بني ليث بن بكر، فيهم ابنا شعوب أسرها صهيب القردي، فهم بقتلها، وعرفهم أبو خراش فاستنقذهم جميعاً من أصحابه وأطلقهم، فقال أبو خراش في ذلك يمن على ابني شعوب أحد بني شجع بن عامر بن ليث فعله بما:

عدونا عدوة لا شك فيها  
فنغري الثائرين بهم وقلنا  
منعنا من عدي بني حنيف  
فأثنوا يا بني شجع علينا  
غداة نخالهم نجوا جنيبا  
عليه الثوب إذ ولى دبيبا  
حسام الحد مطروراً خشيبا  
وسائل سبرة الشجعي عنا  
بأن السابق القردي ألقى  
ولولا ذاك أرقه صهيب

يزهد زهد الهنود: أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي قال: حدثنا الرياشي: قال: حدثنا الأصمعي قال: أفضز أبو خراش الهذلي من الزاد أياماً، ثم مر بامرأة من هذيل جزلة شريفة، فأمرت له بشاة فذبحت وشويت، فلما وجد بطنه ريح الطعام قرقر، فضرب بيده على بطنه وقال: إنك لتقرقر لرائحة الطعام، والله لأطعمت منه شيئاً ثم قال: يا ربة البيت، هل عندك شيء من صبر أو مر؟ قالت: تصنع به ماذا؟ قال: أريده، فأتته منه بشيء فاقتمحه، ثم أهوى إلى بعيره فركبه، فناشدته المرأة فأبي، فقالت له: يا هذا، هل رأيت بأساً أو أنكرت شيئاً؟ قال: لا والله، ثم مضى وأنشأ يقول:

وإني لأتوي الجوع حتى يملني  
فأحيا ولم تندس ثيابي ولا جرمي  
وأصطحب الماء القراح فأكتفي  
إذا الزاد أضحى للمزج ذا طعم  
أرد شجاع البطن قد تعلمينه  
وأوثر غيري من عيالك بالطعم  
مخافة أن أحيا برغم وذلة  
فللموت خير من حياة على رغم

يفتدي أخاه عروة فيلطمه: وأخبرني عمي عن هارون بن محمد الزيات، عن أحمد بن الحارث، عن المدائني بنحو مما رواه الأصمعي.

وقال أبو عمرو: أسرت فهم عروة بن مرة أخوا أبي خراش - وقال غيره: بل بنو كنانة أسرته - فلما دخلت الأشهر الحرم، مضى أبو خراش إليهم ومعه ابنه خراش، فترل بسيد من ساداتهم ولم يعرفه نفسه ولكنه استضافه فأنزله وأحسن قراه، فلما تحرم به انتسب له، وأخبره خبر أخيه، وسأله معاونته حتى يشتريه منهم، فوعده بذلك، وغدا على القوم مع ذلك الرجل، فسألهم في الأسير أن يهبوه له، فما فعلوا، فقال لهم: فيبعوني، فقالوا: أما هذا فنعم، فلم يزل يساومهم حتى رضوا بما بذله لهم، فدفع أبو خراش إليهم ابنه خراشاً رهينة، وأطلق أخاه عروة ومضيا، حتى أخذ أبو خراش فكاك أخيه، وعاد به إلى القوم حتى أعطاهم إياه وأخذ ابنه. فبينما أبو خراش ذات يوم في بيته إذ جاءه عبد له فقال: إن أحاك عروة جاعني وأخذ شاة من غنمك، فذبحها، ولطمني لما منعتة منها، فقال له: دعه، فلما كان بعد أيام عاد، فقال له: قد أخذ أخرى، فذبحها، فقال: دعه، فلما أمسى قال له: إن أحاك اجتمع مع شرب من قومه، فلما انتشى جاء إلينا وأخذ ناقة من إبلك، لينحرها لهم فعاجله، فوثب أبو خراش إليه، فوجده قد أخذ الناقة، لينحرها، فطردها أبو خراش، فوثب أخوه عروة إليه فلطم وجهه، وأخذ الناقة، فعقرها، وانصرف أبو خراش، فلما كان من غد لأمه قومه، وقالوا له: بئست لعمر الله المكافأة، كانت منك لأخيك؛ رهن ابنه فيك، وفداك بماله، ففعلت به ما فعلت، فجاء عروة يعتذر إليه، فقال أبو خراش:

لعلك نافعني يا عرو يوماً  
إذا جاورت من تحت القبور  
أخذت خفرتي ولطمت عيني  
وكيف تثيب بالمن الكبير  
ويوم قد صبرت عليك نفسي  
لدى الأشهاد مرتدي الحرور

إذا ما كان كس القوم روقاً

وجالت مقلتا الرجل البصير

بما بييمته وتركت بكري

وما أطعمت من لحم الجزور

قال معنى قوله بكري أي بكر ولدي أي أولهم.

خبر أخويه الأسود وأبي جندب: وقال الأصمعي وأبو عبيدة وأبو عمرو وابن الأعرابي: كان بنو مرة عشرة: أبو خراش، وأبو جندب، وعروة، والأبج، والأسود، وأبو الأسود، وعمرو، وزهير، وجناد، وسفيان، وكانوا جميعاً شعراء دهاة سراعاً لا يدركون عدواً، فأما الأسود بن مرة فإنه كان على ماء من داءة وهو غلام شاب، فوردت عليه إبل رثاب بن ناضرة بن المؤمل من بني لحيان، ورثاب شيخ كبير، فرمى الأسود ضرع ناقة من الإبل فعقرها، فغضب رثاب، فضربه بالسيف، فقتله، وكان أشدهم أبو جندب، فعرف خبر أخيه، فغضب غضباً شديداً، وأسف، فاجتمعت رجال هذيل إليه يكلمونه وقالوا: خذ عقل أخيك، واستبق ابن عمك، فلم يزالوا به حتى قال: نعم، أجمعوا العقل، فجاءوه به في مرة واحدة، فلما أراحوه عليه صمت فقطال صمته فقالوا له: أرحنا: اقبضه منا، فقال: إني أريد أن أعتمر فاحبسوه حتى أرجع، فإن هلكت فلأم ما أنتم هذه لغة هذيل يقولون: إم بالكسر، ولا يستعملون الضم وإن عشت فسوف ترون أمري، وولى ذاهباً نحو الحرم، فدعا عليه رجال من هذيل، وقالوا: اللهم لا ترده، فخرج فقدم مكة فواعد كل خليع وفاتك في الحرم أن يأتيه يوم كذا وكذا، فيصيب بهم قومه، فخرج صادراً، حتى أخذته الذبحة في جانب الحرم، فمات قبل أن يرجع، فكان ذلك خبره.

خبر أخيه زهير: قالوا: وأما زهير بن مرة فخرج معتمراً قد جعل على جسده من لحاء الحرم، حتى ورد ذات الأفير من نعمان، فبينما هو يسقي إبلاً له إذ ورد عليه قوم من ثمالة، فقتلوه، فله يقول أبو خراش، وقد انبعث يغزو ثمالة ويغير عليهم، حتى قتل منهم بأخيه أهل دارين، أي حلتين من ثمالة.

خذوا ذلك بالصلح إني رأيتكم

قتلتم زهيراً وهو مهد ومهمل

مهد أي أهدى هدياً للكعبة. ومهمل: قد أهمل إبله في مراعيها.

قتلتم فتى لا يفجر الله عامداً

ولا يجتويه جاره عام يمحل

وجدتهم ثمالة بن أسلما

وكان أبو خراش إذا لقيهم في حروبه أوقع بهم ويقول:

إليك أم ذبان

ما ذاك من حلب الضان

لكن مصاع الفتیان بكل لين حران

خبر أخيه عروة وابنه خراش: قال: وأما عروة بن مرة وخراش بن أبي خراش فأخذهما بطنان من ثمالة يقال لهما بنو رزام وبنو بلال، وكانوا متجاورين، فخرج عروة بن مرة وابن أبي خراش أخيه مغيرين عليهم طمعاً في أن يظفروا من أموالهم بشيء، فظفر بهما الشماليون، فأما بنو رزام فنهوا عن قتلها وأبت بنو بلال إلا قتلها، حتى كاد يكون بينهم شر، فألقى رجل من القوم ثوبه على خراش حين شغل القوم بقتل عروة، ثم قال له: انج، وانحرف القوم بعد قتلهم عروة إلى الرجل، وكانوا أسلموه إليه، فقالوا: أين خراش؟ فقال: أفلت مني، فذهب، فسعى القوم في أثره، فأعجزهم، فقال أبو خراش في ذلك يرثي أخاه عروة، ويذكر خلاص ابنه:

حمدت إلهي بعد عروة إذ نجا  
خراش وبعض الشر أهون من بعض  
فوالله لا أنسى قتيلاً رزيت به بجانب  
قوسي ما حبيت على الأرض  
بلى إنها تعفو الكلوم وإنما  
نوكل بالأدنى وإن جل ما يمضي  
ولم أدر من ألقى عليه رداءه  
سوى أنه قد سل عن ماجد محض  
ولم يك مثلوج الفؤاد مهبلأ  
أضاع الشباب في الربيلة والخفض  
ولكنه قد نازعته مجاوع  
على أنه ذو مرة صادق النهض

قال: ثم إن أبا خراش وأخاه عروة استنفرا حياً من هذيل يقال لهم بنو زليفة بن صبيح ليغزوا ثمالة بهم طالين بثأر أحيهما، فلما دنوا من ثمالة أصاب عروة ورد حمى، وكانت به حمى الربع فجعل عروة يقول:

أصبحت موروداً فقربوني  
إلى سواد الحي يدفنوني  
إن زهيراً وسطهم يدعوني  
رب المخاض واللقاح الجون

فلبثوا إلى أن سكنت الحمى، ثم بيتوا ثمالة، فوجدوهم خلوفاً ليس فيهم رجال، فقتلوا من وجدوا من الرجال، وساقوا النساء والذراري والأموال، وجاء الصائح إلى ثمالة عشاء، فلحقوهم، وانهمز أبو خراش وأصحابه، وانقطعت بنو زليفة، فنظر الأكنع الشمالي - وكان مقطوع الأصبع - إلى عروة فقال: يا قوم، ذلك والله عروة، وأنا والله رام بنفسي عليه، حتى يموت أحدنا، وخرج يجمع نحو عروة، فصاح عروة بأبي خراش أخيه: أي أبا خراش، هذا والله الأكنع وهو قاتلي، فقال أبو خراش: أمشه، وقعد له على طريقه، ومر به الأكنع مصمماً على عروة، وهو لا يعلم بموضع أبي خراش، فوثب عليه أبو خراش، فضربه على جبل عاتقه حتى بلغت الضربة سحره، وانهمزت ثمالة، ونجا أبو خراش وعروة. وقال أبو خراش يرثي أخاه ومن قتلته ثمالة وكنانة من أهله، وكان الأصمعي يفضلها:

فقدت بني لبني فلما فقدتهم  
صبرت فلم أقطع عليهم أباجلي

الأجل: عرق في الرجل.

رماح من الخطي زرق نصالها  
 قتلته قتيلاً لا يحالف غدره  
 قتلته قتيلاً لا يحالف غدره  
 وقد أمنوني واطمأنت نفوسهم  
 فمن كان يوجو الصلح مني فإنه  
 أصيبت هذيل بابن لبني وجدعت  
 رأيت بني العلات لما تضافروا

أخبار أخوته: قالوا: وأما أبو الأسود فقتلته فهم يياتاً تحت الليل، وأما الأبح فكان شاعراً، فأمسى بدار بععر من ضميم، فذكر لسارية بن زعيم العبدي أحد بني عبد بن عدي بن الدليل، فخرج يقوم من عشيرته يريد به ومن معه، فوجدوهم قد ظعنوا. وكان بين بني عبد بن عدي بن الدليل وبينهم حرب، فقال الأبح في ذلك:

لعمرك ساري بن أبي زعيم  
 تركت بني معاوية بن صخر  
 تساقبهم على رصف وظر  
 رصف وظر: ماءان، ومربع وضميم: موضعان.

لأنت بععر الثأر المنيم  
 وأنت بمربع وهم بضميم  
 كدابغة وقد حلح الأديم  
 فرقت من المصالت كالنجوم  
 إذا شرق المقاتل بالكوم  
 رأيتهم فوارس غير عزل  
 فأجابه سارية، فقال:

لعلك يا أبح حسبت أني  
 أخذتم عقله وتركتموه  
 قتلت الأسود الحسن الكريما  
 يسوق الظمي وسط بني تميما

غيرهم بأخذ دية الأسود بن مرة أخيهم، وأنهم لم يدركوا بثأره، وبنو تميم من هذيل. قالوا: وأما جنادة وسفيان فماتا، وقتل عمرو، ولم يسم قاتله. قالوا: وأمهم جميعاً لبني إلا سفيان بن مرة، فإن أمه أم عمرو القرديّة، وكان أيسر القوم وأكثرهم مالاً. وقال أبو عمرو: وغزا أبو خراش فهماً، فأصاب منهم عجوزاً، وأتى بها منزل قومه، فدفعها إلى شيخ منهم، وقال: احتفظ بها حتى آتيك، وانطلق لحاجته، فأدخلته بيتاً صغيراً، وأغلقت عليه، وانطلقت، فجاء أبو خراش، وقد ذهب، قال:

سدت عليه دولجا ييممت

بني فالج بالليث أهل الخزائم

الدولج: بيت صغير يكون للبهيم، والليث: ماء لهم، والخزائم البقر واحدها خزومة.

وقالت له: دنخ مكانك إنني

سألقاك إن وافيت أهل المواسم

يقال: دنخ الرجل ودمخ إذا أكب على وجهه ويديه.

وقال أبو عمرو: دخلت أميمة امرأة عروة بن مرة على أبي خراش وهو يلعب ابنه فقالت له: يا أبا خراش تناسيت عروة، وتركت الطلب بثأرة، وهوت مع ابنك، أما والله لو كنت المقتول ما غفل عنك، ولطلاب قاتلك حتى يقتله، فبكى أبو خراش، وأنشأ يقول:

لعمري لقد راعت أميمة طلعتي

وإن ثوائي عندها لقليل

وقالت: أراه بعد عروة لاهياً

وذلك رزء لو علمت جليل

فلا تحسبي أنني تناسيت فقده

ولكن صبري يا أميم جميل

ألم تعلمي أن قد تفرق قبلنا

نديما صفاء مالك وعقيل

أبي الصبر أني لا يزال يهيجني

مبيت لنا فيما خلا ومقيل

وأنني إذا ما الصبح آنست ضوءه

يعاودني قطع علي ثقيل

قال أبو عمرو: فأما أبو جندب أخو أبي خراش فإنه كان جاور بني نفاثة بن عدي بن الدليل حيناً من الدهر، ثم إنهم هموا بأن يغدروا به، وكانت له إبل كثيرة فيها أخوه جنادة، فراح عليه أخوه جنادة ذات ليلة، وإذا به كلوم، فقال له أبو جندب: مالك؟ فقال: ضربني رجل من جيرانك، فأقبل أبو جندب، حتى أتى جيرانه من بني نفاثة، فقال لهم: يا قوم، ما هذا الجوار؟ لقد كنت أرجو من جواركم خيراً من هذا، أيتجاوز أهل الأعراض بمثل هذا؟.

فقالوا: أو لم يكن بنو لحيان، يقتلوننا، فوالله ما قرت دماؤنا، وما زالت تغلي، والله إنك للشار المنيم، فقال: أما إنه لم يصب أخي إلا خيراً، ولكنما هذه معاتبة لكم، وفطن للذي يريد القوم من الغدر به، وكان بأسفل دفاق، فأصبحوا ظاعنين، وتواعدوا ماء ظر، فنفذ الرجال إلى الماء، وأخروا النساء لأن يتبعنهم إذا نزلوا، واتخذوا الحياض للإبل، فأمر أبو جندب أخاه جنادة وقال له: اسرح مع نعم القوم.

ثم توقف، وتأخر، حتى تمر عليك النعم كلها، وأنت في آخرها سراح بإبلك، واتركها متفرقة في المرعى، فإذا غابوا عنك فاجمع إبلك، واطردها نحو أرضنا، وموعدك نجد ألو ذئبية، في طريق بلاده، وقال لامرأته أم زنباع وهي من بني كلب بن عوف: اطعني وتمكثي، حتى تخرج آخر طعينة من النساء.

ثم توجهي، فموعدك ثنية يدعان من جانب النخلة، وأخذ أبو جندب دلو، وورد مع الرجال، فاتخذ القوم

الحياض، واتخذ أبو جندب حوضاً، فمأه ماء، ثم قعد عنده، فمرت به إبل ثم إبل، فكلما وردت إبل سأل عن إبله فيقولون: قد بلغت، تركناها بالضحن.

ثم قدمت النساء كلما قدمت طعينة سألهن عن أهله، فيقولون: بلغتك، تركناها تطعن، حتى إذا ورد آخر النعم وآخر الطعن قال: والله لقد حبس أهلي حابس، أبصر يا فلان، حتى أستأنس أهلي وإبلي، وطرح دلوه على الحوض.

ثم ولي، حتى أدرك القوم بحيث وعدهم، فقال أبو جندب في ذلك:

العينس شطر بني تميم

أقول لأم زنباع أقيمي صدور

أناس بين مر وذي يدوم

وغربت الدعاء وأين مني

غربت الدعاء: دعوت من بعيد.

لدى قران حتى بطن ضيم

وحي بالمناقب قد حموها

بأصلاح فظاهرة الأديم

وأحياء لدى سعد بن بكر

وبعض القوم ليس بذي أروم

أولئك معشري وهم أرومي

رجال مثل أرمية الحميم

هنالك لو دعوت أذاك منهم

الأرمية: السحاب الشديد الوقع، واحدها رمي، والحميم: مطر القيظ.

يدعهم بعض شرهم القديم

أقل الله خيرهم ألما

وقد سال الفجاج من الغميم

ألما يسلم الجيران منهم

به نضخ العبير من الكلوم

غداة كأن جناد بن لبنى

لعلك لست بالثأر المنيم

دعا حولي نفائة ثم قالوا:

المنيم: الذي إذا أدرك استراح أهله وناموا.

ومن يغتر بالحرب القروم

نعوا من قتلت لحيان منهم

قالوا جميعاً: وكان أبو جندب ذا شر وبأس، وكان قومه يسمونه المشثوم، فاشتكى شكوى شديدة، وكان له

جار من خزاعة يقال له حاطم، فوقع به بنو لحيان، فقتلوه قبل أن يستنبل أبو جندب من مرضه، واستاقوا

أمواله، وقتلوا امرأته، وقد كان أبو جندب كلم قومه، فجمعوا لجاره غنماً، فلما أفاق أبو جندب من مرضه

خرج من أهله، حتى قدم مكة، ثم جاء يمشي، حتى استلم الركن، وقد شق ثوبه عن استه، فعرف الناس أنه يريد

شراً، فجعل يصيح ويقول:

أبكي على الكعبي والكعبية

إني امرؤ أبكي على جارية

ولو هلكت بكيا عليه

كانا مكان الثوب من حقويه

فلما فرغ من طوافه، وقضى حاجته من مكة خرج في الخلاء من بكر وخزاعة، فاستحاشهم على بني لحيان، فقتل منهم قتلى، وسى من نسائهم وذراريهم سبايا، وقال في ذلك:

لقد أمسى بنو لحيان مني

بحمد الله في خزي مبين

تركتمهم على الركبات صعراً

يشيبون الذوائب بالأنين

يشكو إلى عمر فراق ابنه:

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي، قال: حدثني عبد الرحمن ابن أخي الأصمعي قال: حدثني عمي قال: هاجر خراش بن أبي خراش الهذلي في أيام عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وغزا مع المسلمين، فأوغل في أرض العدو، فقدم أبو خراش المدينة، فجلس بين يدي عمر، وشكا إليه شوقه إلى ابنه، وأنه رجل قد انقرض أهله، وقتل إخوته، ولم يبق له ناصر ولا معين غير ابنه خراش، وقد غزا وتركه، وأنشأ يقول:

ألا من مبلغ عني خراشاً

وقد يأتيك بالنبأ البعيد

وقد يأتيك بالأخبار من لا

تجهز بالحذاء ولا تزيد

تزيد وتزود واحد، من الزاد

يناديه ليغبقه كليب

ولا يأتني، لقد سفه الوليد

فرد إناءه لا شيء فيه

كأن دموع عينيه الفريد

وأصبح دون عابقه وأمسى

جبال من حرار الشام سود

ألا فاعلم خراش بأن خبر الممه

اجر بعد هجرته زهيد

رأيتك وابتغاء البر دوني

كمحصور اللبان ولا يصيد

قال: فكتب عمر رضي الله عنه بأن يقبل خراش إلى أبيه، وألا يغزو من كان له أب شيخ إلا بعد أن يأذن له. مصرعه: أخبرني حبيب بن نصر المهلي، قال: حدثنا عمر بن شبة: قال: حدثنا الأصمعي. وأخبرني حبيب بن نصر، قال: حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال: حدثنا علي بن الصباح، عن ابن الكلبي، عن أبيه. وأخبرني هاشم بن محمد الخزاعي قال: حدثنا أبو غسان دماذ: قال أبو عبيدة: وأخبرني أيضاً هاشم، قال: حدثنا عبد الرحمن ابن أخي الأصمعي، عن عمه، وذكره أبو سعيد السكري في رواية الأخصف عن أصحابه، قالوا جميعاً: أسلم أبو خراش فحسن إسلامه، ثم أتاه نفر من أهل اليمن قدموا حجاً، فترلوا بأبي خراش والماء منهم غير بعيد، فقال: يا بني عمي، ما أمسى عندنا ماء، ولكن هذه شاة وبرمة وقربة، فردوا الماء، وكلوا شاتكم، ثم دعوا برمتنا وقربتنا على الماء، حتى نأخذها، قالوا: والله ما نحن بسائرين في ليلتنا هذه، وما نحن ببارحين حيث

أمسينا، فلما رأى ذلك أبو خراش أخذ قريته، وسعى نحو الماء تحت الليل حتى استقى، ثم أقبل صادراً، فنهشته حية قبل أن يصل إليهم، فأقبل مسرعاً حتى أعطاهم الماء، وقال: ابطخوا شاتكم وكلوا ولم يعلمهم بما أصابه، فباتوا على شاتمهم يأكلون حتى أصبحوا، وأصبح أبو خراش في الموت، فلم يبرحوا حتى دفنوه، وقال وهو يعالج الموت:

على الإنسان تطلع كل نجد

لعمرك والمنايا غالبات

على الأصحاب ساقاً ذات فقد

لقد أهلكت حية بطن أنف

وقال أيضاً:

على الأصحاب ساقاً ذات فضل

لقد أهلكت حية بطن أنف

إلى صنعاء يطلبه بذحل

فما تركت عدواً بين بصرى

قال: فبلغ عمر بن الخطاب رضي الله عنه خبره، فغضب غضباً شديداً، وقال: لولا أن تكون سبة لأمرت ألا يضاف يمان أبداً، ولكتبت بذلك إلى الأفاق. إن الرجل ليضيف أحدهم، فيبذل مجهوده فيسخطه ولا يقبله منه، ويطلبه بما لا يقدر عليه، كأنه يطالبه بدين، أو يتعنته ليفضحه، فهو يكلفه التكليف، حتى أهلك ذلك من فعلهم رجلاً مسلماً، وقتله، ثم كتب إلى عامله باليمن بأن يأخذ النفر الذين نزلوا بأبي خراش فيغرمهم دينه، ويؤدهم بعد ذلك بعقوبة تسهم جزاء لأعمالهم.

### صوت

سواها ولا ينسبك نأي ولا شغل

تهيم بها لا الدهر فان ولا المنى

يحفها جون بجوؤة صعل

كبيضة أدحي بميث خميلة

الشعر لعبد الرحمن بن مسافع بن دارة، والغناء لابن محرز ثقيل أول بالوسطى، عن ابن المكي.

### أخبار ابن دارة ونسبه

#### نسبه

هو عبد الرحمن بن مسافع بن دارة، وقيل: بل هو عبد الرحمن بن رعي بن مسافع بن دارة، وأخوه مسافع بن دارة، وكلاهما شاعر، وفي شعريهما جميعاً غناء يذكرها هنا وأخوهما سالم بن مسافع بن دارة شاعر أيضاً وفي بعض شعره غناء يذكر بعد أخبار هذين. فأما سالم فمخضرم قد أدرك الجاهلية والإسلام. وأما هذان فمن شعراء الإسلام، ودارة لقب غلب على جدهم، ومسافع أبوهم، وهو ابن شريح بن يربوع الملقب بدارة بن كعب بن

عدي بن جشم بن عوف بن بثة بن عبد الله بن غطفان بن سعد بن قيس عيلان بن مضر. وهذا الشعر يقوله عبد الرحمن في حبس السمهري العكلي اللص وقتله وكان نديماً له وأخاً. يستعدي قومه عكلاً على بني أسد: أخبرني بخبره هاشم بن محمد الخزامي، قال: حدثنا أبو غسان دماذ، عن أبي عبيدة قال: لما أخذ السمهري العكلي وحبس وقتل، - وكانت بنو أسد أخذته وبعثت به إلى السلطان وكان نديماً لعبد الرحمن بن مسافع بن دارة، فقتل بعد طول حبس - فقال عبد الرحمن بن مسافع يهجو بني أسد ويحرض عليهم عكلاً.

صوت

إن يمس بالعينين سقم فقد أتى	لعينيك من طول البكاء على جمل
تهيم بها لا الدهر فان ولا المنى	سواها ولا تسلى بنأي ولا شغل
كبيضة أدي بميث خميلة	يحفها جون بجوؤة الصعل
وما الشمس تبدو يوم غيم فأشرققت	على الشامة العنقاء فالنير فالذبل
بدا حاجب منها وضنت بحاجب	بأحسن منها يوم زالت على الحمل
يقولون: إزل حب جمل وقربها	وقد كذبوا ما في المودة من إزل
إذا شحطت عني وجدت حرارة	على كبدي كادت بها كمداً تغلي
ولم أر محزونين أجمل لوعة	على نائبات الدهر مني ومن جمل
كلانا يزود النفس وهي حزينة	ويضممر وجداً كالنوافذ بالنبل
وإن لمبلي اليأس من حب غيرها	فأما على جمل فإني لا أبلي
وإن شفاء النفس لو تسعف المنى	ذوات الثنايا الغر والحدق النجل
أولئك إن يمنعن فالمنع شيمة	لهن وإن يعطين يحمدن بالبذل
سأمسك بالوصل الذي كان بيننا	وهل ترك الواشون والنأي من وصل
ألا سقياني قهوة فارسية	من الأول المختوم ليست من الفضل
تنسي ذوي الأحلام واللب حلمهم	إذا أزدبت في دنها زيد الفحل
ويا راكباً إما عرضت فبلغن	على نأيهم مني القبائل من عكل
بأن الذي أمست تجمجم فقعس	إسار بلا أسر وقتل بلا قتل
وكيف تنام الليل عكل ولم تتل	رضى قود بالسمهري ولا عقل؟

فلا صلح حتى تتحط الخيل في القنا  
ووجد تعادى بالكماة كأنها  
عليها رجال جالدوا يوم منعج  
بضرب يزيل الهام عن مستقره  
علام تمشي فقعس بدمائكم  
وكنا حسبنا فقعساً قبل هذه  
فقد نظرت نحو السماء وسلمت  
رمى الله في أكبادكم أن نجت بها  
وإن أنتم لم تتأروا بأخيكم  
وبيعوا الردينيات بالحلي واقعدوا  
ألا حبذا من عنده القلب في كبل  
ومن هو لا ينسى ومن كل قوله  
ومن إن نأى لم يحدث النأي بغضه

وتوقد نار الحرب بالحطب الجزل  
تلاحظ من غيظ بأعيننا القبل  
ذوي التاج ضرابو الملوك على الوهل  
وطعن كأفواه المفرجة الهدل  
وما هي بالفرع المنيف ولا الأصل؟  
أذل على وقع الهوان من النعل  
على الناس واعتاضت بخصب من المحل  
شعاب القنان من ضعيف ومع وغل  
فكونوا نساء للخلوق وللكل  
على الذل وابتاعوا المغازل بالنبل  
ومن حبة داء وخبل من الخبل  
لدينا قطعم الراح أو كجنى النحل  
ومن إن دنا في الدار أرسد بالبذل

خبر السمهري مع نديمه ومصرعه: وأما خبر المسهري ومقتله فإن علي بن سليمان الأخفش أخبرني به قال: حدثنا أبو سعيد السكري قال: حدثنا محمد بن حبيب، عن أبي عمرو الشيباني قال: لقي السمهري بن بشر بن أقيش بن مالك بن الحراث بن أقيش العكلي ويكنى أبا الدليل هو وبهدل ومروان بن قرفة الطائيان عون بن جعدة بن هبيرة بن أبي وهب بن عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب ومعه خاله: أحد بني حارثة بن لأم من طيء بالثعلبية، وهو يريد الحج من الكوفة، أو يريد المدينة، وزعم آخرون أنهم لقوه بين نخل والمدينة، فقالوا له: العراضة، أي مر لنا بشيء فقال: يا غلام، جفن لهم، فقالوا: لا والله ما الطعام نريد، فقال: عرضهم، فقالوا: ولا ذلك نريد، فارتاب بهم، فأخذ السيف فشد عليهم، وهو صائم، وكان بهدل لا يسقط له سهم، فرمى عوناً فأقصده، فلما قتلوه ندموا، فهربوا، ولم يأخذوا إبله، فتفرقت إبله، ونجا خاله الطائي، إما عرفوه فكفوا عن قتله، وإما هرب ولم يعرف القتلة، فوجد بعض إبله في يدي شافع بن واطر الأسيدي.

وبلغ عبد الملك بن مروان الخبر فكتب إلى الحجاج بن يوسف، وهو عامله على العراق، وإلى هشام بن إسماعيل، وهو عامله على المدينة، وإلى عامل اليمامة أن يطلبوا قتلة عون، ويالغوا في ذلك؛ وأن يأخذوا السعاة به أشد

أخذ، ويجعلوا لمن دل عليهم جعله، وانشام السمهري في بلاد غطفان ما شاء الله. ثم مر بنخل، فقالت عجوز من بني فزارة: أظن والله هذا العكلي الذي قتل عوناً، فوثبوا عليه، فأخذوه، ومر أيوب بن سلمة المخزومي بهم، فقالت له بنو فزارة: هذا العكلي قاتل عون ابن عمك، فأخذه منهم، فأتى به هشام بن إسماعيل المخزومي عامل عبد الملك على المدينة، فوجد وأبى أن يقر، فرفعه إلى السجن فحبسه. وزعم آخرون أن بني عذرة أخذوه فلما عرفت إبل عون في يدي شافع بن واطر أتموه بقتله، فأخذوه، وقالوا: أنت قرفتنا، قتلت عوناً، وحبسوه بصل: ماء لبني أسد، ووجد، وقد كان عرف من قتله، إما أن يكون كان معهم، فوري عنهم، وبرأ نفسه، وإما أن يكون أودعها إياه، أو باعها منه، فقال شافع:

فإن سرکم أن تعلموا أين تأرکم  
فولوا ذباب السيف من هو حازم  
فوالله ما كنا جناة ولا بنا  
تأوب عوناً حتفه وهو صائم

فعرفوا من قتله، فألخوا على بهدل في الطلب، وضيّقوا على السمهري في القيود والسجن، ووجد، فلما كان ذلك من إلحاحهم على السمهري أيقنت نفسه أنه غير ناج، فجعل يلتمس الخروج من السجن، فلما كان يوم الجمعة والإمام يخطب، وقد شغل الناس بالصلاة فك إحدى حلقتي قيده، ورمى بنفسه من فوق السجن، والناس في صلاتهم، فقصد نحو الحرة، فوج غاراً من الحرة، وانصرف الإمام من الصلاة فخاف أهل المدينة عامتهم أتباعه، وغلقوا أبوابهم، وقال لهم الأمير: اتبعوه فقالوا: وكيف نتبعه وحدنا، فقال لهم: أنتم ألفا رجل، فكيف تكونون وحدكم؟ فقالوا: أرسل معنا الأبلين؛ وهم حرس وأعوان من أهل الأبلية، فأعجزهم الطلب، فلما أمسى كسر الحلقة الأخرى، ثم همس ليلته طلقاً، فأصبح وقد قطع أرضاً بعيدة، فبينما هو يمضي إذ نعب غراب عن شماله، فتطير، فإذا الغراب على شجرة بان ينشئ ريشه، ويلقيه، فاعتاف شيئاً في نفسه، فمضى، وفيها ما فيها، فإذا هو قد لقي راعياً في وجهه ذلك، فسأله: من أنت؟ قال: رجل من لب من أزد شنوءة أنتجع أهلي، فقال له هل عندك شيء من زجر قومك؟ فقال: إني لأنس من ذلك شيئاً أي لأبصر، فقص عليه حاله غير أنه ورى الذنب على غيره والعيافة، وخبره عن الغراب والشجرة، فقال للهي: هذا الذي فعل ما فعل، ورأى الغراب على البانة يطرح ريشه سيصلب، فقال السمهري: بفيك الحجر، فقال للهي: بل بفيك الحجر، استخرتني فأخبرتني ثم تغضب. ثم مضى حتى اغترز في بلاد قضاة، وترك بلاد غطفان وذكر بعض الرواة أنه توقف يومه وليلته فيما يعمل؛ وهل يعود من حيث جاء ثم سار. حتى أتى أرض عذرة بن سعد يستجير القوم فجاء إلى القوم متنكراً، ويستحلب الرعيان اللبن، فيحلبون له، ولقيه عبد الله الأحدب السعدي: أحد بني مخزوم من بني عبد شمس، وكان أشد منه وألص، فجن جنائيه، فطلب، فترك بلاد تميم، ولحق ببلاد قضاة، وهو على نجية لا تسائر، فبينما السمهري يمشي راعياً لبني عذرة، ويحدثه عن خيار إبلهم، ويسأله السمهري عن ذلك - وإنما يسأله عن أنجاهن

ليركبها. فيهرب بها، لئلا يفارق الأحذب - أشار له إلى ناقة، فقال السمهري: هذه خير من التي تفضلها، هذه لا تجاري، فتحين الغفلة، فلما غفل وثب عليها، ثم صاح بما فخرجت تطير به، وذلك في آخر الليل، فلما أصبحوا فقدوها، وفقدوه، فطلبوه في الأثر. وخرجا حتى إذا كان حجر عن يسارهما، وهو واد في جبل، أو شبه الثقب فيه استقبلتهما سعة هي أوسع من الطريق، فظنا أن الطريق فيها، فسارا ملياً فيها، ولا نجم يأتمن به، فلما عرفا أنهما حائدان، والتفت عليهما الجبال أمامهما، وجد الطلب إثر بعيريهما، ورواه وقد سلك الثقب في غير طريق عرفوا أنه سيرجع، فقعدوا له بضم الثقب ثم كرا راجعين، وجاءت الناقة، وعلى رأسها مثل الكوكب من لغامها، فلما أبصر القوم هم أن يعقر ناقتهم، فقال له الأحذب: ما هذا جزاؤها. فتزل، نزل الأحذب، فقالتهما القوم، حتى كادوا يغشون السمهري فهتف بالأحذب، فطرد عنه القوم، حتى توقلا في الجبل، وفي ذلك يقول السمهري يعتذر من ضلاله:

وما كنت محياراً ولا فزع السرى      ولكن هذا حجر بغير دليل

وقال الأحذب في ذلك:

بأبيض من ماء الحديد صقيل

لما دعاني السمهري أجبته

لأسلم من حب الحياة زميلي

وما كنت ما اشتدت على السيف قبضتي

وقال السمهري أيضاً:

وقد غمني داج من الليل دامس

نجوت ونفسي عند ليلي رهينة

ولا خير في نفس امرئ لا تغامس

وغامست عن نفسي بأخلق مقصل

ومطوأي والصف الذين أمارس

ولو أن ليلي أبصرتني غدوة

وما نالت الثوب الذي أنا لابس

إذا لبكت ليلي وأعولت

فرجع إلى صحراء منعج، وهي إلى جنب أضاخ، والحلة قريب منها، وفيها منازل عكل، فكان يتردد ولا يقرب الحلة، وقد كان أكثر الجعل فيه، فمر بابني فائد ابن حبيب من بني أسد، ثم من بني فقعس فقال: أجيراً متنكراً، فحلبا له، فشرب ومضى لا يعرفانه، وذهبا، ثم لبث السمهري ساعة، وكر راجعاً فتحدث إلى أخت ابني فائد، فوجداه منبطحاً على بطنه يحدثها، فنظر أحدهما إلى ساقه مكدحة، وإذا كدوح طرية، فأحير أخاه بذلك، فنظر، فرأى ما أحبره أخوه، فارتابا به، فقال أحدهما: هذا والله السمهري الذي جعل فيه ما جعل، فاتفقا على مضابرتة، فوثبا عليه، فقعد أحدهما على ظهره، وأخذ الآخر برجليه فوثب السمهري، فألقى الذي على ظهره، وقال: أتلعبان؟ وقد ضبط رأس الذي كان على ظهره تحت إبطه، وعالجه الآخر، فجعل رأسه تحت إبطه أيضاً، وجعلا يعالجه، فناديا أحتهما أن تعينهما، فقالت: ألي الشرك في جعلكما؟ قالوا: نعم، فجاءت بجرير فجعلته في

عنقه بأنشوطه ثم جذبته، وهو مشغول بالرجلين بمنعهما، فلما استحكمت العقدة، وراحت من علابيه خلى عنهما، وشد أحدهما، فجاء بصرار، فألقاه في رجله، وهو يداور الآخر، والأخرى تختقه؛ فخر لوجهه، فربطاه، ثم انطلقا به إلى عثمان بن حيان المري، وهو في إمارته على المدينة فأخذ ما جعل لأخذه، فكتب فيه إلى الخليفة، فكتب أن أدفعه إلى ابن أخي عون: عدي، فدفع إليه، فقال السمهري: أتقتلني وأنت لا تدري أقاتل عمك أنا أم لا؟ ادن أخبرك، فأراد الدنو منه، فنودي: إياك والكلب، وإنما أراد أن يقطع أنفه، فقتله بعمه. ولما حبسه ابن حيان في السجن تذكر زجر اللهي وصدقه، فقال:

ألا أيها البيت الذي أنا هاجره  
فلا البيت منسي ولا أنا زائره  
ألا طرقت ليلي وساقى رهينة  
بأشهب مشدود علي مسامره  
فإن أنج يا ليلي فرب فتى نجا  
وإن تكن الأخرى فشيء أحاذره  
وما أصدق الطير التي برحت لنا  
وما أعيف اللهي لا عز ناصره  
رأيت غراباً ساقطاً فوق بانه  
ينشنش أعلى ريشه ويطايره  
فقال غراب باغتراب من النوى  
وبان ببين من حبيب تحاذره  
فكان اغتراب بالغراب ونية  
وبالبان بين بين لك طائره

وقال السمهري في الحبس يمرض أخاه مالكاً على ابني فائد:

فمن مبلغ عني خليلي مالكاً  
رسالة مشدود الوثاق غريب  
ومن مبلغ حزماً وتيمماً ومالكا  
وأرباب حامي الحفر رهط شبيب  
ليبكوا التي قالت بصحراء منعج  
لي الشرك يا بني فائد بن حبيب  
أتضرب في لحمي بسهم ولم يكن  
لها في سهام المسلمين نصيب

وقال السمهري يرقق بني أسد:

تمنت سلیمی أن أقبل بأرضها  
وأنی لسلمی ویبها ما تمنت  
ألا ليت شعري هل أزورن ساجراً  
وقد رويت ماء الغوادي وعلت  
بني أسد هل فيكم من هوادة  
فتغفر إن كانت بي النعل زلت

وبنو تميم تزعم أن البيت لمرة بن محكان السعدي: وقال السمهري في الحبس يذم قومه:

لقد جمع الحداد بين عصابة  
تسائل في الأقياد ماذا ذنوبها  
بمنزلة أما اللئيم فشامت  
بها وكرام القوم باد شحوبها

إذا حرسني قعقع الباب أرعدت  
ألا ليتني من غير عكل قبيلتي  
قبيلة "من" لا يقرع الباب وقدها  
نرى الباب لا نستطيع شيئاً وراءه  
وإن تك عكل سرها ما أصابني  
وقال السمهري أيضاً في الحبس:

فرائص أقوام وطارت قلوبها  
ولم أدر ما شبان عكل وشيبيها؟  
لخير ولا يهدي الصواب خطيها  
كأنا قني أسلمتها كعوبها  
فقد كنت مصبوباً على ما يريبها

ألا حي ليلى إذ ألم لمامها  
تعل بليلى إنما أنت هامة  
وبادر بليلى أوجه الركب إنهم  
وكيف ترجيها وقد حيل دونها

وكان مع القوم الأعادي كلامها  
من الغد يدنو كل يوم حمامها  
متى يرجعوا يحرم عليك كلامها  
وأقسم أقوام مخوف قسامها

لأجتنبها أو لبيترنني  
لقد طرقت ليلى ورجلي رهينة  
فلما انتبهت للخيال الذي سرى  
فإلا تكن ليلى طوتك فإنه  
ألا ليتنا نحيا جميعاً بغبطة

ببيض عليها الأثر فعم كلامها  
فما راعني في السجن إلا لمامها  
إذا الأرض قفر قد علاها قتامها  
شبية بليلى حسننها وقوامها  
وتبلى عظامي حين تبلى عظامها

وقال أيضاً:

ألا طرقت ليلى وساقى رهينة  
فما البين يا سلمى بأن تشحط النوى  
فإن أنج منها أنج من ذي عظمة

بأسمر مشدود علي ثقيل  
ولكن بيناً ما يريد عقيل  
وإن تكن الأخرى فتلك سبيل

وقال أيضاً وهو طريد:

فلا تياساً من رحمة الله وانظرا  
ولا تياساً أن ترزقا أريحية  
من الحارثيين الذين دماؤهم

بوادي جبونا أن تهب شمال  
كعين المها أعناقهن طوال  
حرام وأما مالهم فحلال

وقال أيضاً:

بنا الأرض إلا أن نؤم الفياfia  
مخافتنا حتى نخلنا التصافيا  
ولا لامني في مرتي واحتياليا  
وقد كان ضوء الصبح ليل حاديا :  
لئن هي لم تضبح عليهن عاليا

ألم تر أني وابن أبيض قد جفت  
طريدين من حيين شتى أشدنا  
وما لمته في أمر حزم ونجدة  
وقلت له إذ حل يسقي ويستقي  
لعمرى لقد لاقت ركابك مشرباً

بعض أخباره: وأخذت طيء ببهدل ومروان أخيه أشد الأخذ، وحبسوا، فقالوا: إن حبسنا لم نقدر عليهما ونحن محبوسون، ولكن خلوا عنا، حتى نتحسس عنهما، فنأتىكم بهما، وكانا تأبدا مع الوحش يرميان الصيد فهو رزقهما. ولما طال ذلك على مروان هبط إلى راع، فتحدث إليه فسقاها، وبسطه، حتى اطمأن إليه، ولم يشعره أنه يعرفه، فجعل يأتيه بين الأيام، فلا ينكره، فانطلق الراعي، فأخبره باختلافه إليه، فجاء معه الطلب، وأكمنهم، حتى إذا جاء مروان إلى الراعي كما كان يفعل ساقاه، وحدثه فلم يشعر حتى أطافوا به، فأخذوه، وأتوا به عثمان بن حيان أيضاً عامل الوليد بن عبد الملك على المدينة، فأعطى الذي دل عليه جعله، وقتله.

نهاية بهدل: وأما بهدل فكان يأوي إلى هضبة سلمى، فبلغ ذلك سيداً من سلمى، من طيء، فقال: قد أحيقت طيء، وشردت من السهل من أجل هذا الفاسق الهارب، فجاء حتى حل بأهله أسفل تلك الهضبة ومعه أهلات من قومه، فقال لهم: إنكم بعيني الخبيث، فإذا كان النهار فليخرج الرجال من البيوت، وليخلوا النساء، فإنه إذا رأى ذلك انحدر إلى القباب، وطلب الحاجة والعل فكانوا يخلون الرجال نهاراً فإذا أظلموا تابوا إلى رحالم أياماً، فظن بهدل أنهم يفعلون ذلك لشغل يأتيهم، فانحدر إلى قبة السيد، وقد أمر النساء: إن انحدر إليكن رجل فإنه ابن عمكن، فأطعمنه وادهن رأسه.

وفي قبة السيد ابتان له فسألها: من أنتما؟ فأخبرتا، وأطعمتا، ثم انصرف فلما راح أبوها أخبرتا، فقال: أحسنتما إلى ابن عمكما، فجعل ينحدر إليهما، حتى اطمأن، وغسلتا رأسه، وفلتا ودهنتا، فقال الشيخ لابنتيه: أفلياه، ولا تدهناه إذا أتاكما هذه المرة، واعقدا حصل لمته إذا نعس رويداً بجمل القطيفة. ثم إذا شددنا عليه فأقلبا القطيفة على وجهه، وخذا أنتما بشعره من ورائه فمدا به إليكما، ففعلتا، واجتمع له أصحابه، فكروا إلى رحالم قبل الوقت الذي كانوا يأتونها، وشدوا عليه، فربطوه، فدفعوه إلى عثمان بن حيان، فقتله، فقالت بنت بهدل ترثيه:

بيبطن الشرى مثل الفنيق المسدم  
ومن لا يجب عند الحفيظة يسلم  
من القوم طلاب التراث غشمشم  
بواء ولكن لا تكايل بالدم

فيا ضيعة الفتيان إذ يعتلونه  
دعا دعوة لما أتى أرض مالك  
أما كان في قيس من ابن حفيظة  
فيقتل جبراً بامرئ لم يكن به

وكان دعا: يا مالئك ليتزعه، فلم يجبه أحد.

مساجلة بينه وبين الكميت:

قال: ولما قال عبد الرحمن بن داره ابن عم سالم بن داره هذه القصيدة يحض عكلاً على بني فقعس اعترض الكميت بن معروف الفقعسي، فعيره بقتل سالم حين قتله زميل الفزاري، فقال قوله:

محا السيف ما قال ابن داره أجمعا

فلا تكثروا فيه الضجاج فإنه

فقال عبد الرحمن بن داره:

مغلغلة عني القبائل من عكل

فيا راكباً إما عرضت فبلغن

قشير وفي الشدات والحرب ما يجلي

جلت حمماً عنها القصاف وما جلت

بوكس فقد كانت دماؤكم تغلي

فإن يك باع الفقعسي دماءهم

لها قود بالسمھري ولا عقل

وكيف تنام الليل عكل ولم يكن

حروف القنان من ذليل ومن وغل

رمى الله في أكبادهم إن نجت بها

أذل على طول الهوان من النعل

وكنا حسبنا فقعساً قبل هذه

فكونوا بغايا للخلق وللكل

فإن أنتم لم تتأروا بأخيكم

على الوتر وابتاعوا المغازل بالنبل

وبيعوا الردينيات بالخلي واقعدوا

قتيل بلا قتلى وتبل بلا تبل

فإن الذي كانت تجمجم فقعس

وتوقد نار الحرب بالحطب الجزل

فلا سلم حتى تنحط الخيل بالقنا

يقتلون ابن سعدة وأمه: فلما بلغ قوله مالئاً أخا السمھري بخراسان، انحط من خراسان، حتى قدم بلاد عكل فاستجاش نفرأ من قومه، فعلقوا في أرض بني أسد يطلبون الغرة فوجدوا بثادق رجلاً معه امرأة من فقعس، فقتلوه، وحزوا رأسه، وذهبوا بالرأس، وتركوا جسده، كما قتلوها أيضاً، وذكر لي: أن الرجل ابن سعدة والمرأة التي كانت معه هي سعدة أمه، فقال عبد الرحمن في ذلك:

هلا سألت فقعساً من جدله

ما لقتيل فقعس لا رأس له

فرداً إذا ما الفقعسي أعمله

لا يتبعن فقعسي جملة

بسيفه قد سمه وصقله

لا يلقين قاتلاً فيقتله

وقال عبد الرحمن أيضاً:

نظراً وقد لمع السراب فجالا

لما تمالي القوم في راد الضحى

نظر ابن سعدة نظرة ويلاً لها  
كانت لصحبك والمطي خبالا  
لماً رأى من فوق طود يافع  
بعض العداة وجنة وظلالا  
عيرتني طلب الحمول وقد أرى  
لم آتهن مكففاً بطالا  
فانظر لنفسك يا بن سعدة هل ترى  
ضبعاً تجر بثادق أوصالا  
أوصال سعدة والكميت وإنما  
كان الكميت على الكميت عيالا  
وقال عبد الرحمن في ذلك:

أصبحت تكلى لئاما وأصبحت  
شياطين عكل قد عراهن فقعس  
قضى مالك ما قد قضى ثم قلصت  
به في سواد الليل وجناء عرمس  
فأضحت بأعلى ثادق وكأنها  
محالة غرب تستمر وتمرس

مصرعه: وحدثني علي بن سليمان الأخفش أن بني أسد ظفرت بعدد الرحمن بن دارة بالجزيرة بعدما أكثر من سبهم وهجائهم وتآمروا في قتله، فقتل بعضهم؛ لا تقتلوه، ولتأخذوا عليه أن يمدحنا ونحسن إليه فيمحو بمدحه ما سلف من هجائه، فعزموا على ذلك، ثم إن رجلاً منهم كان قد عضه بمجائه، اغتفله فضربه بسيفه، فقتله وقال في ذلك:

قتل ابن دارة بالجزيرة سبنا  
وزعمت أن سبابنا لا يقتل  
قال علي بن سليمان: وقد روي أن البيت المتقدم:  
فلا تكثرُوا فيه الضجاج فإنه  
محا السيف ما قال ابن دارة أجمعا  
لهذا الشاعر الذي قتل ابن دارة، وهو من بني أسد، وهكذا ذكر السكري.

### صوت

كلانا يرى الجوزاء يا جمل إذا بدت  
ونجم الثريا والمزار بعيد  
فكيف بكم يا جمل أهلاً ودونكم  
بحور يقمصن السفين وبيد  
إذ قلت: قد حان القفول يصدنا  
سليمان عن أهوائنا وسعيد

الشعر لمسعود بن خرشة المازني، والغناء لبحر، خفيف ثقيل بالوسطى عن الهشامي.

### أخبار مسعود بن خرشة

يهوى جارية من قومه:

مسعود بن خرشة أحد بني حرقوص بن مازن بن مالك بن عمرو بن تميم، شاعر إسلامي بدوي من لصوص بني تميم، قال أبو عمرو: وكان مسعود بن خرشة يهوى امرأة من قومه من بني مازن يقال لها: جمل بنت شراحيل، أخت تمام بن شراحيل المازني الشاعر، فانتجع قومها ونأوا عن بلادهم، فقال مسعود:

كلانا يرى الجوزاء يا جمل إذ بدت      ونجم الثريا والمزار بعيد

فكيف بكم يا جمل أهلاً ودونكم      بحور يقمصن السفين وبيد

إذا قلت: قد حان القفول يصدنا      سليمان عن أهوائنا وسعيد

قال أبو عمرو: ثم خطبها رجل من قومها، وبلغ ذلك مسعوداً فقال:

أيا جمل لا تشقي بأفْعس حنكل      قليل الندى يسعى بكير ومحلب

له أعنز حو ثمان كأنما      يراهن غر الخيل أهون أنجب

يسرق إبلاً: وقال أبو عمرو: وسرق مسعود بن خرشة إبلاً من مالك بن سفيان بن عمرو الفقعسي، هو ورفقاء له، وكان معه رجلان من قومه، فأتوا بها اليمامة لبيعوها، فاعترض عليهم أمير كان بها من بني أسد، ثم عزل وولي مكانه رجل من بني عقيل فقال مسعود في ذلك:

يقول المرجفون: أجاء عهد      كفى عهداً بتنفيذ القلاص

أتى عهد الإمارة من عقيل      أغر الوجه ركب في النواصي

حصون بني عقيل كل غضب      إذا فزعوا وسابغة دلاص

وما الجارات عند المحل فيهم      ولو كثر الروازح بالخماص

قال: وقال مسعود "وقد" طلبه والي اليمامة، فلجأ إلى موضع فيه ماء وقصب:

ألا ليت شعري هل أبيتن ليلة      بوعثاء فيها للظباء مكانس

وهل أنجون من ذي لبيد بن جابر      كأن بنات الماء فيه المجالس

وهل أسمعن صوت القطا تتدب القطا      إلى الماء منه رابع وخوامس

### أخبار بحر ونسبه

هو بحر بن العلاء، مولى بني أمية، حجازي، أدرك دولة بني هاشم، وعمر إلى أيام الرشيد، وقد هرم، وكان له أخ يقال له عباس، وأخوه بحر أصغر منه، مات في أيام المعتصم، وكان يلقب حامض الرأس، وله صنعة، وأقدمه الرشيد عليه، ثم كرهه، فصرفه.

حدثني جحظة قال: حدثني ميمون بن هارون قال: حدثني أحمد بن أبيس خالد الأحول، عن علي بن صالح صاحب المصلى: أن الرشيد سمع من علوية ومخارق وهما يومئذ من صغار المغنين في الطبقة الثالثة أصواتاً استحسناها، ولم يكن سمعها، فقال لهما: ممن أخذتما هذه الأصوات، فقالا: من بحر، فاستعادها، وشرب عليها، ثم غناه مخارق بعد أيام صوتاً لبحر، فأمر بإحضاره، وأمره أن يغني ذلك الصوت، فغناه، فسمع الرشيد صوتاً حائلاً مرتعشاً فلم يعجبه، واستثقله لولائه لبني أمية، فوصله، وصرفه، ولم يصل إليه بعد ذلك.

## صوت

ألا يا لقومي للنوائب والدهر  
وللمرء يردي نفسه وهو لا يدري  
وللأرض كم من صالح قد تودأت  
عليه فوارته بلماعة قفر

عروضه من الطويل، قال الأصمعي: يقال للرجل أو للقوم إذا دعوتهم: يال كذا "بفتح اللام" وإذا دعوت للشيء. قلت بالكسرة، تقول: يا للرجال ويا للقوم. وتقول: يا للغنيمة ويا للحادثة، أي اعجلوا للغنيمة وللحادثة، فكأنه قال: يا قوم اعجلوا للغنيمة. وروى الأصمعي وغيره مكان قد تودأت: قد لمأت عليه، وتلاءمت، أي وارتته، ويروى: تأكمت أي صارت أكمة.

الشعر لهدبة بن خشرم، والغناء لمعبد ثقيب أول بإطلاق الوتر في مجرى البنصر عن إسحاق.

## أخبرا هدبة بن خشرم ونسبه

وقصته في قوله هذا الشعر وخبر مقتله نسبه وأدبه: هو هدبة بن خشرم بن كرز بن أبي حية بن الكاهن - وهو سلمة - بن أسحم بن عامر بن ثعلبة بن عبد الله بن ذبيان بن الحارث بن سعد بن هذيم؛ وسعد بن هذيم شاعر من أسلم بن الحاف بن قضاة؛ ويقال: بل هو سعد بن أسلم، وهذيم عبد لأبيه رباه، فقيل: سعد بن هذيم، يعني سعداً هذا.

وهدبة شاعر فصيح متقدم من بادية الحجاز، وكان شاعراً راوية، كان يروي للحطيئة، والحطيئة يروي لكعب بن زهير، وكعب بن زهير يروي لأبيه زهير، وكان جميل راوية هدبة، وكثير راوية جميل، فلذلك قيل: إن آخر فحل اجتمعت له الرواية إلى الشعر كثير.

وكان لهدبة ثلاثة إخوة كلهم شاعر: حوط وسيحان والواسع، أمهم حية بنت أبي بكر بن أبي حية من رهطهم الأدين، وكانت شاعرة أيضاً.

وهذا الشعر يقوله هدبة في قتله زيادة بن زيد بن مالك بن عامر بن قرة بن حنش بن عمرو بن عبد الله بن ثعلبة بن ذبيان بن الحارث بن سعد بن هذيم.

أخبرني بالخبر في ذلك جماعة من شيوخنا، فجمعت بعض روايتهم إلى بعض، واقتصرت على ما لا بد منه من الأشعار، وأتيت بخبرهما على شرح، وألحقت ما نقص من رواية بعضهم عن رواية صاحبه في موضع النقصان. الحرب بين رهطه ورهط زيادة بن زيد: فمن حديثي به محمد بن العباس اليزيدي قال: حدثنا عيسى بن إسماعيل العتكي: تينة قال: حدثنا خلف بن المثني الحداني، عن أبي عمر والمديني. وأخبرني الحسن بن يحيى، ومحمد بن يزيد بن أبي الأزهر البوشنجي، عن حماد بن إسحاق الموصلي عن أبيه. وأخبرني إبراهيم بن أيوب الصانع، عن ابن قتيبة. وأخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار، عن علي بن محمد بن سليمان النوفلي، عن أبيه عن عمه. وقد نسبت إلى كل واحد منهم ما انفرد به من الرواية، وجمعت ما اتفقوا عليه، قال عيسى بن إسماعيل في خبره خاصة: كان أول ما هاج الحرب بين بني عامر بن عبد الله بن ذبيان وبين بني رقاش، وهم بنو قرّة بن حفش بن عمرو بن عبد الله بن ثعلبة بن ذبيان، وهم رهط زيادة بن زيد، وبنو عامر رهط هدبة، أن حوط بن خشرم أخوا هدبة راهن زيادة بن زيد على جملين من إبلهما، وكان مطلقهما من الغاية على يوم وليلة، وذلك في القيظ، فتزودوا الماء في الروايا والقرب، وكانت أخت حوط سلمى بنت خشرم تحت زيادة بن زيد، فمالت مع أخيها على زوجها، فوهن أوعية زيادة، ففني ماؤه قبل ماء صاحبه، فقال زيادة:

محرم الدباغ ذي هزوم

قد جعلت نفسي في أديم

في بارح من وهج السموم

ثم رمت بي عرض الديموم

عند اطلاع وعرة النجوم

قال اليزيدي في خبره: المحرم: الذي لم يدبغ، والهزوم: الشقوق. قال: وقال زيادة أيضاً:

ليلة مرمار ومرمريس

قد علمت سلمة بالعميس

يشفي صداع الأبلج الدلعيس

أن أبا المسور ذو شريس

العميس: موضع، والمرمار والمرمريس: الشدة والاختلاط، وأبا المسور يعني زيادة نفسه، وكانت كنيته أبا المسور. هدبة وزيادة كل منهما يشبب بأخت الآخر: قال: فكان ذلك أول ما أثبت الضغائن بينهما، ثم إن هدبة بن خشرم وزيادة بن زيد اصطحبا، وهما مقبلان من الشام، في ركب من قومهما، فكانا يتعاقبان السوق بالإبل، وكان مع هدبة أخته فاطمة، فتزلي زيادة فارتجز فقال:

ما دون أن يرى البعير قائماً

عوجي علينا واربعي يا فاطما

أي ما بين مناخ البعير إلى قيامه .

حذار دار منك لن ثلاثماً

ألا ترين الدمع مني ساجماً

## فعرجت مطرداً عراهما

مطرد: متتابع السير، وعراهم: شديد، وفعم: ضخم، والرسيم: سير فوق العنق، والرواسم: الإبل التي تسير هذا السير الذي ذكرناه .

## إنك والله لأن تباغما

## كأن في المثناة منه عائما

المثناة: الزمام، وعائم: سائح، تباغم: تكلم .

## منها نقاً مخالط صرائما

## خوداً كأن البوص والمآكما

البوص: العجز، والمآكمتان: ما عن يمين العجز وشماله، والنقا: ما عظم من الرمل. والصرائم: دونه .

## ومن مناد بيتغي معاكما

## خير من استقبالك الشمائما

ويروى: ومن نداء، أي رجل تناديه بتبغى أن يعينك على عكحك حتى تشده.

فغضب هدبة حين سمع زيادة يرتجز بأخته، فترل فرجز بأخت زيادة، وكانت تدعى - فيما روى البيهقي - أم حازم، وقال الآخرون: أم القاسم، فقال هدبة:

## نزجي المطي ضمراً سواهما

## لقد أراني والغلام الحازما

## والجلة الناجية العياهما

## متى تظن القلص الرواسما

العياهم: الشداد.

## إذا هبطن مستحيراً قاتماً

## يبلغن أم حازم وحازما

## ألا ترين الحزن مني دائماً

## ورجع الحادي لها الهماهما

## والله لا يشفي الفؤاد الهائما

## حذار دار منك لن ثلاثما

## ولا اللمام دون أن تلازما

## تمساحك اللبات والمآكما

## ولا اللثام دون أن تفاقما

## ولا اللثام دون أن تفاقما

## وتعلو القوائم القوائما

قال: فشتمة زيادة، وشتمة هدبة، وتسابا طويلاً، فصاح بهما القوم: اركبا، لا حملكما الله. فإنا قوم حجاج، وخشوا أن يقع بينهما شر فوعظوهما، حتى أمسك كل واحد منهما على ما في نفسه، وهدية أشدهما حقناً، لأنه رأى أن زيادة قد ضامه، إذ رجز بأخته وهي تسمع قوله، ورجز هو بأخته، وهي غائبة لا تسمع قوله، فمضيا ولم يتحاورا بكلمة، حتى قضيا حجهما، ورجعا إلى عشيرتيهما.

يرتجزون بعمه زفر: قال البيهقي خاصة في خبره: ثم التقى نفر من بني عامر، من رهط هدبة، فيهم أبو جبر، وهو

رئيسهم الذي لا يعصونه، وحشرم أبو هدبة، وزفر عم هدبة، وهو الذي بعث الشر، وحجاج بن سلامة، وهو أبو ناشب، ونفر من بني رفاش رهط زيادة، وفيهم زيادة بن زيد، وإخوته: عبد الرحمن ونفاع وأدرع بواد من أودية حرثهم، فكان بينهم كلام، فغضب ابن الغسانية، وهو أدرع، وكان زفر عم هدبة يعزى إلى رجل من بني رفاش، فقام له أدرع فرجز به فقال:

نعرف منه النظرا

أدوا إلينا زفرا

وعينه والأثرا

قال: فغضب رهط هدبة، وادعوا حداً على بني رفاش، فتداعوا إلى السلطان، ثم اصطلحوا على أن يدفع إليهم أدرع، فيخلو به نفر منهم، فما رأوه عليه أمضوه، فلما خلوا به ضربوه الحد ضرباً مبرحاً، فراح بنو رفاش وقد أضمرُوا الحرب وغضبوا، فقال عبد الرحمن بن زيد:

فما بيني وبينكم عتاب

ألا أبلغ أبا جبر رسولا

فارقوك وهم غضاب

ألم تعلم بأن القوم راحوا عشية

فأجابه الحجاج بن سلامة فقال:

رقاش فزاد الله رغما سبالها

إن كان ما لاقى ابن كنعاء مرغماً

وتلك من الأعداء لا مثل مالها

منعنا أخانا إذا ضربنا أخاكم

هو وزيادة يتهاديان الأشعرا: قال اليزيدي في خبره: وجعل هدبة وزيادة يتهاديان الأشعار، ويتفاخران، ويطلب كل واحد منهما العلو على صاحبه في شعره، وذكر أشعاراً كثيرة، فذكرت بعضها، وأتيت بمختار ما فيه، فمن ذلك قول زيادة في قصيدة أولها:

وقطعت حاجات الفؤاد فأصحابا

أراك خليلاً قد عزمت التجنبا

اخترت منها قوله:

به الدار، والباكي إذا ما تغيبا

وأنتك للناس الخليل إذا دنت

وشحط النوى بيني وبينك مطلباً

وقد أعذرت صرف الليالي بأهلها

ولا هو يألو ما دنا وتقربا

فلا هي تألوا ما نأت وتباعدت

وشاة انتهوا عنه ولا الدهر أعتبا

أطعت بها قول الوشاة فلا أرى ال

أميمة إن واش وشى وتكذبا

فهلأ صرمت والحبال متينة

غيابته يركب بك الدهر مركبا

إذا خفت شك الأمر فارم بعزمه

فإنك لاق لا محالة مذهباً

وإن وجهة سدت عليك فروجها

يلام رجال قبل تجريب غيبهم  
وإني لمعرض قليل تعرضي  
قليل عثارى حين أذعر، ساكن  
بحسبك ما يأتنيك فاجمع لنازل  
ولا تتنجع شراً إذا حيل دونه  
أنا بان رقاش وابن ثعلبة الذي بني  
بنى العز بنياناً لقومي فما صعوا  
فما إن ترى في الناس أما كأمننا  
أتم وأنمي بالبنين إلى العلا  
ملكنا ولم نملك وقدنا ولم نقد  
قال اليزيدي: ترتب: ثابت لازم .

وكيف يلام المرء حتى يجربا  
لوجه امرئ يوماً إذا ما تجنبا  
جناني إذا ما الحرب هرت لتكلبا  
قراه ونوبه إذا ما تنوبا  
بستر وهب أسبابه ما تهيبا  
هادياً يعلو الهوادي أغلبا  
بأسيا فهم عنه فأصبح مصعبا  
ولا كأبيننا حين ننسبه أبا  
وأكرم منا في المناصب منصبا  
كأن لنا حقاً على الناس ترتبا

بآية أنا لا نرى منتوجا  
ولا ملكاً إلا اتقانا بملكه

من الناس يعلونا إذا ما تعصبا  
ولا سوقة إلا على الخرج أتعبا

ملكنا ملوكاً واسبتحنا حماهم  
ندامى وأردافاً فلم تر سوقة

وكنا لهم في الجاهلية موكبا  
توازننا فاسأل إيداً وتغلبا

فأجابه هديبة، وهذا مختار ما فيها فقال:

تذكر شجواً من أميمة منصبا  
تذكر حباً كان في ميعة الصبا  
إذا كاد ينساها الفؤاد ذكرتها  
غدا في هواها مستكيناً كأنه  
وقد طال ما علقت ليلي مغمرا

تليداً ومنتاباً من الشوق مجلبا  
ووجداً بها بعد المشيب معتبا  
فيالك ما عنى الفؤاد وعذبا  
خليع قداح لم يجد منتشبا  
وليدا إلى أن صار رأسك أشيبا

المغمر: للغمر أي غير حدث - .

رأيتك في ليلي كذى الداء لم يجد

طبيباً يداوي ما به فتطببا

فلما اشتفى مما به كرطبه على نفسه

من طول ما كان جرباً

يقتل زيادة فيسجن: فلم يزل هدبة طيطلب غرة زيادة حتى أصابها فبيته فقتله، وتنحى مخافة السلطان، وعلى المدينة يومئذ سعيد بن العاص، فأرسل إلى عم هدبة وأهله فحبسهم بالمدينة، فلما بلغ هدبة ذلك أقبل حتى أمكن من نفسه وتخلص عمه وأهله، فلم يزل محبوساً حتى شخص عبد الرحمن بن زيد أخو زيادة إلى معاوية، فأورد كتابه إلى سعيد بأن يقيد منه إذا قامت البيعة، فأقامها، فمشت عذرة إلى عبد الرحمن، فسألوه قبول الدية فامتنع، وقال: صوت

أنختم علينا كلكل الحرب مرة

فنحن منيخوها عليكم بكلكل

فلا يدعني قومي لزيد بن مالك

لئن لم أعجل ضربة أو أعجل

أبعد الذي بالنعف نعف كويكب

رهينة رمس ذي تراب وجندل

كريم أصابته ديات كثيرة

فلم يدر حتى حين من كل مدخل

أذكر بالبقيا على من أصابني

وبقياي أني جاهد غير مؤتلي

غناه ابن سريج رملا بالسبابة في مجرى البنصر عن إسحاق، وقيل: إنه لمالك بن أبي المسح وله فيه لحن آخر. رجع الخبر إلى سياقته وأما علي بن محمد النوفلي، فذكر عن أبيه: أن سعيد بن العاص كره الحكم بينهما، فحملهما إلى معاوية، فنظر في القصة، ثم ردها إلى سعيد. وأما غيره فذكر أن سعيداً هو الذي حكم بينهما من غير أن يحملهما إلى معاوية.

قال علي بن محمد عن أبيه: فلما صاروا بين يدي معاوية قال عبد الرحمن أخو زيادة له: يا أمير المؤمنين أشكو إليك مظلمتي وما دفعت إليه، وجرى علي وعلى أهلي وقرباي وقتل أخي زيادة، وترويع نسوتي، فقال له معاوية: يا هدبة قل. فقال: إن هذا رجل سجاعة، فإن شئت أن أقص عليك قصتنا كلاماً أو شعراً فعلت، قال: لا بل شعراً، فقال هدبة هذه القصيدة ارتجالاً:

ألا يا لقومي للنوائب والدهر

وللمرء يردي نفسه وهو لا يدري

وللأرض كم من صالح قد تأكمت

عليه فوارته بلماعة قفر

فلا تنقي ذا هيبة لجلاله

ولا ذا ضياع هن يتركن للفقر

حتى قال:

رمينا فرامينا فصادف رمينا

منايا رجال في كتاب وفي قدر

وأنت أمير المؤمنين فمالنا

وراعك من معدي ولا عنك من قصر

فإن تك في أموالنا لم نضق بها

ذراعاً، وإن صبر فنصبر للصبر

فقال له معاوية: أراك قد أقررت بقتل صاحبهم، ثم قال لعبد الرحمن: هل لزيادة ولد؟ قال: نعم، المسور، وهو غلام صغير لم يبلغ، وأنا عمه وولي دم أبيه، فقال: إنك لا تؤمن على أخذ الدية أو قتل الرجل بغير حق، والمسور أحق بدم أبيه فرده إلى المدينة فحبس ثلاث سنين حتى بلغ المسور.

بينه وبين جميل بن معمر: أخبرني الحرمي بن العلاء قال: حدثنا الزبير بن بكار قال: نسخت من كتاب عامر بن صالح قال: دخل جميل بن معمر العذري على هدية بن خشرم السجني وهو محبوب بدم زيادة بن زيد، وأهدى له بردين من ثياب كساه إياها سعيد بن العاص، وجاءه بنفقة، فلما دخل إليه عرض ذلك عليه، وسأله أن يقبله منه، فقال له هدية: أنت يا بن معمر الذي تقول:

**بني عامر أنى انتجتم وكنتم إذا عدد الأقوام كالخصية الفرد؟**

أما والله لئن خلص الله لي ساقى لأمدن لك مضمارك، خذ برديك ونفقتك، فخرج جميل، فلما بلغ باب السجن خارجاً قال: اللهم أغن عني أجدع بني عامر، قال: وكانت بنو عامر قد قلت، فحالفت لإياد.

من شعر أمه فيه: قال أحمد بن الحارث الخراز عن المدائني: فقالت أم هدية فيه لما شخص إلى المدينة فحبس بها:

**أيا إختي أهل المدينة أكرموا أسيركم إن الأسير كريم**  
**فرب كريم قد قرأه وضافه ورب أمور كلهن عظيم**  
**عصى جلها يوماً عليه فراضه من القوم عياف أشم حلیم**

يتوسطون له فترفض وساطتهم: فأرسل هدية العشيرة إلى عبد الرحمن في أول سنة فكلموه، فاستمع منهم ثم قال:

**أبعد الذي يالنعف نعف كويكب رهينة رسم ذي تراب وجندل**  
**أذكر بالبقيا على من أصابني وبقياي أني جاهد غير مؤتلي**

فرجعوا إلى هدية بالأبيات فقال: لم يئوسني بعد، فلما كانت السنة الثالثة بلغ المسور، فأرسل هدية إلى عبد الرحمن من كلمه فأنصت حتى فرغوا، ثم قام عنه مغضباً وأنشأ يقول:

**سأكذب أقواماً يقولون: إنني سأخذ مالاً من دم أنا ثائره**  
**فباست امرئ واست التي زحرت به يسوق سواماً من أخ هو واتره**

ونخص، فرجعوا إلى هدية فأخبروه الخبر فقال: الآن أيست منه، وذهب عبد الرحمن بالمسور، وقد بلغ إلى والي المدينة، وهو سعيد بن العاص، وقيل مروان بن الحكم، فأخرج هدية.

لقاؤه الأخير بزوجه: قالوا: فلما كان في الليلة التي قتل في صباحها أرسل إلى امرأته، وكان يجبه: إيتيني الليل أستمتع بك وأودعك، فأنته في اللباس والطيب، فصارت إلى رجل، قد طال حبسه، وأنتنت في الحديد رائحته،

فحادثها، وبكى، وبكت، ثم راودها عن نفسها، وطاوعته، فلما علاها سمعت قعقة الحديد فاضطربت تحته، فتنحى عنها وأنشأ يقول:

وأدنيته حتى إذا ما جعلتني      لدى الخصر أو أدنى استقلك راجف  
فإن شئت والله انتهيت وإنني      لثلاث تريني آخر الدهر خائف  
رأت ساعدي غول وتحت ثيابه      جآجئ يدمى حدها والحراقف

ثم قال الشعر حتى أتى عليه وهو طويل جداً وفيه يقول: صوت

فلم تر عيني مثل سرب رأيته      خرج علينا من زقاق ابن واقف  
تضمنن في الجادي حتى كأنما الأ      نوف إذا استعرضتهن رواعف  
خرجن بأعناق الطباء وأعين ال      جآذر وارتجت لهن السوالف  
فلو أن شيئاً صاد شيئاً بطرفه      لصدن طباء فوقهن المطارف

غنى فيه الغريض رملاً بالبصر من رواية حبش، وفيه لحن خفيف ثقيل، وذكر إسحاق أن فيه لحناً ليونس، ولم يذكر طريقته في مجرده.

أيهما أحسن: سربه أم السمكات الثلاث؟: أخبرنا الحرمي قال: حدثنا الزبير عن عمه قال: مر أبو الحارث جمين يوماً بسوق المدينة، فخرج عليه رجل من زقاق ابن واقف بيده ثلاث سمكات قد شق أجوافها: وقد خرج شحمها، فبكى أبو الحارث، ثم قال: تعس الذي يقول:

فلم تر عيني مثل سرب رأيته      خرج علينا من زقاق بن واقف

وانتكس ولا انجر، والله لهذه السمكات الثلاث أحسن من السرب الذي وصف.

وأحسب أن هذا الخبز مصنوع لأنه ليس بالمدينة زقاق يعرف بزقاق ابن واقف، ولا بها سمك، ولكن رويت ما روي.

حي ترثي لحاله: وقال حماد بن إسحاق عن أبيه أن ابن كناسة قال: مر بهدبة على حي؛ فقالت: في سبيل الله شبابك وجلدك وشعرك وكرمك؛ فقال هدبة:

تعجب حي من أسير مكبل      صليب العصا باق على الرسفان  
فلا تعجبي مني حليلة مالك      كذلك يأتي الدهر بالحدثان

يبين لزوجته أوصاف من يخلفه عليها: وقال النوفلي عن أبيه: فلما مضى به من السجن للقتل، التفت فرأى امرأته؛ وكانت من أجمل النساء فقال:

أقلي علي اللوم يا أم بوزعا      ولا تجزعي مما أصاب فأوجعا

أغم القفا والوجه ليس بأنزعا  
أكبيد مطبان العشيات أروعا

ولا تتكحي إن فرق الدهر بيننا  
كئيلاً سوى ما كان من حد ضرسه

إذا الناس هشوا للفعال تقنعا

ضروباً بلحييه على عظم زوره

وصبر إذا ما الدهر عض فأسرعا

وحلي بذى أكرومة وحمية

زوجته تشوه جمالها بسكين: وقال حماد عن أبيه عن مصعب بن عبد الله قال: لما أخرج هدية من السجن ليقتل، جعل الناس يتعرضون له ويخبرون صيره، ويستنشدونه، فأدركه عبد الرحمن بن حسان، فقال له: يا هدية، أتأمري أن أتزوج هذه بعدك، يعني زوجته، وهي تمشي خلفه فقال: نعم، إن كنت من شرطها، قال: وما شرطها؟ قال: قد قلت في ذلك:

أغم القفا والوجه ليس بأنزعا

فلا تتكحي إن فرق الدهر بيننا

إذا صن أعشاش الرجال تبرعا

وكوني حبيساً أو لأروع ماجد

فمالت زوجته إلى جزار وأخذت شفرته، فجدعت بها أنفها، وجاءته تدمى مجدوعة فقالت: أتخاف أن يكون بعد هذا نكاح؟ قال: فرسف في قيوده وقال: الآن طاب الموت.

وقال النوفلي عن أبيه: إنما فعلت ذلك بحضرة مروان وقالت له: إن لهدبة عندي وديعة، فأملهه حتى آتية بها، قال: أسرعي، فإن الناس قد كثروا، وكان جلس لهم بارزاً عن داره، فمضت إلى السوق، فانتهدت إلى قصاب وقالت: أعطني شفرتك، وخذ هذين الدرهمين وأنا أردّها عليك، ففعل، فقربت من حائط، وأرسلت ملحفتها على وجهها، ثم جدعت أنفها من أصله، وقطعت شفيتها، ثم ردت الشفرة، وأقبلت حتى دخلت بين الناس وقالت: يا هدية، أتراني متزوجة بعدما ترى؟ قال: لا، الآن طابت نفسي بعد بالموت، ثم خرج يرسف في قيوده، فإذا هو بأبويه يتوقعان النكل، فهما بسوء حال، فأقبل عليهما وقال:

إن حزناً إن بدا بادئ شر

أبلياني اليوم صبراً منكما

إن بعد الموت دار المستقر

لا أراني اليوم إلا ميتاً

كل حي لقضاء وقدر

إصبرا اليوم فإني صابر

زوجته تنكث بعهدا: قال النوفلي: فحدثني أبي قال: حدثني رجل من عذرة عن أبيه قال: إني لبلادنا يوماً في بعض المياه، فإذا أنا بامرأة تمشي أمام وهي مدبرة، ولها خلق عجيب من عجز وهيئة، وتمام جسم، وكمال قامة، فإذا صبيان قد اكنفها بمشيان، قد ترعرا، فتقدمتها، والتفت إليها، فإذا هي أقبح منظر، وغذا هي مجدوعة الأنف، مقطوعة الشفتين، فسألت عنها فقليل لي: هذه امرأة هدية، تزوجت بعده رجلاً، فأولدها هذين الصبيين. قال ابن قتيبة في حديثه: فسأل سعيد بن العاص أخا زيادة أن يقبل الدية عنه، قال: أعطيك ما لم يعطه أحد من

العرب أعطيك مائة ناقة حمراء ليس فيها جداء ولا ذات داء، فقال له: والله لو نقيت لي قتبك هذه، ثم ملأتهما لي ذهباً، ما رضيت بها من دم هذا الأجدع، فلم يزل سعيد يسأله، ويعرض عليه فيأبى، ثم قال له: والله لو أردت قبول الدية لمنعي قوله:

**لنجدعن بأيدينا أنوفكم ويذهب القتل فيما بيننا هدرا**

فدفعه حينئذ ليقبله بأخيه.

يعرض بحى وهو في طريقه إلى الموت: قال حماد: وقرأت على أبي عن مصعب بن عبد الله الزبيري قال: ومر هبة بحى، فقالت له: كنت أعدك في الفتیان، وقد زهدت فيك اليوم، لأني لا أنكر أن يصير الرجال على الموت، لكن كيف تصبر عن هذه؟ فقال: أما والله إن جبي لها لشديد، وإن شئت لأصفن لك ذلك، ووقف الناس معه، فقال:

**وجدت بها ما لم تجد أم واحد ولا وجد حبي بابن أم كلاب**

**رأته طويل الساعدين شمر دلا كما تشتهي من قوة وشباب**

فانتمعت داخله إلى بيتها فأغلقت الباب دونه. قالوا: فدفعت إلى أخي زيادة ليقبله، قال: فاستأذن في أن يصلي ركعتين، فأذن له، فصلاهما وخفف، ثم التفت إلى من حضر فقال: لولا أن يظن بي الجزع لأطلتها، فقد كنت محتاجاً إلى إطالتهما، ثم قال لأهله: إنه بلغني أن القتييل يعقل ساعة بعد سقوط رأسه، فإن عقلت فإني قابض رجلي وباسطها ثلاثاً، ففعل ذلك حين قتل، وقال قبل أن يقتل:

**إن تقتلوني في الحديد فإني قتلت أخاكم مطلقاً لم يقيد**

فقال عبد الرحمن أخو زيادة: والله لا قتلته إلا مطلقاً من وثاقه، فأطلق له، فقام إليه وهز السيف ثم قال:

**قد علمت نفسي وأنت تعلمه لأقتلن اليوم من لا أرحمه**

ثم قتله.

فقال حماد في روايته:

ويقال: إن الذي تولى قتله ابنه المسور، دفع إليه عمه السيف وقال له: قم فاقتل قاتل أبيك، فقام، فضربه ضربتين قتله فيهما.

كاهنة تنبأ بقتله صبراً: أحرابي الحسين بن يحيى قال: قال حماد: قرأت على أبي قال: بلغني أن هبة أول من أقيد منه في الإسلام.

قال أحمد بن الحارث الخراز: قال المدائني: مرت كاهنة بأمر هبة وهو وأخوته نيام بين يديها، فقالت: يا هذه، إن الذي معي يخبرني عن بنيك هؤلاء بأمر. قالت: وما هو؟ قالت: أما هبة وحوط فيقتلان صبرا، وأما الواسع وسيحان فيموتان كمداً، فكان كذلك.

أخبرني الحسين بن يحيى قال: قال حماد: قرأت على أبي: أخبرك مروان بن أبي حفصة قال: كان هدبة أشعر الناس منذ يوم دخل السجن إلى أن أفيده منه، قال الخراز عن المدائني: قال واسع بن خشرم يرثي هدبة لما قتل:

يا هدب يا خير فتیان العشيرة من يفجع بمتلك في الدنيا فقد فجعا

الله يعلم أني لو خشيتهم أو أوجس القلب من خوف لهم فزعا

لم يقتلوه ولم أسلم أخي لهم حتى نعيش جميعاً أو نموت معا

وهذه الأبيات تمثل بها إبراهيم بن عبد الله بن حسن بن حسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم، لما بلغه قتل أخيه محمد.

أخباره هو زياد حديث العلبية: أخبرني محمد بن العباس اليزيدي قال: حدثنا أحمد بن أبي خيثمة قال: حدثني مصعب الزبيري قال: كنا بالمدينة أهل البيوتات إذا لم يكن عند أحدنا خبر هدبة وزيادة وأشعارهما ازدريناه، وكنا نرفع من قدر أخبارها وأشعارهما ونعجب بها.

صاحب بثينة راوية له: أخبرني محمد بن العباس اليزيدي قال: أخبرني محمد بن الحسن الأحول، عن رواية من الكوفيين قالوا: كان جميل بن معمر العذري راوية هدبة، وكان هدبة راوية الحطيئة، وكان الحطيئة راوية كعب بن زهير وأبيه.

حدثني حبيب بن نصر المهلب قال: حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال: عائشة أم المؤمنين تدعو له بعد موته: حدثني أبو المغيرة محمد بن إسحاق قال: حدثني أبو مصعب الزبيري قال: حدثني المنكدر بن محمد بن المنكدر، عن أبيه قال: بعث هدبة بن خشرم إلى عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم يقول لها: استغفري لي، فقالت: إن قتلت استغفرت لك.

## صوت

ألم تر أني يوم جو سويقة بكيت فنادتني هنيذة ماليا؟

فقلت لها: إن البكاء لراحة به يشنقي من ظن أن لا تلاقيا

قفي ودعينا يا هنيذ فإنني أرى القوم قد شاموا العقيق اليمانيا

ويروى: أرى الركب قد شاموا .

إذا اغرورقت عينايا أسبل منهما إلى أن تغيب الشعريان بكائيا

الشعر للفرزدق من قصيدة يهجو بها جريراً، وهي فيما قيل أول قصيدة هجاه بها، والغناء لابن سريج خفيف ثقيل عن الهشامي، قال الهشامي: وفيه لمالك ثقيل أول، وابتداء اللحنين جميعاً.

ألم تر أني يوم جو سويقة

ولعلوية فيه لحن من الرمل المطلق ابتداءه:

**قفي ودعينا يا هنيذ فإنني :**

## نسب الفرزدق وأخباره وذكر مناقضاته

### نسبه

الفرزدق لقب غلب عليه، وتفسيره الرغيف الضخم الذي يجففه النساء للفتوت، وقيل: بل هو القطعة من العجين التي تبسط، فيخبز منها الرغيف، شبه وجهه بذلك؛ لأنه كان غليظاً جهماً. واسمه همام بن غالب بن صعصعة بن ناجية بن عقال بن محمد بن سفيان بن مجاشع بن دارم بن مالك بن حنظلة بن زيد مناة بن تميم. قال أبو عبيدة: اسم دارم بحر، واسم أبيه مالك عوف ويقال عرف. وسمى دارم دارماً لأن قوماً أتوا أباه مالكا في حمالة فقال له: قم يا بحر فأتني بالخريطة - يعني خريطة كان له فيها مال - فحملها يدرم عنها ثقلاً، والدرمان: تقارب الخطو، فقال لهم: جاءكم يدرم بها، فسمى دارماً، وسمى أبوه مالك عرفاً لجوده. وأم غالب ليلى بنت حابس بن عقال بن محمد بن سفيان بن مجاشع. وكان للفرزدق أخ يقال له هسيم، ويلقب الأخطل، ليست له نباهة، فأعقب ابناً يقال له محمد، فمات والفرزدق حي فرثاه، وخبره يأتي بعد. وكان للفرزدق من الولد حبطة ولبطة وسبطة، وهؤلاء المعروفون، وكان له غيرهم فماتوا، ولم يعرفوا. وكان له بنات خمس أو ست.

وأم الفرزدق - فيما ذكر أبو عبيدة - لينة بنت قرظة الضبية.

جده محبي الموعودات: وكان يقال لصعصعة محي الموعودات؛ وذلك أنه كان مر برجل من قومه، وهو ي حفر بئراً، وامرأته تبكي، فقال لها صعصعة: ما يبكيك؟ قالت: يريد أن يند ابنتي هذه، فقال له: ما حملتك على هذا؟ قال: الفقير. قال: إني اشتريها منك بناقتين يتبعهما أولادهما، تعيشون بألبانهما، ولا تند الصبية، قال: قد فعلت، فأعطاه الناقتين وجملاً كان تحته فحلاً، وقال في نفسه: إن هذه لمكرمة ما سبقني إليها أحد من العرب، فجعل على نفسه ألا يسمع بموعودة إلا فداها، فجاء الإسلام وقد فدى ثلاثمائة موعودة، وقيل: أربعمائة. أخبرني بذلك هاشم بن محمد الخزاعي، عن دماذ، عن أبي عبيدة.

وأخبرني بهذا الخبر محمد بن العباس اليزيدي وعلي بن سليمان الأخفش قالاً: حدثنا أبو سعيد السكري، عن محمد بن حبيب، عن أبي عبيدة عن عقال بن شبة قال: قال صعصعة: خرجت باغياً ناقتين لي فارتقتين - والفارق: التي تفرق إذا ضربها المخاض فتند على وجهها، حتى تنتج - فرفعت لي نار فسرت نحوها، وهمت بالزول، فجعلت النار تضئ مرة، وتخبو أخرى، فلم تزل تفعل ذلك حتى قلت: اللهم لك علي إن بلغتني هذه النار ألا أجد أهلها يوقدون لكربة يقدر أحد من الناس أن يفرجها إلا فرجتها عنهم، قال: فلم أسر إلا قليلاً

حتى أيتها، فإذا حي من بني أعمار بن المهجيم بن عمرو بن تميم، وإذا أنا بشيخ حادر أشعر يوقدها في مقدم بيته، والنساء قد اجتمعن إلى امرأة ماخض، قد حبستهن ثلاث ليال. فسلمت فقال الشيخ: من أنت؟ فقلت أنا صعصعة بن ناجية بن عقال، قال: مرحباً بسيدنا، فميم أنت يا بن أخي؟ فقلت: في بغاء ناقتين لي فارتقتين عمي علي أثرهما، فقال: قد وجدتهما بعد أن أحيا الله بهما أهل بيت من قومك، وقد نتجناهما، وعطفت إحداهما على الأخرى، وهما تانك في أدنى الإبل. قال: قلت: فميم تو قد نارك منذ الليلة؟ قال: أوقدها لامرأة ماخض قد حبستنا منذ ثلاث ليال، وتكلمت النساء فقلن: قد جاء الولد، فقال الشيخ: إن كان غلاماً فوالله ما أدري ما أصنع به، وإن كانت جارية فلا أسمعن صوتها - أي اقتلها - فقلت: يا هذا ذرها فإنها ابنتك، ورزقها على الله، فقال: اقتلنها، فقلت: أنشدك الله، فقال: إني أراك بها حفيماً، فاشترها مني، فقلت: إني أستريها منك، فقال: ما تعطيني؟ قلت: أعطيك إحدى ناقتي قال: لا، قلت: فأزيدك الأخرى، فنظر إلى جملي الذي تحتي، فقال: لا، إلا أن تزيدني جملك هذا، فإني أراه حسن اللون شاب السن، فقلت: هو لك والناقتان على أن تبلغني أهلي عليه، قال: قد فعلت، فابتعتها منه بلقوحين وجمال، وأخذت عليه عهد الله وميثاقه ليحسنن برها وصلتها ما عاشت، حتى تبين منه، أو يدر كها الموت، فلما برزت من عنده حدثني نفسي وقلت: إن هذه لمكرمة ما سبقني إليها أحد من العرب، فأليت ألا يند أحد بنتاً له إلا اشتريتها منه بلقوحين وجمال، فبعث الله عز وجل محمداً عليه السلام، وقد أحيت مائة موعودة إلا أربعاً، ولم يشاركني في ذلك أحد، حتى أنزل اله تحريمه في القرآن، وقد فخر بذلك الفرزدق في عدة قصائد من شعره، ومنها قصيدته التي أولها:

أبي أحد الغيثيين صعصعة الذي  
متى تخلف الجوزاء والدلو يمطر  
أجار بنات الوائدين ومن يجر  
على الفقر يعلم أنه غير مخفر  
على حين لا تحيا البنات وإذ هم  
عكوف على الأصنام حو المدور  
المدور: يعني الدوار الذي حول الصنم، وهو طوافهم .

أنا ابن الذي رد المنية فضله  
فما حسب دافعت عنه بمعور  
وفارق ليل من نساء أتت أبي  
تمارس ريحاً ليلها غير مقمر  
فقال: أجز لي ما ولدت فإنني  
أتيتك من هزلي الحمولة مقتر  
هجف من العثو الرؤوس إذا بدت  
له ابنة عام يحطم العظم منكر  
رأس الأرض منها راحة فرمى بها  
إلى خدد منها إلى شر مخفر  
فقال لها: فيئي فيني بدمتي  
لبنتك جار من أبيها القنور

إسلام أبيه على يد الرسول:

ووفد غالب بن صعصعة إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأسلم وقد كان وفده أبوه صعصعة إلى النبي صلى الله

عليه وسلم فأخبره بفعله في الموعودات، فاستحسنه وسأله: هل له في ذلك من أجر؟ قال: نعم فأسلم وعمر غالب، حتى لحق أمير المؤمنين علياً صلوات الله عليه بالبصرة، وأدخل إليه الفرزدق، وأظنه مات في إمارة زياد وملك معاوية.

أخبرني محمد بن الحسين الكندي وهاشم بن محمد الخزاعي، وعبد العزيز بن أحمد عم أبي قالوا: حدثنا الرياشي قال: حدثنا العلاء بن الفضل بن عبد الملك بن أبي سوية، قال: حدثني عقاب بن كسيب أبو الخنساء العنبري، قال: حدثني الطفيل بن عمرو الربعي، عن ربيعة بن مالك بن حنظلة، عن صعصعة بن ناجية المحاشعي جد الفرزدق قال: قدمت على النبي صلى الله عليه وسلم، فعرض علي الإسلام، فأسلمت، وعلمي آيات من القرآن، فقلت: يا رسول الله إني عملت أعمالاً في الجاهلية هل لي فيها من أجر؟ فقال: وما عملت؟ فقلت: إني أضللت ناقتين لي عشراوين، فخرجت أبعيهم على جمل، فرفع لي بيتان في فضاء من الأرض، فقصدت قصدهما، فوجدت في أحدهما شيخاً كبيراً، فقلت له: هل أحسست من ناقتين عشراوين؟ قال: وما نارهما؟ - يعني السمّة - فقلت: ميسم بني دارم، فقال: قد أصبت ناقتيك وتجنهما، وظأرتا على أولادهما ونعش الله بهما أهل بيت من قومك من العرب من مضر، فبينما هو يخاطبني إذ نادته امرأة من البيت الآخر: قد ولدت، فقال: وما ولدت؟ إن كان غلاماً فقد شركنا في قوتنا، وإن كانت جارية فادفونها، فقالت: هي جارية: أفأئدها؟ فقلت: وما هذا المولود؟ قالت: بنت لي، فقلت: إني أشتريها منك، فقال: يا أبا بني تميم، أتقول لي: أتبعيني ابتك وقد أخبرتك أي من العرب من مضر؟ فقلت: إني لا أشتري منك رقبتهما، إنما أشتري دمها لئلا تقتلها، فقال: وبم تشتريها؟ فقلت: بناقتي هاتين وولديهما. قال: لا حتى تزيدني هذا البعير الذي تركبه: قلت: نعم، على أن ترسل معي رسولاً فإذا بلغت أهلي رددت إليك البعير ففعل، فلما بلغت أهلي رددت إليه البعير، فلما كان في بعض الليل فكرت في نفسي فقلت: إن هذه مكرمة ما سبقني إليها أحد من العرب، فظهر الإسلام وقد أحييت ثلثمائة وستين موعودة، أشتري كل واحدة منهن بناقتين عشراوين وجمل، فهل لي في ذلك من أجر يا رسول الله؟ فقال عليه السلام: هذا باب من البر، ولك أجره إذ من الله عليك بالإسلام، قال عباد: ومصداق ذلك قول الفرزدق:

### وجدي الذي منع الوائدات وأحيا الوئيد فلم يوأد

أخبرني محمد بن يحيى، عن الغلابي، عن العباس بن بكار، عن أبي بكر الهذلي قال: وفد صعصعة بن ناجية جد الفرزدق على رسول الله صلى الله عليه وسلم في وفد من تميم، وكان صعصعة قد منع الوئيد في الجاهلية، فلم يدع تيمماً تند، وهو يقدر على ذلك، فجاء الإسلام وقد فدى أربعمائة جارية، فقال للنبي صلى الله عليه وسلم: أوصني، فقال: أوصيك بأملك وأبيك وأخيك وأختك وإماتك، قال: زدني، قال: احفظ ما بين لحبيك، وما بين رجلك.

ثم قال له عليه السلام: ما شيء بلغني عنك فعلته؟ قال: يا رسول الله رأيت الناس يموجون على غير وجه، ولم أدر أين الوجه، غير أني علمت أنهم ليسوا عليه، ورأيتهم يندون بناهم، فعلمت أن بهم لم يأمرهم بذلك، فلم

أتركهم يندون، وفديت من قدرت عليه.

وروى أبو عبيدة أنه قال للنبي صلى الله عليه وسلم: إني حملت حملات في الجاهلية والإسلام، وعلي منها ألف بعير، فأديت من ذلك سبعمائة، فقال له: إن الإسلام أمر بالوفاء، ونهى عن الغدر، فقال: حسبي حسبي، ووفى بما.

وروي أنه إنما قال هذا القول لعمر بن الخطاب، وقد وفد إليه في خلافته.

وكان صعصعة شاعراً وهو الذي يقول: أنشدني محمد بن يحيى له:

**وكان لمن عاداك خدنا مصافيا**

**إذا المرء عادي من يودك صدره**

**هو الداء لا يخفي بذلك خافيا**

**فلا تسألن عما لديه فإنه**

أبوه يعطي دون أن يسأل: أخبرني محمد بن يحيى، عن محمد بن زكريا؛ عن عبد الله بن الضحاك، عن الهيثم بن عدي، عن عوانة قال:

تراهن نفر من كلب ثلاثة على أن يختاروا من تميم وبكر نفراً ليسألوهم، فأبهم أعطى، ولم يسألهم عن نسبهم من هم؟ فهو أفضلهم، فاختار كل رجل منهم رجلاً؛ والذين اختيروا عمير بن السليك، بن قيس بن مسعود الشيباني، وطلبة بن قيس بن عاصم المنقري، وغالب بن صعصعة المحاشعي أبو الفرزدق، فأتوا ابن السليك فسألوه مائة ناقة، فقال: من أنتم؟ فانصرفوا عنه.

ثم أتوا طلبة بن قيس، فقال لهم مثل قول الشيباني، فأتوا غالباً، فسألوه، فأعطاهم مائة ناقة وراعيها، ولم يسألهم من هم فساروا بها ليلة، ثم ردوها، وأخذ صاحب غالب الرهن، وفي ذلك يقول الفرزدق:

**أحق بتاج الماجد المتكرم**

**وإذا ناحبت كلب على الناس أيهم**

**وأهل الجرائيم التي لم تهدم**

**على نفرهم من نزار ذوي العلا**

**جرى بعنان كل أبيض خضرم**

**فلم يجز عن أحسابهم غير غالب**

سحيم يعجز عن مباراة أبيه في كرمه: أخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال: حدثنا أبو حاتم، عن أبي عبيدة، عن جهم السليطي، عن إياس بن شبة، عن عقاب بن صعصعة، قال: أجدبت بلاد تميم، وأصابت بن حنظلة سنة في خلافة عثمان، فبلغهم خصب عن بلاد كلب بن وبرة، فانتجعتها بنو حنظلة، فترلوا أقصى الوادي، وتسرع غالب بن صعصعة فيهم وحده دون بني مالك بن حنظلة، ولم يكن مع بني يربوع من بني مالك غير غالب، فنحر ناقته فأطعمهم إياها، فلما وردت إبل سحيم بن وثيل الرياحي حبس منها ناقة، فنحرها من غد، فقيل لغالب: إنما نحر سحيم مواءمة لك - أي مساواة لك - فضحك غالب، وقال: كلا، ولكنه امرؤ كريم، وسوف أنظر في ذلك، فلما وردت إبل غالب حبس منها ناقتين، فنحرهما، فأطعمهما بني يربوع، فعقر سحيم ناقتين، فقال غالب: الآن علمت أنه يوائمني، فقعر غالب عشراً، فأطعمها بني يربوع فعقر سحيم عشراً، فلما بلغ غالباً فعله

ضحك، وكانت إبله ترد لحمس، فلما وردت عقرها كلها عن آخرها، فالمكثر يقول: كانت أربعمائة، والمقل يقول: كانت مائة، فأمسك سحيم حينئذ؛ ثم إنه عقر في خلافة علي بن أبي طالب صلوات الله عليه بكناسة الكوفة مائتي ناقة وبغير، فخرج الناس بالزناويل والأطباق والحبال لأخذ اللحم، ورأهم علي رضي الله عنه، فقال: أيها الناس لا يحل لكم، إنما أهل بها لغير الله عز وجل. قال: فحدثني من حضر ذلك قال: كان الفرزدق يومئذ مع أبيه وهو غلام، فجعل غالب يقول: يا بني، اردد علي، والفرزدق يردها عليه، ويقول له: يا أبت اعقر، قال جهم: فلم يغن عن سحيم فعله، ولم يجعل كغالب إذا لم يطق فعله.

يقيد نفسه حتى يحفظ القرآن: حدثني محمد بن يحيى عن محمد بن القاسم - يعني أبا العيناء - عن أبي زيد النحوي، عن أبي عمرو قال: جاء غالب أبو الفرزدق إلى علي بن أبي طالب صلوات الله عليه بالفرزدق بعد الجمل بالبصرة، فقال: إن ابني هذا من شعراء مضر فاسمع منه، قال: علمه القرآن، فكان ذلك في نفس الفرزدق، فقيد نفسه في وقت، وآلى: لا يحل قيده حتى يحفظ القرآن.

عريق في قرض الشعر: قال محمد بن يحيى: فقد صح لنا أن الفرزدق كان شاعراً موصوفاً أربعاً وسبعين سنة، وندع ما قبل ذلك، لأن مجيئه به بعد الجمل - على الاستظهار - كان في سنة ست وثلاثين، وتوفي الفرزدق في سنة عشر ومائة في أول خلافة هشام هو وجرير والحسن البصري وابن سيرين في ستة أشهر، وحكي ذلك عن جماعة، منهم الغلابي عن ابن عائشة عن أبيه.

أخبرني محمد بن يحيى الصولي عن الغلابي، عن ابن عائشة أيضاً، عن أبيه قال: قال الفرزدق أيضاً: كنت أجيد الهجاء في أيام عثمان، قال: ومات غالب أبو الفرزدق في أول أيام معاوية ودفن بكازمة فقال الفرزدق يرثيه:

### لقد ضمت الأكفان من آل دارم فتى فائض الكفين محض الضرائب

أيهما أشعر، هو أو جرير؟: أخبرني حبيب المهلي قال: حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال: حدثني محمد بن عمران الضبي، قال: حدثني جعفر بن محمد العنبري، عن خالد بن أم كلثوم، قال: قيل للمفضل الضبي: الفرزدق أشعر أم جرير؟ قال الفرزدق: قال: قلت: ولم؟ قال: لأنه قال بيتاً هجا فيه قبيلتين ومدح فيه قبيلتين وأحسن في ذلك فقال:

### عجبت لعجل إذ تهاجي عبيدها كما آل يربوع هجوا آل دارم

فقليل له: قد قال جرير:

### إن الفرزدق والبعيث وأمه وأبا البعيث لشر ما إستار

فقال: واي شيء أهون من أن يقول إنسان: فلان وفلان وفلان والناس كلهم بنو الفاعلة!.  
أخبرني عبد الله بن مالك، قال: حدثنا محمد بن حبيب، قال: حدثني موسى بن طلحة، قال: قال أبو عبيدة معمر بن المثنى: كان الشعراء في الجاهلية من قيس، وليس في الإسلام مثل حظ تميم في الشعر، وأشعر تميم جرير والفرزدق، ومن بني تغلب الأخطل.

قال يونس بن حبيب: ما ذكر جرير والفرزدق في مجلس شهادته قط فاتفق المجلس على أحدهما، قال: وكان يونس فردقياً.

يغتصب بيتين لابن ميادة: أخبرني عمي، عن محمد بن رستم الطبري، عن أبي عثمان المازني قال: مر الفرزدق بابن ميادة الرماح والناس حوله وهو ينشد:

وجئت بجدي ظالم وابن ظالم

لو أن جميع الناس كانوا بربوة

سجوداً على أقدامنا بالجمام

لظلت رقاب الناس خاضعة لنا

فسمعه الفرزدق، فقال: أما والله يا بن الفارسية لتدعنه لي أو لنبشن أمك من قبرها، فقال له ابن ميادة: خذه لا بارك الله لك فيه، فقال الفرزدق:

وجئت بجدي دارم وابن دارم

لو أن جميع الناس كانوا بربوة

سجوداً على أقدامنا بالجمام

لظلت رقاب الناس خاضعة لنا

عود إليه هو وجرير: أخبرني عمي، عن الكراي، عن أبي فراس الهيثم بن فراس، قال: حدثني ورقة بن معروف، عن حماد الرواية قال: دخل جرير والفرزدق على يزيد بن عبد الملك وعنده بنية له يشمها فقال جرير: ما هذه يا أمير المؤمنين عندك؟ قال: بنية لي، قال: بارك الله لأمير المؤمنين فيها. فقال الفرزدق: إن يكن دارم يضرب فيها فهي أكرم العرب، ثم أقبل يزيد على جرير فقال: مالك والفرزدق؟ قال: إنه يظلمني ويغني علي، فقال الفرزدق: وجدت آبائي يظلمون آباءه فسرت فيه بسيرتهم، قال جرير: وأما والله لتردن الكبائر على أسافلها سائر اليوم، فقال الفرزدق: أما بك يا حمار بني كليب فلا، ولكن إن شاء صاحب السرير، فلا والله ما لي كفاء غيره، فجعل يزيد يضحك.

أخبرنا عبد الله بن مالك، عن محمد بن حبيب، عن ابن الأعرابي، عن حماد الرواية قال: أنشدني الفرزدق يوماً شعراً له ثم قال لي: أتيت الكلب - يعني جريراً - قلت: نعم، قال: أفأنا أشعر أم هو؟ قلت: أنت في بعض وهو في بعض، قال: لم تناصحني، قال: قلت: هو أشعر منك إذا أرحي من خناقة، وأنت أشعر منه إذا خفت أو رجوت، قال: قضيت لي والله عليه وهل الشعر إلا في الخبر والشر.

قال: رورى عن أبي الزناد عن أبيه قال: قال لي جرير: يا أبا عبد الرحمن: أنا شعر أم هذا الخبيث - يعني الفرزدق - وناشدني لأخبرنه، فقلت: لا والله ما يشاركك ولا يتعلق بك في النسيب قال: أوه قضيت والله له علي، أنا والله أخبرك: ما دهاني، إلا أني هاجيت كذا وكذا شاعراً، فسمى عدداً كثيراً، وأنه تفرد لي وحدي. خبره مع النوار: أخبرني عبد الله قال: قال المازني: قال أبو علي الحرمازي: كان من خبر الفرزدق والنوار ابنة أعين بن صعصعة بن ناجية بن عقال المجاشعي - وكانت ابنة عمه - أنه خطبها رجل من بني عبد الله بن دارم فرضيته، وكان الفرزدق وليها، فأرسلت إليه أن زوجني من هذا الرجل، فقال لا أفعل أو تشهديني أنك قد

رضيت بمن زجتك، ففعلت، فلما توثق منها، قال: أرسلني إلى القوم فليأتوا، فجاءت بنو عبد الله بن دارم فشحنوا مسجد بني مجاشع وجاء الفرزدق، فحمد الله، وأثنى عليه ثم قال: قد علمتم أن النوار قد ولتني أمرها، وأشهدكم أبي قد زوجته نفسي على مائة نقاة حمراء سوداء الحدقة. فنفرت من ذلك وأرادت الشخصوص إلى ابن الزبير حين أعيها أهل البصرة ألا يطلقوها من الفرزدق حتى يشهد لها الشهود، وأعيها الشهود أن يشهدوا لها اتقاء الفرزدق، وابن الزبير يومئذ أمير الحجاز والعراق يدعي له بالخلافة - فلم تجد من يحملها، وأتت فتية من بني عدي بن عبد مناة بن أد، يقال لهم بنو أم السير، فسألتهم برحم تجمعهم وإياها - وكانت بينها وبينهم قرابة - فأقسمت عليهم أمها: ليحملنها، فحملوها، فبلغ ذلك الفرزدق، فاستنهض عدة من أهل البصرة فأهضوه، وأوقروا له عدة من الإبل، وأعين بنفقة، فتبع النوار، وقال:

**أطاعت بني أم السير فأصبحت  
على شارف ورقاء صعب ذلولها**

**وإن الذي أمسى يخيب زوجتي  
كماش إلى أسد الشرى يستبيلها**

فأدر كها وقد قدمت مكة، فاستجارت بخولة بنت منظور بن زيان بن سيار الفزاري، وكانت عند عبد الله بن الزبير، فلما قدم الفرزدق مكة اشرب الناس إليه، ونزل على بني عبد الله بن الزبير، فاستنشده، واستحدثوه ثم شفَعوا له إلى أبيهم، فجعل يشفعهم في الظاهر، حتى إذا صار إلى خولة قلبته عن رأيه، فمال إلى النوار، فقال الفرزدق في ذلك: صوت

**أما بنوه فلم تقبل شفاعتهم  
وشفعت بنت منظور بن زبانا**

**ليس الشفيع الذي يأتيك مؤتزرأ  
مثل الشفيع الذي يأتيك عريانا**

لعريب في هذا البيت خفيف رمل.

قال: وسفر بينهما رجال من بني تميم كانوا بمكة، فاصطلحا على أن يرجعا إلى البصرة، ولا يجمعهما ظل ولا كن حتى يجمعا في أمرهما ذلك بني تميم، ويصيرا على حكمهم. ففعلا، فلما صارا إلى البصرة رجعت إليه النوار بحكم عشيرتها.

قال: وقال غير الحرمازي: إن ابن الزبير قال للفرزدق: جئني بصدقتها وإلا فرقت بينكما، فقال الفرزدق: أنا في بلاد غربة فكيف أصنع؟ قالوا له: عليك بسلم بن زياد، فإنه محبوب في السجن يطالبه ابن الزبير بمال، فأتاه فقص عليه قصته قال: كم صدقتها؟ قال: أربعة آلاف درهم، فأمر له بما وبألفين للنفقة، فقال الفرزدق:

**دعي مغلقي الأبواب دون فعالهم  
ولكن تمشي بي هبلت إلى سلم**

**إلى من يرى المعروف سهلاً سبيله  
ويفعل أفعال الرجال التي تنمي**

قال: فدفعها عليه ابن الزبير، فقال الفرزدق:

كمختار على الفرس الحمارا

هلمي لابن عمك لا تكوني

قال: فحاء بما إلى البصرة - وقد أحبلها - فقال جرير في ذلك:

ولو رضيت رمح استه لاستقرت

ألا تلکم عرس الفرزدق جامحاً

فأجابه الفرزدق، وقال:

وجاءت بها جوف استها لاستقرت

وأمك لو لاقيتها بطمرة

وقال الفرزدق وهو يخاسم النوار:

كرأس الضب يلتمس الجرادا

تخاصمني وقد أولجت فيها

قال الحرمازي: ومكثت النوار عنده زماناً، ترضى عنه أحياناً، وتخاصمه أحياناً، وكانت النوار امرأةً سالحة، فلم تزل تشمشتر منه، وتقول له: ويحك! أنت تعلم أنك إنما تزوجت بي ضغطة وعلى خدعة، ثم لا تزال في كل ذلك، حتى حلفت بيمين مؤثرة، ثم حنثت. وتجنبت فراشه، فتزوج عليها امرأة يقال لها جهيمة من بني النمر بن قاسط حلفاء لبني الحارث بن عباد بن ضبيعة وأمها الخميصة من بني الحارث بن عباد، فنافرته الخميصة، واستعدت عليه فأنكرها الفرزدق، وقال: إنها مني بريء طالق وطلق ابنتها، وقال:

مثل الهراسة بين النعل والقدم

إن الخميصة كانت لي ولابنتها

فلن أرد عليها زفرة الندم

إذا أتت أهلها مني مطلقة

جعل يأتي النوار وبه ردع الخلوq وعليه الأثر فقالت له النوار: هل تزوجتها إلا هدادية - تعني حياً من أزد عمان - فقال الفرزدق في ذلك:

كرام بنات الحارث بن عباد

تريك نجوم الليل والشمس حية

أبت وائل في الحرب غير تماد

أبوها الذي قاد النعام بعدما

من الأزد في جاراتها وهداد

نساء أبوهن الأعز ولم تكن

ولا في العمانيين رهط زياد

ولم يك في الحي الغموض محلها

وقد رضيت بالنصف بعد بعد

عدلت بها ميل النوار فأصبحت

قال: فلم تزل النوار ترققه، وتستعطفه، حتى أجابها إلى طلاقها، وأخذ عليها ألا تفارقه ولا تبرح من منزله، ولا تتزوج رجلاً بعده، ولا تمنعه من مالها ما كانت تبذله له، وأخذت عليه أن يشهد الحسن البصري على طلاقها، ففعل ذلك.

قال المازني: وحدثني محمد بن روح العدوي عن أبي شفق راية الفرزدق قال:

ما استصحب الفرزدق أحداً غيري وغير راية آخر، وقد صحب النوار رجال كثيرة، إلا أنهم كانوا يلوذون

بالسواري خوفاً من أن يراهم الفرزدق، فأتيا الحسن فقال له الفرزدق: يا أبا سعيد، قال له الحسن: ما تشاء؟ قال: أشهد أن النوار طالق ثلاثاً، فقال الحسن: قد شهدنا، فلما انصرفنا قال: يا أبا شفق، قد ندمت، فقلت له: والله إني لأظن أن دمك يترقق، أتدري من أشهدت؟ والله لئن رجعت لترجمن بأحجارك، فمضى وهو يقول:

ندمت ندامة الكسعي لما  
غدت مني مطلقة نوار  
ولو أني ملكت يدي وقلبي  
لكان علي للقدر الخيار  
وكانت جنتي فخرجت منها  
كأدم حين أخرجه الضرار  
وكننت كفاقي عينيه عمداً  
فأصبح ما يضيء له النهار

يخاصم كل من يمد يده لمساعدة النوار: وأخبرني بخره مع النوار أحمد بن عبد العزيز، قال: حدثنا عمر بن شبة، قال: حدثني محمد بن يحيى، عن أبيه يحيى بن علي بن حميد: أن النار لما كرهت الفرزدق حين زوجها نفسه لجأت إلى بني قيس بن عاصم المنقري ليمنعوها فقال الفرزدق فيهم:

بني عاصم لا تجبوها فإنكم  
ملاجئ للسوات دسم العمائم  
بني عاصم لو كان حيّاً أبوكم  
للأم بنيه اليوم قيس بن عاصم

فبلغهم ذلك الشعر، فقالوا: والله لئن زدت على هذين البيتين لنقتلنك غيلة، وخلوه والنوار وأرادت منافرته إلى ابن الزبير، فلم يقدر أحدٌ على أن يكرهها خوفاً منه. ثم إن قوماً من بني عدي يقال لهم بنو أم النسير أكرهوا، فقال الفرزدق:

ولو لا أن يقول بنو عدي  
ألم تك أم حنظلة النوار  
أنتكم يا بني ملكان عني  
قواف لا تقسمها التجار

وقال فيهم أيضاً:

لعمري لقد أردى النوار وساقها  
إلى البور أحلام خفاف عقولها  
أطاعت بني أم السير فأصبحت  
على قتب يعلو الفلاة دليلها  
وقد سخطت مني النوار الذي ارتضى  
به قبلها الأزواج خاب رحيلها  
وإن امرأ أمسى يخبت زوجتي  
كساع إلى أسد الشرى يستبيلها  
ومن دون أبواب الأسود بسالة  
وبسطة أيد يمنع الضيم طولها  
وإن أمير المؤمنين لعالم  
بتأويل ما وصى العباد رسولها  
فدونكها يا بن الزبير فإنها  
مولعة يوهي الحجارة قيلها

## وما جادل الأقوام من ذي خصومة

## كور هاء مشنوء إليها حليلها

فلما قدمت مكة نزلت على تماضر بنت منظور بن زيان زوجة عبد الله بن الزبير، ونزل الفرزدق بحمزة بن عبد الله بن الزبير، ومدحه بقوله:

## أمسيت قد نزلت بحمزة حاجتي

## إن المنوه باسمه الموثوق

## بأبي عماره خير من وطئ الححصا

## وجرت له في الصالحين عروق

## بين الحواري الأعز وهاشم

## ثم الخليفة بعد والصديق

غنى في هذه الأبيات ابن سريج رملاً بالبنصر.

قال: فجعل أمر النوار يقوى، وأمر الفرزدق يضعف، فقال:

## أما بنوه فلم تقبل شفاعتهم

## وشفعت بنت منظور بن زبانا

ملاحظة بينه وبين ابن الزبير: وقال ابن الزبير للنوار: إن شئت فرقت بينكما، وقتلته، فلا يهجوننا أبداً، وإن شئت سيرته إلى بلاد العدو، فقالت: ما أريد واحدة منهما، فقال لها: فإنه ابن عمك وهو فيك راغب، فأزوجك إياه، قالت نعم، فزوجها منه، فكان الفرزدق يقول: خرجنا ونحن متباغضان، فعدنا متحابين.

قال: وكان الفرزدق قال لعبد الله بن الزبير - وقد توجه الحكم عليه - إنما تريد أن أفارقها فتشب عليها، وكان ابن الزبير حديداً، فقال له: هل أنت وقومك إلا جالية العرب؟.

ثم أمر به فأقيم، وأقبل على من حضر، فقال: إن بني تميم كانوا وثبوا على البيت قبل الإسلام بمائة وخمسين سنة، فاستلبوه، فاجتمعت العرب عليها لما انتهكت منه ما لم ينتهكه أحد قط، فأجلتها من أرض تهامة، قال: فلقي الرزدق بعض الناس، فقال: إيه يعيرنا ابن الزبير بالجللاء! اسمع، ثم قال:

## فإن تغضب قريش أو تغضب

## فإن الأرض توعبها تميم

## هم عدد النجوم وكل حي

## سواهم لا تعد له نجوم

## ولولا بيت مكة ما ثويتم

## بها صح المنابت والأروم

## بها كثر العديد وطاب منكم

## وغيركم أخيز الريش هيم

## فمهلاً عن تعلل من غدرتم

## بخونته وعذبه الحميم

## أعبد الله مهلاً عن أذاتي

## فإني لا الضعيف ولا السنوم

## ولكني صفاة لم تدنس

## تزل الطير عنها والعصوم

## أنا ابن العاقر الخور الصفايا

## بضوي حين فتحت العكوم

قال: فبلغ هذا الشعر ابن الزبير، وخرج للصلاة فرأى الفرزدق في طريقه، فغمز عنقه، فكاد يدقها، ثم قال:

لقد أصبحت عرس الفرزدق ناشراً  
ولو رضيت رمح استه لاستقرت

وقال: هذا الشعر لجعفر بن الزبير.

وقيل: إن الذي كان تقرر عليه عشرة آلاف درهم، وإن سلم بن زياد أمر له بعشرين ألف درهم مهراً ونفقة، فقبضها، فقالت له زوجته أم عثمان بنت عبد الله بن عمرو بن أبي العاص الثقفية: أتعطي عشرين ألف درهم وأنت محبوس؟ فقال:

ألا بكرت عرسي تلوم سفاهة  
على ما مضى مني وتأمر بالبخل  
فقلت لها والجود مني سجية :  
وعل يمنع المعروف سوا له مثلي؟  
ذريني فإنني غير تارك شيمتي  
ولا مقصر طول الحياة عن البذل  
ولا طارد ضيفي إذا جاء طارقاً  
وقد طرق الأضياف شيخي من قبلي  
أبخل؟ إن البخل ليس بمخلدي  
ولا الجود يدينني إلى الموت والقتل  
أبيع بني حرب بآل خويلد!  
وما ذاك عند الله في البيع بالعدل؟  
وليس ابن مروان الخليفة مشبهاً  
لفحل بني العوام، قبح من فحل  
فإن تظهروا لي البخل آل خويلد  
فما دأبكم دأبي ولا شكلكم شكلي  
وإن تقهروني حين غابت عشيرتي  
فمن عجب الأيام أن تقهروا مثلي

فلما اصطلحا، ورضيت به، ساق إليها مهرها، ودخل بها، وأحبها قبل أن يخرج من مكة.

ثم خرجا وهما عديلان في محمل.

يستصرخ حمزة بن عبد الله بن الزبير: وأخبرني أبو خليفة، عن محمد بن سلام، عن إبراهيم بن حبيب بن الشهيد بنحو من هذه القصة.

قال عمر بن شبة: قال الفرزدق في خبره:

يا حمز هل لك في ذي حاجة عرضت  
أنضاؤه بمكان غير ممطور  
فأنت أحرى قریش أن تكون لها  
وأنت بين أبي بكر ومنظور  
بين الحوارى والصديق في شعب  
ثبتن في طناب الإسلام والخير

يتقون لسانه: أخبرنا أبو خليفة قال: حدثنا محمد بن سلام قال: حدثنا عبد القاهر بن السري السلمي، قال: كان

فتى من بني حرام شويعر هجا الفرزدق، قال: فأخذناه، فأتينا به الفرزدق وقتلنا: هذا بين يديك فإن شئت

فاضرب، وإن شئت فاحلق، فلا عدوى عليك ولا قصاص، قد برئنا إليك منه، فحلى سبيله وقال:

فمن يك خائفاً لأذاة شعري

فقد أمن الهجاء بنو حرام

هم قادوا سفيهم وخافوا

قلائد مثل أطواق الحمام

ليس طريقه إلى جهنم: قال ابن سلام: وحدثني عبد القاهر قال: مر الفرزدق بمجلسنا مجلس بني حرام ومعنا عنيسة مولى عثمان بن عفان، فقال: يا أبا فراس، متى تذهب إلى الآخرة؟ قال: وما حاجتك إلى ذاك يا أخي؟ قال: أكتب معك إلى أبي، قال: أنا لا أذهب إلى حيث أبوك، أبوك في النار، أكتب إليه مع ربالويه واصطقانوس. يغضب على ابن الكلبي لعدم روايته شعره: أخبرني الحسن بن يحيى، عن حماد، عن أبيه قال: أخبرني مخبر، عن خالد بن كلثوم الكلبي، قال:

مررت بالفرزدق، وقد كنت دوّنت شيئاً من شعره وشعر جرير، وبلغه ذلك، فاستجلسني، فجلست إليه وعذت بالله من شره، وجعلت أحدثه حديث أبيه وأذكر له ما يعجبه، ثم قلت له: إني لأذكر يوم لقبك بالفرزدق، قال: وأي يوم؟ قلت: مررت به وأنت صبي، فقال له بعض من كان يجالسه: كأن ابنك هذا الفرزدق دهقان الحيرة في تيهه وأهنته، فسماك بذلك، فأعجبه هذا القول، وجعل يستعيد، ثم قال: أنشدني بعض أشعار ابن المراغة في، فجعلت أنشده، حتى انتهيت، ثم قال: فأنشد نقائضها التي أحبته بها، فقلت: ما أحفظها، فقال: يا خالد، أتخفظ ما قاله في ولا تحفظ نقائضه؟ والله لأهجون كلباً هجاء يتصل عاره بأعقابها إلى يوم القيامة، إن لم تقم حتى تكتب نقائضها أو تحفظها وتنشديها، فقلت: أفعل فلزمته شهراً، حتى حفظت نقائضها، وأنشدته إياها خوفاً من شره.

يكابد النوار بحدراء فتستعدي عليه جريراً: أخبرني عبد الله بن مالك قال: حدثنا محمد بن حبيب، قال: حدثني الأصمعي قال: تزوج الفرزدق حدراء بنت زيق بن بسطام بن قيس الشيباني، وخاصمته النوار وأخذت بلحيته، فجاذبها وخرج عنها مغضباً وهو يقول:

قامت نوار إلي تنتف لحيتي

تنتاف جعدة لحية الخشخاش

كلتاها أسد إذا ما أغضبت

وإذا رضين فهن خير معاش

قال: والخشخاش رجل من عترة، وجعدة امرأته، فجاءت جعدة إلى النوار، فقالت: ما يريد مني الفرزدق؟ أما وجد لامرأته أسوة غيري.

وقال الفرزدق للنوار يفضّل عليها حدراء.

لعمري لأعرابية في مظلة

تظل بروقي بيتها الريح تخفق

أحب إلينا من ضناك ضفنة

إذا وضعت عنها المراويح تعرق

كريم غزال أو كدرة غائص

لها الأرض تشرق إذا مرت تكاد

فلما سمعت النوار ذلك أرسلت إلى جرير، وقالت للفرزدق: والله لأحزبنك يا فاسق فجاء جرير، فقالت له: أما ترى ما قال الفاسق، وشكته إليه، وأنشدته شعره، فقال جرير: أنا أكفيك، وأنشأ يقول:

ولست بمعطي الحكم عن شف منصب  
وهن كماء المزن يشفى به الصدى  
ولا عن بنات الحنظليين راغب  
لقد كنت أهلاً أن يسوق ديانتكم  
وكانت ملاحاً غيرهن المشارب  
وما عدلت ذات الصليب طعينة  
إلى آل زيق أن بعيبك عائب  
أأهديت يا زيق بن بسطام طيبة  
عتيبة والردفان منها وحاجب  
ألا ربما لم نعط زيقاً بحكمه  
إلى شر من تهدي إليه القرائب  
حوينا أبا زيق وزيقاً وعمه  
وأدى إلينا الحكم والغل لازب  
وجده زيق قد حوتها المقانب

فأجابه الفرزدق فقال:

تقول كليب حين مثلت سبالها  
لسواق أغنام رعتهن أمه  
وأعشب من مروتها كل جانب  
ألست إذا القعساء مرت براكب  
إلى أن علاها الشيب فوق الذوائب  
وقالوا: سمعنا أن حدراء زوجت  
إلى آل بسطام بن قيس بخاطب  
فلو كنت من أكفاء حدراء لم تلم  
على مائة شم الذرى والغوارب  
فنل مثلها من مثلهم ثم أمهم  
على دارمي بين ليلي وغالب  
وإني لأخشى إن خطبت إليهم  
بملكك من مال مراح وعازب  
ولو تتكح الشمس النجوم بناتها  
عليك الذي لاقى يسار الكواعب  
نكحنا بنات الشمس قبل الكواكب

وفي المناقضات التي دارت بين الفرزدق وجرير حول زواج بنت زيق، قال جرير أبياته التي أولها:

يا زيق أنكحت قيناً في استه حمم  
أين الألى أنزلوا النعمان ضاحية  
يا زيق ويحك من أنكحت يا زيق  
يا رب قاتلة بعد البناء بها:  
أم أين أبناء شيبان الغرائيق؟  
غاب المثنى فلم يشهد نجيكما  
لا الصهر راض ولا ابن القين معشوق  
والحوفزان ولم يشهدك مفروق

والفرزدق يقول لجرير:

إن كان أنفك قد أعياك محمله  
فاركب أتانك ثم اخطب إلى زيق

حبران عن ولديه: أخبرني الحسن بن يحيى، عن حماد، عن أبيه، عن الهيثم بن عدي، عن زكريا بن ثبابة الثقفي قال: أنشدني الفرزدق قصيدته التي فيها ابنه، فلما انتهى إلى قوله:

**بفي الشامتين الصخر إن كان مسني رزية شبل مخدر في الضراغم**

فلما فرغ قال: يا أبا يحيى، رأيت ابني؟ قلت: لا، قال: والله ما كان يساوي عباءته.

بنو تغلب أعطوا ابنه مائة ناقة: قال إسحاق: حدثني أبو محمد العبدى، عن اليربوعي، عن أبي نصر قال: قدم لبطة بن الفرزدق الحيرة، فمر بقوم من بني تغلب فاستقروا ففروه، ثم قالوا له: من أنت؟ قال: ابن شاعركم ومادحكم، وأنا والله ابن الذي يقول فيكم:

**أضحى لتغلب من تميم شاعر يرمي الأعادي بالقريض الأثقل**

**إن غاب كعب بني جعيل عنهم وتتمر الشعراء بعد الأخطل**

**يتباشرون بموته ووراءهم مني لهم قطع العذاب المرسل**

فقالوا له: فأنت ابن الفرزدق إذاً، قال: أنا هو، فتنادوا: يا آل تغلب، افضوا حق شاعركم والذائد عنكم في ابنه، فجعلوا له مائة ناقة، وساقوها إليه، فانصرف بها.

عمرو بن عفراء يتحدها: أخبرنا أبو خليفة، عن محمد بن سلام قال: أتى الفرزدق عبد الله بن مسلم الباهلي فسأله فتقل عليه الكثير، وخشية في القليل، وعنده عمرو بن عفراء الضبي راوية الفرزدق وقد كان هجاه جرير لروايته للفرزدق في قوله:

**ونبتت جواباً وسلاماً يسبني وعمرو بن عفري. لا سلام على عمرو**

فقال ابن عفراء للباهلي: لا يهولنك أمره، أنا أرضيه عنك فأرضاه بدون ما كان هم له به، فأعطاه ثلثمائة درهم، فقبلها الفرزدق ورضي عنه، فبلغه بعد ذلك صنيع عمرو فقال:

**ستعلم يا عمرو بن عفري من الذي يلام إذا ما الأمر غبت عواقبه**

**نهيت ابن عفري أن يعفر أمه كعفر السلا إذا جررته ثعالبه**

**فلو كنت ضبياً صفحت ولو سرت على قدمي حياته وعقاربه**

**ولكن ديافي أبوه وأمه بحوران يعصرن السليط أقاربه**

**ولما رأى الدهنا رمته جبالها وقالت ديافي مع الشام جانبه**

**فإن تغضب الدهنا عليك فما بها طريق لمرتاد تقاد ركائبه**

**تضن بمال الباهلي كأنما تضن على المال الذي أنت كاسبه**

**وإن امرأ يغتابني لما أطأه حريماً ولا ينهاه عني أقاربه**

كمحتطب يوماً أساود هضبة

أتاه بها في ظلمة الليل حاطبه

أحين التقى ناباي و ابيض مسحلي

وأطرق إطراق الكرى من يجانبه

فقال ابن عفراء، وأتاه في نادي قومه: أجهد جهدك، هل هو إلا أن تسبني، والله لا أدع لك مساءة إلا أتيتها، ولا تأمرني بشيء إلا اجتنبتُهُ ولا تنهاني عن شيء إلا ركبتهُ، قال: فاشهدوا أنني أمناه أن ينيك أمه، فضحك القوم وحجل ابن عفري.

يتطفل فيجاز: أخبرنا أبو خليفة، عن محمد بن سلام، قال: حدثنا شعيب بن صخر قال: تزوج ذبيان بن أبي ذبيان العدوي من بلعدوية، فدعا الناس في وليمته، فدعا ابن أبي شيخ الفقيمي، فألقى الفرزدق عنده، فقال له: يا أبا فراس، انهض، قال: إنه لم يدعني، قال: إن ابن ذبيان يؤتى وإن لم يدع، ثم لا تخرج من عنده إلا بجائزة فأتياه، فقال الفرزدق حين دخل:

كم قال لي ابن أبي شيخ وقلت له:

كيف السبيل إلى معروف ذبيان

إن القلوص إذا ألفت جآجئها

قدام بابك لم نرحل بحرمان

قال: أجل يا أبا فراس فدخل فتغدى عنده، وأعطاه ثلثمائة درهم.

يريد أن يتحدى الناس الموت: أخبرني أبو خليفة عن محمد بن سلام قال: حدثني أبو بكر المدني قال: دخل الفرزدق المدينة فوافق فيها موت طلحة بن عبد الرحمن بن عوف الزهري - وكان سيداً سخياً شريفاً - فقال: يا أهل المدينة، أنتم أذل قوم لله، قالوا: وما ذاك يا أبا فراس؟ قال: غلبكم الموت على طلحة حتى أخذه منكم. يعطي عروصاً بدل النقد:

وأتى مكة، فأتى عمرو بن عبد الله بن صفوان بن أمية بن خلف الجمحي - وهو سيد أهل مكة يومئذ - وليس عنده نقد حاضر، وهو يتوقع أعطيته وأعطية ولده وأهله، فقال: والله يا أبا فراس، ما وافقت عندنا نقداً، ولكن عروصاً إن شئت، فعندنا رقيق فرهة، فإن شئت أخذتهم، قال: نعم، فأرسل له بوصفاء من بنيه وبني أخيه، فقال: هم لك عندنا حتى تشخص، وجاءه العطاء، فأخبره الخبر وفداهم، فقال الفرزدق ونظر إلى عبد العزيز بن عبد الله بن خالد بن أسيد وكان يطوف بالبيت الحرام يتبخر:

تمشي تبخر حول البيت منتخباً

لو كنت عمرو بن عبد الله لم تزدد

يجتج بشعره: أخبرنا أبو خليفة، عن محمد بن سلام، قال: حدثنا عامر بن أبي عامر - وهو صالح بن رستم الخراز - قال: أخبرني أبو بكر الهذلي قال: إنا لجلوس عند الحسن إذ جاء الفرزدق يتخطى حتى جلس إلى جنبه، فجاء رجل، فقال: يا أبا سعيد: الرجل يقول: لا والله، بلى والله في كلامه، قال: لا يريد اليمين، فقال الفرزدق: أو ما سمعت ما قلت في ذلك؟ قال الحسن: ما كل ما قلت سمعوا فما قلت؟ قال: قلت:

ولست بمأخوذ بلغو تقوله

إذا لم تعمد عاقدات العزائم

قال: فلم ينشب أن جاء رجل آخر، فقال: يا أبا سعيد. نكون في هذه المغازي فنصب المرأة لها زوج، أفيجل غشيانها وإن لم يطلقها زوجها؟ فقال الفرزدق: أو ما سمعت ما قلت في ذلك؟ قال الحسن: ما كل ما قلت سمعوا فما قلت؟ قال: قلت:

**وذات حليل أنكحتنا رماحنا** **حلالاً لمن يبني بها لم تطلق**

يهجو إبليس: قال أبو خليفة: أخبرني محمد بن سلام، وأخبرني محمد بن جعفر قالا: أتى الفرزدق الحسن، فقال: إني هجوت إبليس فاسمع؟ قال لا حاجة لنا بما تقول، قال: لتسمعن أو لأخرجن، فأقول للناس: إن الحسن ينهى عن هجاء إبليس، قال: اسكت فإنك بلسانه تنطق.

الحسن يتمثل بالشعر: قال محمد بن سلام: أخبرني سلام أبو المنذر، عن علي بن زيد قال: ما سمعت الحسن متمثلاً شعراً قط إلا بيتاً واحداً وهو قوله:

**الموت باب وكل الناس داخله** **فليت شعري بعد الباب ما الدار؟**

قال: وقال لي يوماً: ما تقول في قول الشاعر:

**لولا جرير هلكت بجيلة** **نعم الفتى وبئست القبيلة**

أهجاه أم مدحه؟ قلت: مدحه وهجا قومه، قال: ما مدح من هجي قومه.

وقال جرير بن حازم: ولم أسمع ذكر شعراً قط إلا:

**ليس من مات فاستراح بميت** **إنما الميت ميت الأحياء**

هل ينقض الشعر الوضوء: وقال رجل لابن سيرين وهو قائم يستقبل القبلة يريد أن يكبر: أيتوضأ من الشعر؟ فانصرف بوجهه إليه فقال:

**ألا أصبحت عرس الفرزدق ناشراً** **ولو رضيت رمح استه لاستقرت**

ثم كبر.

من أبياته السيارة: قال ابن سلام: وكان الفرزدق أكثرهم بيتاً مقلداً - والمقلد: المغني المشهور الذي يضرب به المثل - من ذلك قوله:

**فيا عجباً حتى كليب تسبني** **كأن أباه نهدل أو مجاشع**

**وقوله: ليس الكرام بناحليك أباهم** **حتى يرد إلى عطية نهدل**

**وقوله: وكنا إذا الجبار صعر خده** **ضربناه حتى تستقيم الأخادع**

**وقوله: نوكنت كذئب السوء لما رأى دما** **بصاحبه يوماً أحال على الدم**

**وقوله: ترجي ربيع أن تجيء صغارها** **بخير وقد أعيا ربيعاص كبارها**

وقوله: أكلت دوابها الإكام فمشيها  
 وقوله: قوارص تأتيني وتحقرونها  
 وقوله: أحلامنا تزن الجبال رزانة  
 وقوله: وإنك إذ تسعى لتدرك دارما  
 وقوله: فإن تتج مني تتج من ذي عزيمة  
 وقوله: ترى كل مظلوم ألينا فراره  
 مما وجئن كمشية الإعياء  
 وقد يملأ القطر الإناء فيفعم  
 وتخالنا جنا إذا ما نجهل  
 لأنت المعنى يا جرير المكلف  
 وإلا فإني لا إخالك ناجيا  
 ويهرب منا جهده كل ظالم

وقوله:

ترى الناس ما سرنا يسرون حولنا  
 وقوله: فسيف بني عبس وقد ضربوا به  
 كذاك سيوف الهند تنبو ظباتها  
 وإن نحن أومأنا إلى الناس وقفوا  
 نبا بيدي ورقاء عن رأس خالد  
 ويقطن أحيانا مناط القلائد

وكان يداخل الكلام، وكان ذلك يعجب أصحاب النحو، من ذلك قوله بمدح هشام بن إسماعيل المخزومي خال هشام بن عبد الملك:

وأصبح ما في الناس إلا مملكا  
 وقوله: بتالله قد سفهت أمية رأيها  
 وقوله: أستم عائجين بنا لعنا  
 فقالوا: إن فعلت فأغن عنا  
 وقوله: فهل أنت إن ماتت أتانك راحل  
 وقوله: فنل مثلها من مثلهم ثم دلهم  
 وقوله: تعال فإن عاهدتني لا تخونني  
 وقوله: إنا وإياك إن بلغن أرحلنا  
 وقوله: بنى الفارق أمك وابن أروى  
 وقوله: إلى ملك ما أمه من محارب  
 وقوله: إليك أمير المؤمنين رمت بنا  
 وعض زمان يا بن مروان لم يدع  
 أبو أمه حي أبوه يقاربه  
 فاستجهلت سفهاؤها حلماءها  
 نرى العرصات أو أثر الخيام  
 دموعاً غير راقنة السجام  
 إلى آل بسطام بن قيس فخطب  
 على دارمي بين ليلي وغالب  
 يصطحبان يا ذئب نكن مثل من  
 كمن بواديه بعد المحل ممطور  
 به عثمان مروان المصابا  
 أبوه ولا كانت كليب تصاهره  
 هموم المنا والهوجل المتعسف  
 من المال إلا مسحتاً أو مجلف

منها بلا بخل ولا مبذول  
برد بفرع بشامة مصقول

وقوله :ولقد دنت لك بالتخلف إذ دنت  
وكأن لون رضاب فيها إذ بدا

وقوله فيها لمالك بن المنذر:

لله سيف صنيعة مسلول  
سيف لكل خليفة ورسول  
من مكرمات عطاية الأخطار  
كفاهما ويشد عقد جوار  
على ماله حال الندى منك سائله  
أجل لا، وإن كانت طوالا حمائله  
ليل يسير بجانبه نهار

إن ابن ضباري ربيعة مالكا  
ما نال من آل المعلى قبله  
ما من يدي رجل أحق بما أتى  
من راحتين يزيد يقدح زنده  
وقوله :إذا جنته أعطاك عفواً ولم يكن  
لدى ملك لا تتصف النعل ساقه  
وقوله: والشيب ينهض في الشباب كأنه

لا يكذب في مدحه: قال أبو خليفة: أخبرنا محمد بن سلام قال: حدثني شعيب بن صخر، عن محمد بن زياد، وأخبرني به الجوهري وجحظة عن ابن شبة، عن محمد بن سلام، وكان محمد في زمام الحجاج زماناً قال: انتهيت إلى الفرزدق بعد موت الحجاج بالردم وهو قائم والناس حوله ينشد مديح سليمان بن عبد الملك:

ومن عقدة ما كان يرجى انحلالها  
فككت وأعناقاً عليها غلالها

وكم أطلقت كفاك من غل بئس  
كثيراً من الأيدي التي قد تكتفت

قال: قلت: أنا والله أحدهم، فأخذ بيدي وقال: أيها الناس سلوه عما أقول والله ما كذبت قط. يابى حين يريد: أخبرني جحظة قال: حدثني ابن شبة، عن محمد بن سلام فذكر مثله وقال فيه: والله ما كذبت قط ولا أكذب أبداً.

قال أبو خليفة: قال ابن سلام: وسمعت الحارث بن محمد بن زياد يقول: كتب يزيد بن المهلب لما فتح جرجان إلى أخيه مدركة أو مروان: أحمل إليّ الفرزدق، فإذا شخص فأعط أهله كذا وكذا؛ ذكر عشرة آلاف درهم، فقال له الفرزدق: ادفعها إليّ، قال: اشخص وأدفعها إلى أهلك، فأبى، وخرج وهو يقول:

لآتيه إنني إذا لزور  
بأعراضهم والدائرات تدور  
أبيت فلم يقدر علي أمير

دعاني إلى جرجان والري دونه  
لآتي من آل المهلب ثائراً  
سأبى وتأبى لي تميم وربما

لم يستطع أهله منعه: قال أبو خليفة: قال ابن سلام:

وسمعت سلمة بن عياش قال: حبست في السجن، فإذا فيه الفرزدق قد حبسه مالك بن المنذر بن الجارود، فكان

يريد أن يقول البيت فيقول صدره وأسبقه إلى القافية، ويحيى إلى القافية فأسبغه إلى الصدر، فقال لي: ممن أنت؟ قلت: من قريش قال: كل أير حمار من قريش، من أيهم أنت؟ قلت: من بني عامر بن لؤي، قال: لئام والله أدلة، جاورتهم فكانوا شر جيران، قلت: ألا أخبرك بأذل منهم وأأم؟ قال: من؟ قلت: بنو مجاشع، قال: ولم ويلك! قلت: أنت سيدهم وشاعرهم وابن سيدهم، جاءك شرطي مالك، حتى أدخلك السجن، لم يمنعوك. قال: قاتلك الله.

قال أبو خليفة: قال ابن سلام: يهجو عمر بن هبيرة: وكان مسلمة بن عبد الملك على العراق بعد قتل يزيد بن المهلب فلبث بها غير كثير، ثم عزله يزيد بن عبد الملك، واستعمل عمر بن هبيرة على العراق فأساء عزل مسلمة، فقال الفرزدق وأنشدنيه يونس:

ولت بمسلمة الركاب مودعاً	فارعي فزارة لا هناك المرتع
فسد الزمان وبدلت أعلامه	حتى أمية عن فزارة تنزع
ولقد علمت إذا فزارة أمرت	أن سوف تطمع في الإمارة أشجع
وبحق ربك ما لهم ولمثلهم	في مثل ما نالت فزارة مطمع
عزل ابن بشر وابن عمرو قبله	وأخو هراة لمتلها يتوقع

ابن بشر: عبد الملك بن بشر بن مروان، كان على البصرة، أمره عليها مسلمة. وابن عمرو: سعيد بن حذيفة بن عمرو بن الوليد بن عقبة بن أبي معيط، وأخو هراة: عبد العزيز بن الحكم بن أبي العاص. ويروي للفرزدق في ابن هبيرة:

أمير المؤمنين وأنت عف	كريم لست بالطبع الحريص
أوليت العراق ورافديه	فزارياً أخذ يد القميص
ولم يك قبلها راعي مخلص	لتأمنه على وركي قلوصل
تفئن بالعراق أبو المثنى	وعلم أهله أكل الخبيص

وأنشدني له يونس:

جهاز فإنيك ممتار ومبتعث	إلى فزارة عيراً تحمل الكمرا
إن الفزاري لو يعمى فأطعمه	أير الحمار طبيب أبر البصرا
إن الفزاري لا يشفيه من قرم	أطايب العير حتى ينهش الذكرا
يقول لما رأى ما في إنائهم:	لله ضيف الفزازيين ما انتظرا

فلما قدم خالد بن عبد الله القسري والياً على ابن هبيرة حبسه في السجن، فنقب له سرب، فخرج منه، فهرب إلى الشام، فقال فيه الفرزدق يذكر خروجه:

ولما رأيت الأرض قد سد ظهرها  
دعوت الذي ناداه يونس بعد ما  
ولم تر إلا بطنها لك مخرجا  
فأصبحت تحت الأرض قد سرت ليلة  
ثوى في ثلاث مظلمات ففرجا  
خارجت ولم تمنن عليك شفاعاة  
وما سار سار مثلها حين أدلجا  
سوى ربذ التقريب من آل أعوجا  
أغر من الحو اللهاميم إذ جرى  
جرى بك محبوبك القرى غير أفحجا  
به عنك أرخى الله ما كان أشرجا  
وما احتال محتال كحيلته التي  
بها نفسه تحت الصريمة أولجا  
وظلماء تحت الأرض قد خضت هولها  
وليل كلون الطيلساني أدعجا  
هما ظلمتا ليل وأرض تلاقنا  
على جامع من همه ما تعوجا

يهجو خالد بن عبد الله القسري أيضاً: فحدثني جابر بن جندل قال: فقيل لابن هبيرة: من سيد العراق؟ قال: الفرزدق هجاني أميراً ومدحني سوقة. وقال الفرزدق لخالد القسري حين قدم العراق أميراً لهشام:

ألا قطع الرحمن ظهر مطية  
وكيف يؤم المسلمين وأمه  
أنتنا تمطى من دمشق بخالد  
بنى بيعة فيها الصليب لأمة  
تدين بأن الله ليس بواحد  
وقال أيضاً:

نزلت بجيلة واسطاً فتمكنت  
ونفت فزارة عن قرار المنزل  
وقال أيضاً:

لعمري لئن كانت بجيلة زانها  
جريز لقد أخزى بجيلة خالد

فلما قدم العراق خالد أميراً أمر على شرطة البصرة مالك بن المنذر بن الجارود، وكان عبد الأعلى بن عبد الله بن عامر يدعي على مالك قرية، فأبلطها خالد، وحفر النهر الذي سماه المبارك، فاعترض عليه الفرزدق، فقال:

أهلكت مال الله في غير حقه  
وتضرب أقواماً صحاحاً ظهورهم  
على النهر المشؤوم غير المبارك  
ومنعاً لحق المرملات الضرائك؟  
وتترك حق الله في ظهر مالك

مهر حدراء ومصرعها: أخبرني عبد الله بن مالك قال: حدثنا محمد بن حبيب، عن الأصمعي قال: قال أعين بن لبطه: دخل الفرزدق على الحجاج لما تزوج حدراء يستميحه مهرها، فقال له: تزوجت أعرابية على مائة بعير، فقال له عنبة بن سعيد: إنما هي فرائض قيمتها ألفا درهم، - الفريضة عشرون درهماً - فقال له الحجاج: ليس غيرها، يا كعب، أعط الفرزدق ألفي درهم.

قال: وقدم الفضيل العتري بصدقات بكر بن وائل، فاشترى الفرزدق مائة بعير بألفين وخمسمائة درهم على أن يثبتها له في الديوان، قال الفرزدق: فصليت مع الحجاج الظهر حتى إذا سلم، خرجت فوقف في الدار فرآني، فقال مهيم، فقلت: إن الفضيل العتري قدم بصدقات بكر بن وائل، وقد اشترت منه مائة بعير بألفين وخمسمائة درهم على أن تحتسب له في الديوان، فإن رأى الأمير أن يأمر لي بإثباتها له فعل، فأمر أبا كعب أن يثبت للفضيل ألفين وخمسمائة درهم، ونسي ما كان أمر له به، قال: فلما جاء الفرزدق بالإبل قالت له النوار: خسرت صفقتك، أتزوج أعرابية نصرانية سوداء مهزولة خمشاء الساقين على مائة من الإبل؟ فقال يعرض بالنوار وكانت أمها وليدة:

وبين أبي الصهباء من آل خالد

لجارية بين السليل عروقتها

ربت تنردى في حجور الولايد

أحق بإغلاء المهور من التي

فأبت النوار عليه أن يسوقها كلها، فحبس بعضها، وامتار عليه ما يحتاج إليه أهل البادية، ومضى ومعه دليل يقال له أوفى بن ختير، قال أعين: فلما كان في أدنى الحي رأوا كبشاً مذبحاً، فقال الفرزدق: يا أوفى، هلكت والله حدراء، قال: وما علمك بذلك؟ قال: ويقال: إن أوفى قال للفرزدق: يا أبا فراس لن ترى حدراء، فمضوا حتى وقفوا على نادي زيق، وهو جالس، فرحب به، وقال له: انزل فإن حدراء قد ماتت، وكان زيق نصرانياً فقال: قد عرفنا أن نصيبك من ميراثها في دينكم النصف، وهو لك عندنا، فقال له الفرزدق: والله لا أرزؤك منه قطميراً، فقال زيق: يا بني دارم، ما صاهرنا أكرم منكم في الحياة ولا أكرم منكم شركة في الممات، فقال الفرزدق:

بنا موجعات من كلال وظلعا

عجبت لحاديننا المقحم سيره

حبيب ومن دار أردنا لتجمعا

ليديننا ممن إلينا لقاءه

لكرربنا الحادي المطي فأسرعا

ولو تعلم الغيب الذي من أماننا

وكيف بشيء وصله قد تقطعا

يقولون: زر حدراء والترب دونها

على امرأة عيني إخال لتدمعا

يقول ابن خنزير: بكيت ولم تكن

رزينة مرتج الروادف أفرعا

وأهون رزء لامرئ غير جازع

ترابا على مرموسة قد تضععا

ولست وإن عزت علي بزائر

وقيل إن النوار كانت اتسعانت بأم هاشم لا بتماضر، وأم هاشم أخت تماضر؛ لأن تماضر ماتت عند عبد الله بعد أن ولدت له حبيباً وثابتاً ابني عبد الله بن الزبير، وتزوج بعدها أختها أم هاشم، فولدت له هاشماً وحمنة وعبادا، وفي أم هاشم يقول الفرزدق:

تروحت الركبان يا أم هاشم

وحبسن حتى ليس فيهن نافع

زوجة أخرى تنشر منه؛ أخبرنا عبد الله قال: حدثنا محمد بن حبيب قال: حدثني الأصمعي قال: نشرت رهيمة بنت غني بن درهم النمرية بالفرزدق فطلقها، وقال يهجوها بقوله:

لا ينكحن بعدي فتى نمرية

وبيضاء زعراء المفارق شخنة

لها بشر شثن كأن مضمه

قرنت بنفس الشؤم في ورد حوضها

ومازلت حتى فرق الله بيننا

تجدد لي ذكرى عذاب جهنم

يبكي ولدأ له من سفاح:

أخبرني الحسن بن علي قال: حدثني الحسين بن موسى قال: قال المدائني: لقي الفرزدق جارية لبني هاشم، فجعل ينظر إليها نظراً شديداً، فقالت له: مالك تنظر؟ فوالله لو كان لي ألف حر ما طمعت في واحد منها، قال: ولم يا لحناء؟ قالت: لأنك قبيح المنظر سيء المخبر فيما أرى، فقال: أما والله لو حربتي لعفى خيري على منطري، قال: ثم كشف لها عن مثل ذراع البكر، فتضعت له عن مثل سنام البكر فعالجها، فقالت: أنكاح بنسيئة؟ هذا شر القضية، قال: ويحك، ما معي إلا جبي، أتسلييني إياها ثم تسنمها، فقال:

أولجت فيها كذراع البكر

زاد على شبر ونصف شبر

يطير عنه نفيان الشعر

قال: فحملت منه، ثم ماتت، فبكاه وبكى ولده منها.

وغمد سلاح قد رزئت فلم أنح

وفي جوفه من دارم ذو حفيظة

ولكن ريب الدهر يعثر بالفتى

وكم مثله في مثلها قد وضعته

ومازلت وثاباً أجر المخازيا

فقال جرير يعيره:

وكم لك يا بن القين إن جاء سائل

من ابن قصير الباع مثلك حامله

وأخر لم تشعر به قد أضعته

وأوردته رحماً كثيراً غوائله

يتزوج ظبية فيعجز عن إتيانها: أخبرني الحسن بن علي الخفاف قال: حدثنا محمد بن موسى، قال: حدثني محمد بن سليمان الكوفي عن أبيه قال: تزوج الفرزدق ظبية ابنة حالم من بني مجاشع بعد أن أسنّ، فضعف، وتركها عند أمها بالبادية سنة، ولم يكن صداقها عنده، فكتب إلى أبان بن الوليد البجلي - وهو على فارس عامل لخالد بن عبد الله القسري - فأعطاه ما سأل وأرضاه، فقال بمدحه:

فلو جمعوا من الخلان ألفا

فقالوا: أعطنا بهم أبانا

لقلت لهم: إذا لغبنتموني

وكيف أبيع من شرط الزمانا

خليل لا يرى المائة الصفايا

ولا الخيل الجياد ولا القيانا

عطاء دون أضعاف عليها

ويطعم ضيفه العبط السمانا

العبط: الإبل التي لا وجع بها.

فما أرجو لظبية غير ربي

وغير أبي الوليد بما أعانا

أعان بهجمة أرضت أباهما

وكانت عنده غلقاً رهانا

وقال أيضاً في ذلك:

لقد طال ما استودعت ظبية أمها

وهذا زمان رد فيه الودائع

وقال حين أراد أن يبني بها:

أبادر سؤالا بظبية أنني

أنتني بها الأهوال من كل جانب

بمائلة الحجلين لو أن ميتاً

ولو كان في الأموات تحت النصاب

دعته لألقى التراب عند انتفاضه

ولو كان تحت الراسيات الرواسب

فلما ابتنى منها عجز عنها فقال:

يالهدف نفسي على نعظ فجعت به

حين التقى الركب المحلوق والركب

وقال جرير:

وتقول ظبية إذ رأتك محوقلاً

حوق الحمار من الخبال الخابل

شيخ يعطل عرسه بالباطل

إن البلية وهي كل بلية

لنجوت منه بالقضاء الفاصل

لو قد علقت من المهاجر سلما

قال: فنشزت فيه، ونافرته إلى المهاجر، وبلغه قول جرير فقال المهاجر: لو أتتني بالملائكة معها لقصيت للفرزدق عليها.

يشيد بابتنه مكية وأمها الزنجية: قال: وكان للفرزدق ابنة يقال لها مكية، وكانت زنجية، وكان إذا حمي الوطيس، وبلغ منه الهجاء يكتنى بها، ويقول:

بدارمي أمه ضبية

ذاكم إذا ما كنت محمية

صمحمح يكنى أبا مكية

وقال في أمها:

تحمل تتوراً شديداً الوهج

يارب خود من بنات الزنج

يزداد طيباً عند طول الهرج

أقعب مثل القدح الخلنج

مخجتها بالأبير أي مخج

فقال له النوار: ريحها مثل ريحك.

وقال في أم مكية يخاطب النوار:

فكسرى كان خيراً من عقال

فإن يك خالها من آل كسرى

وأصبر عند مختلف العوالي

وأكثر جزية تهدي إليه

قال: وكانت أم النوار خراسانية، فقال لها في أم مكية:

علت لونها إن البجادي أحمر

أغزك منها أدمة عربية

يمدح سعيداً فيغضب مروان: حدثني محمد بن الحسن بن دريد قال: حدثنا السكن بن سعيد، عن محمد بن عباد، عن ابن الكلبي قال: دخل الفرزدق على سعيد بن العاص وهو والي المدينة لمعاوية فأنشده:

إذا ما الخطب في الحدثن غالاً

نرى الغرّ الجحاح من قریش

كأنهم يرون به هلالاً

وقوفاً ينظرون إلى سعيد

وعنده كعب بن جعيل، فلما فرغ من إنشاده قال كعب: هذه والله رؤياي البارحة، رأيت كأن ابن مرة في نواحي المدينة وأنا أضمر ذلالي خوفاً منه، فلما خرج الفرزدق خرج مروان في أثره فقال: لم ترض أن نكون قعوداً حتى جعلتنا قياماً في قولك:

كأنهم يرون به هلالاً

قياماً ينظرون إلى سعيد

فقال له: يا أبا عبد الملك إنك من بينهم صافن، فحقد عليه مروان ذلك، ولم تطل الأيام حتى عزل سعيد، وولي مروان فلم يجد على الفرزدق متقدماً حتى قال قصيدته التي قال فيها:

هما دلتاني من ثمانين قامة      كما انقض باز أقتم الريش كاسره

فلما استتوت رجلاي في الأرض      أحي يرجى أم قتيل نحاذره  
قالتا

فقلت: ارفعا الأمراس لا يشعروا بنا      وأقبلت في أعقاب ليل أبادره

أبادر بوابين لم يشعروا بنا      وأحمر من ساج تلوح مسامره

فقال له مروان: أتقول هذا بين أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم، أخرج عن المدينة فذلك قول جرير:

تدليت تزني من ثمانين قامة      وقصرت عن باع الندى والمكارم

أخبرنا ابن دريد، قال: أخبرنا الرياشي، عن محمد بن سلام، قال: رواية أخرى للخير السابق: دخل الفرزدق المدينة هارباً من زياد، وعليها سعيد بن العاص بن أمية بن عبد شمس أميراً من قبل معاوية، فدخل على سعيد، ومثل بين يديه، وهو معتم، وفي مجلس سعيد الحطيئة وكعب بن جعيل التغلبي، وصاح الفرزدق: أصلح الله الأمير، أنا عائد بالله وبك، أنا رجل من تميم، ثم أحد بني دارم، أنا الفرزدق بن غالب، قال: فأطرق سعيد ملياً، فلم يجبه، فقال الفرزدق: رجل لم يصب دماً حراماً، ولا مالاً حراماً، فقال سعيد: إن كنت كذلك فقد أمنت، فأنشده:

إليك فررت منك ومن زياد      ولم أحسب دمي لكما حلالا

ولكني هجوت وقد هجاني      معاشر قد رضخت لهم سجالا

فإن يكن الهجاء أحل قتلي      فقد قلنا لشاعرهم وقالوا

أرقت فلم أنم ليلاً طويلاً      أراقب هل أرى النسرين زالا

فإن بني أمية في قريش      بنوا للبيوتهم عمداً طوالا

ترى الغر الجاحج من قريش      إذا ما الأمر في الحدثن غالا

قياما ينظرون إلى سعيد      كأنهم يرون به هلالا

قال: فلما قال هذا البيت، قال الحطيئة لسعيد: هذا والله الشعر، لا ما كنت تعلل به منذ اليوم، فقال كعب بن جعيل: فضلت على نفسك، فلا تفضله على غيرك، قال: بلى والله إنه ليفضلي وغيري، يا غلام، أدركت من قبلك، وسقت من بعدك، ولئن طال عمرك لتبرزن.

ثم عبث الحطيئة بالفرزدق، فقال: يا غلام، أنجذت أمك؟ قال: لا بل أبي، أراد الحطيئة: إن كانت أمك أنجذت

فقد أصبتها فولدتك إذ شاهتني في الشعر، فقال الفرزدق: لا بل أبي، فوجده لقنا.  
بينه وبين مخنث: أخبرني ابن دريد عن الرياشي، عن النضر بن شميل قال: قال جرير: ما قال لي ابن القين بيتاً إلا  
وقد اكتفأته، أي قلبته إلا قوله:

حتى يرد إلى عطية تعتل

ليس الكرام بناحليك أباهم

فإني لا أدري كيف أقول فيها.

جرير يلقبه بالعزيز: وأخبرني ابن دريد قال: حدثنا السكن بن سعيد، عن محمد بن عباد، عن ابن الكلبي، عن  
عوانة بن الحكم، قال: بينما جرير واقف في المربد وقد ركبته الناس وعمر بن لجأ موافقه فأنشده عمر جواب  
قوله:

لا يقذفنكم في سواة عمر

يا تيم تيم عدي لا أبا لكم

وخاطرت بي عن أحسابها مضر

أحين صرتُ ساماً يا بني لجأ

فقال عمر جواب هذا:

ما خاطرت بك عن أحسابها مضر

لقد كذبت وشر القول أكذبه

لا يسبق الحلبات اللؤم والخور

ألست نزوة خوار على أمة؟

وقد كان الفرزدق رفده بهذين البيتين في هذه القصيدة، فقال جرير لما سمعها: قبلاً لك يا بن لجأ، أهذا شعرك،  
كذبت والله ولو مت، هذا شعر حنظلي، هذا شعر العزيز يعني الفرزدق فأبلس عمر فما رد جواباً.  
يلقب جريراً بالقرم: وخرج غنيم بن أبي الرقراق حتى أتى الفرزدق، فضحك، وقال: إيه يا بن أبي الرقراق، وإن  
عندك لخيراً، قلت: حزني أخوك ابن قتيب، فحدثته، فضحك، حتى فحص برجليه، ثم قال في ساعته:

أخا التيم إلا كالوشيفة في العظم

وما أنت إن قرما تميم تساميا

ظلمت ولكن لا يدي لك بالظلم

فلو كنت مولى الظلم أو في ثيابه

فلما بلغ هذان البيتان جريراً قال: ما أنصفني في شعر قط قبل هذا يعني قوله:

...إن قرما تميم تساميا

يغتصب شعر الشعراء: أخبرنا ابن دريد قال: أخبرنا الرياشي قال: كان الفرزدق مهيباً تخافه الشعراء، فمر يوماً  
بالشمردل، وهو ينشد قصيدته حتى بلغ إلى قوله:

وبين تميم غير حز الغلاصم

وما بين من لم يعط سمعاً وطاعة

قال: والله لتتركن هذا البيت أو لتتركن عرضك، قال: حذه على كره مني، فهو في قصيدة الفرزدق التي أولها قوله:

### نحن بزوراء المدينة ناقتي

قال: وكان الفرزدق يقول: خير السرقة ما لا يجب فيه القطع يعني سرقة الشعر. أخبرنا ابن دريد عن أبي حاتم، عن أبي عبيدة، عن الضحاك بن بهلول الفقيمي قال: بينما أنا بكازمة وذو الرمة ينشد قصيدته التي يقول فيها:

### أحين أعادت بي تميم نساءها وجردت تجريد اليماني من الغمد

إذا راكبان قد تدليا من نعف كازمة متقنعان، فوقفا، فلما وفرغ ذو الرمة حسر الفرزدق عن وجهه، وقال: يا عبيد، اضممها إليك - يعني راويته - وهو عبيد أخو بني ربيعة ابن حنظلة، فقال ذو الرمة: نشدتك الله يا أبا فراس إن فعلت، قال: دع ذا عنك، فانتحلها في قصيدته وهي أربعة أبيات:

أحين أعادت بي تميم نساءها  
ومدت بضبعي الرباب ومالك  
وعمرو، وشالت من ورائي بنو سعد  
ومن آل يربوع زهاء كأنه  
دجى الليل محمود النكاية والورد  
وكنا إذا الجبار صعر خده  
ووجدت تجريد اليماني من الغمد  
ضربناه فوق الأثنيين على الكرد

يجوز السبق في الفخر: أخبرنا ابن دريد قال: أخبرنا أبو حاتم، عن أبي عبيدة قال: اجتمع الفرزدق، وجرير وكثير وابن الرقاع عن سليمان بن عبد الملك، فقال: أنشدونا من فخركم شيئاً حسناً، فبدرهم الفرزدق، فقال:

وما قوم إذا العلماء عدت  
بمختلفين إن فضلتمونا  
عروق الأكرمين إلى التراب  
ولو رفع الحساب إليه قوماً  
عليهم في القديم ولا غضاب  
علونا في السماء إلى السحاب

فقال سليمان: لا تنطقوا، فوالله ما ترك لكم مقالاً.

يتعصب لابنته مكية: أخبرنا عبد الله بن مالك قال: حدثنا محمد بن عمران الضبي، عن سليمان بن أبي سليمان الجوزجاني قال: غاب الفرزدق فكتبت النوار تشكو إليه مكية وكتب إليه أهله يشكون سوء خلقها وتبذيرها عليهم فكتب إليهم:

كتبتم عليها أنها ظلمتكم  
فإلا تعدوا أنها من نساتكم  
كذبتم وبيت الله بل تظلمونها  
وإن لها أعمام صدق وأخوة  
فإن ابن ليلي والد لا يشينها  
وشيحاً إذا شاعت تنمر دونها

يعقه ابنه: قال: وكان للفرزدق ثلاثة أولاد يقال لواحد منه لَبْطَة، والآخر حَبْطَة، والثالث، سبْطَة، وكان لَبْطَة من العققة فقال له الفرزدق:

أين أُرعشت كفا أبيك وأصبحت  
إذا غالب ابن بالشباب أباً له  
رأيت تباشير العقوق هي التي  
ولما رأني قد كبرت وأنني  
أصاخ لغربان النجوي وإنه  
لأزور عن بعض المقالة جانبه  
يداك يدي ليث فإنك جادبه  
كبيراً فإن الله لا بد غالبه  
من ابن امرئ ما إن يزال يعاتبه  
أخو الحي واستغنى عن المسح شاربه  
لأزور عن بعض المقالة جانبه

قال أبو عبيدة في "كتاب النقائض": قال رؤبة بن العجاج: حج سليمان بن عبد الملك، وحجت معه الشعراء، فمر بالمدينة منصرفاً، فأتي بأسرى من الروم نحو أربعمائة، فقعده سليمان، وعند عبد الله بن حسن بن حسن - عليهم السلام - وعليه ثوبان ممصران، وهو أفرجهم منه مجلساً، فأدنوا إليه بطريقهم، وهو في جامعة، فقال لعبد الله بن حسن: قم، فاضرب عنقه فقام، فما أعطاه أحد سيفاً، حتى دفع إليه حرسى سيفاً كليلاً، فضربه، فأبان عنقه وذراعه، وأطن ساعده وبعض الغل، فقال له سليمان: والله ما ضربته بسيفك ولكن بحسبك، وجعل يدفع الأسرى إلى الوجوه، فيقتلوهم، حتى دفع إلى جرير رجلاً منهم، فدست إليه بنو عبس سيفاً قاطعاً في قراب أبيض، فضربه، فأبان رأسه، ودفع إلى الفرزدق أسير، فدست إليه القيسيّة سيفاً كليلاً، فضرب به الأسير ضربات، فلم يصنع شيئاً، فضحك سليمان وضحك الناس معه. وقيل: إن سليمان لما دفع إليه الأسير دفع إليه سيفاً، وقال اقتله به، فقال: لا، بل أقتله بسيف مجاشع، واخترط سيفه، فضربه، فلم يغن شيئاً، فقال سليمان: أما والله لقد بقى عليك عارها وشنارها، فقال جرير قصيدته التي يهجوها فيها، وأولها:

ألاحي ربح المنزل المتقادم  
وما حل مذ حلت به أم سالم

منها:

ألم تشهد الجونين والشعب ذا الغضى  
تعرض يا بن القين قيساً ليجعلوا  
بسيف أبي رغو ان سيف مجاشع  
ضربت به عند الإمام فأرعشت  
يداك وقالوا: محدث غير صارم  
ضربت ولم تضرب بسيف ابن ظالم

فقال الفرزدق يجيب جريراً عن قوله:

وهل ضربة الرومي جاعلة لكم  
أباً عن كليب أو أباً مثل دارم

وتقطع أحياناً مناط التمام

كذاك سيوف الهند تنبو ظباتها

إذا أثقل الأعناق حمل المغارم

ولا نقتل الأسرى ولكن نفكهم

وقال يعرض بسليمان، ويعيره نبو سيف ورفاء بن زهير العبسي عن خالد بن جعفر، وبنو عبس هم أحوال سليمان:

بتعجيل نفس حتقها غير شاهد

فإن يك سيف خان أو قدر أبي

نبا بيدي ورقاء عن رأس خالد

فسيف بني عبس وقد ضربوا به

وتقطع أحياناً مناط القلائد

كذاك سيوف الهند تنبو ظباتها

وأولها:

ضربت بها بين الطلا والمحارد

تباشر يربوع بنبوة ضربة

إلى علق بين الحجابين جامد

ولو شئت قد السيف ما بين عنقه

وقيل: إن الفرزدق قال لسليمان: يا أمير المؤمنين، هب لي هذا الأسير، فوهبه له، فأعتقه، وقال الأبيات التي منها:

إذا أثقل الأعناق حمل المغارم

ولا نقتل الأسرى ولكن نفكهم

ثم أقبل على روايته، فقال: كأني بابن المراغة، وقد بلغه خبري، فقال:

ضربت ولم تضرب بسيف ابن ظالم

بسيف أبي رغوان سيف مجاشع

يداك وقالوا محدث غير صارم

ضربت به عند الإمام فأرعثت

فما لبثنا إلا أياماً يسيرة، حتى جاءتنا القصيدة، وفيها البيتان، فعجبنا من فطنة الفرزدق: وقال أيضاً في ذلك:

خليفة الله يستسقى به المطر

أعجب الناس أن أضحكت خيرهم

عند الإمام ولكن آخر القدر

فما نبا السيف عن جبن وعن دهش

لخر جثمانه ما فوقه شعر

ولو ضربت به عمداً مقلده

جمع اليمين ولا الصمصامة الذكر

وما يقدم نفساً قبل ميئتها

من شعره في سجنه: وأخبرني عبد الله بن مالك قال: حدثنا محمد بن حبيب، عن أبي عبيدة، قال: هجا الفرزدق خالداً القسري وذكر المبارك: النهر الذي حفره بواسط، فبلغه ذلك، وكتب خالد إلى مالك بن المنذر أن احبس الفرزدق فإنه هجا نهر أمير المؤمنين بقوله:

على نهرك المشؤوم غير المبارك

وأهلكت مال الله في غير حقه

الأيام، فأرسل مالك إلى أيوب بن عيسى الضبي، فقال: اتني بالفرزدق، فلم يزل يعمل فيه حتى أخذه، فطلب إليهم أن يمروا به على بني حنيفة، فقال الفرزدق: مازلت أرجو أن أنجو حتى جاوزت بني حنيفة، فلما قيل لمالك: هذا الفرزدق انتفخ وريد مالك غضباً، فلما أدخل عليه قال:

أقول لنفسي حين غصت بريقها  
ألا ليت شعري مالها عند مالك؟  
لها عنده أن يرجع الله روحها  
إليها وتتجو من جميع المهالك  
وأنت ابن حباري ربيعة أدركت  
بك الشمس والخضراء ذات الحبائك  
فسكن مالك، وأمر به إلى السجن، فقال يهجو أيوب بن عيسى الضبي:

فلو كنت قيسياً إذا ما حبستني  
ولكن زنجياً غليظاً مشافره  
متت له بالرحم بيني وبينه  
فألقيته مني بعيداً أو اصره  
وقلت: امرؤ من آل ضبة فاعتزى  
لغيرهم لون استه ومحاجره  
فسوف يرى النوبي ما اجترحت له  
يداه إذا ما الشعر عينت نوافره  
ستلقي عليك الخنفساء إذا فست  
عليك من الشعر الذي أنت حاذره  
وتأتي ابن زب الخنفساء قصيدة  
تكون له مني عذاباً مباشره  
تعذرت يا بن الخنفساء ولم تكن  
لتقبل لابن الخنفساء معاذره  
فإنكما يا بني يسار نزوتما  
على ثفرها ما حن للزيت عاصره  
لزنجية بظراء شقق بظرها  
زحير بأيوب شديد زوافره

ثم مدح خالد بن عبد الله ومالك بن المنذر وهو محبوس مديحاً كثيراً، فأنشدني يونس في كلمة له طويلة.

يا مال هل هو مهلكي ما لم أقل  
وليعلمن من القصائد قبلي  
يا مال هل لك في كبير قد أنت  
تسعون فوق يديه غير قليل  
فتجير ناصيتي وتفرج كربتي  
عني وتطلق لي يداك كبولي  
ولقد بنى لكم المعلى ذروة  
رفعت بناءك في أشم طويل  
والخيل تعلم في جذيمة أنها  
تردى بكل سميدع بهلول  
فاسقوا فقد ملأ المعلى حوضكم  
بذنوب ملتهم الرباب سجيل

وقال يمدح مالكا وكانت أم مالك هذا بنت مالك بن مسمع:

وقرم بين أولاد المعلى  
وأولاد المسامعة الكرام  
تخبط في ربيعة بين بكر  
وعبد القيس في الحسب اللهم

فلما لم تنفعه مديحة مالك، قال بمدح هشام بن عبد الملك، ويعتذر إليه:

ألكني إلى راعي البرية والذي له  
العدل في الأرض العريضة نورا  
فإن تتكروا شعري إذا خرجت له  
بوادر لو يرمى بها لتفقرا  
ثبير ولو مست حراء لحركت  
به الراسيات الصم حتى تكورا  
إذا قال غاو من معد قصيدة  
بها حرب كانت وبالاً مدمرا  
أينطقها غيري وأرمى بجرمها  
فكيف ألوم الدهر أن يتغيرا  
لئن صبرت نفسي لقد أمرت به  
وخير عباد الله من كان أصبرا  
وكننت ابن أذار ولو كنت خائفاً  
لكننت من العصماء في الطود أحررا  
ولكن أتوني آمناً لا أخافهم  
نهاراً وكان الله ما شاء قدراً

أخبرني أبو خليفة، عن محمد بن سلام قال: حدثني أبو يحيى قال: قال الفرزدق لابنه لبطة وهو محبوس اشخص إلى هشام، وأمدحه بقصيدة، وقال: استعن بالقيسية، ولا يمنعك قولي فيهم فإنهم سيغضبون لك وقال:

بكت عين محزون ففاض سجامها  
وطالت ليالي ساهر لا ينامها  
فإن تبك لا تبك المصيبات إذ أتى  
بها الدهر والأيام جم خصامها  
ولكنما تبكي تهتك خالد  
محارم منا لا يحل حرامها  
فقل لبني مروان: ما بال ذمة  
وحرمة حق ليس يرعى ذمامها  
أنقتل فيكم أن قتلنا عدوكم  
على دينكم والحرب باق قتامها  
أتاك بقتل ابن المهل خالد  
وفينا بقيات الهدى وإمامها  
فغير أمير المؤمنين فإنها  
يمانية حمقاء وأنت هشامها

أرى مضر المضرين قد ذلك نصرها  
ولكن عسى أن لا يذل شامها  
فمن مبلغ بالشام قيساً وخذفاً  
أحاديث ما يشفى ببراء سقامها  
أحاديث منا نشتكها إليهم  
ومظلمة يغشى الوجوه قتامها  
فإن من بها لم ينكر الضيم منهم  
فيغضب منها كهلها وغلافها

نمت مثلها من مثلهم وتكلموا  
بغلباء من جمهورنا مضرية  
وبيض على هام الرجال كأنها  
غضبنا لكم يا آل مروان فاغضبوا  
ولا تقطعوا الأرحام منا فإنها  
ألم تك في الأرحام منا ومنكم  
فترعى قریش من تمیم قرابة  
لقد علمت أبناء خندف أننا  
وقد علم الأحياء من كل موطن  
وأنا إذا الحرب العوان تضمرت  
قوام قوى الإسلام والأمر كله  
تميم التي تخشى معد وغيرها  
إلى الله تشكو عزنا الأرض فوقها  
شكنتنا إلى الله العزيز فأسمعت  
نصول بحول الله في الأمر كله

فأعانتة القيسية وقالوا: كلما كان ناب من مضر أو شاعر أو سيد وثب عليه خالد.

وقال الفرزدق أبيتاً كتب بها إلى سيد بن الوليد الأبرش وكلم له هشاماً:

إلى الأبرش الكلبي أسندت حاجة  
على حين أن زلت بي النعل زلة  
فدونكها يا بن الوليد فإنها  
ودونكها يا بن الوليد فقم بها  
فكلم هشاماً وأمر بتخليته فقال يمدح الأبرش:  
لقد وثب الكلبي وثبة حازم  
إلى خير أبناء الخليفة لم يجد

تواكلها حيا تميم ووائل  
فأخف ظني كل حاف وناعل  
مفضلة أصحابها في المحافل  
فقام امرئ في قومه غير خامل  
إلى خير خلق الله نفساً وعنصراً  
لحاجته من دونها متأخراً

كما سنت الآباء أن يتغيرا

أبى حلف كلب في تميم وعقدها

وكان هذا الحلف حلفاً قديماً بين تميم و كلب في الجاهلية، وذلك قول جرير بن الخطمي في الحلف:

أحق وأدنى من صداء وحميرا

تميم إلى كلب و كلب إليهم

وقال الفرزدق:

حبال أمرت من تميم ومن كلب

أشد حبال بين حيين مرة

ولو أصبحت تغلي القدور من الحرب

وليس قضاعي لدينا بخائف

وقال أيضاً:

لنصري وحاطتني هناك قرومها

ألم تر قيساً قيس عيلان شمرت

تميماً فهم منها ومنها تميمها

فقد حالفت قيس على النأي كلهم

وقومي إذا ما الناس عد صميمها

وعادت عدوي إن قيساً لأسرتي

شرطيان يعبثان به: أخبرني ابن دريد: قال حدثني أبو حاتم، عن أبي عبيدة، قال: بينما الفرزدق جالس بالبصرة أيام زياد في سكة ليس لها منفذ إذ مر به رجلان من قومه كانا في الشرطة وهما راكبان، فقال أحدهما لصاحبه: هل لك أن أفرعه - وكان جباناً - فحركا دابتيهما نحوه فأدير موليا فعثر من طرف برده فشقه، وانقطع شسع نعله، وانصرفا عنه، وعرف أهما هزئاً منه فقال:

ضرار الخنا والعنبري بن أخوقا

لقد خار إذ يجري علي حماره

بأميكما عربانتين لأفرقا

وما كنت لو خوفتماني كلاكما

إذا ما صادف القرن مزقا

ولكنما خوفتم اني بخادر شتيم

حديثه مع توبة و ليلي الأخيلىة:

أخبرني عبد الله بن مالك، قال: حدثنا محمد بن موسى، قال: حدثنا القحذمي عن بعض ولد قتيبة بن مسلم عن ابن زالان المازني، قال: حدثني الفرزدق، قال: لما طردني زياد أتيت المدينة وعليها مروان بن الحكم، فبلغه أبي خرجت من دار ابن صياد، وهو رجل يزعم أهل المدينة أنه الدجال، فليس يكلمه أحد، ولا يجالسه أحد، ولم أكن عرفت خبره، فأرسل إلي مروان فقال: أتدري ما مثلك؟ حديث تحدث به العرب: أن ضبعاً مرت بجي قوم، وقد رحلوا، فوجدت مرآة، فنظرت وجهها فيها، فلما نظرت قبح وجهها ألقته، وقالت: من شر ما أطرحك أهلك، ولكن من شر ما اطرحك أميرك، فلا تقيمن بالمدينة بعد ثلاثة أيام، قال: فخرجت أريد اليمن، حتى إذا صرت بأعلى ذي قسي - وهو طريق اليمن من البصرة - فإذا رجل مقبل، فقلت: من أين أوضع الراكب؟ قال:

من البصرة، قلت: فما الخبر وراءك؟ قال: أتنا أن زياداً مات بالكوفة، قال: فتزلت عن راحلي، فسجدت، وقلت: لو رجعت، فمدحت عبيد الله بن زياد، وهجوت مروان بن الحكم، فقلت:

**أمتل في مروان وابن زياد**

**وقفت بأعلى ذي قسي مطيتي**

**وأدناهما من رافة وسداد**

**فقلت: عبيد الله خيرهما لنا**

ومضيت لوجهي، حتى وطئت بلاد بني عقيل فوردت ما بين مياهم فإذا بيت عظيم وإذا فيه امرأة سافرة لم أر كحسنها وهيبتها قط، فدنوت، فقلت: أتأذنين في الظل؟ قالت: أنزل فلك الظل والقرى، فأنخت، وجلست إليها، قال: فدعت جارية لها سوداء كالراعية، فقالت: أطفيه شيئاً واسعاً إلى الراعي، فردي علي شاة، فاذبيحها له، وأخرجت إلي تمرأ وزبدأ، قال: وحادثتها فوالله ما رأيت مثلها قط، ما أنشدتها شعراً إلا أنشدتني أحسن منه، قال: فأعجبني المجلس والحديث إذ أقبل رجل بين بردين، فلما رأته رمت برقعها على وجهها، وجلس وأقبلت عليه بوجهها وحديثها، فدخلني من ذلك غيظ، فقلت للحين: هل لك في الصراع؟ فقال: سواء لك، إن الرجل لا يصارع ضيفه، قال: فألححت عليه، فقالت له: ما عليك لو لاعبت ابن عمك؟ فقام، وقمت، فلما رمى ببرده، إذا خلق عجيب، فقلت: هلكت ورب الكعبة، فقبض على يدي، ثم اختلجني إليه، فصرت في صدره، ثم حملني، قال: فوالله ما اتقيت الأرض إلا بظهر كبدي وجلس على صدري، فما ملكت نفسي أن ضرطت ضرطة منكرة، قال: وثررت إلى جملي فقال: أنشدك الله، فقالت المرأة: عافاك الله الظل والقرى، فقلت: أحزى الله ظلكم وقراكم، ومضيت، فبينما أسير إذ لحقني الفتى على نجيب يجنب بختياً برحله وزمامه، وكان رحله من أحسن الرجال، فقال: يا هذا، والله ما سرتي ما كان، وقد أراك أبدعت أي كلت ركائبك، فنخذ هذا النجيب، وإياك أن تُخدع عنه، فقد والله أعطيتُ به مائتي دينار قلت: نعم آخذه، ولكن أخبرني من أنت؟ ومن هذه المرأة؟ قال: أنا توبة بن الحمير، وتلك ليلى الأخيلية، وقد أخبرني بهذا الخبر عمي. رواية أخرى في الخبر السابق: قال: حدثني القاسم بن محمد الأنباري، قال: حدثني أحمد بن عبيد، عن الأصمعي، قال: كانت امرأة من عقيل يقال لها ليلى، يتحدث إليها الشباب، فدخل الفرزدق إليها، فجعل يجادتها، وأقبل فتى من قومها، كانت تألفه، ودخل إليها فأقبلت عليه بمحدثها، وتركت الفرزدق، فغاضه ذلك، فقال للرجل: أتصارعني؟ قال: ذلك إليك، فقام إليه الرجل فلم يلبث أن أخذ الفرزدق مثل الكرة فصرعه، وجلس على صدره، فضرط الفرزدق، فوثب عنه الرجل خجلاً، وقال له الرجل: يا أبا فراس، هذا مقام العائذ بك، والله ما أردت بك ما جرى، فقال: ويحك، ما بي أن صرعتني، ولكن كأني بابن الأتان جرير، وقد بلغه خبري هذا، فقال يهجوني:

**فخانك دبر لايزال يخون**

**جلست إلى ليلى لتحظى بقربها**

**كما شد خرتاً للداص قيون**

**فلو كنت ذا حزم شددت وكاءها**

قالوا: فوالله ما مضت أيام حتى بلغ جريراً الخبر، فقال فيه هذين البيتين.  
يقضي يوماً كيوم دارة جلجل:

أخبرنا عبد الله بن مالك، قال: حدثني محمد بن موسى، قال: حدثني القحذمي، قال: حدثني بعض أصحابنا، عن عبد الله بن زالان التميمي راوية الفرزدق، أن الفرزدق قال: أصابنا بالبصرة مطر جود ليلاً، فإذا أنا بأثر دواب قد خرجت ناحية البرية، فظننت قوماً قد خرجوا لترهه، فقلت: خليق أن تكون معهم سفرة وشراب. فقصصت أثرهم، حتى وقفت إلى بغال عليها رحائل موقوفة على غدير، فأغذذت السير نحو الغدير، فإذا نسوة مستنقعات في الماء، فقلت: لم أر كاليوم قط، ولا يوم دارة جلجل، وانصرفت مستحياً منهن، فنادينني: بالله يا صاحب البغلة، ارجع نسألك عن شيء، فانصرفت إليهن، وهن في الماء إلى حلوقهن، فقلن: بالله إلا ما خبرتنا بحديث دارة جلجل، فقلت: إن امرأ القيس كان عاشقاً لابنة عم له يقال لها عنيزة، فطلبها زماناً، فلم يصل إليها، وكان في طلب غرة من أهلها؛ ليزورها، فلم يقض له، حتى كان يوم الغدير، وهو يوم دارة جلجل، وذلك أن الحي احتملوا، فتقدم الرجال، وتخلف النساء والخدم والنقل، فلما رأى ذلك امرؤ القيس تخلف بعد ما سار مع قومه غلوة، فكمين في غيابة من الأرض، حتى مر به النساء فإذا فتيات، وفيهن عنيزة، فلما وردن الغدير قلن: لو نزلنا فذهب عنا بعض الكلال، فترلن إليه، ونحين العبيد عنهن، ثم تجردن فاغتمسن في الغدير، كهيتكن الساعة، فأتاهن امرؤ القيس محتالاً كنهو ما أتيتكن، وهن غوافل، فأخذ ثيابهن، فجمعها - ورمى الفرزدق بنفسه عن بقلته فأخذ بعض أثوابهن، فجمعها، ووضعها على صدره - وقال لهن كما أقول لكن: والله لا أعطي جارية منكن ثوبها، ولو أقامت في الغدير يومها، حتى تخرج مجردة، قال الفرزدق: فقالت إحداهن، وكانت أجمهن: ذلك كان عاشقاً لابنة عمه، أفعاشق أنت لبعضنا؟ قال: لا والله، ما أعشق منكن واحدة، ولكن أشتهيكن، قال: فنعرن، وصفقن بأيديهن، وقلن: خذ في حديثك، فلست منصرفاً إلا بما تحب، قال الفرزدق في حديث امرئ القيس: فتأين ذلك عليه حتى تعالى النهار، ثم خشين أن يقصرن دون المتزل الذي أردنه، فخرجت إحداهن، فوضع لها ثوبها ناحيه! فأخذته فلبسته، ثم تتابعن على ذلك حتى بقيت عنيزة، فناشدته الله أن يطرح إليها ثوبها، فقال: دعينا منك؛ فأنا حرام إن أخذت ثوبك إلا بيدك، فخرجت فنظر إليها مقبلة ومدبرة، فوضع لها ثوبها فأخذته، وأقبلن عليه يلمننه، ويعذلننه، ويقلن: عريتنا، وحبستنا، وجوعتنا، قال: فإن نحررت لكن مطيبي أتأكلن منها؟ قلن: نعم، فاحترط سيفه، فعقرها، ونحرها، وكشطها، وصاح بالخدم، فجمعوا له حطباً، فأجج ناراً عظيمة، ثم جعل يقطع لهن من سنامها وأطاييها وكبدها، فيلقياها على الجمر، فيأكلن، ويأكل معهن، ويشرب من ركوة كانت معه ويغنيهن، وينبذ إلى العبيد والخدم من الكباب، حتى شعبن، وطربن، فلما أراد الرحيل قالت إحداهن: أنا أحمل طنفسه، وقالت الأخرى: أنا أحمل رحله، وقالت الأخرى: أنا أحمل حشيته وأنساعه، فتقسمن متاع راحلته بينهن، وبقيت عنيزة لم يحملها شيئاً، فقال لها امرؤ القيس: يا بنة الكرام، لا بد لك أن

تحمليني معك؛ فإني لا أطيق المشي، وليس من عادي، فحملته على غارب بعيرها، فكان يدخل رأسه في صدرها، فيقبلها، فإذا امتنعت مال حدجها، فتقول: يا مرأ القيس، عقرت بعيري، فانزل، فذلك قوله:

**تقول وقد مال الغبيط بنا معاً: عقرت بعيري يا مرأ القيس فانزل**

فلما فرغ الفرزدق من الحديث قالت تلك الماجنة: قاتلك الله، ما أحسن حديثك يا فتى وأظرفك، فمن أنت؟ قال: قلت: من مضر، قالت: ومن أيها؟ فقلت: من تميم، قالت: ومن أيها؟ قلت: إلى ههنا انتهى الكلام، قالت: إخالك والله الفرزدق قلت: الفرزدق شاعر وأنا راوية، قالت: دعنا من توريتك على نسبك، أسألك بالله، أنت هو؟ قال: أنا هو والله، قالت: فإن كنت أنت هو فلا أحسبك مفارقاً ثيابنا إلا عن رضا، قلت: أجل، قالت: فاصرف وجهك عنا ساعة وهمست إلى صويحباتها بشيء لم أفهمه، فغططن في الماء، فتوارين، وأبدين رؤوسهن، وخرجن، ومع كل واحدة منهن ملء كفيها طيناً، وجعلن يتعادين نحوي، فضربن بذلك الطين والحماة وجهي، وملأن عيني وثيابي، فوقعت على وجهي، فصرت مشغولاً بعيني وما فيها، وشددن على ثيابهن، فأخذنهما، وركبت الماجنة بغلتي، وتركتني منبطحاً بأسوأ حال وأخوها وهي تقول: زعم الفتى أنه لا بد أن ينيكنا، فمازلت من ذلك المكان حتى غلست وجهي وثيابي، وجففتها، وانصرفت عند مجيء الظلام إلى منزلي على قدمي، وبغلتني قد وجهن بها إلى منزلي مع رسول لهن، وقلن: قل له تقول لك أخواتك: طلبت منا ما لم يمكننا، وقد وجهنا إليك بزوجتك، فنكها سائر ليلتك وهذا كسر درهم لحمام إذا أصبحت، فكان إذا حدث بهذا الحديث يقول: ما منيت بمثلهن.

يهجو من يرثي زياداً: أخبرني عبد الله بن مالك، قال: حدثنا أبو مسلم الحراني، قال: حدثني الأصمعي، قال: حدثنا العلاء بن أسلم، قال: لما مات زياد رثاه مسكين الدرامي، فقال الفرزدق:

**أمسكين أبكى الله عينيك إنما جرى في ضلال دمعها إذ تحذرا**

**بكيت امرأ من آل ميسان كافراً ككسرى على عدانه أو كقيصرا**

**أقول له لما أتاني نعيه به لا بطبي بالصريمة أعفرا**

يهجو ويمدح آل المهلب: أخبرنا عبد الله بن مالك، عن أبي مسلم الحراني، قال: حدثنا الأصمعي، قال: حدثنا العلاء بن أسلم، قال: لما أراد المهلب الخروج إلى الأزارقة لقي الفرزدق حريراً، فقال له: يا أبا فراس، هل لك أن تكلم المهلب، حتى يضع عني البحث، وأعطيك ألف درهم، فكلم المهلب، فأجابه فلامه جذيع، رجل من عشيرته، وشكا ذلك إلى يخرة امرأة المهلب وقال لها: لا يزال الآن الرجل يجيء فيسأل في عشيرته وصديقه، فلامته خيرة بنت ضمرة القشيرية، فقال المهلب: إنما اشتريت عرضي منه، فبلغ ذلك الفرزدق، فقال يهجو جذيعاً.

**إن تبني دارك يا جذيع فما بنى لك يا جذيع أبوك من بنيان**

خصيبه فوق بنائق التبان  
في البحر معتمداً على السكان  
تمحو مخازيك التي بعمان

وأبوك ملتزم السفينة عاقد  
ويظل يدفع باسته متقاعساً  
لا تحسبن دراهماً جمعتها

وقال يهجو خيرة:

كقشر عصا المنقح من معال  
بسهم في اليمين ولا الشمال  
من الخيلاء منتفشي السبال

ألا قشر الإله بني قشير  
أرى رهطاً لخيرة لم يؤوبوا  
إذا رهزت رأيت بني قشير

فغضب بنو المهلب لما هجا جذيعاً وخيرة، فنالوا منه، فهجاهم، فقال:

يرى بلبانة أثر الزيار  
يقود الساج بالمسد المغار  
دليل الليل في الجج الغمار  
ولكن يسجدون لكل نار

وكائن للمهلب من نسيب  
بخارك لم يقدر فرساً ولكن  
عمي بالتنائف حين يصحي  
وما لله يسجد إذ يصلي

فلما ولي يزيد بن المهلب خراسان والعراق بعد أبيه - وولاه سليمان بن عبد الملك - خاف الفرزدق من بني المهلب، فقال يمدحهم:

غراء قاهرة على الأشعار  
تجلو العمى وتضيء ليل الساري  
وخلاتقا كتنفق الأنهار  
وحيا الربيع ومعقل الفرار  
خضع الرقاب نواكس الأبصار  
ودنا فأدرك خمسة الأشبار  
كفالك خير خلانق الأخيار

فلأمدحن بني المهلب مدحة  
مثل النجوم أمامها قمرأوها  
ورثوا الطعان عن المهلب والقرى  
كان المهلب للعراق وقاية  
وإذا الرجال رأوا يزيد رأيتهم  
ما زال مذهب الإزار بكفه  
أيزيد إنك للمهلب أدركت

يخشى بأس يزيد بن المهلب: أبحرنا عبد الله بن مالك، قال: حدثنا محمد بن حبيب، قال: حدثني الأصمعي، قال: لما قدم يزيد بن المهلب واسطاً قال لأمية بن الجعد - وكان صديق الفرزدق: إني لأحب أن تأتيني بالفرزدق، فقال للفرزدق: ماذا فاتك من يزيد أعظم الناس عفواً، وأسخرى الناس كفاً، قال: صدقت، ولكن أخشى أن آتية

فأجد العمانية ببابه فيقوم إلي رجل منهم فيقول: هذا الفرزدق الذي هجانا، فيضرب عنقي، فيبعث إليه يزيد، فيضرب عنقه، ويبعث إلى أهلي ديني، فإذا يزيد قد صار أوفى العرب، وإذا الفرزدق فيما بين ذلك قد ذهب، قال: لا والله لا أفعل، فأخبر يزيد بما قال، فقال: أما إذ قد وقع هذا بنفسه فدعه لعنه الله.

ماجن يريد أن يترو عليه: قال ابن حبيب: وحدثنا يعقوب بن محمد الزهري عن أبيه عن جده قال: دخل الفرزدق مع فتیان من آل المهلب في بركة يتبردون فيها، ومعهم ابن أبي علقمة الماجن، فجعل يتفلى إلى الفرزدق، فيقول: دعوني أنكحه، حتى لا يهجوناً أبداً، وكان الفرزدق من أجبن الناس، فجعل يستغيث، ويقول: ويلكم! لا يمس جلده جلدي، فيبلغ ذلك جريراً، فيوجب علي أنه قد كان منه الذي يقول، فلم يزل يناشدهم حتى كفوه عنه.

يفخر بالمضربة أمام حاكم يمني: أخبرني عبيد الله قال: حدثني محمد بن حبيب قال: حدثني موسى بن طلحة قال: لما ولي خالد بن عبد الله العراق، فقدمها وكان من أشد خلق الله عصبية على نزال فقال لبطة بن الفرزدق: فلبس أبي من صالح ثيابه؛ وخرج يريد السلام عليه، فقلت له: يا أبت، إن هذا الرجل يمني، وفيه من العصبية ما قد علمت، فلو دخلت إليه فأنشدته مدائحك أهل اليمن لعل الله أن يأتيك منه بخير، فإنك قد كبرت على الرحلة، فجعل لا يرد علي شيئاً؛ حتى دفعنا إلى البواب؛ فأذن له؛ فدخل؛ وسلم؛ فاستجلسه؛ ثم قال: إيه يا أبا فراس، أنشدنا مما أحدثت، فأنشدته:

يختلف الناس ما لم نجتمع لهم	ولا خلاف إذا ما أجمعت مضر
فينا الكواهل والأعناق تقدمها	فيها الرؤوس وفيها السمع والبصر
ولا نحالف غير الله من أحد	إلا السيوف إذا ما اغرورق النظر
ومن يمل يمل المأثور قلته	بحيث يلقي حافي رأسه الشعر
أما الملوك فإننا لا نلين لهم	حتى يلين لضرس الماضغ الحجر

ثم قام، فخرجنا، قلت: أهكذا أوصيتك؟ قال: اسكت، لا أم لك فما كنت قط أملاً لقلبه مني الساعة.

يفحم المنذر بن الجارود: أخبرني عبد الله: قال حدثني محمد بن حبيب، عن موسى بن طلحة قال: كان الفرزدق في حلقة في المسجد الجامع، وفيها المنذر بن الجارود العبدي، فقال المنذر: من الذي يقول:

وجدنا في كتاب بني تميم	أحق الخيل بالركض المعار
فقال الفرزدق: يا أبا الحكم هو الذي يقول:	
أشارب قهوة وخدين زير	وعبدي لفسوته بخار
وجدنا الخيل في أبناء بكر	وأفضل خيلهم خشب وقار

قال: فحجل المنذر، حتى ما قدر على الكلام.

خليفة أموي يفضله ويصله: أخبرني عبد الله بن مالك: قال: حدثني محمد بن موسى قال: حدثنا الأصمعي قال: دخل الفرزدق على بعض خلفاء بني مروان ففاخره قوم من الشعراء فأنشأ يقول:

ما حملت ناقة من معشر رجلاً  
أعز قوماً وأوفى عند مكرمة  
مثلى إذا الريح لفتنتني على الكور  
لمعظم من دماء القوم مهجور  
فقال له: إيه، فقال:

إلا قريشاً فإن الله فضلها  
تلقى وجوه بني مروان تحسبها  
على البرية بالإسلام والخير  
عند اللقاء مشوقات الدنانير  
فضله عليهم، ووصله.

عيسى بن حصيلة يعينه على الفرار من زياد:

قال ابن حبيب: وكان الفرزدق يهاجي الأشهب بن رميلة النهشلي وبني فقيم، فأرث بهم، فاستعدوا عليه زياداً، فحدثني جابر بن جندل: قال: فأتى عيسى بن حصيلة بن مغيث بن نصر بن خالد السلمي ثم من بني بجز، فقال: يا أبا حصيلة، إن هذا الرجل قد أخافني؛ وقد لفظني جميع من كنت أرجو، قال: فمرحباً بك يا أبا فراس، فكان عنده ليالي، ثم قال: إني أريد أن ألحق بالشام، قال: إن أقيمت ففي الرحب والسعة، وإن شخصت فهذه ناقة أرحبية أمتعك بها، وألف درهم، فركب الناقة، وخرج من عنده ليلاً، فأرسل عيسى معه من أجازته من البيوت؛ فأصبح وقد جاوز مسيرة ثلاث، فقال بمدحه:

كفاني بها البهزي حملان من أبي  
فتى الجود عيسى والمكارم والعلأ  
ومن كان يا عيسى يؤنب ضيفه  
وقال: تعلم أنها أرحبية  
فأصبحت والملقى ورائي وحنبل  
تزاور في آل الحقيق كأنها  
رأت دون عينيها ثوية فانجلى  
من الناس، والجاني تخاف جرائمه  
إذا المال لم ينفع بخيلاً كرائمه  
فضيفك يا عيسى هنيء مطاعمه  
وأن لك الليل الذي أنت جاشمه  
وما صدرت حتى علا النجم عاتمه  
ظليم تبارى جنح ليل نعائمه  
لها الصبح عن صعل أسيل مخاطمه

وقال:

تداركني أسباب عيسى من الردى  
نمته النواصي من سليم إلى العلا  
ومن يك مولاه فليس بواحد  
وأعراق صدق بين نصر وخالد

سأنتني بما أوليتني وأربه  
فلما بلغ زياداً شخوصه أتبعه علي بن زهدم الفقيمي: أحد بني مؤلة فلم يلحقه فقال الفرزدق:

فإنك لو لاقيتني يا بن زهدم  
لأبت شعاعيا على غير تمثال  
يلجأ إلى بكر بن وائل: فأتى بكر بن وائل، فجاورهم، فأمن، فقال:

وقد مثلت أين المسير فلم تجد  
لعودتها كالحى بكر بن وائل  
وسارت إلى الأجفان خمسا فأصبحت  
مكان الثريا من يد المتناول  
وماضرها إذ جاورت في بلادها  
بني الحصن ما كان اختلاف القبائل

الحصن بن ثعلبة بن عكابة بن صعيب بن علي بن بكر بن وائل.

يأمن زياداً في حمى سعيد بن العاص: وهرب الفرزدق من زياد، فأتى سعيد بن العاص بن العاص بن أمية، وهو على المدينة لمعاوية بن أبي سفيان، فأمنه سعيد، فبلغ الفرزدق أن زياداً قال: لو أتاني أمنت، وأعطيته، فقال في كلمة له:

دعاني زياد للعطاء ولم أكن  
وعند زياد لو أراد عطاءهم  
قعود لدى الأبواب طلاب حاجة  
فلما خشيت أن يكون عطاؤه  
نميت إلى حرف أضربنيها  
فلما اطمأن عند سعيد بن العاص بالمدينة قال:

ألا من مبلغ عني زياداً  
بأنى قد فررت إلى سعيد  
فررت إليه من ليث هزبر  
فإن شئت انتميت إلى النصارى  
وإن شئت انتسبت إلى فقيم  
وأبغضهم إلي بنو فقيم

فأقام الفرزدق بالمدينة؛ فكان يدخل بها على القيان. فقال:

إذا شئت غناني من العاج قاصف  
على معصم ريان لم يتخذ

لبيضاء من أهل المدينة لم تعش  
وقامت تخشيني زياداً وأجفلت  
فقلت: دعيني من زياد فأبني  
أرى الموت وقاعاً على كل مرصد  
ببؤس ولم تتبع حمولة مجحد  
حوالي في بردي يمان ومجسد

بينه وبين مسكين الدارمي: فلما هلك زياد رثاه مسكين بن عامر بن شريح بن عمرو بن عدي بن عدس بن عبد الله بن دارم، فقال:

رأيت زيادة الإسلام ولت  
جهاراً حين فارقها زياد  
فبلغ ذلك الفرزدق، فقال:

أمسكين أبكى الله عينيك إنما  
أتبكي أمراً من آل ميسان كافراً  
أقول له لما أتاني نعيه:  
جری في ضلال دمعها فتحذرا  
ككسرى على عداته أو كقيصرا  
به لا بظبي بالصريمة أعفرا  
فقال مسكين:

ألا أيها المرء الذي لست قائماً  
فجنني بعم مثل عمي أو أب  
بعمرو بن عمرو أوزارة ذي الندى  
ولا قاعداً في القوم إلا انبرى ليا  
كمثل أبي أو خال صدق كخاليا  
سموت به حتى فرعت الروابيا

فأمسك الفرزدق عنه، وكان يقول: نجوت من أن يهجوني مسكين، فإن أحبته ذهبت بشطر فخري، وإن أمسكت عنه كانت وصمة على مدى الدهر.  
عائذة بقر أبيه: أخبرني أبو خليفة، فقال: أخبرنا ابن سلام، قال: حدثني الحكم بن محمد المازني، قال: كان تميم بن زيد القضاعى، ثم أحد بني القين بن جسر غزا الهند في جيش، فجمرهم؛ وفي جيشه رجل يقال له حبيش، فلما طالت غيبته على أمه اشتاقته، فسألت عمن يكلم لها تميم بن زيد أن يقفل ابنها، فقيل لها: عليك بالفرزدق، فاستجيري بقر أبيه، فأنت قبر غالب بكازمة، حتى علم الفرزدق مكانها.  
ثم أتته، وطلبت إليه حاجتها، فكتب إلى تميم بن زيد هذه الأبيات:

هب لي حبيشاً واتخذ فيه منة  
أنتني فعادت يا تيم بغالب  
تميم بن زيد لا تكونن حاجتي  
لغصة أم ما يسوغ شاربها  
وبالحفرة السافي عليها ترابها  
بظهر فلا يخفى علي جوابها

فلما أتاه كتابه لم يدر ما اسمه حبيش أو حنيش، فأخرج "ديوانه"، وأقفل كل حبيش وحنيش في جيشه، وهم عدة، وأنفذهم إلى الفرزدق.

عائذ بقبر أبيه: قال أبو خليفة: قال ابن سلام، وحدثني أبو يحيى الضبي، قال: ضرب مكاتب لبني منقر بساطاً على قبر غالب أبي الفرزدق؛ فقدم الناس على الفرزدق، فأخبروه بمكانه عند قبر أبيه. ثم قدم عليه فقال:

بقبر ابن ليلي غالب عدت بعدما خشيت الردى أو أن أرد على قسر  
فأخبرني قبر ابن ليلي فقال لي: فكاكك أن تأتي الفرزدق بالمصر

فقال الفرزدق: صدق أبي؛ أنخ؛ ثم طاف له في الناس؛ حتى جمع له مكاتبته وفضلاً. عائذة أخرى بقبر أبيه: وكان نفيع ذو الأهدام؛ أحد بني جعفر بن كلاب يتعصب لجرير بمدحه قيساً؛ فهجاه الفرزدق، فاستجارت أمه بقبر غالب؛ وعازت من هجاء الفرزدق؛ فقال:

ونبتت ذا الأهدام يعوي ودونه من الشام زراعتها وقصورها  
على حين لم أترك على الأرض حية ولا نابحاً إلا استقر عقورها  
كلاب نبحن الحي من كل جانب فعاد عواء بعد نبج هريرها  
عجوز تصلي الخمس عازت بغالب فلا والذي عازت به لا أضيورها  
لئن نافع لم يرع أرحام أمه وكانت كدلو لا يزال يعيرها  
لبئس دم المولود بل ثيابها عشية نادى بالغلام بشيرها  
وإني على إشفاقها من مخافتها وإن عقها بي نافع لمجيرها  
ولو أن أم الناس حواء جاورت تميم بن مر لم تجد من يجيرها

وهذا البيت يروى لغيره في غير هذه القصيدة.

جرير ييز: أخبرني عبد الله بن مالك، قال: حدثنا محمد بن حبيب، قال: حدثنا أحمد بن حاتم المعروف بابن نصر، عن الأصمعي، قال: كان عبد الله بن عطية راوية الفرزدق وجرير، قال: فدعاني الفرزدق يوماً، فقال: إني قلت بيت شعر والنوار طالق إن نقضه ابن المراجعة، قلت: ما هو؟ قال: قلت:

فإني أنا الموت الذي هو نازل بنفسك فانظر كيف أنت تحاوله

ارحل إليه بالبيت، قال: فرحلت إلى اليمامة، قال: ولقيت جريراً بفناء بيته يعبث بالرمل، فقلت: إن الفرزدق قال بيتاً، وحلف بطلاق النوار أنك لا تنقضه، قال: هيه، أظن والله ذلك؟ ما هو؟ ويلك، فأنشدته إياه، فجعل يتمرغ في الرمل، ويحثوه على رأسه وصدرة، حتى كادت الشمس تغرب، ثم قال: أنا أبو حذرة، طلقت امرأة الفاسق، وقال:

أنا الدهر يفني الموت والدهر خالد فجئني بمثل الدهر شيئاً يطاوله

ارحل إلى الفاسق، قال: فقدمت على الفرزدق، فأنشدته إياه، وأعلمته بما قال، فقال: أقسمت عليك لما سترت هذا الحديث.

هناك من هو أحفى منه: أخبرني عبد الله، قال: أخبرني محمد بن حبيب، قال: حدثنا الأصمعي وأبو عبيدة، قال: دخل الفرزدق على بلال بن أبي بردة وعنده ناس من اليمامة، فضحكوا فقال: يا أبا فراس أتدري مم ضحكوا؟ قال: لا، قال: من جفائك، قال: أصلح الله الأمير، حججت، فإذا أنا برجل منهم على عاتقه الأيمن صبي، وعلى عاتقه الأيسر صبي؛ وإذا امرأة آخذة بممزره؛ وهو يقول:

### أنت وهبت زائداً ومزيديا وكهلة أولج فيها الأجردا

والمرأة تقول من خلفه: إذا شئت، فسألت: ممن هو؟ فقيل: من الأشعرين، فأنا أحفى أم ذلك؟ فقال بلال: لا حياك الله، قد علمت أنهم لن يفلتوا منك.

تهزمه امرأة: أخبرني عبد الله بن مالك، قال: حدثني محمد بن حبيب، قال: حدثنا موسى بن طلحة، عن أبي زيد الأنصاري، قال: ركب الفرزدق بغلته، فمر بنسوة؛ فلما حاذهن لم تتمالك البغلة أن ضرطت، فضحك منه، فالتفت إليهن، فقال: لا تضحكن، فما حملتني أنثى إلا ضرطت، فقالت له إحداهن: ما حملتك أنثى أكثر من أمك، فأراها قاست منك ضراطاً كثيراً، فحرك بغلته، وهرب منهن، وبهذا الإسناد قال: يهجو إبليس: أتى الفرزدق الحسن البصري؛ فقال: إني قد هجوت إبليس، فقال: كيف تهجوه وعن لسانه تنطق؟.

يسأل الفرزدق فيفحمه: وبهذا الإسناد قال حمزة بن بيض للفرزدق: يا أبا فراس، أسألك عن مسألة، قال: سل عما أحببت، قال: أيما أحب إليك؟ أتسبق الخير أم يسبقك؟ قال: إن سبقني فاتني، وإن سبقته فته، ولكن نكون معاً، لا يسبقني، ولا أسبقه، ولكن أسألك عن مسألة. قال ابن بيض: سل، قال: أيما أحب إليك؟ أن تنصرف إلى منزلك، فتجد امرأتك قابضة على أير رجل، أم تراه قابضاً على هنها، قال: فتحير، وكان قد نهي عنه، فلم يقبل. لا صلح بينه وبين جرير: أخبرني عبد الله قال: حدثني محمد بن عمران الضبي، قال: حدثني الأصمعي، قال:

اجتمع الفرزدق وجرير عند بشر بن مروان فرجا أن يصلح بينهما حتى يتكافا، فقال لهما: ويحكما! قد بلغتما من السن ما قد بلغتما، وقربت آجالكما؛ فلو اصطلحتما ووهب كل واحد منكما لصاحبه ذنبه، فقال جرير: أصلح الله الأمير، إنه يظلمني، ويتعدى عليّ، فقال الفرزدق: أصلح الله الأمير إني وجدت آبائي يظلمون آباءه. فسلكت طريقهم في ظلمه، فقال بشر: عليكم لعنة الله، لا تصطلحان والله أبداً.

يهزأ به وبهجائه: وأخبرني عبد الله بن مالك، قال: حدثنا محمد بن عمران الضبي، قال: حدثنا الأصمعي: قال الفرزدق: ما أعياني جواب أحد ما أعياني جواب دهقان مرة قال لي: أنت الفرزدق الشاعر؟ قلت: نعم؛ قال: أفأموت إن هجوتني؟ قلت: لا، قال: أفتموت عيشونة ابنتي؟ قلت: لا، قال: فرجلي إلى عنقي في حر أمك، قال: قلت: ويلك! لم تركت رأسك؟ قال: حتى أنظر أي شيء تصنع؟.

يأمره مجنون فيطيع: أخبرني عبد الله، قال: حدثنا محمد بن حبيب عن الأصمعي، قال: مر الفرزدق بمأجل فيه ماء، فأشرع بغلته فيه، فقال له مجنون بالبصرة: يقال له حريش: نح بغلتك، جذ الله رجلك، قال: ولم؟ ويلك، قال: لأنك كذوب الخنجرة، زاني الكمرة، فقال الفرزدق لبغلته: عدس ومضى، وكره أن يسمع قوله الناس. هو وغيره يؤثرون القصار: أخبرنا عبد الله بن مالك، عن ابن حبيب عن سعدان بن المبارك، قال: قيل للفرزدق: ما اختيارك في شعرك للقصار؟ قال: لأني رأيتها أثبت في الصدور، وفي المحافل أجول؛ قال: وقيل للحطيئة: ما بال قصارك أكثر من طوالك؟ قال: لأنها في الآذان أوج، وفي أفواه الناس أعلق. أخبرني عبد الله بن حبيب، عن سعدان بن المبارك، قال: قيل لعقيل بن علفة: مالك تقصر في هجائك؟ قال: حسبك من القلادة ما أحاط بالرقبة.

يتندر باسمه فيلقمه حجراً: أخبرني عبد الله، عن محمد بن علي بن سعيد الترمذي، عن أحمد بن حاتم: أبي نصر، قال:

قال الجهم بن سويد بن المنذر الجرمي للفرزدق: أما وجدت أمك اسماً لك إلا الفرزدق الذي تكسره النساء في سويقها؟ قال: والعرب تسمي خبز الفتوت الفرزدق فأقبل الفرزدق على قوم معه في المجلس. فقال: ما اسمه؟ فلم يخبروه باسمه، فقال: والله لئن لم تخبروني لأهجونكم كلكم، قال: الجهم بن سويد بن المنذر، فقال الفرزدق: أحق الناس ألا يتكلم في هذا أنت؟ لأن اسمك اسم متاع المرأة، واسم أبيك اسم الحمار واسم جدك اسم الكلب. بيتان يثيرانه: أخبرنا عبد الله بن مالك، عن الزبير عن عمه عن بعض القرويين، قال: قدم علينا الفرزدق، فقلنا له: قدم علينا جرير، فأنشدنا قصيدة بمدح بما هؤلاء القوم، ومضى يريدهم، فقال: أنشدونيها، فأنشدناه قصيدة كثير التي يقول فيها:

**ومازالت رقاك تسل ضغني**

**وتخرج من مكانها ضبابي**

**ويرقيني لك الحاؤون حتى**

**أجابك حية تحت الحجاب**

قال: فجعل وجهه يتغير، وعندنا كانون، ونحن في الشتاء، فلما رأينا ما به قلنا: هون عليك يا أبا فراس، فإنما هي لابن أبي جمعة، فانتثنى سريعاً ليسجد، فأصاب ناحية الكانون وجهه فأدماه.

هو والحسين بن علي: أخبرني عبد الله بن مالك، عن محمد بن موسى، قال: أخبرني القحذمي، قال: لقي الفرزدق الحسين بن علي رضي الله عنهما متوجهاً إلى الكوفة خارجاً من مكة في اليوم السادس من ذي الحجة فقال له الحسين - صلوات الله عليه وآله: ما وراءك؟ قال: يا بن رسول الله، أنفس الناس معك، وأيديهم عليك؛ قال: ويحك، معي وقر بعير من كتبهم يدعونني، ويناشدونني الله، قال: فلما قتل الحسين - صلوات الله عليه - قال الفرزدق: انظروا فإن غضبت العرب لابن سيدها وخيرها فاعلموا أنه سيدوم عزها، وتبقى هيبتها، وإن صبرت عليه، ولم تتغير لم يزدها الله إلا ذلاً إلى آخر الدهر، وأنشد في ذلك:

**فألحقوا السلاح واغزلوا بالمغازل**

**فإن انتم لم تتأروا لابن خيركم**

حافظة الفرزدق: أخبرنا عبد الله بن مالك: قال: أخبرني أبو مسلم؛ قال: حدثني الأصمعي، قال: أنشد الراعي الفرزدق أربع قصائد، فقال له الفرزدق: أعيدها عليك، لقد أتى علي زمان، ولو سمعت بيت شعر وأنا أهوي في بئر ما ذهب عني.

يشرب الخمر ممزوجة باللبن: أخبرني عبد الله بن مالك قال حدثني أبو مسلم الحراني عن الأصمعي، قال: تغدى الفرزدق عند صديق له. ثم انصرف فمر ببني أسد، فحدثهم ساعة ثم استسقى ماء، فقال فتى منهم: أو لبناً، فقال: لبناً، فقام إلى عس، فصب فيه رطلاً من خمر، ثم حلب، وناوله إياه، فلما كرع فيه انتفخت أوداجه، واحمر وجهه ثم رد العس، وقال: جزاك الله خيراً، فإني ما علمتك تحب أن تحفي صديقك، وتحفي معروفك ثم مضى.

يزني بامرأته: وأخبرنا عبد الله بن مالك، عن محمد بن موسى، عن القحزمي، قال: كان الفرزدق أراد امرأة شريفة على نفسها، فامتنعت عليه، وهددها بالهزاء والفضيحة، فاستغاثت بالنوار امرأته، وقصت عليها القصة، فقالت لها: واعديه ليلة، ثم أعلميني، ففعلت، وجاءت النوار، فدخلت الحجلة مع المرأة، فلما دخل الفرزدق البيت أمرت الجارية، فأطفأت السراج، وغادرت المرأة الحجلة، واتبعها الفرزدق، فصار إلى الحجلة، وقد انسلت المرأة خلف الحجلة، وبقيت النوار فيها، فوقع بالنوار وهو لا يشك أنها صاحبتة، فلما فرغ قالت له: يا عدو الله، يا فاسق، فعرف نغمتها، وأنه خدع، فقال لها: وأنت هي يا سبحان الله! ما أطيبك حراماً، وأردأك حلالاً. يضمن عليه ابن سريرة بجارية فيهجوه: أخبرني عبد الله بن مالك. قال: حدثني محمد بن موسى، قال: حدثني القحزمي قال: استعمل الحجاج الخيار بن سريرة المجاشعي على عمان، فكتب إليه الفرزدق يستهديه جارية فكتب إليه الخيار:

لقد أنعظت من بلد بعيد

كتبت إلي تستهدي الجواري

فأجابه الفرزدق:

قد استهدى الفرزدق من بعيد

ألا قال الخيار وكان جهلاً

أبأها كنت أحرص بالانشيد

فلولا أن أمك كان عمي

وأنك حين أغضب من أسودي

وأن أبي لعم أبيك لحا

يدق شكيم مجدول الحديد

إذا لشددت شدة أعوجي

لا يستسيغ خطأ في القرآن: أخبرنا عبد الله بن مالك عن الأصمعي قال:

سمع الفرزدق رجلاً يقرأ: "والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالاً من الله والله غفور رحيم"

فقال: لا ينبغي أن يكون هذا هكذا، قال: فقليل له: إنما هو "عزيز حكيم" قال: هكذا ينبغي أن يكون.

يمدح أسماء بن خارجة: أخبرنا عبد الله بن مالك، قال: حدثنا أبو مسلم، قال: حدثنا الأصمعي: قال: مر أسماء

بن خارجة الفزاري على الفرزدق، وهو يهنأ بعبيراً له بنفسه، فقال له اسماء: يا فرزدق كسد شعرك، واطرحك  
الملك، فصرت إلى مهنة إبلك، فقد أمرت لك بمائة بعير، فقال الفرزدق فيه بمدحه:

إن السماح الذي في الناس كلهم      قد حازه الله للمفضال أسماء  
يعطي الجزيل بلا من يكدره      عفواً ويتبع آلاء بنعماء  
ما ضر قوماً إذا أمسى يجاورهم      ألا يكونوا ذوي إبل ولا شاء

هل شاخ شعره بشيخوخته: أخبرني عبد الله بن مالك عن محمد بن موسى بن طلحة، قال: قال أبو عبيدة: دخل  
الفرزدق على بلال بن أبي بردة، فأنشده قصيدته المشهورة فيهم التي يقول فيها:

فإن أبا موسى خليل محمد      وكفاه يمني للهدى وشمالها

فقال ابن أبي بردة: هلكت والله يا أبا فراس، فارتاع الشيخ، وقال: كيف ذاك؟ قال ذهب شعرك، أين مثل  
شعرك في سعيد، وفي العباس بن الوليد، وسمى قوماً فقال: جئني بحسب مثل أحسابهم، حتى أقول فيك كقولي  
فيهم، فغضب بلال حتى درت أوداجه ودعي له بطست فيه ماء بارد، فوضع يده فيها، حتى سكن، فكلمه فيه  
جلساؤه وقالوا: قد كفك الشيخ نفسه وقل ما يبقى حتى يموت، فلم يحل عليه الحول حتى مات.  
قواد له من أصحابه: أخبرنا عبد الله بن مالك، عن محمد بن موسى، عن سعيد بن همام اليمامي، قال: شرب  
الفرزدق شراباً باليمامة وهو يريد العراق، فقال لصاحب له: إن الغلظة قد آذنتني فأكسبني بغياً، قال: من أين  
أصيب لك هاهنا بغياً؟ قال: فلا بد لك من أن تحتال، قال: فمضى الرجل إلى القرية، وترك الفرزدق ناحية؛  
فقال: هل من امرأة تقبل، فإن معي امرأتي وقد أخذها الطلق فبعوا معه امرأة، فأدخلها الفرزدق، وقد غطاه، فلما  
دنت منه واثبها. ثم ارتحل مبادراً، وقال: كأني بابن الخبيثة يعني جريراً لو قد بلغه الخبر قد قال:

وكننت إذا حللت بدار قوم      رحلت بخزية وتركت عارا

قال: فبلغ جريراً الخبر، فهجاه بهذا الشعر.  
يغتصب بيتاً: وأخبرنا عبد الله بن مالك، عن محمد بن موسى، قال: قال أبو هـشل: حدثنا بعض أصحابنا: قال:  
وقف الفرزدق على الشمردل، وهو ينشد قصيدة له، فمر هذا البيت في بعض قوله:

وما بين من لم يعط سمعاً وطاعة      وبين جرير غير حز الحلاقم

فقال الفرزدق: يا شمردل، لتتركن هذا البيت لي أو لتتركن عرضك؛ قال: خذه، لا بارك الله لك فيه فهو في  
قصيدته التي ذكر فيها قتيبة بن مسلم، وهي التي أولها قوله:

تحن إلى زورا اليمامة ناقتي      حنين عجول تبتغي البورائم

تستعيز بقبر أبيه: أخبرنا عبد الله بن مالك قال: حدثنا محمد بن حبيب، عن الأصمعي، قال: جاءت امرأة إلى قبر  
غالب أبي الفرزدق؛ فضربت عليه فسطاطاً. فأتاها فسألها عن أمرها. فقالت: إني عاتذة بقبر غالب من أمر نزل

بي، قال لها: وما هو، قد ضمنت خلاصك منه، قالت: إن ابناً لي أغزى إلى السند مع تميم بن زيد؛ وهو واحد  
قال: انصرفي، فعلي انصرافه إليك إن شاء الله، قال: وكتب من وقته إلى تميم بقوله:

تميم بن زيد لا تكونن حاجتي      بظهر فلا يخفى علي جوابها  
وهب لي حبيشاً واتخذ فيه منة      لحرمة أم ما يسوغ شرابها  
أنتني فعازت يا تميم بغالب      وبالحفرة السافي عليها ترابها

قال: فعرض تميم جميع من معه من الجند، فلم يدع أحداً اسمه حبيش، ولا حنيش إلا وصله، وأذن له في  
الانصراف إلى أهله.

ماذا يشتهي: أخبرنا عبد الله بن مالك، قال: أخبرنا محمد بن حبيب، عن الأصمعي، قال: مر الفرزدق بصديق  
له، فقال له: ما تشتهي يا أبا فراس؟ قال: أشتهي شواء رشراشاً، ونبيداً سعيراً، وغناء يفتق السمع.  
الرشراش: الرطب، والسعير: الكثير.

يتبرم بعشاق شعره: أخبرنا عبد الله بن مالك. قال: حدثنا محمد بن حبيب: قال: حدثني السعدي، عن أبي مالك  
الزبيدي. قال:

أتينا الفرزدق لنسمع منه شيئاً، فجلسنا ببابه ننتظر، إذ خرج علينا في ملحفة. فقال لنا: يا أعداء الله، ما  
اجتماعكم بيابي؟ والله لو أردت أن أزي ما قدرت.

يعاني في قرص الشعر: أخبرني عبد الله بن مالك، قال: حدثنا أبو مسلم، قال حدثنا الأصمعي عن هشام بن  
القاسم، قال: قال الفرزدق: قد علم الناس أني فحل الشعراء، وربما أتت علي الساعة لقلع ضرس من أضراسي  
أهون لعي من قول بيت شعر.

يهجو راويته فلا ينقض كلامه: حدثنا عبد الله بن مالك عن أبي مسلم، عن الأصمعي، قال: كان الفرزدق وأبو  
شقفل راويته في المسجد؛ فدخلت امرأة، فسألت عن مسألة، وتوسمت؛ فرأت هيئة أبي شقفل، فسألته عن  
مسألتها، فقال الفرزدق:

أبو شقفل شيخ عن الحق جائر      بباب الهدى والرشد غير بصير

فقلت المرأة: سبحان الله؟ أتقول هذا لمثل هذا الشيخ؟ فقال أبو شقفل: دعيه فهو أعلم بي.  
سكينة بنت الحسين تجرحه وتأسوه: أخبرنا عبد الله بن مالك، قال: حدثنا محمد بن موسى، قال: حدثنا المدائني،  
قال: خرج الفرزدق حاجاً، فمر بالمدينة، فأتى سكينة بنت الحسين صلوات الله عليه وآله، فقالت: يا فرزدق.  
من أشعر الناس؟ قال: أنا، قالت: كذبت؛ أشعر منك الذي يقول:

بنفسي من تجنبه عزيز      علي ومن زيارته لمام  
ومن أمسي وأصبح لا أراه      ويطرقني إذا هجع النيام

فقال: والله لو أذنت لي لأسمعتك أحسن منه. فقالت: أقيموه: فأخرج. ثم عاد إليها في اليوم الثاني. فقالت له: يا فرزدق. من أشعر الناس؟ قال: أنا. قالت: كذبت: أشعر منك الذي يقول:

لولا الحياء لهاجني استعبار  
ولزرت قبرك والحبيب يزار  
لا يلبث القرفاء أن يتفرقوا  
ليل يكر عليهم ونهار  
كانت إذا هجر الضجيع فراشها  
كنتم الحديث وعفت الأسرار

قال: أفأسمعك أحسن منه؟ قالت: أخرج.

ثم عاد إليها في اليوم الثالث وعلى رأسها جارية كأنها طيبة، فاشتد عجبه بها. فقالت: يا فرزدق، من أشعر الناس؟ قال: أنا. قالت: كذبت. أشعر منك الذي يقول:

إن العيون التي في طرفها مرض  
قتلنا ثم لم يحيين قتلنا  
يصرعن ذا اللب حتى لا حراك له  
وهن أضعف خلق الله أركاناً

ثم قالت: قم فأخرج. فقال لها: يا بنت رسول الله، إن لي عليك لحقاً. إذ كنت إنما جئت مسلماً عليك، فكان من تكذيبك إياي وصنيعك بي حين أردت أن أسمعك شيئاً من شعري ما ضاق به صدري، والمنايا تغدو وتروح، ولا أدري، لعلني لا أفارق المدينة حتى أموت. فإن مت فمري من يدفني في حر هذه الجارية التي على رأسك، فضحكت سكية، حتى كادت تخرج من ثيابها، وأمرت له بالجارية، وقالت: أحسن صحبتها؛ فقد آثرتك بها على نفسي، قال: فخرج وهو آخذ بربطتها.

يطالب معاوية بتراث عمه: أخبرنا عبد الله بن مالك، قال: حدثنا محمد بن موسى، قال: حدثنا المدائني قال: وفد الحتات عم الفرزدق على معاوية، فخرجت جوائزهم، فانصرفوا، ومرض الحتات، فأقام عند معاوية حتى مات، فأمر معاوية بماله، فأدخل بيت المال، فخرج الفرزدق إلى معاوية، وهو غلام، فلما أذن للناس دخل بين السماطين، ومثل بين يدي معاوية، فقال:

أبوك وعمي يا معاوي ورثا  
تراثاً فيحتاز التراث أقاربه  
فما بال ميراث الحتات أكلته  
وميراث حرب جامد لي ذائبه؟  
فلو كان هذا الأمر في جاهلية  
علمت من المولى القليل حلائبه  
ولو كان هذا الأمر في ملك غيركم  
لأداه لي أو غص بالماء شاربه

فقال له معاوية: من أنت؟ قال: أنا الفرزدق قال: ادفعوا إليه ميراث عمه الحتات، وكان ألف دينار، فدفع إليه. امرأة تهجوه فتوجهه: أخبرنا عبد الله بن مالك، عن أبي حمزة الأنصاري، قال: أخبرنا أبو زيد، قال: قال أبو عبيدة.

انصرف الفرزدق من عند بعض الأمراء في غداة باردة، وأمر بجزور، فنحرت ثم قسمت، فأغفل امرأة من بني فقيم، نسيها، فرحزت به، فقالت:

فيشلة هدلاء ذات شقشق  
مدمجة ذات حفاف أخلق  
أولجتها في سبة الفرزدق  
مشرفة اليافوخ والمحوق  
نيطت بحقوي قطم عشق  
مشرقة اليافوخ والمحوق

قال أبو عبيدة: فبلغني أنه هرب منها، فدخل في بيت حماد بن المهيثم، ثم إن الفرزدق قال فيها بعد ذلك:

قتلت قتيلاً لم ير الناس مثله  
حملت عليه حملتين بطعنة  
تري جرحه من بعد ما قد طعنته  
وما هو يوم الزحف بارز قرنه  
بني دارم ما تأمرون بشاعر  
إذا ما هو استلقى رأيت جهازه  
وكيف أهاجي شاعراً رمحه استه  
أعد ليوم الروع درعاً ومجرماً  
أقلبه ذا تومتين مسورا  
فغادرته فوق الحشايا مكورا  
يفوح كمثل المسك خالط عنبرا  
ولا هو ولي يوم لاقى فأدبرا  
برود الثنايا مايزال مزعفرا  
كمقطع عنق الناب أسود أحمرأ  
أعد ليوم الروع درعاً ومجرماً

فقالت المرأة: ألا لا أرى الرجال يذكرون مني هذا، وعاهدت الله ألا تقول شعراً.

كأنه يريد أن يؤتى: أخبرنا عبد الله بن مالك بن مسلم، عن الأصمعي قال: مر الفرزدق يوماً في الأزدي، فوثب عليه ابن أبي علقمة لينكحه، وأعانه على ذلك سفهاؤهم، فجاءت مشايخ الأزدي وأولو النهي منهم، فصاحوا بابن أبي علقمة وبأولئك السفهاء، فقال لهم ابن أبي علقمة: ويلكم! أطيعوني اليوم، واعصوني الدهر؛ هذا شاعر مضر ولسانها، قد شتم أعراضكم، وهجا ساداتكم، والله لا تنالون من مضر مثلها أبداً، فحالوا بينه وبينه، فكان الفرزدق يقول بعد ذلك: قاتله الله. إي والله، لقد كان أشار عليهم بالرأي.

أنصاري يتحداه بشعر حسان بن ثابت: أخبرني عبد الله بن مالك، قال: حدثنا محمد بن حبيب، قال: قال الكلبي: قال إبراهيم بن محمد بن سعد بن أبي وقاص. وأخبرنا بهذا الخير محمد بن العباس الزبيدي والأحفش جميعاً، عن السكري، عن ابن حبيب، عن أبي عبيدة والكلبي: قال: وأخبرنا به إبراهيم بن سعدان، عن أبيه، عن أبي عبيدة، قالوا جميعاً: قدم الفرزدق المدينة في إمارة أبان بن عثمان، فأتى الفرزدق وكثير عزة، فبينما هما يتناشدان الأشعار إذ طلع عليهما غلام شخت رقيق الأدمة، في ثوبين مصريين، فقصد نحونا، فلم يسلم، وقال: أيكم الفرزدق؟ فقلت مخافة أن يكون من قريش: أهكذا تقول لسيد العرب وشاعرها؟ فقال: لو كان كذلك لم

أقل هذا، فقال له الفرزدق: من أنت لا أم لك، قال: رجل من الأنصار، ثم من بني النجار، ثم أنا ابن أبي بكر بن حزم، بلغني أنك تزعم أنك أشعر العرب، وتزعمه مضر، وقد قال شاعرنا حسان بن ثابت شعراً، فأردت أن أعرضه عليك، وأوجلك سنة، فإن قلت مثله فأنت أشعر العرب، كما قيل، وإلا فأنت منتحل كذاب، ثم أنشده:

### ألم تسأل الربع الجديد التكلم

حتى بلغ إلى قوله:

وأبقى لنا مر الحروب ورزوها	سيوفاً وأدراعاً وجماً عرمرما
متى ما تردنا من معد عصابة	وغسان نمنع حوضنا أن يهدما
لنا حاضر فعم وباد كأنه	شماريخ رضوى عزة وتكرما
أبى فعلنا المعروف أن ننطق الخنا	وقائلنا بالعرف إلا تلكما
بكل فتى عاري الأشاجع لاحه	قراع الكماة يرشح المسك والدمما
ولدنا بني العنقاء وابني محرق	فأكرم بذا خالاً وأكرم بذا ابنما
يسود ذا المال القليل إذا بدت	مروءته فينا وإن كان معدما
وإن لنقري الضيف إن جاء طارقاً	من الشحم ما أمسى صحيحاً مسلما
لنا الجففات الغر يلمعن بالضحي	وأسيافنا يقطنن من نجدة دما

فأنشده القصيدة، وهي نيف وثلاثون بيتاً، وقال له: قد أجلتك في جوابها حولاً، فانصرف الفرزدق مغضباً، يسحب رادعه، وما يدري أية طرقة حتى خرج من المسجد، فأقبل على كثير، فقال له: قاتل الله الأنصار ما أفصح لهجتهم، وأوضح حجتهم، وأجود شعرهم، فلم نزل في حديث الأنصار والفرزدق بقية يومنا، حتى إذا كان من الغد خرجت من منزلي إلى المسجد الذي كنت فيه بالأمس، فأتى كثير، فجلس معي، وأنا لتذاكر الفرزدق، ونقول: ليت شعري ما صنع؟ إذ طلع علينا في حلة أفواف، قد أرخى غدירתه، حتى جلس في مجلسه بالأمس، ثم قال: ما فعل الأنصاري؟ فنلنا منه، وشتمناه، فقال: قاتله الله: ما منيت بمثله، ولا سمعت بمثل شعره، فارقته، وأتيت منزلي، فأقبلت أصعد وأصوب في كل فن من الشعر، فكأني مفحم لم أقل شعراً قط، حتى إذا نادى المنادي بالفجر رحلت ناقتي، وأخذت يزمها حتى أتيت رياناً، وهو جبل بالمدينة، ثم ناديت بأعلى صوتي: أحاكم أحاكم، يعني شيطانه، فجاش صدري كما يجيش المرجل، فعقلت ناقتي وتوسدت ذراعها، فما عتمت حتى قلت مائة بيت من الشعر وثلاثة عشر بيتاً، فبينما هو ينشد إذ طلع الأنصاري، حتى إذا انتهى إلينا سلم علينا،

ثم قال: إني لم آتك لأعجلك عن الأجل الذي وقته لك، ولكني أحببت ألا أراك إلا سألتك: إيش صنعت؟ فقال اجلس، وأنشده قوله:

عزفت بأعشاش وما كنت تعزف وأنكرت من حدراء ما كنت تعرف

ولج بك الهجران حتى كأنما ترى الموت في البيت الذي كنت تألف

في رواية ابن حبيب: تيلف حتى بلغ إلى قوله:

ترى الناس ما سرنا يسبيرون خلفنا وإن نحن أومأنا إلى الناس وقفوا

وأنشدها الفرزدق، حتى بلغ إلى آخرها، فقام الأنصاري كتيباً، فلما توارى طلع أبوه أبو بكر بن خزم في مشيخة من الأنصار، فسلموا عليه، وقالوا: يا أبا فراس، قد عرفت حالنا ومكاننا من رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد بلغنا أن سفهائنا ربما تعرض لك، فنسألك بحق الله وحق رسوله لما حفظت فينا وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم، ووهبتنا له، ولم تفضحنا.

قال محمد بن إبراهيم: فأقبلت عليه أكلمه، فلما أكثرنا عليه، قال: اذهبوا، فقد وهبتكم لهذا القرشي. قال سليمان بن عبد الملك للفرزدق: أنشدني أجود شعر عملته، فأنشده:

عزفت بأعشاش وما كدت تعزف

فقال: زدني: فأنشده:

وواحدة تميل إلى الشام

ثلاث واثنتان فتلك خمس

وبت أفض أغلاق الختام

فبتن بجانب مصرعات

فقال له سليمان: ما أراك إلا قد أحللت نفسك للعقوبة، أقررت بالزني عندي، وأنا إمام، ولا تريد مني إقامة الحد عليك، فقال: إن أخذت في بقول الله عز وجل لم تفعل. قال: وما قال؟. قال: قال الله تبارك وتعالى: "والشعراء يتبعهم الغاوون، ألم تر أنهم في كل واد يهيمون، وأنهم يقولون ما لا يفعلون"، فضحك سليمان وقال: لتلافتها ودرأت عنك الحد وخلع عليه وأجازه.

يجتمع هو وجرير بالشام: أخبرنا عبد الله بن مالك، قال: حدثنا محمد بن حبيب، عن الأصمعي، قال: قدم الفرزدق الشام وبها جرير بن الخطمي، فقال له جرير: ما ظننتك تقدم بلداً أنا فيه، فقال له الفرزدق: إني طالما أخلفت ظن العاجز.

أخبرنا عبد الله بن مالك قال: حدثنا محمد بن موسى بن طلحة: قال: قال أبو مخنف: الفرزدق لعنة وجرير شهاب: كان الفرزدق لعنة، أي يتلعن به كأنه لعنة على قوم، وكان جرير شهاباً من شهب النار. يتندر بمحمد بن وكيع: أخبرنا عبد الله بن مالك، قال: حدثنا الأزدي: قال: حدثنا عمرو بن أبي عمرو عن أبيه، قال: قال أبو عمرو ابن العلاء: مر الفرزدق بمحمد بن وكيع بن أبي سود، وهو على ناقة فقال له: غدني، قال:

ما يحضرنى غداء، قال: فاسقني سويقاً، قال: ما هو عندي، قال: فاسقني نبيذاً، قال: أو صاحب نبيذ عهدتني، قال: فما يقعدك في الظل؟ قال: فما أصنع؟ قال أطل وجهك بدبس، ثم تحول إلى الشمس، واقعد فيها، حتى يشبه لونك لون أبيك الذي تزعمه، قال أبو عمرو: فما زال ولد محمد يسبون ذبذلك من قول الفرزدق انتهى. هاشم بن القاسم يتجاهله: أخبرنا عبد الله بن مالك، عن ابن حبيب، عن موسى بن طلحة، عن أبي عبيدة، عن أبي العلاء: قال: أخبرني هاشم بن القاسم العتري أنه قال:

جمعني والفرزدق مجلس، فتجاهلت عليه، فقلت له: من أنت؟ قال: أما تعرفني؟ قلت: لا، قال: فأنا أبو فراس، قلت: ومن أبو فراس، قال: أنا الفرزدق، قلت: ومن الفرزدق؟ قال: أو ما تعرف الفرزدق؟ قلت: أعرف الفرزدق أنه شيء يتخذة النساء عندنا، يتسمن به وهو الفتوت، فضحك وقال: الحمد لله الذي جعلني في بطون نسائككم.

الكلبيون يعبثون به: أخبرني عبد الله بن مالك، عن محمد بن حبيب، عن النضر بن حديد، قال: مر الفرزدق بماء لبني كليب مجتازاً، فأخذوه، وكان جباناً، فقالوا: والله لتلقين منا ما تكره، أو لتنكحن هذه الأتان، وأتوه باتان، فقال: ويلكم! اتقوا الله، فإنه شيء ما فعلته قط، فقالوا: إنه لا ينجيك والله إلا الفعل قال: أما إذا أبيتم فأتونب بالصخرة التي يقوم عليها عطية، فضحكوا، وقالوا: اذهب لأصحابك الله.

أسود يستخف به: أخبرنا عبد الله بن مالك، عن محمد بن موسى، عن العتيبي قال: دخل الفرزدق على قوم يشربون عند رجل بالبصرة، وفي صدر مجلسهم فتى أسود، وعلى رأسه إكليل؛ فلم يحفل بالفرزدق، ولم يحف به تمواناً، فغضب الفرزدق من ذلك وقال:

**ورأسك في الإكليل إحدى الكبائر**

**جلوسك في صدر الفراش مذلة**

**ضربت على حافاتها بالمشافر**

**وما نطفت كأس ولا لذ طعمها**

يرثي وكيعاً، فينسى مشييعه الاستغفار له: أخبرني عبد الله بن مالك عن محمد بن موسى، عن العتيبي قال: لما مات وكيع بن أبي سود أقبل الفرزدق حين أخرج، وعليه قميص أسود، وقد شقه إلى سرته وهو يقول:

**من الناس إلا قد أباعت على وتر**

**فمات ولم يوتر وما من قبيلة**

**تناول صديق النبي أبا بكر**

**وإن الذي لاقى وكيعاً وناله**

قال: فعلق الناس الشعر، فجعلوا ينشدونه، حتى دفن، وتركوا الاستغفار له.

ميميته المأثورة في علي بن الحسين: أخبرنا عبد الله بن علي بن الحسن الهاشمي، عن حيان بن علي العتري، عن مجالد، عن الشعبي قال: حج الفرزدق بعد ما كبر، وقد أتت له سبعون سنة، وكان هشام بن عبد الملك قد حج في ذلك العام فرأى علي بن الحسين في غمار الناس في الطواف، فقال: من هذا الشاب الذي تترق أسرة وجهه

كأنه مرآة صينية تتراءى فيها عذارى الحي وجوهها؟ فقالوا: هذا علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب صلوات الله عليهم، فقال الفرزدق:

هذا الذي تعرف البطحاء وطأته  
هذا ابن خير عباد الله كلهم  
هذا ابن فاطمة إن كنت جاهله  
وليس قولك: من هذا بضائره  
إذا رأته قريش قال قائلها:  
يغضي حياء ويغضي من مهابته  
بكفه خيزران ريحها عبق  
يكاد يمسكه عرفان راحته  
الله شرفه قدماً وعظمه  
أي الخلائق ليست في رقابهم  
من يشكر الله يشكر أولية ذا  
ينمي إلى ذروة الدين التي قصرت  
من جده دان فضل الأنبياء له  
مشتقة من رسول الله نبعته  
ينشق ثوب الدجى عن نور غرته  
من معشر جبهم دين، وبغضهم  
مقدم بعد ذكر الله ذكرهم  
إن عد أهل التقى كانوا أئمتهم  
لا يستطيع جواد كنه جودهم  
ويستدفع الشر والبلوى بحبهم  
والبيت يعرفه والحل والحرم  
هذا التقى النقي الطاهر العلم  
بجده أنبياء الله قد ختموا  
العرب تعرف من أنكرت والعجم  
إلى مكارم هذا ينتهي الكرم  
فما يكلم إلا حين يبتسم  
من كف أروع في عرنيه شم  
ركن الحطيم إذا ما جاء يستلم  
جرى بذاك له في لوحه القلم  
لأولية هذا أوله نعم؟  
فالدين من بيت هذا ناله الأمم  
عنها الأكف وعن إدراكها القدم  
وفضل أمته دانته له الأمم  
طابت مغارسه والخيم والشيم  
كالشمس تتجابه عن إشراقها الظلم  
كفر وقربهم منجى ومعتصم  
في كل بدء ومختوم به الكلم  
أو قيل من خير أهل الأرض قيل: هم  
ولا يدانيهم قوم وإن كرموا  
ويسترب به الإحسان والنعم

وقد حدثني بهذا الخبر أحمد بن الجعد، قال: حدثنا أحمد بن القاسم البرقي، قال: حدثنا إسحاق بن محمد النخعي، فذكر أن هشاماً حج في حياة أبيه، فرأى علي بن الحسين رضي الله تعالى عنهم يطوف بالبيت والناس يفرجون له. فقال: من هذا؟ فقال الأبرش الكلبي: ما أعرفه، فقال الفرزدق: ولكني أعرفه، فقال: من هو؟ فقال:

### هذا الذي تعرف البطحاء وطأته

وذلك الأبيات.. إلخ.

قال: فغضب هشام فحبسه بين مكة والمدينة فقال:

إليها قلوب الناس يهوى منيها

أتحبسني بين المدينة والتي

وعينا له حولاء باد عيوبها

يقلب رأساً لم يكن رأس سيد

فبلغ شعره هشاماً، فوجه، فأطلقه.

بينه وبين مالك بن المنذر: أخبرنا عبد الله بن مالك، عن محمد بن موسى، عن الهيثم بن عدي، قال: أخبرنا أبو روح الراسبي، قال: لما ولي خالد بن عبد الله العراق ولي مالك بن المنذر شرطة البصرة، فقال الفرزدق:

رأيت عليها مالكا عقب الكلب

يبغض فينا شرطة المصر أنني

قال، فقال مالك: علي به، فمضوا به إليه، فقال:

ألا ليت شعري ما لها عند مالك؟

أقول لنفسي إذ تغص بريقها

قال: فسمع قوله حائك يطلع من طرازه، فقال:

إليها وتنجو من عظيم المهالك

لها عنده أني رجع الله ريقها

فقال الفرزدق هذا أشعر الناس، وليعودن مجنوناً، يصيح الصبيان في أثره فقال: فأرؤه بعد ذلك مجنوناً يصيح الصبيان في أثره.

أخبرنا عبد الله بن مالك قال: حدثنا محمد بن علي بن سعيد، قال حدثنا القحذمي: قال: فلما أتوا مالك بن المنذر بالفرزدق قال: هيه عقب الكلب، قال: ليس هذا هكذا قلت، وإنما قلت:

ليسمع لما غص من ريقه الفم

ألم ترني ناديت بالصوت مالكا

فهن لأيدي المستجيرين محرم

أعوذ بقبر فيه أكفان منذر

قال: قد عدت بمعاذ، وحلى سبيله.

أخبرنا عبد الله قال: حدثني محمد بن موسى، قال: كتب خالد القسري إلى مالك بن المنذر يأمره بطلب الفرزدق، ويذكر أنه بلغه أنه هجاه، وهجا نهره المبارك، وهو النهر الذي بواسط الذي كان خالد حفره، فاشتد مالك في طلبه حتى ظفر به في البراجم فأخذه وحبسه ومروا به على بني مجاشع، فقال: يا قوم، اشهدوا أنه لا خاتم بيدي، وذلك أنه أخذ عمر بن يزيد بن أسيد، ثم أمر به فلويت عنقه، ثم أخرجوه ليلاً إلى السجن، فجعل

رأسه يتقلب، والأعوان يقولون له: قوم رأسك، فلما أتوا به السجن قال: لا أتسلمه منكم ميتاً، فأخذوا المفاتيح منه، وأدخلوه الحبس، وأصبح ميتاً، فسمعوا أنه مص خاتمه وكان فيه سم، فمات، وتكلم الناس في أمره، فدخل لبطة بن الفرزدق على أبيه، فقال: يا بني، هل كان من خير؟ قال: نعم، عمر بن يزيد مص خاتمه في الحبس، وكان فيه سم، فمات، فقال الفرزدق: والله يا بني لئن لم تلحق بواسطة ليمص أبوك خاتمه، وقال في ذلك:

ألم يك قتل عبد الله ظلماً  
أبا حفص من الحرم العظام  
قتيل عداوة لم يجن ذنباً  
يقطع وهو يهتف للإمام

قال: وكان عمر عارض خالداً وهو يصف لهشام طاعة أهل اليمن وحسن موالاتهم ونصيحتهم، فصفق عمرو بن يزيد إحدى يديه على الأخرى، حتى سمع له في الإيوان دوي، قم قال: كذب والله يا أمير المؤمنين، ما أطاعت اليمانية، ولا نصحت، أليس هم أعداؤك وأصحاب يزيد بن المهلب وابن الأشعث؟ والله ما ينطق ناعق إلا أسرعوا الوثبة إليه، فاحذرهم يا أمير المؤمنين قال: فتبين ذلك في وجه هشام ووثب رجل من بني أمية، فقال لعمر بن يزيد: وصل الله رحمك وأحسن جزاءك، فلقد شددت من أنفس قومك، وانتهزت الفرصة في وقتها، ولكن أحسب هذا الرجل سيلبي العراق، وهو منكر حسود، وليس يخار لك إن ولي، فلم يرتدع عمر بقوله، وظن أنه لا يقدم عليه، فلما ولي لم تكن له همة غيره، حتى قتله، قال: جرير يشفع له: ثم إن مالكا وجه الفرزدق إلى خالد، فلما قدم به عليه وجده قد حج، واستخلف أخاه أسد بن عبد الله على العراق، فحبسه أسد، ووافق عنده جريراً، فوثب يشفع له، وقال: إن رأى الأمير أن يهبه لي، فقال أسد: أتشفع له يا جرير؟ فقال: إن ذلك أذل له - أصلحك الله - وكلم أسداً ابنه المنذر، فخلى سبيله، فقال الفرزدق في ذلك:

لا فضل إلا فضل أم على ابنها  
كفضل أبي الأشبال عند الفرزدق  
تداركني من هوة دون قعرها  
ثمانون باعاً للطول العشنق

وقال جرير يذكر شفاعته له:

وهل لك في عان وليس بشاكر  
فتطلق عنه عض مس الحدائد  
يعود وكان الخبث منه سجية  
وإن قال: إنني منته غير عائد

يهجو بني فقيم: أخبرني عبید الله، عن محمد بن موسى، عن القحذمي، قال: كان سبب هرب الفرزدق من زياد، وهو على العراق، أنه كان هجا بني فقيم، فقال فيهم أبياتاً منها:

وآب الوفد وفد بني فقيم  
بأخبث ما تتوب به الوفود  
أتونا بالقرود معادليها  
فصار الجد للجد السعيد

وقال يهجو زيد بن مسعود الفقيمي والأشهب بن رميلة بأبيات، منها قوله:

لقد قال مينا يوم ذلك ومنكرا

تمنى ابن مسعود لقائي سفاهة

مقام هجين ساعة ثم أدبرا

غناء قليل عن فقيم ونهشل

يعني الأشهب بن رميلة، وكان الأشهب خطب إلى بني فقيم، فردوه، قوالوا له: اهج الفرزدق حتى نزوجك، فرجز به الأشهب، فقال:

وعرق القين على الخيل نجس؟

يا عجا هل يركب القين الفرس

الكلبتان والعلاة والقبس

وإنما سلاحه إذا جلس

يهرب من زياد: فلما بلغ الفرزدق قوله هجاه، فأرث له، وألح الفرزدق على النهشليين بالهجاه، فشكوه إلى زياد، وكان يزيد بن مسعود ذا منزلة عند زياد، فطلبه زياد، فهرب، فأتى بكر بن وائل، فأجاروه، فقال الفرزدق بمدحهم بأبيات:

وكنت إلى القرموس منها القماقم

إني وإن كانت تميم عمارتي

ثناء يوافي ركبهم في المواسم

لمثن على أبناء بكر بن وائل

برأس به تدمى رؤوس الصلادم

همو يوم ذي قار أناخوا فجالدوا

وهرب، حتى أتى سعيد بن العاص، فأقام بالمدينة يشرب، ويدخل إلى القيان، وقال:

على معصم ريان لم يتخدد

إذا شئت غناني من العاج قاصف

ببؤس ولم تتبع حمولة مجد

لبيضاء من أهل المدينة لم تعش

حوالي في برد يمان ومجد

وقامت تخشيني زياداً وأجفلت

أرى الموت وقافاً على كل مرصد

فقلت: دعيني من زياد فإنني

مروان ينفيه ثم يجيزه: فبلغ شعره مروان، فدعاه، وتوعده، وأجله ثلاثاً، وقال: اخرج عني، فأنشأ يقول الفرزدق:

كما وعدت لمهلكها ثمود

دعانا ثم أجلنا ثلاثاً

قال مروان: قولوا له عني: إني أحبته، فقلت:

إن كنت تارك ما أمرتك فاجلس

قل للفرزدق والسفاهة كاسمها

والحق بمكة أو ببيت المقدس

ودع المدينة إنها محظورة

قال: وعزم على الشخصوص إلى مكة، فكتب له مروان إلى بعض عماله، ما بين مكة والمدينة بمائتي دينار، فارتاب بكتاب مروان، فجاه به إليه وقال:

ترجو الحباء وربها لم ييأس

مروان إن مطيتي معقولة

يخشى علي بها حباء النقرس

أتيتني بصحيفة مختومة

نكراء مثل صحيفة المتلمس

ألق الصحيفة يا فرزدق لا تكن

قال: ورمى بها إلى مروان، فضحك، وقال: ويحك! إنك أمة، لا تقرأ، فذهب بها إلى من يقرؤها، ثم ردها، حتى أختمها، فذهب بها، فلما قرئت إذا فيها جائزة، قال: فردها إلى مروان، فختمها، وأمر له الحسين بن علي رضي الله عنهما بمائتي دينار، قال: ولما بلغ جريراً أنه أخرج عن المدينة قال:

ولا تدنوه من جدث الرسول

إذا حل المدينة فارجموه

ولا ورهاء غائبة الحليل

فما يحمى عليه شراب حد

فأجابه الفرزدق، فقال:

قعدت به لأمك بالسبيل

نعت لنا من الورهاء نعتاً

عطية غير نعتك من حليل

فلا تبغي إذا ما غاب عنها

يموت بذات الجنب: أخبرنا عبد الله بن مالك، قال: حدثني محمد بن موسى، قال: حدثنا أبو عكرمة الضبي عن أبي حاتم السجستاني، عن محمد بن عبد الله الأنصاري، قال أبو عكرمة: وحكي لنا عن لبطة بن الفرزدق أن أباه أصابته ذات الجنب، فكانت سبب وفاته. قال: ووصف له أن يشرب النفط الأبيض، فجعلناه له في قدح، وسقيناها إياه، فقال: يا بني عجلت لأبيك شراب أهل النار، فقلت له: يا أبت، قل: لا إله إلا الله، فجعلت أكررها عليه مراراً، فنظر إلي وجعل يقول:

رماح نحاها وجهه الريح راکز

فظلت تعالی باليفاع كأنها

فكان ذا هجيره حتى مات.

أخبرني أبو خليفة، عن محمد بن سلام، قال: حدثني شعيب بن صخر، قال: دخل بلال بن أبي بردة على الفرزدق في مرضه الذي مات فيه، وهو يقول:

إذا ما الأمر جل عن الخطاب

أروني من يقوم لكم مقامي

البيتين، فقال بلال: إلى الله، إلى الله: يتمرد في مرض موته: أخبرني الحسين بن يحيى، عن حماد، عن أبيه، عن الأصمعي، قال: كان الفرزدق قد دبر عبداً له، وأوصى بعقدهم بعد موته، ويدفع شيء من ماله إليهم، فلما احتضر جمع سائر أهل بيته، وأنشأ يقول:

إذا ما الأمر جل عن الخطاب

أروني من يقوم لكم مقامي

بأيديكم علي من التراب

إلى من تفرعون إذا حشوتم

فقال له بعض عبده - الذين أمر بعققتهم : إلى الله، فأمر ببعه قبل وفاته، وأبطل وصيته فيه، والله أعلم.  
أخبرني الحسن بن علي، عن بشر بن مروان، عن الحميدي، عن سفيان، عن لبطة بن الفرزدق قال: لما احتضر أبو فراس قال - أي لبطة: أبغني كتاباً أكتب فيه وصيتي، فأتيته بكتاب فكتب وصيته:

### أروني من يقوم لكم مقامي

البيتين، فقالت مولاة له - قد كان أوصى لها بوصية : إلى الله عز وجل، فقال: يا لبطة، امحها من الوصية.  
قال سفيان: نعم ما قالت وبئس ما قال أبو فراس.  
ينظم وصيته شعراً: وقال عوانة: قيل للفرزدق في مرضه الذي مات فيه أوص، فقال:

أوصي تميماً إن قضاة ساقها      ندى الغيث عن دار بدومة أو جدب  
فإنكم الأكفاء والغيث دولة      يكون بشرق من بلاد ومن غرب  
إذا انتجعت كلب عليكم فوسعوا      لها الدار في سهل المقامة والرحب  
فأعظم من أحلام عاد حلومهم      وأكثرهم عند العديد من الترب  
أشد حبال بعد حيين مرة      حبال أمرت من تميم ومن كلب

يسبقه إلى الآخرة غلام له: قال: وتوفي للفرزدق ابن صغير قبل وفاته بأيام، وصلى عليه، ثم التفت إلى الناس، فقال:

وما نحن إلا مثلهم غير أننا      أقمنا قليلاً بعدهم وتقدموا

قال: فلم يلبث إلا أياماً حتى مات.

أنشد عند موته: وقال المدائني: قال لبطة: أغمي على أبي، فبكينا، ففتح عينيه، وقال: أعلي تبكون؟ قلنا: نعم، أفعلى ابن المراغة نبكي؟ فقال: ويحكم! أهذا موضع ذكره؟ وقال:

إذا ما دببت الأنقاء فوقي      وصاح صدىً علي مع الظلام

فقد شمتت أعاديكم وقالت:      أدانيكم من أين لنا المحامي؟

وقع نعيه على جرير: أخبرني أبو خليفة الفضل بن الحباب إجازة، قال: حدثنا محمد بن سلام، قال: حدثنا أبو العراف، قال: نعي الفرزدق لجرير، وهو عند المهاجر بن عبد الله باليمامة، فقال:

مات الفرزدق بعد ما جرعته      لبت الفرزدق كان عاش قليلاً

فقال له المهاجر: بئس ما قلت، أتهجوا ابن عمك بعد ما مات! ولو رثيته كان أحسن بك. فقال: والله إني لأعلم أن بقائي بعده لقليل، وأن نجمي لموافق لنجمه، أفلا أرثيه؟ قال: أبعد ما قيل لك: ألو كنت بكيته ما نسيتك العرب.

قال أبو خليفة: قال ابن سلام: فأنشدني معاوية بن عمرو، قال: أنشدني عمارة بن عقيل لجرير يرثي الفرزدق بأبيات منها:

فلا ولدت بعد الفرزدق حامل  
ولا ذات بعل من نفاس تعلت  
هو الوافد المأمون والرائق التأي  
إذا النعل يوماً بالعشيرة زلت

أخبرني أحمد بن عبد العزيز، عن ابن شبة بنجر جرير لما بلغه وفاة الفرزدق، وهو عن المهاجر، فذكر نحوه مما ذكره ابن سلام، وزاد فيه، قال: ثم قال: وبكى، وندم، وقال: ما تقارب رجلان في أمر قط، فمات أحدهما إلا أوشك صاحبه أن يتبعه.

في أي سنة مات: قال أبو زيد: مات الحسن وابن سيرين والفرزدق وجرير في سنة عشر ومائة، فقبر الفرزدق بالبصرة، وقبر جرير وأيوب السختياني ومالك بن دينار باليمامة في موضع واحد. وهذا غلط من أبي زيد عمر بن شبة، لأن الفرزدق مات بعد يوم كاظمة، وكان ذلك في سنة اثنتي عشرة ومائة، وقد قال فيه الفرزدق شعراً، وذكره في مواضع من قصائده، ويقوي ذلك ما أخبرنا به وكيع، قال: حدثنا عمر بن محمد بن عبد الملك الزيات، قال: حدثني ابن النطاح، عن المدائني، عن أبي اليقظان وأبي همام المجاشعي: أن الفرزدق مات سنة أربع عشرة ومائة.

جرير ينعي نفسه ويرثيه: قال أبو عبيدة: حدثني أبو أيوب بن كسيب من آل الخطفي، وأمه ابنة جرير بن عطية، قال: بينا جرير في مجلس بفناء داره بحجر إذ راكب قد أقبل، فقال له جرير: من أين وضح الراكب؟ قال: من البصرة، فسأل عن الخبر، فأخبره بموت الفرزدق، فقال:

مات الفرزدق بعد ما جرعته  
ليت الفرزدق كان عاش قليلاً

ثم سكت ساعة، فظنناه يقول شعراً، فدمعت عيناه، فقال القوم: سبحان الله، أتبكي الفرزدق! فقال: والله ما أبكي إلا على نفسي، أما والله إن بقائي؛ خلافه لقليل، إنه قل ما كان مثلنا رجلان يجتمعان على خير أو شر إلا كان أمد ما بينهما قريباً، ثم أنشأ يقول:

فجعنا بحمال الديات ابن غالب  
وحامي تميم كلها والبراجم

بكيناك حدثان الفراق وإنما  
بكيناك شجواً للأمر العظامم

فلا حملت بعد ابن ليلي مهيرة  
ولا شد أنساع المطي الرواسم

يموت بالدبيلة: وقال البلاذري: حدثنا أبو عدنان، عن أبي اليقظان، قال: أسن الفرزدق حتى قارب المائة فأصابته الدبيلة، وهو بالبادية فقدم إلى البصرة؛ فأتي برجل من بني قيس متطبب؛ فأشار بأن يكوى، ويشرب النفط الأبيض، فقال: أتعجلون لي طعام أهل النار في الدنيا؟ وجعل يقول:

## أروني من يقوم لكم مقامي

إذا ما الأمر جل عن الخطاب

أبو ليلي الجاشعي يرثيه: وقال أبو ليلي الجاشعي يرثي الفرزدق:

لعمري لقد أشجى تميماً وهدها

على نكبات الدهر موت الفرزدق

عشية قدنا للفرزدق نعشه

إلى جدث في هوة الأرض معمق

لقد غيبوا في اللحد من كان ينتمي

إلى كل بدر في السماء محلق

ثوى حامل الأنتقال عن كل متقل

ودفاع سلطان الغشوم السملق

لسان تميم كلها وعمادها

وناطقها المعروف عند المخنق

فمن لتميم بعد موت ابن غالب

إذا حل يوم مظلم غير مشرق

لتبئك النساء المعولات ابن غالب

لجان وعان في السلاسل موثق

أعلام ماتوا سنة موته: وقال ابن زكريا الغلابي، عن ابن عائشة، قال: مات الفرزدق وجرير في سنة عشرة ومائة، ومات جرير بعده بستة أشهر، ومات في هذه السنة الحسن البصري وابن سيرين، قال: فقالت امرأة من أهل البصرة: كيف يفلح بلد مات فقيهاه وشاعراه في سنة؟ ونسبت جريراً إلى البصرة لكثرة قدومه إليها من الإمامة، وقبر جرير بالإمامة، وبها مات، وقبر الأعشى أيضاً بالإمامة: أعشى بني قيس بن ثعلبة، وقبر الفرزدق بالبصرة في مقابر بني تميم: وقال جرير لما بلغه موت الفرزدق: فلما تصاول قحلان، فمات أحدهما إلا أسرع لحاق الآخر به. ورثاهما جماعة، فمنهم أبو ليلي الأبيض، من بني الأبيض بن مجاشع فقال فيهما:

لعمري لئن قرما تميم تتابعا

مجيبين للداعي الذي قد دعاها

لرب عدو فرق الدهر بينه

وبينهما لم تشوه ضغمتاهما

يتراءى في المنام: أخبرني ابن عمار، عن يعقوب بن إسرائيل، عن قعنب بن المحرز الباهلي، عن الأصمعي، عن جرير يعني أبا حازم قال: رئي الفرزدق وجرير في النوم، فرئي الفرزدق بخير وجرير معلق. قال قعنب: وأخبرني الأصمعي، عن روح الطائي، قال: رئي الفرزدق في النوم، فذكر أنه غفر له بتكبيره كبرها في المقبرة عند قبر غالب.

قال قعنب: وأخبرني أبو عبيدة النحوي وكيسان بن المعروف النحوي، عن لبطة بن الفرزدق، قال: رأيت أبي فيما يرى النائم، فقلت له: ما فعل الله بك؟ قال: نفعني الكلمة التي نازعنيها الحسن على القبر.

هو والحسن في جنازة النوار: أخبرني وكيع، عن بن إسماعيل الحساني، عن علي بن عاصم، عن سفيان بن الحسن، وأخبرني أبو خليفة عن محمد بن سلام - والرواية قريب بعضها من بعض: أن النوار لما حضرها الموت أوصت الفرزدق - وهو ابن عمها - أن يصلي عليها الحسن البصري، فأخبره الفرزدق، فقال: إذا فرغتم منها

فأعلمني، وأخرجت، وجاءها الحسن، وسبقهما الناس، فانتظروهما، فأقبلا، والناس ينتظرون، فقال الحسن: ما للناس؟ فقال: ينتظرون خير الناس وشر الناس، فقال: إني لست بخيرهم، ولست بشرهم، وقال له الحسن على قبرها: ما أعددت لهذا المضجع، فقال: شهادة أن لا إله إلا الله منذ سبعين سنة. هذا لفظ محمد بن سلام. وقال وكيع في خبره: فتشاغل الفرزدق بدفنها، وجلس الحسن يعظ الناس، فلما فرغ الفرزدق وقف على حلقة الحسن، وقال:

لقد خاب من أولاد آدم من مشى  
إلى الناس مغلول القلادة أزرقا  
أخاف وراء القبر إن لم يعافني  
أشد من القبر التهاباً وأضيقا  
إذا جاءني يوم القيامة قائد  
عنيف وسواق يقود الفرزدقا

رواية أخرى له مع الحسن: أخبرنا أحمد: قال: حدثنا عمر بن شبة قال: حدثنا حيان بن هلال: قال: حدثنا خالد بن الحر: قال: رأيت الحسن في جنازة أبي رجاء العطاردي، فقال للفرزدق: ما أعددت لهذا اليوم؟ فقال: شهادة أن لا إله إلا الله منذ بضع وتسعين سنة، قال إذا تنجو إن صدقت. قال: وقال الفرزدق: في هذه الجنازة خير الناس وشر الناس، فقال الحسن: لست بخير الناس ولست بشرهم. يذكر ذنوبه فينشج: أخبرنا ابن عمار، عن أحمد بن إسرائيل، عن عبيد الله بن محمد القرشي بطوس، قال: حدثني يزيد بن هاشم العبدي: قال: حدثنا أبي: قال: حدثنا فضيل الرقاشي قال: خرجت في ليلة باردة، فدخلت المسجد، فسمعت نشيجاً وبكاء كثيراً، فلم أعلم من صاحب ذلك، إلى أن أسفر الصبح، فإذا الفرزدق، فقلت: يا أبا فراس، تركت النوار، وهي لينة الدثار دفنة الشعار، قال: إني والله ذكرت ذنوبي، فأقلقتني، ففرغت إلى الله عز وجل.

تجيه شيبته من النار: أخبرني وكيع، عن أبي العباس مسعود بن عمرو بن مسعود الجحدري قال: حدثني هلال بن يحيى الرازي: قال: حدثني شيخ كان يتزل سكة قريش: قال: رأيت الفرزدق في النوم فقلت: يا أبا فراس، ما فعل الله بك؟ قال: غفر لي بإخلاصي يوم الحسن، وقال: لولا شيبتك لعذبك بالنار. رواية أخرى في لقائه مع الحسين: أخبرني هاشم الخزاعي عن دماذ، عن أبي عبيدة، عن لبطة بن الفرزدق، عن أبيه: قال: لقيت الحسين بن علي - صلوات الله عليهما - وأصحابه بالصفاح، وقد ركبوا الإبل، وجنبوا الخيل، متقلدين السيوف، متنكبين القسي، عليهم يلامق من الديباج، فسلمت عليه، وقلت: أين تريد؟ قال: العراق، فكيف تركت الناس؟ قال: تركت الناس قلوبهم معك، وسيوفهم عليك، والدنيا مطلوبة، وهي في أيدي بني أمية، والأمر إلى الله عز وجل، والقضاء يتزل من السماء بما شاء. أبو هريرة يعظه: أخبرني حبيب بن نصر المهلي، وأحمد بن عبد العزيز، عن ابن شبة قال: حدثني هارون بن عمر، عن ضمرة بن شوذب قال: قيل لأبي هريرة: هذا الفرزدق، قال: هذا الذي يقذف المحصنات، ثم قال له: إني أرى عظمك رقيقاً وعرقك دقيقاً، ولا طاقة لك بالنار، فتب، فإن التوبة مقبولة من ابن آدم حتى يطير غرابه.

أخبرني هاشم بن محمد، عن الرياشي، عن المنهال بن بحر بن أبي سلمة، عن صالح المري، عن حبيب بن أبي محمد، قال: رأيت الفرزدق بالشام، فقال: قال لي أبو هريرة: إنه سيأتيك قوم يونسونك من رحمة الله، فلا تيأس. موازنة بينه وبين جرير والأخطل:

قال أبو الفرج: والفرزدق مقدم على الشعراء الإسلاميين هو وجرير والأخطل، ومحلّه في الشعر أكبر من أن ينبه عليه بقول، أو يدل على مكانه بوصف؛ لأن الخاص والعام يعرفانه بالاسم، ويعلمان تقدمه بالخبر الشائع علماً يستغنى به عن الإطالة في الوصف، وقد تكلم الناس في هذا قديماً وحديثاً، وتعصبوا، واحتجوا بما لا مزيد فيه، واحتلفوا بعد اجتماعهم على تقديم هذه الطبقة في أيهم أحق بالتقدم على سائرهما، فأما قدماء أهل العلم والرواية فلم يسووا بينهما وبين الأخطل؛ لأنه لم يلحق شأوهما في الشعر، ولا له مثل ما لهما من فنونه، ولا تصرف كتصرفهما في سائرهما، وزعموا أن ربيعة أفرطت فيه، حتى ألحقت بهما، وهم في ذلك طبقتان، أما من كان يميل إلى جزالة الشعر، وفخامته، وشدة أسره، فيقدم الفرزدق، وأما من كان يميل إلى أشعار المطبوعين، وإلى الكلام السهل الغزل فيقدم جريراً.

أخبرنا أبو خليفة: قال حدثنا محمد بن سلام، قال: سمعت يونس بن حبيب يقول: ما شهدت مشهداً قط ذكر فيه الفرزدق وجرير، فاجتمع أهل ذلك المجلس على أحدهما. قال ابن سلام: وكان يونس يقدم الفرزدق تقدمة بغير إفراط، وكان المفضل يقدمه تقدمة شديدة.

قال ابن سلام: وقال ابن دأب، وسئل عنهما، فقال: الفرزدق أشعر خاصة وجرير أشعر عامة. أخبرني الجوهرى وحبيب المهلي عن ابن شبة، عن العلاء بن الفضل: قال: قال لي أبو البيداء: يا أبا الهذيل، أيهما أشعر؟ أجرير أم الفرزدق؟ قال: قلت: ذاك إليك، ثم قال: ألم تسمعه يقول:

ما حملت ناقة من معشر رجلاً

مثلي إذا الريح لفتني على الكور

إلا قريشاً فإن الله فضلها

مع النبوة بالإسلام والخير

ويقول جرير:

لا تحسبن مراس الحرب إذ لقت

شرب الكيس وأكل الخبز بالصير؟

سلح والله أبو حزره.

ثلث اللغة من شعره: أخبرني هاشم الخزاعي، عن أبي حاتم السجستاني، عن أبي عبيدة، قال: سمعت يونس يقول: لولا شعر الفرزدق لذهب ثلث لغة العرب.

يقرض الشعر في خلافة عثمان وعلي: أخبرني هاشم الخزاعي، عن أبي غسان، عن أبي عبيدة قال: قال يونس أبو البيداء: قال الفرزدق: كنت أهاجي شعراء قومي، وأنا غلام في خلافة عثمان بن عفان، فكان قومي يخشون معرة لساني منذ يومئذ، ووفد بي أبي إلى علي بن أبي طالب صلوات الله عليه عام الجمل، فقال له: إن ابني هذا يقول الشعر، فقال: علمه القرآن، فهو خير له.

يسلخ خمساً وسبعين سنة من عمره في الهجاء: قال أبو عبيدة: ومات الفرزدق في سنة عشر ومائة، وقد نيف على التسعين سنة، كان منها خمسة وسبعين سنة يباري الشعراء، ويهجو الأشراف فيغضهم، ما ثبت له أحد منهم قط، إلا جريراً.

يرث الشعر عن خاله: أخبرني محمد بن عمران الصيرفي: قال: حدثنا الحسن بن عليل العتري، قال: حدثني محمد بن معاوية الأسدي، قال: حدثنا ابن الرازي، عن خالد بن كلثوم قال: قيل للفرزدق: مالك وللشعر؟ فوالله ما كان أبوك غالب شاعراً، ولا كان صعصعة شاعراً، فمن أين لك هذا؟ قال: من قبل خالي، قيل: أي أخوالك؟ قال: خالي العلاء بن قرظة الذي يقول:

بكلكلة أناخ بأخرينا

إذا ما الدهر جر على أناس

سيلقى الشامتون كما لقينا

فقل للشامتين بنا أفيقوا

يؤنبه أخواله فيمن عليهم: أخبرني عمي قال: حدثنا الكراني. عن العمري، عن الهيثم بن عدي، عن حماد الراوية، وأخبرني هاشم الخزاعي: قال: حدثنا دماذ، عن أبي عبيدة قال: دخل قوم من بين ضبة على الفرزدق فقالوا له: قبحك الله من ابن أخت! قد عرضتنا لهذا الكلب السفية - يعنون جريراً - حتى يشتم أعراضنا، ويذكر نساءنا، فغضب الفرزدق، وقال: بل قبحكم الله من أخوال! فوالله لقد شرفكم من فخري أكثر مما غضكم من هجاء جرير، أفأنا وبلكم عرضتكم لسويد بن أبي كاهل حيث يقول:

كما كل ضبي من اللؤم أزرق

لقد زرقت عينك يا بن مكعب

كما لاح في خيل الحلائب أبلق

ترى اللؤم فيهم لائحاً في وجوههم

أو أنا عرضتكم للأغلب العجلي حيث يقول:

عبداً إذانا ولقوم ذلاً

لن تجد الضبي إلا فلا

حتى يكون الألام الأقلا

مثل قفا المدية أو أكلا

أو أنا عرضتكم له يحث يقول:

عمداً في سواء السببة

إذا رأيت رجلاً من ضبة فنكه

إن اليماني عقاص الزبه

أو أنا عرضتكم لمالك بن نويرة حيث يقول:

من اللؤم للضبي لحماً ولا دماً!

ولو يذبج الضبي بالسيف لم تجد

والله لما ذكرت من شرفكم، وأظهرت من أيامكم أكثر، ألسنت القتال:

في آل ضبة للمعم المخول

وأنا ابن حنظلة الأغر وإنني

## فرعان قد بلغ السماء ذراهما

## وإليهما من كل خومف يعقل

بنو حرام يخشون لسانه: أخبرنا أبو خليفة، عن ابن سلام، عن أبي بكر محمد بن واسع وعبد القاهر قالوا: كان فتى في بني حرام بن سماك شويعر، قد هجا الفرزدق، فأخذناه، فأتينا به الفرزدق، وقلنا: هو بين يديك، فإن شئت فاضرب، وإن شئت فاحلق، لا عدوى عليك ولا قصاص، فحلى عنه وقال:

## فمن يك خائفاً لأذاة قولي

## فقد أمن الهجاء بنو حرام

## هم قادوا سفيهم وخافوا

## قلائد مثل أطواق الحمام

لائذة بقبر أبيه: أخبرنا أبو خليفة، عن محمد بن سلام، قال: حدثني الحكم بن محمد، قال: كان رجل من قضاة ثم من بني القين على السند، وفي حبسه رجل يقال له حبيش - أو حنيش - وطالت غيبته عن أهله، فأنت أمه قبر غالب بكاطمة، فأقامت عليه، حتى علم الفرزدق بمكانها، ثم إنهما أتت فطلبت إليه في أمر ابنها، فكتب إلى تميم القضاعي.

## هب لي حنيساً واتخذ فيه منة

## لغصة أم ما يسوغ شرابها

## أنتني فعادت يا تميم بغالب

## وبالحفرة السافي عليه ترابها

## تميم بن زيد لا تكونن حاجتي

## بظهر فلا يخفى علي جوابها

فلما أتاه الكتاب لم يدر: أحنيس أم حبيش! فأطلقهما جميعاً.

لائذ آخر بقبر أبيه: أخبرني أبو خليفة: قال: حدثنا محمد بن سلام: قال: حدثني أبو يحيى الضبي قال: ضرب مكاتب لبني منقر خيمة على قبر غالب، فقدم الناس على الفرزدق فأخبروه أنهم رأوا بناء على قبر غالب أبيه، ثم قدم عليه، وهو بالمريد فقال:

## بقبر ابن ليلي غالب عدت بعدما

## خشيت الردى أو أن أرد على قسر

## فخاطبني قبر ابن ليلي وقال لي:

## فكاكك أن تلقى الفرزدق بالمصر

فقال له الفرزدق: صدق أبي، أنخ أنخ، ثم طاف في الناس، حتى جمع له كتابته وفضلاً.

يعتذر عن مناقضته نفسه: أخبرني ابن خلف وكيع، عن هارون بن الزيات، عن أحمد بن حماد بن الجميل، قال: حدثنا القحذي، عن ابن عياش: قال: لقيت الفرزدق فقلت له: يا أبا فراس، أنت الذي تقول:

## فليت الأكف الدافنات ابن يوسف

## يقطعن إذ غيبين تحت السقائف

فقال: نعم، أنا، فقلت له: ثم قلت بعد ذلك له:

## لئن نفر الحجاج آل معتب

## لقوا دولة كان العدو يدالها

## لقد أصبح الأحياء منهم أدلة

## وفي الناس موتاهم كلوحاً سبالها

قال: فقال الفرزدق: نعم، نكون مع الواحد منهم ما كان الله معه، فإذا تخلى منه انقلبنا عليه.  
هل أجاز إياس شهادته؟ أخبرنا هاشم بن محمد، عن عبد الرحمن بن أخي الأصمعي، عن عمه، عن بعض أشياخه  
قال: شهد الفرزدق عند إياس بن معاوية، فقال: أجزنا شهادة الفرزدق أبي فراس، وزيدونا شهوداً، فقام  
الفرزدق فرحاً، فقيل له: أما والله ما أجاز شهادتك قال: بلى، قد سمعته يقول: قد قبلنا شهادة أبي فراس، قالوا:  
أفما سمعته يستزيد شاهداً آخر؟ فقال: وما يمنعه ألا يقبل شهادتي، وقد قذفت ألف محصنة!  
يسترد هبته: أخبرنا ابن دريد، عن أبي حاتم، عن أبي عبيدة، عن يونس: قال: كان عطية بن جعال الغداني صديقاً  
ونديماً للفرزدق، فبلغ الفرزدق أن رجلاً من بني غدانة هجاه وعاون جريراً عليه، وأنه أراد أن يهجو بني غدانة،  
فأتاه عطية بن جعال فسأله أن يصفع له عن قومه، ويهب له أعراضهم، ففعل، ثم قال:

**أبني غدانة إنني حررتكم**  
**فوهبتكم لعطية بن جعال**  
**لولا عطية لاجتدعت أنوفكم**  
**من بين الأم أعين وسبال**

فبلغ ذلك عطية، فقال: ما أسرع ما ارتجع أخي هبته، قبحها الله من هبة ممنونة مرتجعة.  
مجنون يريد أن يتزو عليه: أخبرني وكيع، عن هارون بن محمد: قال: حدثني قبيصة بن معاوية المهلي، عن المدائني،  
عن محمد بن النضر:

أن الفرزدق مر بباب المفضل بن المهلب، فأرسل إليه غلمة، فاحتملوه، حتى أدخل إليه بواسطة، وقد خرج من  
تيار ماء كان فيه، فأمر به، فألقى فيه، بثيابه، وعنده ابن أبي علقمة اليمحمدي المجنون، فسعى إلى الفرزدق، فقال  
له المفضل: ما تريد؟ قال: أريد أن أنيكة وأفضحه، فوالله لا يهجو بعدها أحداً من الأزدي، فصاح الفرزدق: الله  
الله أيها الأمير في، أنا في جوارك وذمتك؛ فمنع عنه ابن أبي علقمة، فلما خرج قال: قاتل الله مجنوهم؛ والله لو  
مس ثوبه ثوبي لقام بما جريرو وقعد؛ وفضحني في العرب فلم يبق لي فيهم باقية.  
وأخبرني بنحو هذا الخبر حبيب المهلي، عن ابن شبة، عن محمد بن يحيى، عن عبد الحميد، عن أبيه، عن جده:  
قال أبو زيد: وأخبرني أبو عاصم عن الحسن بن دينار، قال: قال لي الفرزدق: ما مر بي يوم قط أشد علي من يوم  
دخلت فيه على أبي عيينة بن المهلب - وكان يوماً شديداً الحر - فما منا أحد إلا جلس في أبن. فقلنا له: إن  
أردت أن تنفعا فابعث إلى ابن أبي علقمة، فقال: لا تريده؛ فإنه يكدر علينا مجلسنا، فقلنا: لا بد منه: فأرسل  
إليه، فلما دخل فرآني؛ قال الفرزدق والله. ووثب إليّ، وقد أنعظ أيره، وجعل يصيح: والله لأنيكته؛ فقلت لأبي  
عيينة: الله الله في، أنا في جوارك، فوالله لئن دنا إلي لا تبقى له باقية مع جريرو؛ فلم يتكلم أبو عيينة؛ ولم تكن لي  
همة إلا أن عدوت حتى صعدت إلى السطح، فاقتحمت الحائط، فقيل له: ولا يوم زياد كان مثل يومئذ، فقال:  
ولا مثل يوم زياد.

عمر بن عبد العزيز يجيره، ثم ينفيه: أخبرني عمي، عن ابن أبي سعد، عن أحمد بن عمر، عن إسحاق بن مروان  
مولي جهينة وكان يقال له: كوزا الراوية؛ قال أحمد بن عمر: وأخبرني عثمان بن خالد العثماني: أن الفرزدق قدم

المدينة في سنة مجدية حصاء فمشى أهل المدينة إلى عمر بن عبد العزيز، فقالوا له: أيها الأمير، إن الفرزدق قدم مدينتنا هذه في هذه السنة الجدية التي أهلكت عامة الأموال التي لأهل المدينة، وليس عند أحد منهم ما يعطيه شاعراً، فلو أن الأمير بعث إليه، فأرضاه، وتقدم إليه ألا يعرض لأحد بمدح ولا هجاء؛ فبعث إليه عمر: إنك يا فرزدق قدمت مدينتنا هذه في هذه السنة الجدية، وليس عند أحد ما يعطيه شاعراً، وقد أمرت لك بأربعة آلاف درهم؛ فخذها، ولا تعرض لأحد بمدح ولا هجاء، فأخذها الفرزدق، ومر بعبد الله بن عمرو بن عثمان، وهو جالس في سقيفة داره، وعليه مطرف خز أحمر وجبة خز أحمر، فوقف عليه، وقال:

أعبد الله أنت أحق ماش  
وساع بالجماهير الكبار  
نما الفاروق أمك وابن أروى  
أبوك فأنت منصدع النهار  
هما قمرا السماء وأنت نجم  
به في الليل يدلج كل سار

فخلع عليه الجبة والعمامة والمطرف، وأمر له بعشرة آلاف درهم، فخرج رجل كان حضر عبد الله والفرزدق عنده، ورأى ما أعطاه آياه، وسمع ما أمره عمر به من ألا يعرض لأحد، فدخل إلى عمر بن عبد العزيز؛ فأخبره، فبعث إليه عمر: ألم أتقدم إليك يا فرزدق ألا تعرض لأحد بمدح ولا هجاء؟ أخرج، فقد أجلتلك ثلاثاً، فإن وجدتك بعد ثلاث نكلت بك؛ فخرج وهو يقول:

فأجلني وواعدني ثلاثاً  
كاو عدت لمهلكها ثمود

قال: وقال جرير فيه:

نفاك الأغر ابن عبد العزيز  
ومتلك ينفى من المسجد  
وشبهت نفسك أشقى ثمود  
فقالوا: بضلت ولم تهتد

يهجو من يستكثر عليه الجائزة: أخبرني حبيب المهلي، عن ابن أبي سعد، عن صباح، عن النوفلي بن خاقان، عن يونس النحوي قال: مدح الفرزدق عمر بن مسلم الباهلي، فأمر له بثلاثمائة درهم، وكان عمرو بن عفراء الضبي صديقاً لعمر، فلامه، وقال: أتعطي الفرزدق ثلاثمائة درهم، وإنما كان يكفيه عشرون درهماً، فبلغه ذلك فقال:

نهيت ابن عفري أن يعفر أمه  
كعفر السلا إذا جررته ثعالبه  
وإن ارمأً يغتأبني لم أطاله  
حريماً فلا ينهاه عني أقاربه  
كمحتطب يوماً أساود هضبة  
أتاه بها في ظلمة الليل حاطبه  
ألما استوى ناباي وابيض مسحلي  
وأطرق إطراق الكرى من أحاربه؟  
فلو كان ضيباً صفحت ولو سرت  
على قدمي حياته وعقاربه

ولكن ديافي أبوه وأمه

بحوران يعصرن السليط قرائبه

صوت

ومقالها بالنعف نعف محسر

لفتاتها: هل تعرفين المعرضاً؟

ذاك الذي أعطى موائق عهده

ألا يخون وختلت أن لن ينقضا

فلئن ظفرت بمتلها من مثله

يوماً ليعترفن ما قد أقرضا

الشعر لخالد القسري، والناس ينسبونه إلى عمر بن أبي ربيعة، والغناء للغريض، ثقيل أول بالوسطى، عن الهشامي وابن المكّي وحبش. وقيل أن أذكر أخباره ونسبه فإني أذكر الرواية في أن هذا الشعر له. قصة تتعلق بأبيات هذا الصوت: أخبرنا محمد بن خلف وكيع: قال: أخبرني عبد الواحد بن سعيد، قال: حدثني أبو بشر، محمد بن خالد البجلي: قال: حدثني أبو الخطاب بن يزيد بن عبد الرحمن: قال: سمعت أبي يحدث: قال: حدثني مسمع بن مالك بن جحوش البجلي، قال: ركب خالد بن عبد الله، وهو أمير العراق، وهو يومئذ بالكوفة إلى ضيعته التي يقال لها المكرخة، وهي من الكوفة على أربعة فراسخ، وركبت معه في زورق، فقال لي: نشدتك الله يا بن جحوش، هل سمعت غريض مكة يتغنى:

ومقالها بالنعف نعف محسر

لفتاتها: هل تعرفين المعرضاً

قل: قلت: نعم، قال: الشعر والله لي، والغناء لغريض مكة، وما وجدت هذا الشعر في شيء من دواوين عمر بن أبي ربيعة التي رواها المدنيون والمكيون؛ وإنما يوجد في الكتب المحدثّة والإسنادات المنقطعة، ثم نرجع الآن إلى ذكره.